الكِتاب الثّالِث مِن أُغْنِيَة الجَليد والنّار

چورچ ر.ر. مارتن



عاصفة السّيوف



ترجَمة هِشام فَهْمي



جورج ر. ر. مارتن

أغنيَّة الجَليد والنَّار

الكتاب الثَّالث

عاصفة السُّيوف

الجزء الأول



الكتاب: عاصفة السُّيوف I (الكتاب الثَّالث من أغنيَّة الجَليد والنَّار) / رواية

المؤلف: چورچ ر. ر. مارتن

ترجمة: هشام فهمي

عدد الصفحات: 640 صفحة

الترقيم الدولي: 978-614-472-015-8

رقم الإيداع : 3036 / 2018

الطبعة الأولى: 2018

Printed by Sahara Printing Company

هذه ترجمة مرخّصة لكتاب:

A Storm of Swords by George R..R. Martin

الناشر

دار التنوير للطباعة والنشر

لبنان: بيروت – بئر حسن – سنتر كريستال، الهزيم – الطابق الأول

هاتف: 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

مصر: القاهرة – 2شارع السرايا الكرى (فؤاد سراج الدين سابقا) – جاردن سيتي

هاتف: 002022795557

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر – 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tunis@dar - altanweer.com

موقع إلكتروني: www.dar - altanweer.com



چورچ ر. ر. مارتن

أغنيَّة الجَليد والنَّار

الكتاب الثَّالث

عاصفة السُّيوف

الجزء الأول

ترجمة: هشام فهمي





مقدِّمة المُترجِم

يقول چورچ مارتن إن حُبَّه الشَّديد للموسيقى جزء من سبب استخدامه كلمة «أغنيَّة» في عناوين مؤلَّفاته، وهو ما نراه في أعمالٍ أخرى له بخلاف «أغنيَّة الجَليد والنَّار»، منها على سبيل المثال «أغنيَّة ليا» و«أغاني النُّجوم والظِّلال»، كما أن الكلمة وغيرها من التَّعابير الموسيقيَّة لها في متن النَّص حضور يعيه القُرَّاء جيِّدًا. أمَّا باقي عنوان السِّلسلة فاستوحاه مارتن من قصيدة روبرت فروست الشَّهيرة «النَّار والجَليد» التي نُشِرَت سنة 1920، والمستوحاة بدورها من جحيم دانتي، وتصفُ جدلًا متخيَّلًا بين مَن يقولون إن نهاية العالم ستكون إلى الجليد ومَن يقولون إنها ستكون إلى النَّار. الجدل رمزي إلى حَدٍّ كبير، وإن كان جزء منه حرفيًّا عند مارتن، ممثَّلًا في طرفَيْ النَّقيض؛ التَّنانين الوليدة في حرارة الشَّرق والمُشاة البيض القادمين من أقصى الشَّمال المتجمِّد، وكلا الضدَّين يملك من القوَّة المدمِّرة ما هو كفيل بإنهاء الحياة.

لكن بين الجليد والنَّار وحرفيَّتهما في عالم مارتن طيفًا كاملًا من شخصيَّاتٍ زاخرة بالرُّموز، ارتبطَ بها القارئ وارتبطتُ شخصيًّا كمترجِم بعددٍ منها على مَرِّ الصَّفحات وشهور العمل الطَّويلة، وبأعيُنها نرى الوجوه المختلفة لحرب الملوك الخمسة في «وستروس»، والمستوحاة من حربٍ حقيقيَّة، هي حرب الوردتين التي دامَت أكثر من ثلاثين عامًا في إنجلترا، وأحداث تاريخيَّة أخرى لا تقلُّ عنها بشاعةً، مثل حادثتَيْ العشاء الأسود ومذبحة جلنكو في سكوتلندا.

يرى النُّقَّاد، وأتَّفقُ معهم، أن «أغنيَّة الجَليد والنَّار» في قلبها قصَّة مناهِضة للحرب، خصوصًا أن مارتن نفسه معارض كبير لها، ورفضَ في شبابه أن يُجَنَّد في حرب ڤيتنام وقادَ حركةً طُلَّابيَّةً ضدها، لاعتقاده أن لا حرب في

التَّاريخ كان لها معنى أو انتفعَ بها أحد، باستثناء الحروب التي لها هدف نبيل، كتخليص العالم من هتلر على سبيل المثال. ثم إنه درسَ تاريخ العصور الوُسطى علاوةً على دراسته الصَّحافة، ويقول إنه قرأ كثيرًا جدًّا عن الحروب الطَّاحنة والصِّراعات في تلك الحقبة وغيرها، ولهذا السَّبب تحديدًا يلعب العُنف دورًا أساسيًّا في سلسلة مارتن هذه، في سبيل إبراز الفظائع التي تترتَّب على كلِّ معركة، ويدفع ثمنها دائمًا العامَّة بمختلِف ألوانهم والجُنود البُسطاء الذين يُنَفِّذ معظمهم الأوامر لا أكثر، بينما يبقى القادة والآمرون بمنأى عن الآثار أغلب الوقت، وهذا ما تُلقي عليه هذه الرِّواية مزيدًا من الضَّوء من خلال رحلتَيْ اثنتين من الشَّخصيَّات في أنحاء أراضي النَّهر التي عانَت تبعات هذا الصِّراع أكثر من أيِّ منطقةٍ أخرى، كما نرى الجوانب السِّياسيَّة المتشابكة عن طريق شخصيَّاتٍ أخرى.

على أن أهمَّ ما في هذه الرِّواية أننا نشهد تأثير الحرب على الشَّخصيَّات التي نراها بها من خلال وجهة نظرها، إذ يُؤمِن مارتن بمقولة ويليام فوكنر إن القصص الوحيدة التي تستحقُّ أن تُكتَب هي تلك التي تحكي عن نزاع قلب الإنسان مع نفسه، وهو ما تخوض فيه «عاصفة السُّيوف» بشدَّة، فنرى كيف تتغيَّر شخصيَّات تأثُّرًا بالحرب وبما في أنفُسها من صراع، منها مَن نكتشف له جوانب مدهشةً ونعرف عنه ما قد يدفعنا إلى تغيير رؤيتنا له، ومنها مَن يَرسُخ اعتقادنا الأوَّلي عنه، وفي كلتا الحالتين نرى شخصيَّاتٍ تنحدِر أو تسمو لكنها تتطوَّر بلا انقطاع وسط زوبعةٍ من الأحداث الكُبرى والمفاجآت، وكلُّ هذا يُقَدِّمه مارتن بقُدرته الفائقة على الكتابة عن مختلِف أصناف البشر والتَّعبير عنهم ببراعةٍ فائقة، بأسلوبه السَّلس ولُغته المرنة التي كانت العربيَّة نِدًّا لها في هذه التَّرجمة.

حتى الآن تعدُّ «عاصفة السُّيوف» أطول كُتب السِّلسلة، لدرجة أن طبعته البريطانيَّة صدرَت في مجلَّدَيْن منفصلَيْن تحت عنوانَيْن فرعيَّيْن هما «الفولاذ والثَّلج» و«الدَّم والذَّهب»، على حين انقسمَ في التَّرجمة الفرنسيَّة والألمانيَّة والإيطاليَّة -وغيرها من ترجماتها الثَّلاثين- إلى أربعة مجلَّدات، فازَت الرِّواية عام 2001 بجائزة «لوكوس» لأدب الخيال العلمي والفانتازيا، وجائزتَيْ «إجنوتوس» و«جيفن»، علاوةً على ترشُّحها لجائزتَيْ «هيوجو»

و«نبيولا»، واقتُبِسَت أحداثها في الموسمين الثَّالث والرَّابع وجزء من الموسم الخامس من مسلسل «*Game of Thrones*»، ومنذ عام 2006 تحتلُّ المركز الأول في قاعدة بيانات «قائمة الإنترنت للكُتب».

كمترجِم، كانت قراءة روايات «أغنيَّة الجَليد والنَّار» والمتعة الشَّديدة الذي وجدتها فيها هي الفيصل في اتِّخاذ قرار ترجمتها إلى العربيَّة، وهذه التَّرجمة التي بين يديك الآن هي نتاج عمل شهور طويلة مرهِقة لتقديم عالم چورچ مارتن المعقَّد وشخصيَّاته المتشابكة للقارئ العربي بأفضل شكلٍ ممكن.



إلى فيليس
التي جعلَتني أضيف التَّنانين





ملاحظة على التَّسلسل الزَّمني للأحداث

تُحكى «أغنيَّة الجَليد والنَّار» من خلال وجهات نظر شخصيَّاتٍ عدَّة، تفصل بينها أحيانًا مسافات تَبلُغ مئات أو حتى آلاف الأميال، وثمَّة فصول تُغَطِّي يومًا من الأحداث، وأخرى ساعةً واحدةً، فيما تدور أحداث فصولٍ غيرها على مدار أسبوعين أو شهر أو نِصف عام، وهو ما يعني أن سرد الأحداث لا يُمكن أن يكون تعاقبيًّا تمامًا مع بناءٍ روائي كهذا، ففي بعض الأحيان تقع أحداث مهمَّة في أماكن مختلفة في آنٍ واحد.

هكذا، في حالة هذا الكتاب، على القارئ أن يُدرِك أن الفصول الأولى في «عاصفة السُّيوف» لا تتلو الفصول الأخيرة من «صِدام الملوك»، بل تتزامَن معها، إذ أفتتحُ الرِّواية بنظرةٍ على بعض الأحداث التي وقعَت على قمَّة (قبضة البَشر الأوائل)، وفي (هارنهال) و(ريڤرران) وعلى ضفاف (الثَّالوث)، في أثناء معركة (النَّهر الأسود) التي دارَت رَحاها على شواطئ (كينجز لاندنج)، وخلال تبعاتها كذلك...

چورچ ر. ر. مارتن


خريطة الشَّمال
مدينة
قلعة
بلدة
أطلال
ش
الساحل المتجمِّد
خليج الجليد
جزيرة الدببة
الغابة المسكونة
الجدار
برج الظلال
القلعة السَّوداء
القلعة الشرقية
أراضي الهديَّة
سكاين
سكاجوس
خليج الفقمات
المستوقد الأخير
كارهولد
البحيرة الطويلة
التلال الوحيدة
معقل الخوف
وينترفل
رأس التنين البحري
ربوة الغابة
مربَّع تورين
روابي القبور
الغُدران
بلدة الرَّوابي
الرُّمح الملحي
خندق كايلن
الميناء الأبيض
بوابة الكباش
قلعة الأرملة
القلعة العتيقة
الفرع الكسير
خليج المياه الأجاجة
إصبع فلينت
رأس الكراكن
جروف فلينت
العُنق
القلعة الرماديَّة
سيسترتون
الثلاث أخوات
جزيرة الحصى
جزيرة التلّين
الخليج الناهش
التَّوأمتان
جُزر الحديد
رأس النسور
سيجارد
خليج الرجال الحديديين
بايك
العُش
البوَّابة الدامية
وادي آرن
الفرع الأخضر
الفرع الأزرق
الفرع الأحمر
الجلمود
Map by
James Sinclair



خريطة الجنوب
مدينة
قلعة
بلدة
أطلال
ش
جزر الحديد
ويك القديمة
خليج الرجال الحديديين
بايك
ويك الكبرى
سيجارد
الثلاث أخوات
طريق الملوك
الفرع الأخضر
الفرع الأزرق
الفرع الأحمر
نهر الثالوث
وادي أرن
العُش
البوّابة الدامية
بلدة النوارس
الرأس المصدّع
الجلمود
ريفرَن
هارنهال
جزيرة الوجوه
عين الآلهة
بركة العذارى
وادي الغسق
دراجونستون
الحلقوم
النّاب الذهبي
كاسترلي روك
لانسبورت
طريق الذهب
روزبي
كينجز لاندنج
الخليج الأسود
النهر الأسود
المرعى
الطريق الوردي
جسر العلقم
غابة الملوك
تارث
ستورمز إند
خليج السُّفن الغارقة
آشفورد
هايجاردن
تخوم دورن
الغابة المطيرة
رأس الغضب
الصخرة الخضراء
بحر دورن
البلدة القديمة
ستارفول
دورن
صنسبير
الكرمة
Map by
James Sinclair


وراء الجدار
قلعة
أطلال قلعة
معاقل حرس الليل
1 - القلعة الغربية عند الجسر
2 - برج الظلال
3 - منصة الحرس
4 - الحارس الرمادي
5 - الباب الحجري
6 - تل الصقيع
7 - باب الجليد
8 - قلعة الليل
9 - البحيرة العميقة
10 - بوابة الملكة
11 - القلعة السوداء
12 - درع البلوط
13 - قلعة الغابة عند البركة
14 - بهو السمور
15 - بوابة الضريب
16 - الرابية الطويلة
17 - المشاعل
18 - الحارس الأخضر
19 - القلعة الشرقية على البحر
أرض الشتاء السرمدي
(غير مرسومة)
ثِن
البحر الراجف
هاردهوم
رأس ستورولد
نهر القرون
النهر اللبني
الممر الصادح
قبضة
البشر الأوائل
وايتري
الجدار
الغور
هدية براندون
تاج الملكة
الهدية الجديدة
طريق الملوك
خليج الجليد
خليج الفقمات
سكاجوس
Map by James Sinclair



ڤاليريا
مدينة
أطلال مدينة
السكاهازاذان
ميرين
يونكاي
مانتاريس
الجروف السوداء
خليج النخاسين
تولوس
إليريا
بحر الزفير
جزيرة الأرز
أستابور
النهر الدودي
أراضي
الصيف
الطويل
جيسكار
أوروس
بحر الدخان
تيريا
جيس القديمة
خليج الثبور
مضيق الجيسكاري
ڤاليريا
جاين
جيس الجديدة
وستروس
كارث وبحر اليشب
بحر الصيف
جُزر الصيف
جُزر البازيليسق
الفأس
زاميتار
جزيرة الضفادع
ناث
بين
جزيرة الدموع
رأس البازيليسق
سوثوريوس
Map by
James Sinclair



تمهيد

كان النَّهار غائمًا قارس البرودة، والكلاب تَرفُض التقاط الرَّائحة.

تشمَّمت الكلبة السَّوداء الكبيرة آثار الدُّب مرَّةً لا أكثر، ثم تراجعَت منكمشةً على نفسها وذيلها بين ساقيها، وعادَت تنضمُّ إلى القطيع المتلَملِمة كلابه البائسة معًا عند ضفَّة النَّهر، حيث تضرب الرِّيح أجسامها بلا هوادة. تشِت أيضًا شعرَ بالرِّيح تخترق ما يرتديه من طبقات الصُّوف الأسود والجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي، وبالبرد الذي يكاد لا يطيقه إنسان أو حيوان على حَدٍّ سواء، لكن ما باليد حيلة. التوى فمه، وأحسَّ كأن البثور التي تُغَطِّي وجنتيه وعُنقه تزداد حُمرةً وغضبًا وهو يُفَكِّر: كان يُمكن أن أكون آمنًا على (الجِدار)، أعنى بالغِدفان اللَّعينة وأشعل النَّار للمِايستر إيمون العجوز. النَّغل جون سنو هو من سلبَه هذا، هو وصديقه البدين سام تارلي، هما السَّبب في وجوده هنا الآن، يتجمَّد حتى النُّخاع مع قطيع من الكلاب في أعماق (الغابة المسكونة).

جذبَ المَقاود بعُنفٍ ليلفت انتباه الكلاب، وقال بسُخط: «بحَقِّ الجحائم السَّبع! تتبَّعوه أيها الأوغاد. إنه أثر دُب. هل تُريدون أن تأكلوا لحمًا أم لا؟ اعثروا عليه!»، لكن الكلاب لم تتحرَّك إلَّا لتدنو من بعضها بعضًا أكثر مُصدرةً عُواءً كالأنين، وعندما لوَّح تشِت بسوطه القصير فوق رؤوسها، زامَت الكلبة السَّوداء في وجهه، فقال وأنفاسه تتحوَّل إلى صقيع مع كلِّ كلمةٍ يلفظها: «حذارِ، الكلاب لحمها ليس أسوأ مذاقًا من لحم الدِّبَبة».

قال لارك رجل الأخوات: «البرد أشدُّ من أن نستطيع الصَّيد. فليذهب الدُّب إلى الجحيم، إنه لا يستحقُّ أن نتجمَّد بسببه». كان يقف عاقدًا ذراعيه

على صدره ويدسُّ يديه تحت إبطيه، ومع أنه يرتدي قُفَّازين من الصُّوف الأسود، فلم يمنعه هذا من الشَّكوى الدَّائمة من تجمُّد أصابعه.

دمدمَ پول الصَّغير من وراء اللِّحية البنِّيَّة الكثيفة التي تكسو معظم وجهه: «لا يُمكننا العودة خاويي الوفاض يا لارك، فلن يُرضي هذا حضرة القائد».

كان رجلًا ضخم البدن، يقف مُطبقًا على قناة حربته بقبضته العظيمة المحاطة بقُفَّازٍ من الفرو السَّميك، وقد جمَّد الجليد المخاط السَّائل من أنفه الأفطس على شاربه.

رَدَّ رجل الأخوات النَّحيل ذو القسمات الحادَّة والنَّظرات المتوتِّرة: «فليذهب الدُّب العجوز إلى الجحيم أيضًا. مورمونت سيموت قبل طلوع الفَجر، أم أنك نسيت؟ مَن يُبالي بما يُرضيه؟».

رمَته عينا پول السَّوداوين الصَّغيرتين بنظراتٍ خاوية، فخطرَ لتشِت أنه ربما نسيَ حقًّا، فهو غبيٌّ بما فيه الكفاية لأن ينسى أيَّ شيءٍ تقريبًا. «لماذا يجب أن نَقتُل الدُّب العجوز؟ لِمَ لا نكتَفي بالرَّحيل وندعه وشأنه؟».

قال لارك: «هل تحسب أنه سيدعنا وشأننا؟ سيُطارِدنا لا محالة. أتريد أن تكون طريدةً أيها الأبله الكبير؟».

أجابَ پول الصَّغير: «لا، لا أريدُ هذا، لا أريده».

سألَه لارك: «ستَقتُله إذن؟».

دَقَّ الرَّجل الضَّخم أرض ضفَّة النَّهر المتجمِّدة بكعب حربته مجيبًا: «نعم، سأفعلُ، فيجب ألَّا يُطاردنا».

سحبَ رجل الأخوات يديه من تحت إبطيه، والتفتَ إلى تشِت قائلًا: «أكرِّرُ أن علينا أن نَقتُل الضُّبَّاط كلهم».

كان تشِت قد سئمَ إثارة لارك هذا الجدل تمامًا، فقال وقد احتقنَت بثوره غيظًا: «سبقَ أن تكلَّمنا عن هذا. الدُّب العجوز سيموت، وكذا بلين من (بُرج الظِّلال)، وجروبز وإيثان أيضًا، فحظُّهما الأسود أنها نوبة حراستهما، ودايوين وبانن لخبرتهما في اقتفاء الآثار، والسير خنزير المسؤول عن الغِدفان. هؤلاء فقط، مفهوم؟ سنَقتُلهم بهدوء وهُم نائمون. صرخة واحدة وسنُصبح كلُّنا طعامًا للدِّيدان، كلُّنا بلا استثناء. قُم بدورك واعمل على أن يفعل أبناء عمِّك المِثل. وأنت يا پول، حاوِل أن تتذكَّر أنها المناوَبة الثَّالثة وليست الثَّانية».

قال الرَّجل الكبير من وراء شَعره ومخاطه المتجمِّد: «المناوَبة الثَّالثة، أنا والمتسلِّل، لم أنسَ يا تشِت».
سيكون القمر مُحاقًا اللَّيلة، وقد تلاعَبوا بتنظيم نوبات الحراسة بحيث يكون هناك ثمانية منهم بين الخفر الواقفين ساعة التَّنفيذ، بالإضافة إلى اثنين آخَريْن يَحرُسان الخيول. إنهم لن يجدوا فُرصةً أفضل، ثم إن من الممكن أن يجدوا الهَمج فوق رؤوسهم في أيِّ يومٍ الآن، وتشِت ينوي أن يكون بعيدًا تمامًا عن هنا عندما يَحدُث هذا.
إنه ينوي أن يعيش.
ثلاثمئة أخ أقسَموا يمين حَرس اللَّيل كانوا قد توغَّلوا شمالًا، مئتان من (القلعة السَّوداء) ومئة آخَرون من (بُرج الظِّلال)، أكبر حمْلة تقصٍّ في ذاكرة البَشر، ما يَقرُب من ثُلث قوَّة الحَرس. كان هدفهم أن يَعثُروا على بن ستارك والسير وايمار رويس، ويكتشفوا سبب هِجران الهَمج قُراهم، لكنهم ليسوا أقرب إلى ستارك ورويس الآن مما كانوا عندما تحرَّكوا من (الجدار)، وإن عرفوا المكان الذي نزحَ إليه الهَمج كافَّة؛ المرتفعات الجليديَّة الموحشة المسمَّاة (أنياب الصَّقيع). فليبقوا حيث هُم أبد الدَّهر ولن يكترث تشِت مقدار ذرَّة.
لكن لا، إنهم قادمون الآن، يَسلُكون طريق (النَّهر اللَّبني).
رفعَ تشِت عينيه يَرمُق النَّهر الذي تتلحَّف ضفَّتاه الحجريَّتان بالجليد، وتتدفَّق مياهه الشَّاحبة كالحليب بلا نهايةٍ من (أنياب الصَّقيع). كان ثورين سمولوود قد عادَ منزعجًا قبل ثلاثة أيام، وبينما يُقَدِّم تقريره للدُّب العجوز بما رآه كشَّافته، أخبرَ رجله كِدچ ذو العين البيضاء بقيَّتهم وهو يُدفِئ يديه فوق النَّار: «ما زالوا على مسافةٍ بعيدة في المرتفعات عند سفوح الجبال، لكنهم في الطَّريق. هارما رأس الكلب تقود طليعتهم، تلك المجدورة الحقيرة. جاودي تسلَّل إلى معسكَرها ورآها بوضوح جالسةً عند النَّار، والأحمق تومبلچون أرادَ أن يُرديها بسهم، لكن سمولوود كان أعقل من هذا».
سألَه تشِت بفظاظة: «هل أحصيتموهم؟».
- «أعدادهم ضخمة للغاية، عشرون أو ثلاثون ألفًا، فلم ننتظر لنعدَّهم. هارما معها خمسمئة في الطَّليعة، جميعهم على متون الخيول».

تبادلَ الرِّجال الجالسون في حلقةٍ حول النَّار النَّظرات المتوتِّرة، فمن النَّادر أن تجد دستةً لا أكثر من الهَمج يمتطون الخيول، ناهيك بخمسمئةٍ دُفعةً واحدةً...

تابعَ كِدج: «سمولوود أرسلَني مع بانن في دورةٍ واسعة حول طليعتهم، لنسترق نظرةً إلى كُتلتهم الأساسيَّة. إنهم بلا نهاية، يتحرَّكون ببُطء نهرٍ جليدي، لا يقطعون أكثر من أربعة أو خمسة أميال في اليوم، لكن لا يبدو أنهم ينتوون العودة إلى قُراهم كذلك. أكثر من نِصفهم نساء وأطفال، ويتحرَّكون سائقين حيواناتهم من ماعز وخراف وثيران برِّيَّة تجرُّ الزلَّاجات، المحمَّلة كافَّة بحُزَم الفرو وشرائح اللُّحوم وأقفاص الدَّجاج ومماخض الزُّبدة وعجلات الغزْلَ، جميع ممتلكاتهم. البغال والخيول الصَّغيرة كانت مثقلةً بالأحمال لدرجةٍ تجعلك تحسب أن ظهورها على وشك أن تنكسر، والنِّسوة كذلك».

سألَه لارك رجل الأخوات: «ويتبعون طريق (النَّهر اللَّبني)؟».

- «ألم أقل هذا؟».

سيَمُرُّون في طريقهم هذا بـ(قبضة البَشر الأوائل)، الحصن الدَّائري العتيق حيث عسكرَ رجال حَرس اللَّيل، وهو ما يعني أن أيَّ شخص يملك خردلةً من العقل سيرى أن الوقت قد حان لرفع الدِّفاعات والانسحاب إلى (الجِدار). كان الدُّب العجوز قد حصَّن (القبضة) بالخوازيق والحُفر وأرجُل الغِربان[1]، لكن لا جدوى من كلٍّ هذا في مواجهة جيشٍ كالذي يزحف عليهم الآن. إذا ظلُّوا هنا فلا شَكَّ أن الهَمج سينهمرون عليهم كالمطر ويكتسحونهم.

وثورين سمولوود يُريد أن يُهاجمهم! كان السير مالادور لوك يُشارك السير أوتين ويذرز العجوز إلحاحه في التَّراجُع إلى (الجدار)، وقد شهدَ مُرافِقه دونل هيل المرِح مجيء سمولوود إلى خيمة لوك ليلة أول من أمس ليُحاوِل إقناعه بغير ذلك، وأخبرَهم دونل المرِح أنه قال: «ملك ما وراء الجِدار لن يتوقَّع أننا

(1) رِجل الغُراب أو الكالتروب سلاح قديم كان يُستخدَم منذ العصور الوُسطى وحتى بَعد الحرب العالميَّة الثَّانية، لتعطيل الجنود والخيول، ويُصنَع من المسامير أو الأشواك الحادَّة المركَّبة معًا، بحيث يبرز أحد الأطراف إلى أعلى دائمًا، بغرض أن ينغرس في القدم. (المترجم).

توغَّلنا كلَّ هذه المسافة شمالًا، وجيشه العرمرم هذا ما هو إلَّا قطيع يمشي متثاقلًا، قطيع مليء بالأفواه عديمة الفائدة التي لا يعرف أصحابها من أيِّ الطَّرفين يُحمَل السَّيف. ضربة واحدة ستسلبهم القُدرة على القتال وتُعيدهم مولولين إلى أكواخهم الوضيعة، حيث سيبقون خمسين سنةً أخرى».

ثَلاثمئة ضد ثلاثين ألفًا. وصفَ تشِت هذا بالجنون المطبَق، لكن الأكثر جنونًا أن السير مالادور اقتنعَ، والآن يوشك الاثنان معًا على إقناع الدُّب العجوز، إذ قال ثورين سمولوود لكلٍّ من يسمع: «ستضيع الفُرصة ولن تعود أبدًا إذا انتظرنا طويلًا ولم نغتنمها»، فعارَضه السير أوتين ويذرز قائلًا: «إننا الدِّرع التي تقي بلدان البَشر، ولا أحد يتخلَّص من دِرعه بلا سببٍ وجيه»، فرَدَّ سمولوود: «في القتال، خير وسيلةٍ للدِّفاع أن تُسَدِّد ضربةً خاطفةً تُجهِز بها على عدوِّك، لا أن تختبئ وراء دِرعك».

لكن القيادة ليست لسمولوود أو ويذرز، بل للورد مورمونت، واللورد مورمونت ينتظر كشَّافته الآخَرين؛ چارمان بكويل والرِّجال الذين صعدوا (سُلَّم العملاق)، وكورين ذا النِّصف يد وچون سنو اللذين ذهبا لاستطلاع (الممر الصَّادح)، غير أن غياب كلٍّ من بكويل وذي النِّصف يد طالَ كثيرًا. إنهم موتى على الأرجح. تخيَّل تشِت جثَّة النَّغل چون سنو الزَّرقاء المتجمِّدة على قمَّة جبل، وقد انغرسَت حربة واحدٍ من الهَمج في مؤخِّرته، فتراقصَت ابتسامة على شفتيه وفكَّر: آملُ أنهم قتَلوا ذئبه اللَّعين أيضًا.

قال وقد حزمَ أمره فجأةً: «لا يوجد دُبٌّ هنا، إنه مجرَّد أثرٍ قديم لا أكثر. لنَعُد إلى (القبضة)».

اندفعَت الكلاب جاذبةً مَقاودها بعُنفٍ كادَ يُسقِطه أرضًا، وكلُّها توق إلى العودة مِثله تمامًا، فلعلَّها تحسب أنه سيُطعِمها. ضحكَ تشِت رغمًا عنه، فهو يُجَوِّعها منذ ثلاثة أيام كاملة بغية أن تكتسب الشَّراسة المطلوبة، فاللَّيلة، وقبل أن ينسلَّ هاربًا في الظَّلام، سيُطلِقها بين صفوف الخيول، بَعدما يقطع دونل هيل المرِح وكارل ذو القدم المعوجَّة حبالها. ستكون كلاب الصَّيد المزمجرة والخيولُ المذعورة في كلِّ مكان، تجري وسط النَّار وتثب من فوق السُّور وتدعس الخيام. في فوضى كتلك قد تمرُّ ساعات طويلة قبل أن يلحظ أحدهم غياب أربعة عشر أخًا.

أرادَ لارك أن يُحضِر ضعف هذا العدد، لكن ماذا تتوقَّع من رجل الأخوات الأحمق ذي الأنفاس الذَّفِرة؟ اهمس كلمةً واحدةً في الأذن الخطأ، وفي لمح البصر ستجد أن رأسك لم يَعُد على كتفيك. كلا، أربعة عشر رجلًا عدد مناسب، يكفي لتنفيذ المراد وليس كبيرًا لدرجة أن يتسرَّب السِّرُّ من بينهم. كان تشِت قد جنَّد معظمهم بنفسه، ومنهم پول الصَّغير، أقوى رجل على (الجِدار) على الإطلاق، وحتى إذا كان فهمه أبطأ من حلزونٍ ميت، فإنَّه قويٌّ لدرجة أنه كسرَ ظَهر همجيٍّ بمجرَّد أن عانَقه ذات مرَّة. ديرك محبُّ الخناجر معهم أيضًا، والرَّجل الأشيب الصَّغير الملقَّب بين الإخوة بالمتسلِّل، الذي اغتصبَ مئة امرأةٍ في شبابه، ويتلذَّذ بالتَّباهي بأن لا واحدة منهن رأته أو سمعَته حتى دَسَّه فيها.

الخُطَّة خُطَّة تشِت، فهو الذَّكي فيهم، وكان وكيل المايستر إيمون العجوز طيلة أربع سنواتٍ كاملة، إلى أن أزاحَه النَّغل چون سنو من وظيفته ليشغلها صديقه الخنزير البدين. إنه ينوي حين يَقتُل سام تارلي اللَّيلة أن يهمس في أُذنه: بلِّغ اللورد سنو حُبِّي، قبل أن يَشُقَّ حَلق السير خنزير لتجيش دماؤه من تحت طبقات الشَّحم التي تكسو عظامه. ثم إنه يعرف الغِدفان وتعرفه، فلن تُسَبِّب له متاعب أكثر من تارلي نفسه. سيُبَلِّل ذلك الجبان سراويله بمجرَّد أن يَشعُر بلمسة السكِّين، ويُجهِش بالبكاء متوسِّلًا الرَّحمة. دَعه يتوسَّل، فلن يُجديه هذا نفعًا. بَعد أن ينحره، سيفتح الأقفاص ويهشُّ الطُّيور كي لا تَبلُغ أيُّ رسائلٍ (الجِدار). سيَقتُل المتسلِّل وپول الصَّغير معًا الدُّب العجوز، وديرك سيتولَّى أمر بلين، أمَّا لارك وأبناء عمِّه فسيُخرِسون بانن ودايوين العجوز لئلا يأتيا ويتشمَّما آثارهم. إنهم يُخَزِّنون الطَّعام منذ أسبوعين، وسيعمل دونل المرِح وكارل ذو القدم المعوجَّة على تجهيز الخيول. ستنتقل القيادة بوفاة مورمونت إلى السير أوتين ويذرز، ذلك الشَّيخ الواهن. سيهرع عائدًا إلى (الجِدار) قبل أن تَغرُب الشَّمس، ولن يُبَدِّد رجالًا في مطاردتنا.

شَدَّته الكلاب وهي تشقُّ طريقها بين الأشجار، ورأى تشِت (القبضة) ترتفع مضمومةً من قلب الأخضر. كانت سماء النَّهار ملبَّدةً بغيوم كثيفة، حتى إن الدُّب العجوز أمرَ بإضاءة المشاعل، فاتَّقدت في حلقةٍ واسعةً على محيط السُّور الدَّائري الذي يُتَوِّج قمَّة التَّل الحجري شديد الانحدار.

نزلَ ثلاثتهم إلى جدولٍ صغير مياهه باردة كالثَّلج، وقد بدأت رُقع الجليد تتكوَّن على سطحه بالفعل، وفي أثناء خوضهم صارحَهم لارك رجل الأخوات قائلًا: «سأتَّجهُ إلى السَّاحل أنا وأبناء عمِّي، سنبني قاربًا ونُبحِر إلى ديارنا في (الأخوات الثَّلاث)».

وفي الدِّيار سيعرفون أنكم متهرِّبون ويضربون أعناقكم أيها الحمقى. لا سبيل لتركِ حَرس اللَّيل بمجرَّد أن تحلف اليمين. اهرُب إلى أيِّ مكانٍ في (الممالك السَّبع) كلِّها، وسيقبضون عليك ويَقتُلوك.

أمَّا أولو الأبتر فيتكلَّم عن الإبحار عائدًا إلى (تايروش)، التي يَزعُم أنها بلد لا يفقد الرَّجل يديه فيه بسبب القليل من اللُّصوصيَّة النَّزيهة، ولا يُرسِلونه إلى حيث يقضي ما تبقَّى من حياته يتجمَّد لأنهم ضبَطوه في الفراش مع زوجة فارسٍ ما. كان تشِت قد فكَّر في الذَّهاب معه، لكنه لا يتكلَّم لُغتهم البناتيَّة المائعة تلك، وماذا يفعل في (تايروش) على كلِّ حال؟ إنه لم يتعلَّم صنعةً تُذكَر خلال نشأته في (مستنقع هاج)، إذ أمضى أبوه حياته يعزق حقول الآخَرين ويجمع العَلَقات[1]؛ يتجرَّد من ثيابه كلها باستثناء إزارٍ جلديٍّ سميك يُحيط بعورته، ويخوض في المياه الآسنة، وحين يَخرُج تجد العَلَقات تُغطِّيه من حلمتيه إلى كاحليه. أحيانًا كان يجعل تشِت يُساعِده على نزعها، وفي مرَّةٍ تمسَّكت إحداها براحة يده، وعندما هرسَها على الحائط مشمئزًّا ضربَه أبوه حتى أدماه، فالمِايسترات يدفعون بنسًا كاملًا لقاء كلِّ دستةٍ من العَلَق.

فليَعُد لارك إلى دياره إذا أرادَ، والتايروشي الملعون كذلك، لكن ليس تشِت. إنه لا يَشعُر ولو بشذرةٍ من الشَّوق لرؤية (مستنقع هاج) ثانيةً، على حين راقَه منظر (قلعة كراستر) كثيرًا. لقد عاشَ كراستر هناك كالأعيان، فما الذي يمنعه من أن يُصبِح مِثله؟ كم سيكون هذا مضحكًا؛ تشِت ابن جامعِ العَلَق لورد وصاحِب قلعة. من الممكن أن تكون رايته دستةً من العَلَقات على خلفيَّةٍ باللَّون الوردي. لكن لِمَ يكتفي باللورديَّة؟ ربما ينبغي له أن يصير ملكًا. مانس

(1) العَلَقات كائنات طفيليَّة تُشبِه الدِّيدان وتمتصُّ الدِّماء، وبدأ استخدامها قبل ألفي عام بغرض تطهير الجسد من الدَّم الفاسد بعمليَّة كانت تُعرَف بتعليق العَلَق، بالإضافة إلى الحفاظ على الدَّم من التجلُّط أثناء الجراحة. (المترجم).

رايدر كان غُرابًا في البداية. يُمكنني أن أكون ملكًا مِثله، وأتَّخذ لنفسي بضع زوجات. كراستر لديه تسع عشرة زوجةً، وليس من ضمنهن البنات اللاتي لم يُضاجعهن بعدُ. نِصف أولئك الزَّوجات عجائز قبيحات ككراستر نفسه، لكن لا يهمُّ، فيُمكن لتشت أن يُكَلِّفهن بالطَّهو والتَّنظيف وجني الثِّمار وإطعام الخنازير، فيما تُدفِئ الشَّابَّات فِراشه ويحملن أطفاله، وكراستر لن يقوى على الاعتراض بمجرَّد أن يُعانقه پول الصَّغير.

لم يعرف تشِت نساءً إلَّا العاهرات اللاتي استأجرهن في (بلدة المَناجذ)، أمَّا قبلها، وهو أصغر، فكانت فتيات قريته يُلقين نظرةً واحدةً على وجهه ببثوره وكيسه الدُّهني، ويُشِحن بأنظارهن متقزِّزات. أسوأهن كانت تلك القذرة بِسا، التي فتحَت ساقيها لكلِّ صبيٍّ في (مستنقع هاج)، فقال لنفسه إنه لا يوجد ما يمنع أن تفعلها معه أيضًا، بل وقضى صباحًا كاملًا يجمع لها الزُّهور البرِّيَّة عندما عرفَ أنها تُحِبُّها، فما كان منها إلَّا أن ضحكَت في وجهه، وقالت إنها تُفَضِّل أن تَدخُل الفِراش مع عَلَقات أبيه على أن تَدخُله معه. لم تكفَّ عن الضَّحك حتى أولجَ سكِّينه فيها، ولكم كانت النَّظرة على وجهها حُلوةً لحظتها، فسحبَ سكِّينه وطعنَها ثانيةً.

حين قبضوا عليه أخيرًا بالقُرب من (الجداول السَّبعة)، لم يتجشَّم اللورد والدر فراي العجوز عناء المجيء والحُكم عليه بنفسه، بل أرسلَ واحدًا من نغوله، والدر ريڤرز، وإذا بتشِت يجد نفسه في الطَّريق إلى (الجِدار) في صُحبة الشَّيطان الأسود كريه الرَّائحة المدعو يورن. لقد سلَبوه حياته كلها ثمنًا لهذه اللَّحظة الواحدة الحُلوة.

لكنه يعتزم الآن أن يأخذ حياته منهم ثانيةً، ويأخذ زوجات كراستر أيضًا. الهمجيُّ المسنُّ المقيت على حَق؛ إذا أردت امرأةً زوجةً لك فخُذها، ودعك من هراء إعطائها بضع زهور على أمل ألَّا تلحظ بثورك القبيحة. تشِت لا ينوي أن يرتكب ذلك الخطأ مجدَّدًا.

للمرَّة المئة أكَّد لنفسه أن الخُطَّة ستنجح... شريطة أن نَخرُج من هنا بلا عقبات. سيعمد السير أوتين إلى (بُرج الظِّلال) جنوبًا، فهذا أقصر الطُّرق إلى (الجِدار). ويذرز لن يشغل باله بنا، ولن يُريد إلَّا العودة سالمًا. بينما سيرغب

ثورين سمولوود لا شَكَّ في تنفيذ الهجوم، لكن السير أوتين رجل حذِر لأقصى حد، كما أنه يفوقه رُتبةً. ولن يهمُّ هذا على كلِّ حال. فليُهاجم سمولوود من يشاء بمجرَّد أن نختفي، فِلمَ نعبأ؟ إذا لم يعُد أيٌّ منهم إلى (الجدار)، فلن يأتي أحد يبحث عنا أبدًا، وسيحسبوننا متنا مع البقيَّة. كان هذا الخاطر جديدًا، وقد استمالَه لحظةً بالفعل، لكن عليهم في تلك الحالة أن يَقتُلوا السير أوتين والسير مالادور لوك أيضًا كي تنتقل القيادة إلى سمولوود، وكلاهما مُحاط بعددٍ لا بأس به من رجاله ليل نهار... لا، المخاطَرة كبيرة للغاية.

سأَله پول الصَّغير وهُم يمشون متثاقلين على دربٍ حجريٍّ للفرائس يمضي بين أشجار الحارس والصَّنوبر الجُندي[1]: «تشِت، ماذا عن الطَّائر؟».

- «أيُّ طائرٍ لعينٍ هذا؟». آخِر شيءٍ يحتاج إليه الآن أن يشرع هذا المأفون في الثَّرثرة عن طائرٍ ما.

أجابَ پول: «غُداف الدُّب العجوز. من سيُطعِم الطَّائر إذا قتلناه؟».

- «ومَن يُبالي؟ اقتُل الطَّائر أيضًا إذا أردت».

قال الرَّجل الكبير: «لا أريدُ أن أوذي أيَّ طيور، لكنه طائر متكلِّم، فماذا لو وشى بما فعلناه؟».

ضحكَ لارك رجل الأخوات وقال ساخرًا: «پول الصَّغير، بليد كالحمير!».

خاطَبه پول مُنذرًا: «اخرس!».

سارعَ تشِت يقول قبل أن تتفاقَم غضبة الرَّجل الكبير: «پول، عندما يجدون العجوز غارقًا في بِركةٍ من الدَّم وعُنقه مشقوق، فلن يحتاجوا إلى طائرٍ يقول لهم إن أحدًا قتلَه».

تأمَّل پول الكلام لحظةً ثم قال: «هذا صحيح. هل يُمكنني الاحتفاظ بالطَّائر إذن؟ إنني أحبُّه».

رَدَّ تشِت ليُخرِسه: «إنه لك».

أضافَ لارك: «ويُمكننا أن نأكله إذا جُعنا».

عادَت غيوم الغضب تتجمَّع في وجه پول ثانيةً وهو يقول بحدَّة: «خيرٌ لك ألَّا تأكل طائري يا لارك، خيرٌ لك».

---

(1) الحارس والصَّنوبر الجُندي نوعان من الأشجار من خيال المؤلِّف. (المترجم).

تناهَت إلى مسامع تشِت أصوات قادمة من بين الأشجار، فقال: «فليُطبِق كلاكما فمه، إننا على وشك بلوغ (القبضة)».

خرجوا بالقُرب من جانب التَّل الغربي، وداروا حوله جنوبًا حيث تخفُّ حدَّة المنحدَر، وعلى مقربةٍ من حافة الغابة وجدوا دستةً من الإخوة يتمرَّنون على الرِّماية، وقد رسموا أهدافًا على شكل رجالٍ في جذوع الأشجار وأخذوا يُطلِقون عليها سهامهم، فقال لارك: «انظُروا، خنزير يحمل قوسًا».

وبالفعل كان أقرب رام إليهم هو السير خنزير نفسه، الصَّبي البدين الذي سرقَ مكانه مع المِايستر إيمون. مجرَّد مرأى ساموِيل تارلي يُفعِمه غضبًا، إذ كان عمله وكيلًا للمِايستر أفضل حياةٍ عرفها على الإطلاق، فالعجوز الضَّرير قليل الطَّلبات، وكلايداس يُلَبِّي معظم حاجاته على كلِّ حال، أمَّا واجبات تشِت فكانت بسيطةً، تتلخَّص في تنظيف المِغدفة[1] وإشعال النَّار للتَّدفئة وإحضار الوجبات... كما أن إيمون لم يضربه ولو مرَّةً. يعتقد أنه يستطيع أن يأتي متبخترًا ويُنَحِّيني بهذه البساطة، فقط لأنه من عِلية القوم ويعرف القراءة. ربما أجعله يقرأ سكِّيني قبل أن أذبحه به. خاطبَ رفيقيه قائلًا: «اذهبا أنتما، أريدُ أن أشاهد هذا»، ولمَّا شدَّته الكلاب متلهِّفةً على الذَّهاب معهما إلى الطَّعام الذي تحسب أنها ستناله على القمَّة، ركلَ تشِت الكلبة الكبيرة بطرف حذائه، فهدَّأ هذا القطيع بعض الشَّيء.

راقبَ من بين الأشجار فيما كافحَ الصَّبي البدين للتحكُّم في قوسٍ يُناهِزه طولًا، وقد تقلَّصت قسمات وجهه المستدير المتورِّد من فرط التَّركيز، بينما انغرسَت رؤوس ثلاثة سهامٍ في الأرض أمامه. التقطَ تارلي سهمًا وركَّبه في الوتر وسحبَه، وظَلَّ مثبِّتًا إياه مدَّةً طالَت وهو يُحاوِل التَّصويب قبل أن يُطلِق، فقط ليختفي السَّهم وسط الخُضرة، فأطلقَ تشِت ضحكةً ساخرةً عاليةً ملأى بالامتعاض المنكَّه بالتَّلذُّذ.

أعلنَ إد توليت، المُرافِق الأشيب المتجهِّم الذي يُسَمِّيه الجميع إد الكئيب: «لن نَعثُر عليه أبدًا، وسيلومونني أنا. منذ فقدتُ حصاني ولا شيء

(1) المِغدفة عبارة عن قفصٍ كبير بمثابة عُش لطيور الغُداف. (المترجم).

يضيع أبدًا إلَّا ويَنظُرون إليَّ، كأني فقدته عمدًا. كان لونه أبيض والثَّلج ينهمِر، فماذا توقَّعوا أن يَحدُث؟».

قال صديق اللورد سنو الآخَر جرِن: «الرِّيح خطفَت هذا السَّهم. حاوِل أن تحمل القوس بثبات يا سام».

قال الصَّبي البدين بتذمُّر: «إنه ثقيل»، وإن نزعَ السَّهم الثَّاني من الأرض على كلِّ حال، وحلَّق هذا السَّهم عاليًا وغابَ وسط الغصون على ارتفاع عشرة أقدام من الهدف.

علَّق إدِّ الكئيب: «أعتقدُ أنك أسقطت ورقةً من هذه الشَّجرة. الخريف يزحف بسرعةٍ كافية بالفعل، فلا داعي لأن تُساعِده»، وتنهَّد مضيفًا: «وكلنا يعلم ما يتبع الخريف... لكن البرد قاسٍ بحقِّ الآلهة. أطلِق السَّهم الأخير يا سام، فيبدو أن لساني بدأ يلتصق بسقفِ فمي».

خفضَ السير خنزير القوس، وحسبَ تشِت أنه سينفجر في البكاء، إلَّا أنه قال: «صعب للغاية».

قال له جرِن: «ثبِّت واسحب وأطلِق، هيا».

بطاعةٍ نزعَ الصَّبي البدين السَّهم من الأرض وثبَّته إلى قوسه الطَّويل وسحبَه وأطلقَه. فعلَ كلَّ هذا بسرعةٍ ودون أن يُضيِّق عينيه مجاهدًا للتَّصويب كما فعل في المرَّتين السَّابقتين، فأصابَ السَّهم الهدف المرسوم بالفحم في أسفل الصَّدر وانغرسَ في جذع الشَّجرة مرتجفًا، وبدا السير خنزير مصدومًا وهو يقول: «أصبته! جرِن، هل رأيت؟ إد، انظُر، لقد أصبته!».

قال جرِن: «بين الضُّلوع على ما يبدو».

سألَه الصَّبي البدين: «هل قتلته؟».

هَزَّ توليت كتفيه مجيبًا: «ثقبت رئته على الأرجح، لو أن له رئةً، ولكن القاعدة أن أكثر الأشجار بلا رئة»، والتقطَ القوس من يد سام مضيفًا: «ولو أني رأيتُ رمياتٍ أسوأ من هذه، نعم، وسدَّدتُ أكثر من واحدةٍ أسوأ كذلك».

انفرجَت أسارير السير خنزير عن آخِرها، حتى إن النَّاظر إليه كان ليحسب أنه حقَّق إنجازًا فعليًّا، لكن فور أن رأى تشِت وكلابه التوَت ابتسامته وماتَت على ثغره وخرجَ منه صرير حاد، فبادَره تشِت قائلًا: «إنك لم تُصِب إلَّا شجرةً. لنرَ براعتك عندما تُواجِه فِتية مانس رايدر، فهؤلاء لن يقفوا ثابتين في أماكنهم

بأطرافٍ مفرودة وأوراق تحفُّ، نعم، بل سيُهاجِمونك مباشرةً وهُم يَصرُخون في وجهك، وأراهنُ أنكَ ستُبَلِّل سراويلك هذه قبل أن يغرس أحدهم بلطته بين هاتين العينين الخنزيريَّتين، وآخِر ما تسمعه سيكون صوتها وهي تشجُّ جُمجمتك».

طفقَ الصَّبي البدين يرتجف، فوضعَ إد الكئيب يده على كتفه، وقال لتشت بجدِّيَّة: «يا أخي، ما حدثَ معك لا يعني أن سام سيُعاني المصير نفسه بالضَّرورة».

- «عَمَّ تتكلَّم يا توليت؟».

- «البلطة التي شجَّت جُمجمتك. أصحيحٌ أن نِصف عقلك انسكبَ على الأرض والتهمَته كلابك؟».

ضحكَ المغفَّل الكبير جرن، فيما تراقصَت ابتسامة ضعيفة على شفتَيْ ساموِيل تارلي، فسدَّد تشِت ركلةً إلى أدنى الكلاب إليه، وجذبَ المَقاود وبدأ يصعد التَّل. ابتسِم كما تُريد يا سير خنزير، سنرى من يضحك اللَّيلة. ليته يملك الوقت لأن يَقتُل توليت أيضًا. ما هو إلَّا أحمق كئيب يُشبه الحصان.

كان الصُّعود عسيرًا، حتى على هذا الجانب من (القبضة)، حيث أخف الجُروف انحدارًا، وفي منتصَف المسافة راحَت الكلاب تنبح وتشدُّه حاسبةً أنها ستأكل قريبًا، فلم تَذُق منه إلَّا الرَّكلات والتَّلويح بالسَّوط فوق رأس الكلبة الكبيرة القبيحة التي نهشَت الهواء في وجهه. بمجرَّد أن ربطَها ذهبَ يُقَدِّم تقريره إلى القائد، وأخبرَ مورمونت أمام خيمته السَّوداء الكبيرة: «وجدنا الآثار حيث قال العملاق، لكن الكلاب رفضَت تتبُّعها. مكانها هناك عند النَّهر قد يعني أنها قديمة».

لحضرة اللورد مورمونت رأس أصلع ولحية شيباء كثيفة مشعثة، وقد بدا صوته متعبًا كملامحه وهو يقول: «خسارة، كان القليل من اللَّحم الطَّازج لينفعنا جميعًا»، فهَزَّ الغُداف الجاثم على كتفه رأسه إلى أعلى وأسفل مردِّدًا: «لحم، لحم، لحم!».

فكَّر تشِت: يُمكننا أن نَطبُخ الكلاب اللَّعينة، لكنه أطبقَ فمه حتى صرفه الدُّب العجوز، فقال لنفسه برضا: وهذه آخِر مرَّة أحني رأسي له. أحسَّ بقسوة البرد تشتدُّ، الشَّيء الذي كان ليُقسِم أنه غير ممكن، ولمَّا رأى الكلاب متلَملِمةً

معًا بتعاسةٍ فوق الوحل المتجلِّد عن آخره، راودَته نفسه عن الانضمام إليها، لكنه لَفَّ وشاحًا أسود من الصُّوف حول نِصف وجهه السُّفلي، تاركًا فراغًا لفمه بين الطيّات، إذ وجدَ أن الحركة المستمرَّة تبثُّ فيه دفئًا أكثر، فدارَ بتمهُّلٍ مع محيط السُّور الدَّائري ومعه حزمة من التَّبغ المُر، الذي تقاسمَه مع الإخوة السُّود الواقفين حراسةً وهو يسمع ما يقولونه. لا تضمُّ خُطَّته أحدًا من رجال المناوَبة النَّهاريَّة، وإن كان قد خطرَ له أن من المفيد أن تكون لديه فكرة عما يجول ببالهم.

وأغلب ما يدور ببالهم أن البرد لا يُطاق حقًّا.

بدأت الظِّلال تستطيل، على حين اشتدَّت الرِّيح وهبَّت مُصدرةً صوتًا رفيعًا عاليًا وهي تمرُّ مرتعشةً من فجوات السُّور الحجري، فغمغمَ العملاق الصَّغير: «كم أكرهُ هذا الصَّوت، كأنه رضيع في الغابة ينتحِب طالبًا اللَّبن».

عادَ إلى الكلاب بَعدما انتهى من دورته، فإذا بلارك ينتظره ليقول له: «الضُّبَّاط مجتمعون في خيمة الدُّب العجوز ثانيةً، والنِّقاش بينهم محتدم».

قال تشِت: «هذه عادتهم. إنهم من عِلية القوم، كلُّهم باستثناء بلين، يُسكِرهم الكلام بدلًا من النَّبيذ».

دنا منه لارك بتؤدة، وقال متلفِّتًا حوله ليتأكَّد من عدم وجود أحدٍ بالجوار: «مُخ الذُّبابة لا يزال يتكلَّم عن الطَّائر اللَّعين، والآن يسأل إن كنا قد خبَّأنا حبوبًا لإطعامه».

رَدَّ تشِت: «إنه غُداف، يأكل الجيف».

قال لارك بابتسامةٍ واسعة: «جيفته هو ربما؟».

أو جيفتك أنت. فكَّر تشِت أنهم يحتاجون إلى الرَّجل الكبير أكثر من لارك، لكنه قال له: «دعك من القلق بشأن پول الصَّغير. قُم بدورك وسيقوم هو بدوره».

كان الشَّفق يزحف على الغابة حين خلَّص نفسه من رجل الأخوات أخيرًا وجلسَ يشحذ سيفه، العمل الذي وجدَه صعبًا للغاية وهو يرتدي قُفَّازيه، لكنه لن يخلعهما بالطَّبع، ففي بردٍ كهذا سيفقد أيُّ أحمق يمسُّ الفولاذ بيده المكشوفة رُقعةً لا بأس بها من جِلده.

بدأت الكلاب تنوح عندما غابَت الشَّمس، فسقاها الماء واللَّعنات وقال لها: «نِصف ليلةٍ فحسب ويُمكنكم أن تبحثوا عن وليمتكم بأنفسكم».

عندئذٍ كانت رائحة العَشاء تَبلُغ أنفه، وبينما تناولَ تشت قطعةً من الخُبز الصُّلب ووعاءً من الحَساء من هاك الطبّاخ، كان الحطّاب العجوز دايوين يقف عند نار الطَّهو ويُساعِد على تقديم الطَّعام وهو يقول: «الغابة ساكنة للغاية، لا ضفادع تنقُّ قُرب النَّهر ولا بوم ينعق في الظَّلام. لم أسمع قَطُّ غابةً أكثر مواتًا من هذه».

قال هاك: «صوت أسنانك هذه يشي بأنها ميتة تمامًا».

طقطقَ دايوين أسنانه الخشبيَّة، وأضافَ: «ولا ذئاب كذلك. كانت موجودةً من قبل لكنها اختفَت. أين تحسبونها ذهبَت؟».

أجابَ تشت: «إلى مكانٍ دافئ».

ضمَّت الدَّستة أو نحوها من الإخوة الجالسين عند النَّار أربعةً من رجاله، وقد حدَّق إلى كلٍّ منهم بنظراتٍ فاحصةٍ قاسية، ليرى إن كان أحدهم يُبدي أمارةً على التَّخاذُل، فرأى ديرك هادئًا كفايةً في جلسته الصَّامتة وهو يشحذ خنجره كما يفعل كلَّ ليلة، بينما راحَ دونل هيل المرح يُلقي الدُّعابات البسيطة. أبيض الأسنان هو، وشفتاه حمراوان ممتلئتان، وعلى كتفيه تنسدل خُصلات شَعره الأصفر بأناقة، ويدَّعي أنه نغل لأحد أولاد لانستر، ولعلَّه كذلك حقًّا. لا يُطيق تشِت أمثاله من الصِّبية المليحين كالفتيات ولا يُطيق النُّغول، لكن دونل المرح بدا متماسكًا.

أمَّا مَن بَثَّ فيه قدرًا أقلَّ من الثِّقة فهو الحطَّاب العجوز الذي يُلقِّبه الإخوة بالمنشار، لأسباب علاقتها بصوت غطيطه أوطد من عمله على الأشجار، والآن يبدو متوتِّرًا من فكرة ألَّا يغطَّ في نومه العميق ثانيةً أبدًا. الأسوأ منه كان مازلين، الذي لمحَ تشِت عَرقه يسيل على الرغم من برودة الرِّيح، تلمع القطرات على وجهه في ضوء النَّار كعشرات الجواهر الصَّغيرة المبتلَّة، ولا يأكل ويكتفي بالحملقة إلى حَسائه كأن رائحته تُشعِره بالغثيان. يجب أن أُبقي عينَيْ عليه.

- «اجمع!»، جاءَت الصَّيحة فجأةً من دستةٍ من الحناجر، وسرعان ما انتشرَت في أنحاء المخيَّم المنصوب على قمَّة التَّل. «يا رجال حَرس اللَّيل! اجتمِعوا عند بؤرة النَّار الوُسطى!».

بملامح عابسة أنهى تشِت حَساءه وسارَ وراء البقيَّة.

كان الدُّب العجوز واقفًا أمام النَّار، وخلفه يقف كلٌّ من سمولوود ولوك وويذرز وبلين في صَف. ارتدى مورمونت معطفًا من الفرو الأسود السَّميك، وجثمَ غُدافه على كتفه وأخذَ يُسَوِّي ريشه الفاحم. فكَّر تشِت وهو يدسُّ جسده بين برنار البنِّي وبعض رجال (بُرج الظِّلال): لا يُمكن أن يكون هذا خيرًا. عندما اجتمعَ الكل، باستثناء من يتولَّون الحراسة في الغابة وعلى السُّور الدَّائري، تنحنحَ مورمونت وبصقَ، فتجمَّد البُصاق قبل أن يَبلُغ الأرض، فيما بدأ الرَّجل: «أيها الإخوان، يا رجال حَرس اللَّيل».

صرخَ غُدافه: «رجال! رجال! رجال!».

- «الهَمج يزحفون، يأتون متَّبعين طريق (النَّهر اللَّبني) من بين الجبال. ثورين يرى أن طليعتهم ستَبلُغنا في غضون عشرة أيام، وسيكون أبرع مُغيريهم مع هارما رأس الكلب في هذه الطَّليعة، أمَّا بقيَّتهم فسيُشَكِّلون حراسة المؤخِّرة، أو يتحرَّكون ملاصقين مانس رايدر نفسه، وفي البقاع الأخرى سينتشر مُحاربوهم على مسافاتٍ متباعدة بطول خَطِّ السَّير. إن معهم ثيرانًا وبغالًا وخيولًا، لكنها قليلة، ومعظمهم سيكون من السَّائرين على الأقدام، عديمي التَّدريب وضعيفي التَّسليح. الأسلحة التي يحملونها فيها من الحجارة والعظام أكثر من الفولاذ، كما أنهم مُثقَلون بالنِّساء والأطفال وقُطعان الماعز والخراف، بالإضافة إلى كلِّ ما يملكونه من الدُّنيا. باختصار، على الرغم من أعدادهم الكبيرة، فنقاط ضَعفهم عديدة... ولا يعلمون أننا هنا، أو هكذا يجب أن نتمنَّى».

إنهم يعلمون، بكلِّ تأكيدٍ يعلمون أيها العجوز الخَرِف. كورين ذو النِّصف يد لم يَعُد، أليس كذلك؟ ولا چارمان بكويل. إذا وَقعَ أيٌّ من رجالهما في الأسر، فثِق بأن الهَمج اعتصَروا منه كلَّ ما يعرفه.

تقدَّم سمولوود قائلًا: «مانس رايدر يسعى إلى اختراق (الجدار) وإغراق (الممالك السَّبع) في حُمرة الحرب. حسن، إنها لُعبة يمكن أن يلعبها اثنان. غدًا سنُبادره نحن بالحرب».

قال الدُّب العجوز فيما ارتفعَت الهمهمات من بين الرِّجال: «ستتحرَّك في الفَجر بكلِّ قوَّتنا، ونتَّجه شمالًا وندور غربًا، ووقتها ستكون طليعة هارما قد وصلَت إلى (القبضة) وتجاوزَتها بالفعل. تلال (أنياب الصَّقيع) ملأى

بالوديان الضيِّقة الملتفَّة الصَّالحة تمامًا كمكامن للهجوم، وخَطُّ سير الهَمج يمتدُّ أميالًا طويلةً، لذا سنُباغِتهم في بقاعٍ عدَّة في آنٍ واحد، ونجعلهم يُقسِمون أننا ثلاثة آلاف لا ثلاثمئة».

أضافَ ثورين سمولوود: «سنُوَجِّه لهم ضربةً عنيفةً ونتراجَع قبل أن يحتشد خيَّالتهم لمواجهتنا، فإذا أتوا في أعقابنا سنجعلهم يُطاردوننا بلا طائل ثم ندور ونضرب بقعةً أخرى في رَكبهم. سنُحرِق عرباتهم ونُشَتِّت قُطعانهم ونَقتُل أكبر عددٍ ممكن منهم، مانس رايدر نفسه إذا وجدناه. إذا تفرَّقوا وهرعوا عائدين إلى أكواخهم فقد فُزنا، وإذا لم يفعلوا فسنظلُّ نُداهِمهم طيلة الطَّريق إلى (الجدار) ونعمل على أن يَترُكوا أثرًا طويلًا من الجُثث بينما يتقدَّمون».

صاحَ أحدهم من وراء تشِت: «إنهم آلاف!».

وجاءَ صوت مازلين المشبَّع بغثيان الخوف يقول: «سنموت!».

وصرخَ غُداف مورمونت ضاربًا الهواء بجناحيه الأسودين: «نموت، نموت، نموت، نموت!».

رَدَّ الدُّب العجوز: «كثيرون منا سيموتون، وربما نموت جميعًا، لكن كما قال قائد آخَر قبل ألف عام، فلهذا السَّبب يُلبسوننا الأسود. تذكَّروا قَسمكم أيها الإخوة، فنحن السُّيوف في الظُّلمات، الحُرَّاس على الأسوار...».

سحبَ السير مالادور لوك سيفه الطَّويل مكملًا: «النَّار التي تحترق لتَطرُد البرد».

وتابعَ آخَرون ساحبين سيوفهم من أغمدتها بدورهم: «الضَّوء الذي يأتي بالفَجر».

عندئذٍ كان الجميع يستلُّون سيوفهم، التي ارتفعَ ما يَقرُب من ثلاثمئة منها نحو السَّماء، ومن حناجر أصحابها خرجَت بقيَّة الكلمات: «النَّفير الذي يُوقظ النِّيام! الدِّرع التي تقي بلدان البَشر!».

لم يجد تشِت خيارًا غير أن يضمَّ صوته إليهم، وقد أفعمَت أنفاسهم الهواء بالبُخار وترقرقَ ضوء النَّار على فولاذهم المسلول. سَرَّه أن رأى لارك والمتسلِّل ودونل هيل المرِح يشتركون مع الهاتفين كأنهم حمقى كبار مِثلهم. لا بأس، فلا داعي لجذب الانتباه الآن وساعتهم دانية للغاية.

عادَ يسمع الرِّيح إذ تضرب حجارة السُّور الدَّائري عندما خبا الهتاف، وبدا

اللَّهب نفسه كأنه يَشعُر بالبرد وهو يتراقَص ويرتعد، وفي الهدوء المفاجئ الذي رانَ على المكان، رفعَ غُداف الدُّب العجوز عقيرته بنعيبٍ صاخب، ومرَّةً أخرى ردَّد: «نموت!».

طائر ذكي، فكَّر تشِت والضُّبَّاط يصرفونهم موصين بأن يتناوَل الجميع وجبةً مشبعةً ويرتاحوا طويلًا اللَّيلة. هكذا زحفَ تحت الأغطية الفرو بالقُرب من الكلاب، وعقله لا ينفكُّ يُفكِّر في كلِّ الأخطاء التي يُمكن أن تقع. ماذا لو أدَّى هذا القَسم اللَّعين إلى أن يُغَيِّر أحد رجاله رأيه؟ ماذا لو نسيَ پول الصَّغير وحاولَ أن يَقتُل مورمونت خلال المناوَبة الثَّانية لا الثَّالثة؟ وماذا لو فقدَ مازلين شجاعته، أو وشى أحد بهم، أو...

وجدَ نفسه يُصغي إلى اللَّيل. كان صوت الرِّيح كنحيب رضيع بالفعل، ومن حينٍ إلى آخَر تترامى إلى أذنيه أصوات رجال أو صهيل حصان أو طقطقة الحطب في النَّار، لكن لا شيء غير هذا. يا لهذا الهدوء!

رأى وجه بِسا طافيًا في الهواء أمامه، فأرادَ أن يقول لها: لم يكن السكِّين هو ما أردتُ أن أضع فيكِ. لقد قطفتُ لكِ زهورًا، قضيتُ صباحًا كاملًا أقطفُ لكِ الورد البرِّي وحشيشة الملوك وكؤوس الذَّهب. كان الجليد يكسو لحيته حول فمه وقلبه يدقُّ كالطَّبلة، حتى إنه خشيَ أن تُوقِظ خفقاته العالية المعسكَر. سألَ نفسه: ما الذي جعلَني أفكِّرُ في بِسا هكذا؟ هو لا يُفكِّر فيها أبدًا إلَّا ليتذكَّر كيف بدَت وهي تُحتضَر، فماذا دهاه الآن؟ إنه يكاد لا يستطيع التقاط أنفاسه. هل غلبَه النَّوم؟ اعتدلَ جالسًا على رُكبتيه، وأحسَّ بشيءٍ باردٍ مبتل يمسُّ أنفه، فرفعَ عينيه.

وكان الثَّلج يتساقَط.

شعرَ بالدُّموع تتجمَّد على وجنتيه، وأرادَ أن يَصرُخ: ليس هذا عدلًا! سيُفسِد الثَّلج كلَّ ما عملَ في سبيله، كلَّ ما خطَّط له بمنتهى العناية، وها هي النُّدف البيضاء الكبيرة تنهمِر بكثافةٍ في كلِّ مكانٍ حوله. كيف سيَعثُرون على طعامهم المخبَّأ؟ أو على درب الفرائس الذي ينوون سلوكه شرقًا؟ ولن يحتاجوا إلى دايوين أو بانن لمطارَدتنا وهُم يقتفون آثارنا في الثَّلج الطَّازج. ثم إن الثَّلج يُخفي شكل الأرض، خصوصًا ليلًا، ومن الوارد أن يتعثَّر حصان في جِذرٍ ويكسر ساقه على حجر. أدركَ أن أمرهم انتهى... انتهى قبل أن نبدأ،

لقد ضِعنا. لا حياة لورد لابن جامع العَلَق، لا قلعة ولا زوجات أو تيجان، لا شيء أكثر من سيف همجيٍّ في بطنه ثم قبر بلا شاهِد. الثَّلج سلبَني كلَّ شيء... الثَّلج اللَّعين...

وچون سنو سميُّ الثَّلج الذي عصفَ بحياته من قبل، هو وخنزيره المدلَّل.

نهضَ تشِت بساقين متصلِّبتين، فرأى رقائق الثَّلج وقد أحالَت ضوء المشاعل البعيدة إلى وهج برتقاليٍّ مبهم، فخُيِّلَ إليه كأن سحابةً من الحشرات الشَّاحبة الباردة تُهاجمهم. نزلَ الثَّلج على كتفيه ورأسه، وطارَ في أنفه وعينيه، فنفضَه وهو يسبُّ ويلعن، وقال لنفسه وقد تذكَّر: ساموِيل تارلي، ما زالَ يُمكنني أن أتعامَل مع السير خنزير. أحكمَ لَفَّ وشاحه حول وجهه ورفعَ قلنسوته، وذرعَ المعسكَر بخطواتٍ واسعة إلى حيث ينام الجبان.

كان الثَّلج يَسقُط بغزارةٍ بالغة، لدرجة أنه ضَلَّ الطَّريق وسط الخيام، لكنه في النِّهاية أبصرَ حاجز الرِّياح الصَّغير المريح الذي نصبَه الصَّبي البدين لنفسه بين صخرةٍ وأقفاص الغِدفان، ووجدَ تارلي يبدو كجبلٍ ليِّن مستدير وهو مدفون تحت كومةٍ من الأغطية الصُّوف والفرو السَّوداء، التي بدأت تكتسي بطبقةٍ من الثَّلج. بخفوت الأمل همسَ الفولاذ إذ احتكَّ بالجلد وتشِت يستلُّ خنجره من غِمده، وأطلقَ أحد الغِدفان نعيبًا، فتمتمَ آخَر: «سنو» وهو يُحدِّق من وراء القضبان بعينين سوداوين، فردَّد الأول: «سنو». تحرَّكَ تشِت مجتازًا الطُّيور ومتَّخذًا كلَّ خطوةٍ بحذر. سيُطبِق بيُسراه على فم الصَّبي البدين ليَكتُم صُراخه، ثم...

آآآآآآآآهووووووووو!

توقَّف قبل أن يُكمِل خُطوته، وابتلعَ شتائمه وصوت النَّفير يتردَّد مرتجفًا عبر المخيَّم، خافتًا بعيدًا لكن لا ريب فيه. ليس الآن، على الآلهة اللعنة، ليس الآن! كان الدُّب العجوز قد أمرَ عددًا من الخفر بالاختباء في حلقةٍ من الأشجار حول (القبضة)، لتحذيرهم من اقتراب أيِّ أعداء. چارمان بكويل عادَ من (سُلَّم العملاق)، أو أن كورين ذا النِّصف يد عادَ من (الممر الصَّادح). نفخة واحدة في البوق تعني رجوع الإخوة، وإذا كان العائد ذا النِّصف يد، فقد يكون چون سنو معه، على قيد الحياة.

انتفضَ سام تارلي جالسًا ورمقَ الثَّلج بارتباك، على حين أخذَت الغِدفان

تنعب بصخب، وسمعَ تشِت كلابه تنبح. نِصف المعسكَر اللَّعين استيقظَ. أطبقَت أصابعه المغطَّاة بالقُفَّاز على مقبض الخنجر وهو ينتظر أن يَسكُن الصَّوت، لكن ما كادَ النَّفير يهمد حتى عادَ يتردَّد، أعلى وأطول هذه المرَّة.

هووووووووووووووووو!

سمعَ سام تارلي يُتَمتِم: «يا للآلهة»، ثم سارعَ الصَّبي السَّمين بالنُّهوض وقد اشتبكَ معطفه وأغطيته حول قدميه، فركلها بعيدًا ومَدَّ يده إلى قميص الحلقات المعدنيَّة المعلَّق على الصَّخرة القريبة، وإذ كافحَ لدَسِّ جسده في القميص الضَّخم كخيمة، لمحَ تشِت واقفًا هناك، فسأله: «أكانت نفختين؟ حلمتُ أني سمعتُ نفختين...».

قال تشِت: «لم يكن حُلمًا. نفختان لدعوة الحَرس إلى السِّلاح، نفختان للتَّحذير من اقتراب الأعداء. ثمَّة بلطة تنتظرك محفورة عليها كلمة «خنزير» أيها البدين. نفختان تعنيان الهَمج». أرادَ أن يضحك لمرأى الخوف على هذا الوجه المستدير الكبير، وأضافَ: «فليذهبوا جميعًا إلى الجحائم السَّبع؛ هارما الملعونة ومانس رايدر الملعون وسمولوود الملعون الذي قال إنهم لن يكونوا هنا قبل...».

هوووووووووووووووووووووووو!

استمرَّ الصَّوت طويلًا طويلًا حتى بدا كأنه لن يخفت أبدًا. كانت الغِدفان تضرب بأجنحتها صارخةً، تُحَلِّق في أقفاصها وترتطم بالقضبان، وفي كلِّ أرجاء المعسكَر ينهض إخوة حَرس اللَّيل، يرتدون دروعهم ويربطون أحزمة السُّيوف ويلتقطون الفؤوس والأقواس.

وقفَ ساموِيل تارلي يرتعش بوجهٍ شاحبٍ يُحاكي الثُّلوج التي تدور في كلِّ مكانٍ حولهم، وقال لتشِت بصوتٍ كالعَويل: «ثلاث نفخات، ثلاث، سمعتُ ثلاثًا. إنهم لا ينفخون ثلاث مرَّاتٍ أبدًا، لم يفعلوها منذ مئات وآلاف السِّنين. ثلاث نفخات تعني...».

- «... (الآخَرين)».

أصدرَ تشِت صوتًا هو نِصف ضحكةٍ ونِصف نشيج، وفجأةً أحسَّ بالبلل في ثيابه الدَّاخليَّة وبالبول يجري على ساقه، ورأى البُخار يَخرُج من مقدِّمة سراويله.



چايمي

هبَّت الرِّيح الشَّرقيَّة تتخلَّل شِباك شَعره بنعومة وشذا أصابع سرسي، وقد بلغَ مسامعه غناء الطُّيور، وأحسَّ بالنَّهر يجري تحت القارب بينما تدفعهم ضربات المجاذيف نحو مطلع الفَجر الشَّاحب. بَعد كلِّ هذه المدَّة في الظَّلام كانت للعالم عذوبة أدارَت رأس چايمي لانستر. إنني حيٌّ، وسكران من نور الشَّمس. تفجَّرت الضَّحكة من بين شفتيه فجأةً، كطائر سلوى دفعَه أحدهم إلى الفِرار من عُشِّه.

دمدمَت الفتاة بملامح عابسة: «صمتًا». الحقيقة أن العبوس يُناسِب وجهها العريضِ الدَّميم أكثر من الابتسام، مع أنه لم يكن قد سبقَ لچايمي أن رآها تبتسم. سلَّى نفسه بتخيُّلها ترتدي أحد فساتين سرسي الحرير بدلًا من سُترتها الجِلديَّة الطَّويلة المطعَّمة بالحديد. كمن يُلبِس بقرةً الحرير.

لكن هذه البقرة تستطيع التَّجذيف حقًّا. تحت سراويلها البنِّيَّة الخشنة كانت رَبلتا ساقيها مشدودتيْن كأوتارٍ من الخشب، وراحَت عضلات ذراعيها الطَّويلة تنبسِط وتنقبِض مع كلِّ ضربةٍ لمجذافيها، دون أن تُبدي علامةً على التَّعب، على الرغم من أن نِصف اللَّيل انقضى وهي تُجذِّف، أمَّا السير كليوس ابن عمَّته فبدا على العكس منها تمامًا وهو يُكافح لمُجاراتها بمجذافيه. منظرها يقول إنها مجرَّد ريفيَّة كبيرة قويَّة، بينما تتكلَّم كبنات العائلات الكبيرة، وتتمنطَق بسيفٍ وخنجر. آه، لكن هل تُجيد استخدامهما؟ إنه ينوي أن يعرف الإجابة فور أن يتخلَّص من قيوده هذه.

كانت الأغلال تُحيط بمعصميه وكاحليه، تربطها معًا سلسلة ثقيلة لا تتجاوَز القدم طولًا، وقد قال ساخرًا وهُم يُقيِّدونه: «كأن كلمتي كلانستر لا تكفي».

كان السُّكر قد بلغَ منه مبلغه آنذاك بفضل كاتلين ستارك، حتى إنه لا يتذكَّر إلَّا ومضاتٍ خاطفة من هروبهم من (ريفرَن). واجهَتهم مشكلة ما مع السَّجَّان، لكن الفتاة الكبيرة تغلَّبت عليه، وبَعدها أخذوا يدورون ويدورون صاعدين سُلَّمًا ملتفًا لا نهاية له، كما تعثَّر مرَّتين أو ثلاثًا، فمدَّت الفتاة ذراعها ليستنِد إليها، وفي مرحلةٍ ما لفَّه أحدهم بمعطف مسافرين ووجدَ نفسه يُلقى في قاع قاربٍ نهري. يتذكَّر أيضًا أنه سمعَ الليدي كاتلين تأمر أحدهم بأن يرفع الشَّبكة الحديديَّة عن بوَّابة النَّهر، وتقول بلهجةٍ لا تدع مجالًا للنِّقاش إن السير كليوس فراي عائد بأمر منها إلى (كينجز لاندنج) حاملًا شروطًا جديدةً للملكة.

لا بُدَّ أنه غابَ في النَّوم بَعد ذلك، فالنَّبيذ أشعرَه بنعاسٍ شديد، وكان من الجميل أن يُمَدِّد جسده، وهو التَّرف الذي لم تسمح به قيوده في الزِّنزانة. تعلَّم چايمي منذ زمنٍ طويلٍ أن يختطِف سويعاتٍ من النَّوم على ظَهر حصانه بين الحين والآخَر فيما يتقدَّم الموكب، وليس أصعب أن ينام في مركب. سيضحك تيريون حتى يُوجعه بطنه حين يعرف أني نمتُ في أثناء هروبي. لكنه مستيقظ الآن، والقيود تُزعِجه حقًّا، فنادى الفتاة: «سيِّدتي، سأتبادلُ معكِ التَّجذيف إذا ضربتِ هذه الأصفاد».

عادَت ملامحها تتجهَّم وهي تَرميه بنظرات الرِّيبة، وقد برزَت أسنانها الكبيرة كأسنان حصان، وقالت: «ستظلُّ مرتديًا أصفادك يا قاتِل الملك».

- «أتعتقدين أنكِ قادرة على التَّجذيف حتى (كينجز لاندنج) يا هذه؟».
- «ستُخاطِبني ببريان، وليس هذه».
- «واسمي السير چايمي، وليس قاتِل الملك».
- «هل تُنكِر أنك قتلت ملكًا؟».

أجابَ: «لا. هل تُنكِرين جنسكِ؟ إذا كان الأمر كذلك، فاخلعي هذه السَّراويل وأريني»، ورسمَ ابتسامةً بريئةً على وجهه وهو يُضيف: «كنتُ لأطلب منكِ أن تفتحي صِداركِ، لكن منظركِ لا يوحي بأن هذا سيُثبِت شيئًا».

قال السير كليوس باضطراب: «تذكَّر لياقتك يا ابن الخال».

قطرات قليلة من دماء لانستر تجري في عروق هذا الرَّجل. كليوس هو ابن عمَّته چنا من ذلك المأفون إمون فراي، الذي يعيش في رُعبٍ من اللورد تايوين لانستر منذ تزوَّج شقيقته، وعندما دخلَ اللورد والدر الحرب

بـ(التَّوأمتين) في صَفِّ (ريفرِرَن)، آثرَ السير إمون ولاءه لزوجته على أبيه. فكَّر چايمي: (كاسترلي روك) هي الخاسرة في هذه الصَّفقة. للسير كليوس ملامح ابن عرس، وبراعة إوزَّةٍ في القتال، وإقدام نعجةٍ تتحلَّى بشجاعةٍ غير معتادة، وقد وعدَته الليدي ستارك بإطلاق سراحه إذا أوصلَ رسالتها إلى تيريون، وأقسمَ السير كليوس برصانةٍ أن يفعل هذا.

كلُّهم أقسمَ أيمانًا عدَّةً في الزِّنزانة، لا سيَّما چايمي. هذا هو الثَّمن الذي طلبَته الليدي كاتلين لقاء تحريره، فوضعَت رأس سيف الفتاة الكبيرة على صدره في موضع القلب، وقالت: «أقسِم أنك لن تحمل السِّلاح ضد ستارك أو تَلي ثانيةً أبدًا. أقسِم أنك ستُلزِم أخاك بالوفاء بعهده وإعادة ابنتَيْ آمنتيْن سالمتيْن. أقسِم بشَرفك كفارس، بشَرفك كلانستر، بشَرفك كأخٍ حلفَ يمين الحَرس الملكي. أقسِم بحياة أختك وأبيك وابنك، وبالآلهة القديمة والجديدة، وسأعيدك إلى أختك. ارفُض وسأريقُ دمك».

تذكَّر چايمي وخزة الفولاذ عبر أسماله وهي تلفُّ طرف السَّيف.

تُرى ماذا يقول السِّبتون الأعلى عن حُرمة الأيمان التي تُحلَف وأنت مخمور حتى الثُّمالة ومقيَّد إلى حائط وثمَّة سيف ينغز صدرك؟ لكن چايمي لا يشغل باله حقًّا بذلك الأفَّاك البدين والآلهة التي يَزعُم أنه يخدمها. تذكَّر الدَّلو الذي سكبَته الليدي كاتلين في زنزانته. امرأة غريبة تلك التي تأتمن رجلًا شَرفه خراء على ابنتيها، مع أنها لم تَجسُر على منحه إلَّا أيسر النَّزر من ثقتها. إنها تضع أملها في تيريون، وليس فيَّ. قال بصوتٍ مسموع: «ربما ليست بهذه الحماقة رغم كلِّ شيء».

ظنَّت آسِرته أنه يعنيها، فردَّت: «لستُ حمقاء، ولا صمَّاء».

وجدَ أن السُّخرية منها سهلة لدرجةٍ تُفرِغ الأمر من كلِّ متعة، فقال متلطِّفًا بها: «كنتُ أكلِّمُ نفسي، وليس عنكِ. إنها عادة يَسهُل أن يكتسبها المرء في الحبس».

عادَت تعبس في وجهه وهي تدفع المجذافين وتسحبهما وتدفعهما وتسحبهما دون أن تنبس بكلمة.

طليقة اللِّسان كما هي جميلة الوجه. «أخمِّنُ من لكنتكِ أنكِ ابنة عائلةٍ نبيلة».

- «أبي هو سلوين التارثي، سيِّد (بهو المساء) ببَركة الآلهة». حتى هذا الرَّد خرجَ منها كُرهًا.

قال چايمي: «(تارث)، صخرة كبيرة قبيحة في (البحر الضيِّق) كما أذكرُ، و(بهو المساء) مُقسم على الولاء لـ(ستورمز إند)، فكيف تأتَّى أن تخدمي روب ابن (وينترفل)؟؟».

- «إنني أخدمُ الليدي كاتلين، وقد أمرَتني بإيصالك آمنًا إلى أخيك في (كينجز لاندنج)، وليس بتجاذُب أطراف الحديث معك، فالزم الصَّمت».

- «لقد طفحَ كيلي من الصَّمت يا امرأة».

- «تكلَّم مع السير كليوس إذن، فليس لديَّ ما أقوله للوحوش».

قال چايمي مستهزئًا: «أهناك وحوش في الجوار؟ لعلها مختبئة تحت الماء؟ أو ربما في خميلة الصَّفصاف هذه؟ وسيفي ليس معي!».

- «الرَّجل الذي ينتهك عِرض شقيقته ويَقتُل مليكه ويُلقي طفلًا بريئًا من حالِق لا يستحقُّ اسمًا آخَر».

بريء؟ الصَّبي التَّعِس كان يتلصَّص علينا. لم يُرد چايمي يومها أكثر من ساعةٍ واحدة مع سرسي، فرحلتهم الطَّويلة شمالًا كانت عذابًا مقيمًا، إذ يراها كلَّ يوم ولا يقدر على لمسها، عالمًا أن روبرت يَدخُل فِراشها سكرانًا كلَّ ليلةٍ في تلك المركبة الضَّخمة التي لم تكفَّ عن الصَّرير. تيريون بذلَ قصارى جهده ليُبقيه في مزاجٍ طيِّب، لكن جهده كله لم يكفِ. قال محذِّرًا: «ستتكلَّمين عن سرسي باحترام يا هذه».

- «اسمي بريان، وليس هذه».

- «لِمَ تُبالين بالاسم الذي يُخاطِبك به وحش؟».

كرَّرت بعناد كلب صيد: «اسمي بريان».

قال: «الليدي بريان؟»، فلمَّا لاحَ عليها الارتباك الشَّديد استشعرَ چايمي نُقطة ضَعف، فأردفَ: «أم أن «السير بريان» تروقكِ أكثر؟»، وضحكَ مواصلًا: «لا، لا أظنُّ. يُمكنكِ أن تُلبسي بقرةً واقي العُنق والرَّأس، وتَربُطي عليها سرجًا بحزام من الجِلد، وتكسينها بالحرير، لكن هذا لا يعني أنكِ تستطيعين امتطاءها إلى المعركة».

- «أرجوك يا ابن الخال، لا يَجدُر بك أن تتكلَّم بهذه الخشونة». تحت

معطفه كان السير كليوس يرتدي سُترةً طويلةً على صدرها أربعة مربَّعات، اثنان يُصَوِّران بُرجَيْ عائلة فراي التَّوأمين، واثنان يحويان أسد لانستر الذَّهبي. «أمامنا مسافة طويلة، ولا يصحُّ ألَّا نتشاجَر».

- «لا أتشاجرُ إلَّا بسيفي يا ابن عمَّتي، كنتُ أكلِّمُ السيِّدة. أخبريني يا هذه، أكلُّ النِّساء في (تارث) قبيحات مِثلكِ؟ إذا كُنَّ كذلك حقًّا فإنني أشفقُ على رجالكم. لعلَّ معيشتهم على جبلٍ كئيب في عَرض البحر جعلَتهم لا يعرفون كيف تبدو النِّساء الحقيقيَّات».

قالت الفتاة بغيظٍ وهي تضرب الماء بمجذافيها: «(تارث) جميلة، يُسَمُّونها جزيرة الصَّفِّير[1]. صمتًا أيها الوحش، ما لم تكن تُريدني أن أكمِّمك».

وجَّه چايمي كلامه إلى السير كليوس: «إنها وقحة أيضًا، أليس كذلك يا ابن عمَّتي؟ لكني لا أنكرُ أن شَجاعتها من حديد. قلائل يجرؤون على نعتي بالوحش في وجهي». لكن لا شَكَّ أنهم يتكلَّمون على سجيَّتهم وراء ظَهري.

تنحنحَ السير كليوس بعصبيَّة، وقال: «مؤكَّد أن الليدي بريان سمعَت هذه الأكاذيب من كاتلين ستارك، فلا أمل لدى آل ستارك في هزيمتك بالسَّيف أيها الفارس، ولذا يخوضون الحرب بالكلام المسموم».

لقد هزَموني بالسَّيف فعلًا أيها القميء الرِّعديد. رسمَ چايمي على شفتيه ابتسامة العليم ببواطن الأمور. إذا سمحت لهم، سيستنتج النَّاس مختلِف الأشياء من هذا النَّوع من الابتسامات. هل صدَّق كليوس ابن العمَّة هذا الهُراء أم أنه يتملَّقني؟ ماذا لدينا هنا؟ أبله صادق أم ماسِح جوخ؟

واصلَ السير كليوس كلامه الفارغ: «أيُّ أحدٍ يُصدِّق أن أخًا محلَّفًا في الحَرس الملكي يُمكنه أن يُؤذي طفلًا لا يعرف معنى الشَّرف».

ماسِح جوخ. الواقع أن چايمي نادم الآن على إلقاء براندون ستارك من النَّافذة، خصوصًا أن سرسي ما انفكَّت تُمطره باللَّوم بَعدها، عندما رفضَ الولد أن يموت، وقالت له موبِّخةً: «إنه في السَّابعة من عُمره يا چايمي! حتى لو فهمَ ما رآه، كان من الممكن أن نُخيفه ونُجبِره على الصَّمت».

- «لم أفكِّر في أنك أردتِ...».

---

(1) الصَّفِّير أو الزَّفِّير هو الياقوت الأزرق. (المترجم).

- «أنت لا تُفكِّر أبدًا! إذا أفاقَ الصَّبي وأخبرَ أباه بما رآه...».

قال: «إذا، إذا، إذا»، وجذبَها إلى حِجره متابعًا: «إذا أفاقَ سنقول إنه كان يَحلُم، سنقول إنه كاذب، وفي أسوأ الأحوال سأقتلُ نِد ستارك».

- «وماذا تتصوَّر روبرت فاعلًا عندئذٍ؟».

- «دَعي روبرت يفعل ما يشاء. سأحاربه إذا اضطررتُ، وسيُسَمِّيها المغنُّون الحرب في سبيل كُس سرسي».

صاحَت مغضبةً وهي تتملَّص منه محاولةَ النُّهوض: «چايمي، دَعني!».

لكنه لم يفعل، وبدلًا من هذا قبَّلها، فقاومَت برهةً، ثم إن فمها انفتحَ تحت فمه. تذكَّر مذاق النَّبيذ والقَرَنْفُل على لسانها وارتعاشة جسدها، قبل أن يمدَّ يده إلى صِدارها وينتزعه ممزِّقًا الحرير ليَسقُط نهداها حُرَّين، وطوى النِّسيان صبيَّ ستارك حينًا.

هل تذكَّرته سرسي بَعدها واستأجرَت ذلك الرَّجل الذي تكلَّمت عنه الليدي كاتلين، لتضمن ألا يستيقِظ الصَّبي أبدًا؟ لو أرادَته ميتًا لأرسلَتني أنا، وليس من طبيعتها أن تختار قاتلًا أجيرًا يُفسِد العمليَّة على هذا النَّحو الكارثي.

ترقرقَت الشَّمس المُشرقة من اتِّجاه المصبِّ على صفحة النَّهر التي موَّجتها الرِّيح القويَّة. كان الشَّط الجنوبي من الطَّمي الأحمر الأملس كأنه طريق ممهَّد، تشقُّه جداول أصغر تصبُّ في المجرى الرَّئيس، وقد تشبَّثت جذوع الأشجار الميتة المتعفِّنة بالضِّفاف. أمَّا الشَّط الشَّمالي فأكثر وعورةً، ترتفع عليه الجروف الصَّخريَّة العالية عشرين قدمًا فوقهم، تُتوِّجها مجموعات من شجر الزَّان والبلُّوط والكستناء. لمحَ چايمي بُرج حراسةٍ في المرتفعات أمامه، يتعاظَم حجمه كلما طعنَت المجاذيف الماء، لكن قبل أن يَبلُغوه بفترةٍ طويلة كان قد تبيَّن أنه مهجور، إذ رأى الورد المتسلِّق الذي نما بكثافةٍ شديدة على الأحجار المتهالكة.

حين تبدَّل اتِّجاه الرِّيح، ساعدَ السير كليوس الفتاة الكبيرة على رفع الشِّراع، الذي كان عبارةً عن مثلَّثٍ من قُماش القِنَّب اليابس المخطَّط بالأحمر والأزرق، لونَيْ عائلة تَلي اللذين يجعلان من المحتَّم أن يتعرَّضوا للمتاعب، إذا صادَفوا أيَّ قوَّةٍ تابعة للانستر في النَّهر، لكنه الشِّراع الوحيد الموجود. أمسكَت بِريان

الدَّفَّة، فيما ألقى چايمي لوح مُنصرَف الرِّيح[1] في الماء، فصلصلَت قيوده وهو يتحرَّك. بَعد ذلك زادَت سُرعتهم بشكلٍ ملحوظ وقد حابَتهم الرِّياح والتَّيَّار معًا في هروبهم.

قال منبِّهًا الفتاة: «يُمكننا أن نُوَفِّر على أنفسنا عناء السَّفر الطَّويل إذا سلَّمتِني إلى أبي بدلًا من أخي».

- «ابنتا الليدي كاتلين في (كينجز لاندنج). سأعودُ بالفتاتين أو لا أعودُ على الإطلاق».

التفتَ چايمي إلى كليوس قائلًا: «أعِرني سكِّينك يا ابن العمَّة».

توتَّرت المرأة، وقالت بصوتٍ ثابت كالحجر: «لا، لن أسمح بأن تحمل سلاحًا».

إنها تخشاني، حتى وأنا مقيَّد بالأغلال. «كليوس، يبدو أني مضطرٌّ لأن أطلب منك أن تحلق لي. اترُك اللِّحية، لكن احلق شَعر رأسي كله».

سأَله كليوس فراي: «تُريد أن تكون أصلع؟».

- «البلاد تعرف چايمي لانستر كفارس حليق شَعره ذهبيٌّ طويل، أمَّا رجل أصلع ذو لحيةٍ صفراء متَّسخة فقد لا ينتبه إليه النَّاس، وأفضِّل ألَّا يتعرَّفني أحد وأنا مكبَّل بالحديد».

لم يكن السكِّين حادًّا كما ينبغي، لكن كليوس أخذَ يجزُّ بعزم، يُعمِل النَّصل في جزل الشَّعر المتشابكة ويُلقيها من فوق حاجز القارب، لتطفو الخُصل الذَّهبيَّة على سطح الماء، وشيئًا فشيئًا تتَّسع المسافة بينها وبينهم. زحفَت قملة على عُنقه عندما اختفى أغلب شَعره، فأمسكَها چايمي وسحقَها على ظُفر إبهامه، وفلَّى السير كليوس فروة رأسه من غيرها ونقفَها في الماء. غمسَ چايمي رأسه في النَّهر وجعلَ ابن عمَّته يشحذ النَّصل قبل أن يسمح له بكشط البوصة الأخيرة من جُذامة الشَّعر، وبَعدها شذَّبا لحيته أيضًا.

الانعكاس في الماء كان لرجلٍ لا يعرفه.

إنه ليس أصلع الآن فحسب، بَل ويبدو كأن السِّنَّ تقدَّمت به خمسة أعوامٍ

(1) لوح مُنصرَف الرِّيح عبارة عن عارضة خشبيَّة تُلقى في الماء في الاتِّجاه الذي تهبُّ منه الرِّيح، بغية إحداث توازُن وكي لا يميل القارب على جانبه. (المترجم).

بأكملها في تلك الزِّنزانة؛ وجهه أنحل وعيناه غائرتان وفي ملامحه تجاعيد لا يتذكَّرها. لا أشبهُ سر سي كثيرًا هكذا. كم ستكره هذا.

مع انتصاف النَّهار كان السير كليوس قد سقطَ في النَّوم، وخرجَ منه غطيط كأنه صوت نكاح البط، فيما تمدَّد چايمي وتركَ العالم يمضي مارًّا به، فبَعد ظُلمة المحبس صارَت كلُّ صخرةٍ وشجرةٍ أعجوبةً.

مَرُّوا على عددٍ من الأكواخ ذات الغُرفة الواحدة، القابعة على قوائم طويلة تجعلها تبدو كطيور الغُرنوق، لكنهم لم يروا أثرًا للسَّاكنين، وحلَّقت الطَّير فوقهم أو تبادلَت الصِّياح من الأشجار بطول الضِّفَّة، ولمحَ چايمي سمكةً يميل لونها إلى الفضَّة تخترق الماء كسكِّين، ففكَّر: سمكة الترويت رمز تَلي، نذير شؤم هذا. ثم إنه رأى ما هو أسوأ، لمَّا اتَّضح أن واحدًا من جذوع الأشجار الطَّافية رجل ميت خلَت جُثَّته من الدِّماء وانتفخَت، وقد اشتبكَ معطفه بجذور شجرةٍ ساقطة، وإن قال لونه القِرمزي بجلاء إنه كان من رجال لانستر، فتساءلَ چايمي إن كانت الجُثَّة لأحدٍ يعرفه.

فروع (الثَّالوث) أسهل سبيلٍ لنقل البضائع والنَّاس عبر أراضي النَّهر، وفي أيام السَّلام كانوا ليُلاقوا الصَّيَّادين في قواربهم، والصَّنادل المحمَّلة بالغلال تُدفع في اتِّجاه المصب، والتُّجَّار يبيعون الإبر ولفائف الأقمشة في حوانيت طافية، ولربما رأوا مركبًا تحمل فرقة ممثِّلين، ألوان بدنها وأشرعتها المبطَّنة عديدة زاهية، تشقُّ طريقها نحو المنبع من قريةٍ إلى قريةٍ وقلعةٍ إلى قلعة.

لكن الحرب لم تُبقِ ولم تَذَر. تجاوَزوا في طريقهم قُرى بلا قرويِّين، والأمارة الوحيدة على وجود صيَّادين كانت شبكة مهترئة ممزَّقة معلَّقة في بعض الأشجار، وثمَّة فتاة صغيرة وثبَت على حصانها الذي تسقيه وأسرعَت تبتعد بمجرَّد أن أبصرَت شراعهم، وفيما بَعد مَرُّوا بدستةٍ من الفلَّاحين يَحرُثون حقلًا تحت أطلال منزلٍ محترق. حدَّق الرِّجال إليهم بنظراتٍ جامدة، ثم عادوا إلى عملهم فور أن قرَّروا أن القارب لا يُشكِّل تهديدًا.

(الفرع الأزرق) نهر بطيء متلوٍّ، كلُّه حلقات ومنعطفات تنتشر فيها جُزَيرات مشجَّرة شديدة الصِّغر، وفي غير موضع تسدُّ مجراه الرَّواسب الرَّملية المتراكمة وغصون الأشجار الغارقة المتواريةً تحت سطح الماء، على

أن برِيان أبدَت قُدرةً فائقةً على ملاحَظة الخطر، فوجَّهت القارب دائمًا نحو البقاع السَّالكة من المجرى، وحين أثنى چايمي على معرفتها بالنَّهر، رمقَته بريبةٍ قائلةً: «لستُ أعرفُ النَّهر. (تارث) جزيرة، ولذا تعلَّمتُ التَّعامُل مع الأشرعة والمجاذيف قبل أن أتعلَّم ركوب الخيل».

اعتدلَ السير كليوس جالسًا، وقال: «بحقِّ الآلهة، كم تُؤلِمني ذراعاي. أتمنى أن تستمرَّ الرِّيح»، وتشمَّم الهواء لحظةً قبل أن يُضيف: «أشمُّ مطرًا».

سيُرَحِّب چايمي بالمطر ولو نزلَ مدرارًا، فزنازين (ريڤرَن) ليست بأنظف مكانٍ في (الممالك السَّبع)، ولا بُدَّ أن رائحته الآن كرائحة قطعةٍ عفنةٍ من الجُبنة.

قال كليوس مضيِّقًا عينيه وهو يَنظُر تجاه المصب: «دُخان».

أشارَ لهم إصبع رمادي رفيع بالتقدُّم، وقد ارتفعَ ملتفًّا متلوِّيًا من الضِّفَّة الجنوبيَّة على بُعد بضعة أميالٍ أمامهم، وتبيَّن چايمي تحته أطلال مبنى كبير محترق، وشجرة سَنديان حيَّة تتدلَّى منها النِّساء الميتات. لم تكن الغِربان قد التهمَت الكثير من جُثثهن التي تدور وتتمايَل كلما هبَّت الرِّيح، وقد غاصَت الحبال في لحم حلوقهن الطَّري.

قالت برِيان عندما اقترَبوا فرأوا بوضوح كافٍ: «عمل خالٍ تمامًا من الشَّهامة. الفارس الحق لا يتغاضى عن هذه الوحشيَّة الغاشمة».

رَدَّ چايمي: «الفُرسان الحق يرون أسوأ من هذا عندما يذهبون إلى الحرب يا هذه، ويفعلون أسوأ، أجل».

وجَّهت برِيان الدَّفَّة نحو الشَّط قائلةً: «لن أتركَ الأبرياء وليمةً للغِربان».

- «فتاة عديمة القلب. الغِربان أيضًا تحتاج إلى الطَّعام. ابقي في النَّهر ودَعي الموتى وشأنهم يا امرأة».

رسوا حيث تميل شجرة السَّنديان الضَّخمة فوق الماء، وبينما خفضَت برِيان الشِّراع، نزلَ چايمي من القارب بصعوبةٍ بسبب قيوده، فملأَت مياه (الفرعِ الأحمر) حذاءه وتشبَّعت بها سراويله المهترئة، فسقطَ على رُكبتيه ضاحكًا وأغرقَ رأسه في الماء ثم رفعَه لتسيل منه القطرات. كانت يداه مكسوَّتين بالأوساخ، ولمَّا فركَهما حتى نظَّفهما في المجرى وجدَهما أنحل

وأكثر شحوبًا مما يتذكَّر، كما وجدَ ساقيه متيبِّستيْن يعوزهما الثَّبات حين وضعَ ثِقله عليهما. قضيتُ وقتًا طويلًا للغاية في زنزانة هوستر تَلي.

سحبَت بريان وكليوس القارب إلى الضِّفَّة، وتدلَّت الجُثث فوق رؤوسهم، يَنفُخها الموت كالفاكهة التَّالفة.

قالت الفتاة: «على أحدنا أن يقطع الحبال».

صعدَ چايمي إلى الشَّطِّ مصحوبًا بصلصلة أصفاده، وقال: «سأتسلَّقُ الشَّجرة. عليكِ فقط أن تخلعي هذه القيود».

كانت الفتاة ترنو إلى واحدةٍ من النِّساء الميتات أعلاهم، فاقتربَ چايمي بخُطى قصيرة متعثِّرة لا تسمح السِّلسلة -التي لا يزيد طولها على القدم الواحد- بغيرها، وعندما رأى اللَّافتة البدائيَّة المعلَّقة من رقبة أعلى الجُثث، ابتسمَ وقرأ المكتوب بصوتٍ عالٍ: «نِمن مع الأسود»، ثم أردفَ مكلِّمًا بريان: «أوه، نعم يا امرأة، عمل خالٍ تمامًا من الشَّهامة... قامَ به فريقكِ وليس فريقي. مَن كُنَّ يا تُرى؟».

أجابَه السير كليوس فراي: «خادمات في خان. تذكَّرتُ الآن أن هذا المكان كان خانًا. بعض الرِّجال المُرافقين لي قضوا ليلةً هنا عندما عُدنا إلى (ريڤررَن) آخِر مرَّة». لم يكن شيء قد تبقَّى من المبنى غير أساسه الحجري وكومة من العوارض الخشبيَّة التي سقطَت متفحِّمةً، ولا يزال الدُّخان يَخرُج من الرَّماد.

قال چايمي، الذي تركَ المواخير والعاهرات لأخيه تيريون، غير راغبٍ في امرأةٍ إلَّا سرسي: «يبدو أن الفتيات آنَسن بعض رجال السيِّد والدي، وربما قدَّمن لهم الطَّعام والشَّراب كذلك. هكذا استحقَقن أطواق الخيانة المحيطة بأعناقهن، بقُبلةٍ وكوبٍ من المِزر»، وتطلَّع إلى النَّهر في الاتِّجاهين ليتأكَّد من أنهم وحدهم، وتابعَ: «هذه أرض براكن، فلعلَّ اللورد چونوس أمرَ بقتلهن. لقد أحرقَ أبي قلعته، وأخشى أنه لا يُكِنُّ لنا حُبًّا».

قال السير كليوس: «قد يكون مارك پايپر، أو سراب الغابات المسمَّى بريك دونداريون، وإن سمعتُ أنه لا يَقتُل إلَّا الجنود. أهي جماعة من شماليِّي رووس بولتون ربما؟».

- «بولتون هزمَه أبي على (الفرع الأخضر)».

رَدَّ السير كليوس: «لكنه لم يكسره. لقد عادَ جنوبًا ثانيةً حينما زحفَ

اللورد تايوين على المخاضات، وشاعَ في (ريڤررَن) أنه أخذَ (هارنهال) من السير آموري لورك».

لم يَرُق هذا الخبر چايمي على الإطلاق. «بريان»، قال متلطِّفًا بمخاطبتها باسمها على أمل أن تُصغي إليه: «إذا كان اللورد بولتون يُسيطِر على (هارنهال)، فكلا (الثَّالوث) و(طريق الملوك) سيكون مراقَبًا».

خُيِّلَ إليه أنه رأى لمحةً من الشَّكِّ في عينيها الزَّرقاوين الواسعتين، لكنها قالت: «إنك تحت حمايتي، وعليهم أن يَقتُلوني ليأخذوك».

- «لا أظنُّ أن هذا سيُقلِقهم».

قالت بلهجةٍ دفاعيَّة: «إنني مُحاربة بارعة مِثلك تمامًا، وكنتُ من سبعة الملك رنلي المختارين، وبيديه أسبغَ عليَّ معطف حَرس قوس قزح الحريري».

- «حَرس قوس قزح؟ أنتِ وسِتُّ فتياتٍ أخريات؟ أحدهم غنَّى مرَّةً عن جَمال الفتيات كلهن عندما يلبسن الحرير... لكنه لم يلقاكِ طبعًا، أليس كذلك؟».

احتقنَ وجه المرأة، وبدأت تتسلَّق الشَّجرة قائلةً: «علينا أن نَحفُر قبورًا».

كانت فروع السَّنديانة السُّفليَّة كبيرةً بما يكفي لأن تقف عليها بمجرَّد أن تسلَّقت الجذع، ثم إنها مشَت وسط الأوراق وخنجرها في يدها قاطعةً حبال الجُثث، التي احتشدَ الذُّباب حولها وهي تَسقُط، وساءَت الرَّائحة التي أفعمَت الهواء مع سقوط كلٍّ واحدة، فقال السير كليوس شاكيًا: «كلُّ هذا العناء من أجل عاهرات. بِمَ يُفترَض أن نَحفُر؟ ليست معنا مجاريف، ولن أستخدم سيفي، و...».

أطلقَت بريان صيحةً مقاطعةً إياه، وبدلًا من أن تُواصِل التَّسلُّق وثبَت أرضًا قائلةً: «إلى القارب بسرعة، رأيتُ شراعًا».

هرعوا عائدين بأقصى سُرعة، وإن لم يستطع چايمي أن يجري، واضطرَّ ابن عمَّته لأن يرفعه إلى داخل القارب، الذي دفعَته بريان بمجذافٍ ورفعَت الشِّراع بعجلةٍ صائحةً: «سير كليوس، أريدك أن تُجذِّف معي».

فعلَ كما قالت، وبدأ القارب يشقُّ الماء بسُرعةٍ أكبر، وقد عملَ كلٌّ من التَّيَّار والهواء والمجاذيف في صالحهم، فيما جلسَ چايمي مكبَّلًا يُحدِّق

وراءهم، حيث لم يظهَر من الشِّراع الآخَر إلَّا أعلاه. الطَّريقة التي يدورُ بها (الفرع الأحمر) جعلَت القارب القادم يبدو كأنه وراء الحقول، يتحرَّك شمالًا وراء سياج من الأشجار بينما يتَّجهون هُم جنوبًا، غير أن چايمي كان يعلم أن المشهد خادع. رفعَ يديه يُظَلِّل عينيه، ثم أعلنَ: «لونه أحمر كالطَّمي وأزرق كالماء».

تحرَّك فم بريان الكبير بلا صوت، فبدَت كبقرةٍ تَمضُغ طعامها المجترَّ، وقالت: «أسرِع أيها الفارس».

سرعان ما توارى الخان خلفهم ولم يعودوا يرون أعلى الشِّراع كذلك، وإن كان هذا لا يعني شيئًا، إذ سيُعاوِد مُطارِدوهم الظُّهور بمجرَّد أن يدوروا.

غمغَمَ چايمي وفكرة العودة إلى زنزانته لا تستهويه على الإطلاق: «لنأمل أن يتوقَّف رجال تَلي النُّبلاء لدفن العاهرات الميتات». كان تيريون ليُفكِّر في حَلٍّ بارع الآن، لكن كلَّ ما يَخطُر لي أن أنقضَّ عليهم بالسَّيف.

مَرَّ ما يَقرُب من ساعةٍ وهُم يلعبون الاستغمَّاية مع المُطاردين، يدورون حول المنعطفات وبين الجُزَيرات الشَّجرة الصَّغيرة، وحين بدأوا يأملون أنهم ضلَّلوهم أخيرًا، عادَ الشِّراع البعيد يلوح مجدَّدًا، فكَفَّ السير كليوس عن التَّجذيف، ومسحَ العَرق مِن على جبهته قائلًا: «فليأخذهم (الآخَرون)».

صاحَت فيه بريان: «جَذِّف!».

أعلنَ چايمي بَعدما ظَلَّ يُراقِب فترةً: «إنه قادس نهري[1] الذي يسعى وراءنا. تسعة مجاذيف على كلِّ جانب، أي أن هناك ثمانية عشر رجلًا، أو أكثر إذا كانوا يحملون مُحاربين مع البحَّارة. شراعهم أكبر كذلك، ولن نستطيع الفِرار منهم».

كان حجم القادس يكبر كلما ضربَت مجاذيفه الماء.

تجمَّد السير كليوس في مكانه، وسألَه: «تقول ثمانية عشر؟».

أجابَ چايمي: «ستَّة لكلٍّ منا. أفضِّلُ أن أواجه ثمانيةً، لكن هذه الأساور تُعيقني نوعًا»، ورفعَ معصميه مواصلًا: «ما لم تتلطَّف الليدي بِريان بحَلِّها».

(1) القادس نوع مِن السُّفن المزوَّدة بمجاذيف، يتميَّز ببدنه الطَّويل الرَّفيع، والقدرة على الملاحة في الظُّروف غير المواتية، واستُخدِم في الحرب والتِّجارة والقرصنة. (المترجم).

تجاهلَته الفتاة مركِّزةً مجهودها كلَّه على مجذافيها.

قال چايمي: «كنا نسبقهم بنِصف ليلة، ثم إنهم يُجَذِّفون منذ الفَجر، يستريح منهم رجلان في المرَّة. سيكونون مُنهَكين. نعم، منظر شراعنا أعطاهم دفقةً من القوَّة، لكنها لن تدوم. ستتمكَّن من قتل عددٍ كبيرٍ منهم».

حملقَ السير كليوس إليه فاغرًا فاه، وقال: «لكن... لكنهم ثمانية عشر».

- «على الأقل. إنهم عشرون إلى خمسةٍ وعشرين على الأرجح».

قال ابن عمَّته باستنكار: «لا أمل لنا في هزيمة ثمانية عشر رجلًا».

- «هل قلتُ إننا نستطيع؟ أفضل أملٍ لنا هو الموت وفي يدنا السُّيوف». قالها بمنتهى الصِّدق، فچايمي لانستر لم يخشَ الموت يومًا.

توقَّفت بِريان عن التَّجذيف، وقد ألصقَ العَرق خُصلًا من شَعرها كتَّاني اللَّون بجبهتها، وقالت بصوتٍ يموج بالغضب خرجَ منها أقرب إلى زمجرة: «أنت تحت حمايتي».

ضحكَ مرغمًا لهذه الشَّراسة وقال لنفسه: إنها كلب الصَّيد بثديين، أو لكانت كذلك لو أن لديها ثديين يُذكَران. «احمِني إذن يا هذه، أو حرِّريني لأحمي نفسي».

كان القارب يَمخُر النَّهر كيعسوبٍ خشبيٍّ عظيم، تدفعه المجاذيف بقوَّةٍ بالغة ليَمخُض المياه محيلًا لونها إلى الأبيض، فيتقدَّم منهم بوضوحٍ والرِّجال يحتشدون على سطحه والمعدن يلمع في أيديهم، ورأى چايمي أقواسًا كذلك. رُماة. لكم يكره الرُّماة.

على مقدِّمة القادس المقبل عليهم وقفَ رجل قصير القامة ممتلئ الجسد ذو رأسٍ أصلع وحاجبين أشيبين كثَّين وذراعين مفتولتين، يرتدي فوق قميصه المعدنيِّ سُترةً طويلةً بيضاء متَّسخةً، على صدرها شجرة صَفصاف مُستحي[1] خضراء شاحبة، وإن اتَّخذ شكل الدبُّوس الذي يربط معطفه شكل سمكة التروويت الفضِّيَّة. قائد حَرس (ريڤرَن). في شبابه كان السير روبن رايجر

(1) الصَّفصاف المُستحي أو الصَّفصاف البابلي نوع من الأشجار أوراقه منسدلة كالشَّعر، موطنه الأصلي شمال الصِّين لكنه انتشرَ إلى بقاعٍ أخرى كثيرة. (المترجم).

مُحاربًا قديرًا، لكن شباب الرَّجل ولَّى منذ زمن، فهو في سِنِّ هوستر تَلي، ونالَت منه الشَّيخوخة كما فعلَت بسيِّده.

حين أصبحَت المسافة بين المركبين خمسين ياردةً لا أكثر، وضعَ چايمي يديه حول فمه، وصاحَ ليَعبُر صوته الماء: «هل جئت لتتمنَّى لي رحلةً سعيدةً يا سير روبن؟».

جأرَ السير روبن: «جئتُ لأعيدك يا قاتِل الملك. كيف فقدت شَعرك الذَّهبي؟».

- «كنتُ آملُ أن أُعمي أعدائي بلمعة رأسي، وقد نجحَت الحيلة معكم».

لم تَرُق الدُّعابة السير روبن، وتضاءلَت المسافة بين المركبين إلى أربعين ياردةً وهو يقول: «ألقوا مجاذيفكم وأسلحتكم في النَّهر ولا حاجة لأن يتأذَّى أحد».

تلفَّت السير كليوس حوله بلهفةٍ قائلًا: «چايمي، قُل له إن الليدي كاتلين أطلقَت سراحنا... تبادُل للأسرى، شرعي...».

وأخبرَه چايمي، مع أنَّ هذا لم يُثمر شيئًا، إذ رَدَّ السير روبن صائحًا: «كاتلين ستارك لا تَحكُم في (ريڤررَن)»، واتَّخذ أربعة من الرُّماة وضع التَّصويب على جانبيه، اثنان راكعان واثنان واقفان، بينما واصلَ هو: «ألقوا سيوفكم في الماء».

قال چايمي: «ليس معي سيف، لكن لو كنتُ أحملُ واحدًا لأولجته في بطنك وجززتُ خُصى هؤلاء الجُبناء الأربعة».

أجابَته السِّهام، فانغرسَ أحدها في الصَّاري، وثقبَ اثنان الشِّراع، وشَقَّ الرَّابع الهواء على مسافة قدم واحدٍ من چايمي.

لاحَت واحدة من حلقاَت (الفرع الأحمر) الواسعة أمامهم، ووجَّهت بريان القارب عبر المنعطف، لتتأرجح عارضة الشِّراع وهُم يدورون، وطقطقَ الشِّراع نفسه إذ ملأَته الرِّيح. أمامهم كانت جزيرة كبيرة في منتصَف المجرى، يمضي التَّيَّار على يمينها، وعلى اليسار قناة ضيِّقة بينها وبين الجُروف العالية على الشَّاطئ الشَّمالي، فحرَّكت بريان ذراع الدَّفَّة وانعطفَ القارب يسارًا وشراعه يخفق بقوَّة، بينما راقبَ چايمي عينيها مفكِّرًا: عينان جميلتان وهادئتان. إنه يعرف كيف يقرأ الأعيُن، ويعلم كيف يبدو الخوف. الفتاة عازمة وليست يائسةً.

دخلَ القادس المنعطف علي بُعد ثلاثين ياردةً وراءهم، وقالت الفتاة آمرةً: «سير كليوس، أمسِك ذراع الدَّفَّة. وأنت يا قاتِل الملك، خُذ مجذافًا وأبعِدنا عن الصُّخور».

- «كما تأمر سيِّدتي». ليس المجذاف سيفًا، لكن من شأن رأسه أن يُحَطِّم وجه رجلٍ إذا أحسنت توجيه الضَّربة، ويُمكن أن يُستخدَم المقبض لدرء الهجمات.

دَسَّ السير كليوس المجذاف في يد چايمي وأسرعَ إلى مؤخِّرة القارب. عبَروا رأس الجزيرة وداروا في القناة بحركةٍ حادَّة، ناثرين الماء على وجه الجُرف مع ميل القارب. كانت الجزيرة تعجُّ بأشجار الصَّفصاف والبلُّوط والصَّنوبر الطَّويلة المتشابكة، التي ألقَت ظلالًا داكنةً على المياه المتدفِّقة، فأخفَت الجذوع والغصون الغارقة، وعلى يسارهم ارتفعَ الجُرف الصَّخري بزاويةٍ عموديَّة، يُزبِد النَّهر عند سفحه بالأبيض حول الجلاميد المحطَّمة والصُّخور السَّاقطة.

انتقَلوا من نور الشَّمس إلى الظِّل، وقد تواروا من القادس بين حائط الأشجار الأخضر وحجارة الجُرف البنِّيَّة الرَّماديَّة، وفكَّر چايمي وهو يدفعهم بعيدًا عن جُلمودٍ نِصف غارق: سنرتاح بضع دقائق من السِّهام.

اهتزَّ القارب، وسمعَ چايمي الماء يتناثر بصوتٍ خافت، ولمَّا نظرَ حوله كانت بِريان قد اختفَت، لكنه رآها بَعد لحظةٍ تَخرُج من الماء عند قاعدة الجُرف، ثم تخوض في بركةٍ ضحلة وتصعد متعثِّرةً على بعض الصُّخور، قبل أن تشرع في التَّسلُّق. حدَّق السير كليوس بعينين جاحظتين وفم مفتوح، ففكَّر چايمي: أحمق، ثم قال لابن عمَّته بخشونة: «تجاهَل الفتاة ووجِّه القارب».

شاهَدا الشِّراع يتحرَّك وراء الأشجار، وسرعان ما ظهرَ القادس بالكامل عند مدخل القناة خلفهم بخمسةٍ وعشرين ياردة، ومالَت مقدِّمته بشدَّةٍ مع دورانه، بينما حلَّقت نِصف دستةٍ من السِّهام في الهواء، لكن جميعها تجاوزَهما بمسافةٍ بعيدة، وقد صعَّبت حركة المركبين التَّصويب على الرُّماة، وإن عرفَ چايمي أنهم سيتدارَكون أنفسهم سريعًا. كانت بِريان قد بلغَت منتصَف الجُرف الآن، تسحب نفسها من دِعامةٍ إلى أخرى في الصَّخر. مؤكَّد أن رايجر سيراها، وحينها سيأمر هؤلاء الرُّماة بإسقاطها. قرَّر أن يرى إن

كانت كبرياء العجوز ستجعله يتصرَّف بحماقة، فصاحَ: «سير روبن، اسمعني لحظةً».

رفعَ السير روبن يدًا، فخفضَ رجاله أقواسهم، وقال: «قُل ما لديك يا قاتِل الملك، لكن قُله بسُرعة».

تأرجحَ القارب وهو يمرُّ وسط مجموعةٍ من الأحجار المكسورة، بينما قال چايمي: «أعرفُ وسيلةً أفضل لتسوية هذه المسألة؛ النِّزال الفردي، أنا وأنت».

- «لم أولَد هذا الصَّباح يا لانستر».

- «نعم، لكنك ستموت هذه الظَّهيرة غالبًا»، ورفعَ چايمي يديه كي يرى الرَّجل أغلاله: «سأقاتلك وأنا مكبَّل، فماذا تخشى؟».

- «لا أخشاك أنت أيها الفارس. لو كان الخيار بيدي لما أحببتُ شيئًا أكثر، لكن أوامري أن أعيدك حيًّا إذا أمكنَ»، وأشارَ رايجر إلى رجاله قائلًا: «أيها الرُّماة، ثبِّت، اسحَب، أطلـ...».

لم يكن المدى يزيد على العشرين ياردة، وفُرصة أن يُخطئ الرُّماة هدفهم شِبه معدومة، لكن إذ سحبوا سهامهم على أوتار أقواسهم الطَّويلة، انهمرَ وابل من الحصى عليهم، وتساقطَت الحجارة الصَّغيرة على سطح مركبهم وارتدَّت عن خوذاتهم لتَسقُط في الماء ناثرةً إياه على الجانبيْن. مَن كان منهم بالذَّكاء الكافي ليفهم، رفعَ عينيه في اللَّحظة التي انفصلَ فيها جُلمود بحجم بقرةٍ عن قمَّة الجُرف. صاحَ السير روبن بهلع، وهوى الحجر في الهواء ضاربًا وجه الجُرف لينفلِق إلى نِصفين سقطَ كلاهما عليهم، فضربَت القطعة الأكبر الصَّاري ونفذَت من الشِّراع ورمَت باثنين من الرُّماة في الماء وسحقَت ساقَ أحد الملَّاحين وهو مائل على مجذافه، فيما أوحَت السُّرعة التي أخذَت المياه تملأ القادس بها أن القطعة الأصغر اخترقَت بدنه مباشرةً.

تردَّدت صرخات الملَّاحين على وجه الجُرف وراحَ الرُّماة يُقاومون الماء بضراوة، ووشى منظرهم بأن لا هؤلاء ولا أولئك يُجيدون السِّباحة، فضحكَ چايمي.

عندما خرجوا من القناة كان القادس يغرق وسط البِرك والدَّوَّامات والغصون، وقرَّر چايمي أن الآلهة رحيمة. سوف يقطع السير روبن ورُماته

الملعونون ثلاثًا مسافةً طويلةً إلى (ريڤررَن) مبتلّين سائرين على الأقدام، كما أنه تخلَّص من الفتاة الدَّميمة الكبيرة. لم أكن لأخطِّط للأمر أفضل، وبمجرَّد أن أتحرَّر من هذه القيود...

رفعَ السير كليوس صوته بصيحة، وحين نظرَ چايمي إلى أعلى رأى بريان تتحرَّك بتثاقُل على مسافةٍ كبيرةٍ أمامهم فوق قمَّة الجُرف، وقد قطعَت اليابسة على استقامتها فيما اتَّبعوا هُم منعطف النَّهر، ثم إنها ألقَت بنفسها من الصَّخرة، فكادَت تبدو رشيقةً وهي تتَّخذ وضع الغوص. كان من الغلظة حينئذٍ أن يتمنَّى أن تُحَطِّم رأسها على حجر. وجَّه السير كليوس القارب نحوها، لكن لحُسن الحَظِّ أن مجذاف چايمي معه. ضربة واحدة مُحكمة عندما تدفع نفسها من الماء وأتخلَّصُ منها...

ولكن بدلًا من ذلك وجدَ نفسه يمدُّ المجذاف عبر الماء، فأمسكَته بريان وسحبَه هو وساعدَها على الصُّعود إلى القارب، لتسيل المياه وتَقطُر من ثيابها المشبَّعة وتتجمَّع في بِركةٍ على السَّطح. تبدو أقبح وهي مبتلَّة. من كان ليتصوَّر هذا؟! قال لها: «أنتِ حمقاء كبيرة يا هذه. كان يُمكن أن نُواصِل طريقنا دونكِ. هل تتوقَّعين أن أشكركِ؟».

- «لا أريدُ شُكرًا منك يا قاتِل الملك. لقد أقسمتُ أن أوصلك بأمان إلى (كينجز لاندنج)».

منحَها چايمي أكثر ابتساماته إشراقًا، وقال: «وتنوين الوفاء بالقَسم حقًّا؟ يا للعجب!».



كاتلين

خدمَ السير دزموند جرل عائلة تَلي طيلة حياته، وكان مُرافِق فارسٍ حين وُلِدَت كاتلين، وفارسًا عندما تعلَّمت المشي والرُّكوب والسِّباحة، وقيِّم السِّلاح يوم تزوَّجت. هذا الرَّجل شهدَ تحوُّل كات صغيرة اللورد هوستر إلى فتاةٍ شابَّة، وزوجة أحد كبار اللوردات، وأُمٍّ ملك. والآن شهدَني وقد أصبحتُ خائنةً كذلك.

كان أخوها إدميور قد عيَّن السير دزموند أمينًا للقلعة في (ريفررَن) حينما خرجَ إلى المعركة، فوقعَ على عاتقه أن يتعامَل مع جريمتها، وجاءَها مصطحبًا معه أوثيرايدس واين وكيل أبيها الصَّارم، ليُعينه على اضطرابه. وقفَ الرَّجلان يتطلَّعان إليها، السير دزموند بجسده الممتلئ ووجهه المحمرِّ ونظراته المحرَجة، وأوثيرايدس بوقاره ونحوله وجهامته، ينتظر كلٌّ منهما أن يتكلَّم الثَّاني، ففكَّرت كاتلين بإعياء: لقد بذلا حياتيهما في خدمة أبي، ورددتُ لهما الجميل خزيًا.

أخيرًا قال السير دزموند: «ابناكِ، المايستر ڤايمان أخبرَنا بما حدثَ، الولدان المسكينان. شيء شنيع، شنيع، لكن...».

وقال أوثيرايدس واين: «إننا نُشارِككِ حُزنكِ يا سيِّدتي، (ريفررَن) كلها تُشاطِرك مصيبتكِ، لكن...».

تدخَّل السير دزموند قائلًا: «لا بُدَّ أن الخبر أصابَكِ بالجنون، جنون الحُزن، جنون أم. النَّاس سيتفهَّمون أنكِ لم تعرفي...».

قاطعَته كاتلين بحزم: «بل كنتُ أعرفُ، كنتُ أعرفُ ما أفعله تمامًا وأعلمُ أنه خيانة. إذا لم تُعاقِبني، سيعتقد النَّاس أننا تواطأنا معًا لتحرير چايمي

لانستر، لكن هذا كان تصرُّفي أنا، تصرُّفي وحدي، ويجب ألَّا يُعاقَب عليه غيري. قيِّدني بأصفاد قاتِل الملك الفارغة وسأرتديها بفخرٍ إن لم يكن هناك مفر».

بدا كأن مجرَّد ذِكر الكلمة صدمَ السير دزموند المسكين، الذي قال: «الأصفاد؟ لأُمِّ الملك وابنة سيِّدي؟ مستحيل».

قال الوكيل أوثيرايدس واين: «ربما تقبل سيِّدتي أن تُحتجَز في مسكنها حتى يعود السير إدميور، لتقضي بعض الوقت وحدها وتُصلِّي لابنيها القتيليْن؟».

قال السير دزموند: «تُحتجَز، نعم، في زنزانة بُرج، لا بأس».

- «ما دمتُ سأظلُّ حبيسةً، فليكن هذا في مسكن أبي، كي أواسيه في أيامه الأخيرة».

تفكَّر السير دزموند لحظةً، ثم أجابَ: «ليكن. لن تعوزكِ الخدمات أو سُبل الرَّاحة، لكنكِ ممنوعة من الحركة في القلعة. يُمكنكِ أن تزوري السِّپت إذا شئتِ، لكن فيما عدا هذا عليكِ البقاء في مسكن اللورد هوستر إلى أن يعود اللورد إدميور».

ليس أخوها اللورد بعدُ ما دامَ أبوهما حيًّا، لكن كاتلين لم تُراجِع الرَّجل، وقالت: «كما ترغب. يُمكنك أن تُعيِّن حارسًا عليَّ، لكن لك كلمتي بأني لن أحاول الهرب».

أومأ السير دزموند وقد لاحَ عليه بوضوح أنه مسرور للانتهاء من هذا الواجب الكريه، لكن أوثيرايدس واين ذا العينين الحزينتيْن مكثَ قليلًا بَعد انصراف أمين القلعة، وقال لها: «ما فعلتِه جسيم يا سيِّدتي، لكنه بلا طائل. السير دزموند أرسلَ السير روبن رايجر في أعقابهم لإعادة قاتِل الملك... أو رأسه إذا أخفقَ في ذلك».

لم تكن كاتلين تتوقَّع أقلَّ من هذا، فصلَّت: ليضع (المُحارب) القوَّة في يدكِ حاملة السَّيف يا بريان.

لقد فعلَت كلَّ ما تَستطيع، وما بيدها الآن إلَّا الأمل.

نُقِلَت حاجياتها إلى غُرفة نوم أبيها، التي يحتلُّها السَّرير المظلَّل الكبير الذي وُلِدَت فيه، بأعمدته المنقوشة بأشكال سَمك التروِيت الوثَّاب، أمَّا أبوها نفسه

فكانوا قد نقلوه إلى غُرفته الشَّمسيَّة عند منتصَف السُّلَّم في الطَّابق السُّفلي، وقد وضعوا فِراش المرض الذي يَرقُد فيه بحيث يُواجِه الشُّرفة المثلَّثة، ليرى منها النَّهرين اللذين لطالما أحبَّهما حُبًّا جَمًّا.

كان اللورد هوستر نائمًا عندما دخلَت الغُرفة، فخرجَت إلى الشُّرفة ووقفَت مُسندةً يدها إلى الدَّرابزين الحجري الخشن. وراء أقصى نقاط القلعة امتزجَت مياه (الجُلمود) السَّريعة بمياه (الفرع الأحمر) الهادئة، وكان باستطاعة كاتلين أن ترى جزءًا طويلًا من النَّهر في اتِّجاه المصب. إذا ظهرَ شراع مخطَّط من الشَّرق، سيكون السير روبن عائدًا. لكن في الوقت الحالي يظلُّ سطح الماء خاليًا، فشكرَت الآلهة على هذا، وعادَت إلى الدَّاخل لتجلس مع أبيها.

لم تعرف كاتلين إن كان اللورد هوستر أدركَ وجودها، أو إن كان حضورها بَثَّ فيه أيَّ راحة، لكنها لاقَت عزاءً في وجودها معه. ماذا كنت لتقول لو علمت بجريمتي يا أبي؟ لو أني ولايسا في يد الأعداء، فهل كنت لتفعل ما فعلته أم تُدينني أيضًا وتقول إنه جنون أُم؟

عابقةٌ هذه الغُرفة برائحة الموت، رائحة عطِرة وعطِنة في آنٍ واحد، تلتصِق بالهواء، ذكَّرتها بالابنين اللذين فقدَتهما، ببران الجميل وريكون الصَّغير، وقاتِلهما ثيون جرايچوي الذي كان ربيب ند. إنها لا تزال تنعى ند، وستظلُّ تنعاه دومًا، لكن أن يُؤخَذ صغيراها منها أيضًا... همسَت بضَعف، لنفسها أكثر من أبيها: «قسوة لا تُدانيها قسوة أن يفقد المرء طفلًا».

انفتحَت عينا اللورد هوستر، وبصوتٍ مبحوح محمَّل بالألم قال: «تانسي».

إنه لا يعرفني. تعوَّدت كاتلين أن يحسبها أمَّها أو أختها لايسا، أمَّا تانسي فاسم غريب عليها. «أنا كاتلين، كات يا أبي».

– «سامِحيني... الدَّم... أوه، أرجوكِ... تانسي...».

أمن الممكن أن امرأةً أخرى كانت في حياة أبيها؟ عذراء قرويَّة جارَ عليها في شبابه ربما؟ هل وجدَ السُّلوان بين ذراعَيْ خادمةٍ ما بَعد وفاة أمِّي؟ كان الخاطر غريبًا مُربكًا، وفجأةً أحسَّت كأنها لا تعرف أباها على الإطلاق. «مَن تانسي يا سيِّدي؟ أبي، هل تُريدني أن أرسل في طلبها؟ أين أجدها؟ أما زالَت حيَّة؟».

أطلقَ اللورد هوستر أنينًا، وتمتمَ: «الموت...»، وتحسَّست يده طريقها إلى يدها وهو يُتابِع: «ستُنجِبين آخَرين... أطفالًا طيِّبين، وشرعيِّين».

آخَرين ؟ هل نسيَ أن ند رحلَ ؟ أما زالَ يُكَلِّم تانسي ؟ مَن يُكَلِّم الآن؟ أنا أم لايسا أم أمِّي ؟

سعلَ فخرجَ لُعابه داميًا، وأطبقَ على أصابعها قائلًا: «... كُوني زوجةً صالحةً وستُباركِكِ الآلهة... أطفال... أطفال شرعيُّون... آآآههه!». جعلَت نوبة الألم المباغتة يد اللورد هوستر تنقبض بشدَّة، فانغرسَت أظفاره في يدها، وخرجَت منه صرخة مكتومة.

جاءَ المِايستر ڤايمان مسرعًا ليمزج جُرعةً أخرى من حليب الخشخاش[1]، وساعدَ سيِّده على ابتلاعها، وقبل مضيِّ وقتٍ طويل عادَ اللورد هوستر يغيب في نوم عميق.

قالَت كات: «كان يسأل عن امرأةٍ اسمها تانسي».

رمقَها المِايستر بنظرةٍ خاوية مردِّدًا: «تانسي؟».

كانت كاتلين قد غابَت زمنًا طويلًا جدًّا عن (ريڤررَن)، فتساءلَت: «هل تعرف واحدةً بهذا الاسم؟ خادمةً أو امرأةً من قريةٍ قريبة؟ أو ربما كانت موجودةً هنا قبل سنوات؟».

- «لا يا سيِّدتي. يُمكنني أن أتحرَّى عنها إذا أحببتِ. مؤكَّد أن أوثيرايدس واين يعرف إن كانت واحدة مِثلها خدمَت في (ريڤررَن) من قبل. تقولين تانسي؟ كثيرًا ما يُسَمِّي العامَّة بناتهم أسماء الزُّهور والأعشاب[2]»، وبدا التَّفكير على المِايستر وهو يُردِف: «أذكرُ أن أرملةً كانت تأتي إلى القلعة تسأل عن الأحذية القديمة التي تحتاج إلى نعالٍ جديدة. أعتقدُ أن اسمها كان تانسي، أم أنه كان پانسي؟ شيء من هذا القبيل. لكنها لم تأتِ منذ سنواتٍ طويلة...».

قالت كاتلين التي تتذكَّر العجوز جيِّدًا: «كان اسمها ڤيوليت».

غمغمَ المِايستر: «حقًّا؟»، ثم أضافَ معتذرًا: «سامِحيني يا سيِّدتي، لكن لا يُمكنني البقاء. السير دزموند قضى أن نُخاطِبكِ في حدود الواجب لا أكثر».

- «عليك أن تُطيع الأمر إذن». لا تستطيع كاتلين أن تلوم السير دزموند،

(1) مشروب حقيقي ذو أصل اسكندنافي، مخدِّر ومسكِّن للألم. (المترجم).

(2) التانسي نبتة عُشبيَّة مُزهرة شبيهة بالأقحوان تُستخدَم لأغراض علاجيَّة متعدِّدة، وفي العصور الوُسطى وبَعدها استُخدِمَت بجرعاتٍ عالية في الإجهاض. (المترجم).

فالأسباب التي تجعله يثق بها قليلة، ودون شَكٍّ يخشى أن تستغلَّ ولاء كثيرين من أهل القلعة لابنة سيِّدهم لتُسَبِّب مزيدًا من الأذى. على الأقل خلصتُ من الحرب ولو فترةً قصيرةً.

وضعَت على كتفيها معطفًا من الصُّوف عقب ذهاب المِايستر، وعادَت تَخرُج إلى الشُّرفة. كان نور الشَّمس يَبرُق على النَّهرين، يَصبُغ صفحة المياه الجارية بالذَّهب، فرفعَت كاتلين يدها حاجبةً الوهج عن عينيها، وراحَت تبحث عن شراع بعيد وهي تتوجَّس خيفةً من أن ترى واحدًا.

لكنها لم ترَ شيئًا، وعدم وجود شيء يعني أن آمالها لم تزل حيَّةً.

ظلَّت تُراقِب الماء النَّهار بأكمله، وتوغَّل اللَّيل دون أن تُبارِح مكانها، إلى أن آلمَتها ساقاها من طول الوقوف.

وصلَ غُداف إلى القلعة في أواخر الأصيل، ونزلَ من السَّماء إلى المِغدفة ضاربًا الهواء بجناحيه الأسودَيْن الكبيرَيْن، فقالت لنفسها متذكِّرةً آخِر طائرٍ جاءَ والرُّعب الذي حملَه: أجنحة سوداء، أخبار سوداء.

عادَ المِايستر ڤايمان مع حلول المساء ليُتابِع اللورد تَلي، وأحضرَ لكاتلين عَشاءً متواضعًا من الخُبز والجُبنة واللَّحم المسلوق مع الفجل الحار، وقال لها: «تحدَّثتُ مع أوثيرايدس واين يا سيِّدتي. إنه واثق تمامًا بأن لا امرأة اسمها تانسي كانت في (ريڤرَن) في أثناء خدمته».

- «رأيتُ الغُداف الذي جاءَ اليوم. هل أُسِرَ چايمي ثانيةً؟». أو -لا سمحَت الآلهة- قُتِلَ؟

- «لا يا سيِّدتي. لم تصلنا أخبار عن قاتِل الملك».

- «أهي معركة أخرى إذن؟ هل إدميور في محنة؟ أو روب؟ ترفَّق بي أرجوك وطمئِن مخاوفي».

رَدَّ ڤايمان: «سيِّدتي، لا يَجدُر بي أن...»، وتلفَّت حوله كأنه يُريد أن يتأكَّد من خلوِّ الغُرفة، ثم قال: «اللورد تايوين غادرَ أراضي النَّهر، وكلُّ شيءٍ هادئ عند المخاضات».

- «من أين جاءَ الغُداف إذن؟».

قال شاغلًا نفسه بأغطية فِراش اللورد هوستر ومتحاشيًا عينيها: «من الغرب».

- «أهي أخبار عن روب؟».

تردَّد قبل أن يُجاوِب: «نعم يا سيِّدتي».

أدركَت من أسلوبه أن هناك ما يُخفيه عنها، فقالت: «شيء ما حدثَ. أخبِرني. أهو روب؟ هل أصابَه سوء؟». حاشا للآلهة أن يكون قد ماتَ، أرجوك لا تقل لي إنه ماتَ.

بالأسلوب المراوغ نفسه أجابَ المِايستر ڤايمان: «جلالته أصيبَ بجُرح خلال اقتحام قلعة (الجُرف)، لكنه كتبَ أن الأمر لا يستدعي القلق، وأنه يأملُ أن يعود قريبًا».

- «جُرح؟ أيُّ جُرح؟ وما مدى سوئه؟».

- «لا داعي للقلق كما كتبَ».

- «كلُّ الجروح تُقلقني. هل هناك مَن يعتني به؟».

- «هذا أكيد. لا شَكَّ لديَّ أن مِايستر (الجُرف) سيتولَّى علاجه».

- «أين الإصابة؟».

- «سيِّدتي، أوامري ألَّا أتكلَّم معكِ، آسف».

جمعَ ڤايمان عقاقيره وسارعَ يُغادِر الغُرفة، ومرَّةً أخرى صارَت كاتلين وحدها مع أبيها. كان حليب الخشخاش قد أتى مفعوله، وغاصَ اللورد هوستر في نومٍ ثقيل، وقد سالَت نُسالة رفيعة من اللُّعاب من جانب فمه المفتوح لتُبَلِّل وسادته، فالتقطَت كاتلين منديلًا من الكتَّان ومسحَته برفق. تأوَّه اللورد هوستر حين لمسَته، وقال بخفوتٍ شديد جعلَها تكاد لا تسمعه: «سامِحيني... تانسي... دَم... الدَّم... لترحمني الآلهة...».

أزعجَتها كلماته لأقصى حد، على الرغم من أنها لم تستوعِب مغزاها. الدَّم. أيجب أن يرجع كلُّ شيء إلى الدَّم في النِّهاية؟ مَن كانت تلك المرأة يا أبي؟ وماذا فعلت بها ويستحقُّ الغُفران؟

ليلتها كان نوم كاتلين متقطِّعًا، تَسكُنه أحلام ضبابيَّة بأطفالها، الضَّائع منهم والميت، وقبل فترةٍ طويلة من طلوع النَّهار استيقظَت وكلمات أبيها تتردَّد في أُذنيها. أطفال طيِّبون وشرعيُّون... لماذا يقول شيئًا كهذا ما لم... أمن الممكن أنه أنجبَ نغلًا من تلك المرأة تانسي؟ لا تُصَدِّق هذا. أخوها إدمير، نعم،

فلن يُدهِشها على الإطلاق أن تكون لإدميور دستة من الأطفال الطَّبيعيِّين[1]، أمَّا أبوها فلا، ليس اللورد هوستر تَلي، مُحال.

أمن الممكن أن يكون تانسي اسم تدليل اعتادَ أن يُنادي به لايسا كما كان يُناديني بكات؟ لقد سبقَ أن حسبَها اللورد هوستر أُختها في غير مرَّة. قال: ستُنجبين آخَرين، أطفالًا طيِّبين وشرعيِّين. لايسا أُجهِضَت خمس مرَّات، مرَّتين في (العُش) وثلاثًا في (كينجز لاندنج)... لكن ليس في (ريڤررَن) قَطُّ، حيث كانت لتجد اللورد هوستر إلى جوارها يُواسيها. لم يَحدُث، إلَّا إذا... إلَّا إذا كانت حاملًا في المرَّة الأولى إياها...

في اليوم نفسه تزوَّجت هي وأختها، ثم تُركَتا في عناية أبيهما حين غادرَ عريساهما لينضمَّا ثانيةً إلى ثورة روبرت، وبَعدها، عندما تأخَّر نزيفهما القمري عن موعده المعتاد، طفحَت لايسا سعادةً بالطِّفلين اللذين أيقنَت من حملهما إياهما، وقالت لها: «ابنكِ سيكون وريث (وينترفل) وابني وريث (العُش). أوه، سيكونان أقرب الأصدقاء، مِثل زوجكِ ند واللورد روبرت. سيكونان أخوين أكثر من ابنَيْ خالة، حقًّا، إنني واثقة». كم كانت سعيدةً.

لكن ما لبثَ دم لايسا أن جاءها، وتسرَّبت منها فرحتها كلُّها.

اعتقدَت كاتلين دومًا أن نزيف لايسا تأخَّر مدَّةً قصيرةً لا أكثر، لكن إذا كانت حُبلى وقتئذٍ...

تذكَّرت أول مرَّةٍ ناولَت أختها روب لتحمله. كان صغيرًا أحمر الوجه ولا يكفُّ عن البُكاء، لكن قويًّا حتى حينها، ومفعمًا بالحياة. حالما وضعَت كاتلين الرَّضيع بين ذراعَيْ أختها، انهمرَت الدُّموع على وجه لايسا وأسرعَت تُعيد الصَّغير إلى أمِّه وهرعَت مغادرةً.

إذا فقدَت طفلًا قبلها، فقد يُفَسِّر هذا كلام أبي، وأشياء أخرى كثيرة... لقد أُجريَت التَّرتيبات لقران لايسا باللورد آرن على عجلة، وچون كان رجلًا عجوزًا، حتى في ذلك الحين، يكبر أباهما سِنًّا بأعوام... عجوزًا بلا وريث. زوجتاه الأوليان تركَتاه بلا أطفال، وابن أخيه قُتِلَ مع براندون ستارك في (كينجز لاندنج)، وابن عمِّه الشُّجاع ماتَ في معركة الأجراس، وهو ما جعلَه

---

(1) الطِّفل الطَّبيعي مصطلح من القرون الوُسطى يُطلَق على الأولاد غير الشَّرعيِّين. (المترجم).

في حاجةٍ إلى زوجةٍ شابَّة في سبيل أن تستمرَّ عائلة آرن... زوجة شابَّة يثق بخصوبتها.

نهضَت كاتلين ووضعَت معطفًا على كتفيها، ونزلَت السَّلالم إلى الغُرفة الشَّمسيَّة المظلمة لتقف عند فِراش أبيها وقد ملأَها إحساس بالوَجل العاجز وهي تقول: «أبي، أبي، أعرفُ الذي فعلته». إنها لم تَعُد عروسًا بريئةً رأسها زاخر بالأحلام، بل أرملة وخائنة وأُم ثكلى وعليمة، عليمة بطبائع الحياة. همسَت: «لقد جعلته يأخذها. لايسا هي الثَّمن الذي كان على چون آرن أن يدفعه من أجل سيوف ورماح عائلة تَلي».

لا عجب أن زواج أختها كان خاليًا تمامًا من الحُب. آرن عائلة عظيمة الكبرياء وبالغة الاعتداد بشَرفها، وقد يكون اللورد چون قد تزوَّج لايسا ليُلزِم آل تَلي بالقتال في صفوف الثَّورة، وأملًا في إنجاب ابن، ولكن لا بُدَّ أنه كان من الصَّعب أن يُحِبَّ امرأةً جاءَت فِراشه ملوَّثةً مرغمةً. لا شَكَّ أنه عامَلها برفقٍ وأدَّى واجباته، لكن لايسا تحتاج إلى الدِّفء.

في اليوم التَّالي، بينما تتناوَل إفطارها، طلبَت كاتلين ورقةً وريشةً، وكتبَت رسالةً لأختها في (وادي آرن)، وصارعَت الكلمات وهي تحكي للايسا عن بران وريكون، لكن أغلب ما كتبَته كان عن أبيهما. تفكيره كلُّه في الذَّنب الذي اقترفَه في حقِّك، وقد أدركَ أن الوقت المتبقِّي له قصير، والمِايستر ڤايمان يقول إنه لا يجرؤ على إعطائه جُرعات أقوى من حليب الخشخاش. آنَ الأوان لأن يتخلَّى أبونا عن سيفه وتُرسه، آنَ الأوان لأن يستريح، لكنه ما زالَ يُقاوِم بشراسة ويأبى الاستسلام، وأعتقدُ أن هذا بسببكِ أنتِ. إنه في حاجةٍ إلى مغفرتكِ. أعلمُ أن الحرب جعلَت الطَّريق من (العُش) إلى (ريڤرن) محفوفًا بالمخاطر، لكن لا بُدَّ أن قوَّةً من الفُرسان يُمكنها أن تَعبُرَ بكِ (جبال القمر) بأمان، أليس كذلك؟ فليكونوا مئة رجلٍ أو ألفًا حتى. وإذا كنتِ لا تستطيعين المجيء، أفلن تكتُبي له على الأقل بضع كلمات محبةٍ كي يموت في سلام؟ اكتُبي ما تُريدين وسأقرأه له وأيسِّرُ طريق رحيله.

في اللَّحظة التي وضعَت فيها كاتلين الرِّيشة جانبًا وطلبَت شمع الختم، خامرَها إحساس بأن الرِّسالة واهية للغاية ومتأخِّرة للغاية، كما أن المِايستر ڤايمان لا يظنُّ أن اللورد هوستر سيبقى فترةً تكفي لأن يُحلِّق غُداف إلى

(العُش) ويعود... وإن كان قد قال هذا كثيرًا من قبل. رجال تَلي لا يستسلمون بسهولةٍ مهما ضَعُفَت الفُرص. بَعدما وضعَت الرَّقَّ في عناية المِايستر، ذهبَت كاتلين إلى السِّپت وأشعلَت شمعةً على مذبح (الأب في الأعالي) من أجل أبيها، وثانيةً لـ(العجوز) التي جلبَت الغُداف الأول إلى العالم عندما اختلسَت النَّظر من باب الموت، وثالثةً لـ(الأُم) من أجل لايسا وكلِّ الأطفال الذين فقدَتهم كلتاهما.

في وقتٍ لاحقٍ من اليوم نفسه، في أثناء جلوسها إلى جوار سرير اللورد هوستر، ومعها كتابٌ وجدَت نفسها تقرأ منه الفقرة ذاتها مرارًا، سمعَت أصواتًا عاليةً ونفيرًا يتردَّد، ففكَّرت مجفِلةً في الحال: السير روبن، لكن حين ذهبَت إلى النَّافذة رأت النَّهرين خاليَيْن، وإن جاءَتها الأصوات من الخارج بوضوح أكثر؛ دبيب خيولٍ كثيرة وصليل دروع وهتافات مرحة هنا وهناك. صعدَت كاتلين السَّلالم الملتفَّة إلى سطح الحصن قائلةً لنفسها: السير دزموند لم يمنعني من الصُّعود إلى السَّطح.

كانت الأصوات آتيةً من جانب القلعة البعيد، عند البوَّابة الرئيسة، حيث وقفَت جماعة من الرِّجال أمام الشَّبكة الحديد وهي ترتفع مهتزَّةً، وفي الحقول وراءها خارج القلعة كان مئات من الخيَّالة الذين رفرفَت راياتهم مع هبوب الرِّيح، فارتجفَت كاتلين راحةً لمرأى سمكة (ريفررَن) الوثَّابة. إدميور.

ساعتان مضتا قبل أن يتفضَّل بالمجيء إليها، فيما ارتفعَت أصوات من التأمَ شملهم عاليةً من كلِّ أرجاء القلعة، إذ احتضنَ الرِّجال نسوتهم وأطفالهم الذين فارَقوهم، ورأت كاتلين ثلاثة طيورٍ تُحلِّق من المِغدفة، وراقبَتها من شُرفة أبيها وهي تبتعد ضاربةً الهواء بأجنحتها السَّوداء. كانت قد غسلَت شَعرها وبدَّلت ثيابها وجهَّزت نفسها لتوبيخ أخيها... إلَّا أن الانتظار كان صعبًا.

حينما سمعَت الخُطوات خارج بابها أخيرًا، قعدَت وضمَّت يديها في حِجرها. كان الطَّمي الأحمر الجاف يُلوِّث حذاء إدميور وواقي ساقيه ومعطفه، ولا يدلُّ منظره البتَّة على أنه ربحَ معركته، بعوده النَّحيل ووجهه المسحوب ووجنتيه الممتقعتين ولحيته المشعثة وعينيه اللَّامعتيْن أكثر من المعتاد.

بقلقٍ قالت كاتلين: «إدميور، تبدو في حالٍ سيِّئة. هل حدثَ شيء؟ هل عبرَ جنود لانستر النَّهر؟».

قال: «صددتهم كلهم؛ اللورد تايوين وجريجور كليجاين وأدام ماربراند، دفعتهم إلى الانسحاب، لكن ستانيس...»، وبترَ عبارته بتجهُّم.

- «ستانيس؟ ماذا عن ستانيس؟».

أجابَ إدميور باستياء: «خسرَ المعركة في (كينجز لاندنج)، احترقَ أسطوله واندحرَ جيشه».

انتصار آل لانستر نبأ سيِّئ بالتَّأكيد، لكن كاتلين لم تستطع أن تُشارِك أخاها خيبة أمله الجليَّة، فهي لا تزال ترى في كوابيسها الظِّلَّ الذي شهدَته ينسلُّ في خيمة رنلي، والدِّماء التي تدفَّقت من واقي العُنق الفولاذي. «ستانيس ليس صديقًا لنا أكثر من اللورد تايوين».

قال إدميور: «لستِ تفهمين. (هايجاردن) أعلنَت تأييدها لچوفري، و(دورن) كذلك، الجنوب كله»، وتقلَّص فمه وهو يضيف: «وأنتِ رأيتِ أن إطلاق سراح قاتِل الملك فكرة سديدة. لم يكن لديكِ الحَق».

- «كان لديَّ حَقُّ الأمومة»، قالت بصوتٍ هادئ، على الرغم من أن خبر (هايجاردن) ضربة عنيفة لآمال روب، لكنها لا تقوى على التَّفكير في هذا الآن.

- «لم يكن لديكِ الحَق»، كرَّر إدميور. «إنه أسير روب، أسير ملككِ، وروب كلَّفني بالحفاظ على سلامته».

- «بريان ستُحافِظ على سلامته. لقد أقسمَت على هذا بسيفها».

- «تلك المرأة؟».

- «سوف تُوَصِّل چايمي إلى (كينجز لاندنج) وتُعيد آريا وسانزا إلينا آمنتيْن».

- «سرسي لن تتنازَل عنهما أبدًا».

- «ليس سرسي، بل تيريون. لقد أقسمَ على هذا أمام البلاط كلِّه، وقاتِل الملك أقسمَ أيضًا».

- «كلمة چايمي لا قيمة لها، أمَّا العِفريت فيُقال إن بلطةً أصابته في رأسه

خلال المعركة. سيموت قبل أن تَبلُغ فتاتكِ بِريان (كينجز لاندنج)، هذا إذا بلغَتها».

- «يموت؟». أمن الممكن أن تكون الآلهة بتلك القسوة؟ لقد جعلَت چايمي يحلف مئة يمين، لكن وعد أخيه هو ما علَّقت عليه آمالها.

قال إدميور وقد أعماه الحنق عن أساها: «چايمي كان عُهدتي أنا، وأنوي أن أستردَّه. لقد أرسلتُ غِدفانًا...».

- «غِدفانًا لمَن؟ كم؟».

- «ثلاثة، لأضمن أن تصل الرِّسالة إلى اللورد بولتون. نهرًا أو برًّا، لا بُدَّ أن يمرَّ بهم الطَّريق على مقربةٍ من (هارنهال)».

- «(هارنهال)». مجرَّد نُطق الكلمة بدا كأنه أظلمَ الغُرفة، وأفعمَ الهلع صوت كاتلين وهي تقول: «إدميور، أتدري ماذا فعلت؟».

- «لا تخافي، فلم أذكر دوركِ. كتبتُ فقط أن چايمي قد هربَ، وعرضتُ ألف تنِّين ذهبي لمن يقبض عليه».

فكَّرت كاتلين بيأس: أسوأ وأسوأ. أخي هذا أحمق. رغمًا عنها ودون أن تُريدها أغرقَت الدُّموع عينيها، وقالت بخفوت: «إذا كان هذا هروبًا وليس تبادُلًا للأسرى، فلِمَ يُعطي آل لانستر ابنتَيْ لبريان؟».

- «لن تصل الأمور إلى هذا الحَد أبدًا. قاتِل الملك سيُعاد إلينا، لقد تأكَّدتُ من هذا».

- «كلُّ ما تأكَّدت منه هو أني لن أرى ابنتَيْ ثانيةً. كانت بِريان لتُعيده إلى (كينجز لاندنج) سالمًا... ما دامَ لا أحد يُطارده، لكن الآن...». لم تستطع كاتلين المواصَلة، وقالت له: «اترُكني يا إدميور». إنها لا تملك الحَقَّ في أن تأمره، هنا في القلعة التي ستكون له عمَّا قريب، لكن نبرتها لم تدع مجالًا للجدل. «اترُكني لأبي وحُزني، فلم يَعُد لديَّ ما أقوله لك. اذهب، اذهب».

لا تُريد الآن إلَّا أن تستلقي وتُغلِق عينيها وتغيب في النَّوم، وتُصلِّي أن تنأى عنها الأحلام.



آريا

اتَّشحت السَّماء بالسَّواد كأسوار (هارنهال) من خلفهم، ونزلَ المطر بخفَّةٍ ثابتة ليسيل على وجوههم ويَكتُم وقع حوافر الخيول.

كانوا يتحرَّكون شمالًا، بعيدًا عن البُحيرة، سالكين طريقًا زراعيًّا كثير الحُفر، يمضي بين الحقول المجتثَّة نحو الغابات والنُّهيرات، وآريا في المقدِّمة تهمز حصانها المسروق، الذي راحَ يَخُبُّ بتهوُّرٍ لا يخلو من رشاقةٍ إلى أن تكاثفَت الأشجار من حولها، وقد سعى جندري وهوت پاي وراءها بأفضل ما في وسعهما، وصوت أنفاس الثَّاني الثَّقيلة لا يغيب عن مسامعها، بينما أخذَت الذِّئاب تعوي من بعيد. لم يتكلَّم أحد منهم، وبين الفينة والفينة تُلقي آريا نظرةً من فوق كتفها، لتتأكَّد من أن الصَّبيَّين لم يتخلَّفا كثيرًا عنها، وترى إن كان هناك مَن يُطارِدهم.

وهي تعلم أنهم مُلاحَقون حتمًا. لقد سرقَت ثلاثة أحصنةٍ من الاسطبلات، وخريطةً وخنجرًا من غُرفة رووس بولتون نفسه، وقتلَت حارسًا على بوَّابةٍ جانبيَّة، شقَّت حَلقه عندما انحنَى يلتقِط العُملة الحديد البالية التي أعطاها چاكِن هاجار إياها. سيجده أحدهم ميتًا غارقًا في دمه، وعندها سيعمُّ الصَّخب ويُوقِظون اللورد بولتون ويُمَشِّطون (هارنهال) من أقصاها إلى أقصاها، ولمَّا يفعلون سيجدون الخريطة والخنجر مفقودَيْن، ومعهما سيوف من مستودَع السِّلاح، والقليل من الخُبز والجُبنة من المطابخ، بالإضافة إلى مساعد خبَّاز وصبي حدَّاد وساقية اسمها نان... أو بنت عرس، أو آري، حسب مَن تسأله.

لن يُطارِدهم سيِّد (معقل الخوف) بنفسه، بل سيبقى رووس بولتون في الفِراش، تلتصِق العَلَقات ببشرته الشَّاحبة وهو يُعطي الأوامر بصوته الهامس

النَّاعم. قد يقود رجله والتون المطارَدة -ذلك المسمَّى ذو السَّاقين الفولاذ بسبب الواقييْن اللذين يرتديهما على ساقيه الطَّويلتين دائمًا- أو ربما المُريِّل ڤارجو هوت ومرتزقته الذين يُسَمُّون أنفسهم رِفقة الشُّجعان، بينما يُلَقِّبهم آخرون بالممثِّلين السَّفَّاحين -وإن لم يكن على مسامعهم أبدًا- وأحيانًا برجال الأقدام، لعادة اللورد ڤارجو في قطع أيدي وأقدام مَن يُثيرون استياءه.

سيُقَطِّع أيدينا وأرجُلنا إذا قبضوا علينا، وبَعدها سيَسلُخ رووس بولتون جلدنا. إنها لا تزال ترتدي ثياب الخدم، ورمز اللورد بولتون مخيَّط على الصَّدر فوق قلبها، رجل (معقل الخوف) المسلوخ.

كلما نظرَت وراءها توقَّعت أن ترى لهب المشاعل ينهمر من بوَّابات (هارنهال) البعيدة، أو يمتدُّ على قِممِ أسوارها الضَّخمة الشَّاهقة، لكن لم يكن هناك ما يُرى، وظلَّت (هارنهال) غافيةً حتى غابَت في الظَّلام ووارَتها الأشجار.

حين عبروا النُّهير الأول، انحرفَت آريا بحصانها وقادَتهما بعيدًا عن الطَّريق، فاتَّبعوا المجرى المتلوِّي مسافة رُبع ميل، قبل أن يَخرُجوا ويصعدوا إلى ضِفَّةٍ حجريَّة. أملَت أن يُساعِد هذا على تضليل مُطارديهم إذا أحضروا معهم كلابًا تتعقَّب رائحتهم، كما أنهم لا يستطيعون البقاء على قارعة الطَّريق. الموت على الطَّريق، الموت على الطُّرق كلِّها.

لم يُراجِعها جندري وهوت پاي في خيارها، فالخريطة معها هي في النِّهاية، كما بدا أن هلع هوت پاي منها -بَعد أن رأى الحارس الذي قتلَته- يكاد يُضاهي هلعه من الرِّجال الذين قد يكونون في أعقابهم، وهو ما جعلَها تقول لنفسها: الأفضل أن يخافني، هكذا سيفعل ما أقوله بدلًا من أن يتصرَّف بغباء.

تُدرِك أن من المفترَض أن تكون خائفةً أكثر، فهي مجرَّد فتاة في العاشرة من العُمر، فتاة نحيلة تمتطي حصانًا مسروقًا، من أمامها غابة مظلمة ومن ورائها رجال سيُسعِدهم أن يقطعوا قدميها، وعلى الرغم من هذا انتابَتها سكينة لم تَشعُر بها في (هارنهال) قَطُّ. كان المطر قد غسلَ أصابعها من دماء الحارس، وعلى ظَهرها سيف، والذِّئاب تجول في الظُّلمة كظلالٍ رماديَّةٍ عجفاء، وآريا ستارك ليست خائفةً. بمنتهى الخفوت همسَت الكلمات التي علَّمها سيريو فورل إياها: ضربة الخوف أمضى من السَّيف، ثم ردَّدت عبارة چاكن: ڤالار مورجولِس.

انقطعَ المطر فترةً ثم عادَ يَسقُط، وانقطعَ ثانيةً ثم واصلَ السُّقوط، لكن المعاطف التي يرتدونها ثقيلة وتقيهم من الماء. حافظَت آريا على حركتهم بطيئةً ثابتةً، فالظَّلام المُطبِق تحت الأشجار لا يسمح بحركةٍ أسرع، كما أن كلا الصَّبيَّين ليس بخيَّال، والأرض اللَّينة الوعرة خدَّاعة، ملأى بالجذور نِصف الدَّفينة والأحجار المخبوءة. عبروا طريقًا آخَر امتلأَت حُفره العميقة بالمياه الموحلة، لكن آريا اجتنبَته، وقادَت الولدين أعلى وأسفل التِّلال المتموِّجة، وخلال أدغال العُلَّيق والورد البرِّي والشُّجيرات المتشابكة، وعبر قيعان أخاديد ضيِّقة فيها أغصان أثقلَتها الأوراق المبتلَّة، راحَت تصفعهم على وجوههم وهُم يَمُرُّون.

انزلقَت فَرس جندري مرَّةً في الوحل، وسقطَت على عجيزتها بعُنفٍ فأسقطَته بدوره من فوق سَرجه، لكن لا الحصان ولا راكبه تأذَّى، وتصدَّرت ملامح جندري النَّظرة العنيدة إياها وهو يُعاوِد الرُّكوب من فوره، وبَعدها بفترةٍ قصيرة لاقوا ثلاثة ذئاب تلتهم جُثَّة ظبيٍ صغير، فنكصَ حصان هوت پاي فزعًا لمَّا التقطَ رائحتها ولاذَ بالفرار. اثنان من الذِّئاب فَرَّا كذلك، لكن الثَّالث رفعَ رأسه وكشَّر عن أنيابه استعدادًا للدِّفاع عن فريسته، فقالت آريا لجندري: «تراجَع ببُطءٍ كي لا تُجفِله»، وانسحبَ الاثنان بحصانيهما بتؤدةٍ حتى غابَ الذِّئب ووليمته عن نظرهما، وعندها فقط دارَت آريا لتنطلق وراء هوت پاي، الذي تمسَّك بسَرجه بيأسٍ وفروع الشَّجر تلطمه.

فيما بَعد مَرُّوا من قريةٍ محترقة، شاقِّين طريقهم بحرصٍ بالغٍ بين أطلال الأكواخ المسودَّة وجثامين دستةٍ من الرِّجال المشنوقين على صَفٍّ من أشجار التُّفَّاح. رفعَت آريا ناظريها تتطلَّع إلى الأموات المهزولين في ثيابهم المتعفِّنة المبتلَّة، وردَّدت صلاتها: السير جريجور، دانسن، پوليڤر، راف المعسول، المُدغدِغ وكلب الصَّيد، السير إلين، السير مرين، الملك چوفري، الملكة سرسي، وختمَتها بعبارة ڤالار مورجولس وهي تمسُّ عُملة چاكن المستقرَّة تحت حزامها، ثم إنها مدَّت يدها واقتطفَت تُفَّاحةً من بين الموتى وهي تمرُّ أسفلهم، تُفَّاحةً طريَّةً ناضجةً أكثر من اللَّازم، لكنها التهمَتها ببذورها ودودها.

كان هذا في اليوم الذي لم يطلع فَجره.

رُويدًا أضاءَت السَّماء من حولهم، لكنهم لم يروا الشَّمس مطلقًا، واستحالَ

الأسود إلى رمادي، وعادَت الألوان تَصبُغ العالم على استحياء، فاكتسى شجر الصَّنوبر الجُندي بالأخضر الدَّاكن، والأشجار عريضة الأوراق بدرجاتٍ من الخمري والذَّهبي الباهت اللذين بدآ في التَّحوُّل إلى البنِّي بالفعل. توقَّفوا فترةً تكفي لسقي الخيول وتناوُل إفطارٍ باردٍ سريع، متقاسمين رغيف الخُبز الذي سرقه هوت پاي من المطابخ وقِطَعًا من الجُبنة الصَّفراء الجامدة.

سألَها جندري: «هل تعرفين أين سنذهب؟».

رَدَّت آريا: «شمالًا».

تطلَّع هوت حوله بحيرةٍ وتساءلَ: «أين الشَّمال؟».

أشارَت بِقطعة الجُبنة في يدها مجيبةً: «من هنا».

- «لكن الشَّمس غائبة، فكيف تعرفين؟».

- «من الطَّحالب. أترى كيف تنمو غالبًا على جانبٍ واحدٍ من الأشجار؟ هذا هو الجنوب».

استفسرَ جندري: «وماذا نُريد في الشَّمال؟».

أجابَته: «(الثَّالوث)»، وبسطَت الخارطة المسروقة لتُريهما مردفةً: «انظُرا، بمجرَّد أن نَبلُغ (الثَّالوث)، فما علينا إلَّا أن نمضي في اتِّجاه منبعه حتى نصل إلى (ريڤررَن)، هنا»، وتعقَّبت الطَّريق بإصبعها مواصلةً: «إنه طريق طويل، لكن لا يُمكن أن نضلَّه، شريطة أن نتَّبع مجرى النَّهر».

حدَّق هوت پاي إلى الخارطة متسائلًا: «وأين (ريڤررَن)؟».

كانت (ريڤررَن) مرسومةً كبُرج قلعةٍ عند مُلتقى الخطَّين الأزرقين المُنسابيْن اللذين يُمَثِّلان نهرَيْ (الجُلمود) و(الفرع الأحمر)، فمَسَّتها آريا قائلةً: «هنا. مكتوب (ريڤررَن)».

سألَها بذهولٍ كأنها قالت إنها تستطيع المشي على الماء: «يُمكنكِ قراءة المكتوب؟».

أومأَت برأسها إيجابًا، وقالت: «سنكون آمنين حالما نَبلُغ (ريڤررَن)».

- «حقًّا؟ لماذا؟».

أرادَت أن تقول: لأنها قلعة جَدِّي، وأخي روب سيكون هناك، لكنها عضَّت شفتها وطوَت الخارطة قائلةً: «سنكون آمنين فحسب، بشرط أن نصل إلى هناك»، ثم سبقَتهما إلى امتطاء حصانها وقد راودَها إحساس بالكدر

لأنها أخفَت الحقيقة عن هوت پاي... إلَّا أنها لا تستطيع ائتمانه على سِرِّها. صحيحٌ أن جندري يعرف، لكن تلك مسألة أخرى، فجندري أيضًا لديه سِر، وإن كان يبدو أنه هو نفسه يجهله.

يومها سرَّعت آريا حركتهم، جاعلةً الخيول تخبُّ قَدر ما جرؤَت، وأحيانًا تدفعها إلى الرَّكض عندما تلمح حقلًا مسطَّحًا أمامهم، وإن لم يَحدُث هذا كثيرًا، إذ أخذَت الآكام تزداد كلما تقدَّموا، وعلى الرغم من أنها ليست عاليةً كثيرًا، ولا منحدِرةً لهذه الدَّرجة، فقد بدَت بلا نهاية، وسرعان ما انتابَهم السَّأم من كثرة الصُّعود والنُّزول، ووجدوا أنفسهم يتَّبعون تضاريس الأرض كيفما اتَّفق، يمضون بمحاذاة الجداول الصَّغيرة ويَعبُرون تيهًا من الأودية الغابيَّة الضَّحلة صنعَت فيها الأشجار مظلَّةً متينةً من فوقهم.

بين الحين والآخر كانت تجعل هوت پاي وجندري يُواصِلان الطَّريق ريثما تعود هي أدراجها في محاولةٍ لتشويش أثرهم، وقد أرهفَت سمعها لالتقاط أول صوتٍ يدلُّ على اقتراب مُطارديهم. قالت لنفسها وهي تمضغ شفتها: حركتنا بطيئة للغاية، سيقبضون علينا بالتَّأكيد.

في مرَّة، من على قمَّة أخدود، لمحَت أشباحًا داكنةً تَعبُر الجدول في الوادي الذي وراءهم، وبين نبضة قلب وأخرى خشيَت أن خيَّالة رووس بولتون أدركوهم، ولكن حين نظرَت ثانيةً تبيَّنت أنه قطيع ذئاب، فضمَّت يديها حول فمها وحيَّتها بعُوائها: «آووووووووو! آووووووووو!»، وعندما رفعَ أكبر الذِّئاب حجمًا رأسه وردَّ التَّحيَّة، بَثَّ الصَّوت القشعريرة في جسد آريا.

بدأ هوت پاي يشتكي مع انتصاف النَّهار، وقال لهما إن مؤخِّرته تُؤلمه، كما أن طول الجلوس على السَّرج أصابَ ما بين ساقيه بالتَّسلُّخات، ناهيك بأنه يحتاج إلى القليل من النَّوم، وأضافَ: «إنني متعَب لدرجة أني سأسقطُ من على حصاني».

نظرَت آريا إلى جندري قائلةً: «مَن تحسبه سيَعثُر عليه أولًا إذا سقطَ؟ الذِّئاب أم الممثِّلون؟».

أجابَ الصَّبي: «الذِّئاب، فأنوفها أقوى».

فتحَ هوت پاي فمه وأغلقَه، ولم يَسقُط من على حصانه.

عادَ المطر ينزل بَعد فترةٍ قصيرة، وما زالوا لم يروا بصيصًا من الشَّمس،

وبدأ البرد يشتدُّ، على حين زحفَت خيوط من الضَّباب الأبيض الشَّاحب بين أشجار الصَّنوبر ودفعَتها الرِّيح فوق الحقول المحروقة القاحلة.

بدا كأن معاناة جندري لا تقلُّ كثيرًا عن هوت پاي، وإن كان أكثر عنادًا من أن يشكو، وقد جلسَ بغير راحةٍ فوق سَرجه، وعلى وجهه نظرة عازمة تحت شَعره الأسود الأشعث، لكن آريا أدركَت أنه لا يُجيد الرُّكوب، وقالت لنفسها: كان عليَّ أن أتذكَّر. إنها معتادة على ركوب الخيل منذ نعومة أظفارها، المهور وهي صغيرة، والأحصنة الكبيرة فيما بَعد، أمَّا جندري وهوت پاي فمن مواليد المدينة، وفي المُدن يمشي العامَّة. لقد أعطاهم يورن دوابَّ عندما أخذَهم من (كينجز لاندنج)، لكن ركوب حمارٍ والتَّهادي على (طريق الملوك) وراء عربةٍ شيء، وقيادة حصان صيدٍ عبر الغابات البرِّيَّة والحقول المحروقة شيء آخَر.

تعلم آريا أنها تستطيع أن تقطع مسافةً أطول في وقتٍ أقصر لو كانت بمُفردها، ولكن لا يُمكنها أن تتخلَّى عنهما. إنهما قطيعها، صديقاها، آخِر مَن تبقَّى لها حيًّا من أصدقائها كلِّهم، ولولاها لكانا ما زالا آمنيْن في (هارنهال)، جندري يكدح في ورشته وهوت پاي في المطابخ. إذا قبضَ علينا الممثِّلون، سأقولُ لهم إنني ابنة ند ستارك وأخت الملك في الشَّمال. سآمرهم بأن يأخذوني إلى أخي وألَّا يؤذوا هوت پاي وجندري. لكنهم قد لا يُصَدِّقونها، وحتى إذا فعلوا... اللورد بولتون حامِل راية أخيها، نعم، لكنه يظلُّ يُخيفها كثيرًا. مدَّت يدها وراء ظَهرها تمسُّ مِقبض السَّيف الذي سرقَه جندري لها، وتعهَّدت لنفسها بصمت: لن أدعهم يأخذوننا، لن أسمح لهم.

في أواخر أصيل هذا اليوم خرجوا من تحت الأشجار ووجدوا أنفسهم على ضفَّة نهر، فأطلقَ هوت پاي صيحة سرور، وقال: «(الثَّالوث)! كلُّ ما علينا الآن أن نمضي في اتِّجاه المنبع كما قُلتِ. إننا على وشك الوصول!».

مضغَت آريا شفتها ورَدَّت: «لا أظنُّه (الثَّالوث)». صحيحٌ أن هذا النَّهر طامٌّ بمياه الأمطار، لكن عرضه لا يُمكن أن يتجاوَز الثَّلاثين قدمًا، وهي تَذكُر أن (الثَّالوث) أعرض كثيرًا. «إنه أصغر من أن يكون هو، كما أننا لم نقطع مسافةً كافيةً».

قال هوت پاي بإصرار: «بل قطعنا. إننا راكبون منذ بداية النَّهار، وبالكاد توقَّفنا. لا بُدَّ أننا قطعنا مسافةً طويلةً».

قال جندري: «لنُلقِ نظرةً أخرى على الخريطة».

ترجَّلت آريا وأخرجَت الخريطة وبسطَتها، فطقطقَ المطر على جِلد الغنم المصنوعة منه وسالَ في نُهيراتٍ دقيقة، بينما قالت آريا مشيرةً والصَّبيَّان يَنظُران من فوق كتفيها: «أعتقدُ أننا في مكانٍ ما هنا».

قال هوت پاي: «لكن... كأننا لم نبتعِد على الإطلاق. انظُري، ها هي (هارنهال) عند إصبعكِ، تكادين تلمسينها، ونحن راكبون منذ بداية النَّهار!».

- «ما زالت أمامنا أميال وأميال قبل أن نَبلُغ (الثَّالوث)، ولن يكون ذلك قبل أيام. لا بُدَّ أن هذا نهر آخَر، واحد من هذه، انظُر»، وأرَته عددًا من الخطوط الزَّرقاء الرَّفيعة التي رسمَها صانع الخرائط، وتحت كلٍّ منها اسم مكتوب بخَطٍّ نضيد. «(الداري)، (التُّفَّاحة الخضراء)، (العذراء)... هنا، هذا النَّهر، قد يكون (الصَّفصافة الصَّغيرة)».

نقلَ هوت پاي بصره بين الخَطِّ والنَّهر، وقال: «لا يبدو بهذا الصِّغر».

قطَّب جندري وجهه قائلًا: «الذي تُشيرين إليه يصبُّ في نهرٍ آخَر، انظُري».

ردَّدت المكتوب: «(الصَّفصافة الكبيرة)».

- «(الصَّفصافة الكبيرة)، نعم، والذي يصبُّ في (الثَّالوث)، أي أن علينا أن نتبع نهرًا إلى آخَر، وإنما في اتِّجاه المصب وليس المنبع، لكن إذا لم يكن هذا النَّهر (الصَّفصافة الصَّغيرة) وكان هذا الآخَر هنا...».

قرأت آريا: «(الغدير الرَّقراق)».

قال متتبِّعًا الخَطَّ بإصبعه: «إنه يدور ويتدفَّق صوب البُحيرة، في اتِّجاه (هارنهال)».

صاحَ هوت پاي بعينين متَّسعتين: «لا! سيقتلوننا بالتَّأكيد!».

أعلنَ جندري بصوتٍ يجيش بالعناد: «يجب أن نعرف أيُّ نهرٍ هذا، يجب».

- «لكننا لا نعرفه». قد تضمُّ الخريطة أسماء مكتوبةً عند الخطوط الزَّرقاء، لكن أحدًا لم يُعلِّق لافتةً عند الضِّفَّة عليها اسم النَّهر. هكذا طوَت آريا الخريطة قائلةً وقد حزمَت أمرها: «لن نمضي في اتِّجاه المنبع أو المصب. سنَعبُر ونُواصِل الحركة شمالًا كما نفعل من البداية».

تساءلَ هوت پاي: «هل تستطيع الخيول السِّباحة؟ إنه يبدو عميقًا يا آري. ماذا لو أن هناك ثعابين؟».

وسألَها جندري: «أأنتِ واثقة بأننا ذاهبون شمالًا؟ كلُّ هذه التِّلال... إذا دُرنا خطأً...».

- «الطَّحالب على الأشجار...».

أشارَ إلى شجرةٍ قريبة قائلًا: «هذه الشَّجرة عليها طحالب من ثلاثة اتِّجاهات، وهذه التي بَعدها لا طحالب عليها على الإطلاق. ربما نكون ضائعين ونمضي في دوائر لا أكثر».

قالت آريا: «ربما، لكني سأعبرُ النَّهر على كلِّ حال. يُمكنكما المجيء أو البقاء هنا»، وعادَت تمتطي حصانها متجاهلةً إياهما. إذا كانا لا يُريدان أن يتبعاها، فليجدا (ريفرزن) وحدهما، وإن كان الغالب أن الممثِّلين هُم من سيجدونهما.

اضطرَّت لأن تركب نِصف ميلٍ كاملًا بمحاذاة الضِّفَّة، قبل أن تَعثُر أخيرًا على بُقعةٍ تبدو صالحةً لعبورٍ آمن، وحتى هناك تهيَّب حصانها من النُّزول إلى الماء. أيًّا كان اسمه، فالنَّهر يجري سريعًا ولونه البنِّي يدلُّ على امتلائه بالطَّمي الزَّلق، وقد ارتفعَ الماء عند الجزء العميق في منتصَفه ليغمر بطن الحصان. ملأت المياه حذاء آريا، لكنها واصلَت التَّقدُّم وخرجَت من الضِّفَّة الأخرى، ومن ورائها سمعَت صوت تناثُر الماء وفَرسًا تصهل بعصبيَّة، ففكَّرت: تبعاني إذن، عظيم، والتفتَت تُشاهِد بينما كافحَ الصَّبيَّان للعبور حتى خرجا إلى جوارها والماء يَقطُر منهما، فقالت: «هذا ليس (الثَّالوث)، ليس هو».

النَّهر التَّالي كان أضحل وخوضه أسهل، لكن بدوره لم يكن (الثَّالوث)، ولم يُجادِلها أحدهما حين قالت إن عليهم العبور.

كان الغَسق يترسَّب في الأجواء عندما توقَّفوا ثانيةً كي ترتاح الخيول ويتقاسَموا وجبةً أخرى من الخُبز والجُبنة، وقال هوت پاي متذمِّرًا: «إنني أرتجفُ من البرد والبلل. مؤكَّد أننا بعيدون كثيرًا عن (هارنهال) الآن. يُمكننا أن نُشعِل نارًا...».

صاحَت آريا وجندري في اللحظة ذاتها: «لا!»، فجفلَ هوت پاي بعض الشَّيء، ورمقَت آريا جندري بنظرةٍ جانبيَّة. قالها معي، كما كان چون يفعل ونحن في (وينترفل). إنها لا تفتقِد من بين إخوتها كلِّهم أحدًا أكثر من چون سنو.

سألَ هوت پاي: «أيُمكننا أن ننام على الأقل؟ إنني متعَب للغاية يا آري، ومؤخِّرتي تُؤلِمني. يبدو أني مصاب بقروح».

- «ستُصاب بأكثر من هذا إذا قبضوا عليك. يجب أن نُواصِل الحركة، يجب».

- «لكن الظَّلام يكاد يحلُّ بالكامل، ولا يُمكنكِ أن تري القمر».

- «اركب حصانك».

وجدَت آريا إرهاقها البالغ يُثقِلها مع حركتهم الوئيدة في الضَّوء الذي أخذَ يَخفُت من حولهم. إنها في حاجةٍ إلى النَّوم مِثل هوت پاي تمامًا، لكنهم لا يَجسُرون على الخلود إلى النَّوم، فقد يفتحون أعيُنهم ليجدوا ڤارجو هوت واقفًا فوق رؤوسهم، ومعه شاجويل المهرِّج وأورزويك الوفي وروورچ والعضَّاض والسِّپتون أوت وبقيَّة وحوشه.

لكن بَعد فترةٍ باتَ لحركة حصانها أثر هزهزة المهد، وشعرَت آريا بجفنيها يَثقُلان، فتركَت عينيها تنغلقان بُرهةً، ثم أسرعَت تفتحهما مجدَّدًا، وصرخَت في نفسها بصمت: لا يُمكنني أن أنام، لا يُمكنني، لا يُمكنني. كوَّرت قبضتها وفركَت عينيها بمفاصل أصابعها بقوَّةٍ وهي تُطبِق على العِنان بإحكام وتهمز حصانها دافعةً إياه إلى الهرولة، لكن لا هي ولا الحصان استطاعَ احتمال الانطلاق طويلًا، وخلال دقائق قليلة عادا إلى المشي البطيء، وبَعد بضع دقائق أخرى انغلقَت عيناها ثانيةً، وهذه المرَّة لم تنفتِحا بالسُّرعة نفسها.

وحينما فتحَتهما وجدَت الحصان متوقِّفًا يقضم من العُشب، بينما يهزُّ جندري ذراعها قائلًا: «لقد نمتِ».

- «كنتُ أريحُ عينَيْ لا أكثر».

- «كنتِ تُريحينهما وقتًا طويلًا إذن. حصانكِ كان يمشي في دائرة، لكني لم أدرك أنكِ نائمة حتى توقَّف. هوت پاي حاله لا تقلُّ سوءًا. لقد ارتطمَ بفرع شجرةٍ وسقطَ، وكان يُفترَض أن تسمعي صياحه، لكن حتى هذا لم يُوقِظكِ. لا بُدَّ أن تتوقَّفي وتنامي».

قالت متثائبةً: «يُمكنني الاستمرار بقَدر ما يُمكنك».

- «كاذبة. استمرِّي إذا أردتِ التَّصرُّف بغباء، أمَّا أنا فسأتوقَّفُ. سأتولَّى المناوَبة الأولى، ونامي أنتِ».

- «وماذا عن هوت پاي؟».

أشارَ جندري، فرأت هوت پاي يفترش الأرض بالفعل، وقد تكوَّر على نفسه تحت معطفه على فِراشٍ من الأوراق الرَّطبة، وراحَ يغطُّ بصوتٍ خافتٍ وفي قبضته قطعة كبيرة من الجُبنة، فيبدو أن النَّوم غلبَه وهو يأكل.

أدركَت آريا أن لا جدوى من الجدل، فجندري على حَق، وقالت لنفسها آملةً أن يكون هذا صحيحًا: الممثِّلون أيضًا سيحتاجون إلى النَّوم. كانت مجهَدةً لدرجة أن مجرَّد النُّزول من فوق السَّرج كان معاناة، لكنها تذكَّرت أن تربط حصانها قبل أن تجد بُقعةً أسفل شجرة زان. أحسَّت برطوبة الأرض وصلابتها، وتساءلَت متى ستنام في سرير ثانيةً وتأكل طعامًا ساخنًا وتحسُّ بدفء النَّار. آخِر شيءٍ فعلَته قبل أن تَنغلق عيناها أنها أخرجَت سيفها ووضعَته إلى جوارها، وهمسَت متثائبةً: «السير جريجور، دانسن، پوليڤر، راف المعسول، المُدغدِغ و... المُدغدِغ... كلب الصَّيد...».

أحلامها كانت حمراء ضاريةً، وفيها كان الممثِّلون، أربعة منهم على الأقل؛ لايسيني شاحب، وحامِل فأسٍ وحشي أسود البشرة من (إيب)، والدوثراكي سيِّد الخيول ذو النُّدوب المسمَّى إيجو، والدورني الذي لم تعرف اسمه قَطُّ. تقدَّموا وتقدَّموا في المطر مرتدين الجِلد المبتلَّ والقمصان المعدنيَّة التي زحفَ عليها الصَّدأ، تخبط سيوفهم وفؤوسهم السُّروج فيعلو رنينها. أدركَت بيقين الأحلام الجَمِّ الغريب أنهم يُطارِدونها... لكنهم مخطئون.

إنها هي التي تُطارِدهم.

في الحُلم لم تكن فتاةً صغيرةً، بل ذئبة، ذئبة قويَّة ضخمة، وحينما خرجَت من بين الأشجار أمامهم وكشفَت أسنانها مُصدرةً زمجرةً كهديرٍ واطئ، اشتمَّت رائحة الخوف الزَّنخة من الخيول والرِّجال في آنٍ واحدٍ. تراجعَ حصان اللايسيني وصرخَ رُعبًا، وزعقَ الآخَرون في بعضهم بعضًا بلُغة بني الإنسان، لكن قبل أن يستطيعوا اتِّخاذ خطوةٍ واحدة، انبثقَت الذِّئاب الأخرى من قلب الظَّلام والمطر، قطيع صامت عظيم من الأجسام الضَّاوية المبتلَّة.

كان القتال قصيرًا لكن داميًا. سقطَ الرَّجل المُشعِر وهو يستلُّ فأسه، والأسود ماتَ وهو يُثبِّت سهمًا في وتر قوسه، أمَّا الشَّاحب القادم من (لِيس) فحاولَ الفِرار، لِكن إخوتها وأخواتها داهَموه من كلِّ اتِّجاهٍ قاطعين عليه

كلَّ السُّبل، ونهشوا قوائم الحصان قبل أن يُمَزِّقوا عُنق راكبه عندما سقطَ كالجُلمود.

ذو الأجراس وحده ظَلَّ صامدًا، ورفسَ حصانه إحدى أخواتها في رأسها، وشطرَ أخرى إلى نِصفين بمخلبه الفضِّي المعقوف، بينما أخذَ شَعره يرنُّ بنعومة.

ووثبَت على ظَهره مشتعلةً غضبًا، فدفعَته من فوق السَّرج ليقع إلى الأمام، وانغلقَ فَكَّاها على ذراعه إذ سقطا، فغاصَت أسنانها في الصُّوف والجلد واللَّحم الطَّري، ولمَّا ارتطما بالأرض لوَت رأسها بمنتهى العُنف منتزعةً الذِّراع من الكتف، وبنشوةٍ أخذَت تهزُّها بفمها ناثرةً القطرات الحمراء الدَّافئة في سواد المطر البارد.





تيريون

استيقظَ على صرير مِفصلات الباب الحديد القديمة.

قال بصوتٍ كنقيق الضَّفادع: «مَن؟». على الأقل استعادَ صوته، حتى وإن كان غليظًا خشنًا، لكنه لا يزال محمومًا، ولا فكرة لديه عن السَّاعة. كم نامَ هذه المرَّة؟ يا لهذا الضَّعف الذي يجتاحه، ضَعف شديد بغيض. بصوتٍ أعلى نادى ثانيةً: «مَن؟»، وانسابَ ضوء مشعلٍ من الباب المفتوح، أمَّا في داخل الغُرفة فمصدر الضَّوء الوحيد كان شمعةً محتضرةً إلى جوار فِراشه.

ارتجفَ تيريون حين رأى جسمًا يتحرَّك نحوه. ما مِن أحدٍ من الخدم هنا في (حصن ميجور) لم تشترِ الملكة ذِمَّته، وهو ما يعني أن أيَّ زائرٍ قد يكون واحدًا آخَر من مأجوري سرسي، أرسلَته ليُنهي ما بدأه السير ماندون.

ثم خطا الرَّجل إلى ضوء الشَّمعة، وألقى نظرةً طويلةً على وجه القزم الممتقع، ثم أطلقَ ضحكةً مكتومةً وقال: «هل جرحت نفسك وأنت تحلق؟».

ارتفعَت أصابع تيريون إلى الجرح البليغ الذي يمتدُّ من تحت عينه اليُسرى إلى فَكِّه عبر ما تبقَّى مِن أنفه، فوجدَ اللَّحم الدَّافئ ما زالَ مسحوجًا لم يلتئِم، وأجابَ: «نعم، بموسًى كبيرٍ مخيف».

كان شَعر برون الفاحم مَغسولًا ومصفَّفًا بحيث ينسحِب إلى الوراء بعيدًا عن قسمات وجهه القاسية، وقد انتعلَ حذاءً طويل الرَّقبة من الجلد الطَّري المزركَش، وتمنطقَ بحزامٍ عريض مطعَّم بشذراتٍ من الفضَّة، ولبسَ معطفًا من الحرير الأخضر الفاتح، وعلى سُترته الضيِّقة المصنوعة من الصُّوف الرَّمادي الدَّاكن طُرِّزَت بشكلٍ مائلٍ سلسلة متَّقدة بخيطٍ أخضر بارق.

سألَه تيريون بلهجةٍ آمرة: «أين كنت؟ لقد طلبتك... لا بُدَّ أن هذا كان منذ أسبوعين».

أجابَ المرتزق: «منذ أربعة أيام بالأحرى، وقد جئتُ مرَّتين بالفعل فوجدتك مستغرقًا في النَّوم كأنك ميت».

- «لم أمُت، مع أن أختي الجميلة حاولَت». ربما لم يكن يَجدُر به أن يقول هذا بصوتٍ مسموع، لكن تيريون تعدَّى مرحلة الاهتمام، ويعرف في أعماقه أن سرسي كانت وراء محاوَلة السير ماندون قتله. «ما هذا الشَّيء القبيح على صدرك؟».

قال برون بابتسامةٍ واسعة: «رمز الفُروسيَّة الخاص بي، سلسلة مشتعلة بالأخضر على خلفيَّةٍ من الرَّمادي الدُّخاني. إنني الآن السير برون فارس (النَّهر الأسود) بأمرٍ من السيِّد والدك أيها العِفريت، فلا تنسَ هذا».

وضعَ تيريون يديه على حشيَّة الفِراش المتخَمة بالرِّيش، ودفعَ نفسه إلى الوراء بضع بوصات ليُسنِد ظهره إلى الوسائد، وقال: «أنا من وعدَك بالفُروسيَّة، هل تَذكُر؟». لم ترُقه عبارة «بأمرٍ من السيِّد والدك» هذه على الإطلاق. اللورد تايوين لم يُبدِّد وقتًا، وكان نقلَه ابنه من (بُرج اليد) والاستحواذ عليه لنفسه رسالةً يستطيع أن يقرأها الجميع، وبرون رسالة أخرى. قال بصوتٍ مفعم بالمرارة: «أفقدُ نِصف أنفي وتَحصُل أنت على الفُروسيَّة. على الآلهة أن تُكَفِّر عن أشياء كثيرة. هل نصَّبك أبي بنفسه؟».

- «لا. مَن نجوا منا مِن القتال عند بُرجي الأوناش مرخَهم السِّپتون الأعلى بالزُّيوت المقدَّسة ونصَّبهم رجال الحَرس الملكي. استغرقَ الأمر نِصف اليوم اللَّعين في وجود ثلاثةٍ فقط من السُّيوف البيضاء للقيام بالتَّكريم».

- «أعرفُ أن السير ماندون ماتَ في المعركة». دفعَه پود في النَّهر قبل طرفة عينٍ من إغماد الوغد الخائن سيفه في قلبي. «مَن فقدنا سِواه؟».

أجابَ برون: «كلب الصَّيد. لم يَمُت لكنه رحلَ. ذوو المعاطف الذَّهبيَّة يقولون إن الجُبن أصابَه، فقُدت أنت غارةً بدلًا منه».

لم تكن فكرةً سديدةً. أحسَّ تيريون بنسيج نُدوبه يتمدَّد بشدَّةٍ حين قطَّب وجهه، وأشارَ لبرون بالجلوس قائلًا: «أختي تحسبني حبَّة فِطر، تُبقيني في الظَّلام وتُطعِمني الخراء. پود صبيٌّ طيِّب، لكن في لسانه عُقدة بحجم

(كاسترلي روك)، ولستُ أثقُ بنِصف ما يُخبِرني به. أرسلته لإحضار السير چاسلين، فعادَ وقال لي إنه ماتَ».

قال برون وهو يجلس: «هو وألف غيره».

سألَه تيريون شاعرًا بغثيانٍ شديد: «كيف؟».

- «خلال المعركة. ما سمعته أن أختك أرسلَت الإخوة كِتلبلاك لإعادة الملك إلى (القلعة الحمراء)، ولمَّا رآه ذوو المعاطف الذَّهبيَّة يُغادِر، قرَّر نِصفهم أن يُغادِر معه، فاعترضَ ذو القبضة الحديد طريقهم وحاولَ أن يأمرهم بالعودة إلى الأسوار. يقولون إن بايووتر عنَّفهم بمنتهى القوَّة وكان على وشك إقناعهم بالتَّراجُع، عندما غرسَ أحدهم سهمًا في عُنقه. لم يبدُ مخيفًا عندئذٍ، فجَرُّوه من فوق حصانه وقتَلوه».

دين آخَر في عُنق سرسي. «ابن أختي، چوفري، هل أحاقَ به خطر ما؟».

- «أكثر من قلائل وأقلَّ من الأكثريَّة».

- «هل طالَه أذى؟ أصابَه جرح؟ أفسدَ تصفيفة شَعره أو خبطَ إصبع قدمه الصَّغير وكسرَ ظُفره؟».

- «ليس على حَدِّ علمي».

- «لقد حذَّرتُ سرسي مما سيَحدُث. مَن يقود ذوي المعاطف الذَّهبيَّة الآن؟».

- «السيِّد والدك أعطاهم لأحد رجاله الغربيِّين، فارس ما اسمه أدام ماربراند».

في معظم الأحوال كان ذوو المعاطف الذَّهبيَّة ليستاءوا من وجود رجل أجنبيٍّ على رأسهم، لكن السير أدام ماربراند اختيار حصيف حقًّا، فهو -مِثل چايمي- من هذا النَّوع من الرِّجال الذين يرغب الآخَرون في اتِّباعهم. فقدتُ حَرس المدينة إذن. قال: «أرسلتُ پود يبحث عن شاجا، لكن الحَظَّ لم يُحالِفه».

- «ما زالَ رجال الغِربان الحجريَّة في (غابة الملوك)، فيبدو أن المكان استهوى شاجا كثيرًا، أمَّا تيميت فعادَ بالرِّجال المحروقين إلى ديارهم ومعهم كلُّ الغنائم التي استولوا عليها من معسكَر ستانيس بَعد انتهاء القتال، وبالنِّسبة لتشلا فقد ظهرَت مع دستةٍ من الآذان السَّوداء عند (بوَّابة النَّهر) ذات صباح،

لكن رجال أبيك ذوي المعاطف الحمراء طرَدوهم بينما رماهم أهل المدينة بروث البهائم وهلَّلوا».

يا لنُكران الجميل. لقد ماتَ رجال الآذان السوّداء من أجلهم. بينما استلقى تيريون مخدَّرًا يَحلُم، كان لحمه ودمه ينتزعون مخالبه واحدًا واحدًا. «أريدك أن تذهب إلى أختي. ابن سرسي الغالي خرجَ من المعركة دون أن يُصيبه خدش، فلم تَعُد بها حاجة إلى رهينة. لقد أقسمَت أن تُطلِق سراح ألايايا بمجرَّد...».

- «أطلقَت سراحها بالفعل، منذ ثمانية أو تسعة أيام، بَعد الجَلد».

دفعَ تيريون نفسه إلى أعلى متجاهلًا طعنة الألم المفاجئة في كتفه، ورَدَّد: «الجَلد؟».

- «قيّدوها إلى قائمٍ في السَّاحة وجلَدوها بالسِّياط، ثم زَجُّوها من البوَّابة وهي عارية دامية».

كانت تتعلَّم القراءة. بدا الخاطِر سخيفًا لتيريون، وأحسَّ بشَدَّة النَّدبة عبر وجهه، وبرأسه يكاد ينفجر من فرط الغيظ. أي نعم ألايايا عاهرة، لكنه نادرًا ما التقى فتاةً أكثر منها عذوبةً أو شَجاعةً أو براءةً. إنه لم يمسَّها قَطُّ، إذ لم تكن أكثر من ستارٍ لإخفاء شاي، لكن رُعونته أنسَته أن يُفَكِّر في الثَّمن الذي سيُكَلِّفها هذا الدَّور إياه. قال متذكِّرًا بصوتٍ عالٍ وقد شعرَ بأنه على وشك التَّقيُّؤ: «وعدتُ أختي بأني سأعاملُ تومن كما تُعامِل ألايايا. كيف يُمكنني أن أجلد صبيًّا في الثَّامنة؟». لكن إذا لم أفعل، فسرسي الرَّابحة.

قال برون بجفاف: «تومن لم يَعُد تحت يدك. حالما علمَت الملكة أن ذا القبضة الحديد ماتَ، أرسلَت الإخوة كِتلبلاك لاستعادة الصَّبي، ولا أحد في (روزبي) واتَته الشَّجاعة لأن يقول لهم لا».

ضربةٌ أخرى، وإن كان عليه أن يعترِف بأنها لا تخلو من راحة، فهو مولع بتومن. قال مذكِّرًا برون بضيقٍ متزايد: «كان من المفترَض أن يكون الإخوة كِتلبلاك رجالنا».

- «كانوا كذلك، ما دمتُ قادرًا على مُضاعَفة ما تَنقُدهم الملكة إياه، لكنها رفعَت سِعرهم. أوزني وأوزفريد أصبحا فارسيْن بَعد المعركة، مِثلي

تمامًا، والآلهة وحدها تعلم كيف استحقًّا هذا، فلم يرهما أحد يُقاتِلان على الإطلاق».

رجالي المأجورون يخونونني، وأصدقائي يُجلَدون ويُهانون، وأنا راقدٌ هنا أتعفَّنُ. حسبتُ أني فزتُ بالمعركة، أهذا هو مذاق النَّصر إذن؟ «أصحيحٌ أن شبح رنلي دحرَ جيش ستانيس؟».

أجابَ برون بابتسامةٍ رفيعة: «كلُّ ما رأيناه من بُرجي الأوناش كان راياتٍ في الوحل ورجالًا يُلقون حرابهم ليَفرُّوا، لكن هناك مئات في محال الأكل والمواخير يقولون إنهم رأوا اللورد رنلي يَقتُل هذا أو ذاك. معظم الجنود في جيش ستانيس كانوا يتبعون رنلي في البداية، وقد ارتدُّوا إليه مباشرةً بمجرَّد أن رأوه في تلك الدِّرع الخضراء اللَّامعة».

بَعد كلِّ هذا التَّخطيط، بَعد الغارة وجسر السُّفن، بَعد أن شُقَّ وجهه إلى نِصفين، يَأفُل نجم تيريون في ظِلِّ رجلٍ ميت. «كيف هربَ ستانيس؟».

- «رجاله اللايسينيُّون أبقوا قوادسهم في الخليج وراء سلسلتك، وحين انقلبَت المعركة رسوا على السَّاحل وأخذوا أكبر عددٍ ممكن. قُرب النِّهاية كان الرِّجال يُقتِّلون بعضهم بعضًا ليصعدوا إلى السُّفن».

- «وماذا عن روب ستارك؟ ماذا يفعل؟».

- «بعض ذئابه يَشُقُّون طريقهم إلى (وادي الغسق) حرقًا. أبوك أرسلَ اللورد المسمَّى تارلي ليتعامَل معهم. أفكِّرُ في الانضمام إليه. يُقال إنه جُندي بارع، وسخي في توزيع الغنائم».

فكرة أن يخسر برون كانت القشَّة الأخيرة، فقال بصرامة: «لا. إن مكانك هنا. أنت قائد حَرس اليد».

ذكَّره برون بحدَّة: «أنت لست اليد، بل أبوك، وهو لديه حَرسه الملعونون».

- «ماذا حدثَ للرِّجال الذين استأجرتهم لي؟».

- «بعضهم ماتَ عند بُرجي الأوناش، وعمُّك هذا، السير كيڤان، نقدَ بقيَّتنا أجرهم وطردَنا».

قال تيريون بنبرةٍ لاذعة: «كرم بالغ منه. أيعني هذا أنك فقدت جوعك للذَّهب؟».

- «مستحيل».

- «عظيم، لأني ما زلتُ في حاجةٍ إليك. ماذا تعرف عن السير ماندون مور؟».

قال برون ضاحكًا: «أعرفُ أنه غرقَ».

- «عليَّ له دين عظيم، لكن كيف أسدِّده؟»، ومَسَّ تيريون وجهه وتحسَّس النَّدبة مواصلًا: «لستُ أعرفُ إلَّا أقلَّ القليل عن الرَّجل في الحقيقة».

- «كانت عيناه ميتتيْن كأعيُن السَّمك ويرتدي معطفًا أبيض. ماذا تُريد أن تعرف غير هذا؟».

- «كلَّ شيء، كبداية». إنه يُريد دليلًا يُثبت أن السير ماندون كان رجل سرسي، لكنه لا يجرؤ على البوح بهذا. في (القلعة الحمراء) عليك أن تَبذُل غاية جهدك لتحفظ لسانك، ففي داخل الجُدران جرذان تتنصَّت، وثمَّة طيور صغيرة تُزَقزق أكثر من اللَّازم، وعناكب. قال مزيحًا الأغطية بصعوبة: «ساعِدني على النُّهوض. حان الوقت لأن أزور أبي، ولأن أُظهِر نفسي للعيان ثانيةً كما كان واجبًا عليَّ منذ مُدَّة».

قال برون بتهكُّم: «منظر جميل!».

- «وهل يُفسِد أنف مجدوع وجهًا كوجهي؟ لكن بمناسَبة الجَمال، هل وصلَت مارچري تايرل إلى المدينة بعدُ؟».

- «لا، لكنها في الطَّريق، وأهل المدينة متيَّمون بها بالفعل. منذ فترةٍ وآل تايرل يشحنون الطَّعام من (هايجاردن) ويُوَزِّعونه باسمها، مئات العربات يوميًّا. آلاف من رجال تايرل يتبختَرون هنا وهناك وعلى سُتراتهم الورد الذَّهبي الصَّغير، ولا أحد منهم يدفع أيَّ مالٍ في نبيذه. الزَّوجات والأرامل والعاهرات، النِّسوة كلُّهن يتنازَلن عن عِفَّتهن لأيِّ صبيٍّ على وجهه شيء من الزَّغب وعلى ثديه وردة ذهبيَّة».

يَبصُقون عليَّ ويشترون المشاريب لرجال تايرل. بتؤدةٍ نزلَ تيريون من السَّرير إلى الأرض، فتداعَت ساقاه من تحته ودارَت الغُرفة من حوله، وأمسكَ ذراع برون ليمنع نفسه من السُّقوط على رأسه وسط الحصائر. زعقَ شاعرًا بالألم يقضم جسده ككلبٍ بلا أسنان: «پود! پودريك پاين! أين أنت

بحَقِّ الجحائم السَّبع؟!». إنه يَمقُت الضَّعف، وبخاصَّةٍ ضَعفه هو، ذلك أنه يُخزيه، والخزي يُشعِل غضبه. «پود، تعالَ هنا!».

جاءَ الصَّبي يجري، ولمَّا رأى تيريون واقفًا يقبض على ذراع برون، حملقَ إليهما قائلًا: «سيِّدي، أنت واقف. أهذا... هل... هل تُريد نبيذًا؟ نبيذ النَّوم؟ هل أحضرُ المِايستر؟ لقد قال إن عليك البقاء... أعني في الفِراش».

- «بقيتُ في الفِراش طويلًا جدًّا. اجلب لي ثيابًا نظيفةً».

- «ثيابًا؟».

لن يستوعِب تيريون أبدًا كيف يُمكن أن يكون الصَّبي صافي الذِّهن واسع الحيلة في المعركة، بينما تجده مرتبكًا دائمًا في كلِّ الأوقات الأخرى. «ملابس، سُترةً وصُدرةً وسراويلَ وجوربًا، لي، لأرتديها، كي أخرج من هذه الزِّنزانة الحقيرة».

تطلَّب الأمر ثلاثتهم لكي يضعوا عليه الثِّياب. على الرغم من بشاعة وجهه، فأسوأ جراحه الذي في المفصل بين كتفه وذراعه، حيث غرسَ سهمٌ معدنَ قميصه في إبطه. ما زال القيح والدَّم ينزَّان من اللَّحم المشوَّه كلما غيَّر المِايستر فرنكن ضمَّادته، وأيَّما حركة تجعل الألم الممضُّ يطعنه طعنًا. في النِّهاية استقرَّ تيريون على سراويلَ ومعطف نوم كبير الحجم تهدَّل من كتفيه، وأنعلَه برون حذاءه فيما ذهبَ پود يبحث عن عصا يتعكَّز عليها. احتسى كأسًا من نبيذ النَّوم ليُقَوِّي نفسه، فوجدَه محلًّى بالعسل، وفيه ما يكفي من الخشخاش لجعل أوجاع الجروح محتمَلةً بعض الوقت.

ومع ذلك كان رأسه يدور بالفعل عندما أدارَ المزلاج، وأصابَ نزول الدَّرجات الحجريَّة الملتفَّة ساقيه بالرَّجفة، وقد تحرَّك متَّكئًا على عصا بيدٍ وعلى كتف پود بالثَّانية. كانت إحدى الخادمات صاعدةً وهُم ينزلون، وحدَّقت إليهم بعينين بيضاوين متَّسعتين كأنها رأت شبحًا. ففكَّر تيريون: القزم قامَ من الموت، وانظُري، إنه أقبح الآن أيضًا، اركُضي وأخبري أصدقاءك.

يُعَدُّ (حصن ميجور) أقوى مكان في (القلعة الحمراء) كلها، قلعة داخل القلعة، يُطَوِّقه خندق عميق جاف ارتصَّت فيه الخوازيق، وكان الجسر المتحرِّك مرفوعًا حين بلغوا الباب، وقد وقفَ السير مرين ترانت أمامه في دِرعه الشَّاحبة ومعطفه الأبيض، فقال تيريون آمرًا: «أنزِل الجسر».

رَدَّ السير مرين الذي لطالما كان صنيعة سرسي: «أوامر الملكة أن نرفع الجسر ليلًا».

- «الملكة نائمة، ولديَّ شأن مع أبي».

ثمَّة سِحر في اسم اللورد تايوين لانستر. هكذا أعطى السير مرين ترانت الأمر مدمدمًا بسخط، ونزلَ الجسر المتحرِّك. كان واحد آخَر من فُرسان الحَرس الملكي يقف على النَّاحية الثَّانية من الخندق، وقد ابتسمَ السير أوزموند كِتلبلاك عندما رأى تيريون يقترب بخطواتٍ متمايلة، وقال: «تَشعُر بأنك أقوى يا سيِّدي؟».

- «كثيرًا. متى المعركة التَّالية؟ لا أطيقُ الانتظار».

لكن حين بلغوا السَّلالم الملتفَّة المفضية إلى السَّاحة الخارجيَّة، لم يستطِع تيريون إلَّا أن يَرمُقها بارتياعٍ معترفًا لنفسه: لن أقوى على الصُّعود وحدي أبدًا، ثم إنه ابتلعَ كرامته وطلبَ من برون أن يحمله وهو يأمل -رغم قنوطه- أن أحدًا لن يراه في هذه السَّاعة ويبتسم، أن أحدًا لن يحكي عن القزم المحمول على السَّلالم كالرُّضَّع.

ازدحمَت السَّاحة الخارجيَّة بعشراتٍ من الخيام والسُّرادقات، فشرحَ پودريك پاين وهُم يَشُقُّون طريقهم عبر متاهة الحرير والقِنَّب: «رجال تايرل، واللورد روان واللورد ردواين أيضًا. لم تكن هناك مساحة للجميع، أعني في القلعة، فاستأجرَ بعضهم غُرفًا، غُرفًا في المدينة، في الخانات وغيرها. إنهم هنا من أجل الزِّفاف، زفاف الملك، الملك چوفري. هل ستكون قويًّا كفايةً للحضور يا سيِّدي؟».

- «لن يستطيع قطيع مفترس من بنات عرس أن يمنعني عنه». على الأقل يُمكنك أن تقول إن حفلات الزِّفاف تتميَّز عن المعارك بضآلة احتمال أن يُحاوِل أحدهم أن يقطع أنفك.

كانت الأضواء لا تزال مشتعلةً بخفوتٍ وراء نوافذ (بُرج اليد) المغلقة، وارتدى الرَّجلان الواقفان عند الباب معطفين قرمزيَّين وخوذتين تُكَلِّلهما ريشة الأسد، الزِّي المميِّز لحَرس أهل بيت أبيه. يعرف تيريون الاثنين، وقد سمحا له بالدُّخول فور رؤيته... وإن لاحظَ أن كليهما لم يحتمِل النَّظر إلى وجهه أكثر من لحظاتٍ معدودة.

في الدَّاخل لاقوا السير أدام ماربراند نازلًا السَّلالم الدَّائريَّة، مرتديًا ثياب ضُبَّاط حَرس المدينة، واقي الصَّدر الأسود المزخرَف والمعطف المصنوع من قُماش الذَّهب، وخاطبَ الرَّجل تيريون قائلًا: «سيِّدي، تُسعِدني للغاية رؤيتك على قدميك. لقد سمعتُ...».

- «... شائعات عن قبرٍ صغيرٍ يُحفَر؟ وأنا أيضًا. لهذا بدا من الأفضل في هذه الظُّروف أن أنهض من رقدتي. سمعتُ أنك قائد حَرس المدينة الآن، فهل أهنِّئك أم أعزِّيك؟».

أجابَ السير أدام مبتسمًا: «هذا وذاك للأسف. الموت والتهرُّب تركا لي نحو أربعةِ آلاف وأربعمئة رجل، ولا أحد غير الآلهة والإصبع الصَّغير يعلم كيف يُمكننا الاستمرار في دفع أجور كلِّ هذا العدد، لكن أختك منعَتني من تسريح أحد».

أما زلتِ قلقةً يا سرسي؟ لقد انفضَّت المعركة، وذوو المعاطف الذَّهبيَّة لا يُمكنهم مساعَدتكِ الآن. «هل جئت من عند أبي؟».

- «نعم. أخشى أني لم أتركه في مزاجٍ طيِّب. اللورد تايوين يرى أن أربعة آلاف وأربعمئة رجل عدد أكثر من كافٍ للعثور على مُرافِق فارسٍ واحد، لكن تايرك ابن عمِّك ما زال مفقودًا».

تايرك هو ابن عمِّه الرَّاحل تايجت، صبيٌّ في الثَّالثة عشرة من العُمر، اختفى في أثناء الشَّغب بَعد فترةٍ قصيرة من زواجه بالليدي إرميساند، الرَّضيعة التي يتصادَف أنها الوريث الحي الأخير لعائلة هايفورد. وغالبًا أول عروس في تاريخ (الممالك السَّبع) تترمَّل قبل أن تُفطَم. «أنا أيضًا لم أستطِع العثور عليه».

قال برون بلباقته المعهودة: «الدُّود يقتات بجثَّته. ذو القبضة الحديد بحثَ عنه، والخصيُّ وعدَ بمكافأةٍ سخيَّة، ولم يُحالِفهما الحَظُّ أكثر منا. انسَ الأمر أيها الفارس».

رمقَ السير أدام المرتزق بازدراء، وقال: «اللورد تايوين شديد العناد عندما يتعلَّق الأمر بدمه، وقد عزمَ على استعادة الصَّبي حيًّا أو ميتًا، وأنا عازمٌ على طاعته»، وعادَ يَنظُر إلى تيريون قائلًا: «ستجد أباك في غُرفته الشَّمسيَّة».

غُرفتي الشَّمسيَّة. «أعتقدُ أني أعرفُ مكانها».

مزيد من الدَّرجات انتظرَه في الطَّريق إلى أعلى، لكنه صعدَ هذه المرَّة معتمدًا على قوَّته هو، مكتفيًا بإسناد يده إلى كتف پود. فتحَ له برون الباب، وفي الدَّاخل كان اللورد تايوين لانستر جالسًا أسفل النَّافذة، يَكتُب على ضوء مصباح زيت، ولمَّا سمعَ المزلاج يدور رفعَ عينيه قائلًا: «تيريون»، وبهدوءٍ وضعَ ريشة الكتابة جانبًا.

قال تيريون: «يَسُرُّني أنك ما زلت تتذكَّرني يا سيِّدي»، وتخلَّى عن پود واضعًا ثقله على العصا، وتقدَّم بخُطًى متمايلةٍ وقد أدركَ في الحال أن شيئًا ما على غير ما يُرام.

قال اللورد تايوين: «سير برون، پودريك، من الأفضل أن تنتظرا في الخارج حتى ننتهي».

رنا برون إلى يد الملك بنظرةٍ هي أدنى إلى الوقاحة، وعلى الرغم من هذا انحنى وانسحبَ من الغُرفة وپود في أعقابه، ثم انغلقَ الباب الثَّقيل وراءهما، وصارَ تيريون لانستر بمُفرده مع أبيه. حتى مع انغلاق النَّوافذ أمام اللَّيل في الخارج، كان البرد في المكان محسوسًا. تُرى ما الأكاذيب التي كانت سرسي تُطعِمه إياها؟

على الرغم من سِنِّه، يبدو سيِّد (كاسترلي روك) نحيلًا كرجلٍ أصغر عشرين عامًا، لا تَنقُصٍ ملامحه الوسامة وإن شوَّبتها القسوة، وتُغَطِّي وجنتيه لحية شقراء كثَّة مؤطِّرةً وجهه الصَّارم ورأسه الأصلع وفمَّه القوي، وقد أحاطَت بعُنقه سلسلة من الأيدي الذَّهبيَّة، تُطبق أصابع كلٍّ منها على معصم التَّالية.

قال تيريون: «سلسلة أنيقة». مع أنها بدَت أفضل عليَّ.

رَدَّ اللورد تايوين متجاهلًا المزحة: «الأفضل أن تجلس. أمِنَ الحكمة أن تُغادِر فِراش المرض؟».

– «سئمتُ فِراش المرض». يعلم تيريون كم يحتقِر أبوه الضَّعف، على أنه قعدَ على أقرب كرسي قائلًا: «مسكنك رغد حقًّا. هل تُصدِّق أن أحدهم نقلَني إلى حُجيرةٍ صغيرة مظلمة في (ميجور) وأنا أحتضِرُ؟».

– «(القلعة الحمراء) مزدحمة بضيوف الزِّفاف. سنجد لك مسكنًا أنسب فور أن يرحلوا».

- «هذا المسكن تحديدًا كان يروقني كثيرًا. هل حدَّدت موعدًا للزِّفاف العظيم؟».

- «چوفري ومارچري سيتزوَّجان في أول أيام العام الجديد، الذي يُوافِق أول أيام القرن الجديد. سيُعلِن هذا القران فَجر حقبةٍ جديدة».

حقبة جديدة لعائلة لانستر. «أوه، خسارة، أخشى أن عندي مشاغل أخرى يومها».

- «هل جئت هنا لمجرَّد أن تشكو من غُرفة نومك وتُلقي الدُّعابات السَّخيفة؟ إن لديَّ رسائل مهمَّة عليَّ أن أفرغ منها».

- «رسائل مهمَّة، بالتَّأكيد».

- «بعض المعارك يُربَح بالسُّيوف والرِّماح، وغيرها بالرِّيش والغِدفان. أعفِني من تأنيبك المستتر هذا يا تيريون. لقد زُرتك كلما سمحَ المِايستر بالابار عندما بدا أنك ستموت»، وشبَّك أبوه أصابعه تحت السِّلسلة وسألَه: «لماذا صرفت بالابار؟».

هَزَّ تيريون كتفيه مجيبًا: «المِايستر فرنكن ليس مصمِّمًا على إبقائي فاقد الحِس».

- «بالابار أتى المدينة ضمن حاشية اللورد ردواين، ويقولون إنه مُعالِج موهوب. كان لُطفًا من سرسي أن تَطلُب منه أن يعتني بك. كانت تخشى على حياتك».

تعني أنها كانت تخشى أن أحتفظ بها. «لا شَكَّ أنها لم تُبارِح جانب فِراشي مرَّةً لهذا السَّبب».

قال اللورد تايوين: «لا تكن وقحًا. سرسي لديها زفاف ملكي تُجَهِّز له، وأنا أشنُّ حربًا، وأنت لم تَعُد في خطر منذ أسبوعين على الأقل»، وأمعنَ النَّظر إلى وجه ابنه المشوَّه دون أن تَطرُف عيناه الخضراوان الشَّاحبتان، وتابعَ: «وإن كان الجرح بشعًا في الحقيقة. قُل لي، أيُّ جنونٍ استحوذَ عليك؟».

- «العدوُّ كان على البوَّابة حاملًا مِدَكًّا. لو أن چايمي قادَ الغارة لوصفته بالبسالة».

- «ما كان چايمي ليتصرَّف بحماقةٍ ويخلع خوذته في أثناء المعركة. لقد قتلت الرَّجل الذي جرحَك، أليس كذلك؟».

- «أوه، الحقير ميت بلا شَك». وإن كان پودريك پاين هو من قتلَ السير ماندون، دفعَه في النَّهر لتُغرِقه دِرعه الثَّقيلة. بمرحٍ قال تيريون: «العدوُّ الميت مصدر بهجةٍ إلى الأبد»، رغم أن السير ماندون لَم يكن عدوَّه حقًّا، ولم يكن لديه ما يجعله يرغب في موته. كان مجرَّد مأجور، وأعتقدُ أني أعرفُ التي استأجرَته. قالت له أن يتأكَّد من ألَّا أخرج من المعركة حيًّا. لكن اللورد تايوين لن يُصغي لاتِّهام كهذا أبدًا في غياب الدَّليل. «ماذا تفعل هنا في المدينة يا أبي؟ ألا ينبغي أنَّ تكون في مكانٍ ما تُقاتِل اللورد ستانيس أو روب ستارك أو غيرهما؟». وخير رحيلك عاجله.

- «إننا نفتقِر إلى السُّفن الكافية لمهاجَمة (دراجونستون) إلى أن يأتي اللورد ردواين بأسطوله، لكن لا فرق، فقد غربَت شمس ستانيس باراثيون على (النَّهر الأسود). أمَّا ستارك فما زال في الغرب، لكن قوَّةً كبيرةً من رجال الصَّبي الشَّماليِّين تزحف على (وادي الغسق) تحت قيادة هلمان تولهارت وروبت جلوڤر. أرسلتُ اللورد تارلي ليُواجِههما، بينما يسعى السير جريجور على (طريق الملوك) ليقطع عليهما سبيل الانسحاب. هكذا سيقع تولهارت وجلوڤر بينهما ومعهما ثُلث قوَّات ستارك».

- «(وادي الغسق)؟». لا شيء هناك يستحقُّ المجازَفة، فهل زَلَّ الذِّئب الصَّغير أخيرًا؟

- «لا تُقلِق نفسك بهذا. إن وجهك شاحب كالموتى والدَّم يرتشِح من ضمَّاداتك، فقُل ما تُريد وعُد إلى الفِراش».

- «ما أريدُ...». أحسَّ بحَلقه مشدودًا جافًّا. ما الذي يُريده؟ أكثر مما يُمكنك أن تُعطيني أبدًا يا أبي. «پود يقول لي إن الإصبع الصَّغير نُصِّبَ سيِّدًا على (هارنهال)».

- «لقب فارغ ما دامَ رووس بولتون مسيطرًا على القلعة لصالح روب ستارك، لكن اللورد بايلش كان توَّاقًا إلى هذا التَّكريم. لقد خدمَنا بإخلاصٍ في مسألة مصاهرة تايرل، واللانستر يُسَدِّد ديونه».

كانت مصاهرة عائلة تايرل فكرة تيريون في الواقع، لكن محاولة الاحتجاج الآن ستجعله يبدو جلفًا لا أكثر. قال محذِّرًا: «ربما لا يكون اللَّقب بالفراغ

الذي تحسبه. الإصبع الصَّغير لا يفعل شيئًا دون سببٍ قوي، لكن ليكن هذا كما يكون. أعتقدُ أنك قُلت شيئًا عن تسديد الدُّيون».

- «وأنت تُريد مكافأتك، أليس كذلك؟ ليكن. ماذا تُريد مني؟ أرضًا أم قلعةً أم منصبًا ما؟».

- «قليل من الامتنان سيكون بدايةً طيِّبةً».

حدجَه اللورد تايوين بعينين لا تَطرُفان، وقال: «لا يتطلَّب التَّصفيق غير الممثِّلين والقرود، كما كان إيرس يفعل. لقد نفَّذت ما أُمِرت به، وأنا واثق بأنك لم تدَّخر طاقةً. لا أحد يُنكِر الدَّور الذي لعبته».

لا بُدَّ أن ما تبقَّى من منخرَيْ تيريون اتَّسع حنقًا وقد شعرَ بأنفاسه تضيق وهو يقول: «الدَّور الذي لعبته؟ يبدو لي أني أنقذتُ مدينتك اللَّعينة».

- «أغلب النَّاس يرى أن هجومي على مؤخِّرة جيش ستانيس هو ما قلبَ ميزان المعركة. اللوردات تايرل وروان وردواين وتارلي قاتَلوا بنُبل كذلك، وبلغَني أن أختك سرسي هي من كلَّفت الپايرومانسرات[1] بتصنيع النَّار الشَّعواء[2] التي دمَّرت أسطول باراثيون».

لم يستطِع تيريون أن يمنع المرارة من التسرُّب إلى صوته وهو يقول: «بينما كلُّ ما فعلته هو تشذيب شَعر أنفي، أليس كذلك؟».

- «سلسلتك كانت ضربةً بارعةً وضروريَّةً لانتصارنا. أهذا ما تُريد أن تسمعه؟ قيلَ لي إن الفضل يرجع إليك في مسألة التَّحالُف الدورني أيضًا. قد يَسُرُّك أن تعرف أن مارسلا وصلَت إلى (صنسپير) بأمان. السير آريس أوكهارت كتبَ أنها مولعة بالأميرة آريان ومفتونة بالأمير تريستان. لا يروقني أن أعطي عائلة مارتل رهينةً، لكن لا مناص على ما أظنُّ».

قال تيريون: «ستكون لدينا رهينة بدورنا. جزء من الصَّفقة كان مقعدًا في المجلس، وما لم يجلب الأمير دوران معه جيشًا حين يأتي للقعود عليه، فسيكون تحت أيدينا».

---

(1) الپايرومانسر كلمة يونانيَّة تعني (كاهن النَّار)، وكانت تُستخدَم قديمًا للإشارة إلى كلِّ من يحترف فَنَّ التَّعامل مع النَّار لمختلف الأغراض. (المترجم).

(2) تُعرَف النَّار الشَّعواء في عالم الواقع باسم نار الإغريق، وهي سائل حارق سريع الاشتعال تكرَّر استخدامه في المعارك البحريَّة قديمًا، ولا أحد يعرف مكوِّناته على وجه الدقَّة. (المترجم).

رَدَّ اللورد تايوين: «ليت مقعد المجلس فقط كان ما سيأتي مارتل من أجله. لقد وعدته بالانتقام أيضًا».

- «وعدتُه بالعدل».

- «سَمِّه ما تشاء. في النِّهاية هي مسألة دم».

قال تيريون: «بضاعة لا نُعاني كسادًا فيها بالتَّأكيد، أليس كذلك؟ لقد خضتُ في بُحيراتٍ منه خلال المعركة»، ثم إنه لم يرَ سببًا يمنعه من النَّفاذ إلى صُلب الأمر، فأردفَ: «أم أنك صرت مغرمًا بجريجور كليجاين ولا تتحمَّل فِراقه؟».

- «للسير جريجور فوائده، كما كانت لأخيه. كلُّ لورد يحتاج إلى وحش ما بين الحين والآخر... وهو الدَّرس الذي يبدو من وجود السير برون ورجالِ القبائلِ هؤلاء أنك تعلَّمته».

فكَّر تيريون في عين تيميت المحروقة، وشاجا حاملًا فأسه، وتشلا محيطةً عُنقها بقلادة الآذان المجفَّفة، وفي برون، برون أكثر منهم جميعًا، وقال لأبيه مذكِّرًا: «الغابات ملأى بالوحوش، والأزقَّة كذلك».

- «صحيح. لعلَّ هناك كلابًا أخرى يُمكنها الصَّيد. سأفكِّرُ في الأمر. إذا لم يكن هناك شيء آخر...».

- «لديك رسائل مهمَّة، نعم». نهضَ تيريون على ساقين مزعزعتين، وأغلقَ عينيه هُنيهةً وقد جرفَته موجة من الدُّوار، ثم أخذَ خطوةً مرتجفةً نحو الباب. فيما بَعد سيُجيل عقله في الموقف ويُفكِّر أنه كان يجب أن يأخذ خطوةً ثانيةً، ثم ثالثةً، لكنه التفتَ بدلًا من ذلك إلى أبيه، وقال: «تسألني عمَّا أريده؟ سأخبركُ بما أريده. أريدُ ما لي حقًّا. أريدُ (كاسترلي روك)».

زَمَّ أبوه فمه قائلًا: «حَقَّ أخيك بالميلاد؟».

- «فُرسان الحَرس الملكي محرَّم عليهم الزَّواج والإنجاب وامتلاك الأراضي، وأنت تعلم هذا مِثلي تمامًا. چايمي تنازلَ عن حَقِّه في (كاسترلي روك) يوم ارتدى المعطف الأبيض، لكنك لم تعترف بهذا قَطُّ. آنَ الأوان إذن. أريدك أن تقف على الملأ وتُعلِن أني ابنك ووريثك الشَّرعي».

سدَّد اللورد تايوين إليه نظرات عينيه الخضراوين المرقَّطتين بشذرات الذَّهب، تلكما العينين المنيرتين الخاليتين من الرَّحمة، وقال بنبرةٍ باردةٍ ميتة: «(كاسترلي روك)... مُحال».

وعلقَت الكلمة بينهما هائلةً قاطعةً مسمومةً.

كنتُ أعرفُ الإجابة من قبل أن أسأل. ثمانية عشر عامًا منذ انضمَّ چايمي إلى الحَرسِ الملكي ولم أفتح الموضوع مرَّةً. لا بُدَّ أني كنتُ أعرفُ، لا بُدَّ أني كنتُ أعرفُ طيلة الوقت. جعلَ نفسه يسأل: «لماذا؟»، رغم أنه كان يعي أنه سيندم على السُّؤال.

- «أتسأل؟ أنت يا مَن قتلت أمَّك لتَخرُج إلى العالم؟ إنك مخلوق ضئيل قبيح، مخادع وعاق وحقود، مليء بالحسد والشَّهوة والحيل الوضيعة. قوانين البَشر تُعطيك الحَقَّ في حملِ اسمي وارتداء ألواني، بما أني لا أستطيعُ أن أثبت أنك لست ابني، ولتُعَلِّمني الآلهة التَّواضُع حكمَت عليَّ بأن أشاهدك تمشي متمايلًا هنا وهناك معلِّقًا اللَّيث الهصور الذي كان رمز أبي وأبيه من قبله، لكن لا الآلهة ولا البَشر ستُجبِرني على أن أسمح لك بتحويل (كاسترلي روك) إلى ماخورك الخاص».

- «ماخوري؟». في مطلع الفَجر أدركَ تيريون على حين غرَّة سبب الغصَّة التي في حَلقه، فقال ضاغطًا أسنانه: «سرسي أخبرتك بأمر ألايايا».

- «أهذا اسمها؟ أعترفُ بأني لا أذكرُ أسماء عاهراتك كلهن. مَن كانت التي تزوَّجتها في صباك؟».

قال باصقًا الإجابة بتحدٍّ: «تايشا».

- «وتابعة المعسكَرات على (الفرع الأخضر)؟».

سألَ غير راغب في مجرَّد ذِكر اسم شِاي في حضور أبيه: «ولماذا تهتمُّ؟».

- «لستُ مهتمًّا، ولا يعنيني إن عشن أو متن».

- «أنت مَن أمرَ بجَلد يايا». لم يكن هذا سؤالًا.

قال اللورد تايوين بصوتٍ أبرد من الجليد: «أختك أخبرَتني بتهديدك حفيدَيْ، أم أنها كذبَت؟».

أجابَ تيريون دون أن يُنكِر: «نعم، هدَّدتُ، لكن لأحافظ على سلامة ألايايا، كي لا يُسيء الإخوة كِتلبلاك معامَلتها».

- «لإنقاذ عِفَّة عاهرة تُهَدِّد عائلتك؟ أهلك؟ هكذا إذن؟».

- «أنت من علَّمني أن التَّهديد القوي أخطر من توجيه الضَّربة، مع أن چوفري أغراني بضربه مئات المرَّات. إذا كنت توَّاقًا لجَلد النَّاس بالسِّياط

لهذه الدَّرجة، فابدأ به. لكن تومن... لماذا أوذي تومن؟ إنه صبيٌّ مطيع، ومن دمي».

قال اللورد تايوين: «كما كانت أمُّك»، ونهضَ فجأةً ليرتفع فوق ابنه القزم، وتابعَ: «ارجع إلى فِراشك يا تيريون ولا تُكَلِّمني ثانيةً عن حَقِّك في (كاسترلي روك). سوف تَحصُل على مكافأتك، لكنها ستكون مكافأةً أقرِّرها مناسِبةً لخدمتك ومقامك. وثِق بأن هذه هي آخِر مرَّةٍ أسمح لك بأن تجلب العار لعائلة لانستر. من الآن فصاعدًا لا علاقة لك بالعاهرات، ومَن أجدها في سريرك بَعد ذلك سأشنقها».





داڤوس

راقبَ الشِّراع يدنو فترةً طويلةً محاولًا أن يُقرِّر إن كان يُريد أن يعيش أم يموت.

كان يعرف أن ثاني الخياريْن أسهل، فما عليه إلَّا أن يزحف إلى داخل كهفه ويَترُك السَّفينة تمرُّ وسيأتيه الموت. منذ أيام والحُمَّى تحرقه حرقًا، تُحيل بِرازه إلى سائل بنِّي وتجعله يرتعِد في نومه المَضطرب، فطلعَ عليه كلُّ صباح وهو أضعف وأضعف، حتى إنه اعتادَ أن يُرَدِّد لنفسه: لن يطول الوقت كثيرًا.

إذا لم تَقتُله الحُمَّى، فالعطش فاعلٌ حتمًا، لمَّا كانت المياه العذبة شحيحةً للغاية هنا، مصدرها الوحيد المطر الذي ينزل بغير انتظام، فيتجمَّع منه النَّزر اليسير في التَّجاويف بين الصُّخور، لكن قبل ثلاثة أيام فقط -أم أنها أربعة؟ من العسير أن يُدرِك المرء تعاقُب اللَّيل والنَّهار على هذه الصَّخرة- كانت البِرك الصَّغيرة قد جفَّت عن آخِرها كالعظام القديمة، وشارفَ منظر الخليج المتموِّج بالأخضر والرَّمادي من حوله على أن يفوق قُدرته على الاحتمال. كان يعلم أن النِّهاية ستأتي سريعًا حالما بدأ يشرب ماء البحر، وقد أوشكَ على ابتلاع أول شَربةٍ منه بالفعل من شدَّة ظمئه، عندما أنقذَته زوبعة مباغتة. لحظتها كان في غاية الوهن، لدرجة أنه بذلَ آخِر ما لديه من طاقة ليستلقي في المطر بعينين مغلقتين وفم مفتوح، وتركَ الماء يُبَلِّل شفتيه المشقَّقتين ولسانه المتورِّم، وإن شعرَ بأنه أقوَى بَعدها، وعادَت بِرك وشقوق وصدوع الجزيرة تتَّرع بالحياة.

على أن ذلك كان منذ ثلاثة أيام -أو ربما أربعة- والآن تبدَّد معظم الماء

بالفعل، تبخَّر قليل منه ورشفَ هو الباقي، وحين يأتي الغد سيجد نفسه يتذوَّق الوحل ثانيةً، وَيلعق الأحجار الرَّطبة الباردة في قيعان التَّجاويف.

وإذا لم يَقتُله العطش أو الحُمَّى، فالجوع قاتِله، بما أن جزيرته هذه ليست أكثر من صخرةٍ جرداء تخترق سطح مياه (الخليج الأسود) المترامي. أحيانًا، عندما ينخفِض المَد، كان يَعثُر على سرطاناتٍ صغيرة عالقة على الشَّاطئ الحجري الضيِّق الذي جنحَ إليه بَعد المعركة، يلتقِطها فتَعَضُّ أصابعه بأسنانها المؤلمة حتى يكسرها على الصَّخر، ليمتصَّ اللَّحم من مخالبها والأحشاء من صَدفها.

لكن الشَّاطئ يختفي كلما ارتفعَ المَد، واضطرَّ داڤوس لأن يتسلَّق إلى أعلى الصَّخرة كي يحمي نفسه من الانجراف إلى الخليج مرَّةً أخرى. ترتفع القمَّة المدبَّبة خمسة عشر قدمًا فوق الماء عندما يعلو المَد، إلَّا أن الموج يتكسَّر فيَنثُر البلل على مسافةٍ أعلى متى اضطربَ الخليج، فلم تكن لديه وسيلة لأن يبقى جافًّا حتى في داخل كهفه، الذي لا يتعدَّى فراغًا محدودًا أسفل بروزٍ في الصَّخر. لا ينبت شيء هنا إلَّا الأُشنة، وتتجنَّب طيور البحر نفسها المكان، وحتى عندما يحطُّ عدد من النَّوارس على القمَّة ويُحاول داڤوس الإمساك بأحدها، فإنها تُسارع بالتَّحليق دائمًا قبل أن يقترب، ولَمَّا جرَّب أن يقذفها بالحجارة وجدَ أنه أضعف من أن يُوَجِّه رميةً قويَّةً، فإذا أصابَ هدفه تكتفي النَّوارس بالصُّراخ فيه بانزعاج قبل أن تثب في الهواء مبتعدةً.

ثمَّة صخور أخرى يُبصِرها من مأواه، قِمم حجريَّة بعيدة أعلى من قِمَّته، يرتفع أطولها فوق الماء أربعين قدمًا على الأقل حسبما خمَّن، لكن من الصَّعب أن يتأكَّد من هذه المسافة. كان سَرب من النَّوارس يدور حولها باستمرار، وفكَّر داڤوس عدَّة مرَّاتٍ أن يَعبُر إلى هناك ليسطو على أعشاشها، غير أن المياه باردة جدًّا، والتَّيَّار عاتٍ خدَّاع، وهو يعرف أن ما تبقَّى له من قوَّةٍ لن يُمَكِّنه من السِّباحة، فهي كفيلة الآن بأن تقتُله تمامًا كشُرب الماء المالح.

ذكَّرته خبرة السِّنين بأن الخريف في (البحر الضيِّق) كثيرًا ما يكون مطيرًا عاصفًا، ومع أن النَّهار ليس بهذا السُّوء عندما تكون الشَّمس مشرقةً، فاللَّيل يزداد برودةً يومًا تلو اليوم، وفي أحيانٍ تهبُّ الرِّيح عبر الخليج دافعةً أمامها الموجات المُزبِدة، ولا يمضي وقت طويل قبل أن يجد داڤوس نفسه غارقًا

يرتجف، فراحَت الحُمَّى والقشعريرة تتبادَلان الهجوم عليه، ومؤخَّرًا أصابَه سُعالٌ مستمرٌّ يرجُّ كيانه رَجًّا.

ملجأه الوحيد هو هذا الكهف الصَّغير، وحين ينخفِض المَد تنجرف قِطع من الأخشاب الطَّافية والحطام المتفحِّم إلى الشَّاطئ، وإن كان لا يملك وسيلةً يُصدِر بها شرارةً ليُشعل نارًا. في مرَّة، من فرط اليأس، حاولَ أن يحكَّ قطعتين من الخشب الطَّافي معًا، لكنه كان متعفِّنًا، ولم ينَل داڤوس لقاء جهده إلَّا القروح، ناهيك بأن ثيابه تشبَّعت تمامًا بالماء، علاوةً على فردة حذائه التي فقدها في مكانٍ ما في الخليج قبل أن يجرفه التيَّار إلى هنا.

الجوع والعطش والعراء رفاقه، معه في كلِّ ساعةٍ من كلِّ يوم، ومع الوقت أصبحَ يعدُّهم أصدقاءه، وعاجلًا أو آجلًا ستأخذ الشَّفقة واحدًا من أصدقائه هؤلاء فيُحَرِّره من بؤسه المُمِض، أو قد يأتي يوم ويُقَرِّر ببساطةٍ أن يخوض في الماء ويُوَجِّه نفسه صوب السَّاحل، الذي يعرف أنه يقع في مكانٍ ما إلى الشَّمال خارج مجال بصره. صحيحٌ أن المسافة أبعد من أن يستطيع أن يسبحها بضَعفه هذا، لكن لا يهمُّ، فلطالما كان داڤوس بحَّارًا، وقَدره أن يموت في البحر. الآلهة تنتظرني تحت الماء منذ زمنٍ، وآنَ أوان ذهابي إليها.

لكن الآن هناك شراع، ما زالَ مجرَّد بُقعةٍ في الأفق، لكن حجمه يتعاظَم باطِّراد. سفينة حيث لا يُفترَض أن تكون سُفن. كان يعرف أين تقع صخرته بالتَّقريب، فهي إحدى قِمم سلسلةٍ من الجبال المغمورة التي ترتفع من قاع (الخليج الأسود) ويُسَمِّيها البحَّارة «رماح ملك شعب البحار»، أطولها يَبلُغ مئة قدم فوق الماء، بينما لا يتعدَّى ارتفاع دستةٍ غيرها الخمسين أو الستِّين قدمًا. يَعلم البحَّارة أن كلَّ قمَّةٍ تَبرُز فوق السَّطح تكمُن في مقابلها عشر أخريات تحته منتظرةً الضَّحايا الغافلين، وأن أيَّ رُبَّانٍ يتحلَّى بالعقل يُحافِظ على مساره بعيدًا عنها.

راقبَ داڤوس السَّفينة تكبر بعينيه الباهتتين المحاطتين بهالتين داميتين، وحاولَ أن يلتقِط صوت الرِّيح التي نفخَت الشِّراع. إنها قادمة في هذا الاتِّجاه. ما لم تُغَيِّر مسارها قريبًا، فستمرُّ على مرمى صيحةٍ من ملاذه الفقير. قد تعني هذه السَّفينة الحياة إذا كان يُريدها، وهو ليس واثقًا بأنه يُريد الحياة.

ساءلَ نفسه والدُّموع تُغشي بصره: ولماذا أعيش؟ لماذا بحَقِّ الآلهة؟ لقد

ماتَ أبنائي، دايل وآلارد وماريك وماثوس، وربما دڤان أيضًا. كيف لأب أن يحيا بَعد موت كلِّ هؤلاء الأبناء الشَّباب الأقوياء؟ كيف أستمرُّ؟ إنني صَدَّقة جوفاء هلكَ السَّرطان الذي كان في داخلها ولم يتْرُكْ إلَّا الفراغ. ألا يعرفون هذا؟

لقد مخرَت سُفنهم مياه (النَّهر الأسود) رافعةً رايات إله الضِّياء ذات القلب النَّاري، وكان داڤوس وسفينته (بثا السَّوداء) في خَطِّ الهجوم الثَّاني، بين دايل على متن (الطَّيف) وآلارد على متن (الليدي ماريا)، بينما اتَّخذ ثالث أبنائه ماريك موقعه كرئيس المجذِّفين على (الثَّورة) في قلب خَطِّ الهجوم الأول، وخدمَ ماثوس نائبًا لأبيه على سفينته. تحت أسوار (القلعة الحمراء) اشتبكَت قوادس ستانيس باراثيون في القتال مع أسطول الملك الصَّبي جوفري الأصغر، ومضَت فترة قصيرة تسيَّد خلالها النَّهرَ طنينُ أوتار الأقواس وارتطام المِدكَّات الحديد بمجاذيف السُّفن وأبدانها، محطِّمةً هذه وتلك على حَدٍّ سواء.

ثم إن وحشًا جبَّارًا ما أطلقَ زئيره المدوِّي، وطوَّقهم اللَّهيب الأخضر من كلِّ صوب، النَّار الشَّعواء، بول الپايرومانسرات، الشَّيطان اليَشبي. كان ماثوس واقفًا عند مِرفقه على ظَهر (بثا السَّوداء) عندما بدا كأن السَّفينة ارتفعَت عن الماء، ثم وجدَ داڤوس نفسه في النَّهر، يضرب بذراعيه وقد اكتسحَه التَّيَّار وأخذَ يُدَوِّره ويُدَوِّره. في اتِّجاه المنبع كان اللَّهب ينهش السَّماء على ارتفاع خمسين قدمًا، ورأى داڤوس (بثا السَّوداء) تحترق، و(الثَّورة)، ودستةً من السُّفن الأخرى، ورأى رجالًا مشتعلين يثبون في الماء ليغرقوا، لكنه لم يرَ (الطَّيف) و(الليدي ماريا)، اللتين ابتلعَتهما المياه أو تحطَّمتا أو تواريَتا خلف ستارٍ من النَّار الشَّعواء، ولم يكن هناك وقت للبحث عنهما، لأنه كان على وشْك بلوغ مدخلِ النَّهر، وعبر هذا المدخل كان آل لانستر قد رفعوا سلسلةً حديديَّةً ضخمةً. من الضِّفَّة إلى الضِّفَّة لم يكن هناك شيء غير السُّفن المضطرمة والنِّيران، وأحسَّ داڤوس كأن المشهد أوقفَ قلبه عن الخفقان لحظةً، ولا يزال حتى الآن يتذكَّر الأصوات؛ طقطقة اللَّهب وهسيس البُخار وصُراخ المحتضرين، وكيف راحَت الحرارة الرَّهيبة تضرب وجهه إذ كسحَه التَّيَّار نحو الجحيم.

كلُّ ما كان عليه لحظتها ألَّا يفعل شيئًا. بضع دقائق أخرى وكان سيُصبِح مع أبنائه، يَرقُد في الطَّمي الأخضر البارد في قاع الخليج ويقضم السَّمك وجهه.

لكن بدلًا من هذا عَبَّ داڤوس جَرعةً هائلةً من الهواء وغاصَ راكلًا بقدميه ناشدًا قاعَ النَّهر. أمله الوحيد كان أن يمرَّ من تحت السِّلسلة والسُّفن المتَّقدة والنَّار الشَّعواء الطَّافية على سطح الماء، أن يسبح بكلِّ قوَّته إلى أمان الخليج وراء كلِّ هذا. لطالما كان داڤوس سبَّاحًا ماهرًا، ويومها لم يرتدِ أيَّ فولاذٍ باستثناء الخوذة التي فقدَها لمَّا فقدَ (بثا السَّوداء)، وإذ شَقَّ جسده الظُّلمة الخضراء كالخنجر، لمحَ رجالًا آخَرينَ يُكافِحون تحت الماء، وقد جذبَهم ثِقل دروعهم وقمصانهم المعدنيَّة إلى أسفل ليغرقوا في الأعماق، فسبحَ متجاوزًا إياهم وهو لا يزال يَركُل بكلِّ ما تبقَّى في ساقيه من قوَّة، مسلِّمًا نفسه للتَّيار وتاركًا الماء يملأ عينيه. هكذا ظَلَّ يتعمَّق أكثر وأكثر وأكثر، ومع كلِّ ضربةٍ من ذراعيه أحسَّ بصعوبة كتمان أنفاسه طويلًا. يَذكُر أنه رأى القاع الطَّري المعتم في اللحظة نفسها التي تفجَّرت فيها سلسلة من الفقاقيع من بين شفتيه، ومَسَّ شيء ما ساقه، لا يدري إن كان خشبةً أم سمكةً أم غريقًا.

كان في حاجةٍ ماسَّةٍ إلى الهواء حينئذٍ، لكن الخوف يمنعه من الصُّعود. هل تخطَّى السِّلسلة؟ هل خرجَ إلى الخليج؟ إذا طلعَ تحت سفينةٍ سيغرق، وإذا فعلَها وسط رُقع النَّار الشَّعواء الطَّافية سيلفح أول نَفس يلتقطه رئتيه ويُحيلهما إلى رماد. تلوَّى في الماء ليَنظُر إلى أعلى، ولكنه لَم يرَ إلَّا ظلامًا أخضر، ثم إنه دارَ حول نفسه عدَّة مرَّات، وفجأةً لم يَعُد يستطيع التَّفرقة بين الأعلى والأسفل، فاستبدَّ به الهلع، وضربَت يداه قاع النَّهر مثيرةً سحابةً من الطَّمي أعمَته. مع كلِّ لحظةٍ تمرُّ كان صدره يضيق أكثر، فأنشبَ أظفاره في الماء وشرعَ يَركُل، يدفع نفسه يدور وتَصرُخ رئتاه طالبتيْن الهواء، يَركُل ويَركُل وهو ضائع في غياهب النَّهر، يَركُل ويَركُل ويَركُل حتى باتَ عاجزًا عن الرَّكل، وحين فتح فمه ليَصرُخ تدفَّقت المياه إليه محمَّلةً بمذاق الملح، وأدركَ داڤوس سيوورث أنه يغرق.

أفاقَ بَعدها ليجد أن الشَّمس في السَّماء، وأنه مُلقى على شاطئٍ حجريٍّ ضيِّق تحت قمَّة من الصَّخر العاري، الخليج الخالي يُحيط به من كلِّ الجهات، وإلى جواره صارٍ مكسور وشراع محروق وجُثَّة منتفخة، ثم اختفى الصَّاري والشِّراع والرَّجل الميت عندما عَلا المَد، تاركين داڤوس وحيدًا على صخرته وسط رماح ملك شعب البحار.

سنينه الطَّويلة كمهرِّب جعلَت المياه التي تطلُّ عليها (كينجز لاندنج) مألوفةً له أكثر من أيِّ دارٍ عاشَ فيها، ويعلم أن مأواه ما هو إلَّا نُقطة على الخرائط في منطقةٍ يعزف أيُّ ملَّاحٍ كُفء عنها ولا يعمد إليها... وإن كان داڤوس نفسه قد دنا منها مرَّةً أو مرَّتين أيام التَّهريب، بغية أن يبقى بعيدًا عن الأعيُن. عندما يجدونني ميتًا هنا، إذا وجدوني، فلربما يُسَمُّون الصَّخرة تيمُّنًا بي، يُسَمُّونها صخرة البصل. ستكون شاهِد قبري وإرثي. إنه لا يستحقُّ أكثر من هذا. يقول السِّپتونات في تعاليمهم إن الآباء -كـ(الأب في الأعالي)- يحمون أولادهم، لكن داڤوس قادَ أولاده إلى الحميم. أبدًا لن يُعطي دايل زوجته الطِّفل الذي صلَّيا من أجله، وقريبًا ستبكي آلارد فتاته في (البلدة القديمة) وفتاته في (كينجز لاندنج) وفتاته في (براڤوس)، ولن تصير لماثوس سفينة يكون رُبَّانها، ولن ينال ماريك فُروسيَّته.

كيف أعيشُ وهُم موتى؟ فُرسان شجعان وسادة كبار كُثر ماتوا، رجال أفضل مني، وأشراف. ازحف إلى كهفك يا داڤوس، ازحف إليه وتكوَّر على نفسك وستبتعِد السَّفينة ولن يُزعجك أحد ثانيةً أبدًا. نَم على وسادتك الحجريَّة ودَع النَّوارس تَنقُر عينيك بينما تلتهم السَّراطين لحمك. أنت التهمت الكثير من لحمها وتُدين لها بهذا. اختبئ أيها المهرِّب، اختبئ واصمُت ومُت.

الآن يكاد الشِّراع يَبلُغه. بضع دقائق أخرى وستمرُّ به السَّفينة بسلام، ويموت هو أيضًا بسلام.

امتدَّت يده إلى حَلقه باحثةً عن الجراب الجلدي الصَّغير الذي يُثبِّته حول عُنقه دائمًا، ويحتفظ في داخله بعظم الأصابع الأربعة التي قلَّمها الملك يوم نصَّبه فارسًا. حَظِّي. خبطَت أصابعه المجدوعة على صدره، تبحث ولا تَعثُر على شيء. لقد فقدَ الجراب ومعه العظام التي لم يستوعِب ستانيس قَطُّ سبب احتفاظه بها. بشفتيه المشقَّقتين همسَ: «لتُذكِّرني بعدالة مليكي». لكنها ضاعَت الآن. النَّار سلبَتني حَظِّي كما سلبَتني أبنائي. في أحلامه لم يزل النَّهر مشتعلًا، والشَّياطين تَرقُص على صفحة الماء وفي أيديها سِياط من لهب تجلد الرِّجال فيحترقون ويتفحَّمون. رفعَ داڤوس صوته بالدُّعاء قائلًا: «رُحماكِ يا أمَّاه، أنقِذيني أيتها الأُم الرَّءوف، أنقِذينا جميعًا. لقد ضاعَ حَظِّي

وضاعَ أبنائي». كان يبكي بحرقةٍ الآن، تنهمِر العبرات المالحة على وجهه بغزارة. «النَّار أخذَت كلَّ شيء... النَّار...».

لعلَّه كان صوت هبوب الرِّيح على الصَّخرة فحسب، أو صوت انكسار الأمواج على الشَّاطئ، لكن داڤوس سيوورث سمعَ إجابتها لحظةً، إذ همسَت (الأم) بصوتٍ حزينٍ خافتٍ كأنه الموج في محارة: «أنتم من اجتلَبتم النَّار، أنتم أحرقتمونا... أحَرقتمونا... أحرررررقتمونااااااا».

صاحَ داڤوس: «إنها هي! لا تَهجُرينا يا أمَّنا. هي من أحرقَتكم، المرأة الحمراء، مليساندرا، هي!». كان يراها بعين الخيال، يرى الوجه ذا شكل القلب والعينين الحمراوين والشَّعر النُّحاسي الطَّويل وفُستانها الأحمر يتموَّج كاللَّهب كلما تحرَّكت، دوَّامة من الحرير والسَّاتان. من (آشاي) في الشَّرق جاءَت، جاءَت (دراجونستون) وظفرَت لإلهها الأجنبي بالملكة سيليس ورجالها، ثم بالملك ستانيس باراثيون نفسه، الذي بلغَ به الأمر أن وضعَ القلب النَّاري على راياته، قلب راهلور إله الضِّياء ورَب اللَّهب والظِّل، وبإلحاحٍ من مليساندرا جَرَّ الملك تماثيل سبعة الآلهة من السِّپت في (دراجونستون) وأحرقَها أمام بوَّابة القلعة، وبَعدها أضرمَ النَّار في أيكة الآلهة في (ستورمز إند)، بما فيها شجرة القلوب، شجرة الويروود البيضاء الضَّخمة ذات الوجه الوقور. تمتمَ داڤوس بضَعفٍ أكبر: «كان هذا من صُنعها». من صُنعها وصُنعك يا فارس البصل. أنت من قادَها إلى (ستورمز إند) في جوف اللَّيل كي تلد طِفلها الظِّل. لا تحسب أن لا لوم عليك. لقد ركبت تحت رايتها ورفعتها من صاري سفينتك، ورأيت (السَّبعة) يحترقون في (دراجونستون) ولم تُحَرِّكْ ساكنًا. هي ألقَت بعدالة (الأب) في النَّار، وبرحمة (الأم) وحكمة (العجوز)، و(الحدَّاد) و(الغريب) و(العذراء) و(المُحارب)، أحرقَتهم جميعًا في سبيل مجد إلهها الوحشي، وأنت وقفت في مكانك ولم تنبس ببنت شفة، وحتى عندما قتلَت المايستر كرسن العجوز، حتى آنذاك لم تفعل شيئًا.

أصبحَ الشِّراع على بُعد مئة ياردة، ويتحرَّك بسرعةٍ عبر الخليج. بضع دقائق أخرى وسيكون قد مَرَّ به وبدأ يصغر من جديد.

وبدأ السير داڤوس سيوورث يتسلَّق الصَّخرة.

بيدين راجفتين سحبَ نفسه إلى أعلى ورأسه يدور من الحُمَّى، وانزلقَت

أصابعه المجدوعة مرَّتين على الصُّخور الرَّطبة وكادَ يَسقُط، لكنه تمكَّن بشكلٍ ما من التَّشبُّث. إذا سقطَ فإنه ميت لا محالة، وهو يجب أن يعيش ولو فترةً أطول قليلًا فقط، فالآن هناك شيء ينبغي أن يفعله.

كانت قمَّة الصَّخرة أصغر من أن يستطيع الوقوف عليها بأمانٍ وهو بهذا الوهن، فقبعَ في مكانه ولوَّح بيديه المهزولتين صارخًا في الرِّيح: «أيتها السَّفينة، أيتها السَّفينة، هنا، هنا!». من هنا أمكنه أن يراها بمزيدٍ من الوضوح، البدن النَّحيل المخطَّط وتمثال المقدِّمة البرونزي والشِّراع المنتفخ، وثمَّة اسم مرسوم على البدن، لكن داڤوس لم يتعلَّم القراءة قَطُّ. نادى ثانيةً: «أيتها السَّفينة، النَّجدة، النَّجدة!».

رآه أحد رجال الطَّاقم الواقفين على المقدِّمة وأشارَ نحوه، وشاهدَ داڤوس رجالًا آخَرين يقتربون من الحافة ليُحَدِّقوا إليه، وبَعد قليل خفضَ القادس شراعه وارتفعَت مجاذيفه من الماء ودارَ ليتَّجه إلى الملاذ القَفر. كان أكبر حجمًا من أن يدنو من الصَّخرة كثيرًا، لكنه أنزلَ قاربًا صغيرًا على بُعد ثلاثين ياردةً، فتمسَّك داڤوس بصخرته وراقَبه يقترب منه ببُطءٍ وعلى متنه أربعة رجالٍ يُجَذِّفون، وعند المقدِّمة رجل خامس نادى عندما صاروا على بُعد أقدامٍ معدودة من جزيرته: «أنت، أنت على الصَّخرة، من تكون؟».

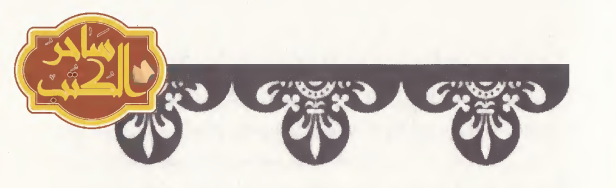
مَهرِّب ترقَّى في العالم أكثر مما كان ينبغي له، أحمق أحبَّ ملكه أكثر من اللَّازم وأغفلَ آلهته. «أنا...». كان حلقه جافًّا كالصَّحراء ونسيَ كيف يتكلَّم، فشعرَ بمذاق الكلمات غريبًا على لسانه وبوقعها أغرب على أذنيه. «كنتُ في المعركة، كنتُ... رُبَّانًا، فارسًا... كنتُ فارسًا».

قال الرَّجل: «نعم أيها الفارس، وأيُّ ملكٍ تخدم؟».

خطرَ له فجأةً أن القادس قد يكون لچوفري، فإذا لفظَ الاسم الخطأ الآن سيتركونه لمصيره. لكن لا، البدن مخطَّط، أي أنها سفينة لايسينيَّة، سفينة تابعة لسالادور سان. (الأم) بعطفها أرسلَتها إلى هنا، لأن لديها مهمَّة له. عرفَ عندها أن ستانيس حي. ما زالَ لديَّ ملك، وأبناء، لديَّ أبناء آخَرون، وزوجة مخلصة محبَّة. كيف نسيَ؟ (الأم) رحيمة حقًّا.

صاحَ مجيبًا اللايسيني: «ستانيس، بحَقِّ الآلهة أخدمُ الملك ستانيس».

رَدَّ الرَّجل على متن القارب: «نعم، ونحن أيضًا».



سانزا

بدَت الدَّعوة بريئةً جدًّا، ولكن كلما قرأتها أحسَّت بمعدتها تضطرب. إنها جميلة وثريَّة ويُحِبُّها الجميع، وستُصبِح الملكة عمَّا قريب، فلِمَ تُريد أن تتناوَل العَشاء مع ابنة خائن؟ خمَّنت أن الفضول قد يكون السَّبب، فربما ترغب مارچري تايرل في معايَنة الغريمة التي أزاحَتها وحلَّت محلَّها. أهي ناقمة عليَّ يا تُرى؟ هل تظنُّ أني أضمرُ لها ضغينةً ما؟

شاهدَت سانزا من فوق أسوار القلعة عندما ارتقَت مارچري تايرل وموكبها (تَل إجون العالي). كان چوفري قد قابلَ عروسه الجديدة عند (بوَّابة الملك) ليُرَحِّب بها في المدينة، وركبَ الاثنان جنبًا إلى جنب وسط الجماهير المهلِّلة، يتألَّق چوف في دِرعه المذهَّبة وتَرفُل بنت تايرل في فُستانها الأخضر الأخَّاذ ومعطف زهور الخريف المنسدل من على كتفيها. كانت حسناء نحيلةً في السَّادسة عشرة من العُمر، بنِّيَّة الشَّعر والعينين، وقد هتفَ النَّاس باسمها إذ مرَّت بينهم، ورفعوا أطفالهم طالبين بَركتها، ونثَروا الزُّهور تحت حوافر حصانها. وراءها بمسافةٍ قصيرة جاءَت أمُّها وجدَّتها في مركبةٍ طويلة ذات جوانب نُقِشَت عليها عشرات الورود المتعانقة، كلٌّ منها مذهَّبة لامعة، فحيَّاهما العامَّة بدورهما.

العامَّة أنفسهم الذين شَدُّوني من فوق حصاني وكانوا ليقتُلوني لولا كلب الصَّيد. لم تفعل سانزا شيئًا يستأهِل كراهية العوام، تمامًا كما لم تفعل مارچري تايرل ما يُنَوِّلها حُبَّهم. تفحَّصت سانزا الدَّعوة التي بدَت مكتوبةً بخَطِّ مارچري نفسها، وفكَّرت: هل تُريدني أن أحبَّها أنا الأخرى؟ هل تُريد مبارَكتي؟ تساءلَت إن كان چوفري على درايةٍ بهذا العَشاء، وعلى حَدِّ علمها

قد يكون وراء الأمر كلِّه. أصابَها الخاطِر بالخوف. إذا كان چوف صاحِب الدَّعوة، فلا بُدَّ أنه يُدَبِّر لدُعابةٍ قاسيةٍ تُخزيها في عينَيْ الفتاة التي تكبرها سِنًّا. هل سيأمر حَرسه الملكي بتجريدها من ثيابها ثانيةً؟ آخِر مرَّةٍ فعلها أوقَفه خاله تيريون، لكن العِفريت لا يستطيع أن يُنقِذها الآن.

لا أحد يُمكنه إنقاذي إلَّا فارسي فلوريان. لقد وعدَها السير دونتوس بأن يُساعِدها على الهرب، لكن ليس قبل ليلة زفاف چوفري، وأكَّد لها فارسها المخلص العزيز الذي أصبحَ مهرِّجًا أن الخُطط جاهزة، ولا شيء تفعله حتى ذلك الحين غير الاحتمال وإحصاء الأيام.

وتناوُل العَشاء مع بديلتي...

لعلَّها تظلم مارچري تايرل، لعلَّ الدَّعوة محض كياسةٍ بسيطة من باب المجامَلة. قد يكون مجرَّد عَشاء. لكنها في (القلعة الحمراء)، في (كينجز لاندنج)، في بلاط الملك چوفري باراثيون الأول، وإذا كانت سانزا ستارك قد تعلَّمت شيئًا ها هنا، فهو الارتياب.

وعلى الرغم من ذلك عليها أن تقبل. إنها لا شيء الآن، ابنة منبوذة لخائنٍ وأخت مذمومة للورد متمرِّد، ولا يُمكنها أن تُعرِض عن دعوةٍ ممَّن ستُصبِحُ ملكة چوفري.

ليت كلب الصَّيد كان هنا. ليلة المعركة جاءَ ساندور كليجاين غُرفتها ليأخذها من المدينة، لكنها رفضَت، وأحيانًا تَرقُد مستيقظةً في سريرها ليلًا تتساءَل إن كان رفضها حكيمًا. لقد خبَّأت معطفه الأبيض المتَّسخ في صندوقٍ من خشب الأرز تحت فساتينها المصنوعة من الحرير الصَّيفي، ولا تدري لماذا احتفظَت به. كانت قد سمعَت كلامًا يتردَّد عن الجُبن الذي أصابَ كلب الصَّيد، وكيف شربَ حتى ثملَ تمامًا في أوج المعركة، فأخذَ العِفريت رجاله وقادَهم، لكنها تفهم السَّبب، لأنها تعلم سِرَّ وجهه المحروق. لم يكن يخشى إلَّا النَّار. ليلتها أجَّجت النَّار الشَّعواء النَّهر ذاته ولفحَت الهواء باللَّهب الأخضر، وحتى في داخل القلعة تملَّك الخوف سانزا، أمَّا في الخارج... لا يُمكنها أن تتخيَّل كيف كان المشهد.

متنهِّدةً، أخرجَت سانزا الحبر والرِّيشة وكتبَت لمارچري تايرل رسالة قبولٍ دمثة.

وعندما جاءَت اللَّيلة الموعودة، أتاها واحد آخَر من الحَرس الملكي، رجلٌ يختلف عن ساندور كليجاين اختلاف... اختلاف الزَّهرة عن الكلب. جعلَ منظر السير لوراس تايرل الواقف على عتبتها ضربات قلبها تتسارَع، فهي أول مرَّةٍ تكون دانيةً منه لهذه الدَّرجة منذ عادَ إلى المدينة على رأس طليعة جيش أبيه، ولوهلةٍ لم تدرِ ماذا تقول، وفي النِّهاية خاطبَته متلعثمةً: «سير لوراس، إنك... إنكَ تبدو رائعًا».

رمقَها بنظرةٍ حائرة، وقال: «سيِّدتي شديدة اللُّطف، وجميلة أيضًا. أختي تنتظركِ بشوق».

- «لقد تطلَّعتُ إلى هذا العَشاء كثيرًا».

قال ملتقطًا ذراعها ليقودها نحو السَّلالم: «ومارچري أيضًا، والسيِّدة جدَّتي».

- «جدَّتك؟». وجدَت سانزا المشي والكلام والتَّفكير في الآن نفسه صعبًا بينما يمسُّ السير لوراس ذراعها وتحسُّ بدفء يده عبر حرير فُستانها.

- «الليدي أولينا. ستتناوَل العَشاء معكما أيضًا».

غمغمَت سانزا: «أوه». إنني أكلِّمه وهو يلمسني، يُمسِك ذراعي ويلمسني. «يُلَقِّبونها بملكة الأشواك، أليسِ كذلك؟».

أجابَ السير لوراس ضاحكًا: «بلى»، ففكَّرت: يا لدفء ضحكته، بينما تابعَ هو: «وإن كان الأفضل ألَّا تستخدمي هذا الاسم في حضورها وإلَّا وُخِزتِ».

تورَّد وجهها خجلًا. أيُّ أحمق يعرف أن لا امرأة سيَسُرُّها أن تُسَمَّى ملكة الأشواك. لعلِّي غبيَّة حقًّا كما تقول سرسي لانستر. باستماتةٍ حاولَت التَّفكير في شيءٍ ظريفٍ جذَّاب تقوله له، إلَّا أن بديهتها تخلَّت عنها، وكانت على وشك أن تُخبِره بأنه يبدو رائعًا، ثم تذكَّرت أنها قالت هذا بالفعل.

لكنه جميلُ المحيَّا حقًّا، يبدو الآن أطول مما كان عندما التقَته أول مرَّة، لكن لا يزال شديد الرَّشاقة والحُسن، وسانزا لم ترَ قَطُّ صبيًّا يملك هاتين العينين الأخَّاذتين. ولو أنه ليس صبيًّا، وإنما رجل ناضج، فارس في الحَرس الملكي. خطرَ لها أنه يبدو أبهى في الأبيض مما يكون حينما يرتدي أخضر وذهبيَّ عائلة تايرل، فلا ألوان في ثيابه الآن باستثناء المشبك الذي يُثبِّت

معطفه، وردة (هايجاردن) المشغولة من الذَّهب الأصفر الخالص، المستكينة وسط أوراق خضراء رقيقة من اليَشب.

فتحَ لهما السير بالون سوان باب (حصن ميجور) ليَمُرَّا، وقد ارتدى الأبيض بدوره، وإن لم يبدُ فيه برونق السير لوراس. بَعد الخندق الممتلئ بالخوازيق كانت هناك دستتان من الرِّجال الذين يتمرَّنون بالسَّيف والتُّرس، فمع ازدحام القلعة عن آخِرها بالضُّيوف، خُصِّصَت السَّاحة الخارجيَّة لرفع الخيام والسُّرادقات، تاركةً الأفنية الدَّاخليَّة الأصغر فقط للتَّدريب. أحد توأمَيْ ردواين كان يتقهقَر مرغمًا أمام السير تالاد الذي يحمل تُرسًا عليه عين مرسومة، وبدا السير كينوس ابن بلدة (كايس)، الرَّجل القصير المكتنز الذي يتعالى لهاثه كلما رفعَ سيفه الطَّويل، قادرًا على الثَّبات أمام أوزني كِتلبلاك، لكن ضربات أخي أوزني السير أوزفريد بالغة العُنف صنعَت عبرةً من المُرافق ذي وجه الضِّفدع موروس سلينت. سواء أكانت سيوف المران هذه مكلَّلةً أم لم تكن، سيكون محصول وفير من الكدمات قد نما لسلينت مع حلول الغد. جفلَت سانزا من مجرَّد المشاهَدة، وفكَّرت: بالكاد فرغوا من دفن موتى المعركة السَّابقة، ويتدرَّبون بالفعل من أجل التَّالية.

على حافة الفِناء كان فارس وحيد على تُرسه وردتان ذهبيَّتان يصدُّ ثلاثة خصوم، وبينما شاهَدا ضربَ الفارس أحدهم على جانِب رأسه مُفقِدًا إياه الوعي، فسألَت سانزا: «أهذا أخوك؟».

أجابَ السير لوراس: «هو يا سيِّدتي. غالبًا يتمرَّن جارلان ضد ثلاثة رجالٍ أو حتى أربعة. يقول إن صِدام واحدٍ بواحدٍ فقط في المعركة شيء نادر، ويحبُّ أن يكون مستعدًّا».

- «مؤكَّد أنه شُجاع للغاية».

- «إنه فارس عظيم، أفضل مني في المبارَزة بالسَّيف في الحقيقة، وإن كنتُ أجيدُ النِّزال بالرُّمح أكثر منه».

قالت سانزا: «أذكرُ هذا. إن براعتك في الرُّكوب في المضمار فائقة».

- «لُطفٌ من سيِّدتي أن تقول هذا. متى رأتني أركبُ في مضمار؟».

- «في دورة مباريات اليَد، ألا تَذكُر؟ كنت تمتطي حصانًا أبيض، ودِرعك عليها نقوش لمئة نوعٍ من الزُّهور. يومها أعطيتني وردةً، وردةً حمراء، بينما

ألقيت الورد الأبيض لبقيَّة الفتيات، وقلت إن لا انتصار في العالم يُضاهي جَمالي». جعلَ قولها هذا وجهها يتخضَّب بالحُمرة.

منحَها السير لوراس ابتسامةً متواضعةً، وقال: «لم أقل إلَّا حقيقةً بسيطةً يراها أيُّ رجلٍ له عينان».

مشدوهةً أدركَت سانزا أنه لا يَذكُر، وقالت لنفسها: إنه يتلطَّف معي لا أكثر، لكنه لا يتذكَّرني أو يتذكَّر الوردة أو أيَّ شيء. لقد كانت على يقينٍ تام بأن هذا الحادث يعني شيئًا، بأنه يعني كلَّ شيء. الوردة كانت حمراء لا بيضاء. قالت بيأس: «كان هذا بَعدما أسقطت السير روبار رويس عن حصانه».

رفعَ يده عن ذراعها قائلًا: «لقد قتلتُ روبار في (ستورمز إند) يا سيِّدتي». لم يَقُلها تفاخُرًا، بل وسمعَت رنَّةً من الأسى في صوته.

هو وواحد آخَر من رجال رنلي في حَرس قوس قزح، نعم. كانت سانزا قد سمعَت النِّسوة يتكلَّمن عن هذا عند البئر، لكنها نسيَته لحظةً. «عندما قُتِلَ اللورد رنلي، أليس كذلك؟ حادثة مؤسفة لأختك المسكينة».

رَدَّ بصوتٍ مشدود: «لمارچري؟ نعم، بالتَّأكيد. لكنها كانت في (جسر العلقم) ولم ترَ».

- «ولو، عندما سمعَت...».

بخفَّةٍ مَسَّ السير لوراس قائم سيفه[1] ذي المقبض الجِلدي الأبيض والقبيعة المرمريَّة ذات شكل الوردة، وقال: «رنلي ماتَ، وروبار كذلك، فما الفائدة من الكلام عنهما؟».

فاجأتها حدَّة نبرته، فقالت: «أنا... سيِّدي، أنا... لم أقصد إساءةً أيها الفارس».

أجابَ السير لوراس: «ولا يُمكن أن تَصدُر منكِ إساءة يا ليدي سانزا»، لكن كلَّ ما في صوته من دفءٍ تلاشى، ولم يلتقِط ذراعها ثانيةً.

وصعدا السَّلالم الملتفَّة وقد رانَ عليهما صمت عميق.

أوه، لماذا ذكرتُ السير روبار؟ لقد أفسدتُ كلَّ شيء. إنه غاضب مني الآن.

---

(1) يتكون قائم السيف أو رئاسته من جزأين: المقبض، وهو الجزء الذي تقبض عليه كف حامل السَّيف، والقبيعة، وهي قطعة الزِّينة العريضة التي تُلَبَّس أعلى القائم. (المترجم).

حاولَت التَّفكير في شيءٍ تقوله لإصلاح الموقف، لكنها وجدَت كلَّ الكلام الذي خطرَ ببالها تافهًا ضعيفًا، فقالت لنفسها: اصمُتي وإلَّا زدتِ الطِّين بلَّةً.

سُكِّنَ اللورد مايس تايرل وحاشيته وراء السِّپت الملكي، في الحصن الطويل المكسو سطحه بأحجار الأردواز، الذي سُمِّيَ (قفص العذراوات) منذ حبسَ الملك بيلور المبارَك أخواته في داخله، كي لا تُثير فتنتهن فيه أيَّ أفكارٍ شهوانيَّة، وأمام مصراعَيْ الباب المرتفعيْن المنقوشيْن وقفَ حارسان يرتدي كلٌّ منهما خوذةً قصيرةً مذهَّبةً ومعطفًا أخضر موشًى عند الحواف بالسَّاتان الذَّهبي، وعلى صدره خيطَت وردة (هايجاردن) الذَّهب. كلاهما يُناهِز السَّبعة أقدام طولًا، عريض الكتفين وضيِّق الخصر ومفتول العضلات، ولمَّا اقتربَت سانزا بما يكفي لأن ترى وجهيهما بوضوح، وجدَتهما نُسختيْن متطابقتيْن لا يُمكن التَّمييز بينهما، فالاثنان لهما الفَكُّ القويُّ نفسه والعينان الزَّرقاوان العميقتان عينهما والشَّارب الأحمر الكث ذاته، فسألَت السير لوراس متناسيةً إحباطها: «مَن هذان؟».

أجابَها: «حارسا جدَّتي الشَّخصيَّان. أمُّهما سمَّتهما إريك وآريك، لكن جدَّتي لا تستطيع التَّفرقة بينهما، فتُسَمِّيهما شِمال ويمين».

فتحَ شِمال ويمين الباب، وظهرَت مارچري تايرل بنفسها وأسرعَت تنزل السُّلَّم القصير لتُحَيِّيهما مناديةً: «ليدي سانزا، يُسعِدني للغاية أنكِ جئتِ. مرحبًا بكِ».

ركعَت سانزا عند قدمَيْ ملكتها القادمة قائلةً: «لقد شرَّفتِني تشريفًا عظيمًا يا جلالة الملكة».

- «ألن تدعيني بمارچري؟ انهضي أرجوكِ. لوراس، ساعِد الليدي سانزا على الوقوف. هل تسمحين بأن أخاطِبكِ بسانزا؟».

قالت ناهضةً بمساعدة السير لوراس: «إذا كان هذا يُسعِدكِ».

صرفَته مارچري بقُبلةٍ أخويَّة، وأخذَت سانزا من يدها وهي تقول: «تعالي، جدَّتي منتظرة، والصَّبر ليس من فضائلها».

كانت النَّار تُطَقطِق في المستوقَد، فيما بُسِطَت الحصائر المعطَّرة على الأرض، وحول المائدة الطويلة جلسَت دستة من النِّساء.

لم تتعرَّف سانزا إلَّا الليدي آليري زوجة اللورد تايرل الوقور طويلة القامة،

التي ربطَت ضفيرتها الفضِّيَّة بحلقاتٍ محلَّاة بالجواهر، بينما قدَّمت مارچري لها الأخريات. كانت هناك ثلاث بنات عمومة من عائلة تايرل، مِجا وآلا وإلينور، وكلهن قريبات من سانزا في السِّن، والليدي چانا ذات الصَّدر الكبير هي أخت اللورد تايرل ومتزوِّجة بأحد أفراد فرع التُّفَّاحة الخضراء من عائلة فوسواي، والليدي ليونيت الرَّقيقة ذات العينين اللَّامعتين من عائلة فوسواي أيضًا ومتزوِّجة بالسير جارلان، والسِّپتة نستيريكا لها وجه دميم مجدور لكنها تبدو مرحةً، والليدي جريسفورد الشَّاحبة الأنيقة حُبلى في طفل، أمَّا الليدي بولوار فهي نفسها طفلة لا تتعدَّى الثَّامنة من العُمر، وعلى سانزا أن تُخاطِب الصَّاخبة السَّمينة ميريديث كرين بميري على سبيل التَّدليل، لكن بالتَّأكيد ليس الليدي ميريويذر، الفاتنة المايريَّة سوداء العينين.

وأخيرًا وقفَت مارچري بها عند الجالسة إلى رأس المائدة، امرأة هَرِمة بيضاء الشَّعر أقرب في الحجم إلى دُمية، وقالت: «يُشَرِّفني أن أقدِّم لكِ جدَّتي الليدي أولينا، أرملة اللورد لوثور تايرل سيِّد (هايجاردن) الرَّاحل، الذي تُواسينا ذِكراه جميعًا».

كانت رائحة ماء الورد تفوح من العجوز، ولا شيء شائكًا في منظرها مطلقًا، ففكَّرت سانزا: يا لضآلة حجمها.

مدَّت الليدي أولينا يدها النَّاعمة المليئة بالتَّجاعيد تشدُّها من معصمها، وقالت: «قبِّليني يا صغيرتي. لُطف شديد منكِ أن تتناوَلي العَشاء معي ومع سَربي من الدَّجاجات البلهاوات».

بطاعةٍ قبَّلت سانزا العجوز على خدِّها مجيبةً: «كرم منكِ أن تُضَيِّفيني يا سيِّدتي».

- «كنتُ أعرفُ جدَّكِ اللورد ريكارد، لكن ليس جيِّدًا».

- «لقد ماتَ قبل أن أولَد».

- «أعلمُ هذا يا صغيرتي، ويُقال إن جدَّكِ تَلي يموت أيضًا، اللورد هوستر. لا بُدَّ أنهم أخبَروكِ، أليس كذلك؟ إنه رجل عجوز، مع أنه ليس طاعنًا في السِّنِّ مِثلي. لكن اللَّيل يجنُّ علينا جميعًا في النِّهاية، وعلى بعضنا يأتي مبكِّرًا للغاية. لا شَكَّ أنكِ تعين هذا أكثر من غيركِ أيتها المسكينة. أعرفُ أنكِ نلتِ قسطًا من الحسرة. إننا آسفون لما فقدتِ».

رمقَت سانزا مارچري قائلةً: «أحزنَني سماع خبر موت اللورد رنلي يا جلالة الملكة. كان رجلًا شهمًا للغاية».

أجابَت مارچري: «لُطف منكِ أن تقولي هذا».

قالت جدَّتها ساخرةً: «كان شهمًا للغاية، نعم، وساحرًا، ونظيفًا جدًّا. كان يعرف كيف يتأنَّق وكيف يتبسَّم وكيف يتحمَّم، وبشكلٍ ما جعلَه هذا يتصوَّر أنه يَصلُح لأن يكون ملكًا. دائمًا ما تُوارِد أولاد باراثيونَ هؤلاء أفكار غريبة، صحيح، وأعتقدُ أنها تأتي من دماء تارجاريَن في عروقهم»، وتنشَّقت مردفةً: «حاوَلوا أن يُزوِّجوني بتارجاريَن ذات مرَّة، لكنني سرعان ما وضعتُ نهايةً لهذا».

قالت مارچري: «رنلي كان شُجاعًا ورفيقًا يا جدَّتي، وأبي أيضًا أحبَّه، وكذا لوراس».

ردَّت الليدي أولينا بجفاف: «لوراس صغير وبارع للغاية في إسقاط الرِّجال عن أحصنتهم بعصا، لكن هذا لا يجعله حكيمًا. وبالنِّسبة لأبيكِ، فليتني وُلِدتُ فلَّاحةً تحمل ملعقةً خشبيَّةً كبيرةً، أضربه بها حتى يعود شيء من العقل إلى رأسه السَّمين».

قالت الليدي آليري مؤنِّبةً: «أمِّي!».

- «صمتًا يا آليري، لا تُكلِّميني بهذا الأسلوب، ولا تُناديني بأمِّي. لو أني ولدتكِ لتذكَّرتُ هذا، أنا واثقة، لكنني لستُ مُلامةً إلَّا على زوجكِ، سيِّد (هايجاردن) المغفَّل».

قالت مارچري: «جدَّتي، صوني لسانكِ. ماذا تقول سانزا عنا؟».

ردَّت العجوز: «قد تقول إننا نتحلَّى بشيءٍ من الحكمة، أحدنا على الأقل»، ثم التفتَت إلى سانزا مواصلةً: «إنها خيانة، قلتُ لهم وحذَّرتهم، روبرت لديه ابنان، ورنلي لديه أخ أكبر منه، فكيف يُمكن بأيِّ شكلٍ أن يكون له حَق في ذلك الكُرسي الحديدي القبيح؟ فيقول ابني: تؤ تؤ، ألا تُريدين أن تُصبح حفيدتكِ العزيزة ملكةً؟ أنتم يا آل ستارك كنتم ملوكًا ذات يوم، وآل آرن ولانستر كذلك، وحتى آل باراثيون من خلال إناثهم، لكن آل تايرل لم يكونوا أكثر من وُكلاء، إلى أن جاءَ إجون التنِّين وطها ملك (المرعى) الشَّرعي في حقل النِّيران. إذا أردتِ الحقيقة، فحتى حقُّنا في (هايجاردن) مشكوك فيه،

تمامًا كما يشكو آل فلورنت المقيتون دائمًا. تسألينني عن الفرق؟ وبالطَّبع لا فرق هنالك إلَّا عند أمثال المغفَّلين كابني. فكرة أن يومًا قد يأتي ويرى مؤخِّرة حفيده على العرش الحديدي تجعل مانس ينتفخ كـ... ماذا يُسَمُّونها؟ مارچري، أنتِ ذكيَّة، فتلطَّفي وقولي لجدَّتك العجوز المسكينة نِصف الخَرِفة اسم تلك السَّمكة الغريبة التي تعيش عند (جُزر الصَّيف)، تلك التي تَنفُخ نفسها مضاعفةً حجمها عشر مرَّات عندما تُهَدِّدينها».

- «يُسَمُّونها أسماك النُّفِّيخة يا جدَّتي».

- «بالطَّبع. أهل (جُزر الصَّيف) هؤلاء بلا خيال. حريٌّ بابني أن يتَّخذ سمكة النُّفِّيخة رمزًا له إذا أردتِ الحقيقة. يُمكنه أن يضع تاجًا عليها، كما يضع آل باراثيون واحدًا على الوعل، فلربما يُسعِده هذا. كان ينبغي أن نبقى بعيدًا عن هذه الحماقة الدَّامية إذا طلبتِ رأيي، لكن إذا حُلِبَت البقرة فلا سبيل لإعادة القشدة إلى ضرعها. بَعدما وضعَ اللورد نُفِّيخة ذلك التَّاج على رأس رنلي كنا قد توغَّلنا في الوحل حتى الرُّكب، وها نحن أولاء نُزمِع أن نرى نهاية الأمر، فما رأيكِ في هذا يا سانزا؟».

انفتحَ فمها وانغلقَ، فأحسَّت لحظتها كأنها هي نفسها سمكة منتفخة، وكان أفضل ما استطاعَت أن تردَّ به دون مهلةٍ للتَّفكير هو: «نسب عائلة تايرل يعود إلى جارث ذي اليد الخضراء».

بتهكُّم قالت ملكة الأشواك: «وكذلك عائلة فلورنت، وروان، وأوكهارت، ونِصف العائلات النَّبيلة الأخرى في الجنوب. يقولون إن جارث كان يهوى زرع بذوره في الأراضي الخصبة، ولا أشكُّ أن الاخضرار لم يكن يشمل يديه فقط».

تدخَّلت الليدي آليري قائلةً: «سانزا، لا بُدَّ أنكِ جائعة جدًّا. هلَّا تناوَلنا القليل من لحم الخنزير البرِّي وكعكات اللَّيمون؟».

قالت سانزا: «كعكات اللَّيمون طعامي المفضَّل».

أعلنَت الليدي أولينا، التي يبدو أن لا نيَّة لديها أن تَصمُت: «هذا ما قيلَ لنا. ذلك المخلوق المسمَّى ڤارس اعتقدَ أن علينا أن نكون ممتنِّين لهذه المعلومة. إذا أردتِ الحقيقة، فأنا لم أفهم قَطُّ الجدوى من المخصيِّين، ويبدو لي أنهم مجرَّد رجال قُطِعَت أعضاؤهم المفيدة. آليري، ألن تجعلينهم

يُحضِرون الطَّعام؟ أم أنكِ تُريدينني أن أتضوَّر جوعًا حتى الموت؟ تعالي يا سانزا، اقعُدي إلى جواري. إنني أقلُّ إثارةً للملل من الأخريات بكثير. أتمنَّى أنكِ تُحبِّين المهرِّجين».

سوَّت سانزا تنُّورتها، وقعدَت قائلةً: «أعتقدُ... تقولين المهرِّجين يا سيِّدتي؟ أتعنين... مَن يرتدون الثِّياب ذات الألوان الكثيرة؟».

- «الرِّيش في حالتنا هذه. عمَّن حسبتِني أتكلَّم؟ ابني؟ أم هؤلاء السيِّدات الجميلات؟، لا، لا يتوردنَّ وجهكِ هكذا فتبدين كحبَّة رُمَّان، خصوصًا مع لون شَعركِ. كلُّ الرِّجال مهرِّجون إذا أردتِ الحقيقة، لكن من يرتدون الألوان المبهرجة مسلُّون أكثر ممَّن يعتمِرون التِّيجان. مارچري يا صغيرتي، استدعي برميل الزُّبدة. لنرَ إن كنا نستطيع أن نجعل الليدي سانزا تبتسم. ولتجلس بقيَّتكن، أينبغي أن أخبركن بكلِّ شيء؟ لا بُدَّ أن سانزا تعتقد أن حاشية حفيدتي ما هي إلَّا قطيع خراف».

وصلَ برميل الزُّبدة قبل الطَّعام، مرتديًا ثوب مهرِّج من الرِّيش الأخضر والأصفر، وعلى رأسه عُرف عريض ليِّن. كان رجلًا مستدير البطن شديد البدانة، يُساوي حجمه ثلاثةً من فتى القمر، وقد دخلَ القاعة دائرًا كالعجلة، ثم وثبَ على المائدة ووضعَ بيضةً عملاقةً أمام سانزا، وقال لها: «اكسريها يا سيِّدتي»، فلمَّا فعلَت، خرجَت من القشرة دستة من الكتاكيت الصَّفراء وهربَت في كلِّ اتِّجاه، فصاحَ برميل الزُّبدة: «أمسِكنها!». اختطفَت الليدي بولوار الصَّغيرة واحدًا وناولته إياه، وعندها أمالَ رأسه إلى الوراء وألقى الكتكوت في فمه الطَّري الكبير، وبدا أنه ابتلعَه كاملًا، ثم إنه تجشَّأ فطارَت ريشات صفراء صغيرة من أنفه. أجهشَت الليدي بولوار بالبكاء مصدومةً، لكن دموعها استحالَت إلى صرخة فرحٍ مباغتة عندما خرجَ الكتكوت متملِّصًا من كُمِّ فُستانها وجرى على ذراعها.

بينما أحضرَ الخدم حَساءَ الكُرَّاث والفِطر، شرعَ برميل الزُّبدة يُلقي الكرات في الهواء، ودفعَت الليدي أولينا نفسها إلى الأمام لتُريح مِرفقيها على المائدة، وقالت: «هل تعرفين ابني يا سانزا؟ اللورد نُفِّيخة سيِّد (هايجاردن)؟».

ردَّت سانزا بأدب: «إنه من عظماء اللوردات».

قالت ملكة الأشواك: «إنه من عظماء المغفَّلين. أبوه أيضًا كان مغفَّلًا،

زوجي، اللورد لوثور الرَّاحل. أوه، لقد أحببته كثيرًا، فلا تُسيئي فهمي. كان رجلًا حنونًا، ولا تَنقُصه مهارات غُرفة النَّوم، وإنما مغفَّل كبير على الرغم من هذا. لقد أسقطَ نفسه من فوق جُرفٍ وهو يصطاد بالصُّقور. يقولون إنه كان يَنظُر إلى السَّماء ولا يُعير حركة حصانه انتباهًا، والآن يفعل المغفَّل ابني الشَّيء نفسه، مع فارق أنه يمتطي أسدًا لا حصانًا. لقد حذَّرته من أن ركوب الأسد أسهل من النُّزول من عليه، لكنه يضحك لا أكثر. إذا أنجبتِ ابنًا يا سانزا، فاضربيه كثيرًا كي يتعلَّم أن يعمل لكِ حسابًا. لم أنجب إلَّا ابنًا واحدًا ونادرًا ما ضربته، والآن ينتبه إلى برميل الزُّبدة أكثر مما ينتبه إليَّ. قلتُ له إن الأسد ليس قطَّةً مدلَّلةً، لكنه لا يقول إلَّا تؤ تؤ تؤ يا أمِّي. هناك الكثير جدًّا من التَّأتأة في هذه البلاد إذا طلبتِ رأيي. من مصلحة كلِّ هؤلاء الملوك أن يُلقوا سيوفهم ويُصغوا لأمَّهاتهم».

أدركَت سانزا أن فمها مفتوح ثانيةً، فملأَته بملعقةٍ من الحَساء، على حين قهقهَت الليدي آليري والأخريات لمنظر برميل الزُّبدة وهو يُوَثِّب بضع برتقالاتٍ على رأسه ومِرفقيه وردفه العامر.

فجأةً قالت الليدي أولينا: «أريدكِ أن تُخبِريني بحقيقة هذا الصَّبي الملوكي، هذا الچوفري».

انقبضَت يد سانزا حول ملعقتها وقالت لنفسها: الحقيقة؟ لا أستطيعُ. لا تسألي عنها أرجوكِ، لا أستطيعُ. «أنا... أنا... أنا...».

- «أنتِ، نعم. مَن يعرفه أفضل منكِ؟ الصَّبي يبدو ملكيًّا كفايةً، هذا صحيح، وإن كان متغطرسًا نوعًا، لكن هذا يرجع إلى دماء لانستر في عروقه. على أننا سمعنا بضع حكاياتٍ مُقلِقة، فهل تمتُّ هذه الحكايات للحقيقة بصِلة؟ هل أساءَ هذا الولد معامَلتكِ؟».

تطلَّعت سانزا حولها بعصبيَّة. ألقى برميل الزُّبدة برتقالةً كاملةً في فمه ومضغَها وابتلعَها، ثم صفعَ وجنتيه فطارَت البذور من أنفه، لتتعالى أصوات الضَّحك والقهقهة من النِّساء. كان الخدم يروحون ويجيئون، وتردَّدت جلبة الملاعق والأطباق على جُدران (قفص العذراوات)، وقفزَ أحد الكتاكيت على المائدة وجرى في حَساء الليدي جريسفورد. لم يبدُ أن أحدًا يُعيرهما انتباهه، وعلى الرغم من هذا كانت مذعورةً.

قالت الليدي أولينا بصبر بدأ ينفد: «لماذا تُحَملِقين إلى برميل الزُّبدة؟ لقد سألتُ سؤالًا وأنتظرُ إجابةً. هل سرقَ آل لانستر لسانكِ يا صغيرتي؟».

كان السير دونتوس قد حذَّرها من الكلام براحتها إلَّا في أيكة الآلهة، فقالت: «چوف... الملك چوفري، إنه... جلالته عادل ووسيم للغاية و... وشُجاع كالأسد».

قالت العجوز محتدَّةً: «نعم، كلُّ لانستر أسد وكلُّ تايرل رائحة فسائه كالورد، لكن أهو رؤوف؟ أهو ذكي؟ هل قلبه طيِّب ويده رفيقة؟ هل يتحلَّى بالشَّهامة كما يليق بملك؟ هل سيُقَدِّر مارچري ويُعامِلها برقَّةٍ ويحمي شَرفها كأنه شَرفه؟».

كاذبةً أجابَت سانزا: «سيفعل. إنه... إنه وسيم جدًّا».

- «قلتِ هذا بالفعل. أتدرين يا صغيرتي؟ البعض يقول إنك حمقاء كبيرة كبرميل الزُّبدة هذا، وبدأتُ أصدِّقُ هذا. وسيم؟ لقد علَّمتُ عزيزتي مارچري قيمة الوسامة، أو أن هذا ما أتمنَّاه. إنها أقلُّ من فسوة. إريون اللَّهب السَّاطع كان وسيمًا لكن وحشًا. السُّؤال هو: ماذا يكون چوفري؟»، ومدَّت يدها تشدُّ كُمَّ خادمٍ مار، وقالت: «لستُ مولعةً بالكُرَّاث. ارفع هذا الحَساء وأحضِر لي جُبنةً».

- «الجُبنة ستُقَدَّم بَعد الكعك يا سيِّدتي».

قالت العجوز: «الجُبنة ستُقَدَّم متى أردتُ أن تُقَدَّم، وأريدها أن تُقَدَّم الآن»، وعادَت تلتفِت إلى سانزا متابعةً: «هل أنتِ خائفة يا صغيرتي؟ لا داعي لهذا، إننا نساء فقط هنا. أخبريني بالحقيقة ولن يمسَّك أذى».

- «أبي كان يقول الحقيقة دائمًا»، قالت سانزا بخفوت، ومع ذلك خرجَت الكلمات منها بصعوبة.

بدا كأن عينَيْ العجوز تسبران أغوارها كرأسَيْ سيفين ماضيَيْن لامعيْن وهي تقول: «اللورد إدارد، نعم، كانت هذه سُمعته، لكنهم قالوا إنه خائن وضربوا عُنقه رغم ذلك».

قالت سانزا: «چوفري، چوفري هو من فعلَ هذا، وعدَني بأن يكون رحيمًا وقطعَ رأس أبي. قال إن هذه هي الرَّحمة، وأخذَني إلى أعلى الأسوار وجعلَني أنظرُ إليه، إلى الرَّأس. أرادَني أن أبكي، لكني...». بترَت عبارتها وغطَّت فمها.

قلتُ أكثر من اللّازم، أوه، لتُنقِذني الآلهة، سيعرفون، سيسمعون، أحدهم سيشي بي.

- «أكمِلي». كانت مارچري هي من حثّتها، ملكة چوفري المقبلة، ولم تدرِ سانزا كم سمعَت.

- «لا أستطيعُ». ماذا لو قالت له؟ ماذا لو قالت له؟ سيقتُلني بكلِّ تأكيد، أو يُعطيني للسير إلين. «لم أقصد... أبي كان خائنًا، وأخي أيضًا خائن، ودماء الخيانة في عروقي. أرجوكِ، لا تجعليني أقولُ المزيد».

قالت ملكة الأشواك بلهجةٍ آمرة: «هدِّئي نفسكِ يا صغيرتي».

- «إنها مرعوبة يا جدَّتي، انظُري إليها».

نادَت العجوز برميل الزُّبدة: «أيها المهرِّج! غَنِّ لنا أغنيةً، واحدةً طويلةً. (الجميلة والدُّب) لا بأس بها».

أجابَ المهرِّج الضَّخم: «أمركِ! لا بأس بها بالتَّأكيد! هل أغنِّيها وأنا واقف على رأسي يا سيِّدتي؟».

- «هل سيجعلها هذا أفضل؟».

- «لا».

- «قِف على قدميك إذن، فلا نُريد أن تقع قبَّعتك. إنك لا تغسل شَعرك أبدًا حسبما أذكرُ».

- «كما تأمر سيِّدتي»، وانحنى الرَّجل بشدَّة وتجشَّأ بعُمق، ثم شَدَّ قامته وأبرزَ بطنه وبدأ يجأر: «كان هناك دُب، دُب، دُب! كلُّه أسود وبنِّي ومغطًّى بالشَّعر...».

مالت الليدي أولينا إلى الأمام، وقالت: «حتى عندما كنتُ أصغر منكِ كان معروفًا للجميع أن الجُدران لها آذان في (القلعة الحمراء). حسنٌ، فلتُصغي الجُدران إلى الأغنية إذن بينما نتكلَّم نحن الفتيات بحرِّيَّة».

قالت سانزا: «لكن ڤارس... إنه يعلم، دائمًا...».

زعقَت ملكة الأشواك في المهرِّج: «غَنِّ بصوتٍ أعلى! هاتان الأُذنان العجوزتان أقرب إلى الصَّمم. هل تهمس لي أيها الأحمق البدين؟ لستُ أدفع لك مقابل الهمس. غَنِّ!».

دوَّى برميل الزُّبدة ليتردَّد صوته الجهوري العميق على عوارض السَّقف:

«... الدُّب! أوه تعالَ، قالوا له، تعالَ إلى الاحتفال! فقال الاحتفال؟ لكني دُب! كلِّي أسود وبنِّي ومغطًّى بالشَّعر!».

ابتسمَت العجوز المتغضِّنة قائلةً: «في (هايجاردن) لدينا عناكب كثيرة بين الزُّهور، وما دامَت منصرفةً إلى حالها نَترُكها تنسج شباكها الصَّغيرة، لكن إذا وجدناها تحت أقدامنا نسحقها»، وربَّتت على ظَهر يد سانزا وقالت لها: «والآن الحقيقة يا صغيرتي. إلى أيِّ نوع من الرِّجال ينتمي هذا الچوفري، الذي يُسَمِّي نفسه باراثيون بينما يبدو لانستر حتى النُّخاع؟».

- **«وعلى الطَّريق من هنا إلى هناك! من هنا! إلى هناك! ثلاثة فِتية وعنزة ودُب راقص!».**

شعرَت سانزا كأن قلبها احتبسَ في حَلقها. كانت ملكة الأشواك العجوز دانيةً منها للغاية، حتى إنها تشمُّ رائحة أنفاسها المنفِّرة، بينما قرصَت أصابعها النَّاحلة المهزولة معصمها، وعلى جانبِها الآخَر تجلس مارچري مصغيةً. مرقَت في جسدها رعدة، وبصوتٍ راجفٍ سمعَته هي نفسها بالكاد همسَت: «وحش. چوفري وحش. لقد كذبَ بشأن صبيِّ الجزَّار وجعلَ أبي يَقتُل ذئبتي، وحين أُغضِبه يجعل رجال الحَرس الملكي يضربونني. إنه شرِّير ووحشي يا سيِّدتي، هذا صحيح، والملكة أيضًا».

تبادلَت الليدي أولينا وحفيدتها نظرةً، ثم قالت العجوز: «آه... هذا مؤسف».

بهلع فكَّرت سانزا: أوه، يا للآلهة! إذا لم تتزوَّجه مارچري، سيعرف چوف أني المُلامة، واندفعَت تقول: «أرجوكِ، لا توقفي الزِّفاف...».

- «لا تخافي، فاللورد نُفِّيخة مصمِّم على أن تكون مارچري ملكةً، وكلمة الواحد من عائلة تايرل تُساوي كلَّ ما في (كاسترلي روك) من ذهب، أو أنها كانت كذلك في أيامي على الأقل. لكننا نَشكُرك على قول الحقيقة يا صغيرتي».

كان برميل الزُّبدة يتواثَب ويخور ويضرب الأرض بقدميه مواصلًا الأغنية:

«... رقصَ ودارَ طول الطَّريق إلى الاحتفال! الاحتفال! الاحتفال!».

حين تبتسم مارچري تايرل، فإنها تُشبه أخاها لوراس كثيرًا، وقد ابتسمَت لها قائلةً: «سانزا، هل ترغبين في زيارة (هايجاردن)؟ زهور الخريف كلها

متفتِّحة الآن، وهناك بساتين ونوافير وساحات ظليلة وأروقة من الرُّخام، وأبي يحتفظ بعدَّة مغنِّين في البلاط دائمًا، صوتهم أحلى من برميلنا هذا، ولدينا زمَّارون وعازفو كمنجة وقيثارة أيضًا، وعندنا أفضل الخيول، وزوارق تنزُّه نُبحِر بها في (الماندر). هل تُحِبِّين الصَّيد بالصُّقور يا سانزا».

- «قليلًا».

- «**أوه، عذبةً كانت، ونقيَّةً، وجميلةً! العذراء وفي شَعرها العسل!**».

قالت مارچري: «ستُحِبِّين (هايجاردن) مثلما أحبُّها تمامًا، إنني واثقة»، وأزاحَت خُصلةً نافرةً من شَعر سانزا وتابعَت: «بمجرَّد أن تريها لن ترغبي في الرَّحيل، وربما لن يكون عليكِ أن ترحلي».

- «**شَعرها! شَعرها! العذراء وفي شَعرها العسل!**».

قالت ملكة الأشواك بحدَّة: «صمتًا يا صغيرتي. الليدي سانزا لم تَقُل حتى إنها ترغب في الزِّيارة».

ردَّت سانزا: «أوه، لكني أرغبُ». بدَا لها أن (هايجاردن) هي المكان الذي طالما حلمَت به، البلاط السِّحري الجميل الذي أملَت ذات يومٍ أن تجده في (كينجز لاندنج).

- «**... شَمَّ رائحة هواء الصَّيف! الدُّب! الدُّب! كلُّه أسود وبنِّي ومغطًّى بالشَّعر!**».

استدركَت سانزا: «لكن الملكة لن تدعني أذهب...».

- «بل ستفعل. دون (هايجاردن) لا أمل لآل لانستر في إبقاء چوفري على عرشه، وإذا طلبَ ابني اللورد المغفَّل هذا منها، فلن يكون لديها خيار إلَّا تلبية طلبه».

سألَت سانزا: «وهل سيفعل؟ هل سيَطلُب؟».

عقدَت الليدي أولينا حاجبيها مجيبةً: «لا أرى حاجةً إلى إعطائه الخيار، لكنه لا يملك فكرةً عن غرضنا الحقيقي بالطَّبع».

- «**شَمَّ رائحة هواء الصَّيف!**».

قطَّبت سانزا جبينها متسائلةً: «غرضنا الحقيقي يا سيِّدتي؟».

- «**تنشَّق وخارَ وشمَّه هناك! العسل في هواء الصَّيف!**».

قالت العجوز وبرميل الزُّبدة يُواصِل جؤار الأغنية بالغة القِدم: «أن نُتِمَّ زواجكِ بحفيدي بسلامٍ يا صغيرتي».

أتزوّجُ السير لوراس، أوه... احتبسَت أنفاسها في صدرها، وتذكَّرت السير لوراس في دِرعه البرَّاقة المحلَّاة بالصَّفِّير وهو يُلقي لها وردةً، وفي الحرير الأبيض وهو شديد النَّقاء والبراءة والجَمال. تذكَّرت الغمَّازتين عند رُكنَيْ فمه إذا ابتسمَ، وعذوبة ضحكته ودفء يده، وتخيَّلت كيف سيكون إحساسها إن خلعَت قميصه وتحسَّست البشرة النَّاعمة تحته، وأن تقف على أطراف أصابعها لتُقبِّله، وأن تُمرِّر أصابعها في خُصلات شَعره البنِّي الغزير وتغرق في عينيه البنِّيَّتين.

وزحفَت الحُمرة على عُنقها.

- «**أوه، أنا عذراء، ونقيَّة وجميلة! ولن أرقص أبدًا مع دُبٍّ مغطًّى بالشَّعر! مع دُب! مع دُب! لن أرقص أبدًا مع دُبٍّ مغطًّى بالشَّعر!**».

سألَتها مارچري: «أتَوَدِّين هذا يا سانزا؟ ليست لي أخت، بل إخوة فحسب. أوه، أرجوكِ قولي نعم، أرجوكِ قولي إنكِ موافقة على الزَّواج بأخي».

تدفَّقت منها الكلمات: «نعم، سأتزوَّجه، أودُّ هذا أكثر من أيِّ شيءٍ آخَر، أن أتزوَّج السير لوراس وأحبَّه...».

قاطعَتها الليدي أولينا بضيق: «لوراس؟ لا تكوني حمقاء يا صغيرتي. رجال الحَرس الملكي لا يتزوَّجون أبدًا. ألم يُعَلِّموكِ شيئًا في (وينترفل)؟ كنا نتكلَّم عن حفيدي ويلاس. إنه كبير عليك بعض الشَّيء، هذا صحيح، لكنه صبيٌّ طيِّب، وليس مغفَّلًا على الإطلاق، كما أنه وريث (هايجاردن)».

شعرَت سانزا بالدُّوار. في لحظةٍ أفعمَت رأسها الأحلام بلوراس، وفي التَّالية اختُطِفَت منها اختطافًا. ويلاس؟ ويلاس؟ ببلاهةٍ قالت: «أنا...». اللَّباقة دِرع الليدي. يجب ألَّا تُشعِرينهما بالإهانة، فانتبهي لما تقولين. «... لستُ أعرفُ السير ويلاس، لم أحظَ بهذا الشَّرف يا سيِّدتي. أهو... أهو فارس عظيم كأخويه؟»».

- «**... رفعَها عاليًا في الهواء! الدُّب! الدُّب!**».

أجابَت مارچري: «كلا، إنه لم يحلف يمين الفُرسان».

قالت جدَّتها بعبوس: «أخبِري الفتاة بالحقيقة. الصَّبي المسكين معوَّق، وهذا هو الأمر الواقع».

أكملَت مارچري: «أصيبَ عندما كان مُرافِق فارس وركبَ في أول دورة مبارياتٍ شاركَ فيها، سقطَ حصانه عليه وحطَّم ساقه».

- «اللَّوم على ذلك الدورني الثُّعبان، أوبرين مارتِل، والمِايستر كذلك».

- «أردتُ فارسًا، لكنك دُب! دُب! دُب! كلُّك أسود وبنِّي ومغطًى بالشَّعر!».

قالت مارچري: «ويلاس طيِّب القلب على الرغم من إعاقة ساقه. كان يقرأ لي في طفولتي، ويرسم لي صُورًا للنُّجوم. ستُحِبِّينه كما نُحِبُّه يا سانزا».

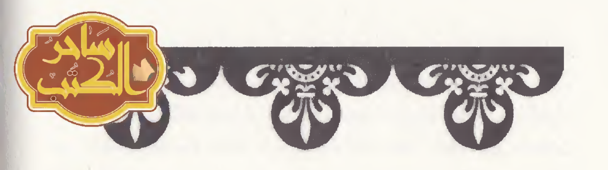
- «ر كلَت العذراء الجميلة وولولَت، لكنه لعقَ العسل من شَعرها! شَعرها! شَعرها! لعقَ العسل من شَعرها!».

سألَت سانزا بتردُّد: «متى يُمكن أن ألتقيه؟».

وعدَتها مارچري قائلةً: «قريبًا، عندما تأتين إلى (هايجاردن) بَعد زفافي إلى چوفري. جدَّتي ستأخذكِ معها».

قالت العجوز وهي تُربِّت على كَفِّ سانزا وتمنحها ابتسامةً ناعمةً ملأى بالتَّجاعيد: «سأفعلُ سأفعلُ بالتَّأكيد».

- «ثم زفرَت وصرخَت ور كلَت الهواء! وغنَّت: دُبِّي، دُبِّي الجميل! ومعًا ذهبا من هنا إلى هناك، الدُّب، الدُّب، الجميلة والدُّب!». هدرَ برميل الزُّبدة بالبيت الأخير بأعلى صوت، ثم وثبَ في الهواء وحَطَّ على قدميه بصوتٍ صاخب هَزَّ كؤوس النَّبيذ على المائدة، فضحكَت النِّساء وصفَّقن، بينما قالت ملكة الأشواك: «حسبتُ أن هذه الأغنية الفظيعة لن تنتهي أبدًا. لكن انظُري، ها قد أحضروا جُبنتي».



چون

كان العالم ظُلمةً رماديَّةً تعبق بروائح الصَّنوبر والطَّحالب والبرد، وخيوط الضَّباب الشَّاحبة الرَّقيقة تتصاعَد من الأرض السَّوداء، بينما يشقُّ الرَّاكبون طريقهم وسط الحجارة المتناثرة والأشجار الضَّامرة، نحو بؤر النَّار الخَفيَّة الموزَّعة في قاع وادي النَّهر أسفلهم، بؤر نارٍ أكثر مما يستطيع چون سنو أن يُحصيها، مئات منها، آلاف، نهر ثانٍ من الأضواء المتذبذِبة بطول ضفَّتي (النَّهر اللَّبني) الأبيض بياض الجليد.

وبلا إرادةٍ منه انفتحَت أصابع يده حاملة السَّيف وانغلقَت.

نزلوا الأُخدود بلا أبواقٍ أو رايات، لا يقطع الصَّمت إلَّا خرير مياه النَّهر الآتي من بعيد، ووقع حوافر الخيول، وطقطقة العظام في درعِ ذي القميص المُخشخِش إذ تحتكُّ ببعضها بعضًا. في مكانٍ ما أعلاهم حلَّق نسر بجناحين كبيرين يمتزج فيهما الأزرق والرَّمادي، وفي الأسفل سارَ البَشر والكلاب والخيول وذئب رهيب[1] أبيض واحد.

ضربَ أحد الحوافر العابرة حجرًا فأسقطَه متواثبًا على المنحدَر، ورأى چون جوست يُدير رأسه إثر الصَّوت المفاجئ. كعادته تبعَ الذِّئب الرَّاكبين من مسافةٍ لا بأس بها طول النَّهار، لكن حين ارتفعَ القمر فوق أشجار الصَّنوبر الجُندي، أسرعَ يقترب والوهج في عينيه الحمراوين، فحيَّته كلاب ذي القميص المُخشخِش بجوقةٍ من الزَّمجرة والزَّوم والنُّباح العنيف -كما يَحدُث

---

(1) الذِّئب الرَّهيب حيوان حقيقي منقرض كان يقطن الأمريكتين قبل عشرة آلاف سنة. (المترجم).

دائمًا- إلَّا أن الذِّئب الرَّهيب لم يُعِرها انتباهًا. قبل ستَّة أيام هاجَمه أكبر كلاب الصَّيد حجمًا من الخلف فيما خيَّم الهَمج ليلًا، لكن جوستَ دارَ وانقضَّ، ولم يلبث الكلب أن فرَّ منه بفخذٍ دامية، وبَعدها حافظَت بقيَّة كلاب القطيع على مسافةٍ مأمونة بينها وبينه.

صهلَ حصان چون سنو الصَّغير بخفوت، لكن سرعان ما هدَّأته لمسة وكلمة رقيقة، وتمنَّى چون لو أن مخاوفه هو من الممكن أن تهدأ بهذا اليُسر. كان يرتدي الأسود بالكامل، أسود حَرس اللَّيل، لكنه في المنتصَف، ومن أمامه وخلفه الأعداء. هَمج، وأنا معهم. ارتدَت إيجريت معطف كورين ذي النِّصف يد، ولاينل قميصه المعدني، والزَّوجة الحربة[1] الكبيرة راجوايل قُفَّازيه، وأحد الرُّماة حذاءه، أمَّا خوذته ففازَ بها القصير القبيح المسمَّى رايك ذو الحربة الطَّويلة، لكنها لم تُلائِم رأسه الضيِّق، فأعطاها لإيجريت هي الأخرى، بينما وضعَ ذو القميص المُخشخِش عظام كورين في جرابه، بالإضافة إلى رأس دام اعتادَ أن يستقرَّ على كتفَيْ إبن، الذي كان قد خرجَ مع چون لاستطلاع (الَممرَ الصَّادح). كلهم ماتوا، كلهم إلَّاي، والعالم يحسبني في عداد الموتى.

كانت إيجريت تتحرَّك وراءه مباشرةً، بينما يركب رايك ذو الحربة الطَّويلة أمامه، وقد عيَّن سيِّد العظام كليهما لحراسته، ولمَّا تحرَّكوا قال لهما محذِّرًا وهو يبتسم من وراء الأسنان المعوجَّة في جمجمة العملاق التي يرتديها كخوذة: «إذا طارَ الغُراب سأسلخُ اللحم من على عظامكما أيضًا».

صاحَت إيجريت فيه ساخرةً: «هل تُريد أن تَحرُسه بنفسك؟ إذا أردتنا إن نَحرُسه، فدعنا وشأننا وسنفعل».

فكَّر چون: إنهم شعب من الأحرار حقًّا. قد يكون ذو القميص المُخشخِش قائدهم، لكن لا أحد منهم يستحيي من الرَّدِّ عليه نِدًّا لنِد.

ثبَّت عليه قائد الهَمج نظراته العدائيَّة، وقال: «ربما نجحت في خداع هؤلاء الآخَرين أيها الغُراب، لكن إياك أن تحسب أنك ستخدع مانس. سيُلقي نظرةً واحدةً عليك ويعرف أنك محتال، وعندها سأصنعُ لنفسي معطفًا من فروة ذئبك، وأفتحُ بطنك الطَّري هذا وأخيِّطُ ابن عرسٍ في داخله».

---

(1) ما يُطلَق على النِّساء المحاربات من الهَمج. (المترجم).

فتحَ چون يده حاملة السَّيف وأغلقها ليثني أصابعه المحروقة تحت قُفَّازه، لكن رايك ذا الحربة الطَّويلة اكتفى بالضَّحك، وقال: «وأين ستجد ابن عرسٍ وسط الثُّلوج؟».

في تلك اللَّيلة الأولى، وبَعد نهارٍ طويل على متون الخيول، خيَّموا في حوض حجريٍّ قليل العُمق على قمَّة جبل بلا اسم، وتجمَّعوا بالقُرب من النَّار وقد بدأ الثَّلج يتساقَط. شاهدَ چون الرَّقائق تذوب إذ تدنو من اللَّهب، وعلى الرغم من طبقات الصُّوف والفرو والجلد التي يرتديها، أحسَّ بالبرد ينخر عظامه. جلسَت إيجريت إلى جواره بَعد أن أكلَت، وقد رفعَت قلنسوتها ودسَّت يديها داخل كُمَّيها طلبًا للدِّفء، وقالت: «عندما يعرف مانس أنك قتلت ذا النِّصف يد، سيأخذك في الحال».

- «يأخذني باعتباري ماذا؟».

ضحكَت الفتاة بتهكُّم، وأجابَت: «باعتبارك واحدًا منا. أتحسب أنك أول غُرابٍ يُحلِّق إلينا من فوق (الجِدار)؟ كلكم تتوقون في قلوبكم إلى الطَّيران بحُرِّيَّة».

قال ببُطء: «وعندما أصبحُ حُرًّا، هل ستكون لي الحُرِّيَّة في الذَّهاب؟».

ردَّت بابتسامةٍ لم تُنقِص أسنانها المعوجَّة شيئًا من دفئها: «بالتَّأكيد، وستكون لنا الحُرِّيَّة في قتلك. الحُرِّيَّة شيء خطير، لكن أغلب النَّاس يستسيغون مذاقها»، ووضعَت يدها المكسوَّة بقُفَّازٍ على ساقه، فوق رُكبته مباشرةً، وأضافَت: «سترى».

قال چون لنفسه: نعم، سأرى، وأسمعُ وأفهمُ، وعندما أنتهي سأعودُ إلى (الجِدار) حاملًا الأنباء. الآن يعدُّه الهَمج حانثًا بقَسمه، لكنه في قرارة نفسه لا يزال رجلًا من حَرس اللَّيل، يُؤدِّي آخِر واجبٍ وضعَه كورين ذو النِّصف يد على عاتقه... قبل أن أقتُله.

عند سفح المنحدَر قابَلوا نُهيرًا صغيرًا يتدفَّق من التِّلال لتمتزج مياهه بمياه (النَّهر اللَّبني). بدا لهم كأنه يتكوَّن بالكامل من الحجارة والزُّجاج، وإن سمعوا صوت الماء الجاري تحت السَّطح المتجمِّد، وقادَهم ذو القميص المُخشخِش عبره محطِّمًا قشرة الجليد الرَّقيقة.

أحاطَ كشَّافة مانس رايدر بهم بمجرَّد أن خرجوا إلى الضِّفَّة الأخرى،

وبنظرةٍ قيِّمهم جون. ثمانية خيَّالة، رجال ونساء، يرتدون الفرو والجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي، ويضع بعضهم خوذةً أو قميصًا من المعدن، وجميعهم مسلَّحون بالحِراب أو الرِّماح المقوَّاة بالنَّار، باستثناء قائدهم الأشقر اللَّحيم ذي العينين الدَّامعتين، الذي حملَ منجلًا مقوَّسًا كبيرًا من الفولاذ المشحوذ. أدركَ جون في الحال أنه البكَّاء الذي يتناقَل الإخوة السُّود عنه الحكايات، فهو هجَّام معروف على غرار ذي القميص المُخشخِش وهارما رأس الكلب وألفين قاتِل الغِربان.

قال البكَّاء حالما رآهم: «سيِّد العظام»، ورمقَ جون وذئبه متسائلًا: «مَن هذا؟».

رَدَّ ذو القميص المُخشخِش، الذي يُفَضِّل أن يُدعى بسيِّد العظام للصَّوت الذي تُصدِره دِرعه: «غُراب مارق. كان يخشى أن آخذ عظامه كما فعلتُ مع ذي النِّصف يد»، ورفعَ جوال الغَنائم أمام بقيَّة الهَمج ورَجَّه.

قال رايك ذو الحربة الطَّويلة: «لقد قتلَ كورين ذا النِّصف يد، هو وذئبه هذا».

أضافَ ذو القميص المُخشخِش: «وقتلَ أورل أيضًا».

تدخَّلت الزَّوجة الحربة الكبيرة راجوايل قائلةً: «الصَّبي وارْج[1]، أو أقرب إلى واحد. ذئبه قضمَ قطعةً من ساق ذي النِّصف يد».

رمقَ البكَّاء جون بنظرةٍ أخرى من عينيه الحمراوين الرَّاشحتين، وقال: «أحقًّا؟ نعم، يبدو لي أن له سيماء الذِّئاب الآن وأنا أنظرُ إليه من كثب. خُذوه إلى مانس ولربما يُبقي عليه»، ودارَ بحصانه وهرولَ مبتعدًا يتبعه خيَّالته مسرعين.

كانت الرِّيح تهبُّ بقوَّةٍ وترميهم بقطرات الماء وهُم يَعبُرون وادي (النَّهر اللَّبني) ويقطعون المخيَّم في طابور. ظَلَّ جوست على مقربةٍ من جون، لكن رائحته سبقَته كالنَّذير، وسرعان ما أحاطَت بهم كلاب الهَمج من كلِّ

---

(1) الوارْج كلمة ذات أصول نورديَّة وجرمانيَّة وفارسيَّة قديمة بمعنى «ذئب»، وفي عالم الرِّواية يُسَمَّى البَشري الذي يستطيع تلبُّس الحيوانات بعقله ليتحكَّم فيها «مبدِّل الجِلدة»، والأوْراج فئة نادرة من مبدِّلي الجِلدة، تستطيع تلبُّس الذِّئاب والكلاب على وجه التَّحديد. (المترجم).

الجهات، تنبح وتُزَمجِر. صرخَ لاينل فيها أن تهدأ، لكنها لم تستجِب له على الإطلاق، فقال رايك لچون: «إنها لا تُحبُّ حيوانك هذا».

قال چون: «هي كلاب وهو ذئب. إنها تعرف أنه ليس منها». تمامًا كما أني لستُ منكم. لكن عليه أن ينتبه إلى واجبه، إلى المهمَّة التي كلَّفه بها كورين ذو النِّصف يد وهما جالسان معًا عند النَّار للمرَّة الأخيرة؛ أن يلعب دور المارِق ويكتشف ما يبحث عنه الهَمج في براري (أنياب الصَّقيع) الجرداء البارِدة. إنها «قوَّة ما» كما قال كورين للدُّب العجوز، لكنه ماتَ قبل أن يعرف كنهها، أو إن كان مانس رايدر قد عثرَ عليها مع كلِّ هذا الحَفر في الجليد.

كانت بؤر نار الطَّهو مشتعلةً بطول النَّهر، وسط العربات المجرورة والمدفوعة والمِزلجات، وقد نصبَ كثير من الهَمج خيامًا من الصُّوف المبطَّن وجلود الحيوانات وفروها، وأوى آخَرون وراء الصُّخور تحت سقوفٍ بدائيَّة أو ناموا تحت عرباتهم. رأى چون عند واحدةٍ من بؤر النَّار رجلًا يُقوِّي رؤوس حِرابٍ خشب طويلة ويُكَوِّمها، وفي بُقعةٍ أخرى كان شابَّان ملتحيان يرتديان الجِلدَ المقوَّى يتبارَزان بالعِصِي، يثب كلاهما نحو الثَّاني فوق اللَّهب ويئنُّ عندما تُصيبه ضربة، بينما جلسَت دستة من النِّساء قريبًا منهما وعكفن على تثبيت الرِّيش في السِّهام.

سهام لإخوتي، سهام لقوم أبي، لأهل (وينترفل) و(ربوة الغابة) و(المستوقَد الأخير)، سهام للشَّمال.

غير أن تجهيزات الحرب لم تكن كلَّ ما رآه، إذ رأى أيضًا نسوةً يَرقُصن، وسمعَ رضيعًا يبكي، وأمام حصانه جرى ولد صغير تدثَّر بالفرو وتقطَّعت أنفاسه من اللَّعب، فيما جالَت الخراف والماعز بحُرِّيَّة، وتهادَت الثِّيران على ضفَّة النَّهر بحثًا عن العُشب، وتناهَت إلى أنفه رائحة الضَّأن المشوي من إحدى بؤر النَّار، وعند أخرى أبصرَ خنزيرًا برِّيًّا يدور على سيخ خشبي.

في مساحةٍ مفتوحة تُحيط بها أشجار الصَّنوبر الجُندي الخَضراء الطَّويلة ترجَّل ذو القميص المُخشخِش، وقال لراجوايل ولاينل والآخَرين: «سنُخَيِّم هنا. أطعِموا الخيول ثم الكلاب ثم أنفسكم. إيجريت وذو الحربة الطَّويلة، خُذا الغُراب إلى مانس ليُلقي عليه نظرةً، وبَعدها سنَبقُر بطنه».

هكذا قطعوا بقيَّة الطَّريق سيرًا وسط المزيد من بؤر النَّار والخيام، وجوست في أعقابهم.

لم يرَ جون كلَّ هذا العدد من الهَمج قَطُّ، وتساءلَ إن كان قد سبقَ أن رآه أحد. المعسكَر يمتدُّ بلا نهاية، لكنها مئة معسكَر لا واحد، وكلٌّ منها أضعف دفاعًا من الآخَر. لم تكن للهَمج دفاعات تُذكَر مع امتداد المعسكَر فراسخ طويلة، لا حُفر أو خوازيق مدبَّبة، والكشَّافة يتكوَّنون من مجموعاتٍ صغيرة يطوف كلٌّ منها في محيطه فقط. ببساطة توقَّفت كلُّ مجموعةٍ أو قبيلةٍ أو قريةٍ حيث أرادَت فور أن رأت غيرها يتوقَّف أو وجدَت مطرحًا لا بأس به. شعب الأحرار. إذا باغتَهم إخوته في فوضاهم هذه، فسيدفع عديدون منهم ثَمن هذه الحُرِّيَّة من دمه. إن أعدادهم أكبر، لكن رجال حَرس اللَّيل يمتازون بالانضباط، وفي المعارك يهزم الانضباط الأعداد تسع مرَّاتٍ من كلِّ عشر كما علَّمه أبوه ذات مرَّة.

لم يكن هناك سبيل لأن يُخطئ تعرُّف خيمة الملك، فهي أكبر ثلاث مرَّاتٍ من أكبر خيمةٍ رآها، كما أنه سمعَ أنغام الموسيقى تتسلَّل من الدَّاخل. ككثيرٍ من الخيام الأصغر، كانت مصنوعةً من جلود الحيوانات وفروها، مع فارقِ أن الفرو في خيمة مانس رايدر هو فرو دِببة الثَّلج الأبيض الأشعث، وقد تُوِّجَ السَّقف المثلَّث بمجموعةٍ ضخمةٍ من قرون الإلكة العملاقة، التي كانت تجوب (الممالك السَّبع) كلها ذات يوم، في زمن البَشر الأوائل.

على الأقل ثمَّة شيء من الدِّفاعات هنا، حارسان يقفان عند سديلة باب الخيمة متَّكئيْن على حربتين طويلتين، وقد ثبَّت كلٌّ منهما تُرسًا مستديرًا من الجِلد على ذراعه. عندما لمحا جوست، خفضَ أحدهما رأس حربته قائلًا: «الحيوان سيظلُّ هنا».

قال جون آمرًا: «جوست، ابقَ هنا»، فجلسَ الذِّئب الرَّهيب.

قال ذو القميص المُخشخِش: «ذو الحربة الطَّويلة، راقِب الحيوان»، ثم رفعَ سديلة الباب وأشارَ لجون وإيجريت بالدُّخول.

كانت الخيمة حارَّةً مفعمةً بالدُّخان من الدَّاخل، وقد استقرَّت سلال من الفحم المحترق في الأركان الأربعة مالئةً الهواء بضوءٍ خافتٍ ضارب إلى الحُمرة، بينما افترشَ مزيد من الجلود الأرض. شعرَ جون بأنه وحيد تمامًا وهو

يقف هناك مرتديًا الأسود ومنتظرًا رضا المرتدِّ الذي يدعو نفسه بملك ما وراء الجدار. حين تكيَّفت عيناه على العتمة الحمراء الدَّاخنة، رأى ستَّة أشخاص لم يُعِره أيهم أدنى انتباه، منهم شاب أسمر وحسناء شقراء يتقاسَمان قرنًا من البتع[1]، وامرأة حامل واقفة عند المستوقَد تَطبُخ زوجين من الدَّجاج، بينما يجلس رجل أشيب في معطفٍ رَث من الأسود والأحمر مربِّعًا ساقيه على وسادة، يعزف على العود ويُغَنِّي:

كانت زوجة الدورني بهيَّةً كما الشَّمس
وقُبلاتها أدفأ من الرَّبيع
لكن شَفرة الدورني من الفولاذ الأسود
وقُبلتها شيء شنيع

عرفَ چون الأغنيَّة، على الرغم من غرابة سماعها ها هنا، في خيمةٍ متواضعةٍ من الجلود وراء (الجدار)، على بُعد عشرة آلاف فرسخٍ من جبال (دورن) الحمراء ورياحها الدَّافئة.

خلعَ ذو القميص المُخشخِش خوذته المصفرَّة ريثما انتظرَ انتهاء الأغنيَّة، وبدا تحت دِرعه المصنوعة من الجِلد والعظم رجلًا صغير الحجم، والوجه الذي توارى وراء جمجمة العملاق كان عاديًّا؛ ذقن بارزة وشارب رفيع، ووجنتان شاحبتان غائصتان، وعينان متقاربتان وحاجبان منعقدان يمتدَّان كأنهما حاجب واحد عبر جبهته، بينما ينحسِر الشَّعر الدَّاكن بحدَّةٍ عند منتصف رأسه.

كانت زوجة الدورني تُغَنِّي وهي تستحمُّ
بصوتٍ بحلاوة الدُّرَّاق
لكن لشَفرة الدورني أغنيتها
وعضَّتها باردة قاسية كالعَلق

(1) البِتع هو نبيذ مخمَّر من العسل. (المترجم).

على كرسيٍّ إلى جوار المستوقَد جلسَ رجل قصير القامة لكن عريض الصَّدر للغاية يلتهم دجاجةً من على سيخ، ويسيل الدُّهن السَّاخن على ذقنه ويتخلَّل لحيته البيضاء كالثَّلج، وإن لاحَت على وجهه ابتسامة سعيدة، وقد أحاطَت بذراعيه الضَّخمتين حلقات ذهبيَّة منقوشة عليها حروف أبجديَّة قديمة، وارتدى قميصًا ثقيلًا من الحلقات المعدنيَّة السَّوداء لا يُمكن أن يكون قد أتى إلَّا من جوَّالٍ ميت. على بُعد بضعة أقدام وقف رجل أطول وأنحف في قميصٍ جلدي مخيَّطة به أقراص من البرونز، يُحَدِّق مقطِّبًا إلى خريطة، وعلى ظَهرهِ في غمدٍ من الجِلد سيف عظيم يُحمَل باليدين. كان منتصب القامة كالحربة وبارز العضلات والأوتار، وجهه حليق ورأسه أصلع، وأنفه قويٌّ مستقيم وعيناه غائرتان، وكان من الممكن أن تصفه بالوسامة لو أن له أُذنين، لكنه فقدَ الاثنتين في مرحلةٍ ما، ولم يدرِ چون إن كان السَّبب قضمة الصَّقيع أم سكِّين أحد الخصوم، إلَّا أن غيابهما جعلَ رأس الرَّجل يبدو ضيِّقًا مدبَّبًا.

من نظرةٍ رأى چون بجلاءٍ أن كلًّا من أبيض اللِّحية والأصلع مُحارِب. هذان الاثنان أخطر من ذي القميص المُخشخِش مرارًا. تساءلَ مَن منهما مانس رايدر.

وبينما تمدَّد على الأرض والظَّلام يُحيط به
وعلى لسانه مذاق الدِّماء
ركعَ إخوته إلى جواره وصلُّوا له
وابتسمَ هو وضحكَ وشرعَ في الغناء:
«إخوتي، يا إخوتي، أيامي ها هنا انتهَت
وسلبَني حياتي الدورني
لكن لا يهمُّ، فكلُّ البَشر يُدركهم الموت
وأنا ذقتُ زوجة الدورني!».

مع خفوت النَّغمات الأخيرة من (زوجة الدورني)، رفعَ الأصلع عديم الأُذنين عينيه عن خريطته، وسدَّد نظرةً قاسيةً شرسةً إلى ذي القميص المُخشخِش وإيجريت وبينهما چون، وقال: «ما هذا؟ غُراب؟».

رَدَّ ذو القميص المُخشخِش: «النَّغل الأسود الذي قتلَ أورل، كما أنه وارْج لعين أيضًا».

- «كان عليكم أن تَقتُلوهم جميعًا».

فسَّرت إيجريت: «هذا مُنشق. لقد قتلَ كورين ذا النِّصف يد بيده».

قال عديم الأذنين وقد بدا أن الخبر أغضبَه: «هذا الصَّبي؟ كان يُفترَض أن يكون ذو النِّصف يد لي. ألَك اسم أيها الغُراب؟».

أجابَ متسائلًا إن كان عليه أن يركع أيضًا: «چون سنو يا جلالة الملك».

ردَّد الأصلع: «جلالة الملك؟»، والتفتَ إلى أبيض اللِّحية قائلًا: «أترى؟ إنه يحسبني ملكًا».

تفجَّرت ضحكات الملتحي الكبير بشدَّةٍ جعلَت قِطع الدَّجاج تتناثَر من بين شفتيه في كلِّ اتِّجاه، ثم إنه مسحَ الدُّهن عن فمه بظَهر يده الضَّخمة، وقال: «صبيٌّ أعمى لا بُدَّ. مَن سمعَ بملكٍ بلا أُذنين من قبل؟ كان تاجه لينزلق إلى رقبته في الحال! هار!»، ومنحَ چون ابتسامةً واسعةً وهو يُنَظِّف أصابعه على سراويله، وأردفَ: «أغلِق منقارك أيها الغُراب. دُر وقد تجد من تبحث عنه».

ودارَ چون.

ونهضَ المغنِّي قائلًا وهو يضع عوده جانبًا: «أنا مانس رايدر، وأنت نغل ند ستارك، سنو ابن (وينترفل)».

وقفَ چون مشدوهًا عاجزًا عن الكلام لحظةً، قبل أن يتدارَك نفسه بما يكفي لأن يقول: «كيف... كيف عرفت...».

قال مانس رايدر: «هذه حكاية لوقتٍ آخَر. هل راقَتك الأغنيَّة يا فتى؟».

- «إلى حَدٍّ كبير. سمعتها من قبل».

قال ملك ما وراء الجِدار برفق: «لكن لا يهمُّ، فكلُّ البَشر يُدرِكهم الموت، وأنا ذقتُ زوجة الدورني. أخبِرني، هل ما يقوله سيِّد العظام صحيح؟ هل قتلت صديقي القديم ذا النِّصف يد؟».

- «نعم». وإن كان هذا صنيعه أكثر من صنيعي.

بنبرةٍ حزينةٍ قال الملك: «لن تعود (بُرج الظِّلال) بهيبتها السَّابقة ثانيةً أبدًا. كورين كان عدوِّي، لكنه كان أخي أيضًا ذات يوم. إذن... هل أشكرك على قتله أم ألعنك يا چون سنو؟»، وأعطى چون ابتسامةً ساخرةً.

لم يبدُ ملك ما وراء الجدار كالملوك على الإطلاق، ولا كهمجي لهذه الدَّرجة حتى، مجرَّد رجلٍ متوسِّط الطُّول ناحل القوام حاد الملامح، عيناه بنِّيَّتان ثاقبتان وشَعره طويلٌ بنِّي حالَ أغلبه إلى الشَّيب، لا يعتمر تاجًا ولا تُحيط الحلقات الذَّهبيَّة بذراعيه أو الجواهر بعُنقه، ولا يتحلَّى ولو بقطعةٍ من الفضَّة، يرتدي الصُّوف والجلد، والشَّيء الوحيد المميَّز في ثيابه هو المعطف الصُّوف الأسود المهترئ، الذي رُتِقَت تمزُّقاته الطَّويلة بالحرير الأحمر الباهت.

أخيرًا قال چون: «يَجدُر بك أن تَشكُرني على قتل عدوِّك وتلعنني لقتل صديقك».

صاحَ أبيض اللِّحية بصوتٍ مدوٍّ: «هار! أحسنت الإجابة!».

عقَّب مانس رايدر: «أتَّفقُ معك»، وأشارَ لچون بالاقتراب وقال له: «إذا أردت الانضمام إلينا فيَحسُن أن تعرفنا. الرَّجل الذي حسبته أنا هو ستير، ماجنَر (ثِن). «ماجنَر» معناها «سيِّد» في اللُّغة القديمة». حدَّق عديم الأُذنين إلى چون ببرود، على حين التفتَ مانس إلى الملتحي متابعًا: «والمفترس آكِل الدَّجاج هذا هو رجلي المخلص تورموند، والمرأة...».

نهضَ تورموند مقاطعًا إياه: «مهلًا، لقد دعوت ستير بلقبه، فافعل معي المِثل».

ضحكَ مانس رايدر، وقال: «كما تشاء. چون سنو، أمامك يقف تورموند بليَّة العماليق، المِهذار، نافخ البوق، وكاسر الجليد، وهو أيضًا تورموند قبضة الرَّعد، زوج الدِّببة، ملك البتِع في (البهو القاني)، كليم الآلهة، وأبو الجيوش».

قال تورموند: «هذا يليق بي أكثر. أهلًا بك يا چون سنو. إنني مغرم بالأوْراج في الحقيقة، ولكن ليس بأولاد ستارك».

واصلَ مانس رايدر: «المرأة المبجَّلة الواقفة عند المستوقَد هي دالا»، فابتسمَت الحبلى بخجلٍ بينما أكملَ: «عامِلها كما تُعامِل أيَّ ملكة، فهي تحمل طفلي»، ثم التفتَ إلى آخِر اثنين قائلًا: «هذه الجميلة هي أختها ڤال، والشَّاب چارل الواقف إلى جوارها هو أحدث حيواناتها المدلَّلة».

قال چارل الأسمر بشراسة: «لستُ حيوانًا مدلَّلًا لأيِّ رجل».

رَدَّ تورموند أبيض اللِّحية ساخرًا: «وڤال ليست رجلًا. كان يُفترَض أن تُلاحِظ هذا من قبل يا فتى».

قال مانس رايدر: «ها نحن أولاء إذن يا چون سنو، ملك ما وراء الجدار وبلاطه، إن جازَت التَّسمية. والآن أعتقدُ أن الوقت مناسب لأن نسمع قَليلًا من الكلام منك. من أين أتيت؟».

- «من (وينترفل)، عن طريق (القلعة السَّوداء)».

- «وما الذي حملَك على الإتيان عند (النَّهر اللَّبني) بعيدًا عن دفء الدِّيار؟»، ولم ينتظر مانس إجابةً، بل التفتَ إلى ذي القميص المُخشخِش سائلًا: «كم كان عددهم؟».

- «خمسة، ثلاثة ماتوا وهذا الصَّبي، والأخير تسلَّق جانِب جبلٍ لا يستطيع حصان أن يتبعه عليه».

عادَت عينا رايدر تُلاقِيان عينَيْ چون، وسألَه: «هل كنتم خمسةً فقط، أم أن مزيدًا من إخوتك كامنون هنا أو هناك؟».

- «كنا أربعةً بالإضافة إلى ذي النِّصف يد. كورين كان يُساوي عشرين رجلًا عاديًّا».

ابتسمَ ملك ما وراء الجدار لهذا، وقال: «البعض كان يحسب هذا، لكن... صبي من (القلعة السَّوداء) مع جوَّالة من (بُرج الظِّلال)؟ كيف تأتَّى هذا؟».

كانت كذبة چون حاضرةً، فأجابَ: «حضرة القائد أرسلَني إلى ذي النِّصف يد لأتعلَّم من خبرته، فأخذَني معه في جولته».

عقدَ الماجنَر ستير حاجبيه لمَّا سمعَ الجواب، وقال: «تُسَمِّيها جولةً... لكن لِمَ يتجوَّل الغِربان أعلى (الممر الصَّادح)؟».

هذه المرَّة قال چون الحقيقة: «كانت القُرى مهجورةً، كأن شعب الأحرار كلَّه اختفى».

قال مانس رايدر: «اختفى، نعم، وليس شعب الأحرار فحسب. ومَن أخبرَكم بمكاننا يا چون سنو؟».

قال تورموند باستهانة: «إنه كراستر، وإلَّا فأنا عذراء خجول. قلتُ لك يا مانس إن علينا أن نفصل رأس ذلك المخلوق عن جسده».

حدجَ الملك الرَّجل الذي يكبره سِنًّا بضيقٍ قائلًا: «تورموند، حاول أن تُفكِّر قبل أن تتكلَّم ذات يوم. أعلمُ أنه كراستر، لكني سألتُ چون لأرى إن كان سيقول الحقيقة».

بصقَ تورموند، وقال: «هار! طيِّب، هذه غلطتي»، وابتسمَ ابتسامةً كبيرةً في وجه چون وخاطَبه: «أترى يا فتى؟ لهذا هو الملك لا أنا. يُمكنني أن أغلبه في الشُّرب والقتال والغناء، وعُضوي أكبر من عُضوه ثلاث مرَّات، لكن مانس أريب. لقد نشأ بين الغِربان كما تعلم، والغُراب طائر خدَّاع».

قال مانس رايدر لذي القميص المُخشخِش: «أريدُ أن أتكلَّم مع الفتى وحدنا يا سيِّد العظام. اترُكونا جميعًا».

سألَه تورموند: «ماذا؟ حتى أنا؟».

- «بالذَّات أنت».

قامَ تورموند قائلًا: «لا آكلُ في مكانٍ لا أجدُ ترحابًا فيه. أنا والدَّجاج مغادرون»، واختطفَ دجاجةً أخرى من على المستوقَد، ودسَّها في جيب مخيَّط في بطانة معطفه صائحًا: «هار!»، وخرجَ وهو يلعق أصابعه، وتبعَه الآخَرون إلى الخارج باستثناء المرأة دالا.

قال رايدر عندما رحلوا: «اجلس إذا أردت. هل أنت جائع؟ تورموند تركَ لنا طائريْن على الأقل».

- «سيَسُرُّني أن آكل يا جلالة الملك، وأشكرك».

- «جلالة الملك؟»، ردَّد الملك مبتسمًا. «ليس هذا بالمسمَّى الذي يسمعه المرء من شفاه الأحرار كثيرًا. إنني مانس عند الغالبيَّة، المانس عند البعض. هل تشرب قرنًا من البِتع؟».

- «بكلِّ سرور».

صَبَّ الملك الشَّراب بنفسه فيما قطَّعت دالا الدَّجاجتين المشويَّتين النَّاضجتينِ ووضعَت نصفًا أمام كلٍّ منهما، فخلعَ چون قُفَّازيه وأكل بأصابعه، ممتصًّا كلَّ نسيلةٍ من اللَّحم عن العظم.

قال مانس رايدر وهو يُمَزِّق رغيف خُبز: «تورموند قال الحقيقة، الغُراب الأسود طائر خدَّاع، هذا صحيح... لكني كنتُ غُرابًا عندما لم تكن أكبر من الجنين الذي في بطن دالا يا چون سنو، فاحذر من محاوَلة خداعي».

- «كما تقول يا جلالة... المانس».

قال الملك ضاحكًا: «جلالة المانس! ولِمَ لا؟ لقد وعدتك بحكاية معرفتي إياك، فهل خمَّنتها بعدُ؟».

هَزَّ چون رأسه نفيًا، وقال: «هل أرسلَ ذو القميص المُخشخِش خبرًا قبل وصولنا؟».

- «طيرانًا؟ إننا لا نملك غِدفانًا مدرَّبةً. لا، لكني عرفتُ وجهك، لأني رأيته من قبل، رأيته مرَّتين».

لم يبدُ الرَّدُّ ذا معنى في البداية، لكن چون دوَّره في ذهنه فومضَ الحَلُّ فجأةً، وقال: «عندما كنت أخًا في حَرس اللَّيل...».

- «أحسنت! نعم، كانت تلك المرَّة الأولى. كنتَ ولدًا صغيرًا وكنتُ أرتدي الأسود، واحدًا من الفِرقة المصاحبة لحضرة القائد كورجايل حين ذهبَ لزيارة أبيك في (وينترفل). كنتُ أمشي على السُّور حول السَّاحة وصادَفتك مع أخيك روب، وكان الثَّلج قد سقطَ في اللَّيلة السَّابقة، فصنعتما جبلًا عظيمًا منه فوق البوَّابة، ويبدو أنكما كنتما تنتظران مرور أحد».

قال چون بضحكةٍ ذاهلة: «أذكرُ هذا». أخٌ أسود شاب على ممشى السُّور، نعم... «وأنت أقسمتَ ألَّا تحكي لأحد».

- «وقد بررتُ بقَسمي، هذا القَسم على الأقل».

- «ألقينا الثَّلج على توم السَّمين. كان أبطأ حُرَّاس أبي». يومها طاردَهما توم حول السَّاحة حتى احمرَّت وجوه ثلاثتهم كتُفَّاح الخريف. «لكنك قلت إنك رأيتني مرَّتين، فمتى كانت الثَّانية؟».

أجابَ ملك ما وراء الجِدار بهدوء: «عندما ذهبَ الملك روبرت إلى (وينترفل) ليجعل أباك يده».

اتَّسعت عينا چون بغير تصديق، وقال: «مستحيل».

- «بل واقع. لمَّا علمَ أبوك بقدوم الملك، أرسلَ خبرًا إلى أخيه بنچن على (الجِدار) كي يأتي لحضور المأدبة. ثمَّة معامَلات بين الإخوة السُّود وشعب الأحرار أكثر مما تتصوَّر، لذا فسرعان ما بلغَ الخبر مسامعي أيضًا. كانت الفُرصة أندر من أن أقاومها. لم يكن عمُّك يعرفني شكلًا، فلم أقلق من هذا الجانب، وفكَّرتُ أن أباك غالبًا لن يتذكَّر غُرابًا شابًّا قابَله بشكلٍ عابر قبل سنوات. أردتُ أن أرى روبرت هذا بأُمِّ عيني، ملكًا لملك، وأن أقيِّم عمَّكَ بنچن كذلك. كان جوَّالًا أول حينئذٍ، وشوكةً في ظَهر قومي جميعًا، وهكذا جهَّزتُ أسرع خيولي وانطلقتُ».

قال چون معترضًا: «لكن (الجِدار)...».

- «(الجدار) يُمكنه أن يُوقِف جيشًا، لكن ليس رجلًا أوحد. أخذتُ معي عودًا وكيسًا من الفضَّة، وتسلَّقتُ الجليد بالقُرب من (الرَّابية الطَّويلة)، ومشيتُ فراسخ قليلةً جنوب أرض (الهديَّة الجديدة) وابتعتُ حصانًا. في المُجمل تحرَّكتُ أسرع من روبرت، الذي كان يُسافِر ومعه مركبة كبيرة ثقيلة للحفاظ على راحة ملكته، وعلى بُعد يوم من (وينترفل) قابلتُ رَكبه وانضممتُ إليه. دائمًا ما يضمُّ المُحاربون غير النِّظاميِّين والفُرسان الجائلون أنفسهم إلى المواكب الملكيَّة على أمل العثور على خدمةٍ في حاشية الملك، وقد جعلَهم عودي يقبلونني بسهولة»، وضحكَ مانس مضيفًا: «إنني أعرفُ كلَّ أغنيَّةٍ بذيئة كُتِبَت شمال (الجدار) أو جنوبه. هكذا إذن، ليلة أولَمَ أبوك لروبرت، كنتُ جالسًا في مؤخِّرة القاعة على دِكَّةٍ مع عددٍ من المحاربين غير النِّظاميِّين، أصغي لأورلاند ابن (البلدة القديمة) يعزف على القيثارة السَّامية[1] ويُغَنِّي عن الملوك الموتى في أعماق البحر. أكلتُ من طعام أبيك وشربتُ من شرابه، وألقيتُ نظرةً على قاتِل الملك والعِفريت... وصرفتُ شيئًا من انتباهي إلى أولاد اللورد إدارد وجِراء الذِّئاب التي تجري في أعقابهم».

- «بايل الشَّاعر»، قال چون متذكِّرًا الحكاية التي روَتها له إيجريت في (أنياب الصَّقيع)، ليلة أوشكَ على قتلها.

- «ليتني كنتُ بايل. لن أنكر أن مغامَرة بايل ألهمَتني مغامَرتي... لكني لم أختطف أيًّا من أختيك حسبما أذكرُ. بايل كان يَكتُب أغانيه، لكني عشتها. إنني أغنِّي الأغاني التي ألَّفها رجال أفضل مني لا أكثر. مزيد من الشَّراب؟».

- «لا. لو كان أمرك افتضحَ... وقبضوا عليك...».

هَزَّ الملك كتفيه قائلًا: «لقطعَ أبوك رأسي، على الرغمِ من أن حَقَّ الضِّيافة كان يحميني بمجرَّد أن أكلت على مائدته. قوانين الضِّيافة عتيقة كالبَشر الأوائل، ومقدَّسة كشجر القلوب»، وأشارَ إلى اللَّوح المنصوب بينهما وعليه قِطع الخُبز وعظم الدَّجاج، وأردفَ: «هنا أنت ضيفي، وآمِن من كلِّ أذًى مني... اللَّيلة على الأقل. قُل لي الحقيقة إذن يا چون سنو، أأنت جبان انشقَّ عن إخوته بدافع الخوف؟ أم أن هناك سببًا آخر أتى بك إلى خيمتي؟».

(1) آلة موسيقيَّة من خيال المؤلِّف. (المترجم).

سواء أكان محميًّا بحَقِّ الضِّيافة أم لم يكن، فچون يعرف أنه في موقفٍ بالغ الدِّقَّة، كمن يمشي على جليدٍ متعفِّن؛ خطوة واحدة خطأ ويَسقُط ويغوص في مياهٍ برودتها كفيلة بإيقاف قلبه. قال مذكِّرًا نفسه: زِن كلَّ كلمةٍ قبل أن تنطقها، وأخذَ جَرعةً طويلةً من النبِتع ليكسب لنفسه وقتًا للإجابة، ثم إنه وضعَ القرن جانبًا، وقال: «قُل لي لماذا انشقَقت وسأقولُ لك لماذا انشقَقتُ».

وكما أملَ چون، ابتسمَ مانس رايدر، فمن الواضح أن الملك رجلٌ يُحِبُّ سماع صوت نفسه، وهكذا قال: «لا شَكَّ عندي في أنك سمعت قصصًا عن تهرُّبي من الخدمة».

– «البعض يقول إنه كان من أجل تاج، والبعض من أجل امرأة، وغيرهم يَزعُم أن دماء الهَمج في عروقك».

– «دماء الهَمج هي دماء البَشر الأوائل، الدِّماء نفسها التي في عروق آل ستارك. أمَّا التَّاج، فهل ترى واحدًا؟».

قال رامقًا دالا: «أرى امرأةً».

أخذَها مانس من يدها وجذبَها إليه قائلًا: «سيِّدتي بريئة من هذا. لقد قابَلتها في أثناء عودتي من قلعة أبيك. ذو النِّصف يد كان منحوتًا من البلُّوط القديم، لكني مخلوق من لحم، ومولع للغاية بأطايب النِّساء... وهو ما لا يجعلني مختلفًا عن ثلاثة أرباع الحَرس. هناك رجال ما زالوا يرتدون الأسود وحظوا بعشرة أضعاف النِّساء اللاتي عرفهن هذا الملك الفقير الواقف أمامك. عليك أن تُخَمِّن ثانيةً يا چون سنو».

فكَّر چون لحظةً، ثم قال: «ذو النِّصف يد قال إنك كنت شغوفًا بموسيقى الهَمج».

– «كنتُ وما زلتُ. هذا أقرب إلى الهدف، نعم، لكن ليس إصابةً مباشرةً»، ونهضَ مانس رايدر وحَلَّ المشبك الذي يُثَبِّت معطفه، ثم بسطَه على الدِّكَّة قائلًا: «ما فعلته كان من أجل هذا».

– «من أجل معطف؟».

قال ملك ما وراء الجِدار: «المعطف الصُّوف الأسود المميَّز للإخوان حالفي يمين حَرس اللَّيل. ذات يوم ونحن في جولة تقصٍّ صِدنا إلكةً كبيرةً

ممتازةً، وكنا نَسلُخها حين اجتذبَت رائحة الدَّم قِطَّ ظِلٍّ[1] من عرينه. نجحتُ في طرده، لكن ليس قبل أن يُمَزِّق معطفي إلى شرائط. هل ترى؟ هنا وهنا وهنا؟»، وقهقهَ مردفًا: «ومزَّق ذراعي وظهري أيضًا، ونزفتُ دمًا أكثر من الإلكة. تخوَّف إخوتي من أن أموت قبل أن يأخذوني إلى المِايستر مولين في (بُرج الظِّلال)، فحملوني إلى قريةٍ همجيَّة، حيث كنا نعلم بوجود حكيمةٍ عجوز تُعالِج المرضى والجرحى. هناك عرفنا أنها ماتَت، لكن ابنتها اعتنَت بي، نظَّفت جراحي وخيَّطتها وأطعمَتني الثَّريد وسقَتني الدَّواء حتى صرتُ قادرًا على الرُّكوب من جديد، كما أنها رتقَت معطفي الممزَّق بحريرٍ قرمزي من (آشاي) وجدَته جدَّتها في حطام كوجٍ[2] جرفَه التَّيَّار إلى (السَّاحلِ المتجمِّد). كان أثمن كنوزها وهديَّتها لي»، وعادَ يضع المعطف على كتفيه وهو يُواصِل: «لكن في (بُرجِ الظِّلال) أعطوني معطفًا جديدًا من الصُّوف من المخزن، أسود وأسود وموشَّى بالأسود، ليتماشى مع سراويلي السَّوداء وحذائي الأسود وسُترتي وقميصي الأسودين. كان المعطف الجديد خاليًا من أيِّ اهتراءٍ أو مزقٍ أو قَطع... والأهم أنه خالٍ من الأحمر، كما ذكَّرني السير دينس ماليستر بصرامةٍ كأنني نسيتُ، قائلًا إن رجال حَرس اللَّيل يلبسون الأسود فقط، وإنني يجب أن أحرق معطفي القديم... وفي الصَّباح التَّالي غادرتُ، إلى مكانٍ ليست القُبلة فيه جريمةً وحيث يستطيع الرَّجل أن يرتدي أيَّ معطفٍ يشاء»، وأغلقَ المشبك وجلسَ ثانيةً متسائلًا: «وماذا عنك يا چون سنو؟».

أخذَ چون رشفةً أخرى من النبِتع مفكِّرًا: لا توجد إلَّا قصَّة واحدة قد يُصَدِّقها، ثم إنه قال: «قلت إنك كنت في (وينترفل) ليلة أولَمَ أبي للملك روبرت».

- «هذا ما قُلته، لأني كنتُ هناك».

- «إذن فقد رأيتنا جميعًا، الأمير چوفري والأمير تومن والأميرة مارسلا، وإخوتي روب وبران وريكون، وأختَيْ آريا وسانزا، رأيتهم يسيرون في

---

(1) قِطط الظِّل اسم يُطلَق على نوعٍ من الأسود الجبليَّة في عالم الرِّواية. (المترجم).

(2) الكوج سفينة ذات قاعٍ مسطَّح وجوانب مستقيمة، عادةً ما يكون لها شراع واحد مربَّع، وتُبنى من خشب البلُّوط. (المترجم).

الممشى في منتصَف القاعة وأعيُن الجميع عليهم، ثم يجلسون إلى المائدة المنخفضة قليلًا عن المنصَّة، حيث جلسَ الملك والملكة».

- «أذكرُ هذا».

مالَ چون إلى الأمام وسألَه: «وهل رأيت أين أجلَسوني يا مانس؟ هل رأيت أين وضعوا النَّغل؟».

تطلَّع مانس رايدر إلى وجه چون طويلًا، ثم إن الملك مَدَّ يده قائلًا: «من الأفضل أن نجد لك معطفًا جديدًا».





دنيرس

عبر المياه الزَّرقاء السَّاكنة جاءَت دَقَّات الطُّبول البطيئة الثَّابتة وأصوات حركة المجاذيف من القادسيْن، اللذين يتحرَّك الكوج العظيم (بالريون) في أثرهما بتثاقُلٍ وقد امتدَّت الحبال الثَّقيلة بينه وبينهما مشدودةً عن آخِرها، فيما تدلَّت أشرعتُه مرتخيةً ببؤسٍ من الصَّواري.

وعلى الرغم من هذا وقفَت دنيرس تارجاريَن أعلى المقدِّمة تُشاهِد تنانينها يُطارِد بعضهم بعضًا في زُرقة السَّماء الصَّافية، شاعرةً بسعادةٍ لم تعرف لها مثيلًا.

يُسَمِّي الدوثراكي البحر «الماء المسموم»، لأنهم لا يثقون بأيِّ سائلٍ لا تستطيع جيادهم شُربه، ويوم أبحرَت السُّفن الثَّلاث من (كارث) كنتَ لتحسب أنهم ذاهبون إلى الجحيم وليس (پنتوس). حدَّق خيَّالة دمها الشَّباب الشُّجعان إلى الشَّريط السَّاحلي المتضائل بأعيُنٍ بيضاء متَّسعة تمامًا، وكلٌّ من الثَّلاثة مصمِّم على ألَّا يُبدي الخوف قبل الاثنين الآخَريْن، بينما أطبقَت وصيفتاها إيري وجيكوي على حاجز المركب بيأسٍ وأفرغَتا معدتيهما على الجانب كلما ماجَ الماء، أمَّا بقيَّة گالاسار داني الصَّغير فظلَّت تحت السَّطح، مفضِّلةً صُحبة الخيول المتوتِّرة على العالم المرعب الخالي من اليابسة المحيق بالسُّفن، وحين اكتنفَتهم زوبعة مباغتة في اليوم السَّادس من الرِّحلة، بلغَتها الأصوات من خلال الكُوَّات، الخيول تَرفُس وتَصرُخ، وراكبوها يُصلُّون بنبراتٍ راجفةٍ ذليلة كلما ارتفعَت (بالريون) أو تمايلَت.

لكن لا زوبعة يُمكنها أن تُخيف داني. إنهم يُلقِّبونها بدنيرس وليدة العاصفة، لأنها جاءَت العالم باكيةً في (دراجونستون) البعيدة، بينما تعوي في

الخارج أشرس عاصفةٍ تعرفها ذاكرة (وستروس) كلها، عاصفة عاتية انتزعَت الكَراجِل[1] من على أسوار القلعة وسحقَت أسطول أبيها.

كثيرًا ما يكون (البحر الضيِّق) عاصفًا، وفي طفولتها عبرَته داني عشرات المرَّات، هاربةً من مدينةٍ حُرَّة إلى أخرى وسابقةً قتَلة الغاصِب المأجورين بِنصف خطوة. إنها تُحِبُّ البحر، وتُعجِبها رائحة الهواء المالحة اللَّاذعة، ورحابة الآفاق التي لا يربطها إلَّا تقوُّس سماءٍ بلون اللَّازَوَرْد من فوقها، وتجعلها تَشعُر كم هي ضئيلة لكن حُرَّة، وتُحِبُّ الدَّلافين التي تسبح إلى جوار (بالريون) أحيانًا وتشقُّ الأمواج بذيولٍ كحِرابٍ من اللُّجين، والأسماك الطَّيَّارة التي يلمحونها بين الحين والآخَر، بل وتُحِبُّ الملَّاحين كذلك بأغانيهم وحكاياتهم. ذات مرَّةٍ في رحلةٍ إلى (براڤوس)، وبينما راقبَت الطَّاقم يُكافح لإنزال شراعٍ أخضر ضخم وسط عاصفةٍ مشتدَّة، فكَّرت كم سيكون من الجميلِ أن تكون بَحَّارة، لكن عندما قالت هذا لأخيها، شَدَّ ڤسيرس شَعرها حتى بكَت ألمًا وصرخَ فيها: «أنت مِن دم التنِّين، التنِّين لا سمكة عفِنة».

كان ساذجًا في هذا وأشياء أخرى كثيرة. لو كان أكثر حكمةً وأطول أناةً لكان هو الذي يُبحِر غربًا الآن، ليأخذ العرش الذي كان حَقَّه. لقد تعلَّمت أن ڤسيرس كان غبيًّا متوحِّشًا، لكنها لا تزال تفتقده في بعض الأحايين، ليس الرَّجل القاسي الضَّعيف الذي صارَه قُرب النِّهاية، وإنما الأخ الذي كان يَترُكها تنسلُّ إلى فِراشه عندما تفزع ليلًا، الصَّبي الذي حكى لها عن (الممالك السَّبع)، وحدَّثها عن حياتهما التي ستغدو أفضل كثيرًا بمجرَّد أن يَحصُل على تاجه.

ظهرَ الرُّبَّان عند مِرفقها، وقال بالڤاليريَّة الهجينة المتبَّلة بلكنات (پنتوس): «ليت (بالريون) هذه قادرة على التَّحليق كسَمِيِّها يا جلالة الملكة، فما كنا لنحتاج إلى التَّجذيف أو القَطر أو الابتهال من أجل الرِّيح».

أجابَت مبتسمةً وقد سرَّها أنها كسبَت الرَّجل: «صحيح أيها الرُّبَّان».

---

(1) الكَراجِل مخلوقات أسطوريَّة ذات مظهر مشوَّه مخيف، تم تصويرها في منحوتات عدَّة، وبالأخص على الجدران الخارجيَّة لعددٍ من كنائس العصور الوُسطى، حيث تتَّخذ شكل ميزاب ناتئ. (المترجم).

الرُّبَّان جروليو پنتوشي عجوز كسيِّده إليريو موپاتيس، وفي البداية كان متوتِّرًا كعذراء في خِدرها من حمْل ثلاثة تنانين على متن سفينته، وحتى الآن يُعَلِّق خمسين دلوًا من الماء من الحافة تحسُّبًا لنشوب حريق. أرادَ جروليو في أول الأمر أن يوضع التِّنانين في أقفاص، فوافقَت داني لتُطَمئِن مخاوفه، لكن بؤسهم في الحبس كان محسوسًا للغاية، حتى إنها سرعان ما غيَّرت رأيها وأصرَّت على تحريرهم.

والآن الرُّبَّان جروليو نفسه مسرور لهذا. حريق واحد صغير اشتعلَ، إلَّا أنه أُخمِد بسهولة، وفي مقابل هذا بدا كأن عدد الجرذان على (بالريون) قد قَلَّ كثيرًا عمَّا كان في أثناء إبحارها تحت اسم (سادوليون)، كما أن أفراد الطَّاقم، الذين عانوا في البدء من فزعٍ ممتزج بالفضول، بدأوا يُبدون اعتزازًا قويًّا بـ«تنانينهم»، وأصبحَ كلُّ رجلٍ منهم، من الرُّبَّان إلى مساعد الطَّبَّاخ، يُحِبُّ مشاهَدة ثلاثتهم يُحَلِّقون... ولكن ليس أكثر من داني بالطَّبع.

إنهم أطفالي، وإذا كان ما قالته المايجي حقيقةً، فهُم الأطفال الوحيدون الذين سأحظى بهم في حياتي كلها.

لڤسيريون حراشفُ بلون القشدة الطَّازجة، أمَّا قرناه وعظم جناحيه وعُرفه الفقري[1] فلونهم ذهبيٌّ داكن يلتمع كالمعدن في نور الشَّمس، بينما يتألَّف ريجال من أخضر الصَّيف وبرونز الخريف، وقد حامَ الاثنان في دوائر واسعةٍ فوق السُّفن، يرتفعان إلى أعلى وأعلى وكلٌّ منهما يُحاوِل أن يرتقي فوق الثَّاني.

تعلَّمت داني أن التِّنانين تُفَضِّل أن تُهاجِم من أعلى دومًا، فإذا عَلا أحدهما حتى حجبَ الشَّمس عن الثَّاني، فإنه يطوي جناحيه وينقضُّ صارخًا، ثم يهوي الاثنان معًا من السَّماء وقد اشتبكا في كرةٍ من الحراشف، يَعَضَّان بفكوكهما ويضربان بذيليهما. حين فعلا هذا أول مرَّةٍ ارتاعَت داني حاسبةً أن

---

(1) قياسًا على تكوين تشريحي مشابه في بعض أنواع الديناصورات، فيُمكن مقاربة هذا المصطلح إلى العُرف الفقري أو الشَّوكي، نسبةً إمَّا إلى العمود الفقري وإمَّا إلى الحبل الشَّوكي، وبما أنه في الغالب تكوين عظمي، فالأرجح أن تكون ترجمته العُرف الفقري. (المترجم).

كليهما يُريد أن يَقتُل أخاه، لكنه كان مجرَّد لَعب، فما إن يصطدما بالماء حتى ينفصلا ويرتفعا ثانيةً وهما يَصرُخان ويَفُحَّان وقد تصاعدَ منهما بُخار الماء المالح، وتعود أجنحتهما تُمَزِّق الهواء. كان دروجون يُحَلِّق أيضًا، وإن غابَ عن الأنظار، فلا بُدَّ أنه أمامهم بأميال، أو وراءهم بأميال، يصطاد في مكانٍ ما.

وابنها دروجون جائع دائمًا... جائع ويَكبُرُ بسرعة. عامٌ آخَر أو ربما عامان وسيكون كبيرًا بما يكفي للرُّكوب، وحينها لن أحتاج إلى سُفنٍ لأعبر البحر المالح الشَّاسع.

لكن الأوان لم يأتِ بعدُ، فحجم ڤسيريون وريجال لا يتجاوَز الكلب الصَّغير، ودروجون لا يَكبُرهما إلَّا قليلًا، ولا بُدَّ أن أيَّ كلبٍ يفوق الواحد منهم وزنًا. إن أغلب أجسامهم أجنحة وأعناق وذيول، ووزنهم أخفُّ مما يبدون، وهكذا على دنيرس تارجاريَن أن تعتمِد على الأخشاب والرِّياح والأشرعة لتحملها إلى الدِّيار.

حتى الآن خدمَتها الأخشاب والأشرعة كفايةً، لكن الرِّياح المتقلِّبة غدرَت بهم، فهي هادئة تمامًا منذ ستَّة أيام وستِّ ليالٍ، وها هو اليوم السَّابع قد حَلَّ وما من نفحة هواءٍ واحدة تملأ أشرِعتهم. لحُسن الحَظِّ أن السُّفن الثَّلاث التي أرسلَها إليها الماجستر إليريو تضمُّ قادسيْن تجاريَّيْن، يحوي كلاهما مئتي مجذاف وطاقمًا من الرِّجال مفتولي الأذرُع، لكن الكوج العظيم (بالريون) بمثابة أغنيَّةٍ نغماتها مختلفة تمامًا. إنها سفينة تُذَكِّرك بالخنازير، شديدة الثِّقل وعريضة العوارض، عنابرها فسيحة وأشرعتها ضخمة، لكنها -مع كلِّ هذا- بلا حيلةٍ في غياب الرِّيح، وهكذا مدَّت (ڤاجهار) و(ميراكسس) حبالهما لقَطرها، إلَّا أن التقدُّم كان في غاية البُطء، خصوصًا أن السُّفن الثَّلاث مزدحمة عن آخِرها بالرَّاكبين ومحمَّلة بمختلِف البضائع الثَّقيلة.

انضمَّ إليها السير چورا مورمونت أعلى المقدِّمة سائلًا: «لا أرى دروجون. هل تاهَ ثانيةً؟».

- «نحن التَّائهون أيها الفارس. دروجون لا يُحِبُّ هذا الزَّحف المبتل أكثر مما أحبُّه». تنِّينها الأسود أكثر جرأةً من الآخَريْن، فكان أول من يُجَرِّب الطَّيران فوق الماء، وأول من يُحَلِّق من سفينةٍ إلى أخرى، وأول من يفقد نفسه في سحابةٍ عابرة... وأول من يَقتُل، فلا يكاد السَّمك الطَّيَّار يكسر سطح

المياه حتى يتغلَّفه لسان من اللَّهب، وفي لحظةٍ يُختطَف ويُبتلَع. سألَت داني بفضول: «هل تعرف كم سيَبلُغ حجمهم؟».

- «في (الممالك السَّبع) حكايات عن تنانين تضخَّمت حتى صارَ بإمكانها أن تنتزع كراكِن[1] عملاقًا من البحر».

ضاحكةً قالت داني: «مؤكَّد أنه منظر خارق».

قال فارسها المنفي: «هي مجرَّد حكايات يا گاليسي. إنهم يحكون عن تنانين حكيمة عاشَت ألف عام أيضًا».

- «طيِّب، كم يعيش التنِّينَ إذن؟»، ورفعَت ناظريها إذ دارَ ڤسيريون على ارتفاع منخفض فوق السَّفينة، يخفق جناحاه ببُطء فتتحرَّك الأشرعة المرخيَّة.

هَزَّ السير چورا كتفيه مجيبًا: «دورة حياة التنِّين الطَّبيعيَّة تفوق الإنسان عدَّة مرَّات، أو أن هذا ما تقوله الأغاني... لكن أكثر تنانين عرفَتها (الممالك السَّبع) كانت تنانين عائلة تارجاريَن التي رُبِّيَت على الحرب، وفي الحرب ماتَت. قتْل التنِّين ليس سهلًا، لكنه ليس مستحيلًا».

كان المُرافِق ذو اللِّحية البيضاء يقف عند تمثال المقدِّمة مطوِّقًا بيده النَّحيلة عصاه الطَّويلة المصنوعة من خشب الصُّلب المتين، وقد التفتَ إليهما قائلًا: «الرُّعب الأسود بالريون كان عُمره مئتي عام حين ماتَ في عهد چهيرِس المُصلِح، وكان ضخمًا لدرجة القُدرة على ابتلاع ثورٍ كامل. التَّنانين لا تكفُّ عن النُّمو أبدًا يا جلالة الملكة، ما دامَت تتمتَّع بالطَّعام والحُرِّيَّة».

اسمه الحقيقي آرستان، وإن لقَّبه بِلواس القوي بذي اللِّحية البيضاء لشَعر وجهه النَّاصع، والآن يُناديه الجميع تقريبًا بهذا الاسم، وهو أطول قامةً من السير چورا، لكن ليس مفتول العضلات مِثله، وعيناه ذاتا لونٍ أزرق باهت، ولحيته الطَّويلة بيضاء كالثَّلج وناعمة كالحرير.

سألَت داني بفضول: «الحُرِّيَّة؟ ماذا تعني؟».

- «في (كينجز لاندنج) أقامَ أسلافكِ قلعةً مقبَّبةً هائلةً لتنانينهم، وسمَّوها (جُب التَّنانين). إنها لا تزال قائمةً على (تل رينيس)، لكنها مجرَّد أطلال الآن.

---

(1) الكراكِن وحش بحريٌ أسطوري عملاق يظهر على سطح البَحر كجزيرة، وله أذرع أخطبوطيَّة طويلة تلتفُّ حول السُّفن وتُغرِقها. (المترجم).

هذا هو المكان الذي سكنَته التَّنانين الملكيَّة في الأيام الخوالي، وكان مسكنًا شاسعًا بحَق، أبوابه الحديد شديدة الاتِّساع حتى إن ثلاثين فارسًا بخيولهم كان يُمكنهم الدُّخول منها متجاورين، وعلى الرغم من هذا لوحِظَ أن تنانين الجُب لم تَبلُغ حجم أسلافها قَطُّ، والمِايسترات يقولون إن هذا بسبب الجُدران المحيطة بها والقُبَّة الضَّخمة فوق رؤوسها».

قال السير چورا: «لو أن الجُدران تُحَجِّمنا، لكان الفلَّاحون كلُّهم ضؤلاء والملوك بحجم الجبابرة. لقد رأيتُ رجالًا ضخامًا وُلِدوا في أكواخٍ متواضعة، وأقزامًا عاشوا في قلاع».

رَدَّ ذو اللِّحية البيضاء: «البَشر بَشر والتَّنانين تنانين».

لا يكنُّ الفارس المنفيُّ أيَّ مودَّةٍ للعجوز، وقد جعلَ هذا واضحًا من أول يوم، وهكذا أطلقَ نخيرًا عبَّر به عن ازدرائه، وقال متهكِّمًا: «يا للبلاغة! وماذا تعرف أنت عن التَّنانين على كلِّ حال؟».

- «النَّزر اليسير، هذا صحيح، لكني خدمتُ فترةً في (كينجز لاندنج) في إبَّان جلوس الملك إيرس على العرش الحديدي، ومشيتُ تحت جماجم التَّنانين التي كانت تُزَيِّن جُدران قاعة عرشه».

قالت داني: «ڤسيرِس تكلَّم عن تلك الجماجم. الغاصِب أنزلَها وأخفاها لأنه لم يحتمِل أن تَنظُر إليه من فوق وهو على عرشه المسروق»، وأشارَت لذي اللِّحية البيضاء بالدُّنو متسائلةً عن الملك إيرس الثَّاني الذي ماتَ قبل أن تولَد ابنته: «هل حدثَ أن قابلت السيِّد والدي؟».

- «نعم، نلتُ هذا الشَّرف العظيم يا جلالة الملكة».

- «وهل وجدته طيِّبًا رفيقًا؟».

بذلَ ذو اللِّحية البيضاء قصارى جهده لمواراة مشاعره، لكن ملامحه أفصحَت عنها بوضوحٍ إذ أجابَ: «جلالته كان... لطيفًا أغلب الوقت».

قالت داني مبتسمةً: «أغلب الوقت لكن ليس كلَّه؟».

- «كان يتعامَل بقسوةٍ بالغة مع مَن حسبَهم أعداءه».

- «الحكيم لا يجعل من الملك عدوًّا أبدًا. وهل عرفت أخي ريجار أيضًا؟».

- «ثمَّة من قالوا إن لا أحد عرفَ الأمير ريجار حَقَّ المعرفة، لكني حظوتُ

برؤيته في المباريات، وكثيرًا ما سمعته يعزف على قيثارته ذات الأوتار الفضِّيَّة».

قال السير چورا ساخرًا: «أنت وألف غيرك في أحد احتفالات الحصاد. المرَّة القادمة ستدَّعي أنك كنت مُرافِقه».

- «لستُ أدَّعي شيئًا كهذا أيها الفارس. مُرافِق الأمير ريجار كان مايلز موتون، ومن بَعده ريتشارد لونماوث. عندما أثبتا كفاءتهما، نصَّبهما الأمير فارسيْن بنفسه، وظَلَّا رفيقيه القريبيْن، علاوةً على اللورد كوننجتون الشَّاب الذي كان عزيزًا عليه أيضًا، لكن أقدم أصدقائه كان آرثر داين».

قالت داني بغبطة: «سيف الصَّباح! ڤسيرس اعتادَ أن يتكلَّم عن سيفه الأبيض الأعجوبة، وقال إن السير آرثر كان الفارس الوحيد في البلاد الذي بارى أخينا في براعته».

حنى العجوز رأسه قائلًا: «لستُ في مقامٍ يسمح بأن أشكِّك في كلام الأمير ڤسيرس».

ردَّت مصحِّحةً: «الملك. لقد كان ملكًا مع أنه لم يَحكُم قَطُّ، الملك ڤسيرس الثَّالث»، ثم سألَته وقد حيَّرتها إجابته غير المتوقَّعة: «لكن ماذا تعني؟ السير چورا قال في مرَّةٍ إن ريجار كان التنِّين الأخير. أفلا يجب إذن أن يكون مُحاربًا بلا نظيرٍ ليُطلَق عليه هذا اللَّقب؟».

قال ذو اللِّحية البيضاء: «يا جلالة الملكة، أمير (دراجونستون) كان مُحارِبًا مغوارًا حقًّا، لكن...».

قالت حاثَّةً إياه: «أكمِل. يُمكنك أن تُكلِّمني بصراحة».

استندَ العجوز إلى عُكَّازه الخشبي الصُّلب، وقال عاقدًا حاجبيه: «كما تأمرين. مُحارِب لا نظير له... كلام جميل يا جلالة الملكة، لكن المعارك لا تُربَح بالكلام».

علَّق السير چورا بخشونة: «المعارك تُربَح بالسُّيوف، والأمير ريجار كان يعرف كيف يستعمِل السَّيف».

- «نعم أيها الفارس... لكني شهدتُ مئة مباراة، وحروبًا أكثر مما أردتُ، ومهما كان الفارس قويًّا أو سريعًا أو ماهرًا، فهناك آخَرون قادرون على مُضاهاته، ووارد أن يفوز الرَّجل في دورة مباريات ويَسقُط سريعًا في التَّالية،

وقد تعني بُقعة زَلِقة في العُشب الهزيمة، أو ما أكلته على العَشاء اللَّيلة السَّابقة، بينما قد يجلب النَّصر تغيُّرٌ في اتِّجاه الرِّيح»، ورمقَ السير چورا مردفًا: «أو عطيَّةٌ من ليدي يربطها حول ذراعه».

اربدَّ وجه مورمونت، وقال: «انتبه لكلامك أيها العجوز».

تعلم داني أن آرستان رأى السير چورا يُقاتِل في (لانسپورت)، في دورة المباريات التي كسبَها مورمونت رابطًا عطيَّة واحدةٍ من الليديهات حول ذراعه. يومها فازَ بالليدي نفسها أيضًا، لينيس سليلة عائلة هايتاور، زوجته الثَّانية الجميلة كريمة المحتد... التي دمَّرته وهجرَته ولا تزال ذكراها تُفعِمه بالمرارة. وضعَت يدها على ذراع چورا قائلةً: «تلطَّف يا فارسي، لم يكن آرستان يقصد إساءةً، إنني واثقة».

رَدَّ السير چورا بغِل: «كما تقولين يا گاليسي».

عادَت داني تلتفِت إلى المُرافِق، وقالت: «لستُ أعرفُ إلَّا القليل عن ريجار، فقط الحكايات التي سمعتها من ڤسيرس، لكنه كان ولدًا صغيرًا عندما ماتَ أخونا. كيف كان حقًّا؟».

تأمَّل العجوز لحظةً قبل أن يُجيب: «قديرًا فوق كلِّ شيء، وقويَّ الإرادة، شيمته التَّأنِّي والوفاء والعزم. ثمَّة حكاية معروفة عنه... لكن لا شَكَّ أن السير چورا يعرفها أيضًا».

- «أريدُ أن أسمعها منك».

قال ذو اللِّحية البيضاء: «كما تشائين. في صِباه كان أمير (دراجونستون) مولعًا بالمطالَعة لأقصى حَد، وكان يقرأ في سِنٍّ مبكرةٍ للغاية، لدرجة أن النَّاس قالوا إن الملكة ريـيلا حتمًا ابتلعَت بعض الكُتب وشمعةً حينما كان في بطنها. لم يكترث ريجار للَعب الأطفال الآخَرين، وأذهلَ المِايسترات بذكائه، لكن فُرسان أَبيه كانوا يقولون ساخرين إن بيلور المبارَك وُلِدَ من جديد... إلى أن جاءَ يوم وجدَ فيه الأمير ريجار شيئًا في مخطوطاته غيَّره تمامًا. لا أحد يدري ماذا كان. فقط ظهرَ الصَّبي في السَّاحة فجأةً ذات صباح باكر بينما يرتدي الفُرسان فولاذهم، وتوجَّه مباشرةً إلى السير ويلم داري قيِّم السِّلاح وقال له: أريدُ سيفًا ودِرعًا. يبدو أن عليَّ أن أصبح مُحارِبًا».

قالت داني مسرورةً: «وأصبحَ حقًّا!».

قال ذو اللِّحية البيضاء: «أصبحَ بالتَّأكيد»، وانحنى مضيفًا: «أستميحكِ العُذر يا جلالة الملكة، إننا نتكلَّم عن المُحاربين، وأرى أن بِلواس القوي قد استيقظَ، ويجب أن أنصرف لخدمته».

ألقَت داني نظرةً وراءها، ورأت الخصيَّ يتسلَّق السُّلَّم الصَّاعد من المخزن في منتصَف السَّفينة برشاقةٍ على الرغم من حجمه. إنه بدين قصير القامة لكن عريض الصَّدر، يزن زهاء مئتي رطل من الشُّحوم والعضلات، وتتقاطَع على بطنه البنِّي الضَّخم النُّدوب القديمة الباهتة، ويرتدي سراويلَ فضفاضةً ورباط بطنٍ حريريًّا أصفر وصُدرةً جِلديَّةً مطعَّمةً بالحديد، صغيرةً للغاية على نحوٍ يُثير الضَّحك. هدرَ بِلواس مكلِّمًا الجميع ولا أحد بعينه: «بِلواس القويّ جائع! بِلواسِ القوي سيأكل الآن!»، والتفتَ ولمحَ آرستان أعلى المقدِّمة، فقال: «ذو اللِّحية البيضاء! ستُحضِر الطَّعام لبِلواس القوي!».

قالت داني للمُرافِق: «يُمكنك الذَّهاب»، فانحنى ثانيةً، وانصرفَ ليُلَبِّي حاجات الرَّجل الذي يخدمه.

راقبَ السير چورا بتعبيرٍ متجهِّم على وجهه الجاف الصَّريح. كبير الحجم هو ومتين البنية، فَكُّه قويٌّ وكتفاه عريضتان، ولا يُعَدُّ وسيمًا بحال، لكنه أخلص الأصدقاء الذين عرفَتهم داني. قال لها مورمونت عندما خرجَ ذو اللِّحية البيضاء من نطاق السَّمع: «من الحكمة ألَّا تُعوِّلي كثيرًا على كلام هذا العجوز».

ردَّت مذكِّرةً إياه: «على الملكة أن تُصغي للجميع، النُّبلاء والعامَّة، والأقوياء والمستضعَفين، والصَّالحين والفاسدين. قد يُحَدِّثك صوت واحد كذبًا، لكن الحقيقة دائمًا موجودة في أصوات الكثيرين». كان هذا شيئًا قرأَته في كتاب.

قال المنفي: «اسمعي صوتي إذن يا جلالة الملكة. هذا الآرستان ذو اللِّحية البيضاء يتلاعَب بك. إنه أكبر سِنًّا من أن يكون مُرافِقًا، وأفصح في كلامه من أن يكون خادمًا لذلك الخصيِّ الأحمق».

أقرَّت لنفسها مجبَرةً بأن الأمر يبدو غريبًا حقًّا. بِلواس القوي عبد سابق،

ترعرعَ وتمرَّن في حلبات القتال في (ميرين)، وقد أرسلَه الماچستر إليريو لحراستها، أو أن هذا ما يَزعُمه بِلواس، وهي في حاجةٍ إلى حراسةٍ في الواقع. لقد نذرَ الغاصِب على عرشه الحديدي أرضًا ولورديَّة للرَّجل الذي يَقتُلها، وبالفعل جرَت محاوَلة لاغتيالها بكأسٍ من النَّبيذ المسموم، وكلما دنَت أكثر من (وستروس) ازدادَت احتمالات وقوع محاوَلةٍ ثانية. في (كارث) أرسلَ الدَّجَّال پيات پري وراءها واحدًا من القتلة المأجورين المعروفين باسم الرِّجال الآسفين، لينتقم للخالدين الذين أحرقَتهم في بيتهم التُّراب، والرِّجال الآسفون لا يفشلون أبدًا. ولا بُدَّ أن غالب الدوثراكي سيكونون ضدَّها أيضًا، فكلُّ كو كان لدى گال دروجو يقود گالاساره الخاص الآن، ولن يتردَّد أحدهم في مهاجمَة جماعتها الصَّغيرة فور أن يلمحها، ليُذَبِّح ويستعبِد قومها ويَجُرَّها هي نفسها إلى (ڤايس دوثراك) لتأخذ مكانها وسط حيزبونات الدوش گالين الذَّاويات. وكانت تأمل أن زارو زون داكسوس ليس عدوَّها، لكن التاجر الكارثيني اشتهى تنانينها فحسب. ثم إن هناك كويث ابنة الظِّل، تلك المرأة العجيبة ذات القناع الخشبي الأحمر ووصاياها الملغِزة، أهي عدوٌّ أيضًا أم مجرَّد صديقٍ خطير؟ لا تدري داني حقًّا.

السير چورا أنقذَني من السُّم، وآرستان ذو اللِّحية البيضاء من المانتيكور[1]. لعلَّ بِلواس القوي سيُنقِذني من القاتِل التَّالي. بلواس ضخم الجثمان، وذراعاه كشجرتين صغيرتين، ومسلَّح بأراخٍ معقوف كبير بالغ الحدَّة حتى إنه يُمكنه أن يحلق به، مع أن احتمال نبوت الشَّعر من هاتين الوجنتين البنِّيَّتين النَّاعمتين ضعيف للغاية... غير أنه يتصرَّف بصبيانيَّةٍ صارخة أيضًا. كحامٍ فهو أقلُّ كثيرًا من المنشود، لكني ممتنَّة لأن معي السير چورا وخيَّالة دميَّ، وتنانيني، لا تنسي أبدًا. مع الوقت سيُصبِح التَّنانين أكثر حُرَّاسها مهابةً، تمامًا مِثل إجون الفاتِح وأختيه قبل ثلاثمئة عام، أمَّا الآن فتانينها مصدر خطرٍ عليها أكثر من

(1) المانتيكور في الأساطير الفارسيَّة حيوان له رأس إنسان وجسم أسد وجناحان كالوطواط وثلاثة صفوف من الأسنان الحادَّة كسمكة القِرش، أمَّا في عالم الرواية فيُطلَق على حشرةٍ لها رأس شبيه بالإنسان وذيل شائك مقوَّس مليء بالسُّم، وتستطيع أن تطوي أجنحتها كالجعران. (المترجم).

حمايةٍ لها، ففي العالم قاطبةً ليس هناك إلَّا ثلاثة تنانين أحياء، تنانينها هي، أعجوبة ورُعب أثمن من كلِّ كنوز الدُّنيا.

كانت تتدبَّر كلماتها التَّالية عندما أحسَّت بنفحةٍ باردة على مؤخِّرة عُنقها، وتحرَّكت خُصلة نافرة من شَعرها الذَّهبي الفضِّي على جبينها، وفي الأعلى صرَّت الأشرعة واهتزَّت، وفجأةً سرَت صيحة البحَّارة في كلِّ مكانٍ على متن (بالريون): «الرِّيح! الرِّيح عادَت! الرِّيح!».

رفعَت عينيها إلى حيث تموَّجت أشرعة الكوج العظيم ورنَّت أجراسها، بينما انشدَّت الحبال عن آخِرها منشدةً الأغنيَّة الجميلة التي تاقوا إليها ستَّة أيام طويلة، واندفعَ الرُّبَّان جروليو إلى المقدِّمة، وشرعَ مَن لا يُهَلِّلون سعادةً من البنتوشيِّين في تسلُّق الصَّواري، وحتى بِلواس القوي نفسه أطلقَ هتافًا مدوِّيًا ورقصَ رقصةً صغيرةً.

قالت داني: «الشُّكر للآلهة. أترى يا چورا؟ سنُواصِل طريقنا من جديد».

قال: «نعم، لكن إلى أين يا مليكتي؟».

هبَّت الرِّيح طول النَّهار بثباتٍ من الشَّرق، ثم اشتدَّت كثيرًا قُبيل مغيب الشَّمس في الأفق كشُعلةٍ حمراء. ذكَّرت داني نفسها قائلةً: ما زلتُ أبعدُ نصف عالم عن (وستروس)، لكن كلُّ ساعةٍ تُقرِّبني إليها. حاولَت أن تتخيَّل كيف ستكُون مشاعرها عندما يقع بصرها للمرَّة الأولى على الأرض التي وُلِدَت لتَحكُمها. سيكون أجمل شاطئٍ رأيته على الإطلاق، إنني متأكِّدة، فكيف يُمكن أن يكون غير هذا؟

لكن لاحقًا في اللَّيلة نفسها، بينما مخرَت (بالريون) عباب الظَّلام، وجلسَت داني متقاطعة السَّاقين تُطعِم تنانينها على سريرها في قمرة الرُّبَّان -التي أخلاها لها جروليو بكرم قائلًا إن حتى في البحر الملكات لهن الأسبقيَّة فوق الرَّبابنة- ارتفعَت دَقَّة حادَّة على الباب.

كانت إيري نائمةً عند قدم السَّرير الأصغر من أن يحتوي ثلاثةً، واللَّيلة دور چيكوي في اقتسام الحشيَّة المبطَّنة بالرِّيش مع الگاليسي، لكن الوصيفة نهضَت وذهبَت إلى الباب، فيما رفعَت داني الغطاء وثبَّتته تحت إبطيها، فقد كانت عاريةً ولم تتوقَّع زائرًا في هذه السَّاعة. قالت حين رأت السير چورا واقفًا في الخارج تحت مصباحٍ متأرجح: «ادخُل».

حنى الفارس المنفيُّ رأسه وخطا إلى القمرة قائلًا: «آسفٌ لأني أزعجتُ نومكِ يا جلالة الملكة».

قالت: «لم أكن نائمةً أيها الفارس. تعالَ وانظُر»، والتقطَت قطعةً من لحم الخنزير المملَّح من الوعاء الذي في حِجرها، ورفعَتها ليراها تنانينها، فحدَّق ثلاثتهم إليها بجوع. بسطَ ريجال جناحين أخضرين وحرَّك الهواء، وتمايلَ عُنق ڤسيريون إلى الأمام والخلف كثعبانٍ شاحبٍ طويل وهو يُراقب حركة يدها، ثم قالت داني بنعومة: «دروجون، دراكارِس»، وألقَت قطعة اللَّحم في الهواء.

تحرَّك دروجون أسرع من كوبرا تنفثُ الزُّعاف، وخرجَ اللَّهب هادرًا من فمه، برتقاليًّا وقرمزيًّا وأسود، وفحَّم اللَّحم قبل أن يبدأ في السُّقوط، وإذ انغلقَت أسنانه السَّوداء الحادَّة عليه، اندفعَ رأس ريجال على مقربةٍ منه، كأنه يُحاول سرقة الجائزة من بين فَكَّيْ أخيه، لكن دروجون ازدردَ وصرخَ، فلم يستطِع التنِّين الأخضر الأصغر إلَّا الفحيح مغتاظًا.

قالت داني بضيقٍ وهي تضربه على رأسه بقوَّة: «كُفَّ عن هذا يا ريجال. لقد أكلت القطعة السَّابقة. لن أسمح بأن تكون تنانيني جشعةً»، ثم ابتسمَت للسير چورا قائلةً: «لن أحتاج إلى طهو لحمهم على المستوقَد ثانيةً».

- «أرى هذا. دراكارس؟».

أدارَ التَّنانين الثَّلاثة رؤوسهم إثر الكلمة، وأطلقَ ڤسيريون دفقةً من اللَّهب الذَّهبي الباهت جعلَت السير چورا يتراجَع مسرعًا، فقهقهَت داني وقالت: «احذر من هذه الكلمة أيها الفارس وإلَّا أحرَقوا لحيتك. إنها تعني «نيران التنِّين» في الڤاليريَّة الفُصحى. أردتُ أن أنتقي أمرًا لن ينطقه أحد مصادَفةً».

أومأ مورمونت برأسه قائلًا: «هل تسمح جلالة الملكة بأن أحدِّثها على انفراد؟».

قالت: «بالطَّبع. إيري، اترُكينا بعض الوقت»، ووضعَت يدها على كتف چيكوي المكشوفة مضيفةً: «وأنتِ أيضًا يا عزيزتي. السير چورا يُريد أن يُحَدِّثني».

قالت چيكوي: «نعم يا گاليسي»، ونزلَت من السَّرير عاريةً متثائبةً، وشَعرها الأسود الكثيف متشابك حول رأسها، وارتدَت ثيابها بسُرعةٍ وخرجَت مع إيري مغلقةً الباب.

أعطَت داني التَّنانين بقيَّة اللَّحم ليتشاجَروا عليه، وربَّتت إلى جوارها على السَّرير قائلةً: «اجلس أيها الفارس العزيز وأخبِرني بما يُقلِقك».

جلسَ السير چورا مجيبًا: «ثلاثة أشياء: بلواس القوي، وهذا الآرستان ذو اللِّحية البيضاء، وإليريو موپاتيس الذي أرسلَهما».

ثانيةً؟ سحبَت داني الغطاء إلى أعلى أكثر وثبَّتت أحد طرفيه على كتفها سائلةً: «ولِمَ؟».

قال الفارس المنفيُّ بينما بدأ ڤسيريون وريجال يشتبكان: «دجَّالو (كارث) قالوا لكِ إنكِ ستعرفين ثلاث خيانات».

ردَّت داني التي لم تنسَ: «واحدة من أجل الدَّم، وواحدة من أجل الذَّهب، وواحدة من أجل الحُب. ميري ماز دور كانت الأولى».

- «أي أن هناك خائنيْن آخرَيْن... والآن يظهر هذان الاثنان. أرى أن هذا مُقلِق، نعم. لا تنسي أبدًا أن روبرت عرضَ اللورديَّة على مَن يَقتُلك».

مالَت داني إلى الأمام وجذبَت ذيل ڤسيريون لتُبعِده عن أخيه. انحسرَ غطاؤها عن صدرها مع حركتها، فعادَت تسحبه سريعًا وتُغَطِّي نفسها، وقالت: «لقد ماتَ الغاصِب».

رفعَ السير چورا رأسه إليها لتلتقي عيناه الدَّاكنتان عينيها، وأضافَ: «لكن ابنه يَحكُم في مكانه، والابن المطيع يُسَدِّد ديون أبيه، حتى ديون الدَّم».

- «ربما يُريد هذا الصَّبي چوفري مماتي... إذا تذكَّر أني حيَّة، لكن ما علاقة هذا ببِلواس وآرستان؟ العجوز لا يحمل سيفًا حتى كما رأيت بنفسك».

- «أجل، ورأيتُ البراعة التي يتعامَل بها بعُكَّازه. أتَذكُرين كيف قتلَ المانتيكور في (كارث)؟ كان من الممكن أن يسحق عُنقكِ بالبساطة نفسها».

أشارَت قائلةً: «كان ممكنًا لكنه لم يَحدُث. المانتيكور كان سيَقتُلني بسُمِّه، وهو أنقذَ حياتي».

- «گاليسي، هل خطرَ لكِ أن ذا اللِّحية البيضاء وبِلواس كانا متواطئيْن مع القاتِل؟ قد تكون كلُّها مجرَّد حيلة لكسب ثقتكِ».

جعلَت ضحكتها المفاجئة دروجون يهسُّ، وحدَت بڤسيريون إلى الوثوب في الهواء ليقبع فوق الكُوَّة، بينما قالت هي: «الحيلة انطلَت تمامًا إذن!».

لم يُبادِلها الفارس المنفيُّ الابتسام، بل قال: «هذه سُفن إليريو، وهؤلاء ربابنته وبحَّارته... وبلواس القوي وآرستان رجلاه أيضًا لا رجلاكِ».

- «الماچستر إليريو حماني في الماضي. بِلواس يقول إنه بكى لمَّا علمَ بموت أخي».

- «نعم، لكن هل بكى ڤسيرس أم الخُطط التي وضعَها معه؟».

- «خُططه ليست في حاجةٍ إلى تغيير. الماچستر إليريو صديق لعائلة تارجارين، وثري...».

- «إنه لم يولَد ثريًّا، وفي العالم الذي عرفته لا أحد يُثري لأنه شخص صالح. الدَّجَّالون قالوا إن الخيانة الثَّانية ستكون في سبيل الذَّهب، فما الذي يُحِبُّه إليريو موپاتيس أكثر من الذَّهب؟».

في الجهة الأخرى من القمرة تحرَّك دروجون بتوتُّر وصعدَ البُخار من منخريه، فيما أجابَت داني: «جِلده. ميري ماز دور خانَتني فأحرقتها».

- «ميري ماز دور كانت تحت رحمتكِ، أمَّا في (پنتوس) فستكونين أنتِ تحت رحمة إليريو موپاتيس. هذا غير ذاك. إنني لا أقلُّ عنكِ معرفةً بالماچستر، وأعلمُ أنه رجل مخادع، وذكي...».

- «وأنا أحتاجُ إلى رجالٍ أذكياء حولي إذا أردتُ الفوز بالعرش الحديدي».

قال السير چورا ساخرًا: «بائع النَّبيذ الذي حاولَ أن يُسَمِّمكِ كان ذكيًّا أيضًا، والأذكياء يحيكون أطمح الخُطط».

سحبَت داني ساقيها وراء الغطاء قائلةً: «أنت ستحميني، أنت وخيَّالة دمي».

- «أربعة رجال؟ گاليسي، أنتِ مؤمنة بأنكِ تعرفين إليريو موپاتيس، ليكن، ومع ذلك تُصرِّين على أن تُحيطي نفسكِ برجالٍ لا تعرفينهم، كذلك الخصي المنفوخ وأكبر مُرافِقي العالم سِنًّا. تعلَّمي من پيات پري وزارو زون داكسوس».

ذكَّرت داني نفسها في قرارتها: إنه حَسن النِّيَّة، يفعل كلَّ ما يفعله بدافع الحُب. «يبدو لي أن الملكة التي لا تثق بأحد حمقاء كالملكة التي تثق بالجميع. كلُّ رجلٍ أقبله في خدمتي مجازَفة، أفهمُ هذا، لكن كيف سأربحُ (الممالك السَّبع) دون مجازَفات؟ هل سأغزو (وستروس) بفارسٍ منفيٍّ واحد وثلاثة خيَّالة دم؟».

قال ضاغطًا أسنانه بعناد: «لن أنكر أن طريقك محفوف بالمخاطر، لكن إذا وثقتِ بكلِّ كذَّاب ومتآمر يُقابلكِ فيه بلا تفكير، سينتهي بكِ الأمر كأخيك».

أغضبَتها مكابَرته، وقالتَ لنفسها: يُعامِلني كأني طفلة، ثم إنها ردَّت: «بلواس القوي لا يستطيع أن يتآمر لمجرَّد سرقة وجبة إفطار، وما الأكاذيب التي أخبرَني آرستان ذو اللِّحية البيضاء إياها؟».

- «إنه ليس كما يتظاهَر، ويُخاطِبكِ بجرأةٍ لا تُراوِد أيَّ مُرافِق».

- «لقد تكلَّم بصراحةٍ بأمرٍ مني، وكان يعرف أخي».

- «كثيرون للغاية عرفوا أخيكِ. يا جلالة الملكة، في (وستروس) لحضرة قائد الحَرس الملكي مكان في المجلس الصَّغير، ويخدم الملك بعقله كما يفعل بسلاحه. إذا كنتُ أول فُرسان حَرسكِ الملكي، فأناشدكِ أن تسمعيني، فعندي خطَّة أودُّ أن أشرحها لكِ».

- «خطَّة؟ أخبرني».

- «إليريو موباتيس يُريدكِ في (پنتوس) تحت سقفه، ليكن، اذهبي إليه... لكن في الوقت الذي يُناسِبكِ وليس وحدكِ. لنرَ مدى إخلاص وطاعة رعاياكِ الجُدد هؤلاء. مُري جروليو بتغيير المسار إلى (خليج النَّخَّاسين)».

لم يَرُق داني وقع الكلام على الإطلاق، فكلُّ ما سمعَته عن أسواق اللَّحم البَشري في مُدن الرَّقيق العظيمة (يونكاي) و(ميرين) و(أستاپور) رهيب مخيف. «وماذا سأجدُ في (خليج النَّخَّاسين)؟».

قال السير چورا: «جيشًا. إذا كان بلواس القوي يُعجِبكِ لهذه الدَّرجة، فيُمكنكِ أن تشتري مئاتٍ مثله من حلبات القتال في (ميرين)... لكن (أستاپور) هي الوجهة التي أنصحُ بالإبحار إليها، فهناك يُمكنكِ أن تشتري جُندًا مطهَّرين».

- «العبيد أصحاب القبَّعات البرونز المدبَّبة؟». كانت قد رأت حَرسًا من هؤلاء المطهَّرين في المُدن الحُرَّة، يقفون على أبواب الماچسترات والأركونات[1] والحُكَّام. «ولماذا أحتاجُ إلى جُندٍ مطهَّرين؟ إنهم لا يركبون الخيول حتى، ومعظمهم بدينون».

---

(1) الأركون كلمة يونانيَّة قديمة تعني حرفيًّا «الحاكم»، وإن كانت قد استُخدِمَت مع عددٍ مختلف من أصحاب المناصب الرَّسميَّة وكبار التُّجَّار في روما القديمة والإمبراطوريَّة البيزنطيَّة، كما استخدمَها العرب للإشارة إلى العظيم من الدَّهقان الفُرس. (المترجم).

- «المطهَّرون الذين رأيتِهم في (پنتوس) و(مير) حَرس بيوت. هذه خدمة ناعمة، والمخصيُّون يجنحون إلى الامتلاء في جميع الأحوال، فالطَّعام هو المتعة الوحيدة المسموحة لهم. الحُكم على كلِّ الجُند المطهَّرين من خلال بضع حَرس بيوت كالحُكم على كلِّ مُرافِقي الفُرسان من خلال آرستان ذي اللِّحية البيضاء يا جلالة الملكة. هل تعرفين حكاية الثَّلاثة آلاف كُوهوري؟».

انزلقَ الغطاء عن كتف داني، فعادَت تُثبِّته في مكانه مجيبةً: «لا».

- «كان هذا قبل أربعمئة عام أو أكثر، في بداية خروج الدوثراكي من الشَّرق ناهبين ومُحرقين كلَّ بلدةٍ ومدينةٍ في طريقهم. الگال الذي يقودهم كان اسمه تِمو، ولم يكن گالاساره بحجم گالاسار دروجو، لكنه كان كبيرًا بما فيه الكفاية، يضمُّ خمسين ألفًا على الأقل، نِصفهم مُحاربون ترنُّ الأجراس في شَعرهم المضفَّر. علمَ الكوهوريُّون أنه قادم إليهم، فحصَّنوا أسوارهم وضاعَفوا أعداد حَرسهم، وعلاوةً على هذا استأجَروا اثنتين من الجماعات الحُرَّة، الرَّايات اللَّامعة والأبناء الثَّانين، وكفكرةٍ متأخِّرة أرسَلوا رجلًا إلى (أستاپور) ليشتري ثلاثة آلاف مطهَّر، لكن مسيرة العودة إلى (كُوهور) استغرقَت وقتًا طويلًا، ومع دنوِّهم رأوا الدُّخان والغُبار وسمعوا جلبة المعركة. كانت الشَّمس قد غربَت عندما بلغَ المطهَّرون المدينة أخيرًا، والغِربان والذِّئاب تلتهم وليمةً أسفل الأسوار مما تبقَّى من سلاح الخيَّالة الكُوهوري، وقد فَرَّ الأبناء الثَّانون والرَّايات اللَّامعة كما يفعل المرتزقة دائمًا عند غياب الأمل في النَّصر، وعادَ الدوثراكي مع انتشار الظَّلام إلى مخيَّماتهم ليشربوا ويَرقُصوا ويحتفلوا، إلَّا أن الشَّكَّ لم يُراوِد أحدًا في عودتهم في اليوم التَّالي لتحطيم بوَّابة المدينة واقتحام الأسوار، توطئةً لأن يغتصبوا ويسلبوا ويستعبدوا كما يشاؤون. لكن حين بزغَ الفَجر وخرجَ تِمو وگالاساره من معسكَرهم، وجدوا ثلاثة آلاف جُندي مطهَّر في وضع الدِّفاع أمام البوَّابات، وفوق رؤوسهم تخفق راية الكبش الأسود. كان من الممكن تطويق هذه القوَّة الصَّغيرة بسهولة، لكنكِ تعرفين الدوثراكي، وبالنِّسبة لهم هؤلاء رجال على أقدامهم، ومن على أقدامهم صالحون فقط لأن يُدعَسوا بالخيول. هكذا هجمَ الدوثراكي، فضَمَّ المطهَّرون تُروسهم معًا وخفضوا حِرابهم ووقفوا ثابتين، ضد عشرين ألفًا من الصَّارخين الرَّنَّانين وقفوا ثابتين. ثماني عشرة مرَّةً هاجمَ

الدوثراكي وحطَّموا أنفسهم على تلك التُّروس والحِراب كالموج على ساحل من الصَّخر، وثلاث مرَّاتٍ جعلَ تِمو رُماته يدورون حولهم ممطرين الثَّلاثة آلاف بالسِّهام، لكن المطهَّرين رفعوا تُروسهم فوق الرُّؤوس ببساطةٍ حتى تجاوزَتهم الزَّوبعة. في النِّهاية لم يتبقَّ منهم إلَّا ستُّمئة... على حين افترشَت جُثث أكثر من اثني عشر ألفًا من الدوثراكي أرض ميدان المعركة، بما فيهم گال تِمو نفسه، وخيَّالة دمه وگوهاته وأبنائه كلهم. في صباح اليوم الرَّابع قادَ الگال الجديد النَّاجين أمام بوَّابات المدينة في موكب مهيب، وواحدًا تلو الآخَر قطعَ كلُّ رجل جديلته وألقاها عند أقدام الثَّلاثة آلاف. منذ ذلك الحين وحَرس المدينة في (كوهور) من المطهَّرين وحدهم، وكلٌّ منهم يحمل حربةً طويلةً تتدلَّى منها جديلة من الشَّعر البَشري. هذا ما ستجدينه في (أستاپور) يا جلالة الملكة. ارسي هناك وواصِلي الطَّريق إلى (پنتوس) على اليابسة. سيستغرق وقتًا أطول، نعم... لكن حين تأكلين العيش والملح مع الماچستر إليريو، سيكون وراءكِ ألف حارسٍ لا أربعة فقط».

ثمَّة حكمة في كلامه، نعم، لكنّ... «كيف سأشتري ألفًا من الجنود العبيد؟ إنني لا أملكُ شيئًا ذا قيمة إلَّا التَّاج الذي أعطَتني إياه أخوَّة التورمالين».

- «التَّنانين ستكون أعجوبةً كُبرى في (أستاپور) كما كانت في (كارث)، وربما يُمطِرك النَّخَّاسون بالهدايا كما فعلَ الكارثين... وإن لم يفعلوا، فهذه السُّفن تحمل أكثر من الدوثراكي وخيولهم، وقد دخلتُ المخازن ورأيتُ بنفسي أنها حمَّلت مختلِف البضائع من (كارث)، من لفافات الحرير وجِلد النَّمر إلى منقوشات اليَشب والكهرمان وجِرار الزَّعفران والمُر... العبيد رخيصون يا جلالة الملكة، أمَّا جِلد النَّمر فباهظ».

قالت معترضةً: «جِلد النَّمر هذا ملك إليريو».

- «وإليريو صديق لعائلة تارجارين».

- «هذا سبب أدعى لألَّا أسرق بضائعه».

- «وما جدوى الأصدقاء الأثرياء إذا لم يضعوا ثرواتهم تحت تصرُّفكِ يا مولاتي؟ إذا رفضَ الماچستر إليريو، فهو زارو زون داكسوس لكن أكثر بدانةً فحسب، وإذا كان مخلصًا حقًّا في دعمه قضيَّتكِ، فلن يضنَّ عليكِ بحمولة ثلاث سُفن من البضائع. هل من فائدةٍ أفضل لجِلد النَّمر من شراء بذرةٍ أولى لجيشكِ؟».

هذا! صحيح. قالت شاعرةً بحماستها تتصاعَد: «تلك المسيرة الطَّويلة ستكون لها مخاطرها...».

- «البحر له مخاطره أيضًا. القراصنة يجوبون الطَّريق الجنوبي بحثًا عن ضحايا، و(البحر الدَّاخن) شمال (ڤاليريا) تَسكُنه الشَّياطين. قد تُغرقنا العاصفة التَّالية أو تُشَتِّتنا، وقد يسحبنا كراكِن تحت الماء... أو قد نجد أنفسنا عالقين بلا ريح ثانيةً، ونموت عطشًا ونحن ننتظر عودتها. المسيرة ستكون لها أخطار مختلفةً يا مولاتي، لكنها ليست أعظم».

- «لكن ماذا لو رفضَ الرُّبَّان جروليو أن يُغَيِّر مساره؟ وماذا سيفعل آرستان ويلواس القوي؟».

نهضَ السير چورا قائلًا: «ربما حانَ الوقت لأن تعرفي».

ردَّت وقد حزمَت أمرها: «نعم، سأفعلُ هذا!»، وأزاحَت الغطاء ووثبَت من السَّرير مواصلةً: «سأرى الرُّبَّان في الحال وآمره بأن يتَّجه إلى (أستاپور)»، ومالَت على صندوقها ورفعَت غطاءه وأطبقَت على أول ثوب وجدَته، السَّراويل الفضفاضة المصنوعة من الحرير الرَّملي، وقالت لچورا آمرةً وهي تسحبها على وَركيها: «ناوِلني حزام الرَّصائع»، وبدأت تلتفِت مضيفةً: «وصُدرتي...».

وطوَّقها السير چورا بذراعيه.

- «أوه». لم تجد داني وقتًا لأن تقول إلَّا هذا قبل أن يسحبها إليه ويلصق شفتيه بشفتيها. كانت رائحته عَرَقًا وملحًا وجِلدًا، وانغرسَت البروزات الحديد في سُترته الجلديَّة الضيِّقة في ثدييها العاريَيْن وهو يضمُّها إليه بقوَّةٍ ساحقة، وقد أمسكَتها يد من كتفها وانزلقَت الأخرى على عمودها الفقري إلى أسفل ظَهرها، وانفتحَ فمها للسانه على الرغم من أنه لم يتلقَّ منها الأمر. لحيته شائكة لكن فمه حُلو. الدوثراكي لا يُطلِقون لحاهم، بل شوارب طويلة فقط، وگال دروجو هو الوحيد الذي قبَّلها في حياتها كلها. لا يَجدُر به أن يفعل هذا. إنني ملكته ولستُ امرأته.

كانت قُبلةً طويلةً، وإن لم تدرِ داني كم دامَت، ولمَّا انتهَت رفعَ السير چورا يديه عنها فأخذَت خُطوةً سريعةً إلى الوراء قائلةً: «لم... لم يكن يجب أن...».

أنهى عبارتها وعيناه على ثدييها: «لم يكن يجب أن أنتظر كلَّ هذا الوقت.

كان يجب أن أقبِّلكِ في (كَارث)، في (ڤايس تولورو)، كان يجب أن أقبِّلكِ في (القَفر الأحمر) كلَّ ليلةٍ وكلَّ نهار. أنت مخلوقة لأن تُقبَّلي، كثيرًا وجيِّدًا».

غطَّت داني ثدييها بيديها قبل أن تخونها حلمتاها، وقالت: «أنا... لم يكن هذا لائقًا. إنني ملكتك».

- «ملكتي، وأشجع وأعذب وأجمل امرأةٍ رأيتها. دنيرس...».

- «جلالة الملكة!».

- «جلالة الملكة، التنِّين له ثلاثة رؤوس، أتَذكُرين؟ إنك تتساءَلين عن هذا منذ سمعتِه من الدَّجَّالين في بيت الغُبار. حسن، إليكِ ما يعنيه: بالريون وميراكسس وڤاجهار، التَّنانين التي امتطاها إجون ورييِنس وڤيزينيا، تنِّين عائلة تارجاريَن ذو الثَّلاثة رؤوس، ثلاثة رؤوس وثلاثة راكبين».

قالت داني: «نعم، لكني أخوَيْ ماتا».

- «رييِنس وڤيزينيا كانتا زوجتَيْ إجون وأختيه. أنتِ بلا إخوة، لكن يُمكنكِ أن تتَّخذي زوجيْن، وأقولُ لكِ بكلِّ صدقٍ يا دنيرس إنكِ لن تجدي رجلًا في العالم كلِّه بنِصف إخلاصي لكِ».





بران

ارتفعَ جدار الأُخدود من الأرض بزاويةٍ تميل بحدَّة، مساحة طويلة من التُّربة والصَّخر تمتدُّ متَّخذةً شكل المخلب، وتتشبَّث بمنحدَراتها السُّفلى أشجار الصَّنوبر والزُّعرور البرِّي والدَّردار، وإن تجرَّد أعلاها من كلِّ زرع، وبدَا خَطُّ القمَّة عاريًا قاسيًا تحت السَّماء المكفهرَّة.

كان يحسُّ بالحجارة العالية تُناديه، وإلى أعلى اتَّجه متوائبًا، بتمهُّلٍ في البداية ثم أسرع وأعلى، تنهب قوائمه القويَّة المنحدَر نهبًا. خرجَت الطُّيور مفزوعةً من وسط الأغصان فوق رأسه إذ مَرَّ بها مسرعًا، وحلَّقت إلى الأعالي ضاربةً الهواء بعُنف، وتناهَى إلى سمعه هفيف الرِّيح بين أوراق الشَّجر والسَّناجب تتبادَل الصَّرير، بل والصَّوت الذي صدرَ من كوز صنوبر إذ سقطَ على أرض الغابة، بينما أحاطَت به الرَّوائح من كلِّ صوبٍ كأغنيَّة، أغنيَّة ملأَت العالم الأخضر الطيِّب.

تطايرَ الحصى من تحته وهو يقطع الأقدام القليلة الأخيرة ليقف على القمَّة، حيث قُرص الشَّمس الأحمر الضَّخم المعلَّق فوق الصَّنوبرات الطَّويلة، ومن تحته تمتدُّ الأشجار والتِّلال وتمتدُّ متجاوزةً مدى بصره وشَمِّه، وبعيدًا في الأعلى راحَت حَدَأة تدور وقد بدا لونها داكنًا تحت السَّماء الورديَّة.

أمير. تردَّد الصَّوت البَشري في عقله فجأةً، لكنه شعرَ بما في قوله من صواب. أميرِ الأخضر، أمير (غابة الذِّئاب). إنه قويٌّ وسريعٌ وضارٍ، وكلُّ مخلوقٍ يَسكُن العالم الأخضر الطيِّب يفرُّ منه خوفًا.

بعيدًا في قاع الغابة في الأسفل تحرَّك شيء ما وسط الأشجار، ومضة رماديَّة لم يكد يلمحها حتى اختفَت، وإن كانت كافيةً لأن يُرهِف أُذنيه. ثم

إن جسمًا آخَر انسلَّ بالقُرب غديرِ أخضر سريع واندفعَ يجري، فأدركَ ماهيته في الحال. ذئاب. إنهم أولاد عمومته الصِّغار، يُطارِدون فريسةً ما، والآن بدأ الأمير يرى مزيدًا منهم، ظلالًا على أقدامِ شهباء رشيقة. قطيع.

هو أيضًا كان له قطيعه ذاتَ يوم. خمسةً كانوا، وسادسًا بمنأى عنهم، وفي مكانٍ ما في أعماقه تقبع الأصوات التي أطلقَها البَشر عليهم للتَّمييز بينهم، وإن لم يكن بالأصوات يعرف إخوته وأختيه، وإنما يتذكَّرهم بروائحهم. إن روائحهم جميعًا متشابهة، روائح قطيع، لكن لكلٍّ منهم رائحته المختلفة أيضًا.

أحسَّ الأمير بأخيه الغاضب ذي العينين الخضراوين المتَّقدتين قريبًا، على الرغم من أنه لم يرَه ويصطَد معه منذ فترةٍ طويلة، غير أن غروب كلِّ شمس يُباعِد المسافة بينهما أكثر، وقد كان آخِر أشقَّائه، والآخَرون تفرَّقوا وتشتَّتوا بعيدًا كأوراق شجرٍ ذرَتها الرِّيح.

ما زالَ يَشعُر بهِم أحيانًا، كأنهم لم يُفارِقوه ولا يَحجُبهم عن بصره إلَّا جُلمود حجري أو مجموعة من الأشجار، ولئن كان لا يستطيع أن يشمَّهم أو يسمع عُواءهم ليلًا، فإنه يستشعر وجودهم وراء ظَهره... كلهم إلَّا الأخت التي فقدوها. تهدَّل ذيله لمَّا تذكَّرها. أربعة الآن، أربعة لا خمسة، أربعة وواحد آخَر، الأبيض الذي بلا صوت.

هذه الغابة تنتمي إليهم؛ المنحدَرات المكسوَّة بالثُّلوج والتِّلال الحجريَّة، والصَّنوبرات الخضراء الضَّخمة، والسَّنديانات ذات الأوراق الذَّهبيَّة، والنُّهيرات الدَّافقة والبُحيرات الزَّرقاء التي تتحسَّس ضفافها أصابع الصَّقيع الأبيض. لكن أخته تركَت البراري لتمشي في أبهاء صخر الإنسان التي يَحكُمها صيَّادون من نوعٍ آخَر، وحال دخول تلك الأبهاء يغدو العثور على طريق العودة عسيرًا. الأمير الذئب يَذكُر.

تغيَّر اتِّجاه الرِّيح بغتةً.

غزال، وخوف، ودم. أيقظَت رائحة الطَّريدة جوعه، ودارَ الأمير متشمِّمًا الهواء ثانيةً، ثم انطلقَ يعدو على القمَّة وقد تفارقَ فَكَّاه. كان جانب الأخدود البعيد أكثر تحدُّرًا من الذي صعدَ عليه، لكنه مرقَ بأقدام واثقة فوق الأحجار والجذورِ والأوراق المتعفِّنة، ونزلَ المنحدَر واندفعَ بين الأشجار، تطوي وثباته الطَّويلة الأرض وتجتذبه الرَّائحة فيُسرِع أكثر وأكثر.

وجدَ الغزالة تُحتضَر مفترشةً الأرض عندما بلغَها، وقد أحاطَ بها ثمانية من أولاد عمومته الرَّماديِّين الصِّغار، وبدأ رأسا القطيع يلتهمان وجبتهما، الذَّكر أولًا ثم أنثاه، يتبادَلان تمزيق اللَّحم من أسفل بطن الضحيَّة الأحمر، فيما ينتظر الآخرون كلُّهم بصبر، باستثناء ذيل القطيع الذي أخذَ يدور بحذرٍ على بُعد خطواتٍ قليلة من البقيَّة، خافضًا ذيله وهو يعلم أنه آخِر الآكلين، أيًّا كان ما سيترُكه له إخوته.

كان الأمير يتحرَّك في اتِّجاه الرِّيح، فلم يَشعُروا به حتى حَطَّ على جذع شجرةٍ ساقط على بُعد ستٍّ وثباتٍ من حيث يأكلون. رآه الذَّيل أولًا فأطلقَ أنينًا مثيرًا للشَّفقة وانسلَّ مبتعدًا، بينما التفتَ إخوته في القطيع إثر الصَّوت وكشفوا أسنانهم زائمين، جميعهم عدا قائديْهم الذَّكر والأنثى.

أجابَ الذِّئب الرَّهيب الزَّوم بزمجرةٍ واطئةٍ مُنذرة وكشَّر لهم عن أنيابه. إنه يفوق أولاد عمومته حجمًا، أكبر مرَّتين من الذَّيل الهزيل ومرَّةً ونصفًا من رأسَيْ القطيع. هكذا وثبَ وسطهم، ونكصَ ثلاثة منهم وذابوا بين الشُّجيرات، بينما هاجمَه رابع بأسنانٍ تَعَضُّ الهواء، فصَدَّ الهجوم مباشرةً، وأطبقَ على ساق الذِّئب بفكَّيه عندما تصادَما، وطوَّحه بعيدًا لينهض وهو ينبح ويَعرُج.

عندئذٍ لم يَعُد هناك مَن يُواجِهه إلَّا الذِّئب الرَّئيس، الذَّكر الأشهب الكبير بخَطمه المخضَّب بالدِّماء الطَّازجة من بطن الغزالة اللَّين. كان على خَطمه شيء من البياض أيضًا، يدلُّ على كونه ذئبًا عجوزًا، لكن حين فغرَ فاه سالَ اللُّعاب الأحمر من بين أسنانه.

فكَّر الأمير: إنه لا يعرف الخوف، مِثلي تمامًا. سيكون قتالًا جيِّدًا، ولم يلبث كلاهما أن انقضَّ على الآخَر.

طويلًا تقاتَلا، يتدحرجان معًا فوق الجذور والأحجار والأوراق السَّاقطة وأحشاء الفريسة الممزَّقة، ينهش كلٌّ منهما الثَّاني بالسِّنِّ والمخلب، ينفصلان ويدوران حول بعضهما بعضًا قبل أن يُعاوِدا الانقضاض. صحيحٌ أن الأمير أكبر حجمًا وأقوى كثيرًا، لكن ابن عمِّه لديه قطيع، وقد أخذَت الأنثى تطوف حولهما وهي تتنشَّق وتزوم، وكلما تقهقرَ ذَكرها المدمَّى تقدَّمت معترضةً الطَّريق بينهما، وبين الفينة والفينة كان أحد الذِّئاب الأخرى يندفع كالسَّهم ليقضم ساقًا أو أُذنًا بينما الأمير ملتفت عنه، وقد أغضبَه أحد مهاجميه لدرجة

أنه دارَ بثورةٍ سوداء ومزَّق حَلقه، وبَعدها حافظَ الآخَرون على مسافةٍ بينهم وبينه.

وإذ انسحبَ آخِر خيوط الضَّوء الأحمر من وسطِ غصون الشَّجر بأخضرها وذهبيِّها، استلقى الذِّئب العجوز في الثَّرى منهكًا، وتدحرجَ ليكشف حَلقه وبطنه. إنه الاستسلام.

تشمَّمه الأمير ولعقَ الدِّماء من الفرو واللَّحم الممزَّقيْن، ولمَّا أصدرَ الذِّئب العجوز أنينًا خافتًا، استدارَ الذِّئب الرَّهيب وانصرفَ عنه. إنه جائع للغاية الآن، والفريسة له.

- «هودور».

جعلَه الصَّوت المفاجئ يتوقَّف ويُزَمجر، ورمقَته الذِّئاب الأخرى بأعيُنٍ خضراء وصفراء يلتمع فيها البصيص الأخير من نور النَّهار. لا أحد غيره سمعَه. إنه كرياحٍ غريبة تهبُّ في أُذنيه وحدهما. دفنَ فَكَّيه في بطن الغزالة ومزَّق ملء فمه مِن اللَّحم.

- «هودور، هودور».

لا، لا، لن أعود. خطرَت الفكرة للصَّبي لا الذِّئب الرَّهيب. كانت الغابة تُظلِم باطِّرادٍ من حوله، إلى أن لم يتبقَّ غير ظلال الأشجار وبريق أعيُن أولاد عمومته... وعبر هذه الأعيُن ووراءها أبصرَ وجه رجلٍ كبير تعتليه ابتسامة عريضة، وقبوًا حجريًّا لوَّثت جُدرانه رُقع النَّطرون، وتلاشَى مَذاق الدَّم الحار الغني من على لسانه. لا، لا تُعدني، لا تُعدني، أريدُ أن آكل، أريدُ أن آكل، أريدُ...

- «هودور، هودور، هودور، هودور، هودور». أخذَ هودور يترنَّم بالكلمة وهو يهزُّه برفقٍ من كتفيه، جيئةً وذهابًا، جيئةً وذهابًا. كان يُحاوِل أن يكون رقيقًا كديدنه الدَّائم، لكن هودور يُناهِز الأقدام السَّبعة طولًا، وأقوى مما يُدرِك، فجعلَت يداه الضَّخمتان أسنان بران تصطكُّ، ليصيح بغضب: «لا! هودور، دَعني، أنا هنا، أنا هنا».

توقَّف هودور وقد بدا عليه الحرج، وغمغمَ: «هودور؟».

الغابة والذِّئاب اختفَت، وعادَ بران مجدَّدًا إلى القبو الرَّطب تحت بُرج حراسةٍ عتيق لا بُدَّ أنه مهجور منذ ألوف السِّنين. إنه لا يُعَدُّ بُرجًا حقًّا الآن،

وحتى أحجاره المتهدِّمة نمَت عليها الطَّحالب وفروع اللَّبلاب بكثافة، جاعلةً رؤيتها عصيَّةً ما لم تكن واقفًا أمامها مباشرةً. سَمَّى بران المكان «بُرج الحُطام»، لكن ميرا هي من عثرَت على الطَّريق إلى القبو في الأسفل.

قال چوچن ريد: «غبتَ طويلًا». إنه في الثَّالثة عشرة من العُمر، يَكبَر بران بأربعة أعوام فقط، ولا يَكبُره حجمًا كثيرًا أيضًا، وربما يفوقه طولًا ببوصتين أو ثلاث فقط، إلَّا أن أسلوبه الرَّصين في الكلام يجعله يبدو أكبر سِنًّا وأكثر حكمةً مما هو فعلًا، وفي (وينترفل) سمَّته العجوز نان «الجد الصَّغير».

قال له بران عابسًا: «أردتُ أن آكل».

- «ميرا ستعود قريبًا بالعَشاء».

- «سئمتُ الضَّفادع». ميرا من آكلي الضَّفادع في (العُنق)، لذا فلا يعتقد بران أن بإمكانه أن يلومها حقًّا على صيدها بكثرة، ومع ذلك... «أردتُ أن آكل الغزالة». تذكَّر مذاقها لحظةً، الدَّم واللَّحم النَّيء الغني، وامتلأ فمه باللُّعاب. لقد قاتلتُ من أجلها وفزتُ، قاتلتُ فزتُ.

- «هل علَّمت الأشجار؟».

احمرَّ وجه بران خجلًا. دائمًا ما يقول له چوچن أن يفعل أشياء معيَّنةً عندما يفتح عينه الثَّالثة ويرتدي جِلدة سَمر؛ يخدش لحاء شجرة، أو يصطاد أرنبًا ويرجع حاملًا إياه بين فكَّيه دون أن يأكله، أو يدفع عددًا من الأحجار مكوِّنًا صَفًّا. أشياء سخيفة. «نسيتُ».

- «دائمًا تنسى».

إنه مُحق. دائمًا ينوي بران أن يُنَفِّذ الأشياء التي يَطلُبها چوچن، لكنها لا تبدو مهمَّةً على الإطلاق حالما يُصبِح ذئبًا، فهناك دائمًا أشياء أخرى يراها ويشمُّها، عالم أخضر كامل يرمح فيه ويصطاد... ناهيك بمقدرته على الجري! لا شيء في الدُّنيا أفضل من الجري، ما لم يكن الجري وراء فريسة. قال للصَّبي الذي يكبَره: «كنتُ أميرًا يا چوچن، كنتُ أمير الغابة».

قال چوچن مذكِّرًا إياه برفق: «أنت أمير فعلًا. تَذكُر هذا، أليس كذلك؟ قُل لي مَن أنت».

- «أنت تعرف». مع أن چوچن صديقه ومعلِّمه، لكن أحيانًا ما تُراوِد بران الرَّغبة في أن يلطمه.

- «أريدك أن تقولها. قُل لي مَن أنت».

قال بوجوم: «بران». بران المكسور. «براندون ستارك». الصَّبي العاجز. «أمير (وينترفل)»... (وينترفل) التي احترقَت وتهدَّمت وشُرِّدَ أهلها وقُتِّلوا، وحُطِّمَت صُوباتها الزُّجاجيَّة، وفارَت المياه السَّاخنة من جُدرانها المتصدِّعة لتتبخَّر في الشَّمس. كيف يُمكن أن تكون أميرًا على مكانٍ قد لا تراه ثانيةً أبدًا؟

حَثَّه چوچن: «ومَن سَمر؟».

رَدَّ مبتسمًا: «ذئبي الرَّهيب، أمير الخُضرة».

- «بران الصَّبي وسَمر الذِّئب. أنتما اثنان إذن؟».

تنهَّد مجيبًا: «اثنان، وواحد». إنه يكره چوچن حقًّا عندما يتحامَق هكذا. في (وينترفل) أرادَني أن أرى أحلام الذِّئاب في نومي، والآن وقد عرفتُ كيف أفعلها أجده يُعيدني منها دومًا.

- «تذكَّر هذا يا بران، تذكَّر نفسك وإلَّا استحوذَ عليك الذِّئب. في أثناء التحامكما لا يكفي أن تجري وتصيد وتعوي في جِلدة سَمر».

فكَّر بران: لكنه يكفيني. إنه يُحِبُّ أن يرتدي جِلدة سَمر أكثر من جِلدته هو. ما فائدة أن تكون مبدِّلًا للجلود إذا لم يكن ممكنًا أن ترتدي الجِلدةَ التي تُريدها؟

- «هل ستتذكَّر؟ والمرَّة القادمة علِّم الشَّجرة، أيَّ شجرة، لا فرق، المهمُّ أن تفعلها».

- «سأفعلُ، سأتذكَّرُ. يُمكنني أن أعود وأفعل هذا الآن إذا أردت. لن أنسى هذه المرَّة». لكني سآكلُ غزالتي أولًا، وأتشاجرُ مع تلك الذِّئاب الصَّغيرة قليلًا.

هَزَّ چوچن رأسه نفيًا، وقال: «لا. الأفضل أن تبقى وتأكل، تأكل بفمك أنت. الوارِج لا يُمكنه أن يتغذَّى على ما يأكله حيوانه».

ممتعضًا فكَّر بران: ومن أين لك بهذه المعرفة؟ إنك لم تكن وارِجًا قَطُّ، ولا تعلم معنى أن يكون المرء واحدًا.

نهضَ هودور فجأةً فكاد يخبط رأسه في السَّقف المقوَّس، وصاحَ: «هودور!» وهو يهرع إلى الباب، الذي دفعَته ميرا قبل أن يَبلُغه ودخلَت إلى ملجأهم، فردَّد صبيُّ الاسطبل المبتسم ملء شِدقيه: «هودور، هودور».

ميرا ريد في السَّادسة عشرة من عُمرها، امرأة ناضجة، لكنها لا تفوق أخاها طولًا، وقد قالت لبران ذات مرَّةٍ حين سألَها عن طولها إن شعب المستنقعات كلَّه صغير الحجم هكذا. شَعرها بنِّي وعيناها خضراوان، وصدرها مسطَّح كالفتيان، وتمشي برشاقةٍ ناعمةٍ لا يملك بران معها إلَّا أن يُراقِبها بغِبطة، كما أنها مسلَّحة بخنجرٍ ماضٍ طويل، وإن كانت طريقتها المفضَّلة في القتال هي رُمح صيد الضَّفادعِ الرَّفيع ذو الشُّعب الثَّلاث في يد، وفي اليد الأخرى شبكة مجدولة بإحكام.

- «مَن جائع؟»، سألَت رافعةً صيدها، سمكتَيْ ترويت فضِّيَّتين صَّغيرتين وستَّ ضفادع خضراء سمينة.

قال بران: «أنا». ولكن ليس للضَّفادع. في (وينترفل)، قبل ما حدثَ من أشياء سيِّئة، اعتادَ والدر ووالدر أن يقولا إن أكل الضَّفادع يَصبُغ الأسنان بالأخضر ويجعل الطَّحالب تنمو تحت الإبطين. تساءلَ إن كان الوالدران قد ماتا. إنه لم يرَ جثَّتيهما في (وينترفل)... لكن الجُثث كانت كثيرةً حقًّا، ثم إنهم لم يبحثوا داخل المباني.

- «علينا أن نُطعمك إذن. هلَّا ساعدتَني في تنظيف الصَّيد يا بران؟».

أومأَ برأسه إيجابًا. من الصَّعب أن يظلَّ كاسف البال في وجود ميرا، فهي أكثر مرحًا بكثيرٍ من أخيها، وتعرف كيف تجعله يبتسم دائمًا، ولا شيء يُخيفها أو يُغضِبها أبدًا... باستثناء چوچن أحيانًا. چوچن ريد يُمكنه أن يُخيف أيَّ أحدٍ تقريبًا. إنه يرتدي ثيابًا كلها خضراء، وعيناه قاتمتان كالطَّحالب، ويرى أحلامًا خضراء تتحقَّق. مع أنه حلمَ بموتي وها أنا حي. لكنه بشكلٍ ما يُعَدُّ ميتًا بالفعل.

أرسلَ چوچن هودور ليجمع الحطب، وأوقدَ لهم نارًا صغيرةً فيما انهمكَ بران وميرا في تنظيف الضَّفادع والسَّمكتين. استخدما خوذة ميرا كإناء طهو، وقطَّعا لحم الصَّيد إلى مكعَّبات صغيرة ألقياها في الماء مع القليل من البصل البرِّي الذي اقتطفَه هودور، لعمل يخنة الضَّفادع، التي لم تكن شهيَّةً كلحم الغزلان، لكن بران قرَّر وهو يأكل أنها ليست سيِّئةً كذلك، وقال: «شكرًا يا ميرا، يا سيِّدتي».

- «على الرَّحب والسَّعة يا سموَّ الأمير».

أعلنَ جوجن: «علينا أن نتحرَّك عندما يحلُّ الغَد».
رأى بران ميرا تتوتَّر وهي تسأل: «هل رأيت حُلمًا أخضر؟».
- «لا».
قالت أخته: «لماذا نُغادِر إذن؟ (بُرج الحُطام) مكان مناسب لنا. ليست هناك قُرى قريبة، والغابة ملأى بالصَّيد، والنُّهيرات والبُحيرات المجاورة تزخر بالسَّمك والضَّفادع... ومَن سيَعثُر علينا هنا على كلِّ حال؟».
- «إننا لسنا حيث ينبغي أن نكون».
- «لكنه مكان آمِن».
- «أعرفُ أنه يبدو آمِنًا، لكن لكم من الوقت؟ لقد دارَت معركة في (وينترفل)، ونحن رأينا الموتى. المعارك تعني الحروب، فإذا داهمَنا جيش ما على غفلة...».
قال بران: «قد يكون جيش روب. روب سيعود قريبًا من الجنوب، إنني متأكِّد، سيعود ومعه جميع حمَلة رايته ويَطرُد الرِّجال الحديديِّين».
رَدَّ جوجن: «المِايستر لم يَذكُر شيئًا عن روب وهو في الرَّمق الأخير. قال إن الحديديِّين على (السَّاحل الحجري)، وفي الشَّرق نغل بولتون. (خندق كايلن) و(ربوة الغابة) سقطَتا، ووريث عائلة سروين ماتَ، وكذا أمين القلعة في (مربَّع تورين). قال إن الحرب في كلِّ مكان، وإن كلَّ رجلٍ يُقاتِل جاره».
قالت أخته: «سبقَ أن تناقَشنا في هذا. أنت تُريد الذَّهابَ إلى (الجِدار) وغُرابك ذي الثَّلاث أعيُن، لا بأس، لكن (الجِدار) بعيد جدًّا عن هنا، وبران لا يعتمد إلَّا على ساقَيْ هودور. لو كنا نمتطي الخيول...».
قاطعَها جوجن محتدًّا: «لو كنا نسورًا لطِرنا، لكننا لا نملك أجنحةً أو خيولًا».
قالت ميرا: «ثمَّة خيول يُمكننا أن نَحصُل عليها. حتى في قلب (غابة الذِّئاب) هناك حطَّابون ومزارعون وصيَّادون، ولا بُدَّ أن بعضهم يملك خيولًا».
- «وإذا كانت لديهم خيول، فهل نسرقها؟ أنحن لصوص؟ آخِر شيءٍ نُريده أن يُطارِدنا أحد».
- «من الممكن أن نشتريها أو نُقايِض شيئًا بها».

- «انظُري إلينا يا ميرا. صبيٌّ قعيد معه ذئب رهيب وعملاق ساذج واثنان من شعب المستنقعات على بُعد ألف فرسخ من (العُنق). سيتعرَّفوننا وينتشر الخبر. ما دامَ بران ميتًا فهو في أمان، لكن حَيًّا سيُصبِح طريدةً لكلٍّ من يُريده أن يموت حقًّا»، وذهبَ چوچن إلى النَّار لينخس الجمر بعصا مواصلًا: «في مكانٍ ما شمالًا ينتظرنا الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث. بران في حاجةٍ إلى معلِّمٍ أمهر مني».

سألَته أخته: «كيف يا چوچن؟ كيف؟».

أجابَ: «سيرًا على الأقدام، خُطوةً خُطوةً».

- «الطَّريق من (القلعة الرَّماديَّة) إلى (وينترفل) امتدَّ بلا نهاية، وكنا راكبيْن وقتها، وأنت تريدنا أن نقطع طريقًا أطول على أقدامنا دون أن ندري أين ينتهي حتى. تقول إنه وراء (الجِدار)، منطقة لم يسبق لي أو لك الذَّهاب إليها، لكني أعرفُ أن وراء (الجِدار) مكان واسع يا چوچن. هل هناك غِربان كثيرة بثلاث أعيُن أم واحد فقط؟ كيف نَعثُر عليه؟».

- «قد يَعثُر هو علينا».

قبل أن تردَّ ميرا أتاهم الصَّوت، عُواء ذئبٍ بعيد حملَه إليهم اللَّيل، فسألَ چوچن مصغيًا: «سَمر؟».

أجابَ بران الذي يعرف صوت ذئبه الرَّهيب: «لا».

قال الجَدُّ الصَّغير: «أأنت واثق؟».

- «واثق». كان سَمر قد ارتحلَ بعيدًا اليوم، ولن يرجِع قبلِ الفَجر. ربما يرى چوچن أحلامًا خضراء، لكنه يجهل الفارق بين الذِّئب والذِّئب الرَّهيب. ساءلَ نفسه عن سبب إصغائهم المستمر لچوچن. إنه ليس أميرًا كبران، ولا كبيرًا قويًّا كهودور، ولا صيَّادًا بارعًا كميرا، وعلى الرغم من كلٍّ هذا يُملي چوچن عليهم ما يفعلونه على الدَّوام. قال بران: «علينا أن نسرق الخيول كما تُريد ميرا»، وفكَّر لحظةً قبل أن يُضيف: «أو يُمكننا أن نسرق قاربًا ونُبحِر في (السكِّين الأبيض) إلى بلدة (الميناء الأبيض). ذلك اللورد البدين ماندرلي يَحكُم هناك، وكان ودودًا في مأدبة الحصاد. أرادَ أن يبني سُفنًا، ولربما بنى عددًا منها بالفعل. يُمكننا أن نُبحِر إلى (ريفرَرَن) ونُعيد روب وجيشه إلى الدِّيار، ولن يهمَّ عندها مَن يعرف أني حي. روب لن يسمح لأحدٍ بإيذائنا».

تجشَّأ هودور قائلًا: «هودور، هودور، هودور».

بدا أنه الوحيد الذي راقَته خطَّة بران، أمَّا ميرا فابتسمَت له، بينما عبسَ چوچن. إنهما لا يُصغيان لما يُريده أبدًا، رغم أن بران من آل ستارك، علاوةً على كونه أميرًا، وآل ريد أولاد (العُنق) حمَلة راية آل ستارك.

قال هودور متمايلًا: «هوووودور، هوووووودور، هووووووودور، هودور، هودور، هودور». أحيانًا يُحِبُّ أن يفعل هذا، يُرَدِّد اسمه بطرائق مختلفة، يُرَدِّده مرارًا ومرارًا ومرارًا، وفي أحيانٍ أخرى يظلُّ ساكنًا تمامًا لدرجة أنك تنسى أنه موجود. مع هودور لا يُمكنك أن تتيقَّن من شيءٍ أبدًا. «هودور، هودور، هودور!».

أدركَ بران أنه لن يتوقَّف، فقال: «هودور، لِمَ لا تَخرُج وتتمرَّن بسيفك؟».

كان صبيُّ الاسطبل قد نسيَ سيفه، لكنه تذكَّره الآن، فتجشَّأ ثانيةً وقال: «هودور!»، والتقطَ السَّيف. إن معهم ثلاثة سيوف أَخَذوها من على القبور في سراديب (وينترفل)، حيث اختبأ بران وأخوه ريكون من رجال ثيون جرايچوي الحديديِّين. أخذَ بران سيف عمِّه براندون، وميرا السَّيف الذي وجدَته على رُكبتَيْ جدِّه اللورد ريكارد، أمَّا سيف هودور فأقدم كثيرًا، قطعة ضخمة ثقيلة من الحديد، وإن أصبحَ ثلمًا بَعد قرونٍ من الإهمال، وانتشرَ فيه الصَّدأ في غير موضع. أحيانًا لا ينفكُّ يضرب به ساعاتٍ متواصلة، وثمَّة شجرة عفنة بالقُرب من الحجارة المتداعية عزقَها حتى كادَ يُمَزِّقها إربًا. حتى عندما خرجَ ظلُّوا يسمعونه عبر الجُدران يهدر: «هودور!» وهو يهوي على شجرته ضربًا. لحُسن الحَظِّ أن (غابة الذِّئاب) شاسعة حقًّا، وليس محتملًا أن هناك أحدًا في الجوار يسمعه.

قال بران: «چوچن، ماذا قصدت بكلامك عن المعلِّم؟ أنت معلِّمي. أعرفُ أني لم أضع علامةً على الشَّجرة، لكني سأفعلُ المرَّة القادمة. عيني الثَّالثة انفتحَت كما أردت...».

- «انفتحَت عن آخِرها، حتى إنني أخشى أن تَسقُط فيها وتعيش بقيَّة حياتك ذئبًا في الغابة».

- «لن يَحدُث، أعدُك».

- «الصَّبي يَعِد، لكن هل سيتذكَّر الذِّئب؟ إنك تجري مع سَمر، تصطاد معه، تَقتُل معه... لكنك تخضع لإرادته أكثر مما يخضع لإرادتك».

متذمِّرًا قال بران: «إنني أنسى فقط. أنا في التَّاسعة لا أكثر، لكني سأتحسَّنُ عندما أكبرُ. حتى فلوريان المهرِّج والأمير إيمون الفارس التنِّين لم يكونا فارسيْن عظيميْن وهما في التَّاسعة!».

قال چوچن: «هذا صحيح، وكلام حكيم، لو أن ساعات النَّهار كانت أطول... لكنها ليست كذلك الآن. أعرفُ أنك طفل الصَّيف. قُل لي كلمات عائلة ستارك».

- «الشِّتاء قادم». مجرَّد قول العبارة أشعرَ بران بالبرد.

أومأ چوچن برزانة، وقال: «لقد حلمتُ بذئبٍ مجنَّح مقيَّد إلى الأرض بسلاسل من حجر، وذهبتُ إلى (وينترفل) لأحرِّره. أنت تخلَّصت من قيودك، لكنك ما زلت لا تستطيع الطَّيران».

- «علِّمني إذن! أنت نبيٌّ أخضر». ما زال بران يخشى الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث الذي يَسكُن أحلامه أحيانًا، يَنقُر الجِلد بين عينيه بلا هوادة ويقول له أن يطير.

قال چوچن: «لا، بل مجرَّد صبيٍّ يَحلُم. الأنبياء الخُضر كانوا أقوى من هذا، وكانوا أوْراجًا أيضًا مِثلك، وأعظمهم كان يستطيع أن يرتدي جِلدة أيِّ مخلوقٍ يطير أو يسبح أو يزحف، ويَنظُر عبر أعيُن أشجار الويروود كذلك، ليرى الحقائق المتوارية تحت قشرة العالم. الآلهة تمنح مواهب كثيرة يا بران. أختي صيَّادة، وقد وُهِبَت لها القُدرة على الجري بِسُرعة أو الوقوف بثباتٍ تام حتى يبدو كأنها اختفَت، ولديها عينان ثاقبتان وأُذنان حادَّتان ويدان ثابتتان تحملان الرُّمح والشَّبكة. أنا لا أستطيعُ أن أفعلِ تلك الأشياء، ولا أنت، لكن الآلهة أعطَتني الأحلام الخضراء، وأنت أعطَتك... يُمكنك أن تُصبِح أعظم مني بكثيرٍ يا بران. أنت الذِّئب المجنَّح، ولا أحد يدري المسافات التي يُمكنك أن تُحلِّقها... إذا كان لديك مَن يُعلِّمك. كيف يُمكنني مساعَدتك على إتقان موهبةٍ لا أفهمها؟ إننا نتذكَّر البَشر الأوائل في (العُنق)، وأطفال الغابة الذين كانوا أصدقاءهم... لكن كثيرًا جدًّا من المعارف طواه النِّسيان، وكثيرًا جدًّا لم نتعلَّمه قَطُّ».

التقطَت ميرا يد بران قائلةً: «إذا بقينا هنا دون أن نُزعِج أحدًا، ستكون آمِنًا حتى تنتهي الحرب، لكنك لن تتعلَّم إلَّا ما يستطيع أخي تلقينك إياه، وها أنت قد سمعت ما لديه. وإذا تركنا هذا المكان للبحث عن ملاذٍ في (المستوقَد الأخير) أو وراء (الجدار)، فخطر أن يُقبَض علينا قائم. أعرفُ أنك مجرَّد صبي، لكنك أميرنا أيَضًا، ابن سيِّدنا ووريث ملكنا الشَّرعي، وقد أقسمنا لك على الولاء باليابسة والماء، والبرونز والحديد، والجليد والنَّار. المخاطَرة مخاطَرتك يا بران مِثلما الموهبة موهبتك، ولذا فرأيي أن القرار ينبغي أن يكون قرارك كذلك. نحن خادماك وطوع بنانك»، وابتسمَت ابتسامةً واسعةً مردفةً: «في هذا الأمر على الأقل».

قال بران: «أتعنين أنكما ستُنَفِّذان ما أقوله؟ حقًّا؟».

أجابَت الفتاة: «حقًّا يا أميري. فكِّر جيِّدًا إذن».

حاولَ بران أن يتفكَّر في الأمر برويَّةٍ كما كان أبوه ليفعل.

هوثر باقِر العاهرة ومورس آكِل الغُراب عمَّا چون الكبير رجلان عنيفان، لكنه يعتقد أنهما مخلصان، وآل كارستارك أيضًا. كان أبوه يقول دائمًا إن (كارهولد) قلعة قويَّة. قد نكون آمِنين مع آل أومبر أو آل كارستارك.

أو يُمكنهم الذَّهاب جنوبًا إلى اللورد ماندرلي البدين. في (وينترفل) كان يضحك كثيرًا، ولم يَرمُق بران قَطُّ بنظرات الشَّفقة كاللوردات الآخَرين. قلعة عائلة سروين أقرب من (الميناء الأبيض)، لكن المِايستر لوين قال إن كلاي سروين ماتَ. خطرَ له فجأةً أن آل أومبر وكارستارك وماندرلي قد يكونون موتى بدورهم، المصير نفسه الذي سيلقاه إذا أوقعَ به الرِّجال الحديديُّون أو نغل بولتون.

إذا ظلُّوا هنا، مختبئين أسفل (بُرج الحُطام)، فلن يجدهم أحد، وسيبقى حيًّا... وقعيدًا.

أدركَ بران أنه يبكي، فقال لنفسه: صبيٌّ سخيف. أينما ذهبَ، سواء أكان إلى (كارهولد) أو (الميناء الأبيض) أو (قلعة المياه الرَّماديَّة)، سيكون الولد العاجز نفسه عندما يصل. هكذا كوَّر قبضتيه وقال لهما: «أريدُ أن أطير. أرجوكما، خُذاني إلى الغُراب».



داڤوس

عندما صعدَ إلى سطح السَّفينة، كان رأس جزيرة (دريفتمارك) الطَّويل يتقلَّص من ورائهم، بينما ارتفعَت (دراجونستون) من البحر أمامهم، وانبعثَ خيط من الدُّخان الرَّمادي الباهت من قمَّة الجبل ليُعَيِّن مكان الجزيرة. (دراجونمونت) مضطرب هذا الصَّباح، أو أن مليساندرا تُحرق أحدًا آخَر.

لازمَت مليساندرا أفكاره طويلًا فيما شَقَّت (رقصة شاياَلا) مياه (الخليج الأسود)، وعبرَت (الحُلقوم) مبدِّلةً مسارها عدَّة مرَّاتٍ مع هبوب رياح معاكسةٍ خبيثة، وذكَّرته النَّار العظيمة المشتعلة أعلى بُرج الحراسة في قلعةً (النَّصل)، في أقصى شِبه جزيرة (خُطَّاف ماسي)، بالياقوتة التي تُثبِّتها على حَلقها، وكلما اصطبغَ العالم بالأحمر عند مطلع الفَجر ومغيب الشَّمس، انطلى السَّحاب المُزجى في السَّماء بلون الحرير والساتان في فُستانها الذي يهفُّ كلما تحرَّكت.

ستكون منتظرةً في (دراجونستون) أيضًا، منتظرةً بكلِّ جمالها وكلِّ سطوتها، منتظرةً مع إلهها وظلالها ومليكه. دائمًا بدَت الرَّاهبة الحمراء مخلصةً لستانيس... حتى الآن. قال لنفسه: لقد أخضعَته كما يُخضِع الرَّجل حصانه لإرادته، وسوف تمتطيه إلى سُلطتها المنشودة إذا أرادَت، ومن أجل هذا سلَّمت أبنائي إلى النَّار. سأنتزعُ قلبها من صدرها وأرى كيف يحترق، ومَسَّ مقبض الخنجر اللايسيني الفاخر الطَّويل، الذي أهداه الرُّبَّان إياه.

كان الرُّبَّان كريمًا معه للغاية. اسمه كُوران ساثمانتس، لايسيني مِثل سالادور سان الذي يملك هذه السَّفينة، وفي عينيه الزُّرقة الشَّاحبة التي تراها بكثرةٍ في أعيُن أهل (لِيس)، وإن كان وجهه هزيلًا نحلَه التَّعرُّض المتواصل

للأجواء، إذ قضى سنواتٍ طويلة في التِّجارة في (الممالك السَّبع)، وحين علمَ أن الرَّجل الذي انتشلَه من البحر هو فارس البصل الشَّهير، أخلى له قمرته وأذنَ له في ارتداء ثيابه وأعطاه حذاءً جديدًا ناسبَ مقاسه تقريبًا، كما أصرَّ على أن يُشاركه داڤوس طعامه الخاص، مع أن هذا أدَّى إلى نتائج غير مرغوبة، لأن معدته لَم تحتمِل الحلزونات وأسماك الشِّلق[1] وغيرها من الأطعمة الدَّسمة التي يستطيبها الرُّبَّان كوران كثيرًا، وبَعد وجبته الأولى على مائدته أمضى بقيَّة اليوم يُفرِغ أحشاءه من فتحةٍ أو أخرى من فوق حاجز السَّفينة.

تعاظَمَت (دراجونستون) كلما ضربَت المجاذيف الماء، واستطاعَ أن يُمَيِّز شكل الجبل، وإلى جانبه القلعة السَّوداء الهائلة بكَراجلها وبروجها المنحوتة لتبدو كالتَّنانين، فيما نثرَ تمثال مقدِّمة (رقصة شايالا) ألسنةً من الرَّذاذ المالح وهو يشقُّ الأمواج المصطخبة. استندَ داڤوس بثِقله كلِّه إلى الحاجز شاعرًا بالامتنان لمتانته. لقد أضعفَته تجربته كثيرًا، فإذا وقفَ طويلًا تهتزُّ ساقاه، وأحيانًا يَسقُط ضحيَّةً لنوباتٍ في غاية العُنف من السُّعال ويَخرُج منه البلغم داميًا، لكنه يظلُّ يقول لنفسه: لا داعي للقلق. لا بُدَّ أن الآلهة لم تُنقِذني من النَّار والبحر كي تَقتُلني بالإسهال.

بينما أصغى إلى دقَّات طبلة رئيس المجذِّفين، وطنطنة الشِّراع المشدود، وتخويض المجاذيف وصريرها، عادَت به الذَّاكرة إلى شبابه، وكيف أيقظَت هذه الأصوات نفسها الرُّعب في قلبه في أكثر من صباحٍ غائم. كانت تُنذِر باقتراب رجال السير تريستيمون العجوز من خَفر البحر، وأيام جلوس إيرس تارجاريَن على العرش الحديدي كان خَفر البحر يعنون الموت لأيِّ مهرِّب.

لكن هذا كان في حياةٍ أخرى، قبل سفينة البصل، قبل (ستورمز إند)، قبل أن يُقَصِّر ستانيس أصابعي. كان هذا قبل الحرب والمذنَّب الأحمر، قبل أن أصبح فارسًا ويصير اسمي سيوورث. كنتُ رجلًا مختلفًا في تلك الأيام، قبل أن يرفعني اللورد ستانيس عاليًا.

أخبرَه كوران بنهاية آمال ستانيس ليلة اشتعلَ النَّهر، وبأن جيش لانستر

(1) الشِّلق أو الجلكَى نوع من الأسماك يُشبه ثعابين الماء، له فم حادُّ الأسنان ليمتصَّ دماء الأسماك الأخرى. (المترجم).

هاجمَه من المؤخِّرة، وتخلَّى عنه حمَلة رايته المتلوِّنون وهو في أمسِّ الحاجة إليهم، وأضافَ الرُّبَّان: «هناك من شهدوا شبح الملك رنلي أيضًا، يُعمِل سيفه يمينًا ويسارًا وهو يقود طليعة اللورد الأسد. يقولون إن النَّار الشَّعواء ألقَت وهجًا شبحيًّا على دِرعه الخضراء، واتَّقدت قرون خوذته بلهب ذهبي».

شبح رنلي. تساءلَ داڤوس إن كان أبناؤه سيعودون كأشباحٍ أيضًا. لقد رأى في ترحاله في البحار أغرب الأشياء طرًّا، فلا يُمكنه أن يقطع بأن الأشباح لا وجود لها. سألَ الرُّبَّان: «ألم يحفظ أيُّهم عهده؟».

- «قلائل، أغلبهم من أقرباء الملكة. استطعنا أن نأخذ كثيرين ممن يضعون رمز الثَّعلب والزُّهور، وإن تُركَ على الشَّاطئ أضعافهم ممن يضعون مختلِف الرُّموز. اللورد فلورنت هو يدَ الملك في (دراجونستون) الآن».

ارتفعَ الجبل أكثر متوَّجًا بالدُّخان الشَّاحب، وردَّد الشِّراع أنشودته على دقَّات الطَّبل وتحرَّكت المجاذيف بنعومة، ولم يمضِ وقت طويل حتى انفتحَ ثغر الميناء أمامهم. خاوٍ تمامًا. تذكَّر داڤوس كيف كان سابقًا، عندما ازدحمَت السُّفن على الأرصفة كلها وتمايلَت في مراسيها عند حاجز الأمواج. رأى (ڤاليريان) سفينة سالادور سان راسيةً على الرَّصيف الذي كانت تحتلُّه (الثَّورة) وأخواتها من قبل، وعلى جانبيها سُفن لايسينيَّة أخرى ذات أبدان مخطَّطة، وعبثًا بحثَ عن أيِّ علامةٍ على وجود (الليدي ماريا) أو (الطَّيف).

أنزَلوا الشِّراع وهُم يَدخُلون الميناء ليرسوا بواسطة المجاذيف فقط، وبينما يربطون الحبال بالرَّصيف جاءَه الرُّبَّان قائلًا: «سيرغب أميري في رؤيتك في الحال».

استولَت نوبة من السُّعال على داڤوس حين حاولَ الإجابة، فتمسَّك بالحاجز وبصقَ من فوقه، ثم قال بصوتٍ مبحوح: «الملك، يجب أن أذهب إلى الملك». فأينما كان الملك سأجدُ مليساندرا.

رَدَّ كوران ساثمانتس بحزم: «لا أحد يذهب إلى الملك. سالادور سان سيُخبرك. هو أولًا».

كان داڤوس أضعف من أن يتحدَّاه، ولم يستطع إلَّا الإيماء برأسه.

لم يكن سالادور سان على متن (ڤاليريان)، ووجداه على رصيفٍ آخَر يَبعُد رُبع ميل، في مخزن كوج پنتوشي كبير البطن اسمه (الحصاد الوفير)،

يَجرُد الحمولة مع خصيَّين، يحمل أحدهما مصباحًا والثَّاني لوحًا من الشَّمع ومنقاشًا. «37، 38، 39»، كان الشَّقي العجوز يعدُّ عندما نزلَ داڤوس والرُّبَّان من الكُوَّة، وقد ارتدى سُترةً قصيرةً ضيِّقةً بلون الخمر، وحذاءً عالي الكعبين من الجِلد الأبيض المزخرَف بأشكالٍ ملولَبة من الفضَّة. خلعَ سدادة جرَّة وتشمَّم محتوياتها وعطسَ، قبل أن يقول: «طحن خشن، ومن الدَّرجة الثَّانية حسبما قرَّر أنفي. فاتورة الرَّسو تقول إن الجِرار عددها ثلاث وأربعون، فأين ذهبَت البقيَّة يا تُرى؟ هل يحسب هؤلاء الپنتوشيُّون أني لن أعدَّها؟»، وتوقَّف فجأةً لمَّا رأى داڤوس، وقال: «هل يلسع الفلفل عينَيْ أم أنها الدُّموع؟ أهذا فارس البصلات الذي يقف أمامي؟ لا، كيف يُمكن هذا؟ الكلُّ يقول إن صديقي العزيز داڤوس ماتَ في النَّهر المشتعل، فلِمَ عادَ ليُلاحِقني؟».

- «لستُ شبحًا يا سالا».

قال سالادور سان: «وماذا تكون غير هذا؟ فارسي البصلي لم يكن نحيلًا شاحبًا مِثلك قطُّ»، ثم إنه شَقَّ طريقه بين جِرار التَّوابل ولفائف الأقمشة التي تملأ مخزن السَّفينة التِّجاريَّة، واحتوى داڤوس بين ذراعيه بقوَّةٍ شديدة، وطبعَ قُبلةً على كلٍّ من خدَّيه وثالثةً على جبهته، قبل أن يُتابع: «ما زلتَ دافئًا أيها الفارس، وأشعرُ بقلبك يُدَقدِق في صدرك. أحُلم هذا أم حقيقة؟ البحر الذي ابتلعَك بصقَك ثانيةً».

تذكَّر داڤوس ذا الوجه المرقَّع، مهرِّج الأميرة شيرين الأبله. هو أيضًا غاصَ في البحر، ولمَّا خرجَ منه كان قد فقدَ صوابه تمامًا. هل طارَ صوابي بدوري؟ سعلَ في يده المقفَّزة، وقال: «سبحتُ تحت السِّلسلة، وجرفَني التَّيَّار إلى أحد رماح ملك شعب البحار. كنتُ لأموت هناك لولا أن (رقصة شايالا) انتشلَتني».

وضعَ سالادور سان ذراعه حول كتفَيْ الرُّبَّان قائلًا: «أحسنت صُنعًا يا كُوران. أعتقدُ أنك تستحقُّ مكافأةً سخيَّةً. مايزو مار، كُن خصيًّا مطيعًا واصحب صديقي داڤوس إلى قمرة مالك السَّفينة، وأحضِر له نبيذًا ساخنًا بالقرنفل، فصوت هذا السُّعال لا يروقني. اعصُر عليه القليل من اللَّيمون الأخضر أيضًا، واجلب جُبنةً بيضاء ووعاءً من الزَّيتون الأخضر المشقوق الذي أحصيناه قبل قليل. سأنضمُّ إليك قريبًا يا داڤوس، بمجرَّد أن أفرغ من

الكلام مع رُبَّاننا الطيِّب. أعرفُ أنك ستُسامِحني، لكن لا تأكل الزَّيتون كلَّه وإلَّا غضبتُ عليك!».

تركَ داڤوس أكبر الخصيَّيْن سِنًّا يصحبه إلى قمرةٍ مترفة التَّأثيث في مؤخِّرة السَّفينة؛ البُسط سميكة تغوص فيها الأقدام، وزُجاج النَّوافذ ملوَّن، وأيٌّ من المقاعد الجلديَّة الضَّخمة يكفي لأن يجلس عليه ثلاثة من داڤوس براحةٍ تامَّة. وصلَت الجُبنة والزَّيتون بَعد قليل، بالإضافة إلى كوبٍ من النَّبيذ الأحمر السَّاخن أمسكَه بين يديه ورشفَ منه بامتنان، فبدأ يَشعُر بتحسُّنٍ طفيف إذ انتشرَ الدِّفء في صدره.

لم يغب سالادور سان طويلًا، وقال عندما دخلَ القمرة: «أرجو أن تُسامِحني على هذا النَّبيذ يا صديقي. هؤلاء الپنتوشيُّون يُمكنهم أن يشربوا بولهم نفسه لو كان لونه أرجوانيًّا».

قال داڤوس: «سيُساعِد صدري. كانت أمِّي تقول إن النَّبيذ السَّاخن أفضل من الكمَّادات».

- «أظنُّ أنك في حاجةٍ إلى الكمَّادات أيضًا. جلوسك على الرُّمح طيلة هذا الوقت، يا للسَّماء! ما رأيك في هذا المقعد الوثير؟ إن فلقتَيْ مؤخِّرته ضخمتان حقًّا، أليس كذلك؟».

سألَه داڤوس بين رشفتين: «مَن؟».

- «إليريو موپاتيس. إنه حوت ذو شوارب حقًّا. هذه المقاعد مفصَّلة على مقاسه، مع أنه نادرًا ما يُبارح (پنتوس) ليجلس عليها. أعتقدُ أن الرَّجل البدين يجلس براحةٍ دائمًا، لأنه يأخذ معه وسادته أينما ذهبَ».

تساءلَ داڤوس: «وكيف تحصَّلت على سفينةٍ پنتوشيَّة؟ هل عُدت إلى القرصنة يا سيِّدي؟»، ووضعَ كوبه الخالي جانبًا.

- «لا تفتري عليَّ. مَن عانى مِن القراصنة أكثر من سالادور سان؟ إنني لا أطلبُ أكثر مما هو مستحقٌّ لي. أوه، صحيح أن لي دَين كبير من الذَّهب، لكني لا أفتقرُ إلى التَّعقُّل، وهكذا بدلًا من النُّقود أخذتُ وثيقةً أنيقةً في غاية الرِّقَّة، تحمل اسم وختم اللورد آلستر فلورنت يد الملك. لقد سُمِّيتُ سيِّدًا لـ(الخليج الأسود)، وليس مسموحًا لأيِّ مركب بعبور المياه الواقعة تحت سيادتي دون إذنٍ من سيادتي، نعم، لذا عندما يُحاوِل هؤلاء الخارجون عن القانون العبور

خلسةً في ظلام اللَّيل ليتفادوا رسومي وجماركي القانونيَّة، فهُم ليسوا أفضل من المهرِّبين، ومن حَقِّي تمامًا أن أصادر مراكبهم»، وضحكَ القُرصان العجوز مردفًا: «لكني لا أقطعُ أصابع أحد، فما فائدة الأصابع المبتورة؟ إنني لا آخذُ إلَّا السُّفن أو الحمولات أو فديةً صغيرةً، لا شيء مغالى فيه»، ثم رمقَ داڤوس بنظرةٍ حادَّة، وقال: «إنك لست بخير يا صديقي. هذا السُّعال... كما أنك نحلت للغاية لدرجة أني أرى عظامك تحت جِلدك، لكني لا أرى كيس عظم الأصابع الصَّغير إياه...».

جعلَت العادة القديمة داڤوس يمدُّ يده إلى الجراب الجِلدي الذي لم يَعُد هناك وهو يقول: «فقدته في النَّهر». حَظِّي.

قال سالادور سان بكآبة: «النَّهر كان رهيبًا. حتى من موقعي في الخليج رأيتُ وارتجفتُ».

سعلَ داڤوس وبصقَ وسعلَ مجدَّدًا، قبل أن يقول أخيرًا بصوتٍ مبحوح: «رأيتُ (بِثا السَّوداء) تحترق، و(الثَّورة) أيضًا. ألم تنجح أيٌّ من سُفننا في الهرب من النَّار؟». كان جزء منه لا يزال متمسِّكًا بالأمل.

- «(اللورد ستفون) و(چنا الشَّعثاء) و(السَّيف السَّريع) و(اللورد الضَّاحك) وقلائل غيرها كانت بعيدةً عن بول الپايرومانسرات، نعم. إنها لم تحترق، لكنها لم تستطِع الهرب أيضًا في وجود السِّلسلة المرفوعة. البعض استسلمَ، لكن غالبيَّة السُّفن واصلَت الإبحار في (النَّهر الأسود) بعيدًا عن القتال، ثم أغرقَها أطقُمها كي لا تقع في أيدي رجال لانستر. ما زالت (چنا الشَّعثاء) و(اللورد الضَّاحك) تُمارِسان القرصنة في النَّهر حسبما سمعتُ، لكن من يُمكنه الجزم بصحَّة هذا؟».

- «و(الليدي ماريا)؟ و(الطَّيف)؟».

وضع سالادور سان يده على ساعِد داڤوس واعتصرَه مجيبًا: «لا، هاتان لم تعودا، لا. آسفٌ يا صديقي. ابناك دايل وآلارد كانا رجلَيْن صالحيْن، لكن يُمكنني أن أُخبرك بما يُعطيك شيئًا من العزاء. ابنك الصَّغير دڤان كان بين مَن انسحبوا في النِّهاية. الصَّبي الشُّجاع لم يُفارِق الملك لحظةً، أو أن هذا ما يُقال».

كان داڤوس يخشى السُّؤال عن دڤان، فاكتنفَه الدُّوار لحظةً وسرى في

كيانه ارتياح محسوس للغاية، وقال: «(الأُم) رحيمة. يجب أن أذهب إليه يا سالا، يجب أن أراه».

قال سالادور سان: «نعم، وأعلمُ أنك ستُريد الإبحار إلى (رأس الغضب) أيضًا، لترى زوجتك وابنيك الصَّغيريْن. أعتقدُ أنك في حاجةٍ إلى سفينةٍ جديدة».

– «جلالته سيُعطيني سفينةً».

هَزَّ اللايسيني رأسه نفيًا، وقال: «من السُّفن لا يملك جلالته شيئًا، لكن سالادور سان يملك الكثير. سُفن الملك احترقَت في النَّهر، أمَّا سُفني فلا. ستَحصُل على سفينةٍ يا صديقي القديم وتُعاوِد الإبحار لحسابي، أليس كذلك؟ وستَدخُل (براڤوس) و(مير) و(ڤولانتيس) مستترًا تحت جُنح الظَّلام وتَخرُج ثانيةً ومعك الحرير والتَّوابل. ستمتلئ أكياس نقودنا عن آخِرها، نعم».

– «هذا لُطف منك يا سالا، لكن واجبي لمليكي وليس لأكياس نقودك. سوف تستمرُّ الحرب، وستانيس لا يزال الوريث الشَّرعي بموجب قوانين (الممالك السَّبع) كلِّها».

– «كلُّ القوانين لا نفع منها عندما تحترق السُّفن كلُّها في رأيي، أمَّا ملكك فأخشى أنك ستجده مختلفًا عمَّا عرفته. منذ المعركة وهو لا يرى أحدًا، وإنما يجلس واجمًا في طبلته الحجريَّة، والملكة سيليس تعقد البلاط نيابةً عنه مع عمِّها اللورد آلستر الذي نصَّب نفسه يد الملك. لقد أعطَت ختم الملك لهذا العم ليضعه على الرَّسائل التي يكتبها، حتى على وثيقتي الجميلة، لكن المملكة التي يَحكُمانها صغيرة فقيرة وعرة، نعم. ليس هناك ذهب، ولو قدر قليل يُسَدِّدان به لسالادور سان المخلص جزءًا من حَقِّه، ولا يوجد فُرسان إلَّا من أخذناهم في النِّهاية، ولا سُفن إلَّا سُفني الشُّجاعة القليلة».

هاجمَ سُعال مزلزل داڤوس فجأةً وجعلَه ينثني على نفسه، فتحرَّك سالادور سان ليُساعِده، لكنه أشارَ له بالبقاء في مكانه، وبَعد قليلٍ توقَّف السُّعال وسألَ بصوتٍ أجش: «لا أحد؟ ماذا تعني بأنه لا يرى أحدًا؟». كان لصوته وقع ثقيل رطب في أُذنيه، ومرَّةً أخرى عادَ رأسه يدور وتموَّجت القمرة من حوله.

– «لا أحد غيرها»، أجابَ سالادور سان، ولم يكن على داڤوس أن يسأل من يقصد. «إنك تُتعِب نفسك يا صاح، كما أنك في حاجةٍ إلى فِراش وليس

إلى سالادور سان، فِراش والكثير من الأغطية، وكمَّادة ساخنة تضعها على صدرك، والمزيد من النَّبيذ بالقرنفل».

هَزَّ داڤوس رأسه رفضًا، وقال: «سأكونُ بخير. أخبِرني يا سالا. يجب أن أعرف. لا أحد غير مليساندرا؟»

رمقَه اللايسيني بنظرة شَكٍّ طويلة، قبل أن يُتابِع على مضض: «الحَرس يمنعون أيَّ أحدٍ آخَر من الدُّخول عليه، حتى ملكته وابنته الصَّغيرة، والخدم يجلبون إليه وجباتٍ لا يأكلها»، ومالَ إلى الأمام وخفضَ نبرته مواصلًا: «سمعتُ كلامًا غريبًا عن النِّيران الجائعة في باطن الجبل، وكيف ينزل ستانيس والمرأة الحمراء عندها لمراقَبة اللَّهب. يقولون إن هناك آبارًا وسلالم سرِّيَّةً تُفضي إلى قلب الجبل، إلى أماكن ساخنة لا يقدر إلَّاها على الاقتراب منها دون أن يحترق. حكايات كهذه أكثر من كافيةٍ لأن تُرعِب رجلًا عجوزًا مِثلي، لدرجة أني لا أقوى أحيانًا على تناوُل طعامي».

مليساندرا. قال داڤوس مرتجفًا: «المرأة الحمراء فعلَت هذا به، أرسلَت النَّار لتلتهمنا، لتُعاقِب ستانيس على تنحيته إياها جانبًا، لتُعَلِّمه أن لا أمل له في النَّصر دون شعوذتها».

التقطَ اللايسيني زيتونةً كبيرةً من الوعاء الموضوع بينهما وهو يقول: «لستَ أول من يقول هذا يا صديقي، لكن لو كنتُ مكانك لما قلته بصوتٍ مسموع. (دراجونستون) تعجُّ برجال الملكة، أوه، نعم، وهؤلاء آذانهم حادَّة وسكاكينهم أكثر حدَّة»، ثم ألقى الزَّيتونة في فمه.

قال داڤوس: «أنا أيضًا معي سكِّين، الرُّبَّان كُوران أهداني إياه»، وسحبَ الخنجر ووضعَه على المائدة بينهما مكملًا: «سكِّين أقطع به قلب مليساندرا من صدرها، إذا كان لها قلب».

بصقَ سالادور سان نواة الزَّيتونة، وقال: «داڤوس، عزيزي داڤوس، يجب ألَّا تقول كلامًا كهذا، حتى ولو على سبيل الدُّعابة».

- «ليست دُعابةً. إنني أنوي أن أقتلها». إذا كانت قابلةً للقتل بأسلحة الفانين. إنه ليس واثقًا بأن هذا ممكن، فقد رأى المِايستر كرسن يدسُّ السُّمَّ في نبيذها، بعينيه رآه، لكن حين شربَ كلاهما من الكأس المسمومة كان

المايستر هو من لقيَ حتفه لا الرَّاهبة الحمراء. أمَّا طعنة في القلب... حتى الشَّياطين يُمكن أن يقتُلها الحديد البارد كما يقول المغنُّون.

قال سالادور سان محذِّرًا: «خطير كلامك هذا يا صديقي. أظنُّ أنك ما زلت مريضًا من البحر. الحُمَّى طبخَت عقلك، نعم. الأفضل أن تستريح في سريرك طويلًا حتى تُصبِح أقوى».

تقصد حتى تَضعُف عزيمتي. نهضَ داڤوس شاعرًا بأنه محموم حقًّا وقد دارَ رأسه بعض الشَّيء، غير أنه لم يكترث، وقال: «أنت عجوز شقيٌّ خدَّاع يا سالادور سان، لكنك تظلُّ صديقًا وفيًّا».

ملَّس اللايسيني على لحيته الفضِّيَّة المدبَّبة قائلًا: «إذن ستبقى مع هذا الصَّديق الرَّائع، أليس كذلك؟».

سعلَ وأجابَ: «بل سأذهب».

- «تذهب؟ انظُر إلى نفسك! إنك تُعاني من السُّعال والرَّعدة، فضلًا عن نحولك وضَعفك. إلى أين ستذهب؟».

- «إلى القلعة. فِراشي هناك، وابني أيضًا».

قال سالادور سان بريبة: «والمرأة الحمراء، هي أيضًا في القلعة».

دَسَّ داڤوس الخنجر في غِمده مجيبًا: «هي أيضًا».

- «أنت مهرِّب بصل. ماذا تعرف عن التَّسلُّل والطَّعن؟ كما أنك مريض ولا تستطيع أن تُمسِك الخنجر حتى. أتدري ماذا سيَحدُث لك إذا قبضوا عليك؟ بينما كنا نحترق في النَّهر، كانت الملكة تُحرق الخونة هنا. قالت إنهم خدم الظَّلام، هؤلاء المساكين، والمرأة الحمراء غنَّت والنَّار تشتعل».

لم يندهش داڤوس، وفكَّر: كنتُ أعلمُ، كنتُ أعلمُ قبل أن يُخبِرني، ثم إنه قال مخمِّنًا: «أخذَت اللورد صنجلاس من الزَّنازين، وأبناء هوبارد رامبتون».

- «بالضَّبط، وأحرقَتهم كما ستُحرقك. إذا قتلت المرأة الحمراء سيُحرقونك انتقامًا لها، وإذا فشلت في قتلها سيُحرقونك لأنك حاولت. ستُغنِّي هي وتَصرُخ أنت، ثم ستموت، وأنت عُدت إلى الحياة لتوِّك!».

قال داڤوس: «وهذا هو السَّبب، أن أفعل ذلك، أن أضع نهايةً لمليساندرا الآشاييَّة وكلِّ أفعالها. لماذا بصقَني البحر إن لم يكن لهذا؟ أنت تعرف (الخليج الأسود) مِثلي تمامًا يا سالا، ولا رُبَّان يتمتَّع بأيِّ وعيٍ يقود سفينته

بين رماح ملك شعب البحار ويُجازِف بتمزيق قاعها. لم يكن من المفترَض أن تدنو (رقصة شايالا) مني قطّ».

مصرًّا قال سالادور سان بصوتٍ مرتفع: «كانت ريحًا، ريحًا قويّةً لا أكثر، دفعَتها جنوبًا أبعد من اللّازم».

- «ومَن أرسلَ الرِّيح؟ سالا، لقد خاطبَتني أمُّنا بنفسها».

رمقَه اللايسيني العجوز بلا فهم قائلًا: «أمُّك ماتَت...».

- «(الأُم)، التي وهبَت لي سبعة أبناء ومع ذلك تركتهم يُضرِمون النَّار فيها. لقد كلَّمتني، قالت إننا اجتلَبنا النَّار. ونحن أيضًا من اجتلبَ الظِّلال. لقد جذَّفتُ بمليساندرا إلى أعماق (ستورمز إند) وشهدتها تلد هولًا». ما زال يراه في كوابيسه، يرى اليدين السَّوداوين النَّاحلتين تدفعان فخذيها بينما يتملَّص الظِّلُّ من رَحِمها المتنفخة. «مليساندرا قتلَت كرسن واللورد رنلي ورجلًا شُجاعًا اسمه كورتناي پنروز، وقتلَت أبنائي أيضًا، وحان الوقت لأن يَقتُلها أحد».

قال سالادور سان: «أحد، نعم، مفهوم، أحد، ولكن ليس أنت. أنت ضعيف كطفل ولست مُحاربًا. أتوسَّلُ إليك أن تبقى. سنتكلَّم أكثر وتأكل، ولربما نُبحِر إلى (براڤوس) ونستأجر رجلًا بلا وجهٍ يَقتُلها، اتَّفقنا؟ لكن أنت لا، عليك أن تبقى وتأكل».

فكَّر داڤوس مرهَقًا: إنه يُصَعِّب الأمر كثيرًا، وهو صعب بشكلٍ مهلك أصلًا. «الانتقام كامن في أحشائي يا سالا، ولا يدع مجالًا للطَّعام. دعني أذهب الآن. من أجل صداقتنا، تمنَّ لي الحظ ودعني أذهب».

قامَ سالادور سان قائلًا: «أخشى أنك لست صديقًا حقًّا. مَن سيعود برمادك وعظامك إلى السيِّدة زوجتك عندما تموت، ويقول لها إنها فقدَت زوجها وأربعةً من أبنائها؟ ليس هناك إلّا سالادور سان العجوز الحزين. لكن ليكن أيها السير الفارس الشُّجاع، اهرع إلى قبرك. سأجمع عظامك في جوالٍ وأعطيها للأبناء الذين ستترُكهم، ليضعوها في أكياس صغيرة حول أعناقهم»، ولوَّح غاضبًا بيده التي تُزيِّن الخواتم أصابعها كلَّها مضيفًا: «اذهب، اذهب، اذهب، اذهب، اذهب!».

لم يرغب داڤوس في أن يُغادِر هكذا، فقال: «سالا...».

- «اذهب! أو ابقَ، هذا أفضل، لكن إن كنت ستذهب فاذهب».
وذهبَ داڤوس.
كانت مِشيته من (الحصاد الوفير) إلى بوَّابة (دراجونستون) طويلةً وحيدةً. الشَّوارع المجاورة لرصيف الميناء، التي احتشدَت من قبل بالجنود والبحَّارة والعامَّة، صارَت مهجورةً خاوية، والآن تجري الجرذان هنا وهناك حيث اعتادَ أن يخطو حول الخنازير الصَّارخة والأطفال العُراة. أحسَّ بساقيه من تحته كالعجين، وثلاث مرَّاتٍ أضناه السُّعال العنيف لدرجة أنه اضطرَّ لأن يتوقَّف ويرتاح، لكن أحدًا لم يجئ لمساعَدته أو يختلس مجرَّد نظرةٍ من نافذةٍ ما ليرى ما الأمر. مصاريع النَّوافذ كلها مغلقة، والأبواب موصدة، وعلى أكثر من نِصف البيوت لاحَت علامات الحِداد. آلاف أبحَروا في (النَّهر الأسود)، ومئات عادوا. أولادي لم يموتوا وحدهم، وعسى (الأم) أن ترحمهم جمعاء.
وجدَ بوَّابة القلعة مغلقةً بدورها حين بلغَها، فدَقَّ على الخشب المطعَّم بالحديد بقبضته، فلمَّا لم يجد استجابةً راحَ يَركُلها مرَّةً تلو المرَّة، وأخيرًا ظهرَ رأس جندي يحمل نُشَّابيَّةً على قمَّة الحصن الأمامي، ونظرَ إلى أسفل من بين كَرْجَلَيْن شاهقيْن قائلًا: «مَن هناك؟».
رفعَ رأسه وكوَّر يديه حول فمه صائحًا: «السير داڤوس سيوورث، هنا لأرى جلالته».
- «هلٍ أنت سكران؟ كُفَّ عن الدَّقِّ وارحل من هنا».
لقد حذَّره سالادور سان، وهكذا جرَّب داڤوس مسلكًا آخَر، وقال: «أرسِل في طلب ابني دڤان إذن، مُرافِق الملك».
قطَّب الحارس جبينه قائلًا: «قلت ما اسمك؟».
صاحَ: «داڤوس، فارس البصل».
اختفى الرَّأس، ثم عادَ بَعد لحظاتٍ ليقول: «ارحل. فارس البصل ماتَ في النَّهر، سفينته احترقَت».
- «سفينته احترقَت، لكنه عاشَ، وها هو ذا واقف أمامك. أما زالَ چايت قائد حَرس البوَّابة؟».
- «مَن؟».
- «چايت بلاكبري. إنه يعرفني جيِّدًا».

- «لم أسمع به من قبل. غالبًا ماتَ».
- «اللورد تشيترينج إذن».
- «هذا أعرفه. لقد احترقَ في (النَّهر الأسود)».
- «ويل وجه الخُطَّاف؟ هال الخنزير؟».

أجابَ حامل النُّشَّابيَّة، وإن أفصحَت ملامحه عن شَكٍّ مفاجئ: «ماتَ وماتَ. انتظر هنا»، واختفى من جديد.

وانتظرَ داڤوس، وكالمخدَّر قال لنفسه: رحلوا، كلُّهم رحلوا. استرجعَ ذهنه هال البدين وبطنه الأبيض الذي كان يلوح دومًا من تحت سُترته المتَّسخة بالدُّهون، والنَّدبة الطَّويلة التي تركَها خُطَّاف السَّمك على وجه ويل، والطَّريقة التي كان چايت يرفع بها قُبَّعته دائمًا ليُحَيِّي الإناث، سواء أكُنَّ في الخامسة من العُمر أم الخمسين، من علية القوم أم العوام. غرقوا أو احترقوا مع أبنائي وألف غيرهم، رحلوا ليُنَصِّبوا ملكًا في الجحيم.

عادَ الحارس فجأةً، وقال: «دُر إلى الباب الجانبي وسيُدخِلوك».

فعلَ داڤوس كما قيلَ له. كان الحَرس الذين أدخَلوه غرباء عنه، يحملون الحِراب، وعلى صدورهم الثَّعلب والزُّهور رمز عائلة فلورنت. لم يصحبوه إلى بُرج (الطَّبلة الحجريَّة) كما توقَّع، وإنما مَرُّوا به تحت القنطرة المسمَّاة (ذيل التِّنِّين) ودخلوا (حديقة إجون)، حيث قال قائدهم: «انتظر هنا».

سألَه داڤوس: «هل عرفَ جلالته أنني عدتُ؟».

قال الرَّجل: «فلتحلَّ بي اللَّعنة إن كنتُ أعلمُ. قلتُ انتظر»، وأخذَ حاملي الحِراب وانسحبَ.

تفوح في (حديقة إجون) رائحة صنوبريَّة سارَّة، وترتفع فيها الأشجار الدَّاكنة الطَّويلة في كلِّ جانِب، بالإضافة إلى الورد البرِّي وأسيجة الشُّجيرات العالية، وبُقعة موحلة ينمو فيها التُّوت الأحمر.

لماذا أتوا بي هنا؟

ثم إنه سمعَ رنين أجراسٍ خافتًا وضحكةً طفوليَّةً، وفجأةً وثبَ المهرِّج ذو الوجه المرقَّع من بين الشُّجيرات، يَجُرُّ ساقيه بأسرع ما يُمكنه، وفي أعقابه تعدو الأميرة شيرين هاتفةً: «عُد إلى هنا! عُد إلى هنا يا رُقَع!».

توقَّف المهرِّج على حين غرَّةٍ عندما رأى داڤوس، وراحَت الأجراس في

خوذته الصَّفيح ذات القرون تُجَلجِل، تينجا-لينج، تينجا-لينج، وأخذَ يتواثَب من ساقٍ إلى أخرى مغنِّيًا: «دمُ مهرِّج، ودمُ ملك، ودمٌ على فخذ البتول، لكن للضُّيوف السَّلاسل، للعريس السَّلاسل، أجل، أجل، أجل». كادَت شيرين تلحق به عندئذٍ، لكنه قفزَ في اللَّحظة الأخيرة فوق رُقعةٍ من السَّرخس واختفى وسط الأشجار، فانطلقَت الأميرة وراءه من فورها، وجعلَ منظرهما داڤوس يبتسم.

كان قد التفتَ ليَسعُل في يده المقفَّزة، عندما اندفعَ جسد صغير آخَر من بين الشُّجيرات وارتطمَ به مباشرةً ليُسقِطه أرضًا.

سقطَ الصَّبي أيضًا، لكنه عادَ يقوم في اللَّحظة نفسها تقريبًا، وقال بنبرةٍ آمرة وهو ينفض ملابسه: «ماذا تفعل هنا؟». كان الشَّعر الأسود الفاحم ينسدل حتى ياقته، وتألَّقت عيناه بزُرقةٍ مدهشة. «لا يَجدُر بك أن تعترض طريقي وأنا أجري».

قال داڤوس: «نعم، لا يَجدُر بي هذا»، ثم إن نوبةً أخرى من السُّعال استولَت عليه وهو يُكافح للنُّهوض.

أخذَه الصَّبي من ذراعه وسحبَه حتى وقفَ، وقال: «أأنت مريض؟ هل أستدعي المِايستر؟».

هَزَّ داڤوس رأسه نفيًا قائلًا: «إنه مجرَّد سُعال، سوف يَمُرُّ».

قال الصَّبي وقد صدَّقه: «كنا نلعب (وحوش وعذارى)، وكنتُ أنا الوحش. إنها لُعبة طفوليَّة، لكن ابنة عمِّي تُحِبُّها. ما اسمك؟».

- «السير داڤوس سيوورث».

حدَجه الصَّبي بنظرةٍ مرتابة، وقال: «أأنت واثق؟ إنك لا تبدو كالفُرسان».

- «أنا فارس البصل يا سيِّدي».

لمعَت المعرفة في العينين الزَّرقاوين، وسألَ الصَّبي: «صاحِب السَّفينة السَّوداء؟».

- «أتعرف تلك الحكاية؟».

قال الصَّبي: «جلبتَ سَمكًا لعمِّي ستانيس ليأكله قبل أن أولَد، حين كان اللورد تايرل يُحاصِره»، وشَدَّ قامته الطَّويلة مردفًا: «أنا إدريك ستورم، ابن الملك روبرت».

- «أنت هو بالطَّبع». كان داڤوس قد أدركَ هُويَّة الصَّبي في الحال تقريبًا، فمع أن له أُذنَيْ عائلة فلورنت البارزتيْن، إلَّا أن كَلًّا من شَعره وعينيه وفَكه وعظم وجنتيه يحملون طابع عائلة باراثيون بوضوح.

سأله إدريك ستورم: «هل كنت تعرف أبي؟».

- «رأيته مرَّاتٍ عديدة في أثناء زياراتي لعمِّك في البلاط، لكننا لم نتكلَّم قَطُّ».

قال الصَّبي بفخر: «أبي علَّمني القتال، وكان يأتي ليراني كلَّ عام تقريبًا، وأحيانًا كنا نتمرَّن معًا. في يوم ميلادي الأخير أرسلَ لي مطرقةً حربيَّةً مِثل مطرقته تمامًا، لكن أصغر حجمًا، وإن كانوا جعَلوني أتركها في (ستورمز إند). أصحيح أن عمِّي ستانيس قطعَ أصابعك؟».

- «المفصل الأخير فقط. ما زالت لديَّ أصابع، لكن أقصر».

- «أرِني».

خلعَ داڤوس قُفَّازه، فأمعنَ الصَّبي النَّظر إلى يده متسائلًا: «ألم يُقَصِّر إبهامك؟».

سعلَ وأجابَ: «نعم، هذا تركَه لي كاملًا».

أعلنَ الصَّبي: «لم يكن يَجدُر به أن يقطع أيًّا من أصابعك. كان قرارًا سيِّئًا».

- «كنتُ مهرِّبًا».

- «نعم، لكنك هرَّبت له السَّمك والبصل».

قال وهو يرتدي القُفَّاز مجدَّدًا: «اللورد ستانيس نصَّبني فارسًا مقابل البصل، وقطعَ أصابعي مقابل التَّهريب».

- «لم يكن أبي ليقطع أصابعك».

- «كما تقول يا سيِّدي». روبرت كان رجلًا مختلفًا عن ستانيس، هذا صحيح، والصَّبي مِثله، نعم، ومِثل رنلي أيضًا. أصابَه هذا الخاطِر بالتَّوتُّر.

كان الصَّبي على وشك أن يقول شيئًا، حين سمعوا وقع أقدام، فالتفتَ داڤوس ليرى السير آكسل فلورنت يقطع الممرَّ المفضي إلى الحديقة مع دستةٍ من الحُرَّاس الذين يرتدون السُّترات الطَّويلة المبطَّنة وعلى صدورها قلب إله الضِّياء النَّاري. فكَّر داڤوس: رجال الملكة، وتملَّكته نوبة سُعالٍ أخرى.

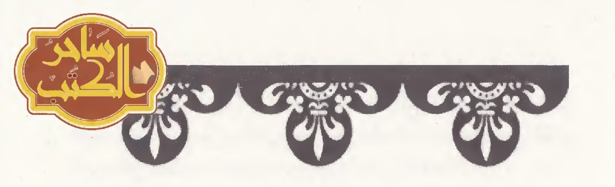
السير آكسل قصير القامة مفتول العضلات، ذراعاه سميكتان وساقاه

مقوَّستان، وينمو الشَّعر من أُذنيه. هو عمُّ الملكة الذي خدمَ أمينًا للقلعة في (دراجونستون) طيلة عقدٍ كامل، وعاملَ داڤوس دائمًا بلُطفٍ شديد، إذ يعلم أنه ممن يتمتَّعون بحظوة اللورد ستانيس، لكن الآن لم يكن هناك لُطف أو دفء في نبرته وهو يقول: «السير داڤوس، وناجٍ من الغرق كذلك. كيف يُمكن هذا؟».

- «البصل يطفو على سطح الماء يا سيِّدي. هل جئت لتأخذني إلى الملك؟».

قال السير آكسل: «جئتُ لآخذك إلى الزَّنازين»، وأشارَ لرجاله متابعًا: «اقبضوا عليه وخُذوا خنجره. إنه ينوي أن يطعن به سيِّدتنا».





چايمي

كان چايمي أول من لمحَ الخان الذي يُعانِق مبناه الرَّئيس الشَّاطئ الجنوبي حيث ينعطِف النَّهر، وتمتدُّ أجنحته الطَّويلة الواطئة بمحاذاة الماء، كأنها ترنو إلى احتضان المسافرين في اتِّجاه المجرى، وقد شُيِّدَ الطَّابق السُّفلي من الحجارة الرَّماديَّة، والعُلوي من الخشب المطلي بالجير الأبيض، والسَّقف من ألواح الأردواز. رأى چايمي اسطبلًا أيضًا، وكرمةً اكتظَّت فيها فروع العنب، وبينما اقتربوا قال: «لا دُخان يَخرُج من المداخن، ولا أضواء في النَّوافذ».

قال السير كليوس فراي: «كان الخان مفتوحًا عندما مررتُ من هذا الطَّريق آخِر مرَّة. يصنعون مِزرًا لا بأس به، ولعلَّ القليل منه لا يزال في الأقبية».

قالت بريان: «قد يكون هناك ناس، مختبئون أو موتى».

سألَها چايمي: «أتخشين بضع جُثثٍ يا هذه؟».

رمقَته بغيظٍ قائلةً: «اسمي...».

- «... بريان، نعم. ألا تَوُدِّين أن تنامي في فِراش ولو ليلةً يا بِريان؟ سنكون آمنين هنا أكثر من النَّهر المفتوح، وربما يكون من المفيد أن نعرف ماذا حدثَ هنا».

لم تُجبه، لكن بَعد برهةٍ دفعَت ذراع الدَّفَّة لتُوَجِّه القارب نحو الرَّصيف الخشبي البالي، فتحرَّكَ السير كليوس ليُنزل الشِّراع، وحين احتكَّ القارب بالرَّصيف بهدوءٍ نزلَ يربطه إليه بالحبل، ونزلَ چايمي وراءه بصعوبةٍ بسبب سلاسله.

عند نهاية الرَّصيف كان لوح خشبي متقشِّر يتأرجح من عمودٍ حديد، وقد رُسِمَ عليه ملك راكع على رُكبتيه ويضمُّ يديه معًا دلالةً على الإذعان. ألقى چايمي نظرةً واحدةً على الصُّورة وأطلقَ ضحكةً عاليةً قائلًا: «لم نكن لنجد خانًا أفضل».

سألَته الفتاة برِيبة: «ألهذا المكان أهميَّة خاصَّة؟».

أجابَها السير كليوس: «إنه (خان الملك الرَّاكع) يا سيِّدتي، مُقام على البُقعة ذاتها التي حنى فيها آخِر الملوك في الشَّمال هامته أمام إجون الفاتح ليُعرِب عن خضوعه. أعتقدُ أنه هو المرسوم على اللَّافتة».

قال چايمي: «جلبَ تورين قوَّاته جنوبًا عقب سقوط الملكيْن في حقل النِّيران، لكنه اختارَ سبيل الحكمة لمَّا رأى تنِّين إجون وحجم جيشه، وركعَ على رُكبتيه الجليديَّتين»، ثم إنه بترَ حكايته حين تردَّد صهيل حصان، وقال: «خيول في الاسطبل، واحد على الأقل». وواحد يكفيني للفِرار من هذه الفتاة. «لنرَ مَن هنا»، ودون أن ينتظر إجابةً قطعَ الرَّصيف وسلاسله تُصلصِل، ودفعَ باب الخان بكتفه...

... ووجدَ نفسه في مواجَهة نُشَّابيَّةٍ محشوَّة، يقف وراءها صبيٌّ ممتلئ في الخامسة عشرة من العُمر يسأل بلهجةٍ آمرة: «أسد أم سمكة أم ذئب؟».

رَدَّ چايمي سامعًا رفيقيه يُقبِلان من ورائه: «كنا نأمل في ديك. النُّشَّابيَّة سلاح الجُبناء».

- «لكن يُمكنها أن تغرس سهمًا في قلبك رغم ذلك».

- «ربما، لكن قبل أن تحشوها ثانيةً سيَسكُب ابن عمَّتي هذا أحشاءك على الأرض».

قال السير كليوس: «لا تُرهِب الصَّبي».

وقالت الفتاة: «إننا لا نَنشُد الأذى، ومعنا مال لشراء الطَّعام والشَّراب»، وأخرجَت قطعةً فضِّيَّةً من جرابها.

بشَكٍّ تطلَّع الصَّبي إلى العُملة، ثم إلى قيود چايمي، وتساءلَ: «لماذا يرتدي الحديد؟».

قال چايمي: «قتلتُ بضع رُماة نُشَّابيَّة. ألديكم مِزر؟».

أجابَه الصَّبي: «نعم»، ثم خاطبَ رفيقيه قائلًا: «حِلَّا حزامَيْ سيفيكما واترُكاهما يَسقُطان، ولربما نُطعِمكم»، ودارَ حولهم ليُلقي نظرةً عبر زُجاج النَّافذة السَّميك ذي الشَّكل الماسي، ليرى إن كان هناك المزيد منهم في الخارج، قبل أن يقول: «هذا الشِّراع عليه رمز تَلي».

قالت بريان: «أتينا من (ريفررَن)»، وحَلَّت إبزيم حزامها وتركَته يَسقُط أرضًا، وحذا السير كليوس حذوها.

خرجَ رجل شاحب ذو وجهٍ سمين ممتلئ بالبثور من باب القبو حاملًا ساطور جزَّارٍ ثقيلًا، وقال: «ثلاثة؟ لدينا لحم خيل يكفي ثلاثةً. كان الحصان عجوزًا ولحمه قاس، لكنه ما زال طازجًا».

سألَته بريان: «أهناك خُبز؟».

- «خُبز يابس وكعك شوفان بائت».

قال چايمي بابتسامةٍ واسعة: «صاحِب خان أمين! كلُّهم يُقدِّم الخُبز البائت واللَّحم القاسي، لكن أغلبهم لا يُقِرُّ بهذا من تلقاء نفسه».

- «لستُ صاحِب الخان. لقد دفنته وراء المبنى، هو وامرأته».

- «هل قتلتهما؟».

رَدَّ الرَّجل بحدَّة: «وهل سأُخبركم لو أني فعلتُ؟ كان هذا من صُنع الذِّئاب غالبًا، أو الأسود، لكن ما الفَرق؟ أنا وزوجتي وجدناهما ميتيْن، وفي رأينا المكان ينتمي إلينا الآن».

سألَه السير كليوس: «أين زوجتك تلك؟».

ضيَّق الرَّجل عينيه ورمقَه بشَكٍّ قائلًا: «ولماذا تُريد أن تعرف؟ إنها ليست هنا... وأنتم كذلك لن تكونوا هنا ما لم يَرُقني مذاق فضَّتكم».

ألقَت له بريان العُملة، فالتقطَها في الهواء وعَضَّها، ثم دَسَّها في جيبه.

أعلنَ الصَّبي ذو النُّشَّابيَّة: «معها المزيد».

- «بالتَّأكيد. انزل إلى القبو واعثُر لي على بعض البصل يا ولد».

رفعَ الصَّبي النُّشَّابيَّة على كتفه، ورمقَهم بنظرةٍ عابسةٍ أخيرة، ثم اختفى في القبو.

سألَ السير كليوس: «أهو ابنك؟».

- «مجرَّد صبيٍّ أخذناه أنا والزَّوجة ليُقيم معنا. كان لدينا ابنان، لكن الأسود قتلوا واحدًا والثَّاني ماتَ بالسَّيلان، والصَّبي فقدَ أمَّه على يد الممثِّلين السَّفَّاحين. في هذه الأيام يحتاج المرء إلى من يَحرُسه وهو نائم»، ولوَّح بالسَّاطور نحو الموائد مردفًا: «فلتجلسوا».

كان المستوقَد باردًا، لكن چايمي انتقى الكرسي الأقرب إلى الرَّماد ومَدَّ

ساقيه الطَّويلتين تحت المائدة، يُصاحِب صليلِ السَّلاسل كلَّ خلجةٍ من خلجاته. صوت مزعج. قبل نهاية هذا الأمر سألفُّ هذه السَّلاسل حول عُنقها وأرى كم تروقها ساعتها.

شوى الرَّجل الذي ليس صاحِب الخان ثلاث شرائح ضخمةً من لحم الحصان على الفحم، وحمَّر البصل في دُهن اللَّحم المقدَّد، وهو ما عوَّض عن كعكات الشُّوفان البائتة إلى حَدٍّ كبير، وشربَ چايمي وكليوس المِزر، وبريان كوبًا من عصير التُّفَّاح. حافظَ الصَّبي على مسافةٍ بينه وبينهم، وجثَمَ فوق برميل العصير وعلى رُكبتيه النُّشَّابيَّة محشوَّة ومصليَّة، بينما أخذَ الطَّاهي دورقًا من المِزر وجلسَ معهم موجِّهًا سؤاله إلى السير كليوس وقد حسبَه قائدهم: «ما الأخبار في (ريڤرِرَن)؟».

رمقَ السير كليوس بريان قبل أن يُجيب: «اللورد هوستر يُحتضَر، لكن ابنه يُدافِع عن مخاضات (الفَرع الأحمر) ضد جنود لانستر، ودارَت عدَّة معارك».

- «المعارك في كلِّ مكان. إلى أين أنتم متَّجهون أيها الفارس؟».

مسحَ السير كليوس الدُّهن عن شفتيه مجيبًا: «(كينجز لاندنج)».

أطلقَ مضيفهم نخيرًا ساخرًا، وقال: «إنكم حمقى إذن. آخِر ما سمعته أن الملك ستانيس خارج أسوار المدينة بالفعل. يقولون إن معه مئة ألف رجل وسيف مسحور».

لَفَّ چايمي يديه حول السِّلسلة التي تُقيِّد معصميه، وشَدَّها عن آخِرها وهو يتمنَّى لو أنه بالقوَّة الكافية لكسرها إلى نِصفين. كنتُ لأُري ستانيس أين يُغمِد سيفه المسحور.

واصلَ الرَّجل: «لو كنتُ مكانكم لنأيتُ بنفسي عن (طريق الملوك) قَدر الإمكان. الأوضاع عليه سيِّئة للغاية حسبما سمعتُ، الذِّئاب والأسود يجوبونه، وعصابات الرِّجال المكسورين[1] تفترس كلَّ من يَسقُط في براثنها».

---

(1) الرِّجال المكسورون هُم المجنَّدون إلزاميًّا الذين يتهرَّبون من الخدمة ولا يعودون إلى ديارهم، وإنما يُكوِّنون عصاباتٍ من الخارجين عن القانون، وفي عالم الواقع ظهرَ المصطلح قديمًا في أيرلندا وسكوتلندا وصفًا لمن يتخلُّون عن ولائهم لقبائلهم. (المترجم).

أعلن السير كليوس فراي باحتقار: «هؤلاء حشرات لا تَجسُر على اعتراض طريق المسلَّحين».

- «معذرةً يا سيِّدي، لكني أرى رجلًا مسلَّحًا واحدًا يُسافِر مع امرأةٍ ورجلٍ مكبَّل».

رمقَت بريان الطَّاهي بنظرةٍ مكفهرَّة، ففكَّر چايمي وهو يشدُّ السِّلسلة مجدَّدًا: الفتاة تكره حقًّا أن يُذكِّرها أحد بأنها فتاة. كان يحسُّ ببرودة وصلابة الحلقات على لحمه، بقسوة الحديد الذي لا يلين، وبالألم في معصميه اللذين حَكَّتهما الأغلال حتى سحجَتهما.

قالت الفتاة لمضيفهم: «أنوي أن أتبع (الثَّالوث) إلى البحر. سنجد خيلًا في (بِركة العذارى) ونَسلُك طريق (وادي الغسق) و(روزبي). سيُبقينا هذا بعيدًا عن المناطق التي يسوء فيها القتال».

قال الرَّجل وهو يهزُّ رأسه نفيًا: «لن تَبلُغوا (بركة العذارى) عن طريق النَّهر أبدًا. هناك قاربان احترقا وغرقا على بُعد أقلَ من ثلاثين ميلًا من هنا، والمجرى ممتلئ بالغرين حولهما، وثمَّة جُحر للخارجين عن القانون الذين يتصيَّدون كلَّ من يَمُرُّ بهم، والمزيد منهم في اتِّجاه التَّيَّار حول (الأحجار المنثورة) و(جزيرة الأيائل الحمراء)، كما شوهدَ سيِّد البرق في تلك الأنحاء أيضًا. إنه يَعبُر النَّهر أينما شاءَ، يذهب في هذا الطَّريق وذاك ولا يستقرُّ أبدًا».

سألَه السير كليوس: «ومَن سيِّد البرق هذا؟».

- «اللورد بريك، بَعد إذنك أيها الفارس. يُطلِقون عليه هذا اللَّقب لأنه يضرب بسُرعةٍ خاطفة كالبرق من سماءٍ صافية. يُقال إنه لا يموت».

فكَّر چايمي: كلُّهم يموتون عندما تغرس سيفًا فيهم، وسألَ الرَّجل «أما زال ثوروس المايري يركب معه؟».

- «نعم، السَّاحر الأحمر. سمعتُ من يقول إنه يملك قُوًى غريبة».

كان يملك قوَّة مباراة روبرت شرابًا بشرابٍ على الأقل، وقلائل يُمكنهم أن يَزعُموا هذا. كان چايمي قد سمعَ ثوروس يقول لروبرت ذات مرَّةٍ إنه أصبحَ راهبًا أحمر لأن ثيابه الحمراء تُخفي بُقع النَّبيذ جيدًا، فتفجَّرت ضحكة روبرت مدوِّيةً لدرجة أنه بصقَ ما في فمه من شرابٍ على فُستان سِرسي. «لا أرغبُ في الاعتراض بتاتًا، لكن ربما لا يكون (الثَّالوث) أسلم الطُّرق».

قال الطَّاهي: «أتَّفقُ معك. حتى إذا تجاوزتم (جزيرة الأيائل الحمراء) ولم تُقابلوا اللورد بريك والسَّاحر الأحمر، تظلُّ أمامكم (مخاضة الياقوت). آخِر ما سمعته أن ذئاب اللورد عَلَقة يُسَيطِرون عليها، لكن ذلك كان منذ فترة، وربما يكون الأسود قد أخذوا مكانهم الآن، أو اللورد بريك، أو أي أحد».

قالت بريان: «أو لا أحد».

- «إذا أرادَت سيِّدتي أن تُراهِن بجلدها على هذا فلن أمنعها... لكن لو كنتُ مكانكم لتركتُ هذا النَّهر وتحرَّكتُ بَرًّا. إذا بقيتم بعيدًا عن الطُّرق الرَّئيسة واستترتم تحت الأشجار ليلًا وتواريتم عن الأنظار... حسن، لن أرغب في الذَّهاب معكم وقتها أيضًا، لكنكم ستحظون بفُرصةٍ على الأقل».

لاحَت الرِّيبة على الفتاة الكبيرة وهي تقول: «سنحتاج إلى خيول».

أشارَ چايمي قائلًا: «ثمَّة خيول هنا. سمعتُ واحدًا في الاسطبل».

قال صاحِب الخان الذي ليس صاحِب خان: «نعم، ثلاثة، لكنها ليست للبيع».

ضحكَ چايمي رغمًا عنه، وقال: «بالطَّبع، لكنك ستُرينا إياها مع ذلك».

قطَّبت بريان وجهها، لكن الرَّجل الذي ليس صاحِب خان لاقى نظراتها دون أن يطرِف له جفن، وبَعد هنيهةٍ قالت على مضض: «أرِني»، ونهضَ أربعتهم من على المائدة.

وشَت رائحة الاسطبل بوضوح بأنه لم يعرف النَّظافة منذ مدَّةٍ طويلة، وعَجَّ القَشُّ بمئات الذُّبابات السَّوداء السَّمينة، التي تطنُّ من مربطٍ إلى مربطٍ وتزحف على روث الخيل المكوَّم في كلِّ مكان، وإن لم يكن هناك إلَّا ثلاثة أحصنة صنعَت ثلاثيًّا متناقضًا، فأحدها حصان حرث بنِّي ثقيل، والثاني أبيض مخصيٌّ طاعِن في السِّنِّ وإحدى عينيه مُطفأة، والثَّالث جواد فارس مرقَّط بالرَّمادي وتبدو عليه الجرأة. قال صاحِب الخيول المزعوم: «إنها ليست للبيع بأيِّ ثمن».

سألَته بريان: «كيف تحصَّلت على هذه الخيول؟».

- «حصان الحقول كان مربوطًا هنا عندما وصلتُ أنا والزَّوجة إلى الخان، بالإضافة إلى الذي أكلتموه، والمخصيُّ أتى متسكِّعًا ذات ليلة، والفَرس أمسكَ بها الصَّبي وهي تجري حُرَّةً بسَرجها ولجامها. سأريكم».

كان السَّرج الذي أراهم إياه مزيَّنًا بزخرفةٍ فضِّيَّة، أمَّا كسوته فكانت في الأصل ذات مربَّعات من الوردي والأسود، لكن معظمها الآن مصطبغ بالبنِّي. لم يتعرَّف چايمي الألوان الأصليَّة، وإن تعرَّف بُقع الدَّم بسهولة، وغمغمَ: «لن يعود صاحِبها ليستردَّها قريبًا»، وفحصَ قوائم الفَرس وأحصى أسنان الحصان المخصي، ثم قال لبريان: «انقُديه قطعةً ذهبيَّةً مقابلِ الفَرس إذا أضافَ السَّرج، وقطعةً فضِّيَّةً لحصان الحرث، أمَّا الأبيض فحريٌّ به أن يدفع لنا لأننا سنُخَلِّصه منه».

قالت الفتاة: «لا تتكلَّم بهذه الخشونة عن حصانك أيها الفارس»، وفتحَت كيس النُّقود الذي أعطَتها الليدي كاتلين إياه، وأخرجَت ثلاثة تنانين ذهبيَّة قائلةً للرَّجل: «سأدفعُ تنِّينًا مقابل كلٍّ واحد».

حدَّق إلى الذَّهب ومَدَّ يده إليه، ثم إنه تردَّد وسحبَها قائلًا: «لا أدري. لا يُمكنني أن أركب تنِّينًا ذهبيًّا إذا أردتُ الابتعاد، أو آكل واحدًا إذا جعتُ».

- «يُمكنك أن تأخذ قاربنا أيضًا، وتُبحِر في هذا الاتِّجاه أو ذاك كما تُريد».

قال الرَّجل: «دعيني أتذوَّق هذا الذَّهب»، والتقطَ واحدةً من العُملات من راحة يدها وعَضَّها، قبل أن يُردِف: «همم، حقيقي على ما يبدو. ثلاثة تنانين والقارب؟».

قال چايمي باستخفاف: «إنه يحتال عليكِ يا هذه».

خاطبَت بريان مضيفهم متجاهلةً چايمي: «أريدُ مؤنًا أيضًا، أيًّا كان ما لديك وتستطيع الاستغناء عنه».

رَدَّ الرَّجل: «لدينا المزيد من كعك الشُّوفان»، والتقطَ التِّنِّينيْن الآخرَيْن من يدها وهَزَّ النُّقود في قبضته مبتسمًا للصَّوت الذي أصدرَته، وأضافَ: «نعم، وهناك سمك مملَّح مدخَّن، لكنه سيُكَلِّفكم القليل من الفضَّة، والأسرَّة كذلك. لا بُدَّ أنكم ستُريدون قضاء اللَّيل».

قالت بريان من فورها: «كلا».

عبسَ الرَّجل في وجهها قائلًا: «اسمعي يا امرأة، لستم ترغبون في التَّجوال ليلًا في أنحاء غريبة على خيولٍ لا تعرفونها. قد تجدين نفسكِ فجأةً في مستنقع أو تكسرين ساق حصانكِ».

- «سيكون القمر ساطعًا اللَّيلة، ولن نجد صعوبةً في العثور على الطَّريق».

فكَّر مضيفهم لحظةً قبل أن يقول: «إذا كنتِ لا تملكين الفضَّة، فلربما تكفي حفنة من القِطع النُّحاسيَّة لاستئجار تلك الأسرَّة وغطاء أو اثنين للدِّفء. إنني لا أطردُ المسافرين إذا كنتِ تفهمين ما أعنيه».

قال السير كليوس: «اتِّفاق عادل للغاية».

أضافَ الرَّجل: «الأغطية مغسولة أيضًا. زوجتي تأكَّدت من هذا قبل أن تُغادِر. ولن تجدوا برغوثًا واحدًا فيها أيضًا، لكم كلمتي»، وعادَ يهزُّ العُملات ويبتسم.

بدا الإغراء واضحًا على السير كليوس، الذي قال لبريان: «النَّوم في فِراش حقيقي سيكون مفيدًا لنا جميعًا يا سيِّدتي، وغدًا سنقطع مسافةً أطول حالمًا نُجدِّد طاقتنا»، ونظرَ إلى ابن خاله ناشدًا تأييده.

- «لا يا ابن العمَّة، الفتاة على حق. علينا وعود يجب أن نفي بها وأمامنا فراسخ طويلة نقطعها. يجب أن نستأنف الحركة».

- «لكنك قلت بنفسك...».

- «وقتها». حين حسبتُ الخان مهجورًا. «أمَّا الآن فمعدتي ممتلئة، والرُّكوب في ضوء القمر أنسب شيء لي»، ثم ابتسمَ للفتاة قائلًا: «لكن ما لم تكوني تنوين تحميلي على ظَهر حصان الحرث كجوالٍ من الدَّقيق، فعلى أحدهم أن يفعل شيئًا بشأن هذه الأصفاد. من الصَّعب أن يركب المرء وقدماه مقيَّدتان معًا بسلسلة».

حدَّقت بِريان إلى السِّلسلة بحاجبيْن معقوديْن، فيما فركَ الرَّجل الذي ليس صاحِب خانٍ ذقنه، وقال: «هناك ورشة حدادة وراء الاسطبل».

قالت: «أرِني».

عقَّب چايمي: «نعم، وبأسرع ما يُمكن، لأن الخراء كثير هنا، وأكرهُ أن أخطو فيه»، وسدَّد نظرةً حادَّةً إلى الفتاة متسائلًا إن كانت ذكيَّةً بما يكفي لأن تفهم تلميحه.

كان يأمل أن تضرب قيود معصميه كذلك، لكن بريان ظلَّت محتفظةً بشكوكها، واكتفَت بأن فصلَت السِّلسلة التي تربط كاحليه بنِصف دستةٍ من الضَّربات القويَّة بمطرقة الحدَّاد على الجانب الثَّلم من إزميل فولاذي، ولمَّا اقترحَ أن تضرب سلسلة المعصمين أيضًا تجاهلَته.

- «على بُعد ستَّة أميال في اتِّجاه المصب سترون قريةً محترقةً»، قال مضيفهم وهو يُساعِدهم على تثبيت السُّروج على الخيول وتحميلها بالمؤن، موجِّهًا إرشاداته لبريان هذه المرَّة. «الطَّريق ينفصِل هناك. إذا انعطفتم جنوبًا، ستَمُرُّون بمنزل السير وارن الحجري ذي البُرج. السير وارن نفسه رحلَ وماتَ، فلا يُمكنني الجزم بمن يَسكُن المنزل الآن، لكنه مكان من الأفضل تلافيه تمامًا. الأفضل أن تَسلُكوا الدَّرب عبر الغابة نحو الجنوب الشَّرقي».

أجابَت: «سنفعل. لك شُكري».

فكَّر چايمي: والأهمُّ أن له ذهبكِ، لكنه احتفظَ بالخاطِر لنفسه، فقد سئمَ تجاهُل هذه البقرة الكبيرة القبيحة إياه.

أخذَت بريان حصان الحقول لنفسها، وأعطَت الفَرس للسير كليوس، وكما توعَّدت كان الحصان المخصيُّ الأعمى في إحدى عينيه من نصيب چايمي، وهو ما وضعَ نهايةً لأيِّ تفكيرٍ في وكز حصانه والانطلاق تاركًا الفتاة تتخبَّط في الغُبار.

خرجَ الرَّجل والصَّبي لرؤيتهم وهُم يرحلون، وتمنَّى لهم الأول حَظًّا سعيدًا وقال لهم أن يعودوا في أوقاتٍ أفضل، فيما وقفَ الثَّاني صامتًا ونُشَّابيَّته تحت ذراعه. خاطَبه چايمي قائلًا: «تمرَّن على الحربة أو المدقَّة، كلتاهما أفضل لك»، لكن الصَّبي رمقَه بارتياب، فقال لنفسه: هذا جزاء النَّصائح الودود، وهَزَّ كتفيه ودارَ بحصانه ولم يُلقِ نظرةً أخرى وراءه.

لم يكفَّ السير كليوس عن الشَّكوى وهُم يُغادِرون، وظَلَّ ينعى فِراشه الرِّيش الضَّائع بينما تحرَّكوا شرقًا بمحاذاة النَّهر الذي أضاءَه القمر. (الفرع الأحمر) عريض هنا للغاية، وإن كان ضحلًا وتكتسي ضفافه بالطَّمي وأحراج القصب. سارَ حصان چايمي متهاديًا، غير أن عين الحيوان المسكين العمياء تجعله يجنح بين الحين والآخَر إلى الانحراف عن الطَّريق، وعلى الرغم من هذا أحسَّ چايمي بالسُّرور لامتطائه حصانًا من جديد، إذ لم يمتطِ واحدًا منذ أردى رُماة روب ستارك جواده الحربي من تحته في (الغابة الهامسة).

حين بلغوا القرية المحترقة واجهَهم خيار بين سبيلَيْن لا يُبَشِّر أحدهما بأنه أفضل من الآخَر، وكلاهما مليء بأخاديد ضيِّقة عميقة حفرَتها عربات المزارعين الذين ينقلون غلالهم إلى النَّهر. يتَّجه أحدهما إلى الجنوب الشَّرقي

وسرعان ما يتوارى وسط الأشجار التي يرونها من بعيد، ويمضي الآخَر ذو التُّربة الحجريَّة نحو الجنوب كسهم مستقيم. تأمَّلتهما بريان وهلةً، قبل أن تُوَجِّه حصانها إلى الطَّريق الجنوبيِّ، الشَّيء الذي أدهشَ چايمي وسَرَّه، إذ كان ليتَّخذ القرار نفسه، أمَّا السير كليوس فقال محتجًّا: «لكن هذا هو الطَّريق الذي حذَّرنا منه صاحِب الخان».

قالت بِريان: «لم يكن صاحِب خان. لقد أبدى اهتمامًا كبيرًا باختيارنا الطَّريق، وهذه الغابات... إنها أماكن سيِّئة السُّمعة، ومعروفة بكونها أوكارًا للخارجين عن القانون. محتمَل أنه كان يَحُثُّنا على المضيِّ إلى فَخ».

قال چايمي لابن عمَّته مبتسمًا: «فتاة ذكيَّة. تخميني أن مضيفنا لديه أصدقاء ينتظروننا على الطَّريق، الأصدقاء الذين عطَّرت خيولهم الاسطبل».

أضافَت الفتاة: «وربما كان يكذب بشأن النَّهر أيضًا، كي يُجبِرنا على أخذ هذه الخيول، لكني لا أستطيعُ المجازَفة. سيكون هناك جنود عند (مخاضة الياقوت) ومفترَق الطُّرق».

منحَها چايمي ابتسامةً قاسيةً مفكِّرًا: قد تكون قبيحةً، لكنها ليست غبيَّةً تمامًا.

حذَّرهم الضَّوء الضَّارب إلى الحُمرة الآتي من نوافذ بُرج المنزل الحجري من وجوده من بعيد، فقادَتهم بِريان إلى الحقول، وفقط عندما صارَ المكان وراءهم بمسافةٍ طويلة عادوا إلى الطَّريق من جديد.

انقضى نِصف اللَّيل قبل أن تقول الفتاة أخيرًا إنهم يستطيعون التَّوقُّف بأمان، وعندئذٍ كان ثلاثتهم يترنَّحون فوق سروجهم بالفعل.

أووا إلى بستانٍ صغير من شجر السَّنديان والدَّردار يُجاوِر جدولًا راكدًا، لكن الفتاة لم تسمح بإشعال نار، وتناوَلوا عَشاءً تأخَّر إلى منتصَف اللَّيل، ولم يتعدَّ كعكات الشُّوفان والسَّمك المملَّح. كانت اللَّيلة هادئةً بشكلٍ غريب، من فوقهم هلال تُحيط به النُّجوم في سماءٍ كأنها من الصُّوف الأسود النَّاعم، وفي مكانٍ ما بعيد تعوي بضعة ذئاب جعلَت أحد أحصنتهم يصهل بتوتُّر، لكن فيما عدا هذا لم يسمعوا صوتًا آخَر. لم تمسَّ الحرب هذا المكان. إنه مسرور لكونه هنا، مسرور لأنه حي، مسرور وقد بدأ رحلة العودة إلى سرسي.

قالت بِريان للسير كليوس: «سآخذُ المناوَبة الأولى»، وسرعان ما كان فراي يغطُّ في النَّوم.

جلسَ چايمي مسندًا ظَهره إلى جذع شجرة سَنديان، يتساءَل عمَّا تفعله سرسي وتيريون الآن، ثم إنه سألَ: «ألديكِ أشقَّاء يا سيِّدتي؟».

ضيَّقت بِريان عينيها بشَكٍّ مجيبةً: «لا. أبي لم يُنجِب غيري من أبنـ... أطفال».

قهقهَ چايمي قائلًا: «كنتِ ستقولين «أبناء». هل يعتبركِ ابنًا؟ إنكِ نوع غريب من البنات بالتَّأكيد».

بلا رَدٍّ أشاحَت بجسدها عنه وأطبقَت على مقبض سيفها بإحكام، فقال لنفسه: يا لها من مخلوقة تَعسة. إنها تُذَكِّره بتيريون على نحو عجيب، مع أن الاثنين يبدوان على طرفَيْ النَّقيض تمامًا للوهلة الأولى، لَكن ربما كان التَّفكير في أخيه هو ما حدا به إلى أن يقول: «لم أقصد إهانةً يا بِريان، اغفري لي».

- «جرائمك ليست قابلةً للغُفران يا قاتِل الملك».

شَدَّ چايمي سلاسله بتراخٍ قائلًا: «هذا الاسم ثانيةً. لماذا أُثير حنقكِ لهذه الدَّرجة؟ إنني لم أمسَّكِ بأذىً قَطُّ على حَدِّ علمي».

- «لكنك آذيت آخَرين، مَن أقسمت على حمايتهم، الضُّعفاء والأبرياء...».

- «والملك؟». دائمًا ما يعود الأمر إلى إيرس. «لا تُحاوِلي الحُكم على ما لا تفهمينه يا هذه».

- «اسمي...».

- «... بِريان، نعم. هل سبقَ أن قال لكِ أحد إنكِ مملَّة علاوةً على كونكِ قبيحةً؟».

- «لن تستفزَّ غضبي يا قاتِل الملك».

- «أوه، قد أفعلُ إذا اهتممتُ بالمحاوَلة».

- «لماذا حلفت اليمين؟ لماذا ارتديت المعطف الأبيض إذا كنت تنوي أن تخون كلَّ ما يُمَثِّله؟».

لماذا؟ ماذا يُمكنه أن يقول وتكون قادرةً على استيعابه؟ «كنتُ صبيًّا في الخامسة عشرة، وكان شَرفًا عظيمًا لواحدٍ في هذه السِّنِّ الصَّغيرة».

قالت باستهزاء: «هذه ليست إجابةً».

والحقيقة لن تروقكِ.

لقد انضمَّ إلى الحَرس الملكي من أجل الحُب بالطَّبع.

كان أبوهما قد استدعى سرسي إلى البلاط وهي في الثَّانية عشرة من عُمرها، على أمل أن يُرَتِّب لها زواجًا ملكيًّا، فرفضَ كلَّ من طلبوا يدها، وفضَّل أن يحتفظ بها معه في (بُرج اليد) بينما تكبر وتُصبِح أكثر أنوثةً وفتنةً. لا بُدَّ أنه كان ينتظر أن يَنضُج الأمير ڤيسرس، أو ربما كان ينتظر أن تموت زوجة ريجار في فِراش الوضع، فالصِّحَّة لم تكن قَطُّ من الأشياء التي تمتَّعت بها إليا الدورنيَّة.

في تلك الأثناء كان چايمي قد قضى أربع سنواتٍ مُرافِقًا للسير سَمنر كراكهول، وأثبتَ جدارته بالفُروسيَّة في القتال ضد أخوَّة غابة الملوك، لكن حين قامَ بزيارةٍ عابرة إلى (كينجز لاندنج) في طريق عودته إلى (كاسترلي روك) -بغية أن يرى أخته تحديدًا- انتحَت به سرسي جانبًا وهمسَت له أن اللورد تايوين ينوي تزويجه بلايسا تَلي، بل ودعا اللورد هوستر إلى المدينة بالفعل للاتِّفاق على المَهر، لكن إذا ارتدى چايمي أبيض الحَرس الملكي، فيُمكنه أن يكون بالقُرب منها دائمًا. كان السير هارلان جرانديسون العجوز قد ماتَ في نومه، الشَّيء الملائم تمامًا لشخص رمزه أسد نائم، فأصبحَ إيرس في حاجةٍ إلى شابٍّ يحلُّ محلَّه، فلِمَ لا يأتي أسَد يزأر بدلًا من أسدٍ يغطُّ؟

قال چايمي معترضًا: «لن يُوافِق أبي أبدًا».

- «الملك لن يَطلُب رأيه، وحالما يتمُّ الأمر لن يستطيع أبي الاعتراض، علنًا على الأقل. تذكَّر أن إيرس أمرَ بقطع لسان السير إلين پاين لمجرَّد أنه قال إن اليد هو من يَحكُم (الممالك السَّبع) حقًّا. كان قائد حَرس اليد، ومع ذلك لم يجرؤ أبي على التَّدخُّل، وهذا أيضًا لن يستطيع التَّدخُّل فيه».

- «لكن هناك (كاسترلي روك)...».

- «أصخرةً تُريد أم تُريدني أنا؟».

تذكَّر تلك اللَّيلة كما لو كانت البارحة. أمضياها في خانٍ قديم في (زُقاق الحنشان) بعيدًا عن الأعيُن المنتبهة، وقد أتَته سرسي مرتديةً ثياب خادمةٍ بسيطة، وبشكلٍ ما أثارَه هذا أكثر. لم يرَها چايمي متَّقدة العاطفة والرَّغبة هكذا

قبلها قَطُّ، وكلما غابَ في النَّوم أيقظَته من جديد، ولمَّا جاءَ الصَّباح كانت (كاسترلي روك) تبدو ثَمنًا بسيطًا لبقائه قريبًا منها على الدَّوام، وهكذا أعطاها موافقته ووعدَت هي بأن تتولَّى الباقي.

وبَعد دورة قمرٍ واحدة وصلَ غُداف إلى (كاسترلي روك) يحمل بلاغًا باختياره فارسًا في الحَرس الملكي، وأمرًا بتقديم نفسه للملك في دورة المباريات العظيمة التي ستُقام في (هارنهال)، ليحلف اليمين ويرتدي المعطف الأبيض.

لكن لئن خلَّصه تقلُّده حراسة الملك من لايسا تَلي، فإن شيئًا غير هذا لم يمضِ كما كان مخطَّطًا. لم يُصِب أباه غضب مشابه من قبل على الإطلاق، ومعَ أنه لم يستطِع الاعتراض علنًا -كما قدَّرت سرسي فأصابَت- فقد تنحَّى عن اليدويَّة بحجَّةٍ واهيةٍ وعادَ إلى (كاسترلي روك) آخذًا ابنته معه، وبدلًا من أن يُصبحا معًا تبادلَ جايمي وسرسي الأماكن لا أكثر، ووجدَ نفسه وحيدًا في البلاط، يَحرُس ملكًا مجنونًا بينما توالى أربعة رجالٍ أدنى من أبيه على شغل منصبه الشَّائك، دون أن يُدانيه أحدهم. بسُرعةٍ بالغة ارتفعَ الأيادي وسقطوا لدرجة أن جايمي يتذكَّر رموزهم أكثر من وجوههم. اليد ذو رمز قرن الوفرة[1] واليد ذو رمز الجَرافِن[2] الرَّاقصة كان مصيرهما المنفى، أمَّا اليد ذو رمز الصَّولجان والخنجر فقد غُمِسَ في النَّار الشَّعواء واحترقَ حيًّا. اللورد روزارت كان آخِرهم، رمزه مشعل متَّقد، وهو الخيار المؤسف نظرًا لمصير سلفه، لكن ترقية الخيميائي إلى المنصب عادَت بشكلٍ كبير إلى مشارَكته الملك ولعه بالنَّار. كان حريًّا بي أن أُغرق روزارت بدلًا من بقر بطنه.

كانت برِيان لا تزال تنتظر إجابته، فقال جايمي: «لستِ كبيرةً بما يكفي لأن تكوني قد عرفتِ إيرس تارجاريَن...».

قاطعَته رافضةً أن تسمعه: «إيرس كان مجنونًا ومتوحِّشًا، لا أحد يُنكِر هذا أبدًا، لكنه كان الملك المتوَّج، وأنت أقسمت على حمايته».

---

(1) قرن الوفرة رمز إقطاعي قديم، تعود أصوله إلى الأساطير الإغريقيَّة، وهو عبارة عن قرن مليء عن آخِره بالزُّهور والفاكهة والحلوى وغيرها مما يدلُّ على الوفرة والخصوبة. (المترجم).

(2) الجريفين حيوان أسطوري له جسم أسد ورأس وجناحا عُقاب. (المترجم).

- «أعرفُ علامَ أقسمتُ».
- «وتعرف الذي فعلتَه». كانت تقف مرتفعةً فوقه، الاستنكار متجسِّد في ستَّة أقدامٍ من العبوس والنَّمش وأسنان الحصان.
- «نعَم، والذي فعلتِه أيضًا. كلانا قاتِل ملك إذا كان ما سمعته صحيحًا».
- «لم أمسَّ رنلي بسوء، وسأقتلُ مَن يقول العكس».
- «ابدئي بكليوس إذن، ويبدو أنكِ ستَقتُلين كثيرين بَعده حسب ما قاله لي».
- «أكاذيب. الليدي كاتلين كانت حاضرةً عندما قُتِلَ جلالته ورأت بنفسها. كان هناك ظِل، والشُّموع تذبذبَت وأصبحَ الهواء باردًا، وكان هناك دم...».

قاطعَها ضاحكًا: «أوه، رائع. أعترفُ بأنكِ أسرع بديهةً مني. حين وجدوني واقفًا فوق جثَّة مليكي الميت لم يَخطُر لي أن أقول: لا، لا، لم يكن أنا، كان ظِلًّا، ظِلًّا باردًا رهيبًا»، وضحكَ ثانيةً وتابعَ: «أخبريني بالحقيقة، مِن قاتِل ملكٍ لآخَر، هل دفعَ لكِ آل ستارك لتفتحي عُنقه؟ أم أنه ستانيس؟ هل نبذَك رنلي؟ أهذا ما حدثَ؟ أم كان نزيفكِ القمري السَّبب؟ لا يُفترَض أن يُعطي أحد فتاةً سيفًا وهي تنزف».

حسبَ چايمي لحظةً أنها ستضربه. خُطوة أخرى وسأختطفُ هذا الخنجر من غِمدها وأغرسه في رَحِمها. سحبَ ساقه تحته استعدادًا للانقضاض، لكن الفتاة لم تتحرَّك، وقالت: «إنها هبة نادرة ثمينة أن يكون المرء فارسًا، والأندر والأثمن أن يكون فارسًا في الحَرس الملكي، هبة تُمنَح لقلائل، هبة ازدريتها ولوَّثتها».

هبة تتحرَّقين رغبةً فيها يا هذه ولا يُمكنك أن تناليها أبدًا. «لقد استحققتُ فُروسيَّتي ولم أُمنَح شيئًا. في الثَّالثة عشرة، وأنا مجرَّد مُرافِق، فزتُ في الالتحام الجماعي في دورة مباريات، وفي الخامسة عشرة قاتلتُ مع السير آرثر داين ضد أخوَّة غابة الملوك، ونصَّبني فارسًا في ميدان المعركة. ذلك المعطف الأبيض هو الذي لوَّثني لا العكس، فاعفِني من حسدكِ. الآلهة هي التي لم تخلقكِ بقضيب وليس أنا».

النَّظرة التي رمَته بها بريان لحظتها كانت ملأى بالاحتقار، حتى إنه قال لنفسه: كان ليُسعِدها أن تُمزِّقني إربًا لو لا قَسمها الغالي. لا بأس، لقد اكتفيتُ

من الورع الواهن وحُكم العذراوات عليّ. ابتعدَت الفتاة دون أن تنبس بكلمة، وتكوَّر چايمي تحت معطفه متمنيًا أن يَحلُم بسرسي.

لكن مَن رآه حين أغلقَ عينيه كان إيرس تارجاريَن، يذرع قاعة العرش جيئةً وذهابًا وحده ويخمش يديه المتقرِّحتين الدَّاميتين، إذ كان الأحمق يجرح نفسه دائمًا بنصال وبروزات العرش الحديدي. دخلَ چايمي بهدوءٍ من باب الملك مرتديًا دِرعه الذَّهبيَّة وسيفه في يده. الدِّرع الذَّهبيَّة لا البيضاء، لكن لا أحد يتذكَّر هذا أبدًا. ليتني خلعتُ ذلك المعطف الملعون أيضًا.

عندما رأى إيرس الدِّماء على نصله، طالبَ بأن يعرف إن كانت دماء اللورد تايوين، وقال: «أريدُ هذا الخائن ميتًا، أريدُ رأسه، ستُحضِر لي رأسه أو تحترق مع الباقين كلهم، مع الخونة كلهم. روزارت يقول إنهم داخل الأسوار! لقد ذهبَ ليستقبلهم استقبالًا حارًّا. دم مَن هذا؟ دم مَن؟».

وأجابَ چايمي: «روزارت».

اتَّسعت العينان الأرجوانيَّتان عن آخرِهما لحظتها، وتدلَّى الفَكُّ الملكي من الصَّدمة. فقدَ إيرس القُدرة على التَّحكُّم في مصارينه، ودارَ واندفعَ نحو العرش الحديدي، وتحت أعيُن الجماجم الجوفاء على الجُدران دفعَ چايمي آخِر ملوك التِّنانين بجسده من على الدَّرجات، وقد أخذَ يَصرُخ بأعلى صوته كالخنازير وفاحَت منه رائحة المراحيض. شِقٌّ واحد عبر حَلقه كان كلَّ ما تطلَّبه إنهاء الأمر، حتى إنه يَذكُر أنه فكَّر وقتها: منتهى السُّهولة. المفترَض أن يموت الملك بصعوبةٍ أكبر. على الأقل حاولَ روزارت أن يُقاومه، مع أن الحَقَّ يُقال إنه قاتلَ كخيميائي لا كمُحارب. غريب أنهم لا يسألون عن روزارت أبدًا... لكن بالطَّبع، فلم يكن له شأن يُذكَر، كان من العامَّة ولم يمضِ على يدويَّته أكثر من أسبوعين، مجرَّد نزوةٍ مجنونة أخرى للملك المجنون.

اقتحمَ اللورد إليس وسترلينج واللورد كراكهول وآخَرون من فُرسان أبيه القاعة في الوقت المناسب ليروا النِّهاية، فلم يكن لدى چايمي سبيل للاختفاء تاركًا متبجِّحًا ما يسرق الثَّناء أو اللَّوم. أدركَ في الحال أنه سيكون اللَّوم كما أفصحَت النَّظرات التي سلَّطوها عليه... ولكن ربما كانت نظرات خوف. سواء أكان لانستر أم لا، فهو واحد من حَرس إيرس السَّبعة.

- «القلعة لنا أيها الفارس، والمدينة»، أخبرَه رولاند كراكهول، وهو

ما حملَ قَدرًا من الصِّحَّة. كان الموالون لعائلة تارجاريَن ما زالوا يموتون على السَّلالم الملتفَّة وفي مستودَع السِّلاح، وجريجور كليجاين وآموري لورك ورجالهما يتسلَّقون جُدران (حصن ميجور)، وند ستارك يقود رجاله الشَّماليِّين عبر (بوَّابة الملك)، لكنَ كراكهول لم يكن ليدري شيئًا من هذا. لم تبدُ عليه الدَّهشة لعثورهم على إيرس قتيلًا، فچايمي ابن اللورد تايوين من قبل أن يُصبح فارسًا في الحَرس الملكي بزمنٍ طويل.

قال بنبرةٍ آمرة: «قُل لهم إن الملك المجنون ماتَ، وابقِ على حياة من يستسلم وضعه في الحبس».

- «هل أُعلنُ ملكًا جديدًا أيضًا؟»، سألَ كراكهول، وقرأَ چايمي السُّؤال بوضوح: هل سيكون أباكَ أم روبرت باراثيون؟ أم أنك تنوي أن تُنصِّب ملك تنانين جديدًا؟ فكَّر لحظةً في الصَّبي ڤسيرس الذي فَرَّ إلى (دراجونستون)، وفي إجون طفل ريجار الرَّضيع الذي لا يزال في (حصن ميجور) مع أمِّه. تارجاريَن جديد ملكًا وأبي يده. سوف تعوي الذِّئاب ويختنق سيِّد (أراضي العواصف) من فرط الثَّورة. أحسَّ بالإغراء برهةً، إلى أن ألقى نظرةً أخرى على الجثَّة التي تفترش الأرض في بركةٍ متَّسعة من الدَّم، وفكَّر: دمه يجري في عروق الاثنين. هكذا قال لكراكهولَ: «أعلِن من تشاء»، ثم إنه تسلَّق العرش الحديدي وجلسَ واضعًا سيفه على رُكبتيه، ليرى من سيأتي ليستحوذ على المملكة.

ومَن أتى كان إدارد ستارك.

أنت أيضًا لم يكن لديك الحَقُّ في الحُكم عليَّ يا ستارك.

في أحلامه جاءَ الموتى مشتعلين، يكتسون بدوَّاماتٍ من اللَّهب الأخضر، ورقصَ چايمي حولهم بسيفٍ ذهبي، لكن كلما أسقطَ واحدًا قامَ اثنان وأخذا مكانه.

أيقظَته بريان بوكزةٍ من حذائها في ضلوعه. كان العالم لا يزال أسود وبدأ المطر يهطل، وتناوَلوا إفطارًا من كعك الشُّوفان والسَّمك المملَّح والقليل من التُّوت الأسود الذي قطفَه السير كليوس، وعادوا يتحرَّكون قبل أن تُشرِق الشَّمس.



تيريون

دخلَ الخصيُّ من الباب وهو يُدَندِن لنفسه بتنغيمٍ ركيك، وقد ارتدى ثوبًا فضفاضًا من الحرير الخوخي وفاحَت منه رائحة اللَّيمون، ولمَّا رأى القزم جالسًا عند المستوقَد توقَّف وتسمَّر في مكانه، وخرجَت منه كلمة «لورد تيريون» بنبرةٍ كالصَّرير امتزجَت بقهقهةٍ عصبيَّة.

- «ما زلت تَذكُرني إذن؟ كنتُ قد بدأتُ أتساءلُ».

منحَه ڤارس أكثر ابتساماته لزوجةً، وقال: «رائع حقًّا أن أراك استرددت قوَّتك وعافيتك، لكني أعترفُ بأني لم أتوقَّع أن أجدك في مسكني المتواضع».

- «إنه متواضع بالفعل، متواضع بصورةٍ مغالى فيها والحَق يُقال». انتظرَ تيريون حتى استدعى أبوه ڤارس قبل أن ينسلَّ إلى مسكنه، مكان صغير فقير لا يتعدَّى ثلاث غُرفٍ ضيِّقة بلا نوافذ تحت سور القلعة الشَّمالي. «كنتُ آملُ أن أكتشف سلالًا من الأسرار المسيلة للُّعاب أتسلَّى بمطالعتها بينما أنتظرُ، لكن ليست هناك ورقة واحدة في المكان كله». لقد بحثَ عن ممرَّاتٍ خفيَّة أيضًا، عالمًا أن العنكبوت يستخدم طُرقًا للخروج والدُّخول دون أن يراه أحد، لكنه لم يُفلِح في العثور على شيء. «وجدتُ ماءً في إبريقك بحَقِّ الآلهة، ماءً! وغُرفة نومك ليست أعرض من تابوت، وهذا الفِراش... أهو مصنوع من الحجر فعلًا أم أن هذا ملمسه فقط؟».

أغلقَ ڤارس الباب وأنزلَ المزلاج قائلًا: «آلام الظَّهر تُزعِجني أيما إزعاج يا سيِّدي، وأفضِّلُ النَّوم على سطح صُلب».

- «حسبتك رجلًا يُفَضِّل النَّومَ على حشيَّةٍ من الرِّيش».

- «إنني مليء بالمفاجآت. أأنت غاضب مني لأني تخلَّيتُ عنك بَعد المعركة؟».

- «نعم، تصرُّف كهذا جعلَني أعتبرك أحد أفراد عائلتي».

- «لم يكن غياب الحُب هو السَّبب يا سيِّدي العزيز، لكني في موضع حسَّاس للغاية، كما أن ندبتك بشعة المنظر للغاية...»، وارتجفَ بشكلٍ مبالَغ فيه مضيفًا: «... وأنفك المسكين».

حَكَّ تيريون الجُلبة التي تكوَّنت على جرحه بضيق، وقال: «ربما عليَّ أن أصنع واحدًا جديدًا من الذَّهب. هل تقترح نوعًا معيَّنًا من الأنوف يا ڤارس؟ واحدًا مِثل أنفك أتشمَّم به الأسرار؟ أم أقول للصَّائغ إنني أريدُ أنف أبي؟»، وابتسمَ متابعًا: «والدي النَّبيل يكدح بمنتهى الهمَّة لدرجة أني أراه بالكاد الآن. أخبِرني، أصحيح أنه سيُعيد المِايستر الأكبر پايسل إلى المجلس الصَّغير؟».

- «صحيح يا سيِّدي».

- «وهل أدينُ لأختي الجميلة بالشُّكر لهذا؟». پايسل صنيعة أخته، وقد جرَّده تيريون من منصبه ولحيته وكرامته، وألقى به في زنزانةٍ سوداء.

- «على الإطلاق يا سيِّدي. اشكُر رؤساء المِايسترات في (البلدة القديمة)، الذين أصرُّوا على إعادة پايسل إلى منصبه، بما أن مجمع المِايسترات وحده يقدر على تنصيب المِايستر الأكبر وتنحيته».

حمقى. «أذكرُ أن جلَّاد ميجور المتوحِّش نحَّى ثلاثةً ببلطته».

- «مضبوط، وإجون الثَّاني أطعمَ المِايستر الأكبر چيرارديس لتنِّينه».

- «للأسف لا أملكُ أيَّ تنانين. ربما كان يُمكنني أن أغمس پايسل في النَّار الشَّعواء وأُشعله. هل كانت (القلعة) لتُفَضِّل ذلك؟».

قال الخصيُّ «على الأقل كان سيُعَدُّ تماشيًا مع التَّقاليد»، وأطلقَ ضحكةً مكتومةً قبل أن يُتابِع: «لكن العقول الأكثر حكمةً غلبَت على غيرها لحُسن الحظ، وتقبَّل المجمع خلْع پايسل كأمرٍ واقع وشرعَ في اختيار خلَفه، وبَعد المشاوَرات اللَّازمة بشأن كلٍّ من المِايستر توركين ابن الإسكافي والمِايستر إريك ابن الفارس الجوَّال، وهو ما أعربَ عن قناعة جماعتهم بأن الكفاءة تسبق المكانة، كان المجمع على وشك أن يُرسِل لنا المِايستر جورمون، وهو تايرل من (هايجاردن)، فلمَّا أخبرتُ أباك تصرَّف في الحال».

يعلم تيريون أن المجمع ينعقد وراء الأبواب المغلقة في (البلدة القديمة)، ويُفترَض أن يحفَّ مداوَلاته الكتمان. إذن لڤارس طيور صغيرة في (القلعة) أيضًا. قال: «مفهوم. وهكذا قرَّر أبي أن يقطف الوردة قبل أن تتفتَّح»، وضحكَ مرغمًا قبل أن يُردِف: «پايسل مخلوق حقير، لكن حقيرًا مخلصًا لآل لانستر أفضل من حقير مخلص لآل تايرل، أليس كذلك؟».

قال ڤارس بعذوبة: «لطالما كان المايستر الأكبر پايسل صديقًا لعائلتك. قد يُعَزِّيك أن تعرف أن السير بوروس بلاونت سيتقلَّد منصبه من جديد بدوره».

كانت سرسي قد جرَّدت السير بوروس من معطفه الأبيض، لإخفاقه في الموت دفاعًا عن الأمير تومن عندما قبضَ برون على الصَّبي على طريق (روزبي). لم يكن الرَّجل صديقًا لتيريون، لكن لا بُدَّ أنه يكره سرسي أكثر بَعد ما حدثَ. أفضل من لا شيء على ما أظنُّ. قال باستهانة: «بلاونت مجرَّد جبان متبجِّح».

- «حقًّا؟ يا للسَّماء. لكن العُرف جرى على أن يخدم فُرسان الحَرس الملكي مدى الحياة. ربما يُثبت السير بوروس شَجاعته في المستقبَل، ولا شَكَّ أنه سيظلُّ مخلصًا للغاية».

قال تيريون بلا موارَبة: «لأبي».

- «ما دُمنا نتكلَّم عن الحَرس الملكي... تُرى ألهذه الزِّيارة المفاجئة المبهجة علاقة بالسير ماندون مور الشُّجاع الذي سقطَ في المعركة؟»، وملَّس الخصيُّ على وجنته المدهونة بالمساحيق مواصلًا: «رجلك برون يبدو مهتمًّا به للغاية هذه الأيام».

كان برون قد اكتشفَ كلَّ ما أمكنَه عن السير ماندون، لكن لا ريب في أن ڤارس يعرف أكثر بكثير... فقط لو يختار أن يبوح به. قال تيريون بحذر: «الرَّجل كان بلا أيِّ أصدقاء على ما يبدو».

قال ڤارس: «للأسف، أوه، للأسف. قد تجد بضعة أقارب إذا بحثت جيِّدًا في (الوادي)، أمَّا هنا... لقد أحضرَه اللورد آرن معه إلى (كينجز لاندنج)، وخلعَ روبرت عليه معطفه الأبيض، لكن لا هذا ولا ذاك أحبَّه كثيرًا، كما أنه لم يكن من النَّوع الذي يُهَلِّل له العامَّة في المباريات على الرغم من بأسه الأكيد، وحتى إخوته في الحَرس الملكي لم يَشعُروا نحوه بالمودَّة قَطُّ، حتى

إن السير باريستان سُمِعَ وهو يقول في مرَّةٍ إن الرَّجل بلا أصدقاء إلَّا سيفه ولا حياة إلَّا واجبه... مع أني لا أظنُّ أن كلام سلمي كان إطراءً بالكامل، الشَّيء الذي ستجده غريبًا عندما تُفكِّر فيه، أليس كذلك؟ لأن المفترَض أن تكون هذه المميِّزات هي ما نرغب فيه بالتَّحديد في رجال الحَرس الملكي، أن يعيشوا من أجل مليكهم لا من أجل أنفسهم. في هذا الضَّوء يكون السير ماندون الفارس الأبيض المثالي، وقد ماتَ كما ينبغي أن يموت فارس الحَرس الملكي، حاملًا سيفه في يده دفاعًا عن واحدٍ من أهل الملك»، ومنحَه الخصيُّ ابتسامةً لزجةً وراقبه بنظراتٍ حادَّة.

تقصد محاولًا أن يغتال واحدًا من أهل الملك. تساءلَ تيريون إن كان ڤارس يعرف أكثر مما أفصحَ به، فلا شيء سمعَه الآن جديدًا، وبرون عادَ مردِّدًا الكلام نفسه. إنه في حاجةٍ إلى ما يربطه بسرسي، إلى ما يدلُّ على أن السير ماندون كان أجير أخته. فكَّر بمرارة: لكن ما كلُّ ما نتمنَّاه نُدرِكه، وهو ما ذكَّره...

- «لم آتِ بشأن السير ماندون».

قال الخصيُّ: «بالتَّأكيد»، وقطعَ الغُرفة إلى حيث وُضِعَ إبريق الماء، وسألَ وهو يملأ كوبًا: «هل أقدِّم لك القليل من الماء يا سيِّدي».

- «لا. أريدك أن تقدِّم لي خدمةً»، وطوى تيريون يديه متابعًا: «أريدك أن تُحضِر لي شاي».

رشفَ ڤارس من الماء، ثم قال: «أهذه فكرة سديدة يا سيِّدي؟ الصَّغيرة الحُلوة العزيزة، سيكون مؤسفًا للغاية لو شنقَها أبوك».

لم تُفاجئه معرفة ڤارس، لكنه أجابَ: «لا، ليست فكرةً سديدةً، بل جنون مُطبق. أريدُ أن أراها مرَّةً أخيرةً قبل أن أصرفها، فلن أحتمل أن تبقى قريبةً هكذا».

- «مفهوم».

وأنَّى لك أن تفهم؟ كان قد رآها بالأمس، تصعد الدَّرجات الملتفَّة حاملةً دلوًا من الماء، وشاهدَ فيما عرضَ فارس شاب أن يحمل الدَّلو الثَّقيل عنها، فابتسمَت له ومسَّت ذراعه بطريقةٍ ألهبَت غيرة تيريون. مَرَّ كلٌّ منهما بالآخر على مسافة بوصاتٍ معدودة، هو نازل وهي صاعدة، دانية منه للغاية حتى إنه

اشتمَّ رائحة شَعرها النَّظيفة النَّقيَّة. بانحناءةٍ صغيرة قالت له: «سِيدِي»، وأرادَ لحظتها أن يمدَّ يده ويضمَّها إليه ويُقَبِّلها في مكانها، لكنه لم يستطِع إلَّا أن يومئ برأسه بحركةٍ متصلِّبة ويُواصِل طريقه.

قال لڤارس: «رأيتها عدَّة مرَّات، لكني لا أجرؤ على مخاطَبتها. لديَّ شَكٌّ في أن تحرُّكاتي كلها مراقَبة».

- «لم تُجانِبك الحكمة في شكوكك هذه يا سيِّدي العزيز».

مالَ برأسه متسائلًا: «مَن؟».

- «الإخوة كِتلبلاك يُقَدِّمون تقاريرهم لأختك الجميلة باستمرار».

- «عندما أفكِّرُ في الأموال التي دفعتها لهؤلاء الملاعين... هل تعتقد أن مزيدًا من الذَّهب سيستميلهم عن جانِب عن سرسي؟».

- «هناك فُرصة دائمًا، لكني لا أنصحُ بالرِّهان على قوَّتها. إنهم فُرسان الآن، الثَّلاثة، كما أن أختك وعدَتهم بالمزيد من التَّرقِّي»، وتفجَّرت ضحكة خبيثة قصيرة من بين شفتَيْ الخصيِّ قبل أن يُكمِل: «وأكبرهم، السير أوزموند فارس الحَرس الملكي، يَحلُم بـ... امتيازات أخرى... لا شَكَّ لديَّ في استطاعتك أن تُساوي ما تدفعه الملكة عُملةً عُملةً، لكن لديها كيس نقودٍ آخَر لا يَنضُب أبدًا».

بحَقِّ الجحائم السَّبع! «هل ترمي إلى أن سرسي تُضاجِع أوزموند كِتلبلاك؟».

أجابَ ڤارس: «أوه، لا، على الإطلاق. فِعل كهذا سيكون في غاية الخطورة، أليس كذلك؟ لا، الملكة تُلَمِّح فحسب... ربما غدًا، أو بَعد الزِّفاف... ثم ابتسامة، همسة، دُعابة بذيئة، ثدي يمسُّ كُمَّه سريعًا حين يمرُّ أحدهما بالآخَر... ويبدو أن هذا كافٍ. لكن ماذا يعرف خصيٌّ مِثلي عن تلك الأشياء؟»، ومرَّر طرف لسانه على شفته السُّفلى فبدا كحيوان وردي خجول.

إذا استطعتُ أن أدفعهما إلى ما هو أكثر من الملاطَفة المستترة، أن أرتِّب لأن يضبطهما أبي في الفِراش معًا... تحسَّس تيريون الجُلبة على أنفه بأصابعه عاجزًا عن التَّفكير في وسيلةٍ لتنفيذ هذا، لكن لعلَّ فكرةً ما تأتيه لاحقًا. «هل الإخوة كِتلبلاك الوحيدين؟».

- «ليت هذا كان صحيحًا يا سيِّدي، لكني أخشى أن هناك أعيُنًا كثيرةً

عليك. إنك... كيف أقولها؟ لافت للأنظار؟ ويُؤسِفني أن أقول لك إنك لست محبوبًا كثيرًا. أبناء چانوس سلينت سيُسعِدهم أن يشوا بك انتقامًا لأبيهم، واللورد پيتر له أصدقاء في نِصف مواخير المدينة، وإذا تصرَّفت برعونةٍ وزُرت أحدها فسيعرف في الحال، وسرعان ما سيعرف السيِّد والدك بدوره».

الأمر أسوأ مما خشيتُ. «وماذا عن أبي؟ مَن يتجسَّس عليَّ لحسابه؟».

هذه المرَّة أطلقَ الخصيُّ ضحكةً عالية، وقال: «أنا بالطَّبع يا سيِّدي».

ضحكَ تيريون أيضًا. إنه ليس بالحماقة التي تجعله يثق بڤارس أكثر من القَدر الضَّروري، لكن الخصيَّ يعرف ما يكفي بالفعل عن شِاي لأن يجعلها تتدلَّى من حبل المشنقة. هكذا قال: «ستُحضِر لي شِاي عبر الجُدران، بعيدًا عن الأعيُن، كما فعلت من قبل».

نفضَ ڤارس يديه قائلًا: «أوه، لا شيء يَسُرُّني أكثر يا سيِّدي، لكن... الملك ميجور لم يرغب في وجود أيِّ جرذان داخل جُدرانه، إذا كنت تفهم ما أعنيه، وتطلَّب سُبلًا سرِّيَّةً للخروج تحسُّبًا لأن يُحاصِره أعداؤه، لكن هذا الباب لا يتَّصل بأيِّ ممرَّاتٍ أخرى. يُمكنني أن أسرق فتاتك شِاي من الليدي لوليس بعض الوقت بالتَّأكيد، غير أني لا أعرفُ وسيلةً لإحضارها إلى غُرفة نومك دون أن يرانا أحد».

- «أحضِرها إلى مكانٍ آخَر إذن».

- «لكن أين؟ ليس هناك مكان آمِن».

قال تيريون: «بل هناك»، وانفرجَت شفتاه عن ابتسامةٍ عريضةٍ وهو يُضيف: «هنا. أعتقدُ أن الوقت حان لاستغلال هذا الفِراش الصُّلب كالصَّخر في أشياء أفضل».

فغرَ الخصيُّ فاه، ثم إنه قهقهَ وقال: «لوليس تتعب بسُرعةٍ هذه الأيام بما أنها حبلى، وأظنُّ أنها ستكون قد غابَت في النَّوم وقت طلوع القمر».

نزلَ تيريون من مقعده قائلًا: «عند طلوع القمر إذن. جهِّز القليل من النَّبيذ وضَع كوبين نظيفين».

انحنى ڤارس مجيبًا: «كما يأمر سيِّدي».

مَرَّت بقيَّة النَّهار ببُطء دودةٍ تزحف في العسل الأسود.

صعدَ تيريون إلى مكتبة القلعة، وحاولَ أن يُلهي نفسه بقراءة (تاريخ الحروب الروينيَّة) لبلديكار، وإن ظَلَّ يتخيَّل ابتسامة شِاي حتى أصبحَ يرى صُور الأفيال بالكاد. مع حلول الأصيل نَحَّى الكتاب جانبًا وطلبَ حمَّامًا، وأخذَ يدعك نفسه إلى أن فترَ الماء، ثم أمرَ پود بتشذيب لحيته التي تُزعِجه كثيرًا، فهي كُتلة متشابكة من الشَّعر الأصفر والأبيض والأسود الخشن، ومع أن القُبح لا يُفارق منظرها إلَّا نادرًا، فإنها تُساعِد على إخفاء شيءٍ من وجهه، وهذه فائدة لا شَكَّ فيها.

عندما نظفَ جسده وتورَّد وصارَت لحيته مشذَّبةً قَدر الإمكان، تطلَّع تيريون إلى خزانة ملابسه، وانتقى سراويل ضيِّقةً من الساتان بلون عائلة لانستر القرمزي، ومعها أفضل سُترةٍ عنده، تلك المفصَّلة من المخمل الأسود الثَّقيل والمطعَّمة برؤوس الأسود، وكان ليرتدي سلسلته ذات الأيدي الذَّهبيَّة أيضًا لو لم يسرقها أبوه وهو في فِراش الموت. فقط حين ارتدى ثيابه كاملةً أدركَ مدى حماقته. بحَقِّ الجحائم السَّبع أيها القزم، هل فقدت عقلك مع أنفك؟ كلُّ مَن يراك سيتساءَل لماذا ارتديت ثياب البلاط في زيارتك إلى الخصي. أطلقَ سبابًا وخلعَ ملابسه ليلبس غيرها، واختارَ شيئًا أكثر تواضُعًا هذه المرَّة؛ سراويل سوداء من الصُّوف وقميصًا أبيض قديمًا وسُترةً من الجلد البنِّي الباهت، وفيما انتظرَ طلوع القمر قال لنفسه: لا يهمُّ. مهما ارتديت ستبقى قزمًا، لن تَبلُغ قامة ذلك الفارس على السَّلالم أبدًا، ولن تتمتَّع بساقيه الطَّويلتين المستقيمتين وبطنه القوي وكتفيه الرُّجوليَّتين.

كان القمر يختلس النَّظر من فوق أسوار القلعة، عندما قال لپودريك پاين إنه ذاهب لزيارة ڤارس، فسألَه الصَّبي: «هل ستتأخَّر يا سيِّدي؟».

- «أوه، أتمنَّى هذا».

لم يكن لدى تيريون أمل في الحركة دون أن يُلاحِظه أحد نظرًا لازدحام (القلعة الحمراء) الشَّديد. وقفَ السير بالون سوان يَحرُس الباب، بينما وقفَ السير لوراس تايرل عند الجسر المتحرِّك، فتوقَّف ليتبادَل عبارات المجامَلة معهما، وقد بدا غريبًا أن يرى فارس الزُّهور يرتدي ثيابًا بيضاء بالكامل الآن وقد كان يبدو ملوَّنًا دائمًا كقوس قزح. سألَه تيريون: «كم عُمرك يا سير لوراس؟».

- «سبعة عشر عامًا يا سيِّدي».

عُمره سبعة عشر عامًا، وجميل المحيَّا، وأسطورة بالفعل. نصف فتيات (الممالك السَّبع) يُردن مضاجَعته، وكلُّ الصِّبية يُريدون أن يكونوا مثله. «إذا سمحت لي بالسُّؤال أيها الفارس، لماذا يختار أحد الانضمام إلى الحَرس الملكي في سِنِّ السَّابعة عشرة؟».

أجابَ السير لوراس: «الأمير إيمون الفارس التنِّين حلفَ اليمين وهو في السَّابعة عشرة، وأخوك چايمي كان أصغر منه».

- «أعرفُ أسبابهما، لكن ما أسبابك أنت؟ شَرف الخدمة جنبًا إلى جنب مع مغاوير مِثل مرين ترانت وبوروس بلاونت؟»، وأعطى الصَّبي ابتسامةً ساخرةً مردفًا: «أن تحمي حياة الملك معناه أن تتنازَل عن حياتك، تُسقِط حَقَّك في أراضيك وألقابك، وتتخلَّى عن الأمل في الزَّواج والذُّرِّيَّة...».

قال السير لوراس: «عائلة تايرل ستستمرُّ من خلال أخوَيْ، وليس من الضَّروري أن يتزوَّج الابن الثَّالث أو يُنجِب».

- «ليس ضروريًّا، لكن البعض يجده شيئًا جميلًا. وماذا عن الحُب؟».

- «عندما تغيب الشَّمس فلا يُمكن لشمعةٍ أن تحلَّ محلَّها».

مالَ تيريون برأسه مبتسمًا، وقال: «أهذا بيت من أغنيَّة؟ نعم، إنك في السَّابعة عشرة حقًّا، أرى هذا الآن».

توتَّر السير لوراس وسألَه: «هل تسخر مني؟».

فتى قصير الفتيل. «كلا. سامِحني إذا أسأتُ إليك. كانت لي حبيبة ذات يوم، وكانت لنا أغنيَّتنا». عشقتُ بنتًا بهيةً كالصَّيف، في شَعرها نور الشَّمس. تمنَّى تيريون للسير لوراس أمسيَّةً طيِّبةً وواصلَ طريقه.

بالقُرب من الأوجرة كانت مجموعة من المسلَّحين تُقاتِل زوجين من الكلاب، فتوقَّف تيريون بما يكفي لأن يُشاهِد الكلب الصَّغير يُمَزِّق نِصف وجه الكبير، وربحَ قليلًا من الضَّحكات الخشنة عندما قال إن الكلب الخاسر أصبحَ يُشبِه ساندور كليجاين، ثم إنه واصلَ طريقه وهو يتمنَّى أن يكون قد جرَّدهم من ارتيابهم، واتَّجه إلى السُّور الشَّمالي ونزلَ السَّلالم القصيرة إلى مسكن الخصيِّ الفقير.

انفتحَ الباب وهو يرفع يده ليَدُقَّه، ودخلَ تيريون قائلًا: «ڤارس؟ أأنت هنا؟». شمعة وحيدة كانت تُنير العتمة مطيِّبةً الهواء بعطر الياسمين.

بتؤدةٍ خرجَت امرأة إلى الضَّوء، امرأة ممتلئة لدنة يبدو عليها الوقار، وجهها مستدير متورِّد، وشَعرها فاحم كثيف، ولمَّا جفلَ تيريون لمرآها قالت: هل أزعجَك شيء؟».

أدركَ مغتاظًا أنه ڤارس، وقال: «أشعرتَني بالرُّعب لحظةً وقد حسبتُ أنك جلبت لي لوليس وليس شِاي! أين هي؟».

وضعَت يديها على عينيه من ورائه قائلةً: «هنا يا سِيدِي. هل يُمكنك أن تُخَمِّن ما أرتديه؟».

- «لا شيء؟».

مطَّت شفتيها بتبرُّم مصطنَع وأزاحَت يديها بحركةٍ حادَّة قائلةً: «أوه، كم أنت ذكي! كيف عرفتَ؟».

- «لأنكِ جميلة جدًّا وأنت ترتدين اللا شيء».

- «أأنا كذلك؟ أأنا كذلك حقًّا؟».

- «أوه، بكلِّ تأكيد».

- «ألا يَجدُر بك أن تُضاجعني إذن بدلًا من الكلام؟».

- «يجب أن نتخلَّص من الليدي ڤارس أولًا. لستُ من الأقزام الذين يُريدون جمهورًا يُشَجِّعهم».

قالت شِاي: «لقد رحلَ».

التفتَ تيريون يُلقي نظرةً، وكان صحيحًا أن الخصيَّ اختفى بالفعل بفُستانه وشَعره المستعار. الأبواب الخفيَّة في مكانٍ ما هنا لا شَكَّ. لم يملك وقتًا أطول للتَّفكير قبل أن تُدير شِاي رأسه لتُقبِّله. أحسَّ بثغرها مبتلًّا جائعًا، ولم يبدُ أنها ترى ندبته على الإطلاق، أو الجُلبة المسحوجة التي احتلَّت مكان أنفه. بشرتها كانت حريرًا دافئًا تحت أصابعه، وحين مَسَّ إبهامه حلمتها اليُسرى تصلَّبت في الحال، وبين القُبلات استعجلَته قائلةً وهو يحلُّ أربطة سراويله: «أسرِع، أوه، أسرِع، أسرِع، أريدك في داخلي، في داخلي، في داخلي». لم يجد وقتًا لأن يخلَع ثيابه كما ينبغي، إذ سحبَت شِاي ذَكره من سراويله، ثم دفعَته ليستلقي على الأرض وركبَت فوقه. صرخَت لمَّا دفعَ نفسه بين شفريها وامتطَته بحرارةٍ جيَّاشة، وكلما نزلَت عليه بكلِّ عنفوانها قالت متأوِّهةً: «عملاقي، عملاقي، عملاقي». كان تيريون مهتاجًا لدرجة أن الفورة باغتَته بَعد الدَّفعة الخامسة،

لكن لم يَلُح على شِاي أنها تُمانِع، ورسَمَت على شفتيها ابتسامةً خبيثةً لمّا أحسَّت بانفجاره، ومالَت إلى الأمام لتمسح عَرق جبهته بشفتيها متمتمةً: «عملاقي اللانستر. ابقَ في داخلي أرجوك. أحبُّ أن أشعر بك هناك».

لم يتحرَّك تيريون إلَّا ليضع ذراعيه حولها مفكِّرًا: إحساس رائع أن أضمَّها، فكيف يُمكن أن يكون جزاء شيءٍ بهذه الحلاوة الشَّنق؟ ثم إنه قال لها: «شِاي يا حُلوتي، يجب أن تكون هذه آخِر مرَّةٍ لنا معًا. الخطر شديد. إذا اكتشفَ السيِّد والدي...».

- «أحبُّ ندبتك»، قالت ممرِّرةً إصبعها عليها. «تجعلك تبدو قويًّا وشرسًا جدًّا».

قال ضاحكًا: «قبيحًا جدًّا تقصدين».

قالت: «لن يكون سِيدِي قبيحًا في عينَيْ أبدًا»، ولثمَت الجُلبة التي غطَّت جَدعة أنفه المتهتِّكة.

- «ليس وجهي ما يجب أن يُقلِقكِ، بل أبي...».

- «إنه لا يُخيفني. هل سيُعيد سِيدِي فساتيني الحرير وجواهري؟ سألتُ ڤارس إن كان يُمكن أن آخذها عندما جُرحت في المعركة، لكنه رفضَ أن يُعطيني إياها. ماذا كان سيَحدُث لها إذا مُتَّ؟».

- «لكني لم أمُت، إنني هنا».

تلوَّت فوقه مبتسمةً، وقالت: «أعرفُ هذا، في المكان الذي تنتمي إليه»، ثم مطَّت شفتيها متسائلةً: «لكن إلى متى عليَّ أن أبقى مع لوليس ما دُمت قد استرددت عافيتك؟».

- «هل سمعتِ ما قلته؟ يُمكنكِ البقاء مع لوليس إذا أردتِ، لكن الأفضل أن تَترُكي المدينة».

قالت: «لا أريدُ أن أغادر. لقد وعدتني بأن تنقلني إلى إيوانٍ جديد بَعد المعركة»، واعتصرَته بفرجها برفق فبدأ ينتصب ثانيةً في داخلها بينما واصلَت: «وقلتَ إن اللانستر يُسَدِّد ديونه دائمًا».

- «شِاي، بحَقِّ الآلهة اللَّعينة، توقَّفي عن هذا وأنصتي إليَّ. يجب أن ترحلي. المدينة مليئة برجال تايرل الآن، وأنا تحت مراقبةٍ لصيقة. إنكِ لا تُدرِكين الخطر».

- «هل يُمكنني حضور مأدبة زفاف الملك؟ لوليس لن تذهب. قلتُ لها

إن لا أحد سيغتصبها في قاعة العرش، لكنها بلهاء لأقصى درجة»، ونزلَت من عليه لينزلق من داخلها بصوتٍ ناعم، وتابعَت: «سايمون يقول إنهم سيُقيمون سباقًا للمغنِّين، وسيكون هناك حواة، ونزال بين المهرِّجين كذلك».

كان تيريون قد نسيَ أمر مغنِّي شِاي الملعون ثلاثًا، فقال: «كيف تكلَّمتِ مع سايمون؟».

- «حكيتُ لليدي تاندا عنه، واستأجرَته ليُغَنِّي للوليس. الموسيقى تُهَدِّئها عندما يشرع الجنين في الرَّكل. سايمون يقول إنه سيكون هناك دُب راقص في الاحتفال، ونبيذ من (الكرمة). لم أرَ دببةً ترقُص من قبل».

- «رقصها أسوأ من رقصي». ما يهمُّه هو المغنِّي لا الدُّب. كلمة واحدة طائشة في الأذن الخطأ معناها أن تُشنَق شِاي.

استطردَت بحماسة: «سايمون يقول إنهم سيُقَدِّمون سبعةً وسبعين طبقًا، ومئة حمامة في كعكةٍ ضخمة. عندما يفتحون قشرة الكعكة ستنبثق الحمامات منها وتطير».

- «وبَعدها ستجثم على عوارض السَّقف وتُمطِر الضُّيوف بالغائط». سبقَ لتيريون أن عانى من كعكات زفافٍ مشابهة، ولطالما ارتابَ في أن الحمائم تتعمَّد أن تتبرَّز عليه هو بالذَّات.

- «ألا يُمكنني أن أرتدي الحرير والمخمل وأذهب باعتباري ليدي لا خادمة؟ لا أحد سيعرف أني لستُ منهم».

الكلُّ سيعرف أنكِ لستِ منهم. «قد تتساءَل الليدي تاندا كيف حصلَت خادمة ابنتها على هذه الجواهر كلِّها».

- «سايمون يقول إنه سيكون هناك ألف من الضُّيوف، فلن تراني على الإطلاق. سأجدُ مكانًا في رُكنٍ مظلم تحت الملح[1]، لكن كلما نهضت للذَّهاب إلى المرحاض سأتسلَّلُ وأقابلك»، وطوَّقت ذَكره بيدها وحرَّكت يدها عليه مواصلةً: «لن أرتدي ثيابًا داخليَّةً تحت فُستاني كي لا يضطرَّ سِيدِي

(1) على غرار العادة في القرون الوُسطى، يوضَع الملح في منتصَف المائدة، بحيث يجلس كبير القوم وعائلته فوق الملح، أي في اتِّجاه رأس المائدة، فيما يجلس الضُّيوف وغيرهم تحت الملح. (المترجم).

إلى خلعه»، وداعبته أصابعها من أعلى إلى أسفل وهي تُضيف: «أو يُمكنني أن أفعل هذا إذا أحبَّ»، وأخذَته في فمها.

سرعان ما أصبحَ تيريون مستعدًّا من جديد، وهذه المرَّة استمرَّ فترةً أطول كثيرًا، ولمَّا فرغَ عادَت شِاي تضمُّ جسدها إليه وكوَّرت نفسها تحت ذراعه قائلةً: «ستدعني أذهب، أليس كذلك؟».

قال متذمِّرًا: «شِاي، لن تكوني في أمان».

مَرَّ بعض الوقت دون أن تتفوَّه بشيء. حاولَ تيريون أن يتكلَّم عن أمور أخرى، لكنه واجهَ جدارًا من الكياسة الجامدة، جليديًّا قاسيًا كـ(الجدار) الذي سارَ على قمَّته ذات يوم في الشَّمال. فكَّر متعبًا وهو يُراقِب ذؤابة الشَّمعة تتذبذَب توطئةً للانطفاء: كيف أمكنَني أن أسمح لهذا بالحدوث ثانيةً بَعد تايشا بحَقِّ الآلهة؟ أأنا أحمق كبير كما يظنُّ أبي حقًّا؟ بكلِّ سرور كان ليمنحها الوعد الذي تَنشُده، وبكلِّ سرور كان ليصطحبها إلى غُرفته متأبِّطًا ذراعها ويَترُكها ترتدي الحرير والمخمل اللذين تُحِبُّهما حُبًّا جَمًّا، ولو كان الأمر بيده لجلسَت إلى جواره في مأدبة زفاف چوفري ورقصَت مع كلِّ ما تشاء من دببة، لكنه لن يحتملِ أن يراها مشنوقةً.

عندما انطفأت الشَّمعة حَلَّ تيريون نفسه منها ونهضَ يُشعِل أخرى، ثم إنه قامَ بدورةٍ حول الغُرفة ناقرًا على كلِّ حائط بحثًا عن الباب الخفي، فيما جلسَت شِاي تضمُّ ساقيها وتُحيطهما بذراعيها، وأخيرًا قالت: «السَّلالم السِّرِّيَّة تحت الفِراش».

رمقَها مشكِّكًا، وقال: «الفِراش؟ إنه من الحجر المصمت، ويزن نِصف طِن».

– «ثمَّة موضع يضغط عليه ڤارس فيرتفع الفِراش على الفور. سألته كيف فقال إنه السِّحر».

ابتسمَ تيريون ساخرًا، وغمغمَ: «نعم، تعويذة طيران».

قامَت شِاي قائلةً: «يجب أن أعود. أحيانًا يَركُل الجنين فتستيقظ لوليس وتُناديني».

قال واضعًا الشَّمعة: «المفترَض أن يعود ڤارس قريبًا. إنه يتنصَّت على كلِّ كلمةٍ نقولها غالبًا». كانت هناك بُقعة مبتلَّة على مقدِّمة سراويله، لكن من غير

المحتمَل أن يُلاحِظها أحد في الظَّلام. هكذا قال لشِاي أن ترتدي ملابسها وتنتظر الخصي.

قالت: «سأنتظره. أنت أسدي، أليس كذلك؟ عملاقي اللانستر».

- «بلى، وأنتِ...».

- «... عاهرتك»، ووضعَت إصبعًا على شفتيه مردفةً: «أعرف. أريدُ أن أكون سيِّدتك لكني لن أكون أبدًا، وإلَّا لأخذتني إلى المأدبة. لا يهمُّ، أحبُّ أن أكون عاهرتك يا تيريون. احتفظ بي فقط يا أسدي، وحافِظ على سلامتي».

قال: «سأفعلُ»، وفي أعماقه صرخَ الصَّوت: أيها الأحمق! أيها الأحمق! لماذا قلت هذا؟ لقد أتيت إلى هنا لتصرفها! لكن بدلًا من أن يصرفها قبَّلها مرَّةً أخرى.

بدا طريق العودة طويلًا موحشًا. كان پودريك پاين نائمًا في سريره النَّقَّال عند قدم سرير تيريون، الذي أيقظَه قائلًا: «برون».

فركَ پود عينيه مهمهمًا: «السير برون؟ أوه، هل أُحضره يا سيِّدي؟».

قال تيريون: «لا، لقد أيقظتك لتتسامَر حول ما يرتديه من ثياب»، لكن سخريته كانت بلا طائل، إذ حملقَ پود إليه مرتبكًا، إلى أن رفعَ يديه قائلًا: «نعم، أحضِره، اجلبه، الآن».

ارتدى الصَّبي ملابسه مسرعًا وهرعَ من الغرفة، وسألَ تيريون نفسه وهو يضع معطف نوم ويصبُّ لنفسه كأس نبيذ: أأنا مخيف لهذه الدَّرجة حقًّا؟

كان يشرب كأسه الثَّالثة وقد انقضى نِصف اللَّيل بالفعل قبل أن يرجع پود وفي أعقابه المرتزق، الذي قال وهو يجلس: «آملُ أن الفتى لديه سبب وجيه لجَرِّي من عند شاتايا».

ردَّد تيريون بضيق: «شاتايا؟».

قال برون: «من الرائع أن يكون المرء فارسًا. لا مزيد من البحث في المواخير الرَّخيصة في نهاية الشَّارع»، وأضافَ ببسمةٍ عريضة: «الآن هناك آلايايا وماري في الفِراش الرِّيش نفسه، وبينهما السير برون».

اضطرَّ تيريون لأن يبتلع ضيقه، فبرون لديه الحَق في افتراش آلايايا كأيِّ رجلٍ آخَر، ومع ذلك... لم أمسَّها قَطُّ رغم توقي لأن أفعل، لكن برون لا يعلم ذلكَ. كان يجب أن يُبقي قضيبه بعيدًا عنها. إنه لا يجرؤ على زيارة ماخور

شاتايا، فبمجرَّد أن يفعل ستتأكَّد سرسي من أن يعرف أبوه، وتُعاني يايا مما هو أكثر من الجَلد هذه المرَّة. كان قد أرسلَ إلى الفتاة قلادةً من الفضَّة واليَشب وزوجين من الأساور على سبيل الاعتذار، لكن بخلاف هذا...

لا جدوى من هذا. قال تيريون بإرهاق وهو يدفع شعوره بالذَّنب جانبًا: «هناك مطرب يُسَمِّي نفسه سايمون لسان الفضَّة، يُغَنِّي لابنة الليدي تاندا أحيانًا».

- «ماذا عنه؟».

أرادَ أن يقول: اقتُله، لكن الرَّجل لم يفعل أكثر من ترديد بعض الأغاني... وملء رأس شاي الجميل بخيالات الحمائم والدِّببة الرَّاقصة. بدلًا من هذا قال: «اعثُر عليه، اعثُر عليه قبل أن يسبقك أحد آخَر إليه».





آريا

سمعَت الغناء وهي تنبش الأرض بحثًا عن الخضراوات في حديقة رجلٍ ميت.

تجمَّدت آريا في مكانها بصلابة الحجر وأرهفَت السَّمع، وقد نسيَت الجَزرات الثَّلاث الهزيلة في يدها فجأةً. خطرَ ببالها الممثِّلون السَّفَّاحون ورجال رووس بولتون، وقالت لنفسها شاعرةً بقشعريرة الخوف تسري على عمودها الفقري: ليس هذا عدلًا، ليس عندما عثرنا على (الثَّالوث) أخيرًا، ليس ونحن نحسب أننا شارَفنا على برِّ الأمان.

لكن لماذا يُغنِّي الممثِّلون؟

كانت الأغنيَّة تنساب من جهة منبع النَّهر، من مكانٍ ما وراء المرتفَع الصَّغير شرقًا.

- «إلى (بلدة النَّوارس) سأذهبُ لأرى فتاتي رائعة الجَمال، هاي هو، هاي هو».

نهضَت آريا والجَزر في يدها، وقد بدا لها أن المغنِّي قادم على طريق النَّهر، وأدركَت من النَّظرة على وجه هوتِ پاي وهو واقف وسط ثمار الكرنب أنه سمعَه أيضًا، أمَّا جندري فكان قد خلدَ إلى النَّوم في ظِلِّ الكوخ المحترق ولا يُمكنه أن يسمع شيئًا.

- «وأسرقُ منها قُبلةً بنصل سيفي، هاي هو، هاي هو».

خُيِّلَ إليها أنها تسمع أنغام قيثارةٍ خشبيَّة أيضًا، يطغى عليها خرير النَّهر النَّاعم.

بصوتٍ مبحوح قال هوت پاي وهو يحتضن الكرنب بين ذراعيه: «هل تسمعين؟».

قالت له: «اذهب وأيقِظ جندري. هُزَّه من كتفه ولا تُحدِث جلبةً». من السَّهل أن توقِظ جندري، على عكس هوت پاي الذي ينبغي أن تزعق فيه وتَركُله حتى يصحو.

- «سأجعلها حبيبتي ونستريح بين الظِّلال، هاي هو، هاي هو».

أخذَ صوت الأغنيَّة يعلو مع كلِّ كلمة، وفتحَ هوت پاي ذراعيه ليَسقُط الكرنب أرضًا بصوتٍ مكتوم، وقال: «يجب أن نختبئ!».

أين؟ كان الكوخ المحروق وحديقته المتخَمة بالنَّباتات يُطِلَّان على ضفاف (الثَّالوث) مباشرةً، وثمَّة أشجار صَفصاف قليلة نامية على حافة النَّهر، ووراءها ترتفع أحراج القصب من المياه الضَّحلة الموحلة، لكن معظم الأرض في الجوار مفتوح مكشوف تمامًا. ما كان يجب أن نَخرُج من الغابة، كنتُ أعرفُ. لكنهم كانوا يتضوَّرون جوعًا، ووجدوا إغراء الحديقة أقوى من مقاومتهم، خصوصًا أن الخُبز والجُبنة اللذين سرقوهما من (هارنهال) نفدا تمامًا قبل ستَّة أيام وهُم في أعماق الغابة. قالت وقد حزمَت أمرها: «خُذ جندري والخيول وراء الكوخ». ما زال جزء من جِدارٍ واحدٍ قائمًا، وربما يكون كبيرًا بما فيه الكفاية لمواراة ثلاثة خيولٍ وصبيَّين... إذا لم تصهل الخيول وإذا لم يأتِ ذلك المغنِّي للتَّفتيش في الحديقة.

- «وماذا عنكِ؟».

- «سأختبئُ عند الشَّجرة. إنه بمفرده غالبًا، وإذا أزعجَني سأقتله. اذهب!».

وذهبَ هوت پاي، على حين سحبَت آريا السَّيف المسروق من فوق كتفها. كانت قد ثبَّتت الغمد بشكلٍ مائلٍ على ظَهرها، فهذا السَّيف الطَّويل مصنوع لرجلٍ بالغ، ويظلُّ يرتطم بالأرض إذا وضعَته على وَركها. كما أنه ثقيل للغاية، فكَّرت مفتقدةً إبرتها مِثلما تَشعُر كلما استلَّت هذا الشَّيء المرهِق، لكنه سيف ويُمكنها أن تَقتُل به، وهذا يكفي.

بخفَّةٍ تحرَّكت إلى الصَّفصافة العجوز الكبيرة التي ترتفع إلى جوار انحناءة الطَّريق، حيث جثَت على رُكبةٍ واحدة في العُشب والوحل وراء حجابٍ من

الأغصان المتدلِّية إلى الأرض، وصلَّت فيما اقتربَ صوت المغنِّي أكثر: أيتها الآلهة القديمة، يا آلهة الأشجار، أخفيني عنه واجعليه يمرُّ دون أن يراني.

وفي اللَّحظة التَّالية ارتفعَ صهيل حصان وبترَ الرَّجل أغنيَّته، فأدركَت أنه سمعَ، لكنها فكَّرت: لعلَّه وحده، وإذا كان معه آخَرون فربما يخافوننا كما نخافهم.

قال صوت رجل: «هل سمعت هذا؟ يبدو أن هناك شيئًا وراء ذلك الجدار».

أجابَ صوت ثانٍ أعمق: «ما مصدره في رأيك أيها القوَّاس؟».

قالت آريا لنفسها وهي تَعَضُّ شفتها: اثنان إذن. لم يكن بإمكانها رؤيتهما حيث ركعَت بسبب الشَّجرة، لكنها سمعَتهما بوضوح.

- «دُب»، رَدَّ صوت ثالث، أم أنه الأول؟

قال الصَّوت العميق: «الدِّببة لحمها كثير، وشحمها أيضًا في الخريف[1]. مذاقها طيِّب إذا طُهِيَت كما ينبغي».

- «قد يكون ذئبًا أو أسدًا».

- «بقدمين أم أربع؟».

- «لا فرق، أليس كذلك؟».

- «ليس على حَدِّ علمي. ماذا ستفعل بكلِّ هذه السِّهام أيها القوَّاس؟».

- «سأطلقُ بعضها وراء الجِدار، وسرعان ما سيظهر المتواري هناك أيًّا كان. شاهِد وسترى».

- «لكن ماذا لو كان رجلًا أمينًا؟ أو امرأةً مسكينةً ووليدها؟».

- «إذا كان رجلًا أمينًا فسيَخرُج ويُرينا وجهه. الخارجون عن القانون فقط يتسلَّلون ويتوارون».

- «أجل، هذا صحيح. فلتُطلِق سهامك إذن».

هَبَّت آريا واقفةً من فورها، وصاحَت: «لا!». رأت أنهم ثلاثة. ثلاثة فقط. كان سيريو يستطيع أن يُقاتِل أكثر من ثلاثة، وهي معها هوت پاي وجندري، فربما يُسانِداها. لكنهما صبيَّان، وهؤلاء رجال.

---

(1) قبل نهاية الصَّيف مباشرةً تبدأ الدِّببة في اختزان الدُّهون في أجسامها كي تزداد في الحجم والثِّقل، استعدادًا للحياة على هذه الدُّهون في أثناء بياتها الشِّتوي. (المترجم).

كانوا على أقدامهم، لوَّث السَّفر ثيابهم ولطَّخت الأوحال أحذيتهم. تعرَّفت المغنِّي عن طريق القيثارة الخشبيَّة التي يضمُّها إلى سُترته الجلديَّة كما تضمُّ الأم رضيعها، ووجدَته رجلًا صغير الحجم يوحي منظره بأنه في الخمسين من العُمر، له فم كبير وأنف حاد وشَعر بنِّي بدأ ينحسر عن رأسه، ويرتدي ثيابًا خضراء مرتوقة هنا وهناك برُقع من الجلد القديم، ويُعلِّق على وَركه زوجين من سكاكين الرِّماية، وعلى ظَهره بلطة لقطع الأشجار.

الرَّجل الواقف إلى جواره يفوقه طولًا بقدم كامل وله سيماء الجنود، ومن الحزام المطعَّم بالحديد الذي يتمنطَق به يتدلَّى سيف طويل وخنجر، بينما خيطَت صفوف من الحلقات الفولاذيَّة المتداخلة على قميصه، وغطَّى رأسه بخوذةٍ حديد قصيرة ذات شكلٍ مخروطي، أسنانه نخرة ولحيته بنِّيَّة كثَّة، أمَّا ما يلفت الأنظار فهو معطفه الأصفر ذو القلنسوة، معطف سميك ثقيل مبقَّع هنا بالعُشب وهناك بالدَّم، مهترئ من أسفل ومرقَّع بجِلد الغزلان على الكتف اليُمنى، ويجعل الرَّجل الكبير يبدو كأنه طائر أصفر ضخم.

ثالث الثَّلاثة شاب رفيع كقوسه الطَّويل، مع أنه لا يُناهِزه طولًا، شَعره أحمر ووجهه منمَّش، ويرتدي دِرعًا مطعَّمةً بالحديد وحذاءً عالي الرَّقبة وقُفَّازين من الجِلد بلا أصابع، وعلى ظَهره كنانة فيها سهام مزوَّدة بريش الإوز الرَّمادي، وستَّة من هذه السِّهام كانت مغروسةً في الأرض أمامه الآن كأنما تصنع سياجًا صغيرًا.

رمقَها الرِّجال الثَّلاثة وهي واقفة على الطَّريق وسيفها في يدها، ثم نقرَ المغنِّي وترًا في قيثارته بفتور وقال: «ضَع هذا السَّيف يا ولد ما لم تكن تُريد أن تُجرَح. إنه كبير عليك للغاية، كما أن آنجاي يُمكنه أن يغرس ثلاثة سهام فيك قبل أن تَبلُغنا».

قالت آريا: «لن يستطيع، وأنا فتاة!».

انحنى المغنِّي قائلًا: «أنتِ فتاة. تقبَّلي اعتذاري».

- «واصِلوا طريقكم، اذهبوا من هنا وتابِعوا الغناء كي نعرف مكانكم، ارحلوا واترُكونا ولن أقتلكم».

ضحكَ القوَّاس ذو النَّمش، وقال: «هل سمعت يا ليم؟ لن تَقتُلنا».

رَدَّ ليم، الجُندي الكبير صاحِب الصَّوت العميق: «سمعتُ».

قال المغنِّي: «أيتها الصَّغيرة، تخلَّي عن هذا السَّيف وسنأخذكِ إلى مكانٍ آمِن ونضع القليل من الطَّعام في بطنكِ. ثمَّة ذئاب في هذه الأنحاء، وأسود، وأشياء أسوأ. إنه ليس بالمكان الذي تتجوَّل فيه فتاة صغيرة وحدها».

- «ليست وحدها»، قال جندري وهو يَخرُج على حصانه من وراء جدار الكوخ، ووراءه هوت پاي يقود حصانها. في قميص الحلقات المعدنيَّة الذي يرتديه، وبالسَّيف الذي يحمله، كادَ جندري يبدو كرجلٍ بالغ، أمَّا هوت پاي فبدا كهوت پاي. «افعلوا كما قالت واترُكونا وشأننا».

قال المغنِّي: «اثنان وثلاثة. أهذا كلُّ شيء؟ وخيول كذلك، خيول جميلة. من أين سرقتموها؟».

ردَّت آريا وهي تُراقِبهم بحذر: «إنها خيولنا». تبيَّنت أن المغنِّي يُشتِّت انتباهها بكلامه، لكن القوَّاس هو الخطر الحقيقي. إذا سحبَ سهمًا من الأرض...

سألَ المغنِّي الصَّبيَّين: «هلَّا أخبرتمونا بأسمائكم على الأقل؟».

أجابَ هوت پاي من فوره: «أنا هوت پاي».

قال الرَّجل مبتسمًا: «نعم، وخيرٌ لك. المرء لا يلتقي أحدًا له اسم لذيذ كالفطير السَّاخن كلَّ يوم. وبِمَ يُدعى صديقاك؟ ريشة الضَّأن والكتكوت؟».

حدجَه جندري بعبوسٍ من فوق سَرجه قائلًا: «ولِمَ أُخبِركم باسمي وأنا لا أعرفُ أسماءكم؟».

- «حسنٌ، أنا توم ابن بلدة (الجداول السَّبعة)، لكنهم يُلَقِّبونني بتوم سبعة أوتار، أو بتوم أبي السَّبعات. هذا الجلف الكبير ذو الأسنان البنِّيَّة هو ليم، اختصارًا لليم ذي المعطف اللَّيموني، فمعطفه أصفر كما ترون، وليم لاذع اللِّسان حقًّا. وهذا الرَّفيق الشَّاب اسمه آنجاي، أو القوَّاس كما نحبُّ أن ندعوه».

سألَ ليم بالصَّوت العميق الذي سمعَته آريا من بين أغصان الصَّفصافة: «والآن مَن أنتما؟».

لم تكن تنوي الإفصاح عن اسمها الحقيقي بهذه البساطة، فقالت: «الكتكوت إذا أردت، لستُ أبالي».

ضاحكًا قال الرَّجل الكبير: «كتكوت يحمل سيفًا، شيء لا يراه المرء كثيرًا».

قال جندري حاذيًا حذو آريا: «أنا الثَّور»، ولم تستطِع أن تَلُمه على تفضيل الثَّور على اسم كريشة الضَّأن.

داعبَ توم أوتار قيثارته قائلًا: «هوت پاي والكتكوت والثَّور. هل هربتم من مطابخ اللورد بولتون؟».

سألَته آريا بتوتُّر: «كيف عرفت؟».

- «إنكِ تضعين رمزه على صدركِ أيتها الصَّغيرة».

كانت قد نسيَت هذا لحظةً، لكنها لا تزال ترتدي تحت معطفها سُترة الخدم الأنيقة، وعلى صدرها رجل (معقل الخوف) المسلوخ. «لا تُنادِني بالصَّغيرة!».

قال ليم: «ولِمَ لا؟ أنتِ صغيرة بالفعل».

- «إنني أكبر مما كنتُ، ولستُ طفلةً!». الأطفال لا يَقتُلون، وهي قتلَت.

- «أرى هذا أيتها الكتكوت. لا أحد منكم طفل ما دمتم من أتباع بولتون».

قال هوت پاي الذي لا يعرف متى ينبغي أن يَصمُت أبدًا: «لم نكن كذلك قَطُّ، بل كنا في (هارنهال) قبل أن يأتي لا أكثر».

قال توم: «أنتم من أشبال الأسد إذن، أليس كذلك؟».

- «ولا هذا أيضًا. إننا لا نتبع أحدًا، فمن تتبعون أنتم؟».

أجابَ آنجاي القوَّاس: «نحن رجال الملك».

قالت آريا بجبينٍ مقطَّب: «أي ملك؟».

أجابَها ليم ذو المعطف الأصفر: «الملك روبرت».

ساخرًا قال جندري: «ذلك السِّكِّير؟ لقد ماتَ، قتلَه خنزير برِّي، الكلُّ يعلم هذا».

قال توم سبعة أوتار: «نعم يا فتى، للأسف»، وداعبَ قيثارته بنغمةٍ حزينة.

لم تحسب آريا أنهم من رجال الملك على الإطلاق. إنهم يبدون كالخارجين عن القانون بهذه الثِّياب البالية المهترئة، ثم إنهم لا يمتطون خيولًا، ورجال الملك لا بُدَّ أن يمتطوا الخيول.

لكن هوت پاي اندفعَ يقول بحماسة: «إننا نبحث عن (ريڤرَن). هل تعلمون كم يومًا تَبعُد؟».

أرادَت آريا أن تَقتُله لحظتها، وقالت له معنِّفةً: «اخرس وإلَّا حشوتُ فمك الأحمق الكبير بالصُّخور!».

قال توم: «بينكم وبين (ريڤررَن) طريق طويل في اتِّجاه منبع النَّهر، طريق طويل سيُصيبكم بالجوع. ربما ترغبون في وجبةٍ ساخنة قبل أن تتحرَّكوا. ثمَّة خان ليس بعيدًا عن هنا، يتولَّى أمره أصدقاء لنا. يُمكننا أن نتقاسَم القليل من المِزر والخُبز بدلًا من أن نتشاجَر».

- «خان؟». جعلَت فكرة الطَّعام السَّاخن بطن آريا يُقَرقِر، لكنها لا تثق بتوم هذا، فليس كلُّ من يُخاطِبك بوُدٍّ صديقك. «تقول إنه قريب؟».

- «على بُعد ميلين في اتِّجاه المنبع، فرسخ على الأكثر».

لاحَت على وجه جندري الرِّيبة التي تَشعُر بها وهو يسأل بحذر: «ماذا تعني بالأصدقاء؟».

- «أصدقاء. هل نسيت معنى الأصدقاء؟».

قال توم: «صاحِبة الخان اسمها شارنا. أي نعم هي لاذعة اللِّسان وحادَّة النَّظرات، لكنها طيِّبة القلب ومغرمة بالفتيات الصَّغيرات».

ردَّت غاضبةً: «لستُ فتاةً صغيرةً! مَن هناك غيرها؟ قلت إنهم أصدقاء لا صديقة واحدة».

- «زوج شارنا وصبيٌّ أخذاه يُقيم معهما. لن يُؤذوكم، وثمَّة مِزر إذا كنتم كبارًا بما يكفي للشُّرب، وخُبز طازج وربما القليل من اللَّحم»، وألقى توم نظرةً نحو الكوخ مكملًا: «بالإضافة إلى ما سرقتموه من حديقة پايت العجوز».

قالت آريا: «لم نسرق شيئًا».

- «هل أنتِ ابنة پايت العجوز إذن؟ أو أخته؟ أو زوجته؟ لا تكذبي عليَّ أيتها الكتكوت، فقد دفنتُ الرَّجل بنفسي، هناك تحت هذه الشَّجرة التي كنتِ تختبئين وراءها، كما أنكِ لا تُشبهينه»، وعزفَ نغمةً حزينةً على القيثارة متابعًا: «دفنَّا كثيرًا من الرِّجال الصَّالحين خلال العام الماضي، لكن لا رغبة لدينا في دفنكم، أقسمُ بقيثارتي. أرِها أيها القوَّاس».

تحرَّكت يد القوَّاس بسُرعةٍ لم تُصدِّقها آريا. مرقَ السَّهم مهسهسًا إلى جوار رأسها على بُعد بوصةٍ واحدةٍ من أُذنها، وانغرسَ في جذع الصَّفصافة وراءها، وعندئذٍ كان القوَّاس قد ثبَّت سهمًا ثانيًا في وتره وسحبَه. كانت تحسب أنها

تفهم ما عناه سيريو بقوله «بسُرعة الثُّعبان، بنعومة الحرير الصَّيفي»، إلَّا أنها أدركَت الآن مدى جهلها وقد أخذَ السَّهم يهتزُّ وراءها مصدرًا طنينًا كالنَّحل.

قالت: «أخطأت التَّصويب».

رَدَّ آنجاي: «حمقاء إذا كنتِ تحسبين هذا. السِّهام تذهب حيثما أُرسِلها».

أمَّن ليم ذو المعطف اللَّيموني على كلامه بقوله: «بكلِّ تأكيد».

كانت دستة من الخُطوات تفصل بين القوَّاس ورأس سيفها. أدركَت آريا أن لا فُرصة لديهم وهي تتمنَّى لو أنها تملك قوسًا كهذا وتتمتَّع بمهارة استخدامه، فخفضَت سيفها الطَّويل الثَّقيل ببُطءٍ متجهِّم إلى أن مَسَّ رأسه الأرض، وقالت مذعنةً وإن حاولَت إخفاء الشُّكوك في قلبها وراء الكلمات الجريئة: «سنأتي لنرى ذلك الخان، لكنكم ستمشون أمامنا ونركب خلفكم لنرى ما تفعلونه».

انحنى توم سبعة أوتار بشدَّةٍ قائلًا: «أمامكم، خلفكم، لا فرق. هيا بنا، لنُرِهم الطَّريق. آنجاي، التقط هذه السِّهام، فلن نحتاج إليها هنا».

أغمدَت آريا سيفها وعبرَت الطَّريق إلى حيث صديقيها على حصانيهما محافظةً على مسافةٍ بينها وبين الأغراب الثَّلاثة، وقالت وهي تثب على سَرجها: «هوت پاي، خُذ الكرنب والجزر».

لم يُجادِلها هذه المرَّة، وتحرَّكوا كما أرادَت، راكبين أحصنتهم بتؤدةٍ على الطَّريق المحفَّر، ويسبقهم الثَّلاثة السَّائرون بنحو دستة خُطوات، لكن لم يمضِ وقت طويل قبل أن يجدوا أنفسهم وراءهم مباشرةً بشكلٍ ما. مشى توم أبو السَّبعات بتأنٍّ ضاربًا أوتار قيثارته الخشبيَّة، وسألَهم: «هل تعرفون أيَّ أغانٍ؟ كم أحبُّ أن أغنِّي مع أحدٍ حقًّا. ليم صوته ناشز، وصبيُّنا القوَّاس لا يعرف إلَّا أغاني أهل (التُّخوم)، وكلٌّ منها طوله مئة بيت».

قال آنجاي بكياسة: «في (تخوم دورن) نُغَنِّي الأغاني الحقيقيَّة».

ردَّت آريا: «الغناء حماقة، مصدر ضوضاء. لقد سمعناكم من مسافةٍ طويلة، وكان يُمكن أن نَقتُلكم».

باحَت ابتسامة توم بأنه يُخالِفها الرَّأي، وقال: «ثمَّة أشياء أسوأ من الموت وعلى شفتيكِ أغنيَّة».

قال ليم بتبرُّم: «لو أن هناك ذئابًا في هذه الأنحاء لعرفنا، أو أسودًا. هذه غاباتنا».

قال جندري: «لكنكم لم تعرفوا أننا موجودون».

أجابَه توم: «لا تكن واثقًا لهذه الدَّرجة يا فتى. أحيانًا يعرف المرء أكثر مما يقوله».

اعتدلَ هوت پاي فوق سَرجه قائلًا: «أعرفُ أغنيَّة الدُّب، جزءًا منها على الأقل».

جرَت أصابع توم على الأوتار، وقال: «لنسمعها إذن يا صبيَّ الفطائر»، ورفعَ رأسه وعقيرته منشدًا: «كان هناك دُب، دُب، دُب! كلُّه أسود وبنِّي ومغطَّى بالشَّعر...».

انضمَّ إليه هوت پاي بشوق، بل وراحَ يتمايَل فوق حصانه مع الإيقاع بعض الشَّيء، وحدَّقت آريا إليه مندهشةً من صوته الجميل وغنائه السَّليم، وفكَّرت: لم أكن أعرف أنه يُجيد شيئًا إلَّا الخبز.

بَعد مسافة قصيرة كان غدير صغير يصبُّ في (الثَّالوث)، وبينما عبروه دفعَ الغناء بطَّةً إلى الخروج من بين أعواد القصب، فتوقَّف آنجاي في مكانه وخلعَ قوسه وثبَّت فيه سهمًا، وأسقطَها في المياه الموحلة على مسافةٍ ليست بالبعيدة عن الضِّفَّة، ثم خلعَ ليم معطفه الأصفر وخاضَ في الماء الذي بلغَ رُكبتيه ليأخذ الطَّائر مدمدمًا بعبارات الشَّكوى.

سألَ توم آنجاي وهما يُشاهِدان ليم يسبُّ ويلعن: «هل تعتقد أن شارنا لديها ليمون في القبو؟»، وأضافَ بتوق: «ذات مرَّةٍ طهَت لي فتاة دورنيَّة بطَّةً باللَّيمون».

واصلَ توم وهوت پاي أغنيَّتهما على الجانب الآخَر من الغدير، وقد تدلَّت البطَّة من حزام ليم تحت معطفه الأصفر. بشكلٍ ما جعلَ الغناء المسافة تبدو أقصر من ميليْن، وسرعان ما لاحَ الخان أمامهمٍ، يرتفع على ضفَّة النَّهر حيث ينحني انحناءةً كبيرةً إلى الشَّمال. زَرَّت آريا عينيها رامقةً إياه بارتياب، وإن اضطرَّت لأن تعترف لنفسها بأن المكان لا يبدو كوكرٍ للخارجين عن القانون على الإطلاق، بل يبدو عائليًّا أنيسًا بطابقه العُلويِّ المطلي بالجير الأبيض وسقفه المكسو بألواح الأردواز والدُّخان الذي يتصاعد متكاسلًا

من المدخنة. رأت اسطبلًا وعددًا من المباني الخارجية الأخرى تُحيط به، وكرمة عنب في المؤخِّرة، بالإضافة إلى أشجار التُّفَّاح وحديقةٍ صغيرة، كما أن المبنى له مرساه الخاص الذي يشقُّ مياه النَّهر و...

نادَت بصوتٍ واطئٍ مُلح: «جندري، إن لديهم قاربًا. يُمكننا أن نُبحِر بقيَّة الطَّريق إلى (ريفررَن)، سيكون هذا أسرع من ركوب الخيل على ما أظنُّ».

بدا مرتابًا وهو يسألها: «هل سبقَ لكِ الإبحار بقارب؟».

- «سنرفع الشِّراع وتدفعه الرِّيح».

- «وماذا لو كانت الرِّيح تهبُّ في الاتِّجاه الآخَر؟».

- «سنُجذِّف إذن».

قال جندري عاقدًا حاجبيه: «ضد التَّيار؟ ألن يجعل هذا الحركة بطيئةً؟ وماذا لو انقلبَ القارب وسقطنا في الماء؟ إنه ليس قاربنا على كلٍّ حال، بل قارب الخان».

فكَّرت: يُمكننا أن نأخذه، لكنها مضغَت شفتها ولم تقلِ شيئًا. ترجَّلوا أمام الاسطبل، ومع أنهم لم يروا خيولًا أخرى، إلَّا أن آريا لاحظَت روثًا حديثًا في كثيرٍ من المرابط، فقالت بحذر: «على أحدنا أن يَحرُس الخيول».

سمعَها توم وقال: «لا داعي لهذا أيتها الكتكوت. تعالوا وكُلوا. الخيول ستظلُّ آمنةً».

قال لها جندري متجاهلًا المغنِّي: «سأبقى. لتأتي وتُناديني بعدما تأكلين».

أومأت برأسها وتحرَّكت وراء هوت پاي وتوم. كان سيفها لا يزال في غِمده على ظَهرها، وأبقَت يدها قريبةً من مقبض الخنجر الذي سرقَته من رووس بولتون، تحسُّبًا لأن تجد في الدَّاخل ما لا يروقها.

على اللَّافتة الملوَّنة فوق الباب كانت صورة لملكٍ قديم راكع على رُكبتيه، وفي الدَّاخل كانت القاعة العامَّة، حيث وقفَت امرأة قبيحة طويلة القامة للغاية وذات ذقنٍ مليء بالأكياس الدُّهنيَّة واضعةً يديها على وَركيها، تُحملِق إليهم وتقول بحدَّة: «لا تقف مكانك هكذا يا ولد، أم أنكِ فتاة؟ إنكِ تسدِّين بابي في الحالتين، فادخُلي أو اخرُجي. ليم، ماذا قلتُ لكَ عن أرضيَّتي؟ حذاؤك ملوَّث بالوحل».

- «اصطدنا بطَّةً»، رَدَّ ليم رافعًا إياها كراية سلام.

اختطفَت المرأة الطَّائر من يده قائلةً: «تعني أن آنجاي اصطاد بطَّةً. اخلع حذاءك. أأنت أطرش أم غبي فقط؟»، والتفتَت عنه زاعقةً: «يا زوجي! اصعد، لقد عاد الأولاد! يا زوجي!».

جاءَ من على سلالم القبو رجل يرتدي إزارًا متَّسخًا. كان أقصر قامةً من المرأة، ووجهه الممتلئ ذو بشرةٍ متهدِّلةٍ مصفرَّة لا تزال عليها آثار مرض جِلدي ما. قال متذمِّرًا: «أنا هنا يا امرأة. كفى زعيقًا. ما الأمر؟».

قالت مناولةً إياه البطَّة: «علِّق هذه».

حرَّك آنجاي قدميه متململًا، وقال: «كنا نُفَكِّر في أكلها يا شارنا، مع اللَّيمون إذا كان لديكِ بعضه».

- «ليمون؟ ومن أين لي باللَّيمون؟ هل تحسب أننا في (دورن) أيها الأبله المنمَّش؟ هلمَّ، تسلَّق شجرة اللَّيمون واقتطِف لنا بضع ثمار، ولا تنسَ الزَّيتون والرُّمَّان أيضًا»، ولوَّحت المرأة بإصبعها في وجهه مضيفةً: «يُمكنني أن أطهوها بمعطف ليم إذا أردت، لكن ليس قبل أن تبقى معلَّقةً عدَّة أيام. ستأكلون الأرانب أو لن تأكلوا شيئًا. الأرانب المشويَّة على الأسياخ أسرع إذا كنتم جائعين، أو ربما تُحِبُّونها في يخنة مع الجزر والبصل».

قالت آريا وهي تكاد تحسُّ بمذاق الأرانب على لسانها بالفعل: «لا نملك نقودًا، لكن معنا بعض الجَزر والكرنب يُمكننا أن نُقايضكِ به».

- «حقًّا؟ وأين هو؟».

- «هوت پاي، أعطِها الكرنب»، قالت آريا، فأطاعها الصَّبي، وإن اقتربَ من المرأة بحذرٍ شديد كأنها رورج أو العضَّاض أو ڤارجو هوت.

فحصَت المرأة الخضراوات بإمعان، والصَّبي بإمعانٍ أكثر، وتساءلَت: «أين هذا الذي يُسَمِّي نفسه كالمخبوزات؟».

- «هنا، أنا، إنه اسمي، وهي... آه... اسمها الكتكوت».

- «ليس تحت سقفي. إنني أُطلقُ على ضيوفي وأطعمتي أسماء مختلفةً كي أميِّز بينهم. يا زوجي!».

كان الزَّوج قد خرجَ، لكنه عادَ مسرعًا إلى الدَّاخل إثر ندائها، وقال: «علَّقتُ البطَّة. ما الأمر الآن يا امرأة؟».

قالت آمرةً: «اغسل هذه الخضراوات. ليجلس بقيَّتكم بينما أجهِّزُ الأرانب،

وسيجلب لكم الصَّبي الشَّراب»، ورمقَت آريا وهوت پاي من فوق أنفها الطَّويل مردفةً: «ليس من عادتي أن أقدِّم المِزر للأطفال، لكن عصير التُّفَّاح نفدَ، وليست هناك بقرة نحلبها، ومياه النَّهر مذاقها كالحرب مع كلِّ الجُثث الطَّافية فيها. إذا قدَّمتُ لكما حَساءً مليئًا بالذُّباب الميت، فهل تشرباه؟».

أجابَ هوت پاي: «آري ستشربه... أقصدُ الكتكوت».

أضافَ آنجاي ببسمةٍ خبيثة: «وليم أيضًا».

قالت شارنا: «لا تكترث لليم، سنقدِّم المِزر للجميع»، وأسرعَت متَّجهةً إلى المطبخ.

جلسَ آنجاي وتوم سبعة أوتار إلى المائدة المجاورة للمستوقَد، فيما علَّق ليم معطفه الأصفر الكبير على مشجب، وألقى هوت پاي جسده على دِكَّة المائدة الأقرب إلى الباب، ودَسَّت آريا نفسها إلى جواره.

خلعَ توم القيثارة وبدأ يُغَنِّي باحثًا ببُطءٍ عن لحنٍ يتماشى مع الكلمات: «على طريق الغابة خان وحيد، وزوجة صاحِبه قبيحةٌ كالعُلجوم...».

قال ليم محذِّرًا: «اخرس وإلَّا لن نأكل تلك الأرانب. أنت تعرفها».

مالَت آريا على هوت پاي وسألَته: «هل تستطيع الإبحار بقارب؟»، لكن قبل أن يُجيب ظهرَ صبي غليظ البنية في الخامسة عشرة أو السَّادسة عشرة من العُمر حاملًا دوارق المِزر، فالتقطَ هوت پاي واحدًا باشتياقٍ بكلتا يديه، ولمَّا رشفَ منه رأت آريا فمه يتَّسع بابتسامةٍ لم ترَ مثيلتها على وجهه من قبل، وسمعَته يهمس: «مِزر وأرانب!».

صاحَ آنجاي القوَّاس بمرحٍ رافعًا نخبًا: «في صحَّة جلالته، عسى أن يحمي (السَّبعة) الملك!».

تمتمَ ليم: «أو دستة الملوك الذين في البلاد»، وشربَ ومسحَ الرَّغوة عن فمه بظَهر كَفِّه.

اندفعَ الزَّوج من الباب الأمامي وقد ملأ إزاره بالخضراوات المغسولة، وأعلنَ كأنهم يجهلون هذا: «هناك خيول غريبة في الاسطبل».

رَدَّ توم منحِّيًا القيثارة الخشبيَّة جانبًا: «نعم، وخيول أفضل من الثَّلاثة التي تخلَّيت عنها».

أسقطَ الزَّوج الخضراوات على مائدةٍ بضيق، وقال: «لم أتخلَّ عنها، بل

بعتها بثَمنٍ مناسب، وحصلتُ على قاربٍ أيضًا، وعلى كلِّ حالٍ كان المفترَض أن تعودوا بها».

مصغيةً قالت آريا لنفسها: كنتُ أعرفُ أنهم خارجون عن القانون، ومدَّت يدها تحت المائدة تتحسَّس مقبض خنجرها كأنما تتأكَّد من أنه لا يزال في مكانه. إذا حاولوا سرقتنا سيأسفون.

قال ليم: «لم يَمُرُّوا من طريقنا».

- «لكني أرسلتهم، فلا بُدَّ أنكم كنتم سكارى أو نيامًا».

قال توم: «نحن؟ سكارى؟»، وشربَ جرعةً طويلةً من المِزر قبل أن يُتابع: «مستحيل».

خاطبَ ليم الزَّوج قائلًا: «كان يُمكن أن تأخذوها بأنفسكم».

- «أنا والفتى فقط؟ قلتُ لكم مرَّتين إن الزَّوجة كانت قد ذهبَت إلى (سهل الحِملان) لتُوَلِّد تلك الفتاة فِرن، وغالبًا واحد منكم هو من زرعَ النَّغل في بطن المسكينة»، ورمقَ توم بنظرةٍ حادَّة مواصلًا: «أراهنُ أنه أنت، بقيثارتك هذه، تُرَدِّد الأغاني الحزينة لتجعل فِرن المسكينة تخلع ثيابها الدَّاخليَّة».

قال توم: «إذا جعلت أغنيَّةٌ فتاةً تخلع ثيابها لتَشعُر بقُبلة الشَّمس الدَّافئة على جِلدها، فهل هذه غلطة المغنِّي؟ كما أنها كانت تشتهي آنجاي، وسمعتها تسأله: هل يُمكنني أن ألمس قوسك؟ أووه، إنه أملس وشديد للغاية. هل يُمكنني أن أسحبه؟».

أطلقَ الزَّوج نخير سخرية، وقال: «أنت وآنجاي سيَّان. إنكم ملومون مِثلي تمامًا على خسارة تلك الخيول. لقد كانوا ثلاثةً، فماذا يفعل رجل واحد ضد ثلاثة؟».

قال ليم متهكِّمًا: «ثلاثة، منهم امرأة ورجل مكبَّل بالحديد كما قلت بنفسك».

انقلبَت سحنة الزَّوج وهو يردُّ: «امرأة كبيرة ترتدي ثياب الرِّجال، والمكبَّل... لم تَرُقني نظرات عينيه».

ابتسمَ آنجاي رافعًا دورق المِزر: «عندما لا تروقني نظرات أحد أغرسُ سهمًا في عينه».

تذكَّرت آريا السَّهم الذي شَقَّ الهواء إلى جوار أُذنها مباشرةً، وتمنَّت لو أنها تُجيد الرِّماية.

لم يبدُ التَّأثُّر على الزَّوج، وقال: «اصمُت عندما يتكلَّم من هُم أكبر منك. اشرب مِزرك واحفظ لسانك، وإلَّا جعلتُ الزَّوجة تضربك بالملعقة الكبيرة».

- «من هُم أكبر مني يتكلَّمون أكثر من اللَّازم، ولا أحتاجُ لأن تُخبِرني أن أشرب مِزري»، وأخذَ جرعةً كبيرةً ليُريه ما يعنيه.

فعلَت آريا مِثله. بَعد أيام الشُّرب من الجداول والبرك ثم مياه (الثَّالوث) الموحلة، كان مذاق المِزر حُلوًا كرشفات النَّبيذ الصَّغيرة التي كان أبوها يسمح لها بها، ومن المطبخ أتَت رائحة سيَّلت لُعابها، لكن القارب ظَلَّ مسيطرًا على أفكارها. الإبحار به سيكون أصعب من سرقته. إذا انتظرنا حتى يناموا...

رجعَ الصَّبي بأرغفةٍ كبيرةٍ من الخُبز المستدير، فمزَّقت آريا قطعةً بجوعٍ والتهمَتها كالمساعير، على الرغم من كون الخُبز جامدًا وسميكًا ومتكتِّلًا إلى حَدٍّ ما، ومحروق القاعدة كذلك.

أبدى هوت پاي امتعاضه بمجرَّد أن تذوَّقه، وقال: «هذا الخُبز سيِّئ، محروق وجامد أيضًا».

قال ليم: «سيكون أفضل حين تغمسه في اليخنة».

علَّق آنجاي: «ليس أفضل، لكنه لن يكسر أسنانك».

قال الزَّوج: «كُلوه أو جوعوا. هل أبدو كخبَّاز؟ أودُّ أن أراك تصنع خُبزًا أفضل».

قال هوت پاي: «أنا أستطيعُ. الأمر سهل. لقد عجنته أكثر من اللَّازم، ولهذا مضغه صعب»، وأخذَ رشفةً أخرى من المِزر وبدأ يتكلَّم بهيام عن الخُبز والفطير والكعك، الأشياء التي يُحِبُّها، بينما أعربَت عينا آريا عن استهجانها.

جلسَ توم قبالتها قائلًا: «أيتها الكتكوت، أو آري، أو أيًّا كان اسمكِ، هذه من أجلكِ»، ووضعَ قطعةً متَّسخةً من ورق الرَّقوق على المائدة بينهما.

رمقَتها بشَكٍّ متسائلةً: «ما هذا؟».

- «ثلاثة تنانين ذهبيَّة. نُريد أن نشتري خيولكم».

نظرَت إليه قائلةً ببُطء: «إنها خيولنا».

- «تعنين أنكم سرقتموها بأنفسكم، أليس كذلك؟ لا عار في هذا يا فتاة،

فالحرب تصنع لصوصًا من شُرفاءٍ كُثر»، ونقرَ على الرَّق المطوي بأصابعه متابعًا: «سأدفعُ سعرًا ممتازًا، أعلى مما يستحقُّ أيُّ حصان في الواقع».

أمسكَ هوت باي الرَّق وبسطَه، ثم صاحَ بتذمُّر: «لا يوجد ذهب، إنها مجرَّد كتابة».

قال توم: «نعم، وأنا آسفٌ لهذا، لكننا ننوي أن نُسَدِّد هذا الدَّين بَعد انتهاء الحرب، لكِ كلمتي كأحد رجال الملك».

دفعَت آريا نفسها إلى الوراء ونهضَت قائلةً: «لستم رجال الملك، بل لصوص».

- «إذا قابلتِ لِصًّا حقيقيًّا من قبل لعلمتِ أنهم لا يدفعون أبدًا، ولا حتى بالورق. إننا لن نأخذ خيولكم من أجل أنفسنا أيتها الصَّغيرة، بل في سبيل البلاد، كي نتحرَّك أسرع ونخوض المعارك التي يجب أن نخوضها، معارك الملك، فهل تأبين هذا على الملك؟».

كانت أعيُن الجميع عليها، القوَّاس وليم الكبير والزَّوج بوجهه الشَّاحب ونظراته المراوغة، وحتى شارنا التي وقفَت عند باب المطبخ مضيِّقةً عينيها. سيأخذون أحصنتنا مهما قلتُ، وسنضطرُّ إلى الذَّهاب إلى (ريفررَن) سيرًا، إلَّا إذا... اختطفَت آريا الرَّق من يد هوت باي، وقالت: «لا نُريد ورقًا. يُمكنكم أن تأخذوا الخيول مقابل القارب الذي في الخارج، لكن فقط إذا أريتمونا كيف نُبحِر به».

حدَّق إليها توم سبعة أوتار لحظةً، ثم التوى فمه الواسع القبيح بابتسامةٍ مستاءة، قبل أن ينفجر ضاحكًا وينضمَّ إليه آنجاي، وخلال ثوانٍ كان الجميع يضحكون، ليم ذو المعطف اللَّيموني وشارنا وزوجها، وحتى الصَّبي الذي خرجَ من وراء البراميل حاملًا نُشَّابيَّةً تحت ذراعه.

أرادَت آريا أن تَصرُخ فيهم، لكن بدلًا من هذا بدأت تبتسم...

- «خيَّالة!»، جلجلَت صيحة جندري الجزعة، وانفتحَ الباب بعُنفٍ ودخلَ يقول لاهثًا: «جنود قادمون على طريق النَّهر، دستة منهم».

وثبَ هوت باي من مكانه مسقطًا دورقه، لكن انزعاجًا لم يبدُ على توم والآخَرين، وقالت شارنا: «لا داعي لسكب هذا المِزر الممتاز على أرضيَّتي. اجلس واهدأ يا ولد، فالأرانب في الطَّريق، وأنتِ أيضًا يا بنت. أيًّا كان ما

تعرَّضتم إليه من أذى فقد انتهى تمامًا. إنكم مع رجال الملك الآن، وسنُحافِظ على سلامتكم قَدر استطاعتنا».

كانت إجابة آريا الوحيدة أنها مدَّت يدها من فوق كتفها إلى سيفها، لكن قبل أن تسحب نِصفه أطبقَ ليم على معصمها قائلًا: «لا مزيد من هذا»، ولوى ذراعها حتى انفتحَت يدها، وأحسَّت بأصابعه يابسة الجلد وقويَّةً على نحو مخيف، وفي أعماقها قالت: مرَّةً أخرى! ما حدثَ في القرية يَحدُث مرَّةً أخرى، يوم تشيزويك وراف والجبل راكب الخيول. سيسرقون سيفها ويجعلونها تعود فأرًا مذعورًا. قبضَت يدها الحُرَّة على دورقها ولوَّحت به في وجه ليم ليتناثَر المِزر من فوق الحافة في عينيه، وسمعَت أنفه ينكسر ورأت الدَّم ينبثق منه، وحين جأرَ ألمًا ورفعَ يديه إلى وجهه تحرَّرت وصرخَت مندفعةً: «اهربا!».

لكن ليم عادَ يُمسِكها على الفور، وقد جعلَت ساقاه الطَّويلتان خُطوةً واحدةً منه تُساوي ثلاثًا منها. تلوَّت وركلَت، لكنه رفعَها عن الأرض بمنتهى البساطة وعلَّقها في الهواء بينما سالَت الدِّماء على وجهه، وصاحَ فيها وهو يَرُجُّها: «توقَّفي أيتها الحمقاء الصَّغيرة، توقَّفي الآن!».

تحرَّك جندري ليُساعِدها، لكن توم أبو السَّبعات حالَ بينهما وخنجره في يده.

عندئذٍ كان أوان الفرار قد فاتَ، وسمعَت في الخارج أصوات خيولٍ ورجال، وبَعد هنيهةٍ دخلَ رجل متبخترًا من الباب المفتوح، تايروشي أكبر حجمًا من ليم نفسه، لحيته كبيرة كثيفة اصطبغَت أطرافها بالأخضر اليانع، وإن بدأ لونها يحول إلى الرَّمادي، ومن ورائه جاءَ رجلان يحمل كلٌّ منهما نُشَّابيَّةً، ويُساعِدان ثالثًا جريحًا على المشي بينهما، وسرعان ما دخلَ آخَرون...

لم ترَ آريا قَطُّ رجالًا تبدو عليهم وعثاء الطَّريق كهؤلاء، على حين بدَت السُّيوف والفؤوس والأقواس التي حملوها في حالةٍ ممتازة. حدجَها واحد أو اثنان منهم بنظرات الفضول وهُم يَدخُلون، لكن أحدًا لم يقل شيئًا، وتشمَّم رجل أعور يعتمر خوذةً قصيرةً صدئةً الهواء وابتسمَ، وصاحَ قوَّاس ذو شَعر أصفر خشن طالبًا المِزر، وبَعدهما دخلَ حامل حربةٍ يضع خوذةً ذات ريشة أسد، ورجل أكبر سِنًّا يَعرُج، ومرتزِق براڤوسي، و...

همسَت آريا: «هارورين؟». إنه هو! تحت اللِّحية والشَّعر المتشابك كان وجه ابن هالن الذي اعتادَ أن يقود حصانها القزم حول السَّاحة، ويتمرَّن على الطَّاووس[1] مع چون ورود، ويُسرف في الشَّراب في أيام الاحتفالات. إنه أكثر نحولًا، وبشكلٍ ما أصلب، وفي (وينترفل) لم يكن يُطلق لحيته قَطُّ، لكنه هو، رجل أبيها. تلوَّت وألقَت نفسها إلى الأمام محاولةً التَّملُّص من قبضتَيْ ليم الحديديَّتين، وصاحَت: «هارورين! هارورين! إنها أنا! ألا تعرفني؟ ألا تعرفني؟». غلبَتها الدُّموع، ووجدَت نفسها تبكي كالرُّضَّع، كأنها بنت صغيرة حمقاء. «هارورين، إنها أنا!».

انتقلَت عينا هارورين من وجهها إلى الرَّجل المسلوخ على صدرها، ثم قال مقطِّبًا جبينه بريبة: «كيف عرفت اسمي؟ الرَّجل المسلوخ... من أنت؟ خادم ما عند اللورد عَلقة؟».

مرَّت وهلة دون أن تعرف كيف تُجيب. لقد حملَت أسماء كثيرةً للغاية، فهل كانت آريا ستارك محض أضغاث أحلام؟

قالت متنشِّقةً: «أنا فتاة. كنتُ ساقية اللورد بولتون، لكنه كان سيتركني للكبش، فهربتُ مع جندري وهوت پاي. لا بُدَّ أن تعرفني! كنت تقود حصاني القزم وأنا صغيرة».

اتَّسعت عيناه عن آخِرهما، وبصوتٍ مختنقٍ قال: «بحَقِّ الآلهة! آريا المُداسة؟ ليم، دعها».

أسقطَها ليم بفظاظةٍ قائلًا: «لقد كسرَت أنفي. مَن هذه بحَقِّ الجحائم السَّبع؟».

ركعَ هارورين على رُكبته أمامها مجيبًا: «بنت اليد، آريا ستارك ابنة (وينترفل)».

(1) الطاووس مجسَّم على شكل إنسان، يُستخدَم في التَّدريب على النِّزال، وعادةً ما يُثبَّت تُرس في إحدى يديه، وفي الثَّانية سيف أو رُمح غير حاد. (المترجم).



كاتلين

عرفَت أنه روب لحظة أن سمعَت الكلاب تثور في الأوجرة.

لقد عادَ ابنها إلى (ريفرَرَن) ومعه جراي ويند، فلا شيء سوى رائحة الذِّئب الرَّهيب الرَّمادي الكبير يُمكنه أن يُصيب كلاب الصَّيد بهذه النَّوبة من العُواء والنُّباح الهائج. قالت لنفسها بيقين: سوف يأتيني. لم يَعُد إدميور إليها بَعد زيارته الأولى، مفضِّلًا قضاء وقته في صُحبة مارك پايپر وپاتريك ماليستر، والاستماع إلى أشعار رايموند النَّاظم عن معركة (الطَّاحونة الحجريَّة). لكن روب ليس إدميور، روب سيراني.

كان المطر يهطل منذ أيام بلا انقطاع، سيل بارد مدرار صنعَ جَوًّا من الكآبة واءمَ مزاج كاتلين، وأبوها يَزداد ضَعفًا وهذيانًا كلَّ يوم، لا يفيق إلَّا ليُتَمتِم باسم تانسي ويتوسَّل المغفرة، على حين يتجنَّبها إدميور تمامًا، ويصرُّ السير دزموند جرل على حرمانها من حُرِّيَّة الحركة في القلعة، على الرغم من أنه لا يبدو راضيًا عن هذا على الإطلاق. وحدها عودة السير روبن رايجر ورجاله منهَكين ومبتلِّين عن آخِرهم نجحَت في جعل صدرها ينشرح بعض الشَّيء. حزرَت أنهم رجعوا سائرين، وأسرَّ لها المِايستر ڤايمان بأن قاتِل الملك تمكن بوسيلةٍ ما من إغراق قادسهم والفِرار، لكنه رفضَ حين طلبَت أن تتكلَّم مع السير روبن لتعرف أكثر عما حدثَ.

شيء آخَر كان على غير ما يُرام أيضًا. يوم عادَ أخوها، بَعد ساعاتٍ قليلة من شجارهما، سمعَت كاتلين أصواتًا غاضبةً آتيةً من السَّاحة في الأسفل، ولمَّا صعدَت إلى السَّطح لتُلقي نظرةً رأت مجموعاتٍ من الرِّجال المحتشدين عند البوَّابة الرَّئيسة على الجانب الآخَر من القلعة، وخيولًا تُقاد من الاسطبلات

مجهَّزةً بسروجها وألجمتها، كما سمعَت زعيقًا وإن كانت أبعد من أن تُمَيِّز الكلام. لمحَت واحدةً من رايات روب البيضاء ملقاة على الأرض، ودارَ واحد من الفُرسان بحصانه ودعسَ الذِّئب الرَّهيب وهو يندفع إلى البوَّابة، وتبعَه آخَرون كُثر. هؤلاء رجال قاتَلوا مع إدميور عند المخاضات، فما الذي أغضبَهم لهذه الدَّرجة؟ هل أساءَ إليهم أخي بشكلٍ ما أو أهانَهم؟ خُيِّل إليها أنها تعرَّفت السير پروين فراي الذي سافرَ معها إلى ومِن (جسر العلقم) و(ستورمز إند)، وأخاه النَّغل غير الشَّقيق مارتن ريڤرز أيضًا، لكن من موقعها هذا كان من الصَّعب أن تتأكَّد. تدفَّق نحو أربعين رجلًا خارجين من بوَّابة القلعة، لأيِّ غايةٍ لا تدري.

ولم يعودوا، ولا قبلَ المايستر ڤايمان أن يُخبرها بهُويَّتهم وأين ذهبوا وسبب غضبتهم الشَّديدة، وقال لها: «إنني هنا لأرعى أباكِ لا غير يا سيِّدتي. أخوكِ سيُصبِح سيِّد (ريڤرَن) قريبًا، وسيُخبرك بما يرغب في أن تعرفيه».

لكن روب عادَ من الغرب، عادَ ظافرًا. سيُسامِحني، لا مناص من أن يُسامِحني. إنه ابني، وآريا وسانزا من دمه كما هما من دمي. سيُطلِق سراحي من هذا السَّكن، وعندها سأعرفُ ما جرى.

كانت قد تحمَّمت وبدَّلت ثيابها ومشَّطت شَعرها الكستنائي حين جاءَها السير دزموند قائلًا: «الملك روب عادَ من الغرب يا سيِّدتي، ويأمر بأن تَمثُلي أمامه في القاعة الكُبرى».

ها هي اللَّحظة التي حلمَت بها وتهيَّبتها. هل فقدتُ ابنين أم ثلاثة؟ قريبًا جدًّا ستعرف الإجابة.

وجدوا القاعة مزدحمةً عند دخولهم، وكلُّ الأعيُن على المنصَّة، لكن كاتلين عرفَت بعضهم من ظَهره؛ قميص الليدي مورمونت المعدني المرقَّع، وچون أومبر الكبير وابنه بقامتيهما الأطول من كلِّ من عداهما في القاعة، واللورد چيسون ماليستر بشَعره الأبيض وخوذته المجنَّحة تحت إبطه، واللورد تايتوس بلاكوود بمعطفه المبهر المفضَّل من ريش الغِدفان... نصفهم يُريد أن يَشنُقني الآن، والنِّصف الآخَر قد يُشيح ببصره عني على أفضل تقدير. راودَها إحساس مزعج أيضًا بأن هناك شيئًا ما ناقصًا.

كان روب واقفًا على المنصَّة، ولدى مرآه أحسَّت كاتلين بوخزٍ في قلبها

وقد أدركَت علي حين غرَّةٍ أنه لم يَعُد صبيًّا. إنه في السَّادسة عشرة الآن، رجل ناضج. انظري إليه! الحرب أذابَت كلَّ ما في ملامحه من نعومةٍ وجعلَته قاسيًا ناحلًا، وقد حلقَ لحيته وتركَ شَعره الكستنائي ينسدل على كتفيه. كانت الأمطار الأخيرة قد أصابَت قميصه المعدني بالصَّدأ، وخلَّفت بُقعًا بنيَّة على بياض معطفه وسُترته الطَّويلة -أو ربما تكون بُقع دم- وعلى رأسه استقرَّ تاجه ذو البروزات المدبَّبة كالسُّيوف، الذي سبَكوه له من البرونز والحديد. يعتمره براحةٍ أكثر الآن، يعتمره كملك.

وقفَ إدميور أسفل المنصَّة المزدحمة حانيًا رأسه بتواضُع فيما أثنى روب على انتصاره. «... سقطَ على (الطَّاحونة الحجريَّة) لن يُنسى أبدًا. لا عجب أن اللورد تايوين هربَ ليُقاتِل ستانيس وقد اكتفى من أبناء الشَّمال والنَّهر». أشاعَت كلماته الضَّحك والصِّياح المؤيِّد، لكن روب رفعَ يده آمرًا بالصَّمت، وتابعَ: «لكن لكم أن تثقوا بأن جيش لانستر سيزحف ثانيةً، وعلينا أن نربح المزيد من المعارك قبل أن نؤمِّن المملكة تمامًا».

بصوتٍ جهوري هتفَ چون الكبير: «**الملك في الشَّمال!**»، ورفعَ قبضته المدرَّعة بالحلقات المعدنيَّة في الهواء، فأجابَ لوردات النَّهر هاتفين: «**ملك الثَّالوث!**»، وسرعان ما ارتفع دَقُّ الجموع الموائد بقبضاتهم والأرض بأقدامهم، وسادَ القاعة هدير يصمُّ الآذان.

قلائل لاحَظوا كاتلين والسير دزموند وسط الضَّجيج، لكنهم وكزوا جيرانهم منبِّهين، وبتؤدةٍ سرى الصَّمت من حولها، لكنها ظلَّت رافعةً رأسها وتجاهلَت النَّظرات. فليقولوا ما يُريدون، لا يهمُّني إلَّا حُكم روب.

بَثَّ فيها مرأى وجه السير برايندن تَلي الصَّخري الرَّاحة، وأبصرَت صبيًّا لا تعرفه يبدو أنه يتصرَّف باعتباره مُرافِق روب، ووراءه وقفَ فارس شاب يرتدي سُترةً طويلةً بلون الرَّمل مرصَّعةً بالأصداف، وفارسًا أكبر سِنًّا معطفه مخطَّط بالأخضر والفضِّي، وعليه ثلاث منارات سوداء صغيرة على منحنًى بلون الزَّعفران. بين الاثنين كانت امرأة وسيمة تكبَرهما وفتاة حسناء تبدو أنها ابنتها، بالإضافة إلى فتاةٍ أخرى تُقارب سانزا في السِّن. تعلم كاتلين أن الأصداف رمز واحدةٍ من العائلات الصَّغيرة، أمَّا رمز الفارس الكبير فلم تتعرَّفه. أهُم أسرى؟ لماذا يجلب روب أسراه إلى المنصَّة؟

دَقَّ أوثيرايدس واين الأرض بعصاه إذ تقدَّم السير دزموند بها. إذا نظرَ إليَّ روب مِثلما فعلَ إدميور، فلا أدري ماذا سأفعلُ. لكن بدا لها أن ما تراه في عينَيْ ابنها ليس غضبًا، بل شيء آخَر... أهو التَّهيُّب ربما؟ لا، غير معقول. ما الذي يخشاه هو؟ إنه الذِّئب الصَّغير، ملك الشَّمال والنَّهر.

عمُّها كان أول من حيَّاها. كديدنه كسمكةٍ سوداء، لم يُبالِ السير برايندن بآراء الآخَرين، ووثبَ من فوق المنصَّة واحتوى كاتلين بين ذراعيه، ولمَّا قال: «جميل أن أراكِ في بيتكِ يا كات»، كافحَت للحفاظ على ثباتها، واكتفَت بأن همسَت: «وأنت أيضًا».

- «أمِّي».

رفعَت كاتلين عينيها إلى ابنها الملكِ، وقالت: «جلالة الملك، لقد صلَّيتُ من أجل عودتك سالمًا. سمعتُ أنك أُصِبت».

- «اخترقَ سهم ذراعي في أثناء اقتحامنا (الجُرف)، لكن الجرح يندمل جيِّدًا، وقد حظيتُ بأفضل عناية».

- «الشُّكر للآلهة». التقطَت كاتلين نفسًا عميقًا، وقالت نفسها: قوليها، لا سبيل لتلافي هذا، ثم إنها قالت لابنها: «لا بُدَّ أنهم أخبروك بما فعلته. هل ذكروا لك أسبابي؟».

- «من أجل الفتاتين».

- «كان لديَّ خمسة أطفال، والآن لديَّ ثلاثة».

- «نعم يا سيِّدتي»، قال اللورد ريكارد كارستارك وهو يدفع چون الكبير بكتفه ويتخطَّاه، وقد بدا كشبح جهيم بقميصه المعدني الأسود ولحيته الشَّائبة المشعثة ووجهه البارد المنقبِض. «وأنا لديَّ ابن واحد وقد كان لديَّ ثلاثة. لقد سرقتِ مني انتقامي».

واجهَته كاتلين بهدوءٍ قائلةً: «لورد ريكارد، موت قاتِل الملك لم يكن سيُعيد ابنيك إلى الحياة، لكن حياته قد تعني حياة ابنتَيْ».

لم يتأثَّر اللورد، وقال: «چايمي لانستر استغفلَكِ، اشتريتِ زكيبةً من الكلام الفارغ لا أكثر. ولداي تورين وإدارد استحقَّا أفضل من هذا منكِ».

دمدمَ چون الكبير وهو يعقد ذراعيه الضَّخمتين على صدره: «دعها وشأنها يا كارستارك. كان تصرُّفًا طائشًا من أُم. النِّساء مخلوقات هكذا».

التفتَ اللورد كارستارك إلى اللورد أومبر بحركةٍ حادَّة، وقال: «تصرُّفًا طائشًا من أُم؟ إنها خيانة».

- «كفى!». في هذه اللَّحظة بدا روب مِثل براندون أكثر من أبيه. «لا أحد يتَّهم سيِّدة (وينترفل) بالخيانة في حضوري يا لورد ريكارد»، والتفتَ إلى كاتلين قائلًا بنبرةٍ أرق: «لو كان بإمكاني أن أعيد قاتِل الملك إلى أغلاله بمجرَّد التَّمنِّي لفعلتُ. لقد حرَّرته دون معرفتي أو إذني... لكني أعرفُ أنكِ فعلتِ ما فعلتِ بدافع الحُب، من أجل آريا وسانزا، ومن فرط حُزنكِ على بران وريكون. الحُب ليس حكيمًا دائمًا كما تعلَّمتُ، ويُمكنه أن يقودنا إلى حماقاتٍ كبيرة، لكننا نتبع قلوبنا... أينما أخذَتنا، أليس كذلك يا أمَّاه؟».

أهذا ما فعلته؟ «إذا قادَني قلبي إلى حماقة، فيُسعِدني أن أكفِّر عنها للورد كارستارك ولك بأيِّ وسيلة».

لم يُبارِح وجه اللورد ريكارد شيء من جموده وهو يردُّ: «هل سيُدفئ تكفيركِ تورين وإدارد في قبريهما الباردين حيث وضعَهما قاتِل الملك؟»، ودفعَ نفسه بين چون الكبير ومج مورمونت وغادرَ القاعة.

لم يتحرَّك روب ليستبقيه، وقال: «سامحيه يا أمِّي».

- «إذا سامحتني أنت».

- «لقد سامحتكِ بالفعل. إنني أعلمُ معنى الحُب الجَم الذي يجعل المرء عاجزًا عن التَّفكير في شيءٍ آخَر».

حنَت كاتلين رأسها قائلةً: «أشكرك». لم أفقد هذا الطِّفل على الأقل.

تابعَ روب: «يجب أن أتكلَّم معكِ ومع خالي وعمِّك، عن هذا و... وأشياء أخرى. أعلِن الانصراف أيها الوكيل».

دَقَّ أوثيرايدس واين الأرض بالعصا ورفعَ عقيرته صارفًا الحاضرين، فبدأ الشَّماليُّون ولوردات النَّهر يتحرَّكون صوب الأبواب. عندئذٍ فقط أدركَت كاتلين الشَّيء الغائب الذي أثارَ توجُّسها. الذِّئب، الذِّئب ليس هنا. أين جراي ويند؟ إنها تعلم أن الذِّئب الرَّهيب عادَ مع روب، فقد سمعَت هياج الكلاب، لكنه ليس في القاعة، ليس إلى جوار ابنها حيث ينتمي.

لكن قبل أن تستطيع أن تسأل روب، وجدَت نفسها محاطةً بدائرةٍ من المؤيِّدين. أخذَت الليدي مورمونت يدها وقالت: «سيِّدتي، لو كانت اثنتان

من بناتي أسيرتيْن عند سرسي لانستر لفعلتُ المِثل»، أمَّا چون الكبير الذي لا يعترف بآداب السُّلوك فقد رفعَها عن الأرض واعتصرَ ذراعيها بيديه الضَّخمتين المشعرتين، وقال لها: «ذئبك الصَّغير عقرَ قاتِل الملك مرَّةً، وسيفعلها مجدَّدًا إذا دعَت الحاجة»، على حين خاطبَها جالبارت جلوڤر واللورد چيسون ماليستر ببرودٍ أكثر، وچونوس براكن بصرامةٍ تكاد تكون جليديَّةً، وإن لم تفتقر كلماتهم إلى الكياسة.

في النِّهاية وقفَ أخوها أمامها، وقال: «أنا أيضًا أصلِّي من أجل فتاتيكِ يا كات. آملُ أنكِ لا تَشُكِّين في هذا».

قبَّلته وقالت: «بالطَّبع لا، ولأجل هذا أحبُّك».

حين انتهى الكلام كله، خلَت قاعة (ريڤرَن) الكُبرى إلَّا من روب وأولاد تَلي الثَّلاثة والغُرباء الستَّة الذين لم تتعرَّفهم كاتلين، ورمقَتهم بفضولٍ متسائلةً: «سيِّدتي، أيها الفارسان، أأنتم مناصرون جُدد لقضيَّة ابني؟».

أجابَها الفارس الشَّاب ذو الأصداف: «جُدد، وإن لا تَنقُصنا البسالة الشَّديدة أو الثَّبات على العهد، كما آملُ أن نُثبت لكِ يا سيِّدتي».

بدا روب متوتِّرًا وهو يقول: «أمَّاه، اسمحي لي بأن أقدِّم لكِ الليدي سيبل زوجة اللورد جاون وسترلينج سيِّد (الجُرف)»، فتقدَّمت المرأة برصانةٍ بينما تابعَ: «زوجها كان ممن أسرناهم في (الغابة الهامسة)».

وسترلينج، نعم. على رايتهم ستُّ أصداف بيضاء على خلفيَّةٍ رمليَّة، عائلة صغيرة مقسِمة على الولاء لآل لانستر.

أشارَ روب للآخَرين بالتَّقدُّم واحدًا تلو الآخَر، وقدَّم كلًّا منهم: «السير رولف سپايسر، أخو الليدي سيبل. كان أمين القلعة في (الجُرف) حين أخذناها».

حنى فارس المنارات رأسه، ورأت كاتلين أنه قصير مكتنز، له أنف مكسور ولحية مشذَّبة بعناية، وتبدو عليه القوة.

- «أولاد اللورد جاون والليدي سيبل. السير راينالد وسترلينج».

ابتسمَ فارس الأصداف من تحت شاربه الكث، ولاحظَت كاتلين صلابته على الرغم من شبابه ونحوله، وأسنانه النَّضيدة وشَعره البنِّي المحمر الكثيف.

- «وإلينيا».

انحنَت الفتاة انحناءةً صغيرةً.

- «وررولام وسترلينج، مُرافِقي».

بدأ الصَّبي يركع، ثم لاحظَ أن لا أحد آخَر ركعَ، فانحنى بدلًا من هذا.

قالت كاتلين: «لي الشَّرف». أيُمكن أن روب ربحَ ولاء (الجُرف)؟ إذا كان هذا صحيحًا، فلا غرو أن آل وسترلينج هنا معه، فـ(كاسترلي روك) لا تدع خيانةً كهذه تمرُّ مرور الكرام أبدًا، ليس منذ بلغَ تايوين لانستر سِنَّ الحرب...

تقدَّمت الفتاة الشَّابَّة أخيرًا والحياء الشَّديد يُكَلِّل مُحَيَّاها الجميل، والتقطَ روب يدها قائلًا: «أمَّاه، لي عظيم الشَّرف أن أقدِّم لك الليدي چاين وسترلينج، ابنة اللورد جاون الكُبرى و... آه... السيِّدة زوجتي».

الخاطر الأول الذي مرقَ في عقل كاتلين كان: لا، غير ممكن، إنك مجرَّد طفل.

والخاطر الثَّاني كان: كما أنك تعهَّدت بالزَّواج بأخرى.

والثَّالث كان: لترحمنا (الأم) يا روب، ماذا فعلت؟

عندها فقط أتاها الفهم متأخِّرًا. حماقات في سبيل الحُب؟ يا للحذق الذي نصبَ به الشَّرك. الآن يبدو أني سامحته بالفعل. امتزجَ استياؤها بإعجاب يشوبه الحُزن. لقد قدَّم المسرحيَّة بدهاءٍ يليق بممثِّلٍ محترف... أو ملك. لم ترَ كاتلين خيارًا غير أن تلتقط يدَيْ چاين وسترلينج، وبلهجةٍ خرجَت منها أكثر جفافًا مما نوَت قالت: «لديَّ ابنة جديدة»، وقبَّلت الفتاة المرعوبة على وجنتيها متابعةً: «مرحبًا بكِ في دفء دارنا».

- «أشكركِ يا سيِّدتي، وأقسمُ لكِ أن أكون زوجةً صالحةً ومخلصةً لروب، وأن ألوذ بالحكمة كملكةٍ قَدر استطاعتي».

ملكة، نعم، هذه الصَّغيرة ملكة، يجب أن أتذكَّر هذا. إنها جميلة بلا شَك، بشَعرها البنِّي الضَّارب إلى الحُمرة ووجهها ذي شكل القلب وتلك الابتسامة الخجول، ولاحظَت كاتلين أنها قويَّة الوَركين رغم نحولها. على الأقل لن تجد مشكلةً في حمل الأطفال.

تدخَّلت الليدي سيبل قبل أن يُقال المزيد قائلةً: «مصاهرتنا عائلة ستارك شَرف لنا يا سيِّدتي، لكننا متعَبون للغاية، فقد قطعنا طريقًا طويلًا في وقتٍ

قصير. هل تسمحين لنا بالخلود إلى مسكننا كي تقضي بعض الوقت مع ابنكِ؟».

قال روب: «فكرة طيِّبة»، ولثَمَ چاين قبل أن يُضيف: «سيجد لكم الوكيل مسكنًا لائقًا».

قال السير إدميور تَلي متطوِّعًا: «سأصحبكم إليه».

رَدَّت الليدي سيبل: «نشكرك للُطفك».

سألَ الصَّبي رولام: «أيجب أن أذهب أيضًا؟ إنني مُرافِقك».

ضحكَ روب مجيبًا: «لكني لا أحتاجُ إلى مُرافَقةِ الآن».

- «أوه».

قال السير رايْنالد ذو الأصداف: «جلالته قضى ستة عشر عامًا دونك يا رولام. أعتقدُ أنه يستطيع الحياة في غيابك بضع ساعاتٍ أخرى»، وأخذَ أخاه الصَّغير بحزم من يده وخرجَ به من القاعة.

قالت كاتلِين حينما خرجوا من مجال السَّمع: «زوجتك جميلة، ويبدو أن آل وسترلينج جديرون بك... لكن اللورد جاون مقسم على الولاء لتايوين لانستر، أليس كذلك؟».

- «بلى. چيسون ماليستر أسرَه في (الغابة الهامسة) ومتحفِّظ عليه في (سيجارد) منذ ذلك الحين حتى تُدفَع فديته، لكني سأطلقُ سراحه الآن بالطَّبع، مع أنه قد لا يرغب في الانضمام إليَّ. أخشى أننا تزوَّجنا دون موافقته، وهذه الزِّيجة تضعه في خطرٍ بالغ. (الجُرف) ليست قلعَةً قويَّةً، وقد تخسر چاين كلَّ شيء بسبب حُبِّها لي».

قالت برفق: «وأنت خسرت آل فراي».

جهرَت اختلاجة ملامحه بمشاعره كلِّها. الآن تفهم كاتلين الأصوات الغاضبة، ولماذا أسرعَ پروين فراي ومارتن ريڤرز ورجالهما بالمغادرة واطِّئين راية روب.

- «هل لي أن أسأل كم جُنديًّا جاءوا مع عروسك يا روب؟».

أجابَها بصوتٍ كئيب كما ينبغي أن يكون: «خمسون، ودستة من الفُرسان». عقب الاتِّفاق على القران في (التَّوأمتين)، أرسلَ اللورد والدر فراي العجوز

مع روب ألفًا من الفُرسان ونحو ثلاثة آلاف من المُشاة. «چاين ذكيَّة بقَدر ما هي جميلة، وحنون أيضًا، قلبها طيِّب».

إنك في حاجةٍ إلى السُّيوف لا القلوب الطيِّبة. كيف أمكنك أن تفعل هذا يا روب؟ كيف تصرَّفت بهذا الطَّيش والخَرق؟ كيف تكون... تكون... صغيرًا للغاية هكذا... لكن التَّأنيب لن يُجدي نفعًا الآن، لذا اكتفَت بقولها: «أخبِرني كيف حدثَ هذا».

أجابَ روب مبتسمًا: «أخذتُ قلعتها وأخذَت قلبي. حامية (الجُرف) كانت ضعيفةً، فاقتحمناها ذات ليلة. قادَ والدر الأسود وچون الصَّغير فِرقتين من متسلِّقي الأسوار، فيما حطَّمتُ البوَّابة بالمِدَك، وأُصِبتُ بسهم في ذراعي قبيل تسليم السير رولف القلعة لنا. بدا الجرح طفيفًا في البداية، لكنه تقيَّح، فأخذَتني چاين إلى فِراشها وداوَتني حتى مَرَّت الحُمَّى، وكانت معي حين أتاني چون الكبير بـ... بأخبار وينترفل، بران وريكون». بدا أنه يجد صعوبةً في نُطق اسمَيْ أخويه. «ليلتها... واسَتني چاين يا أمِّي».

لم تحتج كاتلين إلى أن يُخبرها ابنها بنوع المواساة التي قدَّمتها له چاين وسترلينج، وقالت: «وفي اليوم التَّالي تزوَّجتها».

نظرَ في عينيها بفخرٍ وبؤس في آنٍ واحد قائلًا: «كان التَّصرُّف الشَّريف الوحيد. إنها رقيقة وعذبَةٌ يا أمَّاه، وستكون زوجةً صالحةً لي».

- «ربما، لكن هذا لن يُرضي اللورد فراي».

قال ابنها مغتمًّا: «أعرفُ. لقد أسأتُ التَّصرُّف في كلِّ شيءٍ إلَّا المعارك، أليس كذلك؟ كنتُ أحسبُ أن المعارك هي الجزء الصَّعب، لكن... لو أني أنصتُّ إليكِ واحتفظتُ بثيون رهينةً، لكنتُ ما زلتُ أحكمُ الشَّمال، ولكان بران وريكون حيَّين وآمنيْن في (وينترفل)».

- «ربما، وربما لا. من الممكن أن اللورد بالون كان سيُغامِر بالحرب وقتها أيضًا. آخِر مرَّةٍ حاولَ أن يربح تاجًا خسرَ ابنين، فلعلَّه حسبها صفقةً رابحةً أن يخسر واحدًا فقط هذه المرَّة»، ومسَّت ذراعه سائلةً: «ماذا حدثَ مع آل فراي بَعد زواجك؟».

هَزَّ روب رأسه مجيبًا: «مع السير ستفرون كان ممكنًا أن أقدِّم ترضيةً ما، لكن السير رايمان عنيد كالثِّيران، ووالدر الأسود... إنهم لم يُطلِقوا عليه هذه

الكنية للون لحيته، أؤكِّدُ لك. لقد تمادى لدرجة أن قال إن أخواته لن يَرفُضن الزَّواج بأرمل. كنتُ لأقتله لقوله هذا لولا أن چاين توسَّلت له الرَّحمة».
- «لقد وجَّهت إهانةً عظيمةً لعائلة فراي يا روب».
- «لم تكن هذه نيَّتي قَطُّ. السير ستڤرون ماتَ في سبيلي، وأوليڤار كان أخلص مُرافقٍ يرغب فيه ملك. طلبَ أن يبقى معي، لكن السير رايمان أخذَه مع الباقين، قوَّتهم كلها. چون الكبير حثَّني على مهاجمتهم...».
- «تُقاتِل رجالك وسط أعدائك؟ لكانت في ذلك نهايتك».
- «نعم. خطرَ لي أن نُرَتِّب زيجاتٍ أخرى لبنات اللورد والدر. السير وندل ماندرلي عرضَ أن يأخذ واحدةً، وچون الكبير يقول لي إن عمَّيه راغبان في الزَّواج ثانيةً. إذا تحلَّى اللورد والدر بالمرونة...».
- «لكنه ليس مرنًا على الإطلاق. إنه متكبِّر وسريع الغضب لأقصى حد، وأنت تعلم هذا. الرَّجل أرادَ أن يكون جَدًّا لملك، ولن تُرضيه بأن تعرض عليه قاطعَيْ طريق هَرمِيْن والابن الثَّاني لأسمن رجلٍ في (الممالك السَّبع). إنك لم تنكث عهدكَ فحسب، بل أهنت شَرف (التَّوأمتين) باختيارك عروسًا من عائلةٍ أدنى».
رَدَّ روب محتدًّا: «آل وسترلينج دماؤهم أنقى من آل فراي، سُلالتهم قديمة منحدرة من البَشر الأوائل. أحيانًا كان ملوك (الصَّخرة) يُصاهِرونهم قبل الغزوة، وهناك چاين وسترلينج أخرى تزوَّجها الملك ميجور قبل ثلاثمئة عام».
- «وكلُّ هذا سيَسكُب المزيد من الملح على جرح اللورد والدر. لطالما ألهبَت صدره حقيقة أن العائلات الأقدم تتعالى على آل فراي باعتبارهم مُحدثي نِعمة، وعلى حَدِّ كلامه فقد عانى إهاناتٍ مشابهة من قبل. چون آرن عزفَ عن أخذ كذا حفيدٍ له ربيبًا، وأبي رفضَ عرض زواج إدميور بواحدةٍ من بناته»، وأشارَت برأسها لأخيها وهو يُعاود الانضمام إليهم.
قال برايندن السَّمكة السَّوداء: «جلالَة الملك، من الأفضل أن نستكمل الحديث بعيدًا عن الأسماع».
بدا صوت روب متعَبًا وهو يردُّ: «نعم. يُمكنني أن أقتل من أجل كوبٍ من النَّبيذ. إلى غُرفة الاجتماعات إذن».

بينما بدأوا يصعدون السَّلالم، ألقَت كاتلين السُّؤال الذي أزعجَها منذ دخلَت القاعة: «روب، أين جراي ويند؟».

- «في السَّاحة، يلتهم فخذ ضأن. قلتُ لقيِّم الأوجرة أن يُطعِمه».

- «كنت تُبقيه إلى جانبك دائمًا».

- «القاعة ليست مكانًا لذئب، إنه يتوتَّر كما رأيتِ ويظلُّ يُزَمجِر. لم يكن يَجدُر بي أن آخذه معي إلى المعركة. لقد قتلَ رجالًا كثيرين ولم يَعُد يخشى البَشر. چاين تضطرب في حضوره وأمُّها مرعوبة منه».

وها هو كبد الحقيقة. «إنه جزء منك يا روب. الخوف منه يعني الخوف منك».

بنبرةٍ مستاءة قال روب: «لستُ ذئبًا يا أمِّي مهما سمُّوني. جراي ويند قتلَ رجلًا في (الجُرف)، وآخَر في (آشمارك)، وستَّةً أو سبعةً في (أوكسكروس). لو أنكِ رأيتِ...».

قاطعَته بحدَّة: «رأيتُ ذئب بران يُمَزِّق عُنق رجلٍ في (وينترفل) وأحببته لهذا».

- «هذا أمر مختلف. رجل (الجُرف) كان فارسًا عرفَته چاين طيلة حياتها، فلا يُمكنكِ أن تلوميها على خوفها. وجراي ويند لا يحبُّ خالها كذلك، ويُكَشِّر عن أنيابه كلما اقتربَ السير رولف منه».

سرَت فيها قشعريرة باردة حدَت بها إلى أن تقول: «اصرِف السير رولف في الحال».

- «إلى أين؟ أعيده إلى (الجُرف) كي يُعَلِّق آل لانستر رأسه على خازوق؟ چاين تُحِبُّه. إنه خالها، وفارس لا بأس به علاوةً على ذلك. إنني في حاجةٍ إلى رجالٍ أكثر مِثل السير رولف، لا أقل، ولن أنفيه لمجرَّد أن ذئبي لا تروقه رائحته».

توقَّفت وأمسكَت ذراعه قائلةً: «روب، قلتُ لك من قبل أن تُبقي ثيون جرايچوي قريبًا منك ولم تُصغ، فأصغِ الآن. اصرف هذا الرَّجل. لا أقولُ أن تنفيه، ولكن جِد تكليفًا ما يحتاج إلى رَجلٍ شُجاع، واجبًا شَريفًا لا يهمُّ ماذا يكون... لكن إياك أن تجعله يبقى بالقُرب منك».

قال مقطِّبًا جبينه: «هل عليَّ أن أجعل جراي ويند يتشمَّم فُرساني كلهم؟ قد يكون هناك آخَرون لا يُحِبُّ روائحهم».

- «أيُّ رجلٍ لا يُحِبُّه جراي ويند هو رجل لا أريده قريبًا منك. هذه الذِّئاب ليست مجرَّد ذئاب يا روب، ولا بُدَّ أن تعي هذا. أتصوَّرُ أن الآلهة هي من أرسلَتها إلينا، آلهة أبيك، آلهة الشَّمال القديمة. خمسة جِراء يا روب، خمسة لأطفال ستارك الخمسة».

- «ستَّة. كان هناكَ ذئب لجون أيضًا. تذكَّري أني مَن عثرَ عليها، وأعرفُ عددها ومن أين جاءَت. لقد اعتدتُ أن أشاركَكِ التَّصوُّر، أن الذِّئاب تَحرُسنا وتحمينا، إلى أن...».

- «إلى أن...؟».

زَمَّ فمه مواصلًا: «إلى أن أخبَروني أن ثيون قتلَ بران وريكون. بِمَ نفعهما ذئباهما ساعتها؟ إنني لم أعُد صبيًّا يا أمَّاه، إنني ملك وأستطيعُ أن أحمي نفسي»، وتنهَّد مضيفًا: «سأجدُ تكليفًا ما للسير رولف، حُجَّةً ما أصرفه بها، ليس بسبب رائحته ولكن ليطمئنَّ قلبكِ. لقد عانيتِ بما فيه الكفاية».

شاعرةً بالرَّاحة، قبَّلته كاتلين على خَدِّه قبل أن يَبلُغ أخوها وعمُّها منحنى السَّلالم ويريا، وأحسَّت لحظةً بأنه صغيرها من جديد وليس مليكها.

تقع غُرفة اجتماعات اللورد هوستر الخاصَّة فوق القاعة الكُبرى، وتَصلُح أكثر للمناقشات السرِّيَّة. جلسَ روب على المقعد العالي وخلعَ تاجه ووضعَه إلى جواره على الأرض بينما دقَّت كاتلين الجرس طالبةً النَّبيذ، وحشا إدميور أذن عمِّه بالحكاية الكاملة لمعركة (الطَّاحونة الحجريَّة). فقط بَعد أن جاءَ الخدم وذهبوا تنحنحَ السَّمكة السَّوداء، وقال: «أظنُّ أننا سمعنا ما يكفي من تباهيك يا ابن أخي».

قال إدميور مبهوتًا: «تباهيَّ؟ ماذا تعني؟».

أجابَ السَّمكة السَّوداء: «أعني أنك مدين بالشُّكر لجلالته على حِلمه. لقد شاركَ في تلك المهزلة في القاعة فقط كي لا يُخزيك أمام قومك، ولو كنتُ مكانه لسلختك لغبائك بدلًا من مديح الحماقة التي ارتكبتها عند المخاضات».

قال إدميور بغضب: «هناك رجال صالحون ماتوا دفاعًا عن المخاضات يا عمِّي. أيجب ألَّا يُحَقِّق أحد الانتصارات إلَّا الذِّئب الصَّغير؟ هل سرقتُ مجدًا كان يخصُّك يا روب؟».

رَدَّ روب بنبرةٍ جليديَّة: «يا جلالة الملك. لقد اتَّخذتني ملكًا لك يا خالي، أم أنك نسيت هذا أيضًا؟».

قال السَّمكة السَّوداء: «أوامرك كانت أن تُدافِع عن (ريڤرَن) لا أكثر يا إدميور».

- «وقد دافعتُ عن (ريڤرَن)، وأدميتُ أنف اللورد تايوين...».

قال روب: «نعم، لكن أنفًا داميًا لن يربح الحرب، أليس كذلك؟ هل سألت نفسك لماذا ظللنا في الغرب طيلة هذه المدَّة بَعد (أوكسكروس)؟ إنك تعلم أن رجالي لا يكفون لتهديد (لانسپورت) أو (كاسترلي روك)».

- «كانت هناك قلاع أخرى... ذهب، ماشية...».

بدهشةٍ قال روب: «تظنُّ أننا بقينا كي نسلب وننهب؟ يا خالي، لقد أردتُ اللورد تايوين أن يذهب غربًا».

قال السير برايندن: «كنا كلنا على متن الخيول، وجيش لانستر أغلبه مُشاة. كانت خطَّتنا أن نُبَدِّد طاقة وموارد اللورد تايوين في مناوراتٍ بطول السَّاحل، ثم ننسلَّ من ورائه لنتَّخذ موقعًا دفاعيًّا قويًّا على (طريق الذَّهب)، في بُقعةٍ وجدَها كشَّافتي حيث الأرض في صالحنا تمامًا. لو كان قد هاجمَنا هناك لدفعَ ثَمنًا فادحًا، وإذا لم يُهاجِم لظَلَّ عالقًا في الغرب، على بُعد ألف فرسخ عن المكان الذي يجب أن يكون فيه، وفي الحالتين كنا سنتعيَّش على أرضه بدلًا من أن يتعيَّش هو على أرضنا».

أضافَ روب: «كان اللورد ستانيس على وشك الكَرِّ على (كينجز لاندنج)، توطئةً لأن يُخَلِّصنا من چوفري والملكة والعِفريت بضربةٍ داميةٍ واحدة، وبَعدها كان من الممكن أن نعقد اتِّفاق سلام».

نقَّل إدميور عينيه بين عمِّه وابن أخته قائلًا: «لم يُخبِرني أحد».

قال روب: «أخبرتك أن تُدافِع عن (ريڤرَن). ما الجزء الذي لم تفهمه من هذا الأمر؟».

قال السَّمكة السَّوداء: «عندما أوقفت اللورد تايوين على (الفرع الأحمر) أخَّرته بما يكفي لأن يَبلُغه الخيَّالة القادمون من (جسر العلقم) ويُبلِغوه بما يَحدُث في الشَّرق، وهو ما جعله يدور بجيشه في الحال وينضمُّ إلى ماثيس روان وراندل تارلي عند منابع (النَّهر الأسود)، ثم يزحف حثيثًا إلى (شلَّالات

الحاوي)، حيث وجدَ مايس تايرل واثنين من أبنائه بجيشٍ عظيم، وأسطولٍ من الصَّنادل عبروا به النَّهر وترجَّلوا على بُعد نِصف يومٍ من المدينة، وهاجَموا ستانيس من المؤخِّرة».

تذكَّرت كاتلين بلاط الملك رنلي كما رأته في (جسر العلقم)؛ ألف وردةٍ ذهبيَّة تُرَفرف في الرِّيح، وابتسامة الملكة مارچري الخجول وكلماتها الرَّقيقة، وأخوها فارس الزُّهور بالضِّمادة الدَّامية حول صُدغيه. إذا كان يجب أن تَسقُط بين ذراعَيْ امرأةٍ يا بُني، فلِمَ لم تكن مارچري تايرل؟ ثروة وقوَّة (هايجاردن) كانت لتصنع كلَّ الفارق في القتالات المقبلة. ولربما أحبَّ جراي ويند رائحتها أيضًا.

قال إدميور بوجه ممتقع: «لم أقصد قَطُّ... قَطُّ يا روب. يجب أن تَترُكني أعوِّضك. سأقودُ الطَّليعة في المعركة التَّالية».

على سبيل التَّعويض يا أخي أم سعيًا إلى المجد؟

قال روب: «المعركة القادمة. نعم، ستدور قريبًا. بمجرَّد أن يتزوَّج چوفري سيعود جيش لانستر إلى الميدان ضدي لا شَكَّ، وهذه المرَّة سيكون معه جيش تايرل، وربما أضطرُّ إلى قتال جيش فراي أيضًا إذا نفَّذ والدر الأسود ما يُريده...».

خاطبَت كاتلين ابنها قائلةً: «ما دامَ ثيون جرايچوي جالسًا على مقعد أبيك ودم أخويك يُلَطِّخ يديه، فيجب أن ينتظر هؤلاء الأعداء الآخَرون. واجبك الأول أن تُدافِع عن قومك وتستردَّ (وينترفل) وتُعَلِّق ثيون في قفص غِربان ليموت ببُطء، وإلَّا اخلع هذا التَّاج بلا رجعةٍ يا روب، لأن النَّاس سيعلمون أنك لست ملكًا حقًّا على الإطلاق».

استشفَّت من الطَّريقة التي رمقَها روب بها أن وقتًا طويلًا قد مَرَّ منذ جرؤَ أحد على مخاطَبته بهذه الخشونة، وقد أجابَها بلهجةٍ حملَت لمحةً من الدِّفاعيَّة: «عندما أخبَروني بسقوط (وينترفل) أردتُ أن أتوجَّه شمالًا من فوري، أردتُ أن أحرِّر بران وريكون، لكني ظننتُ... لم أتصوَّر قَطُّ أن ثيون قد يمسُّهما بأذى، حقًّا، ولو أني...».

قالت كاتلين: «فات أوان «لو» وأوان الإنقاذ، ولم يتبقَّ إلَّا الانتقام».

- «آخِر ما سمعناه من الشَّمال أن السير رودريك هزمَ قوَّةً من الرِّجال الحديديِّين قُرب (مربَّع تورين)، ويحشد جيشًا في (قلعة سروين) لاسترداد

(وينترفل)، وربما يكون قد نجحَ في هذا بالفعل. لم تصلنا أخبار منذ فترةٍ طويلة. وماذا عن (التَّالوث) إذا اتَّجهتُ شمالًا؟ لا يُمكنني أن أطلب من سادة النَّهر أن يَهجُروا قومهم».

- «لا، دعهم يحمونهم واستعِد الشَّمال برجال الشَّمال».

سألَ أخوها إدميور: «وكيف نَعبُر برجال الشَّمال إلى الشَّمال؟ آل جرايجوي يُسَيطِرون على (بحر الغروب) وعلى (خندق كايلن) أيضًا، ولا جيش نجحَ في اقتحام (الخندق) من الجنوب من قبل قَطٌّ. مجرَّد الزَّحف ضدها جنون. سنعلق على الدَّرب العالي، بين الحديديِّين من أمامنا وآل فراي الغاضبين من خلفنا».

قال روب: «لا بُدَّ أن نربح آل فراي ثانيةً. في وجودهم ستكون لدينا فُرصة في النَّصر مهما كانت صغيرةً، ودونهم لا أرى أملًا. إنني مستعدٌّ لأن أعطي اللورد والدر ما يَطلُبه أيًّا كان... اعتذارًا، تكريمًا، ذهبًا، أرضًا... لا بُدَّ أن هناك شيئًا يُداوي كبرياءه الجريحة».

قالت كاتلين: «ليس شيئًا، بل شخص».





چون

قال تورموند ونُدف الثَّلج تُرَقِّط وجهه العريض وتذوب في شَعره ولحيته: «أترى الأحجام؟».

أتى العمالقة متمايلين ببُطءٍ على متون الماموثات المارَّة في أزواج، ونكصَ حصان چون وقد هالَته غرابة المنظر، التي جعلَت من الصَّعب أن تُحَدِّد إن كان خوفه من الماموثات أم راكبيها، وحتى جوست تراجعَ خُطوةً وكشفَ أسنانه في زمجرةٍ صامتة. الذِّئب الرَّهيب كبير، لكن الماموثات أكبر مرارًا، وهناك الكثير والكثير منها.

التقطَ چون عِنان الحصان وثبَّته في مكانه، كي يُحصي العمالقة الخارجين من وسط الثُّلوج المتساقطة والغيوم الباهتة التي تدور بطول ضفاف (النَّهر اللَّبني). كان قد عَدَّ أكثر من خمسين عندما قال تورموند شيئًا شتَّت انتباهه، ففكَّر: لا بُدَّ أنهم مئات. مهما مَرَّ به من أعدادهم بدا أن هناك المزيد والمزيد.

في قصص العجوز نان العمالقة بَشر أكبر حجمًا من المألوف، يعيشون في قلاع هائلة ويُقاتِلون بسيوفٍ ضخمة ويمشون بأحذيةٍ كبيرة يُمكن أن يختبئ صبيٌّ في فردةٍ منها، لكن هؤلاء مختلفون، أقرب إلى الدُّب من الإنسان، وعلى أجسادهم كسوة من الصُّوف كالماموثات التي يمتطونها، ومن الصَّعب أن تُحَدِّد أطوالهم بدقَّةٍ وهُم راكبون. عشرة أقدام ربما، أو اثنا عشر قدمًا، ربما أربعة عشر على الأكثر. صدورهم المقوَّسة تُشبه إلى حَدٍّ ما صدور البَشر، لكن أذرُعهم طويلة للغاية، وأسفل جذوعهم يبدو أعرض مرَّةً ونِصفًا من أعلاها، ولئن كانت سيقانهم أقصر من أذرُعهم، فإنها غليظة للغاية، بينما لا ينتعلون أحذيةً في أقدامهم العريضة المفلطحة ذات البروزات السَّوداء الصُّلبة. لاحظَ

چون أيضًا أنهم بلا أعناق، بل تَبرُز رؤوسهم الثَّقيلة الضَّخمة من بين لوحَيْ الكتفين مباشرةً، ووجوههم مضغوطة قاسية الملامح، فيها أعيُن خرزيَّة ضئيلة كأعيُن الجرذان، تكاد لا تُرى وسط طيَّات البشرة ذات النتوءات الكثيرة، ويبدو من تنشُّقهم المتواصل أنهم يستعيضون عن محدوديَّة رؤيتهم بالشَّم.

تبيَّن چون أنهم لا يرتدون الجلود، بل يُغَطِّيهم شَعر أشعث، كثيف تحت الخاصرة وأخفُّ فوقها، وقد فاحَت منهم رائحة خانقة، لكن ربما تكون الماموثات مصدرها. ونفخَ چورامون في بوق الشِّتاء وأيقظَ العماليق من قلب الأرض. بحثَ بعينيه عن سيوفهم العظيمة التي يَبلُغ الواحد منها الأقدام العشرة طولًا ولم يرَ إلَّا الهراوات، أغلبها مجرَّد فروع أشجار ميتة لا تزال على بعضها بضع غصونٍ مكسَّرة، فيما ثبَّت عدد منهم كراتٍ حجريَّة بأطراف الفروع لعمل مدقَّات ضخمة. لا تَذكُر الأغنية إن كان البوق يُمكنه أن يُنيمهم من جديد.

بدا أحد العمالقة المقتربين أكبر سِنًّا من الآخَرين، فَروته رماديَّة وخطَها البياض، والماموث الذي يمتطيه -الأكبر من غيره أيضًا- صُوفه رمادي وأبيض كذلك. رفعَ تورموند صوته موجِّهًا إليه كلماتٍ خشنةٍ متلاحنة بلُغةٍ لم يفهمها چون، فافترقَت شفتا العملاق لتكشفا عن أسنان مربَّعة بالغة الكِبَر، وأصدرَ صوتًا هو مزيج من التَّجشُّؤ والدَّمدمة، وبَعد لحظاتٍ أدركَ چون أنه يضحك. التفتَ الماموث برأسه الهائل يُلقي عليهما نظرةً عابرةً وأحد نابيْه الضَّخمين يمرُّ فوق رأس چون، وخلَّفت الدَّابَّة الثَّقيلة آثار أقدامها الضَّخمة في الطَّمي الطَّري والثُّلوج الحديثة على جانب النَّهر.

صاحَ العملاق برَدٍّ ما من أعلى باللُّغة الخشنة نفسها التي استخدمَها تورموند، فسألَه چون: «أهذا ملكهم؟».

- «العمالقة لا ملوك لهم، تمامًا كالماموثات أو دببة الثُّلوج أو حيتان البحر الرَّمادي العظيمة. هذا ماج مار تون دوه ويج، ماج الجبَّار. يُمكنك أن تركع له إذا أردت، لن يُمانِع. لا بُدَّ أن رُكبتيك اعتادتا الرُّكوع وتتوقان إلى ملكٍ تنثنيان أمامه. لكن حذارِ من أن يدهسك، فالعمالقة نظرهم ضعيف، وربما لا يلحظ وجود غُرابٍ صغير عند قدميه بعيدًا في الأسفل».

- «ماذا قُلت له؟ أهذه اللُّغة القديمة؟».

- «نعم. سألته إن كان هذا أباه الذي يمتطيه. إنهما متشابهان للغاية، لكن رائحة أبيه أفضل».

- «وماذا قال لك؟».

كشفَت ابتسامة تورموند قبضة الرَّعد عن أسنانٍ متفارقة وهو يُجيب: «سألَني إن كانت ابنتي راكبةً إلى جواري، تلك ذات الوجنتين النَّاعمتين المتورِّدتين»، ونفضَ الثَّلج عن ذراعيه وأدارَ حصانه متابعًا: «ربما لم يرَ رجلًا بلا لحيةٍ من قبل. هيا، سنرجع. مانس يغضب بشدَّة إذا لم يجدني في مكاني المعتاد».

دارَ چون وتبعَ تورموند العائد إلى رأس الطَّابور، وقد أحسَّ بثقل معطفه الجديد على كتفيه. كان مفصَّلًا من جِلد الخراف غير المدبوغ، بحيث يُرتدى الوجه الصُّوف إلى الدَّاخل كما اقترحَ الهمج، ويحميه لدرجةٍ لا بأس بها من الثُّلوج ويُدفئه جيِّدًا ليلًا، لكنه احتفظَ بمعطفه الأسود مطويًّا تحت سَرجه كذلك. سألَ تورموند وهما راكبان وجوست يتواثَب بصمتٍ إلى جوارهما تاركًا آثار أقدامه في الثَّلج: «أصحيحٌ أنك قتلت عملاقةً ذات مرَّة؟».

- «ولماذا تشكُّ في كلام رجلٍ قويٍّ مِثلي؟ كنا في الشِّتاء وكنتُ غُلامًا، وأحمق كما الغلمان جميعًا. ابتعدتُ كثيرًا وماتَ حصاني، ثم باغتَتني عاصفة، عاصفة حقيقيَّة وليس قليل من الرَّذاذ مِثل هذا، هار! أدركتُ أني سأتجمَّدُ حتى الموت قبل أن تمرَّ، فعثرتُ على عملاقةٍ نائمة وشققتُ بطنها وزحفتُ إلى داخله، ورغم أنها دفَّأتني بما فيه الكفاية فالرَّائحة كادَت تَقتُلني. أسوأ ما في الأمر أنها استيقظَت عندما جاءَ الرَّبيع وحسبَتني صغيرها، وأرضعَتني طيلة ثلاثة أقمار كاملة قبل أن أستطيع الهرب، هار! ما زلتُ أفتقدُ مذاق لبن العمالقة أحيانًا».

- «كيف قتلتها إذن ما دامَت أرضعَتك؟».

- «لم أقتلها، لكن لا تُثَرثِر عن هذا. تورموند بليَّة العماليق وقعها أفضل من تورموند رضيع العماليق، وهذه هي الحقيقة الخالصة».

- «كيف حصلت على ألقابك الأخرى إذن؟ مانس دعاك بنافخ البوق، أليس كذلك؟ وسيِّد البتع في (البهو القاني)، وزوج الدِّببة، وأبي الجيوش».

كان الجزء الخاص بالنَّفخ في البوق هو ما يهمُّ چون حقًّا، لكنه لم يجرؤ على

السُّؤال الصَّريح. ونفخَ چورامون في بوق الشِّتاء وأيقظَ العماليق من قلب الأرض. هل أتوا من الأرض حقًّا هُم وماموثاتهم؟ هل عثرَ مانس رايدر على بوق چورامون وأعطاه لتورموند قبضة الرَّعد ليَنفُخ فيه؟

قال تورموند: «أكلُّ الغِربان فضوليُّون هكذا؟ حسن، سأحكي لك الحكاية. كان هذا في شتاءٍ آخَر، أكثر برودةً من الذي قضيته في بطن العملاقة، والثَّلج يَسقُط ليل نهار في نُدف كبيرة كرأسك، لا كهذه الرُّقاقات الصَّغيرة. ليلتها سقطَت الثُّلوج بغزارةٍ دفنَت القرية حتى نِصفها، وكنتُ في بهوي القاني بلا صُحبةٍ إلَّا برميل من البتع ولا شيء أفعله غير أن أشربه، وكلما شربتُ أكثر فكَّرتُ في تلك المرأة التي تعيش على مقربةٍ مني، امرأة قويَّة رائعة ولها أكبر ثديَيْن رأيتهما في حياتي كلها. كانت حادَّة الطِّباع تلك المرأة، أوه، لكن دافئة أيضًا، وفي جوف الشِّتاء يحتاج الرَّجل إلى الدِّفء. كلما شربتُ أكثر فكَّرتُ فيها، وكلما فكَّرتُ فيها أحسستُ بعُضوي ينتصب أكثر، حتى لم أعُد أستطيع الاحتمال، وبكلِّ حُمق دثَّرتُ نفسي بالفرو من رأسي إلى قدمَيْ ولففتُ وجهي بالصُّوف وخرجتُ ذاهبًا إليها. كان الثَّلج ينهمر بشدَّة فضللتُ طريقي مرَّةً أو مرَّتين، وهبَّت الرِّيح ناخرةً جسدي حتى جمَّدت عظامي، لكني بلغتها أخيرًا وأنا أرتدي أكوام ملابسي. كانت ثائرةً تمامًا، وقاومَتني بمنتهى الضَّراوة حين وضعتُ يدَيْ عليها، وبذلتُ أقصى جهدي حتى حملتها إلى داري وخلعتُ ما عليها من أصواف، لكن لمَّا فعلت هذا، أوه، وجدتها أكثر سخونةً مما أذكرُ، وأمضينا وقتًا جميلًا قبل أن أخلد إلى النَّوم. في الصَّباح التَّالي استيقظتُ لأجد الثَّلج توقَّف والشَّمس ساطعةً، وإن لم أجد نفسي في حالةٍ تسمح بالاستمتاع بالطَّقس. جسدي كله جروح وخدوش، وعُضوي نِصفه مقضوم، وعلى الأرض فروة دُبَّة. سرعان ما شاعَت بين شعب الأحرار حكايات عن دُبَّةٍ صلعاء في الغابة، ومعها أغرب دَيْسَمَيْن رآهما أحد، هار!»، وربَّت على فخذه اللَّحيم مكملًا: «ليتني أعثرُ عليها مجدَّدًا. كان النَّوم معها رائعًا تلك الدُّبَّة، ولم تُقاتِلني امرأة مِثلها قطُّ، أو تمنحني أبناء أقوياء».

قال چون مبتسمًا: «وماذا يُمكنك أن تفعل إذا عثرت عليها؟ قلتَ إنها قضمَت عُضوك».

رَدَّ تورموند: «نِصفه فقط، ونِصف عُضوي أطول من عُضو أيِّ رجلٍ

مرَّتين»، ثم إنه أضافَ ساخرًا: «أمَّا أنت... أصحيحٌ أنهم يقطعون أعضاءكم عندما يقبلونكم على (الجدار)؟».

أجابَ چون شاعرًا بالإهانة: «كلا».

- «أعتقدُ أن ما يُقال صحيح، وإلَّا لماذا تَرفُض إيجريت؟ لا يبدو لي أنها ستُقاومك إطلاقًا. الفتاة تُريدك في داخلها، ما أوضح هذا».

ما أوضحه حقًّا، ويبدو أن نصف الطَّابور رآه. أشاحَ چون بوجهه وأمعنَ النَّظر إلى الثُّلوج المتساقطة كي لا يرى تورموند احمراره، وذكَّر نفسه: أنا رجل في حَرس اللَّيل. لماذا يَشعُر إذن كأنه عذراء تكاد تذوب حياءً؟

إنه يقضي معظم النَّهارات مع إيجريت، ومعظم اللَّيالي كذلك، إذ لم يُغفِل مانس رايدر غياب ثقة ذي القميص المُخشخِش بـ«الغُراب المارق» كما أطلقَ عليه، وبَعد أن أعطى چون معطفه الجديد المصنوع من جِلد الخراف اقترحَ عليه أن يركب في صُحبة تورموند بليَّة العماليق، فوافقَ چون بكلِّ سرور، وفي اليوم التَّالي تركَت إيجريت ورايك ذو الحربة الطَّويلة مجموعة ذي القميص المُخشخِش إلى مجموعة تورموند بدورهما، وقالت له الفتاة: «الأحرار يركبون مع من يُريدون، ولقد سئمنا من جوال العظم هذا».

كلما خيَّموا ليلًا وضعَت إيجريت جلود نومها إلى جواره، سواء أكان قريبًا من النَّار أو بعيدًا عنها جدًّا، وفي مرَّةٍ استيقظَ ليجدها ضمَّت نفسها إليه ووضعَت ذراعها على صدره، فظَلَّ مستلقيًا في مكانه فترةً طويلةً يُصغي إلى أنفاسها ويُحاول تجاهُل الحرارة بين ساقيه. أحيانًا يتقاسَم الجوَّالة جلود النَّوم طلبًا للدِّفء، لكنه لا يظنُّ أن إيجريت تَنشُد الدِّفء فحسب. بَعد تلك اللَّيلة اعتادَ أن يستغلَّ جوست في إبقائها بعيدًا. كانت العجوز نان تحكي عن الفُرسان والليديهات الذين ينامون في سرير واحدٍ وبينهم سيفٌ من أجل الحفاظ على الشَّرف، وخطرَ له أن هذه هي المرَّة الأولى التي يحلُّ فيها ذئب رهيب محلَّ سيف.

ومع ذلك ظلَّت إيجريت تُثابِر. في اليوم قبل السَّابق أخطأَ چون وقال أمامها إنه يتمنَّى لو أن معه ماءً ساخنًا للاستحمام، فردَّت في الحال: «البارد أفضل إذا كان لديك من يُدفِئك بعدها مباشرةً. النَّهر لم يتجلَّد عن آخِره، يُمكنك أن تنزل».

قال ضاحكًا: «أتُريدين أن أموت متجمِّدًا؟».

- «هل يخشى الغِربان كلُّهم القشعريرة؟ قليل من الجليد لن يَقتُلك، وسأنزلُ معك لأثبت لك».

- «ونركب بقيَّة اليوم بثياب مبتلَّة تتجمَّد على جِلدنا؟».

- «چون سنو، أنت لا تعلمُ شيئًا. لن تنزل بثيابك».

- «لن أنزل على الإطلاق»، قال بحسمٍ قبل أن يتظاهر بأنه سمعَ تورموند قبضة الرَّعد يزعق مناديًا إياه.

بدا أن الهَمج يعدُّون إيجريت رائعة الجَمال بسبب شَعرها، فالشَّعر الأحمر نادر بينهم، ويقولون إن أصحابه قبَّلتهم النَّار، وهو الشَّيء المفترَض أنه يجلب الحظ. وقد تكون إيجريت محظوظةً، وشَعرها بالتَّأكيد أحمر، لكنه متشابك عن آخِره، حتى إن چون أرادَ أن يسألها إن كانت تُمَشِّطه كلما تغيَّرت الفصول فقط.

يعلم أن الفتاة كانت ستُعَدُّ تقليديَّةً تمامًا لو أنها في قلعة أحد اللوردات، بوجهها الرِّيفي المستدير وأنفها الأفطس وأسنانها المعوجَّة نوعًا وعينيها المتباعدتين كثيرًا. لاحظَ چون كلَّ هذا حين رآها أول مرَّة وكان خنجره على عُنقها، وإن بدأ يُلاحِظ أشياء أخرى في الفترة الأخيرة، فعندما تبتسم لا يبدو اعوجاج أسنانها مهمًّا، وربما تكون عيناها متباعدتين كثيرًا لكن لونهما الرَّمادي المائل إلى الزُّرقة جميل وفيهما حياة أكثر مما رأى في أيِّ عين. أحيانًا تُغَنِّي بصوتٍ خفيض مبحوح يُحَرِّكه، وأحيانًا تجلس عند نار الطَّهو محتضنةً رُكبتيها، فتوقِظ أصداء اللَّهب في شَعرها الأحمر وتتطلَّع إليه مبتسمةً لا أكثر... هذا أيضًا يُحَرِّك فيه بضعة أشياء.

لكنه من رجال حَرس اللَّيل وحلفَ اليمين. لن أتَّخذ لنفسي زوجةً، أو أملك أرضًا، أو أنجب أبناءً. لقد ردَّد الكلمات أمام شجرة الويروود، أمام آلهة أبيه، ولا يُمكنه أن يتراجَع فيها... تمامًا كما لا يُمكنه أن يعترف بسبب إحجامه لتورموند قبضة الرَّعد وأبي الدِّببة.

- «ألا تروقك الفتاة؟»، سألَه تورموند وهما يَمُرَّان بعشرين من الماموثات التي تحمل هَمجًا في أبراج خشبيَّة طويلة بدلًا من العمالقة.

- «ليس هذا، لكني...». ماذا أقولُ ويُصَدِّقه؟ «... لكني ما زلتُ صغيرًا على الزَّواج».

رَدَّ تورموند ضاحكًا: «الزَّواج؟ من قال شيئًا عن الزَّواج؟ أيجب أن يتزوَّج الرَّجل كلَّ فتاةٍ يُعاشِرها في الجنوب؟».

أحسَّ چون بوجهه يتورَّد خجلًا ثانيةً، وقال: «لقد دافعَت عني بكلامها لمَّا أرادَ ذو القميص المُخشخِش أن يَقتُلني، ولا أرغبُ في تلويث شَرفها».

- «أنت رجل حُر الآن، وإيجريت امرأة حُرَّة، فما الذي يُلَوِّث الشَّرف في نومكما معًا؟».

- «قد تحمل مني».

- «نعم، وأتمنَّى هذا. ولد قوي أو بنت نشيطة ضحوك قبَّلتها النَّار، ما الضَّرر في هذا؟».

خذلَه الكلام لحظةً قبل أن يُجيب: «هذا الولد... هذا الطِّفل سيكون نغلًا».

- «وهل النُّغول أضعف من الأطفال الآخَرين؟ أو أكثر عُرضةً للمرض أو الفشل؟».

- «لا، لكن...».

- «أنت نفسك نغل، وإذا لم تكن إيجريت تُريد طفلًا، فستذهب إلى واحدةٍ من ساحرات الغابة وتشرب كوبًا من شاي القمر يُجهِضها. لا علاقة لك بالأمر بمجرَّد أن تزرع البذرة».

- «لن أنجب نغلًا أبدًا».

هَزَّ تورموند رأسه الأشعث قائلًا: «يا لكم من حمقى أيها الرُّكَّع. لماذا اختطفت الفتاة إذن ما دُمت لا تُريدها؟».

- «اختطفتها؟ إنني لم...».

- «بل فعلت، قتلت الاثنين اللذين كانا معها وأخذتها معك، فماذا تُسَمِّي هذا؟».

- «أخذتها سجينةً».

- «لكنك جعلتها تستسلم لك».

- «نعم، ولكن... تورموند، أقسمُ لك أني لم ألمسها».

قال تورموند: «أأنت واثق بأنهم لم يقطعوا عُضوك؟»، وهَزَّ كتفيه كأنما يقول إنه لن يستوعب هذا الجنون أبدًا، وأضافَ: «حسن، أنت رجل حُر الآن،

وإذا كنت لا تُريد الفتاة، فأنصحك بأن تجد لنفسك دُبَّةً. إذا أهملَ الرَّجل استخدام عُضوه فإنه يظلُّ يتضاءل ويتضاءل، إلى أن يأتي يوم ويُريد أن يتبوَّل فلا يجده».

لم يجد چون رَدًّا. لا عجب أن أهل (الممالك السَّبع) يعدُّون الأحرار إنسًا بالكاد. إنهم لا يعرفون القوانين أو الشَّرف أو حتى أصول الكياسة البسيطة، يسرق بعضهم من بعض بلا نهاية، ويتوالَدون كالدَّواب، ويُؤثرون الاغتصاب على الزَّواج، ويملأونَ العالم بالأطفال غير الشَّرعيِّين. ومع ذلك وجدَ شغفه يتنامى بتورموند بليَّة العماليق على الرغم من كلِّ هرائه وأكاذيبه، ورايك ذي الحربة الطَّويلة أيضًا... وإيجريت... لا، لن أفكر في إيجريت.

لكن مع أشباه تورموند وذي الحربة الطَّويلة كانت أنواع أخرى من الهَمج، رجال مِثل ذي القميص المُخشخِش والبكَّاء بإمكانهم أن يُردوك قتيلًا بمنتهى البساطة، بخلاف هارما رأس الكلب، المرأة القصيرة البدينة ذات الوجنتين الشَّبيهتين بشرائح اللَّحم الأبيض، التي تبغض الكلاب وتَقتُل واحدًا كلَّ أسبوعين لتُعلِّق رأسه على رايتها، وستير ماجنَر (ثِن) الأصلم، الذي يعتبره قومه إلههم أكثر من سيِّدهم، وڤارامير سِت جلود، الرَّجل الصَّغير الشَّبيه بالفأر الذي يمتطي دُبَّ ثلوج أبيض ضاريًا يرتفع ثلاثة عشر قدمًا إذا وقفَ على قائمتيه الخلفيَّتين، وأينما ذهبَ الدُّب وڤارامير تبعَتهما ثلاثة ذئاب وقِطُّ ظِل. وجدَ چون نفسه في حضوره مرَّةً واحدةً، وهذه المرَّة الوحيدة كانت تكفي، فمجرَّد منظره جعلَ الشُّعيرات الدَّقيقة على مؤخِّرة عُنقه تنتصب، تمامًا كما حدثَ مع جوست حينما رأى الدُّب والقِط الأبيض والأسود الطَّويل.

وثمَّة أناس أضرى من ڤارامير أتوا من أقصى شمال (الغابة المسكونة) وأودية (أنياب الصَّقيع) الخفيَّة وأماكن أخرى أغرب، ناهيك بأهل (السَّاحل المتجمِّد) الذين يركبون عرباتٍ مصنوعة من عظام الفَظ[1] وتجرُّها قُطعان من الكلاب الشَّرسة، وعشائر الأنهار الجليديَّة الرَّهيبة التي يُقال إنها تلتهم اللَّحم البَشري، وسُكَّان الكهوف ذوي الوجوه المصبوغة بالأزرق والأرجواني

(1) الفَظ حيوان بحري شبيه بالفقمة، يتميَّز بشاربه الكثيف وفمه العريض الذي يَخرُج منه زوج من الأنياب العاجيَّة الحادَّة. (المترجم).

والأخضر. بأُمِّ عينيه رأى چون رجال قبيلة ذوي الحوافر يمضون في طابور بأقدام حافية باطِنها صُلب قاسٍ كالجلد المقوَّى بالزَّيت المغلي، لكنه لم يرَ أيَّ سَناركات أو جرامكِنات[1]، وإن لم يكن من المستبعَد أن يَزعُم تورموند أنه تناولَ بعضها على العَشاء.

قدَّر چون أن نِصف من في جيش الهَمج عاشوا حياتهم كلَّها دون أن يلمحوا (الجدار) ولو من بعيد، ومعظمهم لا يتكلَّم اللُّغة العاميَّة، وإن لم يهمَّ هذا كثيرًا بما أن مانس رايدر يُجيد اللُّغة القديمة، بل ويُغَنِّي بها وهو يُداعِب عوده ويملأ اللَّيل بموسيقى برِّيَّة غريبة.

قضى مانس سنينًا يحشد هذا الجيش العظيم الذي يمضي متهاديًا، يتكلَّم مع أمَّهات القبائل وزعمائها، ويضمُّ قريةً بالكلمات المعسولة وأخرى بالغناء وثالثةً بحَدِّ السَّيف، ويعقد السَّلام بين هارما رأس الكلب وسيِّد العظام، وبين قبيلتَيْ ذوي الحوافر وعدَّائي اللَّيل، وبين ساكني (السَّاحل المتجمِّد) الأفظاظ وعشائر آكلي لحوم البَشر، مطرِّقًا مئة خنجر معًا وصانعًا منها حربةً واحدةً عظيمةً ينوي أن يُسَدِّدها إلى قلب (الممالك السَّبع). إنه لا يعتمر تاجًا أو يحمل صولجانًا، ولا يرفل في ثياب من الحرير والمخمل، لكن من الجليِّ تمامًا لچون أنه ملك فعلًا لا مجرَّد اسم.

لقد انضمَّ چون إلى الهَمج بأمرٍ من كورين ذي النِّصف يد، الذي قال له في اللَّيلة السَّابقة لموته: «اركب معهم، كُل معهم، قاتِل معهم، وراقِب». كان ذو النِّصف يد قد خمَّن أن الهَمج قد نزحوا إلى (أنياب الصَّقيع) الكئيبة المقفرة بحثًا عن سلاح ما، قوَّةٍ ما، شعوذةٍ رهيبة ما تُمَكِّنهم من اختراق (الجدار)... لكن إذا كانوا قد عثروا عليها، فلا أحد يتباهى بها على الملأ أو يُريها لچون، ولا أسرَّ له مانس رايدر بأيٍّ من خُططه أو ترتيباته، حتى إنه لم يرَ الرَّجل إلَّا من بُعد منذ تلك اللَّيلة الأولى.

سأقتله إذا لم يكن هناك مناص. لم تُشعِر الفكرة چون بأيِّ سرور، فلا شَرف في قتْلةٍ كتلك، كما أنها ستعني موته أيضًا، لكنه لن يسمح أبدًا للهَمج

---

(1) السنارك والجرامكِن مخلوقان خياليَّان يرد ذكرهما في الحكايات الشَّعبيَّة في (وستروس)، الأول وحش ليس له وصف محدَّد، والثَّاني يُقال إنه يُحَقِّق الأماني بالسِّحر. (المترجم).

باختراق (الجِدار) وتهديد (وينترفل) والشَّمال، و(الرَّوابي) و(الغُدران)، و(الميناء الأبيَض) و(السَّاحل الحجري)، وحتى (العُنق). طيلة ثمانية آلاف عام ورجال عائلة ستارك يعيشون ويموتون للذَّود عن قومهم ضد المغيرين المخرِّبين... وسواء أكان ولدًا غير شرعي أم لم يكن، فالدِّماء نفسها تتدفَّق في عروقه. ثم إن بران وريكون ما زالا في (وينترفل)، والمِايستر لوين والسير رودريك والعجوز نان وفارلن قيِّم الوجار وميكن في ورشته وجايج أمام أفرانه... جميع من عرفتهم في حياتي كلها، جميع من أحببتهم. إذا تحتَّم أن يَقتُل جون رجلًا بدأ يُعجَب به ويكاد يُحِبُّه لإنقاذهم من الوقوع تحت رحمة ذي القميص المُخشخِش وهارما رأس الكلب وماجنَر (ثِن) عديم الأذنين، فهذا ما سيفعله بالضَّبط.

وعلى الرغم من ذلك يُصَلِّي لآلهة أبيه كي تُغنيه عن تلك المهمَّة الكريهة. الجيش يزحف ببُطءٍ بالغ، تُثقله قُطعان الهَمج وأطفالهم وكنوزهم القليلة الرَّخيصة، وقد أبطأَ هطول الثُّلوج حركته أكثر. كان معظم الطَّابور قد خرجَ من بين التِّلال، ويتصبَّب بطول ضفَّة (النَّهر اللَّبني) الغربيَّة كالعسل ذات صباحٍ شتويٍّ بارد، متَّبعًا مسار النَّهر إلى قلب (الغابة المسكونة).

يعرف جون أن في مكانٍ ما قريب أمامهم تقبع (قبضة البَشر الأوائل) شامخةً فوق الأشجار، آويةً ثلاثمئةً من إخوان حَرس اللَّيل السُّود المدجَّجين بالسِّلاح، معهم خيولهم وينتظرون. كان الدُّب العجوز قد أرسلَ كشَّافةً غير ذي النِّصف يد، ولا بُدَّ أن چارمان بكويل أو ثورين سمولوود قد عادَ حاملًا نبأ القادمين من وسط الجبال.

لكن مورمونت لن يهرب. إنه عجوز جدًّا وقطعَ شوطًا طويلًا. سيضرب ضربته بلا اعتبار للأعداد. ذات يوم قريب سيسمع أبواق الحرب تصدح ويرى كوكبةً من الخيَّالة المنقضِّين عليهم، تُرَفرِف معاطفهم السَّوداء وراءهم ويلمع الفولاذ البارد في أيديهم. لا أمل لثلاثمئة رجلٍ في دحْر جيشٍ يفوقهم مئة مرَّةٍ بالطَّبع، لكن جون لا يحسب أن من الضَّروري أن يُجهِزوا عليهم جميعًا. لن يحتاج مورمونت إلى قتل ألفٍ منهم، بل واحد فقط. وحده مانس الذي يشدُّ وثاقهم.

كان ملك ما وراء الجِدار يبذل قصارى جهده، لكن الهَمج يظلُّون بعيدين أشدَّ البُعد عن الانضباط، وفي هذا تكمُن نُقطة ضَعفهم. هنا وهناك في خَطٍّ

زحفهم الثُّعباني الذي يمتدُّ فراسخ طويلةً ثمَّة مُحاربون يُبارون أيًّا من الحَرس في بأسهم، لكن ثُلثهم موزَّع على طرفَيْ الطَّابور، مع هارما رأس الكلب في الطَّليعة، ومع حُرَّاس المؤخِّرة الضَّارين والعمالقة والثِّيران البرِّيَّة وقاذفات النَّار. الثُّلث الثَّاني يركب مع مانس نفسه بالقُرب من القلب، ويَحرُس المركبات والمِزلجات والعربات المجرورة بالكلاب، التي تحمل الجزء الأكبر من مؤن الجيش، كلَّ ما تبقَّى من حصاد الصَّيف المنصرم. أمَّا الثُّلث الأخير فمقسَّم إلى مجموعاتٍ صغيرة تحت قيادة ذي القميص المُخشخِش وچارل وتورموند بليَّة العماليق والبكَّاء وأمثالهم، ويعكف أفرادها على الاستقصاء وجمع الموارد، بالإضافة إلى الهرولة بطول الطَّابور بلا نهايةٍ للتَّأكُّد من حركته بشيءٍ من النِّظام.

الأكثر أهميَّة أن واحدًا لا أكثر من كلِّ مئة همجي يركب حصانًا. سيُضَعضِع الدُّب العجوز صفوفهم كالفأس في العجين. وعندما يَحدُث هذا سيضطرُّ مانس إلى مطارَدة المهاجِمين بمَن معه في القلب في محاولةٍ لتخفيف وطأة التَّهديد، فإذا سقطَ في القتال الذي لا بُدَّ أن يتبع هذا، سيبقى (الجِدار) آمنًا مئة سنةٍ أخرى في تقدير چون. أمَّا إذا لم يَسقُط...

بسطَ أصابع يده المحروقة وقبضَها. كان سيفه النَّغل العظيم[1] (المخلب الطَّويل) معلَّقًا من السَّرج، والقبيعة المنحوتة على شكل رأس ذئب والمقبض الجِلدي اللَّيِّن في متناوَله بسهولة.

حين لحقا بمجموعة تورموند بَعد ساعاتٍ طويلة كان الثَّلج يَسقُط بغزارة، وقد اختفى چوست خلال الطَّريق وذابَ في بياض الغابة إذ اشتمَّ رائحة فريسةٍ ما. سيرجع الذِّئب الرَّهيب وقت أن يُخَيِّموا اللَّيلة، أو عند الفَجر على الأكثر. مهما ابتعدَ چوست فإنه يعود دومًا... وإيجريت أيضًا على ما يبدو.

سألَته الفتاة لمَّا رأته: «هل تُصَدِّقنا الآن يا چون سنو؟ هل رأيت العمالقة والماموثات؟».

---

(1) السَّيف النَّغل مصطلح يُطلَق في عالمي الواقع والرواية على السَّيف الذي يقع حجمه بين السَّيف الطَّويل والسَّيف العظيم الذي يُحمَل باليدين، ويُطلَق عليه أيضًا «يد ونصف». يُلاحَظ أن (المخلب الطَّويل) أقرب إلى السَّيف العظيم، ولكن يُحمَل بيدٍ واحدة. (المترجم).

صاحَ تورموند قبل أن يُجيب: «هار! الغُراب واقع في الحُب، ويُريد أن يتزوَّج!».

قال رايك ذو الحربة الطَّويلة ضاحكًا: «عملاقة؟».

هدرَ تورموند: «لا، ماموثة! هار!».

خَبَّت فَرس إيجريت إلى جوار چون وهو يُبطِئ حركة حصانه. تَزعُم الفتاة أنها تكبَره بثلاثة أعوام، مع أن قامتها أقصر منه بنِصف قدم، لكن أيًّا كانت سِنُّها فالفتاة قويَّة وخشنة حقًّا. كان ثعبان الحجر قد دعاها بالزَّوجة الحربة حين أسَراها في (الممر الصَّادح)، لكنها ليست متزوِّجةً، وسلاحها المفضَّل قوس قصير مصنوع من القرون وخشب الويرووود، وعلى الرغم من هذا يُناسِبها لقب الزَّوجة الحربة تمامًا. إنها تُذَكِّره بعض الشَّيء بأخته آريا، وإن كانت آريا أصغر وغالبًا أنحف، فمن الصَّعب أن تعرف إن كانت إيجريت نحيلةً أم ممتلئةً تحت كلِّ ما ترتديه من فروٍ وجلود.

سألَته: «أتعرف (آخِر العمالقة)؟»، ودون أن تنتظر جوابًا قالت: «غناؤها يتطلَّب صوتًا أعمق من صوتي»، ثم إنها شرعَت في الغناء: «أووووه، أنا آخِر العمالقة، وشعبي اختفى من الأرض».

سمعَ تورموند الكلمات فابتسمَ ابتسامةً واسعةً، ورفعَ عقيرته وسط الثُّلوج: «آخِر عمالقة الجبال العظام، الذين سادوا العالم وأنا في المهد».

انضمَّ رايك ذو الحربة الطَّويلة إليهما مغنِّيًا: «أوه، سرقَ الضِّئال غاباتي، سرقوا الأنهار والوديان».

ردَّت عليه إيجريت وتورموند بصوتين جهوريَّين: «وشيَّدوا جِدارًا عظيمًا في سُهولي، وصادوا كلَّ السَّمك من الغُدران».

أضافَ توريج ودورموند ابنا تورموند صوتيهما العميقيْن إلى الأغنيَّة، ثم ابنته موندا والبقيَّة، وبدأ آخَرون يقرعون تروسهم الجلديَّة بالحراب صانعين نغمةً خشنةً، إلى أن هيمنَ الغناء على المجموعة كلِّها.

في أبهاء من الحجر نيرانهم العظيمة موقدة
في أبهاء من الحجر يَدُقُّون الحراب القاطعات
بينما أمشي وحيدًا في الجبال



ولا صديق لي إلَّا العبرات
يُطارِدونني ليلًا بالمشاعل
ويُطارِدونني بالكلاب إذا أتى النَّهار
فلن يعرف الضِّئال أبدًا معنى الشُّموخ
ما دامَ العمالقة يمشون في النُّور
أوووووه، أنا آخِر العمالقة
فاحفظوا كلمات أغنيتي
فلمَّا أرحلُ سيذوي الغناء
وطويلًا طويلًا سيسود الهدوء

كانت الدُّموع تجري على وجنتَيْ إيجريت حين انتهَت الأغنيَّة.

قال جون: «لماذا تبكين؟ إنها مجرَّد أغنيَّة. هناك المئات من العمالقة، لقد رأيتهم لتوِّي».

ردَّت مغضبةً: «أوه، مئات. لستَ تعلم شيئًا يا جون سنو، أنت... **جون!**».

التفتَ جون مع صوت الأجنحة المفاجئ، وفي لحظةٍ ملأ الرِّيش الرَّمادي المزرق بصره، وانغرسَت المخالب الحادَّة في وجهه، ومرقَ الألم الأحمر الممضُّ فيه كالرُّمح والجناحان يضربان رأسه. رأى المنقار، لكن الوقت لم يُسعِفه برفع يده أو استلال سلاحه، وسقطَ جون إلى الوراء وقد انخلعَت قدمه من رِكاب حصانه الذي اندفعَ يجري مذعورًا، فوجد نفسه يَسقُط، وعلى الرغم من هذا ظَلَّ النَّسر متشبِّثًا بوجهه، تخمشه مخالبه وهو يضرب بجناحيه ويَصرُخ ويَنقُر. انقلبَ العالم رأسًا على عقبٍ في فوضى من الرِّيش ولحم الخيل والدَّم، ثم ارتطمَ بالأرض.

أدركَ بَعدها أنه واقع على وجهه، وفي فمه مذاق الوحل والدَّم، بينما تميل إيجريت فوقه بوضع دفاعي وفي يدها خنجر من العظم. ظَلَّ يسمع خفقان الجناحين لكنه لم يرَ النَّسر نفسه، وقد اسودَّ نِصف عالمه. بجزعٍ مباغت رفعَ يده إلى وجهه قائلًا: «عيني».

- «إنها دماء لا أكثر يا جون سنو. لقد أخطأَ العين، لكنه مزَّق جزءًا من الجِلد».

كان وجهه ينبض ألمًا، وبينما مسحَ الدَّم عن عينه اليُسرى، رأى باليُمنى تورموند يهدر غاضبًا، ثم سمعَ حوافر خيول وصياحًا وخشخشة عظامٍ قديمة جافَّة.

جأرَ تورموند: «مُر غُراب الجحيم هذا بالتَّوقُّف يا جوال العظم!».

رَدَّ ذو القميص المُخشخِش مشيرًا إلى چون: «هذا هو غُراب الجحيم! ينزف في الوحل ككلبٍ غادر!»، وحَطَّ النَّسر على جمجمة العملاق المكسورة التي يعتمرها كخوذةٍ وهو يُردِف: «إنني هنا من أجله».

قال تورموند: «تعالَ وخُذه، لكن خيرٌ لك أن تأتي حاملًا سيفك لأنك ستجد سيفي في يدي. ربما أسلخُ لحمك عن عظامك وأصنعُ من جمجمتك مبولةً! هار!».

- «عندما أخزك ويتسرَّب الهواء كلُّه من داخلك، ستتقلَّص إلى حجم هذه الفتاة أو أصغر. تنحَّ جانبًا وإلَّا أخبرتُ مانس».

نهضَت إيجريت متسائلةً: «ماذا؟ مانس هو من يُريده؟».

- «هذا ما قلته، أليس كذلك؟ اجعليه يقف على قدميه السَّوداوين».

عقدَ تورموند حاجبيه قائلًا لچون: «الأفضل أن تذهب ما دامَ المانس هو من يُريدك».

ساعدَته إيجريت على النُّهوض قائلةً: «إنه ينزف كخنزيرٍ مذبوح. انظُر ما فعلَه أورل بوجهه الجميل».

هل تعرف الطُّيور الكراهية؟ لقد قتلَ چون الهمجيَّ أورل، لكن جزءًا من الرَّجل ظَلَّ حيًّا في النَّسر. كانت العينان الذَّهبيَّتان تَرمُقانه بحقدٍ بارد، بينما أخذَ الدَّم يجري في عينه اليُسرى واشتعلَت وجنته ألمًا، ولمَّا مَسَّها رأى قُفَّازه الأسود ملطَّخًا بالأحمر. قال لذي القميص المُخشخِش: «سآتي. دعني أمسك حصاني». الحقيقة أنه لم يكن يُريد الحصان لحظتها بقَدر ما أرادَ جوست، لكن الذِّئب الرَّهيب كان غائبًا عن الأنظار. قد يكون على بُعد فراسخ عديدة من هنا، يُمَزِّق عُنق إلكةٍ ما. ولعلَّ في هذا خير.

نكصَ الحصان منه عندما اقتربَ وقد أخافَه منظر الدَّم على وجه چون لا ريب، لكنه هدَّأه بكلماتٍ رقيقةٍ قليلة حتى اقتربَ واستطاع أن يلتقط العِنان، وحين وثبَ فوق السَّرج أحسَّ برأسه يدور. يجب أن أجد من يعتني بالجرح،

لكن ليس على الفور. فليرَ ملك ما وراء الجدار ما فعلَه نَسره بي. فتحَ يُمناه وأغلقَها ثم مَدَّها إلى (المخلب الطَّويل) وثبَّت السَّيف النَّغل وراء كتفه، قبل أن يدور بالحصان ويعود إلى حيث ينتظر سيِّد العظام وفِرقته.

إيجريت أيضًا كانت منتظرةً على حصانها وقد تصدَّرت ملامحها نظرة مشاكسة، وقالت: «أنا أيضًا قادمة».

قال ذو القميص المُخشخِش وعظام واقي صدره تُصادِم بعضها بعضًا: «اذهبي من هنا. لقد أُرسِلتُ من أجل الغُراب المارق لا غير».

- «المرأة الحُرَّة تركب حيثما شاءَت».

كانت الرِّيح تذرو الثَّلج في عينَيْ چون وتُجَمِّد الدِّماء على وجهه، فقال: «هل ستتكلَّم أم نتحرَّك؟».

أجابَ سيِّد العظام: «سنتحرَّك».

خيَّمت الكآبة على رحلتهم. هروَلوا مسافة ميلين في اتِّجاه حركة الطَّابور وسط دوَّامات الثَّلج، ثم مَرُّوا عبر غابةٍ من عربات الأمتعة، وخاضوا في (النَّهر اللَّبني) حيث يعقد أنشوطةً واسعةً نحو الشَّرق. كانت قشرة رقيقة من الجليد تُغَطِّي المنطقة الضَّحلة من النَّهر، وقد راحَت حوافر الخيول تسحقها إلى أن بلغوا منطقةً أعمق على بُعد عشر ياردات.

بدا كأن الثُّلوج تنهمر بسرعةٍ أكبر على الضِّفَّة الشَّرقيَّة، وأخذَت تتجمَّع في أكوام عالية. حتى الرِّيح أبرد. وعلاوةً على كلٍّ هذا كان اللَّيل يدنو.

حَتى وسط الثُّلوج الهابَّة لم يكن هناك سبيل لأن يُخطِئ تعرُّف التَّل الأبيض الكبير السَّامي فوق الأشجار. (قبضة البَشَر الأوائل). سمعَ چون صريخ النَّسر آتيًا من أعلى، وتطلَّع إليه غُداف من فوق فرع شجرة صنوبر جُندي ونعبَ وهو يمرُّ. هل نفَّذ الدِّب العجوز هجومه؟ لكن بدلًا من تقارُع الفولاذ وطنين السِّهام لم يسمع چون إلَّا الصَّوت الخافت لانسحاق قشرة الجليد تحت حوافر حصانه.

بصمتٍ داروا حول التَّل حتى المنحدَر الجنوبي حيث يَسهُل الصُّعود أكثر، وهناك عند السَّفح رأى چون الحصان الميت الملقى نِصف مدفون في الثَّلج، وقد خرجَت أحشاؤه من بطنه وتدلَّت كثعابين متجمِّدة، واختفَت إحدى

سيقانه. خطرَ لجون أولًا أنها الذِّئاب، لكن سرعان ما أدركَ خطأ الخاطر، فالذِّئاب تأكل ما تَقتُله.

ارتمى المزيد من الخيول على المنحدَر بقوائم ملتوية على نحوٍ بشع وأعيُنٍ ميتة تُحَملِق إلى الفراغ، فانقضَّ الهَمج عليها كسَربٍ من الذُّباب، يُجَرِّدونها من السُّروج والألجمة والأجربة والدُّروع، ثم يُقَطِّعون لحمها بفؤوس حجريَّة.

قالَ ذو القميص المُخشخِش: «إلى أعلى. مانس على القمَّة».

ترجَّلوا خارج السُّور الدَّائري واعتصروا أجسادهم ليَمُرُّوا من ثغرةٍ معوجَّة في الحجر. كانت جثَّة حصان بنِّي أشعث مخوزقةً على العِصي المدبَّبة التي أمرَ الدُّب العجوز بغرسها عند كلِّ مدخل، دون أثرٍ لراكب الحصان، ففكَّر جون: كان يُحاول الخروج لا الدُّخول.

في الدَّاخل كان المزيد والأسوأ. لم يرَ جون ثلجًا ورديًّا من قبل قَطُّ.

هبَّت الرِّيح من حوله ماضغةً معطفه الثَّقيل، وراحَت الغِدفان تُحَلِّق من حصانٍ ميت إلى آخر، فسألَ نفسه: أهذه غِدفاننا أم غِدفان بريَّة؟ لم يستطع التَّمييز، وتساءلَ أين سام المسكين الآن، وفي أيِّ صورةٍ هو.

انسحقَت قشرة من الدَّم المتجلِّد تحت كعب حذائه، ورأى الهَمج يُجَرِّدون جُثث الخيول من كلِّ ما عليها من معدنٍ وجِلد، بل وينزعون الحدوات من حوافرها، فيما نقَّب بعضهم في حقائب وجدوها بحثًا عن أسلحةٍ أو طعام. مَرَّ جون بواحدٍ من كلاب تشِت -أو ما تبقَّى منه- منطرحًا في بِركةٍ من الوحل والدَّم شِبه المتجمِّد.

كان عدد من الخيام لا يزال منصوبًا في أقصى المعسكَر، وهناك وجدوا مانس رايدر، الذي ارتدى معطفه الصُّوف الأسود المرقَّع بالحرير الأحمر، وتحته قميصًا من الحلقات المعدنيَّة السَّوداء وسراويل من الفرو الخشن، واستقرَّت على رأسه خوذة عظيمة من البرونز والحديد على جانبيها جناحا غُداف. وجدوا چارل معه، وهارما رأس الكلب، بالإضافة إلى ستير وڤارامير سِت جلود مع ذئابه وقِطِّ الظِّل.

رمى مانس چون بنظرةٍ متجهِّمة باردة، وسألَه: «ماذا حدثَ لوجهك؟».

أجابَته إيجريت: «أورل حاولَ أن يفقأ عينه».

- «سألته هو. هل قُطِعَ لسانه؟ ربما عليه أن يقطعه ليعفينا من المزيد من الأكاذيب».

سحبَ الماجنَر ستير سكّينًا طويلًا، وقال: «قد يرى الصَّبي بوضوحٍ أكثر بعينٍ واحدة بدلًا من اثنتين».

سألَه ملك ما وراء الجِدار: «هل ترغب في الاحتفاظ بعينك يا چون؟ في هذه الحالة أخبِرني كم كانوا، وحاوِل أن تقول الحقيقة هذه المرَّة يا نغل (وينترفل)».

غمغمَ چون بحَلقٍ جاف: «سيِّدي... ماذا حـ...».

- «لستُ سيِّدك، وما حدثَ هنا واضح تمامًا. لقد ماتَ إخوتك، لكن السُّؤال هو: كم كان عددهم؟».

تسارعَ نبض الوجع في وجه چون، وظَلَّت الثُّلوج تنهمر، ووجدَ التَّفكير صعبًا. كورين قال له ألَّا يتراجَع مهما طلبوا منه. احتبسَت الكلمات في حَلقه، لكنه أرغمَ نفسه على أن يقول: «كنا ثلاثمئة».

ردَّد مانس بحدَّة: «كنتم؟».

- «كانوا، كانوا ثلاثمئة». ذو النِّصف يد قال ألَّا أرفض أيَّ طلبٍ منهم، فلِمَ أشعرُ بهذا الجُبن؟ «مئتا رجل من (القلعة السَّوداء) ومئة من (بُرجِ الظِّلال)».

قال مانس: «الآن أنت أصدق مما كنت في خيمتي»، والتفتَ إلى هارما رأس الكلب سائلًا: «كم حصانًا وجدنا؟».

أجابَت المرأة الضَّخمة: «أكثر من مئة، أقل من مئتين. هناك المزيد من الجُثث نحو الشَّرق، لكنها مدفونة تحت الثَّلج ويَصعُب أن نعرف عددها». كان حامل رايتها يقف وراءها رافعًا قائمًا عليه رأس كلب مقطوع حديثًا ولا تزال الدِّماء تسيل منه.

قال مانس رايدر: «لم يكن يَجدُر بك أن تكذب عليَّ أبدًا يا چون سنو».

- «أ... أعرفُ هذا». ماذا يُمكنني أن أقول؟

أمعنَ ملك الهَمج النَّظر إلى وجهه قائلًا: «لمن كانت القيادة هنا؟ قُل الحقيقة. ريكر؟ سمولوود؟ ليس ويذرز العجوز الواهن. خيمة مَن هذه؟».

لقد قلتُ أكثر من اللَّازم. «ألم تجدوا الجثَّة؟».

أطلقَت هارما نخيرًا محمَّلًا بالاحتقار خرجَ من طاقتَيْ أنفها مع البُخار، وقالت: «يا لهؤلاء الغِربان السُّود من حمقى».

قال مانس رايدر بصرامة: «أجِب عن سؤالي بسؤالٍ ثانيةً وسأعطيك لسيِّد العظام»، ودنا منه مكرِّرًا: «لمن كانت القيادة هنا؟».

قرَّب جون يده بحذرٍ من مقبض سيفه مفكِّرًا: خُطوة واحدة أخرى، قدم واحد. إذا لزمتُ الصَّمتَ...

- «امدُد يدك إلى سيفك النَّغل هذا وسأقطعُ رأسك النَّغل قبل أن تُخرِجه من الغمد. صبري عليك ينفد بسرعة أيها الغُراب».

حثَّته إيجريت قائلةً: «أجبه. أيًّا كان فقد ماتَ».

شقَّقت تقطيبته الدَّم المتجلِّد على خَدِّه، وبيأسٍ قال لنفسه: ما أصعب هذا. كيف ألعبُ دور المارق دون أن أكون واحدًا حقًّا؟ لم يُخبره كورين كيف يفعلها، لكن الخُطوة الثَّانية أيسر دائمًا من الأولى. هكذا قال: «الدُّب العجوز».

وشَت نبرة هارما بعدم تصديقها وهي تقول: «ذلك العجوز؟ جاءَ بنفسه؟ مَن القائد إذن في (القلعة السَّوداء)؟».

أجابَ جون هذه المرَّة في الحال: «باون مارش». لا ترفُض مهما طلبوا منك.

ضحكَ مانس وقال: «إذا كان هذا صحيحًا فقد ربحنا الحرب. باون يعرف عن عَدِّ السُّيوف أكثر من القتال بها».

قال جون: «الدُّب العجوز قادَ الحملة. هذا المكان عالٍ وقوي، وقد جعلَه أقوى بالحُفر والخوازيق وتوزيع الطَّعام والماء. كان جاهزًا...».

- «... لي؟»، قال مانس رايدر متمِّمًا العبارة. «أجل، كان جاهزًا، ولو كنتُ بالحُمق الكافي لمهاجمَة هذا التَّل فلربما فقدتُ خمسة رجالٍ مقابل كلِّ غُرابٍ نَقتُله وعددتُ نفسي محظوظًا»، وزَمَّ فمه متابعًا: «لكن حين يأتي الموتى السَّائرون لا تكون للأسوار والخوازيق والسُّيوف جدوى. لا يُمكنك أن تُقاتِل الموتى يا جون سنو. لا أحد يعرف هذا بقَدر ما أعرفه»، ورفعَ عينيه إلى سماءٍ بدأ اللَّيل يزحف عليها، وواصلَ: «أعتقدُ أن الغِربان ساعَدونا أكثر مما يُدركون. لقد تساءلتُ عن سبب عدم تعرُّضنا لأيِّ هجمات، لكن ما زالت أمامنا عشرات الفراسخ، والبرد يشتدُّ. ڤارامير، أرسِل ذئابك تتشمَّم آثار

الجُثث الحيَّة، فلا أريدُ أن تُغافِلنا بالهجوم. يا سيِّد العظام، ضاعِف جميع الدَّوريَّات، وتأكَّد من أن كلَّ رجلٍ يحمل مشعلًا وحجر صوَّان. ستير، چارل، ستتحرَّكان مع أول خيوط الفَجر».

قال ذو القميص المُخشخِش: «مانس، أريدُ عظام الغُراب».

خطَت إيجريت أمام چون قائلةً: «لا يُمكنك أن تَقتُل رجلًا لأنه كذبَ ليحمي من كانوا إخوته».

أعلنَ ستير: «ما زالوا إخوته».

قالت إيجريت بإصرار: «لا. إنه لم يَقتُلني كما أمَروه، وقتلَ ذا النِّصف يد كما رأينا جميعًا».

فكَّر چون وأنفاسه تَخرُج بُخارًا: إذا كذبتُ عليه سيعرف، ووجَّه نظراته إلى عينَيْ مانس رايدر مباشرةً وهو يبسط يده المحروقة ويقبضها، وقال: «إنني أرتدي المعطف الذي أعطيتني إياه يا جلالة الملك».

أضافَت إيجريت: «معطف من جِلد الخراف! كما أننا نلعب تحته من ليلةٍ إلى أخرى!».

ضحكَ چارل، وحتى هارما رأس الكلب ابتسمَت، وسألَ مانس رايدر برفق: «أهذا صحيح يا چون سنو؟ أنت وهي؟».

من السَّهل أن تضلَّ طريقك وراء (الجِدار)، وچون لم يَعُد يستطيع التَّفرقة بين الشَّرف والعار. سامحني يا أبي. «نعم».

أومأ مانس برأسه قائلًا: «عظيم. ستذهب مع چارل وستير غدًا إذن، أنت وهي، فلستُ أقوى على أن أباعد بين قلبين ينبضان كواحد».

- «نذهب إلى أين؟».

- «لتسلُّق (الجِدار). حان الوقت لأن تُثبِت ولاءك بالأفعال لا الأقوال يا چون سنو».

لم يبدُ الرِّضا على الماجنَر وهو يسأل: «لماذا أحتاجُ إلى الغُراب معي؟».

أجابَ مانس: «إنه يعرف الحَرس ويعرف (الجِدار)، ويعرف (القلعة السَّوداء) أفضل من كلِّ مُغيرينا. عليك أن تستفيد منه وإلَّا فأنت أحمق».

قال ستير عابسًا: «قد يكون قلبه ما زال أسود».

- «انزعه من صدره إذن»، والتفتَ مانس إلى ذي القميص المُخشخِش

قائلًا: «يا سيِّد العظام، حافِظ على حركة الطَّابور بأيِّ ثَمن. إذا بلغنا (الجِدار) قبل مورمونت فقد انتصرنا».

قال ذو القميص المُخشخِش بصوتٍ محمَّل بالحنق: «سيتحرَّكون».

هَزَّ مانس رأسه وابتعدَ ومعه رأس الكلب وست جلود، الذي تبعَته ذئابه وقِطُّ الظِّل، وتُرِكَ چون وإيجريت مع چارل وذي القميص المُخشخِش والماجنَر. رمقَ الهمجيَّان الكبيران چون بغِلٍّ لم يُحاولا إخفاءه بينما قال چارل: «كما سمعتما، ستتحرَّكُ مع طلوع الفَجر. اجلبا كلَّ ما يُمكنكما من طعام، فلن نجد وقتًا للصَّيد، وجِد من يُعالِج وجهك أيها الغُراب، إنه في أسوأ حال».

قال چون: «سأفعلُ».

خاطبَ ذو القميص المُخشخِش إيجريت قائلًا وعيناه تلمعان من وراء جمجمة العملاق: «خيرٌ لكِ ألَّا تكوني كاذبةً يا فتاة».

جرَّد چون سيفه، وقال: «ابتعد عنا ما لم تكن ترغب في مصير كورين».

مَدَّ ذو القميص المُخشخِش يده إلى سيفه بدوره مجيبًا: «ليس معك ذئب يُساعِدك هذه المرَّة أيها الغُراب».

قالت إيجريت ضاحكةً: «أأنت واثق؟».

على حجارة السُّور الدَّائري كان جوست مقوِّسًا ظَهره وقد انتصبَ فروه الأبيض. لم يُصدِر صوتًا لكن عينيه الحمراوين القانيتين جهرَتا بنيَّته الدَّامية، فابتعدَت يد سيِّد العظام عن سيفه بتؤدةٍ وتراجعَ خُطوةً، قبل أن ينسحب مطلقًا اللَّعنات.

سارَ جوست إلى جوار حصانيهما فيما نزلَ چون وإيجريت التَّل، ولم يَشعُر چون بما يكفي من أمانٍ ليتكلَّم إلَّا عندما كانوا قد خاضوا في النَّهر حتى منتصفه، وقال: «لم أطلب منكِ أن تكذبي من أجلي».

قالت: «لم أكذب، لكني لم أذكر جزءًا لا أكثر».

- «قلتِ...».

- «... إننا نتضاجَع تحت معطفك بين ليلةٍ وأخرى، لكني لم أقل متى بدأنا»، ورمقَته إيجريت ببسمةٍ تكاد تكون خجلى، وأردفَت: «جِد مكانًا آخَر ينام فيه جوست اللَّيلة يا چون سنو. كما قال مانس، الأفعال أصدق من الأقوال».



سانزا

بحذرٍ امتزجَ بالدَّهشة سألَت: «فُستان جديد؟».

ردَّت العجوز وهي تقيس وَركيها بشريطٍ ذي عُقد بينها مسافات منتظمة: «أجمل من أيِّ فُستانٍ آخَر ارتديتِه يا سيِّدتي، كلُّه من الحرير والدانتيل ومبطَّن بالساتان. ستبدين في غاية الجَمال. الملكة نفسها أمرَت بتفصيله».

- «أيُّ ملكة؟». مارچري ليست ملكة چوفري بعدُ، لكنها كانت ملكة رنلي، أم أنها تعني ملكة الأشواك؟ أم...

- «الملكة الوصيَّة على العرش بالتَّأكيد».

- «الملكة سرسي؟!».

قالت العجوز: «لا أحد غيرها، إنها زبونتي الكريمة منذ سنوات»، ومَدَّت شريط القياس على ساق سانزا من الدَّاخل متابعةً: «جلالتها قالت لي إنكِ امرأة الآن، ويجب ألَّا ترتدي ثياب البنات الصَّغيرات. افردي ذراعكِ».

أطاعَتها سانزا مفكِّرةً أنها في حاجةٍ إلى فُستانٍ جديد حقًّا. لقد زادَ طولها ثلاث بوصات خلال العام الماضي، ومعظم ثيابها أتلفَه الدُّخان حين حاولَت إحراق حشيَّة الفِراش يوم أزهرَت للمرَّة الأولى.

قالت العجوز وهي تلفُّ الشَّريط حول صدر سانزا: «سيبدو نهداكِ جميليْن كنهدَيْ الملكة. لا يَجدُر بكِ أن تُخَبِّيهما هكذا».

جعلَها التَّعليق تتورَّد خجلًا، مع أنها لم تستطِع أن تعقد أربطة سُترتها الضيِّقة إلى النِّهاية عندما ذهبَت لركوب الخيل آخِر مرَّة، وحملقَ صبيُّ الاسطبل إليها وهو يُساعِدها على امتطاء الحصان، وفي بعض الأحيان تضبط

رجالًا بالغين يختلسون النَّظر إلى صدرها أيضًا، كما أن بعض قمصانها ضيِّق للغاية لدرجةٍ تجعلها تستطيع التَّنفُّس بالكاد.

سألَت الخيَّاطة: «ماذا سيكون لونه؟».

- «اتركي الألوان لي يا سيِّدتي وستُسَرِّين، إنني واثقة. سنُفَصِّل لكِ ثيابًا داخليَّةً وجوارب أيضًا، وسُترات وحرامل ومعاطف، وكلَّ ما يليق بـ... بليدي شابَّة جميلة عالية المقام».

- «هل ستكون جاهزةً قبل زفاف الملك؟».

- «أوه، قبله بكثير كما أصرَّت جلالتها. إن لديَّ ست خيَّاطات واثنتي عشرة عاملة، وكلُّنا نحَّينا الأعمال الأخرى بأَسرها جانبًا من أجل هذا. ليديهات كثيرات سيغضبن منا، لكنه أمر الملكة».

قالت سانزا بأدب: «اشكُري جلالتها كثيرًا على اهتمامها. إنها في غاية الطِّيبة معي».

- «جلالتها شديدة الكرم»، قالت الخيَّاطة وهي تجمع حاجياتها وتنصرف.

بقلق فكَّرت سانزا عندما صارَت وحدها: لكن لماذا؟ أراهنُ أن لمارچري دخلًا في هذا الفُستان بشكلٍ ما، أو لجدَّتها.

لدى مارچري مخزونٌ لا ينضُب من الدَّماثة والحُنو، وقد غيَّر وجودها كلَّ شيء، علاوةً على رفيقاتها اللائي رحَّبن بسانزا أيضًا، وكان زمن طويل قد مَرَّ منذ حظيَت بصُحبة النِّساء، حتى إنها كادَت تنسى كم هي ممتعة. أعطَتها الليدي ليونيت دروسًا على القيثارة السَّامية، وشاركَتها الليدي چانا فاكهة النَّميمة، وميري كرين لديها قصَّة مسلِّية دائمًا، بينما ذكَّرتها الليدي بولوار الصَّغيرة بآريا، وإن لم تكن بضراوتها.

الأقرب إلى سِنِّ سانزا هُنَّ بنات العمومة إلينور وآلا ومِجا، وكلهن ينتمين إلى فروعٍ أدنى من عائلة تايرل، أو «وردات من أسفل الشُّجيرة» كما قالت إلينور الظَّريفة ذات القوام الممشوق مازحةً. أمَّا مِجا فممتلئة وصاخبة، وآلا حسناء خجول، لكن إلينور هي القائدة بين الثَّلاثة بحُكم الأنوثة، بما أنها أزهرَت أولًا، بينما تظلُّ مِجا وآلا مجرَّد فتاتيْن.

قبلَت بنات العمومة الثَّلاث سانزا بينهن كأنهن يعرفنها طيلة حياتهن. كثيرًا ما يقضين فترة بَعد الظُّهر في أشغال الإبرة والكلام في أثناء التهام كعكات

اللَّيمون وشُرب النَّبيذ المحلَّى بالعسل، أو يلعبن البلاطات ذات مساء، أو يُنشِدن معًا في السَّبت... وكثيرًا ما تُختار واحدة أو اثنتان منهن لمشارَكة مارچري الفِراش، حيث يُمضين نِصف اللَّيل في الثَّرثرة الهامسة. لآلا صوت جميل، ولمَّا تتملَّقها بما فيه الكفاية ستعزف على القيثارة الخشبيَّة وتُرَدِّد أغانيَ عن الفُروسيَّة والحُب الضَّائع، أمَّا مِجا فلا تستطيع الغناء، لكنها تتحرَّق شوقًا لأن تعرف طعم القُبلات، وقد اعترفَت بأنها تلعب لُعبة تقبيل مع آلا أحيانًا، وإن كانت واثقةً بأن الأمر سيكون مختلفًا مع رجل، ناهيك بملك. تساءلَت سانزا عمَّا ستقوله إذا قبَّلت كلب الصَّيد كما فعلَت هي ليلة المعركة[1]، حين جاءَها وقد فاحَت منه رائحة النَّبيذ والدِّماء. قبَّلني وهدَّدني بالقتل وجعلَني أُغنِّي له.

بحماسةٍ قالت مِجا دون أن تعي ما يعتمل في نفس سانزا: «الملك چوفري لديه شفتان جميلتان حقًّا. أوه يا سانزا المسكينة، لا بُدَّ أن قلبكِ انفطرَ حين فقدته. أوه، لا بُدَّ أنكِ بكيتِ كثيرًا!».

أرادَت أن تقول: چوفري جعلَني أبكي أكثر مما تُدرِكين، لكن برميل الزُّبدة لم يكن موجودًا ليطغى على كلماتها بصوته الجهير، فأطبقَت شفتيها ولاذَت بالصَّمت.

إلينور موعودة لأحد أبناء اللورد أمبروز، مُرافِق فارسٍ شاب سيُعقَد قرانها عليه بمجرَّد فوزه بالفُروسيَّة. كان قد ارتدى عطيَّتها في معركة (النَّهر الأسود)، حيث قتلَ نبَّالًا مايريًّا وأحد جنود اللورد مالندور، وقد قالت عنه مِجا: «آلن قال إن عطيَّتها أزالَت منه الخوف، وإنه اتَّخذ من اسمها هتافًا للمعركة. يا للنُّبل! أريدُ أن يرتدي بطل ما عطيَّتي ذات يوم ويَقتُل مئة رجل». قالت لها إلينور أن تَصمُت وإن بدَت مسرورةً رغم ذلك.

إنهن طفلات، فتيات صغيرات سخيفات، حتى إلينور، لم يرين معركةً قَطُّ ولم يرين رجلًا يموت ولا يعلمن شيئًا. أحلامهن ملأى بالقصص والأغاني كما كانت أحلامها قبل أن يقطع چوفري رأس أبيها.

---

(1) الواقع أن تلك القُبلة التي سمَّاها القرَّاء «اللاقُبلة» لم تَحدُث، ولدى سؤال المؤلِّف عن هذا التَّناقُض أجابَ بأن سانزا راوية لا يُعتمَد عليها، وأنه يَترُك التَّفسير للقارئ كما يراه. (المترجم).

ولكم تُشفِق عليهن سانزا، ولكم تحسدهن سانزا.

غير أن مارچري تختلف؛ عذبة ورقيقة ولكن فيها القليل من جدَّتها أيضًا.

أول من أمسَ اصطحبَت سانزا لصيد الطُّيور، وكانت أول مرَّةٍ تَخرُج فيها من المدينة منذ المعركة. كان الموتى قد أُحرِقوا أو دُفِنوا، لكن (بوَّابة الطَّمي) ظلَّت مشوَّهةً حيث ضربَتها مدكَّات اللورد ستانيس، وما زالت أبدان السُّفن المحطَّمة موجودةً بطول ضفَّتَيْ النَّهر، تَبرُز صواريها المتفحِّمة من المياه الضَّحلة كأصابع سوداء ناحلة. حركة المرور الوحيدة في النَّهر كانت العبَّارة التي أخذَتهما إلى الضِّفَّة الأخرى، ولمَّا بلغَتا (غابة الملوك) وجدَتا يبابًا من الرَّماد والفحم والشَّجر الميت، وإن عجَّت المستنقعات القريبة من الخليج بطيور الماء، فظفرَ يُؤيؤ[1] سانزا بثلاث بطَّات، بينما أسقطَ صقر مارچري غُرنوقًا محلِّقًا.

قالت مارچري حين انفردَت بها فترةً قصيرةً: «ويلاس لديه أفضل طيور في (الممالك السَّبع)، وأحيانًا يُطيِّر نسرًا. سترين يا سانزا»، والتقطَت يدها واعتصرَتها مضيفةً: «يا أختاه».

أختاه. لطالما حلمَت سانزا بأن تكون لها أخت كمارچري، جميلة ورقيقة ونِعَم العالم كلُّها تحت إمرتها، أمَّا آريا فكانت غير مُرضية على الإطلاق كأخت. سألَت نفسها: كيف أتركُ أختي تتزوَّج چوفري؟ وفجأةً اغرورقَت عيناها بالدُّموع وكافحَت كي يَخرُج منها الكلام: «مارچري، أرجوكِ، يجب ألَّا تفعليها، يجب ألَّا تتزوَّجيه. إنه ليس كما يبدو على الإطلاق، وسيُؤذيكِ».

أجابَت مارچري بابتسامةٍ واثقة: «لا أظنُّ. شَجاعة منكِ أن تُحذِّريني، لكن لا داعي لأن تقلقي. چوف مدلَّل ومغرور، ولا شَكَّ لديَّ في أنه متوحِّش كما تقولين، لكن أبي أجبرَه على ضَمِّ لوراسٍ إلى حَرسه الملكي قبل أن يُوافِق على الزِّيجة. سأكونُ في حماية أفضل فُرسان (الممالك السَّبع) ليل نهار، كما حمى الأمير إيمون نبيرس، لذا فخيرٌ لشِبلنا الصَّغير أن يُحسِن السُّلوك، أليس كذلك؟»، وضحكَت مردفةً: «هلمِّي يا أختي الجميلة، لنتسابَق حتى

(1) اليُؤيؤ طائر صيد ينتمي إلى فصيلة الصَّقريَّات، يعيش في عالم الواقع في نِصف الكرة الشَّمالي ويوجد بأعدادٍ قليلة في شبه الجزيرة العربيَّة. (المترجم).

النَّهر. سيُثير هذا جنون حُرَّاسنا»، ودون انتظار إجابةٍ همزَت حصانها بكعبيها وانطلقَت.

فكَّرت سانزا وهي تُهَروِل وراءها: إنها شُجاعة للغاية... ومع ذلك لا تزال الشُّكوك تلتهمها، فلئن كان الجميع يعلمون أن السير لوراس فارس عظيم، فما زال لدى چوفري حَرس آخَرون، بالإضافة إلى ذوي المعاطف الذَّهبيَّة والحمراء، وعندما يكبَر ستكون لديه جيوش كاملة تحت قيادته. إجون غير الجدير لم يمسَّ الملكة نييرس بسوءٍ قَطُّ، ربما خوفًا من أخيها الفارس التِّنين... لكن حين وقعَ واحد آخَر من فُرسان حَرسه الملكي في غرام إحدى عشيقاته، بترَ الملك عُنقيهما معًا.

قالت سانزا مذكِّرةً نفسها في قرارتها: السير لوراس من عائلة تايرل، أمَّا الفارس الآخَر فكان من عائلة تويِن، ولم يكن لدى إخوته جيوش أو وسيلة للثَّأر له إلَّا السَّيف. لكن كلما فكَّرت في الأمر كلِّه أكثر ازدادَت تساؤلاتها. قد يكبح چوفري نفسه بضعة أقمار، أو ربما عامًا، لكنه سيُظهر مخالبه عاجلًا أو آجلًا، وعندها... قد تعرف البلاد قاتِل ملكٍ ثانيًا وتندلع الحرب داخل المدينة ويسفك رجال الأسد ورجال الوردة الدِّماء في كلِّ مكان.

اندهشَت سانزا من أن مارچري لا ترى هذا أيضًا، لكنها قالت لنفسها: إنها أكبر مني، ولا بُدَّ أنها أكثر حكمةً، ولا ريب أن أباها اللورد تايرل يعرف ما يفعله. إنني أفكِّرُ بسخافةٍ لا أكثر.

عندما أخبرَت السير دونتوس بأنها ذاهبة إلى (هايجاردن) لتتزوَّج ويلاس تايرل، حسبَت أنه سيسعد من أجلها، لكنه أطبقَ على ذراعها بدلًا من هذا وقال بصوتٍ أثقلَه الهلع والنَّبيذ معًا: «لا يُمكنكِ أن تفعلي هذا! آل تايرل هؤلاء هُم أنفسهم آل لانستر لكن بالزُّهور لا أكثر، أؤكِّدُ لكِ. أتوسَّلُ إليكِ أن تنسي تلك الحماقة. أعطي فارسكِ فلوريان قُبلةً وعديني بأن تمضي فيما خطَّطنا له. ليلة زفاف چوفري ليست بعيدةً. ارتدي شبكة الشَّعر الفضيَّة وافعلي كما قلتُ لكِ، وبَعدها سنهرب»، وحاولَ أن يطبع قُبلةً على وجنتها.

تملَّصت سانزا من قبضته وخطَت بعيدًا عنه قائلةً: «لن أفعل، ولن أستطيع. قد يقع خطأ ما. لقد رفضتَ أن تأخذني عندما أردتُ أن أهرب، والآن لستُ في حاجةٍ إلى الهرب».

حدَّق دونتوس إليها ببلاهة، وقال: «لكن التَّرتيبات كلها جاهزة يا حُلوتي؛ السَّفينة التي ستُقلُّكِ إلى الوطن، والقارب الذي سيحملكِ إلى السَّفينة. فارسكِ فلوريان فعلَ كلَّ شيءٍ من أجل جميلته جونكويل».

– «إنني آسفة لكلِّ المتاعب التي كبَّدتك إياها، لكني لم أعد أحتاج إلى السُّفن والقوارب».

– «لكن كلَّ هذا من أجل أمانكِ!».

– «سأكونُ آمنةً في (هايجاردن)، وويلاس سيُحافِظ عليَّ».

قال دونتوس بإصرار: «لكنه لا يعرفكِ ولن يُحِبَّكِ. جونكويل، جونكويل، افتحي عينيكِ الجميلتين. آل تايرل هؤلاء لا يُبالون بكِ على الإطلاق، ولا يرغبون إلَّا في الزَّواج بأحقيَّتكِ في الإرث لا بكِ أنتِ».

أحسَّت بالحيرة لحظةً وهي تتساءَل: «أحقيَّتي؟».

قال لها: «إنكِ وريثة (وينترفل) يا حُلوتي»، وأطبقَ على ذراعها من جديدٍ مناشدًا إياها ألَّا تفعل هذا، وعادَت سانزا تتملَّص منه وتركَته يترنَّح تحت شجرة القلوب، ومنذ ذلك الحين لم تَزُر أيكة الآلهة.

لكنها لم تنسَ كلماته كذلك، وليلًا في فِراشها كانت تستعيدها: وريثة (وينترفل)، لا يرغبون إلَّا في الزَّواج بأحقيَّتكِ في الإرث لا بكِ أنتِ. لقد ترعرعَت سانزا مع ثلاثة إخوة، ولم يَخطُر لها قَطُّ أن يكون لها حق في الإرث، لكن مع موت بران وريكون... لا يهمُّ، روب لا يزال موجودًا. إنه رجل ناضج الآن، وقريبًا سيتزوَّج ويُنجب ابنًا، وعلى كلِّ حالٍ ويلاس سيرث (هايجاردن)، فما حاجته إلى (وينترفل)؟

أحيانًا تهمس باسمه إلى وسادتها كي تسمع وقعه: «ويلاس، ويلاس، ويلاس». ويلاس اسم لا بأس به كلوراس على ما تعتقد، حتى إن الاسمين قريبان في النُّطق إلى حَدٍّ ما. ولماذا تعبأ بساقه العاجزة؟ سوف يصير سيِّد (هايجاردن) ذات يوم وتصير سيِّدته.

تخيَّلتهما جالسيْنِ معًا في حديقةٍ وفي حجريهما جِراء صغيرة، أو يُنصِتان إلى مغنٍّ يضرب أوتار عوده وهما طافيان على صفحة (الماندر) في زورق تنزُّه. قد يَشعُر بالحُبِّ نحوي إذا أنجبتُ له أبناءً. ستُسَمِّيهم إدارد وبراندون وريكون، وتُرَبِّيهم على البسالة كالسير لوراس. وعلى كراهية آل لانستر أيضًا.

في أحلامها يُشبه اثنان من أبنائها الأخوين اللذين فقدَتهما تمامًا، بل وهناك فتاة شبيهة بآريا كذلك.

لكنها لا تستطيع الاحتفاظ بصورة ويلاس في عقلها طويلًا، وتظلُّ مخيِّلتها تُحيله إلى لوراس الشَّاب الرَّشيق الجميل. يجب ألَّا تُفكِّري فيه هكذا، وإلَّا قد يرى ويلاس خيبة الأمل في عينيكِ عندما تلتقيان، وكيف يتزوَّجكِ عندئذٍ وهو يعلم أنكِ أحببتِ أخاه؟ كانت تُذكِّر نفسها باستمرار بأن ويلاس تايرل في ضِعف سِنِّها، وأعرج كذلك، وربما ممتلئ أحمر الوجه مِثل أبيه، لكن سواء أكان وسيمًا أو لم يكن، فقد يكون النَّصير الوحيد الذي ستجده إلى جوارها.

ذات مرَّةٍ حلمَت بأنها هي لا مارچري التي ستتزوَّج چوفري، وليلة زفافهما تحوَّل إلى الجلَّاد إلين پاين، واستيقظَت ترتجف. إنها لا تُريد مارچري أن تُعاني كما عانَت، لكنها تتوجَّس خيفةً أيضًا من تراجُع عائلة تايرل عن الزِّيجة. لقد حذَّرتها، حذَّرتها، أخبرتها بحقيقته. ربما لا تُصَدِّقها مارچري، فچوف يلعب معها دور الفارس الشُّجاع دومًا كما فعلَ مع سانزا. ستراه على طبيعته عمَّا قريب، بَعد الزِّفاف إن لم يكن قبله. عزمَت سانزا على أن تُشعِل شمعةً لـ(الأم في الأعالي) عندما تزور السِّپت المرَّة القادمة وتَطلُب منها أن تقي مارچري من قسوة چوفري، ولربما تُشعِل واحدةً لـ(المُحارب) أيضًا من أجل لوراس.

قرَّرت والخيَّاطة تأخذ قياساتها الأخيرة أنها سوف ترتدي فُستانها الجديد حين تحضر مراسم الزِّفاف في (سِپت بيلور الكبير). لا بُدَّ أن سرسي أمرَت بتفصيله لهذا السَّبب، كي لا أرتدي شيئًا باليًا يومها. من المفترَض أن ترتدي واحدًا مختلفًا خلال المأدبة التي ستُقام بَعدها، لكنها ستكتفي بأحد فساتينها القديمة، فليست تُريد المخاطَرة بسكب الطَّعام أو النَّبيذ على الجديد. يجب أن آخذه معي إلى (هايجاردن). إنها تُريد أن تبدو جميلةً في عينَيْ ويلاس تايرل. حتى إذا كان دونتوس محقًّا، وحتى إذا كان يرغب في (وينترفل) وليس فيَّ أنا، فقد يعرف كيف يُحِبُّني رغم ذلك.

احتضنَت سانزا نفسها بقوَّةٍ متسائلةً كم من الوقت قبل أن يجهز الفُستان، فهي لا تُطيق صبرًا على ارتدائه.



آريا

سقطَت الأمطار وانقطعَت مرارًا، لكن السَّماء ظلَّت رماديَّةً أكثر من زرقاء، وفاضَت الجداول عن آخِرها بالمياه.

في صباح اليوم الثَّالث تبيَّنت آريا أن الطَّحالب نامية في الغالب على الجانب الخطأ من الأشجار، وقالت لجندري وهُم يمرُّون بشجرة دَردار نمَت طحالبها بكثافة: «إننا نتحرَّك في الاتِّجاه الخطأ، نحو الجنوب. هل ترى الطَّحالب على الجذع؟».

أزاحَ خُصلةً من شَعره الأسود الغزير عن عينيه، وقال: «نحن نتَّبع الطَّريق لا أكثر، والطَّريق يمضي جنوبًا هنا».

أرادَت أن تردَّ قائلةً: إننا نمضي جنوبًا طيلة اليوم، وأمس أيضًا ونحن راكبون بمحاذاة ذلك الغدير، لكنها لم تكن متنبهةً لهذه الدَّرجة بالأمس، وليست واثقةً تمامًا. هكذا قالت بصوتٍ خفيضٍ: «أعتقدُ أننا ضللنا الطَّريق. لم يكن ينبغي أن نبتعد عن النَّهر. ما كان علينا إلَّا أن نتَّبع مجراه».

قال جندري: «النَّهر ينعطف ويدور. أراهنُ أن هذا طريق أقصر فقط، طريق سِرِّي يَسلُكه الخارجون عن القانون. ليم وتوم والآخَرون يعيشون هنا منذ أعوام».

عضَّت آريا شفتها عالمةً أن ما يقوله صحيح، ومع ذلك قالت: «لكن الطَّحالب...».

قاطعَها جندري متذمِّرًا: «كلُّ هذا المطر سيجعل الطَّحالب تنمو من آذاننا قريبًا».

ردَّت بعناد: «من آذاننا الجنوبيَّة فقط!». لا طائل من محاوَلة إقناع الثَّور

بأيِّ شيء، لكنه يظلُّ صديقها الحقيقيَّ الوحيد الآن بَعدما تركَهما هوت پاي.

كان الصَّبي البِدين قد قال لها يوم غادَروا: «شارنا تقول إنها تحتاج إليَّ في الخبيز، وعلى كلِّ حالٍ لم أعد أطيق المطر وأوجاع الرُّكوب والخوف طول الوقت. إن لديهم مِزرًا هنا، وأرانب، والخُبز سيكون أفضل عندما أصنعه. سترين لمَّا ترجعين. سترجعين بَعد أن تنتهي الحرب، أليس كذلك؟»، وتذكَّر مَن هي لحظتها، فأضافَ: «يا سيِّدتي».

لم تدرِ آريا إن كانت الحرب ستنتهي أبدًا، لكنها أومأَت إيجابًا وقالت: «آسفة لأني ضربتك في المرَّة إياها وكسرتُ أنفك». هوت پاي أبله وجبان، لكنه قطعَ معها رحلةً طويلةً منذ (كينجز لاندنج)، وقد اعتادَت وجوده.

رَدَّ بابتسامةٍ عريضة: «وكسرتِ أنف ليم أيضًا. كان هذا جيِّدًا».

- «ليس هذا رأي ليم»، قالت آريا بوجوم، ثم حانَ وقت الذَّهاب، وعندما طلبَ هوت پاي أن يلثم يد سيِّدته، لكمَته في كتفه قائلةً: «لا تُنادِني بهذا اللَّقب. أنت هوت پاي وأنا آري».

- «لستُ هوت پاي هنا. شارنا تدعوني بالصَّبي فحسب، تمامًا كما تدعو الصَّبي الآخَر. العمل هنا سيكون مُربكًا».

افتقدَته آريا بدرجةٍ أكبر مما كانت تظنُّ، لكن هاروين عوَّضها عنه بعض الشَّيء. لقد حكَت له عمَّا جرى لأبيه هالن، وكيف وجدَته يُحتضَر عند الاسطبلات في (القلعة الحمراء) يوم هربَت، فقال: «كان يقول دائمًا إنه سيموت في اسطبلٍ، لكننا حسبنا أن نهايته ستأتي بسبب فحلٍ معتل المزاج، وليس قطيعًا من الأسود». حكَت له أيضًا عن يورن والهروب من المدينة، وعن كثيرٍ مما حدثَ منذ ذلك الحين، لكنها لم تَذكُر صبيَّ الاسطبل الذي قتلَته بإبرتها، ولا الحارس الذي شَقَّت حَلقه للخروج من (هارنهال)، فإخبار هاروين بشيءٍ كهذا يكاد يكون كإخبار أبيها، وثمَّة أشياء لا تحتمل أن يعرفها أبوها.

كما أنها لم تَذكُر چاكن هاجار أو الميتات الثَّلاث التي دانَ لها بها وسدَّدها، أمَّا العُملة الحديد التي أعطاها إياها فقد احتفظَت بها مدسوسةً تحت حزامها، وإن كانت تُخرجها بين ليلةٍ وأخرى وتتذكَّر وجهه الذي ذابَ وتبدَّل حين مرَّر يده عليه، ثم تشرع في صلاتها بنبرةٍ هامسة: «ڤالار مورجولِس. السير

جريجور، دانسن، پوليڤر، راف المعسول، المُدغدِغ وكلب الصَّيد، السير إلين، السير مرين، الملكة سرسي، الملك چوفري».

قال لها هاروين إن ستَّة فقط من رجال (وينترفل) تبقَّوا من العشرين الذين أرسلَهم أبوها مع بريك دونداريون، وقد تفرَّقوا بَعدها. «كان فَخًّا يا سيِّدتي. اللورد تايوين أرسل جبله عبر (الفرع الأحمر) بالنَّار والدَّم، على أمل أن يستدرج أباكِ. كانت خطَّته أن يذهب اللورد إدارد غربًا بنفسه ليتولَّى أمر جريجور كليجاين، حيث كان سيُقتَل أو يُؤسَر وتتمُّ مبادَلته بالعِفريت، الذي كان أسير السيِّدة والدتكِ وقتها، لكن قاتِل الملك كان يجهل خطَّة اللورد تايوين، ولمَّا سمعَ بالقبض على أخيه هاجمَ أباكِ في شوارع (كينجز لاندنج)».

قالت: «أذكرُ هذا. لقد قتلَ چوري». چوري الذي اعتادَ أن يبتسم لها دائمًا في الأوقات التي لا يقول لها فيها أن تبتعد من بين الأقدام.

وافقَها هاروين قائلًا: «قتلَ چوري، وانكسرَت ساق أبيكِ عندما سقطَ حصانه عليه، فلم يستطِع اللورد إدارد أن يذهب غربًا، وبدلًا من هذا أرسلَ اللورد بريك مع عشرين من رجاله وعشرين من رجال (وينترفل)، وأنا من ضمنهم. وكان هناك آخَرون أيضًا؛ ثوروس والسير رايمون داري ورجالهما، والسير جلادن وايلدز، ولورد اسمه لوثار مالري، لكن جريجور كان في انتظارنا عند (مخاضة الممثِّلين) وقد أخفى رجاله على الضِّفَّتين، ولدى عبورنا انقضَّ علينا من المقدِّمة والمؤخِّرة في آنٍ واحد. رأيتُ الجبل يُجَندِل رايمون داري بضربةٍ واحدةٍ رهيبة لدرجَة أن سيفه بترَ ذراع داري عند المِرفق وقتلَ حصانه من تحته. جلادن وايلد ماتَ في البُقعة نفسها معه، واللورد مالري دُعِسَ وغرقَ. كان الأُسود يُطَوِّقوننا، وحسبتُ أني هالك لا محالة مع الباقين، لكن آلين رفعَ صوته بالأوامر وأعادَ النِّظام إلى صفوفنا، ومن ظلُّوا على خيولهم تضافَروا حول ثوروس وشَقُّوا طريقًا للخروج. مئةٌ وعشرين كنا صبيحتها، ومع حلول الظَّلام لم يتبقَّ أكثر من أربعين، وأصيبَ اللورد بريك بجرح بليغ. ليلتها اجتثَّ ثوروس من صدره قطعةً من رُمح طولها قدم كامل، وصَبَّ النَّبيذ المغلي في الفجوة التي خلَّفتها. كلُّنا كنا على يقين بأن حضرة اللورد سيموت قبل مطلع الفَجر، لكن ثوروس صلَّى معه طيلة اللَّيل إلى جوار النَّار، ولمَّا حَلَّ الفَجر وجدناه لا يزال حيًّا وأقوى مما كان. مَرَّ أسبوعان قبل أن يقوى على

امتطاء حصان، لكن شَجاعته حافظَت على قوَّتنا، وقال لنا إن حربنا لم تنتهِ عند (مخاضة الممثِّلين)، بل بدأَت هناك، وإننا سننتقم لكلِّ رجلٍ سقطَ منا بعشرةٍ منهم. عندئذٍ كان القتال قد تجاوزَنا، فرجال الجبل كانوا يُشكِّلون طليعة جيش اللورد تايوين لا غير. عبَروا (الفرع الأحمر) بقوَّتهم واجتاحوا أراضي النَّهر مُحرقين كلَّ ما في طريقهم. كان عددنا قليلًا للغاية، وما في وسعنا إلَّا أن نُغير على مؤخِّرتهم، لكننا قلنا لبعضنا بعضًا إننا سننضمُّ إلى الملك روبرت عندما يزحف غربًا ليسحق تمرُّد اللورد تايوين. ثم إننا عرفنا بموت روبرت واللورد إدارد أيضًا، وبجلوس طفل سرسي لانستر على العرش الحديدي. قلبَ هذا العالم بأسره رأسًا على عقب. لقد خرجنا بأمرٍ من يد الملك للتَّعامُل مع الخارجين عن القانون، لكننا أصبحنا الخارجين عن القانون، واللورد تايوين يد الملك. بعضنا أرادَ أن يستسلم عندها، لكن اللورد بريك رفضَ تمامًا، وقال إننا ما زلنا رجال الملك، ومن يفترسهم الأُسود رعايا الملك، وإذا لم نستطِع القتال من أجل روبرت فلنُقاتِل من أجلهم حتى آخِر رجلٍ منا، وهذا ما فعلناه. على أن شيئًا غريبًا بدأ يَحدُث مع استمرارنا في القتال. كُلُّ رجلٍ فقدناه ظهرَ اثنان ليحلَّا محلَّه، البعض فُرسان أو مُرافِقون من نسبٍ كريم، لكنَّ السَّواد الأعظم من العوام؛ عُمَّال حقل وعازفو كمنجة وأصحابُ خانات وخدم وأساكفة، بل وسِپتونان، رجال من جميع الأصناف، ونساء أيضًا، وأطفال، وكلاب...».

قاطعَته آريا: «كلاب؟!».

أجابَ مبتسمًا: «نعم، أحد صِبيتنا يرعى مجموعةً من أشرس الكلاب التي سترينها في حياتكِ».

قالت آريا بشجن: «ليت كان لي كلب قويٌّ شرس، كلب يَقتُل الأُسود». كانت لها ذئبة رهيبة اسمها نايميريا ذات يوم، لكنها قذفَتها بالحجارة حتى هربَت، لتحميها من أن تَقتُلها الملكة. هل يستطيع الذِّئب الرَّهيب أن يَقتُل أسدًا؟

عادَ المطر يهطل بَعد الظُّهر واستمرَّ فترةً طويلةً من المساء، لكن من حُسن الحَظِّ أن الخارجين عن القانون لديهم أصدقاء سرِّيُّون في كلِّ مكان، فلم يضطرُّوا للتَّخييم في العراء أو البحث عن مأوى تحت سقف كوخٍ يُسَرِّب الماء، كما فعلَت هي وهوت پاي وجندري كثيرًا جدًّا.

ليلتها أووا إلى قريةٍ محترقةٍ مهجورة، أو أنها بدَت مهجورةً إلى أن نفخَ جاك المحظوظ مرَّتين قصيرتين وأخريَيْن طويلتين في بوق الصَّيد الذي يحمله، فخرجَ أناس من مختلِف الأنواع من وسط الخرائب وصعدوا من أقبيةٍ خفيَّة. قدَّموا لهم المِزر والتُّفَّاح والقليل من خُبز الشَّعير البائت، وكان مع الخارجين عن القانون إوزَّة اصطادها آنجاي في طريقهم، فبدا العَشاء ليلتها أقرب إلى وليمة.

كانت آريا تمتصُّ آخِر قطعةٍ من اللَّحم من على جناح، عندما التفتَ أحد القرويِّين إلى ليم ذي المعطف اللَّيموني قائلًا: «قبل أقل من يومين مَرَّ رجال من هنا باحثين عن قاتِل الملك».

رَدَّ ليم ساخرًا: «أفضل لهم أن يبحثوا في الزَّنازين العميقة في (ريفررَن) حيث الرُّطوبة الجميلة». كان أنفه يبدو كتُفَّاحةٍ مسحوقة وقد احمرَّ وتورَّم، وهو ما عكَّر مزاجه كثيرًا.

قال قرويٌّ آخَر: «لا، لقد هربَ».

قاتِل الملك. أحسَّت آريا بالشَّعر على مؤخِّرة عُنقها ينتصب، وحبسَت أنفاسها لتُنصت.

قال توم أبو السَّبعات: «أيُمكن أن يكون هذا صحيحًا؟».

- «لن أصدِّق»، قال الأعور ذو الخوذة الكبيرة الصَّدئة الذي يدعوه الآخَرون بجاك المحظوظ، وإن لم تَعُدَّ آريا فُقدان إحدى عينيه حَظًّا طيِّبًا. «لقد جرَّبتُ مذاق تلك الزَّنازين ذات مرَّة، فكيف يَهرُب؟».

لم يملك القرويُّون إجابةً غير هَزِّ الكتفين، فملَّس ذو اللِّحية الخضراء على شَعر وجهه الأخضر والرَّمادي، وقال: «سيغرق الذِّئاب في الدَّم إذا عادَ قاتِل الملك طليقًا. لا بُدَّ من إخبار ثوروس كي يُريه إله الضِّياء لانستر في اللَّهب».

قال آنجاي مبتسمًا: «ثمَّة نار لا بأس بها هنا».

ضحكَ ذو اللِّحية الخضراء ولطمَ القوَّاس على أُذنه قائلًا: «هل أبدو راهبًا؟ عندما يتطلَّع پيلو التايروشي إلى اللَّهب تحرق الجذوات لحيته».

طرقعَ ليم مفاصل أصابعه، وقال: «لكم سيُحِبُّ اللورد بريك أن يقبض على قاتِل الملك...».

سألَت إحدى نسوة القرية: «هل سيَشنُقه يا ليم؟ سيكون من المؤسف أن يَشنُق واحدًا وسيمًا مِثله».

أعلنَ آنجاي: «المحاكَمة أولًا! اللورد بريك يُحاكِمهم أولًا دائمًا كما تعلمين»، وابتسمَ مضيفًا: «ثم يَشنُقهم».

عَمَّ الضَّحك بين الحاضرين، ثم إن توم مَرَّر أصابعه على أوتار قيثارته الخشب واستهلَّ أغنيَّةً هادئةً.

إخوة غابة الملوك
كانوا جماعةً من الأشقياء
كانت الغابة قلعتهم
لكنهم جابوا كلَّ الأنحاء
ولم يسلم منهم ذهب رجل
أو يد عذراء
أوه، إخوة غابة الملوك
كانوا جماعةً من الأشقياء

أصغَت آريا إلى الغناء فترةً وهي جافَّة دافئة في رُكنٍ بين جندري وهاروين، قبل أن تُغلِق عينيها وتغيب رويدًا في النَّوم. حلمَت ليلتها بالدِّيار، ليس بـ(ريڤرَن) وإنما (وينترفل)، بيد أنه لم يكن حُلمًا جيِّدًا.

وحدها خارج القلعة، غائصة حتى رُكبتيها في الوحل، ترى الأسوار أمامها، لكن كلَّ خُطوةٍ بدَت أصعب من سابقتها عندما حاولَت أن تَبلُغ البوَّابة، وبهتَت القلعة أمام عينيها حتى أصبحَت أدنى إلى الدُّخان من الجرانيت. ورأت ذئابًا أيضًا، أجسامًا رماديَّةً ناحلةً تنسلُّ وسط الأشجار بأعيُنٍ برَّاقة من كلِّ جهةٍ حولها، وكلما تطلَّعت إليها تذكَّرت مذاق الدَّم.

في اليوم التَّالي تركوا الطَّريق ليمضوا عبر الحقول، بينما هبَّت الرِّيح دافعةً ورق الشَّجر البنِّي في دوَّاماتٍ حول حوافر خيولهم، لكن السَّماء لم تُمطِر على الأقل، وحين بزغَت الشَّمس من وراء سحابةٍ سطعَ نورها بشدَّةٍ جعلَت آريا ترفع قلنسوتها لتقي عينيها.

جذبَت عِنان حصانها على حين غرَّةٍ معلنةً: «نحن ذاهبون في الاتِّجاه الخطأ!».

دمدمَ جندري: «الطَّحالب ثانيةً؟».

ردَّت آريا: «انظُر إلى الشَّمس! إننا ذاهبون جنوبًا!»، ونقَّبت في جراب السَّرج عن الخريطة لكي تُريهم مواصلةً: «لم يكن ينبغي أن نبتعد عن (الثَّالوث). انظُروا»، وبسطَت الخريطة على ساقها والجميع يَنظُرون إليها، وأشارَت قائلةً: «انظُروا، ها هي (ريڤررَن) بين النَّهرين».

قال چاك المحظوظ: «يتصادَف أن جميعنا يعرف موقع (ريڤررَن)».

كنتُ قد أوشكتُ على الوصول. كان حريًّا بي أن أتركهم يأخذون الخيول وأمشي بقيَّة الطَّريق. تذكَّرت حُلمها لحظتها وعضَّت شفتها.

قال توم سبعة أوتار: «آه، لا تبدي جريحةً هكذا أيتها الصَّغيرة. لا أذى سيمسُّكِ، لكِ كلمتي».

- «كلمة كذَّاب!».

قال ليم: «لا أحد كذبَ. إننا لم نَعِد بشيء، وليس لنا أن نُقرِّر ما يُفعَل بكِ».

لكن ليم ليس القائد، ولا توم، بل هو ذو اللِّحية الخضراء، الذي التفتَت آريا تُواجهه قائلةً بيأس: «خذوني إلى (ريڤررَن) وستُكافَؤون».

أجابَها التايروشي: «أيتها الصَّغيرة، قد يَسلُخ الفلَّاح سنجابًا عاديًّا من أجل طعامه، لكن إذا وجدَ سنجابًا ذهبيًّا على شجرته فإنه يأخذه إلى سيِّده، وإلَّا تمنَّى لو أنه فعلَ».

قالت آريا بإصرار: «لستُ سنجابًا».

قال ذو اللِّحية الخضراء ضاحكًا: «بل أنتِ كذلك، سنجاب ذهبي صغير في الطَّريق لرؤية سيِّد البرق، شئتِ أم أبيتِ. سيعرف ماذا يفعل بكِ، وأراهنُ أنه سيُعيدكِ إلى السيِّدة والدتكِ كما ترغبين».

أومأ توم سبعة أوتار برأسه إيجابًا، وقال: «نعم، هذه شيمة اللورد بريك. سيُعاملكِ كما يليق، سترين».

اللورد بريك دونداريون. تذكَّرت آريا كلَّ ما سمعَته في (هارنهال) من جنود لانستر ومن الممثِّلين السَّفَّاحين. اللورد بريك طيف الغابات، اللورد بريك الذي قتلَه ڤارجو هوت، وقبله السير آموري لورك، والجبل راكب

الخيول مرَّتين. إذا لم يُعدني إلى الدِّيار فلربما أقتله بدوري. سألَت بهدوء: «لِمَ يجب أن أرى اللورد بريك؟».

أجابَها آنجاي: «إننا نذهب إليه بجميع الأسرى أولاد الذَّوات».

الأسرى. التقطَت آريا نفسًا عميقًا لتُثبِّت روحها المضطربة. بهدوء المياه الرَّاكدة. نظرَت إلى الخارجين عن القانون على خيولهم وأدارَت رأس حصانها قائلةً لنفسها: الآن، بسُرعة الثُّعبان، وبكلِّ قوَّتها همزَت جانبَيْ الحصان بكعبيها، وانطلقَت كالسَّهم بين التايروشي وچاك المحظوظ، ولمحَت النَّظرة المبهوتة على وجه جندري إذ ابتعدَت فَرسه عن طريقها، ثم إنها خرجَت إلى الحقل المفتوح وراحَت تجري.

شمالًا أو جنوبًا، شرقًا أو غربًا، لا يهمُّ الآن. يُمكنها أن تجد (ريڤرَرن) لاحقًا بَعد أن تَهرُب منهم. مالَت آريا إلى الأمام وحثَّت الحصان على الهرولة، ومن ورائها كان الخارجون عن القانون يسبُّون ويزعقون فيها أن تعود، فغضَّت سمعها عن ندائهم، لكن حين ألقَت نظرةً من فوق كتفها رأت أربعةً منهم يندفعون في أعقابها، آنجاي وهاروين وذو اللِّحية الخضراء جنبًا إلى جنب، وليم وراءهم بمسافةٍ ومعطفه الأصفر يخفق على كتفيه. قالت لحصانها: «بسُرعة الغزال. اركُض، اركُض!».

اخترقَت آريا حقولًا بنِّيَّة متخمةً بالحشائش، وصفوفًا من أعواد الكلأ ترتفع حتى خاصرتها، وأكوامًا من أوراق الأشجار الجافَّة ثارَت وطارَت إذ مرقَ الحصان بالقُرب منها. أبصرَت غابةً إلى يسارها، ففكَّرت: يُمكنني أن أضلِّلهم هناك. كانت قناة جافَّة تمضي على حافة الحقل، لكنها وثبَت فوقها دون أن تَحُدَّ من سُرعتها، واندفعَت وسط دغل أشجار الدَّردار والطُّقسوس والبَتولة، قبل أن تُلقي نظرةً سريعةً وراءها لترى آنجاي وهاروين ما زالا في أثرها بإصرار، وقد سبقا ذا اللِّحية الخضراء وغابَ ليم عن النَّظر تمامًا، فقالت للحصان: «أسرِع، يُمكنك أن تفعلها، يُمكنك أن تفعلها».

اندفعَت بين شجرتَيْ دَردار ولم تتوقَّف لحظةً لترى على أيِّ جانبٍ تنمو الطَّحالب، ووثبَت فوق جذع ميت ودارَت حول مصيدة حيوانات شنيعة المنظر محزَّزة بالغصون المكسورة، ثم صعدَت منحدَرًا بسيطًا ونزلَت على الجانب الآخَر مبدِّلةً حركتها من البُطء إلى السُّرعة، وقد تطايرَ الشَّرر من جرَّاء

احتكاك حدوات الحصان بأحجار الصَّوَّان تحتها. على قمَّة الهضبة عادَت تَنظُر وراءها، ورأت هاروين سابقًا آنجاي لكن الاثنين ما زالا منطلقَيْن بأقصى سُرعة، بينما ابتعدَ ذو اللِّحية الخضراء أكثر وبدا أنه كَلَّ.

عاقَ جدول طريقها، لكنها خاضَت في مياهه المخنوقة بورق الشَّجر الميت، الذي علقَ القليل منه بسيقان حصانها لمَّا خرجَت على الجانب الآخَر. وجدَت الأرض هنا مكتظَّةً بالجذور والصُّخور حتى إنها اضطرَّت لأن تُبطئ حركتها، وإن ظلَّت مسرعةً بقَدر ما تجرؤ. هضبة أخرى أكثر انحدارًا صعدَتها ونزلَتها، فتساءلَت: كم حجم هذه الغابة؟ إنها تعلم أن معها الحصان الأسرع، فقد سرقَت واحدًا من أفضل جياد رووس بولتون من الاسطبلات في (هارنهال)، لكن سُرعته مبدَّدة ها هنا. يجب أن أجد الحقول من جديد، يجب أن أجد طريقًا. بدلًا من هذا وجدَت درب فرائس ضيِّقًا وعرًا، لكنه أفضل من لا شيء. انطلقَت عليه لتجلدها الغصون على وجهها، واشتبكَ أحدها بقلنسوتها وسحبَها إلى الوراء، فخشيَت لحظةً أنهم أمسَكوها، وهرعَت ثعلبة من وسط الشُّجيرات وقد أجفلَتها انطلاقتها العنيفة. أخيرًا أفضى بها درب الفرائس إلى جدولٍ آخَر، أم أنه الجدول الأول؟ هل دارَت حول نفسها؟ لم تجد وقتًا للتَّفكير وهي تسمع خيولهم تخترق الأشجار من ورائها. خدشَت الأشواك وجهها كالقِطط التي اعتادَت مطارَدتها في (كينجز لاندنج)، وتفجَّرت العصافير من فروع شجرة جار الماء أمامها، لكن كثافة الأشجار بدأت تقلُّ، وفجأةً وجدَت نفسها خارج الغابة، تمتدُّ الحقول الواسعة المستوية أمامها وقد وُطِئَ ما نما فيها من حشائشٍ وقمح برِّي وتشبَّع بالماء، فعادَت آريا تَركُل الحصان ليستأنف الرَّكض مفكِّرةً: اركُض، اركُض إلى (ريفررَن)، إلى الدِّيار.

هل ضلَّلتهم؟ ألقَت نظرةً واحدةً إلى الوراء، وإذا بهاروين لا يَبعُد أكثر من سِتِّ ياردات ويقترب. لا، ليس هو، ليس هذا عدلًا.

كانت الرَّغوة[1] تُغرِق كلا الحصانين المنهَكيْن حين وجدَت هاروين إلى

---

(1) عندما تعرق الخيول نتيجةً للمجهود الشَّديد، تَخرُج من مسامِّها مادَّة رغويَّة يتسبَّب بروتين معيَّن في إفرازها. (المترجم).

جوارها يمدُّ يده ويُطبق على لجامها، وكانت آريا نفسها تلهث بقوَّةٍ عندئذٍ وقد أدركَت أن القتال انتهى. قال هاروين لمَّا أوقفَ الحصانين: «تركبين كشماليَّةٍ حَقَّة يا سيِّدتي. عمَّتكِ كانت هكذا، الليدي ليانا، لكن تذكَّري أن أبي كان قيِّم الخيل».

رمقَته بنظرةٍ جريحة للغاية وهي تقول: «حسبتك رجل أبي».

- «اللورد إدارد ماتَ يا سيِّدتي، والآن أنتمي إلى سيِّد البرق، وإلى إخوتي».

- «أي إخوة؟». هالن العجوز لم يُنجِب إلَّا هاروين على حَدِّ علمها.

- «آنجاي وليم وتوم أبو السَّبعات وچاك وذو اللِّحية الخضراء، كلُّهم. نحن لا نُضمِر أذًى لأخيكِ روب يا سيِّدتي... لكننا لا نُقاتِل من أجله. إن لديه جيشًا ولوردات عظامًا يركعون له، لكن العامَّة ليس لهم غيرنا»، وحدجَها بنظرةٍ متسائلة مردفًا: «هل تفهمين ما أقوله لكِ؟».

- «نعم». تفهم تمامًا أنه ليس رجل روب، وأنها أسيرته. كان يُمكن أن أبقي مع هوت پاي، ثم نبُحِر بالقارب الصَّغير إلى (ريڤررَن). لقد كانت أفضل حالًا وهي الكتكوت، فلا أحد سيهتمُّ بأن يأخذ الكتكوت أسيرةً، أو نان، أو بنت عرس، أو آري الصَّبي اليتيم. كنتُ ذئبةً، والآن عدتُ ليدي صغيرة سخيفة مجدَّدًا.

سألَها هاروين: «هل ستركبين بهدوء أم أن عليَّ أن أقيِّدكِ وأضعكِ على حصانكِ بالعرض؟».

أجابَت بكآبة: «سأركبُ بهدوء». في الوقت الحالي.



سامويل

منتحبًا، أخذَ سام خُطوةً أخرى. إنها الخُطوة الأخيرة، الأخيرة على الإطلاق، لا أستطيعُ الاستمرار، لا أستطيعُ. لكن قدميه تحرَّكتا، واحدة ثم الثَّانية، وأخذَتا خُطوةً أخرى، ثم أخرى، ففكَّر هو: هاتان ليستا قدميَّ، بل قدما أحدٍ غيري، أحد غيري يمشي، لا يُمكن أن يكون أنا. نظرَ إلى أسفل ورآهما تتقدَّمان متعثِّرتين في الثُّلوج كشيئيْن لا شكل لهما يتحرَّكان بخَرَقٍ وتخبُّط، وأنبأَته ذكرى بعيدة بأن حذاءه كان أسود، لكنه مغلَّف الآن بكُتلةٍ صلدة من الثَّلج جعلَت كلَّ فردةٍ تبدو ككُرةٍ بيضاء مشوَّهة، كأنهما قدمان معوجَّتان صُنِعَتا من الجليد.

لم يتوقَّف الثَّلج عن الانهمار وارتفعَت أكوامه حتى رُكبتَيْ سام، الذي غطَّت قشرة من الأبيض أسفل ساقيه كأنها تُدَرِّعهما، وتلخَّصت خُطاه في جرجرة قدميه والتَّرنُّح، وقد جعلَته الصُّرَّة الثَّقيلة التي يحملها يبدو كأحدب عملاق، وكلُّ هذا علاوةً على تعبه العاتي. لا أستطيعُ الاستمرار، رُحماكِ يا أمَّنا، لا أستطيعُ.

عليه بَعد كلِّ أربع أو خمس خُطوات أن يمدَّ يده إلى حزام سيفه ويرفعه. كان قد فقدَ سيفه على قمَّة (القبضة)، لكن الغِمد ما زال يُثقِل الحزام، كما أن معه سكِّينين؛ الخنجر المصنوع من زجاج التنِّين الذي أعطاه چون إياه، والثَّاني الفولاذي الذي يُقَطِّع به اللَّحم. هكذا ظلَّ الثِّقل يجرُّ الحزام إلى أسفل من حول بطنه الكبير المستدير، وإذا نسيَ أن يرفعه فسيَسقُط وينعقد حول كاحليه مهما ثبَّته بإحكام. في مرَّةٍ حاولَ أن يربطه فوق بطنه، لكنه كادَ يَبلُغ

إبطيه، وانفجرَ جرن ضاحكًا بقوَّةٍ بينما قال إد الكئيب: «عرفتُ رجلًا يُعَلِّق سيفه في سلسلةٍ حول عُنقه هكذا، وذات يوم تعثَّر فدخلَ المقبض في أنفه».

والآن يمشي سام نفسه متعثِّرًا، فتحتَ الثَّلج صخور وجذور أشجار، وأحيانًا حُفر عميقة في الأرض المتجمِّدة، وفي واحدةٍ منها خطا برنار الأسود وكسرَ كاحله قبل ثلاثة أيام، أو ربما أربعة، أو... لا يدري كم مَرَّ منذ ذلك الحين حقًّا، لكن حضرة القائد وضعَ برنار على حصان.

منتحبًا، أخذَ سام خُطوةً أخرى شاعرًا كأنه يهوي ولا يمشي، يهوي بلا نهايةٍ لكن لا يرتطم بالأرض أبدًا، فقط يهوي ويهوي إلى الأمام. يجب أن أتوقَّف، الألم شديد. إنني في غاية البرد والإرهاق وأحتاجُ إلى النَّوم، القليل من النَّوم إلى جوار النَّار ولُقمة طعام ليست متجمِّدة.

لكن إذا توقَّف فهو ميِّت. هو يعلم هذا والكلُّ يعلم هذا، كلُّ من في القِلَّة التي تبقَّت. كانوا خمسين عندما فرُّوا من (القبضة)، وربما أكثر، لكن بعضهم تاهَ وسط الثُّلوج، وبعض الجرحى نزفَ حتى الموت... وأحيانًا يسمع سام صياحًا من ورائه من عند حَرس المؤخِّرة، وذات مرَّةٍ سمعَ صرخةً شنيعةً دفعَته إلى العدْو نحو عشرين أو ثلاثين ياردة، أطول مسافةٍ استطاعَ أن يقطعها بأقصى سُرعةٍ لديه، وراحَت قدماه نِصف المتجلِّدتين تَركُلان الثَّلج، ولو أن ساقيه أقوى لكان يعدو حتى الآن. إنهم وراءنا، ما زالوا وراءنا، يصطادوننا واحدًا واحدًا.

منتحبًا، أخذَ سام خُطوةً أخرى. لقد طالَ شعوره بالبرد كثيرًا حتى إنه بدأ ينسى معنى الدِّفء. كان يرتدي ثلاثة جوارب على كلِّ قدم، وطبقتين من الثِّيابِ الدَّاخليَّة تحت قميصٍ مزدوج من صوف الحِملان، وفوق هذا سُترة مبطَّنة تمنع عنه برودة قميص الحلقات المعدنيَّة، الذي ارتدى فوقه سُترةً قصيرةً فضفاضةً، وفوقها معطفًا ثُلاثي السُّمك ذا زرٍّ من العظم يُغلِقه بإحكام تحت ذقنه المترهِّل، وقد رفعَ القلنسوة على رأسه، وثبَّت على يديه قُفَّازينِ ثقيليْن من الفرو فوق القُفَّازين الخفيفيْن المصنوعيْن من الصُّوف والجلد، ولَفَّ وشاحًا حول نِصف وجهه السُّفلي، بالإضافة إلى قبَّعةٍ ضيِّقة مبطَّنَة بصوف الخراف شَدَّها فوق أذنيه تحت القلنسوة... ومع كلِّ هذا كان البرد يَنخُر عظامه ويستوطن قدميه تحديدًا. إنه لا يَشعُر بهما الآن، لكنهما

أوجعَتاه أمس لدرجةٍ جعلَته يكاد لا يُطيق الوقوف عليهما، ناهيك بالمشي. أكان هذا أمس؟ لا يُمكنه أن يتذكَّر. إنه لم ينم منذ (القبضة)، ولا مرَّة منذ نُفخَ في البوق، ما لم يكن نامَ وهو يمشي. هل يُمكن أن يمشي أحد وهو نائم؟ لا يعرف سام الإجابة، أو ربما نسيَها.

منتحبًا، أخذَ سام خُطوةً أخرى ونُدف الثَّلج تَسقُط دائرةً في دوَّاماتٍ حوله، تأتي من سماء بيضاء حينًا وحينًا من سماء سوداء، لكن هذا هو كلُّ ما تبقَّى من النَّهار واللَّيل، والآن صارَ يرتدي الثَّلج على كتفيه كمعطفٍ ثان، كما تكوَّم عاليًا على الصُّرَّة التي يحملها وجعلَها أثقل وأصعب حملًا. في أسفل ظَهره ألم مُمِض كأن أحدًا أغمدَ فيه سكِّينًا وأخذ يهزُّه مع كلِّ خُطوة، وفي كتفيه ألم مبرِّح من ثِقل القميص المعدني. يُمكنه أن يدفع أيَّ ثمنٍ كي يخلعه، إلَّا أنه يخشى أن يفعلها، ثم إن عليه أن يخلع معطفه وسُترته أولًا ليصل إليه، وعندها سينال منه البرد.

ليتني كنتُ أقوى... لكنه ليس أقوى، ولا جدوى من التَّمنِّي. سام ضعيف، وسمين، سمين للغاية، وبالكاد تحتمل ساقاه ثِقله، والقميص المعدني كثير عليه، كثير جدًّا، ويحسُّ كأنه يكشط كتفيه على الرغم من طبقات القُماش والبطانة بين الفولاذ والجِلد. ما بيده حيلة إلَّا البُكاء، وإذا بكى تجمَّدت دموعه على وجنتيه.

منتحبًا، أخذَ سام خُطوةً أخرى، لتتكسَّر قشرة الجليد تحت قديمه كلما خطا. بعيدًا إلى اليمين واليسار استحالَت المشاعل إلى هالاتٍ برتقاليَّة غامضة وسط الثَّلج المتساقط، تكاد تخبو بين الأشجار الصَّامتة، ولمَّا دارَ برأسه رآهم ينسلُّون ذهابًا وإيابًا هنا وهناك، فذكَّر نفسه: حلقة نيران الدُّب العجوز، وويل لمن يُغادِرها. بدا له وهو يسير كأنه يُطارِد المشاعل التي تسبقه، لكن لهذه المشاعل سيقانًا أيضًا، أطول وأقوى من ساقيه، فلن يَبلُغها أبدًا.

أمس توسَّل إليهم أن يجعلوه واحدًا من حاملي المشاعل، حتى إذا كان هذا يعني أن يتحرَّك خارج الطَّابور بينما يُطبق الظَّلام. كان يتجمَّد شوقًا إلى النَّار، يَحلُم بالنَّار، لكن أحدًا ذكَّره بأنه حمَلَ مشعلًا في البداية وأسقطه في الثَّلج فهمدَت ناره. لم يتذكَّر سام أنه أسقطَ مشعلًا، وإن افترضَ أن ما قيلَ حقيقي، فهو أضعف من أن يظلَّ رافعًا ذراعه طويلًا. أهو إد الذي ذكَّره

بالمشعل أم جرن؟ ذلك أيضًا لا يَذكُره. سمين وضعيف وعديم الفائدة، حتى عقلي يتجمَّد الآن.

أخذَ سام خُطوةً أخرى.

كان قد لَفَّ وشاحه حول فمه وأنفه، لكنه مغطًّى بالمخاط الآن، ومتيبِّس لدرجةٍ يخشى معها أنه تجمَّد على وجهه. حتى التَّنفُّس عسير، والهواء بارد للغاية وكلما استنشقَه آلمَه. تمتمَ بصوتٍ مكتوم مبحوح من تحت القناع المتجمِّد: «رُحماكِ يا أمَّنا، رُحماكِ يا أمَّنا، رُحماكِ يا أمَّنا». مع كلِّ دعاءٍ أخذَ خُطوةً أخرى وجرجرَ قدميه في الثَّلج. «رُحماكِ يا أمَّنا، رُحماكِ يا أمَّنا، رُحماكِ يا أمَّنا».

أمُّه هو تَبعُد ألف فرسخ في الجنوب، آمنة مع أخواته وأخيه الصَّغير ديكون في القلعة في (هورن هيل). لا يُمكنها أن تسمعني هنا، لا هي ولا (الأم في الأعالي). كلُّ السِّبتونات متَّفقون على رحمة (الأم)، لكن الآلهة السَّبعة لا سُلطان لهم وراء (الجدار). هنا تَحكُم الآلهة القديمة، آلهة الأشجار والذِّئاب والثُّلوج التي ليست لها أسماء. هكذا همسَ لمن كان سميعًا الآن، للآلهة القديمة أو الجديدة، أو حتى الشَّياطين: «الرَّحمة، أوه، رحمةً بي، رحمةً بي، رحمةً بي».

مازلين صرخَ متوسِّلًا الرَّحمة. لماذا تذكَّر هذا فجأةً؟ إنه ليس بالشَّيء الذي يُريد أن يتذكَّره. لقد تعثَّر الرَّجل إلى الوراء وأسقطَ سيفه، استجدى وأعلنَ استسلامه، بل وخلعَ قُفَّازه الأسود السَّميك ولوَّح به أمامه كما يستسلم الفُرسان، وكان لا يزال يعوي طالبًا الرَّحمة عندما رفعَته الجثَّة الحيَّة في الهواء من حَلقه وكادَت تنتزع رأسه من عُنقه. الموتى لم تتبقَّ فيهم رحمة، و(الآخَرون)... كلا، يجب ألَّا أفكِّر في هذا، لا تُفكِّر، لا تتذكَّر، امشِ فقط، امشِ فقط، امشِ فقط.

منتحبًا، أخذَ خُطوةً أخرى.

اصطدمَ إصبع قدمه بجذرٍ متوارٍ تحت قشرة الجليد، وتعثَّر سام وسقطَ على رُكبته بعُنفٍ جعلَه يعضُّ لسانه، وأحسَّ بمذاق الدِّماء في فمه أدفأ من أيِّ شيءٍ ذاقَه منذ (القبضة). إنها النِّهاية. الآن وقد سقطَ فلا يبدو أن فيه طاقةً تكفي للنُّهوض من جديد. مَدَّ يده إلى فرع شجرةٍ وأطبقَ عليه محاولًا أن

يسحب نفسه إلى أعلى، لكن ساقيه المتيبِّستيْن لم تحتملا وزنه. المعدن ثقيل جدًّا، وهو بدين جدًّا، وضعيف جدًّا، ومنهَك جدًّا.

- «على قدميك أيها الخنزير»، دمدمَ أحدهم وهو يمرُّ به، لكن سام لم ينتبه له. سأتمدَّدُ في الثَّلج وأغلقُ عينيَ. لن يكون الموت هنا بذلك السُّوء، فلن يشتدَّ البرد الذي يكتنفه أكثر، وبَعد فترةٍ قصيرة سيغيب الألم الرَّهيب في أسفل ظَهره وكتفيه، ولن يَشعُر بقدميه. لن أكون أول من يموت، لن يقولوا إني كنتُ أول الموتى. عشرات ماتوا فوق (القبضة)، ماتوا في كلِّ حدبٍ وصوبٍ حوله، وبعينيه رأى المزيد يموتون بَعدها. مرتجفًا، تخلَّى سام عن فرع الشَّجرة وقعدَ ببُطءٍ في الثَّلج، ومع أنه بارد مبتل فلم يَشعُر به إلَّا قليلًا عبر طبقات ثيابه. رمقَ السَّماء البيضاء الشَّاحبة بينما تساقطَت رقائق الثَّلج على بطنه وصدره وجفنيه. سيُغَطِّيني الثَّلج كدثارٍ أبيض سميك. سأحسُّ بالدِّفء تحت الثَّلج، وإذا تكلَّموا عني فعليهم أنْ يقولوا إنني مِتُّ رجلًا في حَرس اللَّيل. نعم، نعم، لقد أدَّيتُ واجبي. لا أحد يُمكنه أن يقول إنني حنثتُ بقَسمي. إنني بدين وضعيف وجبان، لكني أدَّيتُ واجبي.

كانت الغِدفان مسؤوليَّته، ولهذا السَّبب جلبوه معهم. لم يكن يُريد أن يذهب، وهذا ما قاله للجميع، أخبرَهم كم هو جبان كبير، لكن لأن المِايستر إيمون مسنٌّ وضرير، كان على سام الذَّهاب بدلًا منه ليُعنى بالغِدفان. حين نصبوا معسكَرهم على قمَّة (القبضة) أملى عليه حضرة القائد أوامره قائلًا: «كلانا يعلم أنك لست مُقاتلًا يا فتى، وإذا حدثَ أن هوجمنا فلا تُحاول إثبات العكس لأنك ستعترض الطَّريق لا أكثر. سيكون عليك أن تُرسِل رسالةً، ولا تجري إليَّ لتسأل عن محتواها. اكتُبها بنفسك، وأرسِل طائرًا إلى (القلعة السَّوداء) وآخَر إلى (بُرج الظِّلال)»، وأشارَ الدُّب العجوز بإصبعه إلى وجه سام مباشرةً مضيفًا: «لا أبالي إن كنتَ خائفًا لدرجة أن تبول على نفسك، ولا أبالي إن كان ألف همجي يتسلَّقون الأسوار مستهدفينك أنت تحديدًا. ستُرسِل هذين الطَّائريْن وإلَّا أقسمُ أن أطاردك عبر الجحائم السَّبع كلها وأجعلك تأسف لأنك لم تفعل».

حرَّك غُداف مورمونت رأسه من أعلى إلى أسفل، ونعبَ: «تأسف، تأسف، تأسف!».

لكن سام آسف، آسف لأنه ليس أشجع أو أقوى أو يُجيد المبارَزة، لأنه لم يكن ابنًا أصلح لأبيه وأخًا أفضل لديكون والفتيات، وآسف أيضًا لأنه سيموت، لكن رجالًا أفضل منه ماتوا على (القبضة)، رجالًا صالحين ثابتين وليسوا صبيةً سمانًا مذعورين مِثله. على الأقل لن يُطارِده الدُّب العجوز في الجحيم. أرسلتُ الطَّائريْن، فعلتُ هذا بشكلٍ صحيح على الأقل. كان قد كتبَ نُسختيْن مسبَّقًا، رسالة قصيرة بسيطة تُنبئ بهجوم على (قبضة البَشر الأوائل)، ثم إنه دَسَّهما في جراب الرَّقوق وهو يأمل ألَّا يَضطرَّ إلى إرسالهما أبدًا.

كان سام نائمًا حين دوَّت الأبواق، وحسبَ أنه يَحلُم في البداية، لكن لمَّا فتحَ عينيه رأى الثُّلوج تَسقُط على المعسكَر والإخوة السُّود يلتقطون الأقواس والحِراب ويهرعون إلى السُّور الدَّائري. لم يكن على مقربةٍ منه إلَّا تِشت، وكيل المِايستر إيمون العجوز بوجهه المليء بالبثور والكيس الدُّهني الكبير على رقبته. لم يرَ سام رُعبًا كهذا على وجه رجلٍ عندما جاءَت نفخة البوق الثَّالثة كالأنين عبر الأشجار، لكنه ناشدَه قائلًا: «ساعِدني على إرسال الطُّيور»، إلَّا أن الوكيل الآخَر دارَ وابتعدَ جريًا وخنجره في يده، فقال سام لنفسه وقد تذكَّر: عليه أن يُعنى بالكلاب. لا بُدَّ أن حضرة القائد أعطاه أوامره بدوره.

أحسَّ بأصابعه يابسةً خرقاء تمامًا داخل القُفَّازين، وارتعدَت فرائصه خوفًا وبردًا، لكنه وجدَ جراب الرَّقوق وأخرجَ الرِّسالتين. كانت الغِدفان تَصرُخ بمنتهى العُنف، وحين فتحَ قفص (القلعة السَّوداء) طارَ أحدها في وجهه مباشرةً، وفرَّ اثنان إضافيَّان قبل أن يستطيع الإمساك بواحدٍ منها، ولمَّا فعلَ نقرَ الطَّائر يده عبر القُفَّاز وأدماها، وعلى الرغم من ذلك ثابرَ سام حتى ثبَّت لُفافة الرَّقوق الصَّغيرة بقدمه. كان بوق الحرب قد صمتَ حينئذٍ، لكن (القبضة) ضجَّت بالزَّعيق الآمر وصليل الفولاذ، وألقى سام الغُداف في الهواء صائحًا: «طِر!».

أمَّا طيور قفص (بُرج الظِّلال) فكانت تَصرُخ وتُرَفرِف بهياج جنوني حتى إنه خافَ أن يفتح الباب، لكنه أجبرَ نفسه في النِّهاية، وهذه المرَّة أمسكَ بأول غُداف حاولَ الفرار، وبَعد لحظاتٍ كان الطَّائر يُحَلِّق في الثَّلج المتساقط حاملًا خبر الهجوم.

هكذا وقد أدَّى ما عليه من واجب، أكملَ ارتداء ملابسه بأصابع مرتعشة خرقاء، فارتدى قبَّعته وسُترته ومعطفه ذا القلنسوة، وشَدَّ حزام السَّيف على

خاصرته عن آخِره كي لا يَسقُط، ثم إنه عثرَ على صُرَّته وأتخمَها بحاجياته كلِّها؛ الثِّياب الدَّاخليَّة الإضافيَّة والجوارب الجافَّة، ورأس الحربة ورؤوس السِّهام المصنوعة من زجاج التنِّين التي أعطاه چون إياها، ومعها البوق القديم والرَّقوق والأحبار وريش الكتابة والخرائط التي كان يرسمها، بالإضافة إلى لُفافةٍ جامدة كالصَّخر من السُّجق بالثُّوم يحتفظ بها منذ (الجدار). ربطَ الصُّرَّة بإحكامٍ ورفعَها على ظَهره مفكِّرًا: حضرة القائد قال ألَّا أهرعَ إلى السُّور، لكنه قال ألَّا أهرع إليه كذلك. التقطَ نفسًا عميقًا وقد أدركَ أنه لا يدري ما عليه أن يفعله الآن.

يتذكَّر أنه دارَ حول نفسه شاعرًا بالضَّياع والخوف يتنامى في فؤاده كما يفعل دائمًا. كانت الكلاب تنبح والخيول تصهل، لكن الثُّلوج كتمَت الأصوات وجعلَتها تبدو بعيدةً، ولم يرَ سام شيئًا أمامه أبعد من ثلاث ياردات، ولا حتى المشاعل الموقدة على محيط السُّور الحجري الواطئ الذي يُطَوِّق قمَّة التَّل. هل انطفأت المشاعل؟ وجدَ الخاطر مخيفًا لدرجةٍ لا تحتمل التَّفكير. البوق دوَّى ثلاث مرَّات، ثلاث نفخات طويلة معناها (الآخَرون). مُشاة الغابة البيض، الظِّلال الباردة، وحوش الحكايات الذين جعَلوه يَصرُخ ويرتعد في طفولته، يمتطون عناكبهم الجليديَّة العملاقة، جوعى للدَّم...

بخَرَقٍ سحبَ سيفه ورفعَه متحرِّكًا بتثاقُل وسط الثُّلوج. مَرَّ به كلب يعدو نابحًا، ورأى بعض رجال (بُرج الظِّلال) الكبار الملتحين بفؤوسهم ذات المقابض الطَّويلة وحرابهم البالغة ثمانية أقدام طولًا، فأحسَّ بأمانٍ أكثر في صُحبتهم وتبعَهم إلى السُّور، ولمَّا رأى المشاعل موقدةً ما زالت فوق حلقة الحجارة سرَت فيه رعدة راحة.

وقفَ الإخوة السُّود وفي أيديهم السُّيوف والحِراب، يُراقِبون سقوط الثَّلج وينتظرون، بينما مَرَّ السير مالادور لوك على حصانه معتمرًا خوذةً رقَّطها الأبيض. توقَّف سام على مسافةٍ لا بأس بها وراء الآخَرين، وراحَ يبحث بناظريْه عن جرن أو إد الكئيب ويُفكِّر: إذا كان الموت محتومًا، فلأمت إلى جانب أصدقائي، لكن كلَّ مَن حوله كانوا غُرباء، رجالًا من (بُرج الظِّلال) تحت قيادة الجوَّال المدعو بلين.

سمعَ أخًا يقول: «ها هُم قادمون».

قال بلين: «ثبِّت»، فسُحِبَ عشرون سهمًا من عشرين كنانة وثُبِّتوا إلى عشرين وتر.

تناهى إلى سمعه صوت يقول بخفوت: «بحَقِّ الآلهة، إنهم مئات».

- «اسحَب»، قال بلين، ثم: «اثبَت». لم يرَ سام شيئًا ولم يرغب في الرُّؤية، ووقفَ رجال حَرس اللَّيل وراء مشاعلهم ينتظرون بسهام مسحوبة حتى الآذان، ثم ظهرَ شيء ما على المنحدَر الزَّلق وسط الثُّلوج، وكرَّر بلين: «اثبَت. اثبَت. اثبَت»، ثم: «أطلِق».

وحلَّقت السِّهام هامسةً.

تصاعدَ هتاف خشن من الرِّجال عند السُّور الدَّائري، لكنه سرعان ما ماتَ، وقال رجل لبلين: «إنهم لا يتوقَّفون يا سيِّدي»، وصاحَ آخَر: «المزيد! انظُروا هناك، إنهم قادمون من بين الأشجار»، وقال ثالث: «برحمة الآلهة، إنهم حشود! يكادون يبلغوننا! إنهم هنا!».

كان سام يتراجَع مرتجفًا كآخِر ورقةٍ على شجرةٍ عندما تشتدُّ الرِّيح، يرتجف من البرد بقَدر ما يرتجف من الخوف، ولقد كان البرد رهيبًا ليلتها. أبرد من الآن. الثَّلج يكاد يكون دافئًا، وأشعرُ أني أفضل الآن. لم أكن محتاجًا لأكثر من قليل من الرَّاحة، وربما بعد قليل أجد في نفسي القوَّة لمعاودَة المشي، بعَد قليل.

مَرَّ به حصان رمادي أشعث كسا الثَّلج غُرَّته والجليد حوافره، وشاهدَه سام يأتي ويذهب، قبل أن يَبرُز آخَر من وسط الثُّلوج يقوده رجل يرتدي الأسود، ولمَّا رأى سام في طريقه أطلقَ سبابًا ودارَ حوله. ليت كان معي حصان. لو أن معي حصانًا لاستطعتُ الاستمرار. كنتُ لأمضي جالسًا وربما أنام قليلًا كذلك. لكنهم فقدوا معظم خيولهم على (القبضة)، وما تبقَّى يحمل طعامهم ومشاعلهم وجرحاهم، وسام ليس جريحًا. سمين وضعيف فقط، وأجبن جُبناء (الممالك السبع) برُمَّتها.

كم هو جبان حقًّا. لطالما قال أبوه اللورد راندل هذا وثبتَ أنه على حَق. كان سام وريثه، لكنه لم يكن جديرًا قَطُّ، ولذا أرسلَه أبوه إلى (الجدار)، ليرث أخوه الصَّغير ديكون أراضي عائلة تارلي وقلعتها، والسَّيف العظيم (آفة القلوب) الذي يحمله لوردات (هورن هيل) بكلِّ فخرٍ منذ قرون. تساءلَ

إن كان ديكون سيبكي أخاه الذي ماتَ وسط الثُّلوج في مكانٍ ما وراء حافة العالم. ولِمَ يفعل؟ الجبان لا يستحقُّ البُكاء عليه. هكذا سمعَ أبوه يقول لأمِّه مرارًا وتكرارًا، والدُّب العجوز يعرف هذا أيضًا.

ليلتها فوق (القبضة) هدرَ حضرة القائد حين ظهرَ فجأةً ممتطيًا حصانه: «السِّهام النَّاريَّة! أمطِروهم باللَّهب!»، قبل أن يلحظ سام الواقف في مكانه يهتزُّ، فزعقَ فيه: «تارلي، ابتعد من هنا! مكانك مع الغِدفان!».

- «لقـ... قـ... قد أرسلتُ الرِّسالتيْن».

قال مورمونت: «عظيم»، وعلى كتفه ردَّد غُدافه: «عظيم، عظيم!». بدا حضرة القائد ضخمًا وقد ارتدى الفرو والمعدن، ووراء مقدِّمة خوذته الحديد السَّوداء اشتعلَت عيناه بأسًا وهو يقول له: «إنك تعترض الطَّريق هنا. عُد إلى أقفاصك، فلا أريدُ أن أبحث عنك أولًا إذا احتجتُ إلى إرسال رسالةٍ أخرى. اعمل على تجهيز الطُّيور»، ولم ينتظر إجابةً ودارَ بحصانه وراحَ يخبُّ حول الحلقة صائحًا: «النَّار! أمطِروهم بالنَّار!».

لم تكن بسام حاجة إلى سماع الأمر مرَّتين، فعادَ إلى الطُّيور بأسرع ما حملَته ساقاه اللَّحيمتان. يَجدُر بي أن أكتب الرَّسائل مسبقًا كي تُحلِّق الطُّيور سريعًا كلما دعَت الحاجة. استغرقَ وقتًا أطول مما ينبغي لإشعال نارٍ صغيرة لتدفئة الحبر الذي تجمَّد، ثم جلسَ إلى جوارها على صخرةٍ بالرِّيشة والرَّقوق وشرعَ يَكتُب.

هُوجمنا وسط الثَّلج والبرد، لكننا ردعنا الجُثث الحيَّة بالسِّهام النَّاريَّة. هكذا كتبَ وهو يسمع ثورين سمولوود يصيح آمرًا: «ثبِّت، اسحَب... أطلِق»، لتطير السِّهام محدثةً صوتًا بعذوبة دعوة أمِّك، وصاحَ دايوين مطقطقًا أسنانه الخشبيَّة: «احترقوا أيها الأوغاد الموتى، احترقوا»، وهلَّل الإخوة وسَبُّوا بينما واصلَ سام الكتابة: كلُّ شيءٍ آمِن، ما زلنا على (قبضة البَشر الأوائل)، وتمنَّى أن يكون إخوته رُماةً أفضل منه.

وضعَ هذه الرِّسالة جانبًا والتقطَ رَقًّا فارغًا ليَكتُب: ما زلنا نُقاتِل على (القبضة) وسط ثلوج ثقيلة، وبينما يَكتُب سمعَ أحدًا يصيح: «ما زالوا يتقدَّمون». النَّتيجة غيرُ أكيدة. قال آخَر: «الحِراب». ربما كان السير مالادور، لكنه لا يستطيع الجزم. هاجمَتنا الجُثث الحيَّة على (القبضة)، لكننا ردعناها

بالنَّار. التفتَ برأسه، ولم يستطِع عبر الثَّلج المتراكم أن يرى إلَّا النَّار الضَّخمة المضطرمة في مركز المعسكَر، وحولها يتحرَّك رجال على خيولهم بلا كلل. أدركَ أنهم قوَّة الاحتياط المستعدة لوطءِ أيِّ شيءٍ يخترق السُّور الدَّائري، وقد سلَّح أفرادها أنفسهم بالمشاعل بدلًا من السُّيوف وأوقَدوها من اللَّهب.

عندما سمعَ صياحًا من جانِب التَّل الشَّمالي كتبَ: الجُثث الحيَّة تُحيط بنا، قادمة من الشَّمال والجنوب في آنٍ واحد. الحِراب والسُّيوف لا تُوقفها، النَّار وحدها تُوقفها. صرخَ صوت ما في قلب اللَّيل: «أطلِق، أطلِق، أطلِق!»، وصاحَ صوت آخَر: «يا لضخامته!»، وقال ثالث: «عملاق!»، فردَّ رابع بإصرار: «إنه دُب، دُب!». صرخَ أحد الخيول وبدأت كلاب الصَّيد تعوي، وسادَ الصِّياح حتى إن سام لم يَعُد يستطيع تمييز الأصوات. عادَ يَكتُب بسُرعةٍ أكبر رسالةً تلو الأخرى. هَمج موتى، وعملاق، أو ربما دُب، يُهاجموننا من كلٍّ جهة. سمعَ ارتطام الفولاذ بالخشب، وهو ما يعني شيئًا واحدًا فحسب. الجُثث الحيَّة تجاوزَت السُّور الدَّائري. القتال داخل المعسكَر. ركضَت بالقُرب منه دستة من الخيول التي تحمل الإخوة نحو السُّور الشَّرقي، يحملون مشاعل تُخَلِّف خيوطًا من اللَّهب في الهواء. حضرة القائد مورمونت يُقاوِمهم بالنَّار. لقد انتصرنا. إننا ننتصر. إننا صامدون. نشقُّ لأنفسنا طريقًا للخروج ونسحب إلى (الجدار). إننا عالقون على (القبضة) ومحاصَرون.

خرجَ أحد رجال (بُرج الظِّلال) مترنِّحًا من الظُّلمة وسقطَ عند قدميه، قبل أن يزحف حتى قدم واحد من النَّار ويموت.

كتبَ سام: خسرنا المعركة. كلنا ضائعون.

لماذا يتذكَّر القتال على (القبضة) الآن؟ إنه لم يُرِد أن يتذكَّر هذا على الإطلاق. حاولَ أن يجعل نفسه يتذكَّر أمَّه أو أخته الصَّغيرة تالا أو تلك الفتاة جيلي في (قلعة كراستر)، ثم إنه شعرَ بمن يهزُّ كتفه قائلًا: «انهض. لا يُمكنك أن تنام هنا يا سام. انهض وواصِل السَّير».

لم أكن نائمًا، كنتُ أتذكَّر. قال وأنفاسه تَخرُج مستحيلةً إلى صقيعٍ في الهواء البارد: «ابتعِد. أنا بخير، أريدُ أن أستريح».

قال جرِن بصوتٍ خشن مبحوح: «انهض»، ووقفَ فوق سام وقد كسَت

قشرة من بياض الثَّلج ثيابه السَّوداء متابعًا: «الدُّب العجوز قال لا راحة. ستموت».

رَدَّ مبتسمًا: «جرن... لا، إنني بخير هنا، حقًّا. واصِل أنت طريقك وسألحقُ بك بَعدما أستريح قَليلًا».

كانت لحية جرن البنِّيَّة الكثَّة متجمِّدةً حول فمه وتجعله يبدو كرجلٍ عجوز وهو يقول: «لن يَحدُث. ستتجمَّد أو ينال منك (الآخَرون). سام، انهض!».

تذكَّر سام اللَّيلة السَّابقة لمغادَرتهم (الجدار)، وكيف شاكسَ پيپ جرن كعادته، قائلًا وهو مبتسم إنه خيار موفَّق لهذه الجولة، بما أنه أغبى من أن يَشعُر بالخوف، وهو الشَّيء الذي أنكرَه جرن بحرارةٍ إلى أن أدركَ معنى ما يقوله. إنه قصير متين الجسد غليظ العُنق، وقد لقَّبه السير أليسر ثورن بالثَّور البرِّي كما لقَّب سام بالسير خنزير وچون باللورد سنو، وإن كان يُعامِل سام برفقٍ دائمًا. لكن هذا بسبب چون فقط، ولولاه لما عرفتُ معاملةً طيِّبةً منهم. والآن رحلَ چون، ضاعَ في (الممر الصَّادح) مع كورين ذي النِّصف يد، وغالبًا ماتَ. كان سام ليبكيه، غير أن الدُّموع ستتجمَّد بدورها، وهو يُكافِح للحفاظ على عينيه مفتوحتيْن.

توقَّف أخ طويل القامة يحمل مشعلًا عندهما، ومرَّت لحظة رائعة أحسَّ خلالها سام بالدِّفء على وجهه والرَّجل يقول لجرن: «اترُكه. مَن لا يستطيع المشي انتهى أمره. وفِّر قوَّتك لنفسك يا جرن».

قال جرن: «سينهض. إنه في حاجةٍ إلى مساعَدة فقط».

ابتعدَ الرَّجل آخذًا معه نعمة الدِّفء، وحاولَ جرن أن يُنهِض سام عنوةً، فقال متذمِّرًا: «هذا مؤلم. توقَّف يا جرن، إنك توجِع ذراعي، توَقَّف».

قال جرن: «أنت ثقيل للغاية»، ودَسَّ يديه تحت إبطَيْ سام وأطلقَ أنينًا وسحبَه إلى أعلى، لكن بمجرَّد أن تركَه عاد الصَّبي السَّمين يَقعُد في الثَّلج، فركلَه جرن بقوَّةٍ شقَّقت قشرة الجليد حول حذائه وطيَّرت شظاياها في كلِّ مكان، وصاحَ: «انهض!»، وعادَ يَركُله مكرِّرًا: «انهض، يجب أن تنهض وتمشي».

سقطَ سام على جانبه وتكوَّر على نفسه ليحميها من الرَّكلات التي شعرَ بها بالكاد عبر طبقات الصُّوف والجِلد والمعدن، وعلى الرغم من هذا آلَمته.

حسبتُ جرن صديقي. لا يَجدُر بأحدٍ أن يَركُل أصدقاءه. لماذا لا يدعوني وشأني؟ إنني أحتاجُ إلى الرَّاحة لا أكثر، إلى الرَّاحة وشيءٍ من النَّوم، وربما القليل من الموت.

- «يُمكنني أن أحمل الصَّبي السَّمين إذا حملتَ المشعل».

فجأةً وجدَ نفسه يرتفع في الهواء البارد بحركةٍ حادَّة بعيدًا عن الثَّلج النَّاعم الجميل. كانت هناك ذراع تحت رُكبتيه وأخرى تحت ظَهره، فرفعَ سام رأسه وحدَّق ليرى وجهًا قريبًا منه، وجهًا عريضًا قاسيًا فيه أنف مسطَّح وعينان داكنتان صغيرتان ولحية بنِّيَّة كثيفة. لقد رأى هذا الوجه من قبل، لكنه استغرقَ برهةً ليتذكَّره. پول، پول الصَّغير. سالَ الجليد الذَّائب في عينيه من جرَّاء حرارة المشعل، وسمعَ جرن يسأل: «هل يُمكنك أن تحمله؟».

- «حملتُ عجلًا أثقلَ منه ذات مرَّة، حملته إلى أمِّه كي يرضع».

ترجرجَ رأس سام مع كلِّ خُطوةٍ أخذَها پول الصَّغير، فغمغمَ: «توقَّف، ضعني، أنا لستُ رضيعًا، أنا رجل في حَرس اللَّيل»، وأضافَ منتحبًا: «دعوني أموت».

قال جرن: «صمتًا يا سام، ادَّخر قوَّتك. فكِّر في أخيك وأخواتك، المِايستر إيمون، أطعَمتك المفضَّلة، أو غَنِّ حتى إذا أردت».

- «بصوتٍ عالٍ؟».

- «في رأسك».

كان سام يعرف مئة أغنيَّة، لكن حين حاولَ تذكُّر إحداها لم يستطِع، وتبخَّرت الكلمات كلُّها من ذهنه، فانتحبَ ثانيةً وقال: «لستُ أعرفُ أيَّ أغانٍ يا جرن. كنتُ أعرفُ القليل لكني نسيته».

قال جرن: «بل تعرف. ماذا عن (الجميلة والدُّب)؟ الكلُّ يعرفها. كان هناك دُب، دُب، دُب! كلُّه أسود وبنِّي ومغطًّى بالشَّعر!».

متوسِّلًا قال سام: «لا، ليس هذه الأغنيَّة». الدُّب الذي صعدَ إلى (القبضة) لم يتبقَّ شَعر على لحمه المتعفِّن، وهو لا يُريد التَّفكير في الدِّببة. «لا غناء، أرجوك يا جرن».

- «فكِّر في غِدفانك إذن».

- «لم تكن غِدفاني قَطُّ». إنها غِدفان حضرة القائد، غِدفان حَرس اللَّيل. «إنها غِدفان (القلعة السَّوداء) و(بُرج الظِّلال)».

قال پول الصَّغير عابسًا: «تشِت قال إنه يُمكنني أن آخذ غُداف الدُّب العجوز الذي يتكلَّم. لقد ادَّخرتُ له طعامًا وكلَّ شيء»، وهَزَّ رأسه مضيفًا: «لكني نسيتُ، تركتُ الطَّعام حيث خبَّأته»، وواصلَ التَّقدُّم وأنفاسه تَخرُج من فمه بيضاء شاحبة مع كلِّ خُطوة، قبل أن يقول فجأةً: «هل يُمكنني أن آخذ واحدًا من غِدفانك؟ واحدًا فقط، ولن أسمح للارك بأن يأكله».

قال سام: «الغِدفان طارَت، آسف». آسف جدًّا. «إنها تُحلِّق عائدةً إلى (الجدار) الآن». لقد أطلقَ الطُّيور عندما سمعَ أبواق الحرب تُدَوِّي من جديدٍ داعيةً الحَرس إلى امتطاء الخيول. نفختان قصيرتان ونفخة طويلة، نداء الرُّكوب. لكن لم يكن هناك داعٍ للرُّكوبِ إلَّا لمغادَرة (القبضة)، وهذا يعني أنهم خسروا المعركة. نهشَه الخَوف بكلِّ ضراوةٍ حتى إنه بذلَ أقصى جهده ليفتحَ الأقفاص، وفقط حين شاهدَ آخِر الغِدفان يرتفع في العاصفة الثَّلجيَّة أدركَ أنه نسيَ أن يُرسِل أيًّا من الرَّسائل التي كتبَها.

صرخَ: «لا! أوه، لا، أوه، لا!»، وسقطَت الثُّلوج ودوَّت الأبواق: **آهووو آهووو آهوووووووووووووووووووو**! إلى الخيول، إلى الخيول، إلى الخيول!

رأى سام غُدافيْن جاثميْن على صخرةٍ فاندفعَ نحوهما، لكن الطَّائريْن وثبا في الهواء ببساطةٍ وحلَّقا في اتِّجاهيْن مختلفيْن وسط الثَّلج، فطاردَ أحدهما وأنفاسه تَخرُج من طاقتَيْ أنفه سحاباتٍ بيضاء كثيفة، قبل أن يتعثَّر ويجد نفسه على بُعد عشرة أقدامٍ من السُّور الدَّائري.

بَعد ذلك... تذكَّر الموتى يعبرون فوق الأحجار والسِّهام مغروسة في وجوههم ورقابهم، بعضهم يرتدي الحلقات المعدنيَّة من رأسه إلى قدميه والبعض الآخَر شِبه عارٍ، أغلبهم هَمج لكن منهم من يرتدي الأسود الباهت. تذكَّر أحد رجال (بُرج الظِّلال) يُغمِد حربةً في بطن جثَّةٍ أبيض طري ويُخرِجها من ظَهره، وكيف تحرَّكَ الشَّيء مترنِّحًا إلى الأمام بطول قناة الحربة، ومَدَّ يديه السَّوداوين وراحَ يلوي رأس الأخ حتى انبثقَت الدِّماء من فمه.

كان هذا عندما فقدَ سام السَّيطرة على مثانته أول مرَّة، يكاد يجزم بهذا.

لا يَذكُر أنه جرى، لكن لا بُدَّ أنه جرى، إذ إن أول شيءٍ أدركَه بَعدها أنه بالقُرب من النَّار في منتصَف المعسكَر، مع السير أوتين ويذرز العجوز وعددٍ من الرُّماة. كان السير أوتين جاثيًا على رُكبتيه في الثَّلج، يُحملِق إلى الفوضى

الضَّاربة أطنابها في كلِّ مكان، إلى أن اندفعَ حصان بلا راكب بغتةً ورفسَه في وجهه. لم يُعِره الرُّماة انتباهًا وهُم يُطلقون سهامهم النَّاريَّةَ على الظِّلال القادمة من الظَّلام، ورأى سام جثَّةً حيَّةً تُصاب، ورأى اللَّهب يبتلعها، لكن دستةً من الجُثث الأخرى أتَت وراءها، ومعها جسم شاحب ضخم لا ريب أنه كان الدُّب، وسرعان ما نفدَت من الرُّماة سهامهم.

ثم وجدَ سام نفسه على حصان، لم يكن حصانه، ولا يَذكُر أنه امتطاه حتى. ربما كان الحصان الذي هشَّم وجه السير أوتين. ظلَّت الأبواق تُدَوِّي، فهمزَ الحصان ووجَّهه نحو الصَّوت.

في خضمِّ اللَّجَّة والفوضى والثُّلوج الهابَّة وجدَ إد الكئيب راكبًا حصانه وفي يده حربة عليها راية سوداء، وقال إد لمَّا رآه: «سام، هلَّا أيقظتني أرجوك؟ إنني حبيس في كابوس بشع».

مزيد من الرِّجال كانوا يمتطون الخيول والنَّفير يستدعيهم: آهووو آهووو آهوووووووووووووووووووو!

صرخَ ثورين سمولوود في الدُّب العجوز وهو يُجاهِد للسَّيطرة على حصانه: «لقد تجاوَزوا السُّور الغربي يا سيِّدي. سأرسلُ قوَّة الاحتياط...».

هدرَ مورمونت بأعلى صوته كي يُسمَع فوق الأبواق: «لا! استدعِهم، يجب أن نشقَّ طريقًا للخروج»، ووقفَ على ركابَيْ الحصان ليخفق معطفه في الرِّيح وتلتمع النَّار على دِرعه، وجأرَ: «رأس حربة! كوِّنوا رأس حربة! ستتحرَّك، ننزل من الجانب الجنوبي ثم شرقًا!».

- «سيِّدي، المنحدَر الجنوبي يعجُّ بهم!».

- «المنحدَرات الأخرى حادَّة جدًّا. يجب أن...».

صرخَ حصانه بغتةً وتراجعَ رافعًا قائمتيه الأماميَّتين إذ جاءَ الدُّب عبر الثَّلج، ولحظتها بلَّل سام نفسه ثانيةً. لم أحسب أن هناك مزيدًا من البول في مثانتي. كان الدُّب ميتًا، شاحبًا ويتعفَّن، فروه وجِلده منسلخان ونِصف ذراعه اليُمنى محترقة حتى العظم، ومع ذلك تقدَّم. لم يكن فيه شيء حي غير عينيه. أزرق برّاق كما قال چون. تألَّقت العينان كنجمتين من جليد، وانقضَّ ثورين سمولوود بسيفٍ يلتمع بالبرتقالي والأحمر من ضوء النَّار، وكادَت ضربته تقطع رأس الدُّب، ثم إن الدُّب قطعَ رأسه.

صاحَ حضرة القائد دائرًا بحصانه: «**تحرَّكوا!**».

كانوا يُهَروِلون عند وصولهم إلى السُّور الدَّائري. لطالما خافَ سام من القفز بالحصان، لكن حين لاحَ السُّور الحجري الواطئ أمامه أدركَ أن لا خيار أمامه، وهمزَ الحصان وأغلقَ عينيه وأنَّ، لكن بشكلٍ ما -بشكلٍ ما- عبرَ به الحصان، بينما سقطَ الرَّاكب إلى يمينه في فوضى من الفولاذ والجلد ولحم الخيل الصَّارخ، قبل أن تجتاحَه الجُثث الحيَّة وينغلق رأس الحربة. اندفعَ الإخوة يَركُضون على جانِب التَّل وسط الأيادي السَّوداء الممتدَّة إليهم والأعيُن الزَّرقاء والثَّلج الذي تذروه الرِّيح. تعثَّرت خيول وتدحرجَت، واختُطِفَ رجال من فوق سروجهم، ودارَت مشاعل في الهواء، وضربَت الفؤوس والسُّيوف اللَّحم الميت، وانتحبَ ساموِيل تارلي وهو يتشبَّث بحصانه بقوَّةٍ لم يكن يعرف أنه يمتلكها.

كان في منتصَف رأس الحربة الطَّائر، يُحيط به إخوته من اليمين واليسار والأمام والخلف. ركضَ كلب معهم جزءًا من الطَّريق، يتواثَب على المنحدَر المغطَّى بالثَّلج بين الخيول، وإن لم يستطِع مجاراة سُرعتها، بينما صمدَت الجُثث الحيَّة في أماكنها لتدعسها حوافر الخيول، لكن حتى وهي تَسقُط ظلَّت تُحاول الإطباق على السُّيوف والمهامز وأرجُل الخيول، ورأى سام إحداها تشقُّ بطن حصانٍ بيُمناها بينما تتشبَّث بالسَّرج بيُسراها.

فجأةً أصبحَت الأشجار حولهم، وخاضَ سام في غديرٍ متجمِّد فيما انخفضَت أصوات المذبحة وراءه، فالتفتَ متنفِّسًا الصُّعداء... ثم وثبَ رجل يرتدي الأسود من وسط الشُّجيرات وشَدَّه من فوق سَرجه. لم يرَ سام من يكون، وفي لحظةٍ كان الرَّجل قد اعتلى الحصان وانطلقَ به، ولمَّا حاولَ سام أن يجري وراءه اشتبكَت قدمه في جذرٍ وسقطَ على وجهه بعُنف، وظَلَّ على الأرض يبكي كطفلٍ رضيع إلى أن وجدَه إد الكئيب هناك.

كانت هذه آخِرَ ذكرى متماسكة يملكها عن (قبضة البَشر الأوائل)، ولاحقًا، بَعد ساعات، وقفَ يرتجف وسط النَّاجين الآخَرين، نِصفهم على الخيول ونِصفهم على أقدامهم. كانوا قد ابتعدوا أميالًا عن (القبضة)، وإن لم يتذكَّر سام كيف. كان دايوين قد قادَ خمسة أحصنة جَرٍّ من على القمَّة وعلى متونها حمل ثقيل من الطَّعام والزَّيت والمشاعل، ثم تبقَّى منها ثلاثة فقط،

فجعلَهم الدُّب العجوز يُعيدون توزيع الأحمال كي لا تصير خسارة حصانٍ واحد بما على متنه من مؤن كارثة، كما أخذَ خيولًا من السُّلماء وأعطاها للجرحى، ونظَّم من سيمشون، وخصَّص رجالًا لحماية جانبيهم ومؤخِّرتهم بالمشاعل.

قال سام لنفسه وهو يأخذ أول خُطوةٍ نحو الدِّيار: كلُّ ما عليَّ أن أمشي، لكن قبل أن تنقضي ساعة واحدة بدأ يُعاني ويتباطأ...

والآن يرى أن حركتهم تتباطأ أيضًا. تذكَّر پيپ يقول في مرَّةٍ إن پول الصَّغير أقوى رجلٍ في حَرس اللَّيل. لا بُدَّ أنه كذلك ما دامَ يحملني. وعلى الرغم من ذلك كان عُمق الثُّلوج يتزايَد والأرض تُصبِح خدَّاعةً أكثر، وبدأت خُطى پول الواسعة تضيق. مَرَّ بهم مزيد من الرَّاكبين، جرحى رمقوا سام بنظراتٍ فاترة لامبالية، ومَرَّ بهم عدد من حاملي المشاعل، الذين قال أحدهم: «إنكم تتخلَّفون»، وأيَّده آخَر: «لا أحد سينتظرك يا پول. اترُك الخنزير للموتى».

- «لقد وعدَني بأن يُعطيني طائرًا»، قال پول، مع أن سام لم يفعل حقًّا. الغدفان ليست ملكي كي أعطيها لأحد. «أريدُ طائرًا يتكلَّم ويأكل الذُّرة من كَفِّي».

قال حامل المشعل: «أحمق»، ثم ابتعدَ.

مرَّت فترة قبل أن يتوقَّف جرن فجأةً ويقول بصوتٍ أجش: «نحن وحدنا. لا أرى المشاعل الأخرى. أكانَ هؤلاء حُرَّاس المؤخِّرة؟».

لم يُعطِه پول الصَّغير إجابةً، وتأوَّه الرَّجل الكبير وهو ينزل على رُكبتيه، وارتجفَت ذراعاه وهو يضع سام برفقٍ على الثَّلج، وارتجفَ هو بعُنفٍ وهو يقول: «لا أستطيعُ أن أحملك أكثر من هذا. أريدُ لكني لا أستطيعُ».

تنهَّدت الرِّيح بين الأشجار دافعةً نُدف الثَّلج الرَّقيقة في وجوههم، وأطبقَ عليهم زمهرير قارس جعلَ سام يحسُّ كأنه عار. بحثَ عن المشاعلِ الأخرى لكنها اختفَت كلُّها، وليس هناك إلَّا الذي يحملُه جرن ويرتفع منه اللَّهب كأنه حرير برتقالي باهت، وعبر اللَّهب لم يرَ غير السَّواد. هذا المشعل سينطفئ قريبًا، ونحن وحدنا تمامًا بلا طعام أو أصدقاء أو نار.

لكنه مخطئ، لأنهم ليسوا وحدهم على الإطلاق.

تخلَّصت الفروع السُّفليَّة لشجرة حارس خضراء عظيمة من عبئها الثَّلجي

بصوتٍ ناعم مكتوم، فدارَ جرن رافعًا مشعله أمامه، وقال: «مَن هناك؟»، ثم برزَ رأس حصانٍ من الظَّلام، وأحسَّ سام بالارتياح لحظةً... إلى أن رأى جسد الحصان الذي غطَّاه الصَّقيع كطبقةٍ من العَرق المتجلِّد اللَّامع، وبطنه الذي انسكبَت منه أمعاؤه السَّوداء المتيبِّسة، وظَهره الذي اعتلاه خيَّال شاحب كالجليد. أصدرَ سام أنينًا احتبسَ في أعماق حَلقه، وانتابه خوف كان كفيلًا بأن يجعله يبول على نفسه مجدَّدًا، لكن البرد الوحشي تمكَّن منه تمامًا حتى إنه أحسَّ كأن مثانته تجمَّدت كالصَّخر.

ترجَّل (الآخَر) برشاقةٍ ليقف على الثَّلج. كان رفيعًا كالسَّيف، وأبيض كالحليب، وتموَّجت دِرعه وتبدَّلت ألوانها وهو يتحرَّك، ولم تكسر قدماه القشرة الثَّلجيَّة.

استلَّ پول الصَّغير الفأس طويلة المقبض المثبَّتة على ظَهره، وقال: «لماذا آذيت هذا الحصان؟ كان حصان ماوني».

مَدَّ سام يده إلى مقبض سيفه، لكنه وجدَ الغِمد فارغًا، وتذكَّر متأخِّرًا جدًّا أنه فقدَه على (القبضة).

صاحَ جرن رافعًا المشعل أمامه: «ابتعد! ابتعد وإلَّا احترقت!»، وأخذَ يُلَوِّح باللَّهب في وجه الكائن.

التمعَ سيف (الآخَر) بوهجٍ أزرق خافت، وتحرَّك حامله صوب جرن بسُرعة البرق مسدِّدًا ضربةً، وحين مَسَّ النَّصل الأزرق كالجليد اللَّهب طعنَت أُذنَيْ سام صرخة حادة كالإبر، وسقطَ رأس المشعل جانبًا ليختفي في الثَّلج وقد انطفأت النَّار في الحال، وأصبح كلُّ ما يحمله جرن عصا خشبيَّة قصيرة، فقذفَ (الآخَر) بها وهو يسبُّ بينما انقضَّ پول الصَّغير بفأسه.

الخوف الذي أفعمَ سام حينها كان أسوأ من أيِّ خوفٍ اختبرَه في حياته كلِّها، وساموِيل تارلي يعرف كلَّ أنواع الخوف. صلَّى وقد أنساه رُعبه الآلهة القديمة: «رُحماكِ يا أمَّاه، احمني يا أبتاه، أوه أوه...»، ثم عثرَت أصابعه على خنجره فأطبقَ عليه بقبضته.

الجُثث الحيَّة أشياء بطيئة خرقاء، لكن (الآخَر) تحرَّك بخفَّة الثَّلج في الرِّيح، فتفادى الفأس ودِرعه تتموَّج، ودارَ سيفه البلَّوري واخترقَ حلقات قميص پول الحديديَّة والجِلد والصُّوف والعظم واللَّحم، وخرجَ من ظَهره

بهسيسسسسسسسسسسس، وسمعَ سام پول يقول: «أوه» والفأس تَسقُط من يده. كان الرَّجل الكبير مخوزقًا والدُّخان يتصاعَد من دمائه حول السَّيف، لكنه حاولَ أن يَبلُغ قاتِله بيديه، وكادَ ينجح قبل أن تتداعى ساقاه من تحته، لينتزع ثِقله السَّيف الباهت الغريب من قبضة (الآخَر).

الآن، كُفَّ عن البُكاء وقاتِل أيها الطِّفل، قاتِل أيها الرَّعديد. صوت أبيه هذا الذي سمعَه، صوت أليسر ثورن وأخيه ديكون والصَّبي راست. جبان، جبان، جبان. قهقهَ كالمختلِّين وهو يتساءَل إن كانوا سيُحَوِّلونه إلى جثَّةٍ حيَّة، جثَّة حيَّة بيضاء سمينة ضخمة تتعثَّر دائمًا في ساقيها الميتتين. افعلها يا سام. أكان هذا صوت چون؟ لكن چون ماتَ. يُمكنك أن تفعلها، يُمكنك أن تفعلها، هيا افعلها. ثم إنه تقدَّم بحركةٍ هي سقوط أكثر من جري، وقد أغلقَ عينيه ورفعَ الخنجر أمامه بكلتا يديه دون أن يرى. سمعَ شيئًا يتشقَّق كالصَّوت الذي يُحدِثه الجليد عندما يتهشَّم تحت قدم، ثم سمعَ صرخةً حادَّةً ثاقبةً جعلَته يتراجَع واضعًا يديه على أذنيه، قبل أن يَسقُط بقوَّةٍ على مؤخِّرته.

عندما فتحَ عينيه كانت دِرع (الآخَر) تسيل على ساقيه كنُهيراتٍ صغيرة، بينما هَسَّ الدَّم الأزرق الشَّاحب وخرجَ منه البُخار حول الخنجر المصنوع من زجاج التِّنِّين المغروس في حَلقه. مَدَّ الكائن يدين بيضاوين كالعظام لينتزع الخنجر، لكن الدُّخان خرجَ من الأصابع حيث مَسَّت الزُّجاج.

مالَ سام على جانبه واتَّسعت عيناه إذ تقلَّص (الآخَر) وسالَ وذابَ. خلال عشرين نبضة قلب انسلخَ لحمه وذرَته الرِّيح كضبابٍ أبيض ناعم، وتحت اللَّحم كانت عظامٌ شاحبة لامعة كالزُّجاج اللَّبني أخَذَت تذوب بدورها، وأخيرًا لم يتبقَّ إلَّا الخنجر الذس كساه البُخار كأنه كائن حي يتصبَّب عَرقًا. انحنى جرن ليلتقطه، وفي الحال ألقاه قائلًا: «بحَقِّ (الأُم)، إنه بارد!».

اعتدلَ سام على رُكبتيه بصعوبة، وقال: «إنه زجاج بُركاني. يُسَمُّونه زُجاج التِّنِّين، زُجاج التِّنِّين، زُجاج... التِّنِّين»، وقهقهَ وبكى ومالَ جانبًا ليُفرِغ شَجاعته قيئًا على الثَّلج.

ساعدَه جرن على النُّهوض، وتفقَّد نبض پول الصَّغير وأغلقَ عينيه، ثم التقطَ الخنجر ثانيةً، وهذه المرَّة استطاعَ أن يحمله.

قال سام: «احتفظ به. أنت لست جبانًا مِثلي».

رَدَّ جرن: «نعم، أنت جبان للغاية لدرجة أنك قتلت ماشيًا أبيض»، وأشارَ بالخنجر مضيفًا: «انظُر هناك بين الأشجار، الضَّوء وردي. إنه الفَجر يا سام، الفَجر. لا بُدَّ أن الشَّرق في هذا الاتِّجاه. سنلحق بمورمونت إذا سلكنا هذا الطَّريق».

قال سام: «ليكن»، وركلَ جذع شجرةٍ بقدمه اليُسرى ثم اليُمنى لينفض عنهما الثَّلج قائلًا بتجهُّم: «سأحاولُ»، وأخذ خُطوةً وأردفَ: «سأحاولُ بكَد»، وأخذَ خُطوةً أخرى.





تيريون

انعكسَ بريق سلسلة اللورد تايوين ذات الأيادي الذَّهبيَّة على مخمل سُترته الخمري القاني، واجتمعَ اللوردات تايرل وردواين وروان حوله إذ دخلَ، فحيَّا كلًّا منهم بدوره، وهمسَ بشيءٍ ما لڤارس، وقبَّل خاتم السِّپتون الأعلى ووجنة سرسي، وشَدَّ على يد المِايستر الأكبر پايسل، قبل أن يجلس في مكان الملك على رأس الطَّاولة الطَّويلة بين ابنته وأخيه.

استحوذَ تيريون على مكان پايسلِ القديم عند قدم الطَّاولة، وقد رفعَ نفسه بعددٍ من الوسائد الموضوعة على الكرسي كي يرى، فاضطرَّ پايسل المحروم من مكانه إلى الجلوس إلى جوار سرسي، في أبعد موضع ممكن عن القزم دون احتلال مكان الملك. بدا المِايستر الأكبر كهيكلٍ عظْمي ثقيل الحركة، يمشي متَّكئًا بشدَّةٍ على عُكَّازٍ ملتوٍ ويرتجف، ومن عُنقه الطَّويل الذي يُذكِّرك بعُنق الدَّجاجة نبتَت شُعيراتٌ بيضاء قليلة بدلًا من لحيته التي كانت فاخرةً ناصعةً، لكن تيريون حدَّق إليه دون أن يُؤَنِّبه ضميره لحظةً.

جلسَ الآخَرون بعشوائيَّة؛ اللورد مايس تايرل الثَّقيل القوي ذو الشَّعر البُنِّي المجعَّد واللِّحية ذات شكل ورقة الشَّجر المملَّحة بالأبيض، وپاكستر ردواين سيِّد (الكرمة) النَّحيل ذو الكتفين المحنيَّتين الذي تبقَّت على رأسه الأصلع ذؤابة من الشَّعر البرتقالي، وماثيس روان سيِّد (البُستان الذَّهبي) البدين الحليق كثير العَرق، والسِّپتون الأعلى ذو البنية الهزيلة والشَّعر الأبيض الخفيف على ذقنه. وجوه غريبة كثيرة، لاعبون جُدد كُثر. اللُّعبة تغيَّرت وأنا أتعفَّنُ في فِراشي، ولا أحد يُريد أن يُطلِعني على القواعد.

صحيحٌ أن اللوردات عامَلوه بدماثةٍ كافية، لكن كان جليًّا كم يُزعِجهم

النَّظر إليه، وقال مايس تايرل بنبرةٍ مرحة: «تلك السِّلسلة كانت دهاءً منك»، ووافقَه اللورد ردواين بإيماءةٍ من رأسه وقال ببشاشةٍ بالغة: «بالتَّأكيد، بالتَّأكيد. سيِّد (هايجاردن) يتكلَّم بلساننا جميعًا».

فكَّر تيريون بمرارة: قولوا هذا لأهل المدينة، قولوه للمغنِّين عليهم اللَّعنة هُم وأغانيهم عن شبح رنلي.

قابلَه عمُّه كيڤان بحميميَّةٍ أكثر من الجميع، حتى إنه لثمَ وجنته قائلًا: «لانسل أخبرَني كم كنتَ شُجاعًا يا تيريون، ويُشيد بك كثيرًا».

خيرٌ له، وإلَّا فلديَّ ما أقوله عنه. جعلَ نفسه يبتسم، وقال: «هذا لُطف من ابن عمِّي العزيز. أتمنَّى أن جرحه في طريقه إلى الشِّفاء».

أجابَ السير كيڤان بعبوس: «في يوم يبدو أقوى، وفي التَّالي... إن حالته مُقلِقة. كثيرًا ما تزوره أختك في فِراشِ المرض لترفع معنويَّاته وتُصَلِّي من أجله».

لكن أتُصَلِّي كي يعيش أم كي يموت؟ لقد استغلَّت سرسي ابن عمِّهما بمنتهى السُّفور، سواء أفي الفِراش أو خارجه، وهو السِّرُّ الصَّغير الذي تأمل أن يأخذه لانسل معه إلى القبر الآن وقد عادَ أبوهما ولم تَعُد في حاجةٍ إليه. لكن هل يصل بها الأمر إلى قتله؟ إذا نظرتَ إلى سرسي اليوم فلا يُمكنك أن تحزر أبدًا أن قسوةً كتلك بإمكانها. كانت تشعُّ سِحرًا؛ تُداعِب اللورد تايرل وهما يتكلَّمان عن مأدبة زفاف چوفري، وتُهَنِّئ اللورد ردواين على بسالة توأميْه، وتُلَيِّن اللورد روان الفَظ بالمزاح والتَّبسُّم، وتملأ أُذنَيْ السِّبتون الأعلى باللَّغط الورِع.

سألَت سرسي واللورد تايوين يتَّخذ مكانه: «هل نبدأ بترتيبات الزِّفاف؟».

أجابَ أبوهما: «لا، بالحرب. ڤارس».

رسمَ الخصيُّ بسمةً حريريَّةً على شفتيه، وقال: «عندي لكم أخبار شهيَّة للغاية أيها السَّادة. فَجر أمس هاجمَ اللورد راندل الهُمام روبت جلوڤر خارج (وادي الغسق) ودفعَه إلى البحر. خسائر الجانبيْن ثقيلة، لكن في النِّهاية انتصرَ رجالنا الشُّجعان، وسقطَ السير هلمان تولهارت مع ألفٍ آخرين. الآن يقود روبت جلوڤر النَّاجين إلى (هارنهال) في فوضى دامية، ولا يتصوَّر أنه سيجد السير جريجور الجَسور ورجاله الأشاوس يعترضون طريقه».

قال پاكستر ردواين: «الشُّكر للآلهة! نصر عظيم للملك چوفري!».
ما علاقة چوفري بالأمر؟
علَّق الإصبع الصَّغير: «وهزيمة منكرة للشَّمال بكلِّ تأكيد، لكنها هزيمة لم يلعب فيها روب ستارك دورًا. حتى الآن يظلُّ الذِّئب الصَّغير نفسه بلا هزائم في الميدان».
سألَ ماثيس روان المعروف بصراحته ومباشَرته دومًا: «ماذا نعرف عن خُطط ستارك وتحرُّكاته؟».
أعلنَ اللورد تايوين: «لقد فَرَّ عائدًا إلى (ريڤررَن) بما نهبَه وتخلَّى عن القلاع التي استولى عليها في الغرب. السير داڤن ابن عمِّنا يُعيد تشكيل ما تبقَّى من جيش أبيه في (لانسپورت)، وعندما يستعدُّ سينضمُّ إلى السير فورلي پرستر في (النَّاب الذَّهبي)، وبمجرَّد أن يرجع صبيُّ ستارك إلى الشَّمال سينقضُّ السير فورلي والسير داڤن على (ريڤررَن)».
سألَ اللورد روان: «أأنت واثق بأن اللورد ستارك ينوي أن يذهب شمالًا؟ حتى مع وجود الرِّجال الحديديِّين في (خندق كايلن)؟».
تكلَّم مايس تايرل قائلًا: «هل من شيءٍ أتفه من ملكٍ بلا مملكة؟ لا، الأمر واضح. على الصَّبي أن يَهجُر أراضي النَّهر ويضمَّ قوَّاته إلى قوَّات رووس بولتون من جديد ويُهاجِم (خندق كايلن) بجيشه كلِّه. هذا ما كنتُ لأفعله».
أبقى تيريون لسانه في فمه مرغمًا. لقد فازَ روب ستارك بمعارك في عام واحد أكثر مما فعلَ سيِّد (هايجاردن) في عشرين، وسُمعة تايرل تستقرُّ على انتصارٍ واحدٍ غير حاسم على روبرت باراثيون في (آشفورد)، في معركةٍ فازَت بها طليعة اللورد تارلي قبل أن تصل بقيَّة الجيش حتى. أمَّا حصار (ستورمز إند)، الذي قادَه مايس تايرل بنفسه، فامتدَّ عامًا بلا طائل، وبَعد معركة (الثَّالوث) أنزلَ سيِّد (هايجاردن) راياته بإذعانٍ أمام إدارد ستارك.
كان الإصبع الصَّغير يقول: «حريٌّ بي أن أكتبَ لروب ستارك رسالةً شديدة اللَّهجة. بلغَني أن رجله بولتون يُؤوي الماعز في بلاطي العالي في (هارنهال). شيء غير مقبول على الإطلاق».
تنحنحَ السير كيڤان لانستر، وقال: «بمناسبة ستارك... بالون جرايچوي، الذي يُسَمِّي نفسه الآن ملك الجُزر والشَّمال، كتبَ لنا عارضًا شروط حِلف».

قالت سرسي محتدَّةً: «يَجدُر به أن يعرض ولاءه. بأيِّ حَقٍّ يُسَمِّي نفسه ملكًا؟».

رَدَّ اللورد تايوين: «بحَقِّ الغزو. الملك بالون يُضَيِّق خناقه على (العُنق)، ووريثا روب ستارك ماتا، و(وينترفل) سقطَت، والحديديُّون يُسَيطِرون على (خندق كايلن) و(ربوة الغابة) وأغلب (السَّاحل الحجري)، كما أن سُفن الملك بالون الطَّويلة تسود (بحر الغروب)، وفي موقع يُتيح لها تهديد (لانسپورت) و(الجزيرة القصيَّة) وحتى (هايجاردن) نفسها إذا استفززناه».

تساءلَ اللورد ماثيس روان: «وإذا قبلنا ذلك الحِلف؟ ما الشُّروط التي يعرضها؟».

- «أن نعترف بملوكيَّته ونمنحه كلَّ شيءٍ شمال (العُنق)».

ضحكَ اللورد ردواين قائلًا: «وماذا يوجد شمال (العُنق) ويرغب فيه أيُّ رجلٍ عاقل؟ ما دامَ جرايچوي يُريد أن يُبادِلنا السُّيوف والحِراب بالحجارة والثُّلوج، فرأيي أن نقبل ونعدَّ أنفسنا محظوظين».

أيَّده مايس تايرل بقوله: «صحيح، هذا ما كنتُ لأفعله. فلنَترُك الملك بالون يُجهِز على الشَّماليِّين فيما نُجهِز على ستانيس».

لم يوحِ وجه اللورد تايوين بما يعتمل في نفسه وهو يقول: «ينبغي أن نتعامَل مع لايسا آرن كذلك، أرملة چون آرن وابنة هوستر تَلي وأخت كاتلين ستارك... التي كان زوجها يتآمَر مع ستانيس باراثيون وقت وفاته».

قال مايس تايرل بمرح: «أوه، النِّساء لا يستطعن أن يهضمن الحرب. رأيي أن ندعها وشأنها، فليس واردًا أن تُزعِجنا».

قال ردواين: «هذا رأيي أيضًا. الليدي لايسا لم تُشارِك في القتال، ولم تُقارِف خيانةً علنيَّةً».

اعتدلَ تيريون ورَدَّ بقَدرٍ معيَّن من الحقد: «لقد ألقَتني في زنزانة وحاكمَتني مقابل حياتي، كما أنها لم ترجع إلى (كينجز لاندنج) وتُقسِم على الولاء لچوف كما أمِرَت. أيها السَّادة، أعطوني الرِّجال وسأتولَّى أمر لايسا آرن». لا يُمكنه التَّفكير في شيءٍ يستمتع به أكثر، باستثناء أن يَخنُق سرسي ربما. إنه لا يزال يَحلُم أحيانًا بزنازين السَّماء في (العُش)، ويستيقظ يتصبَّب عَرَقًا باردًا.

بدَت ابتسامة مايس تايرل جَذِلةً، لكن تيريون استشعرَ الازدراء وراءها

وسيِّد (هايجاردن) يقول: «ربما من الأفضل أن تَترُك القتال للمقاتلين. رجال أفضل منك خسروا جيوشًا عظيمةً في (جبال القمر) أو حطَّموها على (البوَّابة الدَّامية). إننا نعرف قيمتك يا سيِّدي، ولا داعي لمخاطَرةٍ لا ضرورة لها».

دفعَ تيريون وسائده مغضبًا، لكن أباه قال قبل أن يَخرُج منه رَدُّه اللَّاذع: «لديَّ مهام أخرى لتيريون. أعتقدُ أن اللورد پيتر يحمل مفتاح (العُش)».

قال الإصبع الصَّغير والخُبث في عينيه الخضراوين المائلتين إلى الرَّمادي: «أوه، هذا صحيح، إنه بين ساقَيْ. بَعد إذنكم أيها السَّادة، أقترحُ أن أسافر إلى (الوادي) لأتودَّد إلى الليدي لايسا آرن وأكسب ولاءها، وبمجرَّد أن أصبح رفيقها سأسلِّمكم (وادي آرن) دون أن تُراق قطرة دم واحدة».

بدا الشَّك على اللورد روان وهو يتساءَل: «هل ستقبل بك الليدي لايسا؟».

- «لقد قبلَتني بضع مرَّاتٍ بالفعل يا لورد ماثيس ولم أسمع منها شكوى».

قالت سرسي: «المعاشَرة ليست زواجًا، وحتى بقرة مِثل لايسا آرن قد تلحظ الفرق».

- «بالفعل. في السَّابق لم يكن يليق بابنة لـ(ريفَرَن) أن تتزوَّج واحدًا أدنى منها كثيرًا»، وبسطَ الإصبع الصَّغير يديه متابعًا: «لكن الآن... القران بين سيِّدة (العُش) وسيِّد (هارنهال) ليس بالشَّيء المستبعَد لهذه الدَّرجة، أليس كذلك؟».

لاحظَ تيريون النَّظرة التي تبادَلها پاكستر ردواين ومايس تايرل، على حين قال اللورد روان: «قد يُفيدنا هذا إذا كنت واثقًا بقُدرتك على الحفاظ على إخلاص تلك المرأة لجلالة الملك».

أعلنَ السِّپتون الأعلى: «أيها السَّادة، لقد حَلَّ الخريف، وكلُّ الرِّجال المخلصين متعَبون من الحرب، فإذا كان اللورد بايلش يستطيع إعادة (الوادي) إلى سلام الملك دون إراقة المزيد من الدَّم، فلا ريب أن الآلهة ستُباركه».

قال اللورد ردواين: «لكن هل يستطيع؟ ابن چون آرن هو سيِّد (العُش) الآن، اللورد روبرت».

أجابَ الإصبع الصَّغير: «مجرَّد صبي. سأعملُ على أن يكبَر ليُصبِح أوفى رعايا چوفري وصديقًا صدوقًا لنا جميعًا».

تفحَّص تيريون الرَّجل النَّحيل ذا اللِّحية المدبَّبة والعينين اللتين لا تعرفان

معنى التَّوقير. سيِّد (هارنهال) لقب فارغ؟ أخطأت تمامًا يا أبي. حتى إذا لم يطأ القلعة بقدمه أبدًا، فمجرَّد اللَّقب يجعل تلك الزِّيجة ممكنةً، وهو يعرف هذا من البداية.

قال السير كيڤان لانستر: «إننا لا نفتقر إلى الأعداء. إذا كان ممكنًا أن تبقى (العُش) بمنأى عن الحرب، فهذا أفضل كثيرًا. رأيي أن نرى ما يستطيع اللورد پيتر تحقيقه».

يعلم تيريون من طول الخبرة أن السير كيڤان بمثابة طليعة أخيه في المجالس، ولا يجول بباله أبدًا خاطِر لم يُراود اللورد تايوين أولًا. لقد سُوِّيَ كلُّ شيءٍ مقدَّمًا، وهذا النِّقاش ليس أكثر من تمثيليَّة.

كانت الخراف تثغو بتأييدها دون أن تُدرك أن صوفها قد جُزَّ بمنتهى العناية، فوقعَ الاعتراض على عاتق تيريون الذي قال: «كيف سيُسَدِّد التَّاج ديونه في غياب اللورد پيتر؟ إنه ساحر النَّقد، وليس لدينا من يحلُّ محلَّه».

ابتسمَ الإصبع الصَّغير قائلًا: «صديقي الصَّغير شديد اللُّطف. كلُّ ما أفعله هو إحصاء العُملات النُّحاسيَّة كما اعتادَ الملك روبرت أن يقول. أيُّ تاجرٍ بارع يستطيع أن يفعلها... أو سليل لعائلة لانستر مبارَك بلمسة (كاسترلي روك) الذَّهبيَّة سيتفوَّق عليَّ لا شَك».

- «لانستر؟». لحظتهاخامرَ تيريون شعور سيِّئ.

قابلَت عينا اللورد تايوين المرقَّطتان بالذَّهبي عينَيْ ابنه غير المتماثلتيْن، وقال: «أعتقدُ أنك مناسب تمامًا لهذه المهمَّة».

قال السير كيڤان بحماسة: «أي نعم! لا شَكَّ لديَّ في أنك ستكون أمين نقدٍ ممتازًا يا تيريون».

عادَ اللورد تايوين يلتفت إلى الإصبع الصَّغير قائلًا: «إذا قبلتك لايسا آرن زوجًا ورجعَت إلى سلام الملك، سأردُّ لقب حاكم الشَّرق إلى اللورد روبرت. متي يُمكنك أن تُغادِر؟».

- «غدًا إذا سمحَت الرِّيح. ثمَّة قادس براڤوسي راس وراء السِّلسلة ويُحَمِّل البضائع بالقوارب، اسمه (ملك البحار). سأتكلَّمُ مع الرُّبَّان ليُعطيني قمرةً».

قال مايس تايرل: «سيفوتك زفاف الملك».

هَزَّ پيتر بايلش كتفيه قائلًا: «المَدُّ والجَزر لا ينتظران أحدًا يا سيِّدي،

وكذلك العرائس. الرِّحلة ستُصبِح أخطر كثيرًا فور أن تبدأ عواصف الخريف في الهبوب، وبكلِّ تأكيدٍ سيُبخِس الغرق سِحري كعريس».

قهقهَ اللورد تايرل، وقال: «صحيح. الأفضل ألَّا تتباطأ».

قال السِّپتون الأعلى: «فلتمنحك الآلهة السُّرعة. (كينجز لاندنج) كلُّها ستُصَلِّي من أجل نجاحك».

قرصَ اللورد ردواين أنفه قائلًا: «هلَّا عُدنا إلى مسألة تحالُف جرايچوي؟ رأيي أنه سيكون مفيدًا للغاية. ستُضاف سُفن جرايچوي الطَّويلة إلى أسطولي وتُعطينا قوَّةً كافيةً في البحر لمهاجَمة (دراجونستون) ووضع نهاية لادِّعاءات ستانيس باراثيون».

قال اللورد تايوين برفق: «سُفن الملك بالون مشغولة في الوقت الحالي، ونحن كذلك. جرايچوي يَطلُب نِصف المملكة ثمنًا للتَّحالُف، لكن ماذا سيفعل ليستحقَّه؟ يُقاتِل آل ستارك؟ هذا ما يفعله بالفعل، فلِمَ ندفع ثمن شيءٍ أعطانا إياه مجّانًا؟ رأيي أن أفضل ما نفعله بخصوص سيِّد (پايك) هو لا شيء، وبَعد ما يكفي من وقتٍ قد يطرح خيار أفضل نفسه، خيار لا يتطلَّب أن يتنازَل الملك عن نِصف مملكته».

راقبَ تيريون أباه مفكِّرًا: ثمَّة شيء ما لا يقوله. تذكَّر الرَّسائل المهمَّة التي كان اللورد تايوين يَكتُبها ليلة طالبَه بـ(كاسترلي روك). ماذا قال؟ بعض المعارك يُربَح بالسُّيوف والرِّماح، وغيرها بالرِّيش والغِدفان... تساءلَ من يكون ذلك «الخيار الأفضل» والثَّمن الذي يَطلُبه.

قال السير كيڤان: «يَجدُر بنا أن ننتقل إلى الزِّفاف».

تكلَّم السِّپتون الأعلى عن الاستعدادات الجارية في (سِپت بيلور الكبير)، وشرحَت سرسي ترتيباتها للمأدبة بالتَّفصيل. سيُطعِمون ألفًا في قاعة العرش، لكن أعدادًا أكثر ستكون في السَّاحات في الخارج، بينما ستُنصَب خيام حريريَّة في الأفنيَّة الخارجيَّة، فيها موائد طعام وبراميل مِزر لجميع من لن تحتويهم القاعة.

قال المِايستر الأكبر پايسل: «جلالة الملكة، بالنِّسبة لعدد الضُّيوف، وصلَنا غُداف من (صنسپير). هناك ثلاثمئة من الدورنيِّين في طريقهم إلى المدينة الآن، ويأملون أن يصلوا قبل الزِّفاف».

قال مايس تايرل بفظاظةٍ وقد لاحظَ تيريون أن لون عُنقه الغليظ استحالَ إلى الأحمر الدَّاكن: «أيَّ طريقٍ يَسلُكون؟ إنهم لم يطلبوا الإذن في عبور أرضي». لم يكن هناك وُدٌّ بينَ الدورنيِّين وأولاد (هايجاردن) قَطُّ، وعبر القرون خاضوا حروبًا حدوديَّةً لا تُحصى، وتبادَلوا الغارات عبر الجبال والتُّخوم حتى في فترات السَّلام. تلك العداوة ضعفَت بعض الشَّيء بَعدما أضحَت (دورن) جزءًا من (الممالك السَّبع)... إلى أن أقعدَ الأمير الدورني الملقَّب بالأفعوان الأحمر وريث (هايجاردن) الشَّاب في دورة مباريات. فكَّر تيريون: هذه المنطقة شائكة، لكنه انتظرَ ليرى كيف سيتعامَل أبوه مع الموقف.

قال اللورد تايوين بهدوء: «الأمير دوران قادم بناءً على دعوةٍ من ابني، ليس للانضمام إلينا في احتفالنا فحسب، بل ليتَّخذ مقعده في هذا المجلس أيضًا، ولينال العدالة التي أباها روبرت عليه لمقتل أخته إليا وطفليها».

راقبَ تيريون وجوه اللوردات تايرل وردواين وروان متسائلًا إن كان أيُّهم بالشَّجاعة الكافية لأن يقول: لكن أيها اللورد تايوين، ألم تكن أنت من قدَّم الجثَّتين لروبرت ملفوفتيْن بمعطفيْن بألوان لانستر؟ لم يقلها أحد، لكنه قرأها على ملامحهم على الرغم من ذلك، وفكَّر: ردواين لا يُبالي مقدار خردلة، لكن روان يبدو على وشك التَّقيُّؤ.

قال السير كيڤان مذكِّرًا مايس تايرل: «عندما يتزوَّج الملك ابنتك مارچري وتتزوَّج الأميرة مارسلا الأمير تريستان، سنُصبح كلُّنا عائلةً واحدةً عظيمةً. يجب أن تظلَّ عداوات الماضي في الماضي، ألَا تتَّفق معي يا سيِّدي؟».

- «إنه زفاف ابنتي...».

قاطعَه اللورد تايوين بحزم: «... وزفاف حفيدي، وليس مكانًا للصِّراعات القديمة، أليس كذلك؟».

- «لستُ في صراع مع دوران مارتل»، قال اللورد تايرل بإصرار، وإن لم تغب الضَّغينة عن نبرتِه. «إذا أرادَ أن يَعبُر (المرعى) بسلام، فما عليه إلَّا أن يسألني».

فكَّر تيريون: فُرصة ضعيفة. سيقطع (طريق العظام) ويتَّجه شرقًا بالقُرب من (قلعة الصَّيف)، ثم يقطع (طريق الملوك).

قالت سرسي: «لن يُفسِد ثلاثمئة دورني ترتيباتنا. يُمكننا أن نُطعِم الجنود

في السَّاحة، ونَحشُر عددًا من الدِّكك في قاعة العرش للوردات الصِّغار والفُرسان النُّبلاء، ونجد موضع شَرف للأمير دوران على المنصَّة».

الرِّسالة التي قرأها تيريون في عينَيْ مايس تايرل كانت تقول: ليس إلى جوارِي، لكن سيِّد (هايجاردن) اكتفى بإيماءةٍ مقتضبة رَدًّا.

قال اللورد تايوين: «فلننتقل إلى موضوعٍ أكثر مدعاةً للسُّرور. ثمار النَّصر تنتظر التَّقسيم».

- «وهل هناك ما هو أحلى؟»، قال الإصبع الصَّغير الذي ابتلعَ ثمرته بالفعل، (هارنهال).

كانت لكلِّ لورد مطالبه؛ هذه القلعة وتلك القرية، قِطع أرض، نهر صغير، غابة، الوصاية على قُصَّر معيَّنين تركَتهم المعركة بلا آباء. لحُسن الحَظِّ أن تلك الثِّمار وفيرة، وهناكَ أيتام وقلاع للجميع. كانت مع ڤارس قوائم: أربعة وسبعون من صغار اللوردات وستمئة وتسعة عشر فارسًا فقدوا حياتهم تحت قلب ستانيس وإله الضِّياء النَّاري، بالإضافة إلى عدَّة آلاف من الجنود، وبما أنهم خونة جميعًا فقد حُرِمَ ورثتهم من ميراثهم وذهبَت أراضيهم وقلاعهم لمن أثبَتوا ولاءهم.

حصدَت (هايجاردن) القطاف الأثرى، ورمقَ تيريون بطن مايس تايرل الكبير قائلًا لنفسه: شهيَّته هائلة حقًّا. طالبَ تايرل بأراضي وقلاع اللورد آلستر فلورنت، حامل رايته السَّابق الذي تفرَّد بالقرار الخطأ في دعم رنلي أولًا ثم ستانيس، وقبلَ اللورد تايوين بسرور، وهكذا مُنِحَت (قلعة المياه الوضَّاءة) وجميع أراضيها ودخولها لابن اللورد تايرل الثاني، السير جارلان الذي تحوَّل إلى أحد كبار اللوردات في غمضة عين، أمَّا أخوه الأكبر فسيرث (هايجاردن) نفسها بالطَّبع.

بعض الأراضي الأقل أهميَّة أُعطِيَ للورد روان وبعضها خُصِّصَ للورد تارلي والليدي أوكهارت واللورد هايتاور وغيرهم من المستحقِّين غير الحاضرين، أمَّا اللورد ردواين فاكتفى بطلب إعفاء لمدَّة ثلاثين سنة من الضَّرائب التي يفرضها الإصبع الصَّغير وبعض موزِّعي الخمور على عددٍ من أفضل أنواع النَّبيذ التي تُنتِجها (الكرمة)، ولمَّا نالَ هذا أعلنَ أنه راضٍ تمامًا واقترحَ أن يَطلُبوا برميلًا من النَّبيذ الذَّهبي ويشربوا نخب الملك چوفري ويده

الحكيم الكريم، وهنا نفدَ صبر سرسي وقالت بحدَّة: «جوف في حاجةٍ إلى السُّيوف لا الأنخاب. مملكته لا تزال مبتلاة بمن يُريدون اغتصاب العرش ويُسَمُّون أنفسهم ملوكًا».

قال ڤارس بتزلُّف: «لكن هذا لن يدوم طويلًا على ما أعتقدُ».

ألقى السير كيڤان نظرةً على أوراقه، ثم قال: «تبقَّت بضع بنود على القائمة. السير أدام عثرَ على عددٍ من بلَّورات تاج السِّپتون الأعلى الرَّاحل، ويبدو مؤكَّدًا الآن أن اللُّصوص خلعوا البلَّور وأذابوا الذَّهب».

قال السِّپتون الأعلى بخشوع: «(الأب في الأعالي) يعلم ذنوبهم وسيَحكُم عليهم جميعًا».

قال اللورد تايوين: «لا أشكُّ أنه سيفعل، ومع ذلك لا بُدَّ أن تعتمر تاجًا يوم زفاف الملك. سرسي، استدعي صاغتكِ ليعملوا على تاج بديل»، ولم ينتظر إجابتها والتفتَ في الحال إلى ڤارس متسائلًا: «ألديك تقارير؟».

سحبَ الخصيُّ رَقًّا من كُمِّه، وقال: «ثمَّة كراكِن شوهِدَ على مقربةٍ من (الأصابع)»، وقهقهَ مواصلًا: «لا أعني أنه أحد أولاد جرايچوي، بل هو كراكِن حقيقي هاجمَ سفينة صيد حيتان إيبنيزيَّة وأغرقَها. القتال اندلعَ في جُزر (الأعتاب) واحتمال نشوب حرب جديدة بين (تايروش) و(لِيس) قائم بشدَّة، وكلتا المدينتين تأمل أن تربح (مير) كحليف. البحَّارة العائدون من (بحر اليشب) يقولون إن تنّينًا ذا ثلاثة رؤوس ظهرَ في (كارث)، وأصبحَ أعجوبة تلك المدينة...».

قاطعَه اللورد تايوين: «التَّنانين والكَراكِن لا تهمُّني بغَضِّ النَّظر عن عدد رؤوسها. هل عثرَ هامسوك على أثرٍ لابن أخي؟».

بدا ڤارس كأنه على وشك الإجهاش بالبُكاء وهو يُجيب: «للأسف عزيزنا تايرك اختفى تمامًا، الصَّبي الشُّجاع المسكين».

قال السير كيڤان قبل أن يُنَفِّس اللورد تايوين عن عدم رضاه الواضح: «تايوين، عدد من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة الذين هربوا في أثناء المعركة بدأوا يعودون إلى الثُّكنات راغبين في استئناف ممارَسة واجبهم، والسير أدام يُريد أن يعرف ماذا يفعل معهم».

قالت سرسي من فورها: «كان يُمكن أن يُعَرِّضوا چوف للخطر بجُبنهم هذا. أريدهم أن يُقتَلوا».

زفر ڤارس وقال: «إنهم يستحقُّون الموت بالتَّأكيد يا جلالة الملكة، ولا أحد يُنكِر هذا، لكن ربما القرار الأكثر حكمةً أن نُرسِلهم إلى حَرس اللَّيل. لقد وصلَتنا رسائل مُقلِقة للغاية من (الجِدار) عن تحرُّكٍ للهَمج...».

ضاحكًا قال مايس تايرل: «هَمج وكَراكِن وتنانين. أليس هناك من لا يتحرَّك الآن؟».

تجاهلَ اللورد تايوين التَّعليق، وقال: «المتهرِّبون سيخدموننا أفضل إذا أصبحوا عبرةً. اكسر رُكبهم بالمطارق ولن يهربوا ثانيةً، ولن يهرب كلُّ من يراهم يتسوَّلون في الشَّوارع»، وتطلَّع عبر الطَّاولة ليرى إن كان أحد اللوردات الآخَرين يُخالِفه الرَّأي.

تذكَّر تيريون زيارته إلى (الجدار)، وسرطان البحر الذي تناوَله مع اللورد مورمونت العجوز وقيِّميه، وتذكَّر مخاوف الدُّب العجوز أيضًا، فقال: «ربما يُمكننا أن نكسر رُكب عددٍ منهم لتصل الرِّسالة كاملةً، الذين قتلوا السير چاسلين مثلًا، ونُرسِل البقيَّة إلى مارش. قوَّة حَرس اللَّيل واهية تمامًا، وإذا اختُرِقَ (الجِدار)...».

أَنهى أبوه عبارته: «... سيتدفَّق الهَمج على الشَّمال، وسيُصبِح أمام آل ستارك وآل جرايچوي عدوًّا آخَر يُقاتِلونه. إنهم لم يعودوا راغبين في أن يكونوا رعايا للعرش الحديدي، فبأيِّ حَقٍّ يَطلُبون منه الدَّعم؟ كلا الملك روب والملك بالون يُريد أن يَحكُم الشَّمال. فليُدافِعا عنه إذن إن استطاعا، وإذا لم يستطيعا فلربما يتَّضح أن هذا المانس رايدر حليف مفيد»، والتفتَ إلى أخيه سائلًا: «هل هناك المزيد؟».

هَزَّ السير كيڤان رأسه نفيًا، وقال: «انتهينا. أيها السَّادة، لا شَكَّ أن جلالة الملك چوفري سيُريد أن يَشكُركم على حكمتكم ونصائحكم السَّديدة».

قال اللورد تايوين بينما نهضَ الآخَرون ليُغادِروا: «أريدُ التَّحدُّث على انفراد مع ابني وابنتي، وأنت أيضًا يا كيڤان».

بطاعةٍ ألقى بقيَّة المستشارين التَّحيَّة وخرجوا، أولهم ڤارس وآخِرهم

تايرل وردواين، وأغلقَ السير كيڤان الباب حين خلَت القاعة من الجميع باستثناء أولاد لانستر الأربعة.

قال تيريون بصوتٍ مشدود: «أمين النَّقد؟ فكرة مَن هذه؟».

أجابَه أبوه: «اللورد پيتر، لكن من المفيد لنا أن تكون الخزانة في يد لانستر. لقد طلبت عملًا مهمًّا، فهل تخشى أنك غير كفء لهذا الواجب؟».

- «لا، أخشى شَركًا. الإصبع الصَّغير خبيث وطموح ولا أثقُ به، ولا ينبغي لك أن تثق به كذلك».

قالت سرسي: «لقد نجحَ في ضَمِّ (هايجاردن) إلى صفوفنا...».

- «... وباعكِ ند ستارك، أعرفُ، لكنه سيبيعنا بالسُّرعة نفسها. العُملة لا تقلُّ خطورةً عن السَّيف في اليد الخطأ».

رمقَه عمُّه كيڤان باستغرابٍ قائلًا: «الخطر ليس علينا بالتَّأكيد. ذهب (كاسترلي روك)...».

- «... يُستَخرَج من الأرض، على حين يُطَرقِع الإصبع الصَّغير بأصابعه ويأتي بالذَّهب من الهواء».

بصوتٍ محلًّى بالنِّقمة قالت سرسي كهرَّةٍ تُقَرقِر: «وهي الموهبة المفيدة أكثر من أيٍّ من مواهبك يا شقيقي العزيز».

- «الإصبع الصَّغير كذَّاب...».

- «... وأسود أيضًا. الغُداف يُعَيِّر الغُراب».

صفقَ اللورد تايوين الطَّاولة بيده قائلًا بصرامة: «كفى! لن أسمح بالمزيد من هذا النِّقار الذي لا يليق. أنتما من عائلة لانستر، وستتصرَّفان كما يقتضي هذا».

تنحنحَ السير كيڤان، وقال: «أفضِّلُ أن يَحكُم پيتر بايلش (العُش) على أيٍّ من خُطَّاب الليدي آريا الآخَرين. يون رويس، لين كوربراي، هورتون ردفورت... هؤلاء رجال خطرون، كلٌّ على طريقته، وشديدو الإباء. قد يكون الإصبع الصَّغير ذكيًّا، لكنه ليس عالي النَّسب ولا يُجيد القتال، ولن يقبل لوردات (الوادي) أحدًا مِثله وليًّا عليهم»، ونظرَ إلى أخيه فأومأَ اللورد تايوين برأسه متَّفقًا، وهكذا تابعَ: «وهناك أيضًا أن اللورد پيتر مستمرٌّ في البرهنة على وفائه. أمس فقط أتانا بخبرٍ عن مكيدةٍ لآل تايرل لأخذ سانزا

ستارك في «زيارة» إلى (هايجاردن)، حيث ستتزوَّج ابن اللورد مايس الكبير ويلاس».

مالَ تيريون على الطَّاولة قائلًا: «الإصبع الصَّغير هو من أتاكم بالخبر وليس ولي الهامسين؟ هذا شائق حقًّا».

حدجَت سرسي عمَّها بغير تصديق، وقالت: «سانزا رهينتي، ولا تذهب إلى أيِّ مكانٍ دون إذني».

قال أبوهما: «إذنْ ستضطرِّين إلى إعطائه إذا طلبَ اللورد تايرل، فالرَّفض بمثابة إعلان عن أننا لا نثق به، وسيَشعُر بالإهانة».

- «فليَشعُر بالإهانة. لماذا نكترث؟».

فكَّر تيريون: يا لحماقتكِ، وخاطبَ أخته قائلًا بصبر: «يا أختي العزيزة، أهيني تايرل وستُهينين ردواين وتارلي وروان وهايتاور أيضًا، وربما تجعلينهم يتساءَلون إن كان روب ستارك ميَّالًا لتحقيق رغباتهم أكثر».

أعلنَ اللورد تايوين: «لن أسمح بأن تنام الوردة في أحضان الذِّئب الرَّهيب. يجب أن نسبقهم بالتَّحرُّك».

سألَته سرسي: «كيف؟».

- «بالزَّواج، زواجكِ كبداية».

كان الرَّدُّ مباغتًا لدرجة أن سرسي عجزَت عن الكلام وهلةً وأخذَت تُحَملِق إليه وقد احتقنَت وجنتاها كأن هناك من صفعَها، قبل أن تقول: «لا، ليس ثانيةً، لن يَحدُث».

قال السير كيفان بكياسة: «جلالة الملكة، إنكِ ما زلتِ شابَّةً جميلةً خصيبةً، ومؤكَّد أنكِ لا ترغبين في قضاء بقيَّة أيامكِ وحدكِ، كما أن زواجكِ من جديد سيضع حَدًّا لذلك الكلام عن سِفاح القُربى».

قال اللورد تايوين لابنته: «ما دمتِ عزباء ستظلِّين سامحةً لستانيس بنشر افتراءاته المقزِّزة. يجب أن تأخذي زوجًا جديدًا إلى فِراشكِ ليُنجِب منكِ أطفالًا».

- «ثلاثة أطفال يكفون تمامًا. أنا ملكة (الممالك السَّبع) ولستُ فَرَسًا للاستيلاد! الملكة الوصيَّة على العرش!».

- «أنتِ ابنتي، وستفعلين كما تُؤمَرين».

قامَت قائلةً: «لن أجلس هنا وأسمع هذا الـ...».

قاطعَها اللورد تايوين بهدوء: «ستفعلين إذا كنتِ تُريدين أن يكون لكِ رأي في اختيار زوجكِ القادم».

عندما تردَّدت ثم عاودَت الجلوس أدركَ تيريون أنها خسرَت، على الرغم من إعلانها أنها لن تتزوَّج من جديد.

بدَت عينا أبيهما كأنهما تُثبِّتانها إلى كرسيِّها وهو يقول: «ستتزوَّجين وتُنجِبين. كلُّ طفلٍ تُنجِبينه سيجعل أكاذيب ستانيس تبدو جليَّةً أكثر. مايس تايرل وپاكستر ردواين ودوران مارتل متزوِّجون بنساء أصغر منهم وسيموتون قبلهن غالبًا، وزوجة بالون جرايچوي مسنَّة وسقيمة، لكن زيجةً كتلك ستُلزِمنا بالتَّحالُف مع (جُزر الحديد)، وما زلتُ أتدبَّرُ إن كان هذا أكثر خياراتنا حكمةً».

قالت سرسي بشفتين غاضَت منهما الدِّماء: «لا. لا، لا، لا».

بالكاد استطاعَ تيريون أن يَكتُم الابتسامة العريضة التي ارتسمَت على شفتيه وهو يُفكِّر في أن أخته قد تُشحَن شحنًا إلى (پايك). كنتُ على وشك الإقلاع عن الصَّلاة، ثم يأتي إله جميل ويُعطيني هذا!

تابعَ اللورد تايوين: «قد يكون أوبرين مارتل ملائمًا، لكن آل تايرل سينزعجون من هذا كثيرًا، لذا علينا أن نتطلَّع إلى الأبناء. أعتقدُ أنكِ لا تعترضين على الزَّواج برجل أصغر منكِ».

- «إنني أعترضُ على الزَّواج بأيٍّ...».

- «لقد فكَّرتُ في توأمَيْ ردواين وثيون جرايچوي وكوينتن مارتل وعددٍ من الآخَرين، لكن حِلفنا مع (هايجاردن) هو السَّيف الذي طعنَّا به ستانيس، وعلينا تسقيته وتقويته. السير لوراس انضمَّ إلى الحَرس الملكي، والسير جارلان متزوِّج بواحدةٍ من بنات فوسواي، لكن يتبقَّى الابن الأكبر، الولد الذي تآمَروا على تزويجه بسانزا ستارك».

ويلاس تايرل. كان تيريون يتلذَّذ بمنتهى اللُّؤم بغضبة سرسي العاجزة، وقال: «يعني الابن العاجز».

رماه أبوه بنظرةٍ تُجمِّد الدِّماء في العروق قائلًا: «ويلاس وريث (هايجاردن)، وكلُّ ما يُقال عنه إنه شاب رفيق دمث مغرم بالقراءة ومراقبة

النُّجوم، ويحبُّ تربية الحيوانات أيضًا ويملك أفضل الصُّقور وكلاب الصَّيد والخيول في (الممالك السَّبع) كلِّها».

فكَّر تيريون باستمتاع: كلاهما مثالي للآخَر. سرسي أيضًا مغرمة بتربية الحيوانات. أحسَّ بالشَّفقة على ويلاس تايرل المسكين، ولم يدرِ إن كان يُريد أن يضحك من أخته أم يبكي عليها.

ختمَ اللورد تايوين كلامه بقوله: «أرى أن وريث تايرل الخيار الأفضل، لكن إذا كنتِ تُفَضِّلين غيره فسأسمعُ أسبابكِ».

قالت سرسي بكياسةٍ من جليد: «هذا لُطف بالغ منك يا أبي. لقد أعطيتني خيارًا صعبًا حقًّا. مَن أفضِّلُ أن آخذه إلى فِراشي؟ الحبَّار العجوز أم صبي الكلاب العاجز؟ سأحتاجُ إلى بضعة أيام للتَّفكير. هل تسمح لي بالانصراف؟».

أرادَ تيريون أن يقول: إنكِ الملكة، والمفترَض أن يَطلُب هو إذنكِ في الانصراف.

قال أبوهما: «اذهبي. سنتكلَّم ثانيةً بَعد أن تهدئي. تذكَّري واجبكِ».

تحرَّكت سرسي بجمود مغادرةً المكان وملامحها تمور غضبًا. لكنها ستُنَفِّذ ما يُريده أبونا في النِّهاية. لقد أثبتَت هذا مع روبرت. مع أن لا بُدَّ من وضع چايمي في الاعتبار. كان أخوهما أصغر كثيرًا حين تزوَّجت سرسي أول مرَّة، وربما لا يقبل بزيجةٍ ثانية بالسُّهولة نفسها. غالبًا سيُصاب ويلاس تايرل التَّعس بحالةٍ مفاجئة من اختراق السَّيف للبطن! شيء كهذا سيُفسِد التَّحالُف بين (هايجاردن) و(كاسترلي روك). يَجدُر بي أن أقول شيئًا، لكن ماذا؟ معذرةً يا أبي، لكن مَن تُؤثِر سرسي أن تتزوَّجه هو أخونا؟

- «تيريون».

قال بابتسامةٍ متحفِّظة: «هل أسمعُ الحاجب يستدعيني إلى مضمار القتال؟».

بادرَه أبوه بلا مقدِّمات: «علاقاتك بالعاهرات نُقطة ضَعفٍ فيك، لكن ربما يقع جزء من اللَّوم عليَّ أيضًا، بما أنك لست أطول قامةً من غُلام صغير، الشَّيء الذي جعلَني أنسى بسهولة أنك رجل بالغ تُراوِده احتياجاتُ الرِّجال الوضيعة. آنَ أوان أن تتزوَّج».

كنتُ متزوِّجًا فعلًا، أم أنك نسيت؟ التوى فم تيريون، والصَّوت الذي خرجَ منه كان نِصفه ضحكة ونِصفه زمجرة.

- «هل تجد فكرة الزَّواج طريفةً؟».

- «ما أجده طريفًا هو العريس بهي الطَّلعة الذي سأكونه». قد يكون الزَّواج الشَّيء الذي يحتاج إليه تحديدًا، فإذا جلبَت تلك الزِّيجة معها أراضيَ وقلعةً سيكون لديه مكان في العالم بعيدًا عن بلاط چوفري... وعن سرسي وأبيهما. من ناحيةٍ أخرى هناك شِاي. لن يروقها هذا إطلاقًا على الرغم من حلفانها أنها راضية بكونها عاهرتي.

بالطَّبع ليست هذه بالحُجَّة التي يُمكنها أن تُبَدِّل رأي أبيه. هكذا اعتدلَ تيريون رافعًا نفسه، وقال: «تُريد أن تُزَوِّجني سانزا ستارك، لكن ألن يعدَّ آل تايرل زواجًا كهذا إهانةً ما دامَت لديهم خُططهم الخاصَّة بشأن الفتاة؟».

- «اللورد تايرل لن يفتح موضوع ابنة ستارك إلَّا بَعد زفاف چوفري. إذا تزوَّجت سانزا قبل هذا، فكيف يعدُّها إهانةً وهو لم يُلَمِّح إلى نيَّته إطلاقًا؟».

قال السير كيڤان: «بالضَّبط، كما أن عرض زواج سرسي بابنه ويلاس من شأنه أن يُهَدِّئ أي مشاعر سيِّئة».

فركَ تيريون جَدَعة أنفه شاعرًا بحكَّةٍ شديدة في قشرة الجرح كما يَحدُث أحيانًا، وقال: «جلالة الدُّمَّل الملكي حوَّل حياة سانزا إلى جحيم منذ ماتَ أبوها، والآن وقد تخلَّصت أخيرًا من چوفري تُريد أن تُزَوِّجها بي؟ هذه قسوة شديدة يا أبي، حتى بالنِّسبة إليك».

حملَت نبرة أبيه من الفضول أكثر من الاهتمام وهو يقول: «لماذا؟ هل تنوي أن تُسيء معامَلتها؟ سعادة الفتاة ليست هدفي، ولا ينبغي أن تكون هدفك كذلك. حِلفنا في الجنوب قد يكون قويًّا كـ(كاسترلي روك) نفسها، لكن علينا أن نربح الشَّمال أيضًا، وسانزا ستارك مفتاح الشَّمال».

- «إنها مجرَّد طفلة».

- «أختك تُؤَكِّد أنها أزهرَت. إذا كان هذا صحيحًا فهي امرأة صالحة للزَّواج. عليك أن تأخذ بكورتها كي لا يقول أحد إن الزِّيجة ليست شرعيَّةً، وبَعدها إن كنت تُحَبِّذ أن تنتظر عامًا أو عامين قبل أن تنام معها ثانيةً، سيكون لديك الحَق باعتبارك زوجها».

شِاي هي المرأة الوحيدة التي أحتاجُ إليها الآن، وسانزا ما زالت طفلةً مهما قالوا!. «إذا كان غرضك أن تُبعِدها عن آل تايرل، فلِمَ لا تُعيدها إلى أمِّها؟ قد يجعل هذا روب ستارك يقتنع بالخضوع».

رمقَه اللورد تايوين بسخريةٍ قائلًا: «أرسِلها إلى (ريفررَن) وستُزَوِّجها أمُّها بواحدٍ من عائلة بلاكوود أو ماليستر لتقوية تحالُفات ابنها في أراضي النَّهر. أرسِلها شمالًا وسيُزَوِّجونها بواحدٍ من عائلة ماندرلي أو أومبر قبل أن يدور القمر. لكنها ليست أقلَّ خطورةً هنا في البلاط كما أثبتَت خُطط عائلة تايرل. لا بُدَّ أن تتزوَّج من عائلة لانستر، وقريبًا».

أضافَ عمُّه كيڤان: «من يتزوَّج سانزا ستارك يُمكنه أن يَحكُم (وينترفل) باسمها. ألم تُفَكِّر في هذا؟».

قال أبوه: «إذا كنت لا تُريد الفتاة فسنُعطيها لأحد أبناء عمومتك. كيڤان، هل تعتقد أن لانسل قوي بما فيه الكفاية للزَّواج؟».

أجابَ السير كيڤان بتردُّد: «إذا جلبنا الفتاة عند فِراشه فيُمكِنه أن يُرَدِّد النُّذور... لكن لإتمام الزِّيجة، لا... كنتُ لأقترح أحد التَّوأمين، لولا أنهما أسيران لدى ستارك في (ريفررَن)، بالإضافة إلى ابن چِنا الذي كان ليَصلُح أيضًا».

تركَهما تيريون يتكلَّمان عالمًا أن كلامهما في صالحه ومفكِّرًا: سانزا ستارك. سانزا رقيقة الكلام عذبة الابتسام، التي تحبُّ الحرير والأغاني والفُرسان الشُّجعان طوال القامة ذوي الملامح الوسيمة. أحسَّ كأنه عادَ إلى جسر السُّفن المتقلقل أسفل قدميه.

قال له اللورد تايوين بصرامة: «لقد طلبت مني أن أكافئك على جهودك في المعركة، وهذه فُرصة لك يا تيريون، أفضل فُرصةٍ ستحظى بها»، ونقرَت أصابعه على الطَّاولة بصبرٍ نافد وهو يُواصِل: «أملتُ من قبل أن أزوِّج أخاك بلايسا آرن، لكن إيرس ضَمَّ چايمي إلى حَرسه الملكي قبل اكتمال التَّرتيبات، ولمَّا اقترحتُ على اللورد هوستر أن تتزوَّجك لايسا بدلًا منه أجابَ بأنه يُريد رجلًا كاملًا لابنته».

وهكذا زوَّجها بچون آرن الذي كان في سِنِّ جدِّها. لكن شيئًا كهذا أشعرَ تيريون بالامتنان أكثر من الغضب، باعتبار ما أصبحَته لايسا آرن الآن.

تابعَ اللورد تايوين: «ولمَّا عرضتك على (دورن) قيلَ لي إن اقتراحًا كهذا إهانة، وفي السَّنوات التَّالية جاءَتني ردود مشابهة من يون رويس ولايتون هايتاور، وأخيرًا بلغَ بي التَّنازُل أن أقترح أن تتزوَّج ابنة فلورنت التي قطفَ روبرت زهرتها في فِراش زفاف أخيه، لكن أباها فضَّل أن يُعطيها لأحد فُرسانه. إذا كنت لا تُريد ابنة ستارك، فسأعثرُ على زوجةٍ أخرى لك. لا شَكَّ أن في البلاد لوردًا صغيرًا ما سيُسعِده التَّخلِّي عن ابنته مقابل أن يربح صداقة (كاسترلي روك). الليدي تاندا عرضَت لوليس...».

قال تيريون وهو يرتجف رُعبًا: «أفضِّلُ أن أقطعه وأطعمه للماعز!».

- «افتح عينيك إذن. ابنة ستارك صغيرة وخانعة وفي سِنِّ الزواج، بالإضافة إلى كونها عالية النَّسب ولا تزال عذراء، وحسناء علاوةً على كلِّ هذا، فلماذا تتردَّد؟».

لماذا حقًّا؟ «واحدة من خصالي أني أفضِّلُ زوجةً تُريدني في فِراشها».

- «إذا كنت تحسب أن عاهراتك يُردنك في فِراشهن فأنت أكثر حُمقًا مما حسبتُ. إنك تُخَيِّب أملي يا تيريون. كنتُ أظنُّ أن زيجةً كهذه ستَسُرُّك».

- «نعم، وكلُّنا نعلم أهميَّة مسرَّتي عندك يا أبي، لكن هناك المزيد مما يجب أن يُقال. تقول إنها مفتاح الشَّمال؟ آل جرايچوي هُم من يُسَيطِرون على الشَّمال الآن، والملك بالون لديه بنت، فلماذا سانزا ستارك وليس هي؟»، ونظرَ إلى أبيه في عينيه الخضراوين الباردتين بما فيهما من رُقَطٍ من الذَّهبي البرَّاق.

شبَّك اللورد أصابع يديه تحت ذقنه مجيبًا: «بالون جرايچوي يُفَكِّر بلُغة السَّلب والنَّهب وليس الحُكم. دعه يستمتع بتاج الخريف ويُعاني من شتاء الشَّمال، فلن يمنح رعاياه سببًا يجعلهم يُحِبُّونه. بمجرَّد أن يأتي الرَّبيع سيكون الشَّماليُّون قد ضاقوا ذرعًا بالكَراكِن، وعندما تذهب شمالًا بحفيد إدارد ستارك ليأخذ حقَّه بالميلاد، سيهبُّ اللوردات والعوام متَّحدين معًا ليضعوه على مقعد أسلافه العالي. آملُ أنك قادر على أن تحبل منك امرأة، أليس كذلك؟».

أجابَ مغضبًا: «نعم! أعترفُ بأني لا أستطيعُ أن أثبت هذا، لكن لا أحد يُمكنه أن يقول إنني لم أحاول. إنني أزرعُ بذوري كلما سنحَت الفُرصة...».

- «... في الأزقّة والبالوعات، في تُربةٍ لا يُمكن أن تَنبُت فيها إلّا بذرة النُّغول. حانَ الوقت لأن تعتني بحديقتك الخاصّة»، ونهضَ أبوه مردفًا: «لن تحظى بـ(كاسترلي روك) أبدًا وهذا وعد، لكن تزوَّج سانزا ستارك وسيكون واردًا للغاية أن تربح (وينترفل)».

تيريون لانستر، حافِظ (وينترفل). جعلَت الفكرة رعدةً عجيبةً تسري فيه، وقال ببُطء: «لا بأس، لكن ثمَّة مشكلة كبيرة فاتَتك. أعتقدُ أن روب ستارك قادر تمامًا مِثلي على الإنجاب، وقد تعهَّد بأن يتزوَّج واحدةً من فتيات فراي المعروفات بخصوبتهن، وبمجرَّد أن يُصبِح للذِّئب الصَّغير وريث فكلُّ الجِراء التي تلدها سانزا سترث الهواء».

لم يبدُ التَّأثُّر على اللورد تايوين، وقال: «روب ستارك لن يُنجِب أيَّ أبناء من ابنة فراي الخصيبة، لك كلمتي. هناك خبر لم أرَه مناسبًا لأن يطَّلع عليه المجلس بعدُ، مع أنه سيَبلُغ اللوردات الأعزَّاء قريبًا لا ريب. الذِّئب الصَّغير اتَّخذ ابنة جاون وسترلينج الكُبرى زوجةً».

مرَّت لحظة وتيريون لا يُصَدِّق أن ما سمعَه من أبيه صحيح، قبل أن يقول مذهولًا: «حنثَ بقَسمه؟ نبذَ عائلة فراي من أجل...». خذلَه الكلام ولم يستطِع أن يُكمِل.

قال السير كيڤان: «إنها فتاة في السَّادسة عشرة اسمها چاين. كان اللورد جاون قد اقترحَها عليَّ ذات مرَّة لويلم أو مارتن، لكني رفضتُ مضطرًّا. جاون رجل صالح، لكنه متزوِّج بسيبل سپايسر، امرأة لم يكن ينبغي أن يتزوَّجها قَطُّ، لكن لطالما كان شَرف آل وسترلينج أقوى من ذكائهم. جدُّ الليدي سيبل كان يُتاجر في الزَّعفران والفلفل، وضيع الميلاد كالمهرِّب الذي يُلازِم ستانيس، والجدَّة كانت امرأةً جاءَ بها من الشَّرق، عجوزًا شمطاء مخيفةً يُفترَض أنها راهبة، وكانوا يُسَمُّونها المايجي. لا أحد كان يعرف كيف ينطق اسمها الحقيقي، واعتاد نِصف سُكَّان (لانسپورت) الذَّهاب إليها من أجل الأدوية وعقاقير الذُّكورة وما إلى ذلك»، وهَزَّ كتفيه مضيفًا: «لقد ماتَت منذ زمنٍ طويل بالطَّبع، وچاين بدَت فتاةً عذبةً بالفعل، مع أني لم أرَها إلَّا مرَّةً، لكن مع نسبٍ كهذا...».

لم يستطِع تيريون أن يُشارِك عمَّه تخوُّفه من تزويج ابنه فتاةً كان جدُّها الكبير يبيع القرنفل، بما أنه تزوَّج عاهرةً عن نفسه، لكن مع ذلك... السير كيڤان قال

إنها فتاة عذبة، إلَّا أن سمومًا كثيرةً عذبة الطَّعم أيضًا. عائلة وسترلينج عريقة، لكنها تتمتَّع بالكبرياء أكثر من السَّطوة، ولن يتعجَّب إذا عرفَ أن الليدي سيبل ساهمَت في هذه الزِّيجة بثروةٍ أكبر من زوجها النَّبيل. لقد نضبَت مناجم وسترلينج منذ زمنٍ طويل، وأفضل أراضيهم بيعَ أو فُقِدَ، و(الجُرف) أقرب إلى الخرابة من القلعة. لكنها خرابة رومانسيَّة ترتفع بشموخ فوق البحر. قال تيريون مقرًّا بمشاعره: «إنني مندهش. حسبتُ روب ستاركَ أذكى من هذا».

قال اللورد تايوين: «إنه صبيٌّ في السَّادسة عشرة من عُمره، وفي هذه السِّنِّ لا يزن الذَّكاء كثيرًا أمام الشَّهوة والحُب والشَّرف».

- «لقد تراجعَ في كلمته وأهانَ حليفًا وحنثَ بيمينه، فأين الشَّرف في هذا؟!».

أجابَه عمُّه: «لقد اختارَ شَرف الفتاة فوق شَرفه، فلم يكن أمامه سبيل آخَر بَعدما قطفَ زهرتها».

قال تيريون بلا موارَبة: «كان الأفضل أن يَترُكها بنغلٍ في بطنها». الآن من الممكن أن يخسر آل وسترلينج كلَّ شيء؛ أراضيهم وقلعتهم وحياتهم نفسها. اللانستر يُسَدِّد ديونه دائمًا.

قال اللورد تايوين: «چاين وسترلينج ابنة أمِّها، وروب ستارك ابن أبيه».

لم يبدُ أن خيانة عائلة وسترلينج أغضبَت أباه كما كان تيريون ليتوقَّع، فاللورد تايوين لا يسمح أبدًا بغدر كهذا من أتباعه. لقد أبادَ آل راين أولاد (كاستامير) الفخورين وآل تاربك أولاد (بهو تاربك) الضَّاربين في القِدَم عن آخِرهم وهو لا يزال صبيًّا، حتى إن المطربين ألَّفوا أغنيَّةً بالغة الكآبة عن تلك الحادثة، وبَعد عددٍ من السَّنوات، عندما خاصمَه اللورد فارمان سيِّد (القلعة القصيَّة)، أرسلَ اللورد تايوين مندوبًا يحمل عودًا بدلًا من رسالة، لكن بمجرَّد أن سمعَ (أمطار كاستامير) تتردَّد في قاعته، أحجمَ اللورد فارمان عن المزيد من المتاعب، وإذا لم تكن الأغنيَّة كافيةً، فأطلال قلعتَيْ راين وتاربك ما زالت موجودةً كشاهدٍ صامتٍ على المصير الذي ينتظر كلَّ من يستهين بقوَّة (كاسترلي روك).

قال تيريون: «(الجُرف) ليست بعيدةً عن (بهو تاربك) و(كاستامير). كان المرء ليحسب أن آل وسترلينج مرُّوا من هناك ورأوا الدَّرس».

رَدَّ أبوه: «ربما فعلوا. إنهم يتذكَّرون (كاستامير) جيِّدًا جدًّا، أؤكِّدُ لك».

- «هل يُمكن أن آل وسترلينج وسپايسر بالحُمق الذي يجعلهم يتصوَّرون أن الذِّئب يستطيع أن يهزم الأسد؟».

كلَّ حينٍ من الدَّهر يُهَدِّد اللورد تايوين بالابتسام. إنه لا يبتسم أبدًا، لكن التَّهديد وحده رهيب بما فيه الكفاية. هكذا قال: «أكبر الحمقى غالبًا أذكى ممن يضحكون عليهم»، ثم أضافَ: «ستتزوَّج سانزا ستارك يا تيريون، وقريبًا».





كاتلين

دخلوا حاملين الجثَّتين على الأكتاف ووضعوهما أمام المنصَّة، وأتاحَ الصَّمت الذي رانَ على القاعة المضاءة بالمشاعلِ لكاتلين أن تسمع جراي ويند يعوي على الجانب الآخَر من القلعة، ففكَّرت: إنه يشمُّ الدَّم عبر الجُدران الحجر والأبواب الخشب، عبر اللَّيل والمطر ما زالَ يُمَيِّز رائحة الموت والدَّمار.

وقفَت إلى يسار روب عند المقعد العالي، وأحسَّت لحظةً كأنها تَنظُر إلى ابنيها الميتيْن بران وريكون. هذان الصَّبيَّان كانا أكبر بعدَّة سنوات، لكن كأن الموت قلَّص حجميهما، ومع عُريهما وابتلالهما بديا شيئيْن صغيريْن ثابتيْن لدرجةٍ جعلَت تذكُّر أنهما كانا حيَّين عسيرًا.

كان الصَّبي الأشقر يُحاول أن يُطلِق لحيته، فغطَّى الزَّغب الأصفر الباهت وجنتيه وفكَّه فوق الخراب الأحمر الذي أحدثَه السكِّين في عُنقه، وكان شَعره الذَّهبي الطَّويل لا يزال مبتلًا كأنهم جَرُّوه من الحمَّام. وشى منظره بأنه ماتَ بسلام، ربما وهو نائم، لكن ابن عمَّته ذا الشَّعر البنِّي قاتلَ دفاعًا عن حياته، ولاحَت على ذراعيه الجروح التي أصابوه بها وهو يُحاوِل أن يصدَّ النِّصال، بينما ظَلَّ الأحمر يسيل من الطَّعنات التي غطَّت صدره وبطنه وظَهره كأنها أفواه عديدة بلا ألسنة، مع أن المطر غسلَه حتى كادَ يُنَظِّفه.

اعتمرَ روب تاجه قبل أن يَدخُل القاعة، والتمعَ البرونز بلونٍ قاتم في ضوء المشاعل، وأخفَت الظِّلال عينيه وهو يتطلَّع إلى الميتيْن. هل يرى بران وريكون أيضًا؟ كانت لتبكي لولا أن دموعها كلَّها نفدَت. أصابَ طول الحبس الصَّبيَّين بالشُّحوب، وقد كان كلاهما وسيمًا، فبدا الدَّم على بشرتهما البيضاء

النَّاعمة شديد الاحمرار على نحوٍ صادم، النَّظر إليه لا يُحتمَل. هل سيُمَدِّدون سانزا عاريةً أمام العرش الحديديّ عندما يقتُلونها؟ هل سيبدو جِلدها بهذا البياض ودمها بهذا الاحمرار؟

من الخارج جاءَ صوت انهمار المطر الثَّابت وعُواء ذئب لا ينقطع.

وقفَ أخوها إدميور إلى يمين روب واضعًا يده على ظَهرِ مقعد أبيه ووجهه لا يزال منتفخًا من النَّوم. لقد أيقَظوه كما أيقظوها، قرعوا بابه في جوف اللَّيل وانتزَعوه بفظاظةٍ من أحلامه. أكانت أحلامًا حُلوةً يا أخي؟ هل تَحلُم بنور الشَّمس والضَّحك وقُبلات الفتيات؟ أتمنَّى هذا. أحلامها هي كانت مدلهمَّةً محفوفةً بالأهوال.

انتشرَ قادة روب وحمَلة رايته في القاعة، بعضهم بدروعه وأسلحته، وغيرهم شَعره منفوش وثيابه مجعَّدة بدرجاتٍ متفاوتة، وبينهم السير راينالد وخاله السير رولف، لكن روب لم يشأ أن ترى ملكته هذه الفظاعة. (الجُرف) ليست بعيدةً عن (كاسترلي روك)، ووارد للغاية أن چاين اعتادَت أن تلعب مع هذين الصَّبيَّين لمَّا كانوا أطفالًا.

عادَت تتطلَّع إلى جثَّتَيْ المُرافِقيْن تيون فراي وويلم لانستر، وانتظرَت أن يتكلَّم ابنها.

بدا كأن وقتًا طويلًا جدًّا مَرَّ قبل أن يرفع روب عينيه عن القتيليْن الدَّاميَيْن ويقول: «چون الصَّغير، قُل لأبيك أن يُدخِلهم»، وبصمتٍ خرجَ چون أومبر الصَّغير يُلَبِّي الأمر وأصداء خُطاه تتردَّد في القاعة الحجريَّة الكبيرة.

لاحظَت كاتلين وچون الكبير يَدخُل بسُجنائه أن بعض الرِّجال الآخَرين تراجَعوا ليُفسِحوا لهم الطَّريق، كأن عدوى الخيانة يُمكنها أن تنتقل إليهم باللَّمس أو النَّظر أو السُّعال. لم يبدُ لها الاختلاف كبيرًا بين الآسرين وأسراهم، كلُّهم رجال كبار الحجم ذوو لحى كثَّة وشعور طويلة، وتبيَّنت أن اثنين من رجال چون الكبير وثلاثة من السُّجناء جرحى، ولم يُفَرِّق بين هؤلاء وأولئك إلَّا أن بعضهم يحمل السُّيوف والحِراب وبعضهم أغمدته خاوية، وقد ارتدوا جميعًا قمصان الحلقات المعدنيَّة والأحذية الثَّقيلة والمعاطف السَّميكة المفصَّلة إمَّا من الفرو وإمَّا من الصُّوف. الشَّمال قاس وبارد وبلا رحمة. هكذا قال لها ند حين دخلَت (وينترفل) أول مرَّة قبل ألف عام.

قال روب عندما مثلَ السُّجناء أمامه صامتين مبتلِّين: «خمسة. أهؤلاء جميعهم؟».

دمدمَ چون الكبير: «كانوا ثمانيةً. قتلنا اثنين ونحن نقبض عليهم، والثَّالث يُحتضَر».

تفحَّص روب وجوه السُّجناء، وقال: «إذن تطلَّب اغتيال مُرافِقيْن أعزليْن ثمانيةً منكم».

رفعَ إدميور صوته قائلًا: «اغتالوا اثنين من رجالي أيضًا ليَدخُلوا البُرج، دِلپ وإلوود».

قال اللورد ريكارد كارستارك دون أن تُزعِجه الحبال التي تُقيِّد معصميه أكثر من الدَّم الذي سالَ على وجهه: «لم يكن اغتيالًا أيها الفارس. كلُّ مَن يعترض الطَّريق بين الأب وانتقامه يَطلُب الموت طلبًا».

دقَّت كلماته في أُذنَيْ كاتلين بقسوة وخشونة طبول الحرب، وأحسَّت بحَلقها جافًّا كالعظام وهي تقول لنفسها: أنا من اقترفَ هذا. الصَّبيَّان ماتا كي تحيا ابنتاي.

قال روب للورد كارستارك: «لقد رأيتُ ابنيك يموتان ليلة (الغابة الهامسة). تيون فراي لم يَقتُل تورين، ويلم لانستر لم يَقتُل إدارد، فكيف تصف هذا بالانتقام؟ ما فعلته حماقة، وجريمة قتل. ابناك ماتا بشَرفٍ في ميدان المعركة، كلاهما بسيفه في يده».

قال اللورد كارستارك دون أن يتزحزَح قيد أُنملة: «لكنهما ماتا، أسقطَهما قاتِل الملك، وهذان الاثنان كانا من جنسه. وحده الدَّم يُعوِّض عن الدَّم».

أشارَ روب إلى الجثَّتين قائلًا: «دم الأطفال؟ كم كان عُمرهما؟ اثني عشر عامًا؟ ثلاثة عشر؟ كانا مُرافِقيْن!».

- «المُرافِقون يموتون في كلِّ معركة».

- «يموتون وهُم يُقاتِلون، نعم. تيون فراي وويلم لانستر استسلما في (الغابة الهامسة). كانا أسيريْن، حبيسيْن في زنزانة، نائميْن، أعزليْن، صبيَّيْن... انظُر إليهما!».

بدلًا من هذا نظرَ اللورد كارستارك إلى كاتلين، وقال: «قُل لأمِّك أن تَنظُر إليهما. إنها مسؤولة عن قتلهما مِثلي تمامًا».

وضعَت كاتلين يدها على ظَهر مقعد روب وشعرَت بالقاعة تدور من حولها وبأنها على وشك إفراغ معدتها.

قال روب بغضب: «أمِّي لا علاقة لها بهذا. إنها صنيعتك، جريمتك، خيانتك».

سألَ اللورد كارستارك بخشونة: «كيف يكون قتل أولاد لانستر خيانةً على حين لا يُعَدُّ تحريرهم كذلك؟ هل تنسى جلالتك أننا في حربٍ مع (كاسترلي روك)؟ في الحرب يَقتُل الرَّجل أعداءه، أم أن أباك لم يُعَلِّمك هذا يا ولد؟».

ردَّد چون الكبير: «ولد؟!»، وسدَّد إلى ريكارد كارستارك لكمةً بقبضته المقفَّزة بالمعدن أسقطَته على رُكبتيه.

صاحَ روب: «دعه!»، فتراجعَ أومبر مبتعدًا عن الأسير.

بصقَ اللورد كارستارك سِنًّا مكسورةً، وقال: «نعم يا لورد أومبر، دعني للملك. إنه يُريد أن يُوَبِّخني قبل أن يعفو عني. هكذا يتعامَل مع الخيانة ملكنا في الشَّمال»، وأضافَ بابتسامةٍ بليلة حمراء: «أم أن عليَّ أن أدعوك بالملك الذي فقدَ الشَّمال يا جلالة الملك؟».

اختطفَ چون الكبير حربةً من الرَّجل المجاور له، ورفعَها إلى كتفه قائلًا: «دعني أطعنه يا مولاي، دعني أفتح بطنه لنرى لون أحشائه».

فجأةً انفتحَ باب القاعة بعُنف، ودخلَ السَّمكة السَّوداء والماء يسيل من معطفه وخوذته، وتبعَه عدد من جنود تَلي إلى الدَّاخل بينما شَقَّت ألسنة البرق السَّماء في الخارج وهطلَت الأمطار السَّوداء بمنتهى الغزارة على أحجار (ريڤرَن).

خلعَ السير برايندن خوذته وجثا على رُكبته، ولم يقل إلَّا: «جلالة الملك»، لكن جهامة نبرته نمَّت عن الكثير.

قامَ روب قائلًا: «سأسمعُ السير برايندن على انفراد في غُرفة الاجتماعات. چون الكبير، ابقِ اللورد كارستارك هنا حتى أعود، واشنُق السَّبعة الآخَرين».

خفضَ چون الكبير الحربة متسائلًا: «حتى الموتى؟».

- «نعم. لن أسمح بأن يُلَوِّث أمثالهم نهرَيْ السيِّد خالي. فليكونوا طعامًا للغِربان».

هوى أحد السُّجناء على رُكبتيه قائلًا: «الرَّحمة يا مولاي. إنني لم أقتل أحدًا، بل وقفتُ عند الباب فقط تحسُّبًا لظهور حُرَّاس».

فكَّر روب لحظةً، ثم قال: «هل كنت على علم بنيَّة اللورد كارستارك؟ هل رأيتهم يستلُّون السَّكاكين؟ هل سمعت الصِّياح والصُّراخ وتوسُّلات الرَّحمة؟».

- «نعم، لكني لم أشارك. كنتُ مراقبًا فقط، أقسمُ لك...».

قال روب: «لورد أومبر، هذا الرَّجل كان مراقبًا فقط. اشنُقه في النِّهاية كي يُراقِب الآخَرين وهُم يموتون. أمِّي، خالي، تعاليا معي من فضلكما»، وابتعدَ فيما أطبقَ رجال چون الكبير على السُّجناء وساقوهم من القاعة برؤوس الحِراب. في الخارج ضربَ الرَّعد ودوَّى بصوتٍ يصمُّ الآذان، كأن القلعة على شفا الانهيار من حولهم، وتساءلَت كاتلين: أهذا صوت مملكةٍ تَسقُط؟

كانت غُرفة الاجتماعات معتمةً، لكن على الأقل كتمَ سُمك الجُدران الإضافيَّة هزيم الرَّعد. دخلَ خادم حاملًا مصباح زيت ليُشعِل نار المستوقَد، لكن روب صرفَه وأبقى المصباح. في الغُرفة عدَّة طاولات ومقاعد، ولمَّا جلسَ إدميور فقط ووجدَ الآخَرين ما زالوا واقفين عادَ ينهض، بينما خلعَ روب تاجه ووضعَه على الطَّاولة أمامه.

أغلقَ السَّمكة السَّوداء الباب قائلًا: «رجال كارستارك رحلوا».

- «جميعهم؟». أهو الغضب أم اليأس الذي أثقلَ صوت روب هكذا؟ حتى كاتلين نفسها لم تستطِع التَّمييز.

أجابَ السير برايندن: «جميع المقاتلين، لكن تبقَّى بعض أتباع المعسكَرات والخدم مع جرحاهم. لقد استجوبنا عددًا كافيًا منهم لنتأكَّد من الحقيقة. قالوا إنهم بدأوا يُغادِرون مع حلول المساء، تسلَّلوا فُرادى وأزواجًا أولًا، ثم في مجموعاتٍ أكبر، وقيلَ للجرحى والخدم أن يُبقوا نيران المعسكَر مشتعلةً لئلَّا يعرف أحدٌ أنهم رحلوا، لكن بمجرَّد أن بدأ المطر في الهطول لم يَعُد هناك فرق».

سألَه روب: «هل سيُعيدون التَّشكيل بعيدًا عن (ريڤررَن)؟».

- «لا، بل تفرَّقوا ليُطاردوا قاتِل الملك. اللورد كارستارك أقسمَ أن يُعطي يد ابنته البكر لأيِّ رجلٍ عالي النَّسب أو سافله يأتيه برأس لانستر».

قالت كاتلين في نفسها وهي تَشعُر بالغثيان مجدَّدًا: رُحماكِ أيتها الآلهة.

فركَ روب صُدغيه حيث تركَ التَّاج علامته في الجلد الطَّري فوق أذنيه: «زُهاء ثلاثمئة من الخيَّالة وضِعفهم من الخيول ذابوا في قلب اللَّيل، سلاح خيَّالة (كارهولد) بأكمله ضاعَ منا».

ضاعَ بسببي، بسببي، ولتغفر لي الآلهة. ليس من الضَّروري أن تكون كاتلين جنديًّا لتُدرك الفخ الذي يُطبِق فكَّيه على روب. صحيح أنه يُسَيطِر على أراضي النَّهر في الوقت الحالي، لكن مملكته محاصَرة بالأعداء من كل جهةٍ إلَّا الشَّرق، حيث تجلس لايسا بلا مبالاةٍ على قمَّة جبلها، وحتى (الثَّالوث) ليس آمنًا تمامًا ما دامَ سيِّد (المعبر) محجمًا عن تأكيد ولائه. والآن فقدنا آل كارستارك أيضًا...

قال أخوها إدميور: «يجب ألَّا تَخرُج كلمة عمَّا حدثَ من (ريفررَن). اللورد تايوين سـ... آل لانستر يُسَدِّدون ديونهم، دائمًا ما يقولون هذا. لترحمنا (الأم) إذا بلغَه الخبر».

سانزا. غرسَت كاتلين أظفارها في لحم كَفَّيها اللَّيِّن وضمَّت قبضتيها عن آخِرهما.

رمقَ روب إدميور بنظرةٍ جليديَّة قائلًا: «أتُريدني أن أكون كاذبًا علاوةً على قاتلٍ يا خالي؟».

- «لسنا مضطرِّين إلى الكذب. لن نقول شيئًا فحسب. لندفن الصَّبيَّين ونصون ألسنتنا حتى تنتهي الحرب. ويلم كان ابن السير كيفان لانستر وابن أخي اللورد تايوين، وتيون كان ابن الليدي چنا وابن فراي أيضًا. علينا أن نكتم الخبر عن (التَّوأمتين) أيضًا حتى...».

قاطعَه السير برايندن بحدَّة: «حتى نُعيد الميتيْن القتيليْن إلى الحياة؟ الحقيقة هربَت مع رجال كارستارك يا إدميور، وفاتَ أوان تلك الألعاب».

قال روب: «إنني مدين لأبويهما بالحقيقة، وبالعدالة. هذا دين عليَّ لهما أيضًا»، وتطلَّع إلى تاجه ذي البريق البرونزي القاتم ودائرة السُّيوف الحديد، وتابعَ: «اللورد ريكارد تحدَّاني وخانَني، ولا خيار لديَّ سوى إدانته. الآلهة وحدها تعلم ما سيفعله مُشاة كارستارك الذين مع رووس بولتون حينما يعرفون أني أعدمتُ سيِّدهم باعتباره خائنًا. لا بُدَّ من تحذير بولتون».

قال السير برايندن مذكِّرًا إياه: «وريث اللورد كارستارك في (هارنهال) أيضًا، الابن الأكبر الذي أسرَه آل لانستر عند (الفرع الأخضر)».

رَدَّ روب: «هاريون، اسمه هاريون»، وأطلقَ ضحكةً مريرةً مردفًا: «خيرٌ للملك أن يعرف أسماء أعدائه، أليس كذلك؟».

نظرَ إليه السَّمكة السَّوداء بمكرٍ متسائلًا: «أأنت موقن بذلك؟ بأن كارستارك سيُصبِح عدوَّك؟».

- «وماذا سيُصبِح غير هذا؟ إنني على وشك أن أقتل أباه، ولا أظنُّ أنه سيَشكُرني».

- «قد يفعل. هناك أبناء يكرهون آباءهم، وبضربةٍ واحدة ستجعله سيِّد (كارهولد)».

هَزَّ روب رأسه نفيًا، وقال: «حتى إذا كان هاريون من ذلك النَّوع، فلا يُمكنه أن يغفر لقاتِل أبيه على الملأ أبدًا. سينقلب رجاله عليه إذا فعلَ. إنهم شماليُّون، والشَّمال يتذكَّر».

قال إدميور تَلي: «اعفُ عنه إذن»، فحدَّق روب إليه بعدم تصديقٍ صريح، واحتقنَ وجه خاله تحت نظراته، وأضافَ: «أعني أن تعفو عن حياته. الفكرة لا تروقني أكثر منك يا جلالة الملك، فقد قتلَ اثنين من رجالي أيضًا. دِلِپ المسكين كان قد تعافى لتوِّه من الجرح الذي أصابَه به السير چايمي. لا بُدَّ من معاقَبة كارستارك بالتَّأكيد، لكن رأيي أن تسجنه».

قالت كاتلين: «رهينة؟». قد يكون هذا السَّبيل الأفضل...

تمسَّك أخوها بكلمتها باعتبارها تأييدًا، وقال: «نعم، رهينة! قُل للابن إن أذًى لن يمسَّ أباه ما دامَ ثابتًا على إخلاصه، وإلَّا... لا أمل لدينا في آل فراي الآن، ما لم أعرض أن أتزوَّج جميع بنات اللورد والدر وأحمل نقَّالته أيضًا. إذا فقدنا آل كارستارك أيضًا، فأين الأمل إذن؟».

- «أين الأمل...». تنهَّد روب وأزاحَ شَعره عن عينيه قائلًا: «لم تَبلُغنا كلمة من السير رودريك في الشَّمال، ولا رَد من والدر فراي على عرضنا الجديد، ومن (العُش) لم نسمع إلَّا الصَّمت»، والتفتَ إلى أمِّه مناشدًا، وقال: «ألن تُجيبنا أختكِ أبدًا؟ كم مرَّةً عليَّ أن أكتب لها؟ لن أصدِّق أن أيًّا من الطُّيور لم يَبلُغها».

أدركَت كاتلين أن ابنها راغب في المواساة، في أن يسمع أن كلَّ شيءٍ سيكون على ما يُرام، لكن مليكها في حاجةٍ إلى الحقيقة، وهكذا قالت: «الطُّيور بلغَتها، مع أنها قد تقول لك إنها لم تفعل إذا اضطرَّت. لا تتوقَّع مساعدةً من هذا الجانب يا روب. لايسا لم تتحلَّ بالشَّجاعة قَطُّ، وفي طفولتنا كانت تهرب وتختبئ كلما ارتكبَت خطأً. ربما كانت تحسب أن السيِّد والدنا سينسى أن يُعَنِّفها إذا لم يجدها. الأمر ليس مختلفًا الآن. لقد فرَّت من (كينجز لاندنج) بدافع الخوف إلى آمن مكانٍ تعرفه، وتجلس على جبلها آملةً أن ينساها الجميع».

قال روب: «فُرسان (الوادي) يُمكنهم أن يقلبوا كفَّة هذه الحرب، لكن ما دامَت تَرفُض القتال فليكن. إنني لم أطلب أكثر من أن تفتح لنا (البوَّابة الدَّامية) وتُزَوِّدنا بالسُّفن في (بلدة النَّوارس) لتحملنا شمالًا. (الطَّريق العالي) سيكون صعبًا، لكن ليس بصعوبة القتال في (العُنق). إذا رسوتُ في (الميناء الأبيض) فيُمكنني أن أضرب (خندق كايلن) من الجانب الآخَر وأطرد الحديديِّين من الشَّمال خلال نِصف عام».

قال السَّمكة السَّوداء: «لن يَحدُث يا مولاي. كات محقَّة، الليدي لايسا أجبن من أن تسمح بدخول جيشٍ إلى (الوادي)، أي جيش. (البوَّابة الدَّامية) ستبقى مغلقةً».

صاحَ روب وكلماته تفور يأسًا: «فليأخذها (الآخَرون) إذن، وريكارد كارستارك الملعون أيضًا، وثيون جرايچوي ووالدر فراي وتايوين لانستر وبقيَّتهم. لماذا يرغب أيُّ رجلٍ في أن يكون ملكًا بحَقِّ الآلهة؟ عندما كان الجميع يهتفون: الملك في الشَّمال، الملك في الشَّمال، قلتُ لنفسي -أقسمتُ لنفسي- إنني سأكونُ ملكًا صالحًا، شريفًا كأبي وقويًّا وعادلًا ومخلصًا لأصدقائي وشُجاعًا حين أواجهُ أعدائي... والآن لا أستطيعُ مجرَّد التَّفرقة بين العدوِّ والصَّديق. كيف تشوَّش كلُّ شيءٍ إلى هذا الحَد؟ اللورد ريكارد قاتلَ إلى جانبي في نِصف دستةٍ من المعارك، وابناه ماتا من أجلي في (الغابة الهامسة). تيون فراي وويلم لانستر كانا عدوَّيْ، والآن عليَّ أن أقتل أبا صديقَيْ الميتيْن من أجلهما»، وتطلَّع إليهم جميعًا وأضافَ: «هل سيَشكُرني آل لانستر لقطع رأس اللورد ريكارد؟ هل سيَشكُرني آل فراي؟».

أجابَ برايندن السَّمكة السَّوداء بصراحته المعتادة: «كلا».

قال إدميور بإلحاح: «وهو السَّبب الأدعى للعفو عن حياة اللورد ريكارد والاحتفاظ به رهينةً».

مَدَّ روب كلتا يديه ورفعَ التَّاج البرونز والحديد الثَّقيل وثبَّته على رأسه، وفجأةً عادَ ملكًا من جديد وهو يُعلِن: «اللورد ريكارد سيموت».

- «لكن لماذا؟ لقد قلت بنفسك إن...».

قال روب والسُّيوف في تاجه تبدو قاسيةً سوداء على جبينه: «أعرفُ ما قُلته يا خالي. لو أننا في معركةٍ فلربما كنتُ لأقتل ويلم وتيون بنفسي، لكننا لسنا في معركة. لقد كانا نائميْن في سريريهما، عاريَيْن وأعزليْن في الزِّنزانة التي وضعتهما فيها. ريكارد كارستارك قتلَ أكثر من فراي ولانستر، قتلَ شَرفي. سأتعاملُ معه عندما يطلع الفَجر».

وحينما طلعَ الفَجر غائمًا باردًا كانت العاصفة قد انحسرَت إلى مطر ثقيل ثابت، ومع ذلك ازدحمَت أيكة الآلهة بالحاضرين؛ لوردات النَّهر ورجالُ الشَّمال، نُبلاء وعامَّة، فُرسان ومرتزقة وعُمَّال اسطبلات، كلُّهم وقفوا بين الأشجار ليشهدوا نهاية رقصة اللَّيلةَ الدَّاجية. أعطى إدميور الأوامر، ووُضِعَ قالب الجلَّاد الخشبي أمام شجرة القلوب، وتساقطَ المطر وأوراق الشَّجر في كلِّ مكانٍ حولهم إذ ساقَ چون الكبير اللورد ريكارد كارستارك مقيَّد اليدين وسط الجموع، بينما شُنِقَ رجاله على أسوار (ريڤررَن) العالية بالفعل، وتدلَّت جُثثهم من حبالٍ طويلة والمطر يغسل وجوههم المربدَّة.

انتظرَ ليو الطَّويل إلى جوار القالب، لكن روب التقطَ البلطة من يده وأمرَه بأن يتنحَّى جانبًا قائلًا: «هذا واجبي أنا. إذا كان سيموت بإمرتي، فلا بُدَّ أن يموت بيدي».

خفضَ اللورد كارستارك رأسه بجمود، وقال: «أشكرك على هذا، لكن ليس على أيِّ شيءٍ آخَر». كان قد استعدَّ للموت بارتداء سُترةٍ سوداء طويلة مرصَّعة بالشَّمس المتفجِّرة رمز عائلته. «دماء البَشر الأوائل تجري في عروقي كما تجري في عروقك يا ولد. خيرٌ لك أن تتذكَّر هذا. لقد سُمِّيتُ على اسم جدِّك، ورفعتُ راياتي ضد الملك إيرس من أجل أبيك، وضد چوفري من أجلك، وفي (أوكسكروس) و(الغابة الهامسة) ومعركة المعسكَرات ركبتُ

إلى جانبك، ووقفتُ إلى جوار اللورد إدارد في معركة (الثَّالوث). إننا أهل، ستارك وكارستارك».

قال روب: «قرابتنا لم تمنعك عن خيانتي، ولن تُنقِذك الآن. اركع يا سيِّدي».

تعلم كاتلين أن اللورد كارستارك قال الحقيقة، فنَسب آل كارستارك ينحدر من كارلون ستارك، ابن صغير لـ(وينترفل) قضى على لورد متمرِّد قبل ألف عام، وكوفِئَ على شَجاعته بقطعةٍ كبيرة من الأرض، وعُرِفَت القلعة التي شيَّدها باسم (كارلز هولد)، لكن سرعان ما أصبحَ اسمها (كارهولد)، وخلال القرون صارَ آل ستارك أولاد (كارهولد) يحملون اسم كارستارك.

قال اللورد ريكارد لابنها: «قديمةً كانت أم جديدةً، لا فرق. ما لعنَت الآلهة أحدًا كقاتِل الأقربين».

- «اركع أيها الخائن، أم أن عليَّ أن أجعلهم يضعون رأسك على القالب غصبًا؟».

ركعَ اللورد ريكارد قائلًا: «ستَحكُم عليك الآلهة كما حكمتَ عليَّ»، ووضعَ رأسه على القالب.

رفعَ روب البلطة الثَّقيلة بكلتا يديه، وقال: «ريكارد كارستارك، سيِّد (كارهولد)، هنا على مرأى من الآلهة والبَشر أحكمُ عليك مذنبًا بالقتل والخيانة العُظمى، وباسمي أدينك، وبيدي أسلبك حياتك. هل من كلمةٍ أخيرة؟».

- «اقتُلني ولتحلَّ بك اللَّعنة. أنت لست مليكي».

وهوَت البلطة الثَّقيلة المشحوذة بعناية لتَقتُل بضربةٍ واحدة، لكن فصْل رأس الرَّجل عن جسده تطلَّب ثلاث ضربات، وفي النِّهاية كان كلا الحي والميت غارقيْن في الدِّماء. ألقى روب البلطة باشمئزاز والتفتَ بصمتٍ إلى شجرة القلوب ووقفَ يرتجف وقبضتاه شِبه مضمومتيْن والمطر يجري على وجنتيه.

صلَّت كاتلين في أعماقها: لتُسامِحه الآلهة. إنه مجرَّد صبي، ولم يكن لديه خيار آخَر.

لم ترَ ابنها ثانيةً يومها، وظَلَّ المطر يهطل خلال الصَّباح، يضرب صفحتَيْ

النَّهرين ويُحيل كلأ أيكة الآلهة إلى برَكٍ موحلة. جمعَ السَّمكة السَّوداء مئة رجلٍ وخرجَ بهم وراء رجال كارستارك، لكن أحدًا لم يتوقَّع أن يرجع بعددٍ كبيرٍ منهم، وقبل أن يُغادِر قال لكاتلين: «أتمنَّى فقط ألَّا أضطرَّ لشنقهم».

انسحبَت كاتلين إلى غُرفة أبيها عقب رحيل عمِّها، وعادَت تجلس إلى جوار فِراش اللورد هوستر، حيث قال لها المِايستر ڤايمان حين جاءَ بَعد الظُّهر: «لن يطول الوقت. آخِر ما تبقَّى فيه من قوَّةٍ يذوي، مع أنه لا يزال يُقاتِل».

- «لطالما كان مقاتلًا، رجلًا جميلًا عنيدًا».

- «نعم، لكن هذه معركة لا يُمكنه أن ينتصر فيها. حانَ الوقت لأن يتخلَّى عن سيفه وتُرسه، حانَ وقت الاستسلام».

الاستسلام والسَّلام. هل يتكلَّم المِايستر عن أبيها أم ابنها؟

عند حلول المساء أتَتها چاين وسترلينج، ودخلَت الملكة الشَّابَّة غُرفة أبيها الشَّمسيَّة على استحياءٍ قائلةً: «ليدي كاتلين، لا أقصدُ أن أزعجكِ...».

- «أنتِ على الرَّحب والسَّعة يا جلالة الملكة». كانت كاتلين قد شغلَت نفسها بالحياكة، لكنها نحَّت الإبرة جانبًا.

- «أرجوكِ خاطبيني بچاين. لستُ أشعرُ أني ملكة».

- «لكنكِ ملكة رغم ذلك. تفضَّلي بالجلوس يا جلالة الملكة».

قالت الفتاة: «چاين»، وجلسَت إلى جوار المستوقَد وسوَّت تنُّورتها بتوتُّر.

- «كما تشائين. كيف أخدمكِ يا چاين؟».

- «روب. إنه في غاية البؤس والـ... والغضب والغَم. لا أدري ماذا أفعلُ».

- «القتلُ صعب».

- «أعرفُ هذا. قلتُ له أن يستعين بجلَّاد. عندما يُريد اللورد تايوين موت أحد فإنه يكتفي بإعطاء الأمر. هذا أسهل، أليس كذلك؟».

قالت كاتلين: «بلى، لكن السيِّد زوجي علَّم أبناءه أن القتل يجب ألَّا يكون سهلًا أبدًا».

غمغمَت الملكة چاين: «أوه»، ثم إنها بلَّلت شفتيها وقالت: «روب لم يأكل طول اليوم. جعلتُ رولام يُحضِر له عشاءً شهيًّا، ضلوع خنزير بري وبصلًا مطبوخًا ومِزرًا، لكنه لم يأخذ منه لُقمةً واحدةً. أمضى الصَّباح كلَّه

في كتابة رسالة وقال لي ألَّا أزعجه، لكن حين فرغَ من الكتابة أحرقَها، والآن يجلس ويتطلَّع إلى خرائطه. سألته عمَّا يبحث عنه لكنه لم يُجِبني، ولا أظنُّه سمعَني أصلًا. إنه يَرفُض أن يُبَدِّل ثيابه حتى، رغم أنها كانت مبتلَّةً وملطَّخةً بالدِّماء. أريدُ أن أكون زوجةً صالحةً له حقًّا، لكني أجهلُ كيف أساعده أو أروِّح عنه أو أواسيه، أجهلُ ما يحتاج إليه الآن. أرجوكِ يا سيِّدتي، أنتِ أمُّه، فقولي لي ماذا أفعلُ».

قولي لي ماذا أفعلُ. كانت كاتلين لتَطلُب المِثل من أبيها إذا كان بصحَّته، لكن اللورد هوستر رحلَ، أو موشك على الرَّحيل بالأحرى، وكذا ند. وبران وريكون أيضًا، وأمِّي، وبراندون منذ زمنٍ طويل. لم يتبقَّ لها إلَّا روب، روب والأمل الخابي في استعادة ابنتيها.

قالت كاتلين بتؤدة: «أحيانًا يكون أفضل شيءٍ تفعلينه هو لا شيء. في بداية وجودي في (وينترفل) كنتُ أتألَّمُ كلما ذهبَ ند إلى أيكة الآلهة ليجلس تحت شجرة القلوب، إذ علمتُ أن جزءًا من روحه كان في تلك الشَّجرة، جزءًا لن أشاركه إياه أبدًا، لكني أدركتُ بَعد وقتٍ قصير أنه لما كان ند دون هذا الجزء. چاين يا صغيرتي، لقد تزوَّجتِ الشَّمال كما تزوَّجته قبلكِ... وفي الشَّمال يأتي الشِّتاء دائمًا»، وحاولَت أن تبتسم مضيفةً: «تحلَّي بالصَّبر والتَّفهُّم. إنه يُحِبُّكِ ويحتاج إليكِ، وسيعود إليكِ قريبًا، ربما اللَّيلة بالذَّات، فكوني هناك عندما يفعل. هذا هو كلُّ ما يُمكنني أن أقوله لكِ».

أصغَت الملكة الشَّابَّة بانتباه، وقالت حين انتهَت كاتلين: «سأفعلُ»، ونهضَت قائلةً: «عليَّ أن أعود، فربما افتقدَني. سأرى. لكن إذا وجدته ما زال يدرس خرائطه فسأصبرُ».

- «افعلي هذا»، قالت كاتلين، لكنها تذكَّرت شيئًا قبل أن تَخرُج الفتاة من الباب، فنادَتها: «چاين، ثمَّة شيء آخَر يحتاج إليه روب منكِ، مع أنه قد لا يعيه. لا بُدَّ أن يكون للملك وريث».

ابتسمَت الفتاة وردَّت: «هذا ما تقوله أمِّي أيضًا. إنها تعدُّ لي عقَّارًا للخصوبة من الأعشاب والحليب والمِزر أشربه كلَّ صباح. قلتُ لروب إني واثقة بأنني سأنجبُ له توأمين، إدارد وبراندون، وقد راقَه هذا على ما أعتقدُ. إننا... إننا نُحاوِل كلَّ يومٍ تقريبًا يا سيِّدتي، وأحيانًا مرَّتين أو أكثر»، وتورَّد

محيًّاها الجميل حياءً وهي تُتابِع: «سأحبلُ قريبًا، أعدكِ. إنني أصلِّي لأمِّنا في الأعالي كلَّ ليلة».

- «عظيم. سأضيفُ صلواتي إلى صلواتكِ، للآلهة القديمة والجديدة».

عندما خرجَت الفتاة، التفتَت كاتلين إلى أبيها وسوَّت الشَّعر الأبيض الخفيف على جبينه قائلةً برفق: «إدارد وبراندون، وربما هوستر بَعد فترة. هل يروقك هذا؟».

لم يُجبها، لكنها لم تتوقَّع أن يفعل، وإذ امتزجَ وقع المطر على السَّطح بصوت أَنفاس أبيها فكَّرت كاتلين في چاين، في أن الفتاة تبدو طيِّبة القلب حقًّا كما قال روب. ووَركاها قويَّان، وهو ما قد يكون أكثر أهميَّة.





چايمي

بَعد يومين من الارتحال على جانبَيْ (طريق الملوك) مرُّوا عبر منطقةٍ شاسعة حاقَ بها الدَّمار، أميال وأميال من الحقول والبساتين المسودَّة التي ارتفعَت فيها جذوع الأشجار الميتة العارية في الهواء كأوتاد الرُّماة[1]، وقد احترقَت الجسور أيضًا وفاضَت الجداول بأمطار الخريف، فاضطرُّوا إلى التَّجوال بطول الضِّفاف بحثًا عن مخاضة، وقد بعثَ عُواء الذِّئاب الحياة في ليلهم، وإن لم يروا أناسًا على الإطلاق.

في (بِركة العذارى) ظلَّت سمكة السَّلمون الحمراء -رمز اللورد موتون- تحتلُّ الرَّاية المرفوعة فوق القلعة أعلى التَّل، لكنهم وجدوا أسوار البلدة مهجورةً والبوَّابات مهشَّمةً ونِصف المحال والبيوت محترقًا أو منهوبًا، ولم يروا من الأحياء إلَّا بعض الكلاب الضَّارية التي فرَّت مع صوت اقترابهم، أمَّا البِركة التي استمدَّت منها البلدة اسمها، وتقول الأسطورة إن فلوريان المهرِّج لمحَ چونكويل تتحمَّم فيها مع أخواتها أول مرَّة، فكانت متخمةً عن آخرها بالجُثث المتعفِّنة، حتى إن المياه صارَت أقرب إلى حَساءٍ من الأخضر والرَّمادي القاتميْن.

ألقى چايمي نظرةً واحدةً وشرعَ في الغناء: «سِت عذارى كُنَّ في بِركةٍ يصبُّ فيها نبع...».

---

(1) هي أوتاد مدبَّبة يغرسها الرُّماة في الأرض أمامهم لحمايتهم من هجمات الخيَّالة بينما هُم منشغلون بإطلاق السِّهام، وأول استخدامٍ لها كان من قِبل العثمانيِّين في معركة نيكوبوليس سنة 1369. (المترجم).

سألَته بريان: «ماذا تفعل؟».

- «أغنِّي (ست عذارى في بركة). لا بُدَّ أنك سمعتها. كُنَّ عذارى جميلات خجولات حقًّا، مِثلكِ، مع أني أراهنُ أنهن كُنَّ أجمل نوعًا».

ردَّت الفتاة وعلى وجهها نظرة تشي برغبتها البالغة في أن تَترُكه طافيًا بين الجُثث في البِركة: «صمتًا».

قال كليوس ابن عمَّته بضراعة: «أرجوك يا چايمي، اللورد موتون مُقسِم على الولاء لـ(ريڤرَن)، ولسنا نُريد أن ندفعه إلى الخروج من قلعته، وقد يكون هناك أعداء آخرون متوارين وسط الأطلال».

- «أعداؤها أم أعداؤنا؟ هؤلاء غير هؤلاء يا ابن عمَّتي، ولديَّ رغبة شديدة في أن أرى إن كانت الفتاة تستطيع استخدام سيفها هذا».

- «إذا لم تَصمُت فلن تَترُك لي خيارًا إلَّا تكميمك يا قاتِل الملك».

- «حِلِّي قيودي وسألعبُ دور الأخرس طيلة الطَّريق إلى (كينجز لاندنج). اتِّفاق عادل تمامًا، أليس كذلك يا هذه؟».

صاحَت: «بِريان! اسمي بِريان!»، وحلَّقت ثلاثة غِربان في الهواء وقد أجفلَها الصَّوت.

قال ضاحكًا: «ألا تُريدين الاستحمام يا بريان؟ إنكِ عذراء وها هي البِركة. سأغسلُ ظَهركِ». في طفولتهما في (كاسترلي روك) اعتادَ أن يغسل ظَهر سرسي.

أدارَت الفتاة رأس حصانها ودفعَته إلى الخبب، وتبعَها چايمي والسير كليوس ليَخرُجوا من بين خرائب (بِركة العذراء)، وعلى بُعد نِصف ميل بدأ الأخضر يزحف على العالم من جديد، الشَّيء الذي سَرَّ چايمي، بما أن الأراضي المحروقة تُذكِّره كثيرًا بإيرس.

غمغمَ السير كليوس: «إنها تَسلُك طريق (وادي الغسق)، لكن الأكثر أمنًا أن نمضي على السَّاحل».

- «أكثر أمنًا لكن أبطأ. أفضِّلُ طريق (وادي الغسق) يا ابن العمَّة. الحقيقة أني مللتُ صُحبتك». قد تكون لانستر، لكنك بعيد أيما بُعد عن أختي.

إنه لم يحتمل قَطُّ أن يَبعُد عن توأمته طويلًا، وحتى في طفولتهما كان كلٌّ منهما يتسلَّل إلى فِراش الثَّاني ليلًا ويناما بأذرُعٍ متعانقة. حتى في الرَّحم. قبل

إزهار سرسي أو بلوغه مبلغ الرِّجال بفترةٍ طويلة كانا يريان الفحول والأفراس في الحقول والكلاب والكلبات في الأوجرة، وفي لعبهما قلَّدوها، إلى أن جاءَ يوم وضبطَتهما وصيفة أمِّهما... لا يَذكُر ما كانا يفعلانه بالضَّبط، لكن أيًّا كان فقد روَّع الليدي چوانا، حتى إنها صرفَت الوصيفة من خدمتها، ونقلَت غُرفة نوم چايمي إلى النَّاحية الأخرى من (كاسترلي روك)، وعيَّنت حارسًا على غُرفة سرسي، وقالت لهما ألَّا يفعلا هذا ثانيةً أبدًا، وإلَّا فلا خيار لديها غير إخبار السيِّد والدهما. لكن خوفهما كان بلا داع، فلم يمض وقت طويل قبل أن تموت أمُّهما وهي تلد تيريون. الآن يتذكَّر چايمي شكلَ أمِّه بالكاد.

لعلَّ ستانيس باراثيون أسداه معروفًا هو وآل ستارك بنشرهم حكاية زنى المحارم في أرجاء (الممالك السَّبع)، فالآن لم يَعُد هناك ما يجب إخفاؤه. لِمَ لا أتزوَّج سرسي على الملأ وأشاركها الفراش كلَّ ليلة؟ لطالما تزوَّج التَّنانين أخواتهم. طيلة مئاتٍ من الأعوام غَضَّ السِّپتونات واللوردات والعامَّة الطَّرف عن آل تارجاريَن، فليفعلوا المِثل إذن مع آل لانستر. سوف يُطيح هذا بحَقِّ چوفري في التَّاج بالطَّبع، لكن في النِّهاية السُّيوف هي ما ربحَ العرش الحديدي لروبرت، والسُّيوف هي ما سيُبقي چوفري عليه أيضًا بغَضِّ النَّظر عن كونه من صُلب مَن. مِن الممكن أن نُزَوِّجه مارسلا بَعدما نُعيد سانزا ستارك إلى أمِّها. سيُري هذا أهل البلاد أن آل لانستر فوق قوانينهم، كالآلهة وآل تارجاريَن.

كان قد قرَّر أنه سيُعيد سانزا حقًّا، وأختها الصَّغيرة أيضًا إذا كان العثور عليها ممكنًا، مع أنه لا يتصوَّر أن تصرُّفًا كهذا سيردُّ إليه شَرفه، وإن كانت فكرة أن يبرَّ بكلمته بينما يتوقَّع الجميع منه الخيانة تستهويه لأقصى حَد.

كانوا يمرُّون بحقل قمح موطوء وسور حجري واطئ، عندما سمعَ چايمي صوتًا وتريًّا من ورائهم، كأن دستةً من الطُّيور حلَّقت في آنٍ واحد، فصاحَ ملقيًا نفسه على عُنق حصانه: «انخفضا!». صرخَ الحصان المخصي وتراجعَ رافعًا قائمتيه الأماميَّتين إذ أصابَه سهم في كفله، وشقَّت سهام أخرى الهواء بصوتٍ كالفحيح، ورأى چايمي السير كليوس يُحاوِل الوثوب من فوق سَرجه ويتلوَّى وقد علقَت قدمه بالرِّكاب، واندفعَت فَرسه تعدو جارَّةً إياه وهو يزعق طالبًا النَّجدة ورأسه يرتطم بالأرض.

تحرَّكَ حصان چايمي بتثاقُلٍ وراحَ يَنفُخ وينخَر ألمًا، والتفتَ هو باحثًا عن بِريان. كانت لا تزال على متن حصانها وقد انغرسَ سهم في ظَهرها وثانٍ في ساقها، لكنها بدَت كأنها لا تحسُّ بهما البتَّة، ورآها تُجَرِّد سيفها وتدور في دائرةٍ بحثًا عن الرُّماة، فناداها وهو يُجاهِد لتوجيه حصانه نِصف الأعمى نحو القتال: «وراء السُّور!». اشتبكَ العِنان بقيود يديه اللَّعينة، وعادَ الهواء يمتلئ بالسِّهام، فصاحَ: «نحوهم!»، وهمزَ الحصان ليُريها كيف يكون الهجوم. بشكلٍ ما عثرَ الحصان العجوز المسكين على دفقةٍ من السُّرعة في نفسه، وخلالَ لحظاتٍ كان ينطلق عبر الحقلِ مثيرًا سُحبًا من قشر القمح في كلِّ مكان، ولم يملك چايمي وقتًا إلَّا ليُفكِّر: يُستحسَن أن تتبعني الفتاة قبل أن يُدرِكوا أن من يُهاجمهم أعزل مكبَّل بالأغلال، ثم إنه سمعَها تقترب بأقصى سُرعةٍ من ورائه، قبل أن تتجاوَزه وهي تُلوِّح بسيفها الطَّويل وتهتف: «(بهو المساء)! (تارث)! (تارث)!».

بضعة سهامٍ أخيرة مرقَت دون أن تُصيبهما، ثم تراجعَ الرُّماة هاربين كما يفعل الرُّماة غيرَ المحميِّين دائمًا حينما يُهاجِمهم الفُرسان. توقَّفت بِريان عند السُّور، ولمَّا بلغَها چايمي كان الآخَرون قد ذابوا في الغابة على بُعد عشرين ياردة، فقال لها: «هل فقدتِ الرَّغبة في القتال؟».

– «لقد فرُّوا».

– «وهو الوقت الأنسب لقتلهم».

أغمدَت سيفها سائلةً: «لماذا هاجَمت؟».

– «الرُّماة لا يعرفون الخوف ما داموا متوارين وراء الأسوار ويُطلِقون سهامهم من بعيد، لكنهم يفرُّون بمجرَّد أن تُهاجِميهم، لأنهم يعلمون ما سيَحدُث إذا بلغتِهم. إنكِ مصابة بسهمٍ في ظَهركِ وآخَر في ساقكِ. عليكِ أن تَترُكيني أتولَّى أمرهما».

– «أنت؟».

– «ومَن غيري؟ آخِر مرَّةٍ رأيتُ كليوس ابن عمَّتي كانت فَرسه تَحرُث الأرض برأسه، لكن أعتقدُ أن علينا العثور عليه، فهو لانستر بشكلٍ ما في النِّهاية».

وجدا السير كليوس ما زال عالقًا بركابه، وقد انغرسَ سهم في ذراعه

اليُمنى وثانٍ في صدره، لكن ما فتكَ به هو الأرض. كانت قمَّة رأسه داميةً طريَّة الملمس، وتحرَّكت قطع من العظم المهشَّم تحت الجِلد إذ ضغطَت عليها يد چايمي.

ركعَت بريان وأمسكَت يده، ثم قالت: «لا يزال دافئًا».

- «سيَبرُد عمَّا قريب. أريدُ فَرسه وثيابه، فقد سئمتُ من الأسمال والبراغيث».

بدَت الفتاة مصدومةً وهي تقول: «كان ابن عمَّتك!».

- «كان، لكن لا تخافي، فلديَّ مخزون كبير من أبناء العمومة. سآخذُ سيفه أيضًا. ستحتاجين إلى أحد يُقاسِمكِ نوبات الحراسة».

قامَت قائلةً: «يُمكنك أن تقف حراسةً بلا سلاح».

- «وأنا مقيَّد إلى شجرة؟ ربما، أو ربما يُمكنني أن أعقد صفقةً مع المجموعة التَّالية من الخارجين عن القانون وأدعهم يَشُقُّون عُنقكِ الثَّخين يا هذه».

- «لن أسلِّحك، واسمي...».

- «... بِريان، أعرفُ. سأقسمُ ألَّا أوذيكِ إذا كان هذا سيُهَدِّئ مخاوفكِ الطُّفوليَّة».

- «قَسمك بلا قيمة. لقد سبقَ أن أقسمت لإيرس».

- «إنكِ لم تشوي أحدًا في دِرعه من قبل على حَدِّ علمي، وكلانا يُريدني آمنًا سليمًا في (كينجز لاندنج)، أليس كذلك؟»، وأقعى إلى جوار كليوس وبدأ يحلُّ حزام سيفه.

- «ابتعد عنه، الآن، توقَّف عن هذا».

كان چايمي قد تعبَ تمامًا، تعبَ من شكوكها، تعبَ من إهاناتها، تعبَ من أسنانها المعوجَّة ووجهها المنمَّش العريض وشَعرها المتهدِّل الخفيف. هكذا تجاهلَ اعتراضها وأطبقَ على مقبض سيف ابن عمَّته الطَّويل بكلتا يديه وثبَّت الجثَّة بقدمه وسحبَ، وإذ انزلقَ السَّيف من الغِمد كان چايمي يدور على محوره بالفعل، وفي اللَّحظة التَّالية كان يهوي به مدوِّرًا إياه في قوس مميت، ليلتقي الفولاذُ الفولاذَ برنين عنيف أحسَّ به يرجُّ عظامه رَجًّا. بشكلٍ ما امتشقَت بِريان سيفها في الوقت المناسب، فضحكَ چايمي قائلًا: «رائع يا هذه».



- «أعطِني السَّيف يا قاتِل الملك».
- «أوه، سأفعلُ».

وثبَ واقفًا وانقضَّ عليها وقد دبَّت الحياة في السَّيف الطَّويل في يده، ووثبَت بريان إلى الوراء متفاديةً انقضاضته، لكنه واصلَها ضاغطًا بالهجوم، ولم تكد تصدُّ ضربةً حتى عاجلَها بالتَّالية، فتبادلَ السَّيفان قُبلةً وافترقا وعادا يتبادَلان قُبلةً أخرى، وفي عروقه فارَت دماء چايمي بالغناء. هذا ما خُلِقَ من أجله، ولا شيء يُشعِره بنبض الحياة أبدًا مِثل القتال بينما يترصَّد الموت كلَّ ضربة. وقد يستمرُّ السِّجال بيننا بعض الوقت بما أن معصميْ مقيَّدان معًا. أرغمَته السِّلسلة على القبض على السَّيف بيديه معًا، مع أن ثِقله وحيِّزه أقلُّ بالطَّبع من سيفٍ عظيم صُنِعَ ليُحمَل باليدين، لكن لا فرق حقًّا، فسيف ابن عمَّته طويل بما يكفي لكتابة نهاية هذه البريان التارثيَّة.

راحَ يُمطِرها بالفولاذ من أعلى وأسفل وبحركاتٍ دوَّارة، يُسَدِّد إليها ضرباته يمينًا ويسارًا وبحركاتٍ ارتجاعيَّة، بمنتهى العُنف حتى إن الشَّرر طَقَّ من النَّصلين كلما التقيا، يثب ويضرب، يميل ويضرب، يدور ويضرب، لا يكفُّ عن الهجوم، يضغط عليها طيلة الوقت، يخطو وينزلق، يضرب ويخطو، يخطو ويضرب، يهوي بالسَّيف ويقطع، أسرِع، أسرع، أسرع...

... إلى أن تراجعَ متقطِّع الأنفاس وأنزلَ رأس السَّيف إلى الأرض مانحًا إياها فُرصةً للرَّاحة لحظةً، وقال: «ليس سيِّئًا بالنِّسبة لفتاة».

أخذَت شهيقًا عميقًا طويلًا وهي تُراقِبه بحذر، وقالت: «لستُ أريدُ أن أوذيك يا قاتِل الملك».

- «كأنكِ تستطيعين»، ورفعَ السَّيف ودوَّره فوق رأسه وهو يُعاوِد الانقضاض عليها وسلاسله تُصَلصِل.

لا يدري چايمي كم من الوقت واصلَ الهجوم، ربما دقائق وربما ساعات، فالزَّمن ينام حين تصحو السُّيوف. ساقَها بعيدًا عن جثَّة ابن عمَّته، ساقَها عبر الطَّريق، ساقَها إلى داخل الغابة، وتعثَّرت هي في جذرٍ لم تره فحسبَ برهةً أن أمرها انتهى، لكنها سقطَت على رُكبةٍ واحدة بدلًا من التَّهاوي ولم تُبطِئ حركتها لحظةً، وارتفعَ سيفها يصدُّ ضربةً عُلويَّةً كان بإمكانها أن تَشُقَّها من

الكتف إلى أصل الفخذ، ثم إنها هوَت عليه بضربةٍ تلو الأخرى تلو الأخرى، تشقُّ طريقها إلى الوقوف ضربةً ضربةً.

واستمرَّت الرَّقصة. تَبِّتها إلى جذع شجرة بلُّوط، ثم سَبَّ إذ انسلَّت منه، وتبعَها إلى غدير ضحل مختنق بأوراق الشَّجر، ورَنَّ الفولاذ، وشدا الفولاذ، وصرخَ الفولاذ وكشطَ وتطايرَ منه الشَّرر، وبدأت المرأة تقبع كالخنازير كلما تلاقى النَّصلان، وعلى الرغمِ من ذلك لم يستطِع أن يَبلُغها بشكلٍ ما، كأن قفصًا حديديًّا يُحيط بها ويصدُّ كلَّ ضربةٍ يُوَجِّهها إليها.

قال محجمًا عن الهجوم ليلتقط أنفاسه لحظةً وهو يدور إلى يمينها: «لا بأس على الإطلاق».

- «بالنِّسبة لفتاة؟».

- «بالنِّسبة لمُرافِقٍ أخضر»، وأطلقَ ضحكةً لاهثةً خشنةً مردفًا: «هلمِّي يا حُلوتي هلمِّي، الموسيقى لا تزال تلعب. هل تسمحين لي بهذه الرَّقصة يا سيِّدتي؟».

أصدرَت صوتًا كالخوار وانقضَّت عليه ملوِّحةً بسيفها، وفجأةً باتَ چايمي هو من يُجاهِد ليحول دون الفولاذ وجلده. طالَت إحدى ضرباتها جبينه فسالَت الدِّماء على عينه اليُمنى، وقال لنفسه: فليأخذها (الآخَرون)، وليأخذوا (ريفرَن) أيضًا! لقد أصابَ الصَّدأ والعفن مهارته في تلك الزِّنزانة الملعونة، كما أن قيوده ليست بالعامل المساعد. أغلقَ عينه وأحسَّ بالخدر يسري في كتفيه من فرط الضَّربات التي صدَّها ووجَّهها، وآلمَه معصماه من ثِقل السِّلسلة والأصفاد والسَّيف الذي شعرَ بوزنه يزداد مع كلِّ ضربة، وأدركَ چايمي أنه لم يَعُد يُلَوِّح به بالسُّرعة نفسها ولا يرفعه بالعُلُوِّ نفسه كما كان قبل قليل.

إنها أقوى مني.

جعلَ الإدراك رعدةً باردةً تسري في أوصاله. روبرت كان أقوى منه بالتَّأكيد، والثَّور الأبيض چيرولد هايتاور وهو في أوج عُنفوانه، والسير آرثر داين، وبين الأحياء چون أومبر الكبير أقوى منه أيضًا، وغالبًا العُفر القوي[1]

---

(1) العُفر نوع من الخنازير البرِّيَّة الضَّارية. (المترجم).

ابن كراكهول، وبالتَّأكيد كلا الأخوين كليجاين، خصوصًا الجبل الذي يتمتَّع بقوَّةٍ غير إنسانيَّة، إلَّا أن القوَّة لا تهمُّ حقًّا، فبالسُّرعة والمهارة يُمكنه أن يتغلَّب عليهم جميعًا.

لكن هذه امرأة، امرأة ضخمة كالأبقار، نعم، ومع ذلك... المفترَض أن يُصيبها هي التَّعب.

وبدلًا من هذا أجبرَته على التَّراجُع إلى الغدير ثانيةً وهي تصيح: «استسلِم! ألقِ سيفك!».

زَلَّ چايمي على حجر زَلِق، ولمَّا أحسَّ بنفسه يَسقُط حوَّل العثرة لصالحه وانقضَّ موجِّهًا الطَّعنة، وانغرسَ رأس سيفه في أعلى فخذها رغم مراوَغتها. أينعَت زهرة حمراء، ونالَ چايمي لحظةً واحدةً تلذَّذ فيها بمنظر دمها قبل أن ترتطم رُكبته بصخرةٍ ويتفجَّر فيها الألم العاتي، ومن فورها خاضَت بريان في الماء وركلَت سيفه بعيدًا صارخةً: «استسلِم!».

ضربَها بكتفه في ساقيها مُسقِطًا إياها فوقه، وتدحرَجا متبادلَيْن اللَّكمات والرَّكلات إلى أن وجدَها راكبةً عليه منفرجة السَّاقين. نجحَ في انتزاع خنجرها من غِمده، لكن قبل أن يُولِجه في بطنها أمسكَت معصمه ولوَت يديه وهوَت بهما على صخرةٍ بكلِّ عُنف، حتى إنه ظَنَّ أنها خلعَت إحدى ذراعيه، وفردَت يدها الأخرى على وجهه مكرِّرةً: «استسلِم!»، ودفعَت رأسه تحت الماء وثبَّتته هناك، ثم رفعَته وعادَت تصيح: «استسلِم!». بصقَ چايمي الماءَ في وجهها، ودفعَت رأسه تحت الماء ثانيةً، وأخذَ يَركُل عبثًا وهو يُناضِل من أجل التقاط نفسٍ واحد، ومن جديدٍ رفعَت رأسه وكرَّرت: «استسلِم وإلَّا أغرقتك!».

زمجرَ: «وتحنثين بقَسمك؟ مِثلي؟».

تخلَّت عن رأسه وتركَته يَسقُط ناثرًا الماء.

وضجَّت الغابة بالضَّحكات الخشنة.

وثبَت بريان واقفةً. كانت مغطَّاةً بالوحل والدَّم أسفل الخاصرة وثيابها في فوضى ووجهها أحمر. تبدو كأنهم ضبطونا نتضاجَع لا نتقاتَل. زحفَ چايمي على الصُّخور إلى بُقعةٍ ضحلة ومسحَ الدَّم عن عينه بيديه المقيَّدتين معًا، وأبصرَ رجالًا مسلَّحين منتشرين على جانبَيْ الغدير، فقال لنفسه: لا

عجب. لقد أحدَثنا جلبةً توقظ تنيِّنًا، ثم إنه رفعَ صوته قائلًا لهم: «أهلًا بكم أيها الأصدقاء. اعذُروني إذا أزعجتكم. كنتُ أؤدِّبُ زوجتي».

- «بدا لي أنها هي التي كانت تُؤَدِّبك!». الرَّجل الذي تكلَّم كان قويًّا مكتنزًا، ولم يُخفِ واقي الأنف في خوذته القصيرة حقيقة أنه بلا أنف.

أدركَ چايمي فجأةً أن هؤلاء ليسوا المجرمين الذين قتلوا السير كليوس، ومن يُحيطون بهما الآن كُناسة الكُناسة؛ دورنيُّون داكنو البشرة ولايسيثيُّون شُقر، ودوثراكي بأجراسٍ في ضفائرهم، وإيبنيزيُّون مُشعِرون، وعدد من أبناء (جُزر الصَّيف) ذوي البَشرة السَّوداء كالفحم والمعاطف الرِّيش. إنه يعرف هؤلاء. رِفقة الشُّجعان.

عثرَت بريان على صوتها، فقالت: «معي مئة أيل فضِّي...».

قال رجلٌ مهزول أقرب إلى جثَّةٍ في معطفٍ جِلدي بالٍ: «سنأخذها كبدايةٍ يا سيِّدتي».

وأضافَ الذي بلا أنف: «ثم سنأخذ كسَّكِ، فلا يُمكن أن يكون أقبح من وجهكِ».

قال حامِل حربةٍ دورني يلفُّ وشاحًا حريريًّا أحمر حول خوذته: «اقلبها واغتصب دُبرها يا رورچ. هكذا لن تضطرَّ إلى النَّظر إليها».

رَدَّ عديم الأنف: «وأحرمها من متعة النَّظر إليَّ؟»، فضحكَ الآخَرون.

على الرغم من قُبحها وعنادها تستحقُّ الفتاة أفضل من الاغتصاب الجماعي من قِبل هؤلاء الحثالة، فرفعَ چايمي صوته متسائلًا: «لمن القيادة هنا؟».

كان الأحمر يُحيط بعينَيْ الجثَّة، وشَعره خفيف جاف، والعروق الزَّرقاء الدَّاكنة تلوح من تحت جِلد يديه ووجهه الممتقع، وهو من أجابَ: «لي هذا الشَّرف يا سير چايمي. اسمي أورزويك، ويُلَقِّبونني بأورزويك الوفي».

- «تعرف مَن أكون؟».

مالَ المرتزق برأسه قائلًا: «خداع رِفقة الشُّجعان يتطلَّب أكثر من لحيةٍ ورأسٍ محلوق».

تعَني الممثِّلين السَّفَّاحين. لا يستسيغ چايمي أمثال هؤلاء أكثر من جريجور كليجاين أو آموري لورك. إنهم كلاب كما يُسَمِّيهم أبوه، ويستخدمهم كالكلاب

لمطارَدة فرائسه وبَثِّ الرُّعب في قلوبها. «إذا كنت تعرفني يا أورزويك، فأنت تعرف أيضًا أنك ستنال مكافأتك. اللانستر يُسَدِّد ديونه دائمًا. وبالنِّسبة للفتاة، فهي كريمة المحتد، وتستحقُّ فديةً كبيرةً».

عادَ الآخَر يميل برأسه، وقال: «حقًّا؟ إنني محظوظ إذن».

في ابتسامة أورزويك كان شيء من الخبث لم يَرُق چايمي، لكنه قال: «كما سمعتني. أين الكبش؟».

- «على بُعد ساعاتٍ قليلة. سيُسَرُّ لرؤيتك لا شَك، لكني لا أنصحك بأن تدعوه بالكبش في وجهه، فاللورد ڤارجو يغضب سريعًا لكرامته».

ومنذ متى ولهذا البربري المريِّل كرامة؟ «سأعملُ على تذكُّر هذا عندما أقابله. لكن لورد على ماذا؟».

- «(هارنهال). لقد وُعِدَ إياها».

فكَّر چايمي: (هارنهال)؟ هل فقدَ أبي عقله؟ ورفعَ يديه قائلًا: «فليضرب أحدكم هذه السِّلسلة».

ورَدَّ أورزويك بضحكةٍ في غاية الجفاف.

شيء ما خطأ تمامًا هنا. لم يُبدِ چايمي ما يعتمل في نفسه من توجُّس، وجعلَ نفسه يبتسم وهو يقول: «هل قلتُ ما يُضحِك؟».

رَدَّ عديم الأنف بابتسامةٍ عريضة: «أنت أطرف شيء رأيته منذ قضمَ العضَّاض حلمتَيْ تلك السِّيتة».

قال الدورني: «أنت وأبوك خسرتما معارك كثيرة، فاضطررنا لاستبدال فروة الذِّئب بلبدة الأسد».

وبسطَ أورزويك يديه قائلًا: «ما يعنيه تيميون أن رفقة الشُّجعان لم تَعُد أجيرة عائلة لانستر. إننا الآن نخدم اللورد بولتون والملك في الشَّمال».

أعطاه چايمي ابتسامة احتقار باردة، وقال: «ويقولون إن شَرفي أنا خراء؟».

لم يرضَ أورزويك عن التَّعليق، وبإشارةٍ منه قبضَ اثنان من الممثِّلين على ذراعَيْ چايمي، وهوى رورج بقبضته المقفَّزة بالمعدن على بطنه، وإذ انثنى على نفسه متأوِّهًا سمعَ الفتاة تقول: «توقَّفوا! لا تُؤذوه! الليدي كاتلين أرسلَتنا، تبادُل للأسرى، إنه تحت حمايتي...»، لكن رورج لكمَه مرَّةً أخرى مفرِّغًا رئتيه من الهواء. حاولَت بِريان أن تغوص إلى سيفها تحت مياه الغدير،

لكن الممثِّلين انقضُّوا عليها قبل أن تَبلُغه يدها، وبقوَّتها هذه تطلَّب الأمر أن يضربها أربعة منهم حتى أجبَروها على الخضوع.

في النِّهاية صارَ وجه الفتاة متورِّمًا داميًا كوجه چايمي وفقدَت اثنين من أسنانها، وهو ما لم يُساهِم في تحسين شكلها. جُرَّ الأسيران وهما يتعثَّران وينزفان عبر الغابة إلى الخيول، وبريان تَعرُج من الجرح الذي أصابها به في فخذها. أحسَّ چايمي بالأسف من أجلها، فلا شَكَّ لديه في أنها ستفقد بكورتها اللَّيلة. هذا الوغد عديم الأنف سيغتصبها بكلِّ تأكيد، وربما يأخذ بعض الآخَرين دورهم أيضًا.

قيَّدهما الدورني ظَهرًا إلى ظَهر على متن حصان بريان، بينما جرَّد الممثِّلون كليوس فراي من ملابسه حتى الجِلد واقتسَموا أغراضه، وظفرَ رورچ بالسُّترة الملطَّخة بالدِّماء التي رُسِمَت عليها مربَّعات تضمُّ رمزَيْ لانستر وفراي الفخوريْن، وقد اخترقَ السَّهمان الأسد والبُرجين على حَدٍّ سواء.

همسَ چايمي لبريان: «آملُ أنكِ راضية يا هذه»، وسعلَ وبصقَ لُعابًا داميًا قبل أن يُضيف: «لو كنتِ قد سلَّحتِني لما قبضوا علينا أبدًا»، ولمَّا لم تَجبه فكَّر: يا لها من لعينة عنيدة كالخنازير... لكنها شُجاعة، أجل. هذا شيء لا يستطيع أن يسلبها إياه. قال لها: «عندما نُخَيِّم اللَّيلة ستُغتصَبين، وأكثر من مرَّة. خيرٌ لكِ ألَّا تُقاومي. ستخسرين أكثر من بضع أسنان إذا قاتَلتِهم».

أحسَّ بظَهرها يتصلَّب على ظَهره، وسألَته: «أهذا ما كنت لتفعله لو أنك امرأة؟».

لو أني امرأة لكنتُ سرسي. «لو أني امرأة لجعلتهم يَقتُلوني، لكني لستُ كذلك»، وهمزَ الحصان ليدفعه إلى الخبب، ونادى: «أورزويك! أريدُ كلمةً!».

شَدَّ المرتزق الضَّاوي ذو المعطف الجِلدي البالي عنان حصانه لحظةً، ثم جاورَه قائلًا: «ماذا تُريد مني أيها الفارس؟ واحفظ لسانك وإلَّا عنَّفتك ثانيةً».

قال چايمي: «الذَّهب. هل تحبُّ الذَّهب؟».

أمعنَ أورزويك النَّظر إليه بعينين محمرَّتين، وقال: «أعترفُ بأن له مزاياه».

منحَه چايمي ابتسامةً عليمةً قائلًا: «كلُّ ما في (كاسترلي روك) من ذهب. لماذا تَترُك الكبش يستمتع به؟ لِمَ لا تأخذنا إلى (كينجز لاندنج) وتقبض

فديتي بنفسك؟ وفديتها أيضًا إذا أردت. ذات مرَّةٍ أخبرَتني فتاة بأن (تارث) هي جزيرة الصَّفِّير». صدرَت من الفتاة حركة حادَّة لقوله هذا، لكنها لم تُعلِّق.

- «أتحسبني انتهازيًّا؟».

- «بكلِّ تأكيد. وماذا تكون غير هذا؟».

تأمَّل أورزويك عرضه وهلةً قصيرةً، ثم قال: «(كينجز لاندنج) بعيدة، وأبوك هناك. قد يكون اللورد تايوين مستاءً منا لبيع (هارنهال) للورد بولتون».

إنه أذكى مما يبدو. كان چايمي يتطلَّع إلى شنْق هذا الحقير بينما تكتظُّ جيوبه بالذَّهب. «دَع لي التَّعامُل مع أبي. سأحصلُ لك على عفوٍ ملكي في أيِّ جرائم ارتكبتها، سأحصلُ لك على فُروسيَّة».

قال الرَّجل لائكًا الكلمة: «السير أورزويك»، ثم أردفَ: «كم كانت زوجتي العزيزة لتفخر بسماع هذا، لولا أني قتلتها»، وتنهَّد وسألَ: «وماذا عن اللورد ڤارجو الشُّجاع؟».

- «هل أغنِّي لك بيتًا من (أمطار كاستامير)؟ الكبش لن يظلَّ بهذه الشَّجاعة عندما يقبض عليه أبي».

- «وكيف سيفعل ذلك؟ هل ذراعا أبيك بالطُّول الكافي لبلوغنا من فوق أسوار (هارنهال) وانتزاعنا من هناك؟».

- «إذا دعَت الحاجة». حماقة الملك هارن الحجريَّة العملاقة سقطَت من قبل ويُمكن أن تَسقُط مجدَّدًا. «أأنت حقًّا بالسَّذاجة التي تجعلك تتصوَّر أن الكبش يُمكنه أن يهزم الأسد؟».

مالَ أورزويك، وبمنتهى التَّراخي صفعَه على وجهه.

ما حملَته الصَّفعة من صفاقةٍ فاترة كان أسوأ من الصَّفعة نفسها، وقال چايمي في قرارة نفسه وقشعريرة الإدراك تسري في جسده: إنه لا يخافني.

قال أورزويك: «سمعتُ ما يكفي يا قاتِل الملك. سأكونُ أحمق كبيرًا إذا صدَّقتُ كلمة ناقض للعهد مِثلك»، وركلَ حصانه وهرولَ مبتعدًا ليُثبت فطنته.

فكَّر چايمي بضيق: إيرس، دائمًا ينقلب الكلام إلى إيرس. تمايلَ مع حركة الحصان وهو يتمنَّى لو أن في يده سيفًا. وسيفان أفضل من سيف، واحد للفتاة وواحد لي. سنموت، لكننا سنأخذ نصفهم معنا إلى الجحيم.

همسَت بريان عندما ابتعدَ أورزويك: «لماذا قلت له إن (تارث) جزيرة الصَّفِّير؟ سيظَنُّ أن أبي يملك ثروةً من الأحجار الكريمة...».

- «خيرٌ لكِ أن تتمنَّي أن يفعل».

- «أكلُّ كلمةٍ تَخرُج منك كذب يا قاتِل الملك؟ (تارث) تُسَمَّى جزيرة الصَّفِّير لزُرقة مياهها».

- «ارفعي صوتكِ قليلًا يا هذه، فلا أظنُّ أن أورزويك سمعكِ. بمجرَّد أن يعرف أنكِ لا تستحقِّين فديةً كبيرةً ستبدأ حفلة الاغتصاب. كلُّ رجلٍ هنا سيمتطيكِ، لكن لماذا تُبالين؟ أغلِقي عينيكِ وافتحي ساقيكِ وتظاهَري بأنهم كلهم اللورد رنلي».

لحُسن الحَظِّ أخرسَتها كلماته بعض الوقت.

كان النَّهار في أواخره عندما وجدوا ڤارجو هوت ينهب سِپتًا صغيرًا مع دستةٍ من رِفقة الشُّجعان. حُطِّمَت النَّوافذ الملوَّنة وجُرَّت الآلهة الخشبيَّة المنحوتة إلى نور الشَّمس الرَّاحلة، وقد جلسَ أسمن دوثراكي رآه چايمي على الإطلاق على صدر (الأم) منتزعًا عينيها المصنوعتين من العقيق الأبيض بطرف سكِّينه، وعلى مقربةٍ منه عُلِّقَ سِپتون أصلع من قدميه من شجرة كستناء ممتدَّة الفروع، يستخدم ثلاثة من المرتزقة جثَّته كهدفٍ للرِّماية، ولا بُدَّ أن أحدهم بارع حقًّا، بما أن هناك سهمين مغروسين في عينَيْ الرَّجل.

عندما لمحَ المرتزقة أورزويك والأسيرَيْن سرَت بينهم صيحة بِنصف دستةٍ من اللُّغات. كان الكبش جالسًا إلى جوار بؤرة نار، يلتهم طائرًا شِبه مطهو من على سيخ، والدُّهن والدَّم يسيلان على أصابعه إلى لحيته الطَّويلة الخشنة. مسحَ يديه على صُدرته ونهضَ قائلًا ولُعابه يسيل: «قاتِل الملك، أنت أثيري».

رفعَت الفتاة صوتها وخاطبَته: «سيِّدي، أنا بريان التارثيَّة. الليدي كاتلين ستارك أمرَتني بإيصال السير چايمي إلى أخيه في (كينجز لاندنج)».

رمقَها الكبش بلا مبالاة، وقال: «أخرِثوها».

ناشدَته بريان بينما قطعَ رورج الحبالَ التي تُقَيِّدها إلى چايمي: «اسمعني، باسم الملك في الشَّمال، الملك الذي تخدمه، أرجوك، اسمعني...».

جَرَّها رورچ من فوق الحصان وراحَ يَركُلها، فقال له أورزويك: «لا تكسر عظامها. المومس ذات وجه الحصان تُساوي وزنها صفِّيرًا».

سحبَ الدورني تيميون وإيبنيزي كريه الرَّائحة چايمي من فوق السَّرج ودفعاه بخشونةٍ نحو النَّار. لم يكن ليَصعُب عليه أن يختطف سيف أحدهم من غِمده، لكن عددهم كثير للغاية، وهو لا يزال في أغلاله. قد يُسقط واحدًا أو اثنين، لكنه سيموت في النِّهاية، وچايمي ليس مستعدًّا للموت بعدُ، وبالتَّأكيد ليس في سبيل أمثال بِريان التارثيَّة.

قال ڤارجو هوت: «يا له من يوم جميل». حول عُنقه كانت سلسلة حلقاتها من العُملات المختلفة، عُملات من كل شكلٍ وحجم، مصبوبة ومطرَّقة، عليها ملوك وسحرة وآلهة وشياطين وحيوانات أسطوريَّة من مختلِف الأنواع.

فكَّر چايمي متذكِّرًا: عُملات من كلِّ بلدٍ قاتلَ فيه. مفتاح هذا الرَّجل الجشَع. إذا انقلبَ مرَّةً فيُمكن أن ينقلب أخرى. «لورد ڤارجو، تركك خدمة أبي كان حماقةً، لكن أوان التَّراجُع لم يَفُت. سيدفع ثمنًا كبيرًا مقابلي وأنت تعلم هذا».

قال ڤارجو هوت: «أوه، ثحيح، ثيُعطيني نِثف الذَّهب في (كاثترلي روك)، لكن عليَّ أن أوجِّه له رثالةً أولًا»، وقال شيئًا ما بلُغته الكبشيَّة اللَّزجة.

دفعَ أورزويك ظَهره، وركلَ مهرِّج يرتدي الأخضر والوردي ساقيه من تحته، وحين اصطدمَ بالأرض أمسكَ رام بالسِّلسلة التي تربط يدَيه معًا واستخدمَها ليمدُّهما أمامه، ووضعَ الدوثراكي البدين سكِّينه جانبًا ليستلَّ أراخًا مقوَّسًا ضخمًا، ذلك السِّلاح شديد الحدَّة هجين السَّيف والمنجل الذي يحبُّه سادة الخيول.

يُريدون إرهابي. قفزَ المهرِّج على ظَهر چايمي، وتقدَّم الدوثراكي منه متبخترًا. الكبش يُريدني أن أبول في سراويلي وأتوسَّل الرَّحمة، لكني لن أمنحه هذه المتعة أبدًا. إنه ابن آل لانستر أولاد (كاسترلي روك)، حضرة قائد الحَرس الملكي، ولا مرتزق في الدُّنيا سيجعله يَصرُخ.

تموَّج نور الشَّمس بلونَ الفضَّة على حافة الأراخ وهو يهوي بسُرعةٍ يكاد من فرطها لا يُرى.

وصرخَ چايمي.



آريا

كان الحصن المربَّع الصَّغير أقرب إلى أطلال، والفارس العظيم الهَرِم الذي يعيش هناك أقرب إلى جثَّة، طاعنًا في السِّنِّ لدرجةٍ أنه لم يفهم أسئلتهم، ومهما قالوا له يبتسم ويُهَمهِم: «دافعتُ عن الجسر ضد السير ماينارد. كان أحمر الشَّعر وأسود المزاج، لكنه لم يستطِع أن يُزَحزِحني. أصابَني بستَّة جروح قبل أن أقتله، ستَّة!».

من حُسن الحَظِّ أن المِايستر الذي يعتني به شاب، وبَعد أن غابَ الفارس الشَّيخ في النَّوم في كرسيِّه انتحى بهم جانبًا، وقال: «أخشى أنكم تبحثون عن شبح. لقد جاءَنا طائر منذ فترةٍ طويلة للغاية، نِصف عام على الأقل، يقول إن رجال لانستر قبضوا على اللورد بريك قُرب (عين الآلهة) وشنَقوه».

- «شنَقوه، نعم، لكن ثوروس قطعَ الحبل قبل أن يموت. حضرة اللورد رجل يَصعُب قتله حقًّا». لم يَعُد أنف ليم المكسور محمرًّا أو متورِّمًا كما كان، لكنه بدأ يلتئم بشكلٍ مائل، جاعلًا وجهه يبدو معوجًّا.

قال المِايستر: «ورجل يَصعُب العثور عليه على ما يبدو. هل سألتم سيِّدة الأوراق؟».

رَدَّ ذو اللِّحية الخضراء: «سنفعل».

في الصَّباح التَّالي، بينما يَعبُرون الجسر الحجري الصَّغير وراء الحصن، تساءلَ جندري إن كان هذا هو الجسر الذي قاتلَ عليه الرَّجل المُسِن، لكن أحدًا لم يعلم، وقال چاك المحظوظ: «غالبًا هو، فلا أرى جسورًا أخرى».

قال توم سبعة أوتار: «كنا لنعرف على وجه اليقين لو أن هناك أغنيَّة، أغنيَّة واحدة جيِّدة كفيلة بإخبارنا مَن كان السير ماينارد ولماذا أرادَ أن يَعبُر الجسر

بأيِّ ثَمن. كان لايتشستر العجوز المسكين ليتحلَّى بشُهرة الفارس التنِّين لو أنه تمتَّع بالذَّكاء واحتفظ بمغنٍّ».

دمدمَ ليم: «أبناء اللورد لايتشستر ماتوا في ثورة روبرت، بعضهم على جانب وبعضهم على الآخَر، ومنذ ذلك الحين وعقله ليس على ما يُرام، ولا أغنيَّةً سخيفة يُمكنها أن تُعالِج هذا».

سألَت آريا آنجاي وهُم راكبون: «ماذا قصدَ المِايستر بسؤال سيِّدة الأوراق؟».

ابتسمَ القوَّاس وأجابَها: «انتظري وسترين».

بَعد ثلاثة أيام، في أثناء عبورهم غابةً صفراء، التقطَ چاك المحظوظ بوقه المعلَّق في حزامه وأطلقَ إشارةً مختلفةً عن السَّابقة، ولم يكن الصَّوت قد خفتَ بعدُ عندما أُسدِلَت سلالم من الحبال من فوق فروع الأشجار، وقال توم منغِّمًا كلماته: «نربط الخيول وبَعدها إلى أعلى». ثم إنهم تسلَّقوا إلى قريةٍ متوارية وسط الفروع العلويَّة، متاهة من الممرَّات المصنوعة من الحبال والبيوت المغطَّاة بالطَّحالب، التي تُخفيها حوائط من ورق الشَّجر الأحمر والذَّهبي. أُخِذوا إلى سيِّدة الأوراق، وهي امرأة بيضاء الشَّعرِ نحيلة كالعصا ترتدي الخيشِ قالت لهم: «لا يُمكننا البقاء هنا طويلًا وقد حَلَّ الخريف. ثمَّة دستة من الذِّئاب قطعَت طريق (هايفورد) قبل تسعة أيام. كانوا يُطارِدون أحدًا، ولو رفعَ أحدهم رأسه لرآنا».

سألَها توم سبعة أوتار: «ألم تروا اللورد بريك؟».

بدا الاضطراب على المرأة وهي تُجيب: «لقد ماتَ. الجبل لحقَ به وأغمدَ خنجرًا في عينه. أحد الإخوة الشَّحَّاذين أخبرَنا بَعد أن سمعَ الحكاية من شاهد عيان».

قال ليم: «حكاية قديمة وخاطئة. سيِّد البرق لا يُقتَل بهذه السُّهولة. نعم، فقأَ الجبل عينه، لكن شيئًا كهذا لا يَقتُل أحدًا. سَلي چاك».

قال چاك المحظوظ الأعور: «أنا لم أمُت. أبي شنقَه وكيل اللورد پايپر، وأخي وات أُرسِلَ إلى (الجِدار)، وإخوتي الآخَرون قتلَهم رجال لانستر. عين واحدة، هذا لا شيء».

تشبَّثَت المرأة بذراع ليم، وقالت: «هل تُقسِم أنه لم يَمُت؟ بورِكت يا

ليم. هذا أفضل خبرٍ سمعناه منذ نِصف عام. فليحمِه (المُحارِب)، والرَّاهب الأحمر أيضًا».

في اللَّيلة التَّالية أووا إلى هيكل سِبت لفحَته النِّيران في قريةٍ محترقة اسمها (ساليدانس). لم يتبقَّ من النَّوافذ إلَّا شظايا الزُّجاج المعشَّق، والسِّپتون العجوز الذي حيَّاهم وقال إن اللُّصوص لم يَترُكوا شيئًا إلَّا وسرقوه، بما في ذلك ثوب (الأُم) الثَّمين ومصباح (العجوز) المذهَّب وتاج (الأب) الفضِّي. «بل وقطعوا ثديَيْ (العذراء) كذلك مع أنهما من الخشب. والأعيُن، الأعيُن كانت من الكهرمان الأسود واللَّازَوَرْد وعِرق اللُّؤلؤ، وانتزعوها بسكاكينهم. فلترحمهم (الأُم) جميعًا».

سألَه ليم ذو المعطف اللَّيموني: «مَن فعلَ هذا؟ الممثِّلون؟».

أجابَ العجوز: «لا، كانوا شماليِّين، هَمجيِّين يَعبُدون الأشجار. قالوا إنهم يُريدون قاتِل الملك».

سمعَته آريا ومضغَت شفتها وقد أحسَّت بنظرات جندري إليها، وماجَت نفسها بالحنق والخزي.

كان دستة من الرِّجال يَقطُنون في القبو أسفل السِّپت، وسط شباك العناكب والجذور وبراميل النَّبيذ المكسورة، لكن هُم أيضًا لم يعرفوا شيئًا يدلُّ على مكان بريك دونداريون، ولا حتى قائدهم الذي ارتدى دِرعًا ملوَّثةً بالسِّناج ورسمَ صاعقةً بدائيَّةً على معطفه. عندما رأى ذو اللِّحية الخضراء آريا تُحدِّق إلى الرَّجل، ضحكَ وقال: «سيِّد البرق في كلِّ مكان وليس في أيِّ مكان أيتها السِّنجاب النَّحيل».

قالت: «لستُ سنجابًا. إنني أقتربُ من سِنِّ النِّساء، وقريبًا سأبلغُ الحادية عشرة».

– «احترسي لئلَّا أتزوَّجكِ إذن!»، وحاولَ أن يُدَغدِها تحت ذقنها، لكنها صفعَته على يده السَّخيفة.

لعبَ ليم وجندري البلاطات مع مضيفيهم تلك اللَّيلة، بينما ردَّد توم سبعة أوتار أغنيَّةً ساذجةً عن بن ذي البطن الكبير وإوزَّة السِّپتون الأعلى، وتركَ آنجاي آريا تُجَرِّب قوسه الطَّويل، لكنها فشلَت في سحب السَّهم على الوتر مهما حاولَت وهي تَعَضُّ شفتها بقوَّة، فقال لها القوَّاس ذو الوجه المنمَّش:

«تحتاجين إلى قوس أخف يا سيِّدتي. إذا كان لديهم خشب معالَج في (ريڤرَن) فسأصنعُ لَكِ واحدًا».

سمعَه توم، فبترَ أغنيَّته قائلًا: «إنك أبله صغير أيها القوَّاس. إذا ذهبنا إلى (ريڤرَن) سنقبض فديتها لا أكثر، ولن يكون هناك وقت للتَّلكُّؤ وصُنع الأقواس. كُن ممتنًّا إذا خرجت من هناك سليمًا، فاللورد هوستر يَشنُق الخارجين عن القانون من قبل أن تتعلَّم الحلاقة، وابنه هذا... الرَّجل الذي يكره الموسيقى ليس أهلًا للثِّقة كما أقولُ دائمًا».

قال ليم: «إنه لا يكره الموسيقى، وإنما يكرهك أنت يا أحمق».

- «دون سبب. الفتاة كانت مستعدَّةً لأن تجعل منه رجلًا، فهل غلطتي أنه شربَ لدرجةٍ أعجزَته عن إتمام المهمَّة؟».

أطلقَ ليم نخيرًا من أنفه المكسور، وقال: «ألم يكن أنت الذي ألَّف أغنيَّةً عن هذا أم مغفَّل آخَر يعشق صوت نفسه؟».

رَدَّ توم بتبرُّم: «غنَّيتها مرَّةً واحدةً فقط، ومن يُمكنه أن يُثبِت أنها كانت عنه أصلًا؟ إنها عن سمكة».

قال آنجاي ضاحكًا: «سمكة رخوة!».

لم تُبالِ آريا بما تحكي عنه أغاني توم السَّخيفة، والتفتَت إلى توم متسائلةً: «ماذا يقصد بالفدية؟».

- «إننا في حاجةٍ ماسَّة إلى الخيول يا سيِّدتي، والدُّروع والسُّيوف والتُّروس والحِراب أيضًا، وكلها أشياء تُكلِّف مالًا، نعم، ونحتاج إلى بذورٍ نزرعها. الشِّتاء قادم، أليس كذلك؟»، ومَسَّها تحت ذقنها مضيفًا: «لن تكوني أول سبيَّةٍ نبيلة نقبض فديتها، ولا الأخيرة كما آملُ».

تعلم آريا أن هذا صحيح. الفُرسان يُؤسَرون وتُدفَع فديتهم طول الوقت، والنِّساء كذلك أحيانًا. لكن ماذا لو رفضَ روب أن يدفع الثَّمن الذي يَطلُبونه؟ إنها ليست فارسًا شهيرًا، والمفترَض أن يُؤثِر الملوك البلاد على أخواتهم. وماذا ستقول السيِّدة والدتها؟ هل ستظلُّ راغبةً في استردادها بَعد كلِّ ما فعلَته؟ مضغَت آريا شفتها وطفقَت تتساءَل.

في اليوم التَّالي ركبوا إلى مكانٍ يُسَمَّى (القلب العالي)، تل شاهق لدرجةٍ جعلَت آريا تَشعُر كأنها ترى نِصفَ العالم من على قمَّته، التي طوَّقت حافتها

حلقة من الجذوع الشَّاحبة المبتورة، ما تبقَّى مما كان دائرة أشجار ويروود مهيبة ذات يوم. دارَت مع جندري حول قمَّة التَّل لتَعُدَّها، فأحصَت واحدًا وثلاثين جذعًا، بعضها عريض جدًّا حتى إنها يُمكنها أن تنام عليه.

أخبرَها توم سبعة أوتار أن (القلب العالي) كان مقدَّسًا عند أطفال الغابة، وما زال القليل من سِحرهم موجودًا في المكان. قال المغنِّي: «لا سوء يمسُّ مَن ينامون هنا»، وخطرَ لآريا أن هذا صحيح لا بُدَّ، فالتَّل مرتفع للغاية، والأراضي المحيطة به مسطَّحة تمامًا، فلا يُمكن أن يقترب عدوٌّ ما دون أن يُرى.

قال لها توم أيضًا إن سُكَّان هذه الأنحاء يتجنَّبون المكان، الذي يُقال إنه مسكون بأشباح أطفال الغابة الذين ماتوا هنا عندما دمَّر الملك الأندالي المسمَّى إريج قاتِل الأقربين بُستانهم. تعرف آريا أشياء عن أطفال الغابة والأنداليِّين، لكن الأشباح لا تُخيفها، وقد اعتادَت أن تختبئ في سراديب (وينترفل) في صِغرها وتلعب (تعالَ إلى قلعتي) و(وحوش وعذارى) وسط الملوك الحجريِّين على عروشهم.

وعلى الرغم من هذا أحسَّت بالشَّعر على مؤخِّرة عُنقها ينتصب ليلتها. كانت نائمةً لكن العاصفة أيقظَتها، وسحبَت الرِّيح الغطاء من عليها وألقَت به وسط الشُّجيرات، ولمَّا ذهبَت تستعيده تناهَت الأصوات إلى مسامعها.

إلى جوار جذوات نار المخيَّم رأت توم وليم وذا اللِّحية الخضراء يتكلَّمون مع امرأةٍ ضئيلة الحجم، أقصر من آريا بقدم كامل وفي أرذل العُمر، حتى إنها أكبر من العجوز نان نفسها، ظَهرها منحنٍ وجِلدها متغضِّن وتتَّكئ على عُكَّازٍ خشبي أسود كثير العُقد. انسدلَ شَعرها الأبيض الطَّويل حتى كاد يَبلُغ الأرض، وحين هبَّت الرِّيح طيَّرته فوق رأسها في سحابةٍ ناعمة، أمَّا بشرتها فأكثر بياضًا، أقرب إلى لون الحليب، وخُيِّلَ لآريا أن عينيها حمراوان، وإن كان التَّمييز عصيًّا من مكانها وسط الشُّجيرات.

سمعَت المرأة تقول: «الآلهة القديمة تتحرَّك ولا تسمح لي بالنَّوم. حلمتُ بظِلٍّ ذي قلبٍ مشتعل يغتال وعلًا ذهبيًّا، نعم. حلمتُ برجل بلا وجه ينتظر على جسرٍ يتأرجَح ويتمايَل، على كتفه يجثم غُراب غارقٌ تتدلَّى طحالب البحر من جناحيه. حلمتُ بنهرٍ هادرٍ وامرأة سمكة تطفو ميتةً بدموعٍ حمراء

على وجنتيها، لكن حين انفتحَت عيناها، أوه، استيقظتُ رُعبًا. كلُّ هذا وأكثر حلمتُ به. أمعكم هدايا تدفعون بها ثمن أحلامي؟».

دمدمَ ليم ذو المعطف اللَّيموني: «الأحلام. ما فائدة الأحلام؟ نساء أسماك وغِربان غارقة. البارحة حلمتُ بأني أقبِّلُ خادمة الخان التي عرفتها ذات يوم، فهل ستدفعين لي ثمن هذا الحُلم أيتها العجوز؟».

هَسَّت المرأة: «الفتاة ماتَت، ولا يُقَبِّلها الآن إلَّا الدُّود»، ثم قالت لتوم: «أريدُ أغنيَّتي وإلَّا فارحلوا».

غنَّى توم لها أغنيَّةً شديدة النُّعومة والحزن لم تسمع منها آريا إلَّا كلمات متفرِّقة، وإن بدَا اللَّحن مألوفًا بعض الشَّيء. أراهنُ أن سانزا تعرفها. أختها تعرف الأغاني كلَّها، وتستطيع أن تعزف إلى حَدٍّ ما، كما أن صوتها بالغ العذوبة. وكلُّ ما كان باستطاعتي أن أجأر بالكلمات.

في الصَّباح التَّالي غابَت العجوز البيضاء الصَّغيرة عن الأنظار، وبينما يُجَهِّزون الخيول سألَت آريا توم إن كان أطفال الغابة ما زالوا يَسكُنون (القلب العالي)، فقهقهَ المغنِّي وقال: «هل رأيتِها؟».

- «أكانت شبحًا؟».

- «وهل تشكو الأشباح من آلام المفاصل؟ لا، إنها مجرَّد عجوز قزمة، مع أنها غريبة الأطوار وشرِّيرة النَّظرات، لكنها تعرف أشياء لا يُفترَض أن تعرفها، وأحيانًا تقولها لكِ إذا راقها شكلكِ».

سألَته آريا بشَك: «وهل يروقها شكلك؟».

ضحكَ المغنِّي وقال: «يروقها صوتي على الأقل، لكنها تجعلني أغنِّي الأغنيَّة اللَّعينة نفسها كلَّ مرَّة. إنها ليست أغنيَّةً سيِّئةً إطلاقًا، لكن لديَّ أخريات بالجودة ذاتها»، ثم هَزَّ رأسه وأردفَ: «المهمُّ الآن أننا التقطنا الأثر. أراهنُ أنكِ سترين ثوروس وسيِّد البرق قريبًا».

- «إذا كنتم رجالهما، فلِمَ يختبئون منكم؟».

وشَت نظرة توم سبعة أوتار باستسخافه السُّؤال، لكن هاروين أجابَها: «لا نعدُّ هذا اختباءً يا سيِّدتي، لكن صحيح أن اللورد بريك يتنقَّل كثيرًا، ونادرًا ما يكشف عن خُططه، فبهذه الطَّريقة لا يستطيع أحد أن يخونه. الآن هناك مئات مقسمون على الولاء له، وربما آلاف، لكن لن يَصلُح على الإطلاق أن نتبعه

جميعًا في الآن نفسه، وإلَّا أتينا على كلِّ ما في الرِّيف من طعام أو فتكَ بنا جيش أكبر في معركة. كوننا موزَّعين في مجموعاتٍ صغيرة يجعلنا قادرين على توجيه ضرباتنا إلى عشرة أماكن في وقتٍ واحد، ثم ننسحب إلى بُقعةٍ جديدة قبل أن يُدركونا، وعندما يُقبَض على أحدنا ويستجوبونه، فلن يُمكنه أن يُخبرهم بمكانِ اللورد بريك مهما فعلوا به»، وتردَّد لحظةً قبل أن يسأل: «هل تفهمين معنى الاستجواب؟».

أومأت برأسها إيجابًا، وقالت: «پوليڤر وراف والآخَرون كانوا يُسَمُّونه الدَّغدغة»، وروَت لهم ما حدثَ في القرية المطلَّة على (عين الآلهة) حيث قُبِضَ عليها مع جندري، والأسئلة التي اعتادَ المُدغدغ إلقاءها، فيبدأ دائمًا بـ«هل من ذهب مخبَّأ في القرية؟»، ثم تتوالى الأسئلة: «هل من فضَّة أو جواهر؟ هل هناك طعام؟ أين اللورد بريك دونداريون؟ مَن عاوَنه من أهل القرية؟ أين ذهبَ؟ كم رجلًا كانوا معه؟ كم فارسًا؟ كم قوَّاسًا؟ كم منهم امتطى الخيول؟ ما تسليحهم؟ كم منهم كان جريحًا؟ قلت أين ذهبَ؟». مجرَّد التَّفكير دفعَها إلى سماع الصُّراخ وشَمِّ رائحة الدَّم والغائط واللَّحم المحترق. قالت للخارجين عن القانون بكآبة: «كان يُلقي الأسئلة نفسها دومًا، ولكن يُغَيِّر وسيلة الدَّغدغة كلَّ يوم».

قال هاروين حين فرغَت: «لا يَجدُر بالأطفال أن يُعانوا هكذا. سمعنا أن الجبل خسرَ نِصف رجاله عند (الطَّاحونة الحجريَّة)، ولعلَّ ذلك المُدغدغ طافٍ في (الفرع الأحمر) الآن ويلتهم السَّمك وجهه، وإن لم يكن فهي جريمة أخرى سيدفعون ثمنها. سمعتُ حضرة اللورد يقول إن هذه الحرب اندلعَت عندما أرسلَه اليد لإنزال عدالة الملك بجريجور كليجاين، وهكذا ينوي أن تنتهي»، وربَّت على كتفها مُطَمْئِنًا، وأضافَ: «الأفضل أن تركبي يا سيِّدتي. أمامنا يوم طويل حتى نصل إلى (بهو البلُّوط)، لكن في نهايته سنجد سقفًا فوق رؤوسنا وعَشاءً ساخنًا في بطوننا».

كان يومًا طويلًا من الرُّكوب حقًّا، لكن بينما بسطَ الغسق أجنحته على العالم خاضوا في غدير صغير وخرجوا ليجدوا أمامهم (بهو البلُّوط) بأسوارها الحجريَّة وحصنها السَّنديَاني الكبير. كان سيِّد القلعة بعيدًا، يُحارِب ضمن حاشية سيِّده اللورد ڤانس، فأُغلِقَت البوَّابة وأوصِدَت في غيابه، لكن السيِّدة زوجته صديقة

قديمة لتوم سبعة أوتار، وقال آنجاي إنهما كانا متحابَّيْن. غالبًا يركب آنجاي إلى جوارها، فهو أقرب إليها في السِّنِّ منهم جميعًا باستثناء جندري، واعتادَ أن يحكي لها نوادر عن التُّخوم الدورنيَّة، إلَّا أنه لم يُفلح في خداعها إطلاقًا. إنه ليس صديقي، ولا يُبقيه على مقربةٍ مني إلَّا مراقبَتي والتَّأكُّد من ألَّا أهرب ثانيةً. حسن، آريا أيضًا يُمكنها أن تُراقِب. سيريو فورل علَّمها كيف.

رحَّبت الليدي سمولوود بالخارجين عن القانون بأريحيَّة، وإن وبَّختهم بحدَّة على جَرِّ فتاةٍ صغيرة معهم في قلب الحرب، وغضبَت أكثر حين انزلقَ لسان ليم وقال إنها من بنات الأعيان أيضًا، وقالت: «مَن ألبسَ المسكينة أسمال بولتون هذه؟ الشَّارة... كثيرون سيُسعِدهم أن يَشنُقوها في غمضة عينٍ إذا رأوا الرَّجل المسلوخ على صدرها».

حثيثًا وجدَت آريا نفسها تُقاد إلى أعلى، حيث أجبرَتها الخادمات على النُّزول إلى حوض استحمام وغمرنها بالمياه السَّاخنة، ودعكن جِلدها بمنتهى الشِّدَّة حتى أحسَّت كأنهن يَسلُخنه، بل وأضفن إلى الماء معطِّرًا كريهًا ما رائحته كالزُّهور.

بَعدها أصررن على أن ترتدي ملابس الفتيات؛ جوارب بنِّيَّة طويلةٍ من الصُّوف، وغِلالة خفيفة من الكتَّان، وفوقها فُستان أخضر يانع طُرِّزَ جوز البلُّوط على صدره وحاشيته بخيطٍ بنِّي. قالت الليدي سمولوود والنِّساء يعقدن أربطة الفُستان على ظَهرها: «خالَتي الكبيرة سِپتة في معتكَف في (البلدة القديمة). أرسلتُ ابنتي إلى هناك حين بدأت الحرب، ولا بُدَّ أنها ستكون قد كبرَت على هذه الثِّياب عندما ترجع. هل تُحبِّين الرَّقص يا صغيرتي؟ ابنتي كاريلين راقصة رائعة، وصوتها جميل أيضًا. ما هوايتكِ المفضَّلة؟».

داعبَت الحصير بإصبع قدمها الكبير مجيبةً: «أشغال الإبرة».

- «نشاط مريح للغاية، أليس كذلك؟».

- «ليس بالطَّريقة التي أمارسه بها».

- «حقًّا؟ لطالما وجدته مريحًا. خالتي تقول دائمًا إن الآلهة تهب لكلٍّ منا موهبته الخاصَّة، وعلينا أن نستغلَّها. أيَّ عملٍ من الممكن أن يكون عبادةً إذا بذلنا فيه قصارى جهدنا. أليست هذه فكرةً جميلةً؟ تذكَّري هذا عندما تشتغلين بإبرتكِ المرَّة القادمة. هل تستخدمينها كلَّ يوم؟».

- «اعتدتُ هذا حتى فقدتها. الإبرة الجديدة ليست بالجودة نفسها».

- «في أوقاتٍ كهذه علينا أن نستغلَّ المتاح بأفضل شكلٍ ممكن»، وعدَّلت الليدي صدر الفُستان وأردفَت: «الآن تبدين كليدي صغيرةً بحَق».

أرادَت آريا أن تقول لها: لستُ ليدي، إنني ذئبة.

قالت المرأة: «لستُ أدري من تكونين يا صغيرتي، ولعلَّ هذا أفضل. أخشى أنكِ مهمَّة»، وسوَّت ياقة الفُستان مواصلةً: «في أوقاتٍ كهذه الأحسن أن يكون المرء بلا أيِّ قيمة. ليتني أستطيعُ الاحتفاظ بكِ هنا معي، لكن ذلك لن يكون آمنًا. إن لديَّ أسوارًا، لكن رجالًا قليلين للغاية للدِّفاع عنها»، وتنهَّدت بأسى.

كانوا يُقدِّمون العَشاء في القاعة لمَّا جاءَت آريا نظيفةً مصفَّفة الشَّعر متأنِّقةً. ألقى جندري نظرةً واحدةً عليها وانفجرَ في الضَّحك حتى خرجَ النَّبيذ من فمه، فلطمَه هاروين على أذنه. تناوَلوا وجبةً تقليديَّةً لكن مشبعةً من الضَّأن والفِطر والخُبز الأسمر والبازلاء المهروسة والتُّفَّاح المخبوز بالجُبنة الصَّفراء، وحين رُفعَ الطَّعام وانصرفَ الخدم، خفضَ ذو اللِّحية الخضراء صوته ليسأل حضرة الليدي إن كانت لديها أخبار عن سيِّد البرق.

أجابَت مبتسمةً: «أخبار؟ لقد كانا هنا قبل أقل من أسبوعين، هما ودستة من الآخَرين يسوقون الخراف. كدتُ لا أصدِّقُ عيني. أعطاني ثوروس ثلاثةً على سبيل الشُّكر، أحدها أكلتموه اللَّيلة».

أطلقَ آنجاي ضحكةً عاليةً، وقال: «ثوروس يسوق الخراف؟».

- «كان المنظر عجيبًا بالفعل، لكن ثوروس زعمَ أنه يعرف كيف يرعى الغنم باعتباره راهبًا».

قهقهَ ليم قائلًا: «نعم، وكيف يجزُّ صوفها أيضًا».

داعبَ توم وترًا في قيثارته الخشبيَّة، وقال: «حكاية تَصلُح لأن يصنع أحد منها أغنيَّة نادرة رائعة».

حدجَته الليدي سمولوود بنظرةٍ ناريَّة، وقالت: «أحد لا يسجع «عليك بهن» مع «دونداريون»، أو يُغنِّي (أوه، ارقُدي في العُشب يا جميلتي) لكلِّ بائعة حليب في الجوار ويَترُك اثنتين منهن ببطنين منتفخين».

قال توم بلهجةٍ دفاعيَّة: «كانت (دعيني أشرب جمالكِ)، وبائعات الحليب

يسعدن لسماعها دائمًا، كما اعتادَت سيِّدة نبيلة معيَّنة أذكُرها. إنني أغنِّي لأبهجِ النَّاس».

غاضبةً قالت: «أراضي النَّهر ملأى بمن أبهجتهن، وكلُّهن يشربن شاي التانسي. كان المرء ليحسب أن عجوزًا مِثلك تعلَّم أن يُفرِغ نُطفته على بطونهن. لن يطول الوقت قبل أن يدعوك النَّاس بتوم سبعة أبناء».

- «يتصادَف أني تجاوزتُ السَّبعة منذ زمنٍ طويل، أبناء لا بأس بهم على الإطلاق، أصواتهم عذبة كالعنادل». كان واضحًا أنه لا يُحَبِّذ الكلام عن هذا.

سألَ هاروين: «هل قال حضرة اللورد أين سيذهب يا سيِّدتي؟».

- «اللورد بريك لا يُفصِح عن خُططه أبدًا، لكن هناك مجاعة بالقُرب من (السِّبت الحجري) و(غابة البنسات الثَّلاثة). أنصحُ بأن تبحثوا عنه هناك»، وأخذَت رشفةً من النَّبيذ وأضافَت: «ينبغي أن تعلموا أن زوَّارًا أقل مدعاةً للتَّرحاب أتوني، قطيعًا من الذِّئاب راحَ يعوي عند بوَّابتي بحثًا عن چايمي لانستر».

توقَّف توم عن مداعَبة أوتاره، وقال: «صحيح إذن أن قاتِل الملك عادَ طليقًا؟».

رمقَته الليدي سمولوود بتهكُّمٍ مجيبةً: «لا أظنُّهم سيُطارِدونه إذا كان لا يزال مقيَّدًا تحت (ريڤرَن)».

سألَها چاك المحظوظ: «وماذا قالت لهم سيِّدتي؟».

- «إن السير چايمي عارٍ في فِراشي، لكني استنزَفته ولا يستطيع النُّزول إليهم. أحدهم كان بالوقاحةِ الكافية لأن ينعتني بالكذب، فطردناهم ببضعة سهام. أعتقدُ أنهم توجَّهوا إلى (حَنية بلاكبوتوم)».

اعتدلَت آريا بتوتُّرٍ في مقعدها، وسألَت: «مَن كان هؤلاء الشَّماليُّون الذين سألوا عن قاتِل الملكِ؟».

لاحَت الدَّهشة على الليدي سمولوود لأنها تكلَّمت، لكنها قالت: «لم يقولوا أسماءهم يا صغيرتي، لكنهم ارتدوا الأسود، وعلى صدورهم كانت شارة الشَّمس البيضاء».

الشَّمس البيضاء على خلفيَّة سوداء رمز عائلة كارستارك. كانوا رجال روب. تساءلَت إن كانوا ما زالوا قريبين. إذا استطاعَت التَّملُّص من الخارجين عن القانون والعثور عليهم، فلربما يأخذونها إلى أمِّها في (ريڤرَن)...

سألَ ليم: «هل قالوا كيف هربَ لانستر؟».

- «نعم، لكني لم أصدِّق كلمةً. ادَّعوا أن الليدي كاتلين أطلقَت سراحه».

أجفلَت إجابتها توم بشدَّة حتى إنه قطعَ وترًا، وقال: «كلام فارغ، جنون».

وفكَّرت آريا: غير صحيح، لا يُمكن أن يكون صحيحًا.

قالت الليدي سمولوود: «هذا ما خطرَ لي».

كان هذا عندما تذكَّر هاروين آريا، فقال: «هذا الكلام غير مناسب لكِ يا سيِّدتي».

- «لا، أريدُ أن أسمع».

لكن الخارجين عن القانون صمَّموا، وقال ذو اللِّحية الخضراء: «اذهبي أيتها السِّنجاب النَّحيل. كوني ليدي صغيرةً طيِّبةً واذهبي والعبي في السَّاحة ريثما نتكلَّم، الآن».

خرجَت آريا غاضبةً، وأرادَت أن تصفق الباب لولا ثِقله الشَّديد. كان الظَّلام قد حَلَّ بالكاملِ على (بهو البلُّوط)، ومصدر الضَّوء الوحيد مشاعل قليلة على الأسوار، وأُغلِقَت أبواب القلعة الصَّغيرة وأوصِدَت. لقد وعدَت هاروين بألَّا تُحاوِل الهرب ثانيةً، لكن ذلك كان قبل أن يبدأوا في إلقاء الأكاذيب عن أمِّها.

تبعَها جندري إلى الخارج، وقال: «آريا، الليدي سمولوود قالت إن هناك ورشة حدادة. هل تُريدين إلقاء نظرة؟».

- «إذا أردت». ليس هناك شيء آخَر تفعله على كلِّ حال.

قال جندري وهما يَمُرَّان بالأوجرة: «ثوروس هذا، أهو ثوروس الذي كان يعيش في القلعة في (كينجز لاندنج)؟ الرَّاهب الأحمر البدين ذو الرَّأس الحليق؟».

- «أظنُّ هذا». لم تتكلَّم آريا مع ثوروس في (كينجز لاندنج) قَطُّ على ما تَذكُر، لكنها تعرفه، فهو وچالابار شو كانا أكثر شخصين لافتين للنَّظر في بلاط روبرت، وكان ثوروس صديقًا مقرَّبًا للملك أيضًا.

- «لن يتذكَّرني، لكنه اعتادَ المجيء إلى ورشتنا». لم تُستخدَم ورشة سمولوود منذ فترةٍ طويلة، وإن كان الحدَّاد قد علَّق أدواته بنظام على الحائط. أشعلَ جندري شمعةً ووضعَها على السِّندان بينما التقطَ ملقطًا، وتابعَ: «كان

سيِّدي يُوَبِّخه دائمًا على سيوفه النَّاريَّة، ويقول إنها ليست طريقةً يُعامِل بها الفولاذ الجيِّد، لكن ثوروس هذا لم يستخدم الفولاذ الجيِّد قَطُّ، وكان يغمس سيفًا رخيصًا في النَّار الشَّعواء ويُشعله. قال سيِّدي إنها مجرَّد حيلة خيميائيِّين، لكنها تُخيف الخيول والفُرسان الخُضر».

لوَت ملامحها وهي تُحاول أن تتذكَّر إن كان أبوها قد تكلَّم عن ثوروس، ثم قالت: «إنه لا يتصرَّف كالرُّهبان حقًّا، أليس كذلك؟».

- «بلى. المعلِّم موت كان يقول إن ثوروس يستطيع التَّغلُّب على الملك روبرت نفسه في الشُّرب. قال لي إنهما أقرب إلى توأمين، كلاهما شَرِه وسكِّير».

- «لا يَجدُر بك أن تصف الملك بالسِّكِّير». ربما تعوَّد الملك روبرت أن يُسرف في الشُّرب، لكنه كان صديق أبيها.

قال جندري: «كنتُ أتكلَّم عن ثوروس»، ومَدَّ الملقط كأنما يُريد أن يَقرُص وجهها، لكن آريا أزاحَته، فأكملَ: «كان يُحِبُّ الولائم والمباريات، ولهذا كان الملك روبرت مولعًا به، بالإضافة إلى شَجاعته. عندما انهارَت أسوار (پايك) كان أول من دخلَ من الثَّغرة، وقاتلَ بأحد سيوفه النَّاريَّة مشعلًا الرِّجال الحديديِّين مع كلِّ ضربة».

- «ليتني أملكُ سيفًا ناريًّا». أناس كثيرون ترغب آريا في أن تُضرِم فيهم النَّار.

- «قلتُ لك إنها مجرَّد حيلة. النَّار الشَّعواء تُتلِف الفولاذ. كان معلِّمي يبيعه سيفًا جديدًا عقب كلِّ دورة، وفي كلِّ مرَّةٍ كانا يتشاجَران على سِعره»، وعادَ جندري يُعَلِّق الملقط ورفعَ المطرقة الثَّقيلة، وأردفَ: «قال المعلِّم موت إن الوقت حانَ لأن أصنع سيفي الطَّويل الأول، وأعطاني قطعةً ممتازةً من الفولاذ، وعرفتُ كيف أريدُ تشكيلها بالضَّبط، ثم جاءَ يورن وأخذَني إلى حَرس اللَّيل».

قالت آريا: «ما زال يُمكنك أن تصنع السُّيوف إذا أردت، تصنعها لأخي روب عندما نصل إلى (ريڤرَن)».

ردَّد جندري: «(ريڤرَن)»، ووضعَ المطرقة ونظرَ إليها قائلًا: «تبدين مختلفةً الآن، كما ينبغي أن تبدو الفتيات».

- «كلُّ هذا الجوز يجعلني أبدو كشجرة بلُّوط».

- «لكنها شجرة بلُّوط لطيفة»، ودنا جندري منها وتشمَّمها قبل أن يقول: «ورائحتك حُلوة أيضًا على سبيل التَّغيير».

قالت آريا: «رائحتك أنت عفنة»، ودفعَته إلى الوراء نحو السَّندان وحاولَت أن تجري، لكن جندري قبضَ على ذراعها، فوضعَت قدمها بين ساقيه ليتعثَّر، إلَّا أنه سحبَها إلى الأرض معه وتدحرَجا على أرضيَّة ورشة الحدادة. إنه قويٌّ للغاية، لكنها أسرع، وكلما حاولَ تثبيتها تملَّصت منه ولكمَته. اكتفى جندري بالضَّحك من ضرباتها، وهو ما أثارَ جنونها، وأخيرًا أطبقَ على معصميها بيدٍ واحدةٍ وأخذَ يُدَغدِغها بالأخرى، فضربَته بين ساقيه برُكبتها وانتزعَت نفسها منه. كلاهما كان مغطًّى بالتُّراب الآن، وتمزَّق أحد كُمَّيْ فُستانها السَّخيف، فصاحَت: «أراهنُ أني لا أبدو كما يليق بالفتيات الآن!».

حين عادا إلى القاعة كان توم يُغَنِّي.

فِراشي الرِّيش عميق وثير
وفيه سأمدِّدكِ
وأضعُ على رأسكِ تاجًا
وألبسكِ الحرير
ستكونين سيِّدتي ومحبوبتي
وأكونُ سيِّدكِ
أحميكِ وأمنحكِ الدِّفء دائمًا
وبسيفي أحرسكِ

ألقى هاروين نظرةً واحدةً عليهما وانفجرَ في الضَّحك، وارتسمَت على وجه آنجاي واحدة من ابتساماته المنمَّشة السَّخيفة، وقال: «أنحن واثقون بأنها ليدي من علية القوم حقًّا؟»، لكن ليم ضربَ جندري على رأسه قائلًا: «إذا كنت تُريد أن تُقاتِل فقاتِلني أنا! إنها فتاة، وفي نِصف عُمرك! إياك أن تلمسها، مفهوم؟».

قالت آريا: «أنا من بدأتُ. جندري كان يتكلَّم فحسب».

قال هاروين: «دَع الصَّبي يا ليم. لا شَكَّ لديَّ في أن آريا البادئة. هكذا كانت في (وينترفل)».

غمزَها توم بعينه وهو يُغَنِّي:

ولكم ابتسمَت ولكم ضحكَت
عذراء الشَّجرة
وابتعدَت عنه وقالت له
إن لا فِراش من الرِّيش له هذه المرَّة
سأرتدي ثوبًا من الأوراق الذَّهب
وأربطُ شَعري بالكلأ
لكن فلتكن لي حبيبي
وأكونُ لك فتاة الغاب

قالت الليدي سمولوود بشجن: «لا أملكُ ثيابًا من الأوراق الذَّهب، لكن كاريلين تركَت فساتين أخرى قد تَصلُح لكِ. تعالي معي إلى أعلى يا صغيرتي لنرى».

هذه المرَّة كان الأمر أسوأ. أصرَّت الليدي سمولوود أن تستحمَّ آريا مجدَّدًا، وقصَّت شَعرها ومشَّطته أيضًا. الفُستان الجديد الذي ألبسَتها إياه يميل لونه إلى الأرجواني الفاتح ومزيَّن باللَّآلئ الصَّغيرة، والشَّيء الوحيد الجيِّد فيه أنه رقيق للغاية، ولا أحد يتوقَّع أن تستطيع الرُّكوب وهي ترتديه، وهكذا بينما يتناوَلون الإفطار في الصَّباح التَّالي أعطتها الليدي سمولوود سراويل وحزامًا وسُترةً طويلةً، بالإضافة إلى أخرى قصيرة من جِلد الأيائل المطعَّم بالحديد، وقالت: «كانت ملابس ابني، لكنه ماتَ وهو في السَّابعة».

أحسَّت آريا فجأةً بالشَّفقة عليها والخجل من نفسها، وقالت: «آسفة يا سيِّدتي، وآسفة لأني مزَّقتُ الفُستان أيضًا. كان جميلًا».

- «نعم يا صغيرتي، وأنتِ أيضًا جميلة. تحلَّي بالشَّجاعة».



دنيرس

في منتصَف (ساحة الفخر) استقرَّت نافورة من القرميد الأحمر تفوح من مياهها رائحة الكبريت، وفي منتصَف النَّافورة استقرَّت الهاربي المهولة المطرَّقة من البرونز، ترتفع عشرين قدمًا كاملةً، ولها وجه امرأةٍ وشَعر مطلي بالذَّهب، وعيناها وأسنانها المدبَّبة من العاج. تدفَّق الماء مصفرًّا من نهديها العامرَيْن، لكن بدلًا من الذِّراعين لها جناحا وطواط أو تنِّين، وساقاها ساقا نسر، ومن ظَهرها يَخرُج ذيل عقربٍ مفتول لامتلأ بالسُّم الزُّعاف لو كان التِّمثال حيًّا.

قالت داني لنفسها: الهاربي شعار (جيس). إذا لم تَخُنها الذَّاكرة، فقد سقطَت (جيس القديمة) قبل خمسة آلاف عام، قهرَت (ڤاليريا) الشَّابَّة جحافلها وهدمَت أسوارها القرميد، وأحالَ لهب التَّنانين شوارعها ومبانيها إلى رمادٍ وجمر، بل وبارَت أراضيها بالملح والكبريت والجماجم. ماتَت (جيس) وماتَ شعبها، أمَّا هؤلاء الأستاپوريُّون فهجائن على حَدِّ تعبير السير چورا، وحتى اللُّغة الجيسكاريَّة أصبحَت منسيَّةً إلى حَدٍّ كبير، بينما تتكلَّم مُدن الرَّقيق الڤاليريَّة الفُصحى، أو ما اشتقَّه أهلها منها بالأحرى.

لكن شعار الإمبراطوريَّة القديمة لا يزال قائمًا هنا، وإن تدلَّت من مخالب هذا الوحش البرونزي سلسلة ثقيلة على طرفيها صَفَد مفتوح. الهاربي الأصليَّة كانت تحمل صاعقة برقٍ بمخالبها. هذه الهاربي تخصُّ (أستاپور).

بتذمُّر قال النَّخَّاس كرازنس مو نوكلوز للأَمة التي تتكلَّم نيابةً عنه: «قولي للعاهرة الوستروسيَّة أن تخفض عينيها. إنني أتاجرُ في اللَّحم لا المعدن. البرونز ليس للبيع. قولي لها أن تَنظُر إلى الجنود. حتى بهاتين العينين

الأرجوانيَّتين الكالحتين تستطيع الهمجيَّة القادمة من وراء مغرب الشَّمس أن ترى روعة مخلوقاتي».

يتكلَّم كرازنس بڤاليريَّةٍ فُصحى مشوَّهة ومثقَلة بمخارج الجيسكاريَّة الشَّبيهة برُغاء الإبل، والمنكّهة هنا وهناك بمصطلحات سُوقة النَّخَّاسين، وقد استوعبَت داني كلامه إلى حَدٍّ كبير، غير أنها ابتسمَت وحدَّقت بنظرةٍ خاوية إلى الأمة، كأنها تتساءَل عمَّا قاله.

- «السيِّد الكريم كرازنس يسأل: أليسوا رائعين؟». تتكلَّم الفتاة بلُغةٍ عاميَّة لا بأس بها إطلاقًا بالنِّسبة لواحدةٍ لم ترَ (وستروس) قَطُّ. سنُّها لا تزيد على العاشرة، ولها وجه مدوَّر مسطَّح وبشرة سمراء، والعينان الذَّهبيَّتان المميَّزتان لأهل جزيرة (ناث) الذين يُسَمُّون شعب المسالمين، وهو ما أجمعَ الكلُّ على أنه يجعلهم أفضل العبيد.

أجابَت داني: «قد يكونون مناسبين لاحتياجاتي». كان اقتراح السير چورا أن يقتصر كلامها على الدوثراكيَّة أو العاميَّة في أثناء وجودها في (أستاپور). دُبِّي أذكى مما يبدو. «حدِّثني عن تدريبهم».

قالت المترجِمة لسيِّدها: «الوستروسيَّة راضية عنهم، لكنها لا تُشيد بهم من أجلِ أن تخفض السِّعر. تُريد أن تعرف كيف يُدَرَّبون».

أومأ كرازنس مو نوكلوز برأسه. كانت رائحته كأنه اغتسلَ بعصير التُّوت البرِّي، والتمعَ الزَّيت على لحيته السَّوداء المحمرَّة البارزة، وفكَّرت داني: ثدياه أكبر من ثديَيْ. كانت تراهما من خلال حرير التوكار الأخضر البحري الموشَّى بالذَّهب الذي يلفُّه حول جسده ويُثبِّته على كتفه بيُسراه، بينما يقبض بيُمناه على سوطٍ جِلديٍّ قصير. قال بتأفُّف: «أكلُّ خنازير (وستروس) بهذا الجهل؟ العالم أجمع يعرف أن المطهَّرين أساتذة في القتال بالحربة والدِّرع والسَّيف القصير»، ومنحَ داني ابتسامةً واسعةً مردفًا: «أخبِريها بما تُريد أن تعرفه أيتها الأمة، لكن بسُرعة. الحَرُّ شديد اليوم».

لم يكذب في هذا على الأقل. وراءهم وقفَت أَمَتان متشابهتان حاملتيْن مظلَّةً من الحرير المخطَّط فوق رؤوسهم، لكن حتى في الظِّلِّ أحسَّت داني بدوخة، بينما نضحَ عَرق كرازنس غزيرًا. لا غرو، فالشَّمس تصلي (ساحة الفخر) منذ الفَجر، وعلى الرغم من صندلها السَّميك شعرَت داني بدفء

أحجار القرميد الأحمر تحت قدميها، وقد تصاعدَت منها موجات من الحرارة ملأت الهواء بالوميض، جاعلةً أهرامات (أستاپور) المدرَّجة القائمة حول السَّاحة تبدو كأنها آتية من حُلم.

لكن إذا شعرَ المطهَّرون بالحَرِّ فلا شيء في منظرهم ينمُّ عن هذا. يقفون كأنهم مصنوعون من القرميد بدورهم. كان ألف منهم قد قِيدوا من ثُكناتهم من أجل أن تُعاينهم، وانتظموا في عشرة صفوفٍ من مئة أمام النَّافورة والهارپي البرونز العظيمة، ووقفوا انتباهًا بأجسادٍ متصلِّبة دون أن تتحرَّك أعيُنهم الحجريَّة على الإطلاق. لم يرتدوا إلَّا مآزر كتَّانيَّة بيضاء معقودة حول عوراتهم، وخوذات مخروطيَّة من البرونز تَبرُز من كلٍّ منها ريشة مدبَّبة ترتفع قدمًا. أمرَهم كرازنس بأن يضعوا حِرابهم وتُروسهم ويخلعوا أحزمة السُّيوف والسُّترات المبطَّنة، كي يَسهُل على ملكة (وستروس) تفحُّص صلابة أجسادهم ورشاقتها.

قالت لها الأمة: «يُختارون في سِنٍّ صغيرة بناءً على الحجم والسُّرعة والقوَّة. تدريبهم يبدأ وهُم في الخامسة، ويتمرَّنون كلَّ يوم من الفَجر إلى الغسق إلى أن يُتقِنوا القتال بالسَّيف القصير والتُّرس والحِراب الثَّلاث. التَّدريب شاقٌّ للغاية يا جلالة الملكة، وواحد فقط من كلِّ ثلاثة صِبية يجتازه حيًّا، هذا معلوم. يُقال بين المطهَّرين إن يوم فوزهم بالخوذة المدبَّبة يعني أن الأسوأ انتهى، فلا واجب يُكَلَّفون به بَعدها سيكون أقسى من تدريبهم أبدًا».

من المفترَض أن كرازنس مو نوكلوز لا يفقه كلمةً من اللُّغة العاميَّة، لكنه أومأَ برأسه موافقًا وهو يسمع، وبين الحين والآخَر كان يخز الفتاة بطرف سوطه. «قولي لها إن هؤلاء واقفون منذ يوم وليلة بلا طعام أو ماء. قولي لها إنهم سيظلُّون واقفين حتى يَسقُطون إذا أمَرتهم، وعندما يتهاوى تسعمئة وتسعة وتسعون منهم ليموتوا على القرميد، سيبقى الأخير واقفًا ثابتًا ولا يتحرَّك خُطوةً حتى يأتيه الموت. هكذا شَجاعتهم. قولي لها هذا».

قال آرستان ذو اللِّحية البيضاء حين فرغَت المترجِمة الصَّغيرة الرَّزينة: «أعدُّ هذا جنونًا لا شجاعةً»، ونقرَ بطرف عُكَّازه الخشب المتين على القرميد -طَقْ طَقْ- كأنه يُعرب عن استيائه. لم يُردها العجوز أن تُبحِر إلى (أستاپور)، ولا أيَّد شراء جيش العبيد هذا، لكن على الملكة أن تُنصِت إلى جميع

الأطراف قبل أن تتَّخذ قرارها، ولهذا السَّبب جلبَته داني معها إلى (ساحة الفخر)، وليس ليحميها، فخيَّالة دمها كفيلون بأداء هذا الواجب بكفاءة. أمَّا السير چورا مورمونت فتركَته على متن (بالريون) ليَحرُس قومها، بالإضافة إلى تنانينها الذين حبسَتهم تحت سطح السَّفينة، فمن الخطر الشَّديد أن تدعهم يُحَلِّقون فوق المدينة، والعالم حافل بمن سيُسعِدهم أن يُحاوِلوا قتلهم لمجرَّد أن يظفروا بلقب قاتِل التَّنانين.

سأَلَ النَّخَّاسِ المترجِمة: «ماذا قال العجوز عطِن الرَّائحة؟»، فلمَّا أخبرَته ابتسمَ وقال: «بلِّغي الهمجيِّين أننا نُسَمِّي هذا طاعةً. قد يكون هناك آخَرون أقوى أو أسرع أو أكبر من المطهَّرين، وقد يُعادِل قلائل مهارتهم في القتال بالسَّيف والحربة والتُّرس، لكنها لن تجد أحدًا بطاعتهم أبدًا بين البحار كلِّها».

قال آرستان حين تُرجِمَ الكلام: «الخراف أيضًا مطيعة». إنه يعرف القليل من الڤاليريَّة، لكنه لا يُجيدها كداني، وإن كان يتظاهَر بجهله التَّام بها مِثلها.

كشفَ كْرازنس مو نوكْلوز أسنانه البيضاء الكبيرة بَعدما سمعَ التَّرجمة، وقال: «بكلمةٍ مني سيَسكُب هؤلاء الخراف أحشاءه العفنة على القرميد... لكن لا تقولي هذا. قولي لهم إن هؤلاء المخلوقات كلاب أكثر من خراف. هل يأكلون الكلاب أو الخيول في تلك (الممالك السَّبع)؟».

- «يُفَضِّلون الخنازير والأبقار يا صاحِب العبادة».

- «لحم البقر. أُف! طعام الهمجيِّين الأقذار».

تجاهلَت داني الجميع وسارَت بمحاذاة صَفِّ الجنود العبيد، وتحرَّكت الفتاتان وراءها بالمظلَّة الحرير كي تبقى في الظِّل، لكن الألف رجل الواقفين أمامها لم يتمتَّعوا بهذه الوقاية. أكثر من نِصفهم له بشرة الدوثراكي واللازارين النُّحاسيَّة وأعيُنهم الزَّرقاء، لكنها رأت رجالًا من المُدن الحُرَّة وسط صفوفهم أيضًا، بالإضافة إلى كارثين شاحبين، ورجالٍ أبنوسيِّي البشرة من (جُزر الصَّيف)، وغيرهم ممن لم تستطِع تخمين منشأهم، إلَّا أن بعضهم له بشرة كْرازنس مو نوكْلوز الكهرمانيَّة نفسها، والشَّعر الأسود المحمر الخشن المميِّز لأهل (جيس) القُدامى، الذين سمُّوا أنفسهم أبناء الهاربي. حتى بني جِلدتهم يبيعونهم. لم يكن مفترضًا أن يُدهِشها هذا، فالدوثراكي يفعلون المِثل عندما يقتتِل گالاسار وگالاسار في بحر العُشب.

بعض الجنود طويل وبعضهم قصير، تتراوَح أعمارهم بين الرَّابعة عشرة والعشرين كما قدَّرت، ووجناتهم ناعمة ونظرات أعيُنهم واحدة، سواء أكانت سوداء أو بنيَّة أو زرقاء أو رماديَّة أو كهرمانيَّة. فكَّرت داني: كأنهم رجل واحد، ثم تذكَّرت أنهم ليسوا رجالًا على الإطلاق، فالمطهَّرون كلُّهم مخصيُّون. سألَت كرازنس من خلال الأَمة: «لماذا تقطعون أعضاءهم؟ سمعتُ دائمًا أن الرِّجال الكاملين أقوى من المخصيِّين».

قال كرازنس مو نوكلوز عندما نُقِلَ إليه السُّؤال: «الخصيُّ الذي تُقطَع أعضاؤه في صِغره لن يتمتَّع أبدًا بقوَّة فُرسانكم الوستروسيِّين الغاشمة، هذا صحيح، لكن الثِّيران قويَّة أيضًا، والثِّيران تموت كلَّ يوم في حلبات القتال. المطهَّرون يتمتَّعون بما هو أفضل من القوَّة. قولي لها يا بنت إنهم يتمتَّعون بالانضباط. نحن نُقاتِل على طريقة الإمبراطوريَّة القديمة، نعم. إنهم أرتال جُند (جيس القديمة) الذين وُلِدوا من جديد، مطيعون لأقصى حد، مخلصون لأقصى حد، ولا يعرفون الخوف بتاتًا».

أصغَت داني بصبر إلى التَّرجمة، وقال آرستان حين فرغَت الفتاة: «حتى أشجع الشُّجعان يخافون الموت والتَّشويه».

عادَ كرازنس يبتسم لمَّا سمعَ، وقال: «قولي للعجوز إن رائحته كالبول، وإنه يحتاج إلى عصا ليستطيع الوقوف».

- «حقًّا يا صاحِب العبادة؟».

لكزَها بسوطه قائلًا: «لا، ليس حقًّا. أأنتِ فتاة أم عنزة لتتكلَّمي بهذا الحُمق؟ قولي إن المطهَّرين ليسوا كالبَشر. قولي إن الموت لا يعني شيئًا لهم، والتَّشوية أقل من لا شيء»، ووقفَ أمام واحدٍ ضخم الجثَّة له سيماء أهل (لازار)، وهوى عليه بالسَّوط بحدَّةٍ مخلِّفًا خطًّا من الدَّم على وجنته النُّحاسيَّة. طرفَت عينا الخصيِّ مرَّةً ووقفَ في مكانه ينزف، وسألَه كرازنس: «هل ترغب في أخرى؟».

- «إذا كانت هذه رغبة صاحِب العبادة».

كان من العسير أن تتظاهَر داني بعدم الفهم، فوضعَت يدها على ذراع كرازنس قبل أن يرفع السَّوط ثانيةً، وقالت: «قولي للسيِّد الكريم إنني أرى قوَّة المطهَّرين، والشَّجاعة التي يتحمَّلون بها الألم».

قهقهَ كْرازنس عندما سمعَ كلماتها بالڤاليريَّة، وقال: «قولي للعاهرة الغربيَّة الجاهلة إن لا علاقة للشَّجاعة بالأمر».

- «السيِّد الكريم يقول إنها ليست شَجاعةً يا جلالة الملكة».

- «قولي للمومس أن تفتح عينيها».

- «يَطلُب منكِ أن تُشاهِدي عن كثب يا جلالة الملكة».

انتقلَ كْرازنس إلى الخصيِّ التَّالي في الصَّف، وهو شابٌّ مديد القامة له عينا أهل (لِيس) الزَّرقاوان وشَعرهم الكتَّاني، وقال: «سيفك»، فركعَ الخصيُّ واستلَّ سيفه وناوَله إياه من مقبضه. السَّيف قصير، مصنوع للطَّعن أكثر من الجَرح، لكن شفرته تبدو حادَّة كالموسى. قال كْرازنس آمرًا: «قِف».

نهضَ الخصيُّ قائلًا: «صاحِب العبادة»، فمرَّر كْرازنس مو نوكْلوز النَّصل إلى أعلى بتؤدةٍ على جذعه تاركًا خَطًّا أحمر رفيعًا على بطنه وبين ضلعيه، ثم دَسَّ رأس السَّيف تحت حلمةٍ ورديَّة كبيرة وبدأ يقطع.

سألَت داني الفتاة والدِّماء تسيل على صدر الرَّجل: «ماذا يفعل؟».

قال كْرازنس دون أن ينتظر التَّرجمة: «قولي للبقرة أن تكفَّ عن الخُوار. لن يُؤذيه هذا كثيرًا. الرِّجال لا يحتاجون إلى الحلمات، والمخصيُّون حاجتهم إليها أقل». تدلَّت الحلمة من نسيلةٍ من الجِلد، فقطعَها وتركَها تَسقُط على القرميد وتُخَلِّف في مكانها عينًا حمراء مستديرة تبكي دمًا غزيرًا. لم يتحرَّك الخصيُّ حتى ناولَه كْرازنس سيفه من المقبض قائلًا: «هاك. فرغتُ منك».

- «هذا الواحد مسرور لخدمتك».

التفتَ كْرازنس إلى داني، وقال: «إنهم لا يَشعُرون بالألم كما ترين».

سألَت عن طريق المترجمة: «وكيف تأتَّى هذا؟».

جاءَتها إجابته: «خمر الشَّجاعة. إنها ليست خمرًا حقًّا، بل مزيج من صبغة المساء المميتة ويرقات الذُّباب الدَّموي وجذور اللُّوتس الأسود ومقادير سرِّيَّة أخرى. يشربونها مع كلِّ وجبةٍ منذ تُقطَع أعضاؤهم، ومع كلِّ عام يمرُّ يتبلَّد حسُّهم أكثر فأكثر. إنها تُجَرِّدهم من الخوف في المعركة، كما أنهَم لا يتأثَّرون بالتَّعذيب. قولي للهمجيَّة إن أسرارها آمنة مع المطهَّرين. يُمكنها أن تُوقِفهم حراسةً على مجلسها أو حتى غُرفة نومها ولا تقلق أبدًا مما قد يسمعونه. في (يونكاي) و(ميرين) غالبًا ما يُزيلون خصيتَيْ الصَّبي ويَترُكون

القضيب. مخلوق كهذا عقيم، لكنه يظلُّ قادرًا على الانتصاب، وشيء كهذا لا يستجلب إلَّا المتاعب، لذا نُزيل القضيب أيضًا ولا نَترُك شيئًا. المطهَّرون أنقى مخلوقات على وجه الأرض»، ومنحَ داني وآرستان واحدةً أخرى من ابتساماته البيضاء الواسعة، وقال: «سمعتُ أن في (ممالك غروب الشَّمس) يأخذون على أنفسهم عهودًا مقدَّسةً بالحفاظ على عفَّتهم وعدم إنجاب أطفال، ويعيشون من أجل الواجب فقط. أهذا صحيح؟».

أجابَ آرستان عندما تُرجِمَ السُّؤال: «هذا صحيح. هناك عدد من الجماعات المشابهة؛ مِايسترات (القلعة)، والسِّپتونات والسِّپتات في خدمة الآلهة السَّبعة، والأخوات الصَّامتات المسؤولات عن الموتى، والحَرس الملكي وحَرس اللَّيل...».

دمدمَ النَّخَّاس بَعد التَّرجمة: «مساكين. البَشر لم يُخلَقوا ليعيشوا هكذا. لا بُدَّ أن أيَّ أحمق يرى أن حياتهم سلسلة من عذابات الغواية، ولا شَكَّ أن معظمهم يستسلم لرغباته الوضيعة. لكن مطهَّرينا ليسوا كذلك على الإطلاق. إنهم متزوِّجون بسيوفهم بطريقةٍ لا يَحلُم إخوتكم المحلَّفون بمضاهاتها، ولا امرأة يُمكنها أن تُغريهم، ولا رجل كذلك».

نقلَت فتاته خُلاصة الكلام بأسلوب أكثر تهذيبًا، فقال آرستان ذو اللِّحية البيضاء معترضًا: «ثمَّة أساليب أخرى لإغراء الرِّجال غير اللَّحم».

– «الرِّجال، نعم، لكن ليس المطهَّرين. السَّلب والنَّهب لا يعنياهم في شيءٍ أكثر من الاغتصاب. إنهم لا يملكون إلَّا أسلحتهم، حتى إننا لا نسمح لهم بأسماء».

قطَّبت داني جبينها وسألَت المترجِمة الصَّغيرة: «لا أسماء؟ أما يقوله السيِّد الكريم صحيح؟ لا أسماء لهم؟».

– «صحيح يا جلالة الملكة».

وقفَ كْرازنس أمام جيسكاري يَصلُح لأن يكون أخاه الأطول والأليق، وأشارَ بسوطه إلى قُرص برونزي صغير مثبَّت بحزام السَّيف الموضوع عند قدميه، وسألَه: «ما اسمكَ؟».

– «هذا الواحد اسمه البرغوث الأحمر يا صاحِب العبادة».

نقلَت الفتاة كلامهما باللُّغة العاميَّة.

- «وماذا كان بالأمس؟».
- «الجرذ الأسود يا صاحِب العبادة».
- «وأول من أمس؟».
- «البرغوث البنِّي يا صاحِب العبادة».
- «واليوم الذي قبله؟».
- «هذا الواحد لا يتذكَّر يا صاحِب العبادة. الضِّفدع الأزرق ربما، أو الدُّودة الزَّرقاء».

قال كْرازنس آمرًا للفتاة: «قولي لها إن أسماءهم كلَّها هكذا، لأنها تُذَكِّرهم بأنهم في حَدِّ ذواتهم مجرَّد هوام. أقراص الأسماء تُلقى في برميلٍ فارغ عند نهاية الخدمة كلَّ يوم، وكلَّ فَجرٍ توزَّع عليهم عشوائيًّا».

قال آرستان عندما سمعَ: «المزيد من الجنون. كيف يُمكن لأيِّ أحدٍ أن يتذكَّر اسمًا جديدًا كلَّ يوم؟».

- «من ينسون يُستبعَدون في أثناء التَّدريب، بالإضافة إلى من لا يستطيعون العَدْو طول اليوم بعتادٍ كامل، أو تسلُّق جبلٍ تحت جُنح الظَّلام، أو المشي على الفحم المشتعل، أو قتْل رضيع».

لا بُدَّ أن فم داني التوى على إثر قوله الأخير. هل لاحظَ أم أنه أعمى علاوةً على وحشيَّته؟ أسرعَت تُشيح بوجهها محاولةً أن تجعل ملامحها قناعًا جامدًا حتى تسمع التَّرجمة، قبل أن تسمح لنفسها بأن تقول: «رُضَّع مَن يَقتُلون؟».

- «ليفوز بالخوذة المدبَّبة، على المطهَّر أن يذهب إلى أسواق العبيد ومعه عُملة فضِّيَّة، ويَعثُر على رضيعٍ حديث الولادة ويَقتُله أمام أمِّه. بهذه الطَّريقة نضمن أن لا ضَعف تبقَّى فيهم».

أحسَّت كأنها على وشك فقدان الوعي، فحاولَت أن تُقنِع نفسها بأن الحرارة السَّبب، وقالت: «تأخذون الرَّضيع من بين ذراعَيْ أمِّه وتَقتُلونه على مرأى منها وتدفعون ثمن ألمها بعُملةٍ فضِّيَّة؟».

ضحكَ كْرازنس مو نوكلوز بصوتٍ عالٍ عندما تمَّت التَّرجمة، وقال: «يا لها من بكَّائة حمقاء. قولي لعاهرة (وستروس) إن العُملة لمالك الطِّفل لا الأم. ليس مسموحًا للمطهَّرين بالسَّرقة»، ونقرَ على وَركه بالسَّوط متابعًا: «قولي لها إن قلائل يرسبون في الاختبار. لا بُدَّ من الاعتراف بأن الكلاب

أصعب عليهم. إننا نُعطي كلَّ صبيٍّ جروًا يوم تُقطَع أعضاؤه، وفي نهاية العام الأول عليه أن يَخنُقه، وكلُّ من لا يستطيع يُقتَل ونُطعِم جثَّته للكلاب النَّاجية. وجدنا أن هذا درس قوي».

نقرَ آرستان بعصاه على القرميد وهو يُصغي إلى التَّرجمة، طَقْ طَقْ طَقْ، ببُطءٍ وثبات، طَقْ طَقْ طَقْ، ورأته داني يُشيح بوجهه كأنه لم يَعُد يُطيق النَّظر إلى كرازنس.

قالت داني للفتاة: «السيِّد الكريم قال إن هؤلاء المخصيِّين لا يُغريهم المال أو اللَّحم، لكن إذا عرضَ أحد أعدائي تحريرهم مقابل أن يخونوني...».

أجابَ النَّخَّاس: «سيَقتُلونه من فورهم ويذهبون إليها برأسه، قولي لها هذا. قد يسرق عبيد آخَرون الفضَّة ويكتنزونها على أمل شراء حرِّيَّتهم، لكن المطهَّرين لن يقبلوها حتى إذا أعطَتهم الفَرس الصَّغيرة إياها هديَّةً. إنهم بلا حياة خارج واجبهم. إنهم جنود وهذا كلُّ شيء».

قالت داني: «وأنا في حاجةٍ إلى جنود».

- «قولي لها إنها أحسنَت بالمجيء إلى (أستاپور) إذن. سليها عن حجم الجيش الذي تُريد أن تشتريه».

- «كم مطهَّرًا معروضًا للبيع؟».

- «ثمانية آلاف كاملو التَّدريب ومتاحون في الوقت الحالي. عليها أن تعرف أننا نبيعهم بالوحدة فقط، بالألفيَّة أو القرن. في السَّابق كنا نبيعهم بالعُشاري كحَرس بيوت، لكن ثبتَ أنها ليست فكرةً سديدةً. عشرة عدد قليل للغاية، لأنهم يختلطون بالعبيد الآخَرين، والأحرار أيضًا، وينسون مَن كانوا»، وانتظرَ كرازنس أن يُترجَم كلامه إلى العاميَّة قبل أن يُتابع: «على هذه الملكة الشَّحَّاذة أن تعلم أن أعاجيب كهذه لا تأتي رخيصةً. في (يونكاي) و(ميرين) يُباع السَّيَّافون العبيد بأثمان أقل من سيوفهم، لكن المطهَّرين أفضل مُشاة في العالم كلِّه، وكلٌّ منهم يُمَثِّل أعوامًا من التَّدريب. قولي لها إنهم كالفولاذ الڤاليري، يُطوَى على نفسه مرارًا ويُطَرَّق على مدى سنوات، إلى أن يُصبِح أقوى وأصلب من أيِّ معدنٍ آخَر على وجه الأرض».

قالت داني: «أعرفُ الفولاذ الڤاليري. سَلي السيِّد الكريم إن كان للمطهَّرين ضُبَّاطًا».

- «عليكِ أن تُعيِّني عليهم ضُبَّاطهم. إننا نُدرِّبهم على الطَّاعة لا التَّفكير. إذا كانت تُريد من يُفكر، فلتشترِ بعض الكتبة».

- «وعتادهم؟».

- «السَّيف والحربة والتُّرس والصَّندل والسُّترة المبطَّنة، والخوذة بالطَّبع. سيرتدون ما تشائين من دروع، لكن عليكِ تزويدهم بها».

لم تستطع داني التَّفكير في المزيد من الأسئلة، فتطلَّعت إلى آرستان قائلةً: «لقد عشتَ طويلًا في هذا العالم يا ذا اللِّحية البيضاء. الآن وقد رأيتهم، فماذا تقول؟».

أجابَ العجوز في الحال: «أقولُ لا يا جلالة الملكة».

- «لماذا؟ تكلَّم براحتك». فكَّرت داني أنها تعرف ما سيقوله، لكنها أرادَت الأَمة أن تسمع، كي يسمع كْرازنس مو نوكْلوز بدوره لاحقًا.

قال آرستان: «يا مولاتي، ليس هناك عبيد في (الممالك السَّبع) منذ آلاف السِّنين. الآلهة القديمة والجديدة أيضًا تعدُّ النِّخاسة من الموبقات والشُّرور المستطيرة، فإذا رسوتِ في (وستروس) على رأس جيشٍ من العبيد، سيُعارضك أناس صالحون عديدون لهذا السَّبب وحده. ستتضرَّر قضيَّتكِ كثيرًا، ناهيكِ بشَرف عائلتك العظيمة».

- «لكن يجب أن يكون معي جيش ما. الصَّبي جوفري لن يُعطيني العرش الحديدي لمجرَّد أني طلبتُ بأدب».

- «عندما يأتي اليوم وترفعين راياتكِ سيكون نِصف (وستروس) معكِ. أخوكِ ريجار لا يزال مذكورًا بُحبٍّ بالغ».

- «وأبي؟».

تردَّد العجوز قبل أن يُجيب: «الملك إيرس ما زالَ مذكورًا أيضًا. لقد شهدَت البلاد في عهده أعوامًا طويلةً من السَّلام. جلالة الملكة، إنكِ لستِ في حاجةٍ إلى العبيد. الماجستر إليريو سيُحافِظ على سلامتكِ حتى تكبُر تنانينكِ، ويُرسِل مبعوثين سرِّيِّين نيابةً عنكِ عبر (البحر الضيِّق) لدعوة اللوردات الكبار إلى قضيَّتكِ».

- «اللوردات الكبار الذين تخلُّوا عن أبي لقاتِل الملك وركعوا لروبرت الغاصِب؟».

- «حتى من ركعوا قد يحنُّون في أعماقهم إلى عودة التّنانين».

ردَّدت داني: «قد». كم هي كلمة مخادِعة مراوِغة في كلِّ اللُّغات. التفتَت إلى كْرازنس مو نوكْلوز وأمته قائلةً: «يجب أن أفكِّر مليًّا».

هَزَّ النَّخّاس كتفيه، وقال: «قولي لها أن تُفَكِّر بسُرعة. ثمَّة مشترون غيرها. منذ ثلاثة أيام فقط عرضتُ هؤلاء المطهَّرين أنفسهم على ملكِ قُرصان يُريد أن يشتريهم جميعًا».

سمعَت داني الفتاة تقول: «القُرصان أرادَ مئةً فقط يا صاحِب العبادة».

وخزَها بالسَّوط قائلًا: «القراصنة كلُّهم كذّابون. سيشتريهم جميعًا. قولي لها هذا يا بنت».

كانت داني تعلم من البداية أنها إذا أخذَت فستأخذ أكثر من مئة. قالت للفتاة: «ذكِّري سيِّدكِ الكريم بمَن أكون، ذكِّريه بأني دنيرس وليدة العاصفة، أُم التَّنانين، التي لم تحترِق، سيِّدة ممالك (وستروس) السَّبع الشَّرعيَّة، ودمائي دماء إجون الفاتح و(ڤاليريا) القديمة من قبله».

لكن كلماتها لم تُؤَثِّر في النَّخّاس البدين المعطَّر، حتى حين تُرجِمَت إلى لُغته القبيحة، وهدرَ في المترجِمة الصَّغيرة المسكينة: «(جيس القديمة) كانت تَحكُم إمبراطوريَّةً كاملةً عندما كان الڤاليريُّون ما زالوا يُضاجعون الماشية، ونحن أبناء الهاربي»، وهَزَّ كتفيه مردفًا: «إنني أبدِّدُ كلامي بالحديث إلى امرأة. لا فرق بينهن في الشَّرق أو الغرب، ولا بُدَّ من تدليلهن والإطراء عليهن وحشو أشداقهن بالحلوى أولًا حتى يتَّخذن قرارًا. حسن، إذا كان هذا قَدري فسأرضى به. قولي للعاهرة إنها إذا كانت تُريد دليلًا يُفَرِّجها على مدينتنا الجميلة، فسيُسعِد كْرازنس مو نوكْلوز أن يخدمها... وأن يمتطيها أيضًا إذا كانت امرأةً حقيقيَّةً».

قالت المترجِمة: «سيسرُّ السيِّد الكريم أن يُريك (أستابور) بينما تُفَكِّرين يا جلالة الملكة».

- «سأُطعِمها هُلام أمخاخ الكلاب ويخنةً غنيَّةً ممتازة من لحم الأخطبوط الأحمر والجِراء الأجنَّة»، قالها النَّخّاس وتلمَّظ.

- «يقول إنكِ ستجدين الكثير من الأصناف الشَّهيَّة هنا».

دمدمَ النَّخَّاس: «قولي لها إن الأهرامات تبدو جميلةً ليلًا. قولي لها إنني سألعقُ العسل من على ثدييها، أو أترُكها تلعقه من على ثديَيْ إذا أرادَت».
- «(أستاپور) تشعُّ جمالًا عند الغسق يا جلالة الملكة. الأسياد الكرام يُوقِدون فوانيس من الحرير في كلِّ شُرفة، فيتألَّق كلُّ هرم بالأضواء الملوَّنة، وتلعب الموسيقى على قوارب النُّزهة وهي تتجوَّل في (النَّهر الدُّودي) وترسو عند الجُزر الصَّغيرة من أجل الطَّعام والنَّبيذ وغيرهما من المُتع».
أضافَ كْرازنس: «سَليها إن كانت تُريد أن ترى حلبات القتال. اللَّيلة سيُقام عرض لا بأس به في (حَلبة دوكْوار)، دُب وثلاثة فِتية صغار، أحدهم مدهون بالعسل والثَّاني بالدَّم والثَّالث بالسَّمك العَفِن، ويُمكنها أن تُراهِن على مَن سيأكله الدُّب أولًا».
سمعَت داني النَّقر، طَقْ طَقْ طَقْ. كان وجه آرستان ذي اللِّحية البيضاء جامدًا، لكن عُكَّازه باحَ بغضبه، طَقْ طَقْ طَقْ. جعلَت نفسها تبتسم، وقالت للمترجِمة: «عندي دُبِّي الخاص على متن (بالريون)، وقد يأكلني إذا لم أرجع إليه».
علَّق كْرازنس عندما تُرجِمَ كلامها: «أرأيتِ؟ ليست المرأة من تُقرِّر، بل الرَّجل الذي تُريد أن تهرع إليه، كالمعتاد!».
قالت داني: «اشكري السيِّد الكريم على لُطفه وصبره، وقولي له إنني سأفكِّرُ في ما سمعته هنا»، وأعطَت ذراعها لآرستان ليقودها عبر السَّاحة إلى هودجها، واتَّخذ آجو وچوجو مكانيهما على جانبيهما، وكلٌّ منهما يخطو بمشيةٍ مقوَّسة مختالة يتصنَّعها سادة الخيول كلُّهم حينما يُرغَمون على التَّرجُّل والسَّير على الأرض كالفانين التَّقليديِّين. صعدَت داني إلى الهودج عابسةً، وأشارَت لآرستان بالصُّعود إلى جوارها، فلا يَجدُر برجلٍ في سِنِّه أن يمشي في هذا القيظ. لم تُغلِق السَّتائر إذ تحرَّكوا، فالشَّمس تضرب مدينة القرميد الأحمر بأشعَّتها بلا هوادة، وكلُّ نسمةٍ خفيفة نعمة، حتى إذا هبَّت محمَّلةً بالتُّراب الأحمر النَّاعم. كما أني أُريدُ أنْ أرى.
(أستاپور) مدينة غريبة حقًّا، حتى في عينَيْ مَن مشَت في بيت الغُبار وتحمَّمت في (رَحِم العالم) أمام (الجبل الأم). الشَّوارع كلُّها من القرميد الأحمر الذي عبَّدوا به السَّاحة، وكذا الأهرام المدرَّجة وحلبات القتال

العميقة بحلقاتها ذات المقاعد المتحدِّرة، ونوافير الكبريت وكهوف النَّبيذ المعتمة والأسوار العتيقة التي تُطَوِّقها. قرميد كثير للغاية، وقديم لدرجة أنه بدأ يتفتَّت. كان التُّراب الأحمر النَّاعم في كلِّ مكان، يَرقُص في الحارات كلما هبَّت الرِّيح. لا عجب أن أستاپوريَّات كثيرات يُغَطِّين وجوههن، فتُراب القرميد يلسع العين أكثر من الرَّمل.

زعقَ چوجو الرَّاكب أمام الهودج: «أفسِحوا الطَّريق! أفسِحوا الطَّريق لأُم التَّنانين!»، لكن عندما حَلَّ السَّوط الكبير ذا المقبض الفضِّي الذي أهدَته داني إياه ولوَّح به في الهواء، مالَت عليه قائلةً بلُغته: «ليس في هذا المكان يا دم دمي. هذه الأحجار سمعَت ما يكفي من قرقعة السِّياط».

كانت الشَّوارع مهجورةً إلى حَدٍّ كبير حين تحرَّكوا من الميناء في الصَّباح، ولم تبدُ أكثر ازدحامًا الآن وهُم راجعون. مَرَّ بهم فيل يحمل هودجًا مزخرفًا بالأشكال الشَّجريَّة، وجلسَ صبيٌّ عارٍ ذو جِلدٍ متقشِّر في بالوعة جافَّة من القرميد ينبش أنفه ويُحَدِّق ببالٍ كاسفٍ إلى بعض النَّمل في الشَّارع. رفعَ رأسه لمَّا سمعَ الحوافر، واتَّسعت عيناه إذ مَرَّ طابور من الحُرَّاس الرَّاكبين في سحابةٍ من التُّراب الأحمر والضَّحك الخشن. التمعَت الأقراص النُّحاسيَّة المخيَّطة على معاطفهم الحرير الصَّفراء كالشُّموس، بينما ارتدوا سُترات من الكتَّان المطرَّز، وتحت الخصر صنادل وتنُّورات كتَّانيَّة ذات طيَّات. كانوا مكشوفي الرُّؤوس، لكن كلًّا منهم مشَّط وزيَّت شَعره الخشن الأسود المحمرَّ وأعطاه شكلًا خرافيًّا ما، من القرون والأجنحة إلى السُّيوف وحتى الأيادي المتشابكة، فبدوا كفرقةٍ من الشَّياطين الهاربة من الجحيم السَّابعة. راقبَهم الصَّبي العاري بالإضافة إلى داني بعض الوقت، لكن سرعان ما غابوا عن الأعيُن وعادَ إلى النَّمل والإصبع في أنفه.

مدينة قديمة، لكن ليست مأهولةً كما كانت أيام مجدها، ولا مزدحمةً مِثل (كارث) أو (پنتوس) أو (لِيس).

توقَّف هودجها فجأةً عند تقاطُع شارعيْن ليمرَّ طابور من العبيد في طريقها. لاحظَت داني أن هؤلاء ليسوا مطهَّرين، بل رجال تقليديُّون ذوو بشرة بنِّيَّة فاتحة وشَعر أسود، وبينهم نساء أيضًا، لكن لا أطفال، والجميع عُراة. ركبَ وراءهم أستاپوريَّان على حماريْن أبيضيْن، رجل في توكار حريري أحمر وامرأة تَستُر

وجهها وترتدي ثوبًا كتّانيًّا شفّافًا مزيّنًا بشذراتٍ من اللّازَوَرْد، وفي شَعرها الأسود المحمر تُثبِّت مُشطًا من العاج. ضحكَ الرَّجل وهو يهمس لها بشيءٍ ما دون أن يُعير داني اهتمامًا أكثر من عبيده، ولا رقيبهم بسوطه الملتوي ذي السُّيور الخمسة، وهو دوثراكي قصير بدين وُشِمَت الهارپي والسِّلسلة بفخرٍ على صدره القوي العريض.

غمغمَ ذو اللِّحية البيضاء إلى جانبها: «من الدَّم والقرميد قُدَّت (أستاپور)، ومن الدَّم والقرميد أهلها قُدُّوا».

سألَته داني بفضول: «ما هذا؟».

- «أنشودة قديمة علَّمني إياها مايستر في صِباي، ولم أعلم مدى صحَّتها حتى الآن. قرميد (أستاپور) أحمر بدماء العبيد الذين يصنعونه».

- «أصدِّقُ هذا».

- «غادِري هذا المكان إذن قبل أن يتحوَّل قلبكِ إلى قرميد بدوره. أبحِري اللَّيلة في تيَّار المساء».

ليتني أستطيعُ. «السير چورا يقول إنه لا بُدَّ أن يكون معي جيش عندما أغادرُ (أستاپور)».

- «السير چورا نفسه كان نخَّاسًا يا جلالة الملكة. هناك مرتزِقة في (پنتوس) و(مير) و(تايروش) يُمكنكِ استئجارهم. مَن يَقتُل مقابل المال لا شَرف له، لكنهم ليسوا عبيدًا على الأقل. اعثُري على جيشكِ هناك، أتوسَّلُ إليكِ».

- «أخي زارَ (پنتوس) و(مير) و(براڤوس) والمُدن الحُرَّة كلَّها تقريبًا، وسقاه الماچسترات والأركونات النَّبيذ والوعود، لكن نفسه تضوَّرت جوعًا حتى الموت. لا يُمكن أن يأكل الإنسان من وعاء الشِّحاذة طيلة حياته ويظلَّ إنسانًا. لقد ذقتُ هذا في (كارث) واكتفيتُ منه، ولن أذهب إلى (پنتوس) حاملةً وعاءً».

قال آرستان: «ذهابكِ شحَّاذةً خيرٌ لكِ من ذهابكِ نخَّاسةً».

مغضبةً قالت داني: «يقولها من لم يكن هذا أو ذاك. أتعرف معنى أن تُباع أيها المُرافِق؟ أنا أعرفُ. أخي باعَني إلى كال دروجو لقاء وعدٍ بالتَّاج، وتوَّجه دروجو بالذَّهب، وإن لم يكن بالوسيلة التي تمنَّاها، وأنا... شمسي ونجومي

جعلَ مني ملكةً، لكن لو كان رجلًا آخَر لاختلفَ ما حدثَ معي كثيرًا. أتحسب أني نسيتُ معنى الخوف؟».

حنى ذو اللِّحية البيضاء رأسه، وقال: «لم أقصد الإساءة يا جلالة الملكة».

قالت داني: «لا يُسيء إليَّ إلَّا الأكاذيب، لا المشورة الصَّادقة»، وربَّتت على يد آرستان المبقَّعة لتُطَمئِنه مضيفةً: «إن لديَّ طباع التَّنانين لا أكثر. لا تجعل هذا يُخيفك».

ابتسمَ العجوز قائلًا: «سأحاولُ أن أتذكَّر».

فكَّرت داني: وجهه طيِّب حقًّا، وفيه قوَّة عظيمة. إنها لا تفهم سبب انعدام ثقة السير چورا بالعجوز. أيَشعُر بالغيرة لأني وجدتُ رجلًا غيره أتكلَّمُ معه؟ بلا إرادةٍ منها عادَت بذاكرتها إلى تلك اللَّيلة على متن (بالريون) حين قبَّلها الفارس المنفي. لم يكن يَجدُر به أن يفعل هذا أبدًا. إنه يفوقني سِنًّا ثلاث مرَّات، ونَسبه أدنى مني كثيرًا، ولم أمنحه الإذن في تقبيلي. الفارس الحقيقي لا يُقبِّل ملكةً دون إذنها. عملَت بَعدها على ألَّا ينفرد السير چورا بها أبدًا، محتفظةً بوصيفتيها معها على السَّفينة طيلة الوقت، وأحيانًا خيَّالة دمها. يُريد أن يُقبِّلني ثانيةً. أرى الرَّغبة في عينيه.

لا تدري داني ما تُريده على الإطلاق، لكن قُبلة چورا أيقظَت شيئًا فيها، شيئًا ظَلَّ نائمًا منذ ماتَ كال دروجو، ولمَّا تمدَّدت في سريرها الضيِّق وجدَت نفسها تتساءَل كيف ستحسُّ لو أن رجلًا يُشاركها إياه بدلًا من وصيفتها، وأثارَها الخاطِر أكثر من المتوقَّع. أحيانًا تُغلِق عينيها وتَحلُم به، وإن لم يكن چورا مورمونت أبدًا، فحبيبها أصغر وأوسم دائمًا، مع أن وجهه يبقى ظِلًّا متقلِّبًا.

في مرَّةٍ كانت رغبتها محرِقةً لدرجةٍ حالَت دونها والنَّوم، فأنزلَت يدها بين ساقيها، وشهقَت حين أحسَّت ببللها الشَّديد، وبأنفاسٍ شديدة البُطء حرَّكت أصابعها بين شفتيها السُّفليَّتين بهدوءٍ كي لا توقِظ إيريَ النَّائمة إلى جوارها، إلى أن وجدَت بُقعةً حُلوةً استقرَّت عليها، وبدأت تمسُّ نفسها بخفَّة، على استحياءٍ أولًا ثم أسرع، وعلى الرغم من هذا بدَا الارتياح الذي تسعى إليه كأنه يتملَّص منها، إلى أن تحرَّكَ تنانينها وصرخَ أحدهم في فضاء القمرة، وهو ما أيقظَ إيري لترى ما تفعله.

أدركَت داني أن وجهها متضرِّج تمامًا، لكن إيري لم تَرَه في الظَّلام

بالتَّأكيد، وبلا كلمةٍ واحدة وضعَت الوصيفة يدًا على نهدها، ومالت تلتقم حلمتها، وانسلَّت يدها الأخرى على انحناءة بطنها الغض وعبر الشَّعر الذَّهبي الفضِّي النَّاعم فوق جبل زهرتها، وراحَت تعمل بين فخذَيْ داني. لم يمضِ أكثر من دقائق قليلة قبل أن تلتوي ساقاها ويرتفع نهداها ويختلج جسدها كلُّه. صرخَت عندئذٍ، أو ربما صرخَ دروجون، لكن إيري لم تنطق كلمةً وعادَت تتكوَّر على نفسها وتغيب في النَّوم لحظة أن انتهَت.

في اليوم التَّالي بدا ما حدثَ كالحُلم، وما علاقة السير چورا به على كلِّ حال إن كانت له علاقة أصلًا؟ إنني أريدُ دروجو، شمسي ونجومي، ليس إيري أو السير چورا، لا أحد إلَّا دروجو. لكن دروجو ماتَ، وكانت قد حسبَت أن تلك المشاعر ماتَت معه في (القفر الأحمر)، لكن قُبلةً خادعةً واحدةً بعثَت فيها الحياة. لم يكن يَجدُر به أن يُقبِّلني. لقد تجرَّأ كثيرًا وأنا سمحتُ له. يجب ألَّا يَحدُث هذا ثانيةً أبدًا. زمَّت فمها بضيقٍ بالغ وهزَّت رأسها، فرَنَّ الجرس في جديلتها بخفوت.

لاحَ وجه أجمل للمدينة على مقربةٍ من الخليج. على الشَّاطئ تتراصَف الأهرامات القرميد العظيمة، أكبرها يُناهِز الأربعمئة قدم ارتفاعًا، وفي شُرفاتها الفسيحة ينمو مختلِف أنواع الأشجار والكروم والزُّهور، وحملَت الرِّيح التي تدور حولها روائح الخُضرة العطرة. استقرَّت هاربي عملاقة أخرى أعلى البوَّابة، لكنها مشيَّدة من الصَّلصال الأحمر المخبوز ويبدو عليها البِلَى بوضوح، حتى إن جَدعة قصيرة فقط تبقَّت من ذيل العقرب في ظَهرها، والسِّلسلة التي تحملها بمخالبها من الحديد القديم الصَّدئ.

على أن الحرارة كانت أدنى بالقُرب من الماء، وأحدثَ تكسُّر الأمواج على دعائم الأرصفة التي بدأت تتعفَّن صوتًا مريحًا على نحو غريب.

ساعدَ آجو داني على النُّزول من الهودج، وكان بلواس القَوي جالسًا على قائم هائل يلتهم فخذًا كبيرةً من اللَّحم المشوي، فقال ببهجةٍ حين رأى داني: «كلْب. لديهم كلاب طيِّبة المذاق في (أستابور) أيتها الملكة الصَّغيرة. هل تأكلين؟»، وعرضَ عليها الفخذ بابتسامةٍ ملوَّثة بالدُّهن.

- «هذا لُطف منك يا بلواس، لكن لا». سبقَ لداني أن أكلَت لحم الكلاب في أماكن أخرى في أوقاتٍ أخرى، لكن جُلَّ ما تستطيع التَّفكير فيه الآن هو

المطهَّرون وجِرائهم السَّخيفة. أسرعَت تمرُّ بالخصيِّ الضَّخم وتصعد على لوح العبور إلى متن (بالريون).

كان السير چورا مورمونت واقفًا في انتظارها، وحنى رأسه قائلًا: «جلالة الملكة، النَّخّاسون أتوا وذهبوا، ثلاثة منهم مع دستةٍ من الكَتبة ودستةٍ من العبيد. فحصوا كلَّ بوصةٍ من المخازن ودوَّنوا البضائع الموجودة كلها»، وسارَ وراءها متسائلًا: «كم رجلًا لديهم للبيع؟».

- «صِفر». أهي غاضبة من مورمونت أم من هذه المدينة بحرارتها الكئيبة وشذاها وعفونتها وقرميدها المتفتِّت؟ «كلُّهم مخصيُّون وليسوا رجالًا، مخصيُّون من القرميد كبقيَّة (أستاپور). هل أبتاعُ ثمانية آلاف خصيٍّ بأعيُن ميتة لا تطرف أبدًا؟ مَن يَقتُلون الرُّضَّع في سبيل قبَّعةٍ مدبَّبة ويَخنُقون كلابهم؟ إنهم بلا أسماء حتى، فلا تصفهم بالرِّجال أيها الفارس».

قال مأخوذًا بغضبتها: «گاليسي، المطهَّرون يُختارون في طفولتهم، ويُدَرَّبون...».

- «سمعتُ كلَّ ما أريدُ عن تدريبهم». شعرَت داني بالدُّموع تتجمَّع في عينيها فجأةً بلا دعوةٍ منها، وارتفعَت يدها بسُرعة السَّهم تصفع السير چورا على وجهه. كان إمَّا هذا وإمَّا أن تبكي.

مَسَّ مورمونت خدَّه، وقال: «إذا أغضبتُ مولاتي...».

- «نعم، أغضبتني كثيرًا أيها الفارس. لو كنت فارسي حقًّا لما أتيت بي إلى هذه المدينة الذَّميمة». لو كنت فارسي حقًّا لما قبَّلتني أو حدَّقت إلى ثدييَّ كما فعلت أو...

- «كما تأمرين يا صاحبة الجلالة. سأخبرُ الرُّبَّان جروليو أن يستعدَّ للإبحار في تيَّار المساء إلى زريبةٍ أنظف قليلًا».

قالت داني: «لا». كان جروليو يُراقِب من أعلى مقدِّمة السَّفينة، وطاقمه أيضًا، وذو اللِّحية البيضاء وخيَّالة دمها وچيكوي. جميعهم توقَّفوا عمَّا يفعلونه عندما سمعوا الصَّفعة. «أريدُ الإبحار الآن وليس مساءً، أريدُ أن أبحِر بعيدًا بسُرعةٍ ولا أنظر ورائي مجدَّدًا، لكني لا أستطيعُ، أليس كذلك؟ هناك ثمانية آلاف خصيٍّ قرميدي للبيع، وعليَّ أن أجد وسيلةً لشرائهم»، ثم إنها تركَته ونزلَت إلى باطن السَّفينة.

كان تنانينها مهتاجين وراء باب قمرة الرُّبَّان الخشبي المنقوش. رفعَ دروجون رأسه وصرخَ مطلقًا الدُّخان الباهت من مِنخريه، وحلَّق ڤسيريون إليها وحاولَ أن يجثم على كتفها كما اعتادَ أن يفعل وهو صغير، لكنها حاولَت أن تُزيحه برفقٍ قائلةً: «لا، لقد كبرتَ على هذا يا حبيبي»، لكن التنِّين لَفَّ ذيله الأبيض والذَّهبي على ذراعها وغرسَ مخالبه في قماش كُمِّها وتشبَّث به، وبلا حيلةٍ منها تهاوَت داني ضاحكةً على مقعد جروليو الجِلدي الكبير.

قالت لها إيري: «كانوا جامحين جدًّا في غيابكِ يا كاليسي. ڤسيريون نهشَ الباب وانتزعَ منه شظايا، هل ترين؟ ودروجون حاولَ الهرب عندما جاء النَّخَّاسون لرؤيتهم، ولمَّا أمسكتُ ذيله لأمنعه عضَّني»، وأرَت داني آثار أسنانه على يدها.

- «هل حاولَ أيُّهم أن يُحرِق شيئًا؟». كان هذا أكثر ما يُخيفها.

- «لا يا كاليسي. دروجون نفثَ ناره لكن في الهواء، وخافَ النَّخَّاسون أن يقتربوا منه».

لثمَت يد إيري حيث عضَّها التنِّين، وقالت: «آسفة لأنه آذاكِ. التَّنانين لم تُخلَق للحبس في قمرة سفينة صغيرة».

قالت إيري: «في هذا تتشابَه التَّنانين والخيول، والخيَّالة أيضًا. الخيول تَصرُخ في الأسفل يا كاليسي، وتَركُل الحوائط الخشب. إنني أسمعها. وچيكوي تقول إن العجائز والأطفال يَصرُخون أيضًا عندما لا تكونين هنا. إنهم يكرهون عربة الماء هذه، ويكرهون البحر الأسود المالح».

- «أعرفُ هذا، أعرفه حقًّا».

- «هل الكاليسي حزينة؟».

- «نعم». حزينة وضائعة.

- «هل أمتِّع الكاليسي؟».

تراجعَت داني قائلةً: «لا! إيري، ليس من واجبكِ أن تفعلي هذا. ما حدثَ تلك اللَّيلة حين استيقظتِ... أنتِ لستِ أَمة فِراش. لقد أعتقتكِ، أتَذكُرين؟ أنتِ...».

- «أنا وصيفة أُم التَّنانين، وشَرف عظيم أن أمتِّع الكاليسي».

قالت بإصرار: «لا أريدُ هذا، لا أريده»، والتفتَت عنها بحدَّة وأمرَتها: «اترُكيني. أريدُ أن أفكِّر وحدي».

كان الغسق قد بدأ يستقرُّ على مياه (خليج النَّخَّاسين) قبل أن تعود داني إلى سطح السَّفينة، لتقف عند الحاجز متطلِّعةً إلى (أستاپور). تكاد تبدو جميلةً من هنا. بدأت النُّجوم تُنير في الأعلى والفوانيس الحرير في الأسفل، تمامًا كما قالت مترجِمة كْرازنس، وتألَّقت الأهرام القرميد العالية بالأضواء. لكن على الأرض يبسط الظَّلام ملكوته، في الشَّوارع والسَّاحات وحلبات القتال، أمَّا عرشه ففي الثُّكنات، حيث يُطعِم ولد صغير الجرو الذي أعطوه إياه لمَّا سلبوه ذكورته.

سمعَت خُطوةً خفيفةً وراءها ومَن يقول: «گاليسي». صوته. «ألي أن أتكلَّم بصراحة؟».

لم تلتفت داني. إنها لا تتحمَّل أن تَنظُر إليه الآن. إذا فعلَت فلسوف تصفعه ثانيةً، أو تبكي، أو تُقبِّله، ولن تدري أيُّ هذه الخيارات صحيح وأيُّها خطأ وأيُّها جنون.

- «قُل ما تُريد أيها الفارس».

- «عندما رسا إجون الفاتح في (وستروس) لم يهرع إليه ملوك (الوادي) و(الصَّخرة) و(المرعى) ليُسَلِّموه تيجانهم. إذا كنتُ تُريدين الجلوس على العرش الحديدي، فلا بُدَّ أن تربحيه كما ربحَه، بالفولاذ ونيران التَّنانين، وهذا يعني أن تُلَطِّخ يديكِ الدِّماء قبل نهاية هذا الأمر».

الدَّم والنَّار. الكلمتان الملاصقتان لعائلة تارجاريَن، اللتان عرفَتهما طيلة حياتها. «سأريقُ دماء أعدائي بكلِّ سرور، لكن دماء الأبرياء شأن آخَر. يعرضون عليَّ ثمانية آلاف مطهَّر، ثمانية آلاف رضيعٍ ميت، ثمانية آلاف كلبٍ مخنوق».

قال چورا مورمونت: «لقد رأيتُ (كينجز لاندنج) بَعد نهبها يا جلالة الملكة. يومها قُتِلَ رُضَّع أيضًا، ومسنُّون، وأطفال يلعبون، واغتُصبَت النِّساء بأعدادٍ لا تُحصى. ثمَّة وحش مفترس في أعماق كل رجل، ولمَّا تُناولين هذا الرَّجل سيفًا أو حربةً وتُرسِلينه إلى الحرب، عندها يتحرَّك الوحش. فرائحة الدَّم وحدها قمينة بإيقاظه. لكني لم أسمع قَطُّ أن المطهَّرين اغتصبوا أو قتَّلوا

أهل مدينة أو نهبوها إلَّا بأمرٍ واضح ممن يقودونهم. ربما يكونون مخلوقين من القرميد كما تقولين، لكنْ إذا اشتريتِهم فالكلاب الوحيدة التي سيَقتُلونها من الآن فصاعدًا ستكون الكلاب التي تُريدين موتها فحسب، وأذكرُ أن هناك بضعة كلاب تُريدين موتها بالفعل».

كلاب الغاصِب. غمغمَت: «نعم»، وعادَت تتطلَّع إلى الأضواء الملوَّنة وتركَت النَّسيم المالح البارد يُمَسِّدها، ثم إنها قالت: «تتكلَّم عن نهب المُدن أيها الفارس. أجِبني عن هذا السُّؤال إذن: لماذا لم ينهب الدوثراكي هذه المدينة؟»، وأشارَت متابعةً: «انظُر إلى الأسوار. يُمكنك أن ترى أين بدأت تئول إلى السُّقوط. هناك، وهناك أيضًا. هل ترى حُرَّاسًا على هذه الأبراج؟ أنا لا أراهم. أهم مختبئون أيها الفارس؟ اليوم رأيتُ أبناء الهاربي هؤلاء، ورأيتُ محاربيهم النُّبلاء الصَّناديد يرتدون التَّنانير الكتَّان، والشَّيء الوحيد المخيف فيهم هو شَعرهم. أي گالاسار متواضع يُمكنه أن يجتاح هذه المدينة ويَبقُر بطنها العفِن، فقُل لي إذن، لِمَ لا تستقرُّ هذه الهاربي القبيحة على جانب (طريق الآلهة) في (ڤايس دوثراك) مع بقيَّة الآلهة المسروقة؟».

- «من الجليِّ أنكِ تتمتَّعين ببصر التَّنانين يا گاليسي».

- «أردتُ إجابةً لا مجامَلةً».

- «هناك سببان. حُماة (أستاپور) الشُّجعان ليسوا أكثر من قشرةٍ جوفاء، هذا صحيح، مجرَّد أسماء قديمة وأكياس نقودٍ منتفخة تحمل الكرابيج الجيسكاريَّة متظاهرةً بأنها لا تزال تَحكُم إمبراطوريَّةً مترامية الأطراف. كلُّهم من كبار الضُّبَّاط، وفي الأعياد يخوضون حروبًا مصطنعَةً في حلبات القتال ليتباهوا بعبقريَّتهم في القيادة، لكن المخصيِّين هُم من يموتون. على كلِّ حال، العدوُّ الذي يرغب في مواجَهة (أستاپور) يعلم أنه سيُواجِه المطهَّرين، لأن النَّخَّاسين سيستعينون بالحامية كلِّها للدِّفاع عن المدينة، والدوثراكي لم يُواجِهوا المطهَّرين منذ تركوا جدائلهم عند بوَّابات (كوهور)».

- «والسَّبب الثَّاني؟».

- «ما الذي يحمل أحدًا على مهاجَمة (أستاپور)؟ (ميرين) و(يونكاي) منافستان ولكن ليستا عدوَّتين، و(ڤاليريا) أتى عليها الهلاك، وسُكَّان الأصقاع

الشَّرقيّة جيسكاريُّون كلُّهم، ووراء التِّلال تقبع (لازار)، حيث شعب الحِملان كما يُسَمِّيهم الدوثراكي، وهُم أناس مسالمون للغاية».

- «نعم، لكن شمال مُدن الرَّقيق يمتدُّ (بحر الدوثراكي)، حيث عشرات الأكوال الأقوياء الذين لا يُحِبُّون شيئًا كنهب المُدن واختطاف أهلها إلى حياة الاستعباد».

- «اختطافهم إلى أين؟ ما فائدة العبيد بَعدما تَقتُلين النَّخَّاسين؟ (ڤاليريا) زالَت، و(كارث) تقع وراء (القَفر الأحمر)، والمُدن الحُرَّة التِّسع تَبعُد ألف فرسخ غربًا. ولكِ أن تثقي بأن أبناء الهاربي يُغدِقون بالعطايا على كلِّ گال يمرُّ مِّن هنا، تمامًا كما يفعل الماچسترات في (نورڤوس) و(پنتوس) و(مير)، لأنهم يعلمون أن سادة الخيول سرعان ما سيُغادِرون إذا أولَموا لهم وأجزَلوا العطاء. إنه ثمن أرخص من القتال، ونتيجته أضمن كثيرًا».

أرخص من القتال. نعم، قد يكون كذلك. ليت الأمر بتلك السُّهولة معها. كم سيكون رائعًا لو أنها أبحرَت إلى (كينجز لاندنج) بتنانينها وأعطَت الصَّبي چوفري صندوقًا من الذَّهبِ فيرحل.

قال السير چورا لمَّا طالَ صمتها: «گاليسي؟»، ومَسَّ مِرفقها برفق.

هزَّت ذراعها مزيحةً يده، وقالت: «كان ڤسيرس ليشتري مطهَّرين بكلِّ ما معه من مال، لكنك قلت ذات مرَّةٍ إنني أقرب لريجار...».

- «أذكرُ يا دنيرس».

- «يا جلالة الملكة! الأمير ريجار قادَ رجالًا أحرارًا وليس عبيدًا في المعارك. ذو اللِّحية البيضاء قال إنه نصَّب مُرافِقيه بنفسه، ونصَّب فُرسانًا كثيرين أيضًا».

- «لم يكن هناك شَرف أعلى من تقلُّد الفُروسيَّة على يد أمير (دراجونستون) شخصيًّا».

- «أخبِرني إذن، ماذا كان يقول عندما يمسُّ رجلًا على كتفه بسيفه؟ اذهب واقتُل الضُّعفاء أم اذهب وقاتِل من أجلهم؟ في معركة (الثَّالوث)، هؤلاء الشُّجعان الذين تحدَّث عنهم ڤسيرس وماتوا تحت رايات التنِّين، هل بذلوا حياتهم لأنهم آمَنوا بريجار أم لأنهم بيعوا ودُفِعَ ثمنهم؟»، والتفتَت داني إلى مورمونت وعقدَت ذراعيها منتظرةً إجابته.

وقال الرَّجل الكبير بتؤدة: «كلُّ ما تقولينه صحيح يا مولاتي، لكن ريجار خسرَ على ضفاف (الثَّالوث)، خسرَ المعركة والحربَ والمملكة، وخسرَ حياته. حملَت مياه النَّهر دماءه مع قِطع الياقوت التي سقطَت من واقي صدره، وركبَ روبرت الغاصِب حصانه فوق جثَّته ليسرق العرش الحديدي. ريجار قاتلَ ببسالة، ريجار قاتلَ بنُبل، ريجار قاتلَ بشَرف... وماتَ ريجار».





بران

لا طُرق تمتدُّ في الوديان الجبليّة الملتوية التي يمشون فيها الآن. وسط الذُّرى الرَّماديَّة الحجر بحيرات زرقاء ساكنة، طويلة وعميقة وضيِّقة، والعتمة الخضراء لغاباتٍ صنوبريَّة بلا نهاية. كانت أوراق الخريف الذَّهبيَّة والخمريَّة قد بدأت تتناقَص عندما غادَروا (غابة الذِّئاب) ليصعدوا تلال الصَّوَّان الأزليَّة، ثم اختفَت تمامًا مع تحوُّل تلك التِّلال إلى جبال، وحاليًّا يرتفع شجر الحارس الأخضر الرَّمادي العملاق فوقهم، وأدغال بلا آخِر من أشجار التَّنُّوب والشوح والصَّنوبر الجُندي، بينها شُجيرات خفيفة الأوراق، وتكتسي أرض الغابة بالإبر الخضراء القاتمة.

حين يضلُّون الطَّريق -كما حدثَ مرَّةً أو مرَّتين- فما عليهم إلَّا أن ينتظروا مجيء ليلةٍ باردةٍ صافية لا يُلبِّد السَّحاب فيها السَّماء، ويبحثون عن كوكبة (التِّنين الجليدي)، إذ كانت أوشا قد قالت لهم إن النَّجم الأزرق في عين التِّنين يُشير إلى الشَّمال. جعلَ التَّفكير في أوشا بران يتساءَل أين هي الآن، وتخيَّلها آمنةً في (الميناء الأبيض) مع ريكون وشاجيدوج، يأكل ثلاثتهم أسماك الشِّلق وفطائر السَّرطان السَّاخنة مع اللورد ماندرلي السَّمين، أو ربما ينعمون بالدِّفء أمام نار چون الكبير في (المستوقَد الأخير).

لكن حياة بران نفسه استحالَت إلى أيام باردة ليس لها من نهاية على ظَهر هودور، يركب في سلَّته بينما يصعدون وينزِلون منحدَرات الجبال.

أحيانًا تزفر ميرا وهُم سائرون، وفي مرَّةٍ قالت: «إلى أعلى وأسفل، ثم إلى أسفل وأعلى، ثم إلى أعلى وأسفل من جديد. كم أكره جبالكم السَّخيفة هذه أيها الأمير بران».

- «قلتِ إنكِ تُحِبِّينها بالأمس».

- «أوه، إنني أحبُّها حقًّا. كان السيِّد والدي قد حكى لي عن الجبال، لكني لم أرَها قبل الآن، وأحبُّها كثيرًا».

قطَّب بران وجهه، وقال: «لكنكِ قلتِ لتوِّكِ إنكِ تكرهينها».

مدَّت ميرا يدها وقرصَت أنفه قائلةً: «ولِمَ لا يُمكنني أن أحبَّها وأكرهها في آنٍ واحد؟».

رَدَّ بإصرار: «لأنهما شيئان مختلفان، كاللَّيل والنَّهار، والجليد والنَّار».

قال چوچن برصانة: «إذا كان الجليد يحرق، فما المانع أن يقترن الحُب والكراهية؟ جبل أو مستنقع، لا فرق. الأرض واحدة».

أيَّدته أخته: «واحدة، ولكن تضاريسها عديدة».

نادرًا ما ساعدَتهم الأودية العالية بمضيِّها شمالًا وجنوبًا، وكثيرًا ما وجدوا أنفسهم يقطعون فراسخ طويلةً في الاتِّجاه الخطأ، وأحيانًا يُجبَرون على العودة من حيث أتوا، فيقول بران مذكِّرًا الأخوين ريد: «لو سلكنا (طريق الملوك) لكنا قد بلغنا (الجِدار) منذ فترة». إنه يُريد أن يجد الغُراب ذا الأعيُن الثَّلاث كي يتعلَّم الطَّيران، وهكذا كرَّر قوله على مسامعهم نِصفمئة مرَّة، إلى أن بدأت ميرا تُمازحه بترديده معه، فبدأ يقول: «لو سلكنا (طريق الملوك) لما أصابَنا الجوع كذلك».

لم يعوزهم الطَّعام وهُم وسط الجبال، فميرا صيَّادة حيوانات بارعة، وأبرع في اقتناص الأسماك من الجداول برُمح صيد الضَّفادع الثُّلاثي، وأحبَّ بران مشاهَدتها معجبًا بسُرعتها والطَّريقة التي تطعن بها المياه برُمحها ثم تسحبه وقد انغرسَ رأسه في سمكة ترويت فضِّيَّة تتلوَّى. كما أن سَمر يصطاد لهم أيضًا، فكلما بدأت الشَّمس رحلة المغيب يختفي الذِّئب الرَّهيب، لكنه يعود دائمًا قبل مطلع الفَجر، وغالبًا ما يكون بين فكَّيه صيد ما، سنجاب أو أرنب برِّي.

أمَّا هنا في الجبال فالجداول أصغر وكثير منها متجلِّد، والصَّيد أندر. ما زالت ميرا تصيد حيوانًا هنا أو سمكةً هناك عندما تستطيع، لكن الأمر أصعب هنا، وفي بعض اللَّيالي يرجع سَمر نفسه خالي الوفاض، وكثيرًا ما يَخلُدون إلى النَّوم ببطونٍ فارغة.

لكن چوچن ظَلَّ عازمًا بمنتهى العناد على البقاء بمنأى عن الطُّرق، وقال بأسلوبه المعتاد: «حيثما كانت الطُّرق هناك مسافرون، والمسافرون لهم أعيُن ترى وأفواه تَنشُر حكاية الصَّبي العاجز وعملاقه والذِّئب الذي يمضي إلى جوارهما». لا أحد يبرع في العناد كچوچن، وهكذا واصَلوا شَقَّ طريقهم الصَّعب وسط البراري، وكلَّ يوم صعدوا صعدوا أعلى قليلًا وتوغَّلوا شمالًا قليلًا.

في بعض الأيام تُمطِر السَّماء، وفي بعضها تهبُّ الرِّيح، وفي مرَّةٍ باغتَتهم عاصفة من المطر الثَّلجي شديدة العُنف حتى إن هودور نفسه صرخَ رُعبًا، أمَّا في الأيام الصَّافية فيبدو أحيانًا كأنهم المخلوقات الحيَّة الوحيدة في العالم.

في يوم سألَت ميرا ريد وهُم يدورون حول مرتفَعٍ جرانيتي بحجم (وينترفل): «ألا يَسكُن أحد هذه الأنحاء؟».

أجابَها بران: «هناك ناس. آل أومبر يعيشون شرق (طريق الملوك) غالبًا، لكنهم يرعون ماشيتهم في المروج العالية في الصَّيف، وهناك آل وول غرب الجبال على (خليج الجليد)، وآل هاركلاي وراءنا في التِّلال، وآل نوت وليدل ونوري وبعض آل فلينت هنا في البقاع العالية». كانت جدَّة أبيه من آل فلينت أولاد الجبال، وذات مرَّةٍ قبل سقطته قالت العجوز نان إن دماءها في عروق بران هي ما تجعله أحمق يُحِبُّ التَّسلُّق. على أن جدَّته ماتَت قبل أعوام وأعوام من ميلاده، بل وقبل ميلاد أبيه.

قالت ميرا: «وول؟ چوچن، ألم يكن هناك وول مع أبينا في الحرب؟».

أجابَ چوچن وهو يلهث من الصُّعود: «ثيو وول، أو أبو الدِّلاء كما كانوا يُسَمُّونه».

قال بران: «هذا رمزهم، ثلاثة دلاء بنِّيَّة على خلفيَّةٍ زرقاء، بإطارٍ من المربَّعات البيضاء والرَّماديَّة. ذات مرَّةٍ أتى اللورد وول إلى (وينترفل) ليُؤَكِّد ولاءه ويتكلَّم مع أبي، وكانت الدِّلاء مرسومةً على تُرسه. إنه ليس لوردًا حقًّا... أعني أنه كذلك، لكنهم يدعونه بـ«الوول» فقط، وهناك أيضًا النوت والنوري والليدل. في (وينترفل) ندعوهم باللوردات، لكن قومهم لا يفعلون».

توقَّف چوچن ريد ليلتقط أنفاسه، وقال: «هل تحسب أن قاطني الجبال هؤلاء يعرفون أننا هنا؟».

قال بران: «إنهم يعرفون». لقد رآهم يُراقِبونهم، ليس بعينيه هو وإنما بعينَيْ سَمر الثَّاقبتيْن اللتين لا يفوتهما إلَّا أقلُّ القليل. «لن يُزعِجونا ما دُمنا لا نُحاوِل سرقة ماعزهم أو خيولهم».

ولم يُزعِجهم أحد بالفعل. مرَّةً واحدةً فقط صادَفوا واحدًا من سُكَّان الجبال، عندما أجبرَتهم هجمة مفاجئة من المطر الجليدي على البحث عن مأوى. عثرَ لهم سَمر على مكانٍ وقد تشمَّم كهفًا غير عميق تُخفيه فروع شجرة حارس عملاقة، لكن حين انحنى هودور تحت بروز المدخل المتدلِّي، رأى بران وهج النَّار البرتقالي في الدَّاخل وأدركَ أنهم ليسوا وحدهم، وناداهم صوت رجلٍ قائلًا: «تعالوا وتدفَّأوا. المكان يكفي لحمايتنا جميعًا من المطر».

قدَّم لهمَ الرَّجل كعكات الشُّوفان والسُّجق الدَّموي وقليلًا من المِزر من قربةٍ يحملها، لكنه لم يَذكُر اسمه أو يستعلم عن أسمائهم. خمَّن بران أنه من آل ليدل، فالمشبك الذي يُثبِّت معطفه المصنوع من فرو السَّناجب كان مطرَّقًا من الذَّهب والبرونز على شكل كوز صنوبر، وآل ليدل يحملون رمز كوز الصَّنوبر على النِّصف الأبيض من تُروسهم الخضراء والبيضاء.

سألَه بران ريثما ينتظرون توقُّف الأمطار: «هل (الجدار) بعيد؟».

أجابَ الليدل (إذا كان كذلك حقًّا): «ليس بعيدًا بسُرعة طيران الغِدفان، لكنه أبعد على من لا يملكون أجنحةً».

بدأ بران يقول: «أراهنُ أننا كنا لنصل أسرع...».

أنهَت ميرا عبارته: «... لو أننا سلكنا (طريق الملوك)».

التقطَ الليدل سكِّينًا وبدأ يبري طرف عصا قائلًا: «حين كان هناك ستارك في (وينترفل)، كانت العذراء تستطيع أن تمشي على (طريق الملوك) كيوم ولدَتها أمُّها ولا يتحرَّش بها أحد، ويجد المسافرون نارًا وعيشًا وملحًا في كثيرٍ من الخانات والمعاقل، لكن اللَّيالي أكثر برودةً الآن، والأبواب مغلقة. الأسماك في (غابة الذِّئاب)، والرِّجال المسلوخون يقطعون (طريق الملوك) جيئةً وذهابًا بحثًا عن الغُرباء».

تبادلَ الأخوان ريد نظرةً، وردَّد چوچن: «الرِّجال المسلوخون؟».

- «صِبية نغل بولتون، نعم. كان ميتًا، لكنه حي الآن، وسمعتُ أنه سيُجزل عطاء الفضَّة -وربما الذَّهب- مقابل أيِّ كلمةٍ عن غيره من الموتى الأحياءَ».

وتطلَّع الرَّجل إلى بران وهو يقول هذا، وإلى سَمر المتمدِّد إلى جواره، ثم تابعَ: «وبالنِّسبة إلى (الجدار)، فهو ليس مكانًا أنصحُ بالذَّهاب إليه. الدُّب العجوز أخذَ حَرس اللَّيلَ إلى (الغابة المسكونة)، ولم يَعُد إلَّا غِدفانه دون رسائل تقريبًا. أجنحة سوداء، أخبار سوداء كما كانت أمِّي تقول، لكن يبدو لي أن تحليق الطُّيور بلا أخبار أكثر سوادًا»، وحرَّكَ الجمر بعصاه مواصلًا: «كانت الأمور مختلفةً لمَّا كان هناك ستارك في (وينترفل)، لكن الذِّئب الكبير ماتَ، والصَّغير رحلَ جنوبًا ليلعب لُعبةِ العروش، ولم يتبقَّ لنا إلَّا الأشباح».

قال چوچن برزانة: «سوف تعود الذِّئاب».

- «وكيف تعرف هذا أيها الصَّبي؟».

- «حلمتُ به».

- «أحيانًا أحلمُ بأمِّي التي دفنتها قبل تسعة أعوام، لكنني لا أجدها عادَت إلينا عندما أستيقظُ».

قال چوچن: «هناك أحلام وأحلام يا سيِّدي».

وقال هودور: «هودور».

أمضوا اللَّيلة معًا، فالأمطار لم تنقطع إلَّا بَعد أن توغَّلت الظُّلمة كثيرًا، وبدا أن سَمر هو الوحيد الذي يُريد أن يُغادِر الكهف، فتركَه بران يذهب حين لم يتبقَّ من النَّار إلَّا الجذوات، فالذِّئب الرَّهيب لا يحسُّ بالرُّطوبة كما البَشر، واللَّيل يُناديه. طلى نور القمر الغابة المبتلَّة بمختلف درجات الفضِّي وصبغَ الذُّرى الرَّماديَّة بالأبيض، وارتفعَ نئيم البوم في الظَّلام وهو يُحلِّق بأجنحةٍ صامتة بين أشجار الصَّنوبر، بينما تحرَّكت ماعز بيضاء شاحبة على جوانب الجبال.

أسبلَ بران جفنيه وسلَّم نفسه لأحلام الذِّئاب، لروائح وأصوات منتصَف اللَّيل.

وحين استيقظوا في الصَّباح التَّالي كانت النَّار قد انطفأت ورحلَ الليدل، لكنه تركَ لهم قطعة سجق ودستةً من كعكات الشُّوفان الملفوفة بعنايةٍ بقماش أبيض وأخضر. بعض الكعكات احتوى على جوز الصَّنوبر وبعضها على التُّوت الأسود، وأكلَ بران واحدةً من كلِّ نوع ولم يستطِع أن يُقرِّر أيهما راقَته أكثر. قال لنفسه إن آل ستارك سيرجعون يَومًا إلى (وينترفل)، وعندئذٍ سيستدعي آل ليدل ويردُّ لهم كلَّ جوزةٍ وتوتةٍ مئة ضِعف.

كان الدَّرب الذي قطعوه يومها أسهل بعض الشَّيء، ومع حلول الظَّهيرة نفذَت أشعَّة الشَّمس من السُّحب. جلسَ بران في سلَّته على ظَهر هودور شاعرًا بالرِّضا إلى حَدٍّ بعيد، وغفا فترةً وقد هدهدَته هزَّة خُطوات صبيِّ الاسطبل الكبير والدَّندنة التي يُصدِرها أحيانًا وهو يمشي، ثم أيقظَته ميرا بمسَّةٍ خفيفة لذراعه، وقالت مشيرةً إلى السَّماء برُمح الضَّفادع: «انظر، إنه نسر».

رفعَ بران عينيه ورآه، جناحاه الرَّماديَّان مبسوطان ثابتان وهو طافٍ في الرِّيح، وتتبَّعه ببصره وهو يُحَلِّق إلى أعلى، وتساءلَ كيف سيكون إحساسه إذا حامَ فوق العالم بهذا اليُسر. مؤكَّد أنه سيكون أفضل من التَّسلُّق. حاولَ أن يَبلُغ النَّسر، أن يَترُك جسده العاجز السَّخيف ويرتفع إلى السَّماء ليتَّحد معه كما يفعل مع سَمر. الأنبياء الخُضر يستطيعون هذا، فلا بُدَّ أنه بإمكاني أيضًا. حاولَ وحاولَ إلى أن غابَ النَّسر في سديم الظَّهيرة الذَّهبي، فقال بخيبة أمل: «لقد ذهبَ».

قالت ميرا: «سنرى غيره. النُّسور تَسكُن هذه الأنحاء».

- «أظنُّ هذا».

قال هودور: «هودور».

ووافَقه بران: «هودور».

ركلَ چوچن كوز صنوبر قائلًا: «أعتقدُ أن هودور يُحِبُّ أن تقول اسمه».

قال بران: «هودور ليس اسمه حقًّا، بل مجرَّد كلمةٍ يقولها. العجوز نان قالت لي إن اسمه الحقيقي والدر. كانت جدَّة جدَّته أو ما شابَه». أصابَه الكلام عن العجوز نان بالحزن، فسألَهما: «أتحسبان أن الحديديِّين قتلوها؟». إنهم لم يروا جثَّتها في (وينترفل)، وبَعد تفكير وجدَ أنه لا يَذكُر أنه رأى أيَّ نساءٍ ميتات. «إنها لم تُسِئ إلى أحدٍ قَطُّ، ولا حتى ثيون. كانت تحكي القصص فحسب. لا يُمكن أن يُؤذي ثيون أحدًا مِثلها، أليس كذلك؟».

قال چوچن: «مِن البَشر مَن يُؤذي الغير لمجرَّد أنه يستطيع».

أضافَت ميرا: «ولم يكن ثيون من أعملَ القتل في (وينترفل). كثيرون من الموتى كانوا حديديِّين»، ونقلَت رُمحها إلى يدها الأخرى مردفةً: «تذكَّر قصص العجوز نان يا بران، تذكَّر كيف كانت تحكيها ووقع صوتها. جزء منها سيظلُّ حيًّا فيك ما دُمت حريصًا على هذا».

قال بران: «سأفعلُ»، وبَعدها واصَلوا التَّسلُّق فترةً طويلةً دون كلام، متَّبعين درب فرائس معوجًّا يمضي في منطقةٍ واطئة بين قمَّتين حجريَّتين، وقد تمسَّكت أشجار الصَّنوبر الجُنديِ العجاف بالمنحدَرات من حولهم. على مسافةٍ بعيدةٍ أمامهم أبصرَ بران اللَّمعة الجليديَّة لنُهير يتدفَّق على جانب جبل، ووجدَ نفسه يُصغي إلى أنفاس چوچن وانسحاق إبر الصَّنوبر تحت قدمَيْ هودور، ثم إنه سأل الأخوين فجأةً: «هل تعرفان أيَّ قصص؟».

أجابَت ميرا ضاحكةً: «أوه، القليل».

ووافقَها أخوها: «القليل».

ودندنَ هودور: «هودور».

قال بران: «فلتحكيا واحدةً إذن بينما نمشي. هودور يُحِبُّ قصص الفُرسان، وأنا أيضًا».

رَدَّ چوچن: «ليس عندنا فُرسان في (العُنق)».

قالت أخته مصحِّحةً: «فوق الماء، لكن المستنقعات ملأى بالفُرسان الموتى».

قال چوچن: «هذا صحيح. أنداليُّون وحديديُّون وأولاد فراي وغيرهم من الحمقى، كلُّهم محاربون فخورون حسبوا أنهم يستطيعون غزو (قلعة المياه الرَّماديَّة). لا أحد منهم تمكَّن من العثور عليها. إنهم يَدخُلون (العُنق) ولا يَخرُجون أبدًا، وعاجلًا أو آجلًا يجدون أنفسهم يتخبَّطون في المستنقعات وتُغرِقهم دروعهم الفولاذيَّة الثَّقيلة».

ارتجفَ بران لفكرة الفُرسان الغارقين تحت الماء، لكنه لم يعترض. إنه يُحِبُّ الرَّجفة.

قالت ميرا: «كان هناك فارس في عام الرَّبيع الزَّائف، أطلَقوا عليه اسم فارس الشَّجرة الضَّاحكة، وربما كان من شعب المستنقعات».

قال چوچن والظِّلال الخضراء تُبَرقِش وجهه: «وربما لم يكن. إنني واثق بأن الأمير بران سمعَ هذه القصَّة مئة مرَّة».

رَدَّ بران: «لا، لم أسمعها، ولا يهمُّ إن كنتُ سمعتها. أحيانًا كانت العجوز نان تحكي قصةً سمعناها من قبل، لكننا لم نُمانِع إطلاقًا ما دامَت قصَّةً ممتعةً.

اعتادَت أن تقول إن القصص القديمة كالأصدقاء القُدامى، لا بُدَّ من العودة إليها بين الحين والآخَر».

- «صحيح»، قالت ميرا وهي تمشي حاملةً تُرسها على ظَهرها، وبين الحين والآخَر تُزيح غصنًا من طريقهم بالرُّمح. كان بران قد بدأ يحسب أنها لن تحكي القصَّة، عندما بدأتها قائلةً: «يُحكى أنه كان هناك غُلام فضولي يعيش في (العُنق)، حجمه صغير كشعب المستنقعات كلِّه، لكنه شُجاع وذكي وقوي، وقد نشأ على صيد الحيوانات والأسماك، وتعلَّم أسحار شعبنا كلَّها».

سألَ بران وهو شِبه متأكِّد من أنه لم يسمع تلك القصَّة من قبل: «هل كان يرى أحلامًا خضراء كجوجن؟».

- «لا، لكنه كان يستطيع التَّنفُّس في الوحل والعدْو على أوراق الشَّجر، وتحويل اليابسة إلى ماء والماء إلى يابسة بمجرَّد همسة، والكلام مع الأشجار وغزْل الكلمات وجعْل القلاع تظهر وتختفي».

قال بران بأسى: «ليتني أستطيعُ أن أفعل تلك الأشياء. متى سيلتقي بفارس الشَّجرة؟».

لوَت ميرا قسمات وجهها مداعبةً، وقالت: «قريبًا إذا صمتَ أمير معيَّن وأصغى».

- «كنتُ أسألُ فقط».

واصلَت: «كان الغُلام يعرف أسحار المستنقعات، لكنه رغبَ في المزيد. نادرًا ما يرتحل قومنا بعيدًا عن الدِّيار كما تعلم، فنحن صغار الحجم، وعاداتنا تبدو غريبةً للبعض، ولذا لا يُعامِلنا الكبار بلُطفٍ أحيانًا، غير أن هذا الغُلام كان أكثر جرأةً من معظمنا، وذات يوم بَعد أن بلغَ مبلغ الرِّجال قرَّر أن يترُك المستنقعات ويزور (جزيرة الوجوه)».

قال بران معترضًا: «لا أحد يزور (جزيرة الوجوه). الرِّجال الخُضر يعيشون هناك».

- «والرِّجال الخُضر هُم من أرادَ أن يَعثُر عليهم. هكذا ارتدى قميصًا عليه أقراص مخيَّطة من البرونز -مِثل قميصي- وأخذَ تُرسًا من الجِلد ورُمحًا ثُلاثي الشُّعب -مِثل تُرسي ورُمحي- وجذَّف بقاربٍ صغير من جلود الحيوانات في (الفرع الأخضر)».

أغلقَ بران عينيه وحاولَ أن يتخيَّل الرَّجل الصَّغير في قاربه الجلدي، وفي مخيِّلته بدا رجل المستنقعات أشبه بجوجن، لكن أقوى وأكبر سِنًّا ويرتدي ثيابًا كثياب ميرا.

- «عبرَ من تحت (التَّوأمتين) ليلًا كي لا يُهاجِمه حُرَّاس فراي، ولمَّا بلغَ (الثَّالوث) ترجَّل وحملَ قاربه على رأسه وبدأ يمشي. استغرقَ منه المشي أيامًا طويلةً، لكنه وصلَ إلى (عين الآلهة) أخيرًا، فألقى القارب في البحيرة وبدأ يُجَذِّف صوب (جزيرة الوجوه)».

- «وهل التقى الرِّجال الخُضر؟».

- «نعم، لكن تلك قصَّة أخرى، وليس لي أن أحكيها. سموُّ الأمير طلب أن أحكي عن الفُرسان».

- «حكايات الرِّجال الخُضر جيِّدة أيضًا».

قالت موافقةً: «نعم»، لكنها لم تَذكُر المزيد عن الأمر، وواصلَت قصَّتها: «بقيَ رجل المستنقعات على الجزيرة طول الشِّتاء، لكن حين حَلَّ الرَّبيع سمعَ العالم الواسع يُناديه وعرفَ أن وقت الرَّحيل قد حانَ. كان قاربه الجلدي حيث تركَه، فودَّع ساكني الجزيرة وأبحرَ إلى الشَّاطئ. جذَّف وجذَّف، وأخيرًا رأى بروج قلعةٍ ترتفع على ضفَّة البحيرة، وظلَّت البروج ترتفع أكثر وأكثر كلما اقتربَ، إلى أن أدركَ أنها أعظم قلعةٍ في العالم بلا شَك».

في الحال عرفَ بران أيُّ قلعةٍ تعني، وصاحَ: «(هارنهال)! كانت (هارنهال)!».

قالت ميرا مبتسمةً: «حقًّا؟ أمام الأسوار رأى خيامًا بمختلِف الألوان، وراياتٍ لامعة تُرَفرِف في الهواء، وفُرسانًا مدرَّعين على خيولٍ مبردَعة، وشَمَّ روائح اللُّحوم المشويَّة وسمعَ الضَّحك ودويَّ أبواق الحُجَّاب. كانت دورة مباريات عظيمة على وشك البدء، وجاءَ أبطال من جميع أرجاء البلاد ليتنافَسوا فيها، وقد حضرَ الملك بنفسه ومعه ابنه الأمير التنِّين، وأتى السُّيوف البيضاء ليُرَحِّبوا بأخ جديد بينهم. كان سيِّد العواصف حاضرًا أيضًا، وسيِّد الورود، لكن أسد الصَّخر العظيم كان قد اختصمَ مع الملك ولم يأتِ، وإن جاءَ كثيرون من حمَلة رايته وفُرسانه. لم يرَ رجل المستنقعات أبَّهةً كهذه من

قبل قَطُّ، وعرفَ أنه قد لا يرى مثيلتها ثانيةً أبدًا، وأرادَ جزء منه أن يكون جزءًا منها أكثر من أيِّ شيءٍ آخَر».

يعلم بران هذا الإحساس جيِّدًا. في صِغره لم يكن يَحلُم بشيءٍ إلَّا أن يُصبِح فارسًا، لكن ذلك كان قبل أن يَسقُط ويفقد ساقيه.

- «كانت ابنة القلعة العظيمة متوَّجةً ملكة الحُب والجَمال عند افتتاح المباريات، وأقسمَ خمسة أبطال على الدِّفاع عن تاجها؛ إخوتها الأربعة أبناء (هارنهال) وعمُّها الشَّهير الذي كان فارسًا أبيض في الحَرس الملكي».

- «أكانت جميلةً؟».

أجابَت ميرا وهي تثب فوق حجر: «نعم، لكن كانت هناك من هن أجمل منها، إحداهن زوجة الأمير التنِّين التي أتَت معها بدستةٍ من السيِّدات يخدمنها، وطلبَ الفُرسان منهن جميعًا عطايا يربطونها برماحهم».

سألَ بران بارتياب: «لن تكون هذه واحدةً من قصص الحُب إياها، أليس كذلك؟ إنها لا تروق هودور كثيرًا».

أيَّده هودور قائلًا: «هودور».

- «إنه يُحِبُّ القصص التي يُحارِب فيها الفُرسان الوحوش».

- «أحيانًا الفُرسان هُم الوحوش يا بران. كان رجل المستنقعات الصَّغير يتمشَّى في الحقل، يستمتع بالنَّهار الرَّبيعي الدَّافئ ولا يتعرَّض لأحد، حين هاجمَه ثلاثة مُرافِقون. لم تتجاوَز سِنُّهم الخامسة عشرة، لكن على الرغم من هذا كان ثلاثتهم يفوقونه حجمًا، وقد رأوا أن هذا عالمهم هُم، ولا حَقَّ له في الوجود هناك، واختطفوا رُمحه وطرحوه أرضًا وانهالوا عليه بالسِّباب باعتباره آكل ضفادع».

- «أكان اسمهم والدر؟». بدا له أن هذا شيء وارد أن يفعله والدر فراي الصَّغير.

- «لم يقل أحدهم اسمه، لكنه حفظَ وجوههم كي يثأر لنفسه منهم لاحقًا. كلما حاولَ أن ينهض عادوا يطرحونه أرضًا، وركلوه عندما تكوَّر على نفسه، ثم إنهم سمعوا الذِّئبة تعوي: هذا رجل أبي الذي تَركُلونه».

- «ذئبة بأربع سيقان أم اثنتين؟».

قالت ميرا: «باثنتين. هاجمَت الذِّئبة المُرافِقين بأحد سيوف المباريات

ودفعَتهم إلى اللَّوذ بالفرار. كان رجل المستنقعات مكدومًا مدمًى، فأخذَته إلى وكرها لتُنَظِّف جروحه وتُضَمِّدها بالكتَّان، وهناك التقى إخوتها في القطيع؛ الذِّئب الجامح الذي يقودهم، والذِّئب الهادئ إلى جواره، والجرو أصغر الأربعة. ليلتها أُقيمَت مأدبة في (هارنهال) لإعلان افتتاح المباريات، وأصرَّت الذِّئبة على حضور الغُلام الذي كان عالي النَّسب، وهو ما يعني أن لديه الحَق في الجلوس على الدِّكَّة كأيِّ أحدٍ آخَر، ولم يكن من السَّهل أن يَرفُض أحد طلبًا لتلك الذِّئبة، فتركَ الجرو الصَّغير يجد له من ثيابه ما يَصلُح لأن يحضر به مأدبة الملك، ودخلَ القلعة العظيمة. تحت سقف هارن أكلَ وشربَ مع الذِّئاب، بالإضافة إلى كثيرين ممن أقسموا لهم على الولاء، منهم ابن الرَّوابي والموظ[1] والدُّب وعريس البحر. غنَّى الأمير التِّنِّين أغنيَّةً اغرورقَت لها عينا الفتاة الذِّئبة بالدُّموع، لكن حين سخرَ أخوها الجرو من بكائها سكبَت النَّبيذ على رأسه. تكلَّم أخ أسود طالبًا من الفُرسان أن ينضمُّوا إلى حَرس اللَّيل، وهزمَ سيِّد العواصف فارس الجماجم والقُبلات في حرب النَّبيذ، ورأى رجل المستنقعات فتاةً ذات عينين أرجوانيَّتين ضاحكتين تَرقُص مع سيفٍ أبيض وثعبانٍ أحمر وسيِّد الجَرافِن، وأخيرًا مع الذِّئب الهادئ... لكن فقط بَعد أن تكلَّم الذِّئب الجامح معها نيابةً عن أخيه الذي كان أكثر خجلًا من أن يُبارِح مكانه على الدِّكَّة. في خضمِّ هذا المرح لمحَ رجل المستنقعات المُرافِقين الثَّلاثة الذين هاجَموه. كان أحدهم يخدم فارسًا رمزه المذراة، والثَّاني فارسًا رمزه الشَّيهم[2]، والثَّالث فارسًا على سُترته بُرجان، وهو الرَّمز الذي كان رجل المستنقعات يعرفه جيِّدًا».

قال بران: «آل فراي، آل فراي أولاد (المعبر)».

- «آنذاك واليوم. رأتهم الذِّئبة أيضًا وأشارَت لإخوتها إليهم، فعرضَ عليه الجرو أن يَعثُر له على حصانٍ ودِرعٍ تُناسِب حجمه، فشكرَه رجل المستنقعات الصَّغير لكنه لم يُجِبه. كان قلبه يتمزَّق، فقوم المستنقعات أصغر من معظم

(1) الموظ أحد أنواع الأيائل، له عُنق قوي وقرنان جريديَّان، ويألف العيش في الغابات والمستنقعات. (المترجم).

(2) الشَّيهم حيوان قارض من فصيلة القنافذ. (المترجم).

النَّاس، نعم، إلَّا أنهم لا يقلُّون إباءً، والغُلام لم يكن فارسًا. إننا نستخدم القوارب أكثر من الخيول بكثير، وأيدينا مخلوقة للمجاذيف لا الرِّماح، وبقَدر ما تمنَّى أن يثأر لنفسه كان يخشى أن يجعل من نفسه أضحوكةً ويَدِرَّ على شعبه العار. عرضَ الذِّئب الهادئ مكانًا على رجل المستنقعات الصَّغير في خيمته ليلتها، لكن قبل أن ينام ركعَ على شاطئ البحيرة وتطلَّع عبر الماء في اتِّجاه (جزيرة الوجوه)، وصلَّى لآلهة الشَّمال و(العُنق) القديمة...».

سألَه چوچن: «ألم تسمع هذه الحكاية من أبيك قَطُّ؟».

- «العجوز نان هي التي كانت تحكي دائمًا. أكمِلي يا ميرا، لا تتوقَّفي الآن».

ولا بُدَّ أن هذا كان رأي هودور أيضًا، إذا قال: «هودور»، ثم: «هودور هودور هودور هودور».

قالت ميرا: «حسن، إذا كنت تُريد سماع البقيَّة».

- «نعم، احكي».

- «كان مخطَّطًا أن يدوم النِّزال خمسة أيام، بالإضافة إلى التحام جماعي عظيم بين سبع فِرق، ومباريات الرِّماية وإلقاء الفأس وسباق الخيل ومسابقة المطربين...».

قاطعَها بران متململًا بصبرٍ نافد على ظَهر هودور: «لا عليكِ بكلِّ هذا. احكي لي عن النِّزال».

- «كما يأمر سموُّ الأمير. كانت ابنة القلعة ملكة الحُب والجَمال، يُدافع عنها أربعة إخوة وعم، لكن أبناء (هارنهال) الأربعة هُزِموا في اليوم الأول، وظَلَّ من غلبوهم أبطالًا فترةً قصيرةً قبل أن يُهزَموا بدورهم. شهدَت نهاية اليوم الأول فوز فارس الشَّيهم بمكانٍ بين الأبطال، وفي صبيحة اليوم الثَّاني انضمَّ إليه فارس المذراة وفارس البُرجين، لكن في أواخر الأصيل، بينما تستطيل الظِّلال، ظهرَ فارس غامض في مضمار النِّزال».

أومأ بران برأسه بإدراك. كثيرًا ما يظهر الفُرسان الغامضون في دورات المباريات، يعتمرون خوذاتٍ تُخفي وجوههم، ويحملون تُروسًا إمَّا خالية وإمَّا عليها رموز مجهولة، وأحيانًا يكونون فُرسانًا مشهورين متنكِّرين. الفارس التنِّين فازَ في دورةٍ وهو متنكِّر كفارس العبرات كي يُسَمِّي أخته ملكة الحُب

والجَمال بدلًا من عشيقة الملك، وباريستان الباسل شاركَ مرَّتين كفارسٍ غامض، الأولى وهو في العاشرة من العُمر لا أكثر.

- «أراهنُ أنه كان رجل المستنقعات الصَّغير».

قالت ميرا: «لا أحد عرفَ هُويَّته، لكن الفارس الغامض كان قصير القامة ويرتدي دِرعًا مجمَّعةً من عدَّة أجزاء مختلفة، والرَّمز على تُرسه كان شجرة القلوب الخاصَّة بالآلهة القديمة، شجرة ويروود بيضاء ذات وجهٍ أحمر ضاحك».

قال بران: «ربما جاءَ من (جزيرة الوجوه). هل كان لونه أخضر؟». لحُماة الجزيرة في قصص العجوز نان بشرة خضراء داكنة وأوراق شجر بدلًا من الشَّعر، وأحيانًا ما تكون لهم قرون، لكن بران لا يرى كيف أمكنَ للفارس الغامض أن يرتدي خوذةً لو كانت له قرون. «أراهنُ أن الآلهة القديمة أرسلَته».

- «ربما. خفضَ الفارس الغامض رُمحه أمام الملك، واتَّجه بحصانه إلى طرف المضمار حيث نصبَ الأبطال الخمسة سُرادقاتهم. لا بُدَّ أنك تعرف الثَّلاثة الذين تحدَّاهم».

كان بران قد سمعَ ما يكفي من حكاياتٍ ليعرف الإجابة، فقال من فوره: «فارس الشَّيهم وفارس المذراة وفارس البُرجين. قلتُ لكِ إنه رجل المستنقعات الصَّغير».

- «أيًّا كان، فقد بثَّت الآلهة في ذراعه القوَّة. سقطَ فارس الشَّيهم أولًا، ثم فارس المذراة، وأخيرًا فارس البُرجين، ولم يكن أيهم محبوبًا، فدوَّى تهليل العامَّة للبطل الجديد الذي سرعان ما سمُّوه فارس الشَّجرة الضَّاحكة، وحين سعى الخصوم السَّاقطون إلى دفع فدية خيولهم ودروعهم، تكلَّم فارس الشَّجرة الضَّاحكة بصوتٍ جعلَته الخوذة جهوريًّا، وقال: علِّموا مُرافقيكم الشَّرف وستكون هذه فدية تكفي، وبمجرَّد أن أدَّب الفُرسان المهزومون مُرافقيهم بمنتهى الحدَّة عادَت إليهم الخيول والدُّروع، وهكذا أُجيبَ دعاء رجل المستنقعات الصَّغير... من الرِّجال الخُضر، أو من الآلهة القديمة، أو من أطفال الغابة، مَن يدري؟».

قرَّر بران بَعد أن تأمَّل وهلةً أنها قصَّة جيِّدة، وقال: «وماذا حدثَ بَعدها؟ هل فازَ فارس الشَّجرة الضَّاحكة في الدَّورة وتزوَّج أميرةً؟».

- «لا. ليلتها في القلعة العظيمة أقسمَ سيِّد العواصف وفارس الجماجم والقُبلات على أن يُميطا قناعه، وحَثَّ الملك نفسه الرِّجال على تحدِّيه، معلنًا أن الوجه المتواري تحت الخوذة ليس وجهًا لصديق، لكن في الصَّباح التَّالي، عندما نفخَ الحُجَّاب في الأبواق واتَّخذ الملك مكانه، لم يظهر غير بطلين، على حين اختفى فارس الشَّجرة الضَّاحكة. غضبَ الملك جدًّا، بل وأرسلَ ابنه الأمير التنِّين بحثًا عن الرَّجل، لكنهم لم يَعثُروا إلَّا على تُرسه الملوَّن معلَّقًا من شجرةٍ دون أثرٍ له. في نهاية المباريات كان الأمير التنِّين هو الفائز».

- «أوه». فكَّرَ بران قليلًا، ثم قال: «إنها قصَّة جيِّدة، لكن كان ينبغي أن يكون الفُرسان الثَّلاثة هُم من آذوه لا مُرافِقوهم، وعندها كان رجل المستنقعات ليَقتُلهم. الجزء الخاص بالفدية سخيف، وكان يجب أن يفوز الفارس الغامض على الجميع ويهزم المتحدِّين كلَّهم، ثم يُسَمِّي الذِّئبة ملكة الحُب والجَمال».

قالت ميرا: «هكذا سُمِّيَت بالفعل، لكن تلك قصَّة أكثر حزنًا».

عادَ چوچن يسأله: «أأنت واثق بأنك لم تسمع هذه الحكاية من قبلٍ يا بران؟ السيِّد والدك لم يحكها لك قَطُّ؟».

هَزَّ بران رأسه نفيًا. كانت الشَّيخوخة قد بدأت تُصيب النَّهار عندئذٍ، والظِّلال الطَّويلة تزحف على جوانب الجبال وتمسُّ أشجار الصَّنوبر بأصابع سوداء. إذا استطاعَ رجل المستنقعات أن يزور (جزيرة الوجوه)، فلربما أستطيعُ أيضًا. الحكايات كلُّها تتَّفق على أن الرِّجال الخُضر يتمتَّعون بقوى سِحريَّة غريبة، فلعلَّ من الممكن أن يُساعِدوه على المشي من جديد، أو يجعلوا منه فارسًا حتى. لقد حوَّلوا رجل المستنقعات الصَّغير إلى فارس، حتى ولو يومًا، ويوم واحد يكفيني.



داڤوس

الزِّنزانة دافئة على نحو لم يتوقَّعه في زنزانة.

لكنها مظلمة حقًّا. من الخارج يتسرَّب الضَّوء البرتقالي المتذبذِب من بين القضبان الحديد العتيقة، يأتي من المشعل الموضوع في حامل معلَّق على الجِدار، لكن العتمة تُغرِق النِّصف الخلفي من الزِّنزانة، ناهيك بالرُّطوبة التي لا مفرَّ منها على جزيرةٍ كـ(دراجونستون)، حيث البحر قريب طيلة الوقت، كما أن هناك جرذانًا أيضًا، وبأعدادٍ أكثر من المعتاد في مِثل تلك الزَّنازين.

على أن البرد ليس من الأشياء التي يشكو منها داڤوس هنا، فالممرَّات الحجريَّة الملساء أسفل كُتلة (دراجونستون) الهائلة دافئة دومًا، وقد سمعَ مرارًا أن حرارتها ترتفع كلما تعمَّقت فيها أكثر. هكذا قدَّر أنه على عُمقٍ لا بأس به تحت القلعة، إذ غالبًا ما يحسُّ بجِدار زنزانته دافئًا إذا ضغطَ عليه براحة يده. ربما تكون الحكايات القديمة صادقةً إذن، والحجارة التي شُيِّدَت منها (دراجونستون) من الجحيم بحق.

كان مريضًا عندما جلبوه إلى هنا. ساءَ السُّعال الذي ابتُلِيَ به منذ المعركة، واستبدَّت به الحُمَّى، وغزَت القروح الدَّامية شفتيه، ولم ينجح دفء الزِّنزانة في كبح قشعريرته الدَّائمة، والآن يتذكَّر أنه فكَّر: لن أبقى طويلًا. قريبًا سأموتُ هنا في الظَّلام.

لكن سرعان ما وجدَ داڤوس أن الصَّواب جانبَه في ذلك كما جانبَه في أشياء أخرى كثيرة. بإبهام يتذكَّر يدين رفيقتين وصوتًا حازمًا، والمِايستر پايلوس الشَّاب يتطلَّع إليه في رقدته، ويتذكَّر أنهم أعطوه مرق الثُّوم السَّاخن ليشربه، وحليب الخشخاش ليُعالِج آلامه ورجفته. جعلَه الخشخاش ينام،

ولمَّا نامَ علَّقوا له العَلق لتصفية دمه الفاسد، أو أن هذا ما استنتجَه من آثار العَلقات التي وجدَها على ذراعيه حين استيقظَ. لم يمضِ وقت طويل قبل أن ينجاب السُّعال وتختفي القروح ويجد في المرق قِطعًا من السَّمك الأبيض والبصل والجَزر، ثم جاءَ يوم أحسَّ فيه بأنه أقوى مما كان منذ تحطَّمت (بِثا السَّوداء) تحت قدميه وألقت به في النَّهر.

ثمَّة سجَّانان قائمان على حراسته. الأول قصير بدين عريض الصَّدر، كتفاه مفتولتان ويداه ضخمتان قويَّتان، ويرتدي سُترةً جلديَّةً مطعَّمةً بالحديد، ويأتي داڤوس مرَّةً في اليوم بوعاءٍ من الثَّريد، أحيانًا ما يُحَلِّيه بالعسل أو يُضيف إليه القليل من الحليب. أمَّا الثَّاني فأكبر سِنًّا، وجهه ممتقع وظَهره محني، وله شَعر ملوَّث بالشَّحم وبشرة محصَّبة، ويرتدي سُترةً من القطيفة البيضاء على صدرها حلقة من النُّجوم مشغولة بخيطٍ ذهبي، وإن كانت لا تُناسِبه إطلاقًا لكونها قصيرة وفضفاضة للغاية، بخلاف أنها متَّسخة ومهترئة. يأتي الرَّجل داڤوس بأطباق من اللَّحم والهريس أو يخنة السَّمك، وفي مرَّةٍ جلبَ له نِصف فطيرة شِلق، وإن كانت دسمةً للغاية حتى إنه لم يستطِع الاحتفاظ بها في معدته، ومع ذلك كانت وجبةً نادرةً بالنِّسبة لسجينٍ في زنزانة.

لا تسطع شمس أو قمر في الزَّنازين، فلا نوافذ في الجُدران الحجريَّة السَّميكة، والوسيلة الوحيدة التي يُمكنه بها تمييز اللَّيل من النَّهار هي سجَّاناه. لا أحد منهما يُكَلِّمه أبدًا، مع أنه يعلم أنهما ليسا أبكمين، فأحيانًا يسمعهما يتبادلان بضع عباراتٍ مقتضبة حينما يحلُّ موعد تغيير المناوَبة. إنهما يَرفُضان أن يُخبِراه باسميهما حتى، وهكذا أطلقَ عليهما اسمين من ابتكاره، فسمَّى القصير القويَّ سجَّان الثَّريد والمحنيَّ الممتقع سجَّان الشِّلق (نسبةً إلى الفطيرة)، وعلَّم مرور الأيام بالوجبات التي يأتيانه بها وتبديل المشاعل في الحامل على الجِدار خارج الزِّنزانة.

في الظُّلمة تستبدُّ الوحدة بالإنسان، ويتوق إلى سماع صوت بَشريٍّ آخَر، وكلما جاءَ السَّجَّانان لإحضار الطَّعام أو تغيير دلو الفضلات يُخاطِبهما داڤوس عالمًا أنهما سيَصُمَّان آذانهما عن توسُّله الحرِّيَّة أو الرَّحمة، وبدلًا من هذا يُلقي عليهما أسئلةً على أمل أن يُجيبه أحدهما ذات يوم. يسأل: «ما أخبار الحرب؟»، و«هل الملك بخير؟»، يسأل عن ابنه دڤان والأميرة شيرين

وسالادور سان، يسأل: «كيف الطَّقس؟»، و«هل بدأت عواصف الخريف؟ أما زالت السُّفن تقطع (البحر الضيِّق)؟».

لكن مهما سألَ فما من مجيب، وإن كان سجَّان الثَّريد يَرمُقه بنظرةٍ معيَّنة أحيانًا، فيحسب داڤوس لأقل من لحظةٍ أنه على وشك أن يتكلَّم، أمَّا مِن سجَّان الشَّلق فلا ينال هذا القَدر حتى. إنه لا يعدُّني رجلًا، بل مجرَّد حجر يأكل ويتغوَّط ويتكلَّم. قرَّر بَعد فترةٍ أن سجَّان الثَّريد يروقه أكثر، فعلى الأقلّ يبدو أن الرَّجل يعرف أنه حي، وهناك نوع غريب من الحُنُوِّ فيه، حتى إن داڤوس يظنُّ أنه يُطعِم الجرذان، ولهذا السَّبب أعدادها كبيرة، وفي مرَّةٍ خُيِّلَ إليه أنه يُكَلِّمها كأنها أطفال، لكن ربما كان ذلك محض حُلم.

لا ينوون أن يتركوني أموت، بل يُحافِظون على حياتي لغرض ما في أنفسهم. وهو لا يُريد أن يُفكِّر في ذلك الغرض. اللورد صنجلَّاس ظَلَّ حبيس الزَّنازين تحت (دراجونستون) فترةً، وكذا أبناء السير هوبارد رامبتون، وكلُّهم انتهى به الأمر في المحرقة. فكَّر وهو جالس يُحَدِّق إلى المشعل وراء القضبان: كان عليَّ أن أسلِّم نفسي إلى البحر، أو أترك السَّفينة تمرُّ بي وأهلك على صخرتي. أوثِرُ أن أكون طعامًا للسَّراطين على اللَّهب.

ثم جاءَت ليلة كان يلوك فيها اللُّقيمات الأخيرة من عَشائه، عندما شعرَ بحرارةٍ غريبة تكتنفه، فرفعَ عينيه يَنظُر من بين القضبان، ورآها واقفةً ترتدي القرمزي الوهَّاج وعلى حَلقها الياقوتة الكبيرة، وفي عينيها الحمراوين ألق يُضاهي ضوء المشعل الذي يَغمُرها، وبهدوءٍ لا يحسُّ به قال: «مليساندرا».

أجابَت بالهدوء نفسه، كأنهما التقيا على السَّلالم أو في السَّاحة ويتبادَلان تحيَّةً مهذَّبةً: «فارس البصل، أأنت بخير؟».

- «أفضل مما كنتُ».

- «هل يعوزك شيء؟».

- «يعوزني ملكي وابني»، ودفعَ داڤوس وعاء الطَّعام جانبًا ونهضَ سائلًا: «هل أتيتِ لتُحرقيني؟».

تفحَّصته عيناها الحمراوان العجيبتان من خلال القضبان، وقالت: «مكان سيِّئ هذا، أليس كذلك؟ مكان مظلم وكريه. الشَّمس الطيِّبة لا تسطع هنا، ولا القمر الوضَّاء»، ورفعَت يدها مشيرةً إلى المشعل على الجِدار مواصلةً: «هذا

هو كلُّ ما يحول بينك وبين الظَّلام يا فارس البصل، هذه النَّار الصَّغيرة، منَّة راهلور. هل أطفئها؟».

تحرَّك نحو القضبان قائلًا: «لا، أرجوكِ». لا يحسب داڤوس أن بمقدوره أن يحتمل هذا، أن يُترَك في السَّواد الدَّامس بلا صُحبةٍ إلَّا الجرذان.

التوَت شفتا المرأة الحمراء إلى أعلى في ابتسامةٍ وهي تقول: «يبدو أنك أصبحت تُحبُّ النَّار أخيرًا».

رَدَّ ويداه تنقبضان وتنبسطان: «إنني أحتاجُ إلى المشعل». لن أتوسَّل إليها، لن يَحدُث.

- «أنا مِثل هذا المشعل يا سير داڤوس، كلانا أداة لراهلور، كلانا مخلوق لهدفٍ أوحد؛ أن نمنع الظُّلمات من التَّوغُّل. هل تُصدِّق هذا؟».

- «لا». ربما كان حريًّا به أن يكذب ويقول لها ما تُريد أن تسمعه، لكن داڤوس ألفَ قول الحقيقة. «أنتِ أُم الظُّلمات. رأيتُ هذا في (ستورمز إند) عندما ولدتِ الظِّلَّ أمام عينَيْ».

- «هل يخاف فارس البصل الشُّجاع ظِلًّا عابرًا؟ تشجَّع إذن، فالظِّلال لا تعيش إلَّا حين تولَد من الضِّياء، ونيران الملك خامدة للغاية حتى إنني لا أجرؤ على أن آخذ منها جذوةً واحدةً لألدِ ابنًا آخر، خشية أن يَقتُله هذا»، ودنَت مليساندرا متابعةً: «لكن مع رجلٍ آخر... رجلٍ ما زالَ لهبه متَّقدًا حارقًا... إذا كنت تُريد أن تخدم ملكك في قضيَّته حقًّا، فتعالَ إلى غُرفتي ذات ليلة، وسأذيقك متعةً لم تعرف لها مثيلًا، وبنار الحياة فيك يُمكنني أن أصنع...».

قاطعَها داڤوس متراجعًا: «... هو لا. لستُ أريدُ شيئًا منكِ يا سيِّدتي، أو من إلهكِ. عسى (السَّبعة) أن يحموني».

تنهَّدت مليساندرا وقالت: «إنهم لم يحموا جانسر صنجلاس. كان يُصلِّي ثلاث مرَّاتٍ كلَّ يوم، ويحمل سبع نجماتٍ سُباعيَّة على تُرسه، لكن حين مَدَّ راهلور يده استحالَت صلواته إلى صراخ واحترقَ. لماذا تتمسَّك بتلك الآلهة الزَّائفة؟».

- «لقد عبدتها طيلة حيَاتي».

- «طيلة حياتك يا داڤوس سيوورث؟ كأني بك تقول: كنتُ أعبدها البارحة»، وهزَّت رأسها بحزنٍ مضيفةً: «إنك لم تخشَ أن تقول الحقيقة للملوك يومًا، فلِمَ تكذب على نفسك؟ افتح عينيك أيها الفارس».

- «وماذا تُريدينني أن أرى؟».

- «فِطرة العالم. الحقيقة في كلِّ مكانٍ حولك، جليَّة للعيان. اللَّيل مظلم ومفعمٌ بالأهوال، والنَّهار مشرق وجميل ومفعمٌ بالآمال، أحدهما أسود والثَّاني أبيض. هناك الجليد وهناك النَّار، الكراهية والحُب، العلقم والشَّهد، الذَّكر والأنثى، الألم والمتعة، الشِّتاء والصَّيف، الشَّر والخير»، وتقدَّمت منه خُطوةً وأردفَت: «الموت والحياة. في كلِّ مكان الأضداد، في كلِّ مكان الحرب».

- «الحرب؟».

- «الحرب. هناك اثنان يا فارس البصل، لا سبعة أو واحد أو مئة أو ألف، اثنان! هل تحسب أني عبرتُ نِصف العالم لأضع ملكًا تافهًا آخَر على عرشٍ من ورق؟ الحرب مندلعة منذ بدأ الدَّهر، وقبل أن تضع أوزارها على البَشَر قاطبةً أن يختاروا جانبًا يُحاربون فيه. على جانب هناك راهلور، إله الضِّياء، قلب النَّار، رَب اللَّهب والظِّل، وضده يقف الآخَر الأعظم الذي يجب ألَّا يُذكَر اسمه، إله الدَّياجير، روح الجليد، رَب اللَّيل والهول. خيارنا ليس خيارًا بين باراثيون ولانستر أو ستارك وجرايچوي، بل بين الموت والحياة، الظَّلام والنُّور»، وأطبقَت على قضبان زنزانته بيديها البيضاوين النَّاحلتين، وبدَت الياقوتة على عُنقها كأنها تنبض ببريقها الخاص وهي تُواصِل: «قُل لي إذن أيها السير داڤوس سيوورث، وقُل لي بصدق، هل يتَّقد قلبك بضوء راهلور السَّاطع أم أنه أسود وبارد ومليء بالدُّود؟»، ومدَّت يدها من بين قضيبين ومسَّت صدره بثلاثة أصابع، كأنما تستشفُّ حقيقته عبر اللَّحم والصُّوف والجِلد.

بُبطءٍ أجابَ داڤوس: «قلبي مليء بالشُّكوك».

عادَت مليساندرا تتنهَّد وقالت: «آههه يا داڤوس. الفارس الطيِّب صادق حتى الرَّمق الأخير، حتى والظَّلام يُحيط به. خيرٌ لك أنك لم تكذب عليَّ، إذ كنتُ سأعرفُ. كثيرًا ما يُواري خدم الآخَر قلوبهم السَّوداء في الأضواء المبهرجة، ولذا يُعطي راهلور رُهبانه القدرة على قراءة الزَّيف»، وتراجعَت بخفَّةٍ وسألَته: «لماذا أردت أن تَقتُلني؟».

- «سأُخبرِكِ إذا أخبرتِني عمَّن خانَني». لا يُمكن أن يكون إلَّا سالادور سان، لكن حتى في هذه اللَّحظة ما زالَ يأمل أنه لم يكن هو.

ضحكَت المرأة الحمراء، وقالت: «لا أحد خانَك يا فارس البصل. لقد رأيتُ نيَّتك في اللَّهب».

اللَّهب. «إذا كان يُمكنكِ أن تري المستقبَل في اللَّهب، فلماذا احترقنا في (النَّهر الأسود)؟ لقد سلَّمتِ أبنائي إلى النَّار... أبنائي وسفينتي ورجالي، كلُّهم احترقوا...».

هَزَّت مليساندرا رأسها قائلةً: «إنك تتجنَّى عليَّ يا فارس البصل. تلك لم تكن نيراني. لو كنتُ معكم لاختلفَت نتيجة المعركة، لكن جلالته كان محاطًا بالزَّنادقة، وطغَت كبرياؤه على إيمانه. عقابه كان باهظًا، لكنه تعلَّم من غلطته».

أحسَّ داڤوس بفمه يتقلَّص وهو يسأل نفسه: أكان أبنائي مجرَّد درسٍ لملكٍ إذنْ؟

تابعَت المرأة الحمراء: «اللَّيل حالك في ممالككم السَّبع الآن، لكن قريبًا تُشرق الشَّمس من جديد. الحرب مستمرَّة يا داڤوس سيوورث، وعمَّا قريب سيتعلَّم البعض أن أعظم النَّار قد يندلع من مستصغَر الشَّرر. المِايستر العجوز كان يَنظُر إلى ستانيس فلا يرى إلَّا رجلًا، وأنت تراه ملكًا، وكلاكما مخطئ. إنه مختار الإله، مُحارب النُّور. لقد رأيته يقود القتال ضد الظَّلام، رأيته في اللَّهب، واللَّهب لاَ يكذب، وإلَّا لما كنتَ هنا الآن. كلُّ هذا مذكور في النُّبوءات. عندما ينزف النَّجم الأحمر وتشتدُّ حلكة اللَّيل، سيولَد آزور آهاي من جديد وسط الدُّخان والملح ليوقظ التَّنانين من الحجر. النَّجم النَّازف جاءَ وذهبَ، و(دراجونستون) موضع الدُّخان والملح. ستانيس باراثيون هو آزور آهاي!»، وتوهَّجت عيناها الحمراوان كنارين توأمين وبدتا كأنهما تسبران أغوار روحه وهي تُكمِل: «لست تُصَدِّقني، وحتى الآن تُشكِّك في حقيقة راهلور... لكنك خدمته رغم ذلك، وستخدمه ثانيةً. سأتركك هنا لتُفكِّر في كلِّ ما قلته لك، ولأن راهلور منبع الخير كلِّه، سأتركُ لك المشعل أيضًا».

وبابتسامةٍ ودوَّامةٍ من الحرير القرمزي رحلَت تاركةً وراءها أريجها والمشعل.

خفضَ داڤوس نفسه إلى أرضيَّة الزِّنزانة وطوَّق رُكبتيه بذراعيه وقد غمرَه ضوء المشعل المتراقص، وبمجرَّد أن غابَ وقع خُطوات مليساندرا لم يتبقَّ

صوت إلَّا خربشة الجرذان في الجُدران. الجليد والنَّار، الأسود والأبيض، الظَّلام والنُّور. إنه لا يستطيع أن يُنكِر قوَّة إلهها، فقد رأى الظِّلَّ يَخرُج من رَحِمها، والرَّاهبة تعرف أشياء ما كان لها أن تعرفها. رأت نيَّتي في لهبها. من الخير أن يعلم أن سالا لم يبعه، لكن فكرة تلصُّص المرأة الحمراء على أسراره بنارها أوقعَت في نفسه الاضطراب لأقصى حَد. وماذا قصدَت بقولها إنني خدمتُ إلهها وسأخدمه ثانيةً؟ هذا أيضًا أزعجَه كثيرًا.

رفعَ عينيه يَرمُق المشعل، وتطلَّع إليه مدَّةً طويلةً دون أن تطرف عيناه، يُراقِب اللَّهب يتذبذَب ويومض. حاولَ أن يتجاوَزه ببصره، أن يخترق الحجاب النَّاري ويرى لمحةً مما يَسكُن وراءه... لكنه لم يرَ شيئًا، لا شيء إلَّا النَّار، وبَعد فترةٍ بدأت عيناه تدمعان.

معميًّا عن الحقيقة الإلهيَّة ومتعبًا، تكوَّر داڤوس على نفسه فوق القَشِّ وسلَّم نفسه إلى النَّوم.

بَعد ثلاثة أيام -بمعنى أن سجَّان الشِّلق جاءَ مرَّتين وسجَّان الثَّريد ثلاثًا- سمعَ أصواتًا خارج الزِّنزانة، فاعتدلَ جالسًا من فوره وأسندَ ظَهره إلى الجِدار الحجري وأصغى إلى الشِّجار. جديدٌ هذا، تغيير في وتيرة عالمه الثَّابتة. كانت الجلبة آتيةً من اليسار، من حيث تقود الدَّرجات إلى نور النَّهار، وسمعَ صوت رجلٍ يزعق ويتوسَّل.

- «... جنون!»، كان الرَّجل يقول إذ ظهرَ أمامه بين حارسين يَجُرَّانه وعلى صدريهما القلب النَّاري، وقد سبقَهما سجَّان الثَّريد وصلصلة مفاتيحه، ووراءه السير آكسل فلورنت. بضراعةٍ قال السَّجين: «آكسل، بحَقِّ حُبِّك لي دعني! لا يُمكنك أن تفعل هذا. أنا لستُ خائنًا». كان رجلًا أكبر سِنًّا، نحيلًا طويل القامة ذا شَعرٍ أشيب فضِّي ولحيةٍ مدبَّبة ووجهٍ وسيم طويل التوَت ملامحه خوفًا. «أين سيليس؟ أين الملكة؟ أطالبُ بأن أراها. فليأخذكم (الآخَرون) جميعًا! أطلِقوا سراحي!».

لم يُعِر الحُرَّاس جعجعته اهتمامًا، وسألَ سجَّان الثَّريد أمام الزِّنزانة: «هنا؟».

قامَ داڤوس، وفكَّر لحظةً في أن يهرع من بينهم عندما ينفتح الباب، لكنه

وجدَ هذا جنونًا، فالحُرَّاس عددهم كبير ويحملون سيوفًا، وسجَّان الثَّريد قوي كالثِّيران.

أومأ السير آكسل للسَّجَّان باقتضاب، وقال: «فليستمتع كلا الخائنيْن برِفقة الثَّاني».

بصوتٍ كالصَّرير صاحَ السَّجين بينما حرَّك السَّجَّان مفتاحه في باب الزِّنزانة: «لستُ خائنًا!». على الرغم من أنه يرتدي ثيابًا تقليديَّةً -سُترةً رماديَّةً من الصُّوف وسراويل سوداء- نمَّت لكنته عن أنه كريم النَّسب. لكن نَسبه لن يُنقِذه هنا.

فتحَ السَّجَّان الباب، وأعطى السير آكسل الإذن برأسه، فألقى الحارسان السَّجين في الدَّاخل مباشرةً، وتعثَّر الرَّجل وكادَ يَسقُط لو لا أن داڤوس أمسكَه، إلَّا أنه تملَّص منه في الحال وتقدَّم مترنِّحًا نحو الباب، فقط ليُصفَق في وجهه المدلَّل الشَّاحب، فصاحَ: «لا، لاااا!»، قبل أن ينفد كلُّ ما في ساقيه من قوَّةٍ فجأةً ويخرُّ ببُطءٍ إلى الأرض وهو متمسِّك بالقضبان الحديد. انسحبَ السير آكسل والحُرَّاس والسَّجَّان ليُغادِروا، وزعقَ السَّجين مخاطبًا ظهورهم: «لا يُمكنكم أن تفعلوا هذا! أنا يد الملك!».

عندها تعرَّفه داڤوس، وقال: «أنت آلستر فلورنت».

التفتَ الرَّجل قائلًا: «مَن...».

- «السير داڤوس سيوورث».

حدَّق اللورد آلستر إليه، وغمغمَ: «سيوورث... فارس البصل. لقد حاولتَ أن تغتال مليساندرا».

لم يُحاوِل داڤوس الإنكار، وقال: «في (ستورمز إند) كنت ترتدي دِرعًا من الذَّهب الأحمر، بزهور مرصَّعة باللَّازَوَرْد على واقي الصَّدر»، ومَدَّ يده يُساعِد الرَّجل على النُّهوض.

نفضَ اللورد آلستر القَشَّ المتَّسخ عن ملابسه قائلًا: «يجب... يجب أن أعتذر لمظهري أيها الفارس. لقد فقدتُ صناديقي عندما اجتاحَ جنود لانستر معسكَرنا، ولم أهرب إلَّا بقميصي المعدني وخواتمي».

فكَّر داڤوس الذي لا يملك أصابعه كاملةً حتى: مازال يضع تلك الخواتم. واصلَ اللورد آلستر دون أن يعي ما يجول ببال داڤوس: «لا شَكَّ أن مساعد

طاهٍ أو عامل اسطبلاتٍ ما يمشي مختالًا الآن في (كينجز لاندنج) وهو يرتدي سُترتي المخمليّة المشرَّطة ومعطفي المحلّى بالجواهر، لكن للحرب أهوالها كما يعلم الجميع. لا شَكَّ أنك خبرت الخسارة عن نفسك».

- «خسرتُ سفينتي وجميع رجالي وأربعةً من أبنائي».

- «عسى أن... عسى أن يقودهم إله الضِّياء من الظَّلام إلى عالم أفضل».

قال داڤوس في أعماقه: عسى أن يَحكُم عليهم (الأب) بالعدلِ وترحمهم (الأُم)، لكنه احتفظَ بدعائه لنفسه، فـ(السَّبعة) لا مكان لهم في (دراجونستون) الآن.

واصلَ اللورد: «ابني آمِن في (قلعة المياه الوضَّاءة)، لكني فقدتُ ابن أخي على متن (الثَّورة). السير إمري كان ابن أخي ريام».

كان السير إمري فلورنت هو من قادَهم كالأعمى في (النَّهر الأسود) بأقصى سُرعةٍ للمجاذيف، دون أن ينتبه إلى البُرجين الحجريَّين الصَّغيريْن عند مدخل النَّهر، وليس من السَّهل أن ينساه داڤوس. قال وهو يتذكَّر آخِر لمحةٍ رآها من (الثَّورة) وقد ابتلعَتها النَّار: «ابني ماريك كان رئيس المجذِّفين عند ابن أخيك. هل من أخبار عن أيِّ ناجين؟».

أجابَ حضرة اللورد: «(الثَّورة) احترقَت وغرقَت بكلِّ رجالها، وضاعَ ابنك وابن أخي مع رجالٍ صالحين لا يُحصوا. لقد خسرنا الحرب نفسها في ذلك اليوم أيها الفارس».

تذكَّر داڤوس كلام مليساندرا عن اندلاع أعظم النَّار من مستصغَر الشَّرر، وفكَّر: الرَّجل مهزوم. لا عجب أنه هنا الآن، ثم إنه قال: «جلالته لن يستسلم أبدًا يا سيِّدي».

قال اللورد آلستر: «حماقة، إنها حماقة»، وعادَ يجلس على الأرض كأنه لا يقوى على مجهود الوقوف لحظات، وتابعَ: «ستانيس باراثيون لن يجلس على العرش الحديدي أبدًا. أهي خيانة أن يقول المرء الحقيقة؟ إنها حقيقة مريرة، لكنها تظلُّ حقيقةً. لقد خسرَ أسطوله كلَّه باستثناء سُفن اللايسينيِّين، وسالادور سان سيُوَلِّي الأدبار بمجرَّد أن يلمح شراعًا عليه رمز لانستر، ومعظم اللوردات الذين دعموا ستانيس إمَّا أعلنوا ولاءهم لجوفري وإمَّا ماتوا...».

- «حتى لوردات (البحر الضيِّق)؟ اللوردات الذين أقسَموا لـ(دراجونستون)؟».

لوَّح اللورد آلستر بيده بوهنٍ مجيبًا: «اللورد سلتيجار وقعَ في الأسر وركعَ، ومونفورد ڤيلاريون ماتَ مع سفينته، وصنجلاس أحرقَته المرأة الحمراء، وبار إمون في الخامسة عشرة وبدين وضعيف. أولئك لوردات (البحر الضيِّق). لم يتبقَّ مع ستانيس إلَّا قوَّة عائلة فلورنت ضد جبروت (هايجاردن) و(صنسپير) و(كاسترلي روك)، علاوةً على معظم لوردات أراضي العواصف الآن أيضًا. الأمل الوحيد الباقي أن يُحاول استنقاذ شيء بالسَّلام. هذا كلُّ ما أردتُ أن أفعله، فكيف يُسَمُّونها خيانةً بحَقِّ الآلهة؟».

نهضَ داڤوس عاقدًا حاجبيه، وقال: «ماذا فعلت يا سيِّدي؟».

- «لم أقارف خيانةً، لم تكن خيانةً البتَّة. إنني أحبُّ جلالته ككلِّ رجلٍ آخر. ابنة أخي ملكته، وظللتُ مخلصًا له عندما لاذ رجالٌ أكثر حكمةً بالفرار. أنا يده، يد الملك، فكيف يُمكن أن أكون خائنًا؟ لم أُرد إلَّا أن أنقذ حياتنا و... وشَرفنا... نعم»، ولعقَ الرَّجل شفتيه، وتابعَ: «كتبتُ رسالةً. سالادور سان أقسمَ أن لديه رجلًا يستطيع أن يُوَصِّلها إلى (كينجز لاندنج)، إلى اللورد تايوين. حضرة اللورد رجل... رجل عاقل، وشروطي... شروطي كانت عادلةً... أكثر من عادلة».

- «وماذا كانت تلك الشُّروط يا سيِّدي؟».

قال اللورد آلستر فجأةً: «المكان قذر هنا، وهذه الرَّائحة... ما هذه الرَّائحة؟».

أجابَ داڤوس مشيرًا: «الدَّلو. لا يوجد مرحاض هنا. ماذا كانت الشُّروط؟».

حدجَ حضرة اللورد الدَّلو بهلع، ثم قال: «أن يتخلَّى اللورد ستانيس عن دعواه للعرش الحديدي ويتراجَع عن كلِّ ما قاله عن نغولة چوفري، بشرط أن يُقبَل في سلام الملك ثانيةً ويُصَدَّق على سيادته على (دراجونستون) و(ستورمز إند). تعهَّدتُ بأن أفعل المِثل مقابل استعادة (قلعة المياه الوضَّاءة) وجميع أراضينا. خطرَ لي أن... أن اللورد تايوين سيرى ما في عرضي من عقل، فلم يزل عليه أن يتعامَل مع آل ستارك والرِّجال الحديديِّين أيضًا.

عرضتُ أن نُقِرَّ الصَّفقة بتزويج شيرين بتومن أخي چوفري»، وهَزَّ رأسه مضيفًا: «الشُّروط... إنها أفضل من أيِّ شيءٍ سنناله على الإطلاق. حتى أنت يُمكنك أن ترى هذا، أليس كذلك؟».

قال داڤوس: «نعم، حتى أنا». ما لم يُنجِب ستانيس ابنًا، فزيجة كتلك تعني أن (دراجونستون) و(ستورمز إند) سوف تنتقلان إلى تومن ذات يوم، وهو ما من شأنه أن يَسُرَّ اللورد تايوين لا ريب، وفي تلك الأثناء سيحتفظ آل لانستر بشيرين كرهينة لضمان ألَّا يتمرَّد ستانيس مجدَّدًا. «وماذا قال جلالته حين عرضت عليه هذه الشُّروط؟».

- «إنه مع المرأة الحمراء طيلة الوقت و... وأخشى أنه ليس بكامل عقله. هذا الكلام عن تنِّين حجري... إنه جنون، أؤكِّدُ لك، جنون خالص. ألم نتعلَّم شيئًا من إريون اللَّهب السَّاطع؟ من المشعوذين التِّسعة؟ من الخيميائيِّين؟ ألم نتعلَّم شيئًا من (قلعة الصَّيف)؟ قلتُ لآكسل إن لا خير يأتي أبدًا من أحلام التِّنانين تلك. وسيلتي كانت أفضل، أضمن، وستانيس أعطاني خَتمه، أعطاني الإذن في أن أحكم. اليد يتكلَّم بصوت الملك».

ليس داڤوس من رجال الحاشية، ولم يُحاول أن يُخَفِّف وطأة كلماته، وهكذا قال: «ليس في هذا. ليس من شيمة ستانيس أن يستسلم ما دامَ يعلم أن دعواه عادلة، ولا يُمكنه أن يرجع في كلامه عن چوفري وهو واثق بأنه صحيح. وبالنِّسبة للزَّواج، فقد وُلِدَ تومن من زنى المحارم نفسه كچوفري، وجلالته يُفَضِّل أن تموت شيرين على أن تتزوَّج مِثله».

راحَ عِرق في جبهة فلورنت ينبض وهو يقول: «ليس لديه خيار!».

- «أنت مخطئ يا سيِّدي، فيُمكنه أن يختار أن يموت ملكًا».

- «ونموت معه؟ أهذه رغبتك يا فارس البصل؟».

- «لا، لكني رجل الملك، ولا أعقدُ السَّلام دون أن يأذن لي».

حدَّق اللورد آلستر إليه بعجزٍ طويلًا، ثم أجهشَ بالبكاء.



چون

جَنَّت اللَّيلة الأخيرة سوداء بلا قمر، لكن على الأقل كانت السَّماء صافيةً عندما قال چون للتِّنِّينين الواقفين على مدخل الكهف: «سأصعدُ التَّل لأبحث عن جوست»، فدمدَموا وتركوه يمرُّ.

فكَّر وهو يصعد المنحدَر وسط أشجار الصَّنوبر والتَّنُّوب والدَّردار: نجوم كثيرة للغاية. في صِباه في (وينترفل) علَّمه المايستر لوين مساقط النُّجوم ومغاربها، وعلَّمه أسماء بروج السَّماء الاثني عشر والنَّجمات الأبرز في كلٍّ منها، وباستطاعته أن يُعَيِّن منازل الرَّحَّالة السَّبعة الذين تُقَدِّسهم (العقيدة)، فهو صديق قديم لـ(التِّنين الجليدي) و(قِط الظِّل) و(عذراء القمر) و(سيف الصَّباح)، وكلُّها أسماء مشترَكة بينه وبين إيجريت، مع أن ثمَّة خلافًا بينهما على أسماء بعض الكوكبات الأخرى. نرفع أعيُننا إلى النُّجوم نفسها ونرى أشياء مختلفة تمامًا. بالنِّسبة لها (تاج الملك) اسمها (المهد)، و(الفَحل) هي (اللورد ذو القرنين)، والنَّجم المسمَّى (الرَّحَّال الأحمر) الذي يُبَشِّر السِّپتونات بأنه مقدَّس عند إلههم (الغريب) اسمه هنا (اللِّص)، وقد أكَّدت إيجريت أنه عندما يقع (اللِّص) في (عذراء القمر) فهذا وقت مواتٍ لأن يختطف الرَّجل امرأةً، وأضافَت: «كاللَّيلة التي اختطفتني فيها وكان (اللِّص) في أوج ألقه».

قال: «لم تكن نيَّتي أن أختطفكِ، ولم أعرف حتى أنكِ فتاة إلى أن وضعتُ سكِّيني على عُنقكِ».

رَدَّت إيجريت بعناد: «إذا قتلت رجلًا ولم تكن تلك نيَّتك، فهل يختلف موته في شيء؟». لم يعرف چون أحدًا بهذا العناد قَطُّ، باستثناء أخته الصَّغيرة آريا ربما. أما زالت أختي؟ وهل كانت أصلًا؟ إنه لم يكن من آل ستارك حقًّا،

بل مجرَّد ابن غير شرعي بلا أُم للورد إدارد، ولا مكان له في (وينترفل) أكثر من ثيون جرايچوي، لكن حتى هذا ضاعَ منه، فمعنى أن يحلف الرَّجل يمين حَرس اللَّيل أنه يتخلَّى عن عائلته القديمة وينضمُّ إلى أخرى جديدة... غير أن چون سنو خسرَ هؤلاء الإخوة أيضًا.

وجدَ جوست على قمَّة التَّل كما توقَّع. لا يعوي هذا الذِّئب الأبيض أبدًا، لكن شيئًا ما يجتذبه إلى الأعالي دومًا على الرغم من ذلك، فيقبع هناك على عجيزته وتتصاعَد أنفاسه كضبابٍ أبيض بينما تتشرَّب عيناه الحمراوان النُّجوم.

جثا چون على رُكبةٍ واحدة إلى جوار الذِّئب الرَّهيب، وسأله وهو يحكُّ الفرو الأبيض الكثيف على عُنقه: «هل تُطلِق عليها أسماء من عندك أيضًا؟ الأرنب البرِّي؟ الظَّبية؟ الذِّئبة؟». لعقَ جوست وجهه ليحتكَّ لسانه الخشن المبتل بقشور الجروح التي خلَّفتها براثن النَّسر على وجنة چون، ففكَّر: ذلك الطَّائر وضعَ علامته على كلينا، ثم إنه قال بهدوء: «جوست، غدًا سنتسلَّق (الجدار). لا توجد سلالم هنا أو قفص ورافعة، لا وسيلة لأعبر بك إلى الجانب الآخَر. يجب أن نفترق، هل تفهم؟».

في الظَّلام تبدو عينا الذِّئب الرَّهيب الحمراوان سوداوين، وقد مرَّغ خَطمه في عُنق چون بصمته المعتاد وأنفاسه تَخرُج بُخارًا ساخنًا. يقول الهَمج إن چون سنو وارْج، لكن إذا كان كذلك حقًّا فهو وارْج رديء. إنه لا يدري كيف يرتدي جِلدة الذِّئب كما كان أورل يفعل مع النَّسر قبل أن يموت. في مرَّةٍ رأى چون في منامه أنه جوست، يتطلَّع من أعلى إلى وادي (النَّهر اللَّبني) حيث جمعَ مانس رايدر شعبه، واتَّضح أن ذلك الحُلم رؤيا حقيقيَّة، لكنه لا يَحلُم الآن، وليس في جَعبته إلَّا الكلام.

قال مطوِّقًا وجه الذِّئب بيديه وناظرًا بعُمقٍ في هاتين العينين: «لا يُمكنك أن تأتي معي. عليك أن تعود إلى (القلعة السَّوداء)، هل تفهم؟ (القلعة السَّوداء). هل تعرف كيف تعود؟ هل تعرف الطَّريق إلى الدِّيار؟ اتبع الجليد شرقًا وشرقًا نحو الشَّمس وستجدها. سيعرفونك هناك، وربما تُنذِرهم عودتك». كان قد فكَّر في كتابة تحذير يحمله جوست، لكن ليس في حوزته حبر أو ورق أو حتى ريشة كتابة، ومخاطَرة اكتشاف أمره كبيرة للغاية. «سألقاك ثانيةً في

(القلعة السَّوداء)، لكن يجب أن تعود بمفردك. على كلٍّ منا أن يصطاد وحده بعض الوقت، وحده».

تملَّص الذِّئب الرَّهيب من يدَيْ چون وقد أرهفَ أُذنيه، وفجأةً اندفعَ يَركُض مبتعدًا، ووثبَ عبر أكمةٍ متشابكة وفوق جذعٍ ميت وانطلقَ نازلًا التَّل كشُعاع شاحب بين الأشجار، فتساءلَ چون: أهو ذاهبٌ إلى (القلعة السَّوداء) أم يُطارِد أرنبًا؟ تمنَّى لو علمَ الجواب وهو يخشى أنه أخفقَ كوارْج كما أخفقَ كأخٍ محلَّف وجاسوس.

هفَّت الرِّيح بين الأشجار محمَّلةً برائحة إبر الصَّنوبر وشَدَّت معطفه الأسود الباهت. كان يرى (الجدار) يرتفع عاليًا داكنًا إلى الجنوب، ظِلًّا عظيمًا يحجب النُّجوم، وجعلَت الأرض المتحدِّرة الوعرة چون يُفَكِّر أنهم في مكانٍ ما بين (بُرج الظِّلال) و(القلعة السَّوداء) بلا شَك، وغالبًا أقرب إلى الأولى. منذ أيام وهُم يشقُّون طريقهم جنوبًا وسط بحيراتٍ عميقة تمتدُّ كأصابع طويلة رفيعة بمحاذاة قيعان الأودية الضيِّقة، بينما تتزاحَم الأخاديد الصَّوَّان والتِّلال المكلَّلة بالصَّنوبر على الجانبين. تلك التَّضاريس تجعل الرُّكوب بطيئًا، وإن كانت تُيسِّر التَّمويه على من يرغبون في الاقتراب من (الجِدار) دون أن يراهم أحد.

تُيسِّره على هجَّانة الهَمج، مِثلنا... مِثلي.

وراء (الجِدار) تقع (الممالك السَّبع) وكلُّ ما أقسمَ أن يحميه. لقد حلفَ اليمين ونذرَ حياته وشَرفه، والحَق أن من المفترَض أن يكون واقفًا حراسةً على القمَّة في هذه اللَّحظة، المفترَض أن يرفع بوقًا إلى شفتيه ويدعو حَرس اللَّيل إلى السِّلاح. لكنه لا يحمل بوقًا، ومع أنه لا يحسب أن سرقة واحدٍ من الهَمج ستكون صعبةً، فما الذي سيُحَقِّقه ذلك؟ حتى إذا نفخَ فيه، فليس هناك من يسمع. (الجِدار) يمتدُّ مئة فرسخ، والحَرس أعدادهم قليلة على نحوٍ يُرثى له، وثلاثة فقط من معاقلهم لم يُهجَر، وقد يكون أقرب أخٍ من هنا على مسافة أربعين ميلًا. ليس هناك إلَّا چون، هذا إذا كان لا يزال أخًا...

كان عليَّ أن أحاول أن أقتل مانس رايدر فوق (القبضة)، حتى إذا دفعتُ حياتي ثمنًا. هذا ما كان كورين ذو النِّصف يد ليفعله، لكن چون تردَّد وأفلتَت منه الفُرصة، وفي اليوم التَّالي تحرَّكَ مع الماجنَر ستير وچارل وأكثر من مئةٍ من الثِّنِّيين والمغيرين المنتقين بعناية. قال لنفسه إنه يتحيَّن المناسَبة لا

أكثر، وعندما تأتي اللَّحظة سيُفلِت منهم ويهرع إلى (القلعة السَّوداء)، لكن اللَّحظة لم تأتِ قَطُّ. هكذا يستريحون كلَّ ليلةٍ في إحدى قُرى الهَمج الخاوية، ودائمًا يُعَيِّن ستير دستةً من الثِّنِّيين لحراسة الخيول، كما أن چارل يُراقِبه بريبةٍ مستمرَّة، وإيجريت لا تبتعد عنه أبدًا في اللَّيل أو النَّهار.

قلبان ينبضان كواحد. رنَّت كلمات مانس رايدر السَّاخرة في أُذنيه بوقع مرير. نادرًا ما أحسَّ چون بهذه الحيرة، لكنه قال لنفسه أول مرَّة حين انسلَّتَ إلى جواره تحت الأغطية: ليس لديَّ خيار. إذا رفضتها فستعرف أني كاذب. إنني ألعبُ الدَّور الذي قال لي ذو النِّصف يد أن ألعبه.

جسده لعبَ الدَّور بلهفة. شفتاه على شفتيها، يده تتسلَّل تحت قميصها المصنوع من جِلد الظَّبي إلى نهدها، ذَكره الذي انتصبَ عندما مرَّرت جبل زهرتها عليه من فوق ملابسهما. لحظتها فكَّر: قَسمي، وتذكَّر بُستان الويروود الذي ردَّده فيه، دائرة الأشجار البيضاء العظيمة التِّسع والوجوه الحمراء المحفورة عليها تشهد وتُصغي. لكن أصابعها كانت تحلُّ أربطة سراويله، ولسانها في فمه، ويدها تمتدُّ داخل ثيابه الدَّاخليَّة وتُخرجه، ولم يَعُد يرى أشجار الويروود، لم يَعُد يرى إلَّاها. عضَّت عُنقه ومرَّغ وجهه في عُنقها ودفنَ أنفه في شَعرها الأحمر الغزير. محظوظة، إنها محظوظة، قبَّلتها النَّار. همسَت وهي تقوده إلى داخلها: «أليس هذا جميلًا؟». كانت مبتلَّةً تمامًا في الأسفل، وواضح جدًّا أنها ليست عذراء، لكن چون لم يعبأ. قَسمه، بكورتها، لا شيء من هذا همَّه، لا شيء إلَّا حرارتها وفمها على فمه والإصبع الذي قرصَت به حلمته. عادَت تقول: «أليس هذا جميلًا؟»، ثم: «ليس بسُرعة، أوه، ببُطء، نعم، هكذا، هكذا، نعم، جميل، جميل. لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو، لكن يُمكنني أن أريك. أسرِع الآن، نعممممم».

بَعدها حاولَ أن يُذَكِّر نفسه قائلًا لها: مجرَّد دور، إنني ألعبُ دورًا لا أكثر. كان عليَّ أن أفعلها مرَّةً لأثبتُ أني حنثتُ بقَسمي، كان عليَّ أن أجعلها تثق بي. لا حاجة لأن يفعلها ثانيةً إذن. إنه ما زالَ رجلًا في حَرس اللَّيل وابن إدارد ستارك، وقد فعلَ ما تحتَّم عليه أن يفعله وأثبتَ ما احتاجَ إلى إثباته.

على أن الإثبات كان رائع العذوبة حقًّا، وخلدَت إيجريت إلى النَّوم إلى جواره مسندةً رأسها إلى صدره، وكان هذا جميلًا أيضًا، جميلًا لدرجةٍ في

منتهى الخطورة. ومن جديدٍ فكَّر في أشجار الويروود والكلمات التي ردَّدها أمامها. كانت مرَّةً واحدةً ضروريَّةً. حتى أبي زَلَّ مرَّةً لمَّا نسيَ عهود زواجه وأنجبَ نغلًا. أقسمَ چون لنفسه أن الأمر لن يكون كذلك معه. لن يَحدُث هذا ثانيةً أبدًا.

تطارَحا الغرام مرَّتين أخريين ليلتها، ثم ثالثةً في الصَّباح عندما استيقظَت لتجده منتصبًا. كان الهَمج ينهضون من نومهم، ولم يستطِع كثيرون منهم إلَّا أن يلحظوا ما يجري تحت كومة الفرو. قال لهما چارل أن يُسرعا، قبل أن يضطرَّ إلى أن يَسكُب عليهما دلوًا من الماء، وبَعدها فكَّر چون: ككلبين يتسافَدان. أهذا ما صارَ إليه؟ بإصرار قال صوت بعيد في أعماقه: أنا رجل في حَرس اللَّيل، لكنه يزداد خفوتًا كلَّ لَيلة، وعندما تُقَبِّل إيجريت أُذنه أو تَعَضُّ عُنقه لا يسمعه على الإطلاق. أهذا ما حدثَ مع أبي؟ أكان ضعيفًا هكذا مِثلي حين لوَّث شَرفه في فِراش أمِّي؟

أدركَ بغتةً أن شيئًا ما يصعد التَّل من ورائه، وحسبَ لحظةً أن جوست قد عادَ، لكن الذِّئب الرَّهيب لا يُصدِر تلك الجلبة أبدًا. استلَّ چون مخلبه الطَّويل بسحبةٍ واحدةٍ ناعمة، لكن القادم كان مجرَّد واحدٍ من الثِّنِّيين، رجلًا عريض الصَّدر يعتمر خوذةً من البرونز قال له: «سنو، تعالَ، ماجنَر يُريد».

يتكلَّم أهل (ثِن) اللُّغة القديمة، وأغلبهم لا يعرف إلَّا كلماتٍ قليلة من العاميَّة، ومع أن چون لا يُبالي كثيرًا بما يُريده الماجنَر، لكن لا جدوى من الجدل مع شخص يكاد لا يفهمه، فتبعَ الرَّجل إلى سفح التَّل.

كان مدخل الكهف عبارة عن صدع في الصَّخر يتَّسع بالكاد لمرور حصان، وشِبه متوارٍ خلف شجرة صنوبرٍ جُندي، كما أنه يقع إلى الشَّمال، وهو ما يحول دون أن يرى أحد وهج النَّار في الدَّاخلِ من فوق (الجدار)، فإذا تصادفَ أن مرَّت دوريَّة على القمَّة اللَّيلة، فلن ترى إلَّا تلالًا وأشجارًا ولمعةً جليديَّةً لضوء النُّجوم على صفحة بحيرةٍ نِصف متجمِّدة. لقد أحسنَ مانس رايدر التَّخطيط لضربته.

في داخل الصَّخرة يهبط الممرُّ عشرين قدمًا قبل أن ينفتح على مساحةٍ باتِّساع القاعة الكُبرى في (وينترفل). اشتعلَت بؤر نار الطَّهو بين الأعمدة، يتصاعَد دُخانها ليُسَوِّد السَّقف الحجري، ورُبطَت الخيول معًا عند أحد

الحوائط إلى جوار بركةٍ ضحلة، وفي منتصَف الأرضيَّة ينفتح هبوط أرضي على ما قد يكون كهفًا أكبر في الأسفل، لكن العتمة جعلَت التَّمييز صعبًا، وإن سمعَ چون خرير جدولٍ يجري تحت الأرض.

مع الماجنَر كان چارل، إذ أعطاهما مانس القيادة المشترَكة، وقد لاحظَ چون مبكِّرًا أن ستير ليس راضيًا عن هذا إطلاقًا. مانس رايدر نعتَ الشَّاب الأسمر بحيوان ڤال المدلَّل، وهي أخت دالا ملكته، أي أن چارل يُعَدُّ بشكلٍ ما صهرًا لملك ما وراء الجدار. من الواضح أن الماجنَر يَمقُت أن يُقاسِمه أحد السُّلطة، سيَّما أنه جلبَ مئةً من الثِّنِّيين، أي خمسة أضعاف رجال چارل، وعليه فإنه يتصرَّف غالبًا كأن القيادة له وحده. لكن چون يعلم أن الشَّاب هو من سيَعبُر بهم فوق الجليد، فچارل يشنُّ الغارات منذ سنوات على الرغم من أن سِنَّه لا تتعدَّى العشرين، وتسلَّق (الجِدار) عدَّة مرَّات مع ألفين قاتِل الغِربان والبكَّاء وأمثالهما، وفي الفترة الأخيرة مع مجموعته الخاصَّة.

قال الماجنَر بلا موارَبة: «چارل حذَّرني من دوريَّات الغِربان في الأعلى. أخبِرني بما تعرفه عن هذه الدَّوريَّات».

لاحظَ چون أنه قال: أخبِرني بدلًا من: أخبِرنا، مع أن چارل يقف إلى جواره. لم يكن ليستمتع بشيءٍ لحظتها كأن يَرفُض المطلب الجاف، لكنه يعلم أن ستير سيَقتُله مع أول لمحة غدر، ثم يَقتُل إيجريت أيضًا لجريمة كونها امرأته، فأجابَ: «هناك أربعة رجال في كلِّ دوريَّة، جوَّالان وبنَّاءان. مهمَّة البنَّائين أن يُلاحِظوا الصُّدوع والذَّوبان وغيرهما من المشاكل في بنية (الجِدار)، بينما يبحث الجوَّالة عن أيِّ أثر للأعداء. يركبون البغال».

مال الرَّجل عديم الأُذنين إلى الأمام قائلًا: «البغال؟ البغال بطيئة».

- «بطيئة لكن أكثر ثباتًا على الجليد. غالبًا ما تتحرَّك الدَّوريَّات على قمَّة (الجِدار)، وبخلاف (القلعة السَّوداء) لم تُفرَش الممرَّات بالحصى منذ سنواتٍ طويلة. البغال تُستَولَد في (القلعة الشَّرقيَّة) وتُدَرَّب على هذه المهمَّة تحديدًا».

- «غالبًا تتحرَّك على القمَّة لكن ليس دائمًا؟».

- «نعم. دوريَّة من كلِّ أربع تمضي بمحاذاة القاعدة بحثًا عن شقوقٍ في الجليد أو علامات حفْر».

أومأ الماجنَر برأسه، وقال: «حتى في (ثِن) البعيدة نعرف حكاية آرسون بلطة الجليد ونفقه».

جون أيضًا يعرف الحكاية. كان آرسون بلطة الجليد قد توغَّل حتى منتصَف (الجِدار) عندما عثرَ جوَّالة من (قلعة اللَّيل) على نفقه، فلم يُحاوِلوا أن يُزعِجوه وهو يَحفُر، واكتفوا بأن سَدُّوا الطَّريق وراءه بالجليد والحجارة والثَّلج. اعتادَ إد الكئيب أن يقول إنك إذا ضغطت أُذنك على وجه (الجِدار) ستسمع آرسون لا يزال يُعمِل بلطته في الجليد.

– «متى تَخرُج تلك الدَّوريَّات؟ وبأيِّ معدَّل؟».

هَزَّ جون كتفيه مجيبًا: «لا يوجد جدول ثابت. سمعتُ أن حضرة القائد كارجويل كان يُرسِلها كلَّ ثلاثة أيام من (القلعة السَّوداء) إلى (القلعة الشَّرقيَّة) على البحر، وكلَّ يومين من (القلعة السَّوداء) إلى (بُرج الظِّلال)، لكن أعداد الحَرس كانت أكبر أيامها. حضرة القائد مورمونت يُفضِّل أن يُنوِّع عدد الدَّوريَّات وأيام خروجها، ليُصَعِّب على أيِّ أحد أن يُلِمَّ بذهابها وإيابها، وأحيانًا يُرسِل الدُّب العجوز قوَّةً أكبر إلى إحدى القلاع المهجورة مدَّة أسبوعين أو قمر». يعرف جون أن عمَّه استحدثَ هذا الأسلوب، أي شيء يُربِك العدوَّ.

سألَه چارل: «هل (الباب الحجري) مأهولة في الوقت الحالي؟ أو (الحارس الرَّمادي)؟».

إذن فحن بين هاتين القلعتين، أليس كذلك؟ حرصَ جون على أن يُحافِظ على ملامحه جامدةً، وأجابَ: «فقط (القلعة الشَّرقيَّة) و(القلعة السَّوداء) و(بُرج الظِّلال) كانت مأهولةً عندما تركتُ (الجِدار)، ولا أدري ماذا فعلَ باون مارش أو السير دينس منذ ذلك الحين».

سألَ ستير: «كم غُرابًا تبقَّى في هذه القلاع؟».

– «خمسمئة في (القلعة السَّوداء)، ومئتان في (بُرج الظِّلال)، وربما ثلاثمئة في (القلعة الشَّرقيَّة)». أضافَ جون ثلاثمئة رجلٍ إلى العدد مفكِّرًا: ليت الأمر بهذه السُّهولة...

إلَّا أن چارل لم ينخدع، وقال لستير: «إنه يكذب، أو أنه تضمَّن مَن فقدوهم فوق (القبضة)».

قال الماجنَر منذرًا: «لا تحسبني مانس رايدر أيها الغُراب. إذا كذبت عليَّ سأقطعُ لسانك».

رَدَّ چون وهو يقبض ويبسط يده المحروقة: «لستُ غُرابًا، ولا أقبلُ أن أُنعَت بالكذب».

تفحَّصه ماجنَر (ثِن) بعينيه الرَّماديَّتين الباردتين، قبل أن يقول: «سنعرف أعدادهم قريبًا. اذهب. سأستدعيك إذا كانت لديَّ أسئلة أخرى».

حنى چون رأسه بجمود وذهبَ مفكِّرًا: لو أن الهَمج كلَّهم مِثل ستير لكانت خيانتهم أسهل. لكن الثِّنِّيين ليسوا كباقي شعب الأحرار، والماجنَر يَزعُم أنه آخِر البَشر الأوائل، ويَحكم بقبضةٍ من حديد. أرضه الصَّغيرة المسمَّاة (ثِن) عبارة عن وادٍ جبلي عالٍ وسط الذُّرى في أقصى شمال (أنياب الصَّقيع)، يُحيط بها أهل الكهوف وذوو الحوافر والعمالقة وعشائر الأنهار الجليديَّة آكلة البَشر. قالت إيجريت إن الثِّنِّيين محاربون ضارون، وأنهم يَعُدُّون ماجنَرهم إلهًا، وهو ما صدَّقه چون، فعلى عكس چارل وهارما وذي القميص المُخشخِش، يتمتَّع ستير بطاعةٍ مطلقة من رجاله، ولا ريب أن هذا الانضباط الشَّديد جزء من السَّبب الذي حدا بمانس إلى اختياره لتسلُّق (الجدار).

مَرَّ بالثِّنِّيين الجالسين على خوذاتهم البرونز المستديرة حول بؤر النَّار متسائلًا: أين ذهبَت إيجريت؟ وجدَ عُدَّتها وعُدَّته معًا، ولا أثر للفتاة نفسها، لكن جريج التَّيس قال له مشيرًا إلى مؤخِّرة الكهف: «أخذَت مشعلًا وذهبَت في هذا الاتِّجاه».

تبعَ چون إصبع الرَّجل ووجدَ نفسه في ردهةٍ خلفيَّة معتمة، يمشي في متاهةٍ من الأعمدة والهوابط. كان يُفَكِّر أنها لا يُمكن أن تكون هنا عندما سمعَ ضحكتها، فالتفتَ ناحية الصَّوت، لكن بَعد عشر خُطواتٍ لا أكثر وجدَ نفسه عند نهايةٍ مسدودة، يُواجِه حائطًا مصمتًا من الحجر الجيري المتكلِّس امتزجَ فيه الوردي بالأبيض. بارتباكٍ عادَ أدراجه، ثم إنه رأى الفجوة المظلمة تحت بروزٍ من الصَّخر المبتل، فجثا عند الحافة مصغيًا وسمعَ خرير مياهٍ خافت، فقال: «إيجريت؟».

جاءَه صوتها مصحوبًا بصدًى خفيف: «هنا».

اضطرَّ چون إلى الزَّحف نحو دستةٍ من الخُطوات قبل أن ينفتح الكهف

من حوله، ولمَّا نهضَ استغرقَت عيناه لحظات حتى تكيَّفتا على الإضاءة. كانت إيجريت قد أحضرَت مشعلًا هو مصدر الضَّوء الوحيد، وتقف إلى جوار شلَّالٍ صغير يتدفَّق من شَقٍّ في الصَّخر إلى بركةٍ واسعة، وقد انعكسَ اللَّهب الأصفر والبرتقالي على المياه الخضراء الباهتة.

سألَها: «ماذا تفعلين هنا؟».

أجابَت مشيرةً بالمشعل: «سمعتُ صوت المياه وأردتُ أن أرى عُمق الكهف. ثمَّة ممر ينزل إلى أسفل أكثر، قطعتُ فيه مئة خُطوة قبل أن أعود».

- «نهايته مسدودة؟».

- «لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو. إنه يمتدُّ ويمتدُّ ويمتدُّ. هناك مئات الكهوف في هذه التِّلال، كلُّها متَّصلة في الأعماق، بل وهناك طريق تحت جِداركم، (طريق جورن)».

- «جورن. جورن كان ملك ما وراء الجدار».

- «نعم، بالمناصَفة مع أخيه جِندل قبلَ ثلاثة آلاف عام، ومعًا قادا جيشًا من شعب الأحرار عبر الكهوف والحَرس غافلون تمامًا، لكن حين خرجوا انقضَّ عليهم ذئاب (وينترفل)».

قال چون متذكِّرًا: «دارَت معركة. جورن قتلَ الملك في الشَّمال، لكن ابنه التقطَ رايته وأخذَ التَّاج من على رأسه، وقتلَ جورن بنفسه».

- «وأيقظَ تقارُع السُّيوف الغِربان في قلاعهم وخرجوا مرتدين الأسود ليُهاجموا جيش الأحرار من المؤخِّرة».

- «نعم. واجَه جِندل الملك إلى الجنوب وجنود أومبر إلى الشَّرق والحَرس إلى الشَّمال. هو أيضًا ماتَ».

قالت: «لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو. جِندل لم يَمُت، بل شَقَّ طريقه وسط الغِربان وقادَ قومه إلى الشَّمال وفي أعقابهم عُواء الذِّئاب، لكن جِندل لم يكن يعرف الكهوف كجورن، وأخذَ منعطفًا خطأ»، وحرَّكت المشعل إلى الأمام والخلف لتتواثَب الظِّلال وتتراقَص متابعةً: «تعمَّق وتعمَّق، وحين حاولَ أن يعود أدراجه انتهَت الطُّرق التي بدَت مألوفةً بالحجارة بدلًا من السَّماء. سرعان ما بدأت المشاعل تنطفئ واحدًا تلو الآخر، حتى لم يَعُد هناك إلَّا الظَّلام. لم يرَ أحد قوم جِندل ثانيةً، لكن في سكون اللَّيل يُمكنك أن تسمع

أطفال أطفالهم يبكون تحت التِّلال، ما زالوا يبحثون عن الطَّريق إلى أعلى. أصغِ. هل تسمعهم؟».

لم يسمعَ جون إلَّا المياه السَّاقطة وطقطقة اللَّهب، وقال: «والطَّريق الذي يمرُّ تحت (الجدار)، هل ضاعَ أيضًا؟».

- «البعض بحثَ عنه، ومَن يتعمَّقون كثيرًا يجدون أطفال جِندل، وأطفال جِندل دائمًا جوعى»، وابتسمَت واضعةً المشعل على صخرةٍ وتقدَّمت منه، وعضَّت عُنقه هامسةً: «لا يوجد ما يُؤكَل في الظَّلام إلَّا اللَّحم».

دفنَ جون وجهه في شَعرها وأفعمَ أنفه برائحتها، وقال: «كأنكِ العجوز نان تحكي لبران قصَّةً عن الوحوش».

لكمَته إيجريت في كتفه قائلةً: «أنا عجوز؟».

- «أنتِ أكبر مني».

- «أجل، وأكثر حكمةً. لستَ تعلم شيئًا يا جون سنو»، ودفعَته متراجعةً وخلعَت صُدرتها المصنوعة من جِلد الأرانب.

- «ماذا تفعلين؟».

- «أريك كم أنا كبيرة»، وحَلَّت أربطة قميصها المصنوع من جلد الظَّبي وألقَته جانبًا، ثم خلعَت قمصانها الدَّاخليَّة الصُّوف الثَّلاثة معًا مضيفةً: «أريدك أن تراني».

- «لا يَجدُر بنا...».

قاطعَته: «بل يَجدُر»، وترجرجَ نهداها وهي تقف على قدم واحدة لتخلع فردة حذائها، ثم تثب منها إلى الأخرى لتخلع الفردة الثَّانية. كانت حلمتاها دائرتين ورديَّتين واسعتين، وقالت إيجريت وهي تُنزل سراويلها المصنوعة من جِلد الخراف: «وأنت أيضًا. إذا أردت أن تراني فَعليك أن تُريني نفسك. لستَ تعلم شيئًا يا جون سنو».

سمعَ نفسه يقول وقد نسيَ قَسمه وشَرفه تمامًا: «أعلمُ أني أريدكِ». وقفَت أمامه عاريةً كيوم ميلادها، وأحسَّ بذَكره صُلبًا كالصُّخور المحيطة بهما. كان قد ولجَها عشرات المرَّات بالفعل، لكن دائمًا تحت الأغطية والآخَرون من حولهم، فلم يرَ كم هي جميلة حقًّا. ساقاها ناحلتان وإنما قويَّتا العضلات، والشَّعر على ملتقى فخذيها أكثر احمرارًا من الذي على رأسها. أيجعله هذا

جالبًا للحَظِّ أكثر؟ سحبَها إليه قائلًا: «أحبُّ رائحتكِ، أحبُّ شَعركِ الأحمر، أحبُّ ثغركِ وقُبلاتك، أحبُّ ابتسامتكِ وأحبُّ ثدييكِ»، وقبَّلهما واحدًا تلو الآخر، وتابعَ: «أحبُّ ساقيكِ النَّحيلتين وما بينهما»، وركعَ ليُقبِّلها هناك أيضًا، بخفَّةٍ على جبل زهرتها في البداية، لكن إيجريت باعدَت بين ساقيها قليلًا ورأى اللَّون الوردي في الدَّاخل وقبَّله أيضًا وتذوَّقها، فأطلقَت شهقةً خافتةً وهمسَت: «إذا كنت تُحِبُّني لهذه الدَّرجة، فلِمَ لا تزال ترتدي ثيابك؟ لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو، لســ... أوه، أوه، أوههه!».

بَعدها لاحَ عليها الخجل، أو أقرب ما يُمكن أن ينتابها من خجل، وقالت وهما متمدِّدان معًا على كومة ثيابهما: «ذلك الشَّيء الذي فعلته بـ... بفمك»، وتردَّدت قبل أن تُكمِل: «أهذا... أهذا ما يفعله اللوردات مع الليديهات في الجنوب؟».

- «لا أظنُّ». لم يسبق أن أخبرَ أحد چون بما يفعله اللوردات مع الليديهات. «أردتُ... أن أقبِّلكِ هناك فحسب، وبدا أن هذا يروقك».

- «نعم... راقَني قليلًا. ألم تُعَلِّمك واحدة هذا؟».

- «لم تكن هناك واحدة غيرك».

قالت معابثةً: «عذراء، كنتَ عذراء».

قرصَ حلمتها الأقرب إليه مداعبًا، وقال: «كنتُ رجلًا في حَرس اللَّيل». سمعَ نفسه يقول: كنتُ، فماذا يكون الآن؟ فليدعه من التَّفكير في هذا. «هل كنتِ عذراء؟».

اعتدلَت مستندةً إلى مرفقها مجيبةً: «أنا في التَّاسعة عشرة، وزوجة حربة، وقبَّلتني النَّار، فكيف أظلُّ عذراء؟».

- «مَن كان؟».

- «صبيًّا في احتفال قبل خمسة أعوام، أتى مع إخوته للتِّجارة، وكان شَعره مِثلي، قبَّلته النَّار، فخطرَ لي أنه سيجلب الحَظ، لكن اتَّضح أنه ضعيف، فعندما عادَ ليسرقني كسرَ رايك ذو الحربة الطَّويلة ذراعه وجعلَه يُوَلِّي الأدبار، ولم يُحاول ثانيةً بَعدها».

سَألَ چون شاعرًا بالرَّاحة: «لم يكن رايك إذن؟». إنه يُحِبُّ ذا الحربة الطَّويلة بوجهه القبيح وأسلوبه الودود.

لكمَته قائلةً: «هذا إثم. أيُمكنك أن تُضاجِع أختك؟».

- «رايك ليس أخاكِ».

- «إنه من قريتي. لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو. الرَّجل الحقيقي يسرق امرأةً من بعيد لتقوية القبيلة. مَن يُضاجِعن إخوتهن أو آباءهن أو معشر قبائلهن يُسِئن إلى الآلهة، وتحلُّ لعنتها عليهن بأطفال سُقم ضُعفاء، أو حتى وحوش».

- «كراستر يتزوَّج بناته».

عادَت تَلكُمه، وقالت: «كراستر من جِلدتكم أكثر من جِلدتنا. أبوه كان غُرابًا سرقَ امرأةً من قرية (وايتري)، لكن بَعد أن نالَ منها غرضه حلَّق عائدًا إلى (الجِدار)، ثم ذهبَت هي إلى (القلعة السَّوداء) لتُري الغُراب ابنه، لكن إخوته نفخوا في أبواقهم وطردوها. كراستر دمه أسود، وعليه لعنة ثقيلة»، وحرَّكت أصابعها بخفَّةٍ على بطنه مردفةً: «خشيتُ أن تفعل مِثله، تطير إلى (الجدار). إنك لم تعرف ماذا تفعل بَعد أن سرقتني».

اعتدلَ چون جالسًا، وقال: «إيجريت، أنا لم أسرقكِ».

- «بل سرقتني، انقضضت علينا في الجبل وقتلت أورل، وقبل أن ألتقط فأسي وضعت سكِّينك على عُنقي. ظننتُ لحظتها أنك ستُضاجعني، أو تَقتُلني، أو ربما هذا وذاك، لكنك لم تفعل. ولمَّا حكيتُ لك قصَّة بايل الشَّاعر وكيف اقتطفَ وردة (وينترفل)، خطرَ لي أنك ستقطفني بالتَّأكيد، لكنك لم تفعل. لستَ تعلم أيَّ شيء يا چون سنو!»، ومنحَته ابتسامةً خجلى مضيفةً: «لكنك بدأت تتعلَّم بضعة أشياء».

لاحظَ چون فجأةً أن الضَّوء يتذبذَب عليها، فنظرَ حوله وقال: «الأفضل أن ننهض. المشعل يكاد ينطفئ».

قالت بابتسامةٍ خبيثة: «هل يخاف الغُراب أطفال جندل؟ الطَّريق إلى أعلى ليس طويلًا، وأنا لم أفرغ منك يا چون سنو»، ودفعَته ليستلقي فوق الثِّياب من جديد وامتطَته قائلةً: «هلَّا...»، ثم بترَت عبارتها وقد غلبَها التَّردُّد.

حَثَّها والمشعل على وشك الخمود: «ماذا؟».

اندفعَت تقول: «هلَّا كرَّرت ما فعلته؟ بفمك؟ قُبلة اللورد؟ و... وسأرى إن كانت تروقك».

عندما انطفأ اللَّهب كان مخزون چون سنو من المبالاة قد نفدَ.

عاودَه شعوره بالذَّنب بَعدها أوهى من قبل، وتساءلَ: إذا كان هذا شيئًا سيئًا جدًّا فلِمَ جعلَته الآلهة بهذه الحلاوة؟

كان الكهف معتمًا تمامًا حين فرغا، ومصدر الضَّوء الوحيد هو الوهج الخافت الآتي من الممرِّ الذي يُفضي إلى الكهف الأكبر في الأعلى، حيث عشرين من المشاعل المتَّقدة. سرعان ما وجدا نفسيهما يتخبَّطان ويصطدم أحدهما بالآخَر وهما يُحاوِلان ارتداء ملابسهما في غياب النُّور. تعثَّرت إيجريت وسقطَت في البركة وصرخَت من برودة الماء، ولمَّا ضحكَ چون سحبَته معها، وتصارعَ الاثنان ونثرا المياه في الظَّلام، ثم إنها عادَت بين ذراعيه من جديد، واتَّضح أنهما لم يَفرُغا بعدُ.

قالت له حينما أفرغَ نُطفته في داخلها: «چون سنو، لا تتحرَّك أيها الجميل. أحبُّ الإحساس بك هناك حقًّا. دعنا لا نعود إلى ستير وچارل. فلنتوغَّل أكثر وننضمَّ إلى أطفال جِندل. لا أريدُ أن أغادر هذا الكهف أبدًا يا چون سنو، أبدًا».





دنيرس

لاحَ الحذر على الأَمة وهي تسألها: «الكل؟ هل أخطأَت هذه الواحدة الوضيعة السَّمع يا جلالة الملكة؟».

كان ضوء أخضر هادئ يتسرَّب عبر ألواح الزُّجاج الملوَّن ذات الشَّكل الماسي المثبَّتة في الجُدران المثلَّثة المائلة، ومن أبواب الشُّرفة يهبُّ نسيم خفيف حاملًا روائح الزُّهور والفواكه من الحديقة في الخارج.

قالت داني: «ما سمعتِه صحيح، أريدُ أن أشتريهم جميعًا. أخبِري الأسياد الكرام من فضلكِ».

اليوم اختارَت ارتداء فُستانٍ كارثيني، يُبرز حريره البنفسجي الدَّاكن ما في عينيها من أرجوان، وتَترُك قَصَّته نهدها الأيسر مكشوفًا. رشفَت داني نبيذ الرُّمَّان اللَّاذع من كأسٍ فضِّيَّة طويلة، فيما انهمكَ أسياد (أستاپور) الكرام في التَّشاوُر فيما بينهم بأصواتٍ خفيضة، فلم تستطِع أن تُميِّز كلَّ ما يقولونه، لكنها سمعَت نبرة الجشع بوضوح.

كلٌّ من السَّماسرة الثَّمانية يُصاحِبه اثنان أو ثلاثة من العبيد الملازمين، على أن واحدًا ممن اسمهم جرازدان -أكبرهم سِنًّا- يُصاحِبه ستَّة دُفعةً واحدةً، وكي لا تبدو متسوِّلةً حضرَت مع داني حاشيتها الخاصَّة؛ إيري وچيكوي ترتديان سراويل من الحرير الرَّملي وصُدرتين ملوَّنتين، والعجوز ذو اللِّحية البيضاء وبلواس القوي وخيَّالة دمها، والسير چورا الذي وقفَ وراءها يتصبَّب عَرقًا في معطفه الأخضر القصير المطرَّز عليه دُب عائلة مورمونت الأسود. كانت رائحة عَرقه بمثابة رَدٍّ فَظ على العطور الباذخة التي تضمَّخ بها الأستاپوريُّون.

دمدمَ كْرازنس مو نوكْلوز الذي تفوح منه رائحة الخوخ اليوم: «الكل»،

وكرَّرت الأَمة الكلمة بعاميَّة (وستروس)، فقال: «هناك ثماني ألفيَّات، أهذا ما تعنيه بالكل؟ وهناك ستَّة قرون سيكونون جزءًا من الألفيَّة التَّاسعة عندما تكتمل. هل تُريدهم أيضًا؟».

أجابَت داني حين نُقِلَ إليها السُّؤال: «نعم. الألفيَّات الثَّماني والقرون الستَّة... والذين ما زالوا قيد التَّدريب أيضًا، مَن لم يستحقُّوا الخوذات المدبَّبة بعدُ».

التفتَ كرازنس إلى رفاقه، ومرَّةً أخرى بدأوا يتشاوَرون. كانت المترجمة قد أخبرَت داني بأسمائهم، ومع ذلك وجدَت التَّفرقة بينهم صعبةً. أربعة منهم اسمهم جرازدان، في الغالب تيمُّنًا بجرازدان الأكبر الذي أسَّس (جيس القديمة) في فَجر التَّاريخ، وكلُّهم تتشابَه ملامحهم حتى تكاد تتطابَق؛ رجال سِمان غلاظ لهم بشرة كهرمانيَّة وأنوف مفلطحة وأعيُن داكنة، وشَعرهم الخشن أسود أو أحمر قانٍ أو خليط غريب من الأسود والأحمر يتَّسم به الجيسكاريُّون، ويرتدي الجميع التوكار، وهو الثَّوب الذي لا يُسمَح بارتدائه إلَّا لبني (أستاپور) الأحرار.

قال الرُّبَّان جروليو لداني إن حاشية التوكار تُعلِن عن منزلة من يرتديه، وفي هذه القاعة الخضراء بهوائها البارد على قمَّة الهرم كان توكار اثنين من النَّخَّاسين بحاشيةٍ فضِّيَّة، وخمسة بحاشيةٍ ذهبيَّة، وواحد فقط -الذي يرتديه جرازدان الكبير- حاشيته من اللآلئ البيضاء الكبيرة التي تُطقطِق بخفوتٍ عندما يعتدل في جلسته أو يُحرِّك ذراعه.

قال واحد بحاشيةٍ فضِّيَّة ممن اسمهم جرازدان: «لا يُمكننا أن نبيع صِبيةً نِصف مدرَّبين».

قال رجل أسمن منه حاشيته ذهبيَّة: «يُمكننا إذا كان معها ذهب يكفي».

- «إنهم ليسوا مطهَّرين، ولم يَقتُلوا رُضَّعهم بعدُ، وسيُكَلِّلوننا بالعار إذا أخفقوا في ميدان المعركة. حتى إذا قطعنا أعضاء خمسة آلاف صبي أخضر غدًا، فلن يكونوا صالحين للبيع قبل عشرة أعوام. ماذا نبيع المشتري التَّالي الذي سيأتي طالبًا المطهَّرين؟».

رَدَّ السَّمين: «سنقول له إن عليه أن ينتظر. الذَّهب في خزينتي خير من الذَّهب في مستقبَلي».

تركَتهم داني يتجادَلون ورشفَت من نبيذ الرُّمَّان اللَّاذع محاولةً أن تبقى ملامحها جامدةً تشي بالجهل، وقالت لنفسها: سآخذهم جميعًا مهما كان السِّعر. في هذه المدينة مئة من تُجَّار الرَّقيق، لكن الثَّمانية الذين أمامها هُم الأكبر على الإطلاق، ولا تتوقَّف المنافسات بينهم عند بيع عبيد الفِراش وعُمَّال الحقول والكَتبة والحِرَفيِّين والمعلِّمين، لكن أسلافهم تحالَفوا في شيءٍ واحد هو تدريب وبيع المطهَّرين. من الدَّم والقرميد قُدَّت (أستابور)، ومن الدَّم والقرميد أهلها قُدُّوا.

أخيرًا أعلنَ كْرازنس قرارهم: «قولي لها إنها تستطيع أن تأخذ الألفيَّات الثَّماني إذا كان ذهبها يكفي، والقرون السِّتَّة أيضًا إذا أرادَت. قولي لها أن تعود بَعد عام وسأبيعها ألفيَّتين أخريين».

قالت داني لمَّا سمعَت التَّرجمة: «بَعد عام سأكون قد رحلتُ إلى (وستروس). إنني أحتاجُ إليهم الآن. المطهَّرون تدريبهم ممتاز، لكن كثيرين منهم سيَسقُطون في القتال، وسأحتاجُ إلى الصِّبية ليحملوا ما يُوقِعونه من سيوف»، ووضعَت نبيذها جانبًا ومالَت نحو الأَمة قائلةً: «قولي للأسياد الكرام إنني أريدُ الصِّغار الذين ما زالت معهم جِراؤهم. قولي لهم سأدفعُ في الصَّبي الذي قطعوا أعضاءه البارحة ما سأدفعه في مطهَّرٍ بخوذته».

وقالت لهم الفتاة، وظلَّت الإجابة لا.

قطَّبت داني وجهها بضيق، وقالت: «ليكن. قولي لهم إنني سأدفعُ الضِّعف إذا حصلتُ عليهم جميعًا».

ردَّد السَّمين ذو الحاشية الذَّهبيَّة ولُعابه يكاد يسيل: «الضِّعف؟».

قال كْرازنس مو نوكْلوز: «هذه العاهرة الصَّغيرة حمقاء حقًّا. لنَطلُب ثلاثة أضعاف. إنها يائسة بما يكفي لأن تدفع صاغرةً. لنَطلُب عشرة أضعاف سِعر كلِّ عبد، نعم».

يتكلَّم جِرازدان الطَّويل ذو اللِّحية المدبَّبة اللُّغة العاميَّة، وإن كان لا يُجيدها كالأَمة، وقد خاطبَ داني قائلًا: «جلالة الملكة، (وستروس) هي غنيَّة، نعم، لكن أنتِ لستِ هي الملكة الآن، وربما لن تكونين الملكة أبدًا. حتى المطهَّرين قد يخسرون القتال مع فرسان الفولاذ في (الممالك السَّبع).

إنني أذكُرُ، أسياد (أستاپور) الكرام هُم لا يبيعون اللَّحم بالوعود. هل معكِ ذهب وبضائع كافية لتدفعين ثمن جميع المخصيِّين الذين تُريدينهم؟».

أجابَت داني: «أنت تعرف الإجابة أفضل مني أيها السيِّد الكريم. رجالك جردوا ما في سُفني ودوَّنوا كلَّ خرزةٍ وجرَّة زعفران. كم لديَّ إذن؟».

أجابَ السيِّد الكريم بابتسامة ازدراء: «ما يكفي ألفيَّة واحدة. تقولي إنكِ تدفعين الضِّعف. خمسة قرون إذن كل ما تشترين».

قال السَّمين بالڤاليريَّة: «تاجكِ الجميل يكفي لشراء قرنٍ آخَر، تاجكِ ذو التِّنانين الثَّلاثة».

انتظرَت داني أن يُتَرجَم كلامه قبل أن تقول: «تاجي ليس للبيع». عندما باعَ ڤسيرس تاج أمِّهما ذوى آخِر ما فيه من مسرَّة ولم يتبقَّ إلَّا الغضب. «كما أني لن أبيع قومي للعبوديَّة أو أبيع ممتلكاتهم وخيولهم، لكن يُمكنكم أن تأخذوا سُفني، الكوج العظيم (بالريون) والقادسيْن (ڤاجهار) و(ميراكسس)». كانت قد نبَّهت جروليو والرُّبَّانين الآخَرَيْن إلى احتمال حدوث هذا، وإن كانوا قد احتجُّوا على ضرورته بشدَّة. «لا بُدَّ أن ثلاث سُفن كبيرة تُساوي أكثر من مخصيِّين تافهين قلائل».

التفتَ جرازدان البدين إلى الآخَرين ودارَت بينهم المداوَلة الخفيضة من جديد، ثم قال ذو اللِّحية المدبَّبة لمَّا عادَ يلتفت إليها: «ألفيَّتان. عدد كثير، لكن الأسياد الكرام يُعامِلون بسخاء وحاجتكِ ملحَّة».

لن يكفي ألفان لتحقيق ما تُريد أن تفعله. يجب أن آخذهم جميعًا. الآن تعرف داني ما عليها أن تفعله، على الرغم من مذاقه المرير الذي لم ينجح نبيذ الرُّمَّان في تطهير فمها منه. لقد فكَّرت طويلًا وكثيرًا ولم تجد سبيلًا آخَر. إنه خياري الوحيد. «أعطوني الجميع ويُمكنكم أن تأخذوا تنِّينًا».

سمعَت شهقة چيكوي المكتومة إلى جانبها، وابتسمَ كْرازنس مو نوكْلوز قائلًا لرفاقه: «ألم أقل لكم؟ ستُعطينا أيَّ شيء».

حدَّق إليها ذو اللِّحية البيضاء مصدومًا، وارتجفَت يده الممسكة بعُكَّازه، وركعَ على رُكبته أمامها قائلًا: «لا! جلالة الملكة، أتوسَّلُ إليكِ، اربحي عرشكِ بالتِّنانين لا العبيد. إياكِ أن تفعلي هـ...».

– «إياك أنت أن تتجرَّأ وتُملي عليَّ أمرًا. سير چورا، اصحَب ذا اللِّحية البيضاء بعيدًا عني».

قبضَ مورمونت على مِرفق العجوز بخشونة، وشَدَّه ليقف بحركةٍ حادَّة، ثم قادَه إلى الشُّرفة في الخارج.

قالت داني للأَمة: «قولي للأسياد الكرام إنني أعتذرُ لهذه المقاطَعة. قولي لهم إنني أنتظرُ إجابتهم».

لكنها تعلم الإجابة. إنها تراها في لمعة أعيُنهم والابتسامات التي يبذلون كلَّ جهدهم لإخفائها. (أستاپور) فيها آلاف المخصيِّين، والمزيد من الصِّبية العبيد الذين ينتظرون أن تُقطَع أعضاؤهم، لكن في العالم الواسع بأسره ليس هناك إلَّا ثلاثة تنانين. والجيسكاريُّون يشتهون التَّنانين. وكيف لا؟ خمس مرَّاتٍ تصادمَت (جيس القديمة) مع (ڤاليريا) في شباب العالم، وخمس مرَّاتٍ مُنِيَت بهزيمةٍ منكرة، ذلك أن المعقل الحُر قاتلَ بالتَّنانين، السِّلاح الذي افتقرَت إليه الإمبراطوريَّة.

اعتدلَ جرازدان الكبير في مقعده فطقطقَت لآلئه بنعومة، وقال بصوتٍ قاس رفيع: «تنِّين من اختيارنا. الأسود هو الأكبر والأكثر صحَّةً».

أومأت برأسها قائلةً: «اسمه دروجون».

– «بضائعكِ كلها باستثناء تاجكِ وثيابكِ الملكيَّة التي سنسمح لكِ بالاحتفاظ بها، والسُّفن الثَّلاث، وتنِّين».

قالت بالعاميَّة: «اتفقنا».

رَدَّ جرازدان الكبير بڤاليريَّته الغليظة: «اتَّفقنا».

وحاكى الآخَرون العجوز ذا الحاشية اللُّؤلئيَّة، وترجمَت الأَمة: «اتَّفقنا، واتَّفقنا، واتَّفقنا، الثَّمانية».

قال كْرازنس مو نوكلوز بَعد انتهاء التَّرتيبات: «سيتعلَّم المطهَّرون لُغتكم البربريَّة سريعًا، لكن حتى ذلك الحين ستحتاجين إلى مَن يُترجِم لهم. خُذي هذه الأَمة هديَّةً منا لكِ، أمارة على إبرام الصَّفقة بنجاح».

قالت داني: «هديَّة مقبولة».

ترجمَت الأَمة كلماته إليها وكلماتها إليه، وإذا كانت تَشعُر بشيءٍ ما حيال أن تُعطى كهديَّة، فقد حرصَت على عدم إبدائه.

لم يتكلَّم آرستان ذو اللِّحية البيضاء عندما مرَّت به مسرعةً في الشُّرفة، وتبعَها على السَّلالم صامتًا وإن ظلَّت تسمع عُكَّازه يدقُّ على القرميد الأحمر وهُم ينزلون. لم تَلُمه على غضبته، فما فعلته مذموم مذموم. أم التَّنانين باعَت أقوى أطفالها. مجرَّد الفكرة يُصيبها بالغثيان.

لكن حين بلغوا (ساحة الفخر) ووقفوا على القرميد السَّاخن بين أهرامات النَّخَّاسين وثُكنات المخصيِّين، التفتَت داني إلى العجوز قائلةً: «إنني أريدُ مشورتك، ولا تخشَ أن تُخبرني بما تُفكِّر فيه أبدًا... ونحن وحدنا، لكن إياك أن تُراجِعني أمام الغُرباء أبدًا، مفهوم؟».

قال مغتمًّا: «نعم يا جلالة الملكة».

- «إنني لستُ طفلةً، إنني ملكة».

- «حتى الملكات يُخطِئن. الأستاپوريُّون غَشُّوكِ يا جلالة الملكة. تنِّين واحد أثمن من أيِّ جيش. إجون أثبتَ هذا قبل ثلاثمئة عام في حقل النِّيران».

قالت داني: «أعرفُ ما أثبتَه إجون، وأنا أيضًا أنوي أن أثبت بضعة أشياء»، والتفتَت إلى الأَمة الواقفة بخنوعٍ إلى جوار هودجها، وسألَتها: «ألكِ اسم أم أنكِ تسحبين واحدًا جديدًا كلَّ يوم من برميل؟».

أجابَت الفتاة: «هذا للمطهَّرين فقط»، ثم أدركَت أن السُّؤال كان بالڤاليريَّة الفُصحى، فاتَّسعت عيناها وغمغمَت: «أوه».

- «اسمكِ أوه؟».

- «لا. اغفري لهذه الواحدة رعونتها يا جلالة الملكة. أَمتكِ اسمها ميسانداي، لكن...».

- «ميسانداي لم تعُد أَمةً. إنني أعتقكِ بدايةً من هذه اللَّحظة. اركبي معي الهودج. أريدُ أن أتكلَّم معكِ». ساعدَهما راگارو على الرُّكوب، وأغلقَت داني السَّتائر في وجه التُّراب والحَر، وإذ تحرَّكوا قالت: «إذا بقيتِ معي ستخدمين كواحدةٍ من وصيفاتي. سأحتفظُ بكِ إلى جواري لتتكلَّمي نيابةً عني كما كنتِ تفعلين مع كرازنس، لكن يُمكنكِ أن تترُكي خدمتي متى تشائين، إذا كان لكِ أب أو أم تُفضِّلين العودة إليهما».

رَدَّت الفتاة: «هذه الواحدة ستبقى. هذه الواحدة... أنا... لا يوجد مكان أذهبُ إليه. هذه الـ... سيُسعِدني أن أخدمكِ».

حذَّرتها داني قائلةً: «يُمكنني أن أعطيكِ الحرِّيَّة لكن ليس الأمان. عليَّ أن أقطع العالم وأخوض حروبًا، وقد تتضوَّرين جوعًا أو تمرضين أو تُقتَلين».

قالت ميسانداي بالڤاليريَّة الفُصحى: «ڤالار مورجولِس».

- «نعم، كلُّ البَشر يُدرِكهم الموت، لكن نتمنَّى أن يطول الوقت قبل هذا»، وأسندَت داني ظَهرها إلى وسائدها والتقطَت يد الفتاة متسائلةً: «ألا يعرف هؤلاء المطهَّرون الخوف حقًّا؟».

- «بلى يا جلالة الملكة».

- «إنك تخدمينني الآن. أصحيح أنهم لا يَشعُرون بالألم؟».

- «خمر الشَّجاعة تُميت هذه المشاعر، وعندما يَقتُل أحدهم رضيعه يكون قد اعتادها منذ سنوات».

- «وهل هُم مطيعون؟».

- «الطَّاعة كلُّ ما يعرفونه. إذا قلتِ لهم ألَّا يتنفَّسوا، سيجدون هذا أسهل من العصيان».

أومأَت داني برأسها، وسألَت: «وبَعد أن أفرغ منهم؟».

- «ماذا يا جلالة الملكة؟».

- «عندما أنتصرُ في حربي وأستردُّ عرش أبي سيُغمِد فُرساني سيوفهم ويعودون إلى حصونهم، إلى زوجاتهم وأطفالهم وأمَّهاتهم، إلى حياتهم... لكن المخصيِّين هؤلاء لا حياة لهم. ماذا أفعلُ بثمانية آلاف خصيٍّ حين تنتهي المعارك كلُّها؟».

أجابَت ميسانداي: «المطهَّرون حَرس ونواطير ممتازون يا جلالة الملكة، وليس من الصَّعب أبدًا أن تجدي مشتريًا لجنودٍ محنَّكين مِثلهم».

- «يقولون لي إن الرِّجال لا يُباعون ويُشتَرون في (وستروس)».

- «مع خالص احترامي يا جلالة الملكة، المطهَّرون ليسوا رجالًا».

سألَت داني بأسلوبٍ مباشر: «إذا بعتهم، كيف أضمنُ ألَّا يُستَخدَموا ضدي؟ هل يُمكنهم أن يفعلوا هذا؟ يُقاتِلوا ضدي ويُؤذوني شخصيًّا؟».

- «إذا أمرَهم سيِّدهم. إنهم لا يُراجعون الأوامر يا جلالة الملكة. الأسئلة كلُّها استُئصِلَت منهم، ولا يعرفون إلَّا الطَّاعة»، وبدا الاضطراب على الفتاة

وهي تُردِف: «عندما... عندما تَفرُغين منهم... تستطيعين جلالتكِ أن تأمريهم بالسُّقوط على سيوفهم».

- «وحتى هذا سيفعلونه؟».

خفتَ صوت ميسانداي وهي تردُّ: «نعم يا جلالة الملكة».

اعتصرَت داني يدها، وقالت: «لكنكِ تتمنِّين ألَّا أطلب منهم ذلك. ما السَّبب؟ لماذا تهتمِّين؟».

- «هذه الواحدة لا... أنا... جلالة الملكة...».

- «أخبريني».

خفضَت الفتاة عينيها قائلةً: «ثلاثة منهم كانوا إخوتي يا جلالة الملكة».

أتمنى إذن أن إخوتك شُجعان وأذكياء مِثلكِ. عادَت داني تستند إلى وسائدها وتركَت الهودج يمضي حاملًا إياها إلى (بالريون) للمرَّة الأخيرة كي تُنَظِّم عالمها. قالت لنفسها: وإلى دروجون، وأطبقَت فمها بتجهُّم شديد.

اللَّيلة التي تلَت هذا كانت طويلةً ومظلمةً وعاصفةً. أطعمَت داني تنانينها كما تفعل دومًا، لكنها وجدَت نفسها بلا شهيَّة، وأمضَت بعض الوقت في البكاء وحدها في قمرتها، ثم جفَّفت دموعها من أجل جدلٍ جديد مع الرُّبَّان جروليو، وفي النِّهاية قالت له: «الماجستر إليريو ليس هنا، ولو كان لما استطاعَ إثنائي أيضًا. إنني أحتاجُ إلى المطهَّرين أكثر من هذه السُّفن، ولن أسمع المزيد في هذا الصَّدد».

حرقَ غضبها ما يعتمل في نفسها من حزنٍ وخوف... طيلة بضع ساعات على الأقل. بَعد ذلك استدعَت خيَّالة دمها ومعهم السير چورا إلى القمرة، فهُم الوحيدون الذين تثق بهم حقًّا.

كانت تنوي أن تنام بَعد ذلك كي تخوض الغد وهي مستريحة، لكن ساعةً من التَّقلُّب في القمرة الضيِّقة رديئة التَّهوية أقنعَتها بأن لا أمل في النَّوم الآن. خارج الباب وجدَت آجو يُثبِّت وترًا جديدًا إلى قوسه على ضوء مصباح زيتٍ يتأرجَح، وإلى جواره يجلس راكارو متقاطع السَّاقين يشحذ أراخه. قالت لهما داني أن يُواصِلا ما يفعلانه، وصعدَت إلى سطح السَّفينة طلبًا لنفحةٍ من هواء اللَّيل البارد، وتركَها أفراد الطَّاقم وشأنها وهُم يؤدُّون واجباتهم، لكن لم

يَطُل الوقت قبل أن ينضمَّ إليها السير چورا عند الحاجز، ففكَّرت: لا يَبعُد عني أبدًا، ويعرف أمزجتي جيِّدًا.

– «يَجدُر بكِ أن تنامي يا كاليسي. تأكَّدي أن الغد سيكون حارًّا وصعبًا، وستحتاجين إلى قوَّتكِ».

سألَته: «أتَذكُر إيرو؟».

– «فتاة اللازارين؟».

– «كانوا يغتصبونها، لكني أوقفتهم ووضعتها تحت حمايتي، وحين ماتَ شمسي ونجومي أخذَها ماجو ثانيةً واغتصبَها ثانيةً ثم قتلَها. قال آجو إنه قَدرها».

– «أذكرُ هذا».

– «لقد قضيتُ زمنًا طويلًا وحدي يا چورا، وحدي تمامًا بلا أحدٍ غير أخي. كنتُ شيئًا صغيرًا خائفًا. كان على ڤسيرس أن يحميني، وبدلًا من هذا آذاني وأخافَني أكثر، وما كان له أن يفعل هذا. إنه لم يكن أخي فحسب، بل ملكي أيضًا. لماذا تصنع الآلهة الملوك والملكات إن لم يكن لحماية من لا يستطيعون أن يحموا أنفسهم؟».

– «بعض الملوك يصنعون أنفسهم، مِثل روبرت».

قالت داني باحتقار: «روبرت لم يكن ملكًا حقًّا ولم يُقِم العدل. العدل... هذا هو الغرض من الملوك».

لم يُجِبها السير چورا واكتفى بالابتسام ومَسَّ شَعرها بمنتهى الخفَّة، وكان هذا يكفي.

ليلتها حلمَت بأنها ريجار في طريقه إلى (الثَّالوث)، لكنها امتطَت تنِّينًا لا حصانًا، ولمَّا رأت جيش الغاصِب المتمرِّد على ضفَّة النَّهر الأخرى كان جنوده كلُّهم مدرَّعين بالجليد، لكنها أغرقَتهم بنيران التنِّين وأذابَتهم كقطرات النَّدى وحوَّلت (الثَّالوث) إلى سيل جارف. جزء صغير منها كان يعرف أنها تَحلُم، لكن جزءًا آخَر استعذبَ الحُلم. هذا ما كان يجب أن يَحدُث. الحياة الأخرى كانت مجرَّد حُلم، والآن فقط استيقظتُ.

استيقظَت فجأةً في ظلام قمرتها وهي لا تزال شاعرةً بنشوة النَّصر، وبدا

كأن (بالريون) تستيقظ منها، وسمعَت صرير الخشب الخافت وتكسُّر الماء على بدن السَّفينة ووقع قدمين على السَّطح فوقها... وشيئًا آخر.

أحدهم معها في القمرة.

- «إيري؟ چيكوي؟ أين أنتما؟».

لم تُجبها الوصيفتان، والظَّلام دامس لدرجةٍ لا تُتيح الرُّؤية، لكنها سمعَت أنفاسهما.

- «أهذا أنت يا چورا؟».

قالت امرأة بصوتٍ قريب للغاية: «إنهم نائمون، كلُّهم نائمون. حتى التَّنانين تنام».

إنها واقفة فوقي. «مَن هنا؟». حاولَت داني أن تخترق حُجُب الظَّلام بناظريها، وخُيِّلَ إليها أنها ترى ظِلًّا، حدود جسدٍ باهتة للغاية. «ماذا تُريدين مني؟».

- «تذكَّري: لتذهبي شمالًا يجب أن ترتحلي جنوبًا، لتَبلُغي الغرب يجب أن تذهبي إلى الشَّرق، لتمضي قُدمًا يجب أن تعودي أدراجكِ، وكي تمسِّي النور عليك أن تَمُرِّي تحت الظِّل».

- «كويث؟!». وثبَت داني من الفِراش وفتحَت الباب، فتدفَّق ضوء المصباح الأحمر الشَّاحب إلى القمرة، واعتدلَت إيري وچيكوي ناعستيْن، وتمتمَت الثَّانية وهي تَفرُكُ عينيها: «گاليسي؟». استيقظ ڤسيريون وفغرَ فَكَّيه، وأنارَت دفقة من لهبه أكثر أركان القمرة ظلامًا، ولم يكن هناك أثر لامرأة في قناع خشبي أحمر. سألَتها چيكوي: «گاليسي، أأنتِ بخير؟».

هَزَّت داني رأسها مجيبةً. «حُلم، رأيتُ حُلمًا لا أكثر. أكمِلي نومكِ. كلُّنا سنعود إلى النَّوم»، لكن مهما حاولَت ظَلَّ النَّوم يُجافيها بعناد.

إذا نظرتُ إلى الوراء فأنا ضائعة، قالت داني لنفسها في الصَّباح التَّالي وهي تَدخُل (أستاپور) من بوَّابة الميناء، وقد قرَّرت أنها لا تجرؤ على تذكير نفسها بقِلَّة أتباعها وضآلة شأنهم وإلَّا فقدَت كلَّ ما لديها من شَجاعة.

اليوم امتطَت فَرسها الفضِّيَّة وارتدَت سراويل من شَعر الخيل وصُدرةً جِلديَّةً ملوَّنةً، وتمنطَقت بحزام رصائع من البرونز حول خصرها وقاطعَت اثنين آخريْن بين نهديها، وكانت چيكوي وإيري قد ضفَّرتا شَعرها وثبَّتتا فيه

جرسًا فضِّيًّا صغيرًا غنَّى رنينه عن خالدي (كارث) وحريقهم في قصر الغُبار.

كانت شوارع (أستاپور) القرميد أقرب إلى الازدحام هذا الصَّباح، فاصطفَّ العبيد والخدم على جانبَيْ الطَّريق، بينما ارتدى النَّخَّاسون ونسوتهم التوكار ليتفرَّجوا من شُرفات أهرامهم المدرَّجة. يبدو أنهم لا يختلفون كثيرًا عن الكارثين، يطمحون إلى لمحةٍ من التَّنانين ليحكوا لأطفالهم وأحفادهم. جعلَها الخاطر تتساءَل كم منهم سينال فُرصة أن يُنجب أطفالًا.

تحرَّك آجو أمامها حاملًا قوسه الدوثراكي العظيم، وسارَ بلواس القوي إلى يمين فَرسها والفتاة ميسانداي إلى يسارها، ووراءها السير چورا مورمونت مرتديًا قميصًا من الحلقات المعدنيَّة وسُترةً طويلةً ويعبس في وجه كلٍّ من يقترب أكثر من اللَّازم، بينما تولَّى راگارو وچوچو حماية الهودج. كانت قد أمرَت بأن يُخلَع السَّقف كي يُقيَّد تنانينها إلى الأرضيَّة، وركبَت إيري وچيكوي معهم لتُحاوِلا تهدئتهم، لكن ڤسيريون راحَ يُلَوِّح بذيله وتصاعدَ الدُّخان الغاضب من منخريه، ولا بُدَّ أن ريجال أيضًا أحسَّ بأن شيئًا على غير ما يُرام، فقد حاولَ أن يُحلِّق ثلاث مرَّات، فقط لتسحبه السِّلسلة الثَّقيلة في يد چيكوي إلى أسفل من جديد، أمَّا دروجون فتكوَّر على نفسه وطوى ذيله وجناحيه تمامًا، وظلَّت عيناه الشَّيء الوحيد الذي يقول إنه ليس نائمًا.

تبعَها بقيَّة قومها؛ جروليو والرُّبَّانان الآخَران وأطقُمهم، والثلاثة وثمانون دوثراكي المتبقُّون لها من المئة ألف الذين كانوا في گالاسار دروجو. وضعَت المسنِّين والضُّعفاء في منتصَف الطَّابور، ومعهم الحوامل والمرضِعات والفتيات الصَّغيرات والصِّبية الأصغر من أن يجدلوا شَعرهم، فيما ركبَ الباقون -شرذمة المُحارِبين الذين معها- على جانبَيْ الطَّابور وساقوا قطيعهم البائس المتكوِّن من مئةٍ ونيِّف من الخيول الضَّاوية التي نجَت من (القفر الأحمر) والبحر الأسود المالح.

فكَّرت وهي تقود جماعتها الفقيرة على ضفَّة نهر (أستاپور) المتلوِّي: عليَّ أن أجعلهم يُخيِّطوا لي رايةً. أغلقَت عينيها وتخيَّلت كيف ستبدو. حرير أسود خفَّاق وعليه تنِّين عائلة تارجارين الأحمر برؤوسه الثَّلاثة، ينفث لهبًا ذهبيًّا. راية تليق بريجار. كان هدوء غريب يحفُّ ضفاف المجرى الذي يُسَمِّيه الأستاپوريُّون (النَّهر الدُّودي)، وهو واسع وبطيء ومعوج، وتنتشر

فيه جُزَيرات شجريَّة ضئيلة. لمحَت على إحداها أطفالًا يلعبون ويجرون بين أعمدةٍ رُخاميَّة أنيقة، وعلى أخرى رأت حبيبيْن يتبادَلان القُبل في ظِلِّ الأشجار الخضراء الطَّويلة بلا أيِّ خجلٍ كالدوثراكي في زفاف، لكن في غياب ثيابهما لم تعرف إن كانا عبدين أم حُرَّين.

كانت (ساحة الفخر) ذات الهارپي البرونز العظيمة أصغر من أن تحتوي جميع المطهَّرين الذين اشترَتهم، فاحتشدوا بدلًا من هذا في (ساحة العقاب) التي تطلُّ عليها بوَّابة (أستاپور) الرَّئيسة، كي يَخرُجوا من المدينة مباشرةً بمجرَّد أن تتسلَّمهم دنيرس. لا توجد تماثيل برونزيَّة هنا، فقط منصَّات خشبيَّة يُعَلَّق عليها العبيد المتمرِّدون وتُسلَخ جلودهم ويُشنَقون.

قالت لها ميسانداي وهُم يَدخُلون السَّاحة: «الأسياد الكرام يضعونهم هنا ليكونوا أول ما يراه العبيد الجُدد لدى دخولهم المدينة».

للوهلة الأولى حسبَت داني أن بشرتهم مخطَّطة كخيول الزورس[1] عند شعب الچوجوس نهاي، ثم إنها دنَت بفَرسها ورأت اللَّحم الأبيض النَّيء تحت الخطوط السَّوداء الزَّاحفة. ذُباب، ذُباب ويرقات. لقد قُشِّر جلد الرَّقيق المتمرِّدين كما يُقَشَّر التُّفَّاح؛ شريط متجعِّد طويل. أحدهم سوَّد الذُّباب ذراعه من الأصابع إلى المِرفق، وتحت الأسود كان الأحمر والأبيض. شَدَّت داني عنان الفَرس تحته، وسألَت: «ماذا فعل؟».

- «رفعَ يده على مالكه».

ببطنٍ مقلوب دارَت داني بالفَرس وخَبَّت إلى مركز السَّاحة والجيش الذي اشترَته بثمنٍ باهظ. صَفًّا وراء صَفٍّ وراء صَفٍّ وقفَ أنصاف الرِّجال الحجريُّون بقلوبهم القرميد، ثمانية آلاف وستمئة يعتمرون القبَّعات المدبَّبة الخاصَّة بالمطهَّرين الذين اكتملَ تدريبهم، ووراءهم ما يربو على الخمسة آلاف من مكشوفي الرُّؤوس المسلَّحين بالسُّيوف القصيرة والحِراب. رأت أن من يقفون في أقصى المؤخِّرة مجرَّد فِتية، وإن وقفوا ثابتين مشدودي القامة كالآخَرين تمامًا.

كان كْرازنس مو نوكْلوز ورفاقه هناك ليُحَيُّوها، ووقفَ آخَرون من أعيان

(1) الزورس حيوان هجين يَنتُج عن زواج ذَكر الحمار الوحشي وأنثى الحصان. (المترجم).

الأستابوريِّين في مجموعاتٍ وراءهم يحتسون النَّبيذ من كؤوسٍ فضِّيَّة طويلة بينما يدور العبيد حولهم بأطباق الكرز والتِّين والزَّيتون، بينما جلَسَ جرازدان الكبير على محفَّةٍ يحملها أربعة عبيد ضخام الحجم بشرتهم نُحاسيَّة، ودارَت مجموعة من حاملي الرِّماح بخيولهم على حدود السَّاحة ليدفعوا المتزاحمين الذين أتوا ليُشاهِدوا إلى الوراء. التمعَت الشَّمس بوميض مُعم على الأقراص البرونز المصقولة المخيَّطة إلى معاطفهم، لكن لم يَفُتَّ دانيَ أن تلحظ توتُّر الخيول الشَّديد. إنها تخشى التَّنانين، ولها كلُّ الحَق.

أمرَ كرازنس عبدًا بأن يُساعِدها على التَّرجُّل، فيداه هو مشغولتان، إحداهما تُثبِّت التوكار على كتفه والثَّانية تقبض على سوطٍ منمَّق، ثم إنه قال لميسانداي: «ها هُم أولاء. قولي لها إنهم ملكها... إذا كانت تستطيع أن تدفع الثَّمن».

قالت الفتاة: «تستطيع».

زعقَ السير چورا بأمر، فجُلِبَت البضائع. سِت لفائف من جلد النُّمور، وثلاثمئة لفافة من الحرير الثَّمين، وجِرار من الزَّعفران والمُرِّ والفلفل والكاري والحبَّهان، وقناع من الجَزع، واثنا عشر قردًا من اليَشب، وبراميل من الحبر الأحمر والأسود والأخضر، وصندوق من الجَمَشْت الأسود النَّادر، وصندوق من اللُّؤلؤ، وبرميل زَيتون منزوع النَّوى محشو باليرقات، ودستة من براميل سمك الكهوف المخلَّل، وناقوس كبير من النُّحاس الأصفر ومقرعته، وسبع أعيُن من العاج، وصندوق ضخم متخَم بكُتب لا تعرف داني لُغاتها، والمزيد والمزيد والمزيد مما كوَّمه قومها أمام النَّخَّاسين.

بينما يتمُّ الدَّفع مَنَّ كرازنس مو نوكلوز عليها ببضع نصائح أخيرة للتَّعامُل مع جنودها، وقال من خلال ميسانداي: «إنهم ما زالوا خُضرًا. قولي لعاهرة (وستروس) إن من الخير لها أن تُذيقهم الدِّماء مبكرًا. ثمَّة مُدن صغيرة كثيرة بين هنا وهناك، مُدن جاهزة للنَّهب، وأيًّا كان ما تستولي عليه فهو لها وحدها، فالمطهَّرون لا يشتهون الذَّهب أو الجواهر. وإذا أخذت أسرى، فيكفي أن يسوقهم عدد صغير من الحَرس إلى (أستاپور)، وسنشتري الأصحاء منهم بسِعرٍ مناسب. ومن يدري؟ خلال عشرة أعوام قد يكون الصِّبية الذين سترسِلهم قد أصبحوا مطهَّرين بدورهم، وعندها يعمُّ الخير على الجميع».

أخيرًا لم تَعُد هناك بضائع تُضاف إلى الكومة، فعادَ الدوثراكي يمتطون جيادهم، وقالت داني: «هذا كلُّ ما استطعنا أن نحمله. الباقي ينتظركم على السُّفن، كمِّيَّة كبيرة من الكهرمان والنَّبيذ والأرز الأسود، والسُّفن نفسها لكم، فلم يتبقَّ إلَّا...».

– «... التنِّين»، قال جرازدان ذو اللِّحية المدبَّبة الذي يتكلَّم العاميَّة بلكنةٍ ثقيلة.

– «وها هو ذا».

سارَ السير چورا وبلواس القوي إلى الهودج، حيث يقبع دروجون وأخواه يتشمَّسون، وحَلَّت چيكوي طرف السِّلسلة وناولَتها إياه، ولمَّا شَدَّتها رفعَ التنِّين الأسود رأسه مصدرًا فحيحه، وبسطَ جناحين من اللَّيل والقرمز، وابتسمَ كْرازنس مو نوكْلوز ملء شِدقيه عندما سقطَ ظِلُّهما عليه.

ناولَت داني النَّخَّاس طرف سلسلة دروجون، وفي المقابل ناولَها السَّوط. كان المقبض من عظم التنِّين الأسود، منقوشًا بأناقة ومطعَّمًا بالذَّهب، وتتدلَّى منه تسعة شرائط جِلديَّة، كلٌّ منها على طرفه مخلب مذهَّب، أمَّا القبيعة الذَّهبيَّة فعلى شكل رأس امرأةٍ أسنانها المدبَّبة من العاج.

عرفَت من ميسانداي أن «أصابع الهارپي» هو الاسم الذي يُطلِقه كْرازنس على السَّوط، وقد دوَّرته في يدها مفكرةً: شيء أخفُّ كثيرًا من أن يحمل كلَّ هذا الثِّقل. «هل انتهى الأمر إذن؟ أهُم ملكي الآن؟».

– «انتهى الأمر»، أجابَها وهو يشدُّ السِّلسلة بحدَّةٍ ليُخرِج دروجون من الهودج.

اعتلَت داني فَرسها الفضِّيَّة وقلبها يدقُّ في صدرها بعُنفٍ والخوف يغمرها حتى النُّخاع. أهذا ما كان أخي ليفعله؟ تساءلَت إن كان الأمير ريجار قد أحسَّ بهذا التَّوتُّر حينما رأى صفوف جيش الغاصِب عبر (الثَّالوث) والرَّايات تخفق في الهواء.

وقفَت على رِكابَيْ الفَرس ورفعَت أصابع الهارپي فوق رأسها ليراها المطهَّرون، وبأعلى صوتها صاحَت: «انتهى الأمر! أنتم لي!»، وهمزَت الفَرس وهرولَت بطول الصَّف الأول رافعةً الكرباج عاليًا وهاتفةً: «أنتم جنود التنِّين الآن! بُعتُم ودُفعَ ثمنكم! انتهى الأمر! انتهى الأمر!».

لمحَت جرازدان الكبير يلتفت بحركةٍ حادَّة، ففكَّرت: سمعَني أتكلَّمُ القاليريَّة، لكن النَّخَّاسين الآخَرين لم يكونوا منصتين، وتزاحَموا حول كَرازنس والتِّنين صائحين بالنَّصائح، فعلى الرغم من كلِّ شَدِّ الأستاپوري وجذبه رفضَ دروجون أن يتزَحزَح من مكانه في الهودج، وخرجَ الدُّخان رماديًّا من فَكَّيه المفتوحيْن، وتلوَّى عُنقه الطَّويل واستقامَ وهو ينهش الهواء بأسنانه في وجه النَّخَّاس.

حدَّثت داني نفسها وهي تدور عائدةً بفَرسها: حانَ وقت عبور (الثَّالوث)، وتحرَّك خيَّالة دمها محيطين بها من كثب، ثم توقَّفت عند الهودج وقالت: «يبدو أنك تُواجه صعوبةً».

رَدَّ كَرازنس: «لا يُريد أن يأتي».

قالت داني: «هناك سبب. التنِّين ليس عبدًا»، وهوَت بالسَّوط بأقصى قوَّتها على وجه النَّخَّاس، وصرخَ كَرازنس وتراجعَ مترنِّحًا والدَّم يسيل على وجنتيه إلى لحيته المعطَّرة. بضربةٍ واحدة مزَّقت أصابع الهاربي ملامحه شَرَّ ممزق، لكن داني لم تتوقَّف لتتأمَّل ما أحدثَته في لحمه من خراب، وبصوتٍ رنَّان كلُّه عذوبة كالغناء قالت وقد نسيَت خوفها تمامًا: «دروجون، دراكارِس».

وبسطَ التنِّين الأسود جناحيه ودَوَّى زئيره.

رُمح من اللَّهب الأسود المائج ضربَ كَرازنس في وجهه مباشرةً، وفي لحظةٍ ذابَت عيناه وسالتا على وجهه، وشَبَّت النَّار في الزَّيت الذي أغرقَ به شَعره ولحيته بمنتهى العُنف حتى إن النَّخَّاس بدا لحظةً كأنما يرتدي تاجًا مشتعلًا أطول من رأسه مرَّتين، وتغلَّبت رائحة اللَّحم المتفحِّم المباغتة على عطره الفاغم، وطغى عويله على جميع الأصوات الأخرى.

ثم تفجَّرت الدِّماء والفوضى في (ساحة العقاب).

كان الأسياد الكرام يَصرُخون ويتعثَّرون ويتدافَعون وتشتبك أرجُلهم في حواشي التوكارات من فرط العجلة، وحَلَّق دروجون بحركة أقرب إلى الكسل نحو كَرازنس وجناحاه الأسودان يضربان الهواء، وإذ لعقَ النَّخَّاس بلسانٍ آخَر من النَّار أطلقَت إيري وڤيكوي سراح ڤسيريون وريجال، وفجأةً أصبحَ هناك ثلاثة تنانين في الهواء. عندما التفتَت داني لتَنظُر، كان ثُلث مُحاربي (أستاپور) المغاوير ذوي قرون الشَّياطين يُكافح للبقاء على متون الخيول، وثُلث آخَر

يفرُّ مصحوبًا بوهج البرونز. استطاعَ رجل منهم أن يثبت فوق سَرجه ويستلَّ سيفه، لكن سوط چوجو التفَّ حول عُنقه وأخرسَ صيحته، وفقدَ ثانٍ يده بضربةٍ من أراخ راگارو وهربَ مترنِّحًا ودماؤه تنبجس بغزارة، بينما استقرَّ آجو بهدوءٍ على متن حصانه وثبَّت سهامه إلى قوسه وسدَّدها إلى كلِّ من يرتدي التوكار دون أن يُبالي بالحاشية، سواء أكانت فضِّيَّةً أو ذهبيَّةً أو بلا زينة، ولوَّح بلواس القوي بأراخه وراحَ يضرب به هنا وهناك.

سمعَت داني أحد الأستاپوريِّين يصيح: «الحِراب!». كان جرازدان، جرازدان الكبير بتوكاره الذي أثقلَته اللآلئ. «أيها المطهَّرون! دافِعوا عنا! أوقِفوهم! دافعوا عن أسيادكم! الحِراب! السُّيوف!».

حين غرسَ راگارو سهمًا في فمه أسقطَ العبيد الذين يحملونه المحفَّة وتركوه يتهاوى أرضًا، وزحفَ العجوز إلى أول صَفٍّ من المخصيِّين ودمه يتدفَّق على القرميد، لكن المطهَّرين لم يخفضوا أعيُنهم إليه حتى ليُشاهِدوه وهو يموت، وصَفًّا وراء صَفٍّ وراء صَفٍّ ظَلُّوا واقفين.

هرولَت داني أمامهم وضفيرتها الذَّهبيَّة الفضِّيَّة تُرَفرف وراءها وجرسها يرنُّ، وصاحَت: «أيها المطهَّرون! اقتُلوا الأسياد الكرام، اقتُلوا الجنود، اقتُلوا كلَّ من يرتدي التوكار أو يحمل سوطًا، لكن لا تُؤذوا طفلًا تحت الثَّانية عشرة، واضربوا قيود كلِّ عبدٍ ترون»، ورفعَت أصابع الهارپي في الهواء... ثم ألقَت السَّوط أرضًا وردَّدت بنبرةٍ كأنها لحن: «**الحرِّيَّة! دراكارِس! دراكارِس!**».

وهتفوا هُم بأعذبِ كلمةٍ سمعتها في حياتها: «**دراكارِس! دراكارِس! دراكارِس!**»، وفي كلِّ مكانٍ حولهم جرى النَّخَّاسون وانتحبوا وتوسَّلوا وماتوا، وامتلأَ الهواء المغبَّر بالحِراب والنِّيران.



سانزا

هذا الصَّباح سيكون فُستانها الجديد جاهزًا.

دخلَت الخادمات وملأن حوض سانزا بالمياه السَّاخنة، وفركن جسدها كلَّه من الرَّأس إلى القدمين حتى نصعَت بشرتها وتورَّدت، وقلَّمت وصيفة سرسي الخاصَّة أظفارها ومشَّطت شَعرها الكستنائي وموَّجته لينسدل على ظَهرها في حُليقاتٍ ناعمة. أحضرَت الفتاة معها دستةً من عطور الملكة المفضَّلة أيضًا، وانتقَت سانزا واحدًا ذا رائحةٍ حادَّة أخَّاذة، فيه لمحة من اللَّيمون لم يطغَ عليها عبير الزُّهور تمامًا، فملَّست الوصيفة القليل منه على إصبعها ومَسَّت سانزا وراء الأذنين وتحت الذَّقن، ثم بخفَّةٍ على الحلمتين.

أتَت سرسي بشخصها مع الخيَّاطة، وشاهدَت بينما ألبسن سانزا ثيابها الجديدة. كانت الملابس التَّحتيَّة كلُّها من الحرير، أمَّا الفُستان نفسه فمزيج من السَّميت[1] العاجي وقماش الفضَّة وبطانته من الساتان المفضَّض، ولمَّا خفضَت ذراعيها كادَت أطراف الكُمَّين الطَّويلين الواسعين تلمس الأرض، لكن الأهمَّ أنه فُستان امرأة لا فتاة صغيرة، فالصِّدار مشقوق من الأمام بشكلٍ مخروطي حتى بطنها تقريبًا، ويُغَطِّي الفتحة شريط زينة مايري منمَّق بلونِ اليمام الرَّمادي، والتَّنُّورة طويلة منتفخة والخصر ضيِّق للغاية، حتى إنها حبسَت أنفاسها وهُن يعقدن أربطته. أحضرن لها حذاءً جديدًا أيضًا، خُفَّين رماديَّين من جِلد الظِّباء النَّاعم عانَقا قدميها كعشيقيْن.

قالت لها الخيَّاطة عندما ارتدَت الثِّياب: «أنتِ جميلة للغاية يا سيِّدتي».

---

(1) السَّميت نسيج حريري شديد الفخامة مضلَّع الحبكة. (المترجم).

ضحكَت سانزا ودارَت حول نفسها لتتموَّج تنُّورتها، وقالت: «نعم، إنني جميلة حقًّا. أوه، إنني جميلة!». لا تُطيق صبرًا حتى يراها ويلاس هكذا. سيُحبُّني، نعم، لا بُدَّ أن يُحبَّني... سينسى (وينترفل) حين يراني، سأجعله ينساها.

تفحَّصتها الملكة سرسي بعينٍ ناقدة، قبل أن تقول: «تنقُصها بضع جواهر على ما أعتقدُ. أحجار القمر التي أهداها چوفري إياها».

أجابَت وصيفتها: «في الحال يا جلالة الملكة».

ولمَّا تدلَّى اللُّؤلؤ الأزرق من قرطين في أُذني سانزا وأحاطَ بعُنقها، أومأت الملكة باستحسانٍ وقالت: «نعم، الآلهة كانت كريمةً معكِ يا سانزا. أنتِ فتاة جميلة، وتبديد هذه البراءة الجذَّابة على ذلك المسخ يبدو لي أقرب إلى جريمة».

- «المسخ؟». لم تفهم سانزا. هل تعني ويلاس؟ كيف عرفَت؟ لا أحد يعرف غيرها ومارچري وملكة الأشواك... أوه، ودونتوس، لكنه لا يُحسَب.

تجاهلَت الملكة سرسي السُّؤال، وقالت آمرةً: «المعطف»، فأخرجَته المرأة. كان معطفًا طويلًا من المخمل الأبيض المثقَل باللآلئ، طُرِّزَ عليه ذئب رهيب ضارٍ بخيطٍ فضِّي. رمقَته سانزا بفزعٍ مفاجئ، وقالت سرسي وهن يُثبِّتنه حول عُنقها بسلسلةٍ فضِّيَّة رفيعة: «ألوان أبيكِ».

معطف البتُولة. ارتفعَت يد سانزا إلى حَلقها، ولو جرؤَت لانتزعَت المعطف من على جسدها انتزاعًا.

قالت سرسي: «أنتِ أجمل وفمكِ مغلق يا سانزا. هلمِّي، السِّپتون ينتظر، وضيوف الزِّفاف أيضًا».

اندفعَت سانزا تقول: «لا، لا!».

- «نعم. أنتِ ربيبة العرش، والملك يحلُّ محلَّ أبيكِ بما أن أخاكِ مُدان بالخيانة، أي أن لديه كلَّ الحَق في التَّصرُّف في يدكِ. ستتزوَّجين أخي تيريون».

قالت سانزا لنفسها باشمئزاز: إرثي. لم يكن دونتوس المهرِّج أحمق إذن، بل رأى الحقيقة. ابتعدَت عن الملكة قائلةً: «لن أفعل». سأتزوَّجُ ويلاس، سأصبحُ سيِّدة (هايجاردن)، أرجوكِ...

- «أتفهَّمُ نفوركِ. ابكي إذا أردتِ. لو كنتُ مكانكِ لمزَّقتُ شَعري. إنه عِفريت بغيض ولا شَكَّ في هذا، لكنكِ ستتزوَّجينه».

- «لا يُمكِنكم أن تُجبروني».

- «بالطَّبع يُمكننا. إمَّا أن تأتي بهدوء وتُرَدِّدي نذوركِ كما يليق بليدي راقية، وإمَّا أن تُقاومي وتَصرُخي وتجعلي من نفسكِ فُرجةً يسخر منها عُمَّال الاسطبلات، لكن في النِّهاية ستتزوَّجينه وتُضاجعينه»، وفتحَت الملكة الباب ليَدخُل السير مرين ترانت والسير أوزموند كِتلبلاك المنتظران خارج الغُرفة في دروع الحَرس الملكي البيضاء، وقالت لهما: «اصحبا الليدي سانزا إلى السِّپت. احملاها إذا اضطررتما، لكن لا تُمَزِّقا الفُستان. إنه باهظ الثَّمن».

حاولَت سانزا أن تجري، لكن وصيفة سرسي قبضَت على معصمها قبل أن تبتعد أكثر من ياردة واحدة، وحدجَها السير مرين ترانت بنظرةٍ جعلَتها تنكمش خوفًا، لكن كِتلبلاك لمسَها بشِبه رفقٍ قائلًا: «افعلي ما يُملي عليكِ يا حُلوتي ولن يكون الأمر بهذا السُّوء. المفترَض أن تكون الذِّئاب شُجاعةً، أليس كذلك؟».

شُجاعة. أخذَت سانزا شهيقًا عميقًا قائلةً لنفسها: نعم، أنا ابنة ستارك. يُمكنني أن أكون شُجاعةً. كان الجميع يُحَدِّقون إليها كما حدَّقوا في السَّاحة حين مزَّق السير بوروس بلاونت ثيابها. العِفريت هو من أنقذَها من الضَّرب يومها، الرَّجل ذاته الذي ينتظرها الآن. فكَّرت: إنه ليس سيِّئًا كسائرهم، ثم قالت لهم: «سأذهبُ».

قالت سرسي مبتسمةً: «كنتُ أعرفُ أنكِ ستفعلين».

فيما بَعد لم تتذكَّر مغادرَة الغُرفة ونزول السَّلالم وعبور السَّاحة، وبدا كأن اهتمامها كلَّه منصبٌّ على وضع قدم أمام الأخرى، وقد سارَ السير مرين والسير أوزموند إلى جوارها بمعطفين شَاحبيْن كمعطفها، لا يَنقُصهما إلَّا اللَّآلئ وذئب أبيها الرَّهيب. كان چوفري ينتظرها بنفسه على سلالم سِپت القلعة متألِّقًا في القرمزي والذَّهبي وتاجه على رأسه، وقال لها: «أنا أبوكِ اليوم».

رَدَّت غاضبةً: «لست أبي ولن تكون أبدًا».

اربدَّ وجهه وهو يقول: «أنا أبوكِ ويُمكنني أن أزوِّجكِ مَن أشاءُ أيًّا كان. ستتزوَّجين صبيَّ الخنازير إذا أمرتُ وتُشاركينه فِراشه في الزَّريبة»، وأضافَ والاستمتاع يلمع في عينيه الخضراوين: «أو ربما أعطيكِ للسير إلين. هل يروقكِ هذا أكثر؟».

تسارعَت نبضات قلبها، وقالت متوسِّلةً: «أرجوك يا جلالة الملك. إذا أحببتَني ولو قليلًا فلا تجعلني أتزوَّج...».

– «... خاله؟». خرجَ تيريون لانستر من باب السِّبت وقال لچوفري: «جلالة الملك، هلَّا تفضَّلت وسمحت لي بالانفراد بالليدي سانزا لحظةً؟».

كان الملك على وشك أن يَرفُض، غير أن أمَّه رمَته بنظرةٍ حادَّة، وابتعدا بضعة أقدام.

ارتدى تيريون سُترةً قصيرةً من المخملِ الأسود المحلَّى بالزَّخارف الذَّهبيَّة، وحذاءً يرتفع حتى الفخذين أضافَ ثلاث بوصات إلى طوله، وسلسلةً من الياقوت ورؤوس الأُسود، لكن الشَّج المائل عبر وجهه كان أحمر مسحوجًا، وأنفه ليس أكثر من جُلبةٍ شنيعة.

قال لها: «أنتِ جميلة للغاية يا سانزا».

– «لُطف منك أن تقول هذا يا سيِّدي». لم تدرِ ماذا تقول غير هذا. أينبغي أن أقول له إنه وسيم؟ سيظنُّني حمقاء أو كاذبة. هكذا خفضَت ناظريها ولزمَت الصَّمت.

قال لها: «سيِّدتي، أعلمُ أن هذه ليست طريقةً يجلبونكِ بها إلى زفافكِ، وآسفٌ لهذا، ولجعل المسألة كلِّها مباغتة وسرِّيَّة، لكن أبي ارتأى ضرورة هذا لأسباب تخصُّ الدَّولة، ولولا هذا لأتيتكِ قبل الآن كما أردتُ»، وتقدَّم منها مضيفًا: «أعرفُ أنكِ لم تَطلُبي هذه الزِّيجة، ولا أنا طلبتها كذلك، لكن لو رفضتكِ لزوَّجوكِ لانسل ابن عمِّي. ربما تُفَضِّلين ذلك. إنه أقرب إليكِ في السِّنِّ وأوسم مني. إذا كان هذا ما ترغبينه فقولي وسأضعُ نهايةً لهذه المهزلة».

أرادَت أن تقول: لا أرغبُ في الزَّواج بأيٍّ لانستر. أريدُ ويلاس، أريدُ (هايجاردن) والجِراء والزَّورق، وأبناءً أسمِّيهم إدارد وبران وريكون. ثم إنها تذكَّرت ما قاله لَها دونتوس في أيكة الآلهة، ففكَّرت: تايرل أو لانستر، لا فرق، إنهم لا يُريدونني أنا، بل إرثي. قالت مهزومةً: «أنت لطيف يا سيِّدي. أنا ربيبة العرش، وواجبي أن أتزوَّج من يأمر به الملك».

أمعنَ النَّظر إليها بعينيه غير المتماثلتيْن، وقال برقَّة: «أعلمُ أني لستُ الزَّوج الذي تَحلُم به الفتيات يا سانزا، لكني لستُ چوفري كذلك».

أجابَت: «نعم، لقد عاملتَني برفق، أذكرُ هذا».

مَدَّ تيريون إليها يدًا غليظةً خشنة الأصابع قائلًا: «هلمِّي إذن، لنَقُم بواجبنا».
وضعَت يدها في يده وقادَها إلى مذبح الزَّواج، حيث ينتظر السِّپتون بين (الأُم) و(الأب) ليقرن حياتيهما معًا. رأت دونتوس في ثياب المهرِّجين يَرمُقها بعينين متَّسعتين، وحضرَ السير بالون سوان والسير بوروس بلاونت بأبيض الحَرس الملكي، فيما غابَ السير لوراس، وتبيَّنت سانزا فجأةً أن لا أحد من آل تايرل موجود. على أن الشُّهود الآخَرين كانوا كُثرًا: الخصي ڤارس، والسير أدام ماربراند، واللورد فيليپ فوت، والسير برون، وچالابار شو، وغيرهم كثير، اللورد جايلز يَسعُل، والليدي إرميساند ترضع، وابنة الليدي تاندا الحُبلى تبكي بلا سبب واضح. دعيها تبكي، فربما أبكي مِثلها قبل نهاية اليوم.
مَرَّت المراسم كأنها حُلم ضبابي، وأدَّت سانزا كلَّ المطلوب منها. رُدِّدَت صلوات وعهود وأناشيد، واحترقَت شموع طويلة، وتراقصَت مئات الأضواء التي جعلَتها الدُّموع في عينيها آلافًا، لكن من حُسن الحَظِّ أن أحدًا لم يلحظ بُكاءها وهي واقفة عند المذبح ملتحفةً بألوان أبيها، أو أنهم لاحَظوا وتظاهَروا بالعكس.
ثم، كأن الوقت جرى أسرع من الرِّيح، آنَ أوان تبادُل المعطفين.
باعتباره أبا البلاد، أخذَ چوفري مكان اللورد إدارد ستارك، ووقفَت سانزا متيبِّسةً كالرُّمح إذ مَدَّ يديه من فوق كتفيها ليفتح مشبك معطفها، ومَسَّت إحداهما ثديها وظلَّت هناك لحظةً لتعتصره بخفَّة، ثم انفتحَ المشبك ورفعَ چوف معطف البُتولة عنها بأداءٍ ملكي أنيق وابتسامةٍ واسعة.
لكن المسألة لم تكن بهذه السُّهولة لمَّا جاءَ دور خاله، فمعطف العروس الذي يحمله كان ضخمًا ثقيلًا، مفصَّلًا من مخمل قرمزي مشغول بصُور الأُسود ومقصَّب عند الحواف بالسَّاتان الذَّهبي والياقوت، إلَّا أن أحدًا لم يُفَكِّر في إحضار كرسيٍّ صغير، وتيريون أقصر من عروسه بقدم ونِصف، وإذ وقفَ وراءها أحسَّت سانزا بشَدَّةٍ حادَّة لتنُّورتها، فقالت لنفسها ووجهها يتورَّد: يُريدني أن أركع. تجمَّدت في مكانها. لم يكن من المفترَض أن يكون الأمر هكذا. لقد حلمَت بزفافها ألف مرَّة، وتخيَّلت دائمًا كيف سيقف خطيبها وراءها طويلًا قويًّا ويضع معطف الحماية على كتفيها، ويلثم خَدَّها برقَّةٍ وهو يميل إلى الأمام ليربط المشبك.

أحسَّت بتنُّورتها تُشَدُّ ثانيةً بإصرارٍ أكثر، فقالت لنفسها: لن أركع. لماذا أراعِي مشاعره بينما لا يكترث أحد لمشاعري؟
شَدَّ القزم التَّنُّورة مرَّةً ثالثةً، فزَمَّت شفتيها بعنادٍ وتظاهرَت بأنها لم تُلاحِظ. صدرَت ضحكة مكتومة من امرأةٍ وراءهما، ففكَّرت: الملكة، لكنها لم تهتم، وسرعان ما كان الجميع يضحكون، وچوفري أصخبهم، وبَعد قليل قال الملك آمرًا: «دونتوس، على يديك ورُكبتيك. خالي يحتاج إلى من يرفعه ليركب عروسه».
وهكذا ألبسَها السيِّد زوجها معطفًا بألوان عائلة لانستر وهو واقف على ظَهر مهرِّج.
حين التفتَت سانزا كان الرَّجل الصَّغير رافعًا عينيه إليها وفمه مشدود عن آخِره ووجهه أحمر كمعطفها، وفجأةً اعتراها الخجل من عنادها، فسوَّت تنُّورتها وركعَت أمامه كي يستوي رأساهما، وقالت: «بهذه القُبلة أتعهَّدُ بحُبِّي وأقبلك سيِّدي وزوجي».
قال القزم بصوتٍ مبحوح: «بهذه القُبلة أتعهَّدُ بحُبِّي وأقبلكِ سيِّدتي وزوجتي»، ومالَ إلى الأمام وتماسَّت شفاههما لحظةً.
فكَّرت سانزا ووجهه على هذا القُرب الشَّديد منها: يا لقُبحه، إنه أقبح من كلب الصَّيد نفسه.
رفعَ السِّپتون بلَّورته عاليًا فسقطَ عليهما الضَّوء ملوَّنًا كقوس قزح، وأعلن: «هنا على مرأى من الآلهة والبَشر أعلنُ تيريون سليل عائلة لانستر وسانزا سليلة عائلة ستارك زوجًا وزوجةً، جسدًا واحدًا وروحًا واحدةً، الآن وإلى الأبد، وملعون من يُفرِّق بينهما».
وعضَّت سانزا شفتها مرغمةً لتمنع نفسها من البُكاء.
أقيمَت مأدبة الزِّفاف في القاعة الصُّغرى في حضور نحو خمسين ضيفًا، أغلبهم من حاشية وحُلفاء عائلة لانستر الذين انضمُّوا إلى من شهدوا الزِّفاف، وهنا وجدَت سانزا آل تايرل. رمقَتها مارچري بنظرةٍ ملأى بالحزن، وحين دخلَت ملكة الأشواك تتمايَل بين حارسيها شِمال ويمين لم تَنظُر ناحيتها بالمرَّة، وبدا أن إلينور وآلا ومِجا قد قرَّرن أنهن لا يعرفنها، فقالت لنفسها بمرارة. صديقاتي.
شربَ زوجها كثيرًا وأكلَ أقلَّ القليل، يُصغي كلما نهضَ أحدهم ليرفع

نخبًا، ويُومئ أحيانًا برأسه على سبيل الشُّكر، لكن فيما عدا هذا فكأن ملامحه قُدَّت من حجر. طالَت المأدبة كأنها تمتدُّ أبديَّةً لا آخِر لها، وإن لم تتذوَّق سانزا شيئًا من الطَّعام، وفي أعماقها امتزجَت رغبتها في أن تنتهي برهبتها من نهايتها، فبَعد المأدبة يأتي الإضجاع. سوف يحملها الرِّجال إلى فِراش الزِّفاف ويُجَرِّدونها من ملابسها كلِّها في الطَّريق ويُلقون دُعاباتٍ وقحة عن المصير الذي ينتظرها تحت الأغطية، بينما تفعل النِّساء المِثل مع تيريون، ثم إنهما لن يُترَكا وحدهما إلَّا بَعد أن يصلا عاريين إلى سريرهما، وحتى عندها سيظلُّ الضُّيوف واقفين خارج غُرفة الزَّوجيَّة ويصيحون بنصائح بذيئة من وراء الباب. في صِغرها بدَت فكرة الإضجاع مثيرةً لذيذةً لأقصى حد، لكن الآن واللَّحظة تقترب لا تَشعُر سانزا إلَّا بالخوف، فهي لا تحسب أنها ستتحمَّل أن يُمَزِّقوا ثيابها عنها، وتثق بأنها ستنفجر باكيةً لدى سماع أول دعابةٍ سليطة.

عندما بدأ عزف الموسيقى، وضعَت يدًا متردِّدةً على يد تيريون، وسألَته: «هل نقود الرَّقصة يا سيِّدي؟».

التوى فمه مجيبًا: «أعتقدُ أننا سلَّيناهم بما يكفي اليوم، أليس كذلك؟».

قالت مزيحةً يدها: «كما تشاء يا سيِّدي».

قادَ چوفري ومارچري الرَّقصة بدلًا منهما، وتساءلَت سانزا وهي تُشاهِدهما: كيف يُمكن أن يرقُص وحش بهذا الجَمال؟ كثيرًا ما راودَتها أحلام اليقظة برقصها يوم زفافها، وكيف ستُسَلَّط أنظار الجميع عليها وعلى سيِّدها الوسيم، وفي أحلامها كان الكلُّ يبتسمون. حتى زوجي نفسه لا يبتسم الآن.

سرعان ما انضمَّ ضيوف آخَرون إلى الملك وخطيبته في حلبة الرَّقص. رقصَت إلينور مع مُرافِقها الشَّاب، ومِجا مع الأمير تومن، ودارَت الليدي ميريويذر -الحسناء المايريَّة ذات الشَّعر الأسود والعينين الدَّاكنتين الواسعتين- بمنتهى الفتنة فتعلَّقت بها أعيُن كلِّ رجلٍ في القاعة، وتحرَّك اللورد والليدي تايرل برزانةٍ أكثر، وطلبَ السير كيڤان شرف الرَّقص مع الليدي چانا فوسواي أخت اللورد تايرل، وانضمَّت ميري كرين إلى الأمير المنفي چالابار شو المتألِّق في ثيابه الرِّيش الفاخرة، ورقصَت سرسي لانستر مع اللورد ردواين أولًا، ثم اللورد روان، وأخيرًا مع أبيها الذي تحرَّك برشاقةٍ دون أن يبتسم.

جلسَت سانزا ويداها في حِجرها تُشاهِد الملكة تتحرَّك وتضحك وتنفض خُصلات شَعرها الشَّقراء، وقالت لنفسها بجمود: إنها تسحرهم جميعًا. كم أكرهها، وأشاحَت بوجهها لتَنظُر حيث يَرقُص فتى القمر مع دونتوس.

وقفَ السير جارلان تايرل عند المنصَّة، وقال: «ليدي سانزا، أتسمحين لي بشَرف الرَّقص معكِ؟ بَعد إذن السيِّد زوجكِ».

زَرَّ العِفريت عينيه غير المتماثلتين قائلًا: «فلتَرقُص زوجتي مع من تُريد».

ربما كان حريًّا بها أن تبقى إلى جوار زوجها، لكنها تتوق إلى الرَّقص بشدَّة... والسير جارلان شقيق مارچري، وويلاس، وفارسها فارس الزُّهور. هكذا أجابَت واضعةً يدها في يده: «أرى سبب تلقيبك بجارلان الهُمام أيها الفارس».

- «كرم من سيِّدتي أن تقول هذا. أخي ويلاس هو من أطلقَ عليَّ هذا اللَّقب، ليحميني».

حدجَته بنظرةٍ حائرة وردَّدت: «يحميك؟».

أجابَ السير جارلان ضاحكًا: «كنتُ بدينًا في صِغري، ولدينا عم اسمه جارث السَّمين، فقرَّر ويلاس أن يسبق الآخَرين إلى تلقيبي، لكن ليس قبل أن يُهَدِّدني بجارلان الشَّاحب وجارلان المزعج وجارلان المسخ».

ضحكَت سانزا مرغمةً لحميميَّة الحكاية وسُخفها على الرغم من كلِّ شيء، وبَعدها وجدَت نفسها ممتنَّةً على نحو لم تعقله. بشكلٍ ما أحيا الضَّحك الأمل فيها من جديد، حتى ولو فترةً لَن تطول، وببسمةٍ تركَت الموسيقى تستغرقها وفقدَت نفسها في الخُطوات وفي أنغام النَّاي والمزمار والقيثارة ووقع الطُّبول... وبين الحين والآخَر بين ذراعَيْ السير جارلان كلما عادَت الرَّقصة تجمعهما، وفي واحدٍ من تلك الأحيان قال لها بهدوء: «السيِّدة زوجتي قلقة عليكِ للغاية».

- «الليدي ليونيت شديدة اللُّطف. قُل لها إنني بخير».

قال بنبرةٍ لم يَغِب عنها الرِّفق: «المفترَض أن تكون عروس في زفافها أكثر من «بخير». لقد بدوتِ على وشك الإجهاش بالبُكاء».

- «إنها دموع الفرح أيها الفارس».

- «عيناكِ تبوحان بكذب لسانكِ»، ودوَّرها السير جارلان وسحبَها إلى

جانبه مردفًا: «سيِّدتي، لقد رأيتُ نظراتكِ إلى أخي. لوراس شُجاع ووسيم، وكلُّنا مغرمون به... لكن عِفريتكِ سيكون زوجًا أصلح لكِ. هذا الرَّجل أكبر مما يبدو في اعتقادي».

باعدَت الموسيقى بينهما قبل أن تُفكِّر سانزا في رَد، ونقلَتها إلى مايس تايرل بوجهه المحتقن وعَرقه، ثم اللورد ميريويذر، ثم الأمير تومن، وقال لها الأمير الصَّغير الذي لا تتعدَّى سِنُّه التَّاسعة: «أريدُ أن أتزوَّج أيضًا. أنا أطول من خالي!».

قالت سانزا قبل أن يتبدَّل الشُّركاء ثانيةً: «أعرفُ هذا». أثنى السير كيڤان على جَمالها، ورطنَ چالابار شو بشيءٍ لم تفهمه بلُغة (جُزر الصَّيف)، وتمنَّى لها اللورد ردواين كثيرًا من الأطفال السِّمان وسنينًا من السَّعادة... ثم نقلَتها الرَّقصة لتجد نفسها وجهًا لوجهٍ مع چوفري.

تصلَّبت سانزا إذ مسَّت يده يدها، لكن الملك شَدَّد قبضته وشَدَّها إليه قائلًا: «لا يَجدُر بكِ أن تبدي حزينةً هكذا. صحيحٌ أن خالي مخلوق قبيح صغير، لكنكِ ستحظين بي أيضًا».

– «لكنك ستتزوَّج مارچري!».

– «الملك يستطيع أن يحظى بنسوةٍ أخريات، عاهرات. أبي فعلَ هذا، وواحد ممن اسمهم إجون أيضًا، الثَّالث أو الرَّابع، حظيَ بعاهراتٍ كثيرات ونغولٍ كثيرين»، ودارا مع الموسيقى فطبعَ چوف على وجهها قُبلةً رطبةً، وأضافَ: «سيجلبكِ خالي إلى فِراشي متى أمرتُ».

هَزَّت رأسها نفيًا، وقالت: «لن يفعل».

– «سيفعل وإلَّا قطعتُ رأسه. ذلك الملك إجون أخذَ كلَّ امرأةٍ رغبَ فيها، سواء أكانت متزوِّجةً أم لم تكن».

لحُسن الحَظِّ أن وقت تبديل الشُّركاء حانَ من جديد، لكن ساقيها كانتا قد تخشَّبتا، ولا بُدَّ أن اللورد روان والسير تالاد ومُرافِق إلينور حسبوها راقصةً خرقاء. ثم إنها عادَت إلى السير جارلان مرَّةً أخيرةً، قبل أن تنتهي الرَّقصة وتتنفَّس سانزا الصُّعداء.

إلَّا أن ارتياحها لم يَدُم طويلًا، فبمجرَّد أن سكتَت الموسيقى قال چوفري: «آنَ أوان إضجاعهما! لنخلع هذه الثِّياب ونُلقي نظرةً على ما ستُعطيه الذِّئبة لخالي!»، وأيَّده رجال آخَرون رافعين أصواتهم بالهتاف.

رفعَ زوجها القزم عينيه بتؤدةٍ عن كأسه، وقال: «لن يكونَ هناك إضجاع».
قبضَ چوفري على ذراع سانزا قائلًا: «سيكون ما دمتُ أمرتُ».

هوى العِفريت بخنجره على المائدة فغرسَه فيها وتركَه يرتجف، وقال للملك: «ستلج عروسك بقضيب خشبي إذن. سأخصيك، أقسمُ أن أفعلها».

رانَ صمت مصدوم على القاعة، وحاولَت سانزا الابتعاد عن چوفري، لكنه تمسَّك بها وتمزَّق الكُم، وإن لم يبدُ أن أحدًا سمعَ، والتفتَت الملكة سرسي إلى أبيها قائلةً: «هل سمعته؟».

نهضَ اللورد تايوين، وقال: «أعتقدُ أننا نستطيع التَّجاوُز عن الإضجاع. تيريون، إنني واثق بأنك لم تعنِ تهديد شخص جلالته».

رأت سانزا قسمات زوجها تتشنَّج ثورةً، لكنه قال: «أسأتُ القول لا أكثر. كانت دُعابةً سيِّئةً يا مولاي».

صاحَ چوفري بنبرةٍ رفيعة كالصَّرير: «لقد هدَّدتني بالخصاء!».

قال تيريون: «نعم يا جلالة الملك، لكن فقط لأني أحسدك على ذَكرك الملكي، فذَكري أنا صغير قصير»، ونظرَ إلى چوفري شذرًا وهو يُتابع: «وإذا قطعت لساني فستحرمني من آخِر وسيلةٍ يُمكنني أن أمتِّع بها الزَّوجة الجميلة التي أعطيتني إياها».

تفجَّر الضَّحك من بين شفتَيْ السير أوزموند كِتلبلاك، وصدرَت من شخصٍ آخَر ضحكة مكتومة، لكن چوف لم يضحك، ولا اللورد تايوين الذي قال: «جلالة الملك، ابني سكران كما ترى».

رَدَّ العِفريت: «نعم، لكن ليس لدرجة أني لا أستطيعُ إضجاع نفسي»، ووثبَ من على المنصَّة وجذبَ سانزا بخشونةٍ قائلًا: «هيا يا زوجتي، حان وقت تحطيم بوَّابتكِ الحديد. أريدُ أن ألعب (تعالَ إلى قلعتي)».

بوجهٍ تضرَّج بالحُمرة خرجَت سانزا معه من القاعة الصُّغرى قائلةً لنفسها: وهل أملكُ الخيار؟ يتمايَل تيريون عندما يمشي، وخصوصًا إذا مشى مسرعًا كالآن، لكن الآلهة كانت رحيمةً ولم يُحاول چوفري أو غيره الخروج وراءهما.

سُمِحَ لهما باستخدام غُرفة نوم عالية في (بُرج اليد) من أجل ليلة زفافهما، وفي الدَّاخل أغلقَ تيريون الباب بركلةٍ وقال لها: «ثمَّة إبريق من نبيذ (الكرمة) الذَّهبي على الخُوان. هلَّا تلطَّفتِ وصببتِ لي كأسًا؟».

- «أهذه فكرة سديدة يا سيِّدي؟».
- «بما لا يُقاس. إنني لستُ سكرانًا حقًّا، لكن أنوي أن أكون».
ملأَت سانزا كأسًا لكلٍّ منهما مفكِّرةً: سيكون الأمر أسهل إذا سكرتُ أيضًا، وجلسَت على حافة الفِراش الكبير ذي السَّتائر، وأفرغَت نِصف الكأس في جوفها على ثلاث جرعات طويلة. لا شَكَّ أنه نبيذ من صنفٍ ممتاز، لكن توتُّرها منعَها من تذوُّقه، وخلال ثوانٍ شعرَت برأسها يدور. سألَته: «هل تُريدني أن أخلع ثيابي يا سيِّدي؟».
مال برأسه جانبًا، وقال: «تيريون. اسمي تيريون يا سانزا».
- «تيريون، سيِّدي، هل أخلعُ فُستاني أم تُريد أن تخلعه أنت؟»، وأخذَت جرعةً أخرى من النَّبيذ.
أشاحَ العِفريت بوجهه قائلًا: «أول مرَّةٍ تزوَّجتُ لم يكن هناك إلَّانا وسِپتون سكران وبضعة خنازير تشهد. أكلنا أحد هؤلاء الشُّهود على سبيل مأدبة الزِّفاف، وأطعمَتني تايشا اللَّحم المحمَّر ولعقتُ الدُّهن من على أصابعها، وحين سقطنا في الفِراش كنا نضحك».
- «هل كنت متزوِّجًا من قبل؟ لقد... لقد نسيت».
- «لم تنسي لأنكِ لم تكوني تعرفين».
رغمًا عنها أحسَّت سانزا بالفضول، فسألَته: «مَن كانت يا سيِّدي؟».
التوى فمه وهو يُجيب: «الليدي تايشا سليلة عائلة قبضة الفضَّة. رمزهم عُملة ذهبيَّة واحدة ومئة عُملةٍ فضِّيَّة على ملاءةٍ دامية. زيجتنا كانت قصيرةً للغاية... تُناسِب رجلًا قصيرًا للغاية مِثلي على ما أعتقدُ».
حدَّقت سانزا إلى يديها ولم تقل شيئًا، وبَعد قليلٍ سألَها تيريون: «كم عُمركِ يا سانزا؟».
- «ثلاثة عشر عامًا عندما يدور القمر».
غمغمَ القزم: «لترحمنا الآلهة»، ورشفَ من نبيذه ثم قال لها: «طيِّب، الكلام لن يجعلكِ أكبر. هلَّا أدَّينا واجبنا يا سيِّدتي إذا كان هذا يُرضيكِ؟».
- «سيُرضيني أن أرضي السيِّد زوجي».
بدا أن رَدَّها أغضبَه وهو يقول: «تتوارين خلف اللَّباقة كأنها سور قلعة!».
قالت سانزا: «الليدي دِرعها اللَّباقة». هذا ما علَّمتها إياه السِّپتة موردن دائمًا.

- «أنا زوجكِ. يُمكنكِ أن تخلعي دِرعكِ الآن».

- «وثيابي؟».

- «وثيابكِ أيضًا»، ولوَّح بكأسه نحوها متابعًا: «أبي أمرَني بإتمام هذه الزِّيجة».

ارتجفَت يداها وهي تشرع في حَلِّ أربطة ثيابها، ووجدَت كأن لها عشرة أباهيم بدلًا من الأصابع العاديَّة، وكلُّها مكسورةً، لكنها تمكَّنت بشكلٍ ما من حَلِّ الأربطة والأزرار، وعلى التَّوالي سقطَ معطفها وفُستانها ومشدُّها وقميصها الحرير أرضًا، وفي النِّهاية خلعَت ثوبها الدَّاخلي والقشعريرة تُغَطِّي ذراعيها وساقيها. أبقَت عينيها على الأرض شاعرةً بخجلٍ شديد من النَّظر إليه، لكن حين فرغَت رفعتهما إليه ورأته يَرمُقها بثبات، وخُيِّلَ إليها أنها تلمح في عينه الخضراء شبقًا وفي السَّوداء حنقًا، ولا تدري سانزا أيهما أخافَها أكثر.

قال لها: «أنتِ طفلة».

غطَّت ثدييها بيديها مجيبةً: «لقد أزهرتُ».

- «طفلة، لكنني أريدكِ. هل يُخيفكِ هذا يا سانزا؟».

- «نعم».

- «وأنا أيضًا. أعرفُ أني قبيح...».

- «لا يا...».

قامَ من مقعده قائلًا: «لا تكذبي يا سانزا. إنني ممسوخ ضئيل ذو عاهة، لكن...»، وبترَ عبارته فرأت اضطرابه وهو يُحاول انتقاء كلماته، قبل أن يُكمِل: «... في الفِراش، عندما تنطفئ الشُّموع، أنا لستُ أسوأ من أيِّ رجلٍ آخَر. في الظَّلام أنا فارس الزُّهور»، وأخذَ رشفةً أخرى طويلةً من النَّبيذ، وأردفَ: «إنني سخي، ومخلص للمخلصين لي، وأثبتُّ أني لستُ جبانًا، كما أني أذكى من معظم النَّاس، فلا بُدَّ أن لهذا وزنًا ما، بل وباستطاعتي أن أكون رقيقًا أيضًا. أخشى أن الرِّقَّة ليست من طباع معشر لانستر، لكني أعلمُ أن لديَّ القليل منها في مكانٍ ما. يُمكنني... يُمكنني أن أكون زوجًا صالحًا لك».

قالت سانزا لنفسها وقد أتاها الإدراك: إنه لا يقلُّ خوفًا عني. ربما كان هذا كفيلًا بأن يُشعِرها بشيءٍ من الحنان نحوه، لكن كلَّ ما شعرَت به هو الشَّفقة،

والشَّفقة تُميت الرَّغبة. كان يتطلَّع إليها، ينتظر أن تقول شيئًا، لكن كلماتها كلُّها ذوَت، ولم تستطِع إلَّا الوقوف في مكانها مرتعدةً.

لمَّا أدركَ أخيرًا أنها لن تُجيبه، جرعَ تيريون لانستر ما تبقَّى من نبيذه، وقال: «فهمتُ. ادخُلي الفِراش يا سانزا. يجب أن نقوم بواجبنا».

صعدَت إلى الفِراش ذي الحشيَّة الرِّيش واعيةً لنظراته. كانت شمعة معطَّرة مشتعلةً على المنضدة المجاورة، ونُثِرَت بتلات الزُّهور تحت الأغطية. بدأت سانزا ترفع دثارًا تُغَطِّي به نفسها، لكنها سمعَته يقول: «لا».

جعلَها البرد ترتعش، لكنها أذعنَت، وانغلقَت عيناها وانتظرَت. بَعد وهلةٍ سمعَت زوجها يخلع حذاءه وحفيف ثيابه وهو يخلعها بدورها، وحين صعدَ إلى الفِراش ووضعَ يده على ثديها لم تقدر سانزا على منع نفسها من الارتجاف. تمدَّدت بعينين مغلقتين وكلُّ خليَّةٍ في جسدها متوتِّرة، تُفعِمها الخشية مما سيفعله الآن. هل سيمسُّها ثانيةً؟ يُقَبِّلها؟ هل عليها أن تفتح ساقيها له؟ إنها تجهل المتوقَّع منها.

ارتفعَت يده عنها وسمعَته يقول: «سانزا، افتحي عينيكِ».

لقد وعدَت بالطَّاعة، ولذا فتحَت عينيها لتراه يجلس عند قدميها عاريًا. حيث تلتقي ساقاه برزَت عصاه الذُّكوريَّة منتصبةً من دغلٍ من الشَّعر الأصفر الخشن، لكنها كانت الشَّيء الوحيد المستقيم فيه.

قال تيريون: «سيِّدتي، إنكِ جميلة حقًّا، أؤكِّدُ لكِ، لكني... لا أستطيعُ أن أفعلَ هذا. فليذهب أبي إلى الجحيم. سننتظر، قمرًا أو عامًا أو فصلًا، مهما طالَ الأمر، إلى أن تعرفيني أفضل وربما تثقي بي قليلًا». ربما كان يروم طمأنتها بابتسامته، لكن في غياب أنفه يجعله الابتسام يبدو أكثر بشاعةً وخبثًا.

قالت سانزا لنفسها: انظُري إليه، انظُري إلى زوجكِ، إليه كلِّه. السِّپتة موردن قالت إن في البَشر كلِّهم جَمالًا، فاعثُري على جَماله، حاولي. تفحَّصت ساقيه ناقصتَيْ النُّمو، وجبينه الغليظ المتورِّم، والعين الخضراء وتلك السَّوداء، وجَدعة أنفه المهترئة ونَدبته الورديَّة المعوجَّة، وشبكة الشَّعر الأسود والذَّهبي الخشن التي تُعَدُّ لحيةً. حتى ذَكره قبيح، سميك بارز العروق له رأس أرجواني منتفخ. ليس هذا صحيحًا، ليس عدلًا. ما الجريرة التي اقترفتها لتفعل بي الآلهة هذا؟ ما هي؟

قال العِفريت: «أقسمُ بشَرفي كلانستر أنني لن أمسَّكِ حتى تُريدين ذلك».

استجمعَت شَجاعتها كلَّها كي تَنظُر في هاتين العينين المتنافرتين وتقول: «وإذا لم أُرِدك أبدًا يا سيِّدي؟».

اختلجَ فمه كأنها صفعَته، وردَّد: «أبدًا؟».

كان عُنقها متيبِّسًا للغاية حتى إنها استطاعَت الإيماء بصعوبة.

قال تيريون: «لهذا خلقَت الآلهة العاهرات للعفاريت من أمثالي»، وكوَّر أصابعه القصيرة الغليظة ونزلَ من السَّرير.





آريا

لم ترَ آريا بلدةً باتِّساع (السِّپت الحجري) منذ (كينجز لاندنج)، وقال هاروين إن أباها انتصرَ في معركةٍ شهيرة هنا.

حكى لها وهُم راكبون نحو البوَّابة: «كان رجال الملك المجنون يُطارِدون روبرت في محاولةٍ للإيقاع به قبل أن ينضمَّ إلى أبيكِ ثانيةً، وكان روبرت جريحًا ويعتني به بعض الأصدقاء، عندما احتلَّ اللورد كوننجتون يد الملك البلدة بقوَّة عظيمة وبدأ يُمَشِّطها بيتًا بيتًا، لكن قبل أن يَعثُروا عليه وصلَ اللورد إدارد وجدُّكِ واقتحما الأسوار. قاومَ اللورد كوننجتون بشراسة، ودارَ القتال في الشَّوارع والأزقَّة، وحتى فوق أسطُح البيوت، ودَقَّ السِّپتونات كلُّهم الأجراس كي يُوصِد أهل البلدة أبوابهم. خرجَ روبرت من مكمنه وانضمَّ إلى المعركة حين سمعَ رنين الأجراس، ويُقال إنه قتلَ ستَّة رجالٍ يومها، أحدهم مايلز موتون، الذي كان فارسًا ذائع الصِّيت ومُرافِق الأمير ريجار، وكان روبرت ليَقتُل اليد أيضًا لولا أن المعركة لم تضعهما في مواجهةٍ معًا. على أن كوننجتون أصابَ جدَّكِ تَلي بجرحٍ بليغ، وأسقطَ السير دينس آرن الذي كان قُرَّة عين (الوادي)، لكن حين رأى أن لا سبيل للنَّصر لاذَ بالفرار بأقصى سُرعةٍ كالجَرافِن المرسومة على تُرسه. فيما بَعد أطلقوا عليها اسم معركة الأجراس، ولطالما قال روبرت إن أباكِ مَن فازَ بها، وليس هو».

تبيَّن لآريا من منظر المكان أن مزيدًا من المعارك قد دارَ هنا في الآونة الأخيرة، فبوَّابة البلدة مصنوعة من الخشب الخام الجديد، وخارج الأسوار كومة من الألواح المتفحِّمة تشي بما حدثَ للبوَّابة القديمة.

كانت (السِّبت الحجري) مغلقةً تمامًا، لكن قائد البوَّابة فتحَ لهم بابًا جانبيًّا لمَّا رآهم، وسألَه توم وهُم يَدخُلون: «ما أحوال الغذاء عندكم؟».

- «ليست سيِّئةً كالسَّابق. القنَّاص جاءَ بقطيع من الغنم، وثمَّة القليل من التِّجارة جنوب (النَّهر الأسود) حيث لم يحترق الحصاد. طبعًا هناك كثيرون يُريدون أن يأخذوا ما لدينا، الذِّئاب في يوم والممثِّلون في التَّالي. من لا يبحثون عن الطَّعام يسعون إلى النَّهب أو الاغتصاب، ومن لا يسعون إلى الذَّهب والنِّساء يبحثون عن قاتِل الملك اللَّعين. يُقال إنه انسلَّ من بين أصابع اللورد إدميور».

قطَّب ليم وجهه، وسألَه: «اللورد إدميور؟ هل ماتَ اللورد هوستر إذن؟».

- «ماتَ أو يموت. هل تعتقد أن لانستر سيتَّجه إلى (النَّهر الأسود)؟ القنَّاص يُؤَكِّد أنه الطَّريق الأسرع إلى (كينجز لاندنج)»، ولم ينتظر قائد الحَرس إجابةً، وأردفَ: «القنَّاص أخذَ كلابه وذهبَ يتشمَّم أثره. إذا كان السير چايمي في هذه الأنحاء فستعَثُر تلك الكلاب عليه. لقد رأيتها تُمَزِّق دببةً تمزيقًا. هل تظنُّ أنها ستُحِبُّ مذاق دماء الأسود؟».

قال ليم: «الجثَّة الممزَّقة لن تنفع أحدًا، والقنَّاص يعرف هذا جيِّدًا».

- «عندما جاءَ الغربيُّون اغتصبوا زوجة القنَّاص وأخته وأشعلوا النَّار في محصوله والتهموا نِصف غنمه وقتلوا النِّصف الثَّاني نكايةً فيه، بل وقتلوا ستَّة كلاب وألقوا جُثثها في بئره. الجثَّة الممزَّقة ستُرضيه تمامًا، وأنا مِثله».

رَدَّ ليم: «خيرٌ له ألَّا يَقتُله، هذا كلُّ ما سأقوله، خيرٌ له ألَّا يَقتُله، وأنت أحمق كبير».

ركبَت آريا بين هاروين وآنجاي إذ سلكَ الخارجون عن القانون الشَّوارع التي قاتلَ فيها أبوها ذات يوم، ورأت السِّبت على تَلِّه وتحته حصن قوي من الحجر الرَّمادي يبدو صغيرًا للغاية بالنِّسبة لبلدةٍ كبيرة كهذه، لكن كلَّ منزلٍ من ثلاثة مَرُّوا به كان خرابًا متفحِّمًا، ولم ترَ ناسًا، فسألَت: «هل أهل البلدة كلُّهم موتى؟».

أجابَها آنجاي: «إنهم خجولون فقط»، وأشارَ إلى قوَّاسيْن فوق أحد الأسطُح، وبضعة صِبية بوجوهٍ ملوَّثة بالسُّخام قابعين في أطلال حانة، وبَعد قليل فتحَ خبَّاز مصراعَيْ نافذته ونادى ليم، فأخرجَ صوته مزيدًا من النَّاس من مخابئهم، وببُطءٍ دبَّت الحياة في (السِّبت الحجري) من حولهم.

في ميدان السُّوق في قلب البلدة استقرَّت نافورة على شكل سمكة ترويت واثبة تضخُّ الماء في بركةٍ ضحلة، ومنها تملأ النِّسوة الدِّلاء والأباريق، وعلى بُعد أقدام قليلة من النَّافورة دستة من الأقفاص الحديد المعلَّقة من أعمدةٍ خشبيَّة. أقفاص غِربان. لكن الغِربان نفسها كانت خارج الأقفاص غالبًا، تَنثُر المياه في البركة أو تجثم على القضبان، أمَّا مَن في الدَّاخل فرجال.

أوقفَ ليَم حصانه وحدَّق قائلًا بعبوس: «ما هذا؟».

أجابَت امرأة عند النَّافورة: «العدالة».

سألَها توم: «أتَمَّ هذا بأمرٍ من السير ويلبرت؟».

أطلقَ رجل ضحكةً مريرةً، وقال: «الأسود قتلوا السير ويلبرت منذ عام، وأبناؤه كلُّهم مع الذِّئب الصَّغير، ينعمون بخيرات الغرب. أتحسب أنهم يُبالون بأمثالنا؟ القنَّاص المجنون هو من صادَ هؤلاء الذِّئاب».

اقشعرَّ بدن آريا وقالت لنفسها: ذئاب. رجال روب، رجال أبي. أحسَّت بشيءٍ يجذبها إلى الأقفاص. كانت القضبان ضيِّقةً للغاية ولا تُتيح للأسرى أن يجلسوا أو يتحرَّكوا، فوقفوا عراةً مكشوفين للشَّمس والرِّيح والمطر. ضمَّت الأقفاص الثَّلاثة الأولى رجالًا ميتين التهمَت الغِربان آكلة الجيف أعيُنهم، وإن بدَت المحاجر الجوفاء كأنها تُتابعها، وفي القفص الرَّابع تحرَّك السَّجين إذ مرَّت به، ورأت لحيته المشعثة مثقلَةً بالدَّم والذُّباب، الذي تفجَّر وراحَ يئزُّ حول رأسه حين تكلَّم قائلًا بصوتٍ كنقيق الضَّفادع: «ماء... أرجوكم... ماء...».

فتحَ الرَّجل في القفص المجاور عينيه على إثر الصَّوت، وقال: «هنا، هنا، أنا». كان عجوزًا أشيب اللِّحية بقَّعت السِّنُّ فروة رأسه بالبنِّي.

بَعد العجوز ميت آخَر، رجل كبير الحجم له لحية حمراء، تُغَطِّي ضمَّادة رماديَّة متعفِّنة أُذنه اليُسرى وجزءًا من صُدغه، لكن الأسوأ كان بين ساقيه، حيث لم تتبقَّ إلَّا فجوة بنِّيَّة تعجُّ باليرقات. التَّالي رجل سمين لدرجة أنك لا تدري كيف وضعوه داخل قفص الغِربان شديد الضِّيق، وقد انغرسَ الحديد في بطنه بشكلٍ مؤلم معتصرًا اللَّحم بين القضبان، وسفعَته الأيام الطَّويلة في الشَّمس بالأحمر من رأسه إلى قدميه، وحين تزحزحَ صَرَّ القفص وتأرجحَ، ولمحَت آريا الشَّرائط البيضاء في الأماكن التي سترَت فيها القضبان جِلده من الشَّمس.

سألَتهم: «رجال مَن أنتم؟».

سمعَ السَّمين صوتها ففتحَ عينيه اللتين أحاطَ بهما الأحمر فجعلَهما كبيضتين مسلوقتين في الدَّم، وقال: «ماء... شراب...».

كرَّرت: «رجال مَن؟».

قال لها رجل البلدة: «لا عليك بهم يا ولد، إنهم ليسوا من شأنك. واصِل طريقك».

وجَّهت سؤالها إليه: «ماذا فعلوا؟».

- «قتلوا ثمانيةً في (شلّالات الحاوي). كانوا يُريدون قاتِل الملك، لكنهم لم يجدوه هناك، فقرَّروا أن يغتصبوا ويَقتُلوا»، وأشارَ بإبهامه إلى جثَّة الذي تحتلُّ اليرقات مكان ذَكره، وأضافَ: «ها هو المغتصِب. والآن واصِل طريقك».

ناداها السَّمين: «ماء. الرَّحمة يا ولد. شَربة ماء»، ورفعَ العجوز ذراعًا ليُمسِك القضبان فجعلَت الحركة القفص يتأرجَح بعُنف، وتمتم ذو الذُّباب في لحيته: «ماء».

حدَّقت إلى شَعرهم القذر ولحاهم الخشنة وأعيُنهم المحمرَّة، وإلى شفاههم الجافَّة المشقَّقة الدَّامية، وعادَت تقول لنفسها: ذئاب، مِثلي. أهذا قطيعها؟ كيف يُمكن أن يكونوا رجال روب؟ أرادَت أن تضربهم، أرادَت أن تُؤلِمهم، وأرادَت أن تبكي. بدا لها أنهم يَنظُرون إليها جميعًا، الأحياء منهم والموتى على حَدٍّ سواء، واعتصرَ العجوز ثلاثة أصابع من بين القضبان قائلًا: «ماء، ماء».

وثبَت آريا من على حصانها مفكِّرةً: لن يُمكِنهم أن يُؤذوني، إنهم يُحتضَرون، والتقطَت كوبها من لفافة النَّوم واتَّجهت إلى النَّافورة، فقال رجل البلدة بحدَّة: «ماذا تحسب نفسك فاعلًا يا ولد؟ إنهم ليسوا من شأنك». رفعَت الكوب إلى فم السَّمكة وتناثرَ الماء على أصابعها وجرى داخل كُمِّها، لكن آريا لم تتحرَّك حتى طفحَ الكوب، وعندما التفتَت عائدةً إلى الأقفاص، حاولَ رجل البلدة أن يمنعها قائلًا: «ابتعد عنهم يا ولد...».

قال هاروين: «إنها فتاة، ودعها وشأنها».

أضافَ ليم: «أجل، اللورد بريك لا يقبل بحبس النَّاس في الأقفاص ليموتوا من العطش. لِمَ لا ترحمونهم وتَشنُقونهم؟».

زمجرَ الرَّجل: «لم تكن هناك رحمة في الأشياء التي فعلوها في (شلالات الحاوي)».

كانت القضبان أضيق من أن يمرَّ كوب من بينها، لكن هاروين وجندري ساعداها ورفعاها. ثبَّتت قدمًا على يدَيْ هاروين المضمومتين، ثم وثبَت إلى كتفَيْ جندري وأمسكَت القضبان أعلى القفص. رفعَ الرَّجل السَّمين وجهه ولصقَ وجنته بالحديد، وصبَّت آريا الماء عليه، فابتلعه بلهفةٍ وتركَه يجري على رأسه وخدَّيه ويديه، ثم راحَ يلعق القطرات العالقة بالقضبان، وكان ليلعق أصابع آريا أيضًا لولا أنها أسرعَت تسحبها. حينما فرغَت من سقاء الرَّجلين الآخرَيْن كان النَّاس قد تجمهَروا لمشاهدتها، وقال أحدهم مهدِّدًا: «سيعرف القنَّاص المجنون بهذا ولن يروقه، نعم، لن يروقه إطلاقًا».

قال آنجاي: «سيروقه هذا أقل إذن»، وركَّب وتر قوسه الطَّويل والتقطَ سهمًا من كنانته وثبَّته وسحبَه وأطلقَه، وارتجفَ الرَّجل السَّمين إذ انغرسَ السَّهم في ذقنه المشقوق، لكن القفص لم يسمح له بالسُّقوط. أجهزَ سهمان إضافيَّان على الرَّجلين الشَّماليَّين الآخرَيْن، ولم يُسمَع صوت في ميدان السُّوق إلَّا خرير المياه المتدفِّقة وأزيز الذُّباب.

وقالت آريا في قرارة نفسها: ڤالار مورجولس.

على الجانب الشَّرقي من الميدان يقف خان متواضع بجُدرانٍ مطليَّة بالجير ونوافذ مكسَّرة، وقد احترقَ نِصف سقفه منذ فترةٍ قريبة، وإنْ رُقِّعَت الفتحة التي خلَّفها الحريق، وفوق الباب عُلِّقَت لافتة خشبيَّة رُسِمَت عليها خوخة قُضِمَت منها قطعة كبيرة. ترجَّلوا عند الاسطبل المتاخم للخان بزاويةٍ مائلة، وزعقَ ذو اللِّحية الخضراء مناديًا السَّاسة.

عوَت صاحبة الخان ذات الشَّعر الأحمر والصَّدر العامر انبساطًا لدى مرآهم، وفي الحال طفقَت تَقرُصهم واحدًا تلو الآخَر قائلةً: «أهذا ذو اللِّحية الخضراء؟ أم ذو اللِّحية الشَّيباء؟ متى صرت عجوزًا هكذا بحَقِّ (الأُم)؟ ليم، أهذا أنت؟ أما زلت ترتدي هذا المعطف القذر؟ أعرفُ لماذا لا تغسله أبدًا. تخشى أن يَنظُف من كلِّ هذا البول ونرى أنك فارس في الحَرس الملكي! وتوم أبو السَّبعات، أيها التَّيس الفاحش العجوز! هل أتيت لترى ابنك؟ تأخَّرت إذن. لقد خرجَ مع ذلك القنَّاص الملعون. ولا تقل لي إنه ليس ابنك!».

قال توم باعتراض واهن: «إنه لا يملك صوتي».
- «لكنه يملك أنفك، نعم، وأجزاء أخرى أيضًا كما تقول الفتيات»، ثم إن المرأة لمحَت جندري، فقرصَت خدَّه وقالت: «انظُروا إلى هذا الثَّور الشَّاب الجميل. انتظر حتى ترى آليس هاتين الذِّراعين. أوه، وجهه يتورَّد كالفتيات أيضًا. لا عليك يا فتى، آليس ستُعالِج هذا، سترى».

لم ترَ آريا وجه جندري متورِّدًا هكذا من قبل، وقال توم سبعة أوتار: «دعي الثَّور وشأنه يا تانسي، إنه صبي طيِّب. كلُّ ما نُريده منكِ بضعة أسرَّة آمنة نقضي فيها اللَّيل».

قال آنجاي: «تكلَّم عن نفسك أيها المغنِّي»، ومَدَّ ذراعه يُطوِّق خصر خادمةٍ شابَّة قويَّة البنية يكسو النَّمش وجهها كوجهه.

رَدَّت ذات الشَّعر الأحمر تانسي: «عندنا أسرَّة، إنها ليست شيئًا ينقُص (الخوخة) أبدًا، لكنكم ستستحمُّون أولًا. آخِر مرَّةٍ نمتم فيها تحت سقفي تركتم براغيثكم وذهبتم»، ولكزَت ذا اللِّحية الخضراء في صدره مضيفة: «وبراغيثك أنت كانت خضراء أيضًا. هل تُريدون طعامًا».

أجابَ توم: «إذا كان يُمكنكِ الاستغناء عنه فلن نقول لا».

قالت المرأة بتهكُّم: «ومنذ متى تقول لا لشيء يا توم؟ سأشوي الضَّأن لأصدقائك وجرذًا مجفَّفًا لك. إنه أكثر مما تستحق، لكن إذا غرغرت لي أغنيَّةً أو ثلاثًا فلربما يرقُّ قلبي. إنني أعطفُ على البائسين دائمًا. هيا، هيا. كاس، لانا، سَخِّنا بضع قدور ماء. چايزين، ساعِديني على خلع ثيابهم. يجب أن نغليها أيضًا».

نفَّذت تانسي تهديداتها كلَّها. حاولَت آريا أن تقول إنها استحمَّت مرَّتين في (بهو البلُّوط) قبل أقل من أسبوعين، لكن المرأة حمراء الشَّعر رفضَت تمامًا أن تسمعها، وحملَتها خادمتان رغمًا عنها إلى الطَّابق العُلوي وهما تتجادَلان حول كونها ولدًا أم بنتًا. فازَت المسمَّاة هيلي، فكان على الثَّانية أن تُحضِر المياه السَّاخنة وتحكَّ ظَهر آريا بفرشاةٍ خشنة كادَت تُقَشِّر جِلدها، ثم سرقَت الخادمتان كلَّ الملابس التي أعطَتها اللِّيدي سمولوود إياها وألبَستاها الكتَّان المزيَّن بالشَّرائط فبدَت كواحدةٍ من دُمى سانزا، لكن على الأقل بَعد كلِّ هذا نزلَت ثانيةً لتأكل.

بينما جلسَت في القاعة العامَّة مرتديةً ثياب البنات السَّخيفة، تذكَّرت آريا الحيلة التي علَّمها سيريو فورل إياها عن النَّظر ورؤية ما يُرى، فلمَّا نظرَت رأت خادماتٍ أكثر مما يحتاج أيُّ خان، ومعظمهن شابَّات حسناوات، ومع حلول المساء بدأ الرِّجال يَدخُلون (الخوخة) ويُغادِرونه بأعدادٍ كبيرة، كما أنهم لم يَمكُثوا طويلًا في القاعة العامَّة، حتى عندما أخرجَ توم قيثارته وبدأ يُغَنِّي (سِت عذارى في بركة). كانت السَّلالم الخشبيَّة قديمةً حادَّة الانحدار، وتصرُّ بشدَّةٍ كلما أخذَ أحد الرِّجال فتاةً إلى أعلى.

همسَت لجندري: «أراهنُ أن هذا ماخور».

- «إنكِ لا تعرفين ما هو الماخور حتى».

قالت بإصرار: «بل أعرفُ. إنه مِثل الخان، لكن بفتيات».

عادَ وجهه يتورَّد وهو يقول: «ماذا تفعلين هنا إذن؟ الماخور ليس مكانًا لائقًا بليدي نبيلة، الكلُّ يعلم هذا».

جلسَت إحدى الفتيات على الدِّكَّة إلى جواره، وقالت: «مَن الليدي النَّبيلة؟ هذه الفتاة النَّحيفة؟»، ونظرَت إلى آريا وضحكَت مردفةً: «أنا ابنة ملك عن نفسي».

رَدَّت آريا مدركةً أنها تسخر منها: «لا، لستِ كذلك».

هَزَّت الفتاة كتفيها فانحسرَ فُستانها عن إحداهما، وقالت: «قد أكونُ. يقولون إن الملك روبرت ضاجعَ أمِّي حين كان هنا قبل المعركة. هذا لا يعني أنه لم يُجَرِّب الفتيات الأخريات كلَّهن أيضًا، لكن ليزلين تقول إنه استمتعَ بماما أكثر من غيرها».

فكَّرت آريا أن الفتاة شَعرها غزير فاحم كشَعر الملك الرَّاحل حقًّا، لكنها قالت لنفسها: مع أن هذا لا يعني شيئًا. جندري له شَعر مشابه أيضًا. أناس كثيرون شَعرهم أسود.

قالت الفتاة لجندري: «اسمي بلَّا، تيمُّنًا بالمعركة. أراهنُ أني أستطيعُ أن أدقَّ الجرس بين ساقيك. هل تُريد؟».

رَدَّ بخشونة: «لا».

تحسَّست ذراعه قائلةً: «أراهنُ أنك تُريد. لستُ أكلِّفُ أصدقاء ثوروس وسيِّد البرق شيئًا».

- «قلتُ لا»، وقامَ جندري وابتعدَ عن المائدة خارجًا إلى اللَّيل.

التفتَت بلَّا إلى آريا، وسألَتها: «ألا يُحِبُّ الفتيات؟».

هَزَّت آريا كتفيها مجيبةً: «إنه أحمق لا أكثر. يُحِبُّ صقْل الخوذات ودَقَّ السُّيوف بمطرقة».

غمغمَت بلَّا: «أوه»، وعادَت تُثبِّت الفُستان على كتفها وذهبَت تتكلَّم مع چاك المحظوظ، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن تنتقل إلى الجلوس في حِجره وهي تُقَهقِه وترشف النَّبيذَ من كوبه. كانت مع ذي اللِّحية الخضراء فتاتان، واحدة على كلِّ رُكبة، بينما اختفى ليم وكذا آنجاي مع فتاته المنمَّشة، أمَّا توم سبعة أوتار فجلسَ عند النَّار يُغَنِّي (اللَّواتي يُزهِرن في الرَّبيع)، وأصغَت آريا وهي تشرب من كوب النَّبيذ المخفَّف بالماء الذي سمحَت لها به المرأة حمراء الشَّعر. عبر الميدان كان الموتى يتعفَّنون في أقفاص الغِربان، لكن داخل (الخوخة) يعمُّ المرح... وإن بدا لها بشكلٍ ما أن بعضهم يُبالِغ في الضَّحك.

الآن وقت مناسب تمامًا لأن تنسلَّ آريا وتسرق حصانًا، لكنها لا ترى كيف سيُساعِدها ذلك، فلن يُمكنها أن تذهب أبعد من بوَّابة البلدة. لن يدعني قائد الحَرس أمرُّ أبدًا، وحتى إذا فعلَ سيُلاحِقني هاروين، أو ذلك القنَّاص وكلابه. تمنَّت لو أن خارطتها معها كي ترى كم تَبعُد (السِّپت الحجري) عن (ريڤررَن).

كانت تتثاءَب حين فرغَ كوبها. لم يَعُد جندري، وشرعَ توم في غناء (قلبان ينبضان كواحد) مقبِّلًا فتاةً مختلفةً مع نهاية كلِّ بيت، وفي رُكنٍ عند النَّافذة جلسَ ليم وهاروين يتكلَّمان مع تانسي بصوتٍ خفيض، وسمعَت آريا المرأة تقول: «... أمضَت اللَّيل في زنزانة چايمي، هي وتلك المرأة الأخرى التي قتلَت رنلي. الثَّلاثة معًا، ولمَّا جاءَ الصَّباح أطلقَت الليدي كاتلين سراحه من أجل الحُب».

مستحيل، لا يُمكنها أن تفعل هذا أبدًا. في آنٍ واحد أحسَّت آريا بالحزن والغضب والوحدة.

جلسَ عجوز إلى جوارها قائلًا: «ما أحلاكِ أيتها الخوخة الصَّغيرة». كانت أنفاسه كريهةً كرائحة الرِّجال الموتى في الأقفاص، وراحَت عيناه الخنزيريَّتان الصَّغيرتان تزحفان على جسدها كالنَّمل. «ما اسم خوختي الحُلوة؟».

مَرَّت لحظة وقد نسيَت مَن يُفترَض أن تكون الآن. إنها ليست خوخةً، لكن لا يُمكن أن تكون آريا ستارك كذلك، ليس هنا مع هذا السَّكران كريه الرَّائحة الذي لا تعرفه. «أنا...».

- «إنها أختي»، قال جندري ووضعَ يده الثَّقيلة على كتف العجوز واعتصرَها. «دعها وشأنها».

التفتَ الرَّجل راغبًا في الشِّجار، لكنه تعقَّل حين رأى حجم جندري، وقال: «أختك؟ أيُّ أخ أنت؟ لا يُمكنني أن أجلب أختي إلى (الخوخة) أبدًا»، وقامَ وابتعدَ مدمدمًا يبحث عن صُحبةٍ جديدة.

أسرعَت آريا تنهض قائلةً: «لماذا قلت هذا؟ أنت لست أخي».

رَدَّ غاضبًا: «هذا صحيح. إنني أحطُّ نسبًا من أن أكون قريبًا لسيِّدتي السَّامية».

بُهتَت آريا للغضب في صوته، وقالت: «ليس هذا ما عنيته».

- «بل هو كذلك بالضَّبط»، وجلسَ على الدِّكَّة واحتضنَ كوب نبيذ بيديه، وقال: «اذهبي. أريدُ أن أشرب هذا في سلام، ثم قد أبحثُ عن تلك الفتاة سوداء الشَّعر وأدقُّ لها جرسها».

- «لكن...».

- «قلتُ اذهبي... يا سيِّدتي».

دارَت آريا على عقبيها وتركَته هناك. ليس أكثر من نغلٍ أحمق عنيد كالثِّيران. فليَدُقَّ كلَّ ما يُريد من أجراس ولن تُبالي.

خُصِّصَت لهم غُرفة نوم أعلى السَّلالم تحت إفريز السَّطح. ربما لا يفتقر (الخوخة) إلى الأسرَّة، لكن واحدًا فقط تُركَ لأمثالهم، وإن كان سريرًا كبيرًا يكاد يحتلُّ الغُرفة كلَّها، وبدَت الحشيَّة القَش البالية واسعةً بما يكفيهم جميعًا، وفي الوقت الحالي هي لها وحدها. وجدَت آريا ثيابها الحقيقيَّة معلَّقةً على مشجبٍ على الحائط بين حاجيات جندري وليم، وخلعَت الكتَّان المزيَّن ثم دخلَت الفِراش ودفنَت نفسها تحت الأغطية، وهمسَت لوسادتها: «الملكة سرسي، الملك چوفري، السير إلين، السير مرين، دانسن، راف وپوليڤر، المُدغدِغ، كلب الصَّيد، والسير جريجور الجبل». أحيانًا يروقها أن تخلط

ترتيب الأسماء كي تظلَّ تَذكُر أصحابها وما فعلوه. ربما ماتَ بعضهم، ربما كانوا في أقفاص حديد في مكانٍ ما والغِربان تَنقُر أعيُنهم.

أتاها النَّومُ بمجرَّد أن أسبلَت جفنيها. ليلتها حلمَت بالذِّئاب تنسلُّ في غابةٍ بَليلة فيما تُفعِم روائح المطر والعطن والدَّم الهواء. في الحُلم هي روائح حُلوة، وعرفَت آريا أنه ليس هناك ما تخافه. إنها قويَّة سريعة شرسة، وقطيعها يُحيط بها، إخوتها وأخواتها. معًا داهَموا حصانًا مرعوبًا ومزَّقوا حَلقه والتهموه وليمةً، وحين نفذَ نور القمر من السُّحب رفعَت رأسها وجعلَت تعوي.

لكن حين طلعَ النَّهار استيقظَت على نباح الكلاب.

اعتدلَت آريا متثائبةً. كان جندري يتحرَّك إلى يسارها وليم ذو المعطف اللَّيموني يغطُّ بصوتٍ عالٍ إلى يمينها، لكن النُّباح طغى على غطيطه. لا بُدَّ أن هناك خمسين كلبًا في الخارج. زحفَت من تحت الأغطية وحجلَت فوق ليم وتوم وچاك المحظوظ نحو النَّافذة، ولمَّا فتحَتها على مصراعيها تدفَّقت الرِّيح والبرد والبلل إلى الدَّاخل في غمضة عين. كان نهارًا قاتمًا غائمًا، وفي الميدان في الأسفل تنبح الكلاب وتجري في دوائر وتعوي وتُزَمجِر، قطيع كبير منها يضمُّ أكثر من دِرواس[1] أسود ضخم، بخلاف كلاب صيد الذِّئاب وكلاب رعي الماشية بلونيها الأبيض والأسود، وأنواع أخرى تجهلها آريا، وحوش ذات شَعر رمادي داكن مخطَّط وأسنان طويلة صفراء. بين الخان والنَّافورة استقرَّت مجموعة من الخيَّالة فوق السُّروج، تُراقِب رجال البلدة يفتحون قفص الرَّجلِ السَّمين ويشدُّون ذراعه حتى تهاوَت جثَّته المنتفخة على الأرض، وفي اللَّحظة التَّالية انقضَّت عليه الكلاب ممزِّقة لحمه.

سمعَت آريا أحد الرَّاكبين يضحك ويقول: «ها هي قلعتك الجديدة أيها اللانستر الحقير، ضيِّقة بعض الشَّيء بالنِّسبة لأمثالك، لكننا سنعتصرك حتى تَدخُل، لا تقلق». إلى جواره كان سجين واجم تُوثِق أربطة من اللِّيف معصميه، وراحَ بعض أهل البلدة يرمونه بالرَّوث، لكنه لم يجفل مرَّةً. صاحَ آسِره: «ستلتهم الغِربان عينيك بينما نُنفِق كلَّ ما معك من ذهب لانستر!

(1) الدِّرواس كلب شديد الضَّخامة يُستخدَم في الصَّيد والحراسة. (المترجم).

وعندما تَفرُغ منك الغِربان، سنُرسِل ما تبقَّى منك إلى أخيك اللَّعين، مع أني أشكُّ في أنه سيتعرَّفك».

أيقظَت الضَّوضاء نِصف (الخوخة)، ودَسَّ جندري نفسه إلى جوارِ آريا، ووقفَ توم وراءهما عاريًا تمامًا، وقال ليم متذمِّرًا من الفِراش: «ما كلُّ هذا الصِّياح؟ إنني أحاولُ أن أنام قليلًا!».

سألَه توم: «أين ذو اللِّحية الخضراء؟».

- «في الفِراش مع تانسي. لماذا؟».

- «اعثُر عليه، وآنجاي أيضًا. القنَّاص المجنون عادَ ومعه رجل آخَر للأقفاص».

قالت آريا: «لانستر، سمعته يقول لانستر».

سألَ جندري: «هل قبضوا على قاتِل الملك؟».

في الميدان في الأسفل أصابَ حجر مقذوف الأسير في وجنته ودوَّر رأسه، ولمَّا رأت وجهه فكَّرت آريا: ليس قاتِل الملك.

لقد أجابَت الآلهة دُعاءها.





چون

كان جوست قد رحلَ حين خرجَ الهَمج بخيولهم من الكهف، فتساءلَ چون: هل فهمَ ما قلته عن (القلعة السَّوداء)؟ أخذَ نفسًا عميقًا من هواء الصُّبح البارد وسمحَ لنفسه بالأمل. رأى سماء الشَّرق ورديَّةً قُرب الأفق ورماديَّةً شاحبةً أعلاه، و(سيف الصَّباح) لا يزال ظاهرًا في الجنوب، وقد تألَّق النَّجم الأبيض الوضَّاء في غِمده كماسةٍ في الفَجر، لكن أسود ورمادي الغابة المعتمة بدآ يستحيلان من جديدٍ إلى الأخضر والذَّهبي والأحمر والخمري، وفوق شجر الصَّنوبر والسَّنديان والدَّردار والحارس يرتفع (الجِدار)، يلتمع جليده بشحوب تحت طبقة الغُبار والوسخ التي لوَّثت وجهه في غير موضع.

بأمرٍ من الماجنَر ركبَت دستة من الرِّجال غربًا ومِثلها شرقًا، ليتسلَّقوا أعلى تلالٍ يجدونها ويترصَّدوا ظهور أيِّ جوَّالة في الغابة أو خيَّالة فوق الجليد العالي. حملَ الثِّنيون أبواق حربٍ مطعَّمة بالبرونز لإطلاق الإنذار إذا شوهِدَ الحَرس، ولحقَ الهَمج الآخَرون بچارل، وتبعَ چون وإيجريت البقيَّة. إنها ساعة مجد الهجَّام الشَّاب.

غالبًا ما يُقال إن ارتفاع هذا الصَّرح الجليدي سبعمئة قدم، لكن چارل وجد بُقعةً (الجِدار) فيها أعلى وأوطأ من هذا في آنٍ واحد. أمامهم يرتفع الجليد بزاويةٍ قائمة من وراء الأشجار كجُرفٍ عملاق، تُتوِّجه شُرفات شكَّلتها الرِّيح وتطلُّ من ارتفاع ثمانمئة قدم على الأقل، وربما تسعمئة في مواضع معيَّنة، لكن چون أدركَ إذ دنوا أكثر أن المنظر خدَّاع.

لقد أرسى براندون البنَّاء قوالب الأساس الضَّخمة بين المرتفعات أينما كان هذا متاحًا، وهنا التِّلال بريَّة وعرة. سمعَ چون عمَّه بنچن يقول ذات

مرَّة إن (الجدار) سيف شرق (القلعة السَّوداء) وثعبان غربها، وهذا صحيح، فهنا يُكَلِّل الجليد تَلًّا محدَّبًا ضخمًا، ثم ينزل إلى وادٍ، ويتسلَّق حافة أخدود جرانيتي طويل يمتدُّ فرسخًا، ويمضي مع قمَّةٍ محزَّزة، وينزل ثانيةً إلى وادٍ آخر أعمق، ثم يرتفع أعلى وأعلى من تَلٍّ إلى تَلٍّ على مدى البصر ليلتحم بالجبال في الغرب.

اختارَ چارل أن يتسلَّقوا بُقعة الجليد الممتدَّة مع الأخدود، فعلى الرغم من أن (الجِدار) يرتفع ثمانمئة قدم فوق أرض الغابة هناك، فثُلث هذا الارتفاع من التُّربة والحجارة بدلًا من الجليد. كان المنحدَر مائلًا بشدَّة تُصَعِّب صعوده على خيولهم -كمنحدَرات (قبضة البَشر الأوائل) تقريبًا- لكن تسلُّقه يظلُّ أيسر كثيرًا من وجه (الجِدار) الرَّأسي، كما أن الأخدود كثيف الأشجار أيضًا، وهو ما يُوَفِّر لهم الاستتار بسهولة. في الماضي كان الإخوة السُّود يَخرُجون كلَّ يوم بالفؤوس لقطع الشَّجر الذي يتخطَّى نموُّه الحدود، لكن تلك الأيام ولَّت منذ دهر، وهنا تنمو الغابة حتى الجليد مباشرةً.

توعَّدهم النَّهار بالرُّطوبة والبرد، وبأن يكون أكثر رطوبةً وبردًا عند (الجِدار) وأطنان الجليد تلك، وكلما اقتربوا أحجمَ الثِّنيون عن التَّقدُّم. فكَّر چون: إنهم لم يروا (الجِدار) من قبل قَطُّ، ولا حتى الماجنَز نفسه. إنه يُخيفهم. في (الممالك السَّبع) يُقال إن (الجِدار) يقف عند نهاية العالم. وهذا صحيح بالنِّسبة لهم أيضًا. كلُّ شيءٍ يعتمد على موقع المرء منه.

وما موقعي أنا؟ لا يعرف چون الإجابة. ليبقى مع إيجريت عليه أن يُصبِح همجيًّا قلبًا وروحًا، وإذا هجرَها ليعود إلى واجبه فقد ينتزع الماجنَز قلبها من صدرها، وإذا أخذَها معه -بافتراض أنها ستُوافِق، وهو بعيد كلَّ البُعد عن الثِّقة بهذا- فلا يستطيع بالطَّبع أن يذهب بها إلى (القلعة السَّوداء) لتعيش بين إخوته... وفي أيِّ مكانٍ في (الممالك السَّبع) لن يتوقَّع متهرِّب وهمجيَّة ترحيبًا. يُمكننا أن نذهب للبحث عن أطفال جِندل على ما أعتقدُ، وإن كانوا سيلتهموننا غالبًا بدلًا من أن يقبلونا بينهم.

رأى چون أن (الجدار) لا يُرهب هجَّانة چارل. كلُّ واحدٍ منهم تسلَّقه من قبل. نادى چارل أَسماءهم عندما ترجَّلوا تحت حافة الأخدود، واجتمعَ أحد عشر منهم حوله، جميعهم صغار السِّن، أكبرهم لا يتجاوَز الخامسة

والعشرين، واثنان منهم أصغر من چون. على أن كلًّا منهم يتَّسم بالصَّلابة والنُّحول وتلوح عليه قوَّة عضليَّة ذكَّرت چون بثعبان الحجر، الأخ الذي صرفَه كورين على قدميه حين كان ذو القميص المُخشخِش يُطارِدهم.

في ظِلِّ (الجِدار) تأهَّب الهَمج، يلفُّون حبالًا غليظةً من ألياف القنَّب حول أكتافهم وصدورهم، ويعقدون أربطة أحذيةٍ غريبة من جلد الظِّباء اللَّدن، ومن مقدِّمة كلِّ حذاء تَخرُج خوازيق، منها الحديد لچارل واثنين آخرَيْن، والبرونز للبعض، لكن معظمها من العظم المحزَّز. علَّق كلٌّ منهم مطرقةً ذات رأس حجري على أحد وَركيه، وعلى الثَّاني كيسًا جِلديًّا مليئًا بالأوتاد، وتألَّفت فؤوس الجليد التي يحملونها من القرون ذات الأسلات المسنونة، تُثبِّتها شرائط من الجِلد إلى مقابِض خشبيَّة.

قسَّم الأحد عشر متسلِّقًا أنفسهم إلى ثلاثة فِرق من أربعة، بحيث يكون چارل نفسه الرَّجل الثَّاني عشر، وقد قال لهم وأنفاسه تَخرُج بُخارًا في هواء الصَّباح البارد: «مانس وعدَ بسيفٍ لكلِّ رجلٍ في الفريق الذي يَبلُغ القمَّة أولًا، سيف جنوبي مصنوع في قلعة، وبأن تُذكَر أسماؤكم في الأغنيَّة التي سيُؤلِّفها عن هذه المغامرة أيضًا. وهل يرغب الرَّجل الحُر في ما هو أكثر؟ إلى أعلى، وليأخذ (الآخَرون) مَن يتلكَّأ!».

ليأخذهم (الآخَرون) جميعًا، فكَّر چون وهو يُشاهِدهم يصعدون منحدَر الأخدود الحاد ويختفون بين الأشجار. ليست هذه المرَّة الأولى التي يتسلَّق فيها الهَمج (الجدار)، ولا حتى الأولى بَعد المئة، فالدَّوريَّات تَعثُر على متسلِّقين مرَّتين أو ثلاثًا في السَّنة، وأحيانًا يُصادِف الجوَّالة جُثث السَّاقطين المهشَّمة. على السَّاحل الشَّرقي غالبًا ما يبني المُغيرون قوارب ليتسلَّلوا جنوبًا عبر (خليج الفقمات)، وفي الغرب ينزلون إلى أعماق (الغور) السَّوداء ليدوروا حول (بُرج الظِّلال)، لكن بين هذا وذاك الوسيلة الوحيدة للتَّغلُّب على (الجِدار) هي تسلُّقه، ومغيرون كثيرون فعلوها. قال چون لنفسه بنوعٍ من الفخر المتجهِّم: لكن أعدادًا أقل تعود دائمًا. يتحتَّم على المتسلِّقين أنْ يتخلَّوا عن خيولهم، وعلى الجانب الآخَر كثيرًا ما يسرق المُغيرون الصِّغار المبتدئون أول خيولٍ يجدونها، وعندها يُدَوِّي الإنذار وتُحلِّق الغِدفان، وفي معظم الأحيان يُطارِدهم الحَرس ويشنقونهم قبل أن يعودوا بما نهبوه من

ثرواتٍ ونساء. يعلم چون أن چارل لن يرتكب هذا الخطأ، لكنه ليس واثقًا بستير. الماجنرَ حاكم وليس هجّامًا، وقد يجهل قواعد اللُّعبة.

قالت إيجريت: «ها هُم»، فرفعَ عينيه ليُبصِر المتسلِّق الأول يلوح فوق قمم الأشجار. كان چارل الذي عثرَ على شجرة حارس تميل على (الجِدار)، وقادَ رجاله على جذعها من أجلِ بدايةٍ أسرع. ما كان يجب أن يُسمَح للغابة بأن تزحف إلى هذا القُرب قَطُّ. إنهم على ارتفاع ثلاثمئة قدم وما زالوا لم يمسُّوا الجليد نفسه بعدُ.

راقبَ الهمجي ينتقل بحذرٍ من الخشب إلى الجليد، يحفر دعامةً بضرباتٍ قصيرة قويَّة من فأسه، ثم يثبُ من هنا إلى هناك، وقد ربطَه الحبل المحيط بخصره بالرَّجل الثَّاني في الصَّف الذي ما زالَ يتسلَّق الشَّجرة. بالخُطوة البطيئة بدأ چارل يرتفع مفرِّغًا مواطئ أقدام بالخوازيق في حذائه حيثما لم يجد مواطئ طبيعيَّة، ولمَّا أصبحَ يعلو شجرة الحارس بعشرة أقدام، توقَّف على إفريزٍ جليدي ضيِّق وعلَّق فأسه في حزامه، ثم التقطَ المطرقة ودَقَّ وتدًا من الحديدِ في شَق، بينما انتقلَ الرَّجل الثَّاني إلى (الجِدار) وراءه وواصلَ الثَّالث تسلُّق الشَّجرة.

لم يجد رجال الفريقين الآخَريْن أشجارًا في الموضع المناسبِ تمنحهم الأسبقيَّة، وسرعان ما بدأ الثِّنِّيون يتساءلون إن كانوا قد ضلُّوا الطَّريق وهُم يصعدون الأخدود. كانت مجموعة چارل قد تسلَّقت ثمانين قدمًا من (الجِدار) بالفعل قبل أن يظهر المتقدِّمون من المجموعتين الأخريين، وقد فصلَت مسافة عشرين ياردة بين كلِّ مجموعةٍ وأخرى. في المنتصَف مجموعة چارل، وإلى يمينها مجموعة يقودها جريج التَّيس الذي سهَّلت ضفيرته الشَّقراء الطَّويلة تمييزه من أسفل، وإلى اليسار مجموعة يقودها رجل شديد النُّحول اسمه إروك.

قال الماجنَر متذمِّرًا بصوتٍ عالٍ وهو يُراقِبهم يزحفون إلى أعلى: «حركتهم بطيئة للغاية. هل نسيَ الغِربان؟ عليه أن يُسرِع قبل أن يكتشفوا أمرنا».

لاذَ چون بالصَّمت مرغمًا. إنه يَذكُر (الممر الصَّادح) جيِّدًا، وكيف تسلَّقه مع ثعبان الحجر تحت القمر السَّاطع. ليلتها سقطَ قلبه بين قدميه مرارًا، وفي النِّهاية كان الألم في ذراعيه وساقيه بالغًا وكادَت أصابعه تتجمَّد. وكان هذا

حجرًا لا جليدًا. الحجر جامد دائمًا، لكن الجليد خدَّاع في أحسن الأحوال، وفي يوم كهذا يَقطُر فيه (الجدار) قد يكفي دفء يد أحد المتسلِّقين لأن يُذيب الجليد، فلئن كانت القوالب العملاقة متجمِّدةً كالصَّخر من الدَّاخل، إلَّا أن السَّطح الخارجي سيكون زلقًا بسبب قطرات الماء السَّائلة عليه، ناهيك بِرُقع الجليد التي تخلَّلها الهواء فتعفَّنت. أيًّا كان الهَمج، فهُم بلا شَك شُجعان.

على كلِّ حال، وجدَ چون نفسه يأمل أن تتحقَّق مخاوف ستير. بمشيئة الآلهة ستُصادِفنا دوريَّة وتضع نهايةً لهذا. ذات مرَّة قال له أبوه وهما يدوران على أسوار (وينترفل): «لا جِدار في العالم يُمكنه أن يحميك. أيُّ جِدارٍ ليس قويًّا إلَّا إذا كان من يُدافِعون عنه أقوياء». قد يكون الهَمج مئةً وعشرين، لكن أربعة مدافعين فقط يكفون لجعلهم يُوَلُّون الأدبار بإطلاق قليلٍ من السِّهام النَّاريَّة على الأهداف الصَّحيحة، وربما مِلء دلوٍ من الحجارة.

لكن المدافعين لم يظهروا، لا أربعة ولا واحد حتى. تسلَّقت الشَّمس السَّماء وتسلَّق الهَمج (الجدار)، وظَلَّ أربعة چارل متقدِّمين حتى الظَّهيرة، عندما قابَلوا رُقعةً من الجليد العفِن. كان چارل قد لَفَّ حبله حول بروز محزَّز شكَّلته الرِّيح واستخدمَه ليضع عليه ثِقله، لكن فجأةً تفتَّت الجليد وتهاوى به، وانهالَ وابل من الجليد الكبير كرأسِ رجلٍ على الثَّلاثة الذين تحته، لكنهم تشبَّثوا بدعاماتهم وظلَّت الأوتاد ثابتةً، وتوقَّف سقوط چارل بحركةٍ عنيفة إذ بلغَ نهاية الحبل.

لمَّا تعافى فريق چارل أخيرًا من مصيبته، كان فريق جريج التَّيس يكاد يُعادِله في الارتفاع، فيما ظَلَّ فريق إروك متخلِّفًا بمسافة، يتسلَّق بُقعةً تبدو ملساء خاليةً من النُّقر، وتكسوها طبقة رقيقة من الجليد الذَّائب الذي يلتمع حيثما تمسُّه أشعَّة الشَّمس. أمَّا البُقعة التي يتسلَّقها جريج فتبدو معالمها الأوضح أكثر قتامةً لمن يَنظُر؛ الأفاريز الأُفقيَّة الطَّويلة حيث وُضِعَ قالب بشكلٍ غير سليم على القالب الذي تحته، والشُّقوق والصُّدوع والفجوات في الوَصلات الرَّأسيَّة، حيث صنعَت الرِّياح والمياه تجاويف كبيرة تتَّسع لأن يختبئ فيها رجل.

بَعد قليل استأنفَ چارل ورجاله زحفهم إلى أعلى، يتحرَّك أربعته وأربعة جريج متحاذين تقريبًا، وتحتهم أربعة إروك بخمسين قدمًا. دَقَّت الفؤوس

المصنوعة من قرون الغزلان وهشَّمت الجليد ممطرةً الأشجار في الأسفل بالشَّظايا البرَّاقة، وغرسَت المطارق الحجريَّة الأوتاد لتعمل كمرتكزات للحبال، لكن الأوتاد الحديد نفدَت قبل أن يَبلُغوا منتصَف الطَّريق، وبَعدها استخدمَ المتسلِّقون القرون والعظام المسنونة، وركلَ الرِّجال ليغرسوا خوازيق أحذيتهم في الجليد العنيد القاسي مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً ومرَّةً من أجل موطئ واحد. مع مرور السَّاعة الرَّابعة فكَّر چون: لا بُدَّ أن سيقانهم مخدَّرة تمامًا. كم يُمكنهم الاستمرار على هذه الوتيرة؟ راقبَ والتَّوتُّر يملأه كالماجنَر، يُصغي مترقِّبًا الأنين البعيد لبوق أحد الثِّنِّيين، لكن الأبواق ظلَّت صامتةً، ولا أثر لحَرس اللَّيل.

مع السَّاعة السَّادسة كان چارل قد تقدَّم على جريج التَّيس من جديد، والمسافة تتَّسع بين رجال هذا وذاك. قال الماجنَر وهو يقي عينيه من الشَّمس بيده: «لا بُدَّ أن حيوان المانس المدلَّل يرغب في سيف حقًّا». كانت الشَّمس تتوسَّط السَّماء والثُّلث العُلوي من (الجِدار) يبدو كالبلَّور الأزرق من أسفل، يعكس الضَّوء بوميض شديد يُؤلِم العين إذا نظرت إليه مباشرةً، وقد كادَ فريقا چارل وجريج يغيبانِ في الوهج، على حين ظَلَّ فريق إروك في الظِّل.

الآن بدلًا من الصُّعود كانوا يتحرَّكون جانبًا على ارتفاع نحو خمسمئة قدم متَّجهين إلى دعامة، وكان چون يُشاهِدهم يزحفون عندما سمعَ الصَّوت، الانشطار المفاجئ الذي هَزَّ الجليد وتبعَته صيحة ارتياع، وفي غمضة عين امتلأَ الهواء بالشَّظايا والصُّراخ والرِّجال السَّاقطين إذ انفصلَ لوح من الجليد سُمكه قدم ومساحته خمسون قدمًا مربَّعًا عن (الجِدار)، وهوى هادرًا كالجلمود مكتسحًا كلَّ ما في طريقه. حتى بعيدًا في الأَسفل عند سفح الأخدود سقطَت قِطع كبيرة من بين الأشجار وتدحرجَت على المنحدَر، وسحبَ چون إيجريت إلى أسفل ليحميها، وضربَت إحدى القِطع واحدًا من الثِّنِّيين في وجهه وكسرَت أنفه.

وحين رفعوا أعيُنهم كان چارل وفريقه قد اختفوا. لم يَعُد هناك رجال أو حبال أو أوتاد، ولم يتبقَّ شيء فوق ارتفاع ستمئة قدم.

الآن في وجه (الجِدار) جرح حيث كان المتسلِّقون متشبِّثين قبل لحظات، والجليد في الدَّاخل أملس أبيض كالمرمر المصقول ويلمع في الشَّمس،

وعلى مسافةٍ بعيدة بعيدة أسفله ثمَّة لطخة حمراء باهتة حيث تحطَّم أحدهم على بروزٍ متجمِّد.

فكَّر چون وهو يُساعِد إيجريت على النُّهوض: (الجدار) يُدافِع عن نفسه.

وجدوا چارل وسط أوراق شجرة، مخوزقًا على غصنٍ حاد ولا تزال الحبال تربطه برجاله الثَّلاثة الذين انطرحوا مهشَّمين على الأرض. كان أحدهم ما زال حيًّا، وإن تحطَّمت ساقاه وعموده الفقري وأغلب ضلوعه، ولمَّا رآهم قال لهم: «الرَّحمة»، فحطَّم أحد الثِّنِّيين رأسه بضربةٍ من هراوته الحجريَّة، ثم ألقى الماجنَر أمرًا وبدأ رجاله يجمعون الحطب للمحرقة.

كان الموتى يحترقون عندما بلغَ جريج التَّيس ورجاله قمَّة (الجدار)، وحين انضمَّ إليه إروك وفريقه لم يكن قد تبقَّى من أربعة چارل إلَّا الرَّماد والعظام.

لم يُبدِّد المتسلِّقون وقتًا وقد بدأت الشَّمس تميل إلى المغيب، فحَلُّوا لفائف الحبال التي طوَّقوا صدورهم بها، ثم ربطوها كلَّها معًا وألقوا الطَّرف إلى أسفل. أفعمَ التَّفكير في محاوَلة تسلُّق خمسمئة قدم على هذا الحبل چون بالوجل، لكن تخطيط مانس كان أفضل من هذا، إذ أخرَجَ المُغيرون الذين لم يصعدوا مع چارل سُلَّمًا ضخمًا بدرجاتٍ من ألياف القِنَّب المجدولة السَّميكة كذراع رجل، ثم ربطوه بحبل المتسلِّقين، وبكلِّ قوَّتهم سحبَ جريج وإروك ورجالهما السُّلَّم إلى أعلى وثبَّتوه إلى القمَّة، ثم دَلُّوا الحبل ثانيةً لسحب السُّلَّم الثَّاني من خمسة.

حين تدلَّت السَّلالم الخمسة على وجه (الجدار)، زعقَ الماجنَر بأمرٍ جاف باللُّغة القديمة، وبدأ خمسة ثِنِّيين يصعدون في آنٍ واحد، وحتى في وجود السَّلالم لم يكن الصُّعود سهلًا. راقبَتهم إيجريت يُكافِحون فترةً، ثم قالت بصوتٍ غاضب خفيض: «كم أكره هذا الحائط. أتَشعُر ببرودته؟».

قال چون: «إنه مبني من الجليد».

- «لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو. هذا الحائط مبني من الدَّم».

ولم يكن (الجدار) قد ارتوى من الدَّم. مع غروب الشَّمس كان ثِنِّيان قد سقطا من على السُّلَّم إلى حتفهما، لكنهما كانا آخِر السَّاقطين.

حين بلغَ چون القمَّة أخيرًا كان اللَّيل قد شارفَ على الانتصاف. عادَت

النُّجوم تلوحِ في السَّماء، وقالت إيجريت وهي ترتجف وفي عينيها الدُّموع: «كدتُ أسقطَ، مرَّتين أو ثلاث مرَّات. (الجِدار) كان يُحاول أن ينفضني عنه، أحسستُ به»، وتحرَّرت إحدى دموعها من محبس عينها وسالَت ببُطءٍ على وجنتها.

حاولَ چون أن يصبغ نبرته بالثِّقة وهو يقول: «الأسوأ انتهى، لا تخافي»، وحاولَ أن يُطَوِّقها بذراعه.

وضربَته إيجريت بكعب يدها على صدره بقوَّةٍ أوجعَته على الرغم من طبقات الصُّوف والمعدن والجِلد المقوَّى، وقالت بحدَّة: «لم أكن خائفة. لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو».

- «لماذا تبكين إذن؟».

صاحَت: «ليس خوفًا»، وبشراسةٍ ركلَت الجليد تحت قدميها بكعب حذائها محطِّمةً منه قطعةً، ثم قالت: «إنني أبكي لأننا لم نَعثُر على بوق الشِّتاء. فتحنا عشرات القبور وأطلقنا كلَّ تلك الأشباح على العالم، ولم نَعثُر على بوق چورامون لنهدم هذا الشَّيء البارد اللَّعين!».





چايمي

ما زالَ في يده الحريق.

حتى الآن، حتى الآن، طويلًا بَعد أن أخمَدوا المشعل الذي استعمَلوه ليكووا جَدعته الدَّامية، بَعدها بأيام، لم يزل يَشعُر بالنَّار تَمرُق في ذراعه كالرُّمح، وبأصابعه تتلوّى في اللَّهب، الأصابع التي لم تَعُد هناك.

لقد أُصيبَ بجراح من قبل، لكن ليس هكذا قَطّ، ولم يكن يعلم أن كلَّ هذا الألم ممكن. أحيانًا تتَدفَّق الصَّلوات القديمة من بين شفتيه رغمًا عنه، صلوات تعلَّمها في طفولته ولم يُفَكِّر فيها منذ ذلك الحين، صلوات ردَّدها راكعًا إلى جوار سرسي في سِپت (كاسترلي روك). وفي أحيانٍ أخرى كان يبكي، لكن حين سمعَ ضحكَ الممثِّلين السَّاخر جفَّف عينيه وأماتَ قلبه وصلَّى أن تحرق الحُمَّى دموعه. الآن أعلمُ كيف كان تيريون يَشعُر كلما ضحكوا منه.

عقب أن سقطَ من فوق سَرجه للمرَّة الثَّانية قيَّدوه بإحكام إلى بريان التارثيَّة وجعَلوهما يتقاسمان حصانًا من جديد، وفي يوم قيَّدوهما وجهًا لوجهٍ بدلًا من ظَهرًا لظَهر، فتنهَّد شاجويل بصوتٍ عالٍ وقال بهيام: «العاشقان، يا لمنظرهما الجميل. كانت قسوةً أن نُفَرِّق بين الفارس الهُمامِ وسيِّدته»، ثم أطلقَ ضحكته الحادَّة المدوِّية، وأضافَ: «آه، لكن أيُّهما الفارس وأيُّهما السيِّدة؟».

فكَّر چايمي: لو أن لي يدًا لعرفتَ الإجابة حالًا. كانت ذراعاه تُوجِعانه وساقاه مخدَّرتين بفعل الحبال، لكن شيئًا من هذا لم يهمَّ بَعد فترةٍ قصيرة، وتقلَّص عالمه كلُّه لينحصر في الألم المبرِّح الرَّهيب في يده الشَّبحيَّة وبريان المنضغطة إليه. قال لنفسه مواسيًا: إنها دافئة على الأقل، على الرغم من أن أنفاس الفتاة خرجَت منها عطنةً كأنفاسه.

وكانت يده بينهما دائمًا. علَّقها أورزويك من شريطٍ يُحيط بعُنقه، فتدلَّت على صدره وراحَت مع الحركة تصفع ثديَيْ بريان بينما غابَ چايمي عن الوعي وعادَ إليه، وتورَّمت عينه اليُمنى حتى انغلقَت إذ التهبَ الجرح الذي أصابَته به الفتاة في أثناء قتالهما، لكن أكثر ما يُؤلِمه على الإطلاق هو يده، وقد نَزَّ الدَّم والقيح من جَدعته وأخذَت اليد المبتورة تنبض بوجعٍ ممض كلما تقدَّم الحصان خُطوةً.

جَفَّ حَلقه تمامًا حتى إنه لم يستطِع أن يأكل، وإن شربَ النَّبيذ متى أعطوه إياه، والماء عندما يقتصِر كرمهم عليه، وفي مرَّةٍ ناوَلوه كوبًا جرعَ ما فيه دُفعةً واحدةً وهو يرتعد، فانفجرَ رجال رِفقة الشُّجعان ضاحكين بأصواتٍ جهوريَّة خشنة آلَمَت أذنيه، ثم قال له رورچ: «إنك تشرب بول حصان يا قاتِل الملك»، لكن چايمي كان ظمآنًا لدرجةٍ دفعَته إلى أن يشرب السَّائل الكريه على كلِّ حال، وإن تقيَّأه كلَّه بَعدها، فجعلوا بريان تُنَظِّف لحيته من القيء، تمامًا كما جعلوها تُنَظِّفه حين تبرَّز على نفسه وهو راكب.

ذات صباحٍ رطب، وقد أحسَّ بأنه أقوى بعض الشَّيء، استحوذَ عليه الجنون ومَدَّ يُسراه إلى سيف الدورني وانتزعَه من غِمده بحركةٍ خرقاء قائلًا لنفسه: فليقتُلوني ما دمتُ سأموتُ وأنا أقاتلُ بسيفٍ في يدي. جاءَ شاجويل متواثبًا من قدم إلى قدم، وبحركةٍ جانبيَّة رشيقة تفادى الضَّربة التي سدَّدها إليه چايمي، الذي اندفعَ إلى الأمام بلا توازُنٍ وهو يُعمِل سيفه في الهواء بضراوةٍ محاولًا إصابة المهرِّج، لكن شاجويل راحَ يدور وينحني ويقفز إلى أن صارَ الممثِّلون كلُّهم يضحكون من جهد چايمي الهباء وإخفاقه في تحقيق إصابةٍ واحدة، ولمَّا تعثَّر في صخرةٍ وسقطَ على رُكبتيه وثبَ المهرِّج ناحيته وطبعَ قُبلةً مبتلَّةً على رأسه.

في النِّهاية أزاحَ رورچ المهرِّج بخشونةٍ وركلَ السَّيف من بين أصابعِ چايمي الواهنة وهو يُحاوِل أن يرفعه، وقال ڤارجو هوت: «كانت فقرةً مثليةً يا قاتِل الملك، لكن إذا حاولت هذا ثانيةً ثأقطعُ يدك الأخرى، أو ربما إحدى قدميك».

بَعد ذلك تمدَّد چايمي على ظَهره وحدَّق إلى سماء اللَّيل محاولًا أن يتجاهَل الألم الذي يزحف على ذراعه اليُمنى كالأفعى كلما حرَّكها. وجدَ اللَّيلة جميلةً

على نحو عجيب، القمر هلال أنيق والنُّجوم لا تُحصى، وقد تألَّقت كوكبة (تاج الملك) وهي في سَمت الرَّأس، ورأى چايمي (الفَحل) بقائمتين أماميَّتين مرفوعتين، و(البجعة) على مقربةٍ منها، و(عذراء القمر) الخجول كديدنها نِصف متوارية خلف شجرة صَنوبر. سأل نفسه: كيف يُمكن أن تكون ليلة كهذه جميلةً هكذا؟ ما الذي يجعل النُّجوم تخفض أعيُنها لتَنظُر إلى واحدٍ مثلي؟

– «چايمي»، همسَت بِريان بخفوتٍ شديد حتى إنه حسبَ نفسه يتوهَّم الصَّوت. «چايمي، ماذا تفعل؟».

رَدَّ هامسًا: «أموتُ».

قالت: «لا. لا، يجب أن تعيش».

قال وهو يُريد أن يضحك: «كُفِّي عن إخباري بما يجب أن أفعله يا هذه. سأموتُ إذا أردتُ».

– «أأنت جبان لهذه الدَّرجة؟».

صدمَته الكلمة. إنه چايمي لانستر، فارس الحَرس الملكي، قاتِل الملك، ولم يسبق لأحدٍ أن نعتَه بالجُبن. نعم، ينعتونه بأشياء أخرى، كالحنث بالقسم والكذب والقتلِ غيلةً، ويقولون إنه متوحِّش وغدَّار ومتهوِّر، لكن أحدًا لم يصفه بالجُبن قَطُّ.

سألَها: «وماذا يُمكنني أن أفعل غير الموت؟».

أجابَت: «عِش. عِش وقاتل وانتقم»، لكنها تكلَّمت بنبرةٍ أعلى من اللَّازم، وسمعَ رورچ صوتها إن لم يكن كلامها، وجاءَ يَركُلها ويزعق فيها أن تصون لسانها اللَّعين إذا كانت تُريد الاحتفاظ به.

وبينما كافحَت بِريان لتكتم أنينها قال چايمي في سريرته: جبان. أهذه هي الحقيقة؟ لقد سلبوني اليد التي أحمل بها سيفي، فهل لم أكن إلَّا يدًا تحمل سيفًا لا أكثر؟ أهذا صحيح بحَقِّ الآلهة؟

الفتاة على حق. لا يُمكن أن يموت الآن. سرسي تنتظره، ولا بُدَّ أنها تحتاج إليه، وتيريون أخوه الصَّغير الذي أحبَّه من أجل كذبة. وأعداؤه ينتظرونه أيضًا؛ الذِّئب الصَّغير الذي هزمَه في (الغابة الهامسة) وقتلَ رجاله من حوله، وإدميور تَلي الذي صفَّده بالسَّلاسلِ وحبسَه في الظَّلام، ورِفقة الشُّجعان هذه أيضًا.

حين جاءَ الصَّباح جعلَ نفسه يأكل. أطعَموه هريسًا من الشُّوفان، طعام

خيول، لكنه أرغمَ نفسه على ابتلاع كلِّ ملعقة، وأكلَ ثانيةً مع حلول المساء، وفي اليوم التَّالي، وقال لنفسه بخشونةٍ وهو يوشك على تقيُّؤ الهريس: عِش. عِش من أجل سرسي، عِش من أجل تيريون، عِش من أجل الانتقام. وظلَّت يده المبتورة تنبض وتحترق وتفوح منها رائحة خانقة. عندما أبلغُ (كينجز لاندنج) سأجعلهم يصنعون لي يدًا جديدةً، يدًا من ذهب، وسيأتي يوم أمزِّقُ بها عُنق ڤارجو هوت.

اندمجَت النَّهارات واللَّيالي معًا في غشاوةٍ من الألم. في النَّهار ينام راكبًا الحصان ومنضغطًا إلى بريان وتُفعِم رائحة يده المتعفِّنة أنفه، وفي اللَّيل يتمدَّد مستيقظًا على الأرض القاسية وحبيسًا في كابوسٍ لا ينتهي. على الرغم من ضَعفه يُقيِّدونه دائمًا إلى شجرة، وقد بَثَّ فيه نوعًا من العزاء البارد أن يعرف أنهم ما زالوا يخشونه لهذه الدَّرجة، حتى الآن.

ودائمًا يُكبِّلون بريان إلى جواره، فتتمدَّد في مكانها كبقرةٍ كبيرة ميتة ولا تلفظ ببنت شفة. الفتاة بنَت قلعةً في داخلها. سيغتصبونها قريبًا، لكنهم لا يستطيعون أن يمسُّوها وراء أسوارها. أمَّا أسوار چايمي فانهارَت. لقد قطعوا يده، قطعوا يده التي يحمل بها سيفه، ودونها هو لا شيء. اليد الثَّانية عديمة الفائدة، فمنذ تعلَّم المشي وذراعه اليُسرى ذراع التُّرس ليس إلَّا. يده اليُمنى هي التي جعلَته فارسًا، ذراعه اليُمنى هي التي جعلَته رجلًا.

في يوم سمعَ أورزويك يقول شيئًا عن (هارنهال)، فتذكَّر أنها وجهتهم، وجعله هذًا يضحك بصوتٍ مرتفع، وجعلَت الضَّحكة تيميون ينزل على وجهه بضربةٍ من سوطٍ رفيع طويل. نزفَ الجرح، لكنه شعرَ به بالكاد في خضمِّ ألم يده.

ليلتها سألَته الفتاة همسًا: «لماذا ضحكت؟».

أجابَها هامسًا بدوره: «(هارنهال) كانت المكان الذي ألبَسوني فيه المعطف الأبيض، في أثناء دورة مباريات ونت العظيمة. أرادَ الرَّجل أن يُري الجميع قلعته الكبيرة ويتباهى بأبنائه، وأردتُ أن أريهم نفسي أيضًا. كنتُ في الخامسة عشرة فقط، لكن لا أحد كان ليستطيع أن يتغلَّب عليَّ يومها، غير أن إيرس لم يسمح لي بالنِّزال»، وضحكَ ثانيةً قبل أن يُردِف: «لقد صرفَني، لكني عائد الآن».

سمعَ الممثِّلون الضَّحكة، وليلتها كان چايمي مَن تلقَّى الرَّكلات واللَّكمات. تلك أيضًا أحسَّ بها بالكاد، إلى أن هوى رورچ بحذائه على جَدعة يده فأُغميَ عليه.

في اللَّيلة التَّالية جاءوا أخيرًا، ثلاثة من أسوأهم؛ شاجويل المهرِّج ورورچ عديم الأنف والدوثراكي السمين زولو الذي بترَ يده. بينما يقتربون كان رورچ وزولو يتشاجَران حول مَن سيأخذ الفتاة أولًا، وقد بدا مفروغًا منه أن المهرِّج سيكون آخِر الثَّلاثة. اقترحَ شاجويل أن يبدأ الاثنان الآخَران معًا ويأتياها من الأمام والخلف، وقد راقَت الفكرة زولو ورورچ، لكنهما بدآ يتشاجَران ثانيةً حول مَن سيأتيها مِن الأمام ومَن مِن الخلف.

سيتركُونها كسيحةً أيضًا، لكن في أعماقها حيث لا يرى أحد. همسَ لها بينما تقاذفَ زولو ورورچ بالشَّتائم: «يا هذه، دعيهم يأخذون اللَّحم وغيبي بعقلكِ بعيدًا. هكذا سينتهي الأمر أسرع وتقلُّ متعتهم».

رَدَّت هامسةً بتحدٍّ: «لن يجدوا أيَّ متعةٍ فيما سينالوه مني».

بقرة حمقاء عنيدة شُجاعة. ستجعلهم يَقتُلونها، إنه واثق. ولِمَ أبالي إذا قتلوها؟ لو لم تكن عنيدةً كالخنازير لكان ما زالَ لي يد. لكن على الرغم من أفكاره سمعَ چايمي نفسه يقول: «دعيهم يفعلون ما يفعلون واختبئي في أعماقكِ». هذا ما فعلَه هو حينما ماتَ ابنا ستارك أمامه، اللورد ريكارد يتفحَّم في دِرعه، وابنه براندون يَختَنق نفسه وهو يُحاول إنقاذه. «فكِّري في رنلي إذا كنتِ قد أحببتِه. فكِّري في (تارث)، في الجبال والبحار والينابيع والشَّلَّالات، أيًّا كان ما لديكم على جزيرة الصَّفير. فكِّري...».

لكن رورچ كان قد تغلَّب في الشِّجار عندئذٍ، وقال لبريان: «أنتِ أقبح امرأة رأيتها في حياتي كلِّها، لكن لا تحسبي أني لا أستطيعُ أن أزيدكِ قبحًا. هل تُريدين أنفًا كأنفي؟ قاوميني وسأعطيكِ واحدًا. وعينان كثيرتان جدًّا عليكِ. صرخة واحدة منكِ وسأقتلعُ إحداهما وأجعلكِ تأكلينها، ثم أقتلعُ أسنانكِ واحدةً واحدةً».

قال شاجويل مناشدًا: «أوه، افعلها يا رورچ. دون أسنانها ستبدو مِثل أمِّي العجوز العزيزة تمامًا»، وضحكَ بصوتٍ كقوقأة الدَّجاج مضيفًا: «ولطالما أردتُ أن أنكح أمِّي العجوز العزيزة في مؤخِّرتها».

قهقهَ چايمي قائلًا: «مهرِّج طريف حقًّا. عندي أُحجية لك يا شاجويل: لماذا تُبالي إذا صرخَت؟ أوه، مهلًا، أعرفُ الإجابة»، ثم إنه صاحَ بأعلى صوته: «**الصَّفير!**».

سَبَّه رورچ وركلَ جَدعة يده ثانيةً، وعوى چايمي من فرط الألم. لم أكن أعلم أن في الدُّنيا مثل هذا العذاب. كان هذا آخِر ما جالَ بباله قبل أن يغيب عن الوعي. لا يدري كم ظَلَّ مغشيًّا عليه، لكن حين بصقَه الوجع إلى عالم الإدارك من جديد، كان أورزويك واقفًا أمامه، ومعه ڤارجو هوت بنفسه، وصرخَ الكبش ناثرًا البصاق على زولو: «لا أحد يلمسْها. يجب أن تظلَّ عذراء أيها الحمقى! إنها تستحقُّ وزنها من الثَّفير!»، ومنذ ذلك الحين عيَّن هوت عليهما حراسةً ليحميهما من رجاله.

مَرَّت ليلتان كاملتان في صمتٍ قبل أن تَعثُر الفتاة أخيرًا على الشَّجاعة لتقول: «چايمي، لماذا صِحت؟».

- «تقصدين لماذا صِحتُ: الصَّفِّير؟ استخدمي عقلكِ يا هذه. هل كانت هذه الشِّرذمة لتكترث إذا صِحتُ: اغتصاب؟».

- «لم تكن مضطرًّا لأن تصيح على الإطلاق».

- «النَّظر إليكِ صعب كفايةً وأنفكِ في وجهكِ، كما أني أردتُ الكبش أن يقول: الثَّفِّير»، وأطلقَ ضحكةً قصيرةً ثم تابعَ: «من صالحكِ أني كذَّاب كبير. كان رجل شريف ليقولِ الحقيقة عن جزيرة الصَّفير».

- «أشكرك على كلِّ حالٍ أيها الفارس».

كانت يده تنبض ثانيةً، وضغطَ أسنانه قائلًا: «اللانستر يُسَدِّد ديونه. كان هذا من أجل النَّهر والصُّخور التي أسقطتِها على روبن رايجر».

أرادَ الكبش أن يجعل من دخوله (هارنهال) استعراضًا، فأنزَلوا چايمي من على الحصان على بُعد ميلٍ من بوَّابة القلعة، وقيَّدوا خصره بحبلٍ ومعصمَيْ بريان بآخَر، ورُبِطَ الطَّرفان بقرن سَرج ڤارجو هوت، وتقدَّم الاثنانَ متجاورَيْن متعثِّرَيْن وراء زورس الكوهوري المخطَّط.

وحده الغضب جعلَ چايمي يمشي. كان الكتَّان الذي يُغَطِّي جَدعته رماديًّا وتفوح منه رائحة القيح الشَّنيعة، وأصابعه الشَّبحيَّة تَصرُخ مع كلِّ خُطوة، لكنه قال لنفسه: إنني أقوى مما يتصوَّرون. مازلتُ ابن لانستر، ومازلتُ فارسًا في

الحَرس الملكي. سيَبلُغ (هارنهال)، ثم (كينجز لاندنج). وسأسدِّدُ هذا الدَّين بفائدةٍ عالية.

إذ دنوا من الأسوار الشَّبيهة بالجروف المحيطة بقلعة هارن الأسود العملاقة، اعتصرَت برِيان ذراعه قائلةً: «هذه القلعة تحت سيطرة اللورد بولتون، وآل بولتون يحملون راية ستارك».

رَدَّ چايمي: «آل بولتون يَسلُخون أعداءهم». هذا القَدر يَذكُره عن رووس بولتون، وإن كان تيريون ليعرف كلَّ ما تُمكن معرفته عن سيِّد (معقل الخوف)، لكن ألفًا من الفراسخ تفصله عن تيريون، وعن سرسي. لا يُمكن أن أموت وسرسي حيَّة. سوف نموت معًا كما وُلدنا معًا.

كانت العِزبة ومبانيها المقامة خارج الأسوار قد احترقَت حتى لم يتبقَّ منها إلَّا الرَّماد والحجارة المسودَّة، وفي الفترة الأخيرة عسكرَ عدد كبير من الرِّجال والخيول على شاطئ البحيرة، حيث أقامَ اللورد ونت دورة المباريات العظيمة في عام الرَّبيع الزَّائف. مَسَّت ابتسامة مريرة شفتَيْ چايمي وهُم يقطعون الأرض الخراب. كان أحدهم قد حفرَ خندقًا للمراحيض في البُقعة ذاتها التي ركعَ فيها أمام الملك ليحلف اليمين. لم أتخيَّل قطُّ أن الحُلو يُمكن أن يصير مُرًّا بهذه السُّرعة. لم يتركني إيرس أتلذَّذ بتلك اللَّيلة الوحيدة. كرَّمني ثم بصقَ عليَّ.

قالت برِيان: «الرَّايات. انظُر، رجال مسلوخون وأبراج توائم، رجال الملك روب، وهناك فوق مبنى البوَّابة، رمادي على أبيض. إنهم يرفعون راية الذِّئب الرَّهيب».

لوى چايمي عُنقه إلى أعلى ليرى، ثم قال: «هو ذئبكِ اللَّعين، هذا صحيح، وما ترينه على جانبيه رؤوس».

تجمَّع الجنود والخدم وأتباع المعسكَر ليرموهما بالصِّياح المستهزئ، وتبعَتهما كلبة مرقَّطة وسط المخيَّمات وهي تنبح وتُزمجِر، إلى أن خوزقَها أحد اللايسينيِّين برُمح وهرولَ بحصانه إلى مقدِّمة الطَّابور، وأخذَ يرجُّ الكلبة الميتة فوق رأس چايمي هاتفًا: «أنا حامل راية قاتِل الملك!».

أسوار (هارنهال) سميكة لدرجة أن المرور منها كالمرور في نفق حجري. كان ڤارجو قد أرسلَ اثنين من الدوثراكي قبلهم ليُعلِما اللورد بولتون

بمجيئهم، فامتلأَت السَّاحة الخارجيَّة بالفضوليِّين الذين أفسَحوا الطَّريق إذ مَرَّ بهم چايمي مترنِّحًا، يضيق الحبل على خصره ويجرُّه كلما تباطأ، ثم توقَّف ڤارجو هوت وأعلنَ ولُعابه يسيل: «أقدِّمُ لكم قاتِل الملك»، ووخزَ أحدهم ظَهر چايمي برأس حربةٍ فطرحَه أرضًا على وجهه.

الغريزة جعلَته يمدُّ يديه أمامه ليُوقِف السَّقطة، ولمَّا ارتطمَت جَدعته بالأرض كان الألم يُعمي، لكنه استطاعَ بوسيلةٍ ما أن يُجاهِد حتى يقف على رُكبته. أمامه كانت درجات حجريَّة عريضة تقود إلى أحد أبراج القلعة المستديرة الهائلة، ووقفَ خمسة فُرسان ورجل شمالي يتطلَّعون إليه، الواحد شاحب العينين ويرتدي الصُّوف والفرو، والخمسة مرهبون في دروعهم ويلوح على سُتراتهم رمز البُرجين التَّوأمين. يعرف چايمي أبناء اللورد والدر شكلًا، بما أن عمَّته تزوَّجت أحدهم، وقد خاطبَهم قائلًا: «سير دانويل، سير إينس، سير هوستين، تقبَّلوا تعازيَّ».

سألَه السير دانويل: «علامَ أيها الفارس؟».

أجابَ چايمي: «كليوس ابن أخيكم. كان معنا حتى أرداه الخارجون عن القانون بالسِّهام. أورزويك وثُلَّته استولوا على ذهبه وتركوه للذِّئاب».

- «أيها السَّادة!»، صاحَت بريان وهي تتملَّص وتتقدَّم. «لقد رأيتُ راياتكم. اسمعوني بحَقِّ يمينكم!».

سألَ السير إينس فراي: «مَن المتكلِّمة؟».

- «مرضِعة لانِّستر».

- «أنا بريان التارثيَّة، ابنة اللورد سلوين نجم المساء، ومقسمة على الولاء لعائلة ستارك مِثلكم جميعًا».

بصقَ السير إينس عند قدميها، وقال: «ها هي قيمة أيمانكم. وثقنا بكلمة روب ستارك، ورَدَّ لنا إخلاصنا خيانةً».

كلام مثير للاهتمام. التفتَ چايمي ليرى كيف تلقَّت الفتاة الاتِّهام، لكنها ظلَّت عنيدةً كالبغال، وحاولَت أن تلوي معصميها المقيَّدين قائلةً: «لا علم لي بأيِّ خيانة. الليدي كاتلين أمرَتني بتسليم لانستر إلى أخيه في (كينجز لاندنج) و...».

قاطعَها أورزويك الوفي: «كانت تُحاوِل إغراقه عندما وجدناهما».

احتقنَ وجهها، وقالت: «لقد أنساني الغضب نفسي، لكني لم أكن لأقتله. إذا ماتَ سيَقتُل آل لانستر ابنتَيْ سيِّدتي».

قال لها السير إينس دون أن يبدو عليه تأثُّر: «وما الذي يهمُّنا في ذلك؟».

قال السير دانويل: «لنُعِده إلى (ريڤررَن) مقابل فدية».

رَدَّ أحد إخوته معترضًا: «(كاسترلي روك) ذهبها أكثر».

وقال آخَر: «لنَقتُله! رأسه لقاء رأس ند ستارك!».

تشقلبَ شاجويل المهرِّج بثيابه المرقَّعة بالرَّمادي والوردي حتى سلالم البُرج، وبدأ يُغنِّي: «يُحكى أن أسدًا رقصَ مع دُب، أوه ماي، أوه ماي...».

صفعَ ڤارجو هوت الرَّجل قائلًا: «ثمنًا أيها المهرِّج. قاتِل الملك ليث للدُّب، إنه لي».

- «إذا ماتَ فلن يكون لأحد»، قال رووس بولتون بنبرةٍ رخيمة للغاية حتى إنهم صمتوا ليسمعوه. «وأرجو أن تتذكَّر يا سيِّدي أنك لست سيِّد (هارنهال) إلى أن أزحف شمالًا».

مَدَّت الحُمَّى چايمي بالجرأة كما أدارَت رأسه، فقال: «أهذا سيِّد (معقل الخوف)؟ آخِر ما سمعته عنك أنك فررت من أبي وذيلك بين قدميك. متى توقَّفت عن الفِرار يا سيِّدي؟».

كان صمت بولتون أكثر تهديدًا مئة مرَّةٍ من غِلِّ ڤارجو هوت المبلَّل بلُعابه. لا تروق چايمي هاتان العينانِ الشَّاحبتان كغشاوة الصُّبح، اللتان تكتمان الكثير وتبوحان بأقلِّ القليل، وتُذكِّراه بذلك اليوم في (كينجز لاندنج) حين وجدَه ند ستارك جالسًا على العرش الحديدي.

أخيرًا زَمَّ سيِّد معقل الخوف شفتيه، ثم قال: «أرى أنك فقدت يدًا».

قال چايمي: «لا، ها هي ذي معلَّقة من عُنقي».

مَدَّ رووس بولتون يده وقطعَ الشَّريط، وألقى اليد إلى هوت قائلًا: «خُذ هذه من هنا. منظرها يُؤذي عينَيْ».

قال هوت: «ثأرثلها إلى الثيِّد والده. ثأقولُ له إن عليه أن يدفع مئة ألف تنِّين ذهبي وإلَّا ثُعيد إليه قاتِل الملك قطعةً قطعةً، ولمَّا نقبض الذَّهب سنُثَلِّم الثير چايمي إلى كارثتارك ونربح فتاةً عذراء أيضًا!»، وهدرَ رجال رِفقة الشُّجعان بالضَّحك.

- «خطَّة لا بأس بها»، قال رووس بولتون كأنما يقول: نبيذ لا بأس به لرفيق على العَشاء، ثم أردفَ: «لكن اللورد كارستارك لن يُعطيك ابنته. لقد قطعَ الملك روب رأسه بتُهمتَيْ الخيانة والقتل. أمَّا اللورد تايوين فما زالَ في (كينجز لاندنج)، وسيبقى هناك حتى العام الجديد، عندما يتزوَّج حفيده ابنة (هايجاردن)».

قالت بريان: «(وينترفل)، تقصد (وينترفل). الملك چوفري خطبَ سانزا ستارك».

- «لم يَعُد خطيبها. معركة (النَّهر الأسود) غيَّرت كلَّ شيء. الوردة والأسد تحالَفا هناك لدحر جيشِ ستانيس وحرق أسطوله عن آخِره».

فكَّر چايمي: كما حذَّرتك يا أورزويك، وأنت أيضًا أيها الكبش. إذا راهنت ضد آل لانستر ستخسر أكثر من نقودك، ثم سأل: «هل من أخبار عن أختي؟».

- «إنها بخير، وكذلك... ابن أختك». تمهَّل بولتون لحظةً قبل أن يقول: ابن أختك، على حين يقول لسان حاله: أعرفُ الحقيقة. «أخوك أيضًا حي، وإن أُصيبَ في المعركة»، ثم أشارَ إلى رجلٍ شمالي كالح الملامح يرتدي سُترةً مطعَّمةً بالحديد قائلًا: «اصحب السير چايمي إلى كايبرن، واقطع قيود هذه المرأة»، وبينما قُطِعَ الحبل بين يدَيْ بريان إلى نِصفين قال لها: «أرجو أن تُسامحينا يا سيِّدتي. في مِثل أوقات القلاقل هذه تَصعُب التَّفرقة بين العدوِّ والصَّديق».

فركَت بريان باطن معصميها حيث كشطَ الحبل القِنَّبي جِلدها وأدماه، وقالت: «سيِّدي، هؤلاء الرِّجال حاوَلوا اغتصابي».

قال بولتون: «حقًّا؟»، وسلَّط عينيه الشَّاحبتين على ڤارجو هوت مضيفًا: «لستُ مسرورًا، من هذا أو من يد السَير چايمي».

مقابل كلِّ واحدٍ من رِفقة الشُّجعان كان هناك خمسة شماليِّين ومِثلهم من رجال فراي في السَّاحة. قد لا يكون الكبش بذكاء البعض، لكنه يستطيع العَدَّ على الأقل، وهكذا خرسَ مرغمًا.

واصلَت بريان: «لقد أخذوا سيفي ودِرعي...».

قال اللورد بولتون: «لن تحتاجي إلى دِرع هنا يا سيِّدتي. في (هارنهال) أنتِ تحت حمايتي. آمابل، جدي غُرفةً مناسبةً لليدي بِريان. والتون، ستتولَّى

أمر السير چايمي في الحال»، ولم ينتظر إجابةً ودارَ على عقبيه صاعدًا السَّلالم ومعطفه الموشَّى بالفرو يدور وراءه، ولم يجد چايمي الفُرصة إلَّا ليتبادَل نظرةً سريعةً مع الفتاة قبل أن يقودوا كلًّا منهما إلى مكانٍ مختلف.

في مسكن المِايستر تحت المِغدفة، شهقَ رجل أشيب أبوي الملامح اسمه كايبرن عندما قَصَّ الكتَّان المحيط بجَدعة چايمي ورآها.

- «أهي بهذا السُّوء؟ هل سأموتُ؟».

ضغطَ كايبرن الجرح بإصبعه، وتقلَّص أنفه إذ نَزَّ منه القيح، ثم قال: «لا. لكن لو تأخَّرت أيامًا قليلةً...»، وقَصَّ كُمَّ چايمي مواصلًا: «لقد انتشرَ البِلى. هل ترى لين اللَّحم؟ يجب أن أقطعه كلَّه. أسلم وسيلة أن أقطع الذِّراع».

قال چايمي متوعِّدًا: «ستموت أنت إذن. نظِّف الجَدعة وخيِّطها واترُك لي المخاطَرة».

قطَّب كايبرن جبينه قائلًا: «يُمكنني أن أترك لك العضد وأبتر عند المِرفق، لكن...».

- «خيرٌ لك إذا بترت أيَّ جزءٍ من ذراعي أن تَبتُر الأخرى أيضًا، وإلَّا خنقتك بها بَعدها».

نظرَ كايبرن في عينيه، وأيًّا كان ما رآه فيهما فقد جعلَه يتردَّد ويقول: «ليكن إذن. سأقطعُ اللَّحم المتعفِّن لا أكثر، وأحاولُ أن أحرق الجزء البالي بالنَّبيذ المغلي وعِصابة من القُرَّاص[1] وبذور الخردل وعفن الخُبز. قد يكفي هذا، إنها مسؤوليَّتك. يجب أن تشرب حليب الخشخاش...».

- «كلا». لا يجرؤ چايمي على السَّماح لنفسه بالنَّوم، فقد يجد نفسه فقدَ ذراعًا عندما يستيقظ، بغَضِّ النَّظر عمَّا يقوله الرَّجل.

مندهشًا قال كايبرن: «ستتألَّم».

- «إذن سأصرخُ».

- «ألمًا شديدًا».

- «سأصرخُ بصوتٍ عالٍ جدًّا».

- «هل تشرب القليل من النَّبيذ على الأقل؟».

---

(1) القُرَّاص نبات عُشبي معمِّر يُستخدَم كدواء منظِّف للمعدة ومطهِّر. (المترجم).

- «هل يُصَلّي السِّبتون الأعلى؟».

- «لستُ متأكِّدًا من هذا. سأجلبُ النَّبيذ. تمدَّد، عليَّ أن أثبِّت ذراعك بحزام».

بواسطة وعاءٍ ونصلٍ حاد نظَّف كايبرن الجَدعة فيما جرعَ چايمي النَّبيذ القوي، وإن لم يبدُ أن يُسراه تعرف كيف تجد فمه، فسكبَ الكثير على نفسه، لكن نفعًا أتى من هذا، إذ ساعدَت رائحة النَّبيذ الذي تشبَّعت به لحيته على إخفاء رائحة القيح.

على أن شيئًا لم يُساعِد عندما حانَ وقت قطع اللَّحم المتعفِّن، وصرخَ چايمي عندها، وقرعَ المنضدة بقبضته السَّليمة مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً، وصرخَ ثانيةً لمَّا صَبَّ كايبرن النَّبيذ المغلي على ما تبقَّى من جَدعته، وعلى الرغم من كلِّ وعوده لنفسه ومخاوفه فقدَ الوعي بعض الوقت.

عندما استيقظَ كان المِايستر يُخَيِّط ذراعه بإبرةٍ وأمعاء القِطط، وقال له: «تركتُ قطعةً من الجلد تُطوى على معصمك».

تمتمَ چايمي بضَعفٍ وهو يتذوَّق الدَّم في فمه حيث عَضَّ لسانه: «سبقَ لك أن فعلت هذا».

- «ليست الأطراف المبتورة غريبةً على أحدٍ يخدم مع ڤارجو هوت. إنها عادته أينما ذهبَ».

خطرَ لچايمي أن الرَّجل لا يبدو كمِايستر بنحوله ودماثته وعينيه البنِّيَّتين الدَّافئتين، فسألَه: «ما الذي يفعله مِايستر مع رِفقة الشُّجعان؟».

قال كايبرن واضعًا إبرته جانبًا: «(القلعة) أخذَت سلسلتي. يجب أن أفعل شيئًا إزاء هذا الجرح فوق عينك. إنه ملتهب للغاية».

أغلقَ چايمي عينيه وتركَ كايبرن والنَّبيذ يقومان بعملهما، وقال: «حدِّثني عن المعركة». لا بُدَّ أن كايبرن كان أول من سمعَ الأخبار باعتباره المسؤول عن الغِدفان في (هارنهال).

- «اللورد ستانيس وقعَ بين أبيك والنَّار. يُقال إن العِفريت أشعلَ النَّهر نفسه».

رأى چايمي ألسنة اللَّهب الأخضر ترتفع إلى عنان السَّماء، أعلى من أعلى

بُرج، والمحترقين يَصرُخون في الشَّوارع. رأيتُ هذا الحُلم من قبل. يكاد الأمر يكون طريفًا، لكن لا أحد هنا يُشاركه الدُّعابة.

قال كايبرن: «افتح عينك»، ونقعَ قطعة قماش في ماءٍ دافئ ثم ملَّس بها على قشرة الدَّم الجاف. كان جفنه متورِّمًا، لكن چايمي استطاعَ أن يفتحه بعض الشَّيء ليلوح وجه كايبرن فوقه وهو يسأله: «كيف أُصِبت بهذا؟».

- «هديَّة من فتاة».

- «غزل عنيف يا سيِّدي؟».

- «الفتاة أكبر مني وأقبح منك. الأفضل أن تعتني بها أيضًا. إنها ما زالَت تَعرُج بالقدم التي وخزتها حين تقاتَلنا».

- «سأسألُ عنها. مَن هي بالنِّسبة لك؟».

- «حاميتي»، أجابَ چايمي وضحكَ على الرغم من الألم.

- «سأطحنُ أعشابًا تخلطها بالنَّبيذ لتُخفِّف الحُمَّى. عُد غدًا وسأضعُ عَلقةً على عينك لتصفية الدَّم الفاسد».

- «عَلقة، مرحى».

قال كايبرن بتكلُّف: «اللورد بولتون مولع جدًّا بالعَلَق».

رَدَّ چايمي: «نعم، لا بُدَّ أنه كذلك».





تيريون

لم يتبقَّ شيء وراء (بوّابة الملك) إلّا الأوحال والرَّماد وقِطع من العظم المحروق، وعلى الرغم من ذلك هناك أناس يعيشون في ظِلِّ أسوار المدينة بالفعل، وآخَرون يبيعون الأسماك من العربات أو البراميل. أحسَّ تيريون بأعيُنهم عليه وهو يمرُّ بهم راكبًا، والنَّظرات الباردة السَّاخطة الحاقدة التي يرمونه بها، وإن لم يَجسُر أحدهم على أن يُكلِّمه أو يعترض طريقه وقد تحرَّك برون إلى جواره مرتديًا الحلقات المعدنيَّة السَّوداء المزيَّتة. لو كنتُ وحدي لسحبوني من على ظَهر الحصان وحطَّموا وجهي بحجرٍ كما فعلوا ببرستون جرينفيلد.

دمدمَ بتبرُّم: «إنهم يعودون أسرع من الجرذان. كنت أحسبهم تعلَّموا الدَّرس حين أحرقنا بيوتهم مرَّةً».

قال برون: «أعطِني بضع عشراتٍ من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة وسأقتلهم جميعًا. إذا ماتوا فلن يعودوا».

- «نعم، لكن آخَرين سيحلُّون محلَّهم. دعهم وشأنهم... لكن إذا بدأوا يبنون البيوت إلى جوار الأسوار من جديد فاهدمها في الحال. الحرب لم تنتهِ بعدُ مهما كان ما يعتقده هؤلاء الحمقى»، ولمحَ (بوّابة الطَّمي) أمامهما، فقال: «رأيتُ ما يكفي اليوم. سنعود غدًا مع كبار رابطة البنَّائين لنُراجع خُططهم»، وتنهَّد مفكِّرًا: لقد أحرقتُ أغلب هذا، وأعتقدُ أن العدل يُملي أن أُعيد بناءه.

كان من المفترَض أن تكون هذه المهمَّة لعمِّه، لكن السير كيڤان لانستر الصُّلب الثَّابت الذي لا يكلُّ أبدًا لم يَعُد على طبيعته منذ وصلَ غُداف من (ريڤررَن) حاملًا نبأ مقتل ابنه ويلم، الذي وقعَ توأمه مارتن في أسر روب

ستارك أيضًا، على حين يظلُّ أخوهما الكبير لانسل طريح فِراش المرض، يُعاني جرحًا متقرِّحًا يَرفُض أن يندمل. كان اللورد تايوين يعتمد على أخيه دائمًا، لكن الآن تلتهم الحسرة والخوف السير كيفان وقد ماتَ أحد أبنائه وأحدقَ الخطر بالاثنين الآخَريْن، فلم يجد أبوه خيارًا إلَّا الاستعانة ثانيةً بابنه القزم.

ستتكلَّف إعادة البناء مبالغ هائلة، لكن لا مناص من هذا، فـ(كينجز لاندنج) ميناء البلاد الرَّئيس، ولا تُنافِسها إلَّا (البلدة القديمة)، ويجب أن يُفتَح النَّهر للملاحة من جديد، وقريبًا. وأين سأجدُ ما يكفي من مال؟ تكاد المشكلة تجعله يفتقد الإِصبع الصَّغير الذي أبحرَ شمالًا قبل أسبوعين. وبينما يُضاجِع لايسا آرن ويَحكُم (الوادي) إلى جوارها، عليَّ أن أنظِّف الفوضى التي تركَها وذهبَ. لكن على الأقل كلَّفه أبوه بعملٍ مهم، وفكَّر تيريون بينما أشارَ لهما قائد الحَرس بالمرور من (بوَّابة الطَّمي): لن يُسَمِّيني وريثًا لـ(كاسترلي روك)، لكنه سيستغلُّني أينما استطاعَ.

لا تزال المجانيق المسمَّاة (العاهرات الثَّلاث) تحتلُّ ميدان السُّوق وراء البوَّابة، وإن وقفَت متعطِّلةً الآن وقد رُفِعَت الجلاميد وبراميل القار. كان الأطفال يتسلَّقون الهياكل الخشب العالية، يتحرَّكون إلى أعلى كقرودٍ رشيقة ترتدي الخيش، ليقبعوا على أذرُع القذف ويتبادَلوا الصِّياح المرح.

قال تيريون لبرون وهما يمرَّان بين اثنين من المجانيق: «ذكِّرني بأن أقول للسير أدام أن يُعيِّن بعض ذوي المعاطف الذَّهبيَّة هنا قبل أن يَسقُط صبي أحمق ويكسر ظَهره»، ثم إنه سمعَ صيحةً من أعلى، قبل أن تتفجَّر كُتلة من الرَّوث على الأرض أمامهما، لتتراجَع فَرس تيريون رافعةً قائمتيها الأماميَّتين وتكاد تُسقِطه، ولمَّا استعادَ السَّيطرة عليها قال: «بَعد تفكير، دَع الملاعين يتفسَّخون على الأرض كالشَّمَّام النَّاضج».

كان في مزاجٍ أسود، وليس فقط لأن بعض أطفال الشَّوارع حاوَلوا قذفه بالرَّوث، بل أيضًا بسبب العذاب المقيم الذي أصبحَه زواجه.

ما زالَت سانزا ستارك عذراء، ويبدو أن نِصف القلعة يعرف هذا. عندما ذهبَ للرُّكوب مع برون هذا الصَّباح، سمعَ اثنين من عُمَّال الاسطبلات يكتمان الضَّحك من ورائه، وجالَت بباله صورة للخيول نفسها وهي تضحك بدورها.

لقد خاطرَ بجلده ليتحاشى طقس الإضْجاع على أمل أن يحفظ خصوصيَّة غُرفة نومه، لكن سرعان ما انسحقَت آماله. إمَّا أن سانزا كانت بالغباء الكافي لأن تحكي لواحدةٍ من وصيفاتها -وجميعهن يتجسَّسن لحساب سرسي- وإمَّا أن اللَّوم على ڤارس وطيوره الصَّغيرة.

لكن ما الفرق؟ إنهم يسخرون منه في جميع الأحوال، ويبدو أن الشَّخص الوحيد في (القلعة الحمراء) الذي لا يجد زيجته مصدر تسليةٍ هو السيِّدة زوجته.

سانزا تزداد بؤسًا كلَّ يوم، وكان ليُسعِد تيريون أن يُحَطِّم أسوار الكياسة التي بنَتها حول نفسها ليمنحها ما يستطيع من مواساة، لكن لا فائدة من هذا، فلا كلام منه سيجعله جميلًا في عينيها أبدًا. أو يُنسيها أني لانستر. تلك هي الزَّوجة التي أعطوه إياها طوال ما تبقَّى من عُمره، وزوجته تكرهه.

ولياليهما معًا في الفِراش الكبير مصدر آخَر للعذاب. لم يَعُد يحتمل النَّوم عاريًا كعادته، فصحيحٌ أن زوجته مدرَّبة جيِّدًا على ألَّا تلفظ كلمةً مسيئةً، إلَّا أن النُّفور الذي يتبدَّى في عينيها كلما نظرَت إلى جسده أقوى من احتماله، وعليه أمرَها بأن ترتدي غلالة نوم أيضًا. إنني أريدها. أريدُ (وينترفل)، نعم، لكني أريدها أيضًا أيًّا كانت، طفلَةً أم امرأةً. أريدُ أن أواسيها وأن أسمعها تضحك وأن تأتيني بإرادتها، أن تُقاسِمني فرحها وحزنها وشهواتها. التوى فمه بابتسامةٍ بنكهة العلقم وهو يُضيف لنفسه: نعم، وأريدُ أن أكون طويلًا كچايمي وقويًّا كجريجور الجبل، كأن الإرادة تكفي.

رغمًا عنه انتقلَت أفكاره إلى شاي. لم يُردها تيريون أن تسمع الخبر إلَّا منه مباشرةً، فأمرَ ڤارس بأن يأتيه بها في اللَّيلةَ السَّابقة لزفافه، والتقيا ثانيةً في مسكن الخصي، لكن حين بدأت تحلُّ أربطة سُترته أمسكَ معصمها ودفعَها قائلًا: «انتظري، هناك شيء يجب أن تعرفيه. غدًا سأعقدُ قراني على...».

- «... سانزا ستارك، أعرفُ».

ألجمَ رَدُّها لسانه بُرهةً. وقتها لم تكن سانزا نفسها تعرف بعدُ. «كيف عرفتِ؟ هل أخبرَكِ ڤارس؟»؟

قالت: «سمعتُ أحد الوُصفاء يُخبِر السير تالاد عندما أخذتُ لوليس إلى السِّپت، وسمعَ هو الخبر من خادمةٍ سمعَت السير كيڤان يتكلَّم مع أبيك»، ثم

تملَّصت من قبضته وخلعَت فُستانها، وكالمعتاد كانت عاريةً تحته، وواصلَت: «لا أبالي. إنها مجرَّد فتاة صغيرة. ستجعل بطنها يَكبُر وتعود إليَّ».

جزء منه كان يتمنَّى أن تهتمَّ أكثر، وبسخريةٍ مريرة قال لنفسه: كنت تتمنَّى، لكنك تعرف أفضل الآن أيها القزم. شِاي هي الحُب الوحيد الذي ستعرفه في حياتك.

كان (الدَّرب الموحل) مزدحمًا، لكن الجنود والأهالي على حَدٍّ سواء أفسحوا الطَّريق للعِفريت ومُرافِقه، وقد تزاحمَ الأطفال ذوو الأعيُن الجوفاء بين الأقدام، يرفع بعضهم الأنظار إليه بضراعةٍ صامتة ويرفع البعض صوته بنداءات الشِّحاذة، فدَسَّ تيريون قبضته في كيس نقوده وملأها بالعُملات النُّحاسيَّة وألقاها في الهواء، وهرعَ الأطفال إليها وهُم يتدافَعون ويتصايَحون. قد يتمكَّن المحظوظ منهم من شراء رغيفٍ من الخُبز البائت اللَّيلة. لم يرَ تيريون الأسواق مزدحمةً هكذا من قبل، وعلى الرغم من كلِّ الأطعمة التي جلبَها آل تايرل إلى المدينة تظلُّ الأسعار مرتفعةً على نحوٍ صادم. سِت قِطع نُحاسيَّة لحبَّة الشَّمَّام، وأيل فضِّي لقُفَّة الذُّرة، وتِنِّين ذهبي لشريحة اللَّحم البقري الكبيرة أو ستَّة خنازير صغيرة هزيلة. ومع كلِّ هذا لم يبدُ نقص في المشترين، وتجمَّع الرِّجال الضَّاوون والنِّساء المضنَيات حول كلِّ عربةٍ وكُشك، بينما يتطلَّع آخَرون حالهم لا تقلُّ بؤسًا من مداخل الأزقَّة واجمين.

قال برون حين بلغا بداية الشَّارع الضيِّق المنحني المسمَّى (الخُطَّاف): «من هنا، إذا كنت تنوي أن...».

- «نعم». كانت ضفَّة النَّهر ذريعةً موائمةً، لكن لتيريون غرضًا آخَر اليوم، ليس شيئًا سيستمتع به، وإنما عليه أن يفعله.

ابتعدا عن (تَل إجون العالي) ليَدخُلا متاهة الشَّوارع الأصغر الملتفَّة حول سفح (تَل ڤيزينيا)، وقادَ برون الطَّريق. تارةً أو تارتَين اختلسَ تيريون النَّظر من فوق كتفه ليرى إن كان هناك من يتبعهما، لكن لم يكن هناك ما يُرى بخلاف الرَّعاع المعتادين؛ حوذي يضرب حصانه، عجوز تُفرِغ وعاء فضلات من نافذتها، صبيَّان صغيران يتشاجَران بالعِصي، ثلاثة من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة يسوقون سجينًا... كلهم تبدو عليهم البراءة، لكن أيًّا منهم قد يكون السَّبب في هلاكه، فمُخبِرو ڤارس في كلِّ مكان.

انعطفا عند ناصية، ومرَّةً أخرى عند التَّالية، ومَرَّا ببُطءٍ وسط حشدٍ من النِّسوة عند بئر، وقاده برون عبر عطفةٍ متعرِّجة ثم زُقاق وتحت قنطرةٍ مكسورة، واختصَرا الطَّريق من خلال أطلال منزلٍ محترق وصعدا بحصانيهما سُلَّمًا حجريًّا قصيرًا. كانت المباني دانيةً من بعضها بعضًا للغاية وبالغة الفقر، وتوقَّف برون عند مدخل زُقاقٍ معوج أضيق من أن يَدخُله الاثنان جنبًا إلى جنب، وقال: «هناك مدخلان ضيِّقان ثم نهاية مسدودة. الخمَّارة في قبو المبنى الأخير».

ترجَّل تيريون قائلًا: «احرص على عدم دخول أو خروج أحد قبل أن أعود. لن أستغرق طويلًا»، ودَسَّ يده داخل معطفه ليتأكَّد من أن الذَّهب لا يزال في الجيب السِّرِّي، الثَّلاثين تنِّينًا. ثروة فاحشة لرجلٍ مِثله. أسرعَ يقطع الزُّقاق متمايلًا ومتلهِّفًا للفروغ من هذا الأمر.

كانت الخمَّارة موحشةً، تسود فيها العتمة والرُّطوبة، ويُلَوِّث النَّطرون حوائطها، وينخفض سقفها لمستوًى كان ليُجبر برون على طأطأة رأسه كي لا يصدم العوارض، وهو ما لم يُمَثِّل لتيريون لانستر مشكلةً. في هذه السَّاعة كانت الحُجرة الأماميَّة خاليةً إلَّا من المرأة ميتة العينين التي جلسَت على كرسيٍّ وراء مشربٍ من الخشب الخشن، وناولَته كوبًا من النَّبيذ المُر قائلةً: «في المؤخِّرة».

وجدَ الحُجرة الخلفيَّة أكثر إظلامًا، لا ضوء فيها إلَّا شمعة متذبذبة على مائدةٍ واطئة إلى جوار إبريقٍ من النَّبيذ. لم يبدُ الرَّجل الجالس إلى المائدة خطرًا على الإطلاق، فهو قصير القامة -مع أن الجميع يبدون طوالًا لتيريون- وشَعره بنِّي خفيف ووجنتاه متورِّدتان وبطنه كبير يبرز من تحت سُترته الجِلد ذات الأزرار العظميَّة، وبيديه النَّاعمتين يحمل قيثارةً خشبيَّةً ذات اثني عشر وترًا، قيثارةً قمينة بأن تكون مميتةً أكثر من السَّيف الطَّويل.

جلسَ تيريون قبالته قائلًا: «سايمون لسان الفضَّة».

حنى الرَّجل رأسه لتلوح قمَّته الصَّلعاء، وقال: «حضرة اليد».

- «خطأ. أبي هو يد الملك، أمَّا أنا فأخشى أني لم أعد مجرَّد إصبع حتى».

- «ستنهض من جديد، إنني واثق. سيِّدتي العزيزة شِاي تقول إنك

تزوَّجت. ليتك أرسلت في طلبي. كان ليُشرِّفني أن أغنِّي في زفافك».

- «آخِر ما تحتاج إليه زوجتي هو المزيد من الأغاني. أمَّا شِاي فكلانا يعلم أنها ليست من السيِّدات، وسأشكرك إذا لم تنطق اسمها بصوتٍ عالٍ».

قال سايمون: «كما يأمر حضرة اليد».

آخِر مرَّةٍ رآه تيريون كانت كلمة غليظة منه كافيةً لجعل الرَّجل يتصبَّب عَرَقًا، لكن يبدو أن المغنِّي عثرَ على شيءٍ من الشَّجاعة في مكانٍ ما. في هذا الإبريق غالبًا. أو ربما يكون تيريون الملوم على هذه الجرأة المستجدَّة. هدَّدته ولم أنفِّذ تهديدي، والآن يظنُّني ضعيفًا. زفرَ وقال: «أخبَروني أنك مغنٍّ موهوب للغاية».

- «لُطف بالغ منك أن تقول هذا يا سيِّدي».

منحَه تيريون ابتسامةً رفيعةً قائلًا: «أعتقدُ أن الوقت حانَ لأن تأخذ موسيقاك إلى المُدن الحُرَّة. إنهم يعشقون الغناء في (براڤوس) و(پنتوس) و(لِيس)، ويُغدِقون بالعطاء على من يروقهم غناؤهم»، ورشفَ من النَّبيذ ليجده رديئًا وإنما قوي، ثم تابعَ: «الأفضل أن تدور على المُدن التِّسع كلِّها، فلست تُريد أن تحرم أحدًا من بهجة الاستماع إليك. سنة في كلِّ مدينة تكفي»، ومَدَّ يده داخل معطفه حيث أخفى الذَّهب مواصلًا: «ما دامَ الميناء مغلقًا عليك أن تذهب إلى (وادي الغسق) وتستقلَّ سفينةً من هناك، لكن رجلي برون سيجد لك حصانًا، وسيُشرِّفني أن تسمح لي بأن أدفع تكلفة سفرك...».

قاطعَه الرَّجل محتجًا: «لكنك لم تسمعني أغنِّي يا سيِّدي. أصغِ لحظةً من فضلك»، وتحرَّكت أصابعه برشاقةٍ على أوتار القيثارة، وملأَت الأنغام القبو إذ بدأ سايمون يُغنِّي.

ركبَ في شوارع المدينة
نازلًا من تلِّه العالي
عبر الحارات والأعتاب والأحجار
ركبَ إلى تنهيدة امرأة
هي عاره ونعيمه



هي كنزه وسِرُّ الأسرار
وهل تُقارَن سلسلة من الأيدي
بقُبلة امرأة؟

قطعَ الرَّجل الأغنيَّة قائلًا: «هناك المزيد، أوه، الكثير جدًّا. اللَّازمة تحديدًا جميلة في رأيي. فالأيدي الذَّهب دومًا باردة، لكن يدَيْ المرأة تشعَّان دفئًا...».

قال تيريون مخرجًا يده خاليةً من المعطف: «كفى. لا أريدُ أن أسمع هذه الأغنيَّة ثانيةً أبدًا».

رَدَّ سايمون لسان الفضَّة: «حقًّا؟»، ووضعَ القيثارة جانبًا وأخذَ رشفةً من النَّبيذ، ثم قال: «مؤسف. لكن لكلِّ رجلٍ أغنيَّته، كما اعتادَ أستاذي القديم أن يقول وهو يُعَلِّمني العزف. قد يروق اللَّحن آخَرين أكثر. الملكة ربما، أو السيِّد والدك».

حَكَّ تيريون ندبة أنفه قائلًا: «أبي لا يملك وقتًا للمغنِّين، وأختي ليست بالكرم الذي تحسبه. الحصيف يستطيع أن يجني من الصَّمت أكثر مما سيجنيه من أغنيَّة». لا يُمكنه أن يقولها بوضوح أكثر.

بدا أن سايمون أدركَ ما يعنيه سريعًا، وقال: «ستجد سِعري متواضعًا يا سيِّدي».

- «عظيم، أخبِرني». لن تكون هذه مسألة ثلاثين تنِّينًا ذهبيًّا.

قال الرَّجل: «ستكون هناك مسابقة للمغنِّين في زفاف الملك چوفري».

- «وحُواة، ومهرِّجين، ودببة راقصة».

- «دُب راقص واحد فقط يا سيِّدي»، قال سايمون الذي يبدو بوضوح أنه انتبهَ لترتيبات سرسي أكثر من تيريون بكثير. «لكن سبعة مغنِّين: جاليون ابن (كاي)، وبثاني ذات الأصابع النَّاعمة، وإيمون كوستاين، وألاريك الآيزيني، وهاميش ذو القيثارة، وكوليو كُوانيس، وأورلاند ابن (البلدة القديمة). كلُّهم سيتنافَسون على عودٍ مذهَّب بأوتار فضِّيَّة... لكن لأسبابٍ مجهولة لم يتلقَّ أحسنهم جميعًا دعوةً».

- «دعني أخمِّنُ. سايمون لسان الفضَّة؟».

ابتسمَ سايمون بتواضُعٍ قائلًا: «إنني مستعدٌّ لإثبات صحَّة هذا التَّباهي أمام

الملك والبلاط. هاميش عجوز، وكثيرًا ينسى ما يُغَنِّيه، وكوليو بتلك اللَّهجة التايروشيَّة السَّخيفة! إذا فهمت كلمةً من ثلاثة فعُدَّ نفسك محظوظًا».

- «أختي العزيزة هي المسؤولة عن تجهيزات المأدبة. حتى إذا استطعتُ تدبير هذه الدَّعوة لك، فقد يبدو الأمر غريبًا. سبع ممالك، سبعة نذور، سبع مباريات، سبعة وسبعون طبقًا... لكن ثمانية مغنِّين؟ ماذا سيقول السِّبتون الأعلى؟».

- «لم تُعطِني انطباعًا بأنك رجل متديِّن يا سيِّدي».

- «التَّديُّن ليس الغرض، ولكن ينبغي الحفاظ على مظاهر بعينها».

رشفَ سايمون من نبيذه، وقال: «ولو... حياة المطربين ليست خاليةً من الأخطار. إننا نغنِّي في الحانات والخمَّارات أمام السَّكارى المنفلتين، وإذا تعرَّض أحد من اختارَتهم أختك إلى حَظٍّ عاثرٍ ما، فأرجو أن تضعني في الاعتبار لأحلَّ محلَّه»، وابتسمَ بخبثٍ وهو يتورَّد سرورًا من نفسه.

- «ستَّة مغنِّين لا يَصلُحون كثمانية بالتَّأكيد. سأستعلمُ عن صحَّة مطربي سرسي السَّبعة، وإذا أصابَت أحدهم وعكة ما فسيجدك رجلي برون».

- «عظيم يا سيِّدي». كان يُمكن أن يكتفي سايمون بهذا القَدر، لكن الظَّفر جعلَه يُضيف بأوداج منتفخة: «سأغنِّي في زفاف الملك چوفري. إذا حدثَ أن استُدعيتُ إلى البَلاط، فعليَّ أن أقدِّم للملك أفضل مؤلَّفاتي، أغانيَ ردَّدتها ألف مرَّة وأضمنُ أن تَسُرَّه، لكن إذا وجدتُ نفسي يومها في خمَّارةٍ كئيبة... ستكون فُرصةً ملائمةً لتجربة أغنيَّةٍ جديدة. فالأيدي الذَّهب دومًا باردة، لكن يدَيْ المرأة تشعَّان دفئًا».

قال تيريون: «لن يكون ذلك ضروريًّا. لك كلمتي كلانستر، سيزورك رجلي برون قريبًا».

- «رائع يا سيِّدي»، قال المغنِّي ذو البطن الكبير والرَّأس المائل إلى الصَّلع، وعادَ يلتقط قيثارته.

كان برون منتظرًا مع الحصانين عند مدخل الزُّقاق، وساعدَ تيريون على الرُّكوب متسائلًا: «متى آخذه إلى (وادي الغسق)؟».

دارَ تيريون بفَرسه مجيبًا: «لن تأخذه. أعطِه ثلاثة أيام، ثم أخبره أن هاميش ذا القيثارة كسرَ ذراعه. قُل له إن ثيابه لا تَصلُح للبلاط على الإطلاق، ويجب

أن تأخذه إلى الخيَّاط ليأخذ مقاساته من أجل ثوب جديد. لن يتردَّد في الذَّهاب معك»، وأضافَ بتجهُّم: «قد تُريد أن تأخذ لسانه، فهو مصنوع من الفضَّة حسبما فهمتُ، أمَّا بقيَّته فيجب ألَّا يُعثَر عليها إطلاقًا».

قال برون بابتسامةٍ عريضة: «ثمَّة محل أكل أعرفه في (جُحر البراغيث) يُقَدِّم أفضل وعاء من البنِّي. سمعتُ أن فيه جميع أنواع اللَّحم».

قال تيريون: «تأكَّد من ألَّا آكل هناك أبدًا»، وهمزَ الفَرس لتَخُبَّ عائدة به إلى القلعة. إنه يرغب في حمَّام، ويُحَبِّذ أن يكون ساخنًا جدًّا.

لكن حتى هذه المتعة البسيطة حُرِمَ إياها، فلحظة أن عادَ إلى مسكنه أبلغَه پودريك پاين بأنه مطلوب في (بُرج اليد)، وقال: «حضرة اللورد يُريد أن يراك، اليد، اللورد تايوين».

- «أذكرُ مَن هو اليد يا پود. لقد فقدتُ أنفي لا عقلي».

ضحكَ برون قائلًا: «لا يجعلنَّك الغيظ تُحَطِّم رأس الصَّبي».

- «ولِمَ لا؟ إنه لا يستخدمه أبدًا». تساءلَ تيريون عمَّا فعله. أو ما فشلتُ في فعله بالأحرى. استدعاء اللورد تايوين إياه دائمًا له أنياب، فلم يَحدُث قَطُّ أن طلبَه أبوه ليُشاركه وجبةً أو كأسًا من النَّبيذ.

عندما دخلَ غُرفة أبيه الشَّمسيَّة بَعد دقائق قليلة سمعَ صوتًا يقول: «... خشب الكرز للغِمدين، ملفوف بالجلد الأحمر ومزيَّن بصَفٍّ من رؤوس الأُسود الذَّهب، مع عقيق أحمر للأعيُن...».

قال اللورد تايوين: «ياقوت. العقيق الأحمر يفتقر إلى الوهج».

تنحنحَ تيريون قائلًا: «سيِّدي، هل أرسلت في طلبي؟».

رفعَ أبوه عينيه مجيبًا: «نعم. تعالَ ألقِ نظرةً على هذا». على المنضدة بينهما وُضِعَت لفافة من القماش المشمَّع، وحملَ اللورد تايوين سيفًا طويلًا بيده. «هديَّة زفاف لچوفري». كان الضَّوء المتدفِّق من ألواح الزُّجاج ذات الشَّكل الماسي يجعل النَّصل يَبرُق بالأسود والأحمر واللورد تايوين يُدَوِّر النَّصل ليتفحَّص الحافة، بينما اتَّقدت القبيعة والواقي العرضي ذهبًا. «مع كلِّ تلك الثَّرثرة الفارغة عن ستانيس وسيفه السِّحري، خطرَ لي أن علينا أن نمنح چوفري شيئًا خارقًا للعادة أيضًا. يجب أن يحملَ الملك سلاحًا يليق بملك».

قال تيريون: «هذا السَّيف أعظم من أن يَصلُح لچوفري».

قال أبوه: «سيعتاده. هاك، اختبر وزنه»، وناولَه السَّيف من المقبض.

وجدَه أخفَّ كثيرًا مما توقَّع، وإذ دوَّره في يده فطنَ للسَّبب. معدن واحد فقط يُمكن أن يُطَرَّق حتى يُصبح بهذه الرِّقَّة ويظلُّ قويًّا صالحًا للقتال، ولا مجال للخلط في تعرُّف هذه التَّموُّجات التي تدلُّ على أن الفولاذ طُوِيَ على نفسه آلاف المرَّات. «فولاذ ڤاليري؟».

أجابَ اللورد تايوين بنبرةٍ تنضح رضا: «نعم».

أخيرًا يا أبي؟ السُّيوف المصنوعة من الفولاذ الڤاليري شحيحة وباهظة الثَّمن، لكن ما زالَ هناك آلاف منها في العالم، وربما مئتان في (الممالك السَّبع) وحدها، ولطالما أزعجَ أباه أن عائلة لانستر لا تملك واحدًا منها. كان لدى ملوك (الصَّخرة) القدامى سلاح كهذا، لكن السَّيف العظيم (الزَّئير البارق) فُقِدَ عندما حملَه الملك تومن الثَّاني معه إلى (ڤاليريا) في مغامرته الحمقاء ولم يَعُد قَطُّ، وكذا لم يَعُد العم جيري، أصغر إخوة أبيه وأكثرهم نزقًا، الذي ذهبَ يبحث عن السَّيف المفقود قبل ثمانية أعوام.

ثلاث مرَّات على الأقل عرضَ اللورد تايوين أن يبتاع سيفًا طويلةً من الفولاذ الڤاليري من عائلاتٍ أدنى وأفقر، لكن عروضه رُفِضَت بحزم في كلِّ مرَّة. هؤلاء اللوردات الصِّغار يُسعِدهم أن يفترقوا عن بناتهم إذا أتاهم ابن للانستر طالبًا يدهن، لكنهم يدَّخرون سيوف عائلاتهم القديمة طيلة العُمر.

تساءلَ تيريون من أين أتى المعدن لهذا السَّيف. قليلون من أساتذة الحدادة يستطيعون إعادة تشكيل الفولاذ الڤاليري القديم، لكن أسرار صناعته ضاعَت حينما جاءَ الهلاك (ڤاليريا). قال وهو يُدَوِّر النَّصل في ضوء الشَّمس: «الألوان غريبة». معظم الفولاذ الڤاليري رمادي داكن للغاية حتى يكاد يبدو أسود، وهو ما يراه في هذا السَّيف، لكن الطَّيَّات تضمُّ أحمر قانيًا للغاية أيضًا، ويلتفُّ كلا اللَّونين حول أحدهما الآخَر دون أن يتماسَّا أبدًا، ويبدو كلُّ تموُّج مميَّزًا عن غيره، كأن أمواجًا من اللَّيل والدَّم تتلاطَم وتتكسَّر على ساحلٍ منَ الفولاذ. «كيف توصَّلت إلى هذه الزَّخرفة؟ إنني لم أرَ شبيهًا لها قَطُّ».

قال صانع السِّلاح: «ولا أنا يا سيِّدي. يجب أن أقرَّ بأن هذه الألوان ليست ما انتويته، ولا أدري إن كنتُ أستطيعُ تكرارها. السيِّد والدك طلبَ لون عائلتكم القرمزي، وهو اللَّون الذي سعيتُ إلى إدماجه في المعدن، لكن

الفولاذ الڤاليري عنيد حقًّا. يُقال إن هذه السُّيوف القديمة ذاكرتها قويَّة ولا تتغيَّر بسهولة. ألقيتُ بصفيحة تعويذة وظللتُ أحاولُ أن أجعل الأحمر أفتح، لكن اللَّون ظَلَّ يغمقُّ كلَّ مرَّة كأن النَّصل يمتصُّ ضوء الشَّمس منه، كما أن بعض الطِّيَّات رفضَ أن يتشرَّب الأحمر على الإطلاق كما ترى. إذا كانت النَّتيجة لا تُرضي اللوردين لانستر، فسأظلُّ أجرِّبُ ثانيةً بالطَّبع، لكن...».

قاطعَه اللورد تايوين: «لا داعي. هذا يَصلُح».

قال تيريون: «قد يتألَّق السَّيف القرمزي ويُبهِر الأعيُن في الشَّمس، لكن الحقيقة أن هذه الألوان تروقني أكثر. إن فيها جمالًا ما قابضًا... وتجعل هذا السَّيف فريدًا، فلا أعتقدُ أن هناك مثيلًا له في العالم».

رَدَّ صانع السِّلاح: «هناك واحد»، ومالَ على المنضدة وفَضَّ لفافة المشمَّع كاشفًا عن سيفٍ طويلٍ ثانٍ.

وضعَ تيريون سيفَ چوفري والتقطَ الثَّاني. إن لم يكونا توأمين، فهما ابنا عمومةٍ من الدَّرجة الأولى على الأقل. هذا أثقل وأكثر سُمكًا، وأعرض بنصف بوصة وأطول بثلاث، لكن الاثنين يشتركان في الخطوط الرَّفيعة النَّظيفة والألوان المميَّزة نفسها، تموُّجات اللَّيل والدَّم. في نصل السَّيف الثَّاني ثلاثة أخاديد طوليَّة عميقة لتخفيف الحركة تمتدُّ من المقبض إلى الرَّأس، أمَّا في سيف الملك فاثنان فقط، وإن كانت الزِّينة في مقبض سيف چوفري أكثر بكثير، إذ يتَّخذ ذراعا الواقي العرضي شكل كَفَّيْ أسد مخالبهما المفتوحة من الياقوت الأحمر، بينما يشترك المقبضان في كونهما من الجِلد الأحمر الثَّمين واتِّخاذ القبيعتيْن شكل رأس أسدٍ ذهبي.

– «مذهل». حتى في يدٍ غير خبيرة كيده أحسَّ تيريون بالسَّيف حيًّا. «لم أشعر بتوازُنٍ أفضل من هذا قَطُّ».

– «إنه لابني».

لا حاجة للسُّؤال عن الابن الذي يقصده. وضعَ تيريون سيف چايمي على المنضدة إلى جوار سيف چوفري وهو يتساءَل إن كان روب ستارك سيَترُك أخاه يعيش حتى يحمله. لا بُدَّ أن أبانا يؤمن بهذا، وإلَّا لِمَ أمَرَ بصُنع السَّيف؟

قال اللورد تايوين لصانع السِّلاح: «أحسنت عملًا أيها المعلِّم موت. سيتولَّى وكيلي أجرك، لكن تذكَّر، ياقوت للغِمدين».

قال الرَّجل: «سأفعلُ يا سيِّدي. إنك في غاية الكرم»، وعادَ يلفُ السَّيفين بالمشمَّع ودَسَّ اللُّفافة تحت إبطه، ثم ركعَ على رُكبةٍ واحدة مضيفًا: «يُشَرِّفني أن أخدم يد الملك. سأجلبُ السَّيفين في اليوم السَّابق للزِّفاف».

- «احرص على هذا».

تسلَّق تيريون إلى كرسيٍّ بَعدما قادَ الحَرس الرَّجل إلى الخارج، وقال: «طيِّب... سيف لجوفري وسيف لچايمي، ولا حتى مجرَّد خنجر للقزم. أهكذا إذن يا أبي؟».

- «الفولاذ كان يكفي نصلين فقط لا ثلاثة. إذا كنت تُريد خنجرًا فخُذ واحدًا من مستودع السِّلاح. روبرت تركَ مئةً عندما ماتَ. جيريون أهداه في زفافه خنجرًا مذهَّبًا بمقبض من العاج وقبيعةٍ من الصَّفِّير، ونِصف المبعوثين الذين جاءوا البلاط حاوَلوا مداهَنة جلالته بإهدائه السَّكاكين المحلَّاة بالجواهر والسُّيوف المزخرفة بالفضَّة سعيًا إلى حظوته».

ابتسمَ تيريون قائلًا: «كان ليرضى أكثر لو أهدوه بناتهم».

- «لا ريب. النَّصل الوحيد الذي استخدمَه كان سكِّين الصَّيد الذي أعطاه چون آرن إياه في صِباه»، ولوَّح اللورد تايوين بيده مغيِّرًا موضوع الملك روبرت وسكاكينه، وسألَ تيريون: «ماذا وجدت على ضفَّة النَّهر؟».

- «أوحالًا وبعض الأشياء الميتة التي لم يُكلِّف أحد نفسه عناء دفنها. قبل أن نفتح الميناء ثانيةً لا بُدَّ من رفع الوحل والرَّمل من قاع (النَّهر الأسود)، وتحطيم السُّفن الغارقة أو جَرِّها. ثلاثة أرباع الأرصفة في حاجة إلى إصلاحات، وبعضها يجب هدمه وإعادة بنائه. سوق السَّمك كلُّها لم تَعُد موجودةً، وكلتا (بوَّابة الملك) و(بوَّابة الطَّمي) هشَّمتهما مدكَّات ستانيس ولا بُدَّ من استبدالهما. جِلدي يقشعرُّ لمجرَّد التَّفكير في التَّكلفة». أرادَ أن يقول: إذا كنت تتبرَّز ذهبًا حقًّا يا أبي، فادخُل المرحاض واشرع في العمل، لكنه أعقل من أن يقولها.

- «ستجد الذَّهب المطلوب كلَّه».

- «حقًّا؟ أين؟ قلتُ لك إن الخزانة فارغة، ولم نَفرُغ بعدُ من تسديد ثَمن النَّار الشَّعواء للخيميائيِّين، ولا ثَمن سلسلتي للحدَّادين، وسرسي تعهَّدت بأن

يدفع التَّاج نِصف تكاليف زفاف چوفري... سبعة وسبعون صنفًا من الطَّعام، وألف من الضُّيوف، وكعكة مليئة بالحمام، ومغنُّون، وحُواة...».

- «التَّبذير له فوائده. يجب أن نستعرض قوَّة وثروة (كاسترلي روك) لتراها البلاد كلُّها».

- «ربما يَجدُر إذن بـ(كاسترلي روك) أن تدفع».

- «لماذا؟ لقد رأيتُ دفاتر الإصبع الصَّغير. دخول التَّاج أعلى عشر مرَّات مما كانت في عهد إيرس».

- «ونفقات التَّاج كذلك. روبرت كان سخيًّا في إنفاق المال كما كان في استخدام قضيبه، والإصبع الصَّغير كان يقترض بكثرة، منك ضمن آخَرين. نعم، الدُّخول غزيرة، لكنها تكفي بالكاد لتغطية الفوائد على قروض الإصبع الصَّغير. هل ستعفو عن ديون العرش لعائلة لانستر؟».

- «لا تكن سخيفًا».

- «إذن سبعة أطباق تكفي، وثلاثمئة ضيف بدلًا من ألف. على حَدِّ علمي الزَّواج يظلُّ مُلزِمًا دون دُبٍّ راقص».

- «سيحسبنا آل تايرل بُخلاء. أريدُ الزِّفاف وضفَّة النَّهر، وإذا كنت لا تستطيع دفع تكلفتهما فقُل هذا وسأجدُ أمين نقدٍ يستطيع».

ليس عار صرفه من وظيفته بَعد فترةٍ قصيرةٍ للغاية بالشَّيء الذي يرغب تيريون في اختباره، وهكذا قال: «سأجدُ النُّقود».

قال أبوه بصرامة: «ستفعل، وبهذه المناسبة حاوِل أن تجد طريقك إلى فِراش زوجتك أيضًا».

وصلَ الكلام إلى مسامعه إذن. «وجدته، شكرًا. إنه قطعة الأثاث بين النَّافذة والمستوقَد ذات المظلَّة المخمل والحشيَّة المبطَّنة بريش الإوز».

- «يَسُرُّني أنك تعرفه، وأحرى بك الآن أن تعرف المرأة التي تُقاسِمك إياه».

المرأة؟ تعني الطِّفلة. «هل همسَ عنكبوت معيَّن في أُذنك أم أن عليَّ أن أشكر أختي الجميلة؟». باعتبار الأشياء التي تجري تحت أغطية سرسي، كان ليحسب أنها لن تدسَّ أنفها في هذا الشَّأن. «أخبرني، لماذا جميع وصيفات سانزا نساء في خدمة سرسي؟ لقد سئمتُ التَّجسُّس عليَّ في مسكني».

- «إذا كنت غير راضٍ عن خادمات أختك فاصرفهن وعيِّن أخريات يَرُقنك أكثر، فهذا حَقُّك. عذريَّة زوجتك هي ما تهمُّني لا وصيفاتها. هذا... هذا التَّخاذُل يُدهِشني، فلا يبدو أنك تجد صعوبةً في معاشرة العاهرات. هل ثمَّة شيء مختلف في فتاة ستارك؟».

- «لماذا تهتمُّ إلى هذا الحَدِّ بالمكان الذي أضعُ فيه قضيبي؟ سانزا صغيرة للغاية».

- «إنها كبيرة بما يكفي لأن تُصبح سيِّدة (وينترفل) بمجرَّد أن يموت أخوها. خُذ بكورتها وستقترب خُطوةً من أخذ الشَّمال. ضَع طفلًا في بطنها وستكون الثَّمرة جاهزةً للقطاف. هل أحتاجُ إلى تذكيرك بأن الزِّيجة التي لا تتمُّ يُمكن إبطالها؟».

- «على يد السِّپتون الأعلى أو مجلس العقيدة، والسِّپتون الأعلى الحالي كلب بحر مدرَّب على النِّباح بالأمر. فتى القمر أصلح منه لإبطال زواجي».

- «ربما كان يَجدُر بي إذن أن أزوِّج سانزا ستارك بفتى القمر، فلعلَّه يعرف ماذا يفعل معها».

قبضَ تيريون على ذراعَيْ كرسيِّه، وقال: «لقد سمعتُ كلَّ ما أريدُ أن أسمعه عن عذريَّة زوجتي، لكن ما دمنا نتحدَّث عن الزَّواج، فلِمَ لم أسمع شيئًا عن زفاف أختي المقبل؟ حسبما أتذكَّرُ...».

قاطعَه اللورد تايوين: «مايس تايرل رفضَ عرضي تزويج سرسي بوريثه ويلاس».

- «رفضَ جميلتنا سرسي؟!». وضعَ الخبر تيريون في مزاج أحسن كثيرًا.

قال أبوه: «اللورد تايرل بدا ميَّالًا إلى القبول عندما عرضتُ عليه الأمر أول مرَّة، لكن بَعد يوم واحد تغيَّر كلُّ شيء. العجوز السَّبب. إنها تُوبِّخ ابنها بلا رحمة، وڤارس يَزعُم أنها قالت له إن سرسي كبيرة للغاية و«مستعمَلة» للغاية بالنِّسبة لحفيدها الأعرج الغالي».

ضاحكًا قال تيريون: «لا بُدَّ أن سرسي أحبَّت هذا الكلام!».

رمقَه اللورد تايوين بنظرةٍ باردة، وقال: «إنها لا تعلم، ولن تعلم. الأفضل لنا جميعًا أن هذا العرض لم يُقدَّم قَطُّ. اعمل على أن تتذكَّر هذا يا تيريون. العرض لم يُقدَّم قَطُّ».

- «أي عرض؟»، قال تيريون وإحساس يُراوِده بأن اللورد تايرل قد يندم على رفضه.

- «أختك ستتزوَّج، لكن مَن؟ هذا هو السُّؤال. أفكِّرُ في كذا...». قبل أن يُكمِل سمعا دَقَّةً على الباب وأدخلَ حارس رأسه معلنًا حضور المِايستر الأكبر پايسل، فقال اللورد تايوين: «فليَدخُل».

دخلَ پايسل بخُطى ثقيلة متَّكئًا على عُكَّازه، وتوقَّف لحظةً يَرمُق تيريون بنظرةٍ ناريَّة من شأنها أن تُخَثِّر الحليب. كانت لحيته البيضاء سالفة الفخامة -التي حلقَها شخصٌ ما- قد بدأت تنبت من جديدٍ في خيوطٍ رفيعة هزيلة، تاركةً لُغده الوردي القبيح يتدلَّى تحت عُنقه. قال الرَّجل المسنُّ وهو ينحني لأقصى درجةٍ ممكنة دون أن يقع: «حضرة اليد، وصلَنا طائر آخر من (القلعة السَّوداء). هل تسمح بأن نتكلَّم على انفراد؟».

أشارَ اللورد تايوين للمِايستر الأكبر بالجلوس قائلًا: «لا داعي لذلك. تيريون يستطيع البقاء».

أوووه، حقًّا؟ فركَ تيريون أنفه وانتظرَ.

تنحنحَ پايسل، وهو ما تضمَّن الكثير من السُّعال والتَّنَخُّع، ثم قال: «الرِّسالة من باون مارش صاحِب الرِّسالة السَّابقة، أمين القلعة. يقول إن اللورد مورمونت أرسلَ أنباءً عن تحرُّك الهَمج جنوبًا بأعدادٍ غفيرة».

قال اللورد تايوين بحسم: «الأراضي الواقعة وراء (الجِدار) لا تَصلُح لمعيشة أعدادٍ غفيرة. ليس هذا بالتَّحذير الجديد».

- «هذا التَّحذير الأخير جديد يا سيِّدي. اللورد مورمونت أرسلَ طائرًا من (الغابة المسكونة) ببلاغٍ بتعرُّضه للهجوم. عادَ مزيد من الغِدفان منذ ذلك الحين، لكن بلا رسائل. باوِن مارش هذا يخشى أن اللورد مورمونت قد قُتِلَ ومعه رجاله كلُّهم».

سألَ تيريون الذي أحبَّ العجوز چيور مورمونت بأسلوبه الفَظ وطائره المتكلِّم: «أهذا مؤكَّد؟».

أجابَ پايسل: «ليس مؤكَّدًا، لكن أحدًا لم يرجع بعدُ من رجال مورمونت. مارش يخشى أن الهَمج قتلوه، وأن الهجوم التَّالي سيكون على (الجِدار)

نفسه»، ونقَّب في ثوبه حتى عثرَ على الورقة، وقال: «ها هي الرِّسالة يا سيِّدي، مناشَدة للملوك الخمسة كلِّهم. يُريد رجالًا، أكبر عددٍ ممكن».

قال أبوه بضيق: «الملوك الخمسة؟ هناك ملك واحد فقط في (وستروس). على هؤلاء الحمقى مرتديِّي الأسود أن يتذكَّروا هذا إذا أرادوا أن يُصغي جلالته إليهم. عندما تردُّ، قُل له إن رنلي ماتَ والآخرين مدَّعون وخونة».

هَزَّ پايسل رأسه إلى أعلى وأسفل كالدَّجاج قائلًا: «لا شَكَّ أنهم سيسعدون لمعرفة هذا. (الجِدار) في آخِر العالم، وغالبًا تصلهم الأخبار متأخِّرةً. ماذا أقول لمارش بصدد الرِّجال الذين يلتمس إرسالهم؟ هل نعقد المجلس...».

- «لا حاجة إلى ذلك. حَرس اللَّيل قطيع من اللُّصوص والقتلة والفلَّاحين النُّغول، لكني أفكِّرُ في أنهم قد يُثبِتوا غير هذا إذا تمتَّعوا بالانضباط الكافي. إذا ماتَ مورمونت حقًّا، فعلى الإخوة السُّود أن ينتخبوا قائدًا جديدًا».

حدجَ پايسل تيريون بنظرةٍ ماكرة، وقال: «فكرة ممتازة يا سيِّدي، وأعرفُ الرَّجل المطلوب بالضَّبط. چانوس سلينت».

لم ترُق الفكرة تيريون إطلاقًا، فقال مذكِّرًا: «الإخوة السُّود يختارون قائدهم بأنفسهم، وچانوس سلينت حديث العهد بـ(الجدار). أعرفُ هذا لأني أرسلته إلى هناك. لماذا يُؤثِرونه هو على دستةٍ من كبار القيِّمين؟».

أجابَ أبوه بلهجةٍ تنمُّ عن اعتقاده أن تيريون ساذج حقًّا: «لأنهم إذا لم يُصَوِّتوا كما يُقال لهم فسيذوب جِدارهم قبل أن يروا رجلًا إضافيًّا».

فكَّر تيريون: نعم، هذا المنهج يَصلُح، ومالَ إلى الأمام قائلًا: «چانوس سلينت الرَّجل الخطأ يا أبي. الأفضل أن يكون قائد (بُرج الظِّلال) أو (القلعة الشَّرقيَّة) على البحر».

- «قائد (بُرج الظِّلال) ماليستر من (سيجارد)، و(القلعة الشَّرقيَّة) يقودها رجل حديدي». قالت نبرة اللورد تايوين بوضوح إن لا هذا ولا ذاك يَصلُح لتحقيق مأربه.

بإصرارٍ قوي قال تيريون لأبيه: «چانوس سلينت ابن جزَّار. أنت نفسك قلت لي...».

- «أذكرُ ما قلته لك، لكن (القلعة السَّوداء) ليست (هارنهال)، وحَرس اللَّيل ليسوا مجلس الملك. هناك أداة لكلِّ غرضٍ وغرضٌ لكلِّ أداة».

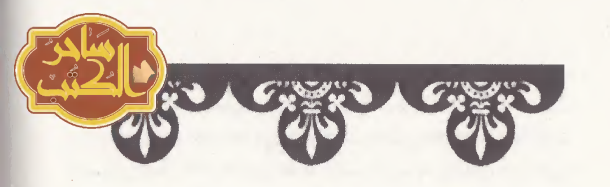
بغضبٍ لم يستطِع أن يكتمه قال تيريون: «اللورد چانوس مجرَّد دِرعٍ جوفاء، وسيبيع نفسه لأعلى مُزايِد».

قال أبوه: «أعدُّ هذه نقطةً في صالحه، فمن سيُلقي عطاءً أعلى منا؟»، ثم التفتَ إلى پايسل قائلًا: «أرسِل غُدافًا. اكتُب أن الملك چوفري حزنَ كثيرًا لخبر وفاة حضرة اللورد مورمونت، لكنه يأسف لعدم استطاعته الاستغناء عن أيِّ رجالٍ في الوقت الحالي بينما يظلُّ الغاصِبون والمتمرِّدون في ميدان القتال. اقترح أن الأمور ستختلف كثيرًا بمجرَّد تأمين العرش... بشرط أن يكون الملك على ثقةٍ تامَّة بقيادة حَرس اللَّيل. في النِّهاية اطلُب من مارش أن ينقل تحيَّات جلالته الحارَّة لصديقه وخادمه المخلص اللورد چانوس سلينت».

عادَ پايسل يهزُّ رأسه العجوز قائلًا: «حاضر يا سيِّدي. سأكتبُ ما يأمر به حضرة اليد بكلِّ سرور».

فكَّر تيريون: كان ينبغي لي أن أقصَّ رأسه لا لحيته، وكان يجب أن يذهب سلينت للسِّباحة مع صديقه العزيز آلار ديم. على الأقل لم يرتكب تيريون تلك الغلطة الحمقاء مع سايمون لسان الفضَّة، حتى إنه أرادَ أن يصيح: أترى يا أبي؟ أترى السُّرعة التي أتعلَّمُ بها دروسي؟





ساموِيل

في الأعلى امرأة تلدُ بصريخ مدوٍّ، وفي الأسفل رجل يموت إلى جوار النَّار، ولا يدري ساموِيل تارلي أيهما يُخيفه أكثر.

كانوا قد غطّوا بانن المسكين بكومةٍ من الفرو وأذكوا النَّار حتى استعرَت، لكنه أخذَ يُرَدِّد بلا انقطاع: «أشعرُ بالبرد، أرجوكم، البرد شديد». حاولَ سام أن يسقيه مرق البصل فلم يستطِع البلع، وظَلَّ المرق يَقطُر من فمه إلى ذقنه بمجرَّد أن يدسَّ سام الملعقة بين شفتيه.

رمقَ كراستر الرَّجل بلا مبالاة وهو ينهشُ قطعةً من السُّجق، وقال: «إنه ميِّت. الأرحم أن تضعوا سكِّينًا في صدره بدلًا من هذه الملعقة في حَلقه إذا طلبتم رأيي».

- «لا أذكرُ أننا فعلنا». لا يزيد طول العملاق -واسمه الحقيقي بيدويك- على الأقدام الخمسة، وإن كان الجميع يستشهدون بقوَّته، وقد وجَّه تعليقه إلى كراستر، ثم التفتَ إلى سام قائلًا: «أيها القاتِل، هل طلبت رأي كراستر؟».

انكمشَ سام من الاسم، لكنه هَزَّ رأسه نفيًا، وملأَ ملعقةً أخرى بالمرق ورفعَها إلى فم بانن محاولًا أن يُدخِلها بين شفتيه بتؤدة.

كان العملاق يقول: «الطَّعام والنَّار كلُّ ما طلبناه منك، وحتى الطَّعام تضنُّ علينا به».

- «فلتمتنُّوا لأني لم أضنَّ عليكم بالنَّار أيضًا». كراستر رجل غليظ الجسد، جعلَته فروة الخروف البالية كريهة الرَّائحة التي يرتديها ليل نهار يبدو أغلظ، وله أنف مسطَّح عريض وفم يميل إلى جانب وجهه وأذن مفقودة، وعلى الرغم من البياض المستشري في شَعره المتلبِّد ولحيته المشعثة ما

زالَت تبدو يداه الخشنتان قويَّتين بما يكفي للأذى. «أطعمتكم ما أقدرُ عليه، لكنكم جائعون دائمًا أيها الغِربان. لو لم أكن رجلًا تقيًا لطردتكم. أتحسب أني أريدُ أن يموت أمثاله على أرضي؟ أتحسبني في حاجةٍ إلى أفواهكم هذه أيها الرَّجل الصَّغير؟»، وبصقَ الهمجي قبل أن يُضيف: «غِربان. قُل لي، هل يأتي طائر أسود دار رجلٍ بالخير أبدًا؟ مُحال، مُحال».

سالَ المزيد من المرق من رُكن فم بانن، فمسحَه سام بطرف كُمِّه. كانت عينا الجوَّال مفتوحتين وإنما بلا بصر، وقال ثانيةً بمنتهى الخفوت: «أشعرُ بالبرد». ربما استطاعَ مِايستر أن يُنقذه، لكنهم بلا مِايستر. قبل تسعة أيام بترَ كِدچ ذو العين البيضاء قدم بانن المشوَّهة، انبجس منها القيح والدَّم ويُصاب سام بالغثيان، لكن أوان الإسعاف كان قد فاتَ، والآن لا تُرَدِّد الشَّفتان الممتقعتان إلَّا: «أشعرُ بالبرد».

حول القاعة كانت مجموعة هزيلة من الإخوة السُّود، منهم مَن أقعى على الأرض ومَن جلس على الدِّكك المتواضعة، ويشرب الجميع أكوابًا من المرق الخفيف نفسه ويلوكون لقيماتٍ من الخُبز الجامد، ويشي منظر اثنين منهم بأن حالهما أسوأ من بانن؛ فورنيو يهذي من الحُمَّى منذ أيام، وكتف السير بيام تنزُّ قيحًا أصفر شنيعًا. عندما غادَروا (القلعة السَّوداء) حملَ برنار البنِّي معه أكياسًا من الصَّبغة المايريَّة ومرهم الخردل والثُّوم المهروس والتانسي والخشخاش ونُحاس الملك وغيرها من أعشاب العلاج، وحتى حُلو الكرى الذي يُهدي المرء موتًا بلا آلام، لكن برنار البنِّي ماتَ فوق (القبضة) ولم يُفَكِّر أحد في البحث عن أدوية المِايستر إيمون. كان هاك على شيءٍ من العلم بالأعشاب باعتباره طاهيًا، لكن هاك أيضًا مفقود، فوقعَ على عاتق الوُكلاء النَّاجين أن يفعلوا ما يقدروا عليه للجرحى، وهو قليل. إنهم جافُّون هنا على الأقل، وهناك نار تُدفِئهم، لكنهم في حاجةٍ إلى طعام أكثر.

كلُّهم في حاجةٍ إلى طعام أكثر. منذ أيام والرِّجال يُدَمدِمون احتجاجًا، وقال كارل ذو القدم المعوجَّة مِرارًا إن كراستر لديه مخزن طعام سرِّي بالتَّأكيد، وبدأ جارث ابن (البلدة القديمة) يحذو حذوه بعيدًا عن أسماع حضرة القائد. فكَّر سام في أن يتوسَّل من كراستر طعامًا مُقيتًا أكثر للجرحى على الأقل، لكنه افتقرَ إلى الشَّجاعة، فعينا الهمجي باردتان قاسيتان، وكلما نظرَ ناحيته

ارتعشَت يداه بعض الشَّيء، كأنهما تُريدان أن تتكوَّرا. هل يعرف أني كلَّمتُ جيلي حين كنا هنا المرَّة السَّابقة؟ هل أخبرَته أني قلتُ لها إننا سنأخذها؟ هل ضربَها حتى أخبرَته؟

قال بانن: «أشعرُ بالبرد، أرجوكم، أشعرُ بالبرد».

على الرغم من الحرارة والدُّخان في قاعة كراستر أحسَّ سام نفسه بالبرد. والتَّعب، كم أنا متعَب. كان يحتاج إلى النَّوم، لكن كلما أغلقَ عينيه حلمَ بالثُّلوج والموتى يتقدَّمون منه بأيدٍ سوداء وأعيُن زرقاء لامعة.

في الأعلى أطلقَت جيلي أنينًا راجفًا تردَّد صداه في القاعة الطَّويلة الواطئة الخالية من النَّوافذ، وسمعَ سام واحدةً من زوجات كراستر الأكبر سِنًّا تقول: «ادفعي، أقوى، أقوى. اصرُخي إذا أردتِ»، وجلجلَت صرخة الفتاة مُجفلةً سام.

التفتَ كراستر محدِّقًا بعبوس، وزعقَ: «سئمتُ هذا الصُّراخ. ناولِيها خرقةً تعضُّها وإلَّا صعدتُ إليها وأذقتها يدي».

يعلم سام أنه لن يتوانى عن تنفيذ وعيده. لكراستر تسع عشرة زوجة، لكن ليست بينهن من تستطيع التَّدخُّل بمجرَّد أن يبدأ صعود السُّلَّم إلى العُلِّيَّة، تمامًا كما لم يستطِع أحد الإخوة السُّود أن يتدخَّل قبل ليلتين عندما أوسعَ إحدى الزَّوجات الأصغر ضربًا، وإن سرَت دمدمة معترضة بينهم، وقال جارث جرينواي: «إنه يَقتُلها»، فردَّ كارل ذو القدم المعوجَّة ضاحكًا: «إذا كان لا يُريد الصَّغيرة الحُلوة فيُمكنه أن يُعطيني إياها»، لكن برنار الأسود أطلقَ سبابًا بصوتٍ غاضب واطئ، بينما نهضَ آلان ابن (روزبي) وخرجَ من القاعة كي لا يسمع، أمَّا الجوَّال رونل هاركلاي فقال لهم مذكِّرًا: «تحت سقفه تسري قواعده. كراستر صديق للحَرس».

صديق، فكَّر سام وهو يسمع صرخات جيلي المكبوتة. كراستر رجل وحشي يَحكُم زوجاته وبناته بقبضةٍ من حديد، لكن داره كانت ملاذًا على الرغم من ذلك، وقد قال هازئًا حين دخلَت عليه القِلَّة المتهالكة التي نجَت من الثُّلوج والجُثث الحيَّة والزَّمهرير: «غِربان متجمِّدون، وسَرب أصغر من الذي حلَّق شمالًا»، إلَّا أنه أعطاهم مكانًا على أرض قاعته وسقفًا يقيهم من الثَّلج ونارًا تُجفِّفهم، وأتَتهم زوجاته بأكوابٍ من النَّبيذ السَّاخن لبَثِّ شيءٍ من

الدِّفء في بطونهم. وصفَهم بالغِربان الملاعين، لكنه أطعمَهم أيضًا، وإن كان الطَّعام غَثًّا.

قال سام لنفسه مذكِّرًا: إننا ضيوفه، وجيلي له، ابنته وزوجته. تحت سقفه تسري قواعده.

أول مرَّةٍ رأى (قلعة كراستر) جاءَته جيلي تتوسَّل العون، وأعارَها سام معطفه الأسود لتُواري بطنها لمَّا ذهبَت تُكَلِّم چون سنو. المفترَض أن يذود الفُرسان عن النِّساء والأطفال. قليلون من الإخوة السُّود فُرسان، ولكن... كلُّنا أخذنا على أنفسنا عهدًا. أنا الدِّرع التي تقي بلدان البَشر. المرأة مرأة، حتى إذا كانت همجيَّةً. يجب أن نُساعِدها، يجب. أخشى ما تخشاه جيلي أن يكون وليدها صبيًّا. كراستر يُنشِئ بناته على أن يكنَّ زوجاته، لكن لا أثر لرجالٍ أو صِبية على أرضه، وجيلي قالت لچون إن كراستر يُعطي أبناءه للآلهة، وهو ما جعلَ سام يدعو: ستلد بنتًا بمشيئة الآلهة.

كتمَت جيلي صرخةً في العُلِّيَّة، وقالت المرأة: «هكذا، دَفعة أخرى الآن. أوه، أرى رأسه».

فكَّر سام ببؤس: رأسها، ترين رأسها.

تمتمَ بانن بوهن: «البرد، أرجوكم، البرد شديد»، فوضعَ سام الوعاء والملعقة جانبًا وألقى فروةً أخرى فوق الرَّجل المحتضِر، وأضاف عصا أخرى إلى النَّار. أطلقَت جيلي صرخةً أخرى وطفقَت تلهث، وقضمَ كراستر من السُّجق الأسود الجامد، الذي كان قد أعلنَ أن عنده منه ما يكفيه وزوجاته فقط.

قال الهمجي متأفِّفًا: «يا للنِّساء وعويلهن... ذات مرَّة كانت عندي خنزيرة سمينة ولدَت ثمانيةً دون أنَّةٍ واحدة»، والتفتَ إلى سام وهو يلوك، وضيَّق عينيه رامقًا إياه باحتقار، وأضافَ: «كانت تكاد تكون سمينةً مِثلك أيها الصَّبي، القاتِل»، وأطلقَ ضحكةً ساخرةً.

لم يَعُد سام يحتمل وقد أصابَه الدُّخان والصُّراخ والأنين بالدُّوار، فابتعدَ باضطرابٍ عن بؤرة النَّار خاطيًا بخَرَقٍ فوق وحول الرِّجال النَّائمين والمقرفصين والمحتضِرين على الأرضيَّة التُّراب الصُّلبة، ثم دفعَ السَّديلة المصنوعة من فروة الأيائل التي تعمل بمثابة باب كراستر، وخرجَ إلى ضوء الأصيل.

كان النَّهار غائمًا لكن ساطعًا بما يكفي لأن يُعميه بَعد عتمة القاعة.

أثقلَت رُقع من الثَّلج فروع بعض الأشجار المحيطة وكسَت الهضاب الذَّهبيَّة والخمريَّة، لكن بصورةٍ أخف من السَّابق. لقد مرَّت العاصفة، والأيام التي أمضوها في (قلعة كراستر) كانت... غير دافئةٍ ربما، لكن ليست قارسة البرودة كذلك، وسمعَ سام صوت تقاطُر الماء النَّاعم من كُتل الجليد التي غطَّت حافة السَّقف المغطَّى بالنَّجيل السَّميك، وأخذَ نفسًا عميقًا راجفًا وتطلَّع حوله.

إلى الغرب كان أولو الأبتر وتيم ستون يتحرَّكان وسط صفوف الخيول، يُطعِمان ويسقيان ما تبقَّى منها، وفي الاتِّجاه الآخَر الذي تهبُّ منه الرِّيح إخوة يذبحون ويسلخون الحيوانات التي تقرَّر أنها أضعف من أن تُواصِل الطَّريق، بينما يدور عدد من الرُّماة وحاملي الحِراب حراسةً وراء السَّاتر الطِّيني الذي يعدُّ دفاع كراستر الوحيد ضد ما يختبئ في الغابة أيًّا كان، وارتفعَت ألسنة كثيفة من الدُّخان الرَّمادي المزرق من دستةٍ من بؤر النَّار. تناهَت إلى مسامع سام أصداء الفؤوس البعيدة التي يُعمِلها الرِّجال في الغابة، حيث تجمع زُمرة منهم ما يكفي من حطبٍ للحفاظ على النَّار مضطرمةً خلال اللَّيل، واللَّيل وقت سيِّئ، لا يعرف فيه المرء إلَّا الظَّلام والبرد.

لم يتعرَّضوا لهجماتٍ أخرى وهُم مقيمون عند كراستر، لا من الجُثث الحيَّة أو (الآخَرين)، وأكَّد كراستر أنهم آمنون، وقال: «الرَّجل التَّقي لا يخشى شيئًا من ذلك. هذا ما قلته لمانس رايدر مرَّةً عندما جاءَ يتشمَّم الأجواء هنا، لكنه لم يُصغِ مِثلما لم تُصغوا أيها الغِربان بسيوفكم ونيرانكم الخائبة التي لن تُساعِدكم مقدار ذرَّة حين يأتي البرد الأبيض. لا أحد غير الآلهة سينجدكم عندها، وخيرٌ لكم أن تتوبوا إليها».

جيلي أيضًا تحدَّثت عن البرد الأبيض وذكرَت القرابين التي يُقدِّمها كراستر لآلهته، وأرادَ سام أن يَقتُله عندئذٍ، لكنه عادَ يُذكِّر نفسه الآن: لا توجد قوانين وراء (الجدار)، وكراستر صديق للحَرس.

تصاعدَت صيحة خشنة من وراء القاعة المبنيَّة من الجِصِّ والأغصان المجدولة، فذهبَ سام يُلقي نظرةً. كانت الأرض تحت قدميه مستنقعًا من الثُّلوج الذَّائبة والأوحال الطَّريَّة التي أصرَّ إد الكئيب أنها خراء كراستر، لكن الأوحال أثخن من الخراء، وراحَت تمتصُّ حذاء سام بقوَّةٍ حتى إنه شعرَ بإحدى الفردتين تنفكُّ.

وراء حديقة فواكه وحظيرة غنم خاوية كان بعض الإخوة السُّود يُطلِقون السِّهام على هدفٍ صنعوه من التِّبن والقَش، وقُرب عين الهدف انغرسَ سهم سدَّده الوكيل الأشقر الرَّفيع المسمَّى دونل المرِح من مسافة خمسين ياردة، قبل أن يقول: «تفوَّق على هذه الإصابة أيها العجوز».

- «نعم، سأفعلُ»، قال أولمر ذو الظَّهر المحني واللِّحية الشَّائبة والبشرة الرَّخوة والأطراف الطَّويلة، ثم توقَّف عند العلامة المرسومة على الأرض وسحبَ سهمًا من الجَعبة المثبَّتة إلى خصره. في شبابه كان خارجًا عن القانون، عضوًا في العصابة سيِّئة السُّمعة المسمَّاة أخوَّة غابة الملوك، ويَزعُم أنه أصابَ الثَّور الأبيض فارس الحَرس الملكي بسهم في يده في سبيل أن يسرق قُبلةً من شفتَيْ أميرة دورنيَّة. حكى أنه سرقَ جواهرها أيضًا، وصندوقًا من التَّنانين الذَّهبيَّة، لكن ما يتباهى به عندما يشرب هو القُبلة. ثبَّت أولمر السَّهم إلى الوتر وسحبَه بنعومة الحرير الصَّيفي ثم تركَه يُحلِّق، فأصابَ عين الهدف على مسافة نِصف بوصةٍ من سهم دونل هيل، وتراجعَ قائلًا: «أيكفي هذا يا ولد؟».

أجابَ الرَّجل الأصغر على مضض: «لا بأس. الرِّيح المتعامدة ساعدَتك، كانت تهبُّ بقوَّةٍ عندما أطلقتُ سهمي».

- «كان عليك أن تضعها في حسابك إذن. نظرتك ثاقبة ويدك ثابتة، لكنك تحتاج إلى ما هو أكثر بكثير لتتفوَّق على أحد إخوة غابة الملوك. فلتشر ديك هو من أراني كيف أشدُّ الوتر، وهو أعظم رامٍ في التَّاريخ كلِّه. هل حكيتُ لك عن ديك العجوز؟».

- «ثلاثمئة مرَّة فقط». كلُّ رجلٍ في (القلعة السَّوداء) سمعَ حكايات أولمر عن عصابة الخارجين عن القانونً العظيمة التي ذاعَ صيتها في الماضي؛ عن سيمون توين والفارس الباسم، وعن أوزوين ذي العُنق الطَّويل المشنوق ثلاثًا، ووندا الظَّبية البيضاء، وفلتشر ديك، وبن ذي البطن الكبير، والباقين. باحثًا عن مهرب، تطلَّع دونل هيل حوله ولمحَ سام واقفًا في الوحل، فناداه: «أيها القاتِل، تعالَ وأرِنا كيف قتلت (الآخَر)»، ومَدَّ يده بقوسه الطَّويل المصنوع من خشب الطَّقسوس.

تورَّد وجه سام، وقال: «لم أستخدم سهمًا، بل خنجر من زُجاج التنِّين...».

إنه يعرف ما سيَحدُث إذا أخذَ القوس. سيُخطئ الهدف ويطير السَّهم بعيدًا فوق السَّاتر الطِّيني ليختفي بين الأشجار، ثم سيسمع الضَّحكات.

قال آلان ابن (روزبي)، وهو قوّاس بارع آخَر: «لا يهمُّ. كلُّنا نتوق إلى رؤية القاتِل يرمي السِّهام، أليس كذلك يا أولاد؟».

لم يستطِع سام أن يُواجِههم بابتساماتهم الهازئة ونِكاتهم القاسية والازدراء في أعيُنهم، ودارَ ليعود من حيث أتى، لكن قدمه اليُمنى غاصَت في الوحل، ولمَّا حاولَ أن يسحبها انخلعَت فردة الحذاء، واضطرَّ إلى الرُّكوع كي يستطيع انتزاعها من الأرض بينما ترنُّ ضحكاتهم في أُذنيه. حين لاذَ بالفرار أخيرًا كان يحسُّ بالبلل ينفذ إلى قدمه على الرغم من جواربه الكثيرة، وبتعاسةٍ قال لنفسه: عديم الفائدة. أبي رآني على حقيقتي. لا حَق لي في البقاء حيًّا وقد ماتَ شُجعان عديدون.

كان جرِن يعمل على بؤرة النَّار جنوب البوَّابة، يقف بجذعٍ عارٍ يَشطُر الحطب، وجهه محتقن من فرط الجهد، والعَرق الحار يتفصَّدً من مسامِّه، لكنه ابتسمَ ملء شدقيه إذ رأى سام يقترب منه لاهثًا بخشونة، وقال: «هل أخذَ (الآخَرون) حذاءك أيها القاتِل؟».

حتى أنت يا جرِن؟ «الوحل. أرجوك لا تَدعُني بهذا الاسم».

قال جرِن بلهجةٍ صادقة: «لماذا؟ إنه اسم جيِّد، وأنت استحقَقته عن جدارة».

لطالما مازحَ پيپ جرِن قائلًا إنه بطيء الفهم، وعليه شرحَ سام بصبرٍ وهو واقف على قدمه اليُسرى ويدسُّ اليُمني في فردة الحذاء الملطَّخة بالوحل: «إنها مجرَّد وسيلة أخرى لوصفي بالجُبن. إنهم يسخرون مني كما يسخرون من بيدويك بتلقيبه بالعملاق».

رَدَّ جرِن: «لكنه ليس عملاقًا، وپول لم يكن صغيرًا، أو ربما كان وهو رضيع، لكن ليس بَعدها. أمَّا أنت فقتلت (الآخَر). هذا غير ذاك».

– «أنا... إنني لم... كنتُ خائفًا!».

– «ليس أكثر مني. پيپ فقط هو مَن يقول إنني أغبى من أن أشعر بالخوف، لكني أخافُ كأيِّ أحد»، ومالَ جرِن يلتقط قطعةً من الخشب ألقاها في النَّار مواصلًا: «اعتدتُ أن أخاف چوِن متى واجَهته في التَّدريب. كان سريعًا

للغاية، ويُقاتِل كأنه يسعى إلى قتلي»، واستقرَّ الخشب الأخضر الرَّطب في اللَّهب والدُّخان يتصاعَد منه قبل أن تتمسَّك به النَّار، بينما تابعَ جرن: «لم أقل هذا لأحدٍ قَطُّ. أحيانًا يَخطُر لي أن الجميع يتظاهَرون بالشَّجاعة، لكن لا أحد منا شُجاع حقًّا. لعلَّ التَّظاهُر بالشَّجاعة يُعَلِّمك إياها، لا أدري. فليُنادوك بالقاتِل، مَن يُبالي؟».

- «أنت لم تُحِبَّ قَطُّ أن يُناديك السير أليسر بالثَّور».

حَكَّ جرن لحيته مجيبًا: «كان يعني أني كبير وغبي، لكن إذا أرادَ پيپ أن يدعوني بالثَّور فلا بأس، أو أنت، أو چون. الثَّور حيوان قوي شرس، وهذا ليس سيِّئًا، كما أني كبير بالفعل، وما زلتُ أكبرُ. ألا تُؤثِر أن تكون سام القاتِل على السير خنزير؟».

قال سام: «ولِمَ لا يُمكن أن أكون ساموِيل تارلي فحسب؟»، وجلسَ بتثاقُل على قطعة خشب خضراء ما زالَ على جرن أن يَشطُرها، وأردفَ: «زُجاج التِّنين هو ما قتلَه. ليس أنا، زُجاج التِّنين».

لقد أخبرَهم، أخبرَهم جميعًا، ويعلم أن بعضهم لم يُصَدِّقه. أخرجَ ديرك خنجره لسام قائلًا: «معي حديد، فبِمَ سينفعني الزُّجاج؟»، وأبدى برنار الأسود والثَّلاثة جارث شكوكهم في صحَّة القصَّة كلِّها، وقال رولي ابن (سسترتون) بوضوح: «الأحرى أنك طعنت شُجيرةً ما واتَّضح أنها پول الصَّغير وقد قرفصَ ليتغوَّط، فاختلقت هذه الكذبة».

لكن دايوين أصغى، وإد الكئيب أيضًا، وجعلا سام وجرن يُخبرا حضرة القائد. ظَلَّ مورمونت مقطِّبًا جبينه طيلة الحكاية وطرحَ أسئلةً مباشرةً، بما أنه أكثر حذرًا من أن ينبذ أيَّ نقطة تفوُّق ممكنة، ثم طلبَ من سام كلَّ زُجاج التِّنين الذي معه، وإن كان قليلًا. كلما فكَّر سام في الخبيئة التي وجدَها چون مطمورةً تحت الأرض عند سفح (القبضة) أرادَ أن يبكي. كانت هناك نصال خناجر ورؤوس حِراب، ونحو مئتين أو ثلاثمئة على الأقل من رؤوس السِّهام، وكان چون قد صنعَ خناجر لنفسه وسام وحضرة القائد، وأعطى سام رأس حربةٍ وبوقًا قديمًا مكسورًا وعددًا من رؤوس السِّهام، التي أخذَ جرن بعضها أيضًا، لكن هذا كلُّ شيء.

والآن ليس لديهم إلَّا خنجر مورمونت والآخَر الذي أعطاه سام لجرن،

بالإضافة إلى تسعة عشر رأس سهم، وحربة طويلة قناتها من الخشب الصُّلب ورأسها من زُجاج التنِّين الأسود. تناقلَ الحُرَّاس الحربة من مناوَبة إلى أخرى، بينما قسَّم مورمونت رؤوس السِّهام على أفضل الرُّماة، فأخذَ كلٌّ من بيل المُتمتِم وجارث جرايفيذر ورونل هاركلاي ودونل هيل المرِح وآلان ابن (روزبي) ثلاثة رؤوس، بينما نالَ أولمر أربعةً. لكن حتى إذا أصابَ كلُّ سهم هدفه فسرعان ما لن يتبقَّى لهم إلَّا السِّهام النَّاريَّة ككلِّ الآخَرين. على (القَبضة) أطلقوا مئات السِّهام النَّاريَّة وظلَّت الجُثث الحيَّة تتقدَّم.

فكَّر سام: ما لدينا لن يكفي. ساتر كراستر المنحدِر المقام من الطِّين والثَّلج الذَّائب لن يعوق الجُثث الحيَّة، التي تسلَّقت منحدَرات (قبضة البَشر الأوائل) شديدة الحدَّة لتُطَوِّق السُّور الدَّائري، وبدلًا من ثلاثمئةٍ من الإخوة الواقفين في صفوفٍ منتظمة، ستجد واحدًا وأربعين ناجيًا في حالةٍ مزرية، تسعة منهم لا تسمح إصاباتهم بالقتال. أربعة وأربعون رجلًا دخلوا (قلعة كراستر) هاربين من العاصفة، هُم من بقوا أحياء من الستِّين ونيِّف الذين شَقُّوا طريق الفِرار من على قمَّة (القبضة)، لكن ثلاثةً من هؤلاء ماتوا متأثِّرين بجراحهم، وقريبًا سيُصبِح بانن رابعهم.

سألَ سام جرن: «هل تحسب أن الجُثث الحيَّة رحلَت؟ لماذا لم تأتِ لتُجهِز علينا؟».

- «إنها لا تأتي إلَّا في البرد».

- «نعم، لكن هل يأتي البرد بالجُثث الحيَّة أم تجلب الجُثث الحيَّة معها البرد؟».

قال جرن وهو يهوي ببلطته لتتطايَر شظايا الخشب: «ومَن يُبالي؟ كلاهما يأتي مع الآخَر، هذا هو المهم. والآن وقد عرفنا أن زُجاج التنِّين يَقتُلها فربما لا ترجع إطلاقًا، ربما تكون خائفةً منا الآن!».

تمنَّى سام لو يستطيع أن يُصَدِّق هذا، وإن خطرَ له أن بَعد الموت لا يعود للخوف معنى، أو للألم والحُب والواجب. طوَّق ساقيه بذراعيه وعَرقه ينضح تحت طبقات الصُّوف والجلد والفرو. لقد أذابَ زُجاج التنِّين الكائن الشَّاحب في الغابة، نعم... لكن جرن يتكلَّم كأنه قد يفعل المِثل بالجُثث الحيَّة. ونحن لا نعرف هذا، لسنا نعرف شيئًا حقًّا. ليت چون كان هنا. إنه يُحِبُّ جرن، لكنه

لا يستطيع أن يتكلَّم معه بالطَّريقة نفسها. لم يكن چون ليُناديني بالقاتِل، ولأمكنني أن أكلِّمه عن جيلي ورضيعها. لكن چون رحلَ مع كورين ذي النِّصف يد، ومنذ ذلك الحين لم يَبلُغهم شيء عنه. كان معه خنجر من زُجاج التنِّين أيضًا، لكن هل فكَّر في استعماله؟ أهو الآن جثَّة متجمِّدة في وادٍ ما أم أسوأ من هذا... جثَّة تمشي؟

لا يفهم لماذا تأخذ الآلهة چون سنو وبانن وتترُكه هو الجبان الأخرق. كان يجب أن يموت هو فوق (القبضة)، حيث بالَ على نفسه ثلاث مرَّات وفقدَ سيفه. وكان ليموت في الغابة لولا أن پول الصَّغير ظهرَ وحملَه. ليت كلَّ هذا حُلم، فعندها سأصحو. كم سيكون رائعًا أن يستيقظ على قمَّة (قبضة البَشر الأوائل) ويجد إخوته كلَّهم حوله، حتى چون وجوست. أو أفضل وأفضل، يستيقظ في (القلعة السَّوداء) وراء (الجِدار) ويذهب إلى القاعة العامَّة ليلتهم وعاءً من حَساء القمح القشدي الثَّخين الذي يَطبُخه هوب ذو الثَّلاثة أصابع، تذوب في منتصفه ملعقة كبيرة من الزُّبدة ويُضاف إليه العسل. مجرَّد التَّفكير في الوجبة جعلَ معدته تُقَرقِر.

- «سنو!».

رفعَ سام عينيه إلى مصدر الصَّيحة، ورأى غُداف اللورد مورمونت يدور فوق النَّار ضاربًا الهواء بجناحيه الأسودين الكبيرين.

- «سنو، سنو، سنو!».

أينما ذهبَ الغُداف لا يتأخَّر ظهور مورمونت، وسرعان ما برزَ حضرة القائد من تحت الأشجار ممتطيًا حصانه بين دايوين العجوز والجوَّال ذي الوجه الثَّعلبي رونل هاركلاي، الذي رُقِّيَ إلى منصب ثورين سمولوود. صاحَ حاملو الحِراب عند البوَّابة مطالبين بهُويَّة المقبلين، فرَدَّ الدُّب العجوز بغلظة: «مَن تحسبوننا بحَقِّ الجحائم السَّبع؟ هل أخذَ (الآخَرون) أعيُنكم؟»، ودخلَ من بين قائمَيْ البوَّابة اللذين يحمل أحدهما جمجمة كبش والثَّاني جمجمة دُب، ثم جذبَ عِنان الحصان ورفعَ قبضته مطلقًا صفيرًا، فطارَ الغُداف إليه ملبِّيًا نداءه.

سمعَ سام رونل هاركلاي يقول: «سيِّدي، إن معنا اثنين وعشرين حصانًا فقط، وأشكُّ أن نِصفها سيَبلُغ (الجِدار)».

دمدمَ مورمونت: «أعرفُ هذا، لكن علينا أن نرحل. كراستر قال هذا بوضوحٍ»، وألقى نظرةً نحو الغرب، حيث أخفى السَّحاب القاتم الشَّمس، وأردفَ: «لقد وهبَت لنا الآلهة فُرصةً للرَّاحة، لكن إلى متى؟»، ثم وثبَ من على سَرجه ليُعاود طائره التَّحليق، ولمَّا رأى سام هدرَ: «تارلي!».

بحركةٍ ثقيلةٍ قامَ سام قائلًا: «أنا؟»، وحَطَّ الغُداف على رأس العجوز مردِّدًا: «أنا؟ أنا؟».

- «هل اسمك تارلي؟ ألك أخ في الجوار؟ نعم، أنت. أطبِق فاهك وتعالَ معي».

خرجَت منه الكلمة كالصَّرير: «معك؟».

رمقَه حضرة القائد مورمونت بنظرةٍ مشتعلة، وقال: «أنت رجل في حَرس اللَّيل، فحاوِل ألَّا تتبرَّز على نفسك كلما نظرتُ إليك. قلتُ تعالَ معي»، وأصدرَ حذاؤه أصوات تخويضٍ وامتصاص وهو يدوس في الوحل، وأسرعَ سام يلحق به ليسمعه يقول: «أفكِّرُ منذ فترة في زُجاجك».

- «إنه ليس زُجاجي».

- «زُجاج چون سنو إذن. إذا كانت الخناجر المصنوعة من زُجاج التِّنِّين هي ما نحتاج إليه، فلِمَ نملك اثنين فقط منها؟ يجب أن يُسَلَّح كلُّ رجلٍ على (الجِدار) بواحدٍ يوم يحلف اليمين».

- «لم نكن نعلم...».

- «لم نكن نعلم! لكن لا بُدَّ أننا علمنا ذات يوم. لقد نسيَ حَرس اللَّيل غايتهم الحقيقيَّة يا تارلي. لا أحد يبني جِدارًا يرتفع سبعمئة قدم ليمنع برابرةً يرتدون الجِلد من اختطاف النِّساء. (الجِدار) شُيِّدَ لحماية بلدان البَشر... وليس من بَشرٍ آخَرين، فهكذا الهَمج جميعًا في النِّهاية. سنوات طويلة جدًّا يا تارلي، مئات وآلاف السَّنوات. لقد غفلنا عن العدوِّ الحقيقي، وها هو هنا الآن ولا ندري كيف نُحاربه. هل صنعَت التَّنانين هذا الزُّجاج كما يقول العوام؟».

أجابَ سام متلعثمًا: «المِـمايسترات لا يعتقدون هذا... يقولون إنه يأتي من النِّيران في باطن الأرض... يُسَمُّونه الزُّجاج البُركاني».

قال مورمونت بفظاظة: «يُمكنهم أن يُسَمُّوه فطير اللَّيمون ولا فرق. إذا كان يَقتُل كما تقول، فأريدُ مزيدًا منه».

قال سام جاهلًا الإجابة: «چون وجدَ المزيد عند (القبضة)، مئات من رؤوس السِّهام والحِراب...».

- «سبق أن ذكرتَ هذا، لكن كيف ينفعنا ونحن هنا؟ لنَبلُغ (القبضة) ثانيةً علينا أن نكون مدجَّجين بالأسلحة التي لن نَحصُل عليها إلَّا إذا بلغنا (القبضة) اللَّعينة، وما زالَ علينا أن نتعامَل مع الهَمج أيضًا. يجب أن نجد زُجاج التنِّين في مكانٍ آخر».

قال سام الذي كادَ ينسى أمر الهَمج بَعد كلِّ ما جرى منذ ذلك الحين: «أطفال الغابة استخدموا أسلحةً من زُجاج التنِّين، ولا بُدَّ أنهم يعرفون أين نجده».

رَدَّ مورمونت: «أطفال الغابة قاطبةً ماتوا، قتلَ البَشر الأوائل نِصفهم بالبرونز، وأبادَ الأنداليُّون البقيَّة بالحديد. ما الذي يجعل خنجرًا من الزُّجاج...».

بترَ الدُّب العجوز عبارته إذ خرجَ كراستر من الباب مبتسمًا ليكشف عن أسنانه البنِّيَّة النَّخرة، وأعلنَ: «أنجبتُ ابنًا».

ونعبَ غُداف مورمونت مردِّدًا: «ابنًا، ابنًا، ابنًا!».

قال حضرة القائد بملامح جامدة: «أنا سعيد من أجلك».

- «حقًّا؟ أما أنا فسأسعدُ عندما تأخذ رجالك وترحل. آنَ الأوان على ما أعتقدُ».

- «بمجرَّد أن يقوى الجرحى على...».

- «إنهم لن يزدادوا قوَّةً عن الآن أيها الغُراب العجوز، وكلانا يعي هذا، كما أنك تعرف المحتضرين منهم أيضًا، فاذبحهم وأرِح نفسك، أو اترُكهم لي إذا كنت لا تُطيق أن تفعلها وسأتولَّى أمرهم بنفسي».

قال حضرة القائد مورمونت مغضبًا: «ثورين سمولوود أخبرَنا أنك صديق للحَرس و...».

قاطعَه كراستر: «نعم، وقد أعطيتكم كلَّ ما أستطيعُ الاستغناء عنه، لكن الشِّتاء على الأبواب، والآن ابتلَتني الفتاة بفم آخَر عليَّ أن أضع فيه طعامًا».

قال أحدهم بنبرةٍ كالصَّرير: «يُمكننا أن نأخذه».

التفتَ كراستر مضيِّقًا عينيه، ثم بصقَ على قدم سام وقال: «ماذا قلت أيها القاتِل؟».

فتحَ سام فمه وأغلقَه محاولًا أن يتكلَّم، فقال: «لقد... لقد... لقد قصدتُ فقط... إذا كنت لا تُريده... أن تضع الطَّعام في فمه... والشِّتاء على الأبواب... يُمكننا أن نأخذه و...».

- «إنه ابني ودمي. أتحسب أني سأعطيكم إياه أيها الغِربان؟».

- «فكَّرتُ فقط أن...». أنت بلا أبناء. إنك تضعهم في العراء، هذا ما قالتَه جيلي، تترُكهم في الغابة، ولهذا ليس معك هنا إلَّا الزَّوجات والبنات اللاتي يكبرن ليُصبحن زوجاتك.

قال اللورد مورمونت: «صمتًا يا سام. لقد قلت ما يكفي، أكثر من اللَّازم. إلى الدَّاخل».

- «سـسيِّدي...».

- «**إلى الدَّاخل!**».

بوجهٍ محتقن دفعَ سام فروة الأيائل وعادَ إلى عتمة القاعة، وتبعَه مورمونت إلى الدَّاخل ليقولَ بصوتٍ خنقَه الغضب: «أأنت أحمق كبير أم ماذا؟ حتى إذا أعطانا كراستر الطِّفل، فسيموت قبل أن نصل إلى (الجِدار). إن حاجتنا إلى رضيع علينا الاعتناء به لا تزيد على حاجتنا إلى المزيد من الثُّلوج. ألديك لبن تُطعِمه إياه في هذين الثَّديين الكبيرين؟ أم كنت تنوي أن تأخذ الأم أيضًا؟».

- «إنها تُريد أن تأتي. توسَّلت إليَّ...».

رفعَ مورمونت يده مقاطعًا، وقال: «لن أسمع المزيد في هذا الشَّأن يا تارلي. لقد قيل وقيل لك أن تبقى بعيدًا عن زوجات كراستر».

بضَعفٍ قال سام: «إنها ابنته».

- «اذهب واعتنِ ببانن، الآن قبل أن أغضب عليك».

غمغمَ سام: «أمرك يا سيِّدي»، وأسرعَ يبتعد مرتعدًا.

لكن حين بلغَ النَّار وجدَ العملاق يسحب معطفًا من الفرو على رأس بانن، وقال الرَّجل الصَّغير: «ظَلَّ يقول إنه يَشعُر بالبرد. أتمنى حقًّا أنه ذهبَ إلى مكانٍ دافئ».

قال سام: «جرحه...».

اقتربَ ديرك ونكزَ الجثَّة بقدمه قائلًا: «لا عليك بجرحه. قدمه التي بُتِرَت فقط كانت مصابةً وباقي جسده سليم. عرفتُ رجلًا في قريتي فقدَ قدمًا وعاشَ حتى التَّاسعة والأربعين».

قال سام: «إنه البرد، لم يكن دافئًا إطلاقًا».

رَدَّ ديرك: «بل لم يتغذَّ إطلاقًا، ليس كفايةً. النَّغل كراستر جوَّعه حتى الموت».

تلفَّت سام حوله بتوتُّر، لكن كراستر لم يكن قد عادَ إلى القاعة. لو عادَ لانقلبَت الأمور بشكلٍ قبيح، فالهمجي يَمقُت النُّغول، على الرغم من أن الجوَّالة يقولون إنه ابنُ غير شرعي عن نفسه، أنجبَه غُراب ماتَ منذ زمنٍ طويل من امرأةٍ همجيَّة.

قال العملاق: «على كراستر أن يُطعِم ذويه، كلَّ هؤلاء النِّسوة. لقد أعطانا ما يقدر عليه».

قال ديرك: «إياك أن تُصَدِّق هذا. يوم نُغادِر سيفتح برميلًا من البتع ويجلس ليلتهم وليمةً من اللَّحم والعسل، ويضحك منا ونحن نتضوَّر جوعًا في الثَّلج. إنه همجي حقير ليس إلَّا، ولا أحد منهم صديق للحَرس»، وركلَ جثَّة بانن مضيفًا: «سَله إن كنت لا تُصَدِّقني».

أحرَقوا جثَّة الجوَّال عند الغروب في النَّار التي كان جرن يُغَذِّيها قبل ساعات. حملَ تيم ستون وجارث ابن (البلدة القديمة) الجثَّة العارية وأرجحاها بينهما مرَّتين ثم ألقياها في اللَّهب، بَعد أن اقتسمَ الإخوة السُّود ثياب بانن وأسلحته ودِرعه وكلَّ ما يملكه. في (القلعة السَّوداء) يدفن حَرس اللَّيل موتاهم في مراسم رسميَّة، لكنهم ليسوا في (القلعة السَّوداء) الآن. والعظام لا تعود إلى الحياة.

قال حضرة القائد مورمونت بينما تلتهم النَّار الجثَّة: «كان اسمه بانن، وكان رجلًا شُجاعًا وجوَّالًا بارعًا، وقد جاءَنا من... من أين جاءَ؟».

رفعَ أحدهم صوته مجيبًا: «من (الميناء الأبيض)».

أومأ مورمونت برأسه، وتابعَ: «جاءَنا من (الميناء الأبيض)، ولم يتوانَ عن أداء واجبه قَطُّ. لقد حفظَ قَسمه قَدر استطاعته وارتحلَ بعيدًا وقاتلَ بشراسة. لن نرى مثيله أبدًا».

ترنمَّ الإخوة السُّود: «والآن انتهَت حراسته».
ردَّد مورمونت: «والآن انتهت حراسته».
ونعبَ الغُداف: «انتهَت، انتهَت!».
وقفَ سام محمرَّ العينين شاعرًا بالغثيان من الدُّخان. حين نظرَ إلى المحرقة خُيِّلَ إليه أنه يرى بانن يعتدل جالسًا ويُكوِّر قبضتيه كأنه سيُقاتِل اللَّهب الذي يلتهمه، لكن لم يمضِ أكثر من لحظةٍ قبل أن تبتلعه دوَّامات الدُّخان. أسوأ ما في الأمر الرَّائحة. لو كانت كريهةً منفِّرةً فلربما استطاعَ أن يحتملها، لكن رائحةً شبيهةً للغاية بلحم الخنزير المشوي تصاعدَت من أخيه المحترق، حتى إن لُعاب سام بدأ يسيل، وكان هذا شنيعًا لدرجة أن بمجرَّد أن صاحَ الغُداف: «انتهَت!»، هرعَ سام ليُفرِغ معدته في خندق المراحيض وراء القاعة.
كان هناك على رُكبتيه في الوحل عندما ظهرَ إد الكئيب قائلًا: «هل تُنَقِّب عن الدِّيدان يا سام أم تتقيَّأ فقط؟».
رَدَّ سام بضَعفٍ وهو يمسح فمه بظَهر يده: «أتقيَّأ. الرَّائحة...».
قال إد بلهجته دائمة التَّجهُّم: «لم أعرف قَطُّ أن لبانن هذه الرَّائحة الشَّهيَّة. خطرَ لي أن أقطع لنفسي شريحةً من لحمه. لو كانت لدينا صلصة تفَّاح فلربما فعلتها. الخنزير أفضل دائمًا مع صلصة التُّفَّاح»، وحَلَّ أربطة سراويله وأخرجَ قضيبه متابعًا: «خيرٌ لك ألَّا تموت يا سام، وإلَّا أخشى أني سأستسلمُ للإغراء. سيكون فيك من الجلد المحمَّر أكثر من بانن، وأنا لا أستطيعُ مقاوَمة الجلد المحمَّر»، وتنهَّد وبوله يَخرُج منه أصفر باخرًا، وأردفَ: «سنركب مع أول خيوط الفَجر، هل سمعت؟ الدُّب العجوز قال لي إننا سنُغادِر سواء أفي الشَّمس أم الثَّلج».
في الشَّمس أم الثَّلج. رفعَ سام عينيه إلى السَّماء، وقال مرتاعًا: «الثَّلج؟ سـ... سنركب؟ كلُّنا؟».
هَزَّ إد نفسه لينفضَ آخِر قطرات البول قائلًا: «لا، بعضنا سيمشي. دايوين يقول إن علينا أن نتعلَّم ركوب الخيول الميتة مِثل (الآخَرين). كم يأكل الحصان الميت على كلِّ حال؟»، وعقدَ أربطة سراويله مواصلًا: «لا أعتقدُ أن الفكرة تروقني. بمجرَّد أن يُدركوا كيف يتحكَّمون في الخيول الميتة سيأتي دورنا، وغالبًا سأكونُ الأول. أسمعهم يقولون: إد، لم يَعُد الموت عذرًا

للتَّمدُّد على الأرض، فانهض وخُذ هذه الحربة. ستقف حراسةَ اللَّيلة. حسن، ليس من الضَّروري أن أفكِّر بهذه الكآبة، فقد أموت قبل أن يكتشفوا الوسيلة».
نهضَ سام متثاقلًا وهو يُفكِّر: قد نموت كلُّنا، وأقرب مما نحسب.

حينما عرفَ كراستر أن ضيوفه غير المرغوبين مغادرون غدًا بدأ يتصرَّف بوُدٍّ أكثر، أو بأقرب شيءٍ إلى الوُدِّ يُمكن أن يعرفه الهمجي، وقال لهم: «أخيرًا. قلتُ لكم إن هذا ليس مكانكم، لكن على كلِّ حالٍ سأودِّعكم كما ينبغي، بمأدبة، أو بوجبةٍ بالأحرى. ستشوي زوجاتي تلك الخيول التي ذبحتموها، وسأجدُ لكم القليل من البيرة والخُبز»، ومنحَهم تلك الابتسامة البنِّيَّة مضيفًا: «لا شيء أفضل من البيرة ولحم الخيل. إذا كنت لا تستطيع أن تركبه، فكُله. هذا ما أقوله دائمًا».

رَصَّت زوجاته وبناته الدِّكك والطَّاولات الخشبيَّة الطَّويلة، واضطلعن بالطَّهو وتقديم الطَّعام كذلك. باستثناء جيلي لم يستطِع سام التَّمييز بين واحدةٍ وأخرى. بعضهن عجوزات وبعضهن شابَّات وبعضهن فتيات صغيرات، لكن كثيرات منهن بنات كراستر علاوةً على كونهن زوجاته، وكلُّهن متشابهات إلى حَدٍّ كبير، وقد تبادلن الكلام وهن منصرفات إلى عملهن بأصواتٍ خفيضة، وإن لم يُوَجِّهن كلمةً واحدةً للإخوة السُّود.

لا يملك كراستر إلَّا مقعدًا واحدًا جلسَ عليه مرتديًا سُترةً بلا كُمَّين من فروة خروف، فلاحَت ذراعاه الغليظتان المكسوَّتان بالشَّعر الأبيض، وحلقة مشوَّهة من الذَّهب تُحيط بمعصمه. أخذَ اللورد مورمونت مكانه على رأس الدِّكَّة إلى جواره، فيما تزاحمَ الإخوة بسيقانٍ متلاصقة، وبقيَت دستة منهم في الخارج لحراسة البوَّابة وإذكاء النَّار.

وجدَ سام مكانًا بين جرن وأوس اليتيم وهو يسمع معدته تُقَرقِر. تقاطرَ الدُّهن من لحم الخيل المشوي بينما دوَّرت زوجات كراستر الأسياخ فوق بؤرة النَّار، وجعلَت الرَّائحه لُعابه يسيل من جديد، وهو ما ذكَّره ببانن. كيف يأكلون الخيول المخلصة المسكينة التي حملَتهم كلَّ تلك المسافات؟ عندما جلبَت زوجات كراسترِ البصل اختطفَ واحدةً بلهفة. جزء منها كان مسودًّا من العفن، فقطعَه بسكِّينه وأكل الجزء السَّليم نيئًا. وكان هناك خُبز أيضًا، وإنما رغيفان لا أكثر، ولمَّا طلبَ أولمر المزيد اكتفَت المرأة بهزِّ رأسها.

وألقَت رابعة نفسها على دونل المرِح محاولةً أن تنهش عينيه، لكنه طرحَها أرضًا.

وقفَ حضرة القائد فوق جثَّة كراستر ووجهه مربدٌّ غضبًا، وصاحَ فيهم: «ستحلُّ بنا نقمة الآلهة. ما مِن جريمةٍ أنكر مِن قتل رجلٍ أعطى ضيوفه الأمان. بحَقِّ قوانين الضِّيافة كلِّها نحن...».

قاطعَه ديرك: «لا توجد قوانين وراء (الجِدار) أيها العجوز، هل نسيت؟»، وأطبقَ على ذراع إحدى زوجات كراستر، ووضعَ رأس خنجره تحت ذقنها قائلًا: «أرينا أين يحتفظ بالطَّعام وإلَّا نلتِ ما نالَه يا امرأة».

تقدَّم مورمونت خُطوةً، وقال: «اترُكها. سأقطعُ رأسك من أجل هذا أيها الـ...».

أعاقَ جارث جرينواي طريقه، وشَدَّه أولو الأبتر إلى الوراء وكلاهما خنجره في يده، وقال أولو منذرًا: «صُن لسانك»، لكن بدلًا من هذا مَدَّ حضرة القائد يده إلى خنجره. لأولو يد واحدة، لكنها سريعة، وبها أغمدَ خنجره في بطن مورمونت وعادَ يُخرِجه مكسوًّا بالأحمر.

ثم جُنَّ جنون العالم.

وبَعدها، بَعدها بكثير، وجدَ سام نفسه متربِّعًا على الأرض ورأس مورمونت في حِجره. لم يتذكَّر كيف وصلا إلى هذه النُّقطة، ولا أغلب ما حدثَ عقب أن طُعِنَ الدُّب العجوز. يعرف أن جارث جرينواي قتلَ جارث ابن (البلدة القديمة)، لكنه يجهل السَّبب، وورولي ابن (سسترتون) سقطَ من العُلِّيَّة وكسرَ عُنقه بَعد أن صعدَ السُّلَّم ليأخذ إحدى زوجات كراستر، وجرِن...

جرِن زعقَ فيه وصفعَه، ثم هرعَ إلى الخارج مع العملاق وإِد الكئيب وبعض الآخَرين.

كان كراستر لا يزال ملقًى فوق السير بيام، لكن الفارس الجريح كَفَّ عن الأنين، وجلسَ أربعة رجال يرتدون الأسود على الدِّكَّة يلتهمون قطعًا من لحم الخيل المحروق، بينما جامعَ أولو امرأةً فوق المائدة.

- «تارلي»، تكلَّم الدُّب العجوز فسالَ الدَّم من فمه إلى لحيته. «تارلي، اذهب، اذهب».

قال بصوتٍ ذابلٍ لا حياة فيه: «إلى أين يا سيِّدي؟ لا مكان أذهبُ إليه». لستُ خائفًا. كان إحساسًا عجيبًا.

- «(الجدار)، عُد إلى (الجدار)، الآن».

صاحَ الغُداف: «الآن، الآن، الآن!»، ومشى على ذراع العجوز إلى صدره، واقتلعَ شعرةً من لحيته.

- «يجب أن تُخبرهم، يجب».

سألَه سام برفق: «أُخبِرهم بماذا يا سيِّدي؟».

قال القائد: «كل شيء، (القبضة)، الهَمج، زُجاج التنِّين، هنا، كل شيء»، وتباطأت أنفاسه كثيرًا وانخفضَ صوته إلى همسةٍ وهو يُضيف: «أخبِر ابني، چورا، أخبره أن يرتدي أسودنا، رغبتي، رغبة الموت».

مالَ الغُداف برأسه والتمعَت عيناه السَّوداوان الخرزيَّتان، وسألَ: «رغبة؟ ذُرة؟».

تمتمَ مورمونت بوهن: «لا ذُرة. أخبِر چورا، أسامحه، ابني. أرجوك، اذهب».

قال سام: «(الجِدار) بعيد جدًّا. لن أبلغه أبدًا يا سيِّدي». كم هو متعَب. كلُّ ما يُريده أن ينام، ينام وينام ولا يستيقظ أبدًا، لكنه يعلم أنه إذا ظَلَّ هنا فسيغضب منه ديرك أو أولو أو كارل ويُحَقِّق رغبته، فقط ليتفرَّج عليه وهو يموت. «أفضِّلُ أن أبقى معك. أترى؟ إنني لم أعد خائفًا، منك أو... من أيِّ شيء».

قال صوت امرأة: «ينبغي أن تخاف».

ثلاثة من زوجات كراستر كُنَّ واقفات فوقهما، اثنتان منهما عجوزان شمطاوان لا يعرفهما، لكن جيلي وقفت بينهما متدثِّرةً بجلود الحيوانات، وتحتضن ربطةً من الفرو البنِّي والأبيض لا بُدَّ أنها تحتوي وليدها. قال لهن سام: «ليس مسموحًا لنا بأن نُكلِّم زوجات كراستر، لدينا أوامر».

قالت العجوز الواقفة إلى اليمين: «كلُّ هذا انتهى».

وقالت الواقفة إلى اليسار: «الغِربان الأكثر سوادًا في القبو يفترسون الطَّعام، أو في العُلِّيَّة مع الفتيات، لكنهم سيعودون قريبًا. الأفضل أن تكون

قد ذهبت وقتها. لقد هربَت الخيول، لكن ديا أمسكَت اثنين».
خاطبَته جيلي قائلةً: «قلت إنك ستُساعِدني».
- «قلتُ إن چون سيُساعِدكِ. چون شُجاع، ومقاتل بارع، لكني أظنُّه ماتَ. إنني جبان، وبدين، انظُري إلى حجمي. كما أن اللورد مورمونت جريح، ألا ترين؟ لا أستطيعُ أن أترك حضرة القائد».
قالت العجوز الثّانية: «يا صغيري، الغُراب العجوز سبقك إلى الرَّحيل، انظُر».
كان رأس مورمونت لا يزال في حِجره، لكن عينيه مفتوحتان تُحَدِّقان إلى الفراغ وشفتاه كفَّتا عن الحركة. حنى الغُداف رأسه ونعبَ، ثم رفعَه إلى سام سائلًا: «ذُرة؟».
- «لا ذُرة، ليس معه ذُرة». أغلقَ سام عينَيْ الدُّب العجوز وحاولَ أن يُفَكِّر في صلاة، لكن لم يَخطُر له إلَّا أن يقول: «رُحماكِ يا أمَّنا، رُحماكِ يا أمَّنا، رُحماكِ يا أمَّنا».
قالت العجوز الواقفة إلى اليسار: «أمُّك لا تستطيع أن تُساعِدك، ولا العجوز الميت. خُذ سيفه ومعطفه الفرو الدَّافئ وحصانه إذا عثرت عليه، واذهب».
قالت الأخرى: «الفتاة لم تكذب. إنها فتاتي، وضربتها حتى تعلَّمت ألَّا تكذب منذ نعومة أظفارها. قلت إنك ستُساعِدها. افعل ما تقوله فيرني يا فتى، خُذ الفتاة وأسرِع».
ونعبَ الغُداف: «أسرِع، أسرِع أسرِع أسرِع!».
سألَ سام حائرًا: «أين؟ آخذها إلى أين؟».
أجابَت المرأتان معًا: «إلى مكانٍ دافئ».
وبكَت جيلي وهي تقول: «أنا وطفلي، أرجوك. سأكونُ زوجتك كما كنتُ زوجة كراستر. أرجوك أيها السير غُراب. إنه صبي كما قالت نِلا. إذا لم تأخذه فسيأتون هُم ويأخذوه».
- «هُم؟»، تساءلَ سام، وحرَّك الطَّائر رأسه مردِّدًا: «هُم، هُم، هُم!».
قالت العجوز الواقفة إلى يسار جيلي: «إخوة الصَّبي، أبناء كراستر. البرد الأبيض يشتدُّ في الخارج أيها الغُراب، أشعرُ به في عظامي، وهذه العظام العجوز المسكينة لا تكذب. سيكونون هنا عمَّا قريب، الأبناء».



آريا

كان بصرها قد اعتادَ الظَّلام، فلمَّا رفعَ هاروين العِصاب عن رأسها جعلَ الوهج المحمرُّ داخل التَّلِّ الأجوف عينيها تطرفان كبومةٍ سخيفة.

في منتصَف الأرضيَّة التُّراب بؤرة نارٍ هائلة يرتفع لهبها دائرًا مطقطقًا إلى السَّقف الملوَّث بآثار الدُّخان، والجُدران مزيج متجانس من الحجارة والتُّربة، تتخلَّلها جذور بيضاء ضخمة ملتوية كآلافٍ من الثَّعابين الشَّاحبة البطيئة، وقد بدأ أناس يظهرون من بين هذه الجذور وآريا تتلفَّت حولها، يَخرُجونَ من الظِّلال ليُلقوا نظرةً على الأسرى، ويَبرُزون من مداخل أنفاقٍ دامسة الظَّلام، وتلوح رؤوسهم من الشُّقوق والصُّدوع. في بُقعةٍ على الجانب البعيد من النَّار صنعَت الجذور تكوينًا أشبه بسُلَّم يقود إلى تجويفٍ في الجِدار استقرَّ فيه رجل يكاد يتوارى وسط شبكةٍ من الويروود.

رفعَ ليم عِصاب جندري، فسألَه: «ما هذا المكان؟».

– «مكان قديم، عميق وسرِّي، ملاذ لا يستطيع أن يتلصَّص عليه ذئب أو أسد».

ذئب أو أسد. اقشعرَّ جِلد آريا، وتذكَّرت حُلمها ومذاق الدَّم في فمها حين مزَّقت ذراع الرَّجل من كتفه.

على الرغم من حجم بؤرة النَّار فالكهف أكبر كثيرًا، ومن العسير أن تعرف أين يبدأ وأين ينتهي، فقد تمتدُّ تلك الأنفاق قدمين لا أكثر أو تغوص ميلين كاملين في باطن الأرض. رأت آريا رجالًا ونساءً وأطفالًا، كلهم يُراقِبونها بحذر.

قال ذو اللِّحية الخضراء: «ها هو السَّاحر أيتها السِّنجاب النَّحيل. ستَحصُلين

على إجاباتكِ الآن»، وأشارَ نحو النَّار، حيث وقفَ توم سبعة أوتار يُكَلِّم رجلًا طويلًا ناحلًا ربطَ بواقي دروع قديمة على ثوبه الوردي المهترئ. لا يُمكن أن يكون هذا ثوروس المايري. في ذاكرة آريا الرَّاهب الأحمر سمين، وجهه ناعم ورأسه أصلع لامع، أمَّا هذا الرَّجل فوجهه متهدِّل وشَعره أشيب أشعث. جعلَه شيء ما قاله توم يَنظر إليها، وحسبَت آريا أنه سيأتي ويُكَلِّمها، لكن في هذه اللَّحظة ظهرَ القنَّاص المجنون دافعًا أسيره إلى دائرة الضَّوء، فنُسِيَ أمرها هي وجندري.

اتَّضح أن القنَّاص رجل قصير قوي ممتلئ يرتدي الجلد المدبوغ المرقَّع، ذقنه صغير وشَعره يزحف عليه الصَّلع، وتغلب المشاكَسة على طباعه. في (السِّپت الحجري) حسبَت آريا أن ليم وذا اللِّحية الخضراء سيُمَزِّقا إربًا عندما واجَهاه عند أقفاص الغِربان ليأخذا أسيره إلى سيِّد البرق. يومها أحاطَت بهما كلاب الصَّيد تتشمَّم وتزوم، لكن توم أبا السَّبعات هدَّأها بموسيقاه، وقطعَت تانسي الميدان وقد ملأَت مئزرها بالعظم والضَّأن الدُّهني، وأشارَ ليم إلى آنجاي الواقف في نافذة الماخور مثبِّتًا سهمًا إلى قوسه. لعنَهم القنَّاص المجنون ونعتَهم بالمرائين، لكنه وافقَ في النِّهاية على أخذ غنيمته إلى اللورد بريك ليَحكُم عليه بنفسه.

كانوا قد قيَّدوا معصمَيْ الأسير بحبلٍ من القِنَّب وأحاطوا عُنقه بأنشوطة ووضعوا جوالًا على رأسه، وعلى الرغم من هذا ظَلَّ الرَّجل يشعُّ خطورةً أحسَّت بها آريا عبر الكهف. في منتصَف المسافة إلى النَّار قابلَ ثوروس -إذا كان هذا ثوروس حقًّا- الآسر والأسير، وسألَ: «كيف قبضت عليه؟».

- «الكلاب التقطَت رائحته. صدِّق أو لا تُصدِّق، كان نائمًا سكرانًا تحت شجرة صَفصاف».

قال ثوروس: «خانَه بنو جِلدته»، والتفتَ إلى الأسير وخلعَ الجوال من على رأسه قائلًا: «مرحبًا بك في بهونا المتواضع أيها الكلب. إنه ليس فخمًا كقاعة عرشِ روبرت، لكن الصُّحبة أفضل».

صبغَ اللَّهب المتراقص وجه ساندور كليجاين المحروق بظِلٍّ برتقالي، فبدا أشنع مما يبدو في نور النَّهار، وحين جذبَ الحبل الذي يُقَيِّد معصميه سقطَت منه قُشارة من الدَّم الجاف. التوى فم كلب الصَّيد، وقال لثوروس: «إنني أعرفك».

- «كنت تعرفني. اعتدت في الالتحام الجماعي أن تلعن سيفي النَّاري، مع أني تغلَّبتُ به عليك ثلاث مرَّات».

- «ثوروس المايري. كنت تحلق رأسك في السَّابق».

قال الرَّاهب: «كأمارةٍ على القلب المتواضع، بينما كان قلبي في الحقيقة مفعمًا بالغرور، كما أني فقدتُ موسى الحلاقة في الغابة»، وربَّت على بطنه مردفًا: «إنني أقلُّ مما كنتُ، لكن أكثر. اجعل رجلًا يقضي عامًا في البراري وسيذوب لحمه، لكن ليتني أعثرُ على خيَّاطٍ يقصُّ البشرة المتهدِّلة، فلعلِّي أبدو شابًّا من جديد وتُمطِرني الفتيات بالقُبل».

- «الضَّريرات فقط أيها الرَّاهب».

ضحكَ الخارجون عن القانون، وأصخبهم ثوروس الذي رَدَّ: «بالضَّبط. لكني لستُ الرَّاهب الزَّائف الذي عرفته في الماضي، إذ أيقظَ إله الضِّياء قلبي. قوى عديدة غافية منذ زمنٍ طويل تستيقظ الآن، وقوَّات تتحرَّك في الأرض. لقد رأيتها في اللَّهب».

قال كلب الصَّيد بلا تأثُّر: «اللعنة على لهبك، وعليك أيضًا»، وتلفَّت متطلِّعًا إلى الآخَرين مضيفًا: «رِفقتك غريبة بالنِّسبة لراهب».

أجابَ ثوروس ببساطة: «إنهم إخوتي».

تقدَّم ليم ذو المعطف اللَّيموني، فهو وذو اللِّحية الخضراء الوحيدان اللذان يُناهِزان كلب الصَّيد طولًا، وقد نظرَ في عينيه مباشرةً قائلًا: «انتبه لنباحك أيها الكلب. إن حياتك في أيدينا».

قال كلب الصَّيد ضاحكًا: «خيرٌ لكم أن تُنظِّفوا أيديكم من الخراء إذن. منذ متى وأنتم مختبئون في هذا الجُحر؟».

صاحَ آنجاي القوَّاس بحنقٍ على إثر التَّلميح إلى كونهم جُبناء: «سَل الكبش إن كنا مختبئين يا كلبَ الصَّيد، سَل أخاك، سَل اللورد عَلقة. لقد أدميناهم جميعًا».

- «أنتم؟ لا تُضحِكني. إنكم تبدون أقرب إلى رُعاة الخنازير من الجنود».

قال رجل قصير لا تعرفه آريا: «بعضنا اعتادَ أن يرعى الخنازير بالفعل، والبعض عملَ دبَّاغًا أو مطربًا أو حجَّارًا، لكن ذلك كان قبل الحرب».

- «عندما خرجنا من (كينجز لاندنج) كنا رجالًا من (وينترفل) و(داري)

و(المرفأ الأسود)، رجال ماليري ورجال وايلد. كنا فُرسانًا ومُرافِقين وجنودًا، لوردات وعوامًا، لا يربطنا إلَّا هدف واحد». جاءَ الصَّوت من الجالس وسط جذور الويرووود في التَّجويف في منتصَف الحائط، وقد بدأ ينزل الدَّرجات الملتوية المتشابكة وهو يتكلَّم. «مئة وعشرون منا خرجوا لإنزال العدالة بأخيك، مئة وعشرون من الرِّجال الشُّجعان المخلصين يقودهم أحمق في معطف مزيَّن بالنُّجوم». رجل مهزول كالفزَّاعة هو، يرتدي معطفًا أسود باليًا مرقَّطًا بالنُّجوم، وواقي صدر منبعجًا من جرَّاء عشرات المعارك، يُخفي أغلب وجهه شَعر بلون الذَّهب الأَحمر، باستثناء بُقعةٍ مكشوفة فوق أُذنه اليُسرى حيث يغور رأسه. «أكثر من ثمانين من مجموعتنا موتى الآن، لكن آخَرين حملوا السُّيوف التي سقطَت من أيديهم». بلغَ الأرضَ فأفسحَ الخارجون عن القانون له الطَّريق، ورأت آريا أنه فقدَ إحدى عينيه، وقد تشوَّه الجلد حول محجرها وتجعَّد، وحول عُنقه حلقة سوداء داكنة. «بمساعدتهم نُقاتِل قَدر استطاعتنا من أجل روبرت والبلاد».

مرتابًا ردَّد ساندور كليجاين بصوته الأجش: «روبرت؟».

قال چاك المحظوظ ذو الخوذة القصيرة: «ند ستارك أرسلَنا، لكنه كان جالسًا على العرش الحديدي حين أملى علينا الأوامر، أي أننا لم نكن رجاله حقًّا، بل رجال روبرت».

- «روبرت ملك على الدُّود الآن. ألهذا تسكنون تحت الأرض؟ لتعقدوا بلاطه؟».

قال الفارس الفزَّاعة: «الملك ماتَ، لكننا لم نزل رجاله، وإن فقدنا الرَّاية الملكيَّة التي حملناها عند (مخاضة الممثِّلين) لمَّا داهمَنا جزَّارو أخيك»، ومَسَّ صدره بقبضته مضيفًا: «روبرت قُتِلَ، لكن مملكته لا تزال حيَّةً، ونحن نُدافِع عنها».

رَدَّ كلب الصَّيد ساخرًا: «عنها؟ أهي أمُّك يا دونداريون أم عاهرتك؟».

دونداريون؟ بريك دونداريون كان وسيمًا، ووقعَت چين صديقة سانزا في هواه، لكن حتى چين پوول ليست بالبلاهة التي تجعلها تحسب أن هذا الرَّجل الواقف أمام آريا وسيم. غير أنها عادَت تتطلَّع إليه، فرأت بقايا لسان البرق الأرجواني المتشعِّب على واقي الصَّدر المطلي بالمينا المشقَّق.

واصلَ كلب الصَّيد: «صخور وأشجار وأنهار، هذه هي المملكة. هل تحتاج الصُّخور إلى من يُدافِع عنها؟ لم يكن روبرت ليحسب هذا وقد كان يملُّ من أيِّ شيءٍ لا يستطيع أن ينكحه أو يُقاتِله أو يشربه، وكان ليجدكم مملِّين أيضًا... يا رفقة الشُّجعان».

خيَّم السُّخط على التَّلِّ الأجوف، واستلَّ ليم سيفه الطَّويل قائلًا: «نادِنا بهذا الاسم ثانيةً أيها الكلب وستبتلع لسانك».

رمقَ كلب الصَّيد النَّصل باحتقار، وقال: «رجل شُجاع، ترفع فولاذك اللَّامع على أسيرٍ مقيَّد. لِمَ لا تحلُّ قيودي لنرى مدى شَجاعتك؟»، وألقى نظرةً نحو القنَّاص المجنون الواقف وراءه مردفًا: «وماذا عنك؟ أم أنك نسيت شَجاعتك في أوجرتك؟».

سحبَ القنَّاص سكِّينًا، وردَّ: «لا، لكن كان حريًّا بي أن أتركك في قفص غِربان، وربما أفعلُ».

وضحكَ كلب الصَّيد في وجهه.

أعلنَ ثوروس المايري: «نحن إخوة هنا، إخوة أتقياء، مقسمون على القتال من أجل البلاد وإلهنا وبعضنا بعضًا».

داعبَ توم وترًا في قيثارته قائلًا: «أخوَّة اللَّا رايات، فُرسان التَّلِّ الأجوف».

- «فُرسان؟»، قال كليجاين جاعلًا من الكلمة صيحةً هازئةً. «دونداريون فارس، لكن بقيَّتكم أحقر مجموعةٍ من الخارجين عن القانون والرِّجال المكسورين رأيتها في حياتي. إنني أتبرَّزُ رجالًا أفضل منكم».

قال الفزَّاعة بريك دونداريون: «كلُّ فارسٍ يستطيع أن يُنَصِّب رجلًا غيره فارسًا، وكلُّ رجلٍ تراه أمامك لمسَ نصلٌ كتفَه. إننا الرِّفقة المنسيَّة».

رَدَّ كليجاين بخشونة: «دعوني أرحلُ وسأنساكم أيضًا، لكن إذا كنتم تنوون قتلي فهلمُّوا. لقد أخذتم سيفي وحصاني وذهبي، فخذوا حياتي أيضًا وأنهوا الأمر... لكن اعفوني من هذا الثُّغاء الورِع».

قال ثوروس: «ستموت قريبًا أيها الكلب، لكنه لن يكون قتلًا، بل عدالة».

أضافَ القنَّاص المجنون: «أجل، وهو المصير الأرحم مما يستحقُّ أمثالك بَعد ما فعلتموه. تُسَمُّون أنفسكم أسودًا. في (شيرر) و(مخاضة الممثِّلين)

اغتُصِبَت فتيات في السَّادسة والسَّابعة من العُمر، وشُطِرَ أطفال رُضَّع إلى أنصاف على مرأى من أمَّهاتهم. لا أسد يَقتُل بهذه الوحشيَّة أبدًا».

- «لم أكن في (شيرر) أو (مخاضة الممثِّلين). لوموا أحدًا غيري على أطفالكم الموتى».

قال ثوروس: «هل تُنكِر أن عائلة كليجاين بُنِيَت على جُثث الأطفال؟ لقد رأيتهم يضعون الأمير إجون والأميرة رينيس أمام العرش الحديدي. الأحرى أن يكون رمزكم طفلين داميين بدلًا من تلك الكلاب القبيحة».

ارتعشَ فم كلب الصَّيد وهو يقول: «هل تحسبني أخي؟ هل مولدي في عائلة كليجاين جريمة؟».

- «القتل جريمة».

- «ومَن قتلتُ؟».

قال هاروين: «اللورد لوثار ماليري والسير جلادن وايلد».

وأعلنَ چاك المحظوظ: «أخوَيْ ليستر ولينوكس».

وصاحَت امرأة من وسط الظِّلال: «العقيل بِك ومودچ ابن الطَّحَّان من (دونلوود)».

وأضافَ ذو اللِّحية الخضراء: «أرملة ميريمان المحبَّة الجميلة».

- «السِّپتونات في (بركة الوحل)».

- «السير آندري كارلَتون، ومُرافِقه لوكاس روت، وكلُّ رجلٍ وامرأةٍ وطفلٍ في (حقل الحجر) و(طاحونة الفئران)».

- «اللورد والليدي ديدنجز. كان عملًا قذرًا».

أكملَ توم سبعة أوتار العَدَّ قائلًا: «آلين ابن (وينترفل)، چوث كويكبو، مات الصَّغير وأخته راندا، آنڤيل رين، السير أورموند، السير دودلي، پايت ابن (موري)، پايت ابن (غابة الرِّماح)، پايت العجوز، پايت ابن (بُستان شرمر)، وايل النَّجَّار الأعمى، العقيلة ماري، العاهرة ماري، بِكا الخبَّازة، السير رايمون داري، اللورد داري، اللورد داري الصَّغير، نغل براكِن، فلتشر ويل، هارسلي، العقيلة نولا...».

قاطعَه كلب الصَّيد وقد انقلبَت سحنته غضبًا: «كفى! إنكم تُصدِرون ضجَّةً كثيرةً. هذه الأسماء لا تعني شيئًا. مَن كانوا؟».

قال اللورد بريك: «كانوا أناسًا، أناسًا كبار الشَّأن وصغاره، مسنِّين وشبابًا، صالحين وطالحين، وكلُّهم ماتوا بحِراب آل لانستر أو بُقِرَت بطونهم بسيوف آل لانستر».

- «لم يكن سيفي أنا الذي بقرَ بطونهم، ومن يقول هذا كاذب ملعون».

قال ثوروس: «أنت تخدم آل لانستر أولاد (كاسترلي روك)».

رَدَّ كليجاين: «كنتُ أخدمهم، أنا وآلاف غيري. هل يحمل كلٌّ منا ذنب جرائم الآخَر؟»، وبصقَ وأردفَ: «ربما تكونون فُرسانًا حقًّا. إنكم تكذبون كالفُرسان، وربما تَقتُلون جزافًا مِثلهم».

بدأ ليم وچاك المحظوظ يزعقان فيه، لكن دونداريون رفعَ يده آمرًا بالصَّمت، وقال: «قُل ما تعنيه يا كليجاين».

- «الفارس سيف على حصان، أمَّا البقيَّة، النُّذور والزُّيوت المقدَّسة وعطايا الليديهات، فمجرَّد شرائط من الحرير تُلَفُّ حول السَّيف. ربما يبدو السَّيف أجمل والشَّرائط تتدلَّى منه، لكنه يَقتُل كالسَّيف المجرَّد. حسن، لتذهب شرائطكم إلى الجحيم ولتدسُّوا سيوفكم في أدباركم. إنني مِثلكم، لكن الفارق أني لا أكذبُ بخصوص هُويَّتي. اقتُلوني إذن، لكن لا تقفوا هكذا ويُهَنِّئ بعضكم بعضًا على أن خراءكم ليس كريه الرَّائحة، هل تسمعون؟».

اندفعَت آريا متجاوزةً ذا اللِّحية الخضراء بمنتهى السُّرعة فلم يستطع اللَّحاق بها، وصرخَت: «أنت قاتِل! لقد قتلت مايكا! لا تقل إنك لم تفعل! لقد قتلته!».

حدجَها كلب الصَّيد بلا دلالةٍ على تعرُّفها، وقال: «ومَن كان مايكا هذا يا ولد؟».

- «لستُ ولدًا! لكن مايكا كان كذلك. كان صبيَّ جزَّار وأنت قتلته. چوري قال إنك فلقته إلى نِصفين، ولم يكن يحمل سيفًا».

أحسَّت بهم يَنظُرون إليها، النِّساء والأطفال والرِّجال الذين يُسَمُّون أنفسهم فُرسان التَّلِّ الأجوف، وسمعَت أحدهم يسأل: «مَن هذه؟».

أجابَ كلب الصَّيد: «بحَقِّ الجحائم السَّبع، إنها الأخت الصُّغرى، الفتاة التي ألقَت سيف چوف الأنيق في النَّهر»، وأطلقَ ضحكةً كالنُّباح مضيفًا: «ألا تعرفين أنكِ ميتة؟».

ردَّت محتدَّةً: «نعم، إنك أنت الميت».

أمسكَ هاروين ذراعها ليسحبها إلى الوراء، على حين قال اللورد بريك: «الفتاة تتَّهمك بالقتل. هل تُنكِر قتل صبيِّ الجزَّار مايكا؟».

هَزَّ الرَّجل الكبير كتفيه مجيبًا: «كنتُ حارس چوفري الخاص. صبيُّ الجزَّار هاجمَ أميرًا من الدَّم الملكي».

تلوَّت آريا محاولةً التَّملُّص من قبضة هاروين صائحةً: «كذب! أنا التي ضربتُ چوفري وألقيتُ (مخلب الأسد) في النَّهر. مايكا فَرَّ فحسب كما قلتُ له أن يفعل».

سألَ اللورد بريك كلب الصَّيد: «هل رأيت الصَّبي يتعدَّى على الأمير چوفري؟».

قال كليجاين: «سمعتُ الكلام من الشَّفتين الملكيَّتين. ليس مكاني أن أجادل الأمراء»، ولوَّح بيديه نحو آريا مواصلًا: «أختها قالت الكلام نفسه عندما وقفَت أمام حبيبكم روبرت».

رَدَّت آريا وغضبتها من أختها تشتعل من جديد: «سانزا كاذبة. ما قالته لم يَحدُث، لم يَحدُث!».

انتحى ثوروس جانبًا باللورد بريك، ووقفَا يتكلَّمان هامسيْن بينما تتميَّز آريا غيظًا. يجب أن يقتُلوه. لقد دعوتُ أن يموت مئات ومئات المرَّات.

التفتَ بريك دونداريون إلى كلب الصَّيد قائلًا: «أنت متَّهم بالقتل، لكن لا أحد هنا يُدرِك صحَّة الاتِّهام من عدمها، وعليه فليس لنا أن نَحكُم عليك. وحده إله الضِّياء يُمكنه أن يفعل هذا الآن، ولذا أُقضي بمحاكَمتك بالنِّزال».

عقدَ كلب الصَّيد حاجبيه بشَكٍّ كأنه لا يثق بأُذنيه، وسأَلَ: «أأنت أحمق أم مجنون؟».

– «لا هذا ولا ذاك، إنني رجل عادل. اثبت براءتك بالسَّيف ولك حرِّيَّة الذَّهاب».

– «لا!»، صرخَت آريا قبل أن يكتم هاروين فمها. لا، لا يُمكنهم أن يفعلوا هذا، سيفوز ويذهب. كلب الصَّيد مميت حقًّا وفي يده سيف، والكلُّ يعلم هذا. سيضحك منهم.

وقد كان. أطلقَ كليجاين ضحكةً خشنةً طويلةً تردَّدت أصداؤها على جُدران

الكهف، ضحكةً مختنقةً بالازدراء، ورمقَ ليم قائلًا بسخرية: «مَن سيُنازلني إذن؟ الشُّجاع ذو المعطف الملوَّن بالبول؟ لا؟ ماذا عنك أيها القنَّاص؟ إنك معتاد على ركل الكلاب، فجرِّبني»، ورأى ذا اللِّحية الخضراء فقال له: «حجمك كبير بما فيه الكفاية يا (تايروش)، فتقدَّم، أم أنك تنوي أن تدع الفتاة الصَّغيرة تُقاتِلني بنفسها؟»، وضحكَ ثانيةً مضيفًا: «هلمُّوا، مَن يُريد أن يموت؟».

أجابَه اللورد بريك دونداريون: «ستُواجِهني أنا».

تذكَّرت آريا ما سمعَته عنه من حكايات، وقالت لنفسها راجيةً ما لا رجاء منه: إنه لا يموت، بينما قطعَ القنَّاص المجنون الحبل الذي يُكَبِّل يدَيْ ساندور كليجاين، الذي قال وهو يَفرُك معصميه المسحوجيْن: «أريدُ سيفًا ودِرعًا».

أعلنَ اللورد بريك: «ستنال سيفك، لكن براءتك هي دِرعك».

ارتعشَ فم كليجاين، وقال: «براءتي في مواجَهة واقي صدرك، أهكذا إذن؟».

- «ند، ساعِدني على خلع واقي الصَّدر».

سرَت في جسد آريا القشعريرة إذ سمعَت اللورد بريك ينطق اسم أبيها، لكن ند هذا كان مجرَّد صبي، مُرافقًا ناعم الشَّعر لا تتجاوز سِنُّه العاشرة أو الثَّانية عشرة، وقد تقدَّم مسرعًا يحلُّ المشابك التي تُثَبِّت الفولاذ المنبعج إلى صدر اللورد الآتي من التُّخوم الدورنيَّة، فرأت البطانة تحته متعفِّنةً من فرط الاستخدام والعَرق، وانفصلَت عن المعدن لمَّا خُلِعَ.

كتمَ جندري شهقةً مغمغمًا: «رُحماكِ يا أمَّنا».

كانت ضلوع اللورد بريك محدَّدةً بوضوح قابض تحت جلده، وشوَّهت فجوة مجعَّدة صدره فوق الحلمة اليُسرى مباشرةً، وحين دارَ ليَطلُب سيفًا وتُرسًا رأت آريا فجوةً مماثلةً في ظَهره. الرُّمح اخترقَ صدره ونفذَ من ظَهره. كلب الصَّيد أيضًا رأى الإصابة، فتساءلَت آريا: أهو خائف؟ إنها تُريده أن يكون خائفًا قبل أن يموت، خائفًا كما كان مايكا لا بُدَّ.

ناولَ ند اللورد بريك حزام سيفه وسُترةً طويلةً سوداء من المفترَض أن تُرتدى فوق الدِّرع، لكن في غيابها انسدلَت السُّترة فضفاضةً على جسده الضَّاوي، وإن لاحَ عليها لسان البرق الأرجواني رمز عائلته، وامتشقَ اللورد بريك السَّيف وأعادَ الحزام إلى مُرافِقه.

أحضرَ ثوروس لكلب الصَّيد حزام سيفه قائلًا: «هل للكلاب شَرف؟ لئلَّا تُفكِّر في الخروج من هنا قتالًا أو تأخذ طفلًا ما رهينةً... آنجاي، دينيت، كايل، أمطِروه بالسِّهام مع أول بادرةٍ من الخيانة»، وانتظرَ حتى ثبَّت الرُّماة الثَّلاثة سهامهم إلى أقواسهم قبل أن يُناول كليجاين الحزام.

استلَّ كلب الصَّيد السَّيف وألقى الغِمد أرضًا، وناوَله القنَّاص المجنون تُرسه البلُّوط المطعَّم بالحديد، الذي طُلِيَ بالأصفر ورُسِمَت عليه ثلاثة كلاب سوداء، فيما ساعدَ الصَّبي ند اللورد بريك على تثبيت تُرسه على ذراعه، وقد بدا في حالةٍ مزرية حتى إن النُّجوم المرسومة عليه تكاد تختفي تمامًا، وكذا لسان البرق.

لكن حين تقدَّم كلب الصَّيد من خصمه، أوقفَه ثوروس المايري، وقال: «سنُصَلِّي أولًا»، والتفتَ إلى النَّار رافعًا يديه داعيًا: «أيا إله الضِّياء، تطلَّع إلينا من عليائك».

رفعَت أخوَّة اللَّا رايات أصواتها في كلِّ أنحاء الكهف مجيبةً: «أيا إله الضِّياء، دافِع عنا».

- «أيا إله الضِّياء، احمنا في الظُّلمات».

- «أيا إله الضِّياء، اسطع بنورك علينا».

واصلَ الرَّاهب الأحمر: «أشعِل لهبك بيننا يا راهلور، أرِنا حقيقة هذا الرَّجل أو زيفه، جندِله إذا كان مذنبًا وامنح سيفه القوَّة إذا كان بريئًا. أيا إله الضِّياء، هَب لنا الحكمة».

ترنَّم الآخَرون -وبينهم هاروين وآنجاي- بالصَّوت العالي نفسه: «فاللَّيل مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال».

قال كلب الصَّيد: «هذا الكهف مظلم أيضًا، لكني الهول هنا. أتمنى أن يكون رَبُّك رحيمًا يا دونداريون، فقريبًا ستُقابله».

دون أن يبتسم، وضعَ اللورد بريك حافةَ النَّصل على راحة يده ومرَّرها عليها ببُطء، فسالَت الدِّماء قانيةً من الشَّقِّ الذي صنعَه وأغرقَت الفولاذ.

ثم اشتعلَ السَّيف نارًا.

وسمعَت آريا جندري يُرَدِّد صلاةً هامسةً.

صاحَ كلب الصَّيد حانقًا: «احترِق في الجحائم السَّبع، أنت وثوروس

أيضًا»، وألقى نظرةً نحو الرَّاهب الأحمر مضيفًا: «أنت التَّالي عندما أفرغُ منه يا (مير)».

أجابَه ثوروس: «كلُّ كلمةٍ تلفظها تبوح بذنبك أيها الكلب»، بينما رماه ليم وذو اللِّحية الخضراء وچاك المحظوظ بالشَّتائم واللَّعنات، أمَّا اللورد بريك نفسه فانتظرَ صامتًا بهدوء المياه الرَّاكدة، تُرسه على ذراعه اليُسرى وسيفه متَّقد في يده اليُمنى، وفكَّرت آريا: اقتُله. أرجوك، يجب أن تَقتُله. في الإضاءة الآتية من أسفل كان وجهه قناع موت، وعينه المفقودة جرحًا أحمر غاضبًا. اشتعلَ السَّيف من الرَّأس حتى الواقي العرضي، لكن لم يبدُ على دونداريون أنه يحسُّ بالحرارة، ووقفَ بمنتهى الثَّبات كأنه تمثال قُدَّ من حجر.

لكن حين انقضَّ كلب الصَّيد عليه، تحرَّك بالسُّرعة الكافية.

وثبَ السَّيف النَّاري إلى أعلى ليلتقي الآخَر البارد، تمتدُّ أعلام طويلة من اللَّهب في أثره كالشَّرائط التي تحدَّث عنها كلب الصَّيد. صلصلَ الفولاذ على الفولاذ، وبمجرَّد أن صُدَّت ضربته الأولى هوى كليجاين بالثَّانية، لكن هذه المرَّة اعترضَ تُرس اللورد بريك طريقها، وتطايرَت شظايا الخشب من قوَّة الضَّربة. عنيفةً سريعةً توالَت الضَّربات، من الأعلى والأسفل، من اليمين والشِّمال، وصدَّها دونداريون جميعًا واللَّهب يتموَّج حول سيفه مخلِّفًا أشباحًا حمراء وصفراء في الهواء. كلُّ حركةٍ من اللورد بريك أجَّجت النَّار وجعلَتها تتوهَّج أكثر وأكثر، فبدا كأن قفصًا ناريًّا يُحيط بسيِّد البرق.

سألَت آريا جندري: «أهذه نار شعواء؟».

- «لا، هذه شيء آخَر، إنه...».

- «... سِحر؟»، أنهَت عبارته وكلب الصَّيد يتقهقَر خُطوةً. الآن كان اللورد بريك يضغط بالهجوم، يملأ الهواء بخيوطٍ من اللَّهب، يدفع الرَّجل الذي يَكبُره حجمًا إلى الوراء. صَدَّ كليجاين ضربةً من أعلى بتُرسه، ففقدَ أحد الكلاب المرسومة رأسه، ثم إنه سدَّد ضربةً مرتدَّةً اعترضَها دونداريون بتُرسه ووجَّه ضربةً ناريَّةً بسيفه. هلَّلت أخوَّة الخارجين عن القانون مشجِّعةً قائدها، وسمعَتهم آريا يهتفون: «إنه لك! عليك به! عليك به! عليك به!». تفادى كلب الصَّيد ضربةً قصدَت رأسه وقد التوَت ملامحه إذ شعرَ بحرارة اللَّهب على وجهه، وأنَّ وأطلقَ سبابًا وتراجعَ متعثِّرًا.

ولم يمنحه اللورد بريك فُرصةً لالتقاط أنفاسه، بل تقدَّم سريعًا في أعقاب الرَّجل الكبير دون أن تَثبُت ذراعه لحظةً، وتقارعَ السَّيفان وافترَقا وتقارَعا ثانيةً، وتطايرَت الشَّظايا من تُرس البرق، وقبَّل اللَّهب الكلاب مرَّةً واثنتين وثلاثًا. تحرَّك كلب الصَّيد إلى يمينه، لكن دونداريون صَدَّه بخُطوةٍ جانبيَّةٍ سريعة وأجبرَه على التَّراجُع في الاتِّجاه الآخَر... نحو لهيب بؤرة النَّار الأحمر الجهيم.

ظَلَّ كليجاين يتراجَع حتى أحسَّ باللَّهب يلفح ظَهره، وأرَته نظرة خاطفة من فوق كتفه ما ينتظر وراءه، وكادَت تُكلِّفه رأسه إذ عاودَ اللورد بريك الهجوم.

رأت آريا بياض عينَيْ ساندور كليجاين وهو يندفع إلى الأمام ثانيةً كالثَّور. ثلاث خُطوات إلى الأمام واثنتان إلى الخلف، حركة إلى اليسار اعترضَها اللورد بريك، خُطوتان أخريان إلى الأمام وواحدة إلى الخلف، قرعة وقرعة، وتلقَّى التُّرسان البلُّوط ضربةً بَعد ضربةٍ بَعد ضربة. ألصقَ العَرق اللَّامع شَعر كلب الصَّيد المسترسل بجبهته، فقالت آريا لنفسها: عَرق النَّبيذ، وقد تذكَّرت أنه وقعَ في الأسر سكرانًا. خُيِّلَ إليها أنها ترى بوادر الخوف تستيقظ في عينيه، وفكَّرت منتشيةً وسيف اللورد بريك يدور ويهوي: سيخسر. بانقضاضةٍ واحدةٍ ضارية استحوذَ سيِّد البرق على المساحة التي انسحبَ منها كلب الصَّيد، جاعلًا كليجاين يتقهقَر مترنِّحًا من جديدٍ إلى شفا بؤرة النَّار، وقالت آريا في أعماقها: نعم، نعم، سيموت، وشَبَّت على أصابع قدميها سعيًا إلى رؤيةٍ أفضل.

- «أيها الخسيس!»، صرخَ كلب الصَّيد شاعرًا بألسنة اللَّهب تلعق فخذيه من الخلف، وانقضَّ ملوِّحًا بالسَّيف الثَّقيل أقوى وأقوى، محاولًا أن يُحطِّم الرَّجل الأصغر منه حجمًا بالقوَّة الغاشمة، أن يكسر نصله أو تُرسه أو ذراعه، لكن لهب دونداريون طقطقَ في عينيه، ولمَّا تفاداه كليجاين بحركةٍ حادَّة تداعَت ساقه من تحته وسقطَ على رُكبته، ومن فوره انقضَّ اللورد بريك لتَصرُخ ضربته الموجَّهة من أعلى في الهواء وتُرَفرف معها رايات النَّار. لاهثًا من المجهود المفرط، رفعَ كليجاين تُرسه فوق رأسه في الوقت المناسب، وتردَّدت أصداء انشقاق الخشب في الكهف.

قال جندري بصوتٍ مكتوم: «تُرسه يحترق»، ورأته آريا في اللَّحظة نفسها، اللَّهب يشبُّ في الطِّلاء الأصفر المشوَّه ويبتلع الكلاب الثَّلاثة.

قاتلَ ساندور كليجاين لينهض مجدَّدًا بضرباتٍ مضادَّة رعناء، ولم يكد اللورد بريك يتراجَع خُطوةً حتى أدركَ كلب الصَّيد أن النَّار التي تجأر على هذه المقربة من وجهه هي تُرسه المشتعل، وبصيحة ارتياع هوى بسيفه على البلُّوط المكسور بضراوةٍ مكملًا دماره. انفلقَ التُّرس إلى نصفين، طارَ أحدهما بعيدًا والنَّار تلتهمه، أمَّا الثَّاني فتمسَّك بساعده بعناد، ولم تُفلِح محاولاته للتَّخلُّص منه إلَّا في إزكاء اللَّهب أكثر ليطول كُمَّه وتشتعل ذراعه اليُسرى كلُّها.

حَثَّ ذو اللِّحية الخضراء اللورد بريك صائحًا: «أجهِز عليه!»، وارتفعَت أصوات الآخَرين بهتاف: «مذنب!»، وهتفَت آريا معهم: «مذنب، مذنب، اقتُله، مذنب!».

بنعومة الحرير الصَّيفي دنا اللورد بريك ليضع نهايةً للرَّجل، وأطلقَ كلب الصَّيد صرخةً خشنةً ورفعَ سيفه بكلتا لديه وهوى به بقوَّته كلِّها، فصَدَّ اللورد بريك الضَّربة ببساطة...

وصرخَت آريا: «لاااااا!».

... لكن السَّيف المضطرم انكسرَ إلى نِصفين، وانغرسَ فولاذ كليجاين البارد في لحم اللورد بريك حيث يلتقي عُنقه وكتفه، وشَقَّه حتى عظم صدره، وانبثقَت الدِّماء في دُفقةٍ سوداء ساخنة.

تراجعَ ساندور كليجاين بحركةٍ حادَّة وذراعه لا تزال تحترق، وانتزعَ بقايا تُرسه وألقاها بعيدًا وهو يسبُّ، ثم تدحرجَ في التُّراب ليُخمِد النَّار.

انطوَت رُكبتا اللورد بريك ببُطءٍ كأنه يركع للصَّلاة، وحين فتحَ فمه لم يَخرُج منه إلَّا الدَّم. كان سيف كلب الصَّيد لا يزال مغروسًا فيه إذ خَرَّ ساقطًا إلى الأمام، وتشرَّبت الأرض دماءه.

تحت التَّلِّ الأجوف لم يكن هناك صوت إلَّا طقطقة اللَّهب الخافتة والنَّشيج الذي صدرَ من كليجاين عندما حاولَ أن ينهض، ولم تستطِع آريا إلَّا التَّفكير في مايكا وكلِّ الصَّلوات السَّخيفة التي ردَّدتها لموت كلب الصَّيد. إذا كانت هناك آلهة، فلِمَ لم يفُز اللورد بريك؟ إنها تعلم علم اليقين أن كلب الصَّيد مذنب!

قالساندور كليجاين بصوتٍ مبحوح وهو يحمل ذراعه بيده ويضمُّها إلى صدره: «أرجوكم، لقد احترقتُ، ساعِدوني، أرجوكم، ساعِدوني»، وبكى بحرقةٍ مردِّدًا: «أرجوكم».

رمقته آريا بدهشةٍ مفكِّرةً: إنه يبكي كالأطفال.

قال ثوروس: «ميلي، عليكِ بحروقه. ليم، چاك، ساعِداني على حمل اللورد بريك. ند، يَحسُن أن تأتي أيضًا»، وانتزعَ الرَّاهب الأحمر سيف كلب الصَّيد من جسد سيِّده الصَّريع وأغمدَ رأسه في الأرض المرتوية بالدِّماء.

دَسَّ ليم يديه الكبيرتين تحت ذراعَيْ دونداريون، بينما رفعَ چاك المحظوظ قدميه، وحملاه حول بؤرة النَّار إلى ظُلمة أحد الأنفاق، وتبعهما ثوروس والصَّبي ند.

بحدَّةٍ قال القنَّاص المجنون: «لنأخذه إلى (السِّپت الحجري) ونضعه في قفص غِربان».

قالت آريا: «نعم. لقد قتل مايكا، قتلَه!».

تمتمَ ذو اللِّحية الخضراء: «يا لكِ من سنجابٍ غاضب».

تنهَّد هاروين، وقال: «راهلور حكمَ ببراءته».

- «مَن رولور هذا؟!». لم تستطِع حتى أن تنطق الاسم صحيحًا.

- «إله الضِّياء. ثوروس علَّمنا...».

لم تكترث لما علَّمهم إياه ثوروس، واختطفَت خنجر ذي اللِّحية الخضراء من غِمده ووثبَت مبتعدةً قبل أن يُمسِكها، وحاولَ جندري إمساكها أيضًا، لكن لطالما كانت آريا أسرع منه.

كان توم سبعة أوتار وامرأة ما يُساعِدان كلب الصَّيد على القيام، وصدمَها منظر ذراعه حتى إنها عجزَت عن الكلام. كان هناك شريط وردي حيث تعلَّق الحزام الجِلدي بالذِّراع، لكن فوقه وتحته اللَّحم مشقَّق وينزف من المِرفق إلى المعصم، ولمَّا التقَت عينا الرَّجل عينيها ارتعشَ فمه، وقال: «أترغبين في موتي لهذه الدَّرجة؟ افعليها إذن أيتها الذِّئبة. أغمِدي هذا الخنجر في جسدي. إنها ميتة أنظف من النَّار»، وحاولَ أن ينهض، لكن إذ تحرَّك انسلخَت قطعة من اللَّحم عن ذراعه وسقطَت، وتداعَت رُكبتاه من تحته، إلَّا أن توم أمسكَه من ذراعه السَّليمة وسندَه.

فكَّرت آريا: ذراعه ووجهه، لكنه كلب الصَّيد، ويستحقُّ أن يحترق في الدَّرك الأسفل من الجحيم. أحسَّت بالخنجر ثقيلًا في يدها، فأطبقَت عليه وقالت مرَّة أخرى متحدِّيةً إياه أن يُنكِر: «لقد قتلت مايكا. قُل لهم. لقد قتلته، قتلته».

التوَت ملامحه كلُّها وهو يقول: «نعم، دعسته بحصاني وشطرته إلى نِصفين وضحكتُ. وشاهدتُ بينما ضربوا أختكِ حتى أدموها أيضًا، وشاهدتهم يقطعون رأس أبيكِ».

قبضَ ليم على معصمها ولواه وانتزعَ منها الخنجر. راحَت تَركُله لكنه رفضَ أن يُعيده، فصرخَت في وجه ساندور كليجاين بثورةٍ عاجزة: «اذهب إلى الجحيم يا كلب الصَّيد! اذهب إلى الجحيم!».

قال صوت يكاد لا يعلو على همسة: «قد ذهبَ بالفعل».

وحين التفتَت آريا كان اللورد بريك دونداريون واقفًا وراءها، تُطبِق يده الدَّامية على كتف ثوروس.





كاتلين

قالت كاتلين في سريرتها: فلينعم ملوك الشِّتاء بسردابهم البارد تحت الأرض. أمَّا آل تَلي فيستمدُّون قوَّتهم من النَّهر، وإلى النَّهر يرجعون حينما تنتهي حياتهم.

مَدَّدوا اللورد هوستر في قارب خشبيٍّ نحيف، وقد سجَّوه بدِرعٍ برَّاقة من الصَّفائح والحلقات المعدنيَّة المطليَّة بالفضَّة، وبسطوا تحته معطفَه المموَّج بالأزرق والأحمر، اللَّونين اللذين تكوَّنت منهما سُترته الطَّويلة أيضًا، بينما تألَّفت ريشة خوذته العظيمة الموضوعة إلى جوار رأسه من سمكة ترويت قشورها من الفضَّة والبرونز، وعلى صدره وضعوا سيفًا خشبيًّا ملوَّنًا تكوَّرت أصابعه حول مقبضه. أخفى قُفَّازان من حلقات المعدن يديه الذَّابلتين وجعلاه يبدو أقرب إلى القوَّة مجدَّدًا، واستقرَّ تُرسه الضَّخم المصنوع من البلُّوط والحديد إلى يساره وبوقه إلى يمينه، أمَّا بقيَّة القارب فمُلِئَت بالخشب المجروف والمواد الملتهبة وقِطع الرَّقوق، بالإضافة إلى الحجارة من أجل أن يظلَّ ثقيلًا في الماء، ومن مقدِّمة القارب خفقَت راية اللورد هوستر وعليها سمكة (ريڤرِرَن) الوثَّابة.

تكريمًا لأوجُه الإله السَّبعة اختيرَ سبعة رجال لدفع القارب إلى الماء، أولهم روب باعتباره مولى اللورد هوستر، ومعه اللوردات براكن وبلاكوود وڤانس وماليستر والسير مارك پايپر... ولوثار فراي الكسيح، الذي جاءَ من (التَّوأمتين) بالإجابة التي ينتظرونها، وقد رافقَه أربعون جنديًّا يقودهم والدر ريڤرز أكبر أبناء اللورد والدر غير الشَّرعيِّين، وهو رجل أشيب صارم ذو سُمعةٍ مهيبة كمُحارب. فجَّر وصولهم بَعد ساعاتٍ معدودة من وفاة اللورد هوستر غضبة إدميور، الذي

صاحَ: «المفترَض أن يُسلَخ والدر فراي ويُمَزَّق إلى أربع[1]! يُرسِل واحدًا عاجزًا وآخَر نغلًا ليتعامَلا معنا؟ قولي لي إنه لا يقصد إهانةً بهذا».

أجابَت كاتلين: «لا شَكَّ لديَّ في أن اللورد والدر انتقى مبعوثيْه بعناية. إنه تصرُّف نَزِق، نوع رخيص من الانتقام، لكن تذكَّر مع مَن نتعامَل؛ اللورد والدر المتلكِّئ كما اعتادَ أبونا أن يُسَمِّيه. إنه حاد الطِّباع وحسود، وفوق كلِّ شيءٍ آخَر متغطرس».

لكن من الخير أن ابنها كان أكثر تعقُّلًا من أخيها، فحيًّا روب ولدَيْ فراي بكلِّ حفاوة، ووجدَ مكانًا في الثُّكنات لمُرافِقيهم، وبهدوءٍ طلبَ من السير دزموند جرِل أن يتنحَّى جانبًا كي ينالَ لوثار شَرف المساعدة على تشييع اللورد هوستر إلى مثواه الأخير. لقد تعلَّم ابني حكمةً قاسيةً تفوق سِنِيِّ عُمره. ربما تخلَّت عائلة فراي عن الملك في الشَّمال، لكن يبقى سيِّد (المعبر) أقوى حمَلة راية (ريڤررَن)، ولوثار هنا ممثِّلًا عنه.

أطلقَ السَّبعة اللورد هوستر من عند سلالم الماء، وخاضوا نازلين الدَّرجات فيما ارتفعَت الشَّبكة الحديد. كان لوثار فراي، وهو رجل بدين لدن الجسد، يلهث بقوَّةٍ وهُم يدفعون القارب إلى التَّيَّار، ووقفَ چيسون ماليستر وتايتوس بلاكوود عند المقدِّمة غائصيْن في الماء حتى الصَّدر ليقوداه إلى طريقه في النَّهر.

وقفَت كاتلين في الشُّرفة تنتظر وتُشاهِد كما فعلَت مرارًا من قبل، وفي الأسفل تدفَّق نهر (الجُلمود) العاتي بسُرعة الحربة إلى جانب (الفرع الأحمر) الواسع، يَمخُض تيَّاره الأبيض المزرقُّ مياه النَّهر الأكبر التي أكسبَها الطَّمي لونًا بنِّيًّا يميل إلى الحُمرة، وفوق صفحة الماء استقرَّت غشاوة صباحيَّة رقيقة كلُعاب الشَّمس[2] وخيوط الذِّكرى.

---

(1) وسيلة إعدام شاعَت في العصور الوُسطى وحتى القرن الثَّامن عشر، واستخدمَتها محاكم التَّفتيش الإسبانيَّة كثيرًا، بحيث تُربَط يدا المُدان وساقاه إلى أربعة أحصنة تظلُّ تتحرَّك حتى تتمزَّق أوصاله. (المترجم).

(2) لُعاب الشَّمس أو السَّهام غشاء رقيق كنسيج العنكبوت يطفو في الهواء إذا ما اشتدَّ الحَرُّ وتشبَّع الجَوُّ بالرُّطوبة. (المترجم).

فكَّرت كاتلين بلوعة: بران وريكون في انتظاره الآن كما اعتدتُ أن أنتظره.

تحرَّك القارب النَّحيف تحت قنطرة (بوَّابة الماء) الحجريَّة الحمراء، تتزايَد سُرعته مع دخوله مجرى (الجُلمود) العنيف واندفاعه إلى ملتقى النَّهرين الثَّائر، قبل أن يَخرُج من تحت أسوار القلعة العالية لتَنفُخ الرِّيح شراعه المربَّع، ورأت كاتلين بريق الشَّمس منعكسًا على خوذة أبيها.

ظلَّت دفَّة اللورد هوستر تَلي ثابتةً، وأبحرَ بجلالٍ في منتصَف المجرى نحو الشَّمس المشرقة.

قال عمُّها: «الآن»، وإلى جوارها ثبَّت أخوها إدميور -اللورد إدميور الآن بالأحرى، وكم ستستغرق من الوقت حتى تعتاد هذا؟- سهمًا إلى وتر قوسه، ووضعَ مُرافِقه مشعلًا موقدًا عند رأس السَّهم، فانتظرَ إدميور حتى شَبَّ فيه اللَّهب قبل أن يرفع القوس الطَّويل ويسحب الوتر إلى أذنه، ثم تركَ السَّهم المشتعل يُحلِّق بصوتٍ طنَّان عميق، وتابعَته كاتلين بعينيها وقلبها، إلى أن انغرسَ في الماء بهسيسٍ واطئ وراء قارب اللورد هوستر بمسافةٍ طويلة.

أطلقَ إدميور سبابًا خافتًا، وغمغمَ وهو يسحب سهمًا ثانيًا: «إنها الرِّيح. مرَّة أخرى»، فقبَّل المشعل الخرقة المشبَّعة بالزَّيت وراء رأس السَّهم واشتعلَ اللَّهب، ورفعَ إدميور القوس مجدَّدًا وسحبَ وأطلقَ. عاليًا وبعيدًا حلَّق السَّهم، بعيدًا جدًّا، واختفى في النَّهر على بُعد دستةٍ من الياردات من القارب لتنطفئ ناره في لحظة، فسرَت حُمرة بلون لحيته على عُنق إدميور، وقال آمرًا وهو يسحب سهمًا ثالثًا من الكنانة: «مرَّة أخرى».

فكَّرت كاتلين: إنه مشدود كوتر القوس.

ولا بُدَّ أن السير برايندن رأى الشَّيء نفسه، فقال مقترحًا: «اسمح لي يا سيِّدي».

رَدَّ إدميور بإصرار: «يُمكنني أن أفعلها»، وتركَ مُرافِقه يُشعِل السَّهم وعادَ يرفع القوس، وأخذَ نفسًا عميقًا وسحبَ. مرَّت لحظة طويلة وهو يبدو متردِّدًا بينما زحفَ اللَّهب مطقطقًا على قناة السَّهم، ثم إنه أطلقَ أخيرًا، وارتفعَ السَّهم إلى أعلى وأعلى، قبل أن ينحني إلى أسفل ويَسقُط ويَسقُط... ويمرُّ مهسهسًا بالشِّراع المنتفخ.

رمية قريبة للغاية، ولم تتعدَّ المسافة بين السَّهم والقارب حجم كَفٍّ

مفتوحة، لكنها تظلُّ رميةً خاطئةً، وصاحَ إدميور غاضبًا: «تبًّا!». كان القارب يُشارِف على الخروج من المدى، يتوارى في ضباب النَّهر ويلوح ثانيةً، وبلا كلمةٍ أخرى ألقى أخوها القوس إلى عمِّهما.

قال السير برايندن: «بسُرعة»، وركَّب سهمًا جديدًا على الوتر ورفعَه بثباتٍ إلى المشعل، وسحبَه وأطلقَه قبل أن تتأكَّد كاتلين حتى من أن النَّار اشتعلَت في رأسه... لكن السَّهم ارتفعَ عاليًا ورأت ذيله النَّاري في الهواء كرايةٍ برتقاليَّة شاحبة. كان القارب قد اختفى في الضَّباب الذي ابتلعَ السَّهم النَّاري أيضًا إذ بدأ رحلة السُّقوط... لكن مدَّة لحظةٍ واحدة لا أكثر، ثم كما يأتي الأمل على حين غرَّة رأوا الزَّهرة الحمراء تتفتَّح، واشتعلَت النَّار في الشِّراع وتوهَّج الضَّباب بالوردي والبرتقالي، وللحظةٍ عابرة رأت كاتلين حدود القارب بوضوحٍ واللَّهب المضطرم يُكلِّله.

وسمِعَت أباها يهمس لها: ترقَّبي عودتي يا قطَّتي الصَّغيرة.

مدَّت كاتلين يدها بحركةٍ تلقائيَّة بحثًا عن يد أخيها، لكن إدميور كان قد ابتعدَ ليقف وحده على أعلى نقاط الشُّرفة، فالتقطَ عمُّها برايندن يدها بدلًا منه لتُعانِق أصابعه القويَّة أصابعها، ومعًا شاهَدا النَّار الصَّغيرة تتضاءَل إذ جرفَ النَّهر القارب المحترق بعيدًا.

ثم إنه غابَ عن الأنظار... إمَّا أنه لا يزال يَمخُر الماء في اتِّجاه المصب، وإمَّا تحطَّم وغاصَ. سيحمل ثِقل الدِّرع اللورد هوستر إلى أسفل ليستريح وسط طمي قاع النَّهر النَّاعم، في الأبهاء المائيَّة التي يعقد فيها آل تَلي بلاطهم إلى الأبد، لا يُصاحِبهم في مستقرِّهم الأخير إلَّا أسراب السَّمك.

لم يكد القارب يختفي حتى ابتعدَ إدميور. أرادَت كاتلين أن تحتضنه ولو لحظةً، أن تجلس معه ساعةً أو ليلةً أو دورة قمرٍ ليتكلَّما عن الرَّاحلين وينعياهم، لكنها تُدرِك أن هذا ليس بالوقت المناسب، فأخوها سيِّد (ريفررَن) الآن، وفُرسانه يحتشدون حوله مردِّدين عبارات العزاء ووعود الإخلاص، يحجبونه عن شيءٍ متناهي الصِّغر كحزن شقيقته، وأصغى لهم إدميور دون أن يسمع كلمةً واحدةً.

قال لها عمُّها بهدوء: «لا عار في أن يُخطِئ المرء رميته، ولا بُدَّ أن يسمع إدميور هذا. يوم أطلقنا السيِّد والدي في النَّهر أخطأ هوستر الرَّمية كذلك».

كانت كاتلين أصغر من أن تتذكَّر في ذلك الحين، لكن كثيرًا ما حكى اللورد هوستر الموقف، فقالت: «الرَّمية الأولى، لكن الثَّانية أصابَت الشِّراع»، وزفرَت مفكِّرةً أن إدميور ليس بالقوَّة التي تبدو عليه. لقد كان موت أبيهما رحمةً حين أتى أخيرًا، إلَّا أن أخاها تلقَّاه كصدمةٍ عنيفة على الرغم من هذا.

ليلة أمس وهو سكران انهارَ إدميور وانفجرَ في البُكاء وقد ملأه النَّدم على أفعال لم تتمَّ وكلماتٍ لم تُقَل، وقال لها والعبرات تترقرَق في عينيه إنه لم يكن يَجدُر به أن يَخرُج ويخوض تلك المعركة عند المخاضات، بل كان عليه أن يبقى إلى جوار فِراش أبيه. «كان يجب أن أكون معه مِثلكِ. هل ذكرَني في النِّهاية؟ قولي الحقيقة يا كات، هل سألَ عني؟».

آخِر كلمةٍ لفظَها اللورد هوستر كانت «تانسي»، لكن كاتلين لم تستطع أن تُخبره بهذا، وبدلًا من هذا أجابَته كاذبةً: «لقد همسَ باسمك»، فأومأ أخوها برأسه ممتنًّا وقبَّل يدها.

قالت لنفسها متنهِّدةً: لو لم يُحاوِل أن يُغرِق أساه بالنَّبيذ لاستطاعَ إصابة الهدف، لكن هذا شيء آخَر لا تجرؤ على قولِه.

اصطحبَها السَّمكة السَّوداء نزولًا من الشُّرفة إلى حيث وقفَ روب وسط حمَلة رايته، وإلى جواره ملكته الشَّابَّة، ولمَّا رآها ابنها احتواها بين ذراعيه بصمت، أمَّا چاين فغمغمَت: «اللورد هوستر بدا نبيلًا كالملوك يا سيِّدتي. ليتني نلتُ فُرصة معرفته».

أضافَ روب: «وفُرصة أن أعرفه أفضل».

قالت كاتلين: «كان ليرغب في هذا أيضًا، لكن بين (ريڤررَن) و(وينترفل) فراسخ كثيرة». وجبال وأنهار وجيوش كثيرة بين (ريڤررَن) و(العُش) على ما يبدو. لقد امتنعَت لايسا عن الرَّدِّ على رسالتها.

ومن (كينجز لاندنج) أيضًا لم يأتِ إلَّا الصَّمت. كانت تأمل أن بريان والسير كليوس قد بلغا المدينة بأسيرهما، ولعلَّ بريان في طريق العودة بالفعل ومعها البنتان. السير كليوس أقسمَ أن يجعل العِفريت يُرسِل غُدافًا بمجرَّد أن تتمَّ المبادَلة، أقسمَ! لكن الغِدفان لا تصل إلى وجهتها دائمًا، وربما أسقطَ قوَّاس ما الطَّائر وشواه على العَشاء، والآن تستقرُّ الرِّسالة التي كانت لتُطمئِن قلبها في رماد نار معسكرٍ ما وسط عظام الغُداف.

كان آخَرون منتظرين أن يُقَدِّموا لروب تعازيهم، فوقفَت كاتلين جانبًا بصبر بينما تكلَّم معه كلٌّ من اللورد چيسون ماليستر وچون الكبير والسير رولفَ سپايسر بدوره، لكن حين اقتربَ لوثار فراي شَدَّت روب من كُمِّه، فالتفتَ وانتظرَ أن يسمع ما سيقوله لوثار.

لوثار فراي رجل سمين في منتصَف الثَّلاثينات، له عينان متقاربتان ولحية مدبَّبة وشَعر داكن ينسدل على كتفيه في حلقاتٍ صغيرة، أكسبَته ساقه التي التوَت في أثناء مولده لقب لوثار الكسيح، وقد خدمَ كوكيل أبيه طيلة الاثنتي عشرة سنة المنصرمة. خاطبَ فراي روب قائلًا: «جلالة الملك، نكره أن نتطفَّل على حزنك، لكن هلَّا سمحت لنا بالتَّحدُّث معك اللَّيلة؟».

أجابَ روب: «سيكون هذا من دواعي سروري. لم تكن رغبتي قَطُّ أن أزرع الخصومة بيننا».

وقالت الملكة چاين: «ولا رغبتي أن أكون سببًا فيها».

ابتسمَ لوثار فراي قائلًا: «أتفهَّمُ هذا كما يتفهَّمه أبي. لقد أوصاني بأن أقول إنه كان شابًّا ذات يوم، ويتذكَّر تمامًا كيف يسلب الجَمال قلب المرء».

شَكَّت كاتلين كثيرًا في أن والدر فراي قال شيئًا كهذا، أو أن جميلةً ما استحوذَت على قلبه يومًا. لقد عمَّر سيِّد (المعبر) بَعد وفاة سبع زوجات ومتزوِّج الآن بالثَّامنة، لكنه لا يتكلَّم عنهن إلَّا باعتبارهن نساءً لتدفئة فِراشه والتَّكاثُر. على أن الكلام قيلَ بتهذيب، ولا يُمكنها الاعتراض على هذه المجامَلة، وكذا روب الذي قال: «أبوك شديد الدَّماثة. سأتطلَّعُ إلى حديثنا».

انحنى لوثار ولثمَ يد الملكة وانسحبَ، فيما تجمَّع دستة من الآخَرين حول روب، فتكلَّم معهم واحدًا تلو الآخَر، يُعطي هذا كلمة شُكرٍ وذاك ابتسامةً، حسبما دعَت الحاجة، ولمَّا فرغَ من آخِرهم عادَ يلتفت إلى كاتلين قائلًا: «ثمَّة أمر يجب أن نتحدَّث فيه. هلَّا مشيتِ معي؟».

– «كما تأمر يا جلالة الملك».

– «لم يكن أمرًا يا أمَّاه».

– «من دواعي سروري أن آتي معك إذن». منذ عادَ ابنها إلى (ريڤرَن) وهو يُعامِلها برِفقٍ ولُطف، وإن سعى إلى الكلام معها نادرًا، ولكن لا يُمكنها أن تلومه إذا وجَدَ راحةً أكثر في صُحبة ملكته الشَّابَّة. چاين تجعله يبتسم، وأنا

ليس لديَّ ما أمنحه إياه إلَّا الحسرة. ويبدو أنه يستمتع بصُحبة أخوَيْ عروسه أيضًا؛ مُرافقه الصَّغير رولام وحامِل علمه السير رايناالد، وقد أدركَت كاتلين وهي تُشاهِدهم معًا أنهما حَلَّا محلَّ من فقدَهم. رولام أخذَ مكان بران، ورايناالد جزء ثيون وجزء چون سنو. فقط مع أولاد وسترلينج ترى روب يبتسم أو تسمعه يضحك كالصَّبي الذي كانه، أمَّا مع الآخَرين فهو دومًا الملك في الشَّمال، محنيٌّ رأسه تحت ثِقل التَّاج، حتى وهو عار.

قبَّل روب زوجته برقَّةٍ ووعدَ بأن يراها في مسكنهما، ثم ذهبَ مع السيِّدة أمِّه، وقادَته خُطاه إلى أيكة الآلهة، حيث قال: «لوثار بدا ودودًا، وهي علامة تبعث على الأمل. إننا في حاجةٍ إلى آل فراي».

- «وإن كان هذا لا يعني أننا سَنحصُل عليهم بالضَّرورة».

أومأ برأسه موافقًا وعلى ملامحه كآبة وفي كتفيه انحناءة جعلَت قلبها يختلج من أجله. التَّاج يسحقه سحقًا. يُريد بشدَّةٍ أن يكون ملكًا صالحًا، أن يكون شُجاعًا وشريفًا وذكيًّا، لكن التَّاج أثقل من أن يحتمله صبي. تعلم أن روب يبذل قصارى جهده، لكن الضَّربات ظلَّت تتوالى واحدةً تلو الأخرى بلا هوادة. عندما أتوه بنبأ معركة (وادي الغسق)، حيث حطَّم اللورد راندل تارلي كلًّا من روبت جلوڤر والسير هلمان تولهارت، توقَّعت أن تتفجَّر غضبته، لكنه حدَّق بدلًا من هذا مصدومًا وقال: «(وادي الغسق) الواقعة على (البحر الضيِّق)؟ ولماذا يذهبا إلى (وادي الغسق)؟»، وهَزَّ رأسه مذهولًا حائرًا، وأضافَ: «فقدتُ ثُلث مُشاتي من أجل (وادي الغسق)؟!».

قال جالبارت جلوڤر بصوتٍ أثقلَه اليأس: «الحديديُّون أخذوا قلعتي، والآن أخذَ آل لانستر أخي». كان روبت جلوڤر قد نجا من المعركة، لكن لم يمضِ وقت طويل حتى وقعَ في الأسر على (طريق الملوك).

وَعدَه ابنها قائلًا: «لن يدوم هذا طويلًا. سأعرضُ عليهم مارتن لانستر مقابل استعادته، وسيقبل اللورد تايوين مرغمًا لأجل خاطر أخيه». مارتن ابن السير كيڤان، توأم ويلم الذي اغتالَه اللورد كارستارك، وهي الجريمة التي تعرف كاتلين أنها لا تزال تُسيطِر على أفكار ابنها، حتى إنه ضاعفَ الحراسة ثلاث مرَّات على مارتن، ومع ذلك يظلُّ قلقًا على سلامته.

قال روب وهما يمشيان في الرُّواق: «كان عليَّ أن أبادل قاتِل الملك بسانزا

فور أن ناشَدتني أن أفعل. إذا عرضتُ أن أزوِّجها فارس الزُّهور فلربما كان آل تايرل معنا الآن بدلًا من چوفري. كان يجب أن أفكِّر في هذا».

- «كان عقلك مشغولًا بمعاركك، ولك الحَق. حتى الملوك لا يُفكِّرون في كلِّ شيء».

تمتمَ روب وهو يَخرُج بها بين الأشجار: «معاركي. لقد انتصرتُ في كلِّ معركة، وعلى الرغم من ذلك هأنذا أخسرُ الحرب بشكلٍ ما»، ورفعَ بصره إلى السَّماء كأنما سيجد الإجابة مكتوبةً فيها، وأردفَ: «الحَديديُّون سيطروا على (وينترفل) و(خندق كايلن)، وماتَ أبي وبران وريكون، وربما آريا كذلك، والآن لحقَ بهم أبوكِ».

لم يُمكنها أن تدعه يستسلم لليأس، فهي تعي مذاقه المرير جيِّدًا جدًّا، فسارعَت تقول: «أبي كان يموت منذ فترةٍ طويلة، ولم يكن بإمكانك أن تُغَيِّر هذا. لقد ارتكبت عددًا من الأخطاء يا روب، لكن مَن الملك الذي لم يفعل؟ كان ند ليفخر بك حقًّا».

- «هناك شيء يجب أن تعرفيه يا أمِّي».

انقبضَ قلب كاتلين في صدرها مفكِّرةً: إنه شيء يكرهه، شيء يخشى أن يقوله لي. كلُّ ما استطاعَت التَّفكير فيه هو بريان ومهمَّتها، فسألَته: «أهو قاتِل الملك؟».

- «لا، إنها سانزا».

فكَّرت كاتلين في الحال: ماتَت. فشلَت بِريان وماتَ چايمي وقتلَت سرسي ابنتي الجميلة ثأرًا له. مرَّت لحظات دون أن تعرف كيف تتكلَّم، قبل أن تقول أخيرًا: «هل... هل رحلَت يا روب؟».

لاحَت عليه الدَّهشة وهو يُردِّد: «رحلَت؟»، ثم أردفَ: «ماتت؟ أوه، لا يا أمِّي، ليس هذا. إنهم لم يُؤذوها، ليس هكذا على الأقل، لكن... وصلَنا طائر ليلة أمس، لكني لم أستطع أن أُخبركِ قبل أن نُشَيِّع أباكِ إلى مثواه الأخير»، ثم التقطَ يدها قائلًا: «لقد زوَّجوها تيريون لانستر».

تشبَّثت أصابعها بأصابعه، وقالت: «العِفريت».

- «نعم».

قالت كالمخدَّرة: «لقد أقسمَ أن يُبادِلها بأخيه، هي وآريا. قال إننا

سنستردُّهما إذا أعدنا عزيزه چايمي وأقسمَ على هذا أمام البلاط كلِّه، فكيف يتزوَّجها بَعد أن قال هذا على مرأى من الآلهة والبَشر؟».

مَسَّ روب قبيعة سيفه قائلًا: «إنه أخو قاتِل الملك، الحنث بالأيمان يجري في دمائهم. لو استطعتُ لقطعتُ رأسه القبيح، فعندئذٍ ستترمَّل سانزا وتتحرَّر. لا أرى سبيلًا آخَر. لقد جعلوها تُرَدِّد النُّذور أمام سِپتون وترتدي معطفًا قرمزيًّا».

تذكَّرت كاتلين الرَّجل الصَّغير القبيح الذي قبضَت عليه في الخان على تقاطُع الطُّرق وحملَته إلى (العُش)، وقالت: «كان عليَّ أن أترك لايسا تُلقيه من (باب القمر). صغيرتي المسكينة سانزا... لماذا يفعل بها أيُّ أحدٍ شيئًا كهذا؟».

أجابَ روب بلا إبطاء: «من أجل (وينترفل). سانزا وريثتي بَعد موت بران وريكون، فإذا حدثَ لي شيء...».

تشبَّثت بيده بقوَّةٍ قائلةً: «لا شيء سيَحدُث لك، لا شيء. لن أحتمل ذلك. لقد أخذوا ند وأخويك الغاليَيْن، وسانزا تزوَّجت، وآريا مفقودة، وأبي ماتَ... إذا حدثَ شيء لك سأفقدُ عقلي يا روب. أنت كلُّ ما تبقَّى لدي، أنت كلُّ ما تبقَّى للشَّمال».

- «لم أمُت بعدُ يا أمي».

فجأةً اعتراها خوف طاغ دفعَها لأن تقول دون أن تُخطئ نبرة اليأس في صوتها: «ليس من المحتَّم أن تُخاض الحروب حتى آخِر قطرة دم. لن تكون أول ملكٍ يركع، ولا حتى أول ستارك».

زَمَّ فمه قائلًا: «لا، هيهات».

- «لا عار في هذا. بالون جرايچوي ركعَ لروبرت حين فشلَ تمرُّده، وتورين ستارك فضَّل الرُّكوع لإجون الفاتح على رؤية جيشه يُواجِه النِّيران».

قال: «هل قتلَ إجون أبا تورين؟»، وسحبَ يده من يدها مضيفًا: «قلتُ هيهات».

إنه يلعب دور الصَّبي الآن، لا الملك. «آل لانستر لا يحتاجون إلى الشَّمال. سيُطالِبون بالبيعة وعددٍ من الرَّهائن لا أكثر... والعِفريت سيحتفظ بسانزا مهما فعلنا، أي أن لديهم رهينة بالفعل. الحديديُّون سيكونون عدوًّا ألدَّ، تأكَّد

من هذا. إذا كانوا يرجون الهيمنة على الشَّمال، فلن يَترُك آل جرايچوي سليلًا واحدًا لعائلة ستارك على قيد الحياة ليُنازعهم على حَقِّهم في الحُكم. ثيون قتلَ بران وريكون، والآن كلُّ ما عليهم أنَ يَقتُلوك... وچاين أيضًا، نعم. هل تحسب أن اللورد بالون سيسمح ببقائها حيَّةً لتُنجب لك ورثةً؟».

قال روب بملامح جامدة: «ألهذا أطلقتِ سراح قاتِل الملك؟ لتُقيمي السَّلام مع آل لانستر؟».

- «أطلقتُ سراح چايمي في سبيل سانزا... وآريا أيضًا إذا كانت حيَّةً، وأنت تعلم هذا. لكن أهي خطيئة إذا كنتُ قد حملتُ شيئًا من الأمل في إقامة السَّلام؟».

- «نعم. آل لانستر قتلوا أبي».

- «أتحسب أني نسيتُ هذا؟».

- «لا أدري. هل نسيتِ؟».

لم تضرب كاتلين أطفالها إذا أغضبوها قَطُّ، لكنها كادَت تصفع روب الآن، ولم يمنعها إلَّا الجهد الجهيد الذي بذلَته لتتذكَّر كم هو خائف وحيد الآن. قالت له: «أنت الملك في الشَّمال والخيار خيارك. لا أطلبُ أكثر من أن تأخذ ما قلته بعين الاعتبار. المطربون يُؤَلِّفون الأغاني الملحميَّة عن الملوك الذين يموتون في المعركة، لكن حياتك تسوى أكثر من أغنيَّة، بالنِّسبة لي على الأقل وقد جاءَت مني»، وخفضَت رأسها مردفةً: «هل تسمح لي بالانصراف؟».

أجابَ: «نعم»، والتفتَ عنها شاهرًا سيفه، وإن لم تدرِ ماذا ينوي أن يفعل به، فلا أعداء هنا، لا أحد يُقاتِله، لا أحد سواهما وسط الأشجار الطَّويلة والأوراق السَّاقطة. أرادَت كاتلين أن تقول له: ثمَّة حروب لا تربحها السُّيوف، لكنها خشيَت أن يصمَّ الملك أُذنيه عن كلماتها.

بَعد ساعاتٍ كانت تحيك في غُرفتها عندما جاءَ رولام وسترلينج يجري مستدعيًا إياها إلى العَشاء، فقالت لنفسها براحة: جيِّد، إذ لم تكن واثقةً بأن ابنها سيُريدها هناك بَعد مشاحنتهما. قالت لرولام بجهامة: «أنت مُرافِق مطيع». وكان بران ليُصبِح مِثلك.

إذا بدا روب فاترًا وإدميور عابسًا، فقد كان لوثار الكسيح بمثابة عوض عنهما إذ جلسوا إلى المائدة، وتصرَّف كنموذجٍ للِّياقة، يستدرُّ الذِّكريات الدَّافئة

عن اللورد هوستر، ويُعَزِّي كاتلين برفق على فقدان بران وريكون، ويُثني على انتصار إدميور في (الطَّاحونة الحجريَّة)، ويَشكُر روب على «العدالة الواثقة السَّريعة» التي أنزلَها بريكارد كارستارك. أمَّا أخو لوثار النَّغل والدر ريڤرز فمسألة أخرى، فهو رجل خشن جهيم له ملامح اللورد والدر الشَّكَّاكة، ولم يتكلَّم إلَّا قليلًا وركَّز معظم انتباهه على الطَّعام والشَّراب الموضوعيْن أمامه.

عندما قيلَت الكلمات الفارغة كلُّها، استأذنَت الملكة وأولاد وسترلينج الآخَرون وانصرفوا، ورُفِعَت بقايا الوجبة، ثم تنحنحَ لوثار فراي وقال برصانة: «قبل أن نشرع في مناقَشة الشَّأن الذي أتينا من أجله، ثمَّة مسألة أخرى، وأخشى أنها مسألة صعبة. كنتُ آملُ ألَّا يقع على عاتقي أن آتيكم بهذه الأنباء، لكن يبدو أن لا مفرَّ من هذا. لقد تلقَّى السيِّد والدي رسالةً من حفيديه».

كان حزن كاتلين على أطفالها قد كادَ يُنسيها أمر الصَّبيَّين فراي اللذين وافقَت على تربيتهما. كفى. بحَقِّ (الأُم) كم ضربةً يُمكننا أن نحتمل؟ بشكل ما أدركَت أن الكلمات التَّالية التي ستسمعها ستُغمِد نصلًا آخَر في قلبها، لكنها جعلَت نفسها تسأل: «الحفيدين اللذين في (وينترفل)؟ ربيبَيْ؟».

– «والدر ووالدر، نعم، لكنهما في (معقل الخوف) حاليًّا يا سيِّدتي. يُحزنني أن أُخبركم بهذا، لكن معركةً دارَت واحترقَت (وينترفل)».

مشدوهًا ردَّد روب: «احترقَت؟!».

– «لوردات الشَّمال حاوَلوا استردادها من الحديديِّين، ولمَّا رأى ثيون جرايچوي أن غنيمته ضاعَت أضرمَ النَّار في القلعة».

قال السير برايندن: «لم نسمع شيئًا عن معركة».

– «ابنا أخوَيْ صغيران، لكنهما كانا هناك. والدر الكبير كتبَ الرِّسالة، لكن ابن عمِّه وقَّعها أيضًا. كانت معركةً داميةً طبقًا لكلامهما، سقطَ فيها أمين القلعة. كان اسمه السير رودريك، أليس كذلك؟».

أجابَت كاتلين كأنها مغيَّبة: «السير رودريك كاسل». العجوز العزيز الشُّجاع المخلص. تكاد تراه أمامها الآن يشدُّ شواربه البيضاء الكثَّة. «وماذا عن قومنا؟».

– «أخشى أن الحديديِّين قتلوا كثيرًا منهم».

عاجزًا عن الكلام من فرط الغضب، ضربَ روب الطَّاولة بقبضته وأشاحَ بوجهه لئلَّا يرى ابنا فراي دموعه.

لكن أمَّه رأتها وقالت لنفسها: شيئًا فشيئًا تزداد الدُّنيا حلكةً كلَّ يوم. ذهبَت أفكار كاتلين إلى ابنة السير رودريك الصَّغيرة بث، إلى المايستر لوين الذي لا يكلُّ والسِّپتون كايل البشوش، إلى ميكن في الورشة وفارلن وپالا في الأوجرة، إلى العجوز نان وهودور السَّاذج. قالت وهي تَشعُر بقبضةٍ تعتصر قلبها اعتصارًا: «أرجوك، ليس الجميع».

قال لوثار الكسيح: «لا، لقد اختبأَت النِّساء والأطفال، ومعهم والدر ووالدر. بَعد الخراب الذي أحاقَ بـ(وينترفل) حُمِلَ النَّاجون إلى (معقل الخوف) بأمرٍ من ابن اللورد بولتون».

بصوتٍ مشدود قال روب: «ابن بولتون؟».

تكلَّم والدر ريفرز قائلًا: «ابنه النَّغل حسبما فهمتُ».

قال روب بعبوس: «رامزي سنو؟ أللورد رووس نغل آخَر؟ رامزي هذا كان وحشًا قاتلًا، وماتَ ميتة الجُبناء، أو أن هذا ما قيلَ لي».

- «لا أستطيعُ الإجابة عن هذا، ففي أيِّ حربٍ هناك الكثير من الارتباك والكثير من الأخبار الخطأ. كلُّ ما يُمكنني أن أقوله إن ابنَيْ أخوَيْ يَزعُمان أن ابن بولتون النَّغل هذا هو من أنقذَ نساء وأطفال (وينترفل). النَّاجون كلُّهم آمنون في (معقل الخوف) الآن».

قال روب فجأةً: «ثيون. ماذا حدثَ لثيون جرايچوي؟ هل قُتِلَ؟».

بسطَ لوثار الكسيح يديه قائلًا: «لا أملكُ الإجابة عن هذا السُّؤال يا جلالة الملك. والدر ووالدر لم يَذكُرا شيئًا عن مصيره. ربما يعرف اللورد بولتون إذا بلغَته رسالة من ابنه هذا».

قال السير برايندن: «سنسأله بالتَّأكيد».

- «أرى أنكم جميعًا مضطربون الآن، ويُؤسِفني أني أتيتكم بهذه الأنباء المحزنة. ربما يَجدُر بنا أن نُؤَجِّل حديثنا إلى الغد. من الممكن أن ينتظر شأننا حتى تستجمعوا...».

قاطعَه روب: «لا. أريدُ تسوية هذه المسألة».

أومأَ أخوها إدميور برأسه مؤيِّدًا، وقال: «وأنا أيضًا. ألديك رَدٌّ على عرضنا يا سيِّدي؟».

أجابَ لوثار مبتسمًا: «نعم. السيِّد والدي أمرَني بإبلاغ جلالة الملك

بموافقته على حِلف المصاهَرة الجديد بين عائلتينا وتجديد ولائه للملك في الشَّمال، بشرط أن يعتذر صاحِب الجلالة عن الإساءة التي وُجِّهَت إلى عائلة فراي بشخصه الملكي، وجهًا لوجه».

الاعتذار ثمن زهيد حقًّا، لكن على الرغم من ذلك لم يَرُق كاتلين الشَّرط الرَّخيص الذي وضعَه اللورد والدر.

قال روب بحذر: «إنني مسرور. لم تكن غايتي قَطُّ أن أزرع الفُرقة بيننا يا لوثار. لقد حاربَ آل فراي ببسالةٍ من أجل قضيَّتي، وأرغبُ في وقوفهم إلى جانبي من جديد».

- «لُطف بالغ منك أن تقول هذا يا جلالة الملك. بما أنك قبلت هذا الشَّرط، فتعليماتي أن أعرض على اللورد تَلي يد أختي الليدي روزلين، وهي فتاة في السَّادسة عشرة. روزلين أصغر بنات السيِّد والدي من زوجته السَّادسة، الليدي بثاني سليلة عائلة روزبي. إنها رقيقة الطِّباع وموهوبة في الموسيقى».

اعتدلَ إدميور في مقعده قائلًا: «أليس من الأفضل أن ألتقيها أولـ...».

قاطعَه والدر ريڤرز بجفاف: «ستلتقيها عندما تُزَفُّ إليك، أم أن اللورد تَلي يرغب في عَدِّ أسنانها أولًا؟».

قال إدميور متمالكًا أعصابه: «سأثقُ بكلامك بخصوص أسنانها، لكن سيكون من الأفضل أن ألقي نظرةً على وجهها قبل أن أتزوَّجها».

رَدَّ والدر ريڤرز: «لا بُدَّ أن تقبلها الآن يا سيِّدي، وإلَّا فعرض أبي مسحوب».

قال لوثار الكسيح باسطًا يديه: «أخي يتكلَّم بغلظة الجنود، لكن ما يقوله صحيح. إن رغبة السيِّد والدي أن تتمَّ الزِّيجة في الحال».

- «في الحال؟»، قالها إدميور متكدِّرًا للغاية، حتى إن خاطرًا لا يليق راودَ كاتلين بأن أخاها يُفكِّر ربما في فسخ الخطبة بَعد أن تضع الحرب أوزارها.

سألَ السير برايندن بحدَّة: «هل نسيَ اللورد والدر أننا في حرب؟».

قال لوثار: «بتاتًا، ولهذا يصرُّ على تمام الزِّيجة على الفور أيها الفارس. في الحرب يموت الرِّجال، حتى إذا كانوا شبابًا أقوياء، فماذا سيَحدُث لتحالُفنا إذا سقطَ اللورد إدميور قبل أن يتزوَّج روزلين؟ ويجب أن نضع سِنَّ أبي في الاعتبار أيضًا. لقد تجاوزَ التِّسعين من العُمر، وليس واردًا أنه سيشهد نهاية

هذا الصِّراع، وسيطمئنُّ قلبه النَّبيل إذا رأى غاليته روزلين متزوِّجةً آمنةً قبل أن تأخذه الآلهة، فيموت عالمًا أن للفتاة زوجًا قويًّا يُدَلِّلها ويحميها».

كلُّنا نُريد أن يموت اللورد والدر سعيدًا. كان رضا كاتلين عن هذا الاتِّفاق يقلُّ مع كلِّ لحظة، وقالت: «لقد فقدَ أخي أباه للتَّو، ويحتاج إلى وقتٍ لينعاه».

رَدَّ لوثار: «روزلين فتاة بشوش، وقد تكون الشَّيء الذي يحتاج إليه اللورد إدميور تحديدًا ليتجاوَز حزنه».

وأضافَ النَّغل والدر ريفرز: «كما أن جدِّي أصبحَ غير ميَّال إلى الخِطبات الطَّويلة، لا أدري لِمَ».

رمقَه روب بنظرةٍ باردة، وقال: «أفهمُ ما تعنيه يا ريفرز. أرجو أن تسمحا لنا بالتَّشاوُر».

قامَ لوثار الكسيح قائلًا: «أمر جلالتك»، وساعدَه أخوه النَّغل على الخروج عارجًا من الغُرفة.

ساخطًا قال إدميور: «كأنهم يقولون إن وعودي لا قيمة لها. لماذا أتركُ ابن عرس العجوز يختار عروسي؟ اللورد والدر لديه فتيات أخريات غير روزلين هذه، وحفيدات كذلك. المفترَض أن أنال الخيار الذي نلته أنت. إنني مولاه، وحريٌّ به أن يطير فرحًا لقبولي الزَّواج بأيٍّ منهن».

قالت كاتلين: «إنه رجل متعالٍ، ونحن جرحنا كبرياءه».

- «فليأخذ (الآخرون) كبرياءه! لن أسمح بأن أُهان في قلعتي. الإجابة لا».

حدجَه روب بنظرةٍ متعَبة قائلًا: «لن آمرك، ليس في شيءٍ كهذا، لكن إذا رفضت فسيعدُّها اللورد والدر إهانةً أخرى، وكلُّ أملٍ في تصحيح هذه المسألة سينتهي».

رَدَّ إدميور بإصرار: «لست تعلم هذا يقينًا. فراي يُريدني لإحدى بناته منذ يوم ميلادي، ولن يَترُك فُرصةً كهذه تضيع من يديه. حين يذهب إليه لوثار بإجابتنا سيدور ويرجع قابلًا الخطبة... لكن بابنةٍ من اختياري».

قال برايندن السَّمكة السَّوداء: «ربما مع الوقت، لكن هل نستطيع الانتظار فيما يركب لوثار ذهابًا وإيابًا بالعروض والعروض المضادَّة؟».

كوَّر روب قبضتيه قائلًا: «يجب أن أعود إلى الشَّمال. أخواي ماتا

و(وينترفل) احترقَت وقومي قُتِّلوا... والآلهة وحدها تعلم ما يسعى إليه نغل بولتون هذا، وإن كان ثيون حيًّا طليقًا. لا يُمكنني الجلوس هنا منتظرًا زيجةً قد تتمُّ أو لا تتمُّ».

قالت كاتلين وإن لم يكن برضا: «يجب أن تتمَّ. لستُ أرغبُ في تلقِّي الإهانات من اللورد والدر أكثر منك يا أخي، لكني لا أرى خيارًا. دون هذه الزِّيجة تضيع قضيَّة روب تمامًا. لا بُدَّ أن نقبل يا إدميور».

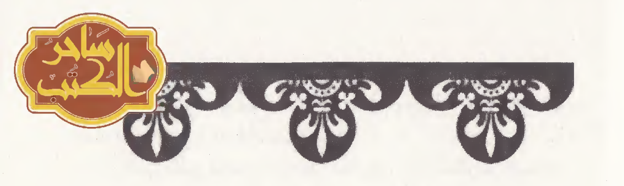
- «لا بُدَّ أن نقبل؟ نحن؟»، ردَّد بعناد. «لستُ أراكِ تعرضين أن تكوني الليدي فراي التَّاسعة يا كات».

- «الليدي فراي الثَّامنة لا تزال حيَّةً تُرزَق على حَدِّ علمي». لحُسنِ الحَظ. معرفتها باللورد والدر تقول إن الأمور كانت لتصل إلى ذلك الحَدِّ حقًّا.

قال السَّمكة السَّوداء: «أنا آخر رجل في (الممالك السَّبع) يقول لأحدٍ مَن يتزوَّج يا ابن أخي، لكن تذكَّر أنك قلت شيئًا عن التَّعويض عن معركة المخاضات».

قال إدميور: «كنتُ أفكِّرُ في نوع آخر من التَّعويض، كمنازَلة قاتِل الملك، أو قضاء سبع سنوات كفَّارة كأخٍ شحَّاذ، أو السِّباحة في (بحر الغروب) بساقين مقيَّدتين»، ولمَّا رأى أن لا أحد منهم يبتسم رفعَ يديه قائلًا: «فليأخذكم (الآخَرون) جميعًا! ليكن، سأتزوَّجُ الفتاة... كتعويض».





داڤوس

رفعَ اللورد آلستر رأسه بحركةٍ حادَّة قائلًا: «أصوات. هل تسمع يا داڤوس؟ أحدهم قادم إلينا».

قال داڤوس: «إنه سجَّان الشِّلق. موعد العَشاء حانَ، أو يدنو». البارحة جلبَ لهما الرَّجل نِصف فطيرة لحم بقريٍّ ولحم مقدَّد بالإضافة إلى إبريق من البِتع. مجرَّد التَّفكير في الطَّعام جعَلَ معدته تُقَرقِر.

- «لا، هناك أكثر من واحد».

إنه مُحق. سمعَ داڤوس صوتين على الأقل، وخُطوات أقدام تتعالى، فنهضَ واقتربَ من القضبان.

نفضَ اللورد آلستر القَشَّ عن ثيابه، وقال: «الملك أرسلَ يستدعيني، أو الملكة، نعم. سيليس لن تَترُكني أتعفَّن هنا وأنا من دمها».

ظهرَ سجَّان الشِّلق خارج الزِّنزانة حاملًا حلقة المفاتيح، وفي أعقابه السير آكسل فلورنت وأربعة من الحُرَّاس، وانتظروا تحت المشعل بينما بحثَ السَّجَّان عن المفتاح الصَّحيح.

قال اللورد آلستر: «آكسل، الشُّكر للآلهة. مَن يَطلُبني؟ الملك أم الملكة؟».

أجابَ السير آكسل: «لا أحد طلبَك أيها الخائن».

نكصَ اللورد آلستر كأنه لُطِمَ على وجهه، وقال: «لا، أقسمُ لك أني لم أرتكب خيانةً. لماذا تَرفُض أن تسمعني؟ إذا سمحَ لي جلالته فقط بأن أشرح...».

وضعَ السَّجَّان المفتاح الحديدي في القفل ودوَّره وفتحَ الباب، فصرخَت المفصَّلات الصَّدئة اعتراضًا بينما قال لداڤوس: «أنت، تعالَ».

نظرَ داڤوس إلى السير آكسل قائلًا: «إلى أين؟ أصدِقني القول أيها الفارس، هل تنوون إحراقي؟».

- «إنك مطلوب. هل تستطيع المشيْ؟».

أجابَ داڤوس: «أستطيعُ المشي»، وخرجَ من الزّنزانة، وأطلقَ اللورد آلستر صيحة فزع إذ عادَ السَّجّان يصفق الباب.

قال السير آكسل للرَّجل آمرًا: «خُذ المشعل واترُك الخائن في الظّلام».

قال أخوه: «لا، آكسل، أرجوك، لا تحرمني الضَّوء... بحَقِّ الآلهة...».

قاطعَه السير آكسل: «الآلهة؟ ليس هناك إلّا راهلور والآخر»، وأشارَ بحدَّةٍ فرفعَ أحد الحَرس المشعل من الحامل، وقادَ الطَّريق إلى السَّلالم.

سألَ داڤوس: «هل تأخذونني إلى مليساندرا؟».

جاوبَه السير آكسل: «ستكون موجودةً. إنها لا تبتعد عن الملك أبدًا، لكن صاحِب الجلالة هو من طلبَك بنفسه».

رفعَ داڤوس يده إلى صدره، حيث اعتادَ أن يُعَلِّق حَظّه في جراب جِلدي يتدلَّى من شريط. لكنه راحَ، ومعه أطراف أربعة أصابع. غير أن يديهِ ما زالتا طويلتين بما يكفي لأن يُطَوِّق بهما عُنق امرأة، خصوصًا إذا كان نحيلًا كعُنقها.

صعدوا السَّلالم الملتفَّة في طابورٍ فردي. كانت الجُدران من الحجر الخشن الدّاكن بارد الملمس، وسبقَهم ضوء المشاعل بينما زحفَت ظلالهم إلى جوارهم على الجُدران. عند المنعطَف الثّالث مَرُّوا من بوّابةٍ حديد تنفتح على ظلام دامس، ومن أخرى عند المنعطَف الخامس، وخمَّن داڤوس أنهم يقتربون مِّن السَّطح الآن إن لم يكونوا فوقه بالفعل. الباب التّالي الذي توقَّفوا عنده كان من الخشب، لكنهم ظلُّوا يصعدون، والآن لاحَت في الجُدران فتحات السِّهام، وإن لم يتسلَّل نور الشَّمس عبر الحجر السَّميك، فأدركَ أن الوقت ليل في الخارج.

كانت ساقاه تُؤلمانه حين دفعَ السير آكسل بابًا ثقيلًا وأشارَ له بالمرور، وفي الخارج امتدَّ جسر حجري عالٍ متقوِّسًا فوق الفراغ إلى البُرج الأوسط الضَّخم المسمَّى (الطَّبلة الحجريَّة). هبَّت ريح بحريَّة مضطربة من خلال القناطر التي تدعم السَّقف، وشَمَّ داڤوس المياه المالحة وهُم يَعبُرون، فالتقطَ نفسًا عميقًا مالئًا رئتيه بالهواء البارد النَّظيف، وصلَّى: امنحيني القوّة أيتها الرِّياح والمياه. في السَّاحة في الأسفل كانت نار ليليَّة هائلة مشتعلةً لتَطرُد أهوال الظَّلام، وحولها اجتمعَ رجال الملكة يبتهلون لرَبِّهم الأحمر الجديد.

توقَّف السير آكسل فجأةً عندما بلغوا منتصَف الجسر ولوَّح بيده بحركةٍ جافَّة، فابتعدَ رجاله حتى خرجوا من مجال السَّمع، ثم قال لداڤوس: «لو كان الأمر بيدي لأحرقتك مع أخي آلستر، فكلاكما خائن».

- «قُل ما تقول، لكن لا يُمكن أن أخون الملك ستانيس أبدًا».

- «بل يُمكنك أن تخونه، وستخونه. إنني أرى الخيانة مرسومةً على وجهك، ورأيتها في اللَّهب أيضًا. لقد أنعمَ راهلور عليَّ بهذه المَلَكة، ومِثل الليدي مليساندرا يُريني المستقبَل في النَّار. ستانيس باراثيون سيجلس على العرش الحديدي، لقد رأيته، والآن أعرفُ ما يجب أن يكون. يجب أن يجعلني جلالته يده بدلًا من أخي الخائن، وأنت ستقول له هذا».

فكَّر داڤوس: حقًّا؟ لكنه لاذَ بالصَّمت.

واصلَ السير آكسل: «الملكة حثَّته على تنصيبي، وحتى صديقك اللايسيني القديم، ذلك القُرصان سان، يقول الشَّيء نفسه. لقد وضعنا خطَّةً معًا، لكن جلالته يَرفُض التَّصرُّف. الهزيمة تلتهمه من الدَّاخل كدودةٍ سوداء تَنخُر روحه، ومنوط بنا نحن مَن نُحبُّه، أن نُريه ما عليه أن يفعله. إذا كنت وفيًّا لجلالته كما تدَّعي أيها المهرِّب، فضُمَّ صوتك إلى أصواتنا. قُل له إنني اليد الوحيد الذي يحتاج إليه. قُل له هذا، وعندما نُبحِر سأتأكَّدُ من حصولك على سفينةٍ جديدة».

سفينة. أمعنَ داڤوس النَّظر إلى وجه الرَّجل. كالملكة، للسير آكسل أُذنا عائلة فلورنت الكبيرتان، ومنهما ينبت الشَّعر الخشن كما ينبت من منخريه، والمزيد منه ينمو في جزَلٍ ورُقَع تحت ذقنه المشقوق، وله أنف عريض وجبين بارز وعينان متقاربتان نظراتهما ملأى بالعداوة. يُفضِّل أن يُلقيني في محرقة على أن يُعطيني سفينةً كما قال، لكن إذا أسديته هذا الصَّنيع...

قال السير آكسل: «إذا كنت تُفكِّر في خيانتي، فتذكَّر أني أمين القلعة في (دراجونستون) منذ فترةٍ طويلة، والحامية تحت إمرتي. ربما لا أستطيعُ أن أحرقك دون موافَقة الملك، لكن مَن يُمكنه الجزم بأنك لن تتعرَّض لحادثةٍ ما وتَسقُط؟»، ووضعَ يده اللَّحيمة على مؤخِّرة عُنق داڤوس ودفعَه بقوَّةٍ إلى سور الجسر الذي يرتفع حتى الخاصرة، ثم بدفعةٍ أقوى أجبرَه على الميل برأسه فوق السَّاحة مردفًا: «هل تسمعني؟».

قال داڤوس: «أسمعك». وتنعتني أنا بالخيانة؟

أطلقَ السير آكسل سراحه، وابتسمَ قائلًا: «عظيم. جلالته ينتظرك. الأفضل ألَّا نتأخَّر عليه».

على قمَّة (الطَّبلة الحجريَّة)، وفي القاعة المستديرة الفسيحة المسمَّاة (قاعة المائدة المرسومة)، وجدا ستانيس باراثيون واقفًا وراء قطعة الأثاث التي استمدَّت منها القاعة اسمها، اللَّوح الخشبي الهائل المنحوت والمرسوم على شكل خارطة (وستروس) كما كانت في أيام إجون الفاتح، وإلى جوار الملك مستوقَد حديدي يتوهَّج جمره بلونٍ برتقالي ضارب إلى الحُمرة، بينما تطلُّ أربع نوافذ طويلة ضيِّقة على الشَّمال والجنوب والشَّرق والغرب، وفي الخارج اللَّيل والسَّماء المرصَّعة بالنُّجوم. سمعَ داڤوس الرِّيح تهبُّ، وبصوتٍ أكثر خفوتًا تلاطُم أمواج البحر.

قال السير آكسل: «بَعد إذن جلالتك، لقد أتيتُ بفارس البصل».

أجابَ ستانيس: «أرى هذا». كان يرتدي سُترةً قصيرةً ضيِّقةً من الصُّوف الرَّمادي، وحرملةً ذات لونٍ أحمر قانٍ، ويتمنطق بحزام تقليدي من الجلد يتدلَّى منه سيفه وخنجره، ويُحيط بجبينه تاج من الذَّهب الأحمر المشكَّل كألسنة اللَّهب. صدمَ منظره داڤوس، إذ بدا أكبر عشرة أعوام دفعةً واحدةً من الرَّجل الذي تركَه في (ستورمز إند) حين أبحرَ إلى (النَّهر الأسود) والمعركة التي كسرَتهم، وانتشرَت في لحية الملك المشذَّبة الشُّعيرات الشَّائبة، وقد فقدَ نحو ثلاثين رطلًا من وزنه. لم يكن ستانيس رجلًا ممتلئًا قَطُّ، لكن الآن تتحرَّك العظام تحت جِلده كجِرابٍ تُقاتِل للتَّحرُّر، وحتى تاجه يبدو كبيرًا على رأسه، أمَّا عيناه فكأنهما حُفرتانِ زرقاوان غائصتان في محجرين عميقين، ويلوح شكل جمجمته تحت وجهه.

وعلى الرغم من ذلك داعبَت ابتسامة خفيفة شفتيه لمَّا رأى داڤوس، وقال: «أعادَ البحر فارس السَّمك والبصل إليَّ إذن».

ركعَ داڤوس على رُكبته قائلًا: «نعم يا جلالة الملك». ألا يعرف أنه ألقاني في زنزانته؟

قال ستانيس: «انهض يا سير داڤوس. لقد افتقدتك أيها الفارس. إنني في حاجةٍ إلى مشورةٍ سديدة، وأنت لم تُعطِني أقلَّ من هذا قَطُّ. أخبِرني بصدقٍ إذن، ما عقوبة الخيانة؟».

ظلَّت الكلمة عالقةً في الهواء، وفكَّر داڤوس: كلمة مخيفة. أيَطلُب منه أن يُدين زميله في الزِّنزانة أم نفسه؟ الملوك يعرفون عقوبة الخيانة أفضل من أيٍّ أحد. أخيرًا استطاعَ أن يقول بوهن: «الخيانة؟».

- «ماذا تُسَمِّي إنكارَ الملك والسَّعي إلى سرقة عرشه الشَّرعي؟ سأسألك ثانيةً، ما عقوبة الخيانة وفق القانون؟».

لم يملك داڤوس خيارًا إلَّا الإجابة، فقال: «الموت، العقوبة هي الموت يا جلالة الملك».

- «ودائمًا كانت هكذا. أنا لستُ... أنا لستُ رجلًا متوحِّشًا يا سير داڤوس. إنك تعرفني منذ زمنٍ طويل. هذا ليس قضائي أنا، بل كان هكذا دائمًا منذ عهد إجون وقبله أيضًا. ديمون بلاكفاير، الإخوة توين، الملك العُقاب، المايستر الأكبر هارث... دائمًا يدفع الخونة حياتهم ثمنًا للخيانة... حتى رينيرا تارجاريَن، التي كانت ابنةَ لملكٍ وأمًّا لملكين، ومع ذلك ماتَت ميتة الخونة لمحاوَلتها اغتصاب تاج أخيها. إنه القانون، القانون يا داڤوس وليس وحشيَّةً».

- «نعم يا جلالة الملك». إنه لا يتكلَّم عني. أحسَّ داڤوس بشفقةٍ لحظيَّة على رفيق زنزانته القابع في الظَّلام، وعلى الرغم من إدراكه أن عليه أن يلزم الصَّمت، فقد دفعَه إرهاقه والأسى الذي يحزُّ في نفسه إلى أن يقول: «مولاي، اللورد فلورنت لم يهدف إلى خيانتك».

- «أيُطلِق عليها المهرِّبون اسمًا آخَر؟ لقد جعلته يدي، وكان ليبيع حقوقي مقابل وعاءٍ من عصيدة البازلاء. بل إنه أرادَ أن يُعطيهم شيرين، ابنتي الوحيدة أرادَ أن يُزَوِّجها نغلًا مولودًا من زنى المحارم»، وأفعمَ الغضب نبرة الملك وهو يُتابع: «أخي كان موهوبًا في إلهام النَّاس الإخلاص، حتى الأعداء منهم. في (قلعة الصَّيف) انتصرَ في ثلاث معاركَ في يوم واحد، وعادَ باللوردين جرانديسون وكافرن إلى (ستورمز إند) بَعد أن أسرَهما، وعلَّق رايتيهما في قاعته كتذكار. ظباء كافرن البيضاء كانت ملطَّخةً بالدَّم، وأسد جرانديسون النَّائم كان ممزَّقًا إلى نِصفين تقريبًا، لكنهما اعتادا الجلوس تحت هاتين الرَّايتين ليلًا ليشربا ويأكلا مع روبرت، بل اصطحبَهما إلى الصَّيد كذلك. في مرَّةٍ قلتُ له بَعد أن رأيتهم يُلقون الفؤوس في السَّاحة: هذان الرَّجلان أرادا تسليمك إلى إيرس ليُحرِقك، ولا يَجدُر بك أن تضع في أيديهم فؤوسًا، لكن

روبرت اكتفى بالضَّحك. كنتُ لألقي جرانديسون وكافرن في زنزانة، لكنه حوَّلهما إلى صديقين. ماتَ اللورد كافرن في (قلعة آشفورد) على يد راندل تارلي وهو يُقاتِل من أجل روبرت، وجُرِحَ اللورد جرانديسون في معركة (الثَّالوث) وماتَ متأثِّرًا بالجرح بَعد عام. أخي كان يجعل النَّاس يُحِبُّونه، بينما يبدو أني لا أُلهِمهم إلَّا الخيانة، حتى مَن هُم مِن لحمي ودمي، أخي وجدِّي وأبناء خالي وعم زوجتي...».

قال السير آكسل: «أتوسَّلُ إليك يا جلالة الملك أن تُعطيني الفُرصة لأثبت أن الضَّعف ليس سمة آل فلورنت كلِّهم».

قال الملك ستانيس لداڤوس: «السير آكسل يُريدني أن أستأنف القتال. آل لانستر يحسبون أني قُهِرتُ وانتهى أمري، واللوردات الذين أقسَموا لي هجَروني كلُّهم تقريبًا. حتى اللورد إسترمونت جدِّي لأمِّي ركعَ لچوفري، والقلائل المخلصون الذين تبقَّوا لي بدأت حماستهم تتخلَّى عنهم، ويُبدِّدون أيامهم في الشُّرب والقِمار ولعق جراحهم كالكلاب المضروبة».

قال السير آكسل: «ستُشعِل المعركة قلوبهم من جديد. الهزيمة مرض علاجه النَّصر».

لوى الملك فمه قائلًا: «النَّصر. هناك انتصارات وانتصارات أيها الفارس. لكن أخبِر السير داڤوس بخطَّتك، فأريدُ أن أسمع رأيه في ما تقترحه».

التفتَ السير آكسل إلى داڤوس وفي عينيه نظرة كالتي لا بُدَّ أنها كلَّلت ملامح اللورد بلجريڤ يوم أمرَه الملك بيلور المبارَك بأن يغسل قدمَيْ الشَّحَّاذ المتقرِّحتين، لكنه أطاعَ على الرغم من هذا.

الخطَّة التي وضعَها السير آكسل بالاشتراك مع سالادور سان بسيطة. على بُعد ساعاتٍ قليلة من (دراجونستون) تقع (جزيرة المخالب)، مقرُّ عائلة سلتيجار العتيق الذي يُطوِّقه البحر. كان اللورد آردريان سلتيجار قد قاتلَ تحت راية القلب النَّاري في معركة (النَّهر الأسود)، لكن بمجرَّد وقوعه في الأسر لم يُضيِّع الرَّجل وقتًا قبل أن يُعلِن ولاءه لچوفري، وحتى الآن ما زالَ في (كينجز لاندنج)، وهو ما علَّق عليه السير آكسل قائلًا: «لا ريب أنه مرعوب من غضْبة صاحِب الجلالة، ولا يَجسُر على الدُّنُوِّ من (دراجونستون)، وأعدُّ هذا حكمةً، فقد خانَ الرَّجل مليكه الشَّرعي».

عرضَ السير آكسل الاستعانة بأسطول سالادور سان والرِّجال الذين نجوا من محرقة (النَّهر الأسود) -فلا يزال مع ستانيس نحو ألف وخمسمئة رجل على (دراجونستون)، أكثر من نِصفهم من رجال فلورنت- لإنزال العقاب باللورد سلتيجار على مروقه. حامية (جزيرة المخالب) ضعيفة، ويُشاع أن قلعتها متخَمة بالسَّجَّاد المايري والزُّجاج القولانتيني، والأطباق الذَّهب والفضَّة والكؤوس المحلَّاة بالجواهر، والصُّقور البديعة، وفأس من الفولاذ القاليري، وبوق يستدعي وحوشًا من الأعماق، وصناديق من الياقوت، وخمور أكثر من أن يستطيع رجل أن يشربها في مئة عام، فلئن ادَّعى سلتيجار البُخل أمام العالم، إلَّا أنه لم يُقَتِّر على نفسه قَطُّ إذا تعلَّق الأمر بمُتع الحياة. هكذا أنهى السير آكسل الشَّرح قائلًا: «فلنُحرق قلعته ونَقتُل قومه، نَترُك (جزيرة المخالب) قفرًا من الرَّماد والعظام لا يَصلُح إلَّا لغِربان الجيف، لكي ترى البلاد كلُّها مصير مَن يتحالَفون مع آل لانستر».

أنصتَ ستانيس لكلام السير آكسل بصمت وهو يُحَرِّك فَكَّيه المكبوسيْن من جانب إلى جانب، ولمَّا انتهى قال: «أعتقدُ أن شيئًا كهذا ممكن. چوفري بلا قوَّةٍ في (البحر الضيِّق) إلى أن يُبحِر اللورد ردواين من (الكرمة)، وقد تكفي الغنائم لإبقاء القُرصان سالادور سان مخلصًا فترةً. (جزيرة المخالب) عديمة القيمة في حَدِّ ذاتها، لكن سقوطها سيلفت نظر اللورد تايوين إلى أن قضيَّتي لم تَمُت»، ثم التفتَ الملك إلى داڤوس قائلًا: «أصدِقني القول أيها الفارس، ما رأيك في ما يعرضه السير آكسل؟».

أصدِقني القول أيها الفارس. فكَّر داڤوس في الزِّنزانة المعتمة التي شاركَه اللورد آلستر إياها، وتذكَّر سجَّان الشَّلق وسجَّان الثَّريد، واسترجعَ وعيد السير آكسل على الجسر فوق السَّاحة. سفينة أم دَفعة؟ ماذا أختار؟ لكن مَن يسأله هو ستانيس، وهكذا قال ببُطء: «جلالة الملك، رأيي أنها حماقة... نعم، وجُبن».

صاحَ السير آكسل مغتاظًا: «جُبن؟! لا أحد ينعتني بالجُبن أمام مليكي!».

قال ستانيس بلهجةٍ آمرة: «صمتًا. تكلَّم يا سير داڤوس، أريدُ أن أسمع أسبابك».

واجهَ داڤوس السير آكسل قائلًا: «تقول إن علينا أن نُري البلاد أننا لم ننتهِ، أن نُوَجِّه ضربةً، نشنَّ الحرب، لا بأس... لكن على أيِّ عدو؟ إنك لن تجد أحدًا من آل لانستر على (جزيرة المخالب)».

- «سنجد خونةً! وإن كنتُ أستطيعُ أن أجد بعضهم في مكانٍ أقرب، حتى هنا في هذه القاعة».

تجاهلَ داڤوس التَّعليق الهازئ، وقال: «لا شَكَّ لديَّ في أن اللورد سلتيجار ركعَ لجوفري. إنه رجل هَرِم على عتبة القبر، يرغب فقط في أن يُنهي أيامه في قلعته وهو يشرب نبيذه الفاخر من كؤوسه المحلَّاة بالجواهر»، وعادَ يلتفت إلى ستانيس مردفًا: «لكنه جاءَ حين استدعيته يا مولاي، جاءَ بسُفنه وسيوفه، ووقفَ إلى جانبك عند (ستورمز إند) لمَّا هاجمَنا اللورد رنلي، وأبحرَت سُفنه في (النَّهر الأسود)، وقاتلَ رجاله في سبيلك، وقتَلوا في سبيلك، واحترقوا في سبيلك. (جزيرة المخالب) ضعيفة الدِّفاعات، نعم، تُدافِع عنها النِّساء والأطفال والمسنُّون، فلِمَ؟ لأن الأزواج والأبناء والآباء ماتوا في (النَّهر الأسود)، ماتوا على مجاديفهم أو وفي أيديهم السُّيوف وهُم يُقاتِلون تحت راياتنا، لكن السير آكسل يقترح أن نُداهِم البيوت التي تركوها، ونغتصب نساءهم ونذبح أطفالهم. هؤلاء العامَّة ليسوا خونةً...».

بإصرارٍ قال السير آكسل: «بل خونة. لم يَسقُط جميع رجال سلتيجار في المعركة، وأُسِرَ المئات منهم مع سيِّدهم وركعوا عندما ركعَ».

- «عندما ركعَ»، ردَّد داڤوس. «إنهم رجاله الذين أقسَموا له، فهل كان لديهم خيارٌ؟».

- «لكلِّ رجلٍ خياره. كان يُمكنهم أن يَرفُضوا الرُّكوع. بعضهم رفضَ وماتَ، لكنهم ماتوا رجالًا صالحين مخلصين».

- «بعض الرِّجال أقوى من غيرهم». كانت إجابةً واهيةً وداڤوس يعلم هذا. ستانيس رجل ذو إرادةٍ من حديد، لا يفهم ولا يُسامِح الضَّعف في الآخَرين. إنني أخسرُ.

أعلنَ ستانيس بلهجةٍ لا تسمح بالجدل: «واجب كلِّ رجلٍ أن يبقى مخلصًا لملكه الشَّرعي، حتى إذا ثبتَت خيانة اللورد الذي يخدمه».

تملَّكت حماقة يائسة داڤوس، تهوُّر أدنى إلى الجنون جعلَه يندفع قائلًا: «كما ظللت مخلصًا للملك إيرس حين رفعَ أخوك راياته ضده؟».

تبعَ قوْله صمت مصدوم رانَ على القاعة إلى أن صاحَ السير آكسل منتزعًا خنجره من غِمده: «خيانة! إنه يُهينك في وجهك يا جلالة الملك!».

سمعَ داڤوس صرير أسنان ستانيس، ورأى عِرقًا أزرق منتفخًا ينتأ في جبهته.

ثم التقَت أعيُنهما، وقال الملك: «ضَع سكّينك يا سير آكسل واترُكنا».

- «إذا سمحت جلالتك...».

- «أسمحُ بأن تُغادِر. اخرُج من هنا وأرسِل لي مليساندرا».

قال السير آكسل: «كما تأمر»، وأغمدَ خنجره وانحنى وأسرعَ إلى البابَ بخُطواتٍ تدقُّ الأرض بغضب.

منذرًا قال ستانيس لداڤوس عندما صارا وحدهما: «لطالما تجرَّأت على تساهُلي معك أيها المهرِّب. يُمكنني أن أقصِّر لسانك بالسُّهولة نفسها التي قصَّرتُ بها أصابعك».

- «أنا رجلك يا جلالة الملك، أي أن لساني لسانك، تفعل به ما تشاء».

قال الملك بنبرةٍ أهدأ: «بالضَّبط، وأريده أن يقول الحقيقة، وإن كانت الحقيقة مُرَّة المذاق أحيانًا. إيرس؟ آهٍ لو تعلم كم كان ذلك الخيار صعبًا. دمي أم مولاي، أخي أم ملكي»، وعقدَ حاجبيه متابعًا: «هل رأيت العرش الحديدي؟ البروزات في ظَهره وشرائط الفولاذ الملتوي ورؤوس السُّيوف والسَّكاكين المتشابكة الذَّائبة معًا؟ إنه ليس مقعدًا وثيرًا أيها الفارس، ومرارًا جرحَ إيرس نفسه عليه، حتى إن النَّاس اعتادوا تلقيبه بالملك جُلبة، وميجور المتوحِّش قُتِلَ على ذلك الكرسي، أو قتلَه ذلك الكرسي كما يَزعُم البعض. إنه ليس مقعدًا تجلس عليه مستريحًا، وكثيرًا ما أسائِلُ نفسي لماذا رغبَ فيه أخواي لهذه الدَّرجة».

سألَه داڤوس: «لماذا ترغب فيه أنت إذن؟».

- «إنها ليست مسألة رغبة. العرش حقِّي باعتباري وريث روبرت. إنه القانون. وبَعدي يجب أن يذهب إلى ابنتي، ما لم تُنجِب لي سيليس ابنًا أخيرًا»، ومرَّر ثلاث أصابع بخفَّةٍ على المائدة، فوق طبقات الورنيش الجامد الأملس الذي أكسبَته السِّنون لونًا داكنًا، وواصلَ: «أنا الملك، الرَّغبة لا تمتُّ بصلةٍ للأمر. إن عليَّ واجبًا نحو ابنتي ونحو البلاد، بل ونحو روبرت أيضًا. أعرفُ إنه لم يُحِبَّني إلَّا قليلًا، لكنه كان أخي، وابنة لانستر ركَّبت له قرنين وألبسَته ثياب المهرِّجين، وربما قتلَته كذلك كما قتلَت چون آرن وند ستارك،

ولا بُدَّ من الرَّدِّ على هذه الجرائم بالعدالة، بدايةً بسرسي ومسوخها، لكنها مجرَّد بداية، لأني أنوي تطهير البلاط تمامًا كما كان على روبرت أن يفعل بَعد (الثَّالوث). ذات مرَّةٍ قال لي السير باريستان إن العفن في حُكم الملك إيرس بدأ بڤارس. ما كان يجب أن يُعفى عن الخصيِّ قَطُّ، لا هو ولا قاتِل الملك. كان حريًّا بروبرت على الأقل أن ينزع عن چايمي معطفه الأبيض ويُرسِله إلى (الجدار) كما ألحَّ اللورد ستارك، لكنه أصغى لچون آرن بدلًا من هذا. وقتها كنتُ لا أزالُ في (ستورمز إند) تحت الحصار ولا أستطيعُ إسداء المشورة»، والتفتَ فجأةً يَرمُق داڤوس بنظرةٍ فاحصةٍ قاسية، وقال: «أريدُ الحقيقة الآن، لماذا أردت أن تَقتُل الليدي مليساندرا؟».

إنه يعلم إذن. لم يستطِع داڤوس أن يكذب عليه، فأجابَ: «أربعة من أبنائي احترقوا في (النَّهر الأسود). لقد سلَّمتهم إلى النَّار».

- «إنك تظلمها. تلك النِّيران لم تكن من صُنعها. العن العِفريت، العن الپايرومانسرات، العن فلورنت الأحمق الذي أبحرَ بأسطولي بين فَكَّيْ فخ، أو العنِّي لكبريائي العنيدة التي جعلَتني أصرفها وأنا في أمسِّ الحاجة إليها، لكن ليس مليساندرا. إنها لا تزال خادمتي الوفيَّة».

- «المِايستر كرسن كان خادمك الوفي، لكنها قتلَته كما قتلَت السير كورتناي پنروز وأخاك رنلي».

قال الملك بتبرُّم: «الآن تتكلَّم كالحمقى. لقد رأت نهاية رنلي في اللَّهب، نعم، لكنها -مِثلي بالضَّبط- لم تلعب دورًا فيها. الرَّاهبة كانت معي، وسيقول لك ابنك دڤان الشَّيء نفسه. سَله إذا كنت تُشكِّك في كلامي. كانت مليساندرا لتُحافظ على حياة رنلي لو استطاعَت، وهي التي حثَّتني على لقائه ومنحه فُرصةً أخيرةً للتَّراجُع عن خيانته، ومليساندرا هي التي أخبرَتني أن أستدعيك حين أرادَ السير آكسل أن يُضحِّي بك لراهلور»، ورسمَ على شفتيه ابتسامةً رفيعةً متسائلًا: «هل يُدهِشك هذا؟».

- «نعم. إنها تعرف أني لستُ صديقًا لها أو لإلهها».

قال ستانيس: «لكنك صديق لي، وهي تعرف هذا أيضًا»، وأشارَ لداڤوس بالاقتراب مُردفًا: «الصَّبي مريض. المِايستر پايلوس يُعلِّق له العَلق».

ذهبَت أفكاره من فوره إلى دڤان مُرافِق الملك، فسألَ: «الصَّبي؟ ابني يا مولاي؟».

- «دڤان؟ إنه صبيٌّ طيِّب، فيه الكثير منك. نغل روبرت هو المريض، الصَّبي الذي أخذناه من (ستورمز إند)».

إدريك ستورم. «تكلَّمتُ معه في (حديقة إجون)».

قال ستانيس: «كما أرادَت، كما رأت»، وتنهَّد مضيفًا: «هل سحرَك الصَّبي؟ إنه يتمتَّع بهذه الموهبة. لقد ورثَها من أبيه كما ورثَ دمه. يعلم أنه ابن ملك، لكنه يختار أن ينسى عدم شرعيَّته، ويَعبُد روبرت مِثل رنلي في صِغره. أخي الملوكي لعبَ دور الأب المحب كلما زارَ (ستورمز إند)، وأغدقَ عليه بالهدايا أيضًا... سيوف وخيول قزمة ومعاطف مبطَّنة بالفراء، والخصيُّ كان مسؤولًا عنها جميعًا. اعتادَ الصَّبي أن يَكتُب لـ(القلعة الحمراء) رسائل الشُّكر الجزيل، فيضحك روبرت ويسأل ڤارس عمَّا أرسله هذا العام. ورنلي لم يكن أفضل منه. تركَ تربية الصَّبي لأمناء القلعة والمايسترات، وسقطَ كلٌّ منهم ضحيَّةً لسِحره. پنروز آثرَ الموت على التَّخلِّي عنه»، وصَرَّ الملك بأسنانه متابعًا: «ما زالَ الأمر يُغضِبني. كيف حسبَ أنني قد أمسُّ الصَّبي بسوء؟ لقد اخترتُ روبرت، أليس كذلك؟ عندما جاءَ ذلك اليوم الصَّعب اخترتُ الدَّم فوق الشَّرف».

إنه لا ينطق اسم الصَّبي. أصابَ الخاطر داڤوس بتوتُّر شديد، فقال: «أتمنَّى أن يتعافى إدريك الصَّغير قريبًا».

لوَّح الملك بيده نابذًا قلق داڤوس، وقال: «إنه برد لا أكثر، يُعاني من السُّعال والرَّجفة والحُمَّى، لكن المايستر پايلوس سيُعالِجه قريبًا. في حَدِّ ذاته لا يعني الصَّبي شيئًا، لكن في عروقه تجري دماء أخي. إنها تقول إن في دماء الملوك قوَّة».

لم يجد داڤوس حاجةً إلى أن يسأل مَن يعني.

مَسَّ ستانيس المائدة المرسومة قائلًا: «انظُر إليها يا فارس البصل. مملكتي، حقِّي، بلادي (وستروس)»، ومرَّر يده فوقها مواصلًا: «هذا الكلام عن سبع ممالك حماقة. إجون رأى هذا قبل ثلاثمئة عام حين وقفَ حيث نقف الآن. لقد صنعوا هذه المائدة بأمره، رسموا الأنهارَ والخلجان والتِّلال

والجبال والقلاع والمُدن وبلدات الأسواق والبحيرات والمستنقعات والغابات... لكنهم لم يرسموا حدودًا. إنها واحدة، مملكة واحدة يَحكُمها ملك واحد بمفرده».

علَّق داڤوس: «ملك واحد. ملك واحد يعني السَّلام».

- «سأقيمُ العدل في (وستروس)، الشَّيء الذي لا يفهمه السير آكسل، تمامًا كالحرب. لن تُكسِبني (جزيرة المخالب) شيئًا... وهي فكرة شرِّيرة حقًّا كما قلتَ. على سلتيجار أن يدفع ثمن الخيانة بنفسه وشخصه، وسيفعل حين أحكمُ مملكتي. كلُّ امرئ سيحصد ما زرعَه، من أعلى اللوردات إلى أدنى جرذان الحواري، وأؤكِّدُ لك أن بعضهم سيفقد أكثر من أطراف أصابعه. لقد جعلوا مملكتي تنزف، ولن أنسى هذا»، والتفتَ الملك ستانيس عن المائدة قائلًا: «على رُكبتيك يا فارس البصل».

- «جلالة الملك؟».

- «مقابل أسماكك وبصلك جعلتك فارسًا، ومن أجل هذا أفكِّرُ في أن أجعلك لوردًا».

هذا؟! قال داڤوس حائرًا: «إنني قانع بأن أكون فارسك يا جلالة الملك، فلا أدري كيف أكونُ كاللوردات إطلاقًا».

- «عظيم. أن تكون كاللوردات معناه أن تكون مدعيًا، وقد تعلَّمتُ هذا الدَّرس بالطَّريقة الصَّعبة. والآن اركع، مَلكُك يأمرك».

ركعَ داڤوس، وشهرَ ستانيس سيفه الطَّويل الذي سمَّته مليساندرا (جالِب الضِّياء)، سيف الأبطال الأحمر المسحوب من النِّيران التي التهمَت الآلهة السَّبعة. بدا أن الضَّوء في القاعة يزداد سطوعًا والسَّيف يَخرُج من غِمده، وانبعثَ من الفولاذ وهج يتبدَّل؛ في لحظةٍ هو برتقالي، وفي لحظةٍ أصفر، وفي لحظةٍ أحمر، وومضَ الهواء حوله، ولم يَحدُث أن تألَّقت جوهرة بهذا السُّطوع من قبل قَطُّ... لكن حين مَسَّ ستانيس كتف داڤوس بالنَّصل لم يختلف شعوره به عن أيِّ سيفٍ طويل عادي.

قال الملك: «السير داڤوس سليل عائلة سيوورث، أأنت رجلي الصَّادق الوفي الآن وإلى الأبد؟».

- «نعم يا جلالة الملك».

- «وهل تُقسِم أن تخدمني بإخلاص طيلة عُمرك، وأن أنال منك سديد النَّصيحة وسريع الطَّاعة، وأن تُدافِع عنَ حقوقي ومملكتي ضد كلِّ الخصوم في كبير المعارك وصغيرها، وأن تحمي قومي وتُعاقِب أعدائي؟».

- «نعم يا جلالة الملك».

- «إذن انهض يا داڤوس سيوورث، وانهض باعتبارك سيِّد (الغابة المطيرة) وأميرال (البحر الضيِّق) ويد الملك».

أذهلَت المفاجأة داڤوس لحظةً وجمَّدته في مكانه، وفكَّر: لقد صحوتُ هذا الصَّباح في زنزانته! «جلالة الملك، لا يُمكنك أن... أنا لستُ بالرَّجل الصَّالح لأن يكون يد ملك».

قال ستانيس: «لا يوجد من هو أصلح منك»، ودَسَّ (جالِب الضِّياء) في غِمده، وأعطى داڤوس يده وساعدَه على النُّهوض.

قال داڤوس: «أنا من العوام، مهرِّب رُقِّيَ إلى فارسٍ لا أكثر. لورداتك لن يُطيعوني أبدًا».

- «سنصنع لوردات جُددًا إذن».

- «لكنني... لا أجيدُ القراءة... أو الكتابة...».

- «المِايستر پايلوس يستطيع أن يقرأ لك، وبالنِّسبة للكتابة فقد كتبَ يدي السَّابق أمر فصل رأسه عن كتفيه. لا أطلبُ منك إلَّا الأشياء التي لطالما أعطيتني إياها، الصِّدق والإخلاص والخدمة».

- «لا بُدَّ أن هناك أحدًا أفضل... واحدًا من كبار اللوردات...».

قال ستانيس ساخرًا: «الصَّبي بار إمون؟ جدِّي الخائن؟ سلتيجار تخلَّى عني، وڤيلاريون الجديد في السَّادسة من العُمر، وصنجلاس الجديد أبحرَ إلى (ڤولانتيس) بَعد أن أحرقت أخاه»، وشوَّح بيده بسُخطٍ مواصلًا: «ما زالَ هناك بعض الرِّجال الصَّالحين، هذا صحيح. السير جيلبرت فارنج يُدافِع عن (ستورمز إند) من أجلي ومعه مئتا رجلٍ مخلص، وهناك أيضًا اللورد موريجن، ونغل (التَّغريدة)، وتشيترينج الصَّغير، وأندرو ابن خالي... لكنني لا أثقُ بأحدٍ منهم مِثلما أثقُ بك يا سيِّد (الغابة المطيرة). ستكون يدي، فأنت من أريدُ إلى جواري في المعركة».

فكَّر داڤوس: معركة أخرى ستعني نهايتنا جميعًا. هذا على الأقل كان

اللورد آلستر محدقًا فيه، ثم إنه قال: «جلالتك طلبت مني النَّصيحة الصَّادقة. بصدقٍ إذن... إننا نفتقر إلى القوَّة لخوض معركةٍ أخرى ضد جيوش لانستر».

- «جلالته يتكلَّم عن المعركة العُظمى»، قال صوت امرأةٍ غنيٌّ بلكنات الشَّرق. كانت مليساندرا واقفةً عند الباب مرتديةً الحرير الأحمر والساتان البرَّاق وفي يدها طبق فضِّي مغطًّى. «هذه الحروب الصَّغيرة ليست أكثر من شجار أطفال مقارنةً بما هو آتٍ. الذي يجب ألَّا يُذكَر اسمه يحشد قواه يا داڤوس سيوورث، قوًى رهيبة شريرة وغاشمة لأقصى درجة. قريبًا يحلُّ البرد واللَّيل الذي لا ينتهي»، ووضعَت الطَّبق على المائدة المرسومة مردفةً: «ما لم يجد المخلصون القوَّة لمحارَبتها، هؤلاء الذين قلوبهم من نار».

حدَّق ستانيس إلى الطَّبق قائلًا: «لقد أرَتني إياها يا لورد داڤوس، أرَتني في اللَّهب».

- «أنت رأيتها يا مولاي؟». ليس من شيمة ستانيس باراثيون أن يكذب بشأن شيءٍ كهذا.

- «بأمِّ عيني. بَعد المعركة، وقد تمكَّن مني اليأس، طلبَت مني الليدي مليساندرا أن أنظر في نار المستوقَد. كانت المدخنة تسحب الدُّخان بقوَّة، وذرَّات الرَّماد تتصاعَد من النَّار، ونظرتُ فيها شاعرًا بالحُمق، لكنها قالت أن أتعمَّق ببصري، و... كان الرَّماد أبيض، يرتفع مع التَّيَّار الصَّاعد، لكن فجأةً بدا كأنه يَسقُط. قلتُ في نفسي إنه ثلج، ثم بدَت الشَّرارات في الهواء كأنها تدور مكوِّنةً حلقةً من المشاعل، ووجدتُ نفسي أتطلَّعُ عبر النَّار إلى تَلٍّ عالٍ في غابة. تحوَّلت الجمار إلى رجالٍ يرتدون الأسود وراء المشاعل، وثمَّة أشياء تتحرَّكُ في الثَّلج، وعلى الرغم من حرارة النَّار شعرتُ ببردٍ فظيع أرجفَني، وحينها تلاشَت الرُّؤيا، وعادَت النَّار نارًا... لكن ما رأيته كان حقيقيًّا، وأراهنُ بمملكتي على هذا».

قالت مليساندرا: «وقد راهنت بالفعل».

أخافَ اليقين في صوت الملك داڤوس حتى النُّخاع، وغمغَمَ: «تَلٌّ في غابة... أشياء في الثَّلج... لستُ...».

قالت مليساندرا: «معنى هذا أن المعركة بدأت. الرِّمال تجري في الزُّجاج بسُرعةٍ أكبر الآن، وساعة الإنسان على الأرض تُشارِف على الانتهاء. يجب

أن نتصرَّف بجسارةٍ وإلَّا ضاعَ كلُّ أمل. لا بُدَّ أن تتَّحد (وستروس) وراء ملكها الشَّرعي الأوحد، الأمير الموعود، سيِّد (دراجونستون) ومختار راهلور».

مكشِّرًا قال الملك، كأنه تذوَّق شيئًا كريه الطَّعم: «راهلور يختار بغرابةٍ إذن. لماذا أنا وليس أخوَيْ؟ رنلي وخوخته. في أحلامي أرى العصير يسيل من فمه والدَّم من حَلقه. لو أدَّى واجبه نحو أخيه لدحرنا اللورد تايوين معًا. انتصار كان روبرت نفسه ليفخر به. روبرت...»، وصرَّت أسنانه وهي تتحرَّك من جانبٍ إلى جانبٍ داخل فمه وهو يُواصِل: «أراه في أحلامي أيضًا، يضحك ويشربُ ويتفاخَر. تلك كانت الأشياء التي أجادَها أكثر من غيرها، هي والقتال. إنني لم أتفوَّق عليه في أيِّ شيءٍ قَطُّ. كان المفترَض أن يختاره إله الضِّياء نصيرًا له. لماذا أنا؟».

أجابَته مليساندرا: «لأنك رجل نزيه».

تحسَّس ستانيس الطَّبق الفضِّي المغطَّى بإصبعه قائلًا: «رجل نزيه... معه عَلقات».

- «نعم، لكن عليَّ أن أكرِّر أن هذا ليس السَّبيل».

لاحَ الغضب على الملك وهو يقول لها: «لقد أقسمتِ أن هذه الطَّريقة ستَصلُح».

- «ستَصلُح... ولن تَصلُح».

- «أيُّهما؟».

- «هذا وذاك».

- «قولي كلامًا معقولًا يا امرأة».

قالت والياقوتة الكبيرة على حَلقها تتشرَّب النَّار من وهج المستوقَد: «عندما تتكلَّم النَّار بوضوحٍ أكثر فسأفعلُ أيضًا. في اللَّهب تكمن الحقيقة، لكنها لا تتجلَّى دائمًا. أعطِني الصَّبي يا جلالة الملك. إنها الوسيلة الأضمن، الوسيلة الأفضل. أعطِني الصَّبي وسأوقِظُ التنِّين الحجري».

- «قلتُ لكِ لا».

- «إنه مجرَّد صبيٍّ وليد زنا مقابلَ كلِّ صِبية (وستروس)، وكلِّ الفتيات أيضًا، مقابل كلِّ الأطفال الذين قد يولَدون في كلِّ ممالك العالم».

- «الصَّبي بريء».

- «الصَّبي دنَّس فِراش زوجيَّتك، وإلَّا لكنت قد أنجبت أبناءً. لقد كلَّلك بالعار».

- «روبرت فعلَ هذا وليس الصَّبي، وابنتي أصبحَت مغرمةً به. ثم إنه من دمي».

- «دم أخيك، دم ملك. لن يُوقظ التنِّين الحجري إلَّا دم ملك».

صَرَّ ستانيس بأسنانه، وقال: «لن أسمع المزيد. التَّنانين انقرضَت. آل تارجاريَن حاوَلوا إعادتها مرارًا فجعلوا من أنفسهم مهرِّجين أو جُثَثًا. ذو الوجه المرقَّع هو المهرِّج الوحيد الذي نحتاج إليه على هذه الصَّخرة البائسة. العَلقات معكِ، فقومي بعملكِ».

حنَت مليساندرا رأسها بجمود، وقالت: «كما يأمر مولاي الملك»، ودَسَّت يدها اليُمنى داخل كُمِّها الأيسر، ثم ألقَت ملء قبضةٍ من مسحوقٍ ما في المستوقَد فهدرَ الجمر وتأجَّج، وإذ تلوَّى اللَّهب الشَّاحب فوقها التقطَت المرأة الحمراء الطَّبق الفضِّي وناولَت الملك إياه، وراقبَها داڤوس وهي ترفع الغطاء لتكشف عن ثلاث عَلقات سوداء كبيرة متخَمة بالدَّم.

دم الصَّبي، دم الملك.

مَدَّ ستانيس يده وانغلقَت أصابعه حول واحدةٍ من العَلقات، وقالت مليساندرا آمرةً: «قُل الاسم».

كانت العَلقة تتلوَّى في يد الملك محاولةً أن تُثَبِّت نفسها إلى أحد أصابعه، وقال هو: «الغاصِب چوفري باراثيون»، ولمَّا ألقى العَلقة في النَّار تجعَّدت وسط الجمرات كورقة شجر في الخريف واحترقَت.

التقطَ ستانيس الثَّانية، وأعلنَ بصوتٍ أعلى هذه المرَّة: «الغاصِب بالون جرايچوي»، وقذفَها بخفَّةٍ في المستوقَد، فتشقَّق لحمها وانبثقَ منها الدَّم مصحوبًا بالهسيس والدُّخان.

كانت الأخيرة في يد الملك، وتلك أمعنَ النَّظر إليها لحظةً وهي تتلوَّى بين أصابعه، ثم إنه قال أخيرًا: «الغاصِب روب ستارك».

وألقى العَلقة في النَّار.



چايمي

حمَّام (هارنهال) قاعة معتمة واطئة السَّقف ملأى بالأبخرة والأحواض الحجريَّة الكبيرة، وحين اقتادَه حارسه إلى الدَّاخل وجدَ چايمي بِريان جالسةً في أحدها، تَفرُك ذراعها بحركاتٍ أدنى إلى الغضب.

ناداها قائلًا: «تمهَّلي يا هذه وإلَّا كشطتِ جِلدكِ عن لحمكِ»، فأسقطَت فرشاتها وغطَّت ثدييها بيدين كبيرتين كيدَيْ جريجور كليجاين، وإن كان هذان البُرعمان الصَّغيران المدبَّبان اللذان أصرَّت على إخفائهما ليبدوا طبيعيَّين أكثر على فتاةٍ في العاشرة مما بديا على صدرها العضلي الغليظ.

- «ماذا تفعل هنا؟».

قال چايمي: «اللورد بولتون مصرٌّ على أن أتناوَل العَشاء معه اللَّيلة، لكنه رفضَ دعوة براغيثي»، وشَدَّ حارسه بيُسراه قائلًا له: «ساعِدني على خلع هذه الأسمال العفِنة». بيدٍ واحدة لا يستطيع أن يحلَّ أربطة سراويله، وقد أطاعَه الرَّجل على مضض، لكنه أطاعَه على كلِّ حال، وأمرَه چايمي عندما تكوَّمت ثيابه على الأرض الحجريَّة المبتلَّة: «والآن اترُكنا. سيِّدتي ابنة تارث لا تُريد أن يُحملِقِ أمثالك من الحثالة إلى ثدييها»، وأشارَ بجَدعته إلى المرأة ذات الوجه الطَّويل النَّحيل التي تَحرُس بِريان مضيفًا: «وأنتِ أيضًا، انتظري في الخارج. هناك باب واحد، والفتاة أكبر حجمًا من أن تُحاوِل الهرب من إحدى المداخن».

عادة الطَّاعة متأصِّلة، وهكذا تبعَت المرأة حارسه إلى الخارج، تاركيْن الحمَّام لهما وحدهما. يتَّسع كلٌّ من الأحواضِ لستَّة أو سبعة أفراد في آنٍ واحد، على غرار حمَّامات المُدن الحُرَّة، فنزلَ چايمي إلى الحوض الذي

استقرَّت فيه الفتاة بحركةٍ بطيئة خرقاء. كانت كلتا عينيه مفتوحتين الآن، وإن ظلَّت اليُمنى متورِّمةً إلى حَدٍّ ما على الرغم من عَلقات كايبرن، وأحسَّ چايمي كأنه في المئة والتِّسعة من العُمر، وهو تحسُّن بالغ عمَّا كان يَشعُر به حين دخل (هارنهال).

انكمشَت بريان منه قائلةً: «هناك أحواض أخرى».

قال: «هذا يُناسِبني تمامًا»، وبحذرٍ غمسَ نفسه في المياه السَّاخنة حتى تحت ذقنه، لكنه اضطرَّ لأن يسند ذراعه اليُمنى إلى الحافة، بما أن كايبرن أوصاه بالحفاظ على الضَّمَّادة الكتَّان جافَّةً. شعرَ بالشَّدِّ ينسحب من ساقيه وبرأسه يدور وهو يُردِف: «لا تقلقي يا هذه. فخذاكِ لونهما أرجواني وأخضر من فرط الكدمات، ولستُ مهتمًّا بما بينهما. أخرجيني من الماء إذا فقدتُ الوعي. لم يَحدُث أن ماتَ لانستر غرقًا في حمَّامه من قبل، ولا أنوي أن أكون الأول».

- «ولماذا أبالي إذا مُتَّ؟».

- «لأنكِ حلفتِ يمينًا مقدَّسةً»، وابتسمَ لمرأى الأحمر الذي زحفَ على عُنقها الثَّخين الأشبه بالعمود وهي تُدير ظِهرها إليه، وقال: «أما زلتِ تتصرَّفين كالعذراء الخجول؟ ما الذي تحسبينني لم أرَه من قبل؟»، ومَدَّ يده إلى الفرشاة التي أسقطَتها والتقطَها بأصابعه، وبدأ يَفرُك جسده هنا وهناك، وحتى هذا وجدَه عويصًا مرهِقًا. يدي اليُسرى لا تَصلُح لشيء.

لكن الماء بدأ يكتسب لونًا داكنًا إذ ذابَت الأوساخ المتكتِّلة على جلده، وظلَّت الفتاة تُعطيه ظَهرها فرأى العضلات في كتفيها الكبيرتين محنيَّةً صُلبةً.

قال چايمي: «هل يُزعِجكِ منظر جَدعتي؟ المفترَض أن تُسَرِّي لأني فقدتُ اليد التي قتلتُ بها الملك، اليد التي ألقَت ابن ستارك من البُرج، اليد التي أضعها بين فخذَيْ أختي لأجعلها تبتلُّ»، ورفعَ جَدعته في وجهها مضيفًا: «لا عجب أن رنلي ماتَ وأنتِ تحمينه».

هَبَّت واقفةً كأنه صفعَها لتَنثُر الماء السَّاخن في كلِّ مكان، ولمحَ چايمي الدَّغل الأشقر الكثيف عند ملتقى ساقيها وهي تَخرُج من الحوض، ففكَّر أنها مشعرة أكثر من أخته بكثير، أمَّا السَّخيف فإنه أحسَّ بذَكره يتحرَّك تحت مياه الاستحمام، فقال لنفسه: الآن أعرفُ أني قضيتُ وقتًا طويلًا للغاية بعيدًا عن سرسي. غَضَّ بصره وقد أزعجَته استجابة جسده للمنظر، وغمغمَ: «لم يكن

من اللَّائق أن أقول هذا. إنني رجل معاق مفعم بالمرارة. سامِحيني يا هذه. لقد حميتِني كما كان أيُّ رجلٍ ليفعل، بل أفضل من معظم الرِّجال».

سترَت عُريها بمنشفةٍ لَفَّتها حول جسدها، وقالت: «هل تسخر مني؟».

جدَّد قولها غضبه، فصاحَ فيها: «أأنتِ بلهاء؟ كنتُ أعتذرُ. لقد تعبتُ من الشِّجار معك. ما رأيكِ في أن نُقيم هُدنةً؟».

- «الهُدنة تُبنى على الثِّقة. هل تُريدني أن أثق بـ...».

- «قاتِل الملك، نعم، الحانث بالقَسم الذي اغتالَ إيرس تارجاريَن الحزين المسكين»، وأطلقَ چايمي نخيرًا قبل أن يُردِف: «ليس إيرس من أندمُ على ما فعلته معه، بل روبرت. في أثناء مأدبة تتويجه قال لي: سمعتُ أنهم لقَّبوك بقاتِل الملك، لكن لا تُفكِّر في جعلها عادةً، وضحكَ. لماذا لا يتَّهم أحد روبرت بالحنث بالقَسم؟ لقد مزَّق البلاد تمزيقًا، ومع ذلك أنا الذي شَرَفه خراء».

قالت بريان والمياه تجري على ساقيها وتتجمَّع في بِركةٍ تحت قدميها: «روبرت فَعلَ كلَّ ما فعلَه في سبيل الحُب».

- «روبرت فعلَ كلَّ ما فعلَه من أجل الكبرياء وكُس ووجهٍ جميل»، وكوَّر چايمي قبضته... أو كان ليُكوِّرها لو أن له يدًا، وسرى الألم في ذراعه بقسوة الضَّحكات السَّاخرة.

قالت بإصرار: «لقد خرجَ إلى الحرب لإنقاذ البلاد».

لإنقاذ البلاد. «هل تعلمين أن أخي أشعلَ النَّار في (النَّهر الأسود)؟ النَّار الشَّعواء تظلُّ مشتعلةً على سطح الماء، وكان إيرس ليستحمَّ بها إذا جرؤَ. آل تارجاريَن كلُّهم كانوا مجانين بالنَّار». أحسَّ چايمي بالدُّوار يكتنف رأسه، فقال لنفسه: إنها الحرارة والسُّمُّ في دمي، بقايا الحُمَّى. أنا لستُ على طبيعتي، وبتؤدةٍ أنزلَ نفسه أكثر في الماء حتى بلغَ ذقنه، ثم تمتمَ: «لوَّثتُ معطفي الأبيض... يومها كنتُ أرتدي الدِّرع الذَّهبيَّة، لكن...».

بدا صوتها بعيدًا خافتًا وهي تُردِّد: «الدِّرع الذَّهبيَّة؟».

قال چايمي لانستر وهو يسبح في الحرارة والذِّكريات: «بَعد أن خسرَ صاحِب الجَرافِن الرَّاقصة معركة الأجراس نفاه إيرس». لماذا أحكي هذا لتلك الطِّفلة السَّخيفة القبيحة؟ «كان قد أدركَ أخيرًا أن روبرت ليس مجرَّد لورد

خارج عن القانون يستطيع أن يسحقه ببساطة، وإنما أكبر تهديدٍ واجهَ عائلة تارجاريَن منذ ديمون بلاكفاير. ذكَّر الملك ليوين مارتل بوقاحةٍ بأن إليا تحت رحمته، وأرسلَه ليقود العشرة آلاف دورني القادمين على (طريق الملوك)، بينما ذهبَ چون داري وباريستان سلمي إلى (السِّپت الحجري) ليحشدا ما يُمكنهما من رجال الجريفين، ورجعَ الأمير ريجار من الجنوب وأقنعَ أباه بأن يبتلع كبرياءه ويستدعي أبي، لكن لا غُداف عادَ من (كاسترلي روك)، وهو ما أثارَ خوف الملك أكثر فأكثر، وبدأ يرى الخونة في كلِّ مكان، وكان ڤارس موجودًا دائمًا ليُشير إلى أيِّ أحدٍ فاتَه. هكذا أمرَ جلالته الخيميائيِّين بوضع مخزونهم من النَّار الشَّعواء في كلِّ أرجاء (كينجز لاندنج)، تحت (سِپت بيلور) وبيوت (جُحر البراغيث)، تحت الاسطبلات والمستودعات، وعند بوَّابات المدينة السَّبع، بل وفي أقبية (القلعة الحمراء) نفسها. تَمَّ كلُّ شيءٍ بأقصى درجةٍ من السرِّيَّة على يد مجموعةٍ صغيرة من كبار الپايرومانسرات، الذين لم يأتمنوا تلامذتهم أنفسهم على مساعَدتهم. كانت عينا الملكة مغلقتين قبل سنوات، وريجار مشغولًا بتعبئة جيشه، لكن غباء يد إيرس الجديد ذي رمز الصَّولجان والخنجر لم يكن مطبقًا، وبدأت الشُّكوك تُساوِره مع مجيء وذهاب روزارت وبيليس وجاريجوس ليل نهار. تشيلستد، كان هذا اسمه، اللورد تشيلستد». استرجعَ الاسم فجأةً وهو يحكي. «ظننتُ الرَّجل جبانًا، لكنه عثرَ على شيءٍ من الشَّجاعة في مكانٍ ما يوم واجهَ إيرس، وبذلَ قصارى جهده ليُثنيه عن نيَّته، كلَّمه بالعقل ومازحَه وهدَّده، وأخيرًا توسَّل إليه، ولمَّا فشلَ هذا أيضًا خلعَ سلسلة اليدويَّة وألقاها على الأرض، ولأجل هذا أحرقَه إيرس وعلَّق السِّلسلة حول عُنق روزارت، الپايرومانسر المفضَّل عنده، الرَّجل الذي طهى ريكارد كارستارك في دِرعه. طيلة هذا الوقت كنتُ واقفًا عند قاعدة العرش الحديدي في دِرعي البيضاء، واقفًا بسكون الجُثث، أحرسُ مولاي وأسراره المسيلة للُّعاب. كان جميع إخوتي في الحَرس الملكي بعيدين وقتها، لكن إيرس أحبَّ أن يُبقيني قريبًا منه دائمًا. كنتُ ابن أبي، ولذا لم يثق بي، وأرادَني حيث يستطيع أن يُراقِبني ڤارس طوال اللَّيل والنَّهار، فسمعتُ كلَّ شيء». تذكَّر كيف كانت عينا روزارت تتألَّقان كلما بسطَ خرائطه ليُري الملك الأماكن التي وُضِعَت فيها المادَّة، ولم يختلف جاريجوس وبيليس

عنه في شيء. «التقى ريجار وروبرت على ضفاف (الثَّالوث)، وتعلمين ما حدثَ هناك، وحين بلغَ الخبر البلاط أرسلَ إيرس الملكة إلى (دراجونستون) مع الأمير ڤسيرس، وكانت الأميرة إليا لتذهب أيضًا، لكنه منعَها. بشكلٍ ما دخلَت رأسه فكرة أن الأمير ليوين خانَ ريجار في معركة (الثَّالوث)، وإن فكَّر أنه يستطيع الحفاظ على ولاء (دورن) له إذا أبقى على إليا وإجون إلى جواره. سمعته يقول لروزارت: الخونة يُريدون مدينتي، لكني لن أعطيهم إلَّا الرَّماد. فليكن روبرت ملكًا على العظام المتفحِّمة واللَّحم المشوي. لم يكن آل تارجارين يدفنون موتاهم وإنما يُحرقونهم، وكان إيرس ينوي أن يحظى بأكبر محرقةٍ جنائزيَّة في تاريخهم. الواقع أني لا أعتقدُ أنه توقَّع أنه سيموت حقًّا. مِثل إريون اللَّهب السَّاطع من قبله، حسبَ إيرس أن النَّار ستُحَوِّله... أنه سينهض ثانيةً، يولَد من جديدٍ كتنِّين ويُحيل أعداءه إلى رماد. وقتها كان ند ستارك يهرع جنوبًا على رأس طليعة جيش روبرت، لكن قوَّات أبي بلغَت المدينة أولًا، وأقنعَ پايسل الملك بأن حاكم الغرب قد جاءَ يُدافِع عنه، ففتحَ البوَّابات. المرَّة الوحيدة التي كان عليه أن يُصغي إلى ڤارس وتجاهَله. كان أبي قد امتنعَ عن الاشتراك في الحرب، يُفَكِّر في كلِّ الإساءات التي تعرَّض إليها من إيرس، وقرَّر أن تُساند عائلة لانستر الطَّرف الرَّابح، وحزمَت معركة (الثَّالوث) أمره. وقعَ على عاتقي الدِّفاع عن (القلعة الحمراء)، لكني كنتُ أعلمُ أننا ضائعون. أرسلتُ إلى إيرس طالبًا إذنه في مناقَشة شروط الاستسلام، فعادَ رجلي بأمرٍ ملكي: اجلب لي رأس أبيك إذا لم تكن خائنًا. رفضَ إيرس الاستسلام تمامًا، وقال رسولي إن اللورد روزارت كان معه، فعرفتُ ما يعنيه هذا. عندما وجدتُ روزارت كان في طريقه إلى بوَّابةٍ جانبيَّة وهو يرتدي ثياب جنديٍّ عادي. قتلته أولًا، ثم قتلتُ إيرس قبل أن يجد أحدًا آخَر يحمل أمره إلى الپايرومانسرات، وبَعد أيام طاردتُ الآخَريْن وقتلتهما أيضًا. عرضَ بيليس عليَّ الذَّهب، وتوسَّل جاريجوس الرَّحمة باكيًا. السَّيف أرحم من النَّار، لكنني لا أظنُّ أن جاريجوس شعرَ بالامتنان للرَّحمة التي نالها مني».

كانت المياه قد بردَت، وحين فتحَ چايمي عينيه وجدَ نفسه يُحَدِّق إلى جَدعة يد السَّيف. اليد التي جعلَتني قاتِل الملك. لقد سلبَه الكبش مجده وعاره في آنٍ واحد. تاركًا ماذا؟ مَن أكونُ الآن؟

بدَت الفتاة سخيفة المنظر وهي تضمُّ المنشفة إلى ثدييها الضَّئيلين، بينما تَبرُز ساقاها البيضاوان الغليظتان من تحتها، وقال لها: «هل أصابَتكِ حكايتي بالخرس؟ هلمِّي، الْعنيني أو قبِّليني أو انعتيني بالكذب، أي شيء».

- «إذا كان ما قلته صحيحًا، فكيف لا يعرف به أحد؟».

- «فُرسان الحَرس الملكي يُقسِمون على الحفاظ على أسرار الملك. هل تُريدينني أن أحنث بقَسمي؟»، وضحكَ چايمي مواصلًا: «هل تتصوَّرين أن سيِّد (وينترفل) النَّبيل أرادَ أن يسمع شرحي الواهي؟ يا له من رجلٍ شريف. لقد اكتفى بإلقاء نظرةٍ واحدةٍ عليَّ ليَحكُم عليَّ بالذَّنب»، وانتفضَ واقفًا ليسيل الماء البارد على صدره، وتابعَ: «بأيِّ حَقٍّ يَحكُم الذِّئب على اللَّيث؟ بأيِّ حَق؟!».

انتابته رعدة عنيفة، وارتطمَت جَدعته بحافة الحوض وهو يُحاوِل الخروج، فاجتاحَ الألم الممضُّ كيانه كلَّه... وفجأةً راحَ المكان يدور من حوله، لكن بِريان لحقَته وأمسكَته قبل أن يَسقُط. أحسَّ بذراعها باردةً رطبةً وتزحف عليها القشعريرة، لكنها كانت قويَّةً، وأرقَّ مما كان ليحسب. أرق من سرسي، فكَّر وهي تُساعِده على الخروج من الحوض على ساقين مهزوزتين كقضيبٍ رخو، وسمعَها تزعق: «أيها الحُرَّاس! قاتِل الملك!».

چايمي. اسمي چايمي.

عندما استعادَ وعيه وجدَ نفسه ممدَّدًا على الأرض الرَّطبة، بينما يقف الحَرس والفتاة وكايبرن فوقه والقلق يبدو عليهم، وكانت بِريان عاريةً، لكن يبدو أنها نسيَت هذا في الوقت الحالي. سمعَ المِايستر كايبرن يقول لهم: «إنها حرارة الأحواض». لا، إنه ليس مِايستر، لقد أخذوا سلسلته. «وما زال هناك سُم في دمه أيضًا، بالإضافة إلى سوء تغذيته. ماذا كنتم تُطعِمونه؟».

قال چايمي: «الدُّود والبول والقيء المتعفِّن».

لكن الحارس قال بإصرار: «الخُبز الجامد والماء وثريد الشُّوفان، لكنه يأكل بالكاد. ماذا نفعلٍ به؟».

أجابَ كايبرن: «نظِّفوه وألبِسوه ثم احملوه إلى بُرج (محرقة الملك) حملًا إذا دعَت الحاجة. اللورد بولتون يصرُّ على تناوُل العَشاء معه اللَّيلة، والوقت قصير».

قالت بِريان: «أحضِروا له ثيابًا نظيفةً وسأتولَّى تنظيفه وإلباسه».

سُرَّ الآخَرون بالطَّبع لتولِّيها هذه المسؤوليَّة، وساعَدوه على النُّهوض وأجلَسوه على دكَّة حجريَّة عند الحائط، بينما ذهبَت بريان لتستعيد منشفتها وعادَت بفرشاةٍ يابسة لتُنهي تنظيفه. أعطاها أحد الحُرَّاس موسًى لتُشذِّب لحيته، وعادَ كايبرن بثيابٍ داخليَّة من الخيش وسراويل نظيفة من الصُّوف الأسود، وقميص أخضر فضفاض وسُترة تُعقَد أربطتها من الأمام. عندئذٍ كان الدُّوار الذي أصابَ چايمي قد خَفَّ، وإن ظَلَّ الخَرق يُلازِم حركته، وبمساعَدة بريان استطاعَ أن يرتدي الملابس، وقال لها: «لا أحتاجُ الآن إلَّا إلى مرآةٍ فضِّيَّة».

جلبَ المِايستر السَّفَّاح ثيابًا نظيفةً لبريان أيضًا، فُستانًا ورديًّا مبقَّعًا من الساتان وقميصًا تحتيًّا من الكتَّان، ولمَّا ناوَلها إياهما قال: «معذرةً يا سيِّدتي. هذه هي الثِّياب النِّسائيَّة الوحيدة في (هارنهال) التي تُناسِب مقاسكِ».

اتَّضح في الحال أن الفُستان مفصَّل لامرأةٍ بذراعين أنحف وساقين أقصر وثديين أكثر امتلاءً بكثير، ولم تنجح شرائط الزِّينة المايريَّة في مواراة الكدمات التي رقَّطت بشرة بريان، وبشكلٍ عام جعلَ الفُستان الفتاة تبدو سخيفةً حقًّا. كتفاها أكبر من كَتفَيّ، وعُنقها أثخن. لا غرو أنها تُفَضِّل ارتداء الحلقات المعدنيَّة. والوردي ليس لونًا يليق بها كذلك، وجعلَ دستةً من النِّكات اللَّاذعة تَخطُر ببال چايمي، لكنه احتفظَ بها هناك هذه المرة. من الأفضل ألَّا يُثير غضب الفتاة، فهو ليس ندًّا له بيدٍ واحدة.

جلبَ كايبرن معه قارورةً أيضًا، ولمَّا طلبَ من چايمي أن يشرب منها سألَه: «ما هذا؟».

- «عرقسوس منقوع في الخل، مع العسل والقرنفل. سيُقَوِّيك ويُصَفِّي رأسك».

- «اسقني العقَّار الذي يُنبِت لي يدًا جديدةً. هذا ما أريده».

قالت بريان دون أن تبتسم: «اشربه»، فشربَ.

مضى نِصف ساعة قبل أن يَشعُر بالقوَّة الكافية للوقوف، وبَعد دفء الحمَّام الرَّطب المعتم كان الهواء في الخارج بمثابة صفعةٍ على وجهه.

قال أحد الحَرس لكايبرن: «لا بُدَّ أن سيِّدي ينتظره الآن، وهي أيضًا. هل يجب أن أحمله؟».

قال چايمي: «يُمكنني أن أمشي. بِريان، أعطيني ذراعكِ».

مطبقًا على ذراعها، تركَهم چايمي يقتادونه عبر السَّاحة إلى قاعةٍ فسيحة يشتدُّ فيها الهواء، قاعة أكبر من قاعة العرش في (كينجز لاندنج)، تصطفُّ فيها المستوقَدات الضَّخمة عند الجُدران، تفصل كلًّا منها عن الآخَر مسافة عشر أقدام أو نحوها، وعددها أكبر من أن يستطيع چايمي إحصاءه، لكن نارًا لم تشتعل فيها، فتوغَّل البرد حتى العظام. وقفَت دستة من حاملي الحِراب في معاطف من الفرو تَحرُس الأبواب والدَّرجات التي تقود إلى الشُّرفتين العلويَّتين، وفي منتصَف هذا الفراغ الهائل، وإلى مائدةٍ محاطة بما يبدو كأفدنةٍ كاملة من الأرضيَّة الأردواز الملساء، جلسَ سيِّد (معقل الخوف)، يخدمه ساقٍ واحدة لا أكثر.

قالت بِريان حين وقفا أمامه: «سيِّدي».

لرووس بولتون عينان أفتح لونًا من الحجر وأغمق من الحليب، وصوته بنعومة شباك العنكبوت، وبه قال: «يُسعِدني أنك بالقوَّة الكافية لزيارتي أيها الفارس. تفضَّلي بالجلوس يا سيِّدتي»، وأشارَ إلى وجبة الجُبنة والخُبز واللَّحم البارد والفواكه التي غطَّت المائدة قائلًا: «نبيذ أحمر أم أبيض؟ أخشى أنه نوع تقليدي، فقد أفرغَ السير آموري أقبية الليدي ونت عن آخِرها تقريبًا».

أسرعَ چايمي يجلس كي لا يرى بولتون وهنه الشَّديد، وقال: «أفترضُ أنك قتلته لهذا. الأبيض لون ستارك. سأشربُ الأحمر كلانستر صالح».

وقالت بِريان: «أفضِّلُ الماء».

قال بولتون للسَّاقي: «إلمار، نبيذ أحمر للسير چايمي وماء لليدي بريان والهيپوكراس[1] لي»، ولوَّح بيده لمُرافِقيهما صارفًا إياهم، فانسحبَ الرِّجال بصمت.

جعلَت العادة چايمي يمدُّ يُمناه إلى النَّبيذ، فرجَّت جَدعته الكأس لتتلوَّث ضمَّادته الكتَّان النَّظيفة ببُقع حمراء زاهية، بينما أمسكَ الكأس بيُسراه قبل أن تَسقُط، لكن بولتون تظاهَرَ بأنه لم يلحظ خَرقه، ومَدَّ يده إلى حبَّة برقوق

(1) الهيپوكراس مشروب صحِّي يُعَدُّ من النَّبيذ المخلوط بالسُّكَّر والتَّوابل، وعادةً ما يتضمَّن القرفة، ابتكرَه أبقراط وسُمِّيَ نسبةً إليه. (المترجم).

مجفَّف التهمَها على قضماتٍ صغيرة سريعة، ثم قال له: «جرِّب هذا البرقوق يا سير چايمي. مذاقه شديد العذوبة، كما أنه يُساعِد على إفراغ الأحشاء أيضًا. اللورد ڤارجو أخذَه من خانٍ قبل أن يُحرقه».

- «أحشائي بخير، والكبش ليس لوردًا، وبرقوقك لا يهمُّني مِثلما تهمُّني نيَّاتك».

تلاعبَت ابتسامة باهتة على شفتَيْ رووس بولتون وهو يقول بصوتٍ يكاد لا يعلو على همسة: «بخصوصك؟ أنت غنيمة خطرة أيها الفارس، تزرع الشِّقاق أينما ذهبت، حتى هنا في بيتي السَّعيد (هارنهال)، وفي (ريڤررَن) أيضًا على ما يبدو. هل تعرف أن إدميور تَلي عرضَ ألف تنِّينٍ ذهبي مقابل أسرك ثانيةً؟».

فقط؟ «أختي ستدفع عشرة أضعاف هذا المبلَغ».

- «حقًّا؟». تلك الابتسامة من جديد، لحظةً تلوح وفي التَّالية تختفي. «عشرة آلاف تنِّين مبلغ فادح، لكن بالطَّبع علينا أخذْ عرض اللورد كارستارك بعين الاعتبار أيضًا. لقد نذرَ يد ابنته للرَّجل الذي يأتيه برأسك».

قال چايمي: «دع الأمر لكبشك وسيفعل العكس».

ضحكَ بولتون بنعومة، وقال: «هاريون كارستارك كان سجينًا هنا عندما أخذنا القلعة، أتعرف هذا؟ أعطيته كلَّ رجال (كارهولد) الذين معي وأرسلته مع جلوڤر. أتمنَّى أن شيئًا سيِّئًا لم يَحدُث له في (وادي الغسق)... وإلَّا لن يتبقَّى من ذرِّيَّة اللوردِ ريكارد غير آليس كارستارك»، والتقطَ برقوقةً أخرى متابعًا: «من حُسن حظِّك أني لستُ في حاجةٍ إلى زوجة. لقد تزوَّجتُ الليدي والدا فراي وأنا في (التَّوأمتين)».

- «والدا الحسناء؟»، تساءلَ چايمي وهو يُحاوِل تثبيت الخُبز بجَدعته بينما يقطَعه بيُسراه.

- «والدا السَّمينة. اللورد فراي عرضَ عليَّ وزن عروسي فضَّةً كمَهر، فاخترتُ بناءً على هذا. إلمار، اقطع الخُبز للسير چايمي».

مزَّق الصَّبي قطعةً بحجم قبضة اليد من طرف الرَّغيف وناولَ چايمي إياها، على حين قطعَت بريان خُبزها بنفسها وسألَت: «لورد بولتون، يُقال إنك تنوي ترك (هارنهال) لڤارجو هوت».

أجابَها: «كان هذا ثَمنه. ليس آل لانستر وحدهم مَن يُسَدِّدون ديونهم.

وعلى كلِّ حالٍ عليَّ أن أرحل قريبًا. إدميور تَلي سيتزوَّج الليدي روزلين فراي في (التَّوأمتين)، ومليكي أمرَني بالحضور».

سألَه چايمي: «إدميور سيتزوَّج وليس روب ستارك؟».

بصقَ بولتون نواة البرقوقة في يده ووضعَها جانبًا، ثم أجابَ: «جلالة الملك روب تزوَّج واحدةً من فتيات آل وسترلينج أولاد (الجُرف). قيلَ لي إن اسمها چاين. لا شَكَّ أنك تعرفها أيها الفارس، فأبوها من حمَلة راية أبيك».

قال چايمي: «حمَلة راية أبي كُثر، ومعظمهم لديه فتيات»، ومَدَّ يُسراه إلى الكأس محاولًا أن يتذكَّر چاين هذه. وسترلينج عائلة قديمة، وإن كانت كبرياؤها أكبر من قوَّتها.

قالت برِيان بعناد: «لا يُمكن أن يكون هذا صحيحًا. الملك روب أقسمَ أن يتزوَّج واحدةً من بنات فراي، ومستحيل أن يحنثَ بقَسمه و...».

قاطعَها رووس بولتون بهدوء: «جلالته صبيٌّ في السَّادسة عشرة، وسأكونُ ممتنًّا إذا لم تُشَكِّكي في كلامي يا سيِّدتي».

كادَ چايمي يَشعُر بالأسف من أجل روب ستارك، وقال لنفسه: فازَ بالحرب في ميدان المعركة وخسرَها في غُرفة النَّوم، الأحمق المسكين، ثم إنه سأل: «وهل يستمرئ اللورد والدر لحم سمكة الترويت بدلًا من لحم الذِّئب؟».

قال بولتون: «أوه، التروِيت وجبة شهيَّة»، وأشارَ بإصبع شاحبة إلى ساقِيه مردفًا: «مع أن إلمار المسكين كسير القلب. كان من المفترَض أنْ يتزوَّج آريا ستارك، لكن حماي فراي لم يملك خيارًا إلَّا فسخ الخطبة عندما خانَه الملك روب».

مالَت برِيان إلى الأمام متسائلةً: «هل من أخبار عن آريا ستارك؟ الليدي كاتلين تخشى أن... ألا تزال الفتاة حيَّةً؟».

أجابَ سيِّد (معقل الخوف): «أوه، إنها حيَّة».

- «أأنت موقن بهذا يا سيِّدي؟».

هَزَّ رووس بولتون كتفيه قائلًا: «آريا ستارك ظلَّت مفقودةً فترةً، هذا صحيح، لكنها لم تَعُد كذلك، وأنوي أن تعود آمنةً إلى الشَّمال».

- «هي وأختها. تيريون لانستر وعدَ بإعادة كلتا الفتاتين مقابل أخيه».

بدا أن سيِّد (معقل الخوف) وجدَ قولها طريفًا، وردَّ: «ألم يُخبِركِ أحد يا سيِّدتي؟ أولاد لانستر يكذبون».

التقطَ چايمي سكِّين الجُبنة بيده السَّليمة قائلًا: «أهذه إهانة لشَرف عائلتي؟»، ومرَّر إصبعه على حافة النَّصل متابعًا: «الرَّأس مدوَّر وثلم، لكنه ما زال صالحًا لأن يفقأ عينك». أحسَّ بالعَرق ينضح على جبينه، وتمنَّى أنه لا يبدو بالضَّعف الذي يَشعُر به.

عادَت ابتسامة اللورد بولتون الرَّفيعة تزور شفتيه، وقال: «تتكلَّم بجرأةٍ بالنِّسبة لرجلٍ يحتاج إلى مساعَدةٍ لتقطيع خُبزه. دعني أذكِّرك بأن حَرسي يُحيطون بنا».

تطلَّع چايمي إلى القاعة الضَّخمة قائلًا: «يُحيطون بنا ولكن يَبعُدون نِصف فرسخ كامل. عندما يَبلُغوننا ستكون ميتًا كإيرس».

قالَ سيِّد (معقل الخوف) مؤنِّبًا: «ليس من الشَّهامة أن تُهدِّد مضيفك وبينكما جُبنته وزيتونه. إننا لا نزال نُقدِّس قوانين الضِّيافة في الشَّمال».

- «إنني أسير هنا ولستُ ضيفًا. كبْشك قطعَ يدي، وإذا كنت تحسب أن برقوقك سيجعلني أتغاضى عن هذا، فأنت مخطئ تمامًا».

باغتَ قوله رووس بولتون الذي رَدَّ: «ربما أكون مخطئًا، وربما يَجدُر بي أن أقدِّمك لإدميور تَلي كهديَّة زفاف... أو أقطع رأسك كما فعلَت أختك بإدارد ستارك».

- «لا أنصحُ بهذا. (كاسترلي روك) لا تنسى».

- «ألف فرسخ من الجبال والبحار والمستنقعات تفصل أسواري عن صخرتك. عداوة لانستر تعني القليل لبولتون».

- «لكن صداقة لانستر قد تعني الكثير». خطرَ لچايمي أنه يُدرك اللُّعبة الدَّائرة بينهما الآن. لكن هل تُدرِكها الفتاة أيضًا؟ لم يجرؤ على النَّظر إليها ليرى.

- «لستُ متأكِّدًا من كونكم الأصدقاء الذين يرغب فيهم أحد»، وأشارَ رووس بولتون إلى السَّاقي قائلًا: «إلمار، قطِّع اللَّحم لضيفينا».

قُدِّمَ اللَّحم المشوي إلى بريان أولًا، لكنها لم تُحاول أن تذوقه، وقالت: «سيِّدي، المفترَض أن يُبادَل السير چايمي بابنتَيْ الليدي كاتلين. يجب أن تُطلِق سراحنا لنُواصِل طريقنا».

- «الغُداف الذي وصلَ من (ريڤرَن) حملَ خبرًا عن هروب لا تبادُل للأسرى، وإذا ساعدتِ هذا الأسير على الفرار فأنتِ مذنبة بالخيانة يا سيِّدتي».

نهضَت الفتاة الكبيرة قائلةً: «إنني أخدمُ الليدي ستارك».

- «وأنا أخدمُ الملك في الشَّمال، أو الملك الذي فقدَ الشَّمال كما يُسَمِّيه البعض الآن، وهو لم يرغب قَطُّ في إعادة السير چايمي إلى عائلته».

قال چايمي فيما وضعَ إلمار أمامه قطعةً داكنةً داميةً من اللَّحم المشوي: «اجلسي يا بريان. إذا كان بولتون ينوي قتلنا لما بدَّد برقوقه الثَّمين علينا وعرَّض أحشاءه لخطر الإمساك»، وحدَّق إلى اللَّحم مدركًا أنه لا يستطيع تقطيعه بيدٍ واحدة. إنني أسوى أقلَّ من فتاة الآن. الكبش جعلَ الصَّفقة عادلةً حين قطعَ يدي، وإن كنتُ أشكُّ في أن الليدي كاتلين ستَشكُره عندما تُعيد سرسي فتاتيها في حالةٍ مماثلة. جعله الخاطر يعبس. أراهنُ أنني سأُلامُ على هذا أيضًا.

قطَّع رووس بولتون لحمه بعنايةٍ ليسيل الدَّم في طبقه، وقال: «ليدي بريان، هل ستجلسين إذا قلتُ لكِ إنني آملُ أن أرسل السير چايمي في طريقه كما ترغبين أنتِ والليدي كاتلين؟».

- «أنا... ستَترُكنا نذهب؟». لاحَ الحذر في نبرة الفتاة، لكنها جلسَت. «هذا عظيم يا سيِّدي».

- «نعم، إلَّا أن اللورد ڤارجو تسبَّب لي في... مشكلةٍ صغيرة»، وعادَ بولتون يلتفت إلى چايمي قائلًا: «هل تعرف لماذا قطعَ هوت يدك؟».

أجابَ چايمي رامقًا ضمَّادته الملوَّثة بالدَّم والنَّبيذ: «إنه يستمتع بقطع الأيدي، والأقدام أيضًا، ولا يبدو أنه يحتاج إلى سبب».

- «لكنه كان يملك سببًا على الرغم من هذا. هوت أكثر مكرًا مما يبدو. لا أحد يقود جماعةً كرفقة الشُّجعان دون أن يتحلَّى بالقليل من الذَّكاء»، وطعنَ بولتون قطعةً من اللَّحم برأس خنجره ووضعَها في فمه ومضغَها بعنايةٍ ثم ابتلعَها، قبل أن يُتابع: «اللورد ڤارجو تخلَّى عن عائلة لانستر لأني عرضتُ عليه (هارنهال)، الجائزة الأعظم ألف مرَّة من أيِّ شيءٍ كان يأمل في نيله من اللورد تايوين، وبصفته غريبًا على (وستروس) فإنه لم يعرف أن الجائزة مسمومة».

قال چايمي ساخرًا: «لعنة هارن الأسود؟».

رفعَ بولتون كأسه فملأَها إلمار بصمتٍ بينما قال: «لعنة تايوين لانستر.

كان على كبشنا أن يستشير آل تاربك أو آل راين، فكانوا ليُحَذِّروه من معامَلة أبيك للخونة».

- «ليس هناك آل تاربك أو آل راين».

- «بالضَّبط. لا ريب أن اللورد ڤارجو كان يأمل أن ينتصر اللورد ستانيس في (كينجز لاندنج)، ومن ثَمَّ يُصَدِّق على استحواذه على هذه القلعة امتنانًا للدَّور الذي لعبه في سقوط عائلة لانستر»، وقهقهَ بجفافٍ مواصلًا: «أخشى أنه يعرف القليل عن ستانيس باراثيون أيضًا. كان ليُعطيه (هارنهال) لقاء خدمته... لكنه كان ليُعَلِّقه من أنشوطة لجرائمه».

- «الأنشوطة مصير أرحم مما سيناله من أبي».

- «وهو ما يُدرِكه الآن. مع انكسار ستانيس وموت رنلي فلا شيء سيُنقِذه من انتقام اللورد تايوين إلا انتصار ستارك، لكن فُرص أن يَحدُث هذا تتضاءَل بإطراد».

قالت بريان بحزم: «الملك روب انتصرَ في كلِّ معركةٍ خاضَها». مخلصةٌ هي في الكَلام كما تُخلِص في الفعل.

- «انتصرَ في كلِّ معركةٍ على حين خسرَ آل فراي وآل كارستارك و(وينترفل) والشَّمال. مؤسفٌ أن الذِّئب صغير للغاية. كلُّ صبيٍّ في السَّادسة عشرة يُؤمِن بأنه خالد لا يُقهَر. أعتقدُ أن رجلًا أكبر كان ليستسلم ويركع. بَعد الحرب يحلُّ السَّلام، ومع السَّلام هناك عفو... عن أمثال روب ستارك على الأقل، لكن ليس أمثال ڤارجو هوت»، وأعطى بولتون چايمي ابتسامةً خفيفةً مردفًا: «كلا الطَّرفين استغلَّه، لكن أحدًا منهما لن يذرف دمعةً واحدةً عليه عندما يموت. رِفقة الشُّجعان لم تُقاتِل في معركة (النَّهر الأسود)، لكنها ماتَت هناك».

- «هل ستُسامِحني إذا لم أنعَه؟».

- «ألا تُشفِق على كبشنا الهالك التَّعس؟ آه، لكن لا بُدَّ أن الآلهة تُشفِق عليه... وإلَّا لِمَ أوقعَتك بين يديه؟»، ولاكَ بولتون قطعةً أخرى من اللَّحم قبل أن يُواصِل: «(كارهولد) أصغر وأحقر من (هارنهال)، لكنها بعيدة جدًّا عن مخالب الأسد، وربما يُصبِح هوت لوردًا بحَقٍّ بمجرَّد أن يتزوَّج آليس كارستارك. إذا استطاعَ أن يقبض القليل من الذَّهب من أبيك فلا بأس، لكنه

كان ليُسَلِّمك إلى اللورد ريكارد مهما دفعَ اللورد تايوين، ويتلقَّى الفتاة وملاذًا آمنًا ثمنًا. لكن ليبيعك فعليه أن يحتفظ بك، وأراضي النَّهر ملأى بمن سيُسعِدهم اختطافك. جلوڤر وتولهارت انكسرا في (وادي الغسق)، لكن فلولًا من جيشهما تظلُّ طليقةً، والجبل يُطارِد ويذبح الشَّاردين منهم، وثمَّة ألف من رجال كارستارك يذرعون الأنحاء جنوب وشرق (ريڤررَن) بحثًا عنك، وفي أماكن أخرى رجال داري بلا لورد أو قانون، قطعان من الذِّئاب ذات الأقدام الأربع، بخلاف جماعات سيِّد البرق الخارجة عن القانون. دونداريون سيَشنُقك مع الكبش من شجرةٍ واحدة بكلِّ سرور»، وغمسَ سيِّد (معقل الخوف) قطعة خُبزٍ في الدَّم مردفًا: «(هارنهال) كانت المكان الوحيد الذي يسمح للورد ڤارجو بالحفاظ على سلامتك، لكن عدد شُجعانه هنا أقلُّ بكثير من رجالي، بالإضافة إلى السير إينس ورجال فراي. لا شَكَّ أنه خشيَ أن أُعيدك إلى السير إدميور في (ريڤررَن)... أو الأسوأ، أن أعيدك لأبيك. ببتر يدك أزاحَ تهديد براعتك في استخدام السَّيف عن طريقه، وربحَ تذكارًا شنيعًا يُرسِله لأبيك، وقلَّل من قيمتك عندي، لأنه رجلي كما أني رجل الملك روب، أي أن جريمته جريمتي، أو هكذا ستبدو للسيِّد والدك، وهنا تكمن... مشكلتي الصَّغيرة»، ورمقَ چايمي بعينين مترقِّبتين باردتين لا تطرفان.

فهمتُ. «تُريدني أن أُبرئك من اللَّوم، أن أقول لأبي إن هذه الجَدعة ليست من صُنعك»، وضحكَ چايمي قائلًا: «سيِّدي، أعِدني إلى سرسي وسأغنِّي على مسامع أبي أعذب أغنيَّةٍ عن معامَلتك الحسنة لي». يعلم أنه إذا أجابَ بأيِّ شيءٍ آخَر لأعادَه بولتون إلى الكبش. «لو كانت لي يد لكتبتُ أن من شوَّهني هو المرتزِق الذي جلبَه أبي إلى (وستروس)، ومن أنقذَني هو اللورد بولتون النَّبيل».

- «سأثِقُ بكلمتك أيها الفارس».

شيء لا أسمعه كثيرًا. «متى تسمح لنا بالذَّهاب؟ وكيف تنوي أن تجتاز بي كلَّ هؤلاء الذِّئاب واللُّصوص ورجال كارستارك؟».

- «ستُغادِر عندما يقول كايبرن إنك قويٌّ كفايةً، تحت حراسةٍ مشدَّدة من الرِّجال المنتقين يقودهم رجلي والتون ذو السَّاقين الفولاذ. إنه جندي إرادته من حديد. سيحرص والتون على إعادتك آمنًا سليمًا إلى (كينجز لاندنج)».

قالت الفتاة: «بشرط أن تعود ابنتا الليدي كاتلين آمنتين سليمتين أيضًا. إننا نُرَحِّب بحماية رجلك والتون يا سيِّدي، لكن الفتاتين مسؤوليَّتي أنا».

رمقَها سيِّد (معقل الخوف) بلا اهتمام قائلًا: «لم تعودي في حاجةٍ إلى القلق على الفتاتين يا سيِّدتي. الليدي سانزا زوجة القزم الآن، ولا يستطيع التَّفريق بينهما إلَّا الآلهة».

قالت بريان بارتياع: «زوجته؟ العِفريت؟ لكن... لكنه أقسمَ أمام البلاط كلِّه وشهدَت عليه الآلهة والبَشر...».

يا لبراءتها. كان چايمي مندهشًا مِثلها تقريبًا، لكنه أخفى دهشته أفضل منها. سانزا ستارك. لا بُدَّ أن هذا كفيل برسم ابتسامةٍ على وجه تيريون. تذكَّر كم كان أخوه سعيدًا مع ابنة المُزارع الصَّغيرة... طيلة أسبوعين لا أكثر.

قال اللورد بولتون: «ما أقسمَ أو لم يُقسِم عليه العِفريت لا يهمُّ الآن، سيَّما بالنِّسبة لك»، بدَت الفتاة مكلومةً، وربما أحسَّت أخيرًا بفكَّيْ الشَّرك الفولاذيَّين لمَّا أشارَ الرَّجل الشَّمالي إلى حُرَّاسه مواصلًا: «السير چايمي سيُواصِل طريقه إلى (كينجز لاندنج)، لكنني أخشى أني لم أقل شيئًا عنكِ. من غير المقبول أن أحرم اللورد ڤارجو من كلتا غنيمتيه»، والتقطَ سيِّد (معقل الخوف) برقوقةً أخرى، وأردفَ: «لو أني في مكانكِ يا سيِّدتي لكففتُ عن القلق على آل ستارك واهتممتُ أكثر بالصَّفِّير».





تيريون

صهلَ حصان بصبرٍ نافدٍ وراءه من وسط صفوف ذوي المعاطف الذَّهبيَّة الذين وقفوا منتظمين بعَرض الطَّريق، وسمعَ تيريون اللورد جايلز يَسعُل أيضًا. لم يكن قد طلبَ حضور جايلز، تمامًا كما لم يَطلُب السير أدام أو چالابار شو أو أيًّا من الباقين، لكن السيِّد والده قدَّر أن دوران مارتل سيعدُّها إساءةً إذا وجدَ قزمًا لا غير ينتظر لاصطحابه عبر (النَّهر الأسود).

فكَّر وهو راكب حصانه منتظرًا: كان يجب أن يستقبل چوفري الدورنيِّين بنفسه، لكنه كان ليُفسِد الأمر كلَّه لا ريب. في الفترة الأخيرة اعتادَ الملك ترديد الدُّعابات التي يسمعها من جنود تايرل عن الدورنيِّين. كم دورنيًّا يتطلَّب تركيب حدوة حصان؟ تسعة، أحدهم يُركِّب الحدوة والثَّمانية الآخَرون يرفعون الحصان. بشكلٍ ما لا يحسب تيريون أن دوران مارتل سيجد هذا طريفًا.

رأى الرَّاياتَ تخفق إذ خرجَ الرَّاكبون من خُضرة الغابة الحيَّة في ركب مغبَّر طويل. بين هنا والنَّهر لم يتبقَّ إلَّا ثلاث أشجار جرداء مسودَّة، تركةَ معركته. رايات كثيرة للغاية، قال لنفسه بجهامةٍ وهو يَرقُب سنابك الخيول المقتربة تَرفُس الرَّماد، كما فعلَت سنابك خيول طليعة جيش تايرل التي داهمَت ستانيس من المؤخِّرة. مارتل أحضرَ معه نصف لوردات (دورن) على ما يبدو. حاولَ التَّفكير في خيرٍ ما قد يأتي من هذا لكن عبثًا، وسألَ برون: «كم رايةً تُحصي؟».

ظلَّل الفارس المرتزق عينيه بيده قائلًا: «ثمانيَ... لا، تسعًا».

التفتَ تيريون إلى الخلف، وقال: «پود، تعالَ هنا. صِف الرُّموز التي تراها وقُل لي العائلات التي تُمثِّلها».

دنا پودريك پاين بحصانه المخصي وقد حملَ العلمَ الملكي -وعل وأسد جوفري- بمشقَّة، أمَّا برون فحملَ راية تيريون، أسد لانستر الذَّهبي على خلفيَّةٍ قرمزيَّة.

قال تيريون لنفسه بينما وقفَ پود على رِكابَيْ حصانه طلبًا لرؤيةٍ أفضل: إنه يزداد طولًا، وقريبًا سيقف أمامي بقامةٍ فارعة ككلِّ الآخَرين. لقد اجتهدَ الصَّبي في دراسة رموز النَّبالة الدورنيَّة كما أمرَه تيريون، لكنه كان متوتِّرًا كعادته، وقال: «لا أرى. إنها تخفق بشدَّةٍ بسبب الرِّيح».

- «برون، أخبر الصَّبي بما تراه».

يبدو برون كفارسٍ أصيل اليوم، وقد ارتدى سُترته ومعطفه الجديديْن، وعبر صدره تمتدُّ السِّلسلة ذات شكل ألسنة اللَّهب. تطلَّع إلى الرَّايات، ثم قال: «شمس حمراء على خلفيَّةٍ برتقاليَّة، تخترقها حربة».

قال پودريك پاين من فوره وقد بدَت عليه الرَّاحة بوضوح: «مارتل، رمز آل مارتل أولاد (صنسپير) يا سيِّدي، أمير (دورن)».

رَدَّ تيريون بجفاف: «حتى حصاني يعرف هذا. أعطِه رمزًا آخَر يا برون».

- «ثمَّة علم أرجواني بكُراتٍ صفراء».

قال پود بأمل: «أهو ليمون؟ حقل أرجواني يتناثَر فيه اللَّيمون؟ رمز عائلة دالت من... من (غابة اللَّيمون)».

- «ربما. التَّالي طائر أسود كبير على خلفيَّةٍ صفراء، يحمل بمخالبه شيئًا ورديًّا أو أبيض. يَصعُب التَّبيُّن مع خفقان الرَّاية».

- «عُقاب بلاكمونت يحمل رضيعًا بمخالبه. آل بلاكمونت أولاد (بلاكمونت) يا سيِّدي».

ضحكَ برون قائلًا: «هل عُدت إلى القراءة؟ الكُتب ستُفسِد عينيك اللَّتين ترى بهما سيفك يا فتى. أرى جمجمةً على رايةٍ سوداء».

قال پود بنبرة ثقةٍ تتزايَد مع كلِّ إجابةٍ صحيحة: «جمجمة عائلة مانوودي المتوَّجة، عظم وذهب على خلفيَّةٍ سوداء. آل مانوودي أولاد (مقبرة الملك)».

- «ثلاثة عناكب سوداء؟».

- «إنها عقارب يا سيِّدي. آل كورجايل أولاد (حجر الرَّمل)، ثلاثة عقارب سوداء على خلفيَّةٍ حمراء».

- «أحمر وأصفر وبينهما خط متعرِّج».
- «لهب (هضبة الجحيم)، عائلة أولر».
فكَّر تيريون شاعرًا بالإعجاب: الصَّبي ليس أحمق حقًّا بمجرَّد أن تنحلَّ عُقدة لسانه. «أكمِل يا پود. إذا عرفتها جميعًا سأعطيك هديَّةً».
قال برون: «فطيرة شرائحها حمراء وسوداء. هناك يد ذهبيَّة في المنتصَف».
- «آل أليريون أولاد (عطيَّة الآلهة)».
- «دجاجة حمراء تلتهم ثعبانًا على ما يبدو».
- «آل جارجالن أولاد (ساحل الملح). إنها أصَلة[1] يا سيِّدي، معذرةً، ليست دجاجةً. أصَلة حمراء في منقارها ثعبان أسود».
صاحَ تيريون: «رائع! تبقَّى رمز واحد يا فتى».
تفحَّص برون صفوف الدورنيِّين المقتربين، ثم قال: «الأخير مروحة ذهبيَّة على مربَّعات خضراء».
- «ريشة ذهبيَّة يا سيِّدي. آل چورداين أولاد (الرَّبوة)».
قال تيريون ضاحكًا: «تسع رايات، أحسنت. لم أكن لأتعرَّفها كلَّها عن نفسي». إنها كذبة، لكن من شأنها أن تبثَّ شيئًا من الفخر في الصَّبي، وهو الشَّيء الذي يحتاج إليه بشدَّة.
يبدو أن مارتل أحضرَ معه رفاقًا مهيبين حقًّا. ولا واحدة من العائلات التي ذكرَها پود صغيرة أو تافهة. تسعة من أكبر لوردات (دورن) قادمون على (طريق الملوك)، هُم أو ورثتهم، ولسببٍ ما لم يحسب تيريون أنهم قطعوا كلَّ هذا الطَّريق الطَّويل الشَّاق ليتفرَّجوا علَى الدُّب الرَّاقص. في مجيء هؤلاء رسالة. وليست رسالةً تروقني إطلاقًا. تساءلَ إن كان أخطأَ في إرسال مارسلا إلى (صنسپير).
فجأةً قال پود بشيءٍ من الخشية: «سيِّدي، لا يوجد هودج».
التفتَ تيريون برأسه بحركةٍ حادَّة، ورأى أن الصَّبي مصيب.
قال الصَّبي: «دوران مارتل يُسافِر في هودجٍ دائمًا، هودج مزدان بالنُّقوش، وستائره الحرير عليها رمز الشَّمس».

(1) الأصَلة حيوان خرافي يوصَف في الأساطير بأن له جسد حيَّة وجناحين ورأس ديك. (المترجم).

كان تيريون قد سمعَ الكلام ذاته. الأمير دوران تجاوزَ الخمسين من العُمر، ومصاب بالنّقرس. ربما أرادَ أن يتحرّكَ بسُرعةٍ أكبر، أو ربما خشيَ أن يكون الهودج هدفًا مغريًا لقاطعي الطّريق، أو أن يكون ثقيلًا بطيئًا في ممرّات (طريق العظام) العالية. ربما خَفّ نقرسه قليلًا.

لماذا إذن ينتابه هذا الشُّعور السيِّئ؟

وجدَ الانتظار لا يُطاق، فقال بحدَّة: «فلتتقدَّم الرَّايات. سنُقابلهم»، وهمزَ حصانه ومعه تحرَّكَ برون وبود على جانبيه، ولمَّا رآهم الدورنيُّون يتقدَّمون همزوا أحصنتهم بدورهم لتخفق راياتهم بقوَّةٍ أكبر. من سروجهم الأنيقة المنمَّقة عُلِّقَت التُّروس المعدنيَّة المستديرة التي يُفَضِّلون استخدامها، وحملَ كثيرون منهم رِزَمًا من الحراب القصيرة أو الأقواس الدورنيَّة ذات المنحنيَيْن التي يُجيدون الرِّماية بها من فوق ظهور الخيول.

ثمَّة ثلاثة أنواع من الدورنيِّين كما لاحظَ الملك داريون الأول. هناك الدورنيُّون الملحيُّون الذين يعيشون على السَّواحل، والدورنيُّون الرَّمليُّون الذين يَقطُنون في الصَّحاري ووديان الأنهار الطَّويلة، والدورنيُّون الحجريُّون الذين أقاموا معاقلهم في ممرَّات ومرتفعات (الجبال الحمراء). الملحيُّون أقرب الدورنيِّين نسبًا إلى الروينار، والحجريُّون أبعدهم.

بدا أن الأنواع الثَّلاثة ممثَّلة جيِّدًا في حاشية دوران. الملحيُّون سُمر رشيقون، بشرتهم زيتونيَّة ناعمة وشَعرهم طويل يُرَفرِف في الرِّيح، والرَّمليُّون أكثر اسمرارًا وقد أكسبَت شمس (دورن) الحارقة بشرتهم لونًا بُنِّيًّا، ولذا يلفُّون أوشحةً زاهيةً طويلةً حول خوذاتهم كي لا يُصابوا بضربة الشَّمس، أمَّا الحجريُّون فأبهاهم، بما أنهم أولاد الأنداليِّين والبَشر الأوائل، شَعرهم بنِّي أو أشقر، ووجوههم منمَّشة وقد سفعَتها الشَّمس بدلًا من أن تحرقها.

ارتدى اللوردات ثيابًا ذات أكمامٍ فضفاضة من الحرير والساتان، وتمنطقوا بأحزمةٍ مرصَّعة بالجواهر، وطُليَت دروعهم بطبقاتٍ سميكة من المينا وزُخرِفَت بالنُّحاس المصقول والفضَّة اللَّامعة والذَّهب الأحمر الرَّقيق، وقد جاءوا راكبين خيولًا حمراء وذهبيَّةً، وإن كان بعضها شاحبًا كالثَّلج، لكن جميعها نحيل سريع، برقاب طويلة ورؤوس ضيِّقة جميلة. جياد الرِّمال الدورنيَّة الشَّهيرة أصغر حجمًا من خيول الحرب العاديَّة ولا تقوى على حمل

الدُّروع الثَّقيلة، لكن يُقال إنها تستطيع أن تعدو نهارًا وليلةً ثم نهارًا آخَر دون أن تكلّ أبدًا.

امتطى قائد الدورنيّين فحلًا أسود كالخطيئة له عُرف وذيل بلون النِّيران، وقد جلسَ الرَّجل فوق سَرجه كأنه وُلِدَ هناك، طويلًا نحيفًا رشيقًا، وانسدلَ معطف أحمر من الحرير الرَّملي من على كتفيه، بينما دُرِّعَ قميصه بأقراص متداخلة من النُّحاس تلمع كألف عُملةٍ مسكوكة لتوِّها، واتَّخذت مقدِّمَة خوذته المذهَّبة شكل شمس نُحاسيَّة، وحملَ التُّرس المعلَّق وراءه شمس وحربة عائلة مارتل على سطحه المعدني المصقول.

فكَّر تيريون وهو يجذب عِنان حصانه: شمس مارتل، لكن من يحملها أصغر بعشرة أعوام، ناهيك بر شاقته وقوَّته. الآن يعلم مع مَن عليه أن يتعامَل، وسألَ نفسه: كم دورنيًّا يتطلَّب اندلاع حرب؟ فأجابَته: واحد فقط، وعلى الرغم من هذا لم يكن لديه خيار غير أن يبتسم ويقول: «أهلًا بكم أيها السَّادة. لقد بلغَنا خبر اقترابكم، وطلبَ مني جلالة الملك چوفري أن أخرج لأرحِّب بكم باسمه، والسيِّد والدي يد الملك يُرسِل تحيَّاته أيضًا»، وتظاهرَ بالوُدِّ المرتبك متسائلًا: «مَن منكم الأمير دوران؟».

- «صحَّة أخي تتطلَّب أن يبقى في (صنسپير)»، قال الأمير الصَّغير رافعًا خوذته، وتحتها كان وجه صارم انتشرَت فيه التَّجاعيد، بحاجبين رفيعين مقوَّسين فوق عينين كبيرتين يُذَكِّرك سوادهما ولمعتهما ببركتين من النِّفط، بينما تَخط خُصلات قليلة من الشَّيب الفضِّي شَعره الأسود الصَّقيل الذي ينحسر عن جبينه بشكلٍ مدبَّب كأنفه المعقوف. فكَّر تيريون: دورني ملحي بالتَّأكيد، وقال الرَّجل: «الأمير دوران أرسلَني للانضمام إلى مجلس الملك چوفري بدلًا منه، بَعد إذن جلالته».

- «سيسعد جلالته للغاية بأن يكون أحد مستشاريه مُحاربًا شهيرًا كالأمير أوبرين بن (دورن)»، رَدَّ تيريون مفكرًا: وستسيل الدِّماء في الشَّوارع أنهارًا. «ورفاقك النُّبلاء على الرَّحب والسَّعة أيضًا».

- «اسمح لي بأن أقدِّمهم لك يا سيِّدي لانستر. السير ديزيل دالت من (غابة اللَّيمون)، اللورد تريموند جارجالن، اللورد هارمن أولر وأخوه السير أولويك، السير ريون أليريون وابنه الطَّبيعي السير ديمون ساند نغل (عطيَّة

الآلهة)، اللورد داجوس مانوودي وأخوه السير مايلز وابناه مورس وديكون، السير أرون كورجايل. ولا يحسبنَّ أحد أني قد أهملُ تقديم السيِّدات. ميريا چورداين وريثة (الهضبة)، الليدي لارا بلاكمونت وابنتها چاينيسا وابنها پيروس»، ورفعَ يدًا ناحلةً إلى امرأةٍ سوداء الشَّعر بالقُرب من مؤخِّرة الرَّكب مشيرًا إليها بالاقتراب، وأضافَ: «وهذه إلاريا ساند، خليلتي».

ابتلعَ تيريون أنينًا ساخطًا، وقال لنفسه: خليلته، ونغلة أيضًا. سيُجَنُّ جنون سرسي إذا أرادَها أن تحضر الزِّفاف. إذا خصَّصت أخته للمرأة مكانًا في رُكنٍ مظلم تحت الملح، فإنها تُخاطِر بإثارة غضب الأفعوان الأحمر، وإذا أجلسَتها إلى جَواره على المائدة العالية ستعدُّها كلُّ ليدي أخرى على المنصَّة إهانةً. هل انتوى الأمير دوران أن يستفزَّنا ويبدأ نزاعًا ما؟

دارَ الأمير أوبرين بحصانه ليُواجِه رُفقائه الدورنيِّين قائلًا: «إلاريا، أيها اللوردات والليديهات والفُرسان، انظُروا كم يُحِبُّنا الملك چوفري. لقد تلطَّف جلالته بإرسال خاله العِفريت ليصطحبنا إلى بلاطه».

كتمَ برون ضحكته، واضطرَّ تيريون لأن يتظاهَر بالمرح بطبيعة الحال، وقال: «لستُ وحدي أيها السَّادة. هذا واجب أكبر كثيرًا من يُؤَدِّيه رجل صغير مِثلي بمفرده»، كانت مجموعته قد لحقَت بهم، ودوره الآن أن يُقَدِّمها. «اسمحوا لي بتقديم رفاقي. السير فليمنت براكس وريث (هورنڤيل)، اللورد جايلز سيِّد (روزبي)، السير أدام ماربراند حضرة قائد حَرس المدينة، چالابار شو أمير (وادي الزَّهرة الحمراء)، السير هاريس سويفت حمو عمِّي السير كيڤان، السير مرلون كراكهول، بالإضافة إلى السير فيليپ فوت والسير برون فارسا (النَّهر الأسود)، وهما من أبطال معركتنا الأخيرة ضد المتمرِّد ستانيس باراثيون، وتابعي الشَّخصي پودريك سليل عائلة پاين». كان للأسماء وقْع لطيف بينما سردَها تيريون، لكن أصحابها ليسوا مميَّزين أو مهيبين مطلقًا كمَن يُرافِقون الأمير أوبرين، وكلاهما يعرف هذا خير المعرفة.

قالت الليدي بلاكمونت: «سيِّدي لانستر، لقد سلكنا طريقًا طويلًا مغبَّرًا، وسنُرَحِّب بشدَّةٍ بالرَّاحة والقليل من الطَّعام والشَّراب. هل تسمح بأن نُواصِل الطَّريق إلى المدينة؟».

رَدَّ تيريون: «في الحال يا سيِّدتي»، وأدارَ رأس حصانه مناديًا السير أدام

ماربراند، فدارَ ذوو المعاطف الذَّهبيَّة الذين يُشَكِّلون السَّواد الأعظم من رِفقته بخيولهم وقد أعطاهم السير أدام أمر التَّحرُّك، وانطلقوا إلى النَّهر و(كينجز لاندنج) وراءه.

تمتمَ تيريون لنفسه بصوتٍ بالغ الخفوت وهو يتحرَّك إلى جوار الأمير: أوبرين نايميروس مارتل، أفعوان (دورن) الأحمر، وماذا عليَّ أن أفعل معه بحَقِّ الجحائم السَّبع؟

إنه يعرف الرَّجل بالسُّمعة فقط بالطَّبع... لكنها سُمعة مخيفة حقًّا. كان الأمير أوبرين في السَّادسة عشرة لا أكثر حين ضُبِطَ في الفِراش مع خليلة اللورد يرونوود العجوز، وهو رجل ضخم ذو صيتٍ ذائع وغضبةٍ سريعة، وترتَّب على هذا نزال، لكن نظرًا إلى صِغر سِنِّ الأمير ونسبه العالي، كان نزالًا حتى إراقة قطرات الدَّم الأولى لا أكثر، وجرحَ كلٌّ من الرَّجلين الثَّاني بالفعل وعُوِّضَ العجوز عن شَرفه المهان، غير أن الأمير أوبرين تعافى من إصابته سريعًا بينما تعفَّن جرح اللورد يرونوود وقتلَه. بَعدها تهامسَ النَّاس قائلين إن الأمير أوبرين قاتلَ بسيفٍ مسموم، ومنذ ذلك الحين والأصدقاء والأعداء على حَدٍّ سواء يُلَقِّبونه بالأفعوان الأحمر.

كان هذا منذ سنواتٍ طويلة، والصَّبي ذو السَّتَّة عشر عامًا رجل تجاوزَ الأربعين الآن، رجل تعاظمَت أسطورته وأصبحَت أكثر مدعاةً للرَّهبة. لقد ارتحلَ في المُدن الحُرَّة وتعلَّم فنون المسمِّمين وربما فنونًا أكثر سوادًا أيضًا إذا صدقَت الشائعات، ودرسَ في (القلعة) حتى كوَّن ستَّ حلقات من سلسلة المايستر قبل أن يُصاب بالملل ويُغادِر، كما خدمَ كجُندي في (أراضي النِّزاع) وراء (البحر الضيِّق)، وركبَ مع جماعة الأبناء الثَّانين فترةً قبل أن يُكَوِّن جماعته الحُرَّة الخاصَّة. مبارياته، معاركه، نزالاته، خيوله، شهوانيَّته... يُقال إنه يُضاجِع الرِّجال والنِّساء، وإنه أنجبَ فتياتٍ نغلات في جميع أنحاء (دورن)، يُسَمِّيهن النَّاس أفاعي الرِّمال، لكن على حَدِّ علم تيريون لم يُنجِب الأمير أوبرين أبناءً قَطُّ.

كما أنه أقعدَ وريث (هايجاردن).

لن يجد رجل في (الممالك السَّبع) كلِّها ترحيبًا أقلَّ في زفافٍ لآل تايرل. إرسال الأمير أوبرين إلى (كينجز لاندنج) بينما لا تزال المدينة تستضيف

اللورد مايس تايرل واثنين من أبنائه وتعجُّ بألوفٍ من جنودهم استفزاز خطير كالأمير أوبرين نفسه. كلمة خاطئة، دُعابة في الوقت غير المناسب، نظرة. لا يتطلَّب الأمر أكثر من هذا حتى يُطبِق حلفاؤنا النُّبلاء على حناجر بعضهم بعضًا.

- «لقد التقينا من قبل»، قال الأمير الدورني ببساطةٍ وهما راكبان جنبًا إلى جنب على (طريق الملوك)، مارَّيْن بالحقول المحروقة وهياكل الأشجار. «لكني لاَ أتوقَّعُ أن تتذكَّر، فقد كنت أصغر مما أنت الآن».

كانت في صوته رنَّة ساخرة لم تَرُق تيريون، وإن لم يسمح لنفسه بالاستسلام لاستفزاز الدورني، وسأل بنبرة اهتمامٍ مهذَّب: «متى كان هذا يا سيِّدي؟».

- «أوه، منذ أعوام وأعوام، عندما كانت أمِّي تَحكُم في (دورن) وأبوك يدًا لملكٍ مختلف».

ليس مختلفًا للدَّرجة التي تحسبها.

- «كان هذا عندما زرتُ (كاسترلي روك) مع أمِّي ورفيقها وأختي إليا. كنتُ في... الرَّابعة أو الخامسة عشرة، وإليا أكبر مني بعام. أخوك وأختك كانا في الثَّامنة أو التَّاسعة حسبما أذكرُ، وأنت كنت قد وُلِدت للتَّو».

وقت غريب للزِّيارة. لقد ماتَت أمُّه وهي تلده، فلا بُدَّ أن أولاد مارتل وجدوا (الصَّخرة) كلَّها في حالةٍ عميقة من الحِداد، خصوصًا أباه. نادرًا ما يأتي اللورد تايوين على ذِكر زوجته، لكن تيريون سمعَ أعمامه يتكلَّمون عن الحُبِّ الذي جمعَ بينهما. آنذاك كان أبوه يد إيرس، وردَّد كثيرون أن اللورد تايوين لانستر يَحكُم (الممالك السَّبع)، لكن الليدي چوانا تَحكُم اللورد تايوين. ذات مرَّةٍ قال له عمُّه جيري: «إنه لم يَعُد كما كان بَعد أن ماتَت أيها العِفريت. أفضل جزءٍ فيه ماتَ معها». كان جيريون أصغر أبناء اللورد تايتوس لانستر الأربعة، والعمَّ الذي أحبَّه تيريون أكثر من الآخَرِيْن... لكنه رحلَ، ضاعَ وراء البحار، ووضعَ تيريون نفسه الليدي چوانا في قبرها.

- «هل راقَتك (كاسترلي روك) يا سيِّدي؟».

- «قليلًا جدًّا. أبوك تجاهلَنا طيلة وجودنا هناك بَعد أن أمرَ السير كيڤان بتولِّي ضيافتنا. الحُجيرة التي أعطوني إياها ضمَّت فِراشًا بحشيَّةِ ريش أنامُ فيه

وسجَّادًا مايريًّا على الأرض، لكنها كانت مظلمةً وبلا نوافذ، أدنى إلى زنزانة في الحقيقة كما قلتُ لإليا وقتها. سماؤكم كانت ملبَّدةً بالغيوم، ونبيذكم محلًّى جدًّا، ونساؤكم عفيفات أكثر من اللَّازم، وطعامكم عديم المذاق... وأنت نفسك كنت أكبر خيبة أمل على الإطلاق».

«كنتُ مولودًا لتوِّي، فماذا توقَّعت مني؟».

أجابَ الأمير أسود الشَّعر: «البشاعة! كنت صغيرًا لكن مشهورًا. كنا في (البلدة القديمة) وقت ميلادك، والمدينة كلُّها تتكلَّم عن الوحش الذي أنجبَه يد الملك، وما قد يعنيه نذير شؤم كهذا لمستقبَل البلاد».

قال تيريون بابتسامةٍ عابسة: «المجاعات والأوبئة والحروب لا شَك. إنها المجاعات والأوبئة والحروب دومًا. أوه، والشِّتاء، واللَّيل الطَّويل الذي لا ينتهي أبدًا».

قال الأمير أوبرين: «جميع هذه الأشياء، وسقوط أبيك أيضًا. سمعتُ أحد الإخوة الشَّحَّاذين يقول واعظًا في الشَّارع إن اللورد تايوين جعلَ نفسه أعظم من الملك إيرس، لكن لا يُفترَض أن يعلو فوق ملكٍ إلَّا إله. كنت أنت لعنته، العقاب الذي أنزلَته به الآلهة لتُعَلِّمه أن البَشر كلَّهم سواسية، لا أحد منهم أفضل من الآخَر».

تنهَّد تيريون قائلًا: «إنني أحاولُ، لكنه يَرفُض أن يتعلَّم. لكن أكمِل من فضلك. إنني أحبُّ الحكايات المسلِّية».

- «وستحبُّ هذه بالتَّأكيد باعتبار ما كان يُقال عنك؛ إن لديك ذيلًا يابسًا معقوصًا كذيول الخنازير، ورأسك شديد الضَّخامة، يُناهِز حجم جسدك مرَّةً ونِصف مرة، وإنك وُلِدت بشَعرٍ أسود كثيف ولحيةٍ أيضًا، وعينٍ شرِّيرة، ومخالب أسد، وأسنانك طويلة لِلغاية حتى إنك لا تستطيع أن تُغلِق فمك، وبين ساقيك عُضو أنثى وعُضو ذَكر في آنٍ واحد».

- «لكانت الحياة أبسط كثيرًا إذا استطاعَ النَّاس أن ينكحوا أنفسهم، أليس كذلك؟ ويُمكنني التَّفكير في بضعة مواقف كانت المخالب والأسنان لتنفعني فيها، لكنني بدأتُ أرى طبيعة شكواك على الرغم من هذا».

أطلقَ برون ضحكةً، لكن أوبرين اكتفى بالابتسامِ قائلًا: «ربما لم نكن لنراك على الإطلاق لو لا أختك الجميلة. إننا لم نرَك قَطُّ في أيِّ مكان، وإن كنا

نسمع أحيانًا صوت رضيع يعوي في أعماق (الصَّخرة) في جوف اللَّيل. كان صوتك جهوريًّا، يجب أنَّ أعترف بهذا، وكنت تبكي طيلة ساعاتٍ وساعات، فلا تُهَدِّئك إلَّا حلمة امرأة».

- «ما زالَ هذا صحيحًا».

هذه المرَّة ضحكَ الأمير أوبرين، وقال: «نزعة نشترك فيها. في مرَّةٍ قال لي اللورد جارجالن إنه يأمل أن يموت وفي يده سيف، فرددتُ قائلًا إنني أوثرُ أن أموت وفي يدي نهد».

ابتسمَ تيريون مرغمًا وهو يقول: «كنت تتكلَّم عن أختي».

- «وعدَت سرسي إليا بأن تُرينا إياك، وفي اليوم السَّابق لإبحارنا، فيما اجتمعَت أمِّي بأبيك، أخذَتنا مع چايمي إلى حُجرتك. حاولَت مرضِعتك أن تصرفنا، لكن أختك رفضَت تمامًا، وقالت: إنه لي، وأنتِ مجرَّد بقرةٍ حلوب ولا يُمكنكِ أن تُخبريني بما أفعله، فاصمتي وإلَّا جعلتُ أبي يقطع لسانكِ. البقرة لا تحتاج إلى لسان، بل إلى ضُروع فقط».

- «جلالتها تعلَّمت الفتنة في سِنٍّ مُبكِّرة»، قال تيريون متفكِّهًا بفكرة أن تقول أخته إنه لها. «لكن الآلهة تعلم أنها لم تُحاوِل أن تُعلِن أني لها منذ ذلك الحين».

تابعَ الأمير الدورني: «حلَّت سرسي قِماطك أيضًا من أجل أن نُلقي نظرةً أفضل. نعم، كانت لك عين شرِّيرة وشيء من الزَّغب على فروة رأسك، وربما كان رأسك أكبر قليلًا من معظم الرُّؤوس... لكن لم يكن هناك ذيل أو لحية، لا أسنان أو مخالب، ولا شيء بين ساقيك إلَّا عُضو ذَكري وردي ضئيل. بَعد كلِّ تلك الشَّائعات الرَّائعة اتَّضح أن هلاك اللورد تايوين مجرَّد رضيع أحمر قبيح بساقين ناقصتَيْ النُّمو، حتى إن إليا أصدرَت تلك الأصوات التي تُصدِرها الفتيات لمرأى الرُّضَّع. لا بُدَّ أنك سمعتها من قبل، الأصوات نفسها التي يُصدِرنها حين يرين الهُريرات الجميلة والجِراء اللَّعوب، وأعتقدُ أنها أرادَت أن تُرضِعك بنفسها على الرغم من قُبحك. عندما علَّقتُ قائلًا إنك وحش مخيِّب للآمال حقًّا، قالت أختك: لقد قتلَ أمِّي، واعتصرَت ذَكرك الصَّغير بقوَّةٍ جعلَتني أتصوَّرُ أنها ستنتزعه، وظللت أنت تَصرُخ حتى قال چايمي: دعيه، إنكِ تؤلمينه، فتركَتك سرسي وقالت لنا: لا يهمُّ. الجميع يقولون إنه

سيموت قريبًا. لم يكن من المفترَض أن يعيش كلَّ هذه المدَّة أصلًا».

كانت الشَّمس ساطعةً فوقهم والنَّهار دافئًا على نحوٍ محبَّب بالنِّسبة لأجواء الخريف، لكن البرد اجتاح جسد تيريون لانستر كلَّه لمَّا سمعَ هذا. أختي العزيزة. حَكَّ نَدبة أنفه ورمقَ الأمير الدورني بـ«عينه الشِّرِّيرة» مسائلًا نفسه: لماذا يحكي قصَّةً كهذه؟ هل يختبرني أم يعتصر قضيبي كما فعلَت سرسي ليسمعني أصرخُ؟ «احرص على أن تحكي هذه القصَّة لأبي. ستُبهجه حقًّا كما أبهجَتني، خصوصًا الجزء المتعلِّق بذيلي. كان لي واحد بالفعل، لكنه أمرَ ببتره».

قال الأمير أوبرين ضاحكًا رغمًا عنه: «أصبحت أطرف مما كنت حين رأيتك آخِر مرَّة».

- «نعم، لكني أردتُ أن أصبح أطول!».

- «على ذِكر الطَّرافة، سمعتُ شيئًا مثيرًا للاهتمام من وكيل اللورد بوكلر، أنك فرضت ضريبةً على دخول النِّساء الخاصَّة».

أجابَ تيريون والشُّعور بالضِّيق يُعاوده: «إنها ضريبة على الدَّعارة». وكانت فكرة أبي اللَّعينة. «بنس واحد فقط على كلٍّ، آه... زبون. رأى يد الملك أن من شأن هذا أن يُحسِّن أخلاق المدينة». ويدفع تكلفة زفاف چوفري أيضًا. غنيٌّ عن القول إن اللَّوم كلَّه وقعَ على تيريون باعتباره أمين النَّقد، وأخبرَه برون بأنهم يُسمُّون الضَّريبة «بنس القزم» في الشَّوارع، وإذا صدقَ المرتزق فإنهم يُنادون في المواخير والخمَّارات قائلين: «افتحي ساقيكِ للنِّصف رجل».

- «سأحرصُ على أن يظلَّ كيس نقودي ممتلئًا بالبنسات. حتى الأمراء عليهم أن يدفعوا الضَّرائب».

ألقى تيريون نظرةً إلى الوراء على إلاريا ساند الرَّاكبة مع النِّساء، وسألَه: «ولِمَ تحتاج إلى ارتياد بيوت الدَّعارة؟ هل مللت خليلتك على الطَّريق؟».

أجابَ الأمير أوبرين: «إطلاقًا. إننا نتقاسَم الكثير»، وهَزَّ كتفيه مضيفًا: «لكننا لم نتقاسَم شقراء جميلةً من قبل، وإلاريا تَشعُر بالفضول. هل تعرف واحدةً بهذه المواصفات؟».

- «أنا رجل متزوِّج». وإن لم يتمَّ زواجي بعدُ. «ولم أعد أتردَّد إلى العاهرات». ما لم أكن أرغب في رؤيتهن مشنوقات.

غيَّر أوبرين الموضوع فجأةً قائلًا: «يُقال إن سبعةً وسبعين صنفًا من الطَّعام ستُقَدَّم في مأدبة زفاف الملك».

- «أأنت جائع يا سموَّ الأمير؟».

- «إنني جائع منذ زمن طويل، وإن لم يكن الطَّعام ما أشتهيه. أخبِرني من فضلك، متى تتحقَّق العدالة؟».

- «العدالة». نعم، إنه هنا لهذا السَّبب. كان يجب أن أرى هذا في الحال. «هل كنت قريبًا من أختك؟».

- «في طفولتنا كنتُ وإليا متلازمَيْن طيلة الوقت، مِثل أخيك وأختك».

لا آملُ هذا بحَقِّ الآلهة! «الحروب والزِّفافات شغلَتنا جميعًا أيها الأمير أوبرين، وأخشى أن الوقت لم يسمح لأحدٍ بعدُ بالتَّحقيق في جرائم وقعَت منذ ستَّة عشر عامًا على الرغم من شناعتها، لكننا سنفعل بالطَّبع بمجرَّد أن نستطيع. أيَّ مساعَدة تستطيع (دورن) تقديمها لإعادة إقامة سلام الملك ستُعَجِّل ببداية تحقيق أبي...».

قاطعَه الأفعوان الأحمر بنبرةٍ غابَ عنها وُدُّها السَّابق كثيرًا: «اعفِني من أكاذيب لانستر هذه أيها القزم. أتحسبنا خرافًا أم حمقى؟ أخي ليس رجلًا متعطِّشًا للدِّماء، لكنه لم ينعم بالنَّوم منذ ستَّة عشر عامًا. چون آرن زارَنا في (صنسپير) في العام التَّالي لاستحواذ روبرت على العرش، ولك أن تثق بأننا استجوَبناه بدقَّة، هو ومئة غيره. إنني لم آتِ من أجل تمثيليَّة التَّحقيق تلك، بل أتيتُ من أجل العدالة لإليا وطفليها، وسأنالها بدايةً بجريجور كليجاين... لكن ليس انتهاءً به. قبل أن يموت، سيُخبِرني القاذورة راكبة الخيل ممَّن جاءَت أوامره، وأرجو أن تُؤَكِّد هذا لأبيك»، وابتسمَ مضيفًا: «ذات مرَّةٍ زعمَ سِپتون عجوز أنني دليل حي على رأفة الآلهة. أتعرف السَّبب أيها العِفريت؟».

رَدَّ تيريون بحذر: «لا».

- «لأنها لو كانت قاسيةً لجعلَتني أول أولاد أمِّي ودوران ثالثهم. إنني رجل متعطِّش للدِّماء، والآن عليك أن تتعامَل معي أنا، وليس أخي الصَّبور المتعقِّل المبتلى بالنِّقرس».

رأى تيريون الشَّمس السَّاطعة على صفحة (النَّهر الأسود) على بُعد نِصف ميل، وعلى أسوار وجُدران وتلال المدينة وراءه، وألقى نظرةً إلى الخلف على

الرَّكب اللَّامع الذي يتبعهم على (طريق الملوك)، ثم قال: «تتكلَّم كرجلٍ وراءه جيش عرمرم، لكني لا أرى أكثر من ثلاثمئة. هل ترى تلك المدينةَ شمال النَّهر؟».

- «مقلب القمامة الذي تُسَمُّونه (كينجز لاندنج)؟».

- «بالضَّبط».

- «لا أراها فحسب، بل أعتقدُ أنني أشمُّها أيضًا».

- «تشمَّم جيِّدًا إذن يا سيِّدي، أفعِم أنفك بالرَّائحة. ستجد أن نصف مليون شخص رائحتهم أسوأ من ثلاثمئة. هل تشمُّ ذوي المعاطف الذَّهبيَّة؟ هناك زهاء خَمسة آلاف منهم، ولا بُدَّ أن جنود أبي يَبلُغون عشرين ألفًا. ثم إن هناك الورود. الورود عطرة الرَّائحة، أليس كذلك؟ لا سيَّما حين يكون هناك الكثير جدًّا منها، نحو خمسين أو ستِّين أو سبعين ألف وردة في المدينة أو مخيِّمة خارجها. لا أعرفُ كم بالضَّبط، لكن العدد أكبر من أن أحصيه على كلِّ حال».

هَزَّ مارتل كتفيه قائلًا: «في (دورن) القديمة، قبل أن نُناسِب دايرون، كان يُقال إن الزُّهور كلَّها تنحني أمام الشَّمس، فإذا سعَت الورود إلى إعاقتي سيُسعِدني أن أدهسها دهسًا».

- «كما دهست ويلاس تايرل؟».

لم تكن ردَّة فعل الرَّجل الدورني كما توقَّع تيريون، إذ قال: «قبل أقلِّ من نِصف عام بلغَتني رِسالة من ويلاس. إننا نشترك في شغفنا بالخيل، وهو لم يُضمِر لي ضغينةً قَطُّ بسبب ما جرى في مضمار النِّزال. لقد ضربتُ واقي صدره، لكن قدمه علقَت في رِكابه وهو يقع وسقطَ حصانه فوقه. أرسلتُ إليه مِايستر بَعدها، وبذلَ قصارى جهده لإنقاذ ساق الصَّبي، وإن لم تكن هناك سبيل لعلاج رُكبته. إذا كان لوم أحدٍ محتَّمًا فهو ذلك الأحمق أبوه. ويلاس تايرل كان أخضر كالسُّترة التي ارتداها ولم يكن واجبًا أن يُنازل أمثالنا. الوردة البدينة ألقاه في المباريات في سِنٍّ مبكِّرة للغاية، تمامًا كما فعلَ مع الاثنين الآخرَين. أرادَ أن يكون لديه ليو لونجثورن جديدًا، وانتهى به الأمر بابنٍ عاجز».

- «هناك من يقولون إن السير لوراس أفضل مما كان ليو لونجثورن بكثير».

- «وردة رنلي الصَّغيرة؟ أشكُّ في هذا».

- «شُكَّ كما تشاء، لكن لوراس تايرل هزمَ فُرسانًا عظماء كثيرين، بمن فيهم أخي چايمي».
- «بقولك «هزمَهم» تعني «أسقطَهم عن خيولهم»، أي في المباريات. قُل لي مَن قتلَ في المعركة إذا كنت تُريد أن تُخيفني».
- «السير روبار رويس والسير إمون كاي على سبيل المثال. يقولون إنه أبدى شَجاعةً مذهلةً في معركة (النَّهر الأسود) وهو يُقاتِل إلى جوار شبح اللورد رنلي».
- «إذن فمَن رأوا تلك الشَّجاعة المذهلة رأوا الشَّبح أيضًا؟»، قالها الدورني وأطلقَ ضحكةً خفيفةً.
رمقَه تيريون بنظرةٍ طويلة، ثم قال: «ستجد ماخور شاتايا في (شارع الحرير)، حيث فتيات كثيرات قد يُلائمن رغبتك. دانسي شَعرها بلون العسل، وماري شَعرها كالذَّهب الأبيض الشَّاحب. أنصحك بأن تحتفظ بإحداهما أو كلتيهما إلى جوارك طيلة الوقت يا سيِّدي».
رفعَ الأمير أوبرين حاجبًا أسودَ رفيعًا، وسأله: «طيلة الوقت؟ ولِمَ أيها العِفريت العزيز؟».
رَدَّ تيريون: «قلت إنك تُريد أن تموت وفي يدك نهد»، وهمزَ حصانه متقدِّمًا إلى حيث انتظرَت العبَّارات على ضفَّة (النَّهر الأسود) الجنوبيَّة. لقد احتملَ كلَّ ما يستطيع احتماله مما يعدُّه الدورنيُّون طرافةً. ربما كان حريًّا بأبي أن يُرسِل چوفري فعلًا. كان ليسأل الأمير أوبرين إن كان يعرف الفرق بين الدورنيِّين وروث الأبقار. جعلَه الخاطر يبتسم رغمًا عنه. سيتعمَّد أن يكون حاضرًا عندما يَمثُل الأفعوان الأحمر أمام الملك.



آريا

ماتَ الرَّجل الكامن على السَّطح أولًا. كان قابعًا إلى جوار المدخنة على بُعد مئتي ياردة، لا يبدو أكثر من ظِلٍّ مبهم في عتمة ما قبل الفَجر، لكن إذ بدأت السَّماء تستنير تحرَّك وتمطَّى ونهضَ، فأصابَه سهم آنجاي في صدره، ليتهاوى جسده الرَّخو من فوق السَّطح الأردواز المنحدِر ويسقُط أمام باب السِّبتري[1] مباشرةً.

كان الممثِّلون قد عيَّنوا حارسيْن هناك، لكن مشعلهما أعشاهما، واستطاعَ الخارجون عن القانون الزَّحف حتى مسافةٍ قريبة. سقطَ أحدهما بسهم في حَلقه والثَّاني بسهم في بطنه، ليَسقُط معه المشعل ويلعقه اللَّهب، ووضَعَت الصَّرخة التي أطلقَها مع شبوب النَّار في ثيابه نهايةً للخلسة، فرفعَ ثوروس صوته بصيحة، وهاجمَ الخارجون عن القانون علانيةً.

شاهدَت آريا من على ظَهر حصانها فوق قمَّة الأخدود المشجَّر التي تطلُّ على السِّبتري والطَّاحونة والمخمرة والاسطبلات، وما يحيط بها من خراب من الحشائش والشَّجر المحروق والأوحال. معظم الأشجار أجرد الآن، فلم تحجب الأوراق البنِّيَّة الذَّابلة القليلة التي ظلَّت متشبِّثةً بالغصون المنظر عن عينيها إلَّا قليلًا. كان اللورد بريك قد تركَ ديك الحليق ومودج لحراستهما، وقد كرهَت آريا أن تُترَك هكذا كأنها مجرَّد طفلةٍ سخيفة، لكنهم أبقوا جندري معها على الأقل. كانت أعقل من أن تُحاوِل مجادَلتهم، فهذه معركة، وفي المعارك عليك أن تُطيع.

---

(1) إذا كان السِّبت معادلاً للكنيسة في عالم الواقع، فالسِّبتري يُعادِل الدِّير. (المترجم).

توقَّدت السَّماء بالذَّهبي والوردي، وفي الأعلى اختلسَ الهلال النَّظر إليهم من بين السَّحاب الواطئ المُزجّي، فيما هبَّت الرِّيح باردةً، وسمعَت آريا خرير المياه المتدفِّقة وصرير عجلة الطَّاحونة الخشبيَّة الكبيرة. أفعمَت رائحة المطر هواء الفَجر، لكن القطرات لم تبدأ في السُّقوط بعدُ، وحلَّقت السِّهام النَّاريَّة شاقَّةً الضَّباب ومخلِّفةً شرائط شاحبةً من اللَّهب في إثرها قبل أن تنغرس في جُدران السِّبتري الخشبيَّة، واخترقَ بعضها النَّوافذ المغلقة، وسرعان ما بدأت خيوط الدُّخان تتصاعَد من المصاريع المحطَّمة.

اندفعَ اثنان من الممثِّلين من الباب جنبًا إلى جنب وفي يد كلٍّ منهما بلطة، وكان آنجاي والرُّماة الآخَرون في الانتظار. ماتَ أحدهما في الحال، بينما وجدَ الثَّاني الوقت الكافي لينحني ليخترق السَّهم كتفه، وعلى الرغم من هذا ظلَّ يتقدَّم إلى أن أصابَه سهمان آخَران بسُرعةٍ شديدة جعلَت من الصَّعب على آريا أن تُدرك أيهما بلغَه أولًا، ونفذَ السَّهمان الطَّويلان من واقي صدره كأنه مصنوع من الحرير لا الفولاذ، فسقطَ الرَّجل كالجُلمود. كانت مع آنجاي سهام ذات رؤوسٍ مربَّعة، بالإضافة إلى الرُّؤوس التَّقليديَّة، والرُّؤوس المربَّعة يُمكنها اختراق الدُّروع الثَّقيلة. فكَّرت آريا: سأتعلَّمُ الرِّماية. إنها تحبُّ القتال بالسَّيف، لكنها ترى كيف تكون السِّهام مفيدةً أيضًا.

كان اللَّهب يزحف على جِدار السِّبتري الغربي، والدُّخان الكثيف يتدفَّق من النَّوافذ المكسورة. أخرجَ حامل نُشَّابيَّة مايري رأسه من نافذةٍ مختلفة وأطلقَ سهمًا ثم انحنى تحت العتبة ليُركِّب سهمًا آخَر، وسمعَت آريا أصوات القتال آتيةً من الإسطبلات أيضًا، صياحًا يمتزج بصريخ الخيول وصليل الفولاذ، وفكَّرت بشراسةٍ وهي تعضُّ شفتها بقوَّةٍ حتى تذوَّقت الدَّم: اقتلوهم جميعًا، اقتلوهم عن آخِرهم.

ظهرَ حامل النُّشَّابيَّة ثانيةً، لكن بمجرَّد أن أطلقَ شقَّت ثلاثة سهام الهواء مهسهسةً، ومَرَّ اثنان منها برأسه وأصابَ أحدها خوذته وارتدَّ عنها، فاختفى بنُشَّابيَّته. رأت آريا اللَّهب مشتعلًا وراء كثيرٍ من نوافذ الطَّابق الثَّاني، وبين الدُّخان وغشاوة الصُّبح استحالَ الهواء إلى سَديم من الأسود والأبيض، على حين دنا آنجاي والرُّماة الآخَرون أكثر من أجلِ العثور على أهدافٍ أفضل لسهامهم.

ثم استعرَ السِّبتري كلُّه، وتدفَّق الممثِّلون من الدَّاخل كالنَّمل الغاضب. اندفعَ اثنان إيبنيزيَّان من الباب بتُرسين بنِّيَّين مرفوعين عاليًا أمامهما، ووراءهما جاءَ دوثراكي بأراخٍ معقوف كبير وأجراس في جديلته، ووراءه ثلاثة مرتزِقة ڤولانتينيِّين تُغَطِّي أجسادهم أوشام رهيبة المنظر، وكان آخَرون يَخرُجون من النَّوافذ ويثبون إلى الأرض، ورأت آريا أحدهم يُصاب بسهم في صدره وقد وضعَ إحدى ساقيه على عتبة النَّافذة بالفعل، وسمعَت صرختَه إذ هوى. تكاثفَ الدُّخان بشدَّة، ومرقَت السِّهام من هنا وهناك في الهواء. سقطَ واتي متأوِّهًا وانزلقَ قوسه من يده، وكان كايل يُحاول تثبيت سهم آخَر إلى وتره عندما ألقى رجل يرتدي الحلقات المعدنيَّة السَّوداء حربةً وأغمدَها في بطنه. سمعَت اللورد بريك يصيح، ومن بين الأشجار خرجَت بقيَّة الجماعة مسرعةً والفولاذ في الأيدي، ورأت معطف ليم الأصفر الزَّاهي يخفق وراءه وهو يدعس الرَّجل الذي قتلَ كايل بحصانه، أمَّا ثوروس واللورد بريك فكانا في كلِّ مكانٍ بسيفيهما النَّاريَّين، وهوى الرَّاهب الأحمر بضرباتٍ متتاليةٍ على تُرسٍ مصنوع من الجِلد حتى تحطَّم إلى شظايا، بينما رفسَ حصانه حامل التُّرس في وجهه. صرخَ دوثراكي وانقضَّ على سيِّد البرق، ووثبَ السَّيف النَّاري ليصدَّ الأراخ، فتبادلَ النَّصلان قُبلةً وافترقا ثم تبادَلا قُبلةً ثانيةً، ثم اشتعلَ شَعر الدوثراكي، وفي اللَّحظة التَّالية سقطَ صريعًا. لمحَت آريا ند أيضًا يُقاتِل إلى جوار سيِّد البرق، فقالت لنفسها: ليس هذا عدلًا. إنه يكبَرني بأعوامٍ قليلة فقط. كان عليهم أن يدعوني أقاتلُ.

لم تَدُم المعركة طويلًا، وسرعان ما ماتِ رجال رفقة الشُّجعان الذين ظلُّوا على أقدامهم أو ألقوا أسلحتهم أرضًا. استطاعَ اثنان من الدوثراكي استعادة حصانيهما والفرار، وإنما فقط لأن اللورد بريك سمحَ لهما، وقال وفي يده سيفه المضطرم: «فليحملا الخبر إلى (هارنهال) كي يُحرَم اللورد عَلقة وكبشه من النَّوم بضع ليالٍ».

بشَجاعةٍ أقدمَ چاك المحظوظ وهاروين وميريت ابن (بلدة القمر) على دخول السِّبتري المحترق بحثًا عن أسرى، وبَعد لحظاتٍ خرجوا ومعهم ثمانية من الإخوة البنِّيِّين، أحدهم في غاية الضَّعف حتى إن ميريت اضطرَّ لأن يحمله على كتفيه. كان معهم سبتون أيضًا، كتفاه محنيَّتان ورأسه يزحف عليه

الضَّلع، لكنه ارتدى الحلقات المعدنيَّة السَّوداء فوق ثوبه الرَّمادي، وقال چاك ساعلًا: «وجدناه مختبئًا تحت سلالم القبو».

ابتسمَ ثوروس لمرآه قائلًا: «أنت أوت».

- «السِّپتون أوت، رجل الإله».

دمدمَ ليم: «ومَن الإله الذي يُريد أن يخدمه أمثالك؟».

قال السِّپتون مولولًا: «لقد أذنبتُ، أعرفُ هذا، أعرفه. اغفر لي أيها (الأب). أوه، لقد ارتكبتُ ذنوبًا جسيمةً للغاية».

تذكَّرت آريا السِّپتون أوت من الفترة التي أمضَتها في (هارنهال). كان شاجويل المهرِّج يقول إنه يُصَلِّي ويبكي طالبًا الغُفران دائمًا كلما قتلَ غُلامه المأبون الجديد، وأحيانًا كان يجعل الممثِّلين الآخَرين يجلدونه، وإن رأوا جميعًا أن هذا طريف حقًّا.

دَسَّ اللورد بريك سيفه في غِمده مطفئًا النَّار، وقال آمرًا: «أعطوا المحتضرين هديَّة الرَّحمة وقيِّدوا أيدي وأقدام البقيَّة كي يُحاكَموا»، وقد كان.

مرَّت المحاكَمات سريعًا. تقدَّم عديد من الخارجين عن القانون ليشهدوا على ما فعلَته رِفقة الشُّجعان، مِن نهب البلدات والقُرى وإحراق المحاصيل واغتصاب وقتل النِّساء وتشويه وتعذيب الرِّجال، وحكى بعضهم عن الصِّبية الذين اختطفَهم السِّپتون أوت. طوال محاكَمته ظَلَّ السِّپتون يبكي ويُصَلِّي، وقال للورد بريك: «إنني ضعيف. أصلِّي لـ(المُحارِب) طالبًا القوَّة، لكن الآلهة خلقَتني ضعيفًا. ارحم ضعفي. الصِّبية، الصِّبية الطَّيِّبون... لم أقصد قَطُّ أن أوذيهم...».

بَعد قليلٍ تدلَّى السِّپتون أوت من شجرة دَردار، يتأرجَح عاريًا كيوم مولده من أنشوطةٍ حول عُنقه، وتبعَه الممثِّلون الآخَرون واحدًا تلو الآخَر. قاومَ بعضهم وأخذوا يَركُلون والحبال تلتفُّ حول أعناقهم، وظَلَّ أحد حاملي النُّشَّابيَّة يصيح بلكنةٍ مايريَّة ثقيلة: «أنا جُندي، أنا جُندي»، وعرض آخَر أن يقود آسريه إلى خبيئةٍ من الذَّهب، وقال ثالث لهم إنه يَصلُح لأن يكون خارجًا عن القانون ممتازًا. كلُّهم جُرِّدَ من ثيابه وقُيِّدَ وشُنِقَ، وعزفَ لهم توم سبعة أوتار لحنًا جنائزيًّا على قيثارته، بينما تضرَّع ثوروس إلى إله الضِّياء أن يُحرِق أرواحهم حتى آخِر الدَّهر.

شجرة ممثِّلين، فكَّرت آريا وهي تتطلَّع إليهم مشنوقين ولهب السِّپتري المحترق يُضفي عليهم لونًا أحمر كئيبًا، وقد ظهرَت الغِربان بالفعل آتيةً من اللامكان، وسمعَتها آريا تنعب لبعضها بعضًا فتساءلَت عمَّا تقوله. لم تكن تخشى السِّپتون أوت كالعضَّاض وورورچ وبعض الآخَرين الذين ما زالوا في (هارنهال)، وإن سُرَّت لموته على كلِّ حال. كان عليهم أن يَشنُقوا كلب الصَّيد أيضًا، أو يقطعوا رأسه. لكنهم بدلًا من هذا، على الرغم من تقزُّزها، اعتنوا بذراع ساندور كليجاين المحروقة وأعادوا إليه سيفه ودِرعه وحصانه، وأطلَقوا سراحه على بُعد بضعة أميال من التَّلِّ الأجوف، ولم يحتفظوا إلَّا بذهبه.

سرعان ما انهارَ السِّپتري في هدير من الدُّخان واللَّهب بَعد أن لم تَعُد جُدرانه قادرةً على حمل سطحه الأردواز الثَّقيل، وراقبَ الإخوة البنِّيُّون باستسلام. إنهم كلُّ مَن تبقَّى كما شرحَ أكبرهم سِنًّا، الذي تتدلَّى من عُنقه مطرقة حديديَّة صغيرة تدلُّ على تكريس حياته لـ(الحدَّاد)، وقال: «قبل الحرب كنا أربعةً وأربعين، وكان هذا المكان مزدهرًا. كانت لدينا دستة من الأبقار الحلوب وثور، ومئة من خلايا النَّحل، وكرمة عنب وبُستان تُفَّاح، لكن حين جاءَ السِّباع أخذوا كلَّ ما لدينا من نبيذٍ وحليب وعسل وذبحوا الأبقار وأضرَموا النَّار في الكرمة. بَعدها... لا أذكرُ عددَ مَن تبعوهم بَعدها. هذا السِّپتون الزَّائف كان آخِرهم لا أكثر. أحد أولئك الوحوش... أعطيناه فضَّتنا كلَّها، لكنه أصرَّ أن لدينا ذهبًا مخبَّأً، فقتلَنا رجاله واحدًا تلو الآخَر لإجبار الأخ الأكبر على الكلام».

سألَه آنجاي القوَّاس: «وكيف نجا ثمانيتكم؟».

أجابَ العجوز: «هذا عاري أنا. كنتُ السَّبب. لمَّا أتى دوري لأموت أخبرتهم بمكان الذَّهب المخبوء».

قال ثوروس المايري: «عارك الوحيد أنك لم تُخبِرهم في الحال يا أخي».

أوى الخارجون عن القانون ليلتها إلى المخمرة المجاورة للنُّهير. كان لدى مضيفيهم طعام مخبَّأ تحت أرضيَّة الاسطبلات، فتقاسَموا عَشاءً بسيطًا من خُبز الشُّوفان والبصل وحَساء كرنب خفيف للغاية فيه شيء من مذاق الثُّوم، ووجدَت آريا شريحةً من الجَزر في وعائها فعدَّت نفسها محظوظةً. لم

يسأل الإخوة الخارجين عن القانون عن أسمائهم، فأدركَت آريا أنهم يعرفون مَن هُم. وكيف لا؟ اللورد بريك يحمل لسان البرق على واقي صدره وتُرسه ومعطفه، وثوروس يرتدي ثوبه الأحمر أو ما تبقَّى منه.

أحد الإخوة، مترهبن شاب، تحلَّى بالجرأة الكافية لأن يقول لثوروس ألَّا يُصَلِّي لإلهه الزَّائف ما دامَ تحت سقفهم، فقال ليم ذو المعطف اللَّيموني: «دعك من هذا الهراء. إنه إلهنا أيضًا، وأنتم مدينون لنا بأرواحكم اللَّعينة. وما الزَّائف فيه؟ ربما يستطيع حدَّادكم إصلاح سيفٍ مكسور، لكن هل يستطيع شفاء رجلٍ مكسور؟».

قال اللَّورد بريك بنبرةٍ آمرة: «كفى يا ليم. سنحترم قواعدهم ما دُمنا تحت سقفهم».

ووافقَه ثوروس قائلًا بكياسة: «الشَّمس لن تكفَّ عن الشُّروق إذا فاتَتنا صلاة أو اثنتان، سَلني أنا».

لم يأكل اللورد بريك نفسه، والحقيقة أن آريا لم ترَه يأكل قَطُّ، وإن كان يحتسي كوبًا من النَّبيذ بين الحين والآخَر. ويبدو أنه لا ينام كذلك؛ فقط تنغلق عينه السَّليمة أحيانًا كأنما بدافع الإرهاق، لكنها تنفتح ثانيةً من فورها إذا كلَّمته. كان اللورد القادم من التُّخوم الدورنيَّة لا يزال يرتدي معطفه الأسود المهترئ وواقي صدره المنبعج ذا لسان البرق المينا المشقَّق، وقد أخفى الفولاذ الأسود الباهت الجرح الشَّنيع الذي أصابَه به كلب الصَّيد، بالطَّريقة ذاتها التي يُخفي بها وشاحه الصُّوف السَّميك الحلقة الدَّاكنة حول رقبته، لكن شيئًا لا يُخفي الغور في رأسه عند الصُّدغ، أو الحُفرة الحمراء التي حلَّت محلَّ عينه المفقودة، أو شكل جمجمته تحت وجهه.

رمقَته آريا بحذرٍ متذكِّرةً كلَّ ما كان يُروى عنه في (هارنهال)، وبدا أن اللورد بريك أحسَّ بخوفها، فالتفتَ إليها مشيرًا لها بالاقتراب، وقال: «هل أخيفكِ أيتها الصَّغيرة؟».

أجابَت ماضغةً شفتها: «لا... لكن... حسبتُ أن كلب الصَّيد قتلَك، لكن...».

قال ليم ذو المعطف اللَّيموني: «مجرَّد جرح. جرح بليغ، نعم، لكن ثوروس عالجَه. إنه أفضل المعالجين على الإطلاق».

حدجَ اللورد بريك ليم بنظرةٍ غريبة من عينه السَّليمة ولا نظرة على الإطلاق في الأخرى، لا شيء إلَّا النُّدوب والدَّم الجاف، وقال مؤيِّدًا بإرهاق: «أفضل المعالجين على الإطلاق»، ثم أردفَ: «ليم، أعتقدُ أن وقت تبديل المناوَبة قد فاتَ. تولَّ هذا إذا سمحت».

قال ليم: «حاضر يا سيِّدي»، ورفرفَ معطفه الأصفر وراءه وهو يَخرُج إلى اللَّيل العاصف بخُطى واسعة.

بَعد أن خرجَ قال اللورد بريك: «حتى الشُّجعان يُعمون أنفسهم أحيانًا عندما يخشون أن يروا. ثوروس، كم مرَّةً أعدتني؟».

خفضَ الرَّاهب الأحمر رأسه قائلًا: «راهلور هو من يُعيدك يا سيِّدي، إله الضِّياء، وأنا مجرَّد أداةٍ له».

كرَّر اللورد بريك بإصرار: «كم مرَّة؟».

أجابَ ثوروس على مضض: «سِت مرَّات، وكلُّ مرَّةٍ أصعب من سابقتها. أصبحتَ متهوِّرًا يا سيِّدي. هل الموت بهذه الحلاوة؟».

- «حلاوة؟ لا يا صديقي، ليس حُلوًا على الإطلاق».

- «لا تُغازله هكذا إذن. اللورد تايوين يقود من المؤخِّرة، واللورد ستانيس أيضًا، ومن الحكمة أن تفعل مِثلهما. قد تعني ميتة سابعةٌ نهايتنا معًا».

مَسَّ اللورد بريك البُقعة التي يغور فيها صُدغه فوق أُذنه، وقال: «هنا كسرَ اللورد برتون كراكهول خوذتي ورأسي بضربةٍ من هراوته»، وحَلَّ وشاحه كاشفًا عن الكدمة السَّوداء المحيطة بعُنقه متابعًا: «وهنا العلامة التي خلَّفها المانتيكور في (الشَّلَّال الهادر). كان قد قبضَ على نحَّالٍ فقير وزوجته معتقدًا أنهما من أتباعي، وأذاعَ في كلِّ مكانٍ أنه سيَشنُقهما ما لم أسلِّم نفسي إليه، وعندما فعلتُ شنقَهما على كلِّ حالٍ وأنا بينهما»، وأشارَ بإصبعه إلى فجوة عينه الحمراء، وواصلَ: «وهنا حيث أغمدَ الجبل خنجره في مقدِّمة خوذتي»، وتراقصَت ابتسامة شاحبة على شفتيه وهو يُردِف: «هكذا مِتُّ ثلاث مرَّات على يد عائلة كليجاين. كنتِ لتحسبين أني تعلَّمتُ...».

عرفَت آريا أنها مزحة، لكن ثوروس لم يضحك، ووضعَ يدًا على كتف اللورد بريك قائلًا: «الأفضل ألَّا تُسهب في التَّفكير».

«وكيف أسهبُ في التَّفكير في ما لا أكادُ أذكره؟ أعرفُ أني كنتُ أملكُ

قلعةً في (التُّخوم) من قبل، وكانت هناك امرأة تعهَّدتُ بأن أتزوَّجها، لكني لا أستطيعُ أن أجد تلك القلعة اليوم، ولا أن أقول لك لون شَعر تلك المرأة. مَن نصَّبني فارسًا يا صديقي القديم؟ ماذا كانت أطعمتي المفضَّلة؟ ذكرياتي كلها تذوي، لدرجة أني أحسبُ أحيانًا أنني وُلِدتُ على الكلأ الدَّامي في بستان الدَّردار إياه، في فمي مذاق النار وفي صدري فجوة. هل أنت أمِّي يا ثوروس؟».

حدَّقت آريا إلى الرَّاهب المايري بشَعره الأشعث وأسماله الورديَّة وقِطع الدُّروع القديمة التي يرتديها، وقد غطَّت جُذامة شائبة وجنتيه والجلد المترهِّل تحت ذقنه. إنه لا يبدو كالسَّحرة في قصص العجوز نان، ولكن... «هل يُمكنك أن تُعيد رجلًا بلا رأس؟ مرَّةً واحدةً فقط وليس ستًّا. هل تستطيع؟».

- «ليس في جعبتي سِحر أيتها الصَّغيرة، فقط الصَّلوات. في تلك المرَّة الأولى كان رُمح قد نفذ من جسد حضرة اللورد وامتلأ فمه بالدِّماء، وعرفتُ أن لا أمل في إنقاذه، فلمَّا كَفَّ صدره عن الحركة أعطيته قُبلة الإله الرَّحيم لأودِّعه وهو في طريقه إلى العالم الآخَر. ملأتُ فمي بالنَّار ونفثتها في داخله عبر حَلقه إلى رئتيه وقلبه وروحه. اسمها القُبلة الأخيرة، وكثيرًا ما رأيتُ الرُّهبان الكبار يُسبغون بها على خدم الإله وهُم يموتون، كما أعطيتها مرَّةً أو مرَّتين بنفسي كما يتحتَّم على الرُّهبان كلِّهم، لكن لم يَحدُث قبلها قَطُّ أن شعرت برجل ميت ينتفض إذ ملأته النَّار، أو رأيت عينيه تنفتحان. ليس أنا من أعادَه يا سيِّدتي، بل الإله. راهلور لم يَفرُغ منه بعدُ. الحياة دفء، والدِّفء نار، والنَّار تحت إمرة الإله والإله وحده».

أحسَّت آريا بالدُّموع تَنبُع في مُقلتيها. ثوروس قال كلامًا كثيرًا، لكنها لم تستوعب منه إلَّا أنه يقول لا.

قال اللورد بريك: «أبوكِ كان رجلًا صالحًا. هاروين حكى لي كثيرًا عنه، ولأجل خاطره كان ليُسعِدني أن أتنازَل عن فديتكِ، لكننا في أمسِّ الحاجة إلى الذَّهب».

مضغَت آريا شفتها مفكِّرةً: هذا صحيح على ما أعتقدُ. لقد أعطى ذهب كلب الصَّيد لذي اللِّحية الخضراء والقنَّاص المجنون ليشتروا مؤنًا جنوب (الماندر)، وسمعَته يقول حين أرسلَهما: «الحصاد السَّابق احترقَ، والحالي

يغرق، والشِّتاء سيُدركنا قريبًا. الأهالي في حاجةٍ إلى الغلال والبذور، ونحن محتاجون إلى الأسلحة والخيول. كثيرون من رجالي يركبون أحصنة الجَرِّ والحرث والبغال ضد أعداءٍ يركبون الجياد الحربيَّة».

لكن آريا لا تدري كم سيدفع روب مقابل استعادتها. إنه ملك الآن، وليس الصَّبي الذي تركَته في (وينترفل) والثَّلج يذوب في شَعره، وإذا عرفَ الأشياء التي فعلَتها، مِن عامل الاسطبلات إلى الحارس في (هارنهال) وغيرهما... «وماذا لو لم يُرِد أخي أن يدفع فديتي؟».

سألَها اللورد بريك: «لماذا تحسبين هذا؟».

أجابَت آريا: «لأن شَعري منفوش وأظفاري متَّسخة وقدمَيْ يابستان». غالبًا لن يُبالي روب بهذا، لكن أمَّها ستفعل. لطالما أرادَتها الليدي كاتلين أن تكون مِثل سانزا، أن تُغَنِّي وتَرقُص وتحيك وتحرص على الكياسة. مجرَّد التَّفكير في هذا جعلَ آريا تُحاول تصفيف شَعرها بأصابعها، فوجدَته متشابكًا ملبَّدًا، ولم تُفلح إلَّا في تمزيق القليل من خُصلاته. قالت ماضغةً شفتها: «لقد أتلفتُ الفُستان الذي أعطَتني الليدي سمولوود إياه، ولستُ أجيدُ الحياكة. كانت السِّپتة موردن تقول إن لديَّ يدَيْ حدَّاد».

ضحكَ جندري، وقال متندِّرًا: «هاتان اليدان الصَّغيرتان النَّاعمتان؟ إنكِ لا تستطيعين الإمساك بمطرقةٍ حتى».

ردَّت بحدَّة: «أستطيعُ إذا أردتُ!».

قهقهَ ثوروس، وقال: «أخوكِ سيدفع أيتها الصَّغيرة. لا يُقلِقنَّكِ هذا».

سألَت بإصرار: «نعم، لكن ماذا لو رفضَ؟».

تنهَّد اللورد بريك مجيبًا: «إذن سأرسِلكِ إلى الليدي سمولوود فترةً، أو ربما إلى قلعتي في (المرفأ الأسود)، لكني واثق بأن ذلك لن يكون ضروريًّا. لستُ أملكُ القُدرة على إعادة أبيكِ إليكِ، تمامًا كما لا يملكها ثوروس، لكنني أستطيعُ على الأقل أن أعيدكِ آمنةً إلى ذراعَيْ أمِّكِ».

سألَته: «هل تُقسِم؟». يورن أيضًا وعدَ بأن يأخذها إلى الدِّيار، وبدلًا من هذا قُتِلَ.

أجابَ سيِّد البرق برصانة: «بشَرفي كفارس».

كان المطر ينهمر حين عادَ ليم إلى المخمرة متمتمًا باللَّعنات والمياه

تسيل على معطفه الأصفر لتتجمَّع على الأرض، بينما جلسَ آنجاي وچاك المحظوظ عند الباب يلعبان النَّرد، لكن أيًّا كانت اللُّعبة فلم يكن چاك ذو العين الواحدة محظوظًا فيها إطلاقًا. استبدلَ توم وترًا في قيثارته الخشبيَّة، وغنَّى (دموع الأُم) و(حين ابتلَّت زوجة ويلوم) و(في يومٍ مطير خرجَ اللورد هارت)، ثم (أمطار كاستامير).

بكِبْرٍ قال اللورد:
ومَن ذا تكون
كي أمرِّغ رأسي في التُّراب أمامك؟
مجرَّد قِطٍّ يكتسي بفروةِ الأسد
وهذا مبلغ علمي فيك
فحتى إن تسربلَ بالأحمر، وإن تحلَّى بالذَّهب
تظلُّ للَّيثِ مخالبه
ومخالبي طويلة حادَّة يا سيِّدي
طويلة حادَّة، تمامًا كمخالبك
وهكذا تكلَّم وتكلَّم
ذلك الذي كان سيِّد (كاستامير)
والآن تبكي الأمطار على قصره
ولا أحد هنالك يسمع
أجل، الآن تبكي الأمطار على قصره
وما من نفسٍ تسمع.

أخيرًا نفدَ ما لدى توم من أغاني المطر ووضعَ قيثارته جانبًا، ولم يَعُد هناك إلَّا صوت المطر نفسه، إذ يضرب سقف المخمرة الأردواز. انتهَت لُعبة النَّرد، ووقفَت آريا على ساقٍ واحدةٍ ثم الأخرى تُصغي لميريت وهو يشكو من حصانه الذي انخلعَت حدوته.

قال جندري فجأةً: «يُمكنني أن أركِّب الحدوة من أجلك. كنتُ صبيَّ حدَّادٍ فقط، لكن معلِّمي قال إن يدي مخلوقة لحمل المطرقة. أستطيعُ تركيب

الحدوات ورتق القمصان المعدنيَّة الممزَّقة وإصلاح الدُّروع المنبعجة، وأراهنُ أني أستطيعُ صناعة السُّيوف كذلك».

سأله هاروين: «ماذا تقول يا فتى؟».

جثا جندري على رُكبةٍ واحدة أمام اللورد بريك قائلًا: «سأشتغلُ عندكم حدَّادًا. سأكونُ مفيدًا لكم إذا قبلتني يا سيِّدي. لقد صنعتُ أدواتٍ وسكاكين، وفي مرَّةٍ خوذةً لا بأس بها، لكن أحد رجال الجبل سرقَها مني حين أسِرنا».

عضَّت آريا شفتها مفكِّرةً: ينوي أن يترُكني.

قال اللورد بريك: «أحسن لك أن تخدم اللورد تَلي في (ريفررَن)، فلا أستطيعُ أن أنقدك أجرًا لقاء عملك».

- «لا أحد نقدَني أجرًا قَطُّ. لا أريدُ إلَّا ورشةً وطعامًا ومكانًا أنامُ فيه، وهذا يكفيني يا سيِّدي».

- «الحدَّادون مرحَّب بهم في كلِّ مكانٍ تقريبًا، وصُنَّاع السِّلاح المهَرة يجدون ترحيبًا أكبر، فلِمَ تختار البقاء معنا؟».

راقبَت آريا جندري وهو يلوي ملامحه السَّخيفة مفكِّرًا، قبل أن يُجيب: «ما قُلته في التَّلِّ الأجوف عن كونكم رجال الملك روبرت وعن أخوَّتكم... راقَني هذا، وراقَني أنكم حاكَمتم كلب الصَّيد. اللورد بولتون كان يَشنُق النَّاس أو يقطع رؤوسهم فقط، واللورد تايوين والسير آموري كانا مِثله، ولذا أفضِّلُ أن أعمل حدَّادًا عندكم».

قال چاك للورد بريك مذكِّرًا: «لدينا قمصان معدنيَّة كثيرة في حاجةٍ إلى إصلاح يا سيِّدي. معظمها أخذناه من الموتى، وفيها الثُّقوب التي دخلَ منها الموت».

قال ليم: «لا بُدَّ أنك أبله يا فتى. إننا خارجون عن القانون، معظمنا أوباش من نسب حقير، باستثناء حضرة اللورد. لا تحسب أن الأمر سيكون كأغاني توم السَّاذجة، فلن تسرق قُبلةً من أميرة أو تشترك في دورة مباريات بدِرعٍ مسروقة. إذا انضممت إلينا سينتهي بك المطاف بأنشوطةٍ حول رقبتك أو برأسك على خازوق فوق بوَّابة قلعةٍ ما».

رَدَّ جندري: «وهل سيفعلوا بكم أقلَّ من هذا؟».

قال چاك المحظوظ بمرح: «نعم، هذا صحيح، الغِربان تنتظرنا جميعًا.

سيِّدي، الصَّبي يبدو شُجاعًا بما فيه الكفاية، ونحن محتاجون إلى ما يُمكنه أن يفعله. چاك يقول أن تقبله».

أضافَ هاروين مقهقهًا: «وبسُرعة قبل أن تمرَّ الحُمَّى ويستردَّ عقله».

مَسَّت ابتسامة باهتة شفتَيْ اللورد بريك، وقال: «ثوروس، سيفي».

هذه المرَّة لم يوقِد سيِّد البرق السَّيف، بل وضعَه بخفَّةٍ على كتف جندري قائلًا: «جندري، هل تُقسِم على مرأى من الآلهة والبَشر أن تذود عن لا يستطيعون الذَّود عن أنفسهم، وأن تحمي النِّساء والأطفال، وأن تُطيع قادتك ومولاك وملكك، وأن تُقاتِل بشَجاعةٍ عند الحاجة، وتُلَبِّي ما تُكَلَّف به مهما كان عسيرًا أو متواضعًا أو خطرًا؟».

- «نعم يا سيِّدي».

نقلَ اللورد السَّيف من كتف جندري اليُمنى إلى اليُسرى، وقال: «انهض إذن أيها السير جندري، فارس التَّلِّ الأجوف، ومرحبًا بك في أخوَّتنا».

ومن عند الباب ارتفعَت ضحكة خشنة مبحوحة.

كان ماء المطر يسيل على ثيابه، والتفَّت ذراعه المحروقة بأوراق الشَّجر والكتَّان، ورُبطَت إلى صدره بإحكام بمِعلاقٍ بسيط من الحبال، لكن الحروق القديمة التمعَت بسوادٍ صقيل في وهَج نارهم الصَّغيرة.

زمجرَ المتطفِّل: «تُنَصِّب مزيدًا من الفُرسان يا دونداريون؟ حريٌّ بي أن أقتلك ثانيةً من أجل هذا».

واجهَه اللورد بريك ببرودٍ قائلًا: «كنتُ آملُ أننا رأيناك للمرَّة الأخيرة يا كليجاين. كيف وجدتنا؟».

- «لم يكن هذا صعبًا. لقد أصدرتم دُخانًا يكفي لأن يروه في (البلدة القديمة)».

- «وماذا فعلت بالحارسيْن اللذين عيَّنتهما؟».

ارتعشَ فم كليجاين وهو يقول: «تقصد هذين الكفيفيْن؟ ربما قتلتهما. ماذا ستفعلون إذا كان هذا صحيحًا؟».

ثبَّت آنجاي سهمًا إلى قوسه، وحذا نوتش حذوه، على حين قال ثوروس: «أترغب في الموت لهذه الدَّرجة يا ساندور؟ لا بُدَّ أنك مجنون أو سكران كي تتبعنا إلى هنا».

- «سكران من شُرب المطر؟ إنكم لم تَترُكوا لي ذهبًا لأبتاع مجرَّد كوبٍ من النَّبيذ يا أبناء العاهرات».

سحبَ آنجاي سهمه قائلًا: «نحن خارجون عن القانون، والخارجون عن القانون يسرقون. هذا مذكور في الأغاني. إذا طلبت بأدبٍ فقد يُغَنِّي لك توم واحدةً. كُن ممتنًّا لأننا لم نَقتُلك».

- «تعالَ وجرِّب أيها القوَّاس. سآخذُ منك هذه الكنانة وأدسُّ السِّهام في مؤخِّرتك الصَّغيرة المنمَّشة».

رفعَ آنجاي قوسه الطَّويل، إلَّا أن اللورد بريك رفعَ يده قبل أن يُطلِق، وقال: «ماذا تفعل هنا يا كليجاين؟».

- «أريدُ أن أستردَّ ما لي».

- «ذهبك؟».

- «وماذا غيره؟ لم آتِ لأستمتع بالنَّظر إلى وجهك يا دونداريون، ثِق بهذا. إنك أقبح مني الآن، وفارس لِص أيضًا على ما يبدو».

قال اللورد بريك بهدوء: «لقد أعطيتك إيصالًا بذهبك، وعدًا بالدَّفع بَعد أن تنتهي الحرب».

- «مسحتُ مؤخِّرتي بورقتك. أريدُ الذَّهب».

- «ليس معنا. لقد أرسلته جنوبًا مع القنَّاص وذي اللِّحية الخضراء، ليشتريا غلالًا وبذورًا عبر (الماندر)».

قال جندري: «لإطعام مَن أحرقت محاصيلهم».

ضحكَ ساندور كليجاين ثانيةً، وقال: «أهذا ما يُقال الآن؟ طيِّب، يتصادَف أن هذا بالضَّبط ما انتويتُ أن أفعله به، أن أُطعِم مجموعةً من الفلَّاحين القباح وأطفالهم المجدورين».

قال جندري: «أنت كاذب».

- «أرى أن الصَّبي سليط اللِّسان. لماذا تُصَدِّقهم ولا تُصَدِّقني أنا؟ لا يُمكن أن يكون السَّبب وجهي، أليس كذلك؟»، ونظرَ كليجاين إلى آريا مواصلًا: «هل ستُنَصِّبها فارسًا أيضًا يا دونداريون؟ أول فارس فتاة في الثَّامنة من العُمر؟».

- «أنا في الثَّانية عشرة!»، صاحَت آريا كاذبةً. «ويُمكنني أن أكون فارسًا إذا

أردتُ، وكان يُمكنني أن أقتلك أيضًا لولا أن ليم أخذَ مني السكِّين». ما زالَ تذكُّر هذا يُحنِقها.

- «عليكِ بالشَّكوي لليم إذن وليس لِي، وبَعدها دسِّي ذيلكِ بين قدميكِ واهربي. هل تعرفين ما تفعله الكلاب بالذِّئاب؟».

- «المرَّة القادمة سأقتلك، وسأقتلُ أخاك أيضًا!».

ضيَّق عينيه القاتمتين قائلًا: «لا، هذا لن تفعليه»، وعادَ يلتفت إلى اللورد بريك، وقال: «ما رأيك أن تُنصِّب حصاني فارسًا؟ إنه لا يتغوَّط في الدَّاخل ولا يَرفُس أكثر من معظم الخيول، ويستحقُّ أن يكون فارسًا... ما لم تكن تنوي أن تسرقه أيضًا».

قال ليم منذرًا: «خيرٌ لك أن تركب ذلك الحصان وترحل».

- «سأرحلُ بذهبي. إلهكم نفسه يقول إنني بريء...».

قاطعَه ثوروس المايري: «إله الضِّياء أعادَ إليك حياتك، لكنه لم يُعلِنك بيلور المبارَك وقد وُلِدَ من جديد»، واستلَّ الرَّاهب الأحمر سيفه، ورأت آريا چاك وميريت يفعلان المِثل، بينما كان اللورد بريك لا يزال يحمل سيفه الذي نصَّب به جندري. ربما يَقتُلونه هذه المرَّة.

ارتعشَ فم كلب الصَّيد ثانيةً، وقال: «لستم أكثر من لصوص».

حملقَ إليه ليم قائلًا: «أصدقاؤك الأُسود يَدخُلون القُرى ويأخذون كلَّ ما يجدونه من طعام ومالٍ ويُسَمُّون هذا «إمدادات»، والذِّئاب أيضًا، فلِمَ لا نفعل مِثلهم؟ لا أحد سَرقَكَ أيها الكلب، بل حصلنا على «إمدادٍ» منك».

تطلَّع ساندور كليجاين إلى وجوههم واحدًا واحدًا كأنه يُحاوِل تدوينها في ذاكرته، ثم خرجَ إلى الظَّلام والمطر المنهمر اللذينِ جاءَ منهما دون أن ينبس بكلمةٍ إضافيَّة، وانتظرَ الخارجون عن القانون مترقِّبين...

قال هاروين: «سأذهبُ لأرى ما فعلَه بالحارسيْن»، وألقى نظرةً حذرةً من الباب قبل أن يَخرُج، ليتأكَّد من أن كلب الصَّيد ليس كامنًا في الخارج.

سألَ ليم، ذو المعطف اللَّيموني، ليُخفِّف وطأة التَّوتُّر المخيِّم على المكان: «كيف حصلَ ذلك الوغد الملعون على كلِّ هذا الذَّهب أصلًا؟».

هَزَّ آنجاي القوَّاس كتفيه مجيبًا: «فازَ بدورة مباريات اليد في (كينجز لاندنج)»، ورسمَ على وجهه ابتسامةً واسعةً مضيفًا: «ربحتُ ثروةً لا بأس بها

عن نفسي، لكني قابلتُ بعدها دانسي وچايد وألايايا، وعلَّمنني مذاق البجع المشوي ومعنى الاستحمام في نبيذ (الكرمة)».

قال ليم ضاحكًا: «بدَّدتها كلَّها إذن».

- «ليس كلَّها. اشتريتُ هذا الحذاء وهذا الخنجر الممتاز».

قال چاك المحظوظ: «كان يَجدُر بك أن تشتري قطعة أرض وتجعل من واحدةٍ من فتيات البجع المشوي امرأةً شريفةً، تُربِّي محصولًا من اللِّفت ومحصولًا من الأبناء».

- «بحَقِّ (المُحارِب)! هذا هو التَّبديد بعينه، أن أحوِّل ذهبي إلى لِفت».

قال چاك بأسى: «أحبُّ اللِّفت، ويُمكنني أن آكل القليل من اللِّفت المهروس الآن».

لم يلتفت ثوروس المايري إلى مزاحهما، وقال متأمِّلًا: «كلب الصَّيد خسرَ ما هو أكثر من بضع زكائب من النُّقود، خسرَ سيِّده وجاره أيضًا. إنه لا يستطيع العودة إلى آل لانستر، والذِّئب الصَّغير لن يقبله أبدًا، وليس محتملًا أن أخاه سيُرَحِّب به. هذا الذَّهب كان كلَّ ما يملكه على ما يبدو لي».

قال واتي الطَّحَّان: «يا للجحيم! مؤكَّد أنه سيأتي ويَقتُلنا في نومنا إذن».

دَسَّ اللورد بريك سيفه في الغِمد قائلًا: «لا. سيُسعِد ساندور كليجاين أن يَقتُلنا، وإنما ليس ونحن نيام. آنجاي، غدًا اركب في المؤخِّرة مع ديك الحليق، وإذا رأيت كليجاين يقتفي أثرنا فاقتُل حصانه».

قال آنجاي معترضًا: «إنه حصان جيِّد».

وأيَّده ليم: «نعم. حريٌّ بنا أن نَقتُل راكبه، أمَّا الحصان فسينفعنا».

قال نوتش: «أنا مع ليم. دعني أغرسُ بضعة سهام في الكلب وأثبِّط همَّته قليلًا».

هَزَّ اللورد بريك رأسه رافضًا، وقال: «كليجاين ربحَ حياته تحت التَّل الأجوف، ولن أسلبه إياها».

قال ثوروس للآخَرين: «اللورد يتكلَّم بحكمة. أيها الإخوة، المحاكَمة بالنِّزال شيء مقدَّس. لقد سمعتموني أطلبُ من راهلور أن يتدخَّل، ورأيتم إصبعه النَّاري يكسر سيف اللورد بريك وهو موشك على وضع نهايةٍ لحياة الكلب. يبدو أن إله الضِّياء لم يَفرُغ بعدُ من كلب چوفري».

بَعد قليلٍ عادَ هاروين إلى المخمرة، وقال: «پودنجفوت كان يغطُّ في نومٍ عميق، لكنه بخير».

قال ليم: «انتظروا حتى أضع يدَيْ عليه. سأصنعُ له فتحة شرجٍ جديدةً. كان يُمكن أن يتسبَّب في موتنا جميعًا».

لم ينم أحدهم مستريحًا تلك اللَّيلة وهُم يعلمون أن ساندور كليجاين قريب في مكانٍ ما في الظَّلام. تكوَّرت آريا على نفسها بالقُرب من النَّار شاعرةً بالدِّفء والهدوء، لكن النَّوم أعرضَ عن المجيء. أخرجَت العُملة التي أعطاها چاكَن هاجار إياها، وضمَّت أصابعها حولها وهي متمدِّدة تحت معطفها، وأشعرَها الإمساك بها بالقوَّة وهي تتذكَّر كيف كانت الشَّبح في (هارنهال)، بإمكانها أن تَقتُل بهمسة.

لكن چاكَن رحلَ وتركَها. هوت پاي رحلَ أيضًا، والآن سير حل جندري. وماتَ لومي، وماتَ يورن، وماتَ سيريو فورل، وحتى أبوها ماتَ، وأعطاها چاكَن بنسًا حديديًّا سخيفًا واختفى. بخفوتٍ همسَت وهي تشدُّ قبضتها على حواف العُملة الصُّلبة لتنغرس في راحة يدها: «ڤالار مورجولِس. السير جريجور، دانسن، پوليڤر، راف المعسول، المُدغدغ وكلب الصَّيد، السير إلين، السير مرين، الملك چوفري، الملكة سرسي». حاولَت آريا أن تتخيَّل كيف سيبدون وهُم موتى، لكنها وجدَت استرجاع ملامحهم في ذاكرتها صعبًا. كلب الصَّيد يُمكنها أن تراه، وكذا أخوه الجبل، ولا يُمكنها أن تنسى وجه چوفري أو أمِّه أبدًا... لكن وجوه دانسن وراف وپوليڤر تذوي، وحتى المُدغدغِ الذي كانت ملامحه تقليديَّةً تمامًا.

اكتنفَها النَّوم أخيرًا، لكن في سواد اللَّيل صحَت آريا ثانيةً شاعرةً بوخز. لم يتبقَّ من النَّار إلَّا جذوات، ووقفَ مودجٍ عند الباب بينما تحرَّك حارس آخَر جيئةً وذهابًا في الخارج. كان المطر قد توقَّف وسمعَت ذئابًا تعوي. قريبة للغاية، وكثيرة للغاية. بدَت أصواتها كأن عشرات منها تُحيط بالإسطبلات، وربما مئات. قالت لنفسها متذكِّرةً ما قاله كلب الصَّيد عن الذِّئاب والكلاب: آملُ أن تفترسه.

عندما طلعَ النَّهار كان السِّپتون أوت لا يزال يتدلَّى من الشَّجرة، لكن الإخوة البنِّيِّين خرجوا بالمجاريف ليَحفُروا قبورًا ضحلةً للموتى الآخَرين.

شكرَهم اللورد بريك على الوجبة وإيوائهم إياهم خلال اللَّيل، وأعطاهم كيسًا من الأيائل الفضِّيَّة تُساعِدهم على إعادة البناء.

خرجَ هاروين ولوك الرَّاجح وواتي الطَّحَّان للاستكشاف، لكنهم لم يَعثُروا على ذئاب أو كلاب.

بينما ربطَت آريا حزام سَرجها، جاءَها جندري يقول إنه آسف، فوضعَت قدمًا على الرِّكاب واعتلَت الحصان كي تَنظُر إليه من أعلى لا من أسفل مفكِّرةً: كان بإمكانك أن تصنع السُّيوف لأخي في (ريفَررَن)، لكنها اكتفَت بقول: «إذا أردت أن تكون فارسًا سخيفًا خارجًا عن القانون، فلِمَ أبالي؟ سأكونُ في (ريفَررَن)، فديتي مدفوعة، ومع أخي».

لحُسن الحَظِّ لم يهطل المطر يومها، وهذه المرَّة على الأقل قطعوا شوطًا لا بأس به.





بران

على الجزيرة يرتفع البُرج، وعلى صفحة المياه الزَّرقاء السَّاكنة توأمه المنعكس، وحين تهبُّ الرِّيح تتحرَّك التَّموُّجات على سطح البحيرة مطاردةً بعضها بعضًا كأطفالٍ يلعبون. على الضِّفَّة تنمو أجمة كثيفة من أشجار السَّنديان، وتحتها تفترش الأرض جوزات البلُّوط السَّاقطة، ومن وراءها تلوح القرية، أو ما تبقَّى منها.

إنها أول قريةٍ يرونها منذ خرجوا من التِّلال. كانت ميرا قد سبقَتهم لتستطلع وتتأكَّد من أن أحدًا ليس كامنًا بين الأطلال، وتحرَّكت بخفَّةٍ فوق شجر السَّنديان والتُّفَّاح ووسطه حاملةً شبكتها ورُمحها، فأفزعَت ثلاث غزالاتٍ حمراء وجعلَتها تندفع هاربةً عبر الدَّغل، ورأى سَمر الحركة الخاطفة فانطلقَ وراءها في الحال. شاهدَ بران الذِّئب الرَّهيب يتواثَب، ولم يرغب لحظتها في شيءٍ أكثر من أن يَخرُج من جِلدته ويعدو معه، لكن ميرا كانت تُلوِّح لهم بالمجيء، فالتفتَ مُكرهًا عن سَمر وأمرَ هودور بالتَّقدُّم ودخول القرية، وسارَ چوچن معهما.

يعلم بران أن لا شيء بين هنا و(الجِدار) إلَّا الأراضي المعشوشبة؛ حقول بوار وهضاب واطئة مائجة ومروج عالية ومستنقعات منخفضة. سيكون التَّحرُّك في تلك الأصقاع أسهل كثيرًا من الجبال ورائهم، لكن هذه المساحات المفتوحة أصابَت ميرا بالتَّوتُّر، وقالت لهم: «أشعرُ كأني عارية. لا مكان نتوارى فيه».

سألَ چوچن بران: «مَن يملك هذه الأراضي؟».

أجابَ بران مسترجعًا ما علَّمه المِايستر لوين إياه من التَّاريخ: «حَرس اللَّيل.

هذه الأراضي اسمها (الهديَّة)، (الهديَّة الجديدة)، وشمالها (هديَّة براندون). براندون البنَّاء أهدى جميع الأراضي جنوب (الجِدار) للإخوة السُّود حتى مسافة خمسة وعشرين فرسخًا، من أجل... من أجل معاشهم وقوتهم». شعرَ بالفخر بنفسه لأنه لا يزال يتذكَّر هذا الجزء. «بعض المايسترات يقولون إنه كان براندون آخَر غير البنَّاء، لكنها لا تزال (هديَّة براندون). بَعد آلاف الأعوام زارَت الملكة الكريمة أليسين (الجِدار) على متن تنِّينتها سيلفروينج، ورأت أن حَرس اللَّيل شُجعان لأقصى حَد، فجعلَت الملك العجوز يُضاعِف مساحة أراضيهم إلى خمسين فرسخًا، وهكذا أصبحَ اسم هذه المناطق (الهديَّة الجديدة)»، وأشارَ بيده مضيفًا: «هنا، كلُّ هذا».

رأى بران بوضوح أن أحدًا لم يَقطُن في القرية الخاوية على عروشها منذ سنواتٍ طويلة. المنازِل كلُّها آيلة للسُّقوط، وحتى الخان، ومع أن منظره لا يوحي بأنه كان خانًا كبيرًا في الأصل، لكن كلَّ ما تبقَّى منه الآن مدخنة حجريَّة وجداران متصدِّعان وسط دستةٍ من أشجار التُّفَّاح، إحداها تنمو في القاعة العامَّة، حيث كسَت طبقة من الأوراق البنِّيَّة المبتلَّة والتُّفَّاح العفن الأرض، وأفعمَت الهواء رائحة تُفَّاحيَّة فاغمة تكاد تطغى على كلِّ شيءٍ آخَر. طعنَت ميرا بضع تفَّاحاتٍ برُمح صيد الضَّفادع في محاولةٍ للعثور على الصَّالح منها للأكل، لكنها وجدَتها كلَّها متعفِّنةً ملأى بالدُّود.

كان السَّلام يحفُّ المكان ويُسبغ عليه السُّكون والهدوء ويجعل التَّطلُّع إلى منظره محبَّبًا، لكن بران فكَّر أن الخان الفارغ شيء حزين حقًّا، وبدا أن هودور شاركَه إحساسه، وقال بنبرةٍ مرتبكة: «هودور؟ هودور؟».

التقطَ چوچن حفنةً من التُّربة وفركَها بين أصابعه قائلًا: «هذه أرض مناسبة تمامًا للسُّكنى. قرية وخان ومعقل قوي في البحيرة، وكلُّ أشجار التُّفَّاح هذه... لكن أين النَّاس يا بران؟ لماذا يهجرون مكانًا كهذا؟».

أجابَ بران: «لخوفهم من الهَمج. الهَمج يأتون متسلِّقين (الجِدار) أو عبر الجبال ليُغيروا ويسرقوا ويختطفوا النِّساء. إذا أمسَكوك فإنهم يصنعون من جمجمتك كوبًا لشُرب الدَّم كما حكَت لنا العجوز نان. حَرس اللَّيل لم يعودوا أقوياء كما كانوا في عهد براندون أو الملكة أليسين، ولذا يستطيع المزيد من الهَمج المرور من الشَّمال. البقاع الأقرب إلى (الجِدار) تعرَّضت لغاراتٍ

عديدة جدًّا، حتى إن السُّكَّان انتقلوا جنوبًا إلى الجبال أو أراضي عائلة أومبر شرق (طريق الملوك). قوم چون الكبير يتعرَّضون للغارات أيضًا، لكن ليس بالكثرة التي عانى منها مَن كانوا يعيشون في (الهديَّة)».

دارَ چوچن ريد برأسه بتؤدةٍ مصغيًا إلى موسيقى لا يسمعها إلَّاه، وقال: «يجب أن نأوي إلى مكانٍ ما هنا. ثمَّة عاصفة تقترب، عاصفة سيِّئة».

رفعَ بران عينيه إلى السَّماء. كان نهارًا خريفيًّا جافًّا صافيًا، وجميلًا بحَق، لكن السُّحب الدَّاكنة تلوح بعيدًا في الغرب الآن، وبدأت سُرعة الرِّيح تتزايَد بالفعل. «الخان بلا سقفٍ وله جِداران قائمان فقط. علينا أن نذهب إلى المعقل».

قال هودور: «هودور»، موافقًا ربما.

قالت ميرا وهي تطعن الأوراق على الأرض برأس رُمحها: «ليس لدينا قارب يا بران».

- «ثمَّة معبر، معبر حجري متوار تحت الماء. يُمكننا أن نمشي عليه». هُم يستطيعون المشي عليه على الأقل، أمَّا هو فعليه أن يركب على ظهر هودور، لكنه سيبقى جافًّا هكذا على الأقل.

تبادلَ الأخوان ريد نظرةً، وسألَه چوچن: «وكيف تعرف هذا؟ هل سبقَ لك المجيء إلى هنا يا سموَّ الأمير؟».

- «لا، لكن العجوز نان أخبرَتني. المعقل يعلوه تاج ذهبي، أترى؟»، وأشارَ عبر البحيرة إلى رُقع الطِّلاء الذَّهبي المتقشِّر على سور الشُّرفة العلويَّة مواصلًا: «الملكة أليسين نامَت هنا، فطلوا سور الشُّرفة باللَّون الذَّهبي تكريمًا لها».

أمعنَ چوچن النَّظر إلى البحيرة متسائلًا: «معبر؟ أأنت واثق؟».

- «واثق».

عثرَت ميرا على أوله بسهولةٍ بمجرَّد أن عرفَت عمَّا تبحث، ووجدوه ممشًى حجريًّا عرضه ثلاثة أقدام يخترق مياه البحيرة. قادَتهم بخُطى شديدة الحذر متحسِّسةً الطَّريق أمامهم برُمحها، ورأوا أين يُعاوِد الممشى الظُّهور من تحت الماء ويمتدُّ إلى الجزيرة مستحيلًا إلى سلالم قصيرة تقود إلى باب المعقل.

نهاية الممشى والدَّرجات والباب كلُّها في خَطٍّ مستقيم، وهو ما يجعلك

تحسب أن الممشى يمتدُّ مستقيمًا طوال الطَّريق، لكن ذلك ليس صحيحًا، إذ يتعرَّج تحت مياه البحيرة ويمضي ثُلث الطَّريق حول الجزيرة قبل أن يعود من جديد. كانت المنعطفات خادعةً، وطول المعبر يعني أن كلَّ من يدنو يتعرَّض فترةً طويلةً للسِّهام التي تُطلَق من البُرج، كما أن سطحه الحجري لزج وزلق أيضًا، ومرَّتين كادَ هودور يزلُّ وبفزع صرخَ: «هودور!» قبل أن يستعيد توازنه. أخافَت المرَّة الثَّانية بران بشدَّة، لأنه إذا سقطَ هودور في البحيرة وهو في سلَّته، فمن الوارد للغاية أن يغرق، خاصَّةً إذا تمكَّن الذُّعر من صبيِّ الاسطبل الضَّخم ونسيَ أن بران على ظَهره كما يَحدُث أحيانًا. فكَّر: ربما كان علينا البقاء في الخان تحت شجرة التُّفَّاح، لكن أوان ذلك كان قد فاتَ بالفعل.

لحُسن الحَظِّ لم تكن هناك مرَّة ثالثة، ولم تتجاوَز المياه خصر هودور، وإن غاصَ فيها الأخوان ريد حتى الصَّدر، ولم يمض وقت طويل قبل أن يَبلُغوا الجزيرة ويصعدوا السَّلالم إلى المعقل. لا يَزال الباب قويًّا، لكن الألواح البلُّوط الثَّقيلة اعوجَّت على مَرِّ السِّنين، ولم يَعُد قابلًا للانغلاق حتى النِّهاية، ودفعَته ميرا فاتحةً إياه عن آخِره لتَصرُخ المفصلات الحديد الصَّدئة. كانت عتبته العلويَّة واطئةً، فقال بران: «انخفِض يا هودور»، ففعلَ، وإنما ليس بما يكفي للحيلولة دون أن يخبط بران رأسه، فقال شاكيًا: «هذا مؤلم».

رَدَّ هودور وهو يفرد قامته: «هودور».

وجدوا أنفسهم في حُجرةٍ منيعة تتَّسع بالكاد لاحتواء أربعتهم، تنعطف درجات مبنيَّة في الحائط الدَّاخلي إلى أعلى إلى يسارهم وإلى أسفل إلى يمينهم، وهذه وتلك يمنعهم عنها بابان حديديَّان. رفعَ بران رأسه فرأى بابًا آخَر فوقه مباشرةً، فقال لنفسه: كوَّة دفاع. شعرَ بالارتياح لأن لا أحد الآن في الأعلى يُلقي عليهم الزَّيت المغلي.

كان البابان موصديْن، لكن الصَّدأ الأحمر يكسو القضبان الحديديَّة. قبضَ هودور على الباب الأيسر وشَدَّه وهو يئِنُّ من المجهود، غير أن شيئًا لم يَحدُث، فحاولَ أن يدفعه، إنما بلا طائل أيضًا، وهكذا راحَ يرجُّ القضبان ويَركُلها ويدفعها بكتفه ويَلكُم المفصلاتَ بيديه الضَّخمتين، إلى أن امتلأَ الهواء برقائق الصَّدأ، وظَلَّ الباب الحديدي لا يتزحزَح، وكذا الباب الثَّاني الذي يقود إلى القبو، فهزَّت ميرا كتفيها قائلةً: «لا سبيل للدُّخول».

كانت كوَّة الدِّفاع فوق رأس بران مباشرةً وهو جالس في سلَّته على ظَهر هودور، فمَدَّ يديه إلى أعلى وتمسَّك بالقضبان مجرِّبًا إياها، ولمَّا شَدَّها إلى أسفل انخلعَ الباب من السَّقف مصحوبًا بوابلٍ من قشور الصَّدأ والحجارة المتفتِّتة. صاحَ هودور: «هودور!»، وأصابَ الحَديد الثَّقيل بران بضربةٍ أخرى على رأسه، فدفعَه بعيدًا عنه ليَسقُط أرضًا عند قدمَيْ چوچن.

قالت ميرا ضاحكةً: «انظُر إلى نفسك يا سموَّ الأمير. إنك أقوى من هودور»، وتورَّد وجه بران خجلًا.

مع انخلاع الباب، استطاعَ هودور أن يدفع ميرا وچوچن عبر الكوَّة المفتوحة، وأمسكَ الأخوان بران من ذراعيه وسحباه إلى أعلى بَعدهما. صعود هودور نفسه كان الجزء الصَّعب، فهو أثقل من أن يستطيع الأخوان ريد رفعه كما فعلا مع بران، وأخيرًا قال له بران أن يذهب ويبحث عن بعض الصُّخور الكبيرة، وهي الشَّيء الذي لا تفتقر إليه الجزيرة بطبيعة الحال، وتمكَّن هودور من رَصِّها فوق بعضها بعضًا بما يكفي لأن يقبض على حافتَيْ الكوَّة المتفتِّتتين ويدفع نفسه إلى أعلى، وبَعد أن فعلَ رسمَ على وجهه ابتسامةً عريضةً وقال لهم لاهثًا: «هودور».

وجدوا أنفسهم في تيهٍ من الحُجيرات الصَّغيرة المظلمة الخالية، لكن ميرا استكشفَت المكان حتى عثرَت على الطَّريق إلى السَّلالم، وكلما صعدوا ازدادَ الضَّوء. في الطَّابق الثَّالث كانت فتحات الرِّماية تتخلَّل الجِدار الخارجي السَّميك، وفي الرَّابع نوافذ، أمَّا الخامس والأعلى فعبارة عن قاعةٍ مستديرة واسعة ذات أبواب مقنطرة على ثلاثة جوانب تنفتح على شُرفاتٍ حجريَّة صغيرة، والجانب الرَّابع فيه مرحاض يقبع فوق بالوعة يمتدُّ أنبوبها تحت مستوى البحيرة.

حين وصلوا إلى السَّطح كانت السَّماء قد غامَت تمامًا والسَّحاب في الغرب أسود، وهبَّت الرِّياح بقوَّةٍ شديدة رفعَت معطف بران ومضغَته مضغًا، وقال هودور متذمِّرًا من صوتها الصَّاخب: «هودور».

دارَت ميرا حول نفسها قائلةً: «أشعرُ كأني عملاقة تقف على قمَّة العالم».

قال أخوها: «ثمَّة أشجار في (العُنق) أطول مرَّتين من هذا البُرج».

- «نعم، لكنها محاطة بأشجارٍ أخرى تُناهِزها طولًا. العالم منغلق في

(العُنق)، والسَّماء أصغر كثيرًا، أمَّا هنا... هل تَشعُر بالرِّيح يا أخي؟ وانظُر كم أصبحَ العالم واسعًا».

كانت مصيبةً، فمن هنا يُمكنك أن ترى حتى مسافاتٍ شاسعة. إلى الجنوب ترتفع التِّلال ومن ورائها الجبال بلونيها الرَّمادي والأخضر، وفي كلِّ الاتِّجاهات الأخرى تترامى أطراف سهول (الهديَّة الجديدة) على مدى البصر، لكن بران قال بخيبة أمل: «كنتُ آملُ أن نرى (الجدار) من هنا، لكنها فكرة سخيفة، فلا بُدَّ أننا لا نزال نَبعُد خمسين فرسخًا». مجرَّد الكلام عن المسافة التي تفصلهم عن (الجِدار) أشعرَه بالتَّعب والبرد. «ماذا سنفعل حين نصل إلى (الجِدار) يا چوچن؟ لطالما قال عمِّي إنه ضخم للغاية، يرتفع سبعمئة قدم، وقاعدته سميكة جدًّا، حتى إن البوَّابات أقرب إلى أنفاق في الجليد. كيف سنمرُّ لنبحث عن الغُراب ذي الأعيُن الثَّلاث؟».

أجابَه چوچن: «سمعتُ أن هناك قلاعًا مهجورةً بطول (الجدار)، القلاع التي أنشأَها حَرس اللَّيل وترَكوها شاغرةً. قد تَصلُح واحدة منها لأن نمرَّ».

قلاع الأشباح التي حكَت عنها العجوز نان. كان المِايستر لوين قد علَّم بران أسماء جميع قلاع (الجدار)، وهو ما ألفاه صعبًا، فعددها يَبلُغ تسع عشرة قلعة، مع أن سبع عشرة لا أكثر شُغِلَت في وقتٍ واحد. في أثناء المأدبة التي أقيمَت على شَرف الملك روبرت لدى زيارته إلى (وينترفل) ردَّد بران أسماء القلاع على مسامع عمِّه بنچن، من الشَّرق إلى الغرب ثم من الغرب إلى الشَّرق، وضحكَ بنچن ستارك وقال: «إنك تعرفها أفضل مني يا بران. ربما يَجدُر بك أن تكون الجوَّال الأول، وأبقى أنا هنا بدلًا منك». كان هذا قبل أن يَسقُط بران، قبل أن ينكسر، ولمَّا أفاقَ مشلولًا من غيبوبته كان عمُّه قد رجعَ إلى (القلعة السَّوداء).

قال بران: «عمِّي أخبرَني بأن البوَّابات مسدودة بالجليد والحجارة في كلِّ القلاع المهجورة».

قالت ميرا: «علينا أن نفتحها مجدَّدًا إذن».

وتَّره قولها، ورَدَّ: «ينبغي ألَّا نفعل ذلك، فقد تمرُّ أشياء سيِّئة من الجانب الآخَر. الأفضل أن نذهب إلى (القلعة السَّوداء) ونَطلُب من حضرة القائد أن يَترُكنا نمرُّ».

قال چوچن: «يا سموَّ الأمير، علينا أن نتحاشى (القلعة السَّوداء) كما تحاشَينا (طريق الملوك). ثمّة مئات الرِّجال هناك».

- «رجال حَرس اللَّيل. إنهم يتعهَّدون بعدم التَّدخُّل في الحروب وما إلى ذلك».

- «نعم، لكن رجلًا واحدًا مستعدًّا لأن يحنث بقسمه يكفي لبيع سِرِّك للحديديِّين أو نغل (بولتون)، وليس لنا أن نثق بأن الحَرس سيسمحون لنا بالمرور. قد يُقرِّرون احتجازنا أو إعادتنا من حيث أتينا».

- «لكن أبي كان صديقًا لحَرس اللَّيل، وعمِّي الجوَّال الأول، وقد يعرف أين يعيش الغُراب، كما أن چون في (القلعة السَّوداء) أيضًا». كان يأمل أن يرى چون ثانيةً، وعمَّهما أيضًا. آخِر زوَّار (وينترفل) من الإخوة السُّود قالوا إن بنچن ستارك اختفى في جولة تقصٍّ، لكن لا بُدَّ أنه عادَ منذ ذلك الحين. «أراهنُ أن الحَرس سيُعطوننا خيولًا أيضًا».

فجأةً قال چوچن: «صمتًا»، ورفعَ يده فوق عينيه ونظرَ في اتِّجاه الشَّمس الغاربة مردفًا: «انظُر، هناك شيء ما... خيَّال على ما أعتقدُ. هل تراه؟».

ظلَّل بران عينيه بدوره، ومع ذلك اضطرَّ لأن يُضيِّقهما. في البداية لم يرَ شيئًا، ثم جعلَته حركة ما يلتفت. خطرَ له أولًا أنه سَمر، لكن لا. إنه رجل على حصان. كان أبعد من أن يرى شيئًا آخَر.

فعلَ هودور مِثلهما ورفعَ يده فوق عينيه، لكنه كان يَنظُر في الاتِّجاه الخطأ وهو يتساءَل: «هودور؟ هودور؟».

قالت ميرا: «ليس مستعجلًا، لكنه في طريقه إلى هذه القرية على ما يبدو».

قال چوچن: «الأفضل أن ندخُل قبل أن يرانا».

اعترضَ بران قائلًا: «سَمر قريب من القرية».

ردَّت ميرا: «سَمر سيكون بخير. إنه مجرَّد رجلٍ واحد على حصانٍ مرهَق».

بدأت قطرات كبيرة من الماء تضرب الحجارةَ وهُم ينسحبون إلى الطَّابق الخامس، وجاءَ انسحابهم في الوقت المناسب لأن المطر بدأ يهطل بغزارةٍ بَعد قليل، وحتى عبر الجُدران السَّميكة سمعوه يجلد سطح البحيرة، وقد جلسوا على الأرض في القاعة المستديرة الخالية في الحلكة التي تنغلق على العالم من حولهم. كانت النَّافذة التي تُواجِه الشَّمال تطلُّ على القرية، فزحفَت

ميرا على بطنها لتختلس النَّظر عبر البحيرة وترى ما جرى للخيَّال، ولمَّا عادَت قالت لهم: «لقد أوى إلى أطلال الخان، ويبدو أنه يُشعِل نارًا في المستوقَد».

قال بران: «ليتنا نُشعِل نارًا. إنني أشعرُ بالبرد. هناك أثاث مكسور أسفل السَّلالم. يُمكننا أن نجعل هودور يُقطِّعه ونتدفَّأ».

راقَت الفكرة هودور، وقال بأمل: «هودور».

هَزَّ چوچن رأسه نفيًا، وقال: «النَّار تعني الدُّخان، والدُّخان الخارج من هذا البُرج سيُرى من مسافةٍ بعيدة».

قالت أخته: «إذا كان هناك من يراه».

- «هناك رجل في القرية».

- «رجل واحد».

- «رجل واحد يكفي لأن يشي ببران لأعدائه إذا كان الرَّجل الخطأ. ما زالَ معنا نِصف بطَّة من الأمس. علينا أن نأكل ونستريح، وحين يحلُّ الصَّباح سيذهب الرَّجل في طريقه ونحن أيضًا».

نفَّذ چوچن ما أرادَه كما يفعل دائمًا، وقسَّمت ميرا البطَّة بينهم. كانت قد صادَتها البارحة بشبكتها وهي تُحاوِل الفرار من البركة التي باغتَتها فيها. لم يكن مذاقها باردةً باللَّذاذة نفسها وهي ساخنة على السِّيخ، لكنهم لم يجوعوا ليلتها على الأقل. اقتسمَ بران وميرا الصَّدر، وأكلَ چوچن الفخذ، بينما التهم هودور الجناح والسَّاق لاعقًا الدُّهن عن أصابعه بَعد كلِّ قضمة ومهمهمًا: «هودور». كان الدَّور على بران أن يحكي قصَّةً، فحكى لهم عن براندون ستارك آخَر اسمه براندون السَّفَّان ارتحلَ وراء (بحر الغروب).

كان الغسق يفرض ملكوته عندما انتهَت البطَّة والقصَّة، وظَلَّ المطر ينهال، وتساءلَ بران إن كان سَمر قد ابتعدَ كثيرًا، وإن كان قد لحقَ بإحدى الغزلان.

أفعمَت العتمة الرَّماديَّة البُرج، وشيئًا فشيئًا استحالَت إلى ظُلمةٍ دامسة. أصابَ الملل هودور وجعلَه ينهض ويمشي بعض الوقت، يدور ويدور حول الجُدران بخُطواتٍ واسعة، ويتوقَّف عند المرحاض مع كلِّ دورةٍ ليُلقي نظرةً، كأنه نسيَ أنه هناك، على حين وقفَ چوچن عند الشُّرفة الشَّماليَّة مستترًا بالظِّلال يتطلَّع إلى اللَّيل والمطر. في مكانٍ ما إلى الشَّمال، شَقَّ لسان من البرق السَّماء منيرًا البُرج من الدَّاخل لحظةً، فوثبَ هودور كالملسوع وأصدرَ

صوتًا مرعوبًا، وعَدَّ بران حتى 8 منتظرًا الرَّعد، ولمَّا هزمَ صاحَ هودور: «هودور!».

فكَّر بران: أتمنَّى أن سَمر ليس خائفًا أيضًا. دائمًا ما كانت الكلاب في أوجرة (وينترفل) تفزع من العواصف الرَّعديَّة، تمامًا كهودور. يَجدُر بي أن أذهب وأرى كي أهدِّئه...

ومضَ البرق ثانيةً، وهذه المرَّة تلاه الرَّعد بَعد 6، وعادَ هودور يصيح: «هودور! هودور! هودور!»، واختطفَ سيفه كأنه يُريد أن يُقاتِل العاصفة.

قال چوچن: «اهدأ يا هودور. بران، قُل له ألَّا يصيح. ميرا، هلَّا أخذتِ منه السَّيف؟».

- «سأحاولُ».

قال بران: «صمتًا يا هودور. اهدأ وكفى هَوْدَرَةً سخيفةً. اجلس».

غمغمَ هودور: «هودور؟»، وناولَ ميرا السَّيف بإذعان، وإن استحالَ وجهه إلى قناعٍ من الارتباك.

عادَ چوچن يلتفت إلى الظَّلام، وسمعوه كلُّهم يشهق، فسألَته ميرا: «ما الخطب؟».

- «أناس في القرية».

- «الرَّجل الذي رأيناه؟».

لم يبدُ چوچن كصبيٍّ خائفٍ من قبل قَطُّ كما الآن وهو يقول: «رجال آخَرون، مسلَّحون. لمحتُ فأسًا وحِرابًا أيضًا. رأيتهم يتحرَّكون تحت الأشجار عندما ومضَ البرق».

- «كم عددهم؟».

- «كثيرون جدًّا، أكثر من أن أحصيهم».

- «على خيول؟».

- «لا».

قال هودور بخوف: «هودور. هودور. هودور».

أحسَّ بران أيضًا بشيءٍ من الخوف، وإن لم يرغب في أن يعترف بهذا أمام ميرا، وسألَ: «ماذا لو أتوا إلى هنا؟».

جلسَت إلى جواره مجيبةً: «لن يأتوا. لماذا يفعلون؟».

أجابَ چوچن بنبرةٍ جهيمة: «سعيًا إلى المأوى، ما لم تهدأ العاصفة. ميرا، هلَّا نزلتِ وأوصدتِ الباب؟».

- «لم أستطِع أن أُغلِقه أصلًا. الخشب معوج للغاية. لكنهم لن يتجاوَزا البابين الحديد على كلِّ حال».

- «قد يفعلوا. ربما بإمكانهم أن يكسروا الأقفال أو المفصلات، أو يصعدوا من كوَّة الدِّفاع كما فعلنا».

شَقَّ البرق السَّماءَ ونشجَ هودور، ثم دوَّى قصف الرَّعد عبر البحيرة، فصرخَ وهو يضرب أُذنيه بيديه ويدور حول نفسه في الظَّلام: «هودور! هودور! هودور!».

صرخَ فيه بران: «لا! لا هَوْدَرَة!».

لكن لا جدوى. صرخَ هودور: «هوووودور!»، وحاولَت ميرا إمساكه وتهدئته، لكنه أقوى منها مرارًا، وطرحَها جانبًا بمجرَّد دَفعة. «هوووووودوووووو!»، صرخَ صبيُّ الاسطبل والبرق يُنير السَّماء مرَّةً أخرى، وحتى چوچن كان يصيح الآن، يصيح في بران وميرا أن يُسكِتاه.

- «اصمت!»، زعقَ بران بصوتٍ خائفٍ حاد وهو يمدُّ يده عبثًا إلى ساق هودور الذي يدقُّ الأرض، يمدُّها، يمدُّها...

وترنَّح هودور وأطبقَ فمه وببُطءٍ هَزَّ رأسه من جانبٍ إلى جانب، ثم عادَ يجلس متقاطع السَّاقين، وحين دوَّى الرَّعد لم يبدُ أنه سمعَه حتى، وجلسَ أربعتهم في البُرج المظلم يَجسُرون بالكاد على التقاط أنفاسهم.

همسَت ميرا: «بران، ماذا فعلت؟».

هَزَّ بران رأسه قائلًا: «لا شيء، لا أدري». لكنه يدري. مددتُ نفسي إليه كما أفعلُ مع سَمر. لقد كان هو هودور لحظةً، ولكم أخافَه هذا.

قال چوچن: «شيء ما يَحدُث عبر البحيرة. أظنُّ أني رأيتُ رجلًا يُشير إلى البُرج».

لن أخاف. إنه أمير (وينترفل)، ابن إدارد ستارك، يكاد يكون رجلًا بالغًا، كما أنه وارج أيضًا، وليس مجرَّد طفلٍ كريكون. سَمر لن يخاف. «إنهم من رجال أومبر غالبًا، أو رجال نوت أو نوري أو فلينت وقد نزلوا من الجبال، أو ربما يكونون إخوةً من حرس اللَّيل. هل يرتدون معاطف سوداء يا چوچن؟».

- «كلُّ المعاطف تبدو سوداء ليلًا يا سموَّ الأمير، والوميض سطعَ وخبا بسُرعةٍ قبل أن أرى ما يرتدونه».

قالت ميرا بحذر: «لو كانوا إخوةً سودًا لامتطوا الخيول، أليس كذلك؟».

ثم إن بران فكَّر في شيءٍ آخَر، وقال بثقة: «لا يهمُّ. لن يُمكنهم الوصول إلينا حتى إذا أرادوا، ما لم يكونوا يملكون قاربًا أو يعرفون بأمر المعبر».

صاحَت ميرا: «المعبر!»، ونفشَت شَعر بران وقبَّلته على جبهته قبل أن تُضيف: «أميرنا الجميل! إنه على حَق يا چوچن، لن يعرفوا بأمر المعبر، وحتى إذا فعلوا فلن يستطيعوا العثور على الطَّريق في الظَّلام والمطر».

- «لكن اللَّيل سينتهي، وإذا بقوا حتى الصَّباح...». لم يجد حاجةً إلى قول الباقي، وبَعد قليلٍ قال: «إنهم يُزكون النَّار التي أشعلَها الرَّجل الأول».

سطعَ البرق في السَّماء وملأ الضَّوء البُرج صابغًا إياهم بالظِّلال، وهَزَّ هودور نفسه من الأمام إلى الخلف وهو يُهَمهِم.

أحسَّ بران بخوف سَمر في تلك اللَّحظة السَّاطعة، وأغلقَ عينين وفتحَ الثَّالثة، وانسلَّ من جِلدة الصَّبي كأنها معطف وهو يُغادِر البُرج...

... ووجدَ نفسه في المطر بمعدةٍ متخَمة بلحم الغزلان، ينكمش على نفسه في الدَّغل بينما تهدر السَّماء وتُدَوِّي من فوقه. كادَت رائحة التُّفَّاح العفِن وأوراق الشَّجر المبتلَّة تُغرِق رائحة الإنسان، لكنها شمَّها رغم ذلك، وسمعَ خشخشة الجِلد الصُّلب، ورأى رجالًا يتحرَّكون تحت الأشجار. مَرَّ به رجل حاملًا عصا يرفع فوق رأسه جِلدةً جعلَته أعمى وأصمَّ، فدارَ الذِّئب في دائرةٍ واسعةٍ حوله، ووراء شُجيراتٍ شائكة يَقطُر منها الماء وتحت غصون شجرة تُفَّاح عارية. سمعَهم يتكلَّمون، وبروائح المطر والأوراق والخيول امتزجَت رائحة حمراء نفَّاذة، رائحة الخوف...



چون

افترشَ الأرض بساط من إبر الصَّنوبر الخضراء والأوراق البنِّيَّة التي لا تزال رطبةً من جرَّاء الأمطار الأخيرة، وانسحقَت تحت أقدامهم وهُم يمرُّون، تُحيط بهم أشجار السَّنديان الضَّخمة العاريةِ والحارس الطَّويلة، وتُحاصِرهم جيوش من شجر الصَّنوبر الجُندي. على تَلٍّ فوقهم يرتفع بُرج مستدير آخَر، كغيره ضارب في القِدم ومقفر، وعلى جانبه تزحف الطَّحالب الخضراء بكثافة حتى تكاد تَبلُغ قمَّته، ولمَّا رأته إيجريت سألَت چون: «مَن الذي بنى هذا كلَّه مِن الحجارة؟ مِلك مَن؟».

- «لا، مَن كانوا يعيشون هنا».

- «وماذا حدثَ لهم؟».

- «ماتوا أو رحلوا».

عملَ حَرس اللَّيل على فِلاحة أراضي (هديَّة براندون) طيلة آلاف الأعوام، لكن مع تضاؤل أعدادهم صارَت هناك أيادٍ أقل لحرث الحقول ورعاية النَّحل وزرع أشجار البساتين، وعادَت البراري تفرض سيطرتها السَّابقة على كثيرٍ من الحقول والمباني. في (الهديَّة الجديدة) كانت بعض القُرى والمعاقلَ تدفع ضرائب للإخوة السُّود في صورة أطعمةٍ وعُمَّال، ومن ثَمَّ تُساعِد على تزويدهم بالمأكل والملبس، إلَّا أن أغلبها لم يَعُد موجودًا أيضًا.

قالت إيجريت: «حماقة منهم أن يَترُكوا قلعةً كهذه».

- «إنه مجرَّد بُرج سكني عاشَ فيه لورد صغير ما مع أسرته وبضعة حُرَّاس، وكان يوقِد منارةً على السَّطح عندما يظهر المُغيرون. (وينترفل) فيها أبراج أعلى من هذا ثلاث مرَّات».

رمقَته بنظرةٍ توحي باعتقادها أنه اختلقَ ما قاله، وسألَته: «كيف يستطيع البَشر بناء شيءٍ بذلك الارتفاع دون عمالقة يرفعون الحجارة؟».

في الأساطير استعانَ براندون البنَّاء بالعمالقة على بناء (وينترفل)، لكن چون لم يشأ أن يُعقِّد المسألة، فقال: «البَشر يستطيعون تشييد مبانٍ أعلى بكثير. في (البلدة القديمة) بُرج أعلى من (الجدار) نفسه»، وعلى الرغم من هذا رأى أنها لا تُصدِّقه، فحدَّث نفسه قائلًا: ليتني أستطيعُ أن أريها (وينترفل)... أن أقتطف لها زهرةً من الصُّوبة الزُّجاجيَّة، وأقيم لها مأدبةً في القاعة الكُبرى، وأريها الملوكَ الحجريِّين على عروشهم... نتحمَّم في البرك السَّاخنة، ونُمارِس الحُبَّ تحت شجرة القلوب بينما تشهد علينا الآلهة القديمة.

جميلٌ هذا الحُلم... لكن (وينترفل) لن تكون له أبدًا. إنها لأخيه، الملك في الشَّمال، وچون ليس ستارك، بل سنو. نغل، مارق، حانث بالقَسم...

قالت: «ربما نعود فيما بَعد ونسكن هذا البُرج. هل ترغب في هذا يا چون سنو؟ فيما بَعد؟».

فيما بَعد. كلمة كحربةٍ في قلبه. بَعد الحرب، بَعد الغزو، بَعد أن يهدم الهَمج (الجدار)...

ذات مرَّةٍ تكلَّم السيِّد والده عن تنصيب لورداتٍ جُدد وتوطينهم في المعاقل المهجورة ليكونوا دِرعًا ضد الهَمج. كانت الخطَّة تتطلَّب أن يتنازَل حَرس اللَّيل عن مساحةٍ كبيرة من (الهديَّة)، لكن عمَّه بنچن أكَّد أنه يستطيع إقناع حضرة القائد، ما دامَ أولئك اللوردات الصِّغار سيدفعون الضَّرائب لـ(القلعة السَّوداء) بدلًا من (وينترفل). وقتها قال اللورد إدارد: «لكنه حُلم للرَّبيع. حتى الوعد بالأرض لن يُغري النَّاس بالذَّهاب شمالًا والشِّتاء يدنو».

لو أسرعَ الشِّتاء في المجيء والرَّحيل وتبعَه الرَّبيع، فلربما وقعَ الاختيار عليَّ لتولِّي أحد تلك الأبراج باسم أبي. لكن اللورد إدارد ماتَ، واختفى أخوه بنچن، والدِّرع التي حلما بها معًا لن تُطرَّق أبدًا. قال چون: «هذه الأرض ملك الحَرس».

تمدَّدت طاقتا أنفها غضبًا، وقالت: «لا أحد يعيش هنا».

- «لأن هجَّانتكم طردوهم».

- «كانوا جُبناء إذن. لو أرادوا الأرض لبقوا وقاوَموا».

- «ربما تعبوا من القتال، تعبوا من إيصاد أبوابهم كلَّ ليلةٍ والتَّساؤل إن كان ذو القميص المُخشخش أو أحد على شاكلته سيقتحمها ويختطف زوجاتهم، تعبوا من سرقة حصادهم، ومقتنياتهم الثَّمينة إن وُجِدَت. الأسهل أن يبتعدوا عن متناوَل المُغيرين». لكن إذا سقطَ (الجِدار) سيُصبح الشَّمال كلّه في متناوَلهم.

- «لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو. البنات يُختطَفن لا الزَّوجات، وأنتم السَّارقون، سرقتم العالم كلّه وبنيتم جِدارًا لتمنعوا شعب الأحرار من دخوله».

- «حقًّا؟ وكيف حدثَ هذا بالضَّبط؟». أحيانًا ينسى چون كم هي ضارية جامحة، لكنها لا تنفكُّ تُذَكِّره.

- «الآلهة خلقَت الأرض ليتقاسَمها البَشر جميعًا، ثم أتى الملوك بتيجانهم وسيوفهم الفولاذ وادَّعوا أنها لهم فقط، فقالوا: هذه أشجاري، لا تأكلوا هذا التُّفَّاح. هذا نهري وهذه غابتي، ممنوع الصَّيد. هذه أرضي، مياهي، قلعتي، ابنتي، أبعِدوا أيديكم وإلَّا قطعتها، لكن إذا ركعتم لي فقد أتركُكم تتشمَّموا نفحةً من خيري. تقولون إننا لصوص، لكن على الأقل يجب أن يكون اللِّصُّ شُجاعًا وذكيًّا وسريعًا، لكن ما على الرُّكَّع إلَّا أن يركعوا».

- «أمثال هارما وجوال العظم لا يُغيرون من أجل السَّمك والتُّفَّاح، بل يسرقون السُّيوف والفؤوس والتَّوابل والحرير والفرو، وينهبون كلَّ عُملةٍ وحِليةٍ وكأس مزيَّنة بالجواهر يعثرون عليها، ويستولون على براميل النَّبيذ في الصَّيف وبراميل اللَّحم في الشِّتاء، ويختطفون النِّساء في أيِّ فصلٍ ويحملوهن إلى ما وراء (الجَدار)».

- «وماذا في هذا؟ أفضِّلُ أن يختطفني رجل قوي على أن يُعطيني أبي لرجلٍ ضعيف».

- «هذا ما تقولينه، لكن كيف تعرفين أنه كذلك؟ ماذا لو اختطفكِ رجل تكرهينه؟».

- «لا بُدَّ أن يكون سريعًا وماكرًا وشُجاعًا ليستطيع أن يختطفني أنا، أي أن أبناءه سيكونون أقوياء وأذكياء مِثله، فلِمَ أكرهُ رجلًا كهذا؟».

- «ربما لا يغتسل أبدًا ورائحته كريهة كالدِّببة».

- «سأدفعه في نهيرٍ أو أسكبُ عليه دلوًا من الماء، وعلى كلِّ حالٍ لا يَجدُر بالرَّجل أن تكون رائحته عطرةً كالزُّهور».

- «وما عيب الزُّهور؟».

قالت إيجريت: «لا شيء بالنِّسبة للنَّحل، أمَّا في الفِراش فأريدُ واحدًا كهذا»، ومدَّت يدها إلى مقدِّمة سراويله.

أمسكَ چون معصمها قائلًا بإلحاح: «ماذا لو كان الرَّجل الذي سرقكِ يُسرف في الشُّرب؟ ماذا لو كان عنيفًا أو قاسيًا؟»، وشدَّد قبضته توكيدًا على كلامه، وتابعَ: «ماذا لو كان أقوى منكِ ويروقه أن يضربكِ حتى تنزفي؟».

- «سأشقُّ حَلقه وهو نائم. لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو»، وتملَّصت إيجريت منه بليونة ثعابين الماء وانتزعَت معصمها من قبضته.

أعرفُ شيئًا واحدًا، أنكِ همجيَّة حتى النُّخاع. من السَّهل أن ينسى هذا أحيانًا وهما منهمكان في الضَّحك أو القُبلات، ثم يقول أحدهما أو يفعل شيئًا، ويتذكَّر چون فجأةً الحاجز بين عالميهما.

قالت له إيجريت: «من الممكن أن يمتلك الرَّجل امرأةً، ومن الممكن أن يمتلك سكِّينًا، لكن لا رجل يُمكنه أن يمتلك الاثنين. كلُّ فتاةٍ صغيرة تتعلَّم هذا من أمِّها»، ورفعَت ذقنها بتحدٍّ وهزَّت شَعرها الأحمر الغزير مردفةً: «ولا أحد يُمكنه أن يملك الأرض أكثر مما يملك البحر أو السَّماء. أنتم أيها الرُّكَّع تتوهَّمون أنكم تملكونها، لكن مانس سيُريكم العكس».

فكَّر چون أن تباهيها لا بأس به من حيث شَجاعة الألفاظ، لكنه أجوف تمامًا، وتطلَّع وراءه ليتأكَّد من أن الماجنَر خارج مدى السَّمع، فرأى إروك وبثرة الكبير ودان القنَّبي يمشيان على بُعد بضع ياردات، وإنما دون أن يُعيروهما انتباهًا، وقد أخذَ بثرة الكبير يشكو من الألم في مؤخِّرته. هكذا قال بصوتٍ خفيض: «إيجريت، مانس لا يستطيع الانتصار في هذه الحرب».

ردَّت بعناد: «بل يستطيع! لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو. إنك لم ترَ شعب الأحرار يُقاتِل من قبل!».

الهَمج يُقاتِلون كالأبطال أو كالشَّياطين، الإجابة تختلف حسب مَن تسأله، لكن خُلاصتها دائمًا واحدة. إنهم يُقاتِلون بشَجاعةٍ عمياء، كلُّ واحدٍ منهم يشتهي المجد لنفسه. «لا أشكُّ في كونكم شُجعانًا جميعًا، لكن في المعركة يهزم الانضباط الإقدام كلَّ مرَّة، وفي النِّهاية سيفشل مانس كما فشلَ كلُّ ملوك ما وراء الجِدار من قبله، وعندما يفشل ستموتون جميعًا».

لاحَ على إيجريت غضب شديد جعلَه يحسب أنها ستلطمه، وقالت: «سنموت جميعًا. أنت منا. إنك لم تَعُد غُرابًا يا چون سنو. لقد أقسمتُ أنك لست كذلك، فخيرٌ لك ألَّا تكون»، ودفعَته إلى جذع شجرةٍ وألصقَت شفتيها بشفتيه وهما في منتصَف الطَّابور المتقدِّم بلا نظام، وسمعَ چون جريج التَّيس يحثُّها على التَّقدُّم بينما ضحكَ واحد آخَر، لكنه بادلَها القُبلة على الرغم من هذا، ولمَّا افترقا أخيرًا كان وجهها مخضَّبًا بالحُمرة، وقالت له هامسةً: «أنت لي، لي مِثلما أنا لك، وإذا لم يكن من الموت بُد فلنَمُت. كلُّ البَشر يُدرِكهم الموت يا چون سنو، لكن أولًا سنعيش».

أجابَها بصوتٍ ثقيل: «نعم، أولًا سنعيش».

منحَته ابتسامةً عريضةً كشفَت عن أسنانها المعوجَّة التي وقعَ بشكلٍ ما في هواها، وكرَّر لنفسه وفي وَهدة معدته إحساس قوي بالسَّقم والحُزن: همجيَّة حتى النُّخاع. بسطَ أصابع يد السَّيف وضمَّها متسائلًا عمَّا ستفعله إيجريت إذا أدركَت ما في قلبه. هل ستخونه إذا أجلسَها وقال لها إنه لا يزال ابن ند ستارك ورجلًا في حَرس اللَّيل؟ لا يأمل ذلك، لكنه لا يجرؤ على المجازَفة. حياة كثيرين تعتمد على بلوغه (القلعة السَّوداء) بوسيلةٍ ما قبل الماجنَر... بافتراض عثوره على فُرصةٍ للفِرار من الهَمج.

كانوا قد نزلوا على وجه (الجدار) الجنوبي عند (الحارس الرَّمادي) المهجورة منذ مئتي عام. جزء من الدَّرجات الحجريَّة الهائلة كان قد انهارَ قبل قرن، ومع ذلك وجدوا النُّزول أسهل كثيرًا من التَّسلُّق، ومن هناك توغَّل بهم ستير في أراضي (الهديَّة) لتحاشي دوريَّات حَرس اللَّيل المنتظمة، وقادَهم جريج متجاوزًا بهم القُرى المعدودة التي ظلَّت مأهولةً في هذه الأنحاء. ما عدا بعض الأبراج المستديرة التي تخزُ السَّماء كأصابع حجريَّة لم يروا أثرًا لإنسان، وعبر التِّلال البارِدة المبتلَّة والسُّهول العاصفة زحفوا، لا يراهم أحد، لا يَشعُر بهم أحد.

لا ترفُض مهما طلبوا منك. اركب معهم، كُل معهم، قاتِل معهم طيلة ما يلزم من وقت. هكذا تكلَّم ذو النِّصف يد، وركبَ چون معهم فراسخ طويلة ومشى فراسخ أكثر، وتقاسمَ معهم العيش والملح، ونامَ مع إيجريت تحت أغطيتها، لكنهم ما زالوا لا يثقون به، يُراقِبه الثِّنيون طيلة اللَّيل والنَّهار متحفِّزين لأول بادرة خيانة. إنه لا يستطيع الهرب منهم، وقريبًا سيفوت الأوان.

قاتِل معهم، قال كورين ثم سلَّم حياته إلى (المخلب الطَّويل)... لكن الأمور لم تصل لذلك الحَدِّ حتى الآن. بمجرَّد أن أريق دماء أحد إخوتي فأنا ضائع. عندها سأعبرُ (الجِدار) إلى الأبد بلا سبيل للعودة.

عقب مسيرة كلِّ يوم يستدعيه الماجنَر ليُلقي عليه أسئلةً مباشرةً ثاقبةً عن (القلعة السَّوداء) وحاميَتها ودفاعاتها، فيكذب متى استطاعَ ويدَّعي الجهل من حينٍ إلى آخَر، لكن جريج التَّيس وإروك يُنصِتان لكلامه كذلك، وهما يعلمان ما يكفي لأن يتوخَّى چون الحذر في ردوده، ذلك أن كذبةً سافرةً واحدةً كفيلة بالبوح بالحقيقة.

لكن الحقيقة مريعة، فـ(القلعة السَّوداء) بلا دفاعات على الإطلاق باستثناء (الجِدار) نفسه، وتفتقر إلى مجرَّد السُّوج الخشبيَّة أو السَّواتر التُّراب. «القلعة» ليست إلَّا مجموعةً من الأبراجِ والحصون التي آلَ ثُلثاها إلى السُّقوط، وبالنِّسبة إلى الحامية فقد أخذَ الدُّب العجوز مئتين من رجالها في حملته. هل عادوا؟ لا يدري. قد يَبلُغ عدد الباقين في القلعة الأربعمئة، لكن معظمهم من البنَّائين أو الوُكلاء وليس الجوَّالة.

الثِّنِّيون مُحاربون مخضرمون، وأكثر انضباطًا من عموم الهَمج، ولا شَكَّ أن مانس اختارَهم لهذا السَّبب. أمَّا المدافعون عن (القلعة السَّوداء) فيتضمَّنون المِايستر إيمون الأعمى ووكيله كلايداس شِبه الأعمى، ودونال نوي ذا الذِّراع الواحدة، والسِّپتون سلادور السِّكِّير، وديك فولارد الأصم، والطَّاهي هوب ذا الثَّلاثة أصابع، والسير وينتون ستاوت العجوز، بالإضافة إلى هالدر وتودر وپيپ وآلبت وبقيَّة الصِّبية الذين تدرَّبوا مع چون، وسيكون قائدهم باون مارش قيِّم الوُكلاء الممتلئ أحمر الوجه، الذي عُيِّنَ أمينًا للقلعة في غياب اللورد مورمونت. أحيانًا يدعو إد الكئيب مارش بالرُّمَّانة العجوز، وهو اللَّقب الذي يُلائمه تمامًا كما يُلائِم لقب الدُّب العجوز مورمونت، ويُضيف إد بنبرته الكالحة المعتادة: «مارش هو مَن تُريده في الطَّليعة عندما تُواجِه الأعداء في الميدان، فسيُحصيهم لك بمنتهى الدِّقَّة. إنه شيطان في العَد».

إذا داهمَ الماجنَر (القلعة السَّوداء) على حين غرَّة ستكون مجزرةً حمراء، صِبية يُذبَّحون في أسرَّتهم قبل أن يُدركوا أنهم يتعرَّضون لهجوم. يجب أن يُحَذِّرهم، لكن كيف؟ إنهم لا يُرسِلونه لجمع الطَّعام أو الصَّيد أبدًا، ولا

يسمحون له بالوقوف حراسةً بمفرده. ثم إنه يخشى على إيجريت أيضًا، فلا يُمكنه أن يأخذها معه، لكن إذا تركَها فهل يجعلها الماجنَر تدفع ثَمن خيانته؟ قلبان ينبضان كواحد...

إنهما يتقاسَمان جلود النَّوم نفسها كلَّ ليلة، ويغيب چون عن الوعي ورأسها على صدره وشَعرها الأحمر يُدَغدِغ ذقنه، حتى أصبحَت رائحتها جزءًا منه. أسنانها المعوجَّة، إحساسه بثديها إذ يحتويه بيده، مذاق ثغرها... تلك الأشياء فرحته ويأسه، وفي ليالٍ كثيرة يرقد وإلى جواره جسد إيجريت الدَّافئ، يتساءَل إن كان السيِّد والده شعرَ بهذه الحيرة نحو أمِّه أيًّا كانت. نصبَت إيجريت الفَخ ودفعَني مانس رايدر إليه.

كلُّ يوم يقضيه بين الهَمج يجعل ما عليه أن يفعله أصعب وأصعب. يجب أن يَجد وسيلةً يخون بها هؤلاء الرِّجال، وعندما يخونهم سيموتون. إنه لا يرغب في صداقتهم كما لم يرغب في حُبِّ إيجريت، وعلى الرغم من ذلك... الثِّنيون يتكلَّمون اللُّغة القديمة، ونادرًا ما يُحَدِّثون چون، لكن الأمر يختلف مع هجَّانة چارل الذين تسلَّقوا (الجدار) وبدأ چون يتعرَّف إليهم رغم أنفه، إلى إروك الهزيل السَّريع وجريج التَّيس المغرم بصُحبة الآخَرين، وإلى الصَّبيَّين كورت وبودچر، ودان القنِّبي صانع الحبال، وهذا بخلاف دِل، أسوأهم على الإطلاق، الصَّبي ذي وجه الحصان الذي يُقارِب چون في السِّنِّ، ويتكلَّم حالمًا عن الهمجيَّة التي ينوي أن يختطفها. «إنها محظوظة مِثل فتاتك إيجريت، قبَّلتها النَّار».

ويلزم چون الصَّمت مرغمًا. إنه لا يُريد أن يعرف شيئًا عن فتاة دِل أو أمِّ بودچر، أو المكان الملاصق للبحر الذي جاءَ منه هنك ذو الدَّفَّة، أو شوق جريج إلى زيارة الرِّجال الخُضر على (جزيرة الوجوه)، أو المرَّة التي طاردَ فيها أيل توفينجر أعلى شجرة. لا يُريد أن يسمع شيئًا عن البثرة التي على مؤخِّرة بثرة الكبير، أو كميَّات المِزر التي يستطيع ذو الإبهام الحجري أن يشربها، أو إلحاح أخي كورت الصَّغير عليه ألَّا يذهب مع چارل. كورت في الرَّابعة عشرة من العُمر على الأكثر، لكنه اختطفَ لنفسه زوجةً بالفعل وطفله الأول في الطَّريق، وهو ما قال عنه: «ربما يولَد في قلعةٍ ما، يولَد في قلعة كاللوردات!». كان مأخوذًا للغاية بما رأوه من «قلاع»، أي أبراج الحراسة بالأحرى.

تساءلَ چون أين جوست الآن. هل رجعَ إلى (القلعة السَّوداء) أم أنه يَركُض في الغابة مع قطيع ذئابٍ ما؟ إنه لا يستشعر وجود الذِّئب الرَّهيب على الإطلاق، حتى في أحلامه، وجعلَه هذا يحسُّ كأن جزءًا من ذاته قد اقتُطِعَ، وحتى وإيجريت نائمة إلى جواره يَشعُر بالوحدة.

وچون لا يُريد أن يموت وحيدًا.

مع حلول أصيل هذا اليوم بدأت الأشجار تقلُّ وتحرَّكوا عبر سهولٍ ناعمة التَّموُّجات، ترتفع فيها أعواد العُشب حتى الخاصرة من حولهم وتتمايَل سنابل القمح البرِّي بتراخ مع كلِّ دفقةٍ من الرِّيح، وإن كان النَّهار في الغالب دافئًا صافيًا. لكن مع دنوِّ الغروب بدأ السَّحاب القاتم يُعلِن وعيده من الغرب، وسرعان ما أخفى الشَّمس البرتقاليَّة، وتنبَّأ لِن بهبوب عاصفةٍ سيِّئة. كانت أمُّه ساحرة غابة، واتَّفق المُغيرون جميعًا على أنه موهوب في التَّنبُّؤ بأحوال الطَّقس.

قال جريج التَّيس للماجنَر: «ثمَّة قرية قريبة، تَبعُد ميلين أو ثلاثة على الأكثر. يُمكننا أن نلجأ إليها»، فوافقَ ستير في الحال.

كان الظَّلام قد توغَّل كثيرًا والعاصفة تزأر بكلِّ عنفوانها حين بلغوا وجهتهم أخيرًا. تطلُّ القرية على بحيرة، وقد هُجِرَت منذ زمنٍ طويل حتى إن أغلب منازلها قد تهاوى، بما فيها الخان الخشبي الصَّغير الذي تداعى سقفه ونِصف جُدرانه، بَعد أن كان منظره مسرَّةً لأعيُن المسافرين فيما مضى. فكَّر چون بكآبة: لن نجد ملاذًا يصلُح هنا. كلما ومضَ البرق رأى البُرج الحجري المستدير الذي يرتفع على جزيرةٍ في منتصَف البحيرة، لكن لا سبيل لبلوغه في غياب القوارب.

سبقَهم إروك ودِل متسلِّليْن لاستطلاع الأطلال، لكن دِل عادَ في الحال تقريبًا، فأوقفَ ستير الطَّابور وأرسلَ دستةً من الثِّنِّيين قبلهم وفي أيديهم الحِراب. عندئذٍ كان چون أيضًا قد رأى وهج النَّار الذي صبغَ مدخنة الخان بالأحمر. لسنا وحدنا. تلوَّى الخوف في داخله كالثُّعبان، وسمعَ حصانًا يصهل ثم صيحةً. اركب معهم، كُل معهم، قاتِل معهم.

لكن القتال انتهى سريعًا، وقال إروك حين عادَ: «واحد فقط، عجوز بحصان».

جأرَ الماجنَر بأمرٍ باللُّغة القديمة، فانتشرَ عشرون من رجاله ليُشكِّلوا محيط حراسةٍ حول القرية، بينما شرعَ آخرون في استكشاف المنازل ليتأكَّدوا من أن لا أحد آخَر مختبئ وسط الحشائش والأحجار السَّاقطة، وتزاحمَ الباقون في الخان الذي انهارَ سقفه وراحوا يتدافَعون ليدنوا أكثر من المستوقَد. كانت الأغصان المكسورة التي أحرقَها العجوز تُصدِر دُخانًا أكثر من الحرارة، لكن أيَّ دفءٍ على الإطلاق محبَّذ في ليلةٍ مطيرةٍ عاصفة كهذه.

كان اثنان من الثِّنِّيين قد طرحا العجوز أرضًا وأخذا يُنَقِّبان في أغراضه، فيما أمسكَ ثالث حصانه وشرعَ ثلاثة غيرهم في نهب جرابَيْ السَّرج.

ابتعدَ چون ساحقًا تفَّاحةً عفنةً بحذائه وقائلًا لنفسه: سيقتُله ستير. هذا ما قاله الماجنَر وهُم في (الحارس الرَّمادي)، إن أيَّ راكع يلتقونه سيموت في الحال ليضمنوا ألَّا يُنذِر الآخَرين. اركب معهم، كُل معهم، قاتِل معهم. أيعني هذا أن عليه أن يقف أبكم عاجزًا بينما ينحرون رجلًا عجوزًا؟

قُرب حدود القرية وجدَ نفسه وجهًا لوجهٍ مع أحد الحُرَّاس الذين عيَّنهم ستير، فدمدمَ الثِّنِّي بشيءٍ ما باللُّغة القديمة وأشارَ بحربته نحو الخان، وخمَّن چون أنه يأمره بالعودة إلى حيث ينتمي. لكن أين هذا؟

سارَ نحو الماء واكتشفَ بُقعةً شِبه جافَّة تحت حائطٍ مائلٍ من الجِصِّ والأغصان المجدولة لكوخٍ متهدِّم، وهناك وجدَته إيجريت جالسًا يُحَدِّق إلى البحيرة التي يجلد المطر صَفحتها. قال لها لمَّا جلسَت إلى جواره: «أعرفُ هذا المكان. هذا البُرج... انظُري إلى القمَّة عندما يسطع البرق ثانيةً وقولي لي ما ترينه».

قالت: «حسن، إذا أردت»، ثم أضافَت: «بعض الثِّنِّيين يقولون إنهم سمعوا ضجَّةً آتيةً من هنا، صياحًا».

- «إنه الرَّعد».

- «قالوا إنه صياح. ربما تكون الأشباح».

للمعقل منظر كئيب يوحي بأنه مسكون بالأشباح بالفعل، وقد ارتفعَ في العاصفة بلونه الأسود على جزيرته الصَّخريَّة والمطر ينهمر على البحيرة من حوله.

قال لها: «يُمكننا أن نذهب ونُلقي نظرةً. أشكُّ في أننا سنبتلُّ أكثر من هذا».

ردَّت ضاحكةً من اقتراحه: «نسبح؟ في أثناء عاصفة؟ أهذه حيلة لكي أخلع ملابسي يا چون سنو؟».

قال مداعبًا: «وهل أحتاجُ إلى حيلةٍ لتفعلي هذا؟ أم أنكِ لا تستطيعين السِّباحة؟». چون نفسه سبَّاح قوي، إذ تعلَّم هذا الفَنَّ في صباه في خندق (وينترفل) الكبير.

لكمَته إيجريت في ذراعه، وقالت: «لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو. دعني أُخبِرك بأني نِصف سمكة».

- «نِصف سمكة، نِصف عنزة، نِصف حصان... أنصافكِ كثيرة يا إيجريت»، وهَزَّ رأسه مضيفًا: «لسنا في حاجةٍ إلى السِّباحة إذا كان هذا هو المكان الذي أفكرُ فيه. يُمكننا أن نمشي».

تراجعَت عنه ورمقَته باستغراب قائلةً: «نمشي على الماء؟ أيَّ شعوذةٍ جنوبيَّة هذه؟».

بدأ يقول: «ليست شعـ...»، لكن لسانًا هائلًا من البرق قاطعَه شاقًّا السَّماء ومَسَّ سطح البحيرة، وسطعَ العالم لحظةً كأنه في منتصَف الظَّهيرة، وتبعَه هزيم الرَّعد المدوِّي جاعلًا إيجريت تشهق وتُغَطِّي أُذنيها. سألَها چون والصَّوت يخفت والليل يعود أسود من جديد: «هل نظرتِ؟ هل رأيتِ؟».

أجابَت: «أصفر. أهذا ما تعنيه؟ بعض الأحجار الواقفة على السَّطح كان أصفر».

- «نُسَمِّيها شُرَّافات. لقد طلوها بالذَّهبي قبل زمنٍ طويل. هذا البُرج اسمه (تاج الملكة)».

عبر البحيرة عادَ البُرج إلى سواده السَّابق، لا يبدو أكثر من هيكلٍ مظلم يُرى بصعوبة، وسألَته إيجريت: «هل عاشَت ملكة هنا؟».

- «بل قضَت ليلةً واحدةً». كانت العجوز نان قد حكَت له القصَّة، لكن المايستر لوين أكَّد معظمها. «الملكة أليسين زوجة الملك چهيرس المُصلح. يُسَمَّى الملك العجوز لأنه حكمَ أعوامًا طويلةً، لكنه كان شابًّا حين اعتلى العرش الحديدي. في تلك الأيام اعتادَ أن يجوب البلاد كلَّها، وعندما زارَ (وينترفل) أحضرَ معه ملكته وستَّة تنانين ونِصف بلاطه. كانت لدى الملك أمور عليه أن يُناقِشها مع حاكم الشَّمال، وأصيبَت أليسين بالملل، فامتطَت

تنِّينتها سيلفروينج وحلَّقت شمالًا لترى (الجدار)، وكانت هذه القرية من الأماكن التي توقَّفت فيها. بَعدها طلى أهل القرية قمَّة معقلهم لتبدو كالتَّاج الذَّهبي الذي اعتمرَته لمَّا أمضَت ليلةً بينهم».

- «لم أرَ تنِّينًا قطّ».

- «لا أحدَ رأى أيَّ تنانين منذ مئة عامٍ أو أكثر، عندما ماتَ آخِرها، لكن هذا كان قبل ذاك».

- «تقول الملكة أليسين؟».

- «الملكة الكريمة أليسين كما لقَّبوها لاحقًا. إحدى قلاع (الجدار) سُمِّيَت تيمُّنًا بها أيضًا، (بوَّابة الملكة)، لكن قبل زيارتها كان اسمها (بوَّابة الثَّلج)».

- «كان عليها أن تهدم (الجدار) إذا كانت بذلك الكرم».

لا. (الجدار) يحمي البلاد، يحميها من (الآخَرين)... ومنك ومن بني جِلدتكِ أيضًا يا حُلوتي. «كان لي صديق آخَر اعتادَ أن يَحلُم بالتَّنانين، قزم. قال لي...».

- «چون سنو!».

فوقهما وقفَ أحد الثَّنِّيين يقول عابسًا: «ماجنَر يُريد». خطرَ لچون أنه الرَّجل نفسه الذي وجدَه خارج الكهف في اللَّيلة السَّابقة لصعودهم (الجدار)، وإن لم يكن متأكِّدًا من هذا. هكذا نهضَ وذهبَت إيجريت معه، وهو الشَّيء الذي يجعل ستير يتجهَّم دومًا، لكن متى حاولَ صرفها ذكَّرته بأنها امرأة حُرَّة وليست راكعةً، ولها أن تذهب وتجيء حيثما شاءَت.

وجدا الماجنَر واقفًا تحت الشَّجرة النَّامية في منتصَف أرضيَّة قاعة الخان العامَّة، وقد ركعَ أسيره أمام المستوقَد محاصَرًا بالحِراب الخشب والسُّيوف البرونز، يُراقِب چون يدنو وإنما بلا كلام. كان المطر يسيل على الجدارين القائمين ويضرب الأوراق القليلة الأخيرة التي ظلَّت متمسِّكةً بالفروع، على حين تصاعدَ الدُّخان بكثافةٍ من النَّار.

قال الماجنَر ستير: «يجب أن يموت. اقتُله أيها الغُراب».

لم ينبس العجوز ببنت شفة، واكتفى بالتَّطلُّع إلى چون الواقف بين الهَمج. وسط المطر والدُّخان، وفي غياب كلِّ ضوءٍ باستثناء وهج النَّار، لا يُمكن

أن يرى الرَّجل أن ثياب جون كلَّها سوداء ما عدا معطفه المفصَّل من جِلد الخراف. أم يُمكنه؟

امتشقَ جون مخلبه الطَّويل من غِمده، فغسلَ المطرِ الفولاذ وأضاءَت النَّار حافة النَّصل بلونٍ برتقاليٍّ كئيب. نار أصغر من أن تُكَلِّف رجلًا حياته. تذكَّر ما قاله كورين ذو النِّصف يد حين أبصروا النَّار المشتعلة أعلى (الممر الصَّادح): النَّار تعني الحياة هنا، لكن يُمكنها أن تعني الموت أيضًا. لكن ذلك كان في أعالي (أنياب الصَّقيع)، في براري ما وراء (الجدار) حيث لا شرائع أو قوانين، لكنهم هنا في أراضي (الهديَّة) التي يحميها حَرس اللَّيل وقوَّة (وينترفل)، والمفترَض أن يُشعِل المرء نارًا يتدفَّأ بها هنا ولا تكون عاقبته الموت.

قال ستير: «فيمَ تردُّدك؟ اقتُله وافرُغ من الأمر».

ومع ذلك ظَلَّ العجوز لائذًا بالصَّمت. كان يُمكنه أن يقول: الرَّحمة، أو: لقد أخذتم حصاني ونقودي وطعامي، فدعوني أحتفظ بحياتي، أو: لا، أرجوكم، إنني لم أمسَّكم بسوء. كان من الممكن أن يقول ألف شيء، أو يبكي، أو يتوسَّل النَّجدة من آلهته، لكن لا كلام سيُنقِذه الآن، وربما يعلم هذا بالفعل، ولذا ظَلَّ صامتًا ورمقَ جون بعينين ملؤهما الضَّراعة والاتِّهام.

لا تَرفُض مهما طلبوا منك. اركب معهم، كُل معهم، قاتِل معهم... لكن هذا العجوز لم يُقاوِم، وكلُّ ما هنالك أنه مُنِيَ بحَظٍّ عاثر. مَن يكون، ومن أين جاءَ، وإلى أين انتوى أن يذهب بحصانه البائس ذي الظَّهر المحدَّب... لا شيء من هذا يهمُّ حقًّا.

قال جون لنفسه: إنه عجوز في الخمسين من العُمر، وربما السِّتِّين، أي أنه عاشَ حياةً أطول من أغلب النَّاس. الثِّنيُّون سيقتُلونه على كلِّ حال، ولا شيء أقوله أو أفعله سيحول دون هذا. أحسَّ بـ(المخلب الطَّويل) أثقل من الرَّصاص في يده، أثقل من أن يرفعه، وظَلَّ الرَّجل يَرمُقه بعينين سوداوين واسعتين كأنهما بئران. سأسقطُ في هاتين العينين وأغرقُ. كان الماجنَر أيضًا يُسَلِّط عليه نظراته الثَّابتة حتى كادَ جون يتذوَّق شكوكه. الرَّجل ميِّت في جميع الأحوال، فما الفا

رق إذا ماتَ بيدي؟ ضربة واحدة تكفي، ضربة سريعة نظيفة، فالـ(مخلب الطَّويل) من الفولاذ الڤاليري. مِثل (جليد). تذكَّر قتْلةً أخرى... المتهرِّب

على رُكبتيه، رأسه يتدحرَج، الدَّم يلتمع على الثَّلج... وسيف أبيه، وكلمات أبيه، ووجه أبيه...

حثَّته إيجريت قائلةً: «هلمَّ وافعلها يا چون سنو. يجب أن تفعلها كي تُثبِت أنك لست غُرابًا، بل فرد من شعب الأحرار».

- «أقتلُ رجلًا مسنًّا جالسًا إلى جوار نار؟».

حدجَته بنظرةٍ قاسية وهي تقول: «أورل كان جالسًا إلى جوار نارٍ أيضًا، لكنك لم تتردَّد في قتله. ثم إنك كنت ستَقتُلني أيضًا إلى أن رأيت أنيَ امرأة، وكنتُ نائمةً كذلك».

- «هذا غير ذاك. كنتم جنودًا... نواطير».

- «نعم، وأنتم أيها الغِربان لم تُريدوا أن يراكم أحد، تمامًا كما لا نُريد أن يرانا أحد الآن. لا فرق إذن. اقتُله».

أدارَ ظَهره للرَّجل مجيبًا: «لا».

طويلًا باردًا مهدِّدًا دنا منه الماجنَر وخاطَبه قائلًا: «وأنا أقولُ نعم. إنني القائد هنا».

- «قائد الثِّنِّيين وليس الأحرار».

- «لا أرى أحرارًا، أرى غُرابًا وزوجته».

صاحَت إيجريت: «لستُ زوجة غُراب!»، وانتزعَت خنجرها من غِمده، وتقدَّمت من العجوز بثلاث خُطوات واسعة سريعة، وشدَّت رأسه إلى الوراء من شَعره وشقَّت حَلقه من الأُذن إلى الأُذن. حتى في موته لم يُصدِر الرَّجل صوتًا، أمَّا إيجريت فزعقَت: «لست تعلم شيئًا يا چون سنو!»، وألقَت الخنجر الدَّامي عند قدميه.

قال الماجنَر شيئًا باللُّغة القديمة، ربما آمرًا الثِّنِّيين بأن يَقتُلوا چون حيث يقف، لكنه لن يتيقَّن من ذلك أبدًا. طعنَ البرق السَّماء، ومَسَّ لسانه الأبيض المزرق اللَّافح قمَّة البُرج في منتصَف البحيرة، وشَمُّوا جميعًا غضبته في الجو، وحين تبعَه الرَّعد ارتجَّ اللَّيل ارتجاجًا.

ووثبَ الموت بينهم.

أغشى وميض البرق بصر چون، لكنه لمحَ الظِّلَّ المندفع قبل أن يسمع الصَّرخة، وماتَ أول ثِنِّي كما ماتَ العجوز والدِّماء تتفجَّر من حَلقه الممزَّق،

ثم غابَ الضَّوء ودارَ الشَّبح المزمجر مبتعدًا، وسقطَ رجل ثانٍ في الظَّلام. سمعَ چون سبابًا وصياحًا وعويل الألم، ورأى بثرة الكبير يتعثَّر ويَسقُط إلى الوراء مُسقطًا ثلاثة رجالٍ معه، وتملَّكه الخبال لحظةً فقال في أعماقه: إنه جوست، جوست وثبَ من فوق (الجدار)، ثم أحالَ البرق اللَّيلَ إلى نهار، ورأى الذِّئب الواقف على صدر دِل والدَّم الأسود يسيل من بين فكَّيه، ففكَّر: رمادي، لونه رمادي.

عادَت الظُّلمة تنزل مع قصْف الرَّعد، وراحَ الثِّنِّيون يطعنون الهواء بحِرابهم إذ اندفعَ الذِّئب بينهم، على حين تراجعَت فَرس العجوز رافعةً قائمتيها الأماميَّتين وقد أهاجَتها رائحة المذبحة وأخذَت تَرفُس بحافريْها. كانَ (المخلب الطَّويل) لا يزال في يده، وفي الحال رأى چون سنو أن فُرصةً أفضل لن تُواتيه أبدًا.

جندلَ الرَّجل الأول وهو يلتفت إلى الذِّئب، وانطلقَ دافعًا الثَّاني، وضربَ الثَّالث بسيفه، وفي معمعة الجنون سمعَ أحدًا يصيح باسمه، لكنه لا يدري إن كان إيجريت أم الماجنَر. لم يرَه الثِّنِّي الذي يُكافح للسَّيطرة على الفَرس، وفي يده كان (المخلب الطَّويل) بخفَّة الرِّيشة، وبه هوى على مؤخِّرة رَبلة ساق الرَّجل وأحسَّ به يغوص فيها حتى العظم. اندفعَت الفَرس تعدو حين سقطَ الهمجي، إلَّا أن چون استطاع بوسيلةٍ ما أن يتمسَّك بعُرفها بيده الخالية ويثب على ظَهرها. أطبقَت يد على كاحله، فهوى عليها بضربةٍ ورأى وجه بودچر يغيب وراء شلَّالٍ من الدَّم، ومرَّةً أخرى رفعَت الفَرس قائمتيها الأماميَّتين، وضربَ حافرها أحد الثِّنِّيين في صُدغه ليسحقه.

ثم إنهما انطلقا راكضيْن، ولم يبذل چون مجهودًا لتوجيه الفَرس وهو يُناضِل للبقاء على متنها وهما يندفعان في الوحل والمطر والبرق. صفعَه العُشب المبتل على وجهه، وحلَّقت حربة إلى جوار أُذنه، وفكَّر: إذا تعثَّر الحصان وكسرَ ساقًا فسيلحقون بي ويقتُلوني، لكن الآلهة القديمة كانت معه، ولم تتعثَّر الفَرس.

سطعَ البرق الرَّاجف في قبَّة السَّماء السَّوداء وهزمَ الرَّعد عبر الحقول، وسرعان ما خفتَ الصِّياح من ورائه وذوَى.

توقَّفت الأمطار بَعد ساعاتٍ طويلة، ووجدَ چون نفسه في بحرٍ من الكلأ

الأسود الطَّويل. أحسَّ بوجع نابض عميق في فخذه اليُمنى، فلمَّا نظرَ إليها أدهشَه أن يرى سهمًا يَبرُز منَ مؤخِّرتها. متى حدثَ هذا؟ أمسكَ قناة السَّهم وحاولَ أن يجذبه، لكن رأسه كان مغروسًا تمامًا في لحم ساقه التي اشتعلَت ألمًا فظيعًا حين جرَّب أن يسحبه. حاولَ أن يستعيد ما جرى في الخانِ من جنون، لكنه لم يُفلح إلَّا في تذكُّر الوحش الرَّمادي النَّحيل الرَّهيب. كان أكبر من أن يكون ذئبًا تقليديًّا. إنه ذئب رهيب إذن، لا بُدَّ أنه كذلك. لم يرَ حيوانًا يتحرَّك بهذه السُّرعة قَطُّ... كريح رماديَّة... أيُمكن أن روب عادَ إلى الشَّمال؟

هَزَّ چون رأسه. إنه لا يملكُ إجابات، والتَّفكير عسير حقًّا... في الذِّئب، في العجوز، في إيجريت، في أيِّ شيء...

بحركةٍ خرقاء نزلَ من على ظَهر الفَرس، وانثنَت ساقه الجريحة من تحته وجعلَته يبتلع صرخةً. سيكون هذا عذابًا. يجب أن يُخرِج السَّهم، فلا خير سيأتي من الانتظار. كوَّر چون يده حول الرِّيشة والتقطَ نفسًا عميقًا ودفعَ السَّهم إلى الأمام. أطلقَ أنينًا ثم سبابًا، واضطرَّ للتوقُّف من فرط الألم قائلًا لنفسه: إنني أنزفُ كخنزير مذبوح، لكن لا سبيل لإيقاف النَّزيف ما لم يُخرِج السَّهم أولًا. هكذا أطبقَ فَكَّيه وحاولَ ثانيةً... ثم عادَ يتوقَّف مرتجفًا. مرَّةً أخرى. وهذه المرَّة صرخَ، لكن حين انتهى كان رأس السَّهم يَبرُز من مقدِّمة فخذه، فأزاحَ چون سراويله الدَّامية من أجل مسكةٍ أفضل، وأطبقَ فَكَّيه مجدَّدًا، وبتؤدةٍ سحبَ القناة عبر ساقه، ولا يدري كيف فعلَ ذلك من دون أن يَفقد الوعي.

تمدَّد على الأرض بَعدها ممسكًا غنيمته، وينزف ببُطءٍ دون أن يقوى على الحراك، لكنه أدركَ بَعد قليلٍ أنه سينزف حتى الموت إذا لم يُجبر نفسه على الحركة، فزحفَ إلى الجدولِ الضَّحل الذي ترتوي منه الفَرس، وغسلَ فخذه بالمياه الباردة، ثم أحكمَ ربطها بقطعةٍ من القماش مزَّقها من معطفه، وغسلَ السَّهم أيضًا مدوِّرًا إياه في يده. هل الرِّيشة رماديَّة أم بيضاء؟ دائمًا ما تُركِّب إيجريت على سهامها ريش إوزٍّ رماديًّا باهتًا. هل رمَتني بسهم وأنا أهربُ؟ لا يُمكنه أن يلومها إذا فعلَت، لكنه تساءلَ إن كانت صوَّبت عليهَ أم على الفَرس. لو سقطَت الفَرس لهلكَ بكلِّ تأكيد، ولذا تمتمَ: «من حُسن طالعي أن ساقي اعترضَت الطَّريق».

استراحَ بعض الوقت تاركًا الفَرس ترعى، وسرَّه أنها لم تبتعد كثيرًا، فلا يُمكنه أن يلحق بها أبدًا وهو يحجل على ساقٍ واحدة. بذلَ جهده كلَّه ليُرغِم نفسه على القيام وامتطاء الفَرس من جديدٍ متسائلًا في نفسه: كيف استطعتُ ركوبها من قبل بلا سَرجٍ أو رِكابيْن وفي يدي سيف؟ سؤال آخَر لا يملك عليه إجابةً.

سمعَ الرَّعد يُدَوِّي بخفوتٍ من بعيد، لكن من فوقه كانت السُّحب تتشتَّت، وبحثَ چون في السَّماء عن كوكبة (التنِّين الجليدي)، ثم وجَّه الفَرس شمالًا نحو (الجدار) وقلعته السَّوداء. جعلَ نبض الألم في عضلة فخذه ملامحه تتقلَّص، إذ همزَ حصان العجوز بكعبيه، وقال لنفسه: إنني عائد إلى الدِّيار. لكن إذا كان هذا صحيحًا، فلِمَ يَشعُر بكلِّ هذا الخواء؟

ركبَ چون حتى مطلع الفَجر والنُّجوم تتطلَّع إليه من أعلى كأنها أعيُن تُراقبه.





چورچ ر. ر. مارتن

أغنيَّة الجَليد والنَّار

الكتاب الثَّالث

عاصفة السُّيوف

الجزء الثاني



الكتاب: عاصفة السُّيوف II (الكتاب الثَّالث من أغنيَّة الجَليد والنَّار) / رواية

المؤلف: چورچ ر. ر. مارتن

ترجمة: هشام فهمي

عدد الصفحات: 640 صفحة

الترقيم الدولي: 978-614-472-015-8

رقم الإيداع : 3036 / 2018

الطبعة الأولى: 2018

Printed by Sahara Printing Company

هذه ترجمة مرخّصة لكتاب:

A Storm of Swords by George R..R. Martin

Published by agreement with the author and the author's agents, The Lotts Agency Ltd

Heraldic crests by Virginia Norey

Jacket design: David Stevenson

Jacket illustration: © Larry Rostant

الناشر

دار التنوير للطباعة والنشر

لبنان: بيروت - بئر حسن - سنتر كريستال، الهزيم - الطابق الأول

هاتف: 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

مصر: القاهرة - 2شارع السرايا الكرى (فؤاد سراج الدين سابقا) - جاردن سيتي

هاتف: 002022795557

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

تونس: 24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tunis@dar - altanweer.com

موقع إلكتروني: www.dar - altanweer.com



چورچ ر. ر. مارتن

أغنيَّة الجَليد والنَّار

الكتاب الثَّالث

عاصفة السُّيوف

الجزء الثاني

ترجمة: هشام فهمي





دنيرس

أخبرَها كشَّافتها الدوثراكي بحقيقة الوضع، لكنها أرادَت أن ترى بنفسها، وركبَ السير چورا مورمونت معها عبر غابةٍ من أشجار البَتولة وإلى قمَّة أخدودٍ مائل من الحجر الرَّملي، قال منبِّهًا حين بلغاها: «اقتربنا كفايةً».

كبحَت داني فَرسها ونظرَت عبر الحقول إلى حيث احتشدَ جيش (يونكَاي) معترضًا طريقها. كان ذو اللِّحية البيضاء يُعَلِّمها أفضل طريقةٍ لإحصاء أعداد العدوِّ، فقالت بَعد قليل: «خمسة آلاف».

قال السير چورا: «على ما يبدو»، وأشارَ مضيفًا: «هؤلاء مرتزِقة على الجناحين، رُماة على متن الخيول ورمَّاحون، ويحملون السُّيوف والفؤوس لأجل القتال المباشر. الأبناء الثَّانون إلى الميسرة، وغِربان العاصفة إلى الميمنة، نحو خمسمئة رجلٍ في كلِّ جماعة. هل ترين الرَّايات؟».

في (يونكَاي) تُمسِك الهارپي ببراثنها سوطًا وطوقًا من الحديد بدلًا من السِّلسلة، لكن المرتزِقة يرفعون راياتهم الخاصَّة؛ إلى اليمين أربعة غِربان بين صاعقتَيْ برقٍ متقاطعتَين، وإلى اليسار سيف مكسور. علَّقت داني: «اليونكيُّون يتولُّون القلبَ بأنفسهم». من هذه المسافة لا يبدو ضبَّاطهم مميَّزين عن ضبَّاط (أستاپور)، يعتمرون كلُّهم الخوذات الطَّويلة اللَّامعة ويرتدون المعاطف التي خيطَت عليها الأقراص النُّحاسيَّة البرَّاقة. «هل الجنود الذين يقودونهم عبيد؟».

- «أغلبهم، لكنهم لا يُضاهون المطهَّرين. (يونكَاي) مشهورة بتدريب عبيد الفِراش لا المُحاربين».

- «ما رأيك إذن؟ هل نستطيع هزيمة هذا الجيش؟».

أجابَ السير چورا: «بسهولة».

- «لكن ليس دون سفك دماءٍ غزيرة». يوم سقطَت (أستاپور) تشرَّب قرميد المدينة الكثير من الدِّماء، وإن كان قليل منها للغاية من عروق داني أو قومها. «قد ننتصر في المعركة هنا، لكن تكلفتها ستمنعنا من أخذ المدينة».

- «هذه المخاطَرة قائمة دائمًا يا گاليسي. (أستاپور) كانت غافلةً وضعيفةً، أمَّا (يونكاي) فتلقَّت الإنذار مسبقًا».

أطرقَت مفكِّرةً. جيش النَّخَّاسين يبدو صغيرًا مقارنةً بما معها من أعداد، لكن المرتزقة يمتطون الخيول، ولقد ركبَت داني مع الدوثراكي طويلًا حتى أصبحَت تكِنُّ خالص التَّقدير لما يُمكن أن يفعله الخيَّالة بالمُشاة. المطهَّرون قادرون على التَّصدِّي لهجومهم، لكن رجالي المعتَقين سيُذبَحون لا محالة. «النَّخَّاسون يُحِبُّون الكلام. أخطِرهم بأنني سأسمعُ ما لديهم في خيمتي هذا المساء، وادعُ قادة جماعتَيْ المرتزقة لزيارتي كذلك، لكن ليس معًا. غِربان العاصفة عند الظَّهيرة والأبناء الثَّانون بَعدها بساعتين».

- «كما تشائين، لكن إذا لم يأتوا...».

قالت داني:«سيأتون. لا بُدَّ أنهم يَشعُرون بالفضول لرؤية التِّنانين وسماع ما لديَّ، والأذكياء منهم سيغتنمون فُرصة تقييم قوَّتي»، ودارَت بفَرسها الفضِّيَّة مضيفةً: «سأنتظرهم في سُرادقي».

رافقَتها السَّماء الغائمة والرِّيح السَّريعة في طريق العودة إلى جيشها. كان نِصف الخندق العميق الذي سيُحيط بمعسكرها قد حُفِرَ بالفعل، وامتلأَت الغابة بالمطهَّرين الذين يقطعون فروع أشجار البَتولة ليبروها ويصنعوا منها خوازيق، فالمخصيُّون لا يُمكنهم النَّوم في معسكَرٍ بلا دفاعات، أو أن هذا ما أصرَّ عليه الدُّودة الرَّمادي، الذي وقفَ يُشرِف على العمل. توقَّفت داني لتُكَلِّمه، وقالت: «(يونكاي) شمَّرت أكمامها استعدادًا للمعركة».

- «عظيم يا جلالة الملكة. هؤلاء الآحاد ظمآنون للدَّم».

حين أمرَت المطهَّرين باختيار ضبَّاطٍ من بينهم، فازَ الدُّودة الرَّمادي بالأكثريَّة السَّاحقة لتولِّي أعلى الرُّتب، وعيَّنت داني السير چورا مشرفًا عليه لتدريبه على القيادة. حتى الآن يقول الفارس المنفيُّ، إن الخصيَّ الشَّاب صارم لكنه عادل، وسريع التَّعلُّم ولا يكلُّ أبدًا، بالإضافة إلى اهتمامه البالغ بالتَّفاصيل.

- «الأسياد الحُكماء حشدوا جيشًا من العبيد لمواجَهتنا».

- «العبيد في (يونكاي) يتعلَّمون فَنَّ التَّنهُّدات السَّبعة وأوضاع المتعة الستَّة عشر يا جلالة الملكة، لكن المطهَّرين يتعلَّمون القتال بالحِراب الثِّلاث. دودتكِ الرَّمادي يأمل أن يُريكِ».

من أول الأشياء التي فعلَتها داني عقب سقوط (أستاپور) أنها أبطلَت تقليد إعطاء المطهَّرين أسماء استعبادٍ جديدة كلَّ يوم. معظم من وُلِدوا أحرارًا عادوا إلى أسمائهم الأصليَّة (مَن لا يزال يَذكُر اسمه الأصلي منهم على الأقل) بينما أطلقَ آخَرون على أنفسهم أسماء أبطال أو آلهة، وبعضهم اختار أسماء أسلحة أو أحجار كريمة أو زهور، وهو ما أدَّى إلى عددٍ من الأسماء ذات الوقع الغريب للغاية على أُذنَيْ داني. أمَّا الدُّودة الرَّمادي فظلَّ الدُّودة الرَّمادي، ولمَّا سألَته عن السَّبب أجابَ: «إنه اسم جالب للحَظ. الاسم الذي وُلِدَ به هذا الواحد ملعون، فهو الاسم الذي كان يحمله يوم أخذوه إلى العبوديَّة، لكن الدُّودة الرَّمادي هو الاسم الذي سحبَه هذا الواحد من البرميل يوم أعتقَته دنيرس وليدة العاصفة».

قالت داني: «إذا نشبَت المعركة، فليتحلَّ الدُّودة الرَّمادي بالحكمة إلى جانب الشَّجاعة. لا تَقتُل أيَّ عبدٍ يهرب أو يُلقي سلاحه، فكلما قَلَّ عدد القتلى ازدادَ من ينضمُّون إلينا بَعدها».

- «هذا الواحد سيتذكَّر».

- «إنني واثقة بهذا. كُن في خيمتي عند الظَّهيرة. أريدك هناك مع ضبَّاطي الآخَرين عندما ألتقي قادة المرتزقة»، وهمزَت داني فَرسها نحو المعسكَر.

كانت الخيام تُنصَب في صفوفٍ منتظمة داخل الحدود التي أرساها المطهَّرون، وفي المنتصَف سُرادقها الذَّهبي الطَّويل، فيما أُقيمَ معسكَر آخَر على مقربةٍ يفوق معسكَرها مساحةً خمس مرَّات، وإن ترامَت أطرافه وضربَت فيه الفوضى أطنابها، إذ يخلو منِ الخنادق والخيام والحُرَّاس وصفوف الخيول. مَن يملكون خيلًا أو بغالًا ناموا إلى جوارها خشية أن تُسرَق، وجالَت الماعز والخراف والكلاب الجائعة بحرِّيَّةٍ وسط حشودٍ من النِّساء والأطفال والمسنِّين. كانت داني قد تركَت (أستاپور) في أيدي مجلس من الرَّقيق السَّابقين، يقودهم نِطاسي ومعلِّم وراهب، وقد قرَّرت أنهم جميعًا

رجال حُكماء وعادلون، لكن على الرغم من هذا فضَّل عشرات الآلاف أن يتبعوها إلى (يونكّاي) على البقاء في (أستاپور). أعطيتهم المدينة، لكن السَّواد الأعظم منهم كان أجبن من أن يأخذها.

فاقَت أعداد جيش المعتقَين جيشها مرارًا، لكنهم يُشكّلون عبئًا أكثر من منفعة. ربما يملك واحد من كل مئةٍ حمارًا أو ثورًا أو جملًا، ومعظمهم يحمل أسلحةً مسروقةً من مستودَع سلاح هذا النَّخَّاس أو ذاك، لكن واحدًا فقط من كلِّ عشرةٍ يقوى على القتال، ولا أحد منهم تلقَّى أيَّ تدريبٍ البتَّة. إنهم يأتون على الأخضر واليابس في كلِّ مكانٍ يمرُّون به كجحافل جرادٍ يرتدي الصَّنادل، لكن داني لم تستطِع أن تتخلَّى عنهم كما حثَّها السير چورا وخيَّالة دمها. قلتُ لهم إنهم أحرار، ولا يُمكنني أن أقول لهم الآن إنهم ليسوا أحرارًا في الانضمام إليَّ. تطلَّعت إلى الأدخنة المتصاعدة من بؤر النَّار التي أوقدوها وكتمَت زفرةً حارَّةً. قد يكون معها أفضل جنود مُشاة في العالم، لكن أسوأهم على الإطلاق معها أيضًا.

كان آرستان ذو اللِّحية البيضاء واقفًا أمام مدخل خيمتها، وعلى مقربةٍ جلسَ بِلواس القوي متقاطع السَّاقين على العُشب يأكل تينًا من وعاء. في أثناء الزَّحف وقعَ واجب حراستها على أعتاقهما، كما أنها جعلَت كلًّا من چوجو وآجو وراگارو گو علاوةً على خيَّال دم، والآن تحديدًا تحتاج إليهم لقيادة مَن معها مِن دوثراكي أكثر من حراستها الشَّخصيَّة. صحيحٌ أن گالاسارها صغير، ليس أكثر من ثلاثين ونيِّف من المُحاربين، ومعظمهم صِبية بلا جدائل في شَعرهم ومسنُّون محنيُّو الظَّهر، لكنهم يُمَثِّلون كلَّ سلاح الخيَّالة الذي لديها، ولا تجرؤ على الحركة دونهم. ربما يكون المطهَّرون أفضل جنود مُشاة في العالم كما زعمَ السير چورا، لكنها في حاجةٍ إلى كشَّافة أيضًا.

قالت داني لذي اللِّحية البيضاء داخل الخيمة: «(يونكّاي) تُريد الحرب». كانت إيري وچيكوي قد غطَّتا الأرضيَّة بالبُسط، وأشعلَت ميسانداي عودًا من البخور لتعطير الهواء المترِب، وقد نامَ دروجون وريجال على بعض الوسائد متعانقيْن، وجثَمَ ڤسيريون على حافة حوض الاستحمام. «ميسانداي، ما اللُّغة التي سيتكلَّمها اليونكيُّون؟ الڤاليريَّة؟».

أجابَت الطِّفلة: «نعم يا جلالة الملكة. لكنة مختلفة عن التي يتحدَّثونها في

(أستاپور) لكن مفهومة كفايةً. النَّخَّاسون يُلَقِّبون أنفسهم بالأسياد الحُكماء».

ردَّدت داني: «حُكماء؟»، وجلسَت متقاطعة السَّاقين على وسادة، فبسطَ ڤسيريون جناحيه وحلَّق إلى جانبها، وأضافَت وهي تُداعِب رأس التنِّين الحرشفي وراء قرنيه: «سنرى قَدر حكمتهم».

عادَ السير چورا مورمونت بَعد ساعةٍ ومعه ثلاثة من قادة غِربان العاصفة. كانوا يُثبِّتون ريشًا أسود إلى خوذاتهم اللَّامعة، وادَّعوا أنهم سواسية في المكانة والسُّلطة. تفحَّصتهم داني فيما صبَّت إيري وچيكوي النَّبيذ. پرندال نا غِزن جيسكاري غليظ البنية ذو وجهٍ عريض وشَعر داكن وخطَه الشَّيب، وسالور الأصلع على وجهه الكارثيني الشَّاحب نَدبة متعرِّجة، أمَّا داريو نهاريس فشديد البهرجة، حتى بالنِّسبة لرجلٍ تايروشي، فلحيته مقسَّمة على شكل ثلاث أشواك مصبوغة بالأزرق، اللَّون نفسه الذي تلتمع به عيناه وينسدلُ به شَعره المجعَّد حتى ياقته، وشارباه المدبَّبان مصبوغان بالذَّهبي، وثيابه كلُّها درجات من الأصفر، فتتدلَّى شرائط الزِّينة المايريَّة بلون الزُّبدة من ياقته وكُمَّيه، وتَبرُق رصائع النُّحاس الأصفر على سُترته متَّخذةً شكل زهور الهِندباء البرِّيَّة، وعلى حذائه الجِلدي الطَّويل الذي يَبلُغ عُنقه فخذيه زخارف ذهبيَّة أنيقة، وقد دَسَّ قُفَّازين من الجِلد الأصفر المدبوغ في حزامٍ من الحلقات الذَّهبيَّة، وطلى أظفاره بالمينا الأزرق.

لكن پرندال نا غِزن هو من تكلَّم باسم المرتزقة، وقال: «من صالحكِ أن تأخذي غوغاءكِ إلى مكانٍ آخَر. لقد أخذتِ (أستاپور) بالخيانة، لكن (يونكاي) لن تَسقُط بتلك البساطة».

قالت داني: «خمسمئة من غِربان العاصفة ضد عشرة آلاف من المطهَّرين. إنني مجرَّد فتاةٍ صغيرة ولا أفهمُ طبائع الحرب، لكنني أرى احتمالات فوزكم ضعيفةً».

- «غِربان العاصفة لا يقفون وحدهم».

- «غِربان العاصفة لا يقفون على الإطلاق، بل يفرُّون مع أول بادرةٍ للرَّعد. ربما كان حريًّا بكم أن تفرُّوا الآن. لقد سمعتُ أن المرتزقة مشهورون بغدرهم، فبِمَ سينفعكم الصُّمود عندما يُبدِّل الأبناء الثَّانون ولاءَهم؟».

قال پرندال بإصرارٍ دون أن يبدو عليه تأثُّر: «لن يحدث ذلك أبدًا، وحتى

إذا حدثَ فلا يهمُّ. الأبناء الثَّانون لا شيء. إننا نُقاتِل جنبًا إلى جنبٍ مع أبناء (يونكاي) البواسل».

حرَّكت رأسها فرَنَّ الجرسان التَّوأمان في جديلتها بخفوت، وقالت: «إنكم تُقاتِلون إلى جانب غلمان فِراش مسلَّحين بالحِراب. لا تُحاوِلوا طلب الرَّحمة إذن بمجرَّد أن تبدأ المعركة، لكن إذا انضممتم إليَّ الآن فيُمكنكم الاحتفاظ بالذَّهب الذي نقدَكم إياه اليونكيُّون والحصول على حصَّةٍ من الغنائم أيضًا، بالإضافة إلى ما ستنالونه من مكافآتٍ أكبر حين أعتلي عرش مملكتي. قاتِلوا من أجل الأسياد الحُكماء وسيكون أجركم الموت. هل تحسبون أن (يونكاي) ستفتح أبوابها بينما يُذَبِّحكم المطهَّرون أمام الأسوار؟».

- «إنكِ تنهقين كالحمير يا امرأة، ومِثلها بالضَّبط لا يَخرُج من فمكِ ما يُعقَل».

قهقهَت قائلةً: «امرأة؟ أمِن المفترَض أن تُشعِرني الكلمة بالإهانة؟ كنتُ لأرد الصَّفعة لو حسبتك رجلًا»، وقابلَت نظراتها نظراته وهي تُردِف: «إنني دنيرس وليدة العاصفة، سليلة عائلة تارجارين، التي لم تحترِق، گاليسي خيَّالة دروجو، سيِّدة ممالك (وستروس) السَّبع».

رَدَّ پرندال نا غِزن: «ما أنتِ إلَّا عاهرةُ واحدٍ من سادة الخيول، وعندما نُحطِّمكِ، سأجعلُ فَحلي يُعاشِركِ».

سحبَ بِلواس القوي أراخه قائلًا: «فلتأمر الملكة وسيُعطيها بِلواس القوي هذا اللِّسان القبيح».

قالت باسمةً: «لا يا بِلواس، لقد وعدتُ هؤلاء الرِّجال بالأمان. أخبِروني، هل غِربان العاصفة أحرار أم عبيد؟».

أعلنَ سالور: «إننا أخوَّة من الرِّجال الأحرار».

قامَت داني قائلةً: «عظيم. عودوا إلى إخوتكم وأخبِروهم بما قلته إذن، فلربما يُؤثِر بعضهم تجرُّع المجد والذَّهب بدلًا من الموت. أُريدُ إجابتكم غدًا».

نهضَ قادة غِربان العاصفة معًا، وقال پرندال نا غِزن: «إجابتنا لا»، وتبعَه رفيقاه إلى خارج الخيمة... لكن داريو نهاريس ألقى نظرةً إلى الوراء وهو يُغادِر، وحنا رأسه بتحيَّة وداعٍ مهذَّبة.

بَعد ساعتين وصلَ قائد الأبناء الثَّانين وحده، واتَّضح أنه براڤوسي فارِع الطُّول له عينان شاحبتا الخُضرة ولحية كثيفة بلون الذَّهب الأحمر تكاد تَبلُغ حزامه. اسمه ميرو، لكنه يُلَقِّب نفسه بنغل المارد.

جرعَ ميرو نبيذه دفعةً واحدةً ومسحَ فمه بظَهر يده، ثم رمقَ داني بنظرةٍ شبقة قائلًا: «أعتقدُ أني ضاجعتُ أختكِ التَّوأم في أحد بيوت الهوى في الوطن، أم أنها كانت أنتِ؟».

- «لا أظنُّ، فلما أمكنَني أن أنسى رجلًا بعظمتك هذه بالتَّأكيد».

قال البراڤوسي رافعًا كأسه لچيكوي: «نعم، هذا صحيح. لا امرأة تنسى نغل المارد أبدًا. ما رأيكِ أن تخلعي هذه الثِّياب وتأتي وتجلسي في حِجري؟ إذا أرضيتِني فربما أنقلُ الأبناء الثَّانين إلى صفوفكِ».

- «إذا نقلت الأبناء الثَّانين إلى صفوفي فربما لا آمرُ بإخصائك».

ضحكَ الرَّجل الكبير، وقال: «أيتها الصَّغيرة، امرأة أخرى حاولَت أن تخصيني بأسنانها ذات مرَّة. إنها بلا أسنان الآن، لكن سيفي ما زالَ طويلًا غليظًا كالمعتاد. هل أجرِّده وأريكِ إياه؟».

قالت داني: «لا داعي. بَعد أن يقطعه جنودي المخصيُّون سأتفحَّصه على مهلي»، ورشفَت من النَّبيذ قبل أن تُواصِل: «صحيحٌ أنني مجرَّد فتاةٍ صغيرة ولا أفهمُ طبائع الحرب، فاشرح لي كيف تنوي أن تهزم عشرة آلاف مطهَّر برجالك الخمسمئة. على الرغم من براءتي فإنني أرى احتمالات فوزكم ضعيفةً».

- «الأبناء الثَّانون واجَهوا احتمالاتٍ أسوأ وانتصَروا».

- «الأبناء الثَّانون واجَهوا احتمالاتٍ أسوأ ولاذوا بالفِرار، في (كوهور) يوم صمود الثَّلاثة آلاف، أم أنك تُنكِر هذا؟».

- «كان هذا منذ سنواتٍ طويلة جدًّا، قبل أن يقود نغل المارد الأبناء الثَّانين».

- «أمِنك أنت إذن يستمدُّون شَجاعتهم؟»، والتفتَت داني إلى السير چورا قائلةً: «عندما تبدأ المعركة اقتُله أولًا».

قال الفارس المنفي مبتسمًا: «بكلِّ سرور يا جلالة الملكة».

قالت لميرو: «طبعًا يُمكنكم أن تهربوا من جديد، فلن نُوقِفكم. خُذوا ذهبكم اليونكَي واذهبوا».

- «لو رأيتِ مارد (براڤوس) أيتها الصَّغيرة لعرفتِ أنه بلا ذيلٍ يدسُّه بين قدميه ويهرب».

- «ابقوا إذن وقاتِلوا من أجلي».

قال البراڤوسي: «إنكِ تستحقِّين القتال من أجلكِ بالفعل، وكان ليُسعِدني أن أدعكِ تُقَبِّلين سيفي لو أنني حُر، لكني قبضتُ ذهب اليونكَيِّين وأعطيتهم كلمتي المقدَّسة».

- «من الممكن أن تردَّ الذَّهب. سأدفعُ لك مِثلما دفعوا وأكثر. ما زالَت أمامي مُدن أخرى أغزوها، ومملكة كاملة تنتظرني على الجانب الآخَر من العالم. اخدموني بإخلاص ولن يحتاج الأبناء الثَّانون إلى من يستأجرهم ثانيةً».

كوَّر البراڤوسي قبضته حول لحيته الحمراء الكثَّة قائلًا: «مِثلما دفعوا وأكثر، وربما قُبلة إضافةً إلى هذا، إيه؟ أم أكثر من قُبلة لرجلٍ بعظمتي هذه؟».

- «ربما».

- «أعتقدُ أن مذاق فمكِ سيروقني».

أحسَّت داني بغضب السير چورا، ففكَّرت: دُبِّي الأسود مغتاظ من هذا الكلام عن التَّقبيل. «فكِّر في ما قلته لك اللَّيلة. هل لي أن أحصل على إجابتك غدًا؟».

قال نغل المارد بابتسامةٍ واسعة: «نعم. هل لي بإبريقٍ من هذا النَّبيذ الممتاز آخذه لضبَّاطي؟».

- «فلتأخذ دَنًّا كاملًا. إنه من أقبية أسياد (أستاپور) الكرام، وعندي عربات مليئة به».

- «أعطيني عربةً إذن، علامة على تقديرك».

- «شهيَّتك كبيرة».

- «كلُّ شيء فيَّ كبير، كما أن إخوتي كثيرون. نغل المارد لا يشرب وحده يا گاليسي».

- «عربة إذن، إذا وعدت بأن تشربوا في صحَّتي».

قال بصوتٍ هادر: «اتَّفقنا! واتَّفقنا واتَّفقنا! ثلاثة أنخاب سنشرب في صحَّتكِ، وسنُرسِل لك الإجابة عندما تُشرِق الشَّمس».

لكن حين ذهبَ ميرو قال ذو اللِّحية البيضاء: «لهذا الرَّجل سُمعة شرِّيرة، حتى في (وستروس). لا يُضَلِّلنكِ أسلوبه يا جلالة الملكة. اللَّيلة سيشرب ثلاثة أنخاب في صحَّتكِ وغدًا سيغتصبكِ».

قال السير چورا: «العجوز محقٌّ على سبيل التَّغيير. الأبناء الثَّانون جماعة قديمة، ولا تعوزهم الشَّجاعة، لكنهم أصبحوا أدنى إلى رفقة الشُّجعان تحت قيادة ميرو. الرَّجل خطر على مستأجريه مِثلما هو على أعدائه، ولذا تجدينه هنا، فلا واحدة من المُدن الحُرَّة ترغب في استئجاره ثانيةً».

- «ليست سُمعته ما أريدُ، وإنما خيَّالته الخمسمئة. ماذا عن غِربان العاصفة؟ هل من أمل فيهم؟».

أجابَ السير چورا بلا موارَبة: «لا. پرندال هذا جيسكاري أبًا عن جَد، وربما كان له أقرباء في (أستاپور)».

- «مؤسف. حسن، ربما لا نضطرُّ إلى القتال. لننتظر ونرى ما سيقوله اليونكَيُّون».

وصلَ مبعوثو (يونكاي) مع ميل الشَّمس إلى المغيب، خمسون رجلًا على صهوات خيولٍ سوداء مطهَّمة وواحد على متن جملٍ أبيض عظيم. خوذاتهم أطول مرَّتين من رؤوسهم، كي لا تسحق ما صنعوه بشَعرهم المزيَّت من أشكال ملتوية غريبة، وتنانيرهم وسُتراتهم الكتَّان مصبوغة بلونٍ أصفر داكن، وعلى معاطفهم أقراص نُحاسيَّة مخيَّطة.

قال ممتطي الجمل إن اسمه جرازدان مو إراز، وهو رجل نحيل صُلب له ابتسامة صفراء كالتي كانت تُكَلِّل وجه كْرازنس قبل أن يُحرِقه دروجون، ويتَّخذ شَعره شكل قرن يونيكورن[1] يَبرُز فوق جبهته، ويرتدي توكارًا موشًّى بشرائط زينة مايريَّة ذهبيَّة. حين رحَّبت به داني في خيمتها خاطبَها قائلًا: «عتيقة وجليلة (يونكاي) ملكة المدائن. أسوارنا قويَّة، ونُبلاؤنا أبيُّون وأشدَّاء، وعامَّتنا لا يعرفون الخوف. دماؤنا دماء (جيس) العريقة، التي

(1) اليونيكورن مخلوق أسطوري عبارة عن حصان له قرن واحد ويتمتَّع بقدرات سحريَّة. (المترجم).

كانت إمبراطوريَّتها عجوزًا و(ڤاليريا) لا تزال وليدةً. حكمة منكِ أن تجلسي وتتكلَّمي يا گاليسي، فلن تجدي غزونا هيِّنًا».

- «عظيم. المطهَّرون سيستمتعون بشيءٍ من القتال»، ونظرَت إلى الدُّودة الرَّمادي الذي أومأَ برأسه موافقًا.

هَزَّ جرازدان كتفيه باستهانة، وقال: «إذا كان الدَّم رغبتكِ، فليتدفَّق إذن. يُقال لي إنكِ أعتقتِ مخصيِّيكِ، لكن الحرِّيَّة لا تعني شيئًا للمطهَّرين كما لا تعني القبَّعة شيئًا لسمكة»، ومنحَ الدُّودة الرَّمادي ابتسامةً، لكن الخصيَّ بدا كتمثالٍ من حجر. «النَّاجون سنسترقُّهم مجدَّدًا ونستخدمهم لاستعادة (أستاپور) من الرَّعاع، وباستطاعتنا أن نتَّخذكِ أَمةً أيضًا، لا تَشُكِّي في هذا. في (لِيس) و(تايروش) بيوت هوى سيدفع فيها الرِّجال ثرواتٍ طائلة لمضاجَعة آخِر سُلالة تارجاريَن».

قالت داني بكياسة: «جيِّد أنك تعرف مَن أكونُ».

قال جرازدان: «إنني أفخرُ بمعرفتي بالغربِ الهمجي البليد»، ثم بسطَ يديه دلالةً على الاسترضاء، وأردفَ: «لكن لِمَ يُكَلِّم بعضنا بعضًا بهذه الخشونة؟ صحيحٌ أنكِ ارتكبتِ بشاعات عدَّة في (أستاپور)، لكننا معشر اليونكيِّين متسامحون للغاية. إن صراعكِ ليس معنا يا جلالة الملكة، فلِمَ تُبَدِّدين قواكِ على أسوارنا القويَّة بينما تحتاجين إلى كلِّ رجلٍ لاسترداد عرش أبيكِ في (وستروس)؟ (يونكاي) لا تتمنَّى لكِ إلَّا النَّجاح في مسعاكِ هذا، ولنُثبِت هذا جلبتُ لك هديَّةً»، وصفَّق فتقدَّم اثنان من مُصاحِبيه حاملَين صندوقًا ثقيلًا من خشب الأَرز المطعَّم بالبرونز والذَّهب ووضعاه عند قدميها، وقال جرازدان بنعومة: «لكِ، رمز لصداقة أسياد (يونكاي) الحُكماء. الذَّهب الذي يُمنَح طواعيةً أفضل من نهبه ملطَّخًا بالدِّماء، أليس كذلك؟ لذا أقول لكِ يا دنيرس تارجاريَن أن تأخذي هذا الصُّندوق وترحلي».

فتحَت داني الغطاء بالخُفِّ الذي تنتعله في قدمها الصَّغيرة، فوجدَته مليئًا بالعُملات الذَّهبيَّة كما قال المبعوث، والتقطَت حفنةً منها وتركَتها تسيل من بين أصابعها، فالتمعَت وهي تتشقلَب وتَسقُط. معظمها مسكوكٌ حديثًا، وكلُّها مختوم بهرمٍ مدرَّج على أحد الوجهين وبالهارپي شعار (جيس) على الثَّاني.

قالت: «جميلة جدًّا. تُرى كم صندوقًا كهذا سأجدُ في مدينتكم حين آخذها؟».

قال مقهقهًا: «صفر، لأنكِ لن تأخذيها أبدًا».

صفقَت غطاء الصُّندوق قائلةً: «أنا أيضًا عندي لكم هديَّة. ثلاثة أيام. صبيحة اليوم الثَّالث ستُطلِقون سراح عبيدكم جميعًا. كلُّ رجلٍ وامرأةٍ وطفلٍ سيُعطى سلاحًا وكلَّ ما يستطيع أن يحمله من طعامٍ ومالٍ وثياب، ولهم حرِّيَّةَ اختيار ما يشاؤون من ممتلكات أسيادهم عوضًا عنْ سنين الخدمة. عندما يَخرُج جميع العبيد ستفتحون بوَّابات المدينة وتسمحون للمطهَّرين بالدُّخول وتفتيشها للتأكُّد من عدم بقاء أحدٍ مستعبَدًا. إذا فعلتم هذا فلن تُحرَق (يونكَاي) أو تُنهَب، ولن يتعرَّض أحد من قومكم لأذى. هكذا سيَحصُل الأسياد الحُكماء على السَّلام الذي يرغبون فيه، ويُثبِتون أنهم حُكماء حقًّا. ما قولك؟».

- «أقول إنكِ مجنونة».

قالت داني: «حقًّا؟»، وهزَّت كتفيها مضيفةً: «دراكارِس».

وأجابَها التَّنانين.

فَحَّ ريجال، ونهشَ ڤسيريون الهواء بفكَّيه، ونفثَ دروجون دوَّامةً من اللَّهب الأسود والأحمر مسَّت كُمَّ توكَار جرازدان المنسدل فاشتعلَ الحرير في الحال، وانسكبَت العُملات الذَّهب على الأرض إذ تعثَّر الرَّجلِ في الصُّندوق وهو يجأر باللَّعنات ويضرب على ذراعه، إلى أن ألقى ذو اللِّحية البيضاء عليه إبريقًا من الماء لإطفاء النَّار.

ولولَ المبعوث اليونكي: «لقد وعدتني بالأمان!».

ردَّت داني: «هل يبكي اليونكيُّون كلُّهم هكذا على توكَار مسفوع؟ سأبتاعُ لك واحدًا جديدًا... إذا أطلقتم سراح عبيدكم خلال ثلاثة أيام، وإلَّا تلقَّيت قُبلةً أدفأ من دروجون»، ثم كوَّرت أنفها اشمئزازًا قائلةً: «لقد لوَّثت نفسك. خُذ ذهبك وارحل، واحرص على أن يسمع الأسياد الحُكماء رسالتي».

لوَّح جرازدان مو إراز بإصبعه في وجهها قائلًا: «ستندمين على هذه العجرفة أيتها السَّاقطة. تلك السَّحالي الصَّغيرة لن تحميكِ، هذا وعد. سنملأ الهواء بالسِّهام إذا دنَت حتى فرسخ واحد من (يونكَاي). أتحسبين قتل التَّنانين بتلك الصُّعوبة؟».

- «إنه أصعب من قتل النَّخَّاسين. ثلاثة أيام يا جرازدان، أخبرهم. في نهاية اليوم الثَّالث سأكونُ في (يونكاي)، سواء أفتحتم لي بوَّاباتكم أم لم تفتحوها».

حينما غادرَ اليونكيُّون معسكرها كان الظَّلام قد غشيَ بالكامل، واعدًا بأن تكون اللَّيلة كئيبةً بلا قمرٍ أو نجوم، تهبُّ ريحها باردةً مبتلَّةً من الغرب. ليلة سوداء كما ينبغي أن يكون السَّواد. أحاطَت بها بؤر النَّار الموقدة كنجماتٍ برتقاليَّة صغيرة منتشرة عبر التِّلال والحقول، وقالت داني للسير چورا: «استدعِ خيَّالة دمي»، ثم جلسَت على كومةٍ من الوسائد تنتظرهم وتنانينها حولها، وحين اجتمعوا أمامها قالت: «ساعة بَعد منتصَف اللَّيل وقت مناسب».

قال راگارو: «نعم يا گاليسي. وقت مناسب لماذا؟».

- «للمبادَرة بالهجوم».

زَرَّ السير چورا عينيه قائلًا: «قلتِ للمرتزقة...».

- «... إنني أريدُ إجابتهم غدًا، لكني لَم أعد بشيءٍ يخصُّ اللَّيلة. غِربان العاصفة يُناقِشون عرضي، والأبناء الثَّانون سكارى بالنَّبيذ الذي أعطيته لميرو، واليونكيُّون يعتقدون أن لديهم ثلاثة أيام. سنُباغِتهم تحت جُنح الظَّلام».

- «لا بُدَّ أن كشَّافتهم يترقَّبون تحرُّكنا».

- «وفي الظَّلام سيرون مئات من بؤر النَّار، إذا رأوا شيئًا على الإطلاق».

قال چوجو: «سأتعاملُ مع هؤلاء الكشَّافة يا گاليسي. إنهم ليسوا خيَّالة، بل مجرَّد نخَّاسين يمتطون الخيل».

- «بالضَّبط. رأيي أن نُهاجِم من ثلاثة جوانب. الذُّودة الرَّمادي ومطهَّروه سيُهاجِمون من الميمنة والميسرة، بينما يقود الگوهات رأس حربة إلى القلب. الجنود العبيد لن يَصمُدوا أمام الدوثراكي أبدًا»، وابتسمَت داني مضيفةً: «إنني بالطَّبع مجرَّد فتاةٍ صغيرة ولا أفهمُ طبائع الحرب. ما رأيكم أيها السَّادة؟».

قال السير چورا بابتسامةٍ كئيبة باهتة: «رأيي أنكِ أخت ريجار تارجارين حقًّا».

أيَّده آرستان قائلًا: «نعم، وملكة أيضًا».

استغرقَت مناقشة التَّفاصيل ساعةً، وفكَّرت داني إذ رحلَ قادتها لتنفيذ أوامرهم: الآن تبدأ المرحلة الأخطر على الإطلاق، وصلَّت أن تُعمي ظُلمة اللَّيل العدوَّ عن استعداداتها.

قُرب منتصَف اللَّيل أصابَها الذُّعر حين جاءَها السير چورا متجاوزًا بلواس بحركةٍ حادَّة، وقال: «المطهَّرون قبضوا على مرتزقٍ حاولَ التَّسلُّل إلى المعسكَر».

- «جاسوس؟». روعَّتها الفكرة. إذا قبضوا على واحد، فكم غيره غافَلوهم؟

- «يدَّعي أنه جاءَ حاملًا هديَّةً. إنه ذلك المهرِّج الأصفر ذو الشَّعر الأزرق».

داريو نهاريس. «هو؟ سأسمعه إذن».

سألَت داني نفسها عندما مثلَ به الفارس المنفيُّ أمامها إن كان هناك رجلان أكثر اختلافًا من هذين الاثنين. التايروشي فاتح البشرة والسير چورا قاتمها، لدن الجسد بينما الفارس مفتول العضلات، يتمتَّع بخُصلاتٍ منسدلة والثَّاني يزحف على رأسه الصَّلع، ومع ذلك ناعم الجلد على حين أن مورمونت مُشعِر، كما أن فارسها يرتدي ثيابًا تقليديَّةً للغاية، أمَّا الآخَر فيجعل الطَّاووس يبدو في حاجةٍ إلى دروسٍ في الأناقة، وإن كان قد ارتدى في زيارته هذه معطفًا أسود فوق ثيابه الصَّفراء المترفة، وحملَ فوق كتفه جوالًا ثقيلًا من قماش القِنَّب.

مبتسمًا قال الرَّجل بصوتٍ مرتفع لتلتمع سِنٌّ ذهبيَّة في فمه: «گاليسي، غِربان العاصفة لكِ، وكذا داريو نهاريس!».

أفعمَت نفسها الرِّيبة. إذا جاءَ التايروشي ليتجسَّس، فربما يكون هذا الإعلان مجرَّد حيلةٍ يائسة ليُنقِذ رأسه. «وما قول پرندال نا غِزن وسالور في هذا؟».

قال داريو: «قولهما لا يعني شيئًا»، وقلبَ الجوال ليَسقُط منه رأسا سالور الأصلع وپرندال نا غِزن على البساط. «هذه هديَّتي لملكة التَّنانين».

تشمَّم ڤسيريون الدَّم السَّائل من عُنق پرندال، ثم أطلقَ لسانًا من اللَّهب أصابَ الوجه الميت مباشرةً وسوَّد وشقَّق الوجنتين الخاويتين من الدِّماء، فتحرَّك دروجون وريجال إذ اشتمَّا رائحة اللَّحم المشوي.

سألَت داني شاعرةً بالغثيان: «أنت فعلت هذا؟».

- «لا أحد غيري». إذا كان تنانينها يُثيرون التَّوتُّر في داريو نهاريس، فإنه يُجيد إخفاء مشاعره، إذ لم يُعِرهم اهتمامًا أكثر من ثلاث هُريرات تعبث بفأر.

- «لماذا؟».

- «لأنكِ رائعة الجَمال». يداه كبيرتان قويّتان، وثمّة شيء ما في عينيه الزّرقاوين القاسيتين وأنفه الكبير المعقوف الذي ينمُّ عن ضراوة طائرٍ كاسرٍ ما. «پرندال كان يتكلّم كثيرًا ويقول القليل». ثيابه، على الرغم من فخامتها، عرفَت الاستهلاك الطّويل، تُرَقِّط بُقع الملح حذاءه، وتُشوِّه الشُّقوق طلاء أظفاره المينا، ويُلَوِّث العَرق شرائط الزِّينة في سُترته، ويلوح الاهتراء في ذيل معطفه. «وسالور كان يُنَقِّب في أنفه كأن مخاطه من الذَّهب». وقفَ بيدين متقاطعتين عند المعصم، وقد استقرَّت كَفَّاه على قبيعتَيْ سلاحيه؛ الأراخ الدوثراكي المعقوف على وَركه الأيسر، والخنجر المايري المدبَّب على الأيمن، وكلا المقبضين يتَّخذ شكل امرأةٍ من الذَّهب، عارية ولعوب.

سألَته داني: «أأنت بارع في استخدام هذين النَّصلين الأنيقين؟».

- «هذا ما كان پرندال وسالور ليقولاه لو أن الموتى يتكلّمون. لا أعدُّ اليوم عيشَ حقًّا ما لم أحبَّ امرأةً وأقتل عدوًّا وآكل وجبةً شهيَّةً... والأيام التي عشتها لا تُحصى كالنُّجوم في السَّماء. إنني أجعلُ من الذَّبح عملًا فنّيًا، وكثيرون من الحُواة وراقصي النَّار تضرَّعوا للآلهة أن يكونوا بنِصف سُرعتي ورُبع رشاقتي. يُمكنني أن أسرد عليكِ أسماء كلِّ مَن قتلتهم، لكن قبل أن أفرغ سيكون تنانينكِ قد أصبحوا بضخامة القلاع وتفتَّتت أسوار (يونكاي) إلى تُراب أصفر وأتى الشِّتاء وانتهى وأتى ثانيةً».

ضحكَت داني وقد راقَتها خيلاء داريو نهاريس، وقالت: «اسحب سيفك وانذُره لخدمتي».

في غمضة عينٍ تحرَّر أراخ داريو من غِمده، وكان انصياعه مبهرجًا كبقيَّته، فبحركةٍ مسرحيَّة سريعة صارَ وجهه عند أصابع قدميها، وقال: «سيفي لكِ، حياتي لكِ، حُبِّي لكِ، دمي وجسدي وأغانيَّ ملككِ. سأعيشُ وأموتُ رهن إشارتكِ أيتها الملكة الجميلة».

قالت داني: «عِش، وقاتِل في سبيلي اللَّيلة».

قال السير چورا: «ليست فكرةً حكيمةً يا مولاتي»، ورشقَ داريو بنظرةٍ باردةٍ قاسية مضيفًا: «أبقيه تحت الحراسة حتى نخوض المعركة وننتصر».

فكَّرت لحظةً، ثم هزَّت رأسها قائلةً: «إذا استطاعَ أن يُعطينا غِربان العاصفة فالمفاجأة أكيدة».

- «وإذا خانكِ ضاعَت المفاجأة».

عادَت داني تتطلَّع إلى المرتزِق، ومنحَها ابتسامةً جعلَت وجهها يتورَّد، فأشاحَت به وقالت: «لن يفعل».

- «كيف تثقين بهذا؟».

أشارَت إلى كُتلتَيْ اللَّحم المتفحِّم اللتين تلتهمهما التَّنانين قضمةً دامية بَعد قضمةٍ دامية، وردَّت: «أعتقدُ أن هذا دليل على صِدقه. داريو نهاريس، جهِّز غِربان العاصفة لضرب مؤخِّرة اليونكَيِّين عندما يبدأ الهجوم. هل تستطيع العودة بأمان؟».

قال التايروشي: «إذا أوقَفوني سأقولُ إنني ذهبتُ للاستكشاف ولم أرَ شيئًا»، ونهضَ وانحنى وخرجَ بخُطى واسعة.

لم يُغادِر السير چورا مورمونت، وبلهجةٍ مبالَغ في فظاظتها قال: «أخطأتِ يا جلالة الملكة. إننا لا نعرف شيئًا عن هذا الرَّجل».

- «نعرف أنه مُحارِب عظيم».

- «تعنين أنه متكلِّم عظيم».

- «لقد جلبَ لنا غِربان العاصفة». وعيناه زرقاوان.

- «خمسمئة مرتزق ولاؤهم غير مضمون».

- «لا ضمان لأيِّ ولاء في أوقاتٍ كهذه». وسأذوقُ الخيانة مرَّتين أخريين، مرَّةً من أجل الذَّهب ومرَّةً من أجل الحُب.

- «دنيرس، إنني أكبركِ سِنًّا ثلاث مرَّات، وخبرتُ غدر البَشر. قلَّة قليلة منهم تستحقُّ الثِّقة، وداريو نهاريس ليس منها. حتى لحيته ألوانها زائفة».

ردَّت وقد أثارَ قوله حفيظتها: «أمَّا لحيتك أنت فصادقة، أهذا ما تُحاوِل أن تقوله؟ إنك الرَّجل الوحيد الذي عليَّ أن أثق به؟».

تصلَّب مجيبًا: «لم أقل ذلك».

- «بل تقوله يوميًّا. پيات پري كاذب، زارو متآمر، بِلواس متبجِّح، آرستان قاتل مأجور... أتحسبني لا أزالُ فتاةً عذراء لا تسمع ما وراء الكلمات من كلمات؟».

- «جلالة الملكة...».

لم تُعطِه الفُرصة، وانقضَّ لسانها عليه متابعًا: «لطالما كنت صديقي الأصدق على الإطلاق، وأخًا أفضل مما كان ڤسيرس في حياته كلِّها. أنت أول فُرسان حَرسي الملكي، وقائد جيشي، ومستشاري الأثمن، وإنني أقدِّرك وأحترمك وأكنُّ لك كلَّ الوُد... لكنني لا أرغبُ فيك يا چورا مورمونت، ولقد تعبتُ من محاولتك دفع كلِّ رجلٍ آخَر في العالم بعيدًا عني كي أضطرَّ للاعتماد عليك وحدك، لكن هذا لن يُجدي نفعًا، ولن يجعلني أحبَّك أكثر».

كان وجه مورمونت محتقنًا تمامًا عندما بدأت تتكلَّم، لكن حين انتهَت داني كان قد امتقعَ عن آخِره. وقفَ بثبات الحجر وحنى رأسه باقتضابٍ باردٍ قائلًا: «كما تأمر جلالة الملكة».

لكن غضبة داني بثَّت فيها حرارةً تكفيهما معًا، فقالت: «نعم، هذا أمرها. والآن اذهب إلى مطهِّريك أيها الفارس. أمامك معركة عليك أن تربحها».

حين خرجَ ألقَت داني جسدها على وسائدها إلى جوار تنانينها. إنها لم تنوِ أن تُكلِّم السير چورا بهذه الحدَّة، لكن شكوكه التي لا تنتهي نجحَت أخيرًا في إيقاظ تنِّينها. قالت في أعماقها: سيُسامِحني. إنني ملكته، ووجدَت نفسها تتساءَل إن كان محقًّا بشأن داريو نهاريس، وفجأةً اعترتها وحشة شديدة. لقد وعدَتها ميري ماز دور بأنها لن تحمل طفلًا حيًّا أبدًا. سُلالة تارجارين ستنتهي بنهايتي. أفعمَها الخاطر بالحُزن، وقالت لتنانينها: «يجب أن تكونوا أنتم أطفالي، أطفالي الأقوياء الثَّلاثة. آرستان يقول إن التَّنانين تعيش أطول من البَشر، وستمتدُّ حياتكم بَعد موتي».

دارَ دروجون بعُنقه ليُعَضعِض يدها. على الرغم من حدَّة أسنانه الشَّديدة فإنه لا يغرسها في جِلدها أبدًا عندما يلعبان هكذا. ضحكَت داني ودحرجَته يمينًا وشِمالًا إلى أن زأرَ ولوَّح بذيله كالسَّوط. ذيله أطول مما كان، وغدًا سيطول أكثر. إنهم يكبُرون بسُرعةٍ الآن، ولمَّا ينضُجون سأنالُ أجنحتي. حين تمتطي تنِّينًا سيُمكنها أن تقود رجالها في المعارك كما فعلَت في (أستاپور)، لكنهم حتى الآن ما زالوا أصغر من أن يحتملوا ثِقلها.

كان الصَّمت قد خيَّم على المكان مع انتصاف اللَّيل، وظلَّت داني في سُرادقها مع وصيفاتها، يَحرُسهن آرستان ذو اللِّحية البيضاء وبِلواس القوي.

أصعب ما في الأمر الانتظار. جلوسها كالكسالى في خيمتها بينما تدور معركتها دونها أشعرَ داني كأنها عادَت طفلةً صغيرةً.

زحفَت السَّاعات على أقدام سُلحفاة، وحتى بَعد أن دلَّكت چيكوي كتفيها ظلَّ النَّوم يُجافيها. عرضَت ميسانداي أن تُغَنِّي لها أغنيةً عن شعب المسالمين، لكن داني هزَّت رأسها وقالت: «أحضِري لي آرستان».

حين جاءَ العجوز كانت قد ادَّثرت بفروة أسد الهراكار البيضاء، التي لا تزال رائحتها الزَّنخة تُذَكِّرها بدروجو، وقالت: «لا أستطيعُ النَّوم والرِّجال يموتون من أجلي يا ذا اللِّحية البيضاء. احكِ لي أكثر عن أخي ريجار من فضلك. لقد راقَتني القصَّة التي رويتها لي على السَّفينة، عن قراره بأن يصير مُحارِبًا».

- «لُطف من جلالتكِ أن تقولي هذا».

- «ڤسيرس قال إن أخانا فازَ في مباريات كثيرة».

حنى آرستان رأسه الأبيض باحترامٍ قائلًا: «لا يحقُّ لي أن أخالف كلام جلالة الملك...».

قالت داني بحدَّة: «لكن؟ أخبِرني، هذا أمر».

- «إقدام الأمير ريجار لا غُبارَ عليه، لكنه نادرًا ما دخلَ مضمار النِّزال، فلم يكن يُحِبُّ أغنيَّة السُّيوف مِثل روبرت أو چايمي لانستر. إنه شيء كان عليه أن يفعله، مهمَّة وضعَها العالم على عاتقه، وقد أجادَ تنفيذها كما أجادَ كلَّ شيء، فتلك كانت طبيعته، لكنه لم يجد سرورًا فيها. قال النَّاس إنه أحبَّ قيثارته أكثر من رُمحه».

علَّقت داني بإحباط: «لكن لا بُدَّ أنه فازَ في بعض المباريات».

- «في صِغره شاركَ سموُّه ببراعةٍ شديدة في دورةٍ في (ستورمز إند)، وهزمَ اللورد ستفون باراثيون واللورد چيسون ماليستر وأفعوان (دورن) الأحمر، بالإضافة إلى فارسٍ غامض اتَّضح أنه سيمون تُوين، قائد أخوَّة غابة الملوك الخارجة عن القانون. يومها حطَّم اثني عشر رُمحًا في مواجَهة السير آرثر داين».

- «هل فازَ إذن؟».

- «لا يا جلالة الملكة. هذا الشَّرف كان من نصيب فارسٍ آخَر في الحَرس الملكي أسقطَ الأمير ريجار عن حصانه في النِّزال الأخير».

لم ترغب داني في سماع شيءٍ عن سقوط ريجار عن حصانه، وقالت: «لكن ما المباريات التي فازَ فيها أخي؟».

تردَّد العجوز قبل أن يُجيب: «لقد فازَ في أعظمها على الإطلاق يا جلالة الملكة».

- «وما هي؟».

- «الدَّورة التي أقامَها اللورد وِنت في (هارنهال) على شاطئ (عين الآلهة) في عام الرَّبيع الزَّائف. حدث بارز. غير النِّزال كان هناك التحام جماعي على الطِّراز القديم بين سبع فِرق من الفُرسان، بالإضافة إلى الرِّماية وإلقاء الفؤوس وسباق خيل ومسابقة مطربين وعرض مسرحي، ومآدب وحفلات سَمر كثيرة. كان اللورد وِنت سخيًّا بقَدر ما هو ثري، والجوائز الباذخة التي وعدَ بها جذبَت مئات من المتنافسين. حتى والدكِ الملك ذهبَ إلى (هارنهال) بَعدما لم يكن قد غادرَ (القلعة الحمراء) طيلة سنوات. أعظم اللوردات وأقوى الفُرسان في (الممالك السَّبع) ركبوا في تلك الدَّورة، وتفوَّق أمير (دراجونستون) عليهم جميعًا».

- «لكنها الدَّورة التي توَّج فيها ليانا ستارك ملكةً للحُب والجَمال! الأميرة إليا زوجته كانت حاضرةً، لكن أخي أعطى التَّاج لابنة ستارك، وبَعدها اختطفَها من خطيبها. لماذا فعلَ هذا؟ هل كانت معامَلة المرأة الدورنية له سيِّئةً؟».

- «ليس لأمثالي أن يُخَمِّنوا ما كان يعتمل في قلب أخيكِ يا جلالة الملكة. الأميرة إليا كانت سيِّدةً صالحةً كريمةً، مع أن صحَّتها كانت ضعيفةً دائمًا».

أحكمَت داني فروة الأسد حول كتفيها، وقالت: «في مرَّةٍ قال لي ڤسيرس إنني المخطئة لأني وُلِدتُ بَعد فوات الأوان». تَذكُر أنها أنكرَت اتِّهامه بحرارة، بل وتمادَت قائلةً لڤسيرس إن المخطئ لأنه لم يولَد بنتًا، فضربَها بقسوةٍ رَدًّا على الإهانة. «قال إنني لو وُلِدتُ في وقتٍ أنسب لتزوَّجني ريجار بدلًا من إليا، ولاختلفَ كلُّ شيء. لو كان ريجار سعيدًا مع زوجته لما احتاجَ إلى ابنة ستارك».

قال ذو اللِّحية البيضاء: «ربما يا جلالة الملكة»، وتردَّد لحظةً قبل أن يُردِف: «لكنني لستُ واثقًا بأن السَّعادة كانت شيئًا يقدر عليه ريجار».

قالت محتجَّةً: «إنك تجعله يبدو سوداويًّا للغاية!».

رَدَّ العجوز: «ليس سوداويًّا، لا، وإنما... كان للأمير ريجار طابع من الشَّجن، إحساس...»، وبترَ عبارته متردِّدًا من جديد.

- «تكلَّم. إحساس...».

- «... بوشوك الهلاك. لقد وُلِدَ في مهد الأسى يا جلالة الملكة، وظَلَّ هذا الظِّلُّ ملازمًا إياه طيلة حياته».

لم يتكلَّم ڤسيرس عن ميلاد ريجار إلَّا مرَّةً. ربما كانت الحكاية تُحزِنه كثيرًا. «ظِلُّ (قلعة الصَّيف) كان يُلاحِقه، أليس كذلك؟».

- «نعم، وعلى الرغم من هذا كانت (قلعة الصَّيف) أكثر مكانٍ أحبَّه الأمير. كان يذهب إليها بلا رفيقٍ غير قيثارته، وحتى فُرسان الحَرس الملكي، لم يُرافِقوه إلى هناك. أحبَّ أن ينام في القاعة الخربة تحت القمر والنُّجوم، لكن كلما عادَ عادَ بأغنيَّة، وكان المرء حين يسمعه يعزف على قيثارته السَّامية ذات الأوتار الفضَّة ويُغَنِّي عن الشَّفق والدُّموع والملوك الميتين—وقتها لم يكن بإمكان المرء إلَّا أن يحسَّ بأن الأمير يُغَنِّي عن نفسه وأحبَّائه».

- «وماذا عن الغاصِب؟ هل كان يُرَدِّد الأغاني الحزينة أيضًا؟».

ضحكَ آرستان، وقال: «روبرت؟ روبرت أحبَّ الأغاني المضحكة، أفضلها الأكثر بذاءةً. كان يُغَنِّي وهو سكران فقط، فلا تتجاوز أغانيه (برميل المِزر) أو (أربعة وخمسون دَنًّا) أو (الجميلة والدُّب). روبرت كان...».

لم يتمَّ جُملته، ففي لحظةٍ واحدة رفعَ تنانينها رؤوسهم وهدروا.

صاحَت داني: «خيول!»، ووثبَت واقفةً وهي تقبض على فروة الأسد، وسمعَت بِلواس يجأر في الخارج بشيءٍ ما وأصواتًا أخرى ووقع حوافر خيولٍ كثيرة، فقالت: «إيري، اذهبي وانظُري مَن...».

انفتحَت سديلة باب الخيمة ودخلَ السير چورا مورمونت مغبَّرًا ملطَّخًا بالدِّماء، لكن باستثناء هذا لم يبدُ مصابًا. جثا الفارس المنفيُّ على رُكبةٍ واحدة أمام داني، وقال: «أتيتكِ بنبأ النَّصر يا جلالة الملكة. غِربان العاصفة انقلبوا وتشتَّتت وحدة جيش العبيد، والأبناء الثَّانون كانوا سكارى ولم يقووا على القتال كما قلتِ. مئتا قتيل، أغلبهم يونكيُّون. العبيد ألقوا حِرباهم وولَّوا الأدبار، واستسلمَ مرتزِقتهم. لدينا عدَّة آلاف من الأسرى».

- «وخسائرنا؟».
- «دستة على الأكثر».
عندئذٍ فقط سمحَت لنفسها بأن تبتسم، وقالت: «انهض يا دُبِّي المخلص الشُّجاع. هل أُسِرَ جرازدان أو نغل المارد؟».
قامَ السير چورا قائلًا: «جرازدان ذهبَ إلى (يونكاي) لإبلاغها بشروطكِ، وميرو هربَ بمجرَّد أن رأى غِربان العاصفة ينقلبون. أرسلتُ رجالًا يُطارِدونه، ولن يهرب منا طويلًا».
- «لا بأس. مرتزقة أو عبيد، لا تُؤذوا كلَّ من يتعهَّد لي بولائه، وإذا انضمَّ إلينا عدد كافٍ من الأبناء الثَّانين فلا تحلُّوا الجماعة».
في اليوم التَّالي قطعوا الفراسخ الثَّلاثة الأخيرة بينهم وبين (يونكاي). المدينة مشيَّدة بالقرميد الأصفر بدلًا من الأحمر، لكن بخلاف هذا فهي توأمة (أستابور) بأسوارها الآيلة للسُّقوط وأهرامها المدرَّجة والهاربي العظيمة فوقَ بوَّابتها. عَجَّ السُّور والأبراج بحاملي النُّشَّابيَّة ورُماة الحجارة، ونشرَ السير چورا والدُّودة الرَّمادي جُندها بينما نصبَت إيري وچيكوي سُرادقها.
وجلسَت داني منتظرةً.
وفي صباح اليوم الثَّالث فُتِحَت بوَّابة المدينة وبدأ طابور من العبيد يَخرُج منها. اعتلَت داني فَرسها الفضِّيَّة لتُحَيِّيهم، وإذ مرُّوا بها ومرَّت بهم، قالت لهم ميسانداي إنهم مدينون بحرِّيَّتهم لِدنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترِق، سيِّدة ممالك (وستروس) السَّبع وأُم التَّنانين.
- «ميسا!»، صاحَ فيها رجل بنِّي البَشرة على كتفه فتاة صغيرة هتفَت بالكلمة نفسها بصوتها الرَّفيع: «ميسا! ميسا!».
نظرَت داني إلى ميساندا ي سائلةً: «ما هذه الكلمة؟».
- «إنها جيسكاريَّة، من اللُّغة القديمة النقيَّة، تعني أمَّاه».
أحسَّت داني بصدرها ينشرح، وقالت لنفسها: لن أحمل طفلًا حيًّا أبدًا. ارتجفَت يدها إذ رفعَتها، وربما ابتسمَت، بل لا بُدَّ أنها ابتسمَت، لأن الرَّجل ابتسمَ وهتفَ ثانيةً، والتقطَ منه آخرون الهتاف: «ميسا! ميسا! ميسا!». كانوا يبتسمون لها جميعًا، يمدُّون أيديهم إليها، يركعون أمامها. بعضهم ناداها

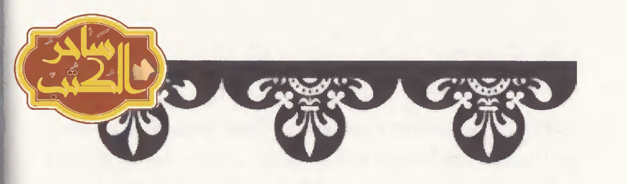
«مايلا»، وبعضهم هتفَ «آيلالّا» أو «كاثي» أو «تاتو»، لكن أيًّا كانت اللُّغة، فالكلمة تعني الشَّيء ذاته. أمّاه، يدعونني بأمّاه.

تصاعدَت الأنشودة، استشرَت، تعاظمَت... تعاظمَت حتى إنها روَّعت فَرسها التي تراجعَت وهَزَّت رأسها وجلدَت الهواء بذيلها، تعاظمَت حتى بدَت كأنها تُزَلزل أسوار (يونكاي) الصَّفراء. مزيد من العبيد كانوا يتدفَّقون من بوَّابة المدينَة كلَّ لحظة، وكلُّ من خرجَ منهم رفعَ عقيرته بالهتاف. كانوا يهرعون إليها، يتدافَعون ويتعثَّرون، يُريدون أن يلمسوا يدها أو يُمَلِّسوا على شَعر فَرسها أو يُقَبِّلوا قدميها.

ولم يستطِع خيَّالة دمها منعهم جميعًا، وحتى بِلواس القوي راح يُزَمجِر منزعجًا.

حثَّها السير چورا على الذَّهاب، لكنها تذكَّرت حُلمًا رأته في بيت الخالدين، وقالت: «لن يمسُّوني بسوء. إنهم أطفالي يا چورا»، وضحكَت وهمزَت فَرسها وانطلقَت إليهم والجرسان في شَعرها يعزفان لحن النَّصر. خَبَّت ثم هرولَت ثم اندفعَت تَركُض وضفيرتها كالرَّاية الخفَّاقة وراءها، وأفسحَ لها الرَّقيق المعتَقون الطَّريق، وبمئة حنجرةٍ، بألف، بعشرة آلاف غنُّوا: «أمَّاه!»، ومسَّتها أصابعهم وهي تُحَلِّق بينهم وغنُّوا: «أمَّاه! أمَّاه! أمَّاه! أمَّاه!».





آريا

تعرَّفت التَّلَّ العظيم حين رأته يلوح من بعيدٍ وقد صبغَه ضوء الأصيل بالذَّهب، وأدركَت أنهم عادوا أدراجهم إلى (القلب العالي).

بحلول الغروب كانوا قد بلغوا القمَّة وخيَّموا حيث لا يستطيع أذًى أن يطولهم، وجالَت آريا حول دائرة جذوع الويروود المبتورة مع ند مُرافِق اللورد بريك، ووقفا على أحدها يُشاهدان النُّور يخبو في الغرب. مِن هذا الارتفاع أبصرَت عاصفةً تجيش إلى الشَّمال، لكن (القلب العالي) يرتفع فوق المطر، وإن لم يحمِه علوُّه من الرِّيح التي هبَّت عاتيةً، حتى إن آريا شعرَت كأن أحدًا يقف وراءها ويجذب معطفها بإلحاح، لكن لا أحد كان هنالك عندما التفتَت تَنظُر.

إنها الأشباح. التَّلُّ مسكون.

أوقدوا نارًا كبيرةً على القمَّة، وجلسَ ثوروس المايري متقاطع السَّاقين أمامها، يُحَدِّق إلى أعماق اللَّهب كأن لا شيء غيره في العالم.

سألَت ند: «ماذا يفعل؟».

أجابَها المُرافِق: «أحيانًا يرى أشياء في اللَّهب، الماضي أو المستقبَل أو أشياء تَحدُث في أمكنةٍ بعيدة».

ضيَّقت آريا عينيها وتطلَّعت إلى النَّار لترى إن كان يُمكنها أن ترى ما يراه الرَّاهب الأحمر، لكن سرعان ما دمعَت عيناها وأشاحَت بهما. جندري أيضًا كان يُراقِب الرَّاهب، وفجأةً سألَ: «أيُمكنك أن ترى المستقبَل في النَّار حقًّا؟».

التفتَ ثوروس عن اللَّهب متنهِّدًا، وقال: «ليس هنا، ليس الآن، لكن نعم، في بعض الأحيان يهبُ لي إله الضِّياء رؤًى».

بدا الارتياب على جندري وهو يقول: «معلِّمي قال إنك سكِّير محتال، من أسوأ الرُّهبان على الإطلاق».

قال ثوروس ضاحكًا: «كلام قاسٍ، سليم لكن قاسٍ. مَن كان معلِّمك هذا؟ هل كنتُ أعرفك يا فتى؟».

- «كنتُ صبيَّ توبهو موت، أستاذ صناعة السِّلاح في (شارع الحديد). كنت تشتري سيوفك منه».

- «صحيح. اعتادَ أن يبيعني إياها بضِعف السِّعر ثم يُقَرِّعني على إشعال النَّار فيها»، وضحكَ ثوروس مواصلًا: «معلِّمك على حَق، فلم أكن راهبًا ورعًا قَطُّ. إنني أصغر الثَّمانية الذين أنجبَهم والداي، فأعطاني أبي لـ(المعبد الأحمر)، ولو أنه ليس السَّبيل التي كنتُ لأختارها لنفسي. تعوَّدتُ أن أردِّد الصَّلوات وألقي التَّمائم، لكني كنتُ أسطو على المطابخ أيضًا، ومن حين إلى آخَر كانوا يجدون فتيات في فِراشي. فتيات شرِّيرات حقًّا، لم أدرِ ما كانَ يدفعهن إلى هناك. لكني كنتُ موهوبًا في اللُّغات، وبين الفينة والفينة تصادفَ أن أرى أشياء في اللَّهب حين أحدِّقُ إليه، وعلى الرغم من هذا ظللتُ مصدر متاعب أكثر من منفعة، وأخيرًا أرسَلوني إلى (كينجز لاندنج) لأنشر نور الإله في (وستروس) المفتونة بوهم آلهةٍ سبعة. كان الملك إيرس مهووسًا بالنَّار، ففكَّروا أن اعتناقه ديانتنا ممكن، لكن للأسف كان بايرومانسراته يُجيدون حيلًا أفضل مني بكثير. على أن الملك روبرت كان مولعًا بي. أول مرَّةٍ ركبتُ في التحام جماعي بسيفٍ ناري جفلَ حصان كيڤان لانستر وأسقطَه، وضحكَ جلالته بشدَّةٍ حتى حسبته سينفجر»، وابتسمَ الرَّاهب الأحمر للذِّكري مضيفًا: «لكنها لم تكن معاملةً لائقةً للسُّيوف. معلِّمك محقٌّ في هذا أيضًا».

- «النَّار تلتهم»، قال اللورد بريك الذي وقف وراءهم بنبرةٍ أسكتَ شيء ما فيها ثوروس على الفور. «إنها تلتهم، وحين تهمد لا يتبقَّى شيء على الإطلاق، أي شيء».

مَسَّ الرَّاهب ساعِد سيِّد البرق برفقٍ قائلًا: «بريك يا صديقي العزيز، ماذا تقول؟».

- «ليس شيئًا لم أقله من قبل. سِت مرَّات يا ثوروس؟ سِت مرَّات كثير جدًّا»، والتفتَ مبتعدًا عنهم بغتةً.

ليلتها راحَت الرِّيح تعوي كالذِّئاب، وإلى الغرب كانت هناك ذئاب حقيقيَّة تُلَقِّنها أصول العُواء. وقفَ نوتش وآنجاي وميريت ابن (بلدة القمر) حراسةً، بينما غابَ ند وجندري وكثيرون غيرهما في نوم عميق، وكان هذا حين لمحَت آريا الشَّبح الشَّاحب الصَّغير يتحرَّك بتؤدةٍ ورَاء الخيول. مضَت المرأة متوكِّئةً على عُكَّاز خشبي كثير العُقد، والهواء يُطَيِّر شَعرها بعُنف، لا يتجاوَز طولها الأقدام الثَّلاث، وقد جعلَ ضوء النَّار عينيها تتَّقدان بالأحمر كعينَيْ ذئب چون. هو أيضًا شبح. انسلَّت آريا مقتربةً وجثَت على رُكبتيها لتُشاهِد.

كان ثوروس وليم مع اللورد بريك عندما جلسَت المرأة القزمة إلى جوار النَّار بلا دعوة، ورمقَتهم بجمرتين ملتهبتين قائلةً: «الجذوة واللَّيمونة يُشَرِّفاني بالزِّيارة ثانيةً، وصاحِب الرِّفعة سيِّد الجُثث».

- «هذا الاسم نذير شؤم، وطلبتُ منكِ ألَّا تستخدميه».

كشفَت عن سِنِّها الوحيدة المتبقِّية في فمها، وقالت: «أجل، لكن رائحة الموت تفوح منك طازجةً يا سيِّدي. حسن، أعطوني نبيذًا وإلَّا ذهبتُ. إن عظامي عجوز، ومفاصلي تُؤلِمني كلما هبَّت الرِّيح، وهنا تهبُّ الرِّيح بلا انقطاع».

قال اللورد بريك بكياسةٍ جامدة: «أيل فضِّي لقاء أحلامكِ يا سيِّدتي، وآخَر مِثله إذا كانت عندكِ أخبار».

- «لا يُمكنني أن آكل أيلًا فضِّيًا أو أركبه. قِربة نبيذٍ لقاء أحلامي، ولقاء أخباري قُبلة من الجحش الكبير ذي المعطف الأصفر»، وضحكَت المرأة بصوتٍ كقوقأة الدَّجاج متابعةً: «نعم، قُبلة مبتلَّة، وشيء من لعب اللِّسان. زمن طويل مضى، زمن طويل. فمه مذاقه ليمون، وفمي مذاقه عظام. لقد بلغتُ من الكِبر عتيًّا».

قال ليم متذمِّرًا: «نعم، كبرتِ على القُبلات والنَّبيذ. لن تنالي مني إلَّا ضربة بجانب سيفي المسطَّح أيتها الحيزبون».

- «شَعري يَسقُط خُصلًا خُصلًا، ولا أحد قبَّلني منذ ألف عام. شاقٌّ جدًّا أن يكون المرء بهذا الهَرم. حسن، سأنالُ أغنيَّةً إذن، أغنيَّةً من توم أبي السَّبعات مقابل أخباري».

وعدَها اللورد بريك: «ستنالين أغنيَّتَكِ من توم»، وأعطاها قِربة النَّبيذ بنفسه.

شربَت القزمة طويلًا وسالَ النَّبيذ على ذقنها، وحين خفضَت القِربة أخيرًا مسحَت فمها بظَهر يدها المتغضِّنة، وقالت: «نبيذ حرِّيف لقاء أخبارٍ حرِّيفة، فهل من شيءٍ أنسب؟ لقد ماتَ الملك. أهذا خبر حرِّيف كفايةً؟».

وثبَ قلب آريا في صدرها، وسألَ ليم: «عن أيِّ ملكٍ لعين تتكلَّمين أيتها الحيزبون؟».

- «المبتل، ملك الكَراكِن أيها السَّادة. لقد حلمتُ بموته وماتَ، والآن ينقلب كلُّ حبَّارٍ حديدي على الآخَر. أوه، واللورد هوستر تَلي ماتَ أيضًا، لكنكم تعلمون هذا، أليس كذلك؟ في بهو الملوك يجلس الكبشِ وحيدًا محمومًا بينما يهرع إليه الكلب الكبير»، وأخذَت العجوز جرعةً طويلةً أخرى من النَّبيذ، معتصرةً القِربة وهي ترفعها إلى شفتيها.

الكلب الكبير. هل تعني كلب الصَّيد؟ أو ربما أخاه الجبل راكب الخيول؟ لا تعرف آريا، فكلاهما له الرَّمز ذاته، ثلاثة كلاب سوداء على خلفيَّةٍ صفراء. نِصف مَن تُصَلِّي لموتهم يتمون للسير جريجور كليجاين؛ پوليڤر ودانسن وراف المعسول والمُدغدِغ، والسير جرجيور نفسه. لعلَّ اللورد بريك يَشنُقهم جميعًا.

كانت القزمة تقول: «حلمتُ بذئب يعوي في المطر وما من أحدٍ يسمع لوعته. حلمتُ بضجيج صاخب جعلَني أحسبُ أن رأسي سينفجر، طبول وأبواق ومزامير وصريخ، لكن أكثر الأصوات مدعاةً للأسى كان جلجلة الأجراس الصَّغيرة. حلمتُ بفتاةٍ في مأدبة، في شَعرها أفاع أرجوانيَّة يتقاطَر الزُّعاف من أنيابها، وفيما بَعد حلمتُ بها ثانيةً، تصرع عمَلاقًا متوحِّشًا في قلعةٍ مبنيَّة بالثَّلج»، وأدارَت رأسها بحدَّة، وعبر الظَّلام ابتسمَت لآريا مباشرةً، وقالت: «لا يُمكنكِ الاختباء مني أيتها الصَّغيرة. هلمِّي، اقتربي».

زحفَت أصابع باردة على عُنق آريا، لكنها حدَّثت نفسها مذكِّرةً: ضربة الخوف أمضى من السَّيف، ونهضَت واقتربَت من النَّار بحذر، تمشي بخفَّةٍ على مشطَيْ قدميها استعدادًا للفرار في أيِّ لحظة.

تمعَّنت فيها القزمة بعينين حمراوين قاتمتين، وهمسَت لها: «إنني أراكِ، أراكِ يا طفلة الذِّئاب. حسبتُ رائحة الموت تفوح من اللورد...»، وأجهشَت بالبُكاء فجأةً واهتزَّ جسدها الصَّغير وهي تقول: «قسوة منكِ أن تجيئي إلى

تَلِّي، قسوة. لقد تجرَّعتُ الحُزن حتى الثُّمالة في (قلعة الصَّيف)، ولا أحتاجُ إلى حُزنكِ. ارحلي من هنا يا ذات القلب الأسود، ارحلي!».

تكلَّمت بخوفٍ بالغ حدا بآريا إلى التَّراجُع بظَهرها متسائلةً إن كانت المرأة مخبولةً، لكن ثوروس قال معترضًا: «لا تُخيفي الصَّغيرة. الأذى ليس من طباعها».

ارتفعَ إصبع ليم ذو المعطف اللَّيموني إلى أنفه المكسور، وقال: «لا تكن متأكِّدًا لهذه الدَّرجة».

قال اللورد بريك مُطَمْئِنًا المرأة الضَّئيلة: «إنها راحلة معنا غدًا. سنأخذها إلى أمِّها في (ريڤرِرَن)».

قالت القزمة: «لا، لن تفعلوا. السَّمكة السَّوداء يتولَّى أمر النَّهرين الآن. إذا كانت الأمُّ مَن تُريدون، فاسعوا إليها في (التَّوأمتين). سيكون هناك زفاف»، وعادَت تُصدِر ضحكة الدَّواجن تلك قبل أن تُردِف: «انظُر في نيرانك أيها الرَّاهب الوردي وسترى. لكن ليس الآن، ليس هنا، فلن ترى شيئًا هنا. هذا المكان لا يزال ينتمي للآلهة القديمة... إنها باقية هنا مِثلي، منكمشة واهية، وإن لم تَمُت بعدُ. كما أنها لا تحبُّ اللَّهب، ذلك أن شجرة البلُّوط تتذكَّر الجوزة، والجوزة تَحلُم بشجرة البلُّوط، وفي كلتيهما يعيش الجذع المبتور، وكلُّها تتذكَّر البَشر الأوائل حين جاءوا وفي قبضاتهم النَّار»، وشربَت النَّبيذ المتبقِّي على أربع جرعات طويلة، وقالت: «سأنالُ أجري الآن، الأغنيَّة التي وعدتموني بها».

وهكذا أيقظَ ليم توم سبعة أوتار المتدثِّر بالفرو، وجلبَه وهو يحمل قيثارته الخشبيَّة ويسأل متثائبًا: «الأغنيَّة نفسها ككلِّ مرَّة؟».

- «أوه، أجل. أغنيَّة غاليتي چيني. أتوجَد غيرها؟».

وغنَّى توم، وأغلقَت القزمة عينيها وأخذَت تتمايَل ببُطءٍ إلى الأمام والخلف بينما تُتَمتِم بالكلمات وتبكي.

أخذَ ثوروس آريا من يدها جانبًا بحزم، وقال لها: «دعيها تستمتع بالأغنيَّة في سلام. إنها كلُّ ما تبقَّى لها».

لم أكن أنوي أن أوذيها. «ماذا قصدَت بكلامها عن (التَّوأمتين)؟ أمِّي في (ريڤرِرَن)، أليس كذلك؟».

فركَ الرَّاهب الأحمر أسفل ذقنه قائلًا: «كانت. قالت إن هناك زفافًا. سنرى، لكن اللورد بريك سيجدها أينما كانت».

لم يَطُل الوقت بَعدها حتى فتحَت السَّماء أبوابها وومضَ البرق وردَّدت التِّلال هزيم الرَّعد، وهطلَ المطر بكثافةٍ تُعمي. اختفَت القزمة فجأةً كما ظهرَت، فيما جمعَ الخارجون عن القانون فروع الأشجار ونصبوا ملاجئ بدائيَّةً.

تواصلَ المطر طول اللَّيل، وبحلول الصَّباح استيقظَ كلٌّ من ند وليم وواتي الطَّحَّان مصابًا بالبرد. لم يستطِع واتي الاحتفاظ بفطوره في معدته، وارتفعَت حرارة ند الصَّغير وهاجمَته الرَّجفة بين الحين والآخَر واكتسبَ جلده ملمسًا رطبًا. قال نوتش للورد بريك إن على بُعد نِصف يومٍ من الرُّكوب قرية مهجورة إلى الشَّمال، وهناك سيجدون مأوًى أفضل، مكانًا ينتظرون فيه حتى تقلَّ غزارة المطر، فعادوا يمتطون خيولهم بتثاقُلٍ، وبدأوا رحلة نزول التَّل.

ولم يكفَّ المطر عن النُّزول مدرارًا. ركبوا عَبر غاباتٍ وحقول، وخاضوا في جداول طافحة ارتفعَت مياهها المتدفِّقة حتى بطون الخيول، وقد رفعَت آريا قلنسوة معطفها وحنَت ظَهرها شاعرةً بالبلل والرَّعدة، لكن عازمةً على عدم إبداء الوهن. سرعان ما أصابَ ميريت وموَدج سُعال سيِّئ كالذي يُعانيه واتي، وبدا ند أكثر بؤسًا مع كلِّ ميلٍ يقطعونه، وقال متبرِّمًا: «إذا وضعتُ خوذتي يضرب المطر الفولاذ، ويُصيبني بالصُّداع، وإذا خلعتها يبتلُّ شَعري ويلتصق بوجهي ويَدخُل فمي».

قال جندري: «إن معك سكِّينًا. إذا كان شَعرك يُضايقك لهذه الدَّرجة فاحلق رأسك السَّخيف».

فكَّرت آريا: إنه لا يحبُّ ند، أمَّا هي فالمُرافِق يبدو لها لطيفًا كفايةً، ربما يكون خجولًا بعض الشَّيء، لكنه حَسن المعشر. لطالما سمعَت أن الدورنيِّين قصار القامة وداكنو اللَّون، شَعرهم أسود وأعيُنهم سوداء صغيرة، لكن عينَيْ ند كبيرتان، وزُرقتهما داكنة للغاية حتى تكاد تبدو أرجوانيَّةً، وشَعره أشقر شاحب، أقرب في لونه إلى الرَّماد من العسل.

سألَته لتشغل باله عن بؤسه: «منذ متى وأنت مُرافِق اللورد بريك؟».

سعلَ وقال: «حين خطبَ عمَّتي أخذَني وصيفًا له. كنتُ في السَّابعة،

ولمَّا بلغتُ العاشرة رقَّاني إلى مُرافِقه. فزتُ بجائزةٍ ذات مرَّة بَعد الرُّكوب في مضمار النِّزال».

– «لم أتعلَّم النِّزال بالرُّمح، لكنني أستطيعُ التَّغلُّب عليك بالسَّيف. هل قتلت أحدًا؟».

بدا أن السُّؤال أدهشَه، وأجابَ: «أنا في الثَّانية عشرة لا أكثر».

كادَت آريا تقول: لقد قتلتُ صبيًّا وأنا في الثَّامنة، لكنها قرَّرت أن من الخير ألَّا تفعل، وقالت بدلًا من هذا: «لكنك شهدت معارك».

قال بنبرةٍ توحي بأنه ليس فخورًا إلى هذا الحَد: «نعم. كنتُ في (مخاضة الممثِّلين). عندما سقطَ اللورد بريك في النَّهر سحبته إلى الضِّفَّة كي لا يغرق ووقفتُ فوقه بسيفي، لكني لم أضطرَّ لقتال أحد. كان رُمح مكسور مغروسًا في صدره، فلم يُعِرنا أحد اهتمامه، وعندما انتظمَت صفوفنا ثانيةً ساعدَني جرجن الأخضر على وضع حضرة اللورد على ظَهر حصان».

تذكَّرت آريا عامل الاسطبل الذي قتلَته في (كينجز لاندنج). بَعده كان الحارس الذي شقَّت حَلقه في (هارنهال)، ورجال السير آموري في المعقل على شاطئ البحيرة. لا تدري إن كان ويز وتشيزويك محسوبيْن، أو مَن ماتوا في مغامَرة حَساء بنت عرس... وفجأةً اعتراها حُزن عميق، وقالت: «أبي كان اسمه ند أيضًا».

– «أعرفُ. رأيته في دورة مباريات اليد، وأردتُ أن أذهب إليه وأكلِّمه، لكني عجزتُ عن التَّفكير في شيءٍ أقوله»، وارتجفَ ند تحت معطفه الأرجواني الباهت المشبَّع بالماء، وتابعَ: «هل حضرتِ الدَّورة؟ رأيتُ أختكِ هناك، السير لوراس تايرل أعطاها وردةً».

كأن دهرًا مضى منذ ذلك الحين. «أخبرَتني. صديقتها چين پوول وقعَت في غرام اللورد بريك».

لاحَ الانزعاج على ند وهو يقول: «إنه موعود لعمَّتي. لكن ذلك كان في السَّابق، قبل أن...».

... يموت؟ أكملَت الجُملة في سريرتها بينما لاذَ ند بصمتٍ مرتبك، وسمعَت حوافر الخيول تُحدِث أصوات امتصاص، وهي ترتفع من الوحل.

أخيرًا قال ند: «سيِّدتي، لكِ أخ غير شرعي، چون سنو، أليس كذلك؟».

- «إنه في حَرس اللّيل على (الجِدار)». ربما عليها أن تذهب إلى (الجدار) بدلًا من (ريفررَن). چون لن يُبالي بأني قتلتُ أحدًا أو بتصفيفي شَعري... «چون يُشبِهني، على الرغم من أنه نغل. اعتادَ أن ينفش شَعري ويُناديني بأختي الصَّغيرة». چون أكثر مَن تفتقده آريا، ومجرَّد قول اسمه يُحزِنها. «كيف تعرف بأمره؟».

- «إنه أخي في الرَّضاعة».

قالت آريا حائرةً: «أخوك؟ لكنك من (دورن)، فكيف يربط بينك وبين چون دَم؟».

- «قلتُ إنه أخي في الرِّضاعة وليس الدَّم. لم يكن لدى السيِّدة والدتي لبن حين وُلِدتُ، فأرضعَتني وايلا».

- «مَن وايلا؟».

- «أُم چون سنو. ألم يُخبِرك؟ لقد خدمَتنا سنوات وسنوات من قبل ميلادي».

- «چون لم يعرف أمَّه قَطُّ، بل لم يعرف اسمها حتى»، ورمقَت آريا ند بحذرٍ متسائلةً: «أكنت تعرفها حقًّا؟». هل يهزأ بي؟ «إذا كذبت عليَّ سألكمك في وجهك».

ردَّد برزانة: «وايلا كانت مُرضِعتي، أقسمُ على هذا بشَرف عائلتي».

- «ألك عائلة؟». كان سؤالها سخيفًا. إنه مُرافِق، فبالطَّبع له عائلة. «مَن أنت؟».

لاحَ الحَرج على ند وهو يُجيب: «سيِّدتي؟ أنا إدريك داين، ســ... سيِّد (ستارفول)».

من ورائهما أصدرَ جندري صوتًا متذمِّرًا، وبامتعاض أعلنَ: «يا للسَّادة والسيِّدات!»، فقطفَت آريا تفَّاحةً ذابلةً من على فرع شجرةٍ وقذفَته بها فارتدَّت عن رأسه الغليظ العنيد، وقال: «آو! هذا مؤلم!»، وتحسَّس الجِلد فوق عينه مضيفًا: «أي سيِّدة مهذَّبة ترمي النَّاس بالتُّفَّاح؟».

قالت آريا وقد داهمَها النَّدم: «واحدة سيِّئة»، ثم التفتَت إلى ند قائلةً: «آسفة لأنني لم أعرف مَن تكون يا سيِّدي».

رَدَّ بتهذيبٍ شديد: «الخطأ خطئي يا سيِّدتي».

جون له أُم. وايلا، اسمها وايلا. عليها أن تتذكَّر كي تُخبره حين تراه المرَّة القادمة. تساءلَت إن كان سيظلُّ يدعوها بأخته الصَّغيرة. لكنني لم أعُد صغيرةً كالسَّابق. يجب أن يجد شيئًا آخَر يُناديني به. ربما تكتُب لجون رسالةً عندما تصل إلى (ريفرِرَن) وتُخبره بما قاله ند داين. قالت متذكِّرةً: «كان هناك آرثر داين، الذي لقَّبوه بسيف الصَّباح».

- «كان أبي أخا السير آرثر الكبير، والليدي أشارا كانت عمَّتي، لكني لم أعرفها. لقد ألقَت نفسها في البحر من فوق بُرج(السَّيف الشَّاحب) قبل أن أولَد».

قالت آريا مبهوتةً: «ولِمَ فعلَت هذا؟».

بدا الحذر على ند، فجعلَها تُفكِّر أنه يخشى أن تقذفه بشيءٍ ما بدوره، قبل أن يقول: «ألم يتكلَّم السيِّد والدكِ عنها قَطُّ؟ الليدي أشارا داين ابنة (ستارفول)؟».

- «نعم. هل كان يعرفها؟».

- «قبل أن يُصبِح روبرت ملكًا. لقد التقَت أباكِ وإخوته في (هارنهال) في عام الرَّبيع الزَّائف».

- «أوه». لم تعرف آريا ماذا تقول غير هذا، ثم إنها سألَت: «لكن لماذا ألقَت نفسها في البحر؟».

- «لأن قلبها انكسرَ».

كانت سانزا لتتنهَّد وتذرف دمعةً من أجل الحُبِّ الحقيقي، أمَّا آريا فرأت الأمر سخيفًا لا أكثر، وإن لم تستطِع أن تقول هذا لندَّ عن عمَّته، فتساءلَت: «هل كسرَه أحد؟».

قال بتردُّد: «ربما لا يحقُّ لي أن...».

- «أخبرني».

حدجَها بارتباكٍ قائلًا: «عمَّتي آليريا قالت إن الليدي أشارا وأباكِ وقعا في الحُبِّ في (هارنهال)...».

- «غير صحيح. لقد أحبَّ السيِّدة والدتي».

- «إنني واثق بهذا يا سيِّدتي، ولكن...».

- «إنها الوحيدة التي أحبَّها».

قال ند من ورائهما: «لا بُدَّ أنه عثرَ على ذلك النَّغل تحت ورقة كرنب إذن».

تمنَّت آريا لو أن معها تفَّاحةً أخرى تُلقيها في وجهه، وقالت غاضبةً: «أبي كان شريفًا! ولم نكن نكلِّمك على كلِّ حال. لِمَ لا تعود إلى (السِّپت الحجري) وترن أجراس تلك الفتاة البلهاء؟».

تجاهلَ جندري كلامها، وقال: «على الأقل ربَّى أبوكِ نغله، على عكس أبي. إنني لا أعرفُ اسمه حتى. أراهنُ أنه سكِّير كريه الرَّائحة، كالآخَرين الذين كانت أمِّي تجرُّهم إلى البيت من الحانات. كلما غضبَت مني قالت: لو كان أبوك هنا لأوسعك ضربًا. هذا هو كلُّ ما أعرفه عنه»، وبصقَ ثم تابعَ: «لو كان هنا الآن لأوسعته أنا ضربًا، لكني أظنُّه ماتَ، وأبوكِ ماتَ أيضًا، فمن يهتمُّ بمَن شاركَته الفِراش؟».

آريا تهتمُّ، وإن لم تدرِ السَّبب. كان ند يُحاول الاعتذار لأنه أثارَ استياءها، لكنها لم ترغب في سماعه، وهمزَت حصانها بكعبيها وتركَت الاثنين معًا، فلمَّا لحقَت بآنجاي الذي يسبقهم بياردات قليلة سألَته: «الدورنيُّون يكذبون، أليس كذلك؟».

أجابَ القوَّاس بابتسامةٍ كبيرة: «إنهم مشهورون بالكذب، لكنهم يقولون الشَّيء نفسه عنا معشر قاطني (التُّخوم)، فمَن يدري؟ ما المشكلة؟ ند صبيٌّ طيِّب...».

قاطعَته آريا: «إنه كذَّاب أحمق»، وتركَت الدَّرب الذي يَسلُكونه ووثبَت فوق جذع شجرةٍ عفِن وخاضَت في غديرٍ متجاهلةً صياح الخارجين عن القانون من ورائها. لا يُريدون إلَّا صَبَّ المزيد من الأكاذيب في أُذني. فكَّرت في محاولة الإفلات منهم، لكنهم كثيرون للغاية، ويعرفون هذه الأصقاع جيِّدًا. ما جدوى الفِرار إذا قبضوا عليك؟

في النِّهاية لحقَ بها هاروين، وقال: «إلى أين تحسبين نفسكِ ذاهبةً يا سيِّدتي؟ لا يَجدُر بكِ أن تبتعدي هكذا. ثمَّة ذئاب في هذه الغابة، وأشياء أسوأ».

قالت: «لستُ خائفةً. ذلك الصَّبي ند قال...».

- «نعم، لقد أخبرَني. الليدي أشارا داين. إنها حكاية قديمة، سمعتها مرَّةً في (وينترفل) حين كنتُ في سِنِّكِ»، وأطبقَ هاروين على لجام حصانها

بحزم ودوَّره متابعًا: «أشكُّ في أنها تمتُّ بصلةٍ للحقيقة، لكن إذا كان العكس صحيحًا فما المشكلة؟ حين التقى ند تلك الليدي الدورنيَّة كان أخوه براندون ما زالَ على قيد الحياة، وكان هو خطيب الليدي كاتلين آنذاك، فلا يوجَد ما يُلَوِّث شَرف أبيكِ إذن. لا شيء يجعل دماء المرء تتدفَّق حارَّةً كالمباريات، وربما قيلَ كلام ما همسًا في خيمةٍ ذات ليلة، مَن يدري؟ كلام أو قُبلات، وربما أكثر، لكن ما الضَّرر في هذا؟ كان الرَّبيع قد حَلَّ، أو أن هذا ما حسبوه وقتها، ولا أحد منهما تعهَّد بنفسه لأحدٍ بعدُ».

قالت آريا بارتياب: «لكنها انتحرَت. ند قال إنها ألقَت نفسها من حالق في البحر».

أجابَ ند وهو يقودها عائدًا: «هذا صحيح، لكنني أراهنُ أن الحُزن كان السَّبب. لقد فقدَت أخاها سيف الصَّباح»، وهَزَّ رأسه مردفًا: «صهٍ يا سيِّدتي. لقد ماتوا جميعًا، فصهٍ... ومن فضلكِ، عندما نَبلُغ (ريفررَن) فلا تَذكُري شيئًا من هذا لأمِّك».

وجدوا القرية حيث قال نوتش، وأووا إلى اسطبل مبني بالحجر الرَّمادي لم يتبقَّ من سقفه إلَّا نِصفه، لكن هذا النِّصف أكثر مما في أيِّ مبنًى آخَر في المكان. ليست قريةً، بل حجارة سوداء وعظام قديمة. سألَت آنجاي وهي تُساعِده على تجفيف الخيول: «هل قتلَ جنود لانستر من كانوا يعيشون هنا؟».

أجابَ مشيرًا: «انظُري إلى الكثافة التي تنمو بها الطَّحالب على الأحجار. لا أحد حرَّكها منذ زمن. وثمَّة شجرة تنمو من الحائط هناك، انظُري. هذا المكان أُحرِقَ قبل سنواتٍ طويلة».

سألَ جندري: «مَن فعلها إذن؟».

- «هوستر تَلي»، قال نوتش الأشيب ذو الظَّهر المحني، الذي وُلِدَ في هذه الأنحاء. «كانت هذه قرية اللورد جودبروك، وحين أعلنَت (ريفررَن) مناصَرتها روبرت ظَلَّ اللورد جودبروك مخلصًا للملك، فعاجلَه اللورد تَلي بالنَّار والسَّيف. بَعد معركة (الثَّالوث) تصالحَ ابن جودبروك مع روبرت واللورد هوستر، لكن ما جدوى الصُّلح للموتى؟».

رانَ الصَّمت، ورمقَ جندري آريا بنظرةٍ غريبة، ثم أشاحَ بوجهه وأخذَ يُمَشِّط حصانه، وفي الخارج ظلَّت الأمطار تنهمر وتنهمر.

أعلنَ ثوروس: «يجب أن نُشعِل نارًا. اللَّيل مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال، ومبتلٌّ أيضًا، إيه؟ مبتلٌّ جدًّا جدًّا».

كسَّر چاك المحظوظ القليل من الخشب الجاف من كرسيٍّ قديم، بينما جمعَ نوتش وميريت القَشَّ، وأشعلَ ثوروس الشَّرارة الأولى بنفسه، وهوَّى ليم اللَّهب بمعطفه الأصفر الكبير إلى أن تأجَّج، وسرعان ما أصبحَ الجَوُّ داخل الاسطبل أدنى إلى الحرارة. جلس ثوروس متقاطع السَّاقين عند النَّار، يلتهمها بعينيه كما كان يفعل على قمَّة (القلب العالي)، وراقبَته آريا من كثب. تحرَّكت شفتاه مرَّةً وخُيِّلَ إليها أنه همسَ: «(ريڤررَن)»، على حين قطعَ ليم المكان ذهابًا وإيابًا وهو يَسعُل، يُلاحِقه ظِلٌّ طويل خُطوةً خُطوةً، أمَّا توم سبعة أوتار فخلعَ حذاءه وفركَ قدميه قائلًا بتذمُّر: «آل تَلي هؤلاء لم يجلبوا الحَظَّ لتوم العجوز قَطُّ. كانت لايسا تلك هي من أرسلَتني على (الطَّريق العالي)، حين سرقَ رجال القمر ذهبي وحصاني وثيابي كلَّها. ما زالَ هناك فُرسان في (الوادي) يحكون كيف ذهبتُ مشيًا إلى (البوَّابة الدَّامية) بلا شيءٍ يَستُر عورتي إلَّا القيثارة. جعلوني أغنِّي (فتى يوم الميلاد) و(الملك عديم الشَّجاعة) قبل أن يفتحوا البوَّابة. عزائي الوحيد أن ثلاثةً منهم ماتوا ضاحكين. لم أرجع إلى (العُش) منذ ذلك الحين، ولن أغنِّي (الملك عديم الشَّجاعة) ولو مقابل كلِّ الذَّهب في (كاسترلي...)».

قال ثوروس فجأةً: «جنود لانستر، يزأرون بالأحمر والذَّهبي»، وأسرعَ ينهض وذهبَ إلى اللورد بريك، ولم يُبَدِّد توم وليم وقتًا قبل الانضمام إليهما. لم تستطِع آريا تمييز ما يُقال، لكن المغنِّي ظَلَّ يَنظُر إليها، وفي لحظةٍ لاحَ غضب شديد على ليم وضربَ الحائط بقبضته. كان هذا عندما أشارَ لها اللورد بريك بالاقتراب، وهو آخِر ما أرادَت أن تفعله، لكن هاروين وضعَ يده على ظَهرها ودفعَها إلى الأمام، فأخذَت خُطوتين ثم تردَّدت وقد ملأَها الخوف، وقالت: «سيِّدي»، وانتظرَت أن يقول سيِّد البرق ما لديه.

قال آمرًا لثوروس: «أخبرها».

أقعى الرَّاهب الأحمر إلى جانبها قائلًا: «سيِّدتي، لقد أنعمَ عليَّ الإله بنظرةٍ على (ريڤررَن)، فبدَت لي كجزيرةٍ في بحرٍ من النِّيران. كان اللَّهب أسودًا واثبةً مخالبها قرمزيَّة طويلة، ويا لزئيرها! بحرٌ من جنود لانستر يا سيِّدتي. قريبًا ستتعرَّض (ريڤررَن) للهجوم».

أحسَّت آريا كأنه لكمَها في بطنها، وصاحَت: «لا!».

قال ثوروس: «اللَّهب لا يكذب يا حُلوتي. أحيانًا أسيءُ قراءته لأني أحمق أعمى، لكن ليتس هذه المرَّة على ما أعتقدُ. قريبًا سيُحاصِر جيش لانستر (ريفَرَن)».

رمقَته آريا بعنادٍ قائلةً: «روب سيهزمهم، سيهزمهم كما فعلَ من قبل».

- «قد يكون أخوكِ قد رحلَ، وأمُّكِ كذلك. إنني لم أرهما في اللَّهب. هذا الزِّفاف الذي تكلَّمت عنه العجوز، زفاف في (التَّوأمتين)... إن لها أساليبها التي تعرف بها الأشياء. أشجار الويروود تهمس في أذنيها في منامها، وإذا قالت إن أمَّكِ ذهبَت إلى (التَّوأمتين)...».

التفتَت آريا إلى توم وليم قائلةً بحدَّة: «لو لم تقبضوا عليَّ لكنتُ هناك الآن، لكنتُ في الدِّيار!».

لم يلتفت اللورد بريك إلى غضبتها، وقال بكياسةٍ مرهَقة: «سيِّدتي، هل تعرفين أخا جدِّكِ شكلًا؟ السير برايندن تَلي الملقَّب بالسَّمكة السَّوداء؟ هل يُمكن أن يتعرَّفكِ هو؟».

هزَّت رأسها نفيًا بتعاسة. لقد سمعَت أمَّها تتكلَّم عن السير برايندن السَّمكة السَّوداء، لكن إن قابلَته بنفسها، فقد كانت أصغر من أن تتذكَّر.

قال توم: «فُرصة أن يدفع السَّمكة السَّوداء مبلغًا محترمًا في فتاةٍ لا يعرفها ضعيفة. آل تَلي هؤلاء غلاظ شكَّاكون، وسيعتقد أننا نبيعه بضاعةً تالفةً».

قال ليم بإصرار: «سنُقنعه. هي ستُقنعه، أو هاروين. (ريفَرَن) أقرب. أقولُ أن نأخذها إلى هناك ونَحصُل على الذَّهب ونَفرُغ منها نهائيًّا».

رَدَّ توم: «وإذا حاصرَنا الأسود داخل القلعة؟ لن يروقهم أكثر من أن يُعَلِّقوا حضرة اللورد في قفص على أسوار (كاسترلي روك)».

قال اللورد بريك: «لستُ أنوي أن يأخذوني»، لكن كلمةً أخيرةً ظلَّت معلَّقةً في هواء المكان: حيًّا. كلُّهم سمعوها، حتى آريا، مع أن شتفيه لم تلفظاها. «لكننا لا نجرؤ على التَّحرُّك كالعميان. أريدُ أن أعرف موقع الجيشين، جيش الذِّئاب وجيش الأسود. لا بُدَّ أن شارنا تعلم شيئًا، ومِايستر اللورد ڤانس سيعرف أكثر. (بهو البلُّوط) ليست بعيدةً. ستُؤوينا الليدي سمولوود بعض الوقت بينما نُرسِل كشَّافةً ليعرفوا...».

قرعَت كلماته أُذنيها كالطُّبول، وفجأةً لم تَعُد آريا تحتمل. إنها تُريد (ريڤررَن) لا (بهو البلُّوط)، تُريد أمَّها وأخاها روب لا الليدي سمولوود أو أخا جدِّها الذي لم تعرفه قَطُّ. دارَت على عقبيها واندفعَت إلى الباب، ولمَّا حاولَ هاروين إمساكها تملَّصت منه بسُرعة الثُّعبان.

خارج الاسطبل كان المطر لا يزال يَسقُط، وسطعَ برق بعيد في الغرب. ركضَت آريا بأقصى سُرعتها، لا تدري إلى أين ستذهب، لا تدري سوى أنها تُريد أن تكون وحدها، بعيدًا عن أصواتهم، بعيدًا عن كلامهم الفارغ ووعودهم المكذوبة. لم أرِد إلَّا الذَّهاب إلى (ريڤررَن). غلطتها أنها أخذَت هوت پاي وجندري معها حين تركَت (هارنهال)، فلكانت في حالٍ أفضل بمفردها. لو كانت بمفردها لما قبضَ عليها الخارجون عن القانون، ولكانت مع روب وأمِّها الآن. لم يكونا قطيعي قَطُّ. لو كانا لما تخلَّيا عني. خاضَت في بِركةٍ من المياه الموحلة، وسمعَت أحدًا يصيح باسمها، ربما هاروين أو جندري، لكنِ الرَّعد طغى على الصِّياح إذ هدرَ عبر التِّلال بَعد أقلِّ من لحظةٍ من البرق. فكَّرت غاضبةً: سيِّد البرق. ربما لا يموت، لكنه يكذب.

في مكانٍ ما إلى يسارها صهلَ حصان. لم تكن قد ابتعدَت أكثر من خمسين ياردة عن الاسطبل، لكن المياه أغرقَت ثيابها عن آخِرها. طأطأَت رأسها ودارَت حول زاوية أحد البيوت المتداعية، آملةً أن تقيها الجُدران المكسوَّة بالطَّحالب من المطر، فكادَت ترتطم بأحد الحُرَّاس، وانغلقَت يد مقفَّزة بالحلقات المعدنيَّة على ذراعها بقسوة.

قالت متلوِّيةً في قبضة الرَّجل: «إنك تؤلِمني! دَعني! كنتُ سأعودُ، كنتُ...».

تردَّدت في أُذنيها ضحكة ساندور كليجاين كالحديد إذا احتكَّ بالحجر، وقال: «تعودين؟ لا عليكِ بهذا أيتها الذِّئبة الصَّغيرة، إنكِ لي»، وبيدٍ واحدة سحبَها وجَرَّها إلى حصانه المنتظر وهي تَركُل الهواء.

وانهمرَ المطر جالدًا إياهما معًا وجارفًا صياحها، وكلُّ ما استطاعَت آريا التَّفكير فيه هو؛ السُّؤال الذي ألقاه عليها من قبل: هل تعرفين ما تفعله الكلاب بالذِّئاب؟



چايمي

على الرغم من الحُمَّى التي لازمَته بعنادٍ كانت جَدعة يده تلتئم بنظافة، وقال كايبرن إن ذراعه لم تَعُد في خطر. كان چايمي متلهِّفًا على الرَّحيل، على ترك (هارنهال) والممثِّلين السَّفَّاحين وبِريان التارثيَّة وراءه، ففي (القلعة الحمراء) تنتظره امرأة حقيقيَّة.

قال رووس بولتون صبيحة رحيلهم: «سأرسلُ كايبرن معك ليعتني بك في الطَّريق إلى (كينجز لاندنج). إن أمله كبير في أن يُجبِر أباك (القلعة) على إعادة سلسلته إليه، على سبيل العرفان بالجميل».

- «كلُّنا لدينا آمال كبيرة. إذا أنبتَ لي يدًا جديدةً سيجعله أبي المِايستر الأكبر».

يقود والتون ذو السَّاقين الفولاذ حراسة چايمي، وهو جلف صارم قاسٍ، في قلبه جُندي بسيط، وقد خدمَ چايمي طيلة حياته مع أمثاله. مَن على شاكلة والتون يَقتُلون إذا أمرَهم سادتهم، ويغتصبون ودماؤهم فائرة بَعد المعركة، ويسلبون وينهبون حيثما استطاعوا، لكن بمجرَّد أن تضع الحرب أوزارها يعودون إلى ديارهم، ويحملون المجارف بدلًا من الحِراب، ويتزوَّجون بنات جيرانهم ويُنجِبون قطيعًا من الأطفال. أولئك الرِّجال يُطيعون بلا تردُّد، لكن وحشيَّة رِفقة الشُّجعان المدمِّرة الفجَّة ليست من طباعهم المتأصِّلة.

غادرَ كلا الفريقين (هارنهال) في الصَّباح نفسه تحت سماءٍ رماديَّة باردة تُنذِر بالمطر. كان السير إينس فراي قد خرجَ قبل ثلاثة أيام متَّجهًا إلى الشَّمال الشَّرقي نحو (طريق الملوك)، واليوم سيتبعه بولتون الذي قال لچايمي:

«(الثَّالوث) فائض وحتى عند (مخاضة الياقوت) سيكون العبور صعبًا. هل ستُبلِّغ أباك تحيَّاتي الحارَّة؟».

- «بشرط أن تُبلِّغ روب ستارك تحيَّاتي».

- «سأفعلُ بالتَّأكيد».

اجتمعَ عدد من رجال رِفقة الشُّجعان في السَّاحة ليُشاهِدوهم يرحلون، فذهبَ چايمي على حصانه إلى حيث وقفوا، وقال: «زولو، لُطف منك أن تأتي لوداعي. پيج، تيميون، هل ستفتقداني؟ أما من دُعابةٍ أخيرة تُسَلِّيني على الطَّريق يا شاجويل؟ رورچ، هل جئت تُودِّعني بقُبلة؟».

قال رورچ: «اغرُب عن وجهي أيها العاجز».

- «ما دمتَ مصرًّا. لكن تأكَّد أني سأعودُ. اللانستر يُسَدِّد ديونه دائمًا»، ودارَ چايمي بحصانه وانضمَّ من جديدٍ إلى والتون ورجاله المئتين.

زوَّده اللورد بولتون بعتاد الفُرسان، مفضِّلًا أن يتجاهَل اليد المفقودة التي تحطُّ من هيبة زيِّه الحربي، فركبَ چايمي بسيفٍ وخنجرٍ في حزامه، وتُرس وخوذةٍ معلَّقين من سَرجه، وقميص حلقاتٍ معدنيَّة تحتَ سُترته البنِّيَّة الطَّويلة، لكنه ليس بالحُمق الذي يجعله يُعَلِّق رمز عائلة لانستر، أو الشِّعار الأبيض النَّاصع الذي من حقِّه أن يحمله باعتباره فارسًا في الحَرس الملكي، وبدلًا من هذا وجدَ تُرسًا قديمًا في مستودَع السِّلاح، منبعجًا ومشقَّقًا، ولا يزال يلوح على طلائه المتقشِّر أغلب خُفَّاش عائلة لوثستون الأسود الكبير على خلفيَّةٍ من الذَّهبي والفضِّي. كان آل لوثستون أصحاب (هارنهال) قبل آل وِنت، وكانوا عائلةً قويَّةً آنذاك، لكنهم انقرضوا منذ عصور، وليس من المحتَمَل أن يعترض أحدهم على حمله رمزهم. هكذا لن يكون ابن عَمِّ أحد أو عدوَّ أحد أو رجل أحد... باختصار، سيكون لا أحد.

خرجوا من بوَّابة (هارنهال) الشَّرقيَّة الأصغر، وودَّعوا رووس بولتون وجيشه على بُعد ستَّة أميال من القلعة، قبل أن ينعطفوا جنوبًا ليمضوا على طريق البحيرة بعض الوقت، إذ قرَّر والتون أن يتحاشوا (طريق الملوك) أطول فترةٍ ممكنة، مفضِّلًا طُرق المزارعين ودروب الفرائس بالقُرب من (عين الآلهة).

لكن چايمي قال: «(طريق الملوك) أسرع». إنه متلهِّف على العودة إلى

سرسي في أقرب وقت، وإذا أسرعوا فلعلَّه يصل في الوقت المناسب لحضور زفاف چوفري.

رَدَّ ذو السَّاقين الفولاذ: «لا أريدُ متاعب. الآلهة وحدها تعلم مَن قد نلتقي على (طريق الملوك)».

- «لا أحد مخيفًا بالتَّأكيد. إن معك مئتا رجل».

- «نعم، لكن قد يكون مع الآخَرين أكثر. سيِّدي أمرَني بأن أعيدك سالمًا إلى السيِّد والدك، وهذا ما أنتوي أن أفعله».

سلكتُ هذا الطَّريق من قبل، فكَّر چايمي بَعد أن قطعوا بضعة أميالٍ أخرى ومرُّوا بطاحونةٍ مهجورة على شاطئ البحيرة. الآن تنمو الحشائش حيث ابتسمَت له ابنة الطَّحَّان بخجل، وناداه الطَّحَّان نفسه صائحًا: «الدَّورة في الاتِّجاه الآخَر أيها الفارس!». كأني لم أكن أعرفُ.

صنعَ إيرس من تقليده رُتبته في الحَرس الملكي عرضًا مبهرًا، فردَّد چايمي نذوره أمام سُرادق الملك، راكعًا على الكلأ الأخضر في دِرعٍ بيضاء بينما يُشاهِده نِصف البلاد، وعندما ساعدَه السير چيرولد هايتاور على النُّهوض ووضعَ على كتفيه المعطف الأبيض ارتفعَ من الحضور هتاف هادر ما زالَ يَذكُره بَعد كلِّ هذه السِّنين. لكن في اللَّيلة نفسها انقلبَ مزاج إيرس، وأعلنَ أنه ليس في حاجةٍ إلى سبعة الحَرس الملكي هنا في (هارنهال)، وأمرَ چايمي بالعودة إلى (كينجز لاندنج) وحراسة الملكة والأمير ڤسيرس الصَّغير اللذين بقيا هناك. حتى عندما عرضَ الثَّور الأبيض أن يتولَّى هذا الواجب بنفسه كي يبقى چايمي ويُنافِس في دورة اللورد وِنت، رفضَ إيرس قائلًا: «لن يربح مجدًا هنا. إنه لي الآن وليس لتايوين، وسيخدم وفق مشيئتي. إنني الملك، أنا أقضي وهو يُطيع».

كانت هذه أول مرَّةٍ يفطن فيها چايمي لحقيقة أن فوزه بالمعطف الأبيض لم يكن بدافع مهارته في النِّزال بالسَّيف والرُّمح، ولا مَناقب الشَّجاعة التي أبداها في القتال ضد أخوَّة غابة الملوك. لقد اختاره إيرس نكايةً في أبيه، ليحرم اللورد تايوين وريثه.

حتى الآن، بَعد كلِّ ما خلا من أعوام، ما زالت الذِّكرى مريرةً. يومها، وهو يرتدي معطفه الأبيض الجديد في طريقه جنوبًا ليَحرُس قلعةً خاليةً، كان ما

يَشعُر به يكاد يفوق الاحتمال، وكان ليخلع المعطف الذي خُلِعَ عليه ويُمَزِّقه في التَّوِّ واللَّحظة، لولا أن الأوان فاتَ بالفعل. لقد حلفَ اليمين أمام نِصف البلاد، ورجال الحَرس الملكي يخدمون طوال العُمر.

لحقَ به كايبرن، وسأله: «هل تُزعِجك يدك؟».

- «الافتقار إلى يدي هو ما يُزعِجني». دائمًا الصَّباح أصعب الأوقات على الإطلاق. في أحلامه هو رجل كامل، وكلَّ فجرٍ يستلقي شِبه مستيقظٍ مستشعرًا أصابعه تتحرَّك، ويهمس جزء منه ما زالَ إلى الآن يأبى التَّصديق: كان كابوسًا، مجرَّد كابوس.

ثم يفتح عينيه.

قال كايبرن: «أعتقدُ أن زائرةً جاءَتك ليلة أمس. أتمنَّى أنك استمتعت بها».

رمقَه چايمي ببرودٍ قائلًا: «لم تقل من أرسلَها».

ابتسمَ المِايستر بتواضُع، وقال: «الحُمَّى خفَّت إلى حَدٍّ كبير، وخطرَ لي أنك قد تستمتع بالقليل من التَّمرين. پيا بارعة جدًّا، أليس كذلك؟ كما أنها... راغبة جدًّا».

كانت كذلك بالتَّأكيد. لقد دخلَت من بابه وخرجَت من ثيابها بسُرعةٍ جعلَت چايمي يحسب أنه لا يزال يَحلُم.

لم يحسَّ بالاستثارة حتى انضمَّت إليه المرأة تحت أغطيته ووضعَت يده السَّليمة على ثديها. وكانت حسناء أيضًا. قالت له: «كنتُ فتاةً صغيرةً حين جئت إلى دورة اللورد ونت وأعطاك الملك معطفك. بدوت وسيمًا جدًّا وأنت تلبس الأبيض، وقال الجميع إنك فارس شُجاع. أحيانًا وأنا مع رجلٍ ما أغلقُ عينَيْ، وأتخيَّلُ أنك أنت فوقي ببشرتك الملساء وخُصلاتك الذَّهب، وإن لم أعتقد قَطُّ أني سأحظى بك بحَق».

لم يكن صرْفها سهلًا بَعد ذلك، لكنه صرفَها على كلِّ حال مذكِّرًا نفسه: لديَّ امرأة بالفعل.

سألَ كايبرن: «هل تُرسِل فتيات إلى كلِّ من تُعلِّق لهم العَلق؟».

- «غالبًا يُرسِلهن اللورد ڤارجو إليَّ، يُريدني أن أفحصهن قبل... يكفي القول إنه تهوَّر في الحُبِّ ذات مرَّة ولا يرغب في أن يفعلها ثانيةً. لكن لا تقلق، پيا نظيفة تمامًا، مِثل رفيقتك عذراء (تارث)».

رمقَه چايمي بحدَّةٍ سائلًا: «بريان؟».

قال كايبرن: «نعم. إنها فتاة قويَّة، ولا تزال محتفظةً ببكورتها، حتى ليلة أمس على الأقل»، وأطلقَ ضحكةً قصيرةً.

- «أرسلك تفحصها؟».

- «بالتَّأكيد. إنه... لنقل إنه يُدَقِّق في التَّفاصيل».

- «ألهذا علاقة بفديتها؟ هل طلبَ أبوها دليلًا على أنها ما زالَت بكرًا؟».

قال كايبرن: «ألم تسمع؟»، وهَزَّ كتفيه مردفًا: «لقد وصلَنا طائر من اللورد سلوين حاملًا إجابةً على رسالتي له. نجم المساء يعرض ثلاثمئة تنِّين ذهبي مقابل عودة ابنته آمنةً. أخبرتُ اللورد ڤارجو أن (تارث) ليس فيها صفير، لكنه يَرفُض أن يُصغي، ومقتنع بأن نجم المساء يخدعه».

- «ثلاثمئة تنِّين فدية تليق بفارس. المفترَض أن يقبل الكبش ما يُمكنه أن يناله».

- «الكبش سيِّد (هارنهال)، وسيِّد (هارنهال) لا يُساوِم».

ضايقَه الخبر، وإن فكَّر أنه كان عليه أن يتوقَّعه. الكذبة أنجتكِ بعض الوقت يا هذه، فامتنِّي لهذا القدر على الأقل. قال ساخرًا: «إذا كان غشاء بكارتها صُلبًا كبقيَّتها فسيكسر الكبش قضيبه وهو يُحاوِل الولوج». قدَّر چايمي أن بريان قويَّة بما يكفي لاحتمال الاغتصاب بضع مرَّات، لكن إذا قاومَت بشراسةٍ أكثر من اللَّازم، فقد يبدأ ڤارجو هوت في بتر أطرافها واحدًا تلو الآخَر. وإذا فعلَ فلِمَ أبالي؟ كنتُ لأظلُّ محتفظًا بيدي لو تركَتني آخذ سيف ابن عمِّي دون أن تستحمِق. لقد كادَ يَبتُر ساقها بضربته الأولى، لكنها جابهَته بمنتهى الشَّراسة بَعدها. ربما يجهل هوت قوَّتها الغاشمة. خيرٌ له أن يحذر وإلَّا كسرَت عُنقه الرَّفيع، وألن يكون هذا رائعًا؟

أحسَّ بالضَّجر من صُحبة كايبرن، فخَبَّ إلى مقدِّمة الرَّكب، حيث يمضي رجل شمالي قصير ممتلئ اسمه نايچ أمام ذي السَّاقين الفولاذ حاملًا راية السَّلام المخطَّطة بألوان قوس قزح وتتدلَّى منها سبعة ذيولٍ طويلة، بينما تعلو السَّارية نجمة سُباعيَّة. خاطبَ والتون سائلًا: «أليس من المفترَض أن تكون لكم راية سلامٍ مختلفة أيها الشَّماليُّون؟ ما علاقتكم بـ(السَّبعة)؟».

أجابَ الرَّجل: «إنها آلهة جنوبيَّة، وما نسعى إليه هو السَّلام الجنوبي كي نُوَصِّلك إلى أبيك بأمان».

أبي. تساءلَ چايمي إن كان اللورد تايوين قد تلقَّى مطلب الكبش بالفدية، وإن كانت يده قد أُرفِقَت معه أم لا. ما قيمة السَّيَّاف دون يده حاملة السَّيف؟ نصف الذَّهب في (كاسترلي رِوك)؟ ثلاثمئة تنِّين؟ لا شيء؟ لم تكن شيمة أبيه قَطُّ أن تُؤَثِّر فيه العاطفة إلَّا قليلًا. ذات مرَّةٍ سجنَ اللورد تايتوس -أبو تايوين لانستر- حامل رايةٍ متنمِّر اسمه اللورد تاربك، فاستجابَت المرأة المهيبة الليدي تاربك بالقبض على ثلاثةٍ من آل لانستر، منهم ستافورد الشَّاب الذي كانت أخته خطيبة ابن عمِّهما تايوين وقتها. كتبَت المرأة لـ(كاسترلي روك) قائلةً: «أعيدوا لي سيِّدي وحبيبي وإلَّا دفعَ هؤلاء الثَّلاثة ثَمن أيِّ ضررٍ يمسُّه»، فاقترحَ تايوين الشَّاب أن يُذعِن أبوه ويُرسِل اللورد تاربك على ثلاث قِطع، غير أن اللورد تايتوس كان أسدًا من النَّوع الأليف، وهكذا ربحَت الليدي تاربك بضع سنين إضافيَّة من العُمر لزوجها المأفون، وتزوَّج ستافورد وأنجبَ ومضى في حياته متخبِّطًا حتى (أوكسكروس)... لكن تايوين لانستر تجلَّد واستمرَّ يتحدَّى الدَّهر مِثل (كاسترلي روك). والآن لك ابن معاق علاوةً على ابنك القزم يا سيِّدي، ولكم ستبغض هذا...

قادَهم الطَّريق عبر قريةٍ محترقة. لا بُدَّ أن عامًا أو أكثر قد مَرَّ منذ أُضرِمَت النَّار في المكان، إذ وقفَت المنازل مسودَّةً بلا سقوف، لكن الحشائش نامية حتى الخاصرة في الحقول المحيطة كلِّها. أمرَ ذو السَّاقين الفولاذ بالتَّوقُّف ليسقوا الخيول، وفكَّر چايمي وهو منتظر عند البئر: أعرفُ هذا المكان أيضًا. كان هناك خان صغير حيث لا توجَد الآن إلَّا أحجار أساسٍ قليلة ومدخنة، خان دخلَه ليشرب كوبًا من المِزر. يومها جلبَت له نادلة داكنة العينين جُبنةً وتفَّاحًا، لكن صاحِب الخان رفضَ أن يدفع چايمي الحساب، وقال: «شَرف لي أن أستضيف رجلًا في الحَرس الملكي تحت سقفي أيها الفارس. إنها حكاية سأحكيها لأحفادي». تطلَّع إلى المدخنة البارزة من وسط الحشائش، وتساءلَ إن كان الرَّجل قد حظيَ بهؤلاء الأحفاد. هل قال لهم إن قاتِل الملك شربَ مِزره وأكل جُبنته وتفَّاحه ذات يوم، أم خجلَ من الاعتراف بأنه أطعمَ وسقى أمثالي؟ لن يعرف الإجابة أبدًا. أيًا كان من أحرقَ الخان قتلَ الأحفاد كذلك غالبًا.

شعرَ بأصابعه الشَّبحيَّة تنقبض، ولمَّا اقترحَ والتون أن يُشعِلوا نارًا ويتناوَلوا وجبةً، هَزَّ چايمي رأسه رافضًا، وقال: «هذا المكان لا يروقني. سنستأنف الرُّكوب».

مع حلول المساء كانوا قد تركوا البحيرة إلى درب كثير الحُفر في غابةٍ من شجر السَّنديان والدَّردار، وحين قرَّر والتون أن يُخَيِّموا كانت جَدعة چايمي تنبض بألم خافت، لكن من حُسن الحَظِّ أن كايبرن أحضرَ معه قِربةً من نبيذ النَّوم. بينمًا عيَّن والتون الحُرَّاس، تمدَّد چايمي بالقُرب من النَّار، ودَسَّ فروة دُبٍّ مطويَّة بين جذع شجرةٍ مبتور ورأسه على سبيل الوسادة. كانت الفتاة لتقول له إن عليه أن يأكل قبل أن ينام كي يحتفظ بقوَّته، لكن تعبه غلبَ جوعه، وأسبلَ جفنيه آملًا أن يَحلُم بسرسي، فأحلام الحُمَّى جليَّة حقًّا...

عاريًا وحيدًا يقف، يُحيط به الأعداء وتُطبق عليه جُدران حجر. يُدرِك أنه في (الصَّخرة)، ويحسُّ بثِقلها الهائل فوق رأسه. إنه في بيته، في بيته وسليم كامل.

يرفع يُمناه ويبسط أصابعه ويقبضها ليَشعُر بقوَّتها، ويُفعِمه إحساس ممتع كالجنس، ممتع كالمبارَزة. خنصر وبنصر ووُسطى وسبَّابة وإبهام. لقد حلَمَ بأن يده بُتِرَت، لكنها لا تزال متَّصلةً بذراعه. يُدير الارتياح رأسه، ويُفكِّر: يدي، يدي الغالية. لا شيء بمقدوره إيذاؤه وهو كامل.

حوله تقف دستة من الأطياف الطَّويلة القاتمة مرتديةً مُسوحًا تُخفي وجوهها وفي أيديها الحِراب، فيسأل: «مَن أنتم؟ ما شأنكم في (كاسترلي روك)؟».

لكنهم لا يُجيبون، فقط يَنكُزونه برؤوس حِرابهم، فلا يجد خيارًا إلَّا النُّزول، وينزل في دِهليز ملتوٍ درجاته الضَّيِّقة محفورة في الصَّخر الحي، إلى أسفل فأسفل ينزل ويقولُ لنفسه: عليَّ أن أصعد، أصعد ولا أنزل. لماذا أنزل؟ يعلم بيقين الأحلام أن هلاكه ينتظره تحت الأرض، وأن شيئًا أسود شنيعًا يترصَّد له هناك، شيئًا يُريده. يُحاول چايمي أن يتوقَّف، لكن الحِراب تخزه وتُرغِمه على الاستمرار. لو أن معي سيفي فقط لما آذاني شيء.

تنتهي الدَّرجات فجأةً في ظلام رنَّان، ويستشعر چايمي مساحةً خاليةً شاسعةً أمامه، فيتوقَّف بحركةٍ حادَّةٍ ويتأرجَح على حافة العدم. ينخزه رأس

حربةٍ في ظَهره من أسفل دافعًا إياه إلى الهوَّة، فيَصرُخ لكنه يجد السَّقطة قصيرةً، ويهبط على يديه ورُكبتيه فوق رمالٍ ناعمة ومياهٍ آسنة. ثمَّة كهوف مائيَّة في الأعماق تحت (الصَّخرة)، لكن هذا الكهف غريب عليه، فيسأل: «ما هذا المكان؟».

ويُجيب الصَّوت الرَّنَّان: «مكانك». مئة صوت، ألف صوت، أصوات كلِّ ذُرِّيَّة لانستر منذ لان المُحتال الذي عاشَ في فَجر الأيام، لكن صوت أبيه يطغى عليها جميعًا، وإلى جوار اللورد تايوين تقف أخته شاحبةً جميلةً وفي يدها مشعل متَّقد، ويقف چوفري أيضًا، الابن الذي أتيا به إلى الحياة معًا، ووراءهم المزيد من الأطياف القاتمة ذات الشَّعر الذَّهبي.

- «لماذا جاءَ بنا أبونا هنا يا أختاه؟».

- «بنا؟ هذا مكانك أنت يا أخي، ظُلمتك أنت». مشعلها الضَّوء الوحيد في المغارة، مشعلها الضَّوء الوحيد في الكون، وتدور سرسي لتُغادِر.

يقول چايمي متوسِّلًا: «لا تَترُكوني، لا تَترُكوني هنا وحيدًا»، لكنهم يتحرَّكون تاركين إياه. «لا تَترُكوني في الظَّلام!». شيء رهيب يعيش هنا. «أعطوني سيفًا على الأقل».

ويردُّ اللورد تايوين: «أعطيتك سيفًا».

ويجده عند قدميه، ويمد يده تحت الماء متلمِّسًا حتى تنغلق على المقبض. لا شيء يُمكنه أن يؤْذيني ما دامَ سيفي معي. يرفع السَّيف فيومِض إِصبع من اللَّهب الباهت على الرَّأس، ويزحف على الحافة ثم يتوقَّف على قيد أُنملةٍ من المقبض، وتتَّخذ النَّار لون الفولاذ ذاته وتتوهَّج بضوءٍ أزرق يميل إلى الفضِّي وتنسحب العتمة. يجثم چايمي منصتًا ويتحرَّك في دائرةٍ مستعدًّا لأيِّ شيءٍ يَخرُج عليه من الظَّلام، ويُغرِق الماء قدميه حتى الكاحليْن ببرودةٍ قارسة، فيقول لنفسه: حذارِ من الماء، قد تكون هناك كائنات تعيش فيه، في الأغوار السَّحيقة...

من ورائه يسمع المياه تتناثَر بصوتٍ صاخب، ويدور چايمي مسرعًا نحو الصَّوت... لكن الضَّوء الخافت لا يُسفِر إلَّا عن بريان التارثيَّة، عارية تُكبِّل يديها سلاسل ثقيلة، وبعنادٍ تقول الفتاة: «لقد حلفتُ أن أحافظ على سلامتك، حلفتُ يمينًا»، وترفع يديها لچايمي مردفةً: «أرجوك أيها الفارس، إذا سمحت».

تنشقُّ الحلقات الحديد كالحرير، وتقول برِيان مناشدةً: «سيف»، وإذا

به هناك بغِمده وحزامه، فتشدُّه حول خصرها الغليظ. الضَّوء شحيح للغاية وبالكاد يستطيع چايمي أن يراها، مع أن أقدامًا معدودةً تفصل بينهما. في هذا الضَّوء تكاد تبدو مليحةً، في هذا الضَّوء تكاد تكون فارسًا. بدوره يلتهب سيف بِريان ويتَّقد بالأزرق المشوَّب بالفضِّي، وتتقهقَر الظُّلمة أكثر قليلًا.

يسمع سرسي تُنادي: «ما دامَ اللَّهب مشتعلًا ستبقى حيًّا، وحين يهمد تموت».

يصيح: «أختاه! ابقي معي! ابقي!»، ولكن ما من مجيبٍ إلَّا وقع الأقدام المبتعدة.

تُحرِّك بِريان سيفها الطَّويل إلى الأمام والخلف مراقبةً اللَّهب المفضَّض يتراقَص ويتوهَّج، وتحت قدميها يلتمع انعكاس النَّصل النَّاري على صفحة المياه السَّوداء السَّاكنة. تقف طويلةً قويَّةً كما يتذكَّرها، وإن يبدو لچايمي أن لها جسدًا أكثر أنوثةً الآن.

- «هل يحتفظون بدُبٍّ هنا؟»، تسأل بِريان وهي تتحرَّك بتأنٍّ وحذرٍ وسيفها في يدها، تخطو وتدور وتُصغي، وتَنثُر كلُّ خُطوةٍ الماء بصوتٍ خافت. «أسد كهوف؟ ذئب رهيب؟ دُبٌّ ما؟ أخبِرني يا چايمي، ما الذي يعيش هنا؟ ما الذي يعيش في الظَّلام؟».

- «الفَناء». ليس دُبًّا أو أسدًا. «لا شيء إلَّا الفَناء».

في ضوء السَّيفين البارد تبدو الفتاة الكبيرة شاحبةً شرسةً، وتقول: «أكرهُ هذا المكان».

- «لستُ مغرمًا به عن نفسي. قدماي مبتلَّتان».

يصنع النَّصلان معًا جزيرةً صغيرةً من النُّور، لكن في كلِّ اتِّجاهٍ يمتدُّ بحر من الظَّلام السَّرمدي.

- «يُمكننا أن نعود من حيث جلبونا. إذا وقفت على كتفَيْ فلن يَصعُب عليك أن تَبلُغ مدخل النَّفق».

ثم أتبعُ سرسي. يحسُّ بانتصابه يُصاحِب الفكرة، فيلتفت عن بِريان لئلَّا ترى.

- «أصغ». تضع يدها على كتفه ويرتجف من اللَّمسة المفاجئة. إنها دافئة. «شيء ما قادِم». ترفع سيفها وتُشير إلى يساره قائلةً: «هناك».

يُحَملِق إلى السَّواد الدَّامس إلى أن يراه أيضًا. في الظُّلمة شيء ما يتحرَّك لا يُدركه تمامًا...

- «رجل على حصان. لا، اثنان. راكبان جنبًا إلى جنب».

- «هنا تحت (الصَّخرة)؟». لا يفهم كيف، لكن الخيَّالين يظهران على حصانين شاحبين، هذان مدرَّعان وهذان أيضًا. يَخرُج الجوادان الحربيَّان من الأسود الحالك ماشيَيْن ببُطء، فيقول چايمي لنفسه: لا أصوات، لا مياه تتناثر أو دروع تصلُّ أو حوافر تدقُّ الأرض. يتذكَّر إدارد ستارك قاطعًا طول قاعة عرش إيرس بحصانه متَّشحًا بالصَّمت، لا يتكلَّم فيه إلَّا عيناه، عينا اللورد الرَّماديَّتان الباردتان، تُفصِح نظراتهما عن حُكمه عليه. «أهذا أنت يا ستارك؟ تقدَّم. لم أخفك قَطُّ وأنت حي، ولن أخافك وأنت ميت».

تمسُّ بريان ذراعه قائلةً: «هناك المزيد».

الآن يراهم أيضًا. يخال أنهم مدرَّعون بالثَّلج جميعًا، ومن أكتافهم تخفق شرائط من الضَّباب. مقدِّمات خوذهم مغلقة، لكن چايمي لانستر لا يحتاج إلى رؤية وجوههم ليتعرَّفهم.

خمسة منهم كانوا إخوته. أوزويل ونت وچون داري، وليوين مارتل الأمير الدورني، والثَّور الأبيض السير چيرولد هايتاور، والسير آرثر داين سيف الصَّباح... وإلى جوارهم، متوَّجًا بالسَّديم والحسرة ويُرَفرف وراءه شَعره الطَّويل، يركب ريجار تارجاريَن، أمير (دراجونستون) والَوريث الشَّرعي للعرش الحديدي.

- «لستم تُخيفوني»، يصيح متلفِّتًا وهُم ينقسمون على جانبيه فلا يدري أيَّ جانب يُواجِه. «سأقاتلكم واحدًا واحدًا أو في آنٍ واحد، لكن مَن يُبارِز الفتاة؟ إنها تغضب إذا تجاهلَها أحد».

تقول بريان لطيف ريجار: «لقد حلفتُ أن أحافظ على سلامته، حلفتُ يمينًا مقدَّسَةً».

يردُّ السير آرثر داين بأسًى بالغ: «كلُّنا حلفنا أيمانًا».

تترجَّل الأطياف عن جيادها الشَّبحيَّة، وتستلُّ سيوفها الطَّويلة بلا صوت، فيقول چايمي: «كان سيُحرق المدينة ويَترُك لروبرت الرَّماد».

يقول داري: «كان مليكك».

ويقول ونت: «وأقسمتَ أن تُحافظ على سلامته».
ويقول الأمير ليوين: «وسلامة الطِّفلين أيضًا».
ويتَّقد الأمير ريجار بضوءٍ بارد، الآن أبيض، الآن أحمر، الآن داكن، ويقول: «تركتُ زوجتي وطفلَيْ بين يديك».
يخبو الضَّوء في سيف چايمي بعض الشَّيء، ويردُّ: «لم أتصوَّر قَطُّ أنه سيُؤذيهما. كنتُ مع الملك...».
يُقاطِعه السير آرثر: «تَقتُل الملك».
ويقول الأمير ليوين: «تذبحه».
ويقول الثَّور الأبيض: «الملك الذي أقسمت أن تموت من أجله».
تتذبذَب النَّار على حافة النَّصل، ويتذكَّر چايمي ما قالته سرسي. لا. يُطبِق الرُّعب على جيده ويُضيِّق الخناق، ثم ينطفئ السَّيف ولا يتبقَّى إلَّا ضوء سيف بريان، وتنقضُّ الأشباح.
ويَصرُخ چايمي: «لا! لا، لا، لا! لاااااا!».
بقلبٍ يدقُّ بمنتهى العُنف انتفضَ مستيقظًا، ووجدَ نفسه وسط بُستان أشجارٍ في ظلام مرصَّع بالنُّجوم وفي فمه مذاق مرير، يتصبَّب عَرقًا ويرتجف شاعرًا بالبرد والدِّفء في الآن نفسه. حين نظرَ إلى يده وجدَ المعصم ينتهي بالجلد والكتَّان الملتفَّين بإحكام حول جَدعةٍ قبيحة، وأحسَّ بالدُّموع تتجمَّع فجأةً في مُقلتيه. لقد شعرتُ بها، شعرتُ بالقوَّة في أصابعي وملمس مقبض السَّيف الجلدي الخشن. يدي...
جثا كايبرن إلى جواره والقلق يتصدَّر ملامحه الأبويَّة، وقال: «ما الخطب يا سيِّدي؟ سمعتك تَصرُخ».
وقفَ والتون ذو السَّاقين الفولاذ فوقهما بقامته الطَّويلة وملامحه العابسة قائلًا: «ماذا حدثَ؟ لماذا صرخت؟».
حدَّق چايمي إلى المخيَّم حوله شاعرًا بالضَّياع لحظةً، وقال: «حُلم... مجرَّد حُلم. كنتُ في الظَّلام، لكن يدي عادَت لي»، ونظرَ إلى جَدعة يده وانتابَه الغثيان من جديد. لا مكان في العالم كالذي تحت (الصَّخرة). كانت معدته متقلِّبة فارغة، ورأسه يدقُّ حيث أسندَه إلى جذع الشَّجرة المبتور.
تحسَّس كايبرن جبينه، ثم قال: «ما زلت تُعاني شيئًا من الحُمَّى».

غمغمَ چايمي: «هي سبب الحُلم إذن»، ومَدَّ يده السَّليمة قائلًا: «ساعِدني»، فجذبَه ذو السَّاقين الفولاذ منها، وعاونَه على النُّهوض.

سألَه كايبرن: «كوب آخَر من نبيذ النَّوم؟».

- «لا، لقد رأيتُ ما يكفي من أحلام اللَّيلة». تساءلَ كم تبقَّى من وقتٍ قبل طلوع الفَجر، وقد أدركَ بوسيلةٍ ما أنه سيعود إلى ذلك المكان المظلم المبتل إذا أغلقَ عينيه.

- «حليب الخشخاش إذن؟ وشيء للحُمَّى؟ إنك ما زلت ضعيفًا يا سيِّدي، وتحتاج إلى النَّوم والرَّاحة».

هذا آخِر شيءٍ أنوي أن أفعله. ترقرقَ نور القمر بشحوب على الجذع المبتور الذي أراحَ عليه رأسه. كان الطُّحلب يُغَطِّيه بكثافة فلم يلحظ من قبل، لكنه يرى الآن أن لون الخشب أبيض، وقد جعلَه يُفَكِّر في (وينترفل) وشجرة قلوب ند ستارك. لم يكن هو، لم يكن هو إطلاقًا. لكن الجذع ميت وكذا ستارك والآخَرون؛ الأمير ريجار والسير آرثر والطِّفلان. وإيرس، إيرس أكثرهم مواتًا. سألَ كايبرن: «هل تؤمن بوجود الأشباح أيها المايستر؟».

لاحَ تعبير غريب على وجه الرَّجل، وقال: «ذات مرَّةٍ في (القلعة) دخلتُ غُرفةً خاليةً ورأيتُ مقعدًا خاليًا، ومع ذلك عرفتُ أن امرأةً كانت هناك قبل لحظات. الوسادة كانت منبعجةً حيث جلسَت، والقماش لا يزال دافئًا، وظَلَّ عِطرها عالقًا في الهواء. إذا كنا نَترُك روائحنا خلفنا حين نُغادِر غُرفةً، فلا بُدَّ أن شيئًا من أرواحنا يبقى بَعدما نُغادِر هذه الحياة، أليس كذلك؟»، وبسطَ كايبرن يديه متابعًا: «لكن طريقتي في التَّفكير لم تَرُق رؤساء المايسترات، باستثناء ماروين، لكنه كان الوحيد».

مرَّر چايمي أصابعه في شَعره، وقال: «والتون، جهِّز الخيول. أريدُ أن أعود».

رمقَه ذو السَّاقين الفولاذ بريبةٍ مردِّدًا: «تعود؟».

يعتقد أن الجنون أصابَني، وربما أصابَني بحَق. «تركتُ شيئًا في (هارنهال)».

- «اللورد ڤارجو يُسَيطِر عليها الآن، هو وممثِّلوه السَّفَّاحون».

- «إن معك ضِعف عدد رجاله».

- «إذا لم أسلِّمك لأبيك كما تنصُّ أوامري فسيَسلُخ اللورد بولتون جِلدي. سنُواصِل الطَّريق إلى (كينجز لاندنج)».

في الماضي كان چايمي ليُجيبه بابتسامةٍ وتهديد، لكن عاجزًا بيدٍ واحدة لا يستطيع أن يبثَّ الخوف في النُّفوس. تساءلَ عمَّا كان أخوه ليفعله. كان تيريون ليجد سبيلًا. «آل لانستر يكذبون يا ذا السَّاقين الفولاذ. ألم يُخبِرك اللورد بولتون بهذا؟».

عقدَ الرَّجل حاجبيه بتوجُّس متسائلًا: «وماذا لو فعلَ؟».

- «ما لم تأخذني إلى (هارنهال)، فقد لا تكون الأغنيَّة التي أردِّدها على مسامع أبي هي التي يُريد سيِّد (معقل الخوف) أن يسمعها، بل وربما أقولُ إن بولتون هو من أمرَ ببتر يدي، وإن والتون ذا السَّاقين الفولاذ هو من نفَّذ الأمر».

حملقَ إليه والتون قائلًا: «غير صحيح».

- «نعم، لكن مَن الذي سيُصَدِّقه أبي؟»، وجعلَ چايمي نفسه يبتسم كما كان يفعل حينما لم يكن هناك في العالم ما يُخيفه، وأردفَ: «أسهل كثيرًا أن نعود، ولن يمضي وقت طويل حتى نَخرُج إلى قارعة الطَّريق مجدَّدًا، وعندما نَبلُغ (كينجز لاندنج) سأغنِّي أغنيَّةً في غاية الجَمال حتى إنك لن تُصَدِّق أذنيك. ستنال الفتاة، علاوةً على كيس ممتلئ بالذَّهب على سبيل العرفان».

بدا أن الفكرة راقَت والتون كثيرًا إذ سأل: «ذهب؟ كم من الذَّهب؟».

نلته. «كم تُريد؟».

وحين أشرقَت الشَّمس كانوا في منتصَف طريق العودة إلى (هارنهال) بالفعل.

دفعَ چايمي حصانه إلى الرَّكض أسرع مما فعلَ في اليوم السَّابق، وهو ما أجبرَ والتون ورجاله الشَّماليِّين على مجاراة سُرعته، وعلى الرغم من هذا لم يَبلُغوا القلعة المطلَّة على البحيرة قبل الظَّهيرة، وتحت سماءٍ متجهِّمة تتوعَّد بالمطر ارتفعَت الأسوار الشَّامخة والأبراج الهائلة الخمسة سوداء منذرةً بالويل. تبدو ميتةً تمامًا. وجدوا الأسوار خاليةً والبوَّابة مغلقةً موصدةً، لكن أعلى الحصن الأمامي تدلَّت راية واحدة مرتخية. كبش (كوهور) الأسود. كوَّر چايمي يده حول فمه زاعقًا: «أنتم في الدَّاخل! افتحوا البوَّابة وإلَّا حطَّمتها!».

أخيرًا، بَعد أن أضافَ كايبرن ووالتون صوتيهما إلى صوته، برزَ رأس من

الشُّرفة فوقهم ونظرَ صاحبه إليهم بإمعانٍ ثم اختفى، وبَعد مدَّةٍ قصيرة سمعوا الشَّبكة الحديديَّة ترتفع. انفتحَت البوَّابة، وهمزَ چايمي لانستر حصانه إلى الدَّاخل دون أن يُعير اهتمامًا لكُوَّات الدِّفاع التي يمرُّ أسفلها. كان قلقًا من احتمال أن يَرفُض الكبش دخولهم، لكن يبدو أن رِفقة الشُّجعان لا تزال تعدُّهم أصدقاء. الحمقى.

كانت السَّاحة الخارجيَّة مهجورةً، ولا أثر للحياة إلَّا في الاسطبلات الطَّويلة ذات الأسطُح المكسوَّة بالأردواز، لكن الخيول آخِر ما يهمُّ چايمي الآن. جذبَ عِنان الحصان وتلفَّت حوله، وسمعَ أصواتًا خافتةً تأتي من مكانٍ ما وراء (بُرج الأشباح) ورجالًا يصيحون بلُغاتٍ متعدِّدة. أحاطَ به ذو السَّاقين الفولاذ وكايبرن من الجانبين، وقال الأول: «خُذ ما عُدت من أجله وسنتحرَّك على الفور. لا أريدُ متاعب مع الممثِّلين».

قال چايمي: «قُل لرجالك أن يُبقوا أيديهم على مقابض سيوفهم ولن يرغب الممثِّلون في متاعب معكم. تذكَّر، اثنان إلى واحد»، ثم إنه التفتَ برأسه بحركةٍ حادَّة على إثر جؤارٍ بعيد، خافت لكن شرس، وتردَّد صدى الصَّوت على جُدران (هارنهال) وتعالَت الضَّحكات كموج البحر، وفجأةً أدركَ ما يَحدُث. هل تأخَّرنا؟ اضطربَت معدته، وضربَ الحصان بمهمازيه وانطلقَ يُهَروِل عبر السَّاحة الخارجيَّة، وتحت جسرٍ حجريٍّ مقنطَر وحول (بُرج العويل) ثم عبر (ساحة الحجر المصهور).

لقد وضعوها في جُبِّ الدِّببة.

كان الملك هارن الأسود يحبُّ أن يتفرَّج باقتتال الدِّببة بترفٍ ككلِّ شيءٍ آخَر اعتادَ أن يفعله، وهكذا حفرَ جُبًّا اتِّساعه عشر ياردات وعُمقه خمس، جُدرانه من الحجارة وأرضيَّته مفروشة بالرَّمل وتُحيط به ستَّة صفوف من الدِّكك الرُّخام. رأى چايمي وهو يثب من على ظَهر حصانه أن رجال رفقة الشُّجعان ملأوا رُبع المقاعد لا أكثر، وقد انهمكَ المرتزقة في مشاهَدة العرض في الأسفل حتى إن الواقفين على الجانب الآخَر من الجُبِّ فقط لاحَظوا وصولهم.

كانت بريان لا تزال ترتدي الفُستان الذي لا يُلائمها نفسه منذ العَشاء مع رووس بولتون، لكن لا دِرع ولا واقي صدر أو حلقات معدنيَّة أو حتى جِلد

مقوَّى، فقط الساتان الوردي وشرائط الزِّينة المايريَّة. ربما خطرَ للكبش أنها ستبدو طريفةً أكثر إذا ارتدَت ثياب النِّساء. نِصف فُستانها كان ممزَّقًا، وذراعها اليُسرى دامية حيث خمشَها الدُّب.

على الأقل أعطوها سيفًا. حملَته الفتاة بيدٍ واحدة وهي تتحرَّك بشكلٍ جانبي لتضع مسافةً بينها وبين الحيوان. لن يَصلُح هذا. الحلبة صغيرة للغاية. عليها أن تُهاجِم، أن تضع نهايةً سريعةً للقتال. الفولاذ الجيِّد يُمكنه التَّغلُّب على أيِّ دُب، لكن الفتاة بدَت خائفةً من الدُّنو، وأمطرَها الممثِّلون بالشَّتائم والإيحاءات البذيئة.

قال والتون محذِّرًا: «ليس هذا من شأننا. اللورد بولتون قال إن الفتاة لهم ليفعلوا بها ما يُريدون».

رَدَّ چايمي: «اسمها بِريان»، ونزلَ السَّلالم متجاوزًا دستةً مِن المرتزقة المندهشين. كان ڤارجو هوت قد اتَّخذ مقصورة اللورد في الصَّف السُّفليِّ، فناداه رافعًا صوته فوق الهتاف: «لورد ڤارجو!».

كادَ الكوهوري يَسكُب نبيذه، وقال: «قاتِل الملك؟!». كان جانب وجهه الأيسر مغطًّى بضمَّادةٍ بدائيَّة، والكتَّان فوق أُذنه مبقَّعًا بالدَّم.

- «أخرجها من هنا».

قال هوت: «لا تتدخَّل يا قاتِل الملك ما لم تكن ترغب في جدعةٍ أخرى. إلكتك هذه قضمَت أُذني. لا عجب أن أباها يَرفُض دفع فدية مثخ مِثلها».

جعلَ الخوار چايمي يلتفت. كان الدُّب يُناهِز الأقدام الثَّمانية طولًا. جريجور كليجاين بفروة، وإن كان أذكى غالبًا. لكن الحيوان لا يستطيع أن يَبلُغ المدى الذي يَبلُغه الجبل بسيفه العظيم المخيف.

هدرَ الدُّب غاضبًا وكشَّر عن أسنانه الصَّفراء الكبيرة، ثم نزلَ على أربعٍ وانقضَّ على بريان مباشرةً. هذه فُرصتك. اضربي! الآن!

لكنها وخزَته برأس سيفها بلا طائلٍ بدلًا من هذا، وتراجعَ الدُّب خُطوةً ثم عادَ ينقضُّ مقعقعًا، فانزلقَت بِريان إلى اليسار ووخزَته ثانيةً في وجهه، وهذه المرَّة رفعَ كَفَّه وأزاحَ السَّيف جانبًا.

إنه حذِر. لقد واجهَ بَشرًا من قبل ويعلم أن السُّيوف والرِّماح يُمكنها أن تؤذيه، لكن هذا لن يُبعِده عنها طويلًا. صاحَ: «اقتُليه!»، لكن صوته ضاعَ

في خضمِّ صياح الآخرين، وإذا سمعَته بريان فإنها لم تُبدِ أمارةً على هذا، وتحرَّكت حول الجُبِّ معطيةً ظَهرها للحائط. قريبة جدًّا من الحائط. إذا حاصرَها الدُّب هناك...

تحرَّكَ الحيوان بخَرَقٍ واقتربَ مسرعًا أكثر من اللَّازم، وبسُرعة القِطَّة غيَّرت بريان اتِّجاهها. ها هي الفتاة التي أذكرها. وثبَت هاوية بضربةٍ عبر ظَهر الدُّب الذي هدرَ وعادَ يقف على قائمتيه الخلفيَّتين، فتقهقرَت بريان. أين الدَّم؟ أدركَ الإجابة بغتةً، والتفتَ إلى هوت قائلًا بغضب: «أعطيتها سيفًا ثلمًا؟!».

أطلقَ الكبش ضحكةً كالثُّغاء ناثرًا النَّبيذ واللُّعاب على چايمي، وقال: «بالطَّبع».

- «سأدفعُ أنا فديتها اللَّعينة، ذهبًا أو صفيرًا، أيًّا كان ما تُريده. أخرِجها من هنا».

- «هل تُريدها؟ اذهب وخُذها إذن».

وهذا ما فعلَه چايمي.

وضعَ يده السَّليمة على الحاجز الرُّخام ووثبَ فوقه، ثم تدحرجَ إذ ارتطمَ بالأرض الرَّمليَّة، والتفتَ الدُّب مع صوت هبوطه متشمِّمًا ومراقبًا هذا المتطفِّل الجديد بحذر. اعتدلَ چايمي جاثيًا على رُكبةٍ واحدة، وفكَّر: حسن، ماذا أفعلُ الآن بحقِّ الجحائم السَّبع؟ ملأَ قبضته بالرِّمال، وسمعَ بريان تقول مذهولةً: «قاتِل الملك؟!».

قال: «چايمي»، وتراجعَ قاذفًا الرَّمل في وجه الدُّب، فنهشَ هذا الهواء وقعقعَ كنارِ أجَّاجة.

- «ماذا تفعل هنا؟».

- «شيئًا غبيًّا. قفي ورائي»، ودارَ نحوها واضعًا نفسه بين بريان والدُّب.

- «قِف أنت ورائي. السَّيف معي أنا».

- «سيف بلا رأسٍ مدبَّب أو حافة حادَّة. قفي ورائي!». رأى شيئًا نِصف مدفون في الرِّمال فاختطفَه بيده السَّليمة، واتَّضح أنه عظمة فَكٍّ بَشريَّة لا يزال القليل من اللَّحم المخضر عالقًا بها ويعجُّ باليرقات، فقال چايمي لنفسه: رائع، وهو يتساءَل عن صاحب الوجه الذي يحمله. كان الدُّب يدنو، فدوَّر

چايمي ذراعه وطوّح بالعظم واللَّحم واليرقات في وجهه... وأخطأ التَّصويب بياردةٍ كاملة. عليَّ أن أبتر يُسراي أيضًا ما دامَت عديمة الجدوى هكذا.

حاولَت بريان أن تندفع دائرةً حوله، لكنه ركلَ ساقيها من تحتها، فسقطَت على الرِّمال قابضةً على السَّيف عديم الفائدة، ووقفَ چايمي فوقها مباعدًا بين ساقيه، وانقضَّ الدُّب عليهما.

فجأةً سمعَ صوتًا وتريًّا عميقًا، وانغرسَ سهم بريشةٍ تحت عين الحيوان اليُسرى. سالَ الدَّم واللُّعاب من فمه المفتوح، وأصابَه سهم آخَر في ساقه، وجأرَ الدُّب وتراجعَ، لكنه عادَ يَنظُر إلى چايمي وبريان، واندفعَ نحوهما يَعرُج، وانطلقَت السِّهام من مزيدٍ من النُّشَّابيَّات ممزِّقةً فروه ولحمه. من مسافةٍ قصيرةٍ كهذه لا يُمكن أن يُخطئ الرُّماة التَّسديد، فضربَته السِّهام بقوَّة الهراوات، لكن الدُّب أخذَ خُطوةً أخرى. الوحش الأحمق الشُّجاع المسكين. هوى عليه الدُّب بكَفِّه، فوثبَ چايمي جانبًا بحركةٍ راقصة وهو يزعق راكلًا الرِّمال، والتفتَ الحيوان يتبع معذِّبه، فتلقَّى سهمين آخرَيْن في ظَهره، وأطلقَ زمجرةً هادرةً أخيرةً، ثم استقرَّ على قائمتيه الخلفيَّتين، وتمدَّد على الرَّمل الملطَّخ بالدِّماء، وماتَ.

اعتدلَت بريان جاثيةً على رُكبتيها وهي تقبض على السَّيف الثَّلم وتلتقط أنفاسًا قصيرةً خشنةً. كان رُماة ذي السَّاقين الفولاذ يُدوِّرون بَكرات نُشَّابيَّاتهم ويُعيدون تلقيمها بينما زعقَ الممثِّلون فيهم بالشَّتائم والتَّهديدات، ورأى چايمي رورچ وذا السَّنابك الثَّلاثة يستلَّان سيفيهما وزولو يحلُّ كُرباجه.

صرخَ ڤارجو هوت: «قتلتم دُبِّي!».

رَدَّ والتون: «وستنال المِثل مني إذا اعترضت طريقي. سنأخذ الفتاة».

قال چايمي: «اسمها بِريان، بِريان عذراء (تارث). ما زلتِ عذراء كما آملُ؟».

تورَّد وجهها العريض الدَّميم، وأجابَت: «نعم».

- «أوه، عظيم. إنني لا أنقذُ إلَّا العذارى»، قال چايمي، ثم التفتَ إلى هوت قائلًا: «ستقبض فديتك عنها وعني. اللانستر يُسَدِّد ديونه. والآن أحضِر حبالًا وأخرِجنا من هنا».

دمدمَ رورج: «اذهب إلى الجحيم. اقتُله يا هوت وإلَّا ستتمنَّى لو أنك فعلت!».

تردَّد الكوهوري. كان نِصف رجاله سكارى، أمَّا الشَّماليُّون فمنتبهون لأقصى حَدٍّ ويفوقونهم عددًا مرَّتين، كما أن بعض الرُّماة أعادوا التَّلقيم بالفعل. هكذا قال هوت: «أخرجوهما»، ثم خاطبَ چايمي قائلًا: «لقد اخترتُ أن أكون رحيمًا. أخبِر الثيِّد والدك».

- «سأفعلُ يا سيِّدي». وإن لن ينفعك هذا مقدار ذرَّة.

انتظرَ والتون ذو السَّاقين الفولاذ حتى ابتعدوا نِصف فرسخ عن (هارنهال) وخرجوا من مرمى الرُّماة على الأسوار، قبل أن يُبدي غضبَه أخيرًا ويقول: «هل جُننت يا قاتِل الملك؟ هل أردت أن تموت؟ لا أحد يُمكنه أن يُقاتِل دُبًّا بيدين خاليتين!».

- «بيدٍ خالية وجَدعةٍ خالية. لكني أملتُ أن تَقتُل الوحش قبل أن يَقتُلني، وإلَّا لقشَّرك اللورد بولتون كالبرتقال، أليس كذلك؟».

لعنَه والتون قائلًا إنه لانستر أحمق، وهمزَ حصانه وهرولَ إلى مقدِّمة الطَّابور.

حتى في الساتان الوردي الملوَّث وشرائط الزِّينة الممزَّقة، بدَت بريان أدنى إلى رجلٍ يرتدي فُستانًا من امرأةٍ حقيقيَّة، وهي تقول له: «سير چايمي، إنني ممتنَّة، لكِن... لكنك كنت قد ابتعدت مسافةً لا بأس بها، فلِمَ رجعت؟».

جالَت بذهنه دستة من الدُّعابات اللَّاذعة، كلٌّ منها أقسى من الأخرى، لكن چايمي اكتفى بهَزِّ كتفيه، وقال: «حلمتُ بكِ».



كاتلين

ودَّع روب ملكته الشَّابَّة ثلاث مرَّات، مرَّةً في أيكة الآلهة أمام شجرة القلوب تحت أنظار الآلهة والبَشر، وثانيةً عند الشَّبكة الحديديَّة حيث شيَّعته چاين بعناقٍ طويل وقُبلةٍ أطول، وثالثةً على بُعد ساعةٍ من (الجُلمود)، حين جاءَت الفتاة راكضةً بحصانٍ يتصبَّب عَرقًا وناشدَت ملكها الشَّاب أن يأخذها معه.

رأت كاتلين أن روب تأثَّر بهذا، وإن انزعجَ أيضًا. كان النَّهار غائمًا رطبًا، وبدأت السَّماء تُمطِر رذاذًا بالفعل، وآخِر ما يُريده الآن أن يأمر بالتَّوقُّف ليقف في البلل ويُواسي زوجته الشَّابَّة الدَّامعة أمام نِصف جيشه. فكَّرت أُمُّه وهي تُشاهِدهما معًا: يُكَلِّمها برفق لكن في نفسه غضب يعتمل.

طيلة فترة حديث الملك والملكة ظَلَّ جراي ويند يدور حولهما، لا يتوقَّف إلَّا لينفض الماء من فروه ويكشف أسنانه للمطر. في النِّهاية، عندما طبعَ روب قُبلةً أخيرةً على شفتَيْ چاين وأرسلَ دستةً من الرِّجال يصحبونها إلى (ريڤررَن) وعادَ يمتطي حصانه، انطلقَ الذِّئب الرَّهيب يرمح بسُرعة سهمٍ أُطلِقَ من قوس طويل.

قال لوثار فراي الأعرج لكاتلين: «أرى أن للملكة چاين قلبًا حنونًا، تمامًا مِثل أخواتي. أراهنُ أن روزلين تَرقُص في أنحاء (التَّوأمتين) الآن بالذَّات متغنِّيةً: الليدي تَلي، الليدي تَلي، الليدي روزلين تَلي. غدًا سترفع عيِّناتٍ من قماش (ريڤررَن) الأحمر والأزرق إلى وجنتيها في المرآة لتتصوَّر كيف ستبدو في معطف العروس»، والتفتَ مبتسمًا لإدميور، وقال: «لكنك صامت على نحوٍ غريب يا لورد تَلي. كيف تَشعُر يا تُرى؟».

أجابَ إدمبور: «كما شعرتُ في (الطَّاحونة الحجريَّة) قُبيل أن بدأت أبواق الحرب تُدَوِّي»، لكن إجابته لم تكن مزاحًا خالصًا.

أطلقَ لوثار ضحكةً تلقائيَّةً قائلًا: «لندعُ أن تكون نهاية زواجك سعيدةً كالمعركة يا سيِّدي».

قالت كاتلين لنفسها: ولتحمنا الآلهة إذا لم تكن، وهمزَت حصانها بكعبيها تاركةً كلًّا من أخيها ولوثار الأعرج في صُحبة الثَّاني.

هي من أصرَّت أن تبقى چاين في (ريڤررَن)، على حين أرادَ روب أن تظلَّ إلى جانبه. وارد جدًّا أن يعدَّ اللورد والدر غيابها إساءةً أخرى، لكن حضورها كان ليُفسَّر على أنه إساءة من نوع آخَر، ملح على جرح العجوز. هكذا قالت لابنها محذِّرةً: «والدر فراي لسانه سليط وذاكرته قويَّة. لا أشكُّ في أنك ستتحمَّل تبكيت رجلٍ هَرِم كثَمنٍ لولائه، لكن فيك الكثير من طباع أبيك، ولن تجلس صامتًا بينمَا يُهين چاينَ في وجهها».

لم يستطِع روب أن يُنكِر ما في قولها من حصافة، وإن بدا أنه مستاء منها لهذا السَّبب بالتَّحديد على الرغم من ذلك. إنه يفتقد چاين بالفعل، وجزء منه يلومني على غيابها، مع أنه يعلم أنها كانت نصيحةً سديدةً.

من أولاد وسترلينج الذين أتوا مع ابنها من (الجُرف) بقيَ إلى جانبه واحد فقط، هو السير راينالد أخو چاين وحامل العلم الملكي. كان روب قد كلَّف رولف سپايسر عَمَّ چاين بتوصيل مارتن لانستر إلى (النَّاب الذَّهبي) في اليوم نفسه الذي تلقَّى فيه موافقة اللورد تايوين على تبادُل الأسرى، وهو تصرُّف حاذق، فهكذا استراحَ ابنها من قلقه على سلامة مارتن، واستراحَ جالبارت جلوڤر لمعرفة أن أخاه روبت قد وُضِعَ على سفينةٍ في (وادي الغسق)، وكُلِّفَ السير رولف بمهمَّةٍ شريفة... وعادَ جراي ويند إلى جانب الملك من جديد. حيث ينتمي.

ظلَّت الليدي وسترلينج في (ريڤررَن) مع أولادها؛ چاين وأختها إلينيا ورولام الصَّغير مُرافِق روب، الذي تذمَّر بشدَّةٍ من عدم ذهابه معه، لكن هذه أيضًا كانت فكرةً حكيمةً، فقد سبقَ أن كان أوليڤار فراي مُرافِقًا لروب، ولا شَكَّ أنه سيحضر زفاف أخته، ما يجعل استعراض بديله أمامه تصرُّفًا طائشًا علاوةً على قسوته. أمَّا السير راينالد ففارس شاب بشوش أقسمَ أن لا إهانة

من والدر فراي يُمكن أن تستفزَّه أبدًا. ولندعُ الآلهة ألَّا نضطرَّ لمواجَهة ما هو أكثر من الإهانات.

لكن لكاتلين مخاوفها في هذا الصَّدد، فأبوها لم يثق قَطُّ بوالدر فراي بَعد معركة (التَّالوث)، ولطالما انتبهَت لهذا. ستكون الملكة چاين آمنةً وراء أسوار (ريڤرِرَن) القويَّة العالية، والسَّمكة السَّوداء هناك ليحميها، كما أن روب ابتدعَ له لقبًا جديدًا هو قيِّم التُّخوم الجنوبيَّة، والسير برايندن الرَّجل الأمثل للدِّفاع عن (التَّالوث).

وعلى الرغم من هذا ستفتقد كاتلين وجه عمِّها الصَّخري ويفتقر روب إلى مشورته، فقد لعبَ السير برايندن دورًا في كلِّ انتصارٍ حقَّقه ابنها. حَلَّ جالبارت جلوڤر محلَّه في قيادة الكشَّافة، وهو رجل صالِح ووفي وراسخ، لكنه ليس بعبقريَّة السَّمكة السَّوداء.

امتدَّ خَطُّ سير جيش روب أميالًا وراء كشَّافة جلوڤر، وقد تولَّى چون الكبير قيادة المقدِّمة، وتحرَّكت كاتلين مع الموكب الرَّئيس محاطةً بجيادٍ حربيَّةٍ متهادية يمتطيها رجال مدرَّعون بالفولاذ. بَعد هذا جاءَت قافلة الأمتعة تحت أعيُن السير وندل ماندرلي ورجال (الميناء الأبيض) اليقِظة؛ صَفٌّ طويل من العربات المحمَّلة بالأطعمة وعلف الماشية ومعدَّات المعسكَر وهدايا الزِّفاف، بالإضافة إلى الجرحى الأضعف من أن يمشوا، ووراء العربات تحرَّكت قُطعان الخراف والماعز والأبقارِ الهزيلة، ثم صَفٌّ قصير من أتباع المعسكَرات متقرِّحي الأقدام، ووراء كلِّ هذا كان روبن فلينت مع حَرس المؤخِّرة. ليس هناك عدوٌّ وراءهم لمئات الفراسخ، لكن روب قرَّر توخِّي الحيطة.

ثلاثة آلاف وخمسئمة عددهم، ثلاثة آلاف وخمسمئة رجلٍ خاضوا معركتهم الأولى في (الغابة الهامسة) وصبغوا سيوفهم بالأحمر فَي معركة المعسكَرات و(أوكسكروس) و(آشمارك) و(الجُرف)، وعبر تلال لانستر الغنيَّة بالذَّهب في الغرب. بخلاف حاشية أخيها إدميور المتواضعة التي تألَّفت من أصدقائه، ظَلَّ لوردات (التَّالوث) في ديارهم ليُدافِعوا عن أراضي النَّهر فيما يستردُّ الملك الشَّمال، وهكذا تنتظر إدميور عروسه وتنتظر روب معركته التَّالية... وينتظرني ابنان ميتان وفِراش خالٍ وقلعة ترتع فيها الأشباح. فكرة كئيبة. بِريان، أين أنتِ؟ أعيدي ابنتيَّ إليَّ يا بِريان، أعيديهما سالمتَين.

مع انتصاف النَّهار كان الرَّذاذ الذي شيَّعهم على الطَّريق قد استحالَ إلى مطرٍ خفيفٍ ثابت استمرَّ بَعد هبوط الظَّلام فترةً، وفي اليوم التَّالي لم يرَ الشَّماليُّون الشَّمس على الإطلاق، وركبوا تحت سماءٍ رماديَّة كالرَّصاص رافعين قلنسواتهم ليقوا أعيُنهم من الماء. كان مطرًا ثقيلًا أحالَ الطُّرق إلى أوحال والحقول إلى مستنقعات وأفاضَ الأنهار وجرَّد الأشجار من أوراقها، وجعلَ انهماره المتواصل الثَّرثرة مع هذا وذاك إزعاجًا لا يستحقُّ العناء، فتكلَّم الرِّجال عند الحاجة فقط، والحاجة لم تدعُ إلى الكلام إلَّا قليلًا.

قالت الليدي مورمونت وهُم راكبون: «إننا أقوى مما نبدو يا سيِّدتي».

لقد صارَت كاتلين مغرمةً بالليدي مِج وابنتها الكُبرى داسي، إذ أدركَت أنهما تفهَّمتا موقفها مع چايمي لانستر أكثر من غيرهما. الابنة نحيلة فارعة الطُّول والأم قصيرة ممتلئة، لكن الاثنتين ترتديان الحلقات المعدنيَّة والجلد، وعلى معطف وتُرس كلٍّ منهما دُبُّ عائلة مورمونت الأسود. في نظر كاتلين تُعَدُّ ثيابهما غريبةً بالنِّسبة لامرأتين، إلَّا أن داسي والليدي مِج بديتا مستريحتين -بصفتهما مُحارِبتين وامرأتين- أكثر مما كانت الفتاة الآتية من (تارث) بمراحل.

قالت داسي مورمونت ببشاشة: «لقد قاتلتُ إلى جوار الذِّئب الصَّغير في كلِّ معركة. إنه لم يخسر واحدةً حتى الآن».

ردَّت كاتلين عليها في سريرتها: نعم، لكنه خسرَ كلَّ شيءٍ آخَر، وإن لم يكن من اللَّائق أن تبوح بهذا علانيةً. لا تَنقُص الشَّماليِّين الشَّجاعة، لكنهم بعيدون للغاية عن الوطن، ولا يشدُّ أَزرهم إلَّا إيمانهم بمليكهم الشَّاب، ولا بُدَّ من حماية هذا الإيمان بأيِّ ثَمن. يجب أن أكون أقوى، أن أظلَّ قويَّةً من أجل روب. إذا استسلمتُ لليأس سيلتهمني حُزني. كلُّ شيءٍ يعتمد على هذه الزِّيجة. إذا سعدَ كلٌّ من إدميور وروزلين بالآخَر، وإذا استرضوا اللورد فراي المتلكِّئ وضَمَّ قوَّته إلى قوَّة روب من جديد... حتى إذا حدثَ هذا، فما فُرصتنا ونحن عالقون بين لانستر وجرايچوي؟ ليس هذا سؤالًا تُريد كاتلين أن تُسهِب في التَّفكير فيه، مع أنه أكثر ما يشغل بال روب. إنها ترى كيف يدرس خرائطه كلما خيَّموا بحثًا عن خطَّةٍ ما يستردُّون بها الشَّمال.

أمَّا أخوها إدميور فمشغول بهمومٍ أخرى، وبينما هو جالس في سُرادقه

المخطَّط الطَّويل مع كاتلين وأصدقائه تساءلَ: «لستم تعتقدون أن جميع بنات اللورد والدر متشابهات، أليس كذلك؟».

قال السير مارك پايپر: «مجيئهن من أمَّهات كثيرات يعني أن بعضهن قد يكنَّ جميلات، لكن ما الذي يبعث العجوز التَّعس على إعطائك واحدةً جميلةً؟».

رَدَّ إدميور بكآبة: «لا سبب على الإطلاق».

وجدَت كاتلين الكلام أقوى من احتمالها، وقالت محتدَّةً: «سرسي لانستر جميلة. أجدر بك أن تُصلِّي أن تكون روزلين قويَّةً وفي صحَّةٍ جيِّدة، سريعة البديهة ومخلصة القلب»، وتركَتهم دون أن تنتظر رَدًّا.

لم يتلقَّ إدميور كلامها بصدر رحب، وفي اليوم التَّالي تحاشاها تمامًا في أثناء الزَّحف، مفضِّلًا رِفقة مارك پايپر وليموند جودبروك وپاتريك ماليستر وأبناء ڤانس الشُّبَّان. يومها بَعد الظُّهر اندفعوا مارِّين بها دون كلمةٍ واحدة، ففكَّرت كاتلين: إنهم لا يُوَبِّخونه إلَّا على سبيل المزاح. لطالما كنتُ قاسيةً على إدميور، والآن يجعل الحُزن كلامي كلَّه حادًّا. أحسَّت بالنَّدم على زجرها إياه، خاصَّةً أن مطرًا كافيًا ينهمر من السَّماء بالفعل، ولا داعي لأن تُضيف إليه. وما الفظيع في أن يرغب في زوجةٍ جميلة؟ تذكَّرت خيبة أملها الطُّفوليَّة حين وقعَت عيناها على إدارك ستارك أول مرَّة. كانت قد تصوَّرته نُسخةً أصغر سِنًّا من أخيه براندون، لكنها أخطأَت التَّصوُّر. كان ند أقصر قامةً وأقلَّ وسامةً، علاوةً على تجهُّمه البليغ، يتكلَّم بدماثةٍ ملحوظة، وإن استشعرَت كاتلين برودةً تحت الكلمات تتعارَض مع طبيعة براندون، الذي كان مرحه ضاريًا كغضبه، وحتى عندما فَضَّ بكارتها كان حبُّهما واجبًا أكثر من عاطفة. لكننا زرعنا بذرة روب ليلتها، وأنجبنا ملكًا. وبَعد الحرب في (وينترفل) وجدتُ حُبًّا يكفي أيَّ امرأةٍ بمجرَّد أن نفذت إلى القلب الطيِّب الحنون الذي أخفاه وجه ند الصَّارم. ليس هناك ما يمنع أن يجد إدميور المِثل مع روزلين.

شاءَت الآلهة أن يأخذهم الطَّريق عبر (الغابة الهامسة) التي حقَّق فيها روب نصره العظيم الأول، واتَّبعوا مسار النُّهير المتعرِّج في قاع الوادي الضيِّق، مِثلما فعلَ رجال چايمي لانستر في تلك اللَّيلة المصيريَّة. كان الطَّقس أكثر دفئًا وقتها، والأشجار لا تزال خضراء، ولا تفيض مياه النُّهير لتُغرِق الضِّفَّتين.

الآن تَخنُق الأوراق السَّاقطة المجرى وتتكوَّم مشبَّعةً بالماء وسط الصُّخور والجذور، والشَّجر الذي أخفى جيش روب من قبل خلعَ كسوته الخضراء، وارتدى أخرى ذهبيَّةً باهتةً مشوَّبةً بالبنِّي والأحمر اللذين ذكَّراها بالصَّدأ والدِّماء الجافَّة. وحدها أشجار التَّنُّوب والصَّنوبر الجُندي ظلَّت محتفظةً بشيءٍ من الأخضر وهي تطعن بطون السَّحاب كحِرابٍ طويلة قاتمة.

ماتَ أكثر من الأشجار منذ ذلك الحين. ليلة المعركة في (الغابة الهامسة) كان ند لا يزال حيًّا في زنزانته تحت (تَل إجون العالي)، وبران وريكون كانا آمنيْن وراء أسوار (وينترفل). وقاتلَ ثيون جرايچوي إلى جوارِ روب، وتباهى بإيشاكه على مبارَزة قاتِل الملك، وليته فعلَ. لو ماتَ ثيون بدلًا من ابنَيْ اللورد كارستارك، فكم مصيبةً كنا لنتجنَّب؟

أبصرَت كاتلين آثار الملحمة التي دارَت هنا وهُم يقطعون أرض المعركة؛ خوذةً مقلوبةً يملأها ماء المطر، رُمحًا مكسورًا، عظام حصان. رُصَّت أكوام من الحجارة فوق بعض الرِّجال الذين ماتوا هنا، لكن الحيوانات آكلة الجيف أسقطَتها، ووسط الأحجار المتهاوية لمحَت كاتلين قماشًا زاهي الألوان وقِطعًا من المعدن، ومرَّةً رأت وجهًا يُحَدِّق إليها، وقد بدَت الجمجمة تلوح من تحت اللَّحم البنِّي المتفسِّخ.

جعلَها المنظر تتساءَل إن كان ند قد بلغَ مثواه الأخير. لقد أخذَت الأخوات الصَّامتات رُفاته شمالًا، يُرافِقهن هالس مولين وحَرس شَرف قليلون. هل وصلَ ند إلى (وينترفل) ليُدفَن إلى جانب أخيه براندون في السَّراديب المظلمة أسفل القلعة؟ أم أن الباب صُفِقَ في وجه هال والأخوات في (خندق كايلن) قبل أن يستطيعوا العبور؟

ثلاثة آلاف وخمسمئة خيَّالٍ شقُّوا طريقهم على أرض الوادي في قلب (الغابة الهامسة)، لكن نادرًا ما شعرَت كاتلين ستارك بهذه الوحشة. كلُّ فرسخ تقطعه يُبعِدها أكثر عن (ريڤرَن)، ووجدَت نفسها تتساءَل إن كانت ستراها ثانيةً أم أنها ضاعَت منها إلى الأبد ككثيرٍ غيرها.

بَعد خمسة أيام عادَ كشَّافتهم ليُنبِّهوهم إلى أن الفيضان قد جرفَ الجسر الخشبي في بلدة (السُّوق القصبيَّة). حاولَ جالبارت جلوڤر واثنان من رجاله الجسورين عبور (الفرع الأزرق) الجيَّاش بخيولهم من (مخاضة الكباش)،

لكن التيَّار اجترفَ اثنين من الخيول وأغرقَهما بالإضافة إلى أحد الرَّاكبين، أمَّا جلوڤر نفسه فنجحَ في التَّشبُّث بصخرةٍ إلى أن سحبوه.

قال إدميور: «النَّهر لم يفِض بهذا الارتفاع منذ الرَّبيع، وإذا استمرَّت الأمطار سيفيض أكثر».

تذكَّرت كاتلين التي جابَت هذه الأراضي كثيرًا مع أبيها شيئًا، فقالت: «ثمَّة جسر آخَر أبعد في اتِّجاه المنبع بالقُرب من (الحجر العتيق). إنه أقدم وأصغر، لكن إذا كان لا يزال قائمًا...».

قاطعَها جالبارت جلوڤر: «لم يَعُد موجودًا يا سيِّدتي، حطَّمه السَّيل قبل جسر (السُّوق القصيَّة)».

نظرَ روب إلى أمِّه سائلًا: «أهناك جسر آخَر؟».

حاولَت أن تتذكَّر، ثم أجابَت: «لا، والمخاضات لن تكون صالحةً للعبور. إذا كنا لا نستطيع عبور (الفرع الأزرق) فعلينا الدَّوران من حوله، عبر (الجداول السَّبعة) و(مستنقع هاج)».

علَّق إدميور: «مستنقعات وطُرق وعرة أو لا طريق على الإطلاق. ستكون حركتنا بطيئةً، لكننا سنصل على ما أعتقدُ».

قال روب: «إنني واثق بأن اللورد والدر سينتظر. لوثار أرسلَ إليه طائرًا من (ريڤرَن)، ويعلم أننا قادمون».

قالت كاتلين: «نعم، لكن الرَّجل سريع الغضب وشكَّاك بطبيعته، وقد يعدُّ هذا التَّأخير إهانةً متعمَّدةً».

- «ليكن، سأتوسَّلُ مغفرته لتوانينا أيضًا. سأكونِ ملكًا في غاية الأسف يُلقي اعتذارًا بين كلِّ نَفَس ونَفَس»، والتوَت ملامح روب وهو يُردِف: «أتمنَّى أن يكون بولتون قد عبرَ (الثَّالوث) قبل بداية الأمطار. (طريق الملوك) يمضي شمالًا مباشرةً، وسيكون زحفه سهلًا. حتى على الأقدام من المفترَض أن يَبلُغ (التَّوأمتين) قبلنا».

سألَته كاتلين: «وحين تضمُّ رجالك إلى رجاله وتشهد زفاف أخي، فماذا بَعد؟».

حَكَّ روب جراي ويند وراء أُذنه مجيبًا: «إلى الشَّمال».

- «على الدَّرب العالي؟ ضد (خندق كايلن)؟».
منحَها ابتسامةً غامضةً قائلًا: «هذا واحد من الطُّرق».
أدركَت من نبرته أنه لن يقول المزيد، وفكَّرت مذكِّرةً نفسها: الملك الحكيم يُبقي خُططه طيَّ الكتمان.
بلغوا (الحجر العتيق) بَعد ثمانية أيام أخرى من المطر المتواصل، وأقاموا معسكَرهم فوق التَّلِّ الذي يطلُّ على (الفَرع الأزرق) وسط أطلال قلعة ملوك النَّهر القُدامى. ظلَّت الأساسات وسط الحشائش تُحَدِّد البقاع التي وقفَت فيها الأسوار والحصون، لكن أهل المنطقة خلعوا معظم الأحجار منذ زمن طويل لبناء الأنبار والسِّپتات والمعاقل، غير أن ضريحًا عظيمًا لم يزل قائمًا في منتصَف البقعة التي كانت تحتلُّها ساحة القلعة من قبل، يكاد يُخفيه العُشب البنِّي الذي يرتفع حتى الخاصرة وسط أجَمةٍ من شجر الدَّردار.
نُقِشَ غطاء الضَّريح على صورة الرَّجل الذي يستقرُّ رُفاته تحته، لكن الأمطار والرِّياح محَت أغلب التَّفاصيل، فرأوا أن الملك كان ملتحيًا، لكن باستثناء هذا يبدو وجهه الآن أملس بلا ملامح، ولم يتبقَّ إلَّا إيحاء طفيف بفمه وأنفه وعينيه والتَّاج حول صُدغيه، بينما تنطوي يداه حول مقبض مطرقةٍ حربيَّة من الحجر على صدره. في الماضي كنت لتجد اسمه وتاريخه محفورَيْن عليها، لكن كلَّ هذا انطمسَ على مَرِّ السِّنين، كما تصدَّع الحجر نفسه وبدأ يتفتَّت عند الأركان، وهنا وهناك تُشَوِّبه رُقع بيضاء منتشرة من الأشنة، بينما يزحف الورد البرِّي على قدمَيْ الملك ويكاد يَبلُغ صدره.
هناك وجدَت كاتلين روب يقف عابسًا في الغَسق المتوغِّل ولا أحد معه إلَّا جراي ويند. كان المطر قد توقَّف للمرَّة الأولى، فكشفَ روب رأسه، وبهدوءٍ سألَها حين دنَت منه: «ألهذه القلعة اسم؟».
- «في صِباي كان العامَّة يُسَمُّونها (الحجر العتيق)، لكن لا شَكَّ أنها حملَت اسمًا آخَر حين كانت لا تزال مقرًّا للملوك». لقد خيَّمت هنا ذات مرَّةٍ مع أبيها في الطَّريق إلى (سيجارد). وكان پيتر معنا أيضًا...
قال متذكِّرًا: «هناك أغنيَّة، چيني بنت (الحجر العتيق)، ذات الزُّهور في شَعرها».
- «كلُّنا في النِّهاية مجرَّد أغانٍ، إذا كنا محظوظين». في ذلك اليوم مثَّلت

دور چيني ووضعَت أزهارًا في شَعرها، بينما تظاهرَ پيتر بأنه حبيبها أمير (قلعة اليعاسيب). وقتها لم تكن كاتلين أكبر من اثني عشر عامًا، وكان پيتر مجرَّد صبي.

رمقَ روب الضَّريح متسائلًا: «قبر مَن هذا؟».

كان أبوها قد روى لها القصَّة ذات يوم، فأجابَت: «هنا يَرقُد تريستيفر الرَّابع، ملك الأنهار والتِّلال. كان يَحكُم من (الثَّالوث) إلى (العُنق) قبل آلاف السِّنين من چيني وأميرها، في الأيام التي تساقطَت فيها ممالك البَشر الأوائل كالذُّباب أمام اجتياح الأنداليِّين. كانوا يُلقِّبونه بمطرقة العدالة. قاتلَ تريستيفر في مئة معركة وانتصرَ في تسع وتسعين، أو أن هذا ما يقوله المغنُّون، وحين شيَّد هذه القلعة كانت الأقوى في (وستروس) كلِّها»، ووضعَت يدها على كتف ابنها متابعةً: «ماتَ في معركته المئة عندما تحالفَ سبعة ملوكٍ أنداليِّين ضده، لكن تريستيفر الخامس لم يكن نظيره، وسرعان ما ضاعَت المملكة ثم القلعة وآخِر السُّلالة. بموت تريستيفر الخامس ماتَت عائلة مود التي حكمَت أراضي النَّهر طوال ألف عام قبل مجيء الأنداليِّين».

تحسَّس روب الحجارة الخشنة التي أتلفَتها الأجواء، وقال: «خذلَه وريثه. كنتُ آملُ أن أترك چاين بطفلٍ في بطنها... لقد حاوَلنا كثيرًا، لكني لستُ متأكِّدًا...».

- «الحمل لا يَحدُث من المرَّة الأولى دائمًا». مع أنه حدثَ معي. «ولا حتى المرَّة المئة، وأنت صغير جدًّا».

- «صغير وملك، ولا بُدَّ أن يكون للملك وريث. إذا مِتُّ في معركتي التَّالية فيجب ألَّا تموت مملكتي معي. قانونًا سانزا هي التَّالية في الوراثة، وهكذا تنتقل (وينترفل) والشَّمال إليها»، وزَمَّ روب فمه مضيفًا: «إليها وإلى السيِّد زوجها، تيريون لانستر. لا يُمكنني أن أسمح بذلك، ولن أسمح به. القزم لن يَستحوذ على الشَّمال أبدًا».

قالت كاتلين مؤيِّدةً: «نعم. عليك أن تُسمِّي وريثًا آخَر حتى تُنجب لك چاين ابنًا»، وتفكَّرت لحظةً قبل أن تُواصِل: «أبو أبوك كان بلا إخوة، لكن أباه كانت له أخت تزوَّجت ابنًا أصغر للورد رايمار رويس من فرع العائلة الصَّغير، وأنجبا ثلاث فتيات تزوَّجن كلُّهن لوردات من (الوادي)، اثنان منهم

من عائلتَيْ واينوود وكوربراي بالتَّأكيد، والثَّالث... ربما كان من آل تمپلتون، لكن...».

قاطعَها روب بنبرةٍ حملَت شيئًا من الحدَّة: «أمَّاه، تنسين أن أبي أنجبَ أربعة أبناء».

لم تنسَ، بل لم ترغب في التَّطرُّق إلى هذا، لكن ها هي مرغمة. «سنو ليس ستارك».

- «چون فيه من دم ستارك أكثر من بضعة لوردات صغار من (الوادي) لم يروا (وينترفل) في حياتهم مرَّةً».

- «چون أخ في حَرس اللَّيل، أقسمَ ألَّا يتزوَّج أو يملك أراضيَ. مَن يرتدون الأسود يخدمون طيلة العُمر».

- «وكذا فُرسان الحَرس الملكي، لكن هذا لم يمنع آل لانستر من تجريد السير باريستان سلمي والسير بوروس بلاونت من المعطف الأبيض عندما انتفَت حاجتهم إليهما. إذا أرسلتُ لحَرس اللَّيل مئة رجلٍ بدلًا من چون، فأراهنُ أنهم سيجدون وسيلةً لعتقه من يمينه».

فكَّرت كاتلين عالمةً عناد ابنها: إنه عاقد العزم على هذا، ثم قالت: «النُّغول لا يرثون».

- «ما لم يُشرعَنوا بقرارٍ ملكي. هناك سوابق لهذا أكثر من تحرير أخٍ محلَّف من قَسمه».

قالت بمرارة: «سوابق، نعم. إجون الرَّابع شرعنَ نغوله كلَّهم وهو في فِراش الموت، فكم أثمرَ هذا من ألم وحزنٍ وحروبٍ واغتيالات؟ أعرفُ أنك تثق بچون، لكن هل في وسعك الثِّقه بأبنائه؟ أو بأبنائهم؟ مدَّعو آل بلاكفاير قضُّوا مضاجع آل تارجاريَن طيلة خمسة أجيال إلى أن قتلَ باريستان الباسل آخِرهم في (الأعتاب). إذا جعلت چون شرعيًّا فلا سبيل لإعادته نغلًا من جديد، وإذا تزوَّج وأنجبَ فقد لا يعيش أبناؤك من چاين في أمانٍ أبدًا».

- «چون لن يُؤذي ابنًا لي أبدًا».

- «كما لم يُؤذِ ثيون جرايچوي بران وريكون؟».

وثبَ جراي ويند فوق ضريح الملك تريستيفر كاشفًا أسنانه، بينما ظَلَّ وجه روب باردًا وهو يقول: «قولكِ قاسٍ وغير عادل. چون ليس ثيون».

- «هذا ما تتمنَّاه. هل فكَّرت في أختيك؟ ماذا عن حقوقهما؟ أوافِقك في أن الشَّمال يجب ألَّا يذهب إلى العِفريت أبدًا، لكن ماذا عن آريا؟ إنها تلي سانزا قانونًا... أختك الشَّرعيَّة...».

- «... الميتة. لا أحد رأى آريا أو سمعَ منها منذ قطعوا رأس أبي. لماذا تخدعين نفسكِ؟ آريا ماتَت مِثل بران وريكون، وسيَقتُلون سانزا أيضًا بمجرَّد أن تلد ابنًا للقزم. چون هو الأخ الوحيد المتبقِّي لي، وإذا مِتُّ بلا ذُرِّيَّة فأريده أن يخلفني كملكٍ في الشَّمال. كنتُ آملُ أن تدعميني في اختياري».

- «لا أستطيعُ. في كلِّ شيءٍ آخَر يا روب، في كلِّ شيء، لكن ليس في هذه... هذه الحماقة. لا تَطلُب هذا مني».

قال روب: «لستُ مضطرًّا لأن أطلب، إنني الملك»، ودارَ على عقبيه مبتعدًا، فقفزَ جراي ويند من فوق المقبرة وتواثبَ وراءه.

فكَّرت كاتلين بقنوطٍ إذ وقفَت وحدها عند ضريح تريستيفر الحجري: ماذا فعلتُ؟ أولًا أغضبتُ إدميور، والآن روب، وكلُّ ما فعلته أني قلتُ الحقيقة. هل الرِّجال حقًّا بهذه الهشاشة التي تجعلهم لا يُطيقون سماعها؟ كانت لتبكي لولا أن السَّماء بدأت تبكي بالفعل، وتطلَّبت عودتها إلى خيمتها لتجلس هناك بصمتٍ قوَّتها كلَّها.

في الأيام التَّالية كان روب في كلِّ وأيِّ مكان، يركب على رأس الطَّليعة مع چون الكبير، أو يستكشف مع جراي ويند، أو يهرع إلى روبن فلينت وحَرس المؤخِّرة. ردَّد الرِّجال بفخرٍ أن روب أول من يستيقظ فَجرًا وآخِر من ينام ليلًا، لكن كاتلين طفقَت تتساءَل إن كان ينام على الإطلاق. أصبحَ ناحلًا جائعًا كذئبه الرَّهيب.

ذات صباحٍ قالت لها الليدي مِج مورمونت فيما ركبوا تحت مطرٍ ثابت: «تبدين حزينةً للغاية يا سيِّدتي. هل من خطبٍ ما؟».

السيِّد زوجي ماتَ وكذا أبي، وابناي الصَّغيران قُتِلا، وابنتي سُلِّمَت إلى قزم خسيس لتحمل أطفاله الكريهين، وابنتي الأخرى اختفَت وغالبًا ماتَت، وابني الأخير وأخي غاضبان مني، فما الخطب حقًّا؟ لكن تلك الحقائق كانت أقسى من أن تسمعها الليدي مِج، وبدلًا من هذا أجابَت كاتلين: «هذا المطر شَر. لقد عانينا الكثير، وما زالَ خطر وحُزن أكثر في انتظارنا، وعلينا أن

نُواجِههما بجرأة، بأبواق تُدَوِّي وراياتٍ تخفق بشَجاعة، لكن هذا المطر يُثبِّط عزيمتنا. الرَّايات مرتخية مبتلَّة، والرِّجال منكمشون تحت معاطفهم ويُكلِّم بعضهم بعضًا بالكاد. لا شيء إلَّا مطر شرِّير يُجَمِّد القلوب ونحن في أمسِّ الحاجة إلى اتِّقادها».

رفعَت داسي مورمونت عينيها إلى السَّماء قائلةً: «أوثِرُ أن يُغرِقني الماء على السِّهام».

ابتسمَت كاتلين رغمًا عنها، وقالت: «أخشى أنكما أشجع مني. أكلُّ نسوة (جزيرة الدِّببة) مُحارِبات؟».

أجابَت الليدي مِج: «الدُّبَّات، نعم. لقد اضطررنا لأن نكون هكذا. في الماضي كان الحديديُّون يُغيرون بسُفنهم الطَّويلة، أو هَمج (السَّاحل المتجمِّد)، وغالبًا كان الرِّجال منشغلين بالصَّيد، فوقعَ على الزَّوجات اللاتي يَترُكوهن أن يُدافِعن عن أنفسهن وأطفالهن وإلَّا اختُطِفن».

قالت داسي: «ثمَّة نقش على بوَّابتنا؛ امرأة في فروة دُب، على إحدى ذراعيها وليد يرضع من ثديها، وفي يدها الثَّانية فأس حربيَّة. إنها ليست ليدي حقَّةً، لكن لطالما أحببتها».

قالت الليدي مِج: «چورا ابن أخي عادَ إلى الدِّيار بليدي حقَّة ذات يوم بَعدما فازَ بقلبها في دورة مباريات، ولكم كرهَت ذلك النَّقش».

أيَّدتها داسي قائلةً: «نعم، كما كرهَت كلَّ شيءٍ آخَر. لينيس هذه كان شَعرها كالذَّهب المغزول وبَشرتها كالقشدة، لكن يديها النَّاعمتين لم تُخلَقا للإمساك بالفؤوس».

أضافَت أمُّها بفظاظة: «ولا خُلِقَ ثدياها للرِّضاعة».

تعلم كاتلين عمَّن تتكلَّمان. لقد أتى چورا مورمونت بزوجته الثَّانية إلى (وينترفل) لحضور الاحتفالات، وذات مرَّة نزلا ضيفين عليهم مدَّة أسبوعين. تذكَّرت كم كانت الليدي لينيس شابَّةً وجميلةً وتعيسةً. في ليلة، بَعد أن شربَت عدَّة أكواب من النَّبيذ، اعترفَت لكاتلين بأن الشَّمال ليس مكانًا لابنةٍ لآل هايتاور أولاد (البلدة القديمة)، فجاوبَتها برفقٍ محاولةً مواساتها: «كانت هناك ابنة لآل تَلي أولاد (ريڤرَن) اعتقدَت هذا من قبل، لكنها وجدَت أشياء كثيرة تُحِبُّها هنا بمرور الوقت».

لكن كلَّ شيءٍ ضاعَ. (وينترفل) وند وبران وريكون وسانزا وآريا، كلُّهم ضاعوا ولم يتبقَّ إلَّا روب. هل كان فيها من لينيس هايتاور في النِّهاية أكثر مما كان من أولاد ستارك؟ ليتني تعلَّمتُ كيف أقاتلُ بالفأس، فلربما استطعتُ أن أحميهم.

توالَت الأيام وما فتأَت الأمطار تنهمر، وركبوا بمحاذاة (الفرع الأزرق) متجاوزين (الجداول السَّبعة) حيث يتفرَّع النَّهر إلى متاهةٍ من الغُدران والينابيع، ثم عبر (مستنقع هاج) حيث تنتظر البِرك الخضراء اللَّامعة ابتلاع الغافلين، وتمتصُّ الأرض حوافر الخيول كما يرضع الوليد الجائع من أمِّه. كان مضيُّهم أسوأ من بطيء، واضطرُّوا للتَّخلِّي عن نِصف عرباتهم وتقسيم أحمالها على البغال وأحصنة الجَر.

لحقَ بهم اللورد چيسون ماليستر وسط مياه (مستنقع هاج) الآسنة، وكانت ساعة كاملة باقية من نور النَّهار عندما بلغَهم بفِرقته، لكن روب أمرَ بالتَّوقُّف في الحال، وجاءَ السير راينالد وسترلينج لاصطحاب كاتلين إلى خيمة الملك، حيث وجدَت ابنها جالسًا إلى جوار مستوقَد وعلى حِجره خارطة، وعند قدميه ينام جراي ويند. كان چون الكبير معه، بالإضافة إلى جالبارت جلوڤر ومِج مورمونت وإدميور ورجل لا تعرفه كاتلين، رجل لحيم يزحف الصَّلع على رأسه وعلى وجهه نظرة خانعة. عرفَت لحظة أن وقعَت عيناها عليه أنه ليس من اللوردات الكبار أو الصِّغار. وليس مُحاربًا حتى.

قامَ چيسون ماليستر لتجلسِ كاتلين مكانه. في شَعره أبيض بقَدر البنِّي، لكن سيِّد (سيجارد) لا يزال رجلًا وسيمًا، قامته طويلة وقوامه نحيل، ووجهه حليق خدَّدته السِّنون، وعظام وجنتيه مرتفعة، وعيناه الزَّرقاوان المائلتان إلى الرَّمادي قويَّتا النَّظرات. قال لها: «ليدي ستارك، يسرُّني دائمًا أن أراكِ. عندي لكم أبناء طيِّبة، أو أن هذا ما آمله».

قالت: «إننا في حاجةٍ ماسَّة إلى أنباء طيِّبة يا سيِّدي»، وجلسَت سامعةً المطر يضرب سقف الخيمة القِنَّبي بصوتٍ مزعج.

انتظرَ روب حتى أنزلَ السير راينالد سديلة باب الخيمة، ثم قال: «لقد سمعَت الآلهة صلواتنا أيها السَّادة. اللورد چيسون جلبَ لنا رُبَّان (الميراهام)، سفينة تجاريَّة من (البلدة القديمة). أخبِرهم بما أخبرتَني به أيها الرُّبَّان».

لعقَ الرَّجل شفتيه متوتِّرًا، وقال: «أمرك يا جلالة الملك. آخِر ميناء رسوتُ فيه قبل (سيجارد) كان (لوردزپورت) في (پايك)، وقد احتجزَني الحديديُّون هناك مدَّة نِصف عام بأمر من الملك بالون، لكن... خُلاصة القول أنه ماتَ».

توقَّف قلب كاتلين عن الخفقان لحظةً، وسألَت: «بالون جرايچوي؟ بالون جرايچوي ماتَ؟».

أومأ الرُّبَّان القصير ذو الزِّيِّ الرَّث برأسه إيجابًا، وقال: «تعرفون أن (پايك) مبنيَّة على لسانٍ بحري، وأن جزءًا منها مُقام على الصُّخور والجُزر الصَّغيرة وتربط بينها جسور، أليس كذلك؟ ما سمعته في (لوردزپورت) أن عاصفةً رعديَّةً مطيرةً هاجمَت من الغرب، وكان الملك بالون العجوز يقطع واحدًا من تلك الجسور عندما هبَّت الرِّيح شديدةً ومزَّقت الجسر إربًا. بَعد يومين جرفَ التَّيَّار جثَّته المحطَّمة المنتفخة إلى الشَّاطئ، وسمعتُ أن السَّراطين أكلَت عينيه».

قال چون الكبير ضاحكًا: «آملُ أنها كانت سراطين من النَّوع الملكي بما أنها التهمَت عينيه الملكيَّتين، إيه؟».

عادَ الرُّبَّان يُومئ برأسه قائلًا: «نعم، لكن هذا ليس كلَّ شيء، لا!»، ومالَ إلى الأمام مضيفًا: «لقد رجعَ الأخ».

سألَ جالبارت جلوڤر مندهشًا: «ڤيكتاريون؟».

- «يورون، الملقَّب بعين الغُراب. إنه من ألعن القراصنة الذين مخروا عباب البحار على الإطلاق. لقد غابَ سنينًا طويلةً، لكن لم يكد جُثمان اللورد بالون يَبرُد حتى وجدوه يعود مبحرًا إلى (لوردزپورت) على متن سفينته (الصَّمت) بأشرعتها السَّوداء وبدنها الأحمر وطاقمها الأخرس. سمعتُ أنه ذهبَ إلى (آشاي) وعادَ منها، لكن أينما كان فقد رجعَ إلى وطنه، واتَّجه إلى (پايك) مباشرةً ووضعَ مؤخِّرته على كرسي حجر اليَم، وأغرقَ اللورد بوتلي في برميلٍ من المياه المالحة لمَّا اعترضَ. عندها هرعتُ إلى (الميراهام) وفررتُ آملًا أن أستطيع الابتعاد في خضمِّ الفوضى، وهذا ما فعلته، وهأنذا».

قال روب عندما فرغَ الرَّجل: «لك شُكري أيها الرُّبَّان، ولن ترحل بلا مكافأة. سيصحبك اللورد چيسون إلى سفينتك عندما ننتهي. أرجو أن تنتظر في الخارج».

- «سأفعلُ بالتَّأكيد يا جلالة الملك، سأفعلُ».

بمجرَّد أن غادرَ الرَّجل الخيمة انفجرَ چون الكبير ضاحكًا، لكن روب أسكتَه بنظرة، وقال: «يورون جرايچوي ليس من خامة الملوك إذا كان نِصف ما حكاه لي ثيون صحيحًا. ثيون هو الوريث الشَّرعي، ما لم يكن قد ماتَ... لكن ڤيكتاريون يقود الأسطول الحديدي، ولا أتصوَّرُ أنه سيبقى في (خندق كايلن) بينما يجلس يورون عين الغُراب على كرسي حجر اليَم. لا بُدَّ أن يعود».

قال جالبارت جلوڤر مذكِّرًا: «هناك ابنة أيضًا، تلك التي تُسَيطِر على (ربوة الغابة) وتحتجز زوجة روبت وابنته».

قال روب: «إذا بقيَت في (ربوة الغابة) فلا أمل لها إلَّا في السَّيطرة عليها وحدها. ما ينطبق على الأخوين ينطبق عليها أكثر. عليها أن تُبحِر إلى (جُزر الحديد) لتُزيح يورون وتُطالِب بحقِّها في الإرث»، ثم التفتَ إلى چيسون ماليستر سائلًا: «ألديك أسطول في (سيجارد)؟».

- «أسطول يا جلالة الملك؟ نِصف دستة من السُّفن الطَّويلة وقادسان حربيَّان فقط، ما يكفي للدِّفاع عن شواطئي ضد المُغيرين، لكني لا أجسرُ على مواجَهة الأسطول الحديدي».

- «ولستُ أطلبُ منك أن تفعل. أتوقَّعُ أن الحديديِّين سيُسارِعون بالإبحار إلى (پايك). لقد أخبرَني ثيون كيف يُفكِّر قومه؛ كلُّ رجل ملكٌ على متن سفينته، وسيرغبون جميعًا في أن يكون لهم صوت في مسألة الخلافة. سيِّدي، أريدُ أن تُبحِر اثنتان من سُفنك حول (رأس النُّسور) وخلال (العُنق) إلى (قلعة المياه الرَّماديَّة)».

قال اللورد چيسون بتردُّد: «ثمَّة دستة من الجداول في (الغابة الرَّطبة)، كلُّها ضحل مليء بالطَّمي وغير مدوَّن على الخرائط. لستُ أعدُّها أنهارًا حتى، فالمجاري تشطُّ وتتبدَّل طيلة الوقت، وهناك عدد لا نهائي من الامتدادات الرَّمليَّة والأشجار السَّاقطة المتعفِّنة، كما أن (القلعة الرَّماديَّة) نفسها تتحرَّك! كيف ستَعثُر السَّفينتان عليها؟».

- «اذهب في اتِّجاه المنبع رافعًا رايتي وسيجدك أهل المستنقعات. أريدُ سفينتين لمضاعفَة فُرصة بلوغ رسالتي هاولاند ريد. ستستقلُّ الليدي مج

واحدةً وجالبارت الثّانية»، والتفتَ روب إلى مَن ذكرَ اسميهما مواصلًا: «ستحملان رسائلَ إلى لورداتي الباقين في الشَّمال، لكن كلَّ ما فيها من أوامر سيكون زائفًا، تحسُّبًا لوقوعكما في الأسر. إذا حدثَ ذلك فعليكما أن تقولا إنكما كنتما في طريق العودة إلى الشَّمال، إلى (جزيرة الدِّببة) أو (السَّاحل الحجري)»، ونقرَ على الخريطة بإصبعه، وتابعَ: «(خندق كايلن) هي المفتاح. اللورد بالون أدركَ هذا، ولذا أرسلَ أخاه ڤيكتاريون إلى هناك بالسَّواد الأعظم من قوَّة جرايچوي».

قالت الليدي مِج: «بغَضِّ النَّظر عن نزاعات الخلافة، فالحديديُّون ليسوا بالغباء الذي يجعلهم يَهجُرون (الخندق)».

قال روب: «نعم. تخميني أن ڤيكتاريون سيَترُك أغلب حاميته، لكن كلَّ رجلٍ يأخذه يعني أن هناك رجالًا أقلَّ سنُقاتِلهم، ولكِ أن تثقي بأنه سيأخذ عددًا كبيرًا من ربابنته معه، القادة، فسيحتاج إلى رجالٍ كهؤلاء يُعَظِّمونه إذا كان يأمل في الجلوس على كرسي حجر اليَم».

قال جالبارت جلوڤر: «لا يُمكن أن تكون نيَّتك الهجوم من على الدَّرب العالي يا جلالة الملك. المسالك هناك ضيِّقة للغاية، ولا سبيل لنشر الجُند. لا أحدَ نجحَ في احتلال (الخندق) قَطُّ».

رَدَّ روب: «من الجنوب. لكن إذا هاجَمنا من الشَّمال والغرب في آنٍ واحد، وباغَتنا الحديديِّين من المؤخِّرة، بينما يُقاوِمون ما يحسبونه قوَّتنا الأساسيَّة على الدَّرب العالي، فستكون فُرصة النَّصر كبيرةً. بمجرَّد أن أضمَّ قوَّاتي إلى قوَّات رووس بولتون وفراي سيكون معي أكثر من اثني عشر ألف رجل، أنوي تقسيمهم إلى ثلاث فِرق وأجعلهم يصعدون الدَّرب العالي بحيث يفصلِ نِصف يوم بين كلِّ فرقةٍ وأخرى. إذا كانت لجنود جرايچوي أعيُن جنوب (العُنق) فسيَرون قوَّاتي كلَّها تندفع إلى (خندق كايلن) مباشرةً. سيقود رووس بولتون حَرس المؤخِّرة وأقودُ القلب، وأنت يا چون الكبير ستقود الطَّليعة ضد (الخندق). يجب أن يكون هجومك عنيفًا لدرجةٍ لا تُتيح للحديديِّين رفاهية أن يتساءَلوا إن كان أحد يزحف عليهم من الشَّمال».

قهقهَ چون الكبير، وقال: «فليُسرِع زاحفوك بالمجيء إذن قبل أن يجتاح رجالي الأسوار ويحتلُّوا القلعة. سأقدِّمها لك هديَّةً إذا وصلت متأخِّرًا».

- «ستكون هديَّةً يُسعِدني أن أقبلها».

قال إدميور مقطِّبًا جبينه: «تتكلَّم عن مداهَمة الحديديِّين من المؤخِّرة يا مولاي، لكن كيف تنوي أن تدور من ورائهم؟».

أجابَ روب: «هناك طُرق عبر (العُنق) غير موجودة على أيِّ خريطة يا خالي، طُرق معروفة لشعب المستنقعات فقط، دروب ضيِّقة وسط البِرك، وأخرى مائيَّة تمرُّ بين أحراج القصب ولا تقطعها إلَّا القوارب»، والتفتَ إلى رسوليه مردفًا: «قولا لهاولاند ريد أن يُرسِل لي أدلَّةً بَعد يومين من بداية صعودي الدَّرب العالي، إلى الفِرقة الوُسطى حيث أرفعُ رايتي. ثلاث فِرق ستُغادِر (التَّوأمتين)، لكن اثنتين فقط ستَبلُغان (خندق كايلن)، بينما تختفي فرقتي في (العُنق) وتُعاوِد الظُّهور في (النَّهر المحموم). إذا تحرَّكنا سريعًا عقب زفاف خالي فسنكون في موقعنا مع نهاية العام، ثم نُهاجِم (الخندق) من ثلاث جهات في أول أيام القرن الجديد، بينما يستيقظ الحديديُّون برؤوسٍ يدقُّها الصُّداع من فرط ما سيشربونه في اللَّيلة السَّابقة».

قال چون الكبير: «تروقني هذه الخطَّة، تروقني جدًّا».

فركَ جالبارت جلوڤر فمه قائلًا: «هناك مخاطَرات. إذا خذلَك أهل المستنقعات...».

قاطعَه روب: «فلن نكون في موقفٍ أسوأ من قبل. لكنهم لن يخذلوني. لقد عرفَ أبي قيمة هاولاند ريد جيِّدًا»، ثم طوى الخريطة، وعندها فقط نظرَ إلى كاتلين قائلًا: «أمَّاه».

توتَّرت كاتلين، وسألَته: «أرسمت دورًا لي في هذه الخطَّة؟».

- «دوركِ أن تبقي آمنةً. رحلتنا عبر (العُنق) ستكون محفوفةً بالمخاطر، ولا شيء إلَّا المعارك ينتظرنا في الشَّمال. لكن اللورد ماليستر تلطَّف عارضًا أن يُضَيِّفكِ في (سيجارد) إلى أن تنتهي الحرب. إنني واثق بأنكِ ستكونين مستريحةً هناك».

أهذا عقابي على معارَضته في شأن چون سنو؟ أم لكوني امرأةً، أو أسوأ، لكوني أمًّا؟ استغرقَت لحظةً حتى لاحظَت أن أعيُن الجميع مسلَّطة عليها، وأدركَت كاتلين أنهم كانوا يعرفون مسبقًا. لم يكن من المفترَض أن تندهش،

إذ لم تربح أيَّ أصدقاء بتحريرها قاتِل الملك، كما أنها سمعَت جون الكبير يقول أكثر من مرَّةٍ، إن لا مكان للنِّساء في ميدان المعركة.

لا بُدَّ أن غضبها اشتعلَ على وجهها، لأن جالبارت جلوڤر تكلَّم قبل أن تنطق كلمةً قائلًا: «جلالته حكيم يا سيِّدتي. الأفضل ألَّا تأتي معنا».

وقال اللورد چيسون ماليستر: «(سيجارد) ستُضيء بحضوركِ يا ليدي كاتلين».

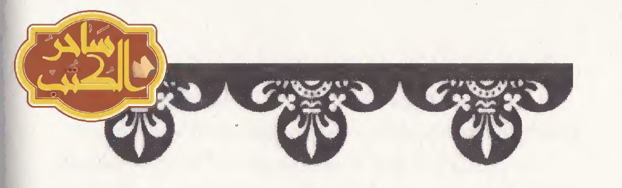
قالت كاتلين: «تُريدني أن أكون سجينتك».

رَدَّ اللورد چيسون بإصرار: «بل ضيفتي المكرَّمة».

التفتَت إلى ابنها قائلةً بجمود: «لا أقصدُ إهانةً للورد ماليستر، لكن إذا كان لا يُمكنني المجيء معكم فأفضِّلُ العودة إلى (ريڤررَن)».

- «لقد تركتُ زوجتي في (ريڤررَن)، وأريدُ أمِّي في مكانٍ آخَر. إذا تركَ المرء كنوزه كلَّها في خزينةٍ واحدة، فإنه يُسَهِّل الأمر على من يرغبون في سرقته لا أكثر. بَعد الزِّفاف ستذهبين إلى (سيجارد)، هذا أمري الملكي»، ونهضَ روب، وبهذه السُّرعة تحدَّد مصيرها، أمَّا هو فالتقطَ قطعةً من ورق الرَّقوق مردفًا: «ثمَّة مسألة أخرى. أملنا أن اللورد بالون ماتَ مخلِّفًا وراءه الفوضى، ولا أنوي أن أفعل مِثله، لكنني لم أنجب ابنًا بعدُ، وأخواي بران وريكون ماتا، وأختي متزوِّجة بابن لانستر. لقد فكَّرت طويلًا وجدِّيًّا في مَن سيخلفني، وآمركم الآن بصفتكم لورداتي الأوفياء المخلصين أن تختموا هذه الوثيقة كشهودٍ على قراري».

قالت كاتلين لنفسها مهزومةً: ملك حقًّا. ليس في وسعها الآن إلَّا أن تأمل أن ينجح الفَخّ الذي نصبَه لـ(خندق كايلن) كما نجحَ الفَخُّ الذي أوقعَها فيه.



ساموِيل

(وايتري)، أرجوكِ كوني (وايتري). إنه يَذكُر القرية. كانت على الخرائط التي رسمَها في الطَّريق إلى الشَّمال. إذا كانت هذه (وايتري) حقًّا، فإنه يعرف أين هُم الآن. أرجوكِ أيتها الآلهة، لا بُدَّ أن تكون هي. أرادَ هذا بشدَّةٍ حتى إنه نسيَ قدميه بعض الوقت، نسيَ الألم في رَبلتَيْ ساقيه وأسفل ظَهره والأصابع المتجمِّدة اليابسة التي يكاد لا يحسُّ بها، بل ونسيَ اللورد مورمونت وكراستر والجُثث الحيَّة و(الآخَرين)، وصلَّى لأيِّ إلهٍ يسمع: (وايتري).

لكن قُرى الهَمج تتشابَه جميعًا. في مركز هذه القرية تنمو شجرة ويروود ضخمة، لكنها لا تعني بالضَّرورة أنهم في (وايتري). ألم تكن شجرة الويروود هناك أكبر من هذه؟ ربما لا يتذكَّرها بشكلٍ صحيح. الوجه المحفور في الجذع الشَّاحب كالعظم طويل حزين، ومن عينيه تسيل دموع حمراء من النُّسغ الجاف. أهكذا كان يبدو حين جئنا شمالًا؟ لا يَذكُر حقًّا.

حول الشَّجرة مجموعة صغيرة من الأكواخ ذات الحُجرةِ الواحدة تعلوها سقوف من النَّجيل، وقاعة طويلة من الخشب ينمو عليها الطُّحلب، بالإضافة إلى بئرٍ حجريَّة وزريبة غنم... لكن لا غنم ولا ناس على الإطلاق. لقد رحلَ الهَمجَ لينضمُّوا إلى مانس رايدر في (أنياب الصَّقيع)، آخذين معهم كلَّ ما يملكونه باستثناء البيوت نفسها، وهو ما أشعرَ سام بالامتنان، فاللَّيل يدنو ومن الجيِّد أن يناموا تحت سقفٍ مرَّةً. أحسَّ بتعبٍ فظيع كأنه أمضى نِصف حياته مشيًا. كان حذاؤه قد بدأ يتمزَّق، وطقَّت القروح على قدميه واستحالَت إلى طبقةٍ جلديَّةٍ جامدة، لكن هناك الآن قروح أخرى تحت الجِلد الجامد، وقضمة الصَّقيع تُهاجِم أصابع قدميه بضراوة.

لكن إمَّا المشي وإمَّا الموت، وسام يعلم هذا. جيلي لا تزال ضعيفةً من المخاض وتحمل رضيعها أيضًا وتحتاج إلى الحصان أكثر منه. كان الحصان الثَّاني قد ماتَ بَعد ثلاثة أيام من خروجهم من (قلعة كراستر)، وعجيب أن الحيوان المسكين المتضوِّر جوعًا احتملَ كلَّ هذا الوقت أصلًا. غالبًا كان وزن سام هو ما أجهزَ عليه، ولذا لم يُحاولا ركوب الحصان المتبقِّي معًا، إذ خشيَ سام أن يتكرَّر ما حدثَ. الأفضل أن أمشي.

تركَها سام في القاعة الطَّويلة لتُشعِل نارًا للتَّدفئة بينما يُلقي نظرةً داخل كلِّ كوخ. جيلي أبرع منه في إشعال النَّار، فلا يبدو أبدًا أنه يستطيع أن يجعل اللَّهب يشبُّ في الهشيم، وآخِر مرَّةٍ جرَّب أن يُحدِث شرارةً بواسطة الصَّوَّان والفولاذ جرحَ يده بسكِّينه. ضمَّدت جيلي الجرح، لكنه أحسَّ بيده يابسةً أليمةً، بل وأكثر خَرقًا في الحركة مما كانت من قبل. يعرف أن عليه تغيير الضَّمَّادة وغسل الجرح، لكنه متخوِّف من النَّظر إليه، كما أن البرد شديد بحَقٍّ ويجعله يكره أن يخلع قُفَّازه.

لا يدري سام ما الذي كان يأمل أن يَعثُر عليه في البيوت الخاوية، فلربما تركَ الهَمج شيئًا من الطَّعام، ويجب أن يبحث كما بحثَ چون في أكواخ (وايتري) وهُم في طريقهم شمالًا. داخل أحد الأكواخ سمعَ صرير الفئران في رُكنٍ مظلم، لكن بخلاف هذا لم يكن في أيِّها إلَّا قَشٌّ قديم وروائح قديمة ورماد تحت فتحات التَّهوية.

عادَ يلتفت إلى الويروود وتمعَّن في الوجه المحفور لحظةً قبل أن يُقِرَّ لنفسه: ليس الوجه الذي رأيناه. الشَّجرة ليست بِنصف حجم التي في (وايتري) حتى. ثم إن العينين الحمراوين تذرفان دمًا، وهو لا يَذكُر ذلك في الأخريين. بتثاقُلٍ ركعَ سام على رُكبتيه، وقال: «اسمعي صلاتي أيتها الآلهة القديمة. (السَّبعةُ) آلهة أبي، لكني حلفتُ يميني أمامكِ حين التحقتُ بحَرس اللَّيل، فساعدينا الآن. أخشى أننا ضللنا الطَّريق، كما أننا نُعاني الجوع والبرد. لستُ أدري بأيِّ آلهةٍ أومنُ الآن، لكن... أرجوكِ، إذا كنتِ موجودةً فساعدينا. جيلي لديها ابن صغير». هذا هو كلُّ ما استطاعَ التَّفكير في قوله. كان الغَسق يتوغَّل وأوراق الويروود تحفُّ بخفوتٍ وتتراقص كألف يدٍ حمراء قانية، لكن سواء أسمعَته آلهة چون أم لم تسمعه فلا يعرف.

عندما رجعَ إلى القاعة الطَّويلة كانت جيلي قد أشعلَت النَّار وجلسَت إلى جوارها مزيحةً ثيابها الفرو لتُرضِع صغيرها. إنه جائع مِثلنا تمامًا. كانت العجوزان قد هرَّبتا طعامًا لهما من مخزن كراستر، لكنهما أكلا معظمه بالفعل. حتى في (هورن هيل)، حيث الصَّيد وفير وهناك رجال وكلاب تحت إمرته، كان سام صيَّادًا فاشلًا تمامًا، أمَّا هنا في الغابة الخالية مترامية الأطراف ففُرصة أن يصطاد شيئًا مستحيلة، كما أن المجهود الذي بذلَه في محاوَلة اصطياد الأسماك من البحيرات والنُّهيرات شِبه المتجمِّدة راحَ كلُّه سُدًى أيضًا.

سألَته جيلي: «كم تبقَّى يا سام؟ أما زالَ بعيدًا؟».

أجابَها: «ليس بعيدًا جدًّا، ليس بعيدًا كما كان من قبل»، وخلعَ صُرَّته عن ظَهره وأنزلَ نفسه إلى الأرض بمشقَّةٍ وحاولَ أن يجلس متقاطع السَّاقين. كان الألم في ظَهره ممضًّا من طول المشي حتى إنه أرادَ بشدَّةٍ أن يُسنِده إلى أحد الأعمدة الخشبيَّة المنقوشة التي تدعم السَّقف، لكن النَّار في منتصَف القاعة أسفل فتحة التَّهوية، وهو يشتهي الدِّفء أكثر من الرَّاحة. «سنصل في غضون أيام قليلة».

مع سام خرائطه، لكنها بلا فائدة بما أن هذه القرية ليست (وايتري). قال لنفسه ساخطًا: توغَّلنا كثيرًا جدًّا شرقًا لندور حول تلك البحيرة، أو ربما كثيرًا جدًّا غربًا عندما حاولتُ أن أعود أدراجي. لقد بدأ يكره البحيرات والأنهار حقًّا، فهنا لا توجد جسور أو عبَّارات، أي أن عليك أن تدور حول كلِّ بحيرةٍ وتبحث عن بقاع تعبر منها كلَّ نهر. المضيُّ في دروب الفرائس أسهل من معاناة خوض الأدغال، والدَّوران حول الأخاديد أسهل من تسلُّقها. لو أن بانن أو دايوين معنا لكنا في (القلعة السَّوداء) الآن، نُدفئ أقدامنا في القاعة العامَّة. لكن بانن ماتَ، ودايوين ذهبَ مع جرن وإد الكئيب والآخَرين.

قال سام لنفسه مذكِّرًا: (الجدار) طوله ثلاثمئة قدم وارتفاعه سبعمئة. إذا ظلُّوا يتَّجهون جنوبًا فلا بُدَّ أن يَبلُغوه عاجلًا أو آجلًا، وهو واثق بأنهم متَّجهون جنوبًا. في النَّهار يُحَدِّد الاتِّجاهات عن طريق الشَّمس، وفي اللَّيالي الصَّافية يتبعون ذيل (التنِّين الجليدي)، وإن لم يتحرَّكوا ليلًا كثيرًا منذ ماتَ الحصان الثَّاني. حتى عندما يكون القمر بدرًا تظلُّ العتمة مسيطرةً تحت الأشجار، ومن الوارد جدًّا أن يكسر سام أو الحصان المتبقِّي ساقًا. لا بُدَّ أننا متوغِّلون جدًّا في الجنوب الآن، لا بُدَّ.

ما ليس متأكِّدًا منه هو المسافة التي حادوها شرقًا أو غربًا عن الطَّريق. سوف يَبلُغون (الجدار)، نعم... خلال يوم أو أسبوعين، فلا يُمكن أن يكون أبعد من هذا، بالتَّأكيد، بالتَّأكيد، في النِّهاية سيَبلُغونه... لكن أين؟ بوَّابة (القلعة السَّوداء) هي الوجهة المنشودة، السَّبيل الوحيد للمرور من (الجِدار) في نطاق مئة فرسخ كاملة.

سألَته جيلي: «هَل (الجِدار) كبير حقًّا كما كان كراستر يقول؟».

حاولَ سام أن تكون نبرته مرحةً وهو يُجيبها: «أكبر. إنه كبير لدرجةٍ أنك لا ترين القلاع المتوارية خلفه، لكنها موجودة كما سترين. (الجدار) كلُّه من الجليد، لكن القلاع من الحجارة والأخشاب. هناك بروج عاليةٌ وأقبية عميقة وقاعة طويلة ضخمة فيها مستوقَد تشتعل فيه النَّار نهارًا وليلًا. الجَوُّ حارٌّ هناك يا جيلي لدرجةٍ لن تُصَدِّقيها».

- «أيُمكنني أن أقف عند النَّار أنا والصَّبي؟ ليس طويلًا، حتى نتدفَّأ فقط».

- «يُمكنكِ أن تقفي عند النَّار كما تشائين، وستجدين طعامًا وشرابًا أيضًا، نبيذًا متبَّلًا ساخنًا ووعاءً من يخنة لحم الغزال بالبصل، وخُبز هوب الطَّازج من الفُرن. ستلسع سخونته أصابعكِ»، وخلعَ سام قُفَّازه ليُحَرِّك أصابعه هو أمام النَّار، وسرعان ما ندمَ على هذا. كان البرد قد خدَّرها، لكن إذ عادَ إليها الإحساس أوجعَته بشدَّةٍ حتى كادَ يبكي، فقال ليُلهي نفسه عن الألم: «أحيانًا يُغَنِّي أحد الإخوة. داريون كان أفضل المغنِّين، لكنهم أرسَلوه إلى (القلعة الشَّرقيَّة). ما زالَ هناك هالدر، والضِّفدع أيضًا. اسمه الحقيقي تودر، لكنه يُشبه الضَّفادع، ولذا نُناديه بهذا الاسم. يُحِبُّ الغناء، لكن صوته شنيع».

أعادَت جيلي ترتيب ثوبها ونقلَت الرَّضيع من ثديٍ إلى الثَّاني، وسألَته: «هل تُغَنِّي أنت؟».

تورَّدَ وجه سام، وقال: «أ... أعرفُ القليل من الأغاني. كنتُ أحبُّ الغناء في صِغري، واعتدتُ الرَّقص أيضًا، لكن السيِّد والدي لم يقبل ذلك قَطُّ، وقال إنني إذا أردتُ أن أتواثَب هنا وهناك فعليَّ أن أفعل هذا في السَّاحة بسيفٍ في يدي».

- «هلَّا غنَّيت واحدةً من أغانيكم الجنوبيَّة للصَّبي؟».

قال سام: «إذا أردتِ»، وتفكَّر لحظةً قبل أن يُردِف: «ثمَّة أغنيَّة كان السِّپتون

يُغَنِّيها لنا وقت النَّوم ونحن صغار، اسمها (أغنيَّة السَّبعة)»، ثم تنحنحَ وبصوتٍ خفيضٍ غنَّى:

(الأب) وجهه قويٌّ جليل
يجلس ويُفَرِّق بين الحَقِّ والباطل
ويزن حيواتنا، ما قصرَ منها وما طالَ
ويُحِبُّ الأطفال الصِّغار.
(الأُمّ) تهبُ هديَّة الحياة
وترعى كلَّ زوجة
وتُنهي بسمتها الرَّقيقة كلَّ محنة
وتُحِبُّ أطفالها الصِّغار.
(المُحارِب) يقف ضد الغريم
يحمينا في كلِّ بَرٍّ ويَم
وبالسَّيف والتُّرس والحربة والسَّهم
يَحرُس الأطفال الصِّغار.
(العجوز) حكيمة قديمة كالدَّهر
تشهد علينا حتى نهاية العُمر
وترفع مصباحها النَّضير
لتُضيء الطَّريق للأطفال الصِّغار.
(الحدَّاد) يكدح آناء اللَّيل وأطراف النَّهار
ويُسَوِّي عالم البَشر
وبالمطرقة والمحراث والنَّار
يبني للأطفال الصِّغار.
(العذراء) تَرقُص وسط العَنان
وتحيا في آهة كلِّ ولهان
تُعَلِّم ابتسامتها الطَّير الطَّيران
وتُهدي الأحلام للأطفال الصِّغار.
الآلهة السَّبعة التي خلقَتنا



تُصغي إلينا إذا صلَّينا
فأغلِقوا أعيُنكم ولن تَسقُطوا
أيها الأطفال الصِّغار
فقط أغلِقوا أعيُنكم ولن تَسقُطوا
إنها تراكم أيها الأطفال الصِّغار.

تذكَّر سام آخِر مرَّةٍ ردَّد فيها تلك الأغنيَّة مع أمِّه لهدهدة أخيه ديكون الرَّضيع حتى ينام، وسمعَ أبوه صوتيهما فاقتحمَ الغُرفة غاضبًا، وقال لزوجته بخشونة: «لن أسمح بالمزيد من هذا. لقد أفسدتِ صبيًّا بأغاني السِّبتونات النَّاعمة هذه، فهل تنتوين أن تفعلي المِثل مع هذا أيضًا؟»، ثم رمقَ اللورد راندل سام قائلًا: «اذهب وغَنِّ لأخواتك إذا أردت أن تُغَنِّي، لكني لا أريدك بالقُرب من ابني».

غابَ ابن جيلي في النَّوم. إنه صغير للغاية وهادئ للغاية حتى إن سام يخشى على سلامته، بل وليس له اسم حتى. كان قد سألَها عن السَّبب، فأجابَت قائلةً إن تسمية الأطفال قبل أن يَبلُغوا الثَّانية من العُمر تجلب الحَظَّ العاثر، فكثيرون منهم يموتون.

دسَّت جيلي ثديها داخل ثيابها قائلةً: «جميل يا سام. إنك تُجيد الغناء».

- «عليكِ أن تسمعي داريون، صوته بعذوبة العسل المخمَّر».

- «شربنا عسلًا مخمَّرًا في غاية العذوبة يوم جعلَني كراستر زوجته. كنا في الصَّيف وقتها، ولم يكن الجَوُّ بهذه البرودة»، ثم رمقَته جيلي حائرةً وسألَته: «هل غنَّيت عن ستَّة آلهةٍ فقط؟ كراستر قال لنا إنكم تَعبُدون سبعةً في الجنوب».

- «سبعة، نعم، لكن لا أحد يُغَنِّي عن (الغريب)». وجه (الغريب) وجه الموت، ومجرَّد الكلام عنه يُزعِج سام. «علينا أن نأكل شيئًا، لُقمةً أو اثنتين».

لم يتبقَّ من الطَّعام إلَّا قِطع قليلة من السُّجق الأسود الجامد كالخشب. نشرَ سام بضع شرائح رفيعة لكلٍّ منهما، وأوجعَ المجهود معصميه لكن جوعه جعلَه يُثابر. إذا مضغت شريحةً طويلًا فإنها تلين ويصير مذاقها طيِّبًا، خصوصًا أن زوجات كراستر تبَّلن السُّجق بالثُّوم.

بَعد أن فرغا من الأكل استأذنَها سام وخرجَ يُفرِغ مثانته ويتفقَّد الحصان. كانت ريح قارسة تهبُّ من الشَّمال، وحفَّت أوراقَ الشَّجر في وجهه وهو يمرُّ ليكسر طبقة الجليد الرَّقيقة على سطح الجدول كي يشرب الحصان. الأفضل أن أُدخِله. إنه لا يُريد أن يستيقظ فَجرًا ليجد حصانهما تجمَّد حتى الموت في أثناء اللَّيل. ستستمرُّ جيلي حتى إذا حدثَ ذلك. الفتاة شُجاعة جدًّا على عكسه، ويتمنَّى لو يعرف ما سيفعله معها لدى وصولهما إلى (القلعة السَّوداء). كثيرًا ردَّدت أنها من الممكن أن تكون زوجته إذا أرادَ، لكن الإخوة السُّود لا يتزوَّجون، علاوةً على أنه من آل تارلي أولاد (هورن هيل)، ولا يُمكن أن يتزوَّج همجيَّةً أبدًا. عليَّ أن أفكِّر في شيءٍ ما. فلنبَلُغ (الجِدار) أحياءً فقط ولن تهمَّ البقيَّة، لن تهمَّ على الإطلاق.

قيادة الحصان إلى القاعة الطَّويلة كانت سهلةً، أمَّا إدخاله فلم يكن، لكن سام ظَلَّ يُحاوِل حتى نجحَ أخيرًا. ألفى جيلي غافيةً بالفعل، وربطَ الحصان في رُكنٍ وأضافَ المزيد من الحطب إلى النَّار، ثم خلعَ معطفه الثَّقيل وانسلَّ تحته إلى جوار الهمجيَّة. المعطف كبير بما يكفي لتغطية ثلاثتهم والحفاظ على دفء أجسادهم.

تضوَّعت من جيلي روائح اللَّبن والثُّوم والفرو القديم الزَّنخ، لكنه اعتادَها وعدَّها روائح طيِّبةً. إنه يُحِبُّ النَّوم إلى جوارها، إذ يجعله يتذكَّر الأيام الخوالي في (هورن هيل) حين كان يتقاسَم فِراشًا ضخمًا مع اثنتين من أخواته، قبل أن ينتهي هذا بقرار اللورد راندل أن النَّوم إلى جوار الفتيات يجعله ناعمًا مثلهن. لكن النَّوم بمفردي في غُرفتي الباردة لم يجعلني أصلب أو أشجع. تساءلَ عمَّا كان أبوه ليقوله لو رآه الآن، وتخيَّل نفسه يقول له: لقد قتلتُ واحدًا من (الآخرين) يا أبي، طعنته بخنجر من الزُّجاج البُركاني، والآن يُلَقِّبني إخوتي بسام القاتِل. لكن حتى في مخيِّلته عبسَ اللورد راندل في وجهه غير مصدِّق.

كانت أحلامه غريبةً ليلتها. رأى نفسه في القلعة في (هورن هيل)، لكن أباه لم يكن هناك. كانت القلعة قلعة سام، وكان چون سنو معه، واللورد مورمونت الدُّب العجوز أيضًا، وجرِن وإد الكئيب وپيپ وتودر وكلُّ إخوته الآخَرين في حَرس اللَّيل، وإن ارتدى الجميع ألوانًا زاهيةً بدلًا من الأسود، وجلسَ سام إلى المائدة العالية وأولمَ لهم مقطِّعًا شرائح سميكةً من اللَّحم

المشوي بسيف أبيه العظيم (آفة القلوب)، وقدَّم لهم الكعك المحلَّى والنَّبيذ الممزوج بالعسل، واستمتعوا معًا بالرَّقص والغناء والدِّفء. بَعد نهاية المأدبة صعدَ لينام، ليس في غُرفة اللورد التي تخصُّ أمَّه وأباه، وإنما في الغُرفة التي اعتادَ أن يتقاسَمها مع أختيه، لكن بدلًا منهما كانت جيلي تنتظره في الفِراش الوثير الضَّخم، لا ترتدي إلَّا فروةً كبيرةً شعثاء ويسيل اللَّبن من ثدييها.

واستيقظَ فجأةً بأوصال ترتجف بردًا وخوفًا.

لم يتبقَّ من النَّار غير جذواتٍ حمراء خامدة، وأحسَّ سام بالهواء نفسه متجمِّدًا من شدَّة البرد. في الرُّكن كان الحصان يصهل راكلًا الحطب بقائمتيه الخلفيَّتين، وجلسَت جيلي إلى جوار النَّار محتضنةً وليدها. اعتدلَ سام متمايلًا، تَخرُج أنفاسه شاحبةً من فيه المفتوح، وقد أغرقَت الظِّلال القاعة سوادًا على سواد، وانتصبَ الشَّعر على ذراعيه.

قال لنفسه: لا شيء هنالك. الجَوُّ بارد لا أكثر.

ثم تحرَّكَ أحد الظِّلال عند الباب، ظِلٌّ كبير.

وتضرَّع سام للآلهة: ما زلتُ أحلمُ. أوه، اجعليه حُلمًا ما زلتُ أراه وأنا نائم، اجعليه كابوسًا. إنه ميت، إنت ميت، لقد رأيته يموت.

منتحبةً قالت جيلي: «جاءَ من أجل الصَّبي. إنه يشمُّه. رائحة الحياة تفوح من كلِّ حديثي الولادة، وقد جاءَ من أجل الحياة».

طأطأَ الجسد الدَّاكن الضَّخم رأسه تحت عتبة الباب العُليا وخطا إلى داخل القاعة متقدِّمًا منهم بخُطًى ثقيلة، وفي ضوء النَّار الخابي استحالَ الظِّلُّ إلى پول الصَّغير.

وقال سام بصوتٍ مبحوح: «ارحل. لا نُريدكَ هنا».

كانت يدا پول فحمًا ووجهه حليبًا وعيناه تلتمعان بأزرق قاسٍ، وقد بيَّض الصَّقيع لحيته، وعلى كتفه جثمَ غُداف يَنقُر وجنته ويأكل اللَّحم الأبيض الميت.

أفرغَت مثانة سام نفسها، وأحسَّ بالدِّفء يسيل على ساقيه، لكنه قال لجيلي: «هدِّئي الحصان وخُذيه إلى الخارج، هيا».

- «أنت...».

قاطعَها: «إن معي الخنجر، سكِّين زُجاج التنِّين»، وأخرجَه وهو ينهض.

كان قد أعطى جرِن الخنجر الأول، لكن من حُسن الحَظِّ أنه تذكَّر أن يأخذ خنجر اللورد مورمونت قبل أن يفرَّ من (قلعة كراستر). أطبقَ عليه بإحكام مبتعدًا عن النَّار، بعيدًا عن جيلي والرَّضيع، وقال بنبرةٍ أرادَها أن تكونَ شُجاعةً، لكنها خرجَت منه كالصَّرير: «پول، پول الصَّغير، هل تعرفني؟ أنا سام، سام البدين، سام الخائف. لقد أنقذتَني في الغابة، حملتني حين لم أستطِع المضيَّ خُطوةً أخرى. لا أحد غيرك كان بإمكانه أن يفعل هذا، لكنك فعلته»، وتراجعَ سام حاملًا السكِّين وأنفه يسيل، وفكَّر: يا ليَّ من جبان. «لا تُؤذِنا يا پول، أرجوك. لماذا تُريد أن تُؤذينا؟».

تقهقرَت جيلي متعثِّرةً على الأرض التُّراب الصُّلبة، فدارَت الجثَّة الحيَّة برأسها لتَنظُر إليها، لكن سام صاحَ: «لا!»، فعادَت تلتفت إليه، ومزَّق الغُداف على كتفها قطعةً من اللَّحم من وجهها الممتقع الخرب. رفعَ سام الخنجر أمامه وهو يتنفَّس ككير الحدَّاد، وعبر القاعة بلغَت جيلي الحصان. امنحيني الشَّجاعة أيتها الآلهة، امنحيني إياها مرَّةً، حتى تبتعد جيلي فقط.

تحرَّك پول الصَّغير نحوه، وأخذَ سام يتراجَع حتى اصطدمَ ظَهره بحائطٍ خشبيٍّ خشن، ورفعَ الخنجر بكلتا يديه ليحمله بثبات. لم يبدُ أن الجثَّة الحيَّة تخشى زُجاجِ التنِّين، ربما لأنها تجهل ماهيته، وتقدَّمت ببُطء، لكن پول لم يكن سريعًا قَطُّ، حتى في حياته. وراءه غمغمَت جيلي بشيءٍ ما لتُهَدِّئ الحصان وحاولَت قيادته نحو الباب، لكن لا بُدَّ أن الحصان اشتمَّ نفحةً من رائحة الجثَّة الحيَّة الباردة الغريبة، وتراجعَ فجأةً رافعًا قائمتيه الأماميَّتين وضربَ الهواء بحافريْه، ودارَ پول في اتِّجاه الصوت وبدا أنه فقدَ اهتمامه بسام.

لم يكن هناك وقت للتَّفكير أو الدُّعاء أو الخوف، ودفعَ ساموِيل تارلي نفسه إلى الأمام مغمدًا الخنجر في ظَهر پول الصَّغير، الذي لم يرَه وهو ملتفت عنه. صرخَ الغُداف ووثبَ في الهواء، وصرخَ سام وهو يطعن: «أنت ميت! أنت ميت! أنت ميت!». طعنَ وصرخَ وطعنَ وطعنَ صانعًا شقوقًا ضخمةً في معطف پول الأسود الصَّغير، وتطايرَت شظايا زُجاج التنِّين في كلِّ مكانٍ إذ تحطَّم النَّصل على حلقات الحديد تحت الصُّوف.

ملأَ عويله الهواء الأسود بغشاوةٍ بيضاء، وأسقطَ سام المقبض عديم القيمة وأخذَ خُطوةً سريعةً إلى الوراء بينما دارَ پول نحوه، وقبل أن يُخرِج

سكِّينه الآخَر، السكِّين الفولاذ الذي يحمله كلُّ أخ، أطبقَت يدا الجثَّة السَّوداء على حَلقه. كانت يدا پول باردتين لدرجةٍ تُحرِق، وضيَّقتا الخناق على لحم عُنقه اللَّدن. أرادَ أن يَصرُخ: اركُضي يا جيلي، اركُضي، لكن لمَّا فتحَ فمه لم يَخرُج منه إلَّا صوت مخنوق.

أخيرًا عثرَت أصابعه المتلمِّسة على الخنجر، لكن حين هوى به على بطن الجثَّة الحيَّة احتكَّ رأسه بالحلقات المعدنيَّة وطارَ الخنجر من يد سام دائرًا في الهواء. انضغطَت يدا پول الصَّغير على عُنقه أكثر وبدأتا تلويانه، وقال سام لنفسه بيأس: سينتزع رأسي من على كتفَيْ. أحسَّ بحَلقه يتجلَّد وبرئتيه تشتعلان، وراحَ يَلكُم معصمَيْ الجثَّة ويشدُّهما بلا طائل، وركلَ پول بين ساقيه بلا جدوى، وتقلَّص العالم حتى أصبحَ نجمتين زرقاوين، وألمًا عنيفًا ساحقًا وبردًا قارسًا جمَّد دموعه في عينيه. تملَّص سام وشَدَّ بكلِّ يأسه... ثم اندفعَ إلى الأمام.

پول الصَّغير كبير قوي، لكن سام لا يزال يفوقه وزنًا، والجثث الحيَّة حركتها خرقاء كما رأى على (القبضة). دفعَت الحركة المفاجئة پول إلى التَّراجُع خُطوةً، ومعًا سقطَ الميت والحَيُّ أرضًا، وأزاحَت الصَّدمة إحدى اليدين عن رقبة سام فتمكَّن من التقاط نَفَسٍ سريع قبل أن تُطبق الأصابع السَّوداء عليه من جديد. أفعمَ مذاق الدَّم فمه، ولوى عُنقه باحثًا عن السكِّين فرأى وهجًا برتقاليًّا باهتًا. النَّار! لم يبقَ منها إلَّا جمر ورماد، ولكن... لا يستطيع التقاط أنفاسه أو إعمال عقله... تلوَّى سام إلى الجانب واندفعَ ساحبًا پول معه... زحفَت ذراعاه على تُراب الأرض، تمتدَّان، تُحاوِلان الوصول، تُبعثِران الرَّماد، وأخيرًا وجدَتا شيئًا ساخنًا... قطعةً من الخَشب المتفحِّم ما زالَ في أسودها شيء من البرتقالي والأحمر... انغلقَت أصابعه حولها ودفعَتها داخل فم پول بمنتهى العُنف حتى إن سام شعرَ بالأسنان تتهشَّم.

وعلى الرغم من هذا لم تَلِن قبضتا الجثَّة الحيَّة.

آخِر ما فكَّر فيه سام كان الأم التي أحبَّته والأب الذي خذلَه، ودارَت القاعة الطَّويلة من حوله... ثم رأى خيطًا من الدُّخان يَخرُج من بين أسنان پول المحطَّمة، ثم اشتعلَ اللَّهب في وجه الرَّجل الميت، وانفكَّت اليدان عن عُنقه. عَبَّ سام الهواء عَبًّا وتدحرجَ مبتعدًا. كانت الجثَّة الحيَّة تحترق، ومن

لحيتها يسيل الصَّقيع الذَّائب بينما يسودُّ لحمها. سمعَ الغُداف يَصرُخ، لكن پول نفسه لم يُصدِر صوتًا، ولمَّا انفتحَ فمه لم يَخرُج منه إلَّا اللَّهب. وعيناه... اختفى، الوهج الأزرق اختفى.

زحفَ سام إلى الباب. كان الهواء باردًا لدرجةٍ جعلَت مجرَّد التَّنفُّس مؤلمًا، ولكن يا له من ألم جميلٍ عذب. خرجَ من القاعة مناديًا: «جيلي؟ جيلي، لقد قتلته، جيلـ...».

كانت تقف وظَهرها إلى الويروود والرَّضيع على ذراعيها، يُحيط بها الموتى من كلِّ اتِّجاه، دستة منهم، عشرون، أكثر... بعضهم كان من الهَمج كما تدلُّ الجلود التي يرتدونها... لكن أغلبهم كانوا إخوته. رأى سام لارك رجل الأخوات والمتسلِّل ورايلز، ورأى تشِت بالكيس الدُّهني الأسود على عُنقه وطبقة رقيقة من الجليد تكسو بثوره. بدا أحدهم أنه هاك، لكن من الصَّعب أن يتأكَّد ونِصف رأس الرَّجل مفقود. كانت الجُثث الحيَّة قد مزَّقت الحصان المسكين إربًا وتسحب أمعاءه بأيدٍ يتقاطَر منها الأحمر ليتصاعدَ البُخار الباهت من بطنه.

نشجَ سام وتمتم: «ليس هذا عدلًا...».

حَطَّ الغُداف على كتفه وردَّد: «عدلًا، عدلًا، عدلًا، عدلًا!»، وخفقَ بجناحيه وصرخَ مع جيلي التي كادَت الجُثث تَبلُغها.

سمعَ سام أوراق الويروود الحمراء القانية تحفُّ، تتهامَس بلُغةٍ يجهلها، وبدا نور النُّجوم نفسه كأنه يتموَّج، ومن كلِّ مكانٍ حولهم أَنَّت الأشجار وصرَّت. امتقعَ وجه سام تارلي حتى حاكى لون الحليب الخاثر، واتَّسعت عيناه عن آخِرهما. غِدفان! كانت جاثمةً على الويروود، مئات، آلاف الغِدفان على الغصون البيضاء كالعظام، تُحدِّق من بين الأوراق. رأى مناقيرها تنفتح وتنعب، رأى أجنحتها السَّوداء تنبسط، ورآها تضرب الهواء صارخةً وتنقضُّ على الموتى في سحابةٍ غاضبة. احتشدَت حول وجه تشِت ونقرَت عينيه الزَّرقاوين، وغطَّت رجل الأخوات كالذُّباب، وانتزعَت كُتَلًا من اللَّحم من رأس هاك المحطَّم.

كانت أعداد الغِدفان غفيرةً حتى إن سام رفعَ رأسه فلم يرَ القمر.

وقال الغُداف على كتفه: «اذهب، اذهب، اذهب، اذهب!».

وركضَ سام والصَّقيع يتفجَّر من فمه. في كلِّ اتِّجاهٍ حوله راحَت الجُثث الحيَّة تضرب الأجنحة السَّوداء والمناقير الحادَّة التي تُهاجمها بلا هوادة وتَسقُط بصمتٍ غريب، بلا أنَّةٍ أو صيحة. لكن الغِدفان تجاهلَت سام، الذي أمسكَ يد جيلي وسحبَها بعيدًا عن الويروود قائلًا: «يجب أن نذهب».

هرعَت جيلي وراءه حاملةً رضيعها، وقالت: «لكن إلى أين؟ لقد قتلوا حصاننا. كيف...».

- «أخي!». شَقَّ النِّداء هواء اللَّيل وسط صريخ ألف غُداف، وتحت الأشجار استقرَّ رجل مكسوٌّ من رأسه إلى قدميه بالأسود والرَّمادي المرقَّعيْن على متن إلكة، وصاحَ من تحت قلنسوةٍ تُخفي وجهه: «هنا!».

دفعَ سام جيلي نحو الرَّجل مفكِّرًا: يرتدي الأسود. كانت الإلكة عملاقةً، ترتفع عشر أقدام حتى الكتفين، وعلى رأسها قرنان بالعرض نفسه تقريبًا. جثا الحيوان على رُكبتيه ليسمح لهما بالتَّسلُّق، ومَدَّ الرَّاكب يده المقفَّزة ليسحب جيلي وراءه قائلًا: «هيا»، ثم حانَ دور سام الذي قال لاهثًا: «أشكرك».

فقط حين أطبقَ على اليد الممدودة أدركَ أن الرَّاكب لا يرتدي قُفَّازًا، بل إن يده سوداء باردة، أصابعها صُلبة كالحجر.





آريا

حين بلغا قمَّة الأخدود ورأيا النَّهر، شَدَّ ساندور كليجاين عِنان حصانه بعُنفٍ وأطلقَ سبابًا.

كان المطر ينهمر من سماءٍ كالحديد الأسود، يطعن السَّيل الأخضر والبنِّي بعشرة آلاف سيف، وقالت آريا في أعماقها: لا بُدَّ أن عرضه ميل كامل. من دوَّامات المياه تَبرُز قمم عشرات الأشجار، وترتفع فروعها إلى السَّماء كأذرُع الغرقى، بينما تختنق حافة الشَّاطئ بطبقاتٍ سميكة من الأوراق المخضلَّة، وفي وسط المجرى لمحَت آريا شيئًا شاحبًا منتفخًا يتحرَّك بسُرعةٍ في اتِّجاه المصب، غزالًا أو حصانًا ميتًا ربما، وسمعَت صوتًا كدمدمةٍ واطئة تتردَّد على حافة السَّمع، كالأصوات التي تُصدِرها الكلاب قبل أن تشرع في الزَّمجرة.

تلوَّت آريا على متن الحصان شاعرةً بحلقات قميص كلب الصَّيد المعدني تنغرس في ظَهرها، وقد طوَّقها بذراعيه. أحاطَ باليُسرى المحروقة واقي ساعدٍ فولاذي، وإن كانت قد رأته يُغيِّر الضَّمَّادات ولمحَت اللَّحم تحتها لا يزال مسحوجًا ينزُّ الصَّديد، لكن إذا آلمَت الحروق ساندور كليجاين فإنه لا يُبدي أمارةً على هذا.

سألَته: «أهذا (النَّهر الأسود)؟». لقد ركبا طويلًا في الأمطار والظَّلام عبر غاباتٍ بلا طُرق وقُرى بلا أسماء، حتى فقدَت آريا إحساسها بالاتِّجاهات.

- «إنه نهر علينا أن نَعبُره. هذا هو كلُّ ما تحتاجين إلى معرفته». بين الفينة والفينة يُجيبها كليجاين، لكنه حذَّرها من الرَّدِّ عليه، وفي يومهما الأول معًا أملى عليها تحذيراتٍ كثيرة: «اضربيني مرَّةً أخرى وسأقيِّدُ يديكِ وراء ظَهركِ. حاولي الهرب مرَّةً أخرى وسأقيِّدُ قدميكِ. اصرُخي أو صيحي أو اعضُضيني

ثانيةً وسأكمِّمك. يُمكننا أن نركب معًا أو يُمكنني أن ألقيكِ على ظَهر الحصان كخنزيرةٍ في الطَّريق إلى الذَّبح. الخيار خيارُكِ».

اختارَت آريا أن تركب، ثم حين خيَّما أول مرَّةٍ انتظرَت حتى نامَ ووجدَت صخرةً كبيرةً محزَّزةً تُهَشِّم بها رأسه القبيح، وقالت لنفسها وهي تزحف نحوه: بهدوء الظِّلال، لكنها لم تكن هادئةً كفايةً، إذ اتَّضح أن كلب الصَّيد لم يكن نائمًا، أو ربما استيقظَ. أيًّا كان، فقد انفتحَت عيناه وارتعشَ فمه، وأخذَ الصَّخرة منها كأنها طفلة رضيعة. أفضل ما كان في وسعها وقتها أن تَركُله، وقال هو بَعدما ألقى الصَّخرة بين الشُّجيرات: «سأصرفُ النَّظر هذه المرَّة، لكن إذا استحمقتِ وحاولتِ ثانيةً سأولمكِ».

صرخَت فيه: «لِمَ لا تَقتُلني كما قتلت مايكا؟». كانت لا تزال مفعمةً بالتَّحدِّي في ذلك الحين، غاضبةً أكثر من خائفة.

أجابَها بشَدِّها من مقدِّمة قميصها حتى أصبحَت على بُعد بوصةٍ من وجهه المحروق، وقال: «انطقي هذا الاسم ثانيةً وسأضربكِ حتى تتمنَّي أن أقتلكِ».

بَعد ذلك لفَّها في كسوة الحصان كلَّ ليلةٍ قبل أن يَخلُد إلى النَّوم، وربطَ حبلًا حول أصابع قدميها ومؤخِّرتها بإحكام كأنها وليدة في قِماط.

فكَّرت آريا وهي تُشاهِد المطر يضربُ النَّهر: لا بُدَّ أنه (النَّهر الأسود). كليجاين كلب چوفري، ولا شَكَّ أنه يأخذها إلى (القلعة الحمراء) ليُسَلِّمها إلى چوفري والملكة. تمنَّت أن تُسفِر الشَّمس عن وجهها كي تعرف الاتِّجاه الذي يتحرَّكان فيه، فكلما ألقَت نظرةً على الطَّحالب على الأشجار ارتبكَت أكثر. لم يكن (النَّهر الأسود) بهذا الاتِّساع في (كينجز لاندنج)، لكن ذلك كان قبل المطر.

قال ساندور كليجاين: «ستكون المخاضات كلُّها مغمورةً، ولستُ أرغبُ في محاوَلة السِّباحة».

لا سبيل للعبور. مؤكَّد أن اللورد بريك سيلحق بنا. لقد دفعَ كليجاين فَحله الأسود الكبير إلى الرَّكض طويلًا، وعادَ أدراجه ثلاث مرَّاتٍ ليُضَلِّل المطاردين، وفي مرَّةٍ توغَّل مسافة نِصف ميل في جدولٍ فائض... لكن آريا ظلَّت تَتوقَّع أن ترى الخارجين عن القانون كلَّما نظرَت وراءها. حاولَت أن تُساعِدهم على العثور عليها بحفْر اسمها على جذوع الأشجار متى دخلَت

وسط الشُّجيرات لتتبوَّل، لكنه ضبطَها في المرَّة الرَّابعة، وكانت هذه نهاية محاوَلاتها. لا يهمُّ. ثوروس سيراني في اللَّهب. غير أنه لم يفعل، ليس بعدُ على الأقل، وبمجرَّد أن يَعبُرا النَّهر...

قال كلب الصَّيد: «لسنا بعيدَيْن عن بلدة (هاروواي)، حيث يحتفظ اللورد رووت بحصان الملك القديم أنداهار المائي ذي الرَّأسين».

لم تسمع آريا بالملك القديم أنداهار قَطُّ، كما لم ترَ حصانًا برأسين، ناهيك بواحدٍ يستطيع الرَّكض على الماء، لكنها لم تسأل ولاذَت بالصَّمت وظلَّت متيبِّسةً في مكانها، بينما دوَّر كلب الصَّيد رأس الفَحل وخَبَّ بمحاذاة حافة قمَّة الأخدود متَّبعًا مجرى النَّهر. على الأقل أصبحَ المطر إلى ظَهرهما هكذا، فقد اكتفَت من انهماره في عينيها ليلذعهما ويُعميهما ويسيل على خدَّيها كأنها تبكي. قالت لنفسها مذكِّرةً من جديد: الذِّئاب لا تبكي.

لم يتجاوَز الوقت الظَّهيرة بكثير، لكن السَّماء كانت سوداء كأنه الغَسق، وطيلة أيام أكثر من أن تُحصيها آريا لم يريا الشَّمس ولو مرَّةً. كانت غارقةً تمامًا بالماء وتتوجَّع من طول الرُّكوب وأنفها يسيل، بالإضافة إلى الحُمَّى التي أصابَتها وتجعلها ترتجف بشدَّةٍ أحيانًا، لكن حين قالت لكلب الصَّيد إنها مريضة زمجرَ في وجهها قائلًا: «امسحي أنفكِ واخرسي». غالبًا ينام فوق السَّرج الآن، مؤتمنًا فَحله على اتِّباع أيِّ طريقٍ زراعي أو درب فرائس يمضي فيه. إنه جواد حربي كبير، وأسرع كثيرًا من غيره، ويُسَمِّيه كلب الصَّيد سترينجر، وقد حاولَت آريا أن تسرقه مرَّةً بينما ذهبَ كليجاين ليبول على شجرة، مفكِّرةً أن بإمكانها الابتعاد قبل أن يلحق بها، لكن الحصان كادَ يقضم وجهها. سترينجر وديع تمامًا مع سيِّده كأنه حصانٌ مخصيٌّ عجوز، لكن بخلاف هذا فمزاجه أسود كلونه، ولم تعرف آريا قَطُّ حصانًا يعضُّ أو يَرفُس بهذه السُّرعة.

ركبا بمحاذاة النَّهر ساعاتٍ طويلة، وخاضا في رافدَيْن موحلَيْن قبل أن يصلا إلى المكان الذي ذكرَه ساندور كليجاين. حين أقبلا عليها قال: «(بلدة اللورد هاروواي)»، ولمَّا رآها صاحَ: «بحَقِّ الجحائم السَّبع!». كانت البلدة غارقةً مقفرةً، وفاضَت المياه حتى أغرقَت ضفَّتَيْ النَّهر، فلم يتبقَّ من (هاروواي) إلَّا الطَّابق العُلوي لخانٍ مبني بالملاط والأغصان المجدولة،

والقُبَّة السُّباعيَّة لسِپتٍ غارق، وثُلثا بُرج حجريٍّ مستدير، بالإضافة إلى سقوفٍ من القَشِّ يلتهمها العفن، وغابة من المداخن.

لكن آريا رأت دُخانًا يَخرُج من البُرج، وأسفل إحدى النَّوافذ المقنطَرة رُبِطَ قارب عريض مسطَّح القاع بسلاسل مُحكَمة. للقارب دستة من محابس المجاذيف ورأسا حصانين كبيرين منحوتيْن، ثُبِّتَ أحدهما على المقدِّمة والثَّاني على المؤخِّرة. الحصان ذو الرَّأسين. في منتصف سطح القارب تستقرُّ قمرة خشبيَّة ذات سقفٍ من النَّجيل، وقد خرجَ منها رجلان عندما كوَّر كلب الصَّيد يديه حول فمه وزعقَ، بينما برزَ ثالث من نافذةٍ في البُرج المستدير حاملًا نُشَّابيَّةً ملقَّمةً، وصاحَ عبر المياه البنِّيَّة المتدفِّقة: «ماذا تُريد؟».

رَدَّ كلب الصَّيد صائحًا: «اعبُروا بنا».

تشاورَ الرَّجلان الواقفان على متن القارب، ثم تقدَّم أحدهما، أشيب متغضِّن ذو ذراعين مفتولتين وظَهرٍ محني، من الحاجز قائلًا: «سيُكَلِّفك هذا مالًا».

- «سأدفعُ إذن».

تساءلَت آريا: بماذا؟ لقد أخذَ الخارجون عن القانون ذهب كليجاين، لكن ربما تركَ له اللورد بريك القليل من الفضَّة والنُّحاس، وعلى كلِّ حالٍ لن يتكلَّف ركوب العبَّارة أكثر من بضع قطع نُحاسيَّة.

عادَ النُّوتيَّان يتكلَّمان، قبل أن يلتفتَ ذو الظَّهر المحني ويصيح بشيءٍ ما، فخرجَ ستَّة رجال آخَرون يرفعون القلنسوات لتقيهم من المطر، وخرجَ عدد أكبر من نافذة البُرج ووثبوا إلى سطح القارب، نِصفهم يُشبه ذا الظَّهر المحني، وهو ما جعلَ آريا تُخمِّن أنهم أقاربه. حَلَّ بعضهم السَّلاسل والتقطوا عِصيًّا طويلةً، بينما أنزلَ الآخَرون مجاديف عريضةً ثقيلةً من المحابس، ثم دارَت العبَّارة وبدأت تنزلق بتؤدةٍ صوب المياه الضَّحلة ومجاذيفها تتحرَّك بنعومةٍ على الجانبين، وبدأ ساندور كليجاين ينزل التَّلَّ ليُقابلها.

ارتطمَت مؤخِّرة القارب بجانب التَّل، وفتحَ النُّوتيُّون بابًا واسعًا تحت رأس الحصان المنحوت ومدُّوا لوح عبورٍ ثقيلًا من البلُّوط. توقَّف سترينجر عند حافة المياه رافضًا الانقياد، لكن كلبُ الصَّيد همزَه في خاصرته وحثَّه على العبور إلى السَّطح، حيث وقف ذو الظَّهر المحني منتظرًا، وسألَ مبتسمًا: «هل يروقك هذا البلل؟».

ارتعشَ فم كليجاين، وقال: «أريدُ قاربك لا خفَّة دمك»، وترجَّل وأنزلَ آريا إلى جواره، ومَدَّ أحد الرِّجال يده إلى لجام الحصان الذي بدأ يَرفُس، فقال له: «إياك»، ووثبَ الرَّجل إلى الوراء وانزلقَ على السَّطح البليل وسقطَ على مؤخِّرته لاعنًا.

غابَت ابتسامة النُّوتي ذو الظَّهر المحني وهو يقول: «يُمكننا العبور بكم. سيُكَلِّفك هذا قطعةً ذهبيَّةً، وأخرى للحصان، وأخرى للصَّبي».

أطلقَ كليجاين ضحكةً كالنُّباح قائلًا: «ثلاثة تنانين؟ ثلاثة تنانين تكفي لشراء قاربكم اللَّعين».

- «العام الماضي ربما، لكن والنَّهر ثائر هكذا سأحتاجُ إلى أيدٍ إضافيَّة على العَصِيِّ والمجاذيف كي لا يجرفنا التَّيَّار إلى البحر. لديك خياران، إمَّا أن تدفع ثلاثة تنانين وإمَّا أن تُعَلِّم حصان الجحيم هذا كيف يمشي على الماء».

- «أحبُّ اللُّصوص الشُّرفاء. ليكن إذن، ثلاثة تنانين... عندما تضعوننا آمنين على الضِّفَّة الشَّماليَّة».

مَدَّ الرَّجل يدًا غليظةً خشنةً، وقال: «سآخذها الآن وإلَّا لن نذهب».

هَزَّ كليجاين سيفه الطَّويل ليُرخي النَّصل في الغِمد مجيبًا: «لديك أنت خياران، الذَّهب على الضِّفَّة الشَّماليَّة أو الفولاذ على الجنوبيَّة».

رفعَ النُّوتي عينيه إلى وجه كلب الصَّيد، وتبيَّنت آريا أنه رأى ما لا يروقه. وراءه وقفَت دستة من الرِّجال الأقوياء حاملين المجاذيف والعِصِيَّ المصنوعة من الخشب الصُّلب، لكن أحدًا منهم لم يتقدَّم ليُساعِده، مع أن من المفترَض أن يستطيعوا التَّغلُّب معًا على ساندور كليجاين، حتى إذا قتلَ ثلاثةً أو أربعةً منهم قبل أن يُسقِطوه. بَعد لحظةٍ سألَ النُّوتي: «كيف أعرفُ أنك صادق؟».

أرادَت أن تصيح: ليس صادقًا، لكنها عضَّت شفتها.

أجابَ كلب الصَّيد دون أن يبتسم: «شَرف الفُرسان».

فكَّرت: إنه ليس فارسًا أصلًا، لكنها لم تقل هذا أيضًا.

قال النُّوتي بحدَّة: «يكفيني هذا. هيا إذن، يُمكننا العبور بكم قبل حلول الظَّلام. اربط الحصان، فلا أريده أن يفزع ونحن في الطَّريق. هناك مستوقَد في القمرة إذا أردت أن تتدفَّأ أنت وابنك».

قالت آريا حانقةً: «لستُ ابنه الأحمق!». كان قوله أسوأ من اعتقاده إياها صبيًّا، وانتابها غضب شديد جعلَها تُقبِل على إخبارهم بهُويَّتها الحقيقيَّة.

لكن كليجاين جذبَها من ياقة قميصها، وبيدٍ واحدةٍ رفعَها عن سَطح المركب قائلًا: «كم مرَّةً عليَّ أن أخبركِ أن تخرسي؟»، ورَجَّها بعُنفٍ اصطكَّت له أسنانها، ثم تركَها تَسقُط مردفًا: «ادخُلي وجفِّفي نفسكِ كما قال الرَّجل».

فعلَت آريا كما قيلَ لها، ووجدَت المستوقَد الحديدي الكبير متَّقدًا بالأحمر ويملؤ القمرة بحرارةٍ خانقة. سَرَّها أن تقف إلى جواره تُدفِئ يديها وتجفَّ بعض الشَّيء، لكن بمجرَّد أن أحسَّت بسطح القارب يتحرَّك تحت قدميها خرجَت من الباب الأمامي.

تحرَّك الحصان ذو الرَّأسين ببُطءٍ في المياه الموحلة شاقًّا طريقه بحذرٍ وسط مداخن وسطوح (هاروواي) الغارقة، يتحكَّم ذو الظَّهر المحني في الدَّفَّة، ويكدح دستة من الرِّجال على المجاذيف، بينما يستخدم أربعة آخَرون العِصيَّ الطَّويلة لدفع القارب بعيدًا عن أيِّ صخرةٍ أو شجرةٍ أو منزلٍ غارق إذا دنوا أكثر من اللَّازم. ضربَت قطرات المطر ألواح السَّطح الخشبيَّة الملساء، وتناثرَت على رأسَيْ الحصانين المنحوتيْن في المقدِّمة والمؤخِّرة، وعادَ الماء يُغرِق آريا لكنها لم تُبالِ وأرادَت أن تُشاهِد. رأت رامي النُّشَّابيَّة لا يزال واقفًا في نافذة البُرج المستدير، تُتابِعها عيناه إذ مرَّت العبَّارة تحته، وتساءلَت إن كان هو اللورد رووت الذي ذكرَه كلب الصَّيد، وفكَّرت: لا يبدو كلورد. لكنها لا تبدو كليدي عن نفسها.

بمجرَّد أن تجاوَزوا البلدة وخرجوا إلى النَّهر نفسه أضحى التَّيَّار أقوى كثيرًا، وخلال غشاوة المطر الرَّماديَّة تبيَّنَت آريا عمودًا حجريًّا طويلًا على الشَّاطئ البعيد، لا بُدَّ أنه يرتفع من مرسى العبَّارة، لكنها لم تكد تلمحه حتى أدركَت أنهم يُدفَعون بعيدًا عنه في اتِّجاه المصب. كان الرِّجال يجذفون بقوَّةٍ أكبر الآن، يُقاومون غضبة النَّهر، ودارَت أوراق الشَّجر وفروعه المكسورة مارَّةً بهم بسُرعةٍ بليغة كأنها أُطلِقَت من عرَّادة، ومالَ حاملوا العِصيِّ إلى الخارج دافعين أيَّ شيءٍ يقترب منهم. الرِّيح أشدُّ هنا أيضًا، وكلما التفتَت تَنظُر في اتِّجاه المنبع ضربَها المطر في وجهها مباشرةً، بينما راحَ سترينجر يَصرُخ ويَرفُس والسَّطح يتحرَّك تحت أقدامه.

إذا وثبتُ من فوق الحاجز سيجرفني النّهر قبل أن يُدرِك قلب الصّيد اختفائي حتى. نظرَت من فوق كتفها فرأت ساندور كليجاين يُكافِح لتهدئة حصانه المذعور، وفكّرت أنها لن تجد فُرصةً أفضل للهروب منه أبدًا. لكني قد أغرقُ. اعتادَ چون أن يقول لها إنها تسبح كالأسماك، لكن حتى الأسماك قد تجد صعوبةً في السّباحة في هذا النّهر، وعلى الرغم من هذا فربما يكون الغرق أفضل من (كينجز لاندنج). فكّرت في چوفري وانسلّت مقتربةً من مقدِّمة المركب، ونظرَت إلى النّهر الذي صبغَه الطّمي بالبنِّي الغامق وجلدَ المطر صفحته، فصارَ يبدو أقرب إلى الحَساء من الماء. تساءلَت آريا إن كان باردًا جدًّا، وقالت لنفسها: لن أبتلّ أكثر مما أنا الآن، ثم وضعَت يدها على الحاجز.

لكن صيحةً مباغتةً جعلَتها تُدير رأسها بحدَّةٍ قبل أن تقفز. كان النُّوتيُّون يهرعون إلى المقدِّمة حاملين العِصيّ، ومرَّت لحظة دون أن تفهم آريا ما يجري. ثم إنها رأت الشَّجرة المجتثَّة، داكنةً ضخمةً وتندفع نحوهم رأسًا، تَبرُز جذورها وفروعها من الماء كمجسَّات كراكِن عظيم. كان النُّوتيُّون يُحاولون التَّراجُع بالقارب بهياج ليتفادوا الاصطدام الذي من شأنه أن يقلب القارب أو يصنع فجوةً كبيرةً في بدنه. دوَّر الأشيب الدَّفَّة ودارَ رأس الحصان عند المقدِّمة صوب المصب، وإنما ببُطءٍ شديد، وانقضَّت الشَّجرة عليهم ملتمعةً بالأسود والبنِّي كأنها مِدَكّ.

لم تكن أبعد من عشرة أقدام من المقدِّمة عندما نجحَ اثنان من الملَّاحين بشكلٍ ما في اعتراضها بعصاتينَ طويلتين، فانكسرَت إحداهما مصدرةً صوتًا عنيفًا كأن العبَّارة تتحطَّم تحت أقدامهم، لكن الثَّانية دفعَت الشَّجرة بقوَّةٍ تكفي لأن تنحرف عن طريقهم وتمرَّ بهم على بُعد بوصاتٍ معدودة، تخدش فروعها رأس الحصان كالمخالب.

وفي اللَّحظة التي حسبوا فيها أنهم نجوا وجَّه إليهم أحد أطراف الوحش العُليا ضربةً قاسيةً، وارتعدَ القارب كلُّه وانزلقَت آريا لتَسقُط على رُكبتها متألِّمةً، أمَّا حامل العصا المكسورة فلم يكن محظوظًا مثلها، وسمعَته يصيح وهو يَسقُط من فوق الحاجز وتنغلقَ عليه المياه البنِّيَّة الثَّائرة ويختفي قبل أن تنهض آريا من جديد. اختطفَ أحد الملَّاحين الآخَرين لفَّةً من الحبال، لكن لم يَعُد هناك من يُلقيها إليه.

قالت آريا لنفسها: ربما يجرفه التيَّار إلى مكانٍ ما عند المصب، لكن الكلمات تردَّدت في ذهنها بوقع أجوف، وفقدَت كلَّ رغبةٍ في السِّباحة. زعقَ ساندور كليجاين فيها أن تعود إلى القمرة قبل أن يضربها حتى يُدميها، فذهبَت صاغرةً، بينما كافحَ رجال العبَّارة لإعادتها إلى مسارها، مقاومين نهرًا لا يروم شيئًا كأن يكتسحهم إلى البحر.

بلغوا الشَّاطئ أخيرًا على بُعد ميليْن كاملين من المرسى المعتاد، وارتطمَ القارب بالضِّفَّة بعُنفٍ بالغ كسرَ عصًا أخرى، وكادَت آريا تَسقُط مجدَّدًا. رفعَها ساندور كليجاين إلى متن سترينجر كأنها لا تزنُ أكثر من دُمية، وحدجَهم النُّوتيُّون بنظراتٍ بليدةٍ متعَبة، كلُّهم باستثناء ذي الظَّهر المحني الذي مَدَّ يده قائلًا: «ستَّة تنانين، ثلاثة مقابل العبور وثلاثة مقابل الرَّجل الذي فقدته».

نقَّب كليجاين في جرابه ثم دَسَّ ورقةً مجعَّدةً من الرَّقوق في كَفِّ الرَّجل، وقال: «هاك، خُذ عشرةً».

قال الرَّجل بارتباك: «عشرة؟ ما هذا؟».

أجابَ كلب الصَّيد: «إيصال رجلٍ ميت بقيمة تسعة آلاف تنِّين أو نحوها»، وامتطى حصانه وراء آريا، ورسمَ على شفتيه ابتسامةً بغيضةً متابعًا: «عشرة منها لك. سأعودُ لآخذ البقيَّة ذات يوم، فلا تُنفقها».

ضيَّق النُّوتي عينيه رامقًا الورقة، وقال: «كتابة. بِمَ تنفعني الكتابة؟ لقد وعدتَني بالذَّهب، وقلت إنه شَرف الفُرسان».

- «الفُرسان لا شَرف لهم. آنَ أوان أن تتعلَّم هذا أيها العجوز»، وهمزَ كلب الصَّيد سترينجر وهرولَ به في المطر، على حين رماهم النُّوتيُّون بالشَّتائم وألقاهم واحد أو اثنان منهم بالحجارة، لكن كليجاين تجاهلَ هذه وتلك، ولم يمضِ وقت طويل قبل أن يغيبوا في عتمة الأشجار ويتضاءَل هدير النَّهر وراءهم. قال لها: «لن يَعبُر القارب ثانيةً قبل الصَّباح، ولن يأخذ هؤلاء وعودًا من ورقٍ من مجموعة الحمقى التَّالية التي تَطلُب الرُّكوب. إذا كان أصدقاؤك يُطارِدوننا فعليهم أن يكونوا سبَّاحين في غاية المهارة».

حنَت آريا رأسها منكمشةً على نفسها ولم تنبس بكلمة، وبكآبةٍ فكَّرت: ڤالار مورجولس. السير إلين، السير مرين، الملك چوفري، الملكة سرسي،

دانسن، پوليڤر، راف المعسول، السير جريجور والمُدغدِغ، وكلب الصَّيد، وكلب الصَّيد، وكلب الصَّيد.

حين توقَّف المطر وانجابَت السُّحب أخيرًا كانت آريا ترتجف وتعطس بقوَّةٍ جعلَت كليجاين يكتفي بهذا القَدر من الحركة اللَّيلة، بل وحاولَ أن يُشعِل نارًا أيضًا، لكن الحطب الذي جمعاه كان مبتلًّا للغاية، ولا شيء فعلَه أفلحَ في جعل الشَّرارة تتمسَّك به. في النِّهاية ركلَ الكومة غاضبًا، وقال: «بحَقِّ الجحائم السَّبعة اللَّعينة، كم أكرهُ النَّار!».

جلسا على صخرةٍ رطبة تحت شجرة سَنديان مصغييْن إلى الماء يَقطُر ببُطءٍ من الأوراق فيما يأكلان عَشاءً باردًا من الخُبز الجامد والجُبنة العفنة والسُّجق المدخَّن. قطَّع كلب الصَّيد اللَّحم بخنجره، وزرَّ عينيه لمَّا رأى آريا تَرمُقه، وقال: «إياكِ أن تُفكِّري مجرَّد تفكيرٍ في هذا».

قالت كاذبةً: «لم أكن أفكِّرُ في شيء».

أطلقَ نخيرًا يُعَبِّر عن رأيه في قولها، لكنه ناولَها شريحةً سميكةً من السُّجق نهشَتها آريا بأسنانها دون أن تُفارقه عيناها، فقال لها: «لم أضرب أختكِ قَطُّ، لكني سأضربكِ إذا أجبرتِني. كُفِّي عن التَّفكير في طرائق لقتلي، فلن ينفعكِ أيٌّ منها بشيء».

لم تردَّ، ولاكَت اللَّحم رامقةً إياه ببرود، وقالت لنفسها: بصلابة الحجر.

- «على الأقل تَنظرين إلى وجهي أيتها الذِّئبة الصَّغيرة. هل يُعجِبكِ؟».

- «لا. إنه محروق وقبيح».

ناولَها قطعةً من الجُبنة على رأس خنجره قائلًا: «أنتِ حمقاء صغيرة. بِمَ سيُفيدكِ الهرب؟ سيُوقِع بكِ أحد أسوأ لا أكثر».

قالت بعناد: «لا، وليس هناك مَن هو أسوأ منك».

- «إنكِ لم تعرفي أخي. ذات مرَّةٍ قتلَ جريجور رجلًا لأنه يغطُّ في نومه، واحدًا من رجاله». عندما يبتسم يشتدُّ جانب وجهه المحروق لاويًا فمه بشكلٍ غريب كريه، الجانب الذي بلا شفتين أو أذن.

بَعد تفكيرٍ وجدَت أن الجبل قد يكون أسوأ من أخيه حقًّا، وقالت: «لقد عرفتُ أخاكَ، هو ودانسن وپوليڤر وراف المعسول والمُدغدغ».

بدَت عليه الدَّهشة، وسألَها: «وكيف عرفَت ابنة ند ستارك الصَّغيرة الغالية أمثال هؤلاء؟ جريجور لا يجلب جرذانه المدلَّلة إلى البلاط أبدًا».

أكلَت الجُبنة ومدَّت يدها تقتطع من الخُبز الجامد، ثم أجابَت: «أعرفهم من القرية، القرية المطلَّة على البحيرة حيث قبضوا عليَّ مع جندري وهوت پاي، وقبضوا على لومي أخضر اليدين أيضًا، لكن راف المعسول قتلَه لأن ساقه أصيبَت».

ارتعشَ فم كليجاين، وقال: «قبضوا عليكِ؟ أخي قبضَ عليكِ؟»، وأطلقَ ضحكةً قبيحةً كأنها قعقعة ممتزجة بالزَّمجرة، ثم أردفَ: «جريجور لم يعرف ما لديه قَطُّ، أليس كذلك؟ لا يُمكن أنه عرفَ، وإلَّا لكان جرَّكِ صارخةً راكلةً إلى (كينجز لاندنج) وألقاكِ في حِجر سرسي. أوه، كم هذا رائع! سأحرصُ على أن أُخبره بهذا قبل أن أنتزع قلبه من صدره».

لم تكن أول مرَّةٍ يتكلَّم فيها عن قتل أخيه، فقالت بارتياب: «لكنه أخوك».

ضحكَ ثانيةً، وقال: «ألم يكن لك أخ أردتِ قتله من قبل؟ أو أخت؟». لا بُدَّ أنه رأى شيئًا ما على وجهها لحظتها، إذ مالَ نحوها مواصلًا: «سانزا، أليس كذلك؟ الذِّئبة الصَّغيرة تُريد أن تَقتُل الطَّائر الجميل».

ردَّت آريا بحدَّة: «كلا، أريدُ أن أقتلك أنت».

- «لأني فلقتُ صديقكِ الصَّغير إلى نِصفين؟ لقد قتلتُ أكثر منه بكثير، أؤكِّدُ لكِ، وتحسبين أن هذا يجعلني وحشًا. حسن، قد يكون هذا صحيحًا، لكني أنقذتُ حياة أختكِ أيضًا. يوم جرَّها الغوغاء من فوق حصانها شققتُ طريقي وسطهم تقطيعًا وعدتُ بها إلى القلعة، وإلَّا لكان مصيرها كلوليس ستوكورث. كما أنها غنَّت لي. لم تعلمي هذا، أليس كذلك؟ أختكِ غنَّت لي أغنيَّةً جميلةً».

قالت في الحال: «أنت كاذب».

- «لستِ تعرفين نِصف ما تعتقدين أنكِ تعرفينه. (النَّهر الأسود)؟ أين تحسبيننا بحَقِّ الجحائم السَّبعة؟ إلى أين تحسبيننا سنذهب؟».

جعلَتها السُّخرية في نبرته تتردَّد قبل أن تقول: «(كينجز لاندنج)، ستأخذني إلى چوفري والملكة»، لكنها أدركَت فجأةً أن ذلك غير صحيح لمجرَّد الطَّريقة التي تكلَّم بها، وإن كان عليها أن تقول شيئًا ما، أيَّ شيء.

بصوتٍ خشنٍ قاسٍ كالحديد قال: «يا لكِ من ذئبةٍ حمقاء عمياء! فليحترق چوفري في الجحيم، فلتحترق الملكة في الجحيم، وليحترق المسخ الصَّغير الذي تُسَمِّيه أخاها في الجحيم. لقد فرغتُ من مدينتهم وحَرسهم الملكي وآل لانستر كلِّهم. قولي لي، ماذا يفعل الكلب مع الأسود؟»، والتقطَ قِربة الماء وجرعَ منها طويلًا، ثم مسحَ فمه وناولَها إياها متابعًا: «النَّهر كان (الثَّالوث) يا فتاة، (الثَّالوث) وليس (النَّهر الأسود). تخيَّلي الخريطة في عقلكِ إذا استطعتِ. غدًا سنَبلُغ (طريق الملوك)، وبَعدها لن نستغرق وقتًا طويلًا حتى نصل إلى (التَّوأمتين). أنا مَن سيُسَلِّمكِ إلى أمِّكِ وليس سيِّد البرق النَّبيل أو راهب اللَّهب المحتال، ذلك الوحش»، وابتسمَ لمرأى النَّظرة على وجهها، وواصلَ: «أتتصوَّرين أن أصدقاءك الخارجين عن القانون فقط مَن يتشمَّمون رائحة الفدية؟ دونداريون أخذَ ذهبي فأخذتكِ. إنكِ تستحقِّين ضِعف ما سرقوه مني، وربما أكثر إذا بعتكِ لآل لانستر كما تخشين، لكني لن أفعل. حتى الكلاب تتعب من ركل سادتها إياها طيلة الوقت. إذا كان ذلك الذِّئب الصَّغير بالذَّكاء الذي وهبَته الآلهة لضفدعة، فسيجعل مني لوردًا ويتوسَّل إليَّ لكي أنضمَّ إلى خدمته. إنه يحتاج إليَّ مع أنه لا يعرف هذا بعدُ، وربما أقتلُ جريجور من أجله أيضًا، سيروقه هذا».

ردَّت محتدَّةً: «لن يقبلك أبدًا، ليس أنت».

- «إذن سآخذُ كلَّ ما أستطيعُ أن أحمله من ذهبٍ وأضحكُ في وجهه ثم أرحلُ. إذا لم يقبلني فمن الحكمة أن يَقتُلني، لكنه لن يفعل. إنه ابنُ أبيه حقًّا حسبما سمعتُ. ليكن، في الحالتين أنا الرَّابح، وأنتِ كذلك أيتها الذِّئبة، فكُفِّي عن الزَّوم والزَّمجرة لأني سئمتُ تمامًا. أطبِقي فاهكِ وافعلي كما أقولُ لكِ ولربما نصل في الوقت المناسب لحضور زفاف خالكِ اللَّعين».



چون

كانت الفَرس منهكَةً تمامًا، لكن چون لا يستطيع أن يُمهلها فُرصةً للرَّاحة، فلا بُدَّ أن يَبلُغ (الجِدار) قبل الماجنَر. كان لينام على متنها لو أن هناك سَرجًا، أمَّا في غيابه فامتطاؤها وهو صاحٍ صعب بما فيه الكفاية. آلمَته ساقه الجريحة أكثر وأكثر، إذ لم يجرؤ على التَّوقُّف ليستريح فترةً تُتيح لها أن تلتئم، وبدلًا من هذا عادَ الجرح ينفتِق كلما ركبَ الفَرس.

حين صعدَ إلى قمَّة مرتفَع ورأى (طريق الملوك) البنِّي المحفَّر يمضي شمالًا وسط التِّلال والسُّهول، ربَّت على عُنق الفَرس قائلًا: «ما علينا الآن إلَّا أن نتبع الطَّريق يا فتاة، وقريبًا نصل إلى (الجِدار)». وقتها كانت ساقه قد تيبَّست تمامًا كالخشب، وأصابته الحُمَّى برعونةٍ جعلَته يجد نفسه راكبًا في الاتِّجاه الخطأ مرَّتين.

قريبًا نصل إلى (الجِدار). تخيَّل أصدقاءه يشربون النَّبيذ المتبَّل في القاعة العامَّة، وهوب مع قدوره، ودونال نوي في ورشته، والمِايستر إيمون في مسكنه أسفل المِغدفة. وماذا عن الدُّب العجوز؟ وسام وجرِن وإد الكئيب ودايوين بأسنانه الخشبيَّة... ما بيده حيلة سوى أن يُصلِّي أن يكونوا قد نجوا مما جرى فوق (القبضة).

احتلَّت إيجريت جزءًا كبيرًا من أفكاره أيضًا، وتذكَّر رائحة شَعرها ودفء جسدها... والنَّظرة على وجهها عندما شقَّت حَلق العجوز. في أعماقه همسَ صوت قائلًا: أخطأتَ حين أحببتها، وردَّ صوت آخر بإصرار: أخطأتَ حين تركتها. تساءلَ إن كان أبوه قد شعرَ بهذا التَّمزُّق لمَّا ترك أمَّه ليعود إلى الليدي كاتلين، وفكَّر: لقد تعهَّد بنفسه لليدي ستارك، كما تعهَّدتُ بنفسي لحَرس اللَّيل.

كادَ يمرُّ من (بلدة المناجذ) دون أن يدري، وقد أعمَته الحُمَّى الشَّديدة عن مكانه. معظم القرية متوارٍ تحت الأرض، وفوقها ليس هناك إلَّا مجموعة صغيرة من الأكواخ البادية في ضوء المُحاق الخافت، والماخور مجرَّد سقيفةٍ صغيرة لا تتجاوَز المرحاض حجمًا، يتأرجَح مصباحه الأحمر في الرِّيح كعينٍ محتقنة بالدِّماء تُحَدِّق من قلب الظَّلام. ترجَّل چون عند الاسطبل المجاورِ بحركةٍ خرقاء كادَت تُسقِطه عن ظَهر الفَرس، وصاحَ في صبيَّين أن يستيقظا، ثم أمرَهما بلهجةٍ لم تدع مجالًا للنِّقاش: «أريدُ حصانًا جديدًا بسَرج ولجام»، فأحضرا له ما طلبَه بالإضافة إلى قِربة نبيذٍ ونصف رغيفٍ من الخُبزِ الأسمر. قال لهما: «أيقِظا القرية وحذِّرا الأهالي. هناك هَمج جنوب (الجِدار). اجمعوا أغراضكم واذهبوا إلى (القلعة السَّوداء)»، ثم سحبَ نفسه سحبًا إلى متن الحصان المخصيِّ الأسود الذي أعطياه إياه، وضغطَ على أسنانه من فرط الألم في ساقه، واستأنفَ طريقَه إلى الشَّمال بكلِّ قوَّته.

بدأت النُّجوم تخبو في سماء الشَّرق، ولاحَ (الجِدار) أمامه شامخًا فوق الأشجار وغشاوة الصُّبح، وقد التمعَ نور القمر الباهت على الجليد. حَثَّ الحصان على الاستمرار متَّبعًا الطَّريق الموحل الزَّلِق إلى أن رأى أبراج (القلعة السَّوداء) الحجريَّة وقاعاتها الخشبيَّة رابضةً كاللُّعب المكسورة تحت الجُرف الجليدي الهائل، وعندئذٍ كان (الجِدار) يتوهَّج بالوردي والبرتقالي في أول خيوط الفَجر.

لم يسأله حُرَّاس عن هُويَّته إذ مَرَّ بالمباني الخارجيَّة، ولم يتقدَّم أحد ليعترض طريقه، وبدَت (القلعة السَّوداء) كالحُطام كما بدَت (الحارس الرَّمادي). من صدوع الحجر في السَّاحات تنمو حشائش بنِّيَّة هشَّة، وتُغَطِّي الثُّلوج القديمة سقف (ثُكنات فلينت) وتتكوَّم على جانب (بُرج هاردين)، حيث اعتادَ چون أن ينام قبل أن يُصبح وكيل الدُّب العجوز، بينما لوَّث السِّناج الأسود (بُرج القائد) حيث تدفَّق الدُّخان من النَّوافذ. كان مورمونت قد انتقل إلى (بُرج الملك) عقب الحريق، لكن چون لم يُبصِر ضوءًا هناك كذلك، ومن مكانه على الأرض لم يستطِع أن يرى إن كان هناك حُرَّاسًا يجوبون قمَّة (الجِدار) على ارتفاع سبعمئة قدم، كما لم يرَ أحدًا على السَّلالم المتعرِّجة الضَّخمة المثبَّتة إلى وجه الجليد الجنوبي كأنها لسان برقٍ خشبيٍّ عملاق.

على أنه شاهدَ دُخانًا يتصاعَد من مدخنة مستودَع السِّلاح، مجرَّد خيطٍ رفيع يكاد لا يُرى تحت سماء الشَّمال الرَّماديَّة، لكنه يكفي. ترجَّل چون وعمدَ إلى المستودَع حاجلًا، وأحسَّ بالدِّفء يتدفَّق من الباب المفتوح كأنفاس الصَّيف الحارَّة. في الدَّاخل كان دونال نوي ذو الذِّراع الواحدة يعمل على الكير بالقُرب من النَّار، ولمَّا سمعَ الصَّوت رفعَ ناظريه، وقال: «چون سنو؟».

- «لا أحد غيره». على الرغم من الحُمَّى والإعياء وساقه والماجنَر والعجوز وإيجريت ومانس، على الرغم من كلِّ هذا ابتسمَ چون شاعرًا بالسُّرور لأنه عادَ ويرى نوي ببطنه الكبير وكُمِّه المشمور والجُذامة السَّوداء المشعثة حول فمه.

تخلَّى الحدَّاد عن الكير قائلًا: «وجهك...».

قال چون الذي كادَ ينسى جرح وجهه: «مبدِّل جِلدةٍ حاولَ أن يفقأ عيني».

قطَّب نوي جبينه، وقال: «نديبًا أو أملس، إنه وجه لم أتصوَّر أني سأراه ثانيةً. سمعنا أنك انشققت إلى مانس رايدر».

أمسكَ چون الباب ليقف ثابتًا، وسألَه: «مَن أخبرَكم بهذا؟».

- «چارمان بكويل. لقد عادَ منذ أسبوعين. كشَّافته يَزعُمون أنهم رأوك بأعيُنهم راكبًا مع طابور الهَمج وترتدي معطفًا من جِلد الخراف»، ورمقَه نوي مضيفًا: «أرى أن الجزء الأخير صحيح».

قال چون: «كلُّ ما قيلَ صحيح على حَدِّ علمكم».

- «هل عليَّ أن ألتقط سيفًا وأبقر بطنك إذن؟».

- «لا. كنتُ أتصرَّفُ وفق أوامري، أوامر كورين ذي النِّصف يد الأخيرة. نوي، أين الحامية؟».

- «تُدافِع عن (الجِدار) ضد أصدقائك الهَمج».

- «نعم، لكن أين؟».

- «في كلِّ مكان. هارما رأس الكلب شوهِدَت على مقربةٍ من (قلعة الغابة) عند البركة، وذو القميص المُخشخِش عند (الرَّابية الطَّويلة)، والبكَّاء بالقُرب من (باب الجليد). إنهم في كلِّ مكانٍ بطول (الجِدار)... هنا وهناك، يتسلَّقون قُرب (بوَّابة الملكة)، يُحاوِلون تحطيم بوَّابة (الحارس الرَّمادي)،

يحشدون أرتالهم ضد (القلعة الشَّرقيَّة)... لكن فور أن يلمحوا معطفًا أسود يفرُّون، وفي اليوم التَّالي نجدهم في مكانٍ آخَر».

ابتلعَ چون أنينًا، وقال: «تمويه. مانس يُريدنا أن ننتشر في كلِّ مكان، ألا تفهم؟». وباون مارش لبَّى له رغبته. «البوَّابة هنا، الهجوم هنا».

قطعَ نوي المكان نحوه قائلًا: «ساقك غارقة في الدَّم».

نظرَ چون إلى أسفل بفتورٍ فرأى أن جرحه انفتقَ من جديد، وقال: «سهم...».

قال نوي: «سهم همجي»، ولم يكن سؤالًا. صحيحٌ أن له ذراعًا واحدةً لكنها مفتولة العضلات، وقد وضعَها تحت ذراع چون ليسنده متابعًا: «إنك شاحب كالحليب، وحرارتك حارقة أيضًا. سآخذك إلى إيمون».

- «لا وقت. هناك هَمج جنوب (الجِدار)، قادمون من (بُرج الملكة) ليفتحوا البوَّابة».

سارَ نوي بچون إلى الباب شِبه حاملٍ إياه، وسألَه: «كم؟».

- «مئة وعشرون، وحسنو التَّسليح بالنِّسبة للهَمج؛ برونز ودروع والقليل من الفولاذ. كم رجلًا لدينا هنا؟».

قال دونال نوي: «ما يربو على الأربعين بقليل، العجزة والمرضى وبعض الصِّبية الخُضر الذين لم ينتهِ تدريبهم».

- «إذا كان مارش قد رحلَ، فمَن سمَّى أمينًا للقلعة؟».

ضحكَ الحدَّاد، وأجابَ: «السير وينتون حفظَته الآلهة، بما أنه الفارس الأخير في القلعة وما إلى ذلك. المشكلة أن ستاوت يبدو كأنه نسيَ، ولا أحد هنا يُعاجِل بتذكيره. أعتقدُ أني أقرب شيءٍ إلى القائد الآن، ألعن العجزة على الإطلاق».

هذا على الأقل خير. الحدَّاد ذو الذِّراع الواحدة صُلب الرَّأس وقويٌّ وعركَته الحرب، ومن ناحيةٍ أخرى فالسير وينتون ستاوت... نعم، لقد كان رجلًا صالحًا ذات يوم كما يتَّفق الجميع، لكنه جوَّال منذ ثمانين عامًا كاملةً، وتخلَّت عنه قوَّته وعقلُه قبل سنوات. في مرَّةٍ غابَ في النَّوم وهو يتناوَل عَشاءه وكادَ يغرق في وعاءٍ من حَساء البازلاء.

سألَه نوي وهما يقطعان السَّاحة: «أين ذئبك؟».

- «جوست. اضطررتُ لأن أتركه عندما تسلَّقتُ (الجِدار)، وأملتُ أن يعود إلى هنا».

قال الحدَّاد: «آسفٌ يا فتى، لكننا لم نرَه»، وصعدا معًا عارجيْن إلى باب المِايستر في المسكن الخشبي الطَّويل تحت المِغدفة، وركلَه نوي صائحًا: «كلايداس!».

بَعد لحظةٍ طَلَّ رجل قصير بظَهرٍ محني وكتفين مستديرتين يرتدي الأسود برأسه، وشخصَ ببصره إلى چون مذهولًا، قبل أن يقول: «مَدِّد الصَّبي وسأحضرُ المِايستر».

كانت النَّار مشتعلةً في المستوقَد، وكادَت حرارة الغُرفة تكون خانقةً، وأصابَ الدِّفء چون بالنُّعاس. بمجرَّد أن مدَّده نوي على ظَهره برفقٍ أسبلَ جفنيه ليكفَّ العالم عن الدَّوران، وسمعَ الغِدفان تنعب متذمِّرةً في المِغدفة فوقهم ويقول أحدها: «سنو، سنو، سنو، سنو!»، فتذكَّر أن سام كان يُعَلِّمها اسمه. هل رجعَ ساموِيل تارلي بأمانٍ أم الطُّيور فحسب؟

لم يتأخَّر المِايستر إيمون، وجاءَ ماشيًا بخُطواتٍ وئيدة حذرة وهو يُسنِد يده المبقَّعة إلى ذراع كلايداس، وحول عُنقه سلسلته الثَّقيلة التي يلتمع فيها الذَّهب والفضَّة وسط حلقاتٍ أخرى من الحديد والرَّصاص والصَّفيح وغيرها من المعادن الأقل قيمةً. قال المِايستر: «چون سنو، يجب أن تُخبرني بكلِّ شيءٍ رأيته وفعلته عندما تصير أقوى. دونال، ضَع قِدرًا من النَّبيذ على النَّار، وأدواتي الحديد أيضًا. أريدها ملتهبةً تمامًا. كلايداس، أريدُ سكِّينك الحاد».

تجاوزَ المِايستر المئة من العُمر، كما أنه ضئيل وهَشٌّ وأصلع ومكفوف، لكن إذا كانت عيناه البيضاوان كالحليب لا تريان شيئًا، فإن عقله لا يزال محتفظًا بكامل يقظته.

- «الهَمج قادمون»، قال چون بينما مرَّر كلايداس نصله على ساق سراويله قاطعًا القماش الأسود الثَّقيل الذي تجمَّد عليه الدَّم القديم وبلَّله الدَّم الجديد. «من الجنوب. لقد تسلَّقنا (الجدار)...».

تشمَّم المِايستر إيمون ضمَّادة چون البدائيَّة عندما أزالَها كلايداس، وقال: «تسلَّقتم؟».

- «كنتُ معهم. كورين ذو النِّصف يد أمرَني بالانضمام إليهم»، وتقلَّصت

ملامح چون إذ تحسَّس إصبع المِايستر جرحه واكزًا إياه، ثم تابعَ «ماجنَر (ثِن)... آآآآآه! هذا مؤلم!»، وكبسَ أسنانه متسائلًا: «أين الدُّب العجوز؟».

- «چون... يُحزنني أن أخبِرك، لكن حضرة القائد مورمونت اغتيلَ في (قلعة كراستر) بأيدي إخوته».

- «إخـ... رجالنا؟!». آلمَته كلمات إيمون أكثر من أصابعه مئة مرَّة، وتذكَّر چون الدُّب العجوز كما رآه آخِر مرَّة، واقفًا أمام مدخل خيمته وعلى ذراعه غُدافه ينعق طالبًا الذُّرة. مورمونت ماتَ؟ لقد خشيَ هذا منذ رأى آثار المعركة على قمَّة (القبضة)، لكن الضَّربة هوَت عليه عنيفةً رغم ذلك. «مَن فعلَها؟ مَن انقلبَ عليه؟».

أجابَه دونال نوي: «جارث ابن (البلدة القديمة)، أولو الأبتر، ديرك... لصوص وجُبناء وقتَلة كلُّهم. كان علينا أن نتوقَّع هذا. حَرس اللَّيل لم يعودوا كما كانوا قديمًا، وليس بيننا إلَّا بضعة رجالٍ صالحين يكبحون جماح الأوغاد»، ودوَّر سكِّين المِايستر فوق النَّار متابعًا: «دستة من الرِّجال المخلصين عادَت؛ إد الكئيب والعملاق وصديقك الثَّور. سمعنا الحكاية منهم».

دستة فقط؟ مئتان غادَروا (القلعة السَّوداء) مع اللورد مورمونت، مئتان من أفضل الحَرس. «أيعني هذا أن مارش القائد الآن؟». الرُّمَّانة العجوز رجل ودود ووكيل أول مُجِدٌّ، لكنه لا يَصلُح البتَّة لمواجَهة جيش من الهَمج.

قال المِايستر إيمون: «في الوقت الحالي حتى نعقد انتخابًا. كلايداس، أعطِني الدَّورق».

انتخاب. بموت كورين ذي النِّصف يد والسير چارمي ريكر واختفاء بن ستارك، فمَن المتبقِّي؟ ليس باون مارش أو السير وينتون ستاوت بالتَّأكيد. هل نجا ثورين سمولوود أو السير أوتين ويذرز من مذبحة (القبضة)؟ لا، سيكون إمَّا كوتر پايك وإمَّا السير دينس ماليستر، لكن مَن منهما؟ قائدا (بُرج الظِّلال) و(القلعة الشَّرقيَّة) رجلان صالحان، إلَّا أنهما مختلفان تمامًا، فالسير دينس دمث وحذِر وشديد الشَّجاعة على الرغم من سِنِّه المتقدِّمة، وپايك أصغر سنًّا ونغل المولد وحاد اللِّسان ومخلص لأقصى الحدود. الأسوأ من هذا أن كلًّا من الرَّجلين يزدري الثَّاني، ولطالما أبقاهما الدُّب العجوز متباعدَين على طرفَي (الجِدار). يعلم چون أن آل ماليستر يرتابون في حديديِّي الميلاد حتى النُّخاع.

ذكَّرته طعنة من الألم بهمومه هو، واعتصرَ المِايستر يده قائلًا: «سيجلب كلايداس حليب الخشخاش».

حاولَ چون أن ينهض، وقال: «لستُ أحتاجُ إلى...».

قاطعَه إيمون بحسم: «بل تحتاج إليه لأنك ستتألَّم».

قطعَ دونال نوي الغُرفة ودفعَ چون ليستلقي على ظَهره من جديد، وقال آمرًا: «اثبت وإلَّا قيَّدتك في مكانك». حتى بذراعٍ واحدة تعاملَ معه الحدَّاد كأنه طفل.

عادَ كلايدس حاملًا دورقًا أخضر وكوبًا حجريًّا مستديرًا ملأَه المِايستر إيمون حتى الحافة، ثم قال: «اشرب».

كان چون قد عَضَّ شفته من الألم، وتذوَّق الدَّم ممتزجًا بالمشروب الثَّخين ذي الطَّعم الطَّباشيري، وبذلَ قصارى جهده كي لا يتقيَّأه كلَّه.

أحضرَ كلايداس طَستًا من الماء الدَّافئ، وغسلَ المِايستر جرح چون من الدِّماء والصَّديد، وعلى الرغم من رفقه جعلَته أخفُّ لمسةٍ يُريد أن يَصرُخ. تكلَّم ليشغل عقله عن ساقه، فقال: «رجال الماجنَر منظَّمون، ومدرَّعون بالبرونز».

قال نوي: «الماجنَر لورد في (سكاجوس). كان هناك سكاجوسيُّون في (القلعة الشَّرقيَّة) في بداية مجيئي إلى (الجِدار)، وأذكرُ أني سمعتهم يتكلَّمون عنه».

رَدَّ المِايستر إيمون: «أعتقدُ أن چونِ يستخدم الكلمة بمعناها القديم، ليس كاسم عائلةٍ بل كلقب. إنها كلمة من اللُّغة القديمة».

قال چون: «تعني اللورد. ستير ماجنَر مكانٍ ما اسمه (ثِن) في أقصى شمال (أنياب الصَّقيع). إن معه مئةً من رجاله، وعشرينًا من الهجَّانة الذين يعرفون (الهديَّة) كما نعرفها. لكن مانس لم يَعثُر على البوق، وهذا جيِّد، بوق الشِّتاء. إنه ما كان يُنَقِّب عنه بطول (النَّهر اللَّبني)».

توقَّف المِايستر إيمون والخرقة المبتلَّة في يده قائلًا: «بوق الشِّتاء أسطورة قديمة. هل يعتقد ملك ما وراء الجِدار أن شيئًا كهذا له وجود حقيقي؟».

- «كلُّهم يعتقدون هذا. إيجريت قالت إنهم فتحوا مئة قبر... قبور ملوكٍ وأبطالٍ في جميع أنحاء وادي (النَّهر اللَّبني)، لكنهم لم...».

سألَه دونال نوي مباشرةً: «مَن إيجريت؟».

– «امرأة من شعب الأحرار». كيف يشرح لهم مَن هي إيجريت؟ إنها دافئة وذكيّة وطريفة، ويُمكنها أن تُقبِّل الرَّجل أو تشقَّ حَلقه. «إنها مع ستير، لكنها ليست... إنها صغيرة، مجرَّد فتاةٍ في الحقيقة، ضارية، لكنها...». قتلَت عجوزًا لأنه أشعلَ نارًا. أحسَّ بلسانه ثقيلًا معوجًا وقد بدأ حليب الخشخاش يُغَيِّم عقله. «لقد حنثتُ بقَسمي معها. لم أنوِ هذا قَطُّ، لكني...». لقد أخطأتَ، أخطأتَ بحُبِّها وأخطأتَ بتركها... «لم أكن قويًّا كفايةً. ذو النِّصف يد أمرَني بأن أركب معهم وأراقب ولا أتراجع، و...». بترَ عبارته وهو يحسُّ كأن رأسه محشوٌّ بالصُّوف المبتل.

تشمَّم المِايستر إيمون جرحه ثانيةً، ثم وضعَ الخرقة الدَّامية في الطَّست قائلًا: «دونال، السكِّين السَّاخن إذا سمحت. وأريدك أن تُثبِّته».

قال لنفسه لمَّا رأى النَّصل المتَّقد بالأحمر: لن أصرخ، لكنه حنثَ بهذا القَسم أيضًا. ثبَّته دونال نوي في مكانه بينما ساعدَ كلايداس على إرشاد يد المِايستر، ولم يتحرَّك چون إلَّا ليدقَّ الطَّاولة بقبضته مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً. كان الألم هائلًا واحتواه مُشعرًا إياه بالضَّآلة والوهن والعجز كطفلٍ ينتحب في الظَّلام، وأفعمَت رائحة اللَّحم المحروق أنفه وتردَّدت أصداءُ صرخته في أُذنيه. إيجريت. إيجريت، كنتُ مضطرًّا. مرَّت لحظة شعرَ خلالها بالألم المُضني يبدأ في الانحسار، لكن الحديد مسَّه من جديدٍ وغابَ عن الوعي.

عندما انفتحَ جفناه مرتجفيْن وجدَ نفسه مغطًّى بالصُّوف السَّميك وأحسَّ كأن جسده يسبح في الهواء. لم يستطِع أن يتحرَّك، لكنه لم يهتمَّ وراحَ يتخيَّل أن إيجريت معه، تُعنى به بيدين رقيقتين، وأخيرًا أغلقَ عينيه ونامَ.

لم يكن استيقاظه في المرَّة التَّالية بالرِّفق نفسه. كانت الغُرفة مظلمةً، لكن تحت الأغطية عادَ الألم ينبض في ساقه مستحيلًا إلى خنجرٍ ساخن مع أقلِّ حركة، وأدركَ چون هذا بالطَّريقة الصَّعبة حينما حاولَ أن يرى إن كان لا يزال محتفظًا بساقه. ابتلعَ صرخته لاهثًا وكوَّر قبضته.

– «چون؟». ظهرَت شمعة ووجه مألوف للغاية بأُذنين كبيرتين يَنظُر إليه. «لا يَجدُر بك أن تتحرَّك».

- «پيپ؟». مَدَّ چون يده، والتقطَها الصَّبي الآخَر واعتصرَها. «حسبتك ذهبت...».

- «مع الرُّمَّانة العجوز؟ لا. إنه يظنُّني صغيرًا أخضر. جرن هنا أيضًا».

خطا جرن إلى جانب الفِراش الآخَر قائلًا: «أنا هنا أيضًا. غبتُ في النَّوم».

كان حَلق چون جافًّا تمامًا، فتمتمَ لاهثًا: «ماء»، فأحضرَ جرن كوبًا ممتلئًا رفعَه إلى شفتيه، وبَعد جَرعةٍ طويلةٍ قال: «لقد رأيتُ (القبضة)، الدِّماء والخيل الميتة... نوي قال إن دستةً من الرِّجال عادَت... مَن؟».

- «دايوين عادَ، والعملاق وإد الكئيب ودونل هيل المرِح وأولمر وليو الأعسر وجارث جرايفيذر، وأربعة أو خمسة آخَرون، وأنا».

- «وسام؟».

أشاحَ جرن برأسه، وقال: «لقد قتلَ واحدًا من (الآخَرين) يا چون، رأيته بنفسي. طعنَه بخنجر زُجاج التنِّين الذي صنعته له وبدأنا ندعوه بسام القاتِل، لكنه كرهَ الاسم».

سام القاتِل. لا يتخيَّل چون أحدًا أقلَّ من سام تارلي يَصلُح مُحاربًا. «ماذا حدثَ له؟».

بنبرةٍ بائسة أجابَ جرن: «تركناه. هززته وصرختُ فيه، بل وصفعته كذلك، وحاولَ العملاق أن يَجُرَّه ليقف، لكنه كان ثقيلًا جدًّا. هل تَذكُر أيام التَّدريب عندما كان يتكوَّر على نفسه على الأرض وينتحب؟ في (قلعة كراستر) لم يفعل هذا حتى. ديرك وأولو كانا يُمَزِّقان الجُدران بحثًا عن طعام، وجارث وجارث يتشاجَران، والآخَرون كان بعضهم يغتصب زوجات كراستر. قال إد الكئيب إن مجموعة أولو ستَقتُل المخلصين جميعًا ليمنعونا من حكي ما فعلوه، وكانوا يفوقوننا عددًا مرَّتين. تركنا سام مع الدُّب العجوز. لقد رفضَ تمامًا أن يتحرَّك يا چون».

كادَ يقول: كنتم إخوته، فكيف أمكنكم أن تَترُكوه وسط الهَمج والقتَلة؟

قال پيپ: «ربما ما زالَ حيًّا. قد يُفاجئنا جميعًا ونجده عائدًا غدًا».

وأضافَ جرن محاولًا أن يكون مرحًا: «نعم، برأس مانس رايدر. سام القاتِل!».

حاولَ چون أن يجلس ثانيةً، وهذه المرَّة أيضًا كانت محاوَلته خطأً، وصرخَ لاعنًا.

قال پيپ: «جرِن، اذهب وأحضِر المِايستر إيمون. قُل له إن چون يحتاج إلى المزيد من حليب الخشخاش».

فكَّر چون: نعم، وقال: «لا. الماجنَر...».

قاطعَه پيپ: «نعرف. نبَّهنا الحُرَّاس فوق (الجِدار) أن يضعوا عينًا على الجنوب، وبعثَ دونال نوي عددًا من الرِّجال إلى (أخدود ويذرباك) ليُراقِبوا (طريق الملوك)، وأرسلَ المِايستر إيمون طيورًا إلى (القلعة الشَّرقيَّة) و(بُرج الظِّلال) أيضًا».

اقتربَ المِايستر إيمون من الفِراش واضعًا يده على كتف جرِن، وقال: «ترفَّق بنفسك يا چون. جيِّد أنك أفقت، لكن عليك أن تمنح نفسك وقتًا لتُشفى. لقد أغرقنا الجرح بالنَّبيذ المغلي، وأغلقناه بعِصابةٍ من القُرَّاص وبذور الخردل وعفن الخُبز، لكن ما لم تسترِح...».

قال چون مقاومًا الألم ليعتدِل جالسًا: «لا أستطيعُ. مانس سيصل قريبًا... آلاف الرِّجال، عمالقة، ماموثات... هل أرسلتم خبرًا إلى (وينترفل)؟ إلى الملك؟». انهمرَ العَرق على جبينه فأغلقَ عينيه وهلةً.

رمقَ جرِن پيپ بنظرةٍ غريبةٍ قائلًا: «إنه لا يعرف».

قال المِايستر إيمون: «چون، أشياء كثيرة جدًّا حدثَت في غيابك، وقليل منها خير. بالون جرايچوي توَّج نفسه ثانيةً وأرسلَ سُفنه الطَّويلة ضد الشَّمال. الملوك ينبثقون كالحشائش في كلِّ مكان، وأرسَلنا إليهم نُناشِدهم جميعًا، لكن أحدًا منهم لم يأتِ. سيوفهم مشغولة بأمورٍ تهمُّهم أكثر، ونحن بعيدون جدًّا ومنسيُّون. و(وينترفل)... چون، كُن قويًّا... (وينترفل) راحَت...».

حملقَ چون إلى وجه إيمون المتغضِّن وعينيه البيضاوين، وقال: «راحَت؟ لكن أخوَيْ في (وينترفل)، بران وريكون...».

مَسَّ المِايستر جبينه قائلًا: «أنا آسفٌ حقًّا يا چون. أخواك ماتا بأمرٍ من ثيون جرايچوي بَعد أن استولى على (وينترفل) باسم أبيه، وحين هدَّد حمَلة راية أبيك باستعادة القلعة أضرمَ فيها النَّار».

قال جرن: «لكن ابن بولتون ثأرَ لأخويك، قتلَ الحديديِّين جميعًا، ويُقال إنه يَسلُخ جِلد ثيون جرايچوي بوصةً بوصةً ثمنًا لما فعلَه».

وقال پيپ معتصرًا كتفه: «أنا آسفٌ يا چون، كلُّنا آسفون».

لم يُحِبَّ چون ثيون جرايچوي قَطُّ، لكنه كان ربيب أبيهم. مرقَت نوبة أخرى من الألم في ساقه، وعندما شعرَ بنفسه ثانيةً كان ممدَّدًا على ظَهره، وبإصرارٍ قال: «هناك خطأ ما. عند (تاج الملكة) رأيتُ ذئبًا رهيبًا، ذئبًا رهيبًا رماديًّا... رماديًّا... لقد تعرَّفني». إذا ماتَ بران، فهل من الممكن أن جزءًا منه ظَلَّ حيًّا في ذئبه كأورل ونَسره؟

رفعَ جِرن كوبًا إلى شفتيه قائلًا: «اشرب هذا»، وشربَ چون، وزخرَ عقله بصُور الذِّئاب والنُّسور وصوت ضحكات أخويه، وبدأت الوجوه المطلَّة عليه تتشوَّش وتغيب. لا يُمكن أن يكونا قد ماتا. ليس بإمكان ثيون أن يفعل ذلك أبدًا، و(وينترفل)... الجرانيت الرَّمادي والسَّنديان والحديد، الغِربان تدور حول البروج، البُخار يتصاعَد من البِرك السَّاخنة في أيكة الآلهة، الملوك الحجريُّون مستوون على عروشهم... كيف تضيع (وينترفل)؟

حين استحوذَت عليه الأحلام وجدَ نفسه في داره من جديد، يسبح في البِرك السَّاخنة تحت شجرة ويروود بيضاء ضخمة لها وجه أبيه. كانت إيجريت معه، تضحك منه، تتجرَّد من ثيابها إلى أن باتَت عاريةً كيوم مولدها، تُحاول أن تُقَبِّله، لكنه لم يستطِع بينما يراه أبوه. إنه من دم (وينترفل) ورجل في حَرس اللَّيل، وقال لها: لن أُنجِب نغلًا، لن أفعل، لن أفعل، لن أفعل، فهمسَت: «لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو»، وذابَ جِلدها في المياه السَّاخنة وانسلخَ لحمها عن عظمها حتى لم يتبقَّ منها إلَّا هيكل عظمي وجمجمة، وفارَت البِركة بالأحمر القاني.



كاتلين

سمعوا (الفرع الأخضر) قبل أن يروه، يتردَّد هديره بلا انقطاع كزمجرة وحشٍ عظيم. كان النَّهر وابلًا يغلي، أوسع مرَّةً ونِصفًا مما كان قبلَ عَام، عندما قسمَ روب جيشه ها هنا وتعهَّد بأن يتَّخذ إحدى بنات فراي زوجةً ثمنًا للعبور.

أفعمَت قلب كاتلين الهواجس وهي تُشاهِد المياه الخضراء القاتمة تتدفَّق في دوَّامات، وقالت لنفسها: كان يحتاج إلى اللورد والدر وجسره آنذاك، والآن يحتاج إليهما أكثر. لا سبيل لخوض هذا النَّهر أو السِّباحة فيه، وقد يمرُّ قمر كامل قبل أن تنحسر المياه ثانيةً.

اعتمرَ روب تاجه إذ اقتربوا من (التَّوأمتين) واستدعى كاتلين وإدميور ليركبا إلى جواره، وقد حملَ السير راينالد وسترلينج رايته، ذئب ستارك الرَّهيب على خلفيَّةٍ من الجليد النَّاصع.

برزَ بُرجا مبنى البوَّابة من عتمة المطر كشبحين ضبابيَّين ظَلَّا يكتسبان صلابةً أكثر كلما دنوا. معقل عائلة فراي ليس قلعةً واحدةً وإنما قلعتان، صورتا مرآةٍ متماثلتان من الحجارة المبتلَّة تقفان متواجهتيْن على طرفَيْ الماء، ويربط بينهما جسر مقنطَر كبير يرتفع من منتصفَه (بُرج المياه) الذي يجري النَّهر سريعًا مستقيمًا أسفله، وقد شُقَّت قنوات في الضِّفَّتين مكوِّنةً خنادق تجعل من كلِّ توأمةٍ جزيرةً، وملأَت الأمطار هذه الخنادق محيلةً إياها إلى بحيراتٍ ضحلة.

عبر المياه المضطربة رأت كاتلين عدَّة آلاف من الرِّجال المخيِّمين حول القلعة الشَّرقيَّة، تتدلَّى راياتهم كالقِطط الغارقة من الرِّماح المغروسة في الأرض عند الخيام، وإن جعلَ المطر تمييز الألوان والرُّموز مستحيلًا، وبدا له أن أغلبها رمادي، مع أن العالم أجمع يبدو رماديًّا تحت هذه السَّماء.

قالت لابنها منبِّهةً: «توخَّ الحذر يا روب. اللورد والدر مفرط الحساسيَّة ولاذع الكلام، ولا شَكَّ أن بعض أبنائه يتشابَهون في هذا مع أبيهم. يجب ألَّا تسمح لأحدهم بأن يستفزَّك».

- «إنني أعرفُ آل فراي يا أمَّاه، وأعرفُ كم أخطأتُ في حقِّهم وكم أحتاجُ إليهم. سأكون دمثًا كالسِّپتونات».

اعتدلَت كاتلين في جلستها المتعبة على ظَهر الفَرس، وقالت: «إذا قُدِّمَ لنا طعام أو شراب عندما نصل، فإياك أن تَرفُض. خُذ ما يُعرَض عليك وكُل واشرب على مرأى من الجميع. وإذا لم يُقَدِّموا شيئًا فاطلُب خُبزًا وجُبنةً وكوبًا من النَّبيذ».

- «إنني أعاني البلل أكثر من الجوع...».

- «روب، أنصِت إليَّ. بمجرَّد أن تأكل عيشه وملحه ستتمتَّع بحَقِّ الضَّيف، وستحميك قوانين الضِّيافة تحت سقفه».

بدا على روب أنه وجدَ الكلام طريفًا أكثر من مخيف، وقال: «إن معي جيشًا يحميني يا أمَّاه، ولستُ أحتاجُ إلى الوثوق بالعيش والملح. لكن إذا أسعدَ اللورد والدر أن يُقدِّم لي غُرابًا مسلوقًا محشوًّا باليرقات، فسآكله وأطلبُ طبقًا ثانيًا».

خرجَ أربعة من أبناء فراي راكبين من مبنى البوَّابة الغربي، متدثِّرين بمعاطف ثقيلة من الصُّوف الرَّمادي، وتعرَّفت كاتلين السير رايمان ابن الرَّاحل السير ستفرون الذي كان ولد اللورد والدر البِكري. بموت أبيه أصبحَ السير رايمان وريث (التَّوأمتين)، وتحت قلنسوته كانَ الوجه الذي رأته كاتلين لحيمًا عريضًا بليدًا، أمَّا الثَّلاثة الذين معه فهُم غالبًا أبناؤه، أي أحفاد ابن اللورد والدر.

أكَّد إدميور تخمينها قائلًا: «إدوين هو الأخ الأكبر، الرَّجل الطَّويل النَّاحل الذي يبدو مصابًا بالإمساك. والملتحي مفتول العضلات هو والدر الأسود، وهو شخص لعين حقًّا. وپيتر هو من يركب الحصان الكستنائي، الفتى ذو الوجه المؤسف، پيتر ذو الدَّمامل كما يُسَمِّيه إخوته. إنه يكبَر روب بعام أو اثنين لا أكثر، لكن اللورد والدر زوَّجه وهو في العاشرة امرأةً أكبر منه ثلاثَ مرَّات. بحَقِّ الآلهة، آملُ أن روزلين لا تُشبهه!».

توقَّفوا ليأتيهم مُضيفوهم، وقد تدلَّت راية روب مرتخيةً على ساريتها،

وامتزجَ صوت الأمطار المنهمرة الثَّابت بخرير (الفرع الأخضر) الذي يتدفَّق فائضًا إلى يمينهم. تقدَّم جراي ويند بذيلٍ منتصب، يُراقِب بعينين مشقوقتين من الذَّهب الدَّاكن، وحين صارَ أبناء فراي على بُعد نِصف دستةٍ من الياردات سمعَته كاتلين يزوم، يُصدِر قعقعةً عميقةً تكاد تتطابَق مع هدير النَّهر، وبدا روب منزعجًا وهو يصيح: «جراي ويند، إليَّ، إليَّ!».

لكن بدلًا من هذا وثبَ الذِّئب الرَّهيب إلى الأمام مزمجرًا.

نكصَت فَرس السير رايمان بصهيلٍ مفزوع، ورفعَ حصان پيتر ذي الدَّمامل قائمتيه الأماميَّتين وأوقعَه، بينما استطاعَ والدر الأسود وحده التَّحكُّم في حصانه ومَدَّ يده إلى مقبض سيفه. صاحَ روب: «لا! جراي ويند، هنا، هنا!»، وهمزَت كاتلين فَرسها لتضعها بين الذِّئب الرَّهيب والأحصنة الأخرى، وتناثرَ الوحل من حوافر الفَرس إذ اعترضَت طريق جراي ويند، لكن الذِّئب انحرفَ، وعندها فقط بدا أنه سمعَ نداء روب.

صاحَ والدر الأسود الذي جرَّد فولاذه: «أهكذا يُقدِم آل ستارك على التَّراضي؟ تحيَّة رديئة أن تُطلِق ذئبك علينا. ألهذا أتيت؟».

ترجَّل السير رايمان ليُساعِد پيتر ذا الدَّمامل على النُّهوض، وقد تلطَّخ الصَّبي بالوحل وإن لم يُصِبه أذى، على حين قال روب: «أتيتُ لأعتذر عمَّا اقترفته في حَقِّ عائلتكم وأشهد زفاف خالي»، ووثبَ من فوق سَرجه مردفًا: «پيتر، خُذ حصاني. حصانك يكاد يَبلُغ الاسطبل».

رمقَ پيتر أباه قائلًا: «يُمكنني أن أركب وراء أحد أخوَيْ».

لم يتحرَّك أيٌّ من أبناء فراي لينحني أمام روب، وأعلنَ السير رايمان: «تأخَّرتم».

قال روب: «المطر أخَّرنا. لقد أرسلتُ طائرًا».

- «لستُ أرى المرأة».

كان جليًّا للجميع أن بـ«المرأة» يعني السير رايمان چاين وسترلينج. رسمَت كاتلين على وجهها ابتسامة اعتذار قائلةً: «الملكة چاين متعَبة من طول السَّفر أيها السَّادة. لا ريب أن زيارتكم ستُسعِدها عندما تستقرُّ الأوضاع».

دَسَّ والدر الأسود سيفه في غِمده، وإن لم تَلِن لهجته ذرَّةً وهو يقول: «سيستاء جدِّي. لقد حكيتُ له الكثير عن الليدي، وأرادَ أن يتطلَّع إليها بعينيه».

تنحنحَ إدوين وقال لروب بدماثةٍ حذرة: «جهَّزنا لك سكنًا في (بُرج المياه) يا جلالة الملك، وللورد تَلي والليدي ستارك أيضًا، ونُرَحِّب بنزول اللوردات حمَلة رايتك تحت سقفنا ومشاركتهم في مأدبة الزِّفاف».

سألَ روب: «ورجالي؟».

- «السيِّد جدِّي يُؤسِفه أنه لا يستطيع أن يُطعِم أو يُؤوي جيشًا بهذا العدد، خصوصًا أننا وفَّرنا الطَّعام والعلف لجنودنا ودوابِّهم بصعوبةٍ شديدة، لكننا لن نُهمِل رجالك. إذا عبروا وأقاموا معسكَرهم إلى جوار معسكَرنا، فسنُخرِج لهم ما يكفي من براميل النَّبيذ والمِزر ليشربوا في صحَّة اللورد إدميور وعروسه. لقد نصبنا ثلاثة سُرادقات ضخمة على الضِّفَّة الأخرى لنُوَفِّر لهم ملاذًا من المطر».

- «هذا لُطف بالغ من السيِّد جدِّك. سيمتنُّ له رجالي بَعد طريقهم الطَّويل المبتل».

تقدَّم إدميور بحصانه متسائلًا: «متى ألتقي خطيبتي؟».

قال إدوين فراي: «إنها في انتظارك في الدَّاخل. أعرفُ أنك ستُسامِحها إذا بدَت خجلانةً. المسكينة انتظرَت هذا اليوم بلهفة. هلَّا أكمَلنا كلامنا بعيدًا عن المطر؟».

- «بالتَّأكيد»، قال السير رايمان وعادَ يمتطي فَرسه، وسحبَ بيتر ذا الدَّمامل ليركب وراءه مضيفًا: «تفضَّلوا باتِّباعي، أبي ينتظركم»، وأدارَ رأس الفَرس صوب (التَّوأمتين).

لحقَ إدميور بكاتلين، وقال بتبرُّم: «كان على اللورد فراي المتلكِّئ أن يستقبلنا بنفسه. إنني اللورد وليُّ أمره بالإضافة إلى عريس ابنته، وروب مليكه».

قالت: «عندما تُصبِح في الحادية والتِّسعين سترى قَدر رغبتك في الخروج في المطر يا أخي»، وعلى الرغم من هذا تساءلَت إن كان هذا كلَّ ما هنالك. عادةً يتنقَّل اللورد والدر على حمَّالةٍ مغطَّاة كانت كفيلةً بحمايته من أغلب المطر. أهي إهانة متعمَّدة؟ إذا كانت كذلك فقد تكون الأولى من كثيرات.

واجَهوا المزيد من المتاعب عند مبنى البوَّابة، إذ توقَّف جراي ويند فجأةً في منتصَف الجسر المتحرِّك ونفضَ الماء من فروه وراحَ يعوي للشَّبكة

الحديديَّة، فصفرَ روب وقال بصبرٍ شارفَ على النَّفاد: «جراي ويند، ما الأمر؟ جراي ويند، معي»، لكن الذِّئب الرَّهيب كشَّر عن أنيابه، وقالت كاتلين في سريرتها: إنه لا يُحِبُّ هذا المكان. اضطرَّ روب لأن يُقرفِص ويُكَلِّم الذِّئب برفقٍ حتى وافقَ على المرور من تحت الشَّبكة، وعندئذٍ كان لوثار الأعرج ووالدر ريفرز قد وصلا من الدَّاخل، وقال الثَّاني: «إنه متخوِّف من صوت المياه. الحيوانات تعلم أن عليها تحاشي الأنهار في أثناء الفيضان».

قال لوثار بمرح: «وجار جاف وساق ضأنٍ سيُعيداه إلى صوابه. هل أستدعي قيِّم الكلاب؟».

أجابَه روب: «إنه ذئب رهيب لا كلب، وخطر على مَن لا يثق بهم. سير راينالد، ابقَ معه. لن أدخل به قاعة اللورد والدر هكذا».

فكَّرت كاتلين: أحسنت. هكذا تُبعِد ابن وسترلينج عن نظر اللورد والدر أيضًا.

أكلَ النِّقرس وهشاشة العظام على اللورد والدر العجوز وشربا. وجدوه جالسًا على مقعده العالي وتحته وسادة وعلى حِجره معطف من فرو القاقوم[1]. الكرسي من البلُّوط الأسود، ظَهره منقوش على صورة بُرجين كبيرين يربط بينهما جسر مقنطَر، وحجمه ضخم جدًّا، لدرجة أنه احتوى العجوز، كأنه طفل عجيب الشَّكل. في ملامح اللورد والدر شيء من العُقاب وأكثر من ابن عرس، يَبرُز رأسه الأصلع المبقَّع من الهَرَم من بين كتفين هزيلتين على رقبةٍ متورِّدةٍ طويلة، ويتدلَّى الجِلد المتهدِّل تحت ذقنه المتضائل، وتبدو عيناه غائمتين دامعتين، ويتحرَّك فمه الأهتم باستمرارٍ ممتصًّا الهواء الفارغ كما يمصُّ الرَّضيع ثدي أمِّه.

وقفَت الليدي فراي الثَّامنة إلى جوار مقعد اللورد والدر العالي، وعند قدميه جلسَت نُسخة أصغر قليلًا منه، رجل نحيل أحدب في الخمسين من العُمر يرتدي ثيابًا فاخرةً من الصُّوف الأزرق والساتان الرَّمادي، بالإضافة إلى تاج وطوقٍ غريبيْن مزيَّنيْن بأجراس من النُّحاس الأصفر. التَّشابُه بين الاثنين

---

(1) القاقوم حيوان ثديي ينتمي إلى فصيلة العرسيَّات، وهو من أخطر حيوانات هذه الفصيلة على الرغم من لُطف وجمال شكله. (المترجم).

مدهش، باستثناء الأعيُن، فعينا اللورد فراي صغيرتان منطفئتان ونظراتهما شكَّاكة، وعينا الرَّجل الآخَر كبيرتان وديعتان ونظراتهما خاوية. تذكَّرت كاتلين أن أحد أبناء اللورد والدر أنجبَ ولدًا معتوهًا منذ زمنٍ طويل، وخلال الزِّيارات السَّابقة تعمَّد اللورد والدر أن يُخفيه عن الأنظار دائمًا. هل يرتدي تاج المهرِّجين دائمًا أم أن هذه سخرية من روب؟ سؤال لا تجرؤ على إلقائه.

ازدحمَت بقيَّة القاعة بأبناء فراي وبناته وأولاده وأحفاده وأزواجهم وزوجاتهم والخدم، لكن العجوز هو من تكلَّم قائلًا: «أعرفُ أنك ستَعذُرني إذا لم أركع. ساقاي لم تعودا كما كانتا، وإن كان ما بينهما لا يزال يعمل بكفاءة، هِه»، وانشقَّت شفتاه كاشفتيْن عن فمه الخالي من الأسنان وهو يَرمُق تاج روب مواصلًا: «قد يقول البعض إن الملك الذي يعتمر البرونز فقير يا صاحب الجلالة».

رَدَّ روب: «البرونز والحديد أقوى من الذَّهب والفضَّة. ملوك الشِّتاء القُدامى كانوا يرتدون تيجانًا مشابهةً».

- «ولم ينفعهم هذا في شيءٍ حين جاءَ التَّنانين، هِه». بدا أن هذه الـ«هِه» سرَّت المعتوه، الذي حرَّك رأسه من جانبٍ إلى جانبٍ لترنَّ أجراس تاجه وطوقه، فقال اللورد والدر: «أرجو أن تُسامِح حفيدي إجون على هذه الضَّوضاء يا مولاي. إن عقله أصغر من عقول ساكني المستنقعات، كما أنه لم يلتقِ ملكًا من قبل. إنه أحد أبناء ستفرون، نُسَمِّيه ذا الجلاجل».

قال روب: «السير ستفرون ذكرَه يا سيِّدي»، وابتسمَ للمعتوه قائلًا: «سُررتُ بلقائك يا إجون. أبوك كان رجلًا شُجاعًا».

جلجلَت أجراس ذي الجلاجل، وابتسمَ لتسيل نُسالة رفيعة من اللُّعاب من جانب فمه.

- «ادَّخر أنفاسك الملكيَّة. إذا كلَّمته فكأنك تُكَلِّم وعاء فضلات»، ونقلَ اللورد والدر ناظريْه إلى الآخَرين، وقال: «أرى أنكِ رجعتِ إلينا يا ليدي كاتلين، والسير إدميور الشَّاب أيضًا، الظَّافر في معركة (الطَّاحونة الحجريَّة). اللورد تَلي الآن، عليَّ أن أتذكَّر هذا. إنك خامس لورد تَلي عرفته، لكني ظللتُ حيًّا بَعد موت الأربعة الذين قبلك، هِه. عروسك في مكانٍ ما هنا. أعتقدُ أنك تُريد أن تراها».

- «نعم يا سيِّدي».

- «ستراها إذن، وإنما بثيابها. إنها فتاة محتشمة، وعذراء. لن تراها عارية قبل الإضْجاع»، وقهقهَ اللورد والدر مضيفًا: «هِه، قريبًا، قريبًا»، ودار برأسه قائلًا: «بنفري، اذهب واجلب أختك، وأسرِع. لقد قطعَ اللورد تَلي مسافةً طويلةً من (ريفررَن)»، فحنى فارس شاب يرتدي معطفًا منقوشًا بالمربَّعات رأسه وذهبَ، بينما عادَ العجوز يلتفت إلى روب، وقال: «وأين عروسك يا جلالة الملك؟ الملكة چاين الجميلة؟ قيلَ لي إنها من آل وسترلينج أولاد (الجُرف)، هِه».

- «تركتها في (ريفررَن) يا سيِّدي. إنها متعَبة ولا تحتمل مزيدًا من السَّفر كما قُلنا للسير رايمان».

- «هذا محزن للغاية. أردتُ أن أراها بعينَيْ الواهنتين، كلُّنا أردنا أن نراها، هِه، أليس كذلك يا سيِّدتي؟».

بدَت الليدي فراي الشَّاحبة شديدة النُّحول مندهشةً من توجيه الكلام إليها، وقالت: «نـنعم يا سيِّدي. كلُّنا أردنا أن نُقدِّم فروض الطَّاعة للملكة چاين. لا بُدَّ أنها حسناء جدًّا».

- «إنها بارعة الحُسن يا سيِّدتي»، قال روب بثباتٍ جليدي ذكَّر كاتلين بأبيه.

إمَّا أن العجوز لم يسمع وإمَّا أنه لم يُعِر الكلام اهتمامًا، إذ قال: «لا بُدَّ أنها أجمل من بناتي، هِه؟ وإلَّا لما كان وجهها وقدُّها جعلا صاحب الجلالة ينسى يمينه المغلَّظة».

تلقَّى روب التَّوبيخ بوقار، وقال: «أعرفُ أن لا كلام يُمكنه تصحيح هذا، لكنني جئتُ لأقدِّم اعتذاراتي عن الخطأ الذي ارتكبته في حَقِّ عائلتك وأتوسَّل مغفرتك يا سيِّدي».

- «اعتذاراتك، هِه. نعم، أذكرُ أنك تعهَّدت بالاعتذار. إنني عجوز، لكني لا أنسى تلك الأشياء، على عكس بعض الملوك على ما يبدو. الصِّغار لا يتذكَّرون شيئًا حين يرون وجهًا جميلًا ونهدين بضَّين، أليس كذلك؟ كنتُ هكذا، وقد يقول البعض إنني ما زلتُ، هِه هِه، لكنهم مخطئون، مخطئون مِثلما أخطأت أنت، والآن جئت لتتصالَح. لكنك نبذت فتياتي وليس أنا، وربما

عليك أن تتوسَّل المغفرة منهن يا جلالة الملك، فتياتي العذراوات. هلمَّ، ألقِ نظرةً عليهن»، وأشارَ العجوز بأصابعه فتحركت زُمرة من الإناث من أماكنهن عند الجُدران ليصطففن أمام المنصَّة، وبدأ ذو الجلاجل ينهض أيضًا وأجراسه ترنُّ بمرح، لكن الليدي فراي شدَّته من كُمِّه ودفعَته ليجلس في مكانه.

قال اللورد والدر مقدِّمًا فتاةً في الرَّابعة عشرة: «ابنتي أروين»، ثم تابعَ: «شيري، أصغر فتياتي الشَّرعيَّات. آمي وماريان حفيدتاي. زوَّجتُ آمي السير بايت ابن (الجداول السَّبعة)، لكن الجبل قتلَ المأفون فاستعدتها. هذه سرسي، لكننا ندعوها بالنَّحلة الصَّغيرة. أمُّها من عائلة بيزبوري. المزيد من الحفيدات، إحداهن والدا، والأخريات... لا بُدَّ أن لهن أسماء أيًّا كانت...».

قالت إحدى الفتيات: «أنا ميري يا جدِّي».

- «أنتِ مزعجة، هذا مؤكَّد. إلى جوار المزعجة ابنتي تايتا، ثم والدا أخرى، وآلكس، وماريسا... هل أنتِ ماريسا؟ كما حسبتُ. إنها ليست صلعاء هكذا دائمًا. المايستر حلقَ شَعرها لكنه يُؤَكِّد أنه سينبت ثانيةً قريبًا. التَّوأمتان اسمهما سيرا وسارا»، وضيَّق عينيه ناظرًا إلى إحدى الصَّغيرات وسألَها: «هِه، أأنتِ والدا أخرى؟».

انحنَت الفتاة التي لا تتجاوَز الرَّابعة، وأجابَت: «أنا والدا ابنة السير إيمون ريفرز يا جدِّي الكبير».

- «منذ متى وأنتِ تتكلَّمين؟ ليس كأن لديكِ شيئًا معقولًا تقولينه، على شاكلة أبيكِ الذي كان نغلًا أيضًا، هه. اذهبي، لا أريدُ إلَّا أولاد فراي هنا. الملك في الشَّمال لا يهتمُّ بذُرِّيَّة النُّغول»، ورمقَ اللورد والدر روب بينما هَزَّ ذو الجلاجل رأسه ورَنَّ أجراسه، وقال: «ها هن، كلُّهن عذراوات، أو أن واحدةً منهن أرملة، لكن البعض يفضِّلهن مفتوحات. كان بإمكانك أن تتزوَّج أيًّا منهن».

قال روب بكياسةٍ حذرة: «لكان الاختيار مستحيلًا يا سيِّدي، فكلُّهن جميلات».

أطلقَ اللورد والدر نخيرًا ساخرًا، ورَدَّ: «ويقولون إن نظري أنا ضعيف! بعضهن يَصلُحن على ما أعتقدُ، أمَّا الأخريات... لا فرق، فلم يكنَّ صالحات كفايةً للملك في الشَّمال. والآن ماذا لديك لتقوله؟».

بدا روب مرتبكًا للغاية، لكنه كان يعلم أن هذه اللَّحظة ستأتي، وقد واجهَها بلا إحجام قائلًا: «سيِّداتي، على البَشر جميعًا أن يصونوا كلمتهم، سيَّما الملوك. لقَد تعهَّدتُ بأن أتزوَّج إحداكن ونقضتُ هذا العهد، لكن الخطأ ليس خطأكن، وما فعلته لم يكن لإهانتكن بل لأني أحببتُ أخرى. أعرفُ أن لا كلام من شأنه إصلاح هذا، لكنني جئتُ أمثلُ أمامكن ناشدًا الصَّفح من أجل أن تتجدَّد أواصر الصَّداقة بين آل فراي سادة (المعبر) وآل ستارك أولاد (وينترفل)».

تململَت الصَّغيرات بتوتُّر، على حين انتظرَت أخواتهن الأكبر أن يتكلَّم اللورد والدر الجالس على عرشه البلُّوطي الأسود، وهَزَّ ذو الجلاجل نفسه إلى الأمام والخلف ليتواصَل رنين الأجراس في تاجه وطوقه.

قال سيِّد (المعبر): «عظيم، عظيم جدًّا يا جلالة الملك. لا كلام من شأنه إصلاح هذا، هِه. أحسنت القول، أحسنت القول. آملُ أنك لن تَرفُض الرَّقص مع فتياتي في احتفال الزِّفاف. سيُسعِد هذا قلب رجل عجوز مِثلي، هِه»، وحرَّك رأسه المتورِّد المتغضِّن إلى أعلى وأسفل كما يَفعل حفيده المعتوه، وإن افتقرَ إلى الأجراس، وقال مشيرًا: «وها هي ذي أيها اللورد إدميور، ابنتي روزلين، أغلى زهوري الصَّغيرة على الإطلاق، هِه».

قادَ السير بنفري الفتاة إلى القاعة. جعلَ التَّشابُه الكبير بين الاثنين كونهما شقيقيْن واضحًا، وقدَّرت كاتلين من سِنِّهما أنهما ولدا الليدي فراي السَّادسة، التي كانت من عائلة روزبي حسبما تَذكُر.

تبدو روزلين صغيرة الحجم بالنِّسبة لسِنِّها، ولها بشرة بيضاء ناصعة كأنها خرجَت لتَوِّها من حمَّام من الحليب، ويبدو وجهها مليحًا بذقنٍ صغير وأنفٍ رقيق وعينين بنِّيَّتين واسعتين، بينما ينسدل شَعرها الكستنائي الغَزير في تموُّجاتٍ مسترسلة إلى خصرٍ صغير للغاية، حتى إن إدميور يستطيع أن يُطَوِّقه بيديه، وتحت صِدار فُستانها الأزرقَ الفاتح يبدو ثدياها صغيرين وإنما هيِّنان.

جثَت الفتاة على رُكبتيها قائلةً: «جلالة الملك. لورد إدميور، أتمنَّى أني لم أخيِّب أملك».

على الإطلاق، فكَّرت كاتلين وقد تهلَّلت أسارير أخيها لمرأى الفتاة، وقال: «إنكِ مسرَّة في نظري يا سيِّدتي، وأعلمُ أنكِ ستكونين دومًا».

بين اثنتين من أسنان روزلين الأماميَّة فجوة صغيرة تجعلها تستحيي من كثرة الابتسام، لكن هذا العيب يكاد يكون محبَّبًا. جميلة كفايةً، لكن صغيرة الحجم جدًّا، ومن ذُرِّيَّة روزبي. لم يكن آل روزبي متيني الأجساد قَطُّ، وفضَّلت كاتلين بنية بعض الفتيات الأخريات الأكبر سِنًّا في القاعة، سواء أكنَّ بنات فراي أو حفيداته، لا تدري بالضَّبط. تبدو على وجوههن ملامح كراكهول، وقد كانت زوجة اللورد والدر الثَّالثة من تلك العائلة. أوراك عريضة لحمل الأطفال، وأثداء كبيرة لإرضاعهم، وأذرُع قويَّة لحملهم. لطالما كان أولاد عائلة كراكهول كبيري العظام وأقوياء.

قالت الليدي روزلين لإدميور: «سيِّدي لطيف».

رَدَّ إدميور: «وسيِّدتي جميلة»، والتقطَ يدها وأنهضَها متسائلًا: «لكن لماذا تبكين؟».

- «فرحًا، أبكي فرحًا يا سيِّدي».

قاطعَهما اللورد والدر: «كفى. يُمكنكما أن تبكيا وتتهامَسا بَعد عقد قرانكما، هه. بنفري، خُذ أختك إلى غُرفتها، فأمامها زفاف عليها أن تستعدَّ له، وإضْجاع أيضًا، هِه، أفضل جزء، للجميع، للجميع»، وتحرَّك فمه إلى الدَّاخل والخارج مضيفًا: «ستكون هناك موسيقى، موسيقى جميلة جدًّا، ونبيذ، هه، نبيذ أحمر سيتدفَّق، وسنُصَحِّح بعض الأخطاء. لكنكم متعَبون الآن، ومبتلُّون أيضًا، تُغرقون أرضيَّتي بالماء. في انتظاركم نار ونبيذ متبَّل ساخن وأحواض استحمام إذا أردتم. لوثار، اصحب ضيوفنا إلى غُرفهم».

قال روب: «عليَّ أن أُشرف على عبور رجالي النَّهر يا سيِّدي».

رَدَّ اللورد والدر متذمِّرًا: «لن يضلُّوا الطَّريق. لقد عبروه من قبل، أليس كذلك؟ عندما جئت من الشَّمال وأردت أن تَعبُر وسمحتُ لك دون أن أقول "ربما"، هِه. لكن كما تشاء، قُد كلَّ رجلٍ منهم من يده بنفسك إذا أردت، فلا أهتمُّ».

رفعَت كاتلين التي كادَت تنسى صوتها قائلةً: «سيِّدي! نرجو أن تُقَدِّم لنا القليل من الطَّعام. لقد قطعنا فراسخ طويلة في المطر».

حرَّك والدر فراي فمه إلى الدَّاخل والخارج، وقال: «طعام، هِه. رغيف من الخُبز وقطعة من الجُبنة وربما قطعة سجق».

قال روب: «والقليل من النَّبيذ والملح».

- «عيش وملح، هِه، طبعًا، طبعًا»، وصفَّق العجوز فدخلَ الخدم إلى القاعة حاملين أباريق النَّبيذ وصِحاف الخُبز والجُبنة والزُّبدة، والتقطَ اللورد والدر كوب نبيذٍ بنفسه ورفعَه عاليًا بيده المبقَّعة قائلًا: «ضيوفي، ضيوفي المكرَّمون، أهلًا بكم تحت سقفي وعلى مائدتي».

أجابَه روب: «نَشكُرك على حُسن ضيافتك يا سيِّدي»، وحاكاه إدميور مع چون الكبير والسير مارك پايپر والباقين، وشربَ الجميع نبيذه وأكلوا جُبنته وزُبدته. أخذَت كاتلين رشفةً صغيرةً من النَّبيذ وقضمَت من الخُبز، وأحسَّت براحةٍ كبيرة مفكِّرةً: المفترَض أن نكون آمنين الآن.

جعلَتها معرفتها بإضمار العجوز الضَّغائن تتوقَّع أن تكون غُرفهم كئيبةً موحشةً، لكن اتَّضح أن أولاد فراي وفَّروا لهم كلَّ سُبل الرَّاحة. غُرفة العروسين كبيرة فاخرة الأثاث، يحتلُّها فِراش كبير بحشيَّةٍ من الرِّيش وأعمدةٍ منحوتة على شكل أبراج القلاع وستائر ملوَّنة بأحمر وأزرق عائلة تَلي، وهي اللَّفتة التي رأتها كاتلين لطيفةً، بينما تُغطِّي الأرض الخشبيَّة بُسط طيِّبة الرَّائحة، وتنفتح نافذة طويلة بستائر على الجنوب. غُرفة كاتلين أصغر، وإنما جيِّدة التَّأثيث أيضًا ومريحة، وفيها مستوقَد تشتعل فيه النَّار، وأكَّد لوثار الأعرج أن روب سيحظى بجناح كاملٍ يليق بملك، وقال: «إذا احتجتم إلى أيِّ شيءٍ فما عليكم إلَّا أن تُخبروا أحدَ الحُرَّاس»، وانحنى وانسحبَ حاجلًا بخُطواتٍ ثقيلة وهو ينزل الدَّرجات الملتفَّة.

قالت كاتلين لأخيها: «علينا أن نُعيِّن حَرسًا من رجالنا». ستَرتاح أكثر إذا كان رِجال ستارك وتَلي خارج بابها. لم تكن المقابَلة مع اللورد والدر شاقَّةً كما خشيَت، لكنها مسرورة لأنهم فرغوا منها على الرغم من هذا. أيام قليلة أخرى وينصرف روب إلى معركته وأذهبُ إلى سجني المريح في (سيجارد). لا تشكُّ إطلاقًا في أن اللورد چيسون سيُعامِلها بمنتهى الاحترام، لكن الفكرة لا تزال تغمُّها.

سمعَت أصوات الخيل في الأسفل إذ شَقَّ طابور الرِّجال الرَّاكبين طريقه على الجسر من القلعة إلى القلعة، وقعقعَت الحجارة مع مرور العربات المحمَّلة بالأمتعة الثَّقيلة. ذهبَت كاتلين إلى النَّافذة وتطلَّعت إلى الخارج

لتُشاهِد جيش روب يَخرُج من التَّوأمة الشَّرقيَّة، وقالت: «يبدو أن الأمطار تقلُّ».

قال إدميور الواقف أمام النَّار تاركًا الدِّفء يغمره: «بَعد أن صِرنا في الدَّاخل. ما رأيكِ في روزلين؟».

فكَّرت: صغيرة الحجم ورقيقة للغاية. ستكون الولادة صعبةً عليها، لكن أخاها يبدو راضيًا تمامًا عن الفتاة، فاكتفَت بقول: «جميلة».

- «أعتقدُ أني أعجبتها. لماذا كانت تبكي؟».

- «إنها عذراء في عشيَّة زفافها، ومتوقَّع أن تذرف القليل من الدُّموع». صبيحة زفافهما بكَت لايسا أنهارًا، وإن نجحَت في تجفيف مُقلتيها وبدَت مشرقةً حين خلعَ عليها اللورد جون آرن معطفه الأبيض والأزرق.

قال إدميور: «إنها أجمل كثيرًا مما جرؤتُ على أن آمل»، ورفعَ يده قبل أن تتكلَّم متابعًا: «أعرفُ أن هناك أشياء أهم، فلا داعي للعظة أيتها السِّپتة. لكن... هل رأيتِ بعض الفتيات الأخريات اللاتي صفَّهن فراي؟ هل رأيتِ تلك التي ترتعش؟ أهي مصابة بداء القشعريرة؟ والتَّوأمتان في وجهيهما حُفر وطفح أكثر من پيتر ذي الدَّمامل نفسه. عندما رأيتهن أيقنتُ بأن روزلين ستكون صلعاء عوراء، بعقل ذي الجلاجل ومزاج والدر الأسود، لكنها تبدو رقيقةً علاوةً على جمالها»، ولاحَت عليه الحيرة وهو يسأل: «لماذا رفضَ ابن عرس العجوز أن يَترُكني أختارُ إذا لم يكن ينتوي أن يُكرِهني على قبول واحدةٍ بشعة الخلقة؟».

ردَّت كاتلين: «ولعك بالوجوه الجميلة معروف. ربما يُريدك اللورد والدر أن تكون سعيدًا مع عروسك بالفعل». أو غالبًا لم يُردك أن تتراجَع عن الزِّيجة بسبب بثرة وتُفسِد خُططه كلَّها. «أو ربما تكون روزلين ابنة العجوز المفضَّلة. سيِّد (ريڤررَن) زوج أفضل مما تأمل أيٌّ من فتياته».

لكن أخاها ظَلَّ يبدو مرتابًا وهو يقول: «صحيح، لكن أمن الممكن أن تكون عاقرًا؟».

- «اللورد والدر يُريد أن يرث أحفاده (ريڤررَن)، فما الذي سينفعه بإعطائك زوجةً عاقرًا؟».

- «أن يتخلَّص من ابنةٍ لن يُريدها أحد».

- «لن ينفعه هذا بشيء. والدر فراي عنيد لكنه ليس أحمق».
- «لكن... أهذا ممكن؟».

أجابَت كاتلين على مضض: «نعم. ثمَّة أمراض يُمكن أن تُصاب بها الفتيات في الطُّفولة وتَترُكها غير قابلة للإنجاب، لكن لا يوجَد ما يدعو لأن نعتقد أن روزلين أصيبَت بأيِّها»، وتطلَّعت إلى أنحاء الغُرفة قائلةً: «الحقيقة أن آل فراي استقبلونا برحابة صدرٍ أكثر مما توقَّعتُ».

قال إدميور ضاحكًا: «القليلُ من الكلام الشَّائك والتَّحديق غير اللَّائق. من رجلٍ مِثله تعدُّ هذه كياسةً. توقَّعتُ أن يبول ابن عرس العجوز في نبيذنا ويجعلنا نُثني على مذاقه».

أصابَت الدُّعابة كاتلين بتوتُّرٍ غريب، فقالت: «بعد إذنك، عليَّ أن أبدِّل هذه الثِّياب المبتلَّة».

رَدَّ إدميور متثائبًا: «كما تُريدين. قد أغفو ساعةً».

عادَت كاتلين إلى غُرفتها، حيث وجدَت صندوق الملابس الذي أحضرَته من (ريفرَن) موضوعًا عند قدم السَّرير. خلعَت ثيابها المبتلَّة وعلَّقتها بالقُرب من النَّار، ثم ارتدَت فُستانًا من الصُّوف بلونَيْ تَلي، وغسلَت شَعرها ومشَّطته وتركَته يجفُّ قبل أن تذهب بحثًا عن أبناء فراي.

كان عرش اللورد والدر الأسود خاليًا حين دخلَت القاعة، لكن بعضًا من أبنائه كانوا يشربون إلى جوار النَّار، ونهضَ لوثار الأعرج بتثاقُلٍ عندما رآها، وقال: «ليدي كاتلين، حسبتكِ تستريحين. كيف أخدمكِ؟».

سألَته: «أهؤلاء إخوتك؟».

- «إخوة أشقاء وغير أشقَّاء وإخوة بالمصاهَرة وأبناء إخوى. رايموند وأنا أمُّنا واحدة، واللورد لوشياس ڤايپرن زوج أختي غير الشَّقيقة لايثين، والسير ديمون ابنهما. أعتقدُ أنكِ تعرفين السير هوستين أخي غير الشَّقيق، وهذا هو السير ليزلين هاي وابناه السير هاريس والسير دونل».

- «يَسُرُّني لقاؤكم أيها السَّادة. هل السير پروين موجود؟ لقد ساعدَ على اصطحابي إلى (ستورمز إند) ذهابًا وإيابًا حين أرسلَني روب لأتفاوَض مع اللورد رنلي، وكنتُ أتطلَّعُ إلى رؤيته ثانيةً».

أجابَ لوثار الأعرج: «پروين غائب، لكني سأبلِّغه تحيَّاتكِ. أعلمُ أنه سيحزن لأنه لم يركِ».

- «مؤكَّد أنه سيعود لحضور زفاف الليدي روزلين، أليس كذلك؟».

- «كان يأمل ذلك، لكن مع هذا المطر... لقد رأيتِ بنفسكِ كيف فاضَت الأنهار يا سيِّدتي».

- «بالتَّأكيد. هلَّا تفضَّلت بإرشادي إلى المِايستر؟».

سألَها السير هوستين، الرَّجل المتين ذو الفَكِّ المربَّع القوي: «أأنتِ بخير يا سيِّدتي؟».

- «مسألة نسائيَّة. لا تقلق أيها الفارس».

اصطحبَها لوثار المهذَّب دائمًا من القاعة، وصعدَ بها بضع درجات، ثم عبرا جسرًا مغطًّى إلى سُلَّم آخَر، حيث قال: «ستجدين المِايستر برينيت في البُرج على القمَّة يا سيِّدتي».

خمَّنت كاتلين أن المِايستر سيكون ابنًا آخَر لوالدر فراي، لكنها رأت أنه يفتقر إلى ملامح العائلة المميِّزة. برينيت رجل طويل بدين أصلع، له ذقن مشقوق ولا يتحلَّى كثيرًا بالنَّظافة، كما يبدو من منظر فضلات الغِدفان التي تُلَوِّث كُمَّيْ ثوبه، وإن بدا ودودًا كفايةً. حين أخبرَته بقلق إدميور على خصوبة روزلين قهقهَ قائلًا: «ليس على السيِّد أخيكِ أن يخشى شيئًا يا ليدي كاتلين. صحيحٌ أنها صغيرة الحجم وضيِّقة الوَركين، لكن أمَّها كانت مِثلها، وأنجبَت الليدي بثاني للورد والدر طفلًا كلَّ عام».

سألَته بلا موارَبة: «كم منهم عاشَ بَعد سِنِّ الرِّضاعة؟».

أجابَ: «خمسة»، وأحصاهم على أصابعه الثَّخينة كأصابعِ السُّجق قائلًا: «السير پروين والسير بنفري، والمِايستر ويلامن الذي حلف اليمين العام الماضي والآن يخدم اللورد هنتر في (الوادي)، وأوليڤار الذي كان مُرافِق ابنكِ، والليدي روزلين أصغرهم. أربعة صِبية وصبيَّة. سيُنجِب اللورد إدميور أبناء أكثر مما يعرف ماذا يفعل بهم».

- «إنني واثقة بأن هذا سيُسعِده». إذن الفتاة خصيبة كما هي جميلة المُحيَّا. المفترَض أن يطمئنَّ عقل إدميور هكذا. على حَدِّ علمها لم يَترُك اللورد والدر لأخيها سببًا للشَّكوى.

لم ترجع كاتلين إلى غُرفتها بَعدما تركَت المِايستر، بل ذهبَت إلى روب، حيث وجدَت معه السير روبن فلينت والسير وندل ماندرلي، بالإضافة إلى چون الكبير وابنه الذي لا يزال يُسَمَّى چون الصَّغير على الرغم من أنه يكاد يفوق أباه طولًا. كانت ثياب الكلِّ رطبةً، ومعهم رجل آخَر مبتلٌّ أكثر منهم يقف أمام النَّار مرتديًا معطفًا ورديًّا باهتًا موشًّى بالأبيض، فقالت له: «لورد بولتون».

أجابَها بصوته الخافت: «ليدي كاتلين، يَسُرُّني أن أراكِ ثانيةً، حتى في هذه الأوقات العصيبة».

- «لُطف منك أن تقول هذا». استشعرَت كاتلين كآبةً في المكان، وحتى چون الكبير الكبير بدا واجمًا مغلوبًا، فتطلَّعت إلى وجوههم العابسة سائلةً: «ماذا حدثَ؟».

أجابَ السير وندل باستياء: «جنود لانستر على ضفاف (الثَّالوث). أخي وقعَ في الأسر ثانيةً».

أضافَ روب: «كما أن اللورد بولتون جلبَ لنا مزيدًا من الأنباء عن (وينترفل). لم يكن السير رودريك الرَّجل الصَّالح الوحيد الذي ماتَ. كلاي سروين وليوبولد تولهارت قُتِلا أيضًا».

قالت محزونةً: «كلاي سروين كان مجرَّد صبي. الأخبار صحيحة إذن؟ الجميع ماتوا وضاعَت (وينترفل)؟».

التقَت عينا بولتون الشَّاحبتان عينيها، وقال: «الحديديُّون أحرَقوا القلعة والبلدة الشِّتويَّة، لكن ابني رامزي أخذَ بعضًا من قومكم إلى (معقل الخوف)».

قالت له كاتلين بحدَّة: «ابنك النَّغل متَّهم بجرائم شنيعة، بالقتل والاغتصاب وما هو أسوأ».

قال رووس بولتون: «أجل. إن دماءه ملوَّثة ولا سبيل لإنكار هذا، لكنه مُحارِب قوي، ولا يقلُّ ذكاؤه عن شَجاعته. عندما قتلَ الحديديُّون السير رودريك، وبَعده بقليل ليوبولد تولهارت، وقعَت قيادة المعركة على عاتق رامزي، وقد كان. إنه يُقسم أنه لن يُغمِد سيفه ما دامَ هناك جرايچوي واحد باقيًا في الشَّمال. ربما تُكَفِّر خدمته هذه ولو قليلًا عن الجرائم التي دفعَته دماء النُّغولة إلى ارتكابها»، وهَزَّ كتفيه مضيفًا: «أو لا. حين تضع الحرب أوزارها

على جلالة الملك أن يَزِن الأمور ويَحكُم عليها، وعندئذٍ أتمنَّى أن تكون الليدي والدا قد أنجبَت لي ابنًا شرعيًّا».

أدركَت كاتلين أن هذا رجل بارد حقًّا، وليس للمرَّة الأولى.

سألَه روب: «هل ذكرَ رامزي شيئًا عن ثيون جرايچوي؟ هل قُتِلَ أيضًا أم فرَّ؟».

أخرجَ رووس بولتون قطعةً صغيرةً من الجِلد المجعَّد من الجراب المثبَّت إلى حزامه، وقال: «ابنيَ أرفقَ هذه برسالته».

أشاحَ السير وندل بوجهه، وتبادلَ روبن فلينت وچون أومبر الصَّغير نظرةً، وأطلقَ چون الكبير صوتًا كخوار الثِّيران، أمَّا روب فسألَ: «أهذا... جِلد بَشري؟».

- «جِلد من خنصر يد ثيون جرايچوي اليُسرى. أعترفُ بأن ابني متوحِّش، ولكن... ما قيمة قطعةٍ صغيرة من الجلد مقارنةً بحياة أميرين صغيرين؟ كنتِ أمَّهما يا سيِّدتي. هل تسمحين بأن أقدِّم لكِ هذه الـ... الأمارة الصَّغيرة على الثَّأر؟».

جزء من كاتلين أرادَ أن يقبض على الجائزة البشعة ويضمَّها إلى قلبها، لكنها جعلَت نفسها تُقاوِم، وقالت: «أبعِدها عني من فضلك».

قال روب: «سلْخ ثيون لن يُعيد أخوَيْ إلى الحياة. أريدُ رأسه لا جِلده».

رَدَّ اللورد بولتون بنعومةٍ كأنهم نسوا: «إنه ابن بالون جرايچوي الحي الوحيد، والآن الملك الشَّرعي لـ(جُزر الحديد)، والملك الأسير قيمته عظيمة كرهينة».

- «رهينة؟». أزعجَت الكلمة كاتلين كثيرًا، فغالبًا ما يُبادَل الرَّهائن برهائن. «لورد بولتون، آملُ أنك لا تقترح أن نُطلِق سراح الرَّجل الذي قتلَ ابنَيْ».

أجابَ بولتون: «الفائز بكرسي حجر اليَم أيًّا كان سيُريد أن يموت ثيون جرايچوي، فحتى وهو أسير مكبَّل تظلُّ دعواه أقوى من أيٍّ من أعمامه. رأيي أن نحتفظ به ونُطالِب بتنازُلاتٍ من حديديِّي الميلاد ثَمنًا لإعدامه».

تأمَّل روب الكلام على مضض، لكنه أومأ برأسه موافقًا في النِّهاية، وقال: «نعم، ليكن. حافِظ على حياته إذن، في الوقت الحالي على الأقل، وأمِّنه في (معقل الخوف) إلى أن نستردَّ الشَّمال».

عادَت كاتلين تلتفت إلى رووس بولتون قائلةً: «السير وندل قال شيئًا عن جنود لانستر على (الثّالوث)».

– «نعم يا سيِّدتي. إنني ألومُ نفسي، فقد تأخَّرتُ كثيرًا قبل أن أغادر (هارنهال). إينس فراي رحلَ قبلي بأيام وعبرَ (الثّالوث) من (مخاضة الياقوت)، وإن لم يكن بسهولة، لكن حين بلغنا نحن النَّهر وجدناه فائضًا، ولم أجد خيارًا سوى أن أنقل رجالي على قوارب صغيرة لم يكن معنا منها إلّا القليل. ثُلثا قوّتي كانا على الضِّفَّة الشَّماليَّة عندما هاجمَ جنود لانستر مَن ما زالوا ينتظرون العبور. كان أغلبهم من رجال نوري ولوك وبورلي، مع السير وايليس ماندرلي وفُرسان (الميناء الأبيض) في حَرس المؤخِّرة. وقتها كنتُ على الجانب الآخَر من النَّهر، عاجزًا عن مساعدتهم، واستجمعَ السير وايليس شتات رجالنا قَدر المستطاع، لكن جريجور كليجاين هاجمَ بسلاح خيَّالةٍ ثقيل وساقَهم إلى النَّهر، فقُتِلَ بعضهم وغرقَ البعض الآخَر، وهربَ المزيد ووقعَ الباقون أسرى».

فكَّرت كاتلين أن جريجور كليجاين خبر سيِّئ دائمًا. هل على روب أن يزحف جنوبًا ثانيةً ليتعامَل معه؟ أم أن الجبل قادم إليهم؟ «هل عبرَ كليجاين النَّهر إذن؟».

أجابَ بولتون بصوتٍ خافت وإنما واثق: «لا. لقد تركتُ ستمئة رجل عند المخاضة، حاملي حِراب من الغُدران والجبال و(السكِّين الأبيض)، بالإضافة إلى مئةٍ من رُماة هورنوود ذوي الأقواس الطَّويلة، وعددٍ من المُحاربين غير النِّظاميِّين والفُرسان المتجوِّلين، وفِرقةٍ قويَّة من رجال ستاوت وسروين لشَدِّ أزرهم. القيادة لرونل ستاوت والسير كايل كوندون. السير كايل كان ذراع اللورد سروين الرَّاحل اليُمنى كما تعرفين بالتَّأكيد يا سيِّدتي. الأسود لا تُجيد السِّباحة أكثر من الذِّئاب، وما دامَ النَّهر فائضًا فلن يَعبُره السير جريجور».

قال روب: «آخِر شيءٍ نُريده هو الجبل وراءنا حين نبدأ صعود الدَّرب العالي. أحسنت صُنعًا يا سيِّدي».

– «لُطف من صاحب الجلالة أن يقول هذا. لقد مُنيتُ بخسائر فادحة في معركة (الفرع الأخضر)، وجلوڤر وتولهارت بخسائر أفدح في (وادي الغسق)».

- «(وادي الغسق)»، ردَّد روب الكلمة جاعلًا منها شتيمةً، قبل أن يقول: «سيدفع روبت جلوڤر ثَمن هذا حين أراه، هذا وعد».

قال بولتون: «كانت حماقةً، لكن جلوڤر أصابَه التَّهوُّر بَعد أن علمَ بسقوط (ربوة الغابة). هذا ما يفعله الحُزن والخوف بالإنسان».

(وادي الغسق) انتهى أمرها، أمَّا المعارك المقبلة، فهي ما تشغل بال كاتلين، التي سألَت رووس بولتون بنبرةٍ مباشِرة: «كم رجلًا جلبت لابني؟».

تمعَّنت عيناه الغريبتان عديمتا اللَّون في وجهها بُرهةً قبل أن يُجيب: «نحو خمسمئة من الخيَّالة وثلاثة آلاف من المُشاة يا سيِّدتي، أغلبهم من رجال (معقل الخوف) وبعضهم من (كارهولد). مع إحاطة الشُّكوك بولاء آل كارستارك الآن، خطرَ لي أن أبقيهم قريبين مني. يُؤسِفني أنه لا يوجَد رجال أكثر».

قال روب: «سيكفون. ستقود حَرس المؤخِّرة بنفسك أيها اللورد بولتون، وسأبدأ الزَّحف إلى (العُنق) فور أن يتزوَّج خالي. إننا عائدون إلى الوطن».





آريا

ظهرَت لهما الكشَّافة قبل ساعةٍ من بلوغهما (الفرع الأخضر) بينما تخوض العربة في طريقٍ موحل.

- «اخفضي رأسكِ وأطبِقي فمكِ»، قال لها كلب الصَّيد منذرًا إذ تحرَّك نحوهما الثَّلاثة، فارس ومُرافِقان يرتدون دروعًا خفيفةً ويمتطون خيولًا سريعةً، وشَقَّ كليجاين الهواء بسوطه فوق رأسَيْ حصانَيْ الجَرِّ العجوزين اللذين شهدا أيامًا أفضل، وراحَت العربة تصرُّ وتتمايَل وعجلتاها الخشبيَّتان الضَّخمتان تمتصَّان الوحل من حُفر الطَّريق العميقة كلما دارَتا، وقد تبعَها سترينجر مقيَّدًا إليها.

لا يلبس الجواد الحربيُّ الكبير ذو المزاج الأسود دِرعًا وليس عليه سَرج أو لجام، فيما ارتدى كلب الصَّيد نفسه الخيش الأخضر المبقَّع تحت معطفٍ رمادي كالسِّناج له قلنسوةٌ تبتلع رأسه. ما دامَ رأسه منخفضًا فلا يُمكنك أن ترى وجهه، فيلوح منه بياض عينيه لا أكثر، ويبدو كأنه مجرَّد مُزارعٍ زريِّ الهيئة، وإن كان مُزارعًا كبيز الحجم حقًّا. تعلم آريا أنه يرتدي تحت الخيش الجِلد المقوَّى والحلقات المعدنيَّة المزيَّتة، أمَّا هي فتبدو كابن مُزارع، أو ربما راعي خنازير، ووراءهما على العربة تستقرُّ أربعة براميل مكتنزة من لحم الخنازير المملَّح وواحد من أقدامها المخلَّلة.

انفصلَ الخيَّالة وداروا حولهما ملقين نظرةً عليهما قبل أن يدنوا، وأوقفَ كليجاين العربة وانتظرَهم بصبر. حملَ الفارس حربةً وسيفًا، بينما حملَ مُرافِقاه قوسين طويلين، ولاحَت على صدريهما شارتان هما نُسخة أصغر من رمز سيِّدهما المثبَّت على معطفه القصير؛ مذراة سوداء في شريطٍ ذهبيٍّ

مائل إلى اليسار على خلفيَّةٍ خمريَّة. كانت آريا قد فكَّرت في الإفصاح عن هُويَّتها لأول كشَّافٍ يُقابلاه، لكنها تصوَّرت دائمًا رجالًا في معاطف رماديَّة على صدورهم الذِّئب الرَّهيب، بل كانت لتُخاطِر لو أن رمزهم عملاق عائلة أومبر أو قبضة عائلة جلوڤر، لكنها لا تعرف فارس المذراة هذا أو اللورد الذي يخدمه. أقرب شيءٍ إلى مذراةٍ رأته في (وينترفل) كان الرُّمح ثُلاثي الشُّعب في يد عريس بحر اللورد ماندرلي.

سألَ الفارس: «ما شأنك في (التَّوأمتين)؟».

غمغمَ كلب الصَّيد مجيبًا وقد خفضَ عينيه ووارى وجهه: «لحم خنازير مملَّح لمأدبة الزِّفاف، بَعد إذن ورضا سيِّدي».

- «الخنزير المملَّح لا يُرضيني أبدًا». لم يَرمُق فارس المذراة كليجاين إلَّا بنظرةٍ خاطفة للغاية، ولم يُلقِ انتباهًا لآريا على الإطلاق، لكنه أمعنَ النَّظر طويلًا إلى سترينجر. بنظرةٍ واحدةٍ أدركَ أنه ليس حصان حرث، وكادَ أحد مُرافقيْه يَسقُط في الأوحال عندما حاولَ الفحل الأسود الكبير أن يعضَّ فَرسه. سألَ الفارس بلهجةٍ آمرة: «من أين حصلت على هذا الوحش؟».

أجابَ كليجاين بتواضُع: «سيِّدتي أمرَتني بأن آتي به يا سيِّدي. إنه هديَّة زفافٍ للورد تَلي الشَّاب».

- «مَن سيِّدتك؟ مَن تخدم؟».

- «الليدي وِنت العجوز يا سيِّدي».

قال الفارس: «أتحسب أنها تستطيع أن تستعيد (هارنهال) بحصان؟ أهناك من هو أكثر حُمقًا من عجوزٍ حمقاء بحَقِّ الآلهة؟»، لكنه لوَّح بيده إلى الطَّريق قائلًا: «اذهب إذن».

قال كلب الصَّيد: «أمرك يا سيِّدي»، وهوى بالسَّوط على الحصانين العجوزين ليُواصِلا الرِّحلة المرهِقة. كانت العجلتان قد انغرسَتا عميقًا في الوحل في أثناء التَّوقُّف، واستغرقَ الحصانان وقتًا حتى استطاعا سحبهما من جديد، وعندئذٍ كان الكشَّافة قد ابتعدوا. حدجَهم كليجاين بنظرةٍ أخيرة، وقال ساخرًا: «السير دونل هاي. لقد أخذتُ منه خيولًا أكثر مما أستطيعُ أن أحصي، ودروعًا أيضًا، وفي مرَّةٍ كدتُ أقتله في التحامٍ جماعي».

سألَته آريا: «كيف لم يتعرَّفك إذن؟».

أجابَها: «لأن الفُرسان حمقى، كما أنه لا يليق به أن يَنظُر مرَّتين إلى فلَّاح مجدور وضيع»، وضربَ الحصانين بالسَّوط متابعًا: «أخفضي عينيكِ وتكلَّمي باحترام وقولي «سيِّدي» كثيرًا ولن يراكِ أغلب الفُرسان أبدًا. إنهم يُعيرون الخيول اهتمامًا أكثر من العوام. كان ليتعرَّف سترينچر لو أنه رآني أمتطيه من قبل».

فكَّرت آريا: لكنه كان ليتعرَّف وجهك. لا شَكَّ لديها في هذا، فليس من السَّهل أن ينسى أحد حروق ساندور كليجاين بمجرَّد أن يراها، كما أنه لا يستطيع إخفاء ندوبه تحت خوذةٍ كذلك، ليس وهي مصنوعة على شكلِ رأس كلبٍ يُزَمجر، ولهذا السَّببِ احتاجا إلى العربة وأقدام الخنازير المخلَّلة، إذ قال لها كلب الصَّيد: «لن أُجرَّ إلى أخيكِ مكبَّلًا بالسَّلاسل، وأفضِّلُ ألَّا أُقتَل رجاله حتى أصل إليه، ولذا سنلعب لُعبةً صغيرةً».

مُزارع قابَلاه مصادفةً على (طريق الملوك) زوَّدهم بالعربة والحصانين والثِّياب والبراميل، وإن لم يكن طواعيةً، فقد أخذَ منه كلب الصَّيد كلَّ هذا تحت تهديد السِّلاح، ولمَّا لعنَه الرَّجل وقال إنه لِصٌّ رَدَّ قائلًا: «لا، بل أجمعُ الإمدادات. كُن ممتنًّا لاحتفاظك بثيابك الدَّاخليَّة. والآن اخلع هذا الحذاء وإلَّا قطعتُ ساقيك. الخيار لك». كان المُزارع يُناهِز كليجاين حجمًا، ورغم ذلك اختارَ أن يخلع حذاءه ويحتفظ بساقيه.

حَلَّ عليهما المساء وهما ما زالا في الطَّريق إلى (الفرع الأخضر) وقلعتَيْ اللورد فراي التَّوأمتين، وفكَّرت آريا: أكادُ أصِلُ. تعلم أن من المفترَض أن تكون متحمِّسةً، لكن معدتها مضطربة تمامًا. ربما تكون الحُمَّى التي لا تزال تُقاومها السَّبب، وربما لا. ليلة أمس رأت حُلمًا سيِّئًا، حُلمًا شنيعًا لا تذكُره الآن، لكن الإحساس الذي خلَّفه في نفسها ظَلَّ يُرافِقها طيلة اليوم، بل وصارَ أقوى أيضًا. ضربة الخوف أمضى من السَّيف. عليها أن تكون قويَّةً الآن كما قال لها أبوها. لا شيء بينها وبين أمِّها إلَّا نهر وبوَّابة قلعة وجيش... لكنه جيش روب، فلا خطر عليها إذن، أليس كذلك؟

لكن رووس بولتون أحد أفراد هذا الجيش، اللورد عَلَقة كما يُسَمِّيه الخارجون عن القانون، وقد أقلقَها هذا. لقد تركَت (هارنهال) هربًا من بولتون بقَدر هربها من الممثِّلين السَّفَّاحين، واضطرَّت لأن تشقَّ حَلق أحد

حَرسه كي تفرَّ، فهل يعرف أنها هي التي فعلَت ذلك أم لامَ جندري أو هوت باي؟ هل أخبرَ أمَّها؟ ماذا سيفعل إذا رآها؟ غالبًا لن يتعرَّفني أصلًا. إنها تبدو أقرب إلى جرذٍ غارق أكثر من ساقية لورد هذه الأيام، جرذٍ ذَكر غارق. قبل يومين فقط جَزَّ كلب الصَّيد خُصلًا كاملةً من شَعرها، وأثبتَ أنه حلَّاق أسوأ من يورن، إذ تركَ أحد جانبَيْ رأسها أصلع. أراهنُ أن روب نفسه لن يتعرَّفني، أو أمِّي. كانت بنتًا صغيرةً حين رأتهما آخِر مرَّة، يوم غادرَ اللورد إدارد ستارك (وينترفل).

سمعا الموسيقى قبل أن يريا القلعة، دَقَّ الطُّبول البعيد ودويَّ الأبواق النُّحاسيَّة وصدح المزامير الرَّفيع تحت هدير النَّهر وصوت الأمطار التي تضرب رأسيهما. قال كلب الصَّيد: «فاتَنا الزِّفاف، لكن الأصوات تُوحي بأن الاحتفال مستمرٌّ. سأتخلَّصُ منكِ قريبًا».

لا، سأتخلَّصُ أنا منك.

كان الطَّريق يمضي إلى الشَّمال الغربي غالبًا، لكنه ينحرف هنا جنوبًا بين بُستان تفَّاح وحقل ذُرةٍ أغرقَه المطر. مَرَّا بآخِر أشجار التُّفَّاح وصعدا منحدَرًا، ثم في آنٍ واحدٍ لاحَت لهما القلعتان والنَّهر والمخيَّمات. مئات الخيول وآلاف الرِّجال، معظمهم يتسكَّع حول الخيام الثَّلاث الضَّخمة التي نُصِبَت جنبًا إلى جنبٍ في مواجَهة بوَّابة القلعة كثلاث قاعاتٍ طويلة هائلة من قماش القِنَّب. كان روب قد أقامَ معسكَره بعيدًا عن الأسوار على أرض أعلى وأكثر جفافًا، لكن مياه (الفرع الأخضر) طفحَت فوق ضفَّته وجرفَت بضع خيامٍ نُصِبَت بلا عناية.

صارَت الموسيقى القادمة من القلعتين أعلى، وتردَّد وقع الطُّبول والأبواق عبر المعسكَر. كان الموسيقيُّون في القلعة القريبة يعزفون أغنيَّةً مختلفةً عن تلك الآتية من القلعة التي على الضِّفَّة الأخرى، فبدَت كأنها معركة أكثر من غناء، وقالت آريا: «ليسوا بارعين في العزف».

أصدرَ كلب الصَّيد صوتًا ربما كان ضحكةً، وقال: «أراهنُ أن هناك عجائز صمَّاوات في (لانسپورت) يشتكين من الضَّجَّة. سمعتُ أن نظر والدر فراي ضعيف، لكن أحدًا لم يقل شيئًا عن سمعه اللَّعين».

وجدَت آريا نفسها تتمنَّى لو أن الوقت نهار. لو كانت الشَّمس مشرقةً

والرِّيح تهبُّ لاستطاعَت أن ترى الرَّايات بشكلٍ أفضل وبحثَت عن ذئب ستارك الرَّهيب أو فأس سروين الحربيَّة أو قبضة جِلوڤر، لكن في ظُلمة اللَّيل تبدو الألوان كلُّها رماديَّةً. كان المطر قد خَفَّ حتى أصبح قطراتٍ خفيفة تكاد تكون رذاذًا، لكن الوابل الذي انهمرَ مسبقًا أحالَ الرَّايات إلى خِرَقٍ مترهِّلة مشبَّعة بالماء وغير قابلةٍ للتَّمييز.

سُحِبَ عدد من العربات مكوِّنًا سياجًا بدائيًّا من الخشب حول المكان ضد أيِّ هجوم، وهناك أوقفَهما الحُرَّاس. ألقى المصباح الذي يحمله رقيبهم ما يكفي من الضَّوء لأن ترى أن لون معطفه ورديٌّ باهت مرقَّط بقطرات دمع حمراء، وقد ثبَّت رجاله على صدورهم شارة اللورد عَلقة، رجل (معقلَ الخوف) المسلوخ. حكى لهم ساندور كليجاين القصَّة نفسها التي استعانَ بها مع الكشَّافة، وإن اتَّضح أن رقيب بولتون أصعب مراسًا مما كان السير دونل هاي، وقال متهكِّمًا: «الخنازير المملَّحة ليست لحمًا يليق بمأدبة زفاف لورد».

- «معي أقدام خنازير مخلَّلة أيضًا أيها الفارس».

- «ليس للمأدبة، والمأدبة أوشكَت على الانتهاء، كما أنني شمالي ولستُ فارسًا جنوبيًّا أبله».

- «قيلَ لي أن أرى الوكيل أو الطَّاهي...».

قاطعَه الرَّقيب: «القلعة مغلَقة، وغير مسموح بإزعاج السَّادة»، ثم تفكَّر هنيهةً قبل أن يقول: «يُمكنك إفراغ حمولتك عند خيام الاحتفال، هناك»، وأشارَ بيده المقفَّزة بالحلقات المعدنيَّة متابعًا: «المِزر يُصيب الرِّجال بالجوع، وفراي العجوز لن يفتقد القليل من أقدام الخنازير، وهو بلا أسنان يأكلها بها على كلِّ حال. اسأل عن سدچكينز، سيعرف ماذا يفعل بك»، وزعقَ بأمرٍ فدحرجَ أحد رجاله إحدى العربات جانبًا ليَدخُلا.

همزَ سوط كلب الصَّيد الحصانين صوب الخيام، ولم يبدُ أن أحدًا يُعيره وآريا أيَّ اهتمام، فمَرَّا ناثرَين الماء الموحل بصفوفٍ من السُّرادقات ذات الألوان الزَّاهية، التي أضيئَت حوائطها الحرير المبتلَّة كفوانيس سحريَّة بالمصابيح والمستوقَدات في داخلها، لتتوهَّج بالورديِ والذَّهبي والأخضر، منها المخطَّط أو المموَّج أو المربَّع، ومنها المزيَّن بالطُّيور أو الحيوانات أو

الشَّارات أو النُّجوم أو العجلات أو الأسلحة. لمحَت آريا خيمةً صفراء عليها ستُّ جوزات بلُّوط، ثلاث جوزات فوق اثنتين فوق واحدة، فعرفَت أنها تنتمي للورد سمولوود، وتذكَّرت (بهو البلُّوط) البعيدة جدًّا، والليدي التي قالت إنها جميلة.

غير أن مقابل كلِّ سُرادقٍ من الحرير الوضَّاء ثمَّة دستتان من الخيام اللِّباد أو القِنَّب، قاتمة ومظلمة، وهناك ثُكنات قماشيَّة أيضًا تكفي الواحدة منها لإيواء أربعين من الجنود المُشاة، لكن حتى هذه بدَت صغيرةً مقارنةً بخيام الاحتفال الثَّلاث الضَّخمة. بدا أن الشُّرب مستمرٌّ منذ ساعات، وسمعَت آريا رجالًا يرفعون عقائرهم بالأنخاب وأكوابًا تتقارَع، ويتمازَج كلُّ هذا بأصوات المعسكَرات المعتادة من صهيل خيولٍ ونباح كلابٍ وقعقعة عرباتٍ تُجَرُّ في الظَّلام وضحكاتٍ ولعناتٍ وصرير وصليل الخشب والفولاذ. تعالَت الموسيقى أكثر وأكثر مع دنوِّهما من القلعة، لكن تحت الألحان ظَلَّ صوت أعمق وأكثر كآبةً يتردَّد، صوت (الفرع الأخضر) الفيَّاض الذي يزأر كأسدٍ في عرينه.

تلوَّت آريا وتلفَّتت محاولةً النَّظر إلى كلِّ ناحيةٍ في آنٍ واحد وآملةً في لمحةٍ من شارة الذِّئب الرَّهيب، في خيمةٍ من الرَّمادي والأبيض، في وجهٍ تعرفه من (وينترفل)، لكنها لم ترَ إلَّا الأغراب. حدَّقت إلى رجلٍ يُفرِغ مثانته وسط أعواد القصب، لكنه ليس آلبلي. رأت فتاةً نِصف عاريةٍ تهرع ضاحكةً من خيمة، لكن الخيمة ذات لونٍ أزرق باهت وليست رماديَّةً كما حسبَت في البداية، والرَّجل الذي اندفعَ يجري وراء الفتاة على سُترته قِطٌّ أشجار لا ذئب. تحت شجرةٍ كان أربعة رُماةٍ يُثبِّتون أوتارًا مشمَّعةً إلى أقواسهم الطَّويلة، لكنهم ليسوا رُماة أبيها. مَرَّ بهما مِايستر، لكنه أصغر وأنحف من أن يكون المِايستر لوين. رفعَت آريا عينيها إلى (التَّوأمتين) اللتين تتوهَّج نوافذ أبراجهما العالية حيثما اشتعلَ ضوء، وفي عتمة المطر بدَت القلعتين غامضتين تُثيران التَّوجُّس في القلوب كشيءٍ من حكايةٍ قديمة للعجوز نان، لكنهما ليستا (وينترفل).

أشدُّ الزِّحام عند خيام الاحتفال. كانت السَّدائل العريضة مُزاحةً مربوطةً لتُفسِح الطَّريق للرِّجال كي يَدخُلوا ويَخرُجوا بقرون الشَّراب والدَّوارق أو بتابعات المعسكَرات، وألقَت آريا نظرةً في الدَّاخل بينما قادَ كلب الصَّيد العربة

مارًّا بأولى الثَّلاث، فرأت مئات الرِّجال يتزاحَمون على الدِّكك ويتدافَعون حول براميل البِتع والمِزر والنَّبيذ. لا يكاد يكون هناك متَّسع لأيِّ حركةٍ في المكان، وإن لم يبدُ أن أحدًا يُمانِع، فعلى الأقل يتمتَّعون بالدِّفء والجفاف، وحسدَتهم آريا المبتلَّة الباردة. كان بعضهم يُغَنِّي، بينما حول الباب يتصاعَد البُخار من رذاذ المطر نتيجةً للحرارة المتسرِّبة من الدَّاخل، وسمعَت أحدهم يصيح: «نخب اللوردِ إدميور والليدي روزلين»، وشربوا جميعًا ثم صاحَ صوت آخَر: «نخب الذِّئب الصَّغير والملكة چاين».

تساءلَت آريا بشكلٍ عابر: مَن الملكة چاين؟ الملكة الوحيدة التي تعرفها هي سرسي.

رأت بؤر النَّار المحفورة خارج الخيام، تقيها مظلَّات بسيطة من الخشب المجدول وجلود الحيوانات من البلل، بشرط أن يَسقُط المطر مستقيمًا، لكن الرِّياح كانت تهبُّ من جهة النَّهر محمَّلةً بالرَّذاذ الذي جعلَ اللَّهب يهسُّ ويُطَقطِق، بينما دوَّر الخدم أسياخ اللَّحم فوقه. جعلَت الرَّوائح لُعاب آريا يسيل، وسألَت كلب الصَّيد: «ألا يَجدُر بنا أن نتوقَّف؟ هناك رجال شماليُّون في الخيام». تعرَّفتهم من لحاهم ووجوههم ومعاطفهم المصنوعة من فرو الدِّببة والفقمات، ومن أنخابهم شِبه المسموعة والأغاني التي يصدحون بها، تعرَّفت رجال كارستارك وأومبر وعشائر جبالِ الشَّمال. «أراهنُ أن هناك رجالًا من (وينترفل) أيضًا». رجال أبيها، رجال الذِّئب الصَّغير، ذئاب ستارك الرَّهيبة.

قال: «سيكون أخوكِ في القلعة، وأمُّكِ أيضًا. هل تُريدينهما أم لا؟».

- «نعم، لكن ماذا عن سدچكينز؟». لقد قال لهما الرَّقيب أن يسألا عن سدچكينز.

قال كليجاين: «فليَنِك سدچكينز نفسه بخازوق ساخن»، ورفعَ الكُرباج وهوى به ليصفر في المطر الخفيف وينزل على مؤخِّرة أحد الحصانين، وأردفَ: «أخوكِ اللَّعين هو مَن أريدُ».



كاتلين

كانت الطُّبول تدقُّ، تدقُّ، تدقُّ، ومعها يدقُّ رأسها.

من شُرفة الموسيقيِّين عند قدم القاعة ولولَت المزامير وناحَت النَّايات وصرخَت الكمنجات ودوَّت الأبواق وغرَّدت القِرب بنغمةٍ طَروب، لكن الطُّبول قادَت سائر الآلات، وتردَّدت أصداء الألحان على عوارض السَّقف الخشب، بينما أكلَ الضُّيوف وشربوا وصاحَ بعضهم في بعضٍ في الأسفل. لا بُدَّ أن والدر فراي أصمٌّ إذا كان يعدُّ هذا اللَّغط موسيقى. رشَفَت كاتلين من كأس نبيذٍ وشاهدَت ذا الجلاجل يتواثَب على أنغام (أليسين)، أو ما يُفترَض أن تكون تلك الأغنيَّة على الأقل، فمع هؤلاء العازفين من الممكن بسهولةٍ أن تكون (الجميلة والدُّب).

في الخارج لا يزال المطر يَسقُط، أمَّا داخل (التَّوأمتين) فالهواء ساخن مثقلٌ بالأدخنة. في المستوقَد تضطرم نار أجَّاجة، وعلى الجُدران تتَّقد صفوف من المشاعل المثبَّتة في حوامل، لكن جُلَّ الحرارة ينبعث من أجساد ضيوف الزِّفاف الذين اكتظَّت بهم الدِّكك عن آخرِها، لدرجة أن كلَّ من يرفع كأسه يكز جاره في الضُّلوع.

حتى فوق المنصَّة جلسوا متزاحمين متلاصقين على نحوٍ أثقلَ على نَفْس كاتلين ونَفَسِها، إذ خصَّصوا لها مكانًا بين السير رايمان فراي وَرووس بولتونَ، ففغمَت رائحة الاثنين أنفها. كان السير رايمان يعبُّ الشَّراب كأن (وستروس) تُوشِك على معاناة كسادٍ في الخمور، وراحَ يتصبَّب عَرقًا من إبطيه، ومع أنه تحمَّم بالماء المعطَّر باللَّيمون -كما خمَّنت- فلا ليمون في العالم من شأنه أن يطغى على صُنان عَرقه الكريه. على الجانب الآخَر رائحة رووس بولتون

أطيب بعض الشَّيء، وإن لم تكن سارَّةً أكثر، وقد جلسَ يحتسي الهيبوكراس بدلًا من النَّبيذ أو البتع ويأكل لُقيماتٍ قليلةً جدًّا.

لا تستطيع كاتلين أنِ تلومه على غياب شهيَّته، إذ بدأت وليمة الزِّفاف بحَساء كُرَّاث خفيف، تبعَته سَلطة من الفاصوليا الخضراء والبصل والبنجر، ثم طبق من سَمك الكَراكي النَّهري المسلوق في حليب اللَّوز، مع أكوام من اللِّفت المهروس الذي بردَ قبل أن يُرَصَّ على الموائد، وهُلام أمخاخ العجول، وشرائح من لحم الأبقار القاسي. وجبة أردأ من أن تُقَدَّم لملك، كما أن أمخاخ العجول قلبَتِ معدة كاتلين، إلَّا أن روب أكلَها دون شكوى، على حين انهمكَ أخوها في الكلام مع عروسه ولم يُعِر الطَّعام كثيرًا من انتباهه.

مَن يتصوَّر أن إدميور ظَلَّ يتأفَّف من روزلين طوال الطَّريق من (ريفررَن) إلى (التَّوأمتين)؟ أكلَ الزَّوج وزوجته من طبقٍ واحد، وشربا من كأس واحدة متبادلَين قُبلاتٍ خفيفة بين رشفةٍ ورشفة، وإن لوَّح إدميور بيده رافضًا معظم الأصناف، ولا تلومه كاتلين على هذا. إنها لا تَذكُر إلَّا القليل من الأطعمة التي قُدِّمَت في مأدبة زفافها. هل ذُقتها، أم أمضيتُ الوقت كلَّه محدِّقةً إلى وجد ند، أتساءلُ عن مَّن يكون؟

تصدَّرت وجه روزلين المسكينة ابتسامة لها طابع ثابت، كأن أحدًا خاطَها على وجهها، وهو ما جعلَ كاتلين تقول لنفسها: إنها عذراء عُقِدَ قرانها، لكن الإضْجاع لم يزل ينتظرها. لا ريب أنها مرعوبة مِثلما كنتُ ليلة زفافي. كان روب جالسًا بين آلكس فراي ووالدا الحسناء، وهما اثنتان من بنات فراي الأصلح للزَّواج. لقد قال اللورد والدر لابنها: «آملُ أنك لن تَرفُض الرَّقص مع فتياتي في احتفال الزِّفاف. سيُسعِد هذا قلب رجلٍ عجوز مِثلي»، ومن المفترَض أن يكون قلبه سعيدًا جدًّا الآن إذن، بما أن روب أدَّى واجبه كملك، ورقصَ مع كلٍّ من الفتيات، ومع الليدي فراي الثَّامنة وعروس إدميور، إضافةً إلى الأرملة آمي ووالدا السَّمينة زوجة رووس بولتون، والتَّوأمتين المجدورتين سيرا وسارا، وحتى مع شيري أصغر بنات اللورد والدر التي لا تزيد سِنُّها على الأعوام السِّتَّة. تساءلَت كاتلين إن كان سيِّد (المعبر) راضيًا أم سيجد سببًا جديدًا للشَّكوى في كلِّ البنات والحفيدات اللائي لم يأخذن

دورًا في الرَّقص مع الملك، وقالت للسير رايمان محاولةً أن تكون بشوشًا: «أخواتك بارعات جدًّا في الرَّقص».

قال السير رايمان: «إنهن خالات وبنات خالات»، وأخذَ جرعةً من النَّبيذ بينما يسيل العَرق النَّاضح من وجنتيه إلى لحيته.

فكَّرت كاتلين: رجل نكِد المزاج، وثمِل. قد يكون اللورد والدر فراي بخيلًا عندما يتعلَّق الأمر بإطعام ضيوفه، لكنه لم يُقَتِّر عليهم بالشَّراب، وتدفَّق المِزر والنَّبيذ والبتع بسُرعة جريان النَّهر في الخارج. كان چون الكبير سكرانًا حتى الثُّمالة بالفعل، يُنافِسه ميريت ابن اللورد والدر كأسًا بكأس، بينما غابَ السير والن فراي عن الوعي وهو يُحاوِل مجاراتهما. كانت كاتلين تُؤثِر أن يظلَّ اللورد أومبر مستفيقًا، لكن إخبار چون الكبير بألَّا يشرب بمثابة أن تَطلُب منه أن يكفَّ عن التَّنفُّس بضع ساعات.

جلسَ چون أومبر الصَّغير وروبن فلينت على مقربةٍ من روب، على الجانب الآخَر من كلٍّ من والدا الحسناء وآلكس. علاوةً على پاتريك ماليستر وداسي مورمونت لم يشرب أحدهما، فأربعتهم مكلَّفون بحراسة ابنها هذا المساء. حفل الزِّفاف ليس معركةً، لكن ثمَّة خطر دومًا حين يكون الرِّجال سكارى، ويجبَ ألَّا يكون الملك بلا حراسةٍ أبدًا، وهو ما سُرَّت له كاتلين، وسُرَّت أكثر لأحزمة السُّيوف المعلَّقة من مشاجب على الحوائط. لا أحد في حاجةٍ إلى سيفٍ طويل للتَّعامُل مع هُلام أمخاخ العجول.

قالت الليدي بولتون للسير وندل رافعةً صوتها ليسمعه فوق الموسيقى: «الجميع حسبوا أن سيِّدي سيختار والدا الحسناء». والدا السَّمينة فتاة متورِّدة الوجه مستديرة القوام ككُرة الزُّبدة، ولها عينان زرقاوان دامعتان وشَعر أصفر خفيف ونهدان عامران، وعلى الرغم من هذا فصوتها رفيع كالصَّفير الرَّاجف، ومن الصَّعب تخيُّلها في (معقل الخوف) مرتديةً فُستانها الحرير الوردي وحرملتها الفرو. «لكن السيِّد جدِّي عرضَ على رووس وزن عروسه فضَّةً كمَهر، وهكذا اختارَني اللورد بولتون!»، وتهزهزَ ذقن الفتاة المترهِّل إذ ضحكَت مضيفةً: «إنني أزنُ مئةً وعشرين رطلًا أكثر من والدا الحسناء، لكن تلك كانت المرَّة الأولى التي سعدتُ فيها لهذا. إنني الليدي بولتون الآن، وابنة عمِّي لا تزال عزباء، كما أنها ستُصبِح في التَّاسعة عشرة قريبًا، المسكينة».

لاحظَت كاتلين أن سيِّد (معقل الخوف) لم يُلقِ انتباهًا لهذه الثَّرثرة. أحيانًا يتذوَّق قطعةً من هذا الصَّنف أو ملعقةً من ذاك، أو يُمَزِّق من لُقيمةً من رغيف الخُبز بأصابعه القصيرة القويَّة، لكنه لم يَترُك الوجبة تُلهيه. كان بولتون قد رفعَ نخبًا لأحفاد اللورد فراي في بداية الحفل، متعمِّدًا أن يَذكُر أن والدر ووالدر في عناية ابنه النَّغل، ومن الطَّريقة التي زَرَّ بها العجوز عينيه محدِّقًا إليه وفمه يمتصُّ الهواء امتصاصًا أدركَت كاتلين أنه سمعَ التَّهديد اللا منطوق.

تساءلَت في نفسها: هل شهدَت الدُّنيا زفافًا أقلَّ بهجةً من هذا؟ ثم إنها تذكَّرت ابنتها البائسة سانزا وزواجها بالعِفريت. لترحمها (الأم)، إنها مرهفَة الحِسِّ للغاية. أصابَتها الحرارة والدُّخان والضَّوضاء بالغثيان. قد يكون الموسيقيُّون في الشُّرفة عديدين صاخبين، لكنهم ليسوا موهوبين بشكلٍ خاص. أخذَت كاتلين رشفةً أخرى من النَّبيذ وسمحَت لأحد الخدم بأن يُعيد ملءَ كأسها مفكِّرةً: بضع ساعاتٍ إضافيَّة وينتهي الأسوأ. في مِثل هذه السَّاعة غدًا سيكون روب في طريقه إلى معركةٍ أخرى، هذه المرَّة مع الحديديِّين في (خندق كايلن)، وغريب كم يُفعِم هذا الخاطر فؤادها بإحساسٍ أدنى إلى الارتياح. سينتصر في تلك المعركة، سينتصر في معاركه كلِّها، وحديديُّو الميلاد بلا ملك، كما أن ند أحسنَ تعليمه. كانت الطُّبول تدقُّ، وذو الجلاجل يتواثَب مارًّا بها ثانيةً، غير أن علوَّ الموسيقى الشَّديد حالَ دون سماعها رنين الأجراس.

تعالَت فوق الضَّجيج فجأةً زمجرة كلبين اشتبَكا في القتال على قطعةٍ من اللَّحم، وتدحرَجا على الأرض وهما ينهشان ويعضَّان بينما تصاعدَ هتاف مرحٍ من الحاضرين، قبل أن يَسكُب أحدهم عليهما إبريقًا من المِزر ليفترقا ويتَّجه أحدهما عارجًا إلى المنصَّة، وانفتحَ فم اللورد والدر الأهتم مطلقًا ضحكةً كالنُّباح إذ نفضَ الكلب المبتلُّ عن آخِره نفسه ناثرًا المِزر والشَّعر على ثلاثةٍ من أحفاده.

جعلَ منظر الكلبين كاتلين تتمنَّى لو أن جراي ويند هنا، لكن ذئب روب الرَّهيب غابَ من المكان، فقد رفضَ اللورد والدر السَّماح بدخوله القاعة قائلًا: «حيوانك الضَّاري يحبُّ مذاق اللَّحم البَشري كما سمعتُ، هِه، يُمَزِّق الأعناق، نعم. لن أسمح بوجود مخلوقٍ كهذا في حفل ابنتي روزلين وسط النِّسوة والأطفال، أبريائي الأحبَّاء».

رَدَّ روب محتجًا: «جراي ويند ليس خطرًا عليهم يا سيِّدي ما دمتُ موجودًا».

- «كنت موجودًا عند بوَّابتي، أليس كذلك؟ عندما هاجمَ الذِّئب أحفادي الذين أرسلتهم لاستقبالك. لقد سمعتُ بكلِّ ما جرى، فلا تحسب أني لم أفعل، هه».

- «لا أذى وقعَ...».

- «أيقول الملك لا أذى؟ لا أذى؟ بيتر سقطَ من على حصانه، سقطَ! لقد فقدتُ زوجةً بالطَّريقة نفسها، السُّقوط من على الحصان»، وتحرَّك فم العجوز إلى الدَّاخل والخارج وهو يُردِف: «أم أنها كانت مجرَّد مومس؟ أم والدر النَّغل، نعم، الآن أتذكَّرُ، سقطَت من على حصانها وشجَّت رأسها. ماذا كان صاحب الجلالة ليفعل لو كسرَ بيتر عُنقه، هه؟ تُقَدِّم لي اعتذارًا آخَر عوضًا عن حفيدي؟ لا، لا، لا. قد تكون ملكًا، فلن أقول إنك لست كذلك، الملك في الشَّمال، هه، لكن تحت سقفي تسري قواعدي. إمَّا الذِّئب وإمَّا الزِّفاف يا مولاي، ولكن ليس الاثنان».

استشفَّت كاتلين غضبة ابنها الشَّديدة، لكنه انصاعَ بكلِّ ما قدرَ عليه من كياسة، فتذكَّرت ما قاله لها: إذا أسعدَ اللورد والدر أن يُقَدِّم لي غُرابًا مسلوقًا محشوًّا باليرقات، فسآكله وأطلبُ طبقًا ثانيًا، وهذا ما فعلَه.

كان چون الكبير قد بارى واحدًا آخَر من ذُرِّيَّة اللورد والدر في الشُّرب حتى أوقعَه تحت المائدة فاقدًا الوعي، بيتر ذا الدَّمامل هذه المرَّة. الفتى لا يتمتَّع بأكثر من ثُلث قُدرته على سَفِّ الخمر، فماذا كان يتوقَّع؟ مسحَ اللورد أومبر فمه ونهضَ وبدأ يُغَنِّي: «كان هناك دُب، دُب، دُب! كلُّه أسود وبنِّي ومغطًّى بالشَّعر!». ليس صوته سيِّئًا على الإطلاق وإن أثقلَه الشَّراب بعض الشَّيء، لكن لسوء الحَظِّ كان لاعبو القِرب والمزامير والطَّبَّالون في الأعلى يعزفون (زهور الرَّبيع)، التي يُناسِب لحنها كلمات (الجميلة والدُّب) تمامًا كما تُناسِب الحلزونات وعاءً من الثَّريد، وذو الجلاجل المسكين نفسه غطَّى أُذنيه ليحجب عنهما النَّشاز الضَّاج.

تمتمَ رووس بولتون بشيءٍ ما بصوتٍ أكثر خفوتًا من أن يُسمَع، ثم نهضَ وذهبَ بحثًا عن مرحاض، وتواصلَت المعمعة في القاعة المزدحمة مع دخول

وخروج الضُّيوف والخدم بلا انقطاع. تعلم كاتلين أن مأدبةً أخرى للفُرسان واللوردات الأقل شأنًا في ذُروتها الآن في القلعة الثَّانية، وكان اللورد والدر قد نفى أولاده غير الشَّرعيِّين وأولادهم إلى ضفَّة النَّهر الأخرى، فبدأ رجال روب الشَّماليُّون يُشيرون إليها بـ«مأدبة النُّغول». لا شَكَّ أن عددًا من الضُّيوف يتسلَّل بين الحين والآخَر ليرى إن كان النُّغول يحظون بوقتٍ أفضل منهم، بل وربما يتمادى بعضهم حتى المخيَّمات، حيث وفَّر آل فراي براميل النَّبيذ والمِزر والبِتع للجنود كي يشربوا أنخاب زفاف (ريفررَن) و(التَّوأمتين).

جلسَ روب في مكان بولتون الشَّاغر، وقال بصوتٍ واطئ بينما غنَّى چون الكبير عن الجميلة ذات العسل في شَعرها: «ساعات قليلة أخرى وتنتهي هذه المهزلة يا أمَّاه. والدر الأسود يبدو وديعًا كالحِملان في الوقت الرَّاهن على الأقل، والخال إدميور يبدو قانعًا تمامًا بعروسه»، ثم مال مقتربًا، ونادى السير رايمان فراي.

حدَّق إليه السير رايمان قائلًا: «مولاي، نعم؟».

- «كنتُ آملُ أن أطلب من أوليڤار أن يكون مُرافِقي عندما نزحف شمالًا، لكني لا أراه هنا. أهو في الحفل الآخَر؟».

ردَّد السير رايمان: «أوليڤار»، ثم هَزَّ رأسه نفيًا، وقال: «لا، ليس أوليڤار. ذهبَ... غادرَ القلعتين. واجب».

- «مفهوم»، قال روب الذي نمَّت نبرته عن العكس، ولمَّا لم يقل السير رايمان المزيد قامَ الملك قائلًا: «ما رأيكِ في رقصةٍ يا أمِّي؟».

- «أشكرك، لكن لا». الرَّقص آخِر شيءٍ تُريده ورأسها ينبض بالصُّداع هكذا. «لا ريب أن إحدى فتيات اللورد والدر ستسعد بمشارَكتك الرَّقص».

قال بابتسامةٍ مستسلمة: «أوه، لا ريب».

كان الموسيقيُّون يعزفون (الرِّماح الحديد) الآن، بينما غنَّى چون الكبير (الصَّبي الشَّهواني)، وفكَّرت كاتلين: على أحدهم أن يُعرِّف بعضهم على بعض، فربما يتحسَّن الإيقاع، ثم التفتَت إلى السير رايمان قائلةً: «سمعتُ أن أحد أبناء عمومتك مغنٍّ».

قال: «أليساندر، ابن سايموند وأخو آلكس»، وأشارَ بكأسه إلى حيث تَرقُص الفتاة مع روبن فلينت.

- «هل سيُغَنِّي أليساندر لنا اللَّيلة؟».

ضيَّق عينيه قائلًا: «ليس هو، إنه غائب»، ومسحَ العَرق عن جبينه وأسرعَ ينهض مضيفًا: «بَعد إذنكِ يا سيِّدتي، بَعد إذنكِ»، وشاهدَته كاتلين يتَّجه إلى الباب مترنِّحًا.

كان إدمبور يُقَبِّل عروسه ويعتصر يدها، وفي أماكن أخرى في القاعة كان السير مارك پايپر والسير دانويل فراي مشغولَيْن بلُعبة شُرب، ولوثار الأعرج يقول شيئًا طريفًا للسير هوستين، وأحد أولاد فراي الأصغر يُشَقلِب ثلاثة خناجر في الهواء لمجموعةٍ من الفتيات الضَّاحكات، فيما جلسَ ذو الجلاجل على الأرض يلعق النَّبيذ من على أصابعه، وجاءَ الخدم حاملين صِحافًا فضِّيَّةً ضخمةً تكوَّمت عليها قِطع لحم الضَّأن الوردي كثير العُصارة، أكثر صنفٍ يفتح الشَّهيَّة رأوه طيلة أمسيَّتهم هذه.

شاركَت داسي مورمونت روب الرَّقص. عندما ترتدي فُستانًا بدلًا من قميص الحلقات المعدنيَّة تبدو ابنة الليدي مِج الكُبرى جميلةً حقًّا، فارعةً رشيقةً ذات ابتسامةٍ خجول تجعل وجهها الطَّويل يُضيء، ومن السَّار أن ترى أن براعتها في حلبة الرَّقص تُداني مهارتها في ساحة التَّدريب. تساءلَت كاتلين إن كانت الليدي مِج قد بلغَت (العُنق). لقد أخذَت بناتها الأخريات معها، لكن باعتبارها واحدةً من رفاق روب في المعارك اختارَت داسي أن تبقى إلى جانبه. إنه موهوب مِثل ند في إلهام النَّاس الإخلاص. كان أوليڤار فراي مخلصًا لابنها أيضًا. ألم يقل روب إن أوليڤار أرادَ أن يبقى معه حتى بَعد أن تزوَّج چاين؟

قاعدًا بين بُرجيه البلُّوط الأسودَيْن، صفَّق سيِّد (المعبر) بيديه اللذين بقَّعتهما السِّنون، لكن الصَّوت الذي صدرَ منهما كان خافتًا للغاية، حتى إن مَن على المنصَّة أنفسهم سمعوه بالكاد، لكن السير إينس والسير هوستين رأياه فبدآ يَدُقَّان المائدة بكأسيهما، ثم انضمَّ إليهما لوثار الأعرج، ثم مارك پايپر والسير دانويل والسير رايموند، وسرعان ما أصبحَ نِصف الضُّيوف يَدُقُّون بدورهم، وأخيرًا لاحظَت مجموعة الموسيقيِّين في الشُّرفة، وحَلَّ الهدوء محلَّ المزامير والطَّبل والقِرب.

خاطبَ اللورد والدر روب قائلًا: «يا جلالة الملك، لقد صلَّى السِّپتون

صلواته وقيلَت بضع كلمات وأحاطَ اللورد إدميور حُلوتي بمعطف الأسماك، لكنهما ليسا زوجًا وزوجةً بعدُ. السَّيف يلزَمه غِمد، هِه، والزِّفاف يلزَمه إضْجاع، فما رأي مولاي؟ هل يأذن في أن نُضجعهما؟».

بدأ عشرون أو أكثر من أبناء وأحفاد والدر فراي يقرعون الموائد بكؤوسهم من جديدٍ صائحين: «إلى الفِراش! إلى الفِراش! إلى الفِراش بهما!». غاضَت الدِّماء من وجه روزلين فابيضَّ كالحليب، وتساءلَت كاتلين إن كانت فكرة فِقدان عُذريَّتها هي ما يُخيفها أم الإضْجاع في حَدِّ ذاته. لا بُدَّ أن الطَّقس ليس غريبًا عليها في وجود كلِّ هؤلاء الإخوة والأخوات، لكن الأمر يختلف حين يكون إضْجاعها هي مقبلًا. ليلة زفاف كاتلين مزَّق چوري كاسل فُستانها من فرط تعجُّله على إخراجها منه، وظَلَّ دزموند جرل السَّكران يعتذر عن كلِّ دُعابةٍ بذيئة يلفظها، فقط ليتبع اعتذاره بأخرى، ولَمَّا رآها اللورد داستن عاريةً قال لند إن نهديها جعلاه يتمنَّى لو أنه لم يُفطَم. الرَّجلِ المسكين. ذهبَ اللورد داستن جنوبًا مع ند ولم يرجع قَطُّ. تساءلَت كم رجلًا هنا اللَّيلة سيموت قبل أن ينصرِم العام. كثيرون للأسف.

رفعَ روب يده قائلًا: «إذا كنت ترى الوقت ملائمًا أيها اللورد والدر، فهيا نُضجعهما بكلِّ تأكيد».

أُجيبَ إعلانه بتأييدٍ هادر، وفي الشُّرفة التقطَ الموسيقيُّون مزاميرهم وأبواقهم وكمنجاتهم ثانيةً وبدأوا يعزفون (خلعَت الملكة صندلها، خلعَ الملك تاجه)، وتواثبَ ذو الجلاجل من قدم إلى قدم وتاجه يرنُّ، وصاحَت آلكس فراي بجراءة: «سمعتُ أن رجال تَلي لديهم أسماك تروية بين سيقانهم بدلًا من القضبان. هل يحتاج الواحد منهم إلى دودةٍ كي ينتصب؟»، وهو ما رَدَّ عليه السير مارك پايپر قائلًا: «سمعتُ أن نساء فراي لديهن بوَّابتان بدلًا من واحدة!»، فقالت آلكس: «نعم، لكن كلتيهما مغلقتان وموصدتان أمام الأشياء الصَّغيرة من أمثالك!»، وتفجَّرت الضَّحكات الصَّاخبة طويلًا إلى أن صعدَ پاتريك ماليستر فوق مائدةٍ ورفعَ نخبًا لسمكة إدميور ذات العين الواحدة، وأضافَ: «ويا لها من سمكة كَراكي قويَّة!»، فصاحَت والدا بولتون السَّمينة المجاورة لكاتلين: «لا، أراهنُ أنها سمكة مِنوة زلِقة!»، ثم عادَ هتاف «إلى الفِراش! إلى الفِراش!» يتردَّد من جديد.

انقضَّ الضُّيوف على المنصَّة، أكثرهم ثمَلًا في الطَّليعة كالمعتاد، وأحاطَ الرِّجال والفِتية بروزلين ورفعوها في الهواء، بينما سحبَت عذارى وأمَّهات القاعة إدميور وبدأن يجذبن ثيابه. كان يضحك ويرميهن بالنِّكات الفاحشة بدوره، وإن طغى صوت الموسيقى على كلامه فلم تسمعه كاتلين، لكنها سمعَت چون الكبير الذي صاحَ بصوتٍ جهوري: «أعطوني العروس الصَّغيرة!»، ودَسَّ نفسه وسط الرِّجال وألقى روزلين على كتفه قائلًا: «انظُروا إلى هذه الفتاة الضَّئيلة! لا لحم فيها على الإطلاق!».

شعرَت كاتلين بالشَّفقة على الفتاة. معظم العرائس يُحاوِلن الرَّدَّ على المزاح البذيء، أو يتظاهَرن بأنه طريف على الأقل، إلَّا أن روزلين تيبَّست رُعبًا وتشبَّثت بچون الكبير كأنها تخشى أن يُوقِعها، وأدركَت كاتلين أن الفتاة تبكي أيضًا وهي تُشاهِد السير مارك پايپر يخلع إحدى فردتَيْ حذائها. أتمنَّى أن يترفَّق إدميور بالصَّغيرة المسكينة. ظلَّت الموسيقى المرحة تتدفَّق من الشُّرفة، حيث كانت الملكة تخلع غلالتها ويخلع الملك قميصه.

تعلم أن عليها الانضمام إلى حشد النِّساء حول أخيها، لكنها ستُفسِد لهوهن لا أكثر، وآخِر ما تحسُّ به الآن هو المرح. لا شَكَّ لديها في أن إدميور سيغفر لها الغياب، خصوصًا أن تجريد مجموعةٍ من نساء فراي الضَّاحكات الشَّبقات إياه من ثيابه وإضْجاعه أكثر أنسًا بكثيرٍ من أن تفعل هذا أخته الكئيبة المهمومة.

رأت أن روب أيضًا بقيَ في القاعة إذ حُمِلَ الرَّجل والفتاة منها مخلِّفيْن أثرًا من الملابس وراءهما. لا بُدَّ أن طبيعة والدر فراي الشَّكَّاكة ستجعله يرى إهانةً ما لابنته في هذا. حريٌّ به أن ينضمَّ إلى إضْجاع روزلين، لكن هل يحقُّ لي أن أقول له هذا؟ توتَّرت كاتلين إلى أن رأت آخَرين باقين في المكان. واصلَ پيتر ذو الدَّمامل والسير والن فراي النَّوم ورأساهما على المائدة، وصَبَّ ميريت فراي لنفسه كأس نبيذٍ جديدةً، على حين تجوَّل ذو الجلاجل في القاعة سارقًا قِطع الطَّعام مِن أطباق مَن غادَروا، وانقضَّ السير وندل ماندرلي على ساق ضأنٍ ملتهمًا إياها بنهم... وبالطَّبع كان اللورد والدر نفسه أوهى من أن يُبارِح مقعده دون عون. لكنه سيتوقَّع من روب أن يذهب، فكَّرت وهي تكاد تسمع العجوز يتساءَل لِمَ لا يُريد صاحب الجلالة أن يرى ابنته عاريةً.

وعادَت الطُّبول تدقُّ، تدقُّ وتدقُّ وتدقُّ.

وقفَت داسي مورمونت -التي يبدو أنها الأنثى الوحيدة الباقية في القاعة بخلاف كاتلين- وراء إدوين فراي ومسَّت ذراعه بخفَّةٍ وهي تهمس بشيءٍ ما في أُذنه، غير أن إدوين انتزعَ ذراعه من لمستها بعُنفٍ لا يليق، وقال بصوتٍ غالى في علوِّه: «كلا، لقد فرغتُ من الرَّقص في الوقت الحالي»، فامتقعَ وجه داسي ودارَت منصرفةً عنه.

نهضَت كاتلين ببُطءٍ متسائلةً: ما هذا الذي حدثَ بالضَّبط؟ استبدَّت الشُّكوك بقلبها الذي لم يحتلَّه سوى التَّعب قبل لحظةٍ واحدة، وحاولَت أن تقول لنفسها: إنكِ تُقَدِّرين البلاء قبل وقوعه لا أكثر. لقد صرتِ عجوزًا سخيفةً أسقمَتها المخاوف والأحزان. لكن لا بُدَّ أن شيئًا لاحَ على وجهها، حتى إن السير وندل ماندرلي سألَها وساق الضَّأن في يده: «هل من خطبٍ ما؟».

لم تُجِبه، وبدلًا من هذا ذهبَت وراء إدوين فراي. كان العازفونَ في الشُّرفة قد جرَّدوا الملك والملكة من ثيابهما تمامًا أخيرًا، ثم إنهم شرعوا دون لحظة توقُّفٍ واحدة في عزف أغنيَّةٍ أخرى من نوع مختلف تمامًا. لم يُرَدِّد أحدهم الكلمات، لكن كاتلين تعرَّفت لحن (أمطار كاستامير) في الحال حين سمعته. كان إدوين يتحرَّك مسرعًا نحو أحد الأبواب، فحثَّت الخُطى وراءه وقد دفعَتها الموسيقى، قبل أن تلحق به بستٍّ خُطواتٍ سريعة. بكِبْرٍ قال اللورد: ومَن ذا تكون كي أمرِّغ رأسي في التُّراب أمامك؟ جذبَت إدوين من ذراعه ليلتفت إليها، وتجمَّدت الدِّماء في عروقها عندما أحسَّت بملمس الحلقات المعدنيَّة تحت كُمِّه الحرير.

وهوت كاتلين على وجهه بصفعةٍ شَقَّ عُنفها شفته. أوليڤار وپروين وأليساندر، كلهم غائبون، وروزلين كانت تبكي...

دفعَها إدوين فراي جانبًا بقسوةٍ بينما أغرقَت الموسيقى كلَّ شيءٍ آخر وتردَّد صَداها على الجُدران الحجريَّة كأنما تنبعث الأنغام منها. رمقَ روب إدوين بنظرةٍ غاضبة وتحرَّك ليعترض طريقه... وترنَّح فجأةً إذ برزَ رأس السَّهم من جانبه بَعد أن اخترقَه أسفل كتفه مباشرةً. إذا كان قد صرخَ لحظتها، فقد ابتلعَ صوت المزامير والأبواق والكمنجات صرخته، ورأت كاتلين سهمًا ثانيًا ينغرس في ساقه، ورأته يَسقُط. في الشُّرفة في الأعلى كان نِصف العازفين يحمل الآن نُشَّابيَّةً بدلًا من الطُّبول والأعواد. هرعَت كاتلين صوب ابنها، وفي

منتصَف الطريق شعرَت بشيء ما يخترق أسفل ظَهرها، ووجدَت الأرضيَّة الحجريَّة القاسية تندفع إلى أعلى بغتةً لتصفعها على وجهها. صرخت: «روب!»، ورأت چون أومبر الصَّغير يُجاهِد لرفع واحدةٍ من الموائد عن قوائمها، وانغرسَ سهم وثانٍ وثالث في خشبها وهو يقلبها فوق مليكه المنطرح أرضًا. كان روبن فلينت محاصَرًا برجال فراي وخناجرهم ترتفع وتنهال عليه، ونهضَ السير وندل ماندرلي بتثاقُلٍ وهو لا يزال يحمل ساق الضَّأن التي كان يلتهمها بشراهة، فقط ليخترق سهم فاه المفغور ويَخرُج من مؤخِّرة عُنقه، وتهاوى السير وندل إلى الأمام مُسقِطًا المائدة عن قوائمها، ليطير ما عليها من أكواب وأباريق وصِحاف وأطباق ولفت وبنجر ونبيذ ويتناثَر على الأرض.

اشتعلَ ظَهر كاتلين نارًا، لكنها قالت لنفسها: يجب أن أبلغه. هوى چون الصَّغير على وجه رايموند فراي بساق ضأنٍ بكلِّ ما لديه من قوَّة، لكن سهمًا أرداه عندما مَدَّ يده ليستلَّ سيفه وأسقطَه على رُكبتيه. فحتى إن تسربلَ بالأحمر، وإن تحلَّى بالذَّهب، تظلُّ للَّيث مخالبه. رأت السير هوستين فراي يُسقِط لوكاس بلاكوود، واستعملَ والدر الأسود سيفه ليقطع أوتار رُكبة أحد أبناء ڤانس وهو يُصارِع السير هاريس هاي. ومخالبي طويلة حادَّة يا سيِّدي، طويلة حادَّة، تمامًا كمخالبك. أسقطَت السِّهام دونل لوك وأوين نوري وزُهاء دستةٍ غيرهما، ورأت كاتلين السير بنفري يقبض على ذراع داسي مورمونت، لكنها اختطفَت إبريق نبيذٍ بيدها الأخرى وحطَّمته على وجهه، قبل أن تَركُض نحو الباب الذي انفتحَ على مصراعيه قبل أن تَبلُغه، ومنه دخلَ السير رايمان فراي مكسوًّا بالفولاذ من قمَّة رأسه إلى أخمص قدميه، بينما سدَّت مجموعة من الجنود المدخل وراءه وكلٌّ منهم يحمل فأسًا طويلةً.

صرخَت كاتلين: «الرَّحمة!»، لكن استرحامها اختنقَ تحت دويِّ الأبواق والطُّبول وتقارُع الفولاذ. دفنَ السير رايمان رأس فأسه في بطن داسي، وتدفَّق الرِّجال كالسَّيل من الأبواب الأخرى مرتدين الحلقات المعدنيَّة تحت المعاطف الفرو الخشنة وفي أيديهم الفولاذ. رجال شماليُّون! طيلة نِصف نبضة قلب لا أكثر حسبَتهم آتين بالغوث، ثم إن أحدهم أطاحَ برأس چون الصَّغير من على كتفيه بضربتين مرعبتين من فأسه، وانطفأ الأمل كشمعةٍ في مهبِّ إعصار.

وفي خضمِّ المذبحة استقرَّ سيِّد (المعبر) على عرشه البلُّوط المنحوت يلتهم المنظر بعينين جشعتين.

على بُعد أقدام قليلة منها لمحَت خنجرًا على الأرض، ربما انزلقَ إلى هناك عندما قلبَ چون الصَّغير المائدة، أو ربما سقطَ من يد أحد المحتضرين. زحفَت كاتلين نحوه بأطرافٍ ثقيلة وفي فمها مذاق الدم، وقالت لنفسها: سأقتلُ والدر فراي. كان ذو الجلاجل المختبئ تحت مائدةٍ أدنى منها إلى السكِّين، لكنه جفلَ إذ اختطفَت السِّلاح. سأقتلُ العجوز، يُمكنني أن أفعل هذا على الأقل.

ثم إن المائدة التي قلبهَا چون الصَّغير فوق روب تحرَّكت، ورأت كاتلين ابنها ينهض بصعوبةٍ وقد اخترق سهم جانبه وثانٍ ساقه وثالث صدره. رفعَ اللورد والدر فراي يده، فتوقَّفت الموسيقى كلُّها باستثناء طبلةٍ واحدة ظَلَّت تدقُّ، وتناهَت إلى مسامع كاتلين أصوات معركةٍ تدور على مسافةٍ بعيدة، وأقرب منها صوت ذئب يعوي، جراي ويند الذي تذكَّرته متأخِّرًا جدًّا.

أطلقَ اللورد والدر ضحكةً ساخرةً وهو يَرمُق روب قائلًا: «هِه، الملك في الشمَّال ينهض. يبدو أننا قتلنا بعضًا من رجالك يا صاحب الجلالة. أوه، لكني سأعتذرُ لك وسيعودون في خير حال، هِه».

أطبقَت كاتلين على خُصلةٍ من شَعر ذي الجلاجل فراي الأشيب الطويل وجرَّته من تحت المائدة التي يتوارى أسفلها، وصاحَت وصوت الطَّبلة الوحيدة لا يزال يُدوِّي ببُطءٍ دوم بوم دوم: «لورد والدر! لورد والدر! كفى! أقول لك كفى! لقد جازيت الخيانة بالخيانة، فضَع نهايةً لهذا». حين ضغطَت خنجرها على حَلق ذي الجلاجل عادَت إليها ذكرى بران في غُرفة المرض والإحساس بالفولاذ على حَلقها هي، وتواصلَ دَقُّ الطَّبلة بوم دوم بوم دوم بوم دوم. «أرجوك. إنه ابني، أول أبنائي وآخِرهم. دَعه يذهب، دَعه يذهب وأقسمُ أننا سننسى هذا... سننسى كلَّ ما فعلته هنا. أقسمُ بالآلهة القديمة والجديدة أننا... أننا لن نسعى إلى الانتقام...».

حدَّق اللورد والدر إليها بريبةٍ قائلًا: «لا يُصدِّق هذا الهُراء إلَّا أحمق، فهل تعتبرينني أحمق يا سيِّدتي؟».

- «بل أعتبرك أبًا. خُذني رهينةً، وإدميور أيضًا إذا لم تكونوا قد قتلتموه، لكن دَع روب يذهب».

بصوتٍ بخفوت الهمس قال روب: «لا، لا يا أمِّي...».

- «نعم. روب، انهض، انهض واخرُج من هنا، أرجوك، أرجوك. أنقِذ نفسك... إن لم يكن من أجلي فمن أجل چاين».

ردَّد روب: «چاين؟»، وتعلَّق بطرف المائدة مُجبِرًا نفسه على النُّهوض، وقال: «أمِّي، جراي ويند...»

- «اذهب إليه، الآن. روب، اخُرج من هنا!»

قال اللورد والدر بامتعاض: «ولِمَ أتركه يفعل ذلك؟».

ضغطَت نصل الخنجر أكثر على رقبة ذي الجلاجل، وصرخَت عينا المعتوه فيها بضراعةٍ صامتة وقد فاحَت منه رائحة مقزِّزة أفعمَت أنفها، لكنها لم تُعِرها اهتمامًا أكثر مما أعارَت وقع الطَّبلة المتواصل الكئيب، بوم دوم بوم دوم بوم دوم. كان السير رايمان ووالدر الأسود يدوران حول ظَهرها، لكنها لم تبالِ. فليفعلوا بها ما يُريدون، يسجنوها، يغتصبوها، يَقتُلوها، لا فرق. لقد عاشَت أكثر من اللَّازم بالفعل، وند ينتظرها. روب هو شاغلها الأوحد الآن. اهتزَّت يدها بشدَّةٍ رَنَّت أجراس ذي الجلاجل وهي تقول: «أقسمُ بشَرفي كابنة عائلة تَلي، أقسمُ بشَرفي كابنة عائلة ستارك، سأبادلُ حياة روب بحياة ابنك. ابن مقابل ابن».

دوَّت الطَّبلة بوم بوم دوم بوم دوم، وارتجفَ السكِّين في يد كاتلين وقد جعلَه العَرق زلِقًا، ومَطَّ العجوز شفتيه قائلًا: «ابن مقابل ابن، هِه، لكن هذا ليس ابني، بل حفيدي... ولم يكن ذا نفع قَطُّ على كلِّ حال».

لحظتها تقدَّم رجل يرتدي دِرعًا داكنَةً ومعطفًا ملطَّخًا بالدِّماء من روب، وقال: «چايمي لانستر يُرسِل تحيَّاته»، وأغمدَ سيفه الطَّويل في قلب ابنها، ودوَّره.

روب خالفَ كلمته، لكن كاتلين حافظَت على كلمتها وشدَّت شَعر إجون بكلِّ قوَّتها وراحَت تحزُّ في عُنقه إلى أن بلغَ النَّصلُ العظم، وسالَ الدَّم السَّاخن على أصابعها، بينما أخذَت أجراسه الصَّغيرة ترنُّ وترنُّ وترنُّ، والطبلة تُدَوِّي بوم بوم دوم بوم دوم.

أخيرًا خلَّص أحدهم الخنجر من أصابعها، وانهمرَت الدُّموع حارقةً كالخَلِّ على وجنتيها، وأحسَّت بعشرة غِربان شرسة تُمَزِّق لحم وجهها تمزيقًا

بمخالبها الماضية، تاركةً أخاديد عميقةً امتلأت بحُمرة الدِّماء التي تذوَّقتها على شفتيها.

الألم لا يوصَف. أولادنا يا ند، كلٌّ أطفالنا الغالين. ريكون، بران، آريا، سانزا، روب... روب... أرجوك يا ند، أرجوك اجعل هذا الألم يتوقَّف، اجعله يتوقَّف... سالَت الدُّموع البيضاء والحمراء معًا على الوجه الذي مزَّقته بأظفارها، الوجه الذي لطالما أحبَّه ند، ورفعَت كاتلين ستارك يديها وشاهدَت الدِّماء تجري على أصابعها الطويلة وساعِديها إلى تحت كُمَّيْ فُستانها، وشعرَت بها كديدان حمراء بطيئة تزحف على ذراعيها وتحت ثيابها. إنها تُدَغدِغ. جعلَها الخاطر تضحَك وتضحَك وتضحَك إلى أن تفجَّر منها الصُّراخ، وسمعَت أحدهم يقول: «لقد جُنَّت، طارَ صوابها»، وقال آخَر: «فلْننْهِ هذا»، وأطبقَت يد على فروة رأسها كما فعلتَ مع ذي الجلاجل، ففكَّرت: لا، لا تفعل، لا تقطع شَعري، ند يحبُّ شَعري، ثم إنها أحسَّت بالفولاذ على جيدها، وكانت لدغته حمراء باردةً.





آريا

تجاوَزا خيام الاحتفال، ومضَت العربة فوق الطِّين المبتلِّ والعُشب الممزَّق تاركةً الأضواء وراءها وعائدةً إلى العتمة، وقد لاحَ مبنى بوَّابة القلعة أمامهما، ورأت آريا مشاعل تتحرَّك على الأسوار، يتراقَص لهبها في الرِّيح ويرتعد، وينعكس ضوؤه بخفوتٍ على القمصان المعدنيَّة والخوذات المبتلَّة، فيما يتحرَّك مزيد من المشاعل على الجسر الحجري المظلم الذي يصل بين القلعتين التَّوأمتين، طابور من الرِّجال يتدفَّق من الضِّفَّة الغربيَّة إلى الشَّرقيَّة.

قال آريا فجأةً: «القلعة ليست مغلقةً». قال الرَّقيب إن القلعة ستكون كذلك، لكنه مخطِئ. كانت الشَّبكة الحديديَّة تُسحَب إلى أعلى في هذه اللَّحظة بالذَّات، وأُنزل الجسر المتحرِّك بالفعل فوق الخندق. لقد خشيَت ألَّا يسمح لهما حَرس اللورد فراي بالدُّخول.

عضَّت على شفتها ومضغَتها لحظةً عاجزةً عن الابتسام من فرط لهفتها.

أوقفَ كلب الصَّيد العربة على حين غرَّةٍ حتى إنها كادَت تقع، وسمعَته آريا يسبُّ وقد بدأت العجلة اليُسرى تغوص في الوحل الطَّري: «بحَقِّ الجحائم السَّبع اللَّعينة!». أحسَّت بالعربة تميل ببُطء، وهدرَ كليجاين فيها: «انزلي!»، ودفعَ كتفها بكعب يده ليُسقِطها إلى جانب العربة، فهبطَت بخفَّةٍ كما علَّمها سيريو فورل، وانتفضَت واقفةً في الحال، وصرخَت: «لماذا فعلت هذا؟!». كان قد وثبَ أرضًا بدوره، وانتزعَ المقعد من على مقدِّمة العربة، ومَدَّ يده متناولًا حزام سيفه المخبَّأ.

عندئذٍ فقط سمعَت الخيَّالة المنصبِّين من بوَّابة القلعة كنهرٍ من الفولاذ والنَّار، يكاد هزيم حوافر جيادهم الحربيَّة على الجسر المتحرِّك يختفي تحت

دقَّات الطَّبل المقبلة من القلعتين في آنٍ واحد. ارتدى الرِّجال وخيولهم دروعًا من الصَّحائف المعدنيَّة، وحملَ واحدٍ من كلِّ عشرةٍ مشعلًا، بينما حملَ آخرون البلطات والفؤوس الطَّويلة ذات الرُّؤوس الشَّائكة والنِّصال الثَّقيلة القمينة بتحطيم العظام وتهشيم الدُّروع.

سمعَت آريا ذئبًا يعوي في مكانٍ ما بعيد، سمعَته على الرغم من أن عُواءه ليس عاليًا مقارنةً بضوضاء المعسكر والموسيقى ورُغاء النَّهر الضَّاري الواطئ المنذر بالويل... لكن ربما لم تسمعه بأذنيها، لكن الصَّوت الرَّاجف سرى في أعماق آريا كسكِّينٍ شحذَته الثَّورة واللَّوعة. كان خيَّالة أكثر وأكثر يَخرُجون من البوَّابة في طابورٍ بعَرض أربعة رجال لا نهاية له، فُرسان ومُرافقون ومُحارِبون غير نظاميِّين ومشاعل وفؤوس، ومن ورائهم تنبعث أصوات هرْجٍ ومرْج.

حين تلفَّتت حولها رأت اثنتين فقط قائمتيْن من خيام الاحتفال الثَّلاث، وقد انهارَت الخيمة التي في المنتصَف. مرَّت وهلة دون أن تُدرك آريا ما تراه، ثم اندلعَ اللَهب في الخيمة المتقوِّضة، وفي اللَّحظة نفسها تداعَت الاثنتان الأخريان، وانطبقَ القماش الثَّقيل المشرَّب بالزَّيت على مَن تحته، ثم حلَّق سَرب من السِّهام النَّارية في الهواء، وشبَّت النَّار في الخيمة الثَّانية وبَعدها الثَّالثة. تصاعدَ الصَّريخ ودوَّى حتى إنها بدأت تُمَيِّز شيئًا من الكلام على الرغم من علوِّ الموسيقى، وتحرَّكت أجسام مظلمة أمام اللَّهب، يلتمع فولاذ دروعها بالبرتقالي من بعيد.

معركة، إنها معركة. والخيَّالة...

لم يكن هناك وقت لمشاهَدة الخيام. النَّهر الطَّافح على ضفَّتيه جعلَ المياه السَّوداء الدَّوَّامة ترتفع بالغةً بطون الخيول، لكن الرَّاكبين خاضوا فيها على الرغم من هذا وقد همزَتهم الموسيقى. هذه المرَّة الأغنيَّة السَّابحة في الهواء آتية من القلعتين في الآنِ نفسه، وأدركَت آريا فجأةً أنها تعرفها. إنها الأغنيَّة التي شدا بها توم أبو السَّبعات في تلك اللَّيلة المطيرة حين أوى الخارجون عن القانون إلى المخمرة مع الإخوة. بِكِبْرٍ قال اللورد: ومَن ذا تكون كي أمرِّغ رأسي في التُّراب أمامك؟

تقدَّم خيَّالة فراي بجهدٍ في الوحل وبين أعواد البُوص، لكن بعضهم رأى العربة، وراقبَت آريا بينما انفصلَ ثلاثة منهم عن الطَّابور الرَّئيسي وجاءوا

خائضين المياه الضَّحلة. مجرَّد قطٍّ يكتسي بفروة الأسد، وهذا مبلغ علمي فيك.

أطلقَ كليجاين سراح سترينچر بضربةٍ واحدة من سيفه، ثم وثبَ على ظَهره، وعرفَ الجواد المُراد منه فأرهفَ أُذنيه ودارَ نحو الخيول القادمة. فحتى إن تسربلَ بالأحمر، وإن تحلَّى بالذَّهب، تظلُّ للَّيث مخالبه، ومخالبي طويلة حادَّة يا سيِّدي، طويلة حادَّة، تمامًا كمخالبك. مئة مئة مرَّة دعَت آريا أن يموت كلب الصَّيد، لكن الآن... في يدها كانت صخرة مغطَّاة بالوحل اللَّزج، ولا تَذكُر أنها التقطَتها من على الأرض. أقذفُ بها مَن؟

قفزَت جافلةً من صوت صِدام المعدن بالمعدن إذ تصدَّى كليجاين للفأس الأولى، وبينما اشتبكَ مع الرَّجل الأول دارَ الثَّاني وراءه وسدَّد ضربةً إلى أسفل ظَهره. كان سترينچر يدور لحظتها، فتلقَّى كليجاين الضَّربة خاطفةً لا أكثر، لتُمَزِّق قميص الفلَّاح الواسع وتكشف عن الحلقات المعدنيَّة تحته. ضمَّت آريا قبضتها حول الصَّخرة قائلةً لنفسها: إنه واحد ضد ثلاثة. سيقتُلونه لا محالة، وفكَّرت في مايكا، صبيِّ الجزَّار الذي ربطَتها به صداقة عابرة للغاية.

ثم إنها رأت الخيَّال الثَّالث متوجِّهًا نحوها، ودارَت آريا وراء العربة. ضربة الخوف أمضى من السَّيف. سمعَت طبولًا وأبواق حربيَّة ومزامير ونخير خيولٍ وصراخ فولاذ، لكن الأصوات كلَّها بدَت بعيدةً. ليس هناك الآن إلَّا الخيَّال المنقضُّ عليها والفأس الطَّويلة في يده. فوق دِرعه ارتدى قميصًا طويلًا، وعليه البُرجان اللذان يُفصِحان عن هُويَّته كفراي. رأتهما آريا فلم تفهم. خالها يتزوَّج ابنة اللورد فراي، وآل فراي أصدقاء أخيها. دارَ الرَّجل حول العربة، فصرخَت: «لا!»، لكنه لم يُعِرها اهتمامًا.

حين انقضَّ عليها ألقَته بالصَّخرة كما ألقَت جندري ذات مرَّةٍ بتفَّاحة. يومها أصابَت جندري بين العينين بالضَّبط، لكنها أخطأَت التَّسديد هذه المرَّة، وارتدَّت الصَّخرة جانبًا عن صُدغه، فكانت الضَّربة كفيلةً بكَسْر انقضاضته لا أكثر. تراجعَت مندفعةً على الأرض الموحلة على مشطَيْ قَدميها حتى وضعَت العربة بينهما ثانيةً، وخَبَّ الفارس وراءها، لا يلوح من عينيه إلَّا الظَّلام. لم تُحدث صخرتها مجرَّد انبعاج في خوذته حتى. دارا حول العربة مرَّةً وثانيةً وثالثةً، وشتمَها الفارس وقال: «لا يُمكنك الإفلات إلى...».

هوى رأس الفأس على منتصَف رأسه مدمِّرًا الخوذة والجمجمة التي تحتها، وطيَّر الرَّجل من فوق سَرجه ليَسقُط على وجهه مباشرةً. وراءه كان كلب الصَّيد على صهوة سترينچر. كادَت تسأله: كيف حصلتَ على الفأس؟ ثم إنها رأت. واحد من رجلَيْ فراي الآخَريْن كان عالقًا تحت حصانه المحتضر، يغرق في شِبرٍ من الماء، على حين انطرحَ الثَّاني على ظَهره بلا حراك. لم يكن يرتدي واقِي عُنق، ومن تحت ذقنه انبثقَ النَّصل المكسور.

هدرَ فيها: «ناوليني خوذتي».

كانت مدسوسةً في قعر جوالٍ من التُّفَّاح المجفَّف في مؤخِّرة العربة وراء أقدام الخنازير المخلَّلة، فقلبَت آريا الجوال وألقَتها إليه، واختطَفها من الهواء بيدٍ واحدة وثبَّتها على رأسه، وحيث كان الرَّجل، أصبحَ هناك كلب فولاذي يزوم في وجه النَّار.

- «أخي...».

زعقَ فيها: «... ماتَ. أتحسبينهم سيذبحون رجاله ويَترُكونه حيًّا؟»، والتفَت إلى المعَسكر مضيفًا: «انظُري، انظُري عليكِ اللَّعنة».

استحالَ المعسكَر إلى ميدانِ معركة. لا، بل مجزرة. بلغَ اللَّهب الذي يلتهم خيام الاحتفال منتصَف الطَّريق إلى السَّماء، بينما اشتعلَ عدد من خيام الثُّكنات أيضًا، ونِصفمئة من السُّرادقات الحرير، وفي كلِّ مكانٍ صدحَت السُّيوف. والآن تبكي الأمطار على قصره، ولا أحد هنالك يسمع. رأت فارسان يدعسان رجلًا يجري، وهوى برميل خشبي متحطِّمًا على إحدى الخيام المشتعلة، وتفجَّر لتتأجَّج النَّار أكثر. مجانيق. القلعة ترمي الزَّيت أو القار أو شيئًا كهذا.

مَدَّ ساندور كليجاين يده إليها قائلًا: «تعالي معي. يجب أن نبتعد عن هنا حالًا»، ونفضَ سترينچر رأسه بصبرٍ نافد وقد اتَّسع منخراه اللذان أفعمَتهما رائحة الدَّم. انتهَت الأغنيَّة، وتبقَّى صوت طبلةٍ واحدة تتردَّد دقَّاتها البطيئة الرَّتيبة عبر النَّهر كخفقان قلب وحش ما، وبكَت السَّماء السَّوداء ودمدمَ النَّهر وصَبَّ الرِّجال اللَّعنات وماتوا. في أسنان آريا طين، ووجهها مبتل، لكنها قالت لنفسها: مطر، مجرَّد مطر لا أكثر، وصاحَت: «إننا هنا!». خرجَ صوتها رفيعًا خائفًا، صوت فتاةٍ صغيرة. «روب في القلعة، وأمِّي أيضًا، والبوَّابة مفتوحة».

كما لم يَعُد هناك رجال فراي يَخرُجون من القلعة. لقد اقتربتُ بشدَّة. «يجب أن نذهب ونُحضِر أمِّي!».

برقَت النَّار على خَطم خوذته جاعلةً أسنانه الفولاذ تلتمع وهو يقول: «يا لك من غبيَّةٍ تَعِسة! ادخُلي ولن تَخرُجي أبدًا. ربما يَترُككِ فراي تُقَبِّلي جثَّة أمِّكِ».

– «ربما يُمكننا أن نُنقذها...».

قال: «ربما يُمكنكِ أنتِ، لكني لم أشبع من الحياة بعدُ»، وتقدَّم منها مرغِمًا إياها على التَّراجُع إلى العربة، وأردف: «ابقي أو اذهبي أيتها الذِّئبة، عيشي أو موتي، الخيار...».

دارَت آريا وانطلقَت كالسَّهم نحو بوَّابة القلعة. كانت الشَّبكة الحديديَّة تنخفض، وإنما بتؤدة. يجب أن أُسرِع. لكن الأوحال أبطأَتها، وبَعدها الماء نفسه. اركُضي بسُرعة الذِّئب. بدأ الجسر المتحرِّك يرتفع والماء يسيل منه كشلَّال والطِّين يَسقُط كُتلًا ثقيلةً. أسرِع. سمعَت مياهًا تتناثَر بصوتٍ عالٍ، ونظرَت وراءها لترى سترينچر يندفع صوبها شاقًّا الماء بعُنف، ورأت الفأس الطَّويلة أيضًا، لا تزال الدِّماء ودماغ رجل فراي تُلَطِّخها... وجرَت آريا، ليس من أجل أخيها هذه المرَّة، ولا من أجل أمِّها، بل من أجل نفسها. جرَت أسرعَ مما فعلَت في حياتها كلِّها، رأسها خفيض وقدماها تَمخُضان مياه النَّهر، جرَت منه كما فعلَ مايكا يومًا.

وأصابَتها فأسه في مؤخِّرة رأسها.





تيريون

تناوَلا العَشاء وحدهما كما يَحدُث أغلب الوقت.

مرَّةً تطوَّعت زوجته قائلةً: «البازلاء مفرِطة النُّضج».

قال: «لا يهمُّ، الضَّأن أيضًا».

كانت مزحةً، لكن سانزا اعتبرَتها انتقادًا، فقالت: «آسفةٌ يا سيِّدي».

- «لماذا؟ على أحد الطُّهاة أن يَشعُر بالأسف، لكن ليس أنتِ. البازلاء ليست اختصاصكِ يا سانزا».

- «إنني... إنني آسفةٌ لأن السيِّد زوجي مستاء».

- «أيَّ استياء أشعرُ به لا يمتُّ بصلةٍ للبازلاء. چوفري وأختي يُثيران استيائي فعلًا، وأبي أيضًا، وثلاثمئة دورني ملعون». كان قد سكَّن الأمير أوبرين ولورداته حصنًا رُكنيًّا يطلُّ على المدينة، أبعد بُقعةٍ استطاع أن يضعهم فيها بمنأى عن آل تايرل ورجالهم دون أن يَطرُدهم من القلعة كليًّا، لكنهم ما زالوا غير بعيدين بما فيه الكفاية، وبالفعل نشبَت مشاحَنة في أحد محال الأكل في (جُحر البراغيث) نتجَ عنها موت أحد جنود تايرل واحتراق اثنين من رجال اللورد جارجالِن بالحَساء المغلي، وهذا علاوةً على مواجهةٍ بغيضة في السَّاحة عندما نعتَت أُم مايس تايرل الحيزبون الضَّئيلة إلاريا ساند بـ«عاهرة الثُّعبان»، وكلما التقى أوبرين مارتل مصادفةً يسأله الأمير متى تتحقَّق العدالة. البازلاء مفرطة النُّضج أقلُّ هموم تيريون، لكنه لا يرى جدوى من الإثقال على زوجته الصَّغيرة بكلِّ هذا، فأحزان سانزا تكفيها.

قال لها بجمود: «البازلاء لا بأس بها. إنها خضراء ومستديرة، فماذا نُريد أكثر من هذا منها؟ طيِّب، سأتناولُ حصَّةً أخرى لأجل خاطِر سيِّدتي»، وأشارَ

فغرفَ بودريك باين في طبقه كمِّيَّة كبيرةً جدًّا من البازلاء غطَّت الضَّأن تمامًا، فقال لنفسه: كان هذا غباءً مني. الآن عليَّ أن آكلها كلَّها وإلَّا ستأسف ثانيةً.

انتهى العَشاء في صمتٍ مشدود ككثيرٍ جدًّا من وجباتهما، وبَعده، بينما رفعَ بود الأكواب والأطباق، طلبَت سانزا إذن تيريون في زيارة أيكة الآلهة، فأجابَها: «كما تشائين». لقد اعتادَ ذهاب زوجته لتتعبَّد كلَّ ليلة، وأحيانًا تُصلِّي في السِّبت الملكي أيضًا، حيث تُضيء الشُّموع لـ(الأُم) و(العذراء) و(العجوز). الحقيقة أنه يجد هذا التَّنسُّك مبالَغًا فيه، لكن ربما كان ليحتاج إلى عون الآلهة أيضًا لو أنه في مكانها. قال محاولًا أن يكون لطيفًا: «أعترفُ بأنني لا أعرفُ إلَّا القليل عن الآلهة القديمة. ربما تُساعِدين على تنويري ذات يوم، ويُمكنني أن أذهب معكِ أيضًا».

قالت سانزا من فورها: «لا. إنك... لُطف منك أن تعرض هذا، لكن... ليست هناك شعائر يا سيِّدي، لا رُهبان أو ترانيم أو شموع، فقط الأشجار والصَّلوات الصَّامتة. سيُصيبك الملل».

- «لا شَكَّ أنك محقَّة». إنها تعرفني أكثر مما ظننتُ. «مع أن حفيف الأشجار قد يكون بديلًا سارًّا لثرثرة السِّبتون عن وجوه الألوهيَّة السَّبعة»، وأشارَ تيريون بيده سامحًا لها بالانصراف، وأردفَ: «لن أتطفَّل إذن. ارتدي ثيابًا ثقيلةً يا سيِّدتي. الرِّيح قويَّة في الخارج». سوَّلت له نفسه أن يسألها عن صلواتها، لكن سانزا مطيعة لدرجة أنها قد تُخبِره حقًّا، وهو لا يحسب أنه يُريد أن يعرف.

عادَ إلى عمله بَعدما غادرَت، محاولًا أن يقتفي أثر بعض التَّنانين الذَّهبيَّة عبر متاهة دفاتر الإصبع الصَّغير. لم يكن بيتر بايلش يُؤمن بترك الذَّهب في الخزائن يجمع التُّراب، هذا واضح، لكن كلما حاولَ تيريون أن يستوعب ألغاز الحسابات آلمَه رأسه أكثر. من السَّهل أن تتكلَّم عن استيلاد التَّنانين بدلًا من حبسها، غير أن عددًا من المضارَبات الواردة تفوح منه رائحة فاسدة أكثر من سمكةٍ تتعفَّن منذ أسبوع. لم أكن لأترك چوفري يُلقي رجال القرون من فوق الأسوار بهذه السُّرعة لو علمتُ كم من هؤلاء الملاعين استدانَ من

التَّاج. عليه أن يُرسل برون يبحث عن ورثتهم، وإن كان يخشى أن يكون ذلك أكثر عبثًا من محاوَلة اعتصار الفضَّة من السَّمك الفضِّي[1].

حين بلغَه استدعاء السيِّد والده كانت المرَّة الأولى على الإطلاق التي يُسَرُّ فيها لرؤية السير بوروس بلاونت، فأغلقَ الدَّفاتر شاعرًا بالامتنان وأطفأ المصباح الزَّيتي وثبَّت معطفًا حول كتفيه، ثم خرجَ قاطعًا القلعة إلى (بُرج اليد). ألفى الرِّيح قويَّةً بالفعل كما حذَّر سانزا، وفي الهواء رائحة مطر وشيك. ربما عليه بَعد أن يَفرُغ منه اللورد تايوين أن يذهب إلى أيكة الآلهة ويُعيدها إلى مسكنهما قبل أن تبتلَّ عن آخِرها.

لكن كلَّ هذا تبخَّر من عقله عندما دخلَ غُرفة اليد الشَّمسيَّة ليجد سرسي والسير كيڤان والمايستر الأكبر پايسل مجتمعين حول اللورد تايوين والملك، يكادُ چوفري يتواثَب طربًا على حين رسمَت سرسي على شفتيها ابتسامةً متكلِّفةً، وإن بدا اللورد تايوين صارمًا كديدنه. تُرى هل بإمكانه أن يبتسم حتى إذا أرادَ؟ سألَهم: «ماذا حدثَ؟».

ناوَله أبوه رَقًّا. كان أحدهم قد سوَّاه، لكنه لا يزال يُريد الانطواء على رسالته التي تقول: «روزلين صادَت سمكة تروِيت سمينة ممتازة، وأهداها إخوتها زوجين من فرو الذِّئاب في زفافها». قلبَ تيريون الورقة ليرى الختم المكسور، ووجدَ شمعه رماديًّا مائلًا إلى الفضِّي وفيه ينغرس بُرجا عائلة فراي التَّوأمان، فعلَّق ساخرًا: «هل يتصوَّر سيِّد (المعبر) أنه يقرض الشِّعر أم أن المفترَض أن يُحَيِّرنا الكلام؟ السَّمكة هي إدميور تَلي، وفروتا الذِّئاب...».

– «لقد ماتَ!»، صاحَ چوفري وقد بدا سعيدًا فخورًا كأنه سلخَ فروة روب ستارك بيديه.

أولًا جرايچوي والآن ستارك. ذهبَت أفكار تيريون إلى زوجته الطِّفلة التي تُصَلِّي في أيكة الآلهة الآن بالذَّات. تُصَلِّي لآلهة أبيها أن تَنصُر أخاها وتحمي أمَّها لا ريب. لكن من الواضح أن الآلهة القديمة لا تكترث للدُّعاء أكثر من الجديدة، وربما عليه أن يجد في هذا مواساةً ما. «الملوك يتساقَطون كأوراق الشَّجر هذا الخريف، ويبدو أن حربنا الصَّغيرة تربح نفسها بنفسها».

---

(1) السَّمك الفضِّي حشرة ضارَّة معروفة أيضًا باسم لاحسات السُّكَّر، واكتسبَت اسمها من لونها الرَّمادي المائل إلى الفضِّي وحركتها الشَّبيهة بحركة الأسماك. (المترجم).

قالت سرسي بعذوبةٍ سامَّة: «الحروب لا تربح نفسها يا تيريون. السيِّد والدنا هو من ربحَ هذه الحرب».

رَدَّ اللورد تايوين منذرًا: «لا ربح هنالك ما دامَ الأعداء في الميدان».

جادلَته الملكة قائلةً: «لوردات النَّهر ليسوا حمقى. دون الشَّماليِّين فلا أمل لهم في التَّصدِّي لقوَّة (هايجاردن) و(كاسترلي روك) و(دورن) في آنٍ واحد. مؤكَّد أنهم سيُفَضِّلون الرُّضوخ على الدَّمار».

– «معظمهم. ستبقى (ريڤرَن)، لكن ما دامَ إدميور تَلي رهينة والدر فراي، فلن يجرؤ السَّمكة السَّوداء على تهديده. چيسون ماليستر وتايتوس بلاكوود سيُواصِلان القتال امتثالًا لأصول الشَّرف، لكن آل فراي يستطيعون حصار آل ماليستر في (سيجارد)، وفي وجود الحافز الصَّحيح من الممكن إقناع چونوس براكن بتبديل ولائه ومهاجمَة آل بلاكوود. في النِّهاية سيركعون، نعم، كما أني أنوي أن أعرض شروطًا سخيَّةً. أيَّ قلعةٍ تستسلم لن يمسَّها سوء، باستثناء واحدة».

تساءلَ تيريون الذي يعرف أباه: «(هارنهال)؟».

– «خلاص البلاد من رِفقة الشُّجعان هذه في صالحها. لقد أمرتُ السير جريجور بالفتك بحامية القلعة».

جريجور كليجاين. يبدو أن السيِّد والده ينوي استنزاف الجبل حتى آخِر قطرة قبل أن يُسَلِّمه إلى عدالة الدورنيِّين. ستُعَلَّق رؤوس رِفقة الشُّجعان على الخوازيق، ويَدخُل الإصبع الصَّغير (هارنهال) متبخترًا دون قطرة دم واحدة على ثيابه الثَّمينة. تساءلَ إن كان پيتر بايلش قد بلغَ (الوادي) بعدُ. إذا شاءَت الآلهة خيرًا فقد داهمَته عاصفة في البحر وغرقَ. لكن منذ متى والآلهة تشاء خيرًا؟

أعلنَ چوفري فجأةً: «يجب أن يُقتَلوا جميعًا، آل ماليستر وبلاكوود وبراكن... الجميع. كلُّهم خونة وأريدهم موتى يا جدِّي. لن أسمح بأيِّ شروطٍ سخيَّة»، والتفتَ الملك إلى المِايستر الأكبر پايسل مضيفًا: «وأريدُ رأس روب ستارك أيضًا. اكتُب للورد فراي وأخبِره أنه أمر الملك. سأقدِّمه لسانزا على طبق في مأدبة زفافي».

قال السير كيڤان مصدومًا: «جلالة الملك، الليدي الآن زوجة خالك».

ابتسمَت سرسي وقالت: «دُعابة، چوف لا يقصد».

قال چوفري بإصرار: «بل أقصدُ. لقد كان خائنًا، وأريدُ رأسه السَّخيف. سأجعلُ سانزا تُقبِّله».

بصوتٍ أجش قال تيريون: «لا. سانزا لم تَعُد لك كي تُعذِّبها. افهم هذا أيها الوحش».

قال چوفري هازئًا: «أنت الوحش يا خالي».

مالَ تيريون برأسه جانبًا، وقال: «حقًّا؟ ربما عليك أن تتلطَّف في كلامك معي إذن. الوحوش مخلوقات خطرة، والآن تحديدًا الملوك يتساقَطون كالذُّباب».

رَدَّ الملك الصَّبي ووجهه يحتقن: «يُمكنني أن آمر بقطع لسانك لما قلته. أنا الملك!».

وضعَت سرسي يدًا واقيةً على كتف ابنها، وقالت: «دَع القزم يُهَدِّد كما يُريد يا چوف. أريدُ أن يراه أبي وعمِّي على حقيقته».

تجاهلَ اللورد تايوين قولها مخاطبًا چوفري: «إيرس أيضًا أحسَّ بالحاجة إلى تذكير النَّاس بأنه الملك، وكان مغرمًا نوعًا بقطع الألسنة كذلك. سَل السير إلين پاين، مع أنه لن يُجيبك».

قالت سرسي: «السير إلين لم يجرؤ قَطُّ على استفزاز إيرس كما يستفزُّ عِفريتك چوف. أنت سمعته يقول لصاحب الجلالة إنه وحش، ويُهَدِّده...».

- «صمتًا يا سرسي. چوفري، عندما يتحدَّاك أعداؤك فيجب أن تُواجههم بالفولاذ والنَّار، لكن عندما يركعون فعليك أن تُساعِدهم على النُّهوض ثانيةً، وإلَّا فلن يركع لك أحد أبدًا. كلُّ من يجد حاجةً إلى أن يقول إنه الملك ليس ملكًا على الإطلاق. إيرس لم يفهم هذا قَطُّ، لكنك ستفعل. عندما أنتصرُ لك في حربك سنُعيد إقامة سلام الملك وعدله، وما عليك الآن إلَّا أن تشغل نفسك بفَضِّ بكارة مارچري تايرل».

ارتسمَت على وجه چوفري تلك النَّظرة الواجمة الشَّكسة إياها. كانت سرسي مطبقةً على كتفه، لكن ربما كان الأحرى أن تُطبِق على عُنقه. باغتَهم الصَّبي جميعًا، وبدلًا من أن يجدَّ الخُطى عائدًا إلى صخرته ويتوارى تحتها بأمان، شَدَّ قامته متحدِّيًا، وقال: «تتكلَّم عن إيرس يا جدِّي، لكنك كنت تخشاه».

أوه، أصبحَ الأمر شائقًا.

أمعنَ اللورد تايوين النَّظر إلى حفيده بصمتٍ وقُشيرات الذَّهب تلتمع في عينيه الخضراوين الباهتتين، أمَّا سرسي فقالت: «چوفري، اعتذر لجدِّك».

تملَّص منها قائلًا: «ولِمَ؟ الكلُّ يعلم أنها الحقيقة. أبي هو من انتصرَ في المعارك كلِّها، هو من قتلَ الأمير ريجار وأخذَ التَّاج بينما كان أبوكِ أنتِ مختبئًا تحت (كاسترلي روك)»، ورمقَ جدَّه بتحدٍّ مردفًا: «الملك القوي يتصرَّف بجراءة، ولا يتكلَّم فحسب».

قال اللورد تايوين بكياسةٍ كادَت برودتها تُجَمِّد آذانهم: «أشكرك على حكمتك يا جلالة الملك. سير كيڤان، أرى أن الملك متعَب. من فضلك اصحبه إلى غُرفة نومه. پايسل، ربما يُساعِد عقَّار خفيف جلالته على النَّوم مرتاحًا».

- «نبيذ النَّوم يا سيِّدي؟».

قال چوفري بعناد: «لا أريدُ نبيذ النَّوم».

كان اللورد تايوين ليُعير فأرًا يصرُّ في رُكن الغُرفة اهتمامًا أكثر وهو يقول: «لا بأس بنبيذ النَّوم. سرسي، تيريون، ابقيا».

قادَ السير كيڤان چوفري من ذراعه بحزم وخرجَ به من الباب، حيث وقفَ اثنان من الحَرس الملكي منتظريْن، وهرعَ المِايستر الأكبر پايسل وراءهما بأسرع ما تستطيع ساقاه العجوزان الرَّاجفتان، وبقيَ تيريون في مكانه.

قالت سرسي حين انغلقَ الباب: «أبي، إنني آسفة. لطالما كان چوفري عنيدًا. لقد حذَّرتك...».

- «شتَّان ما بين العناد والغباء. الملك القوي يتصرَّف بجراءة؟ من قال له هذا؟».

- «ليس أنا، أؤكِّدُ لك. غالبًا هو شيء سمعَ روبرت يقوله...».

- «الجزء الخاص باختبائك تحت (كاسترلي روك) يبدو كشيءٍ يُمكن أن يقوله روبرت»، قال تيريون الذي لا يُريد اللورد تايوين أن ينسى.

قالت سرسي: «نعم، تذكَّرتُ الآن. كثيرًا ما قال روبرت لچوف إن على الملك أن يكون جريئًا».

- «وماذا كنتِ تقولين له أنتِ يا تُرى؟ إنني لم أخُض حربًا لأضع روبرت

الثَّاني على العرش الحديدي. لقد صوَّرتِ لي أن الصَّبي لا يحبُّ أباه على الإطلاق».

- «ولِمَ يحبُّه؟ روبرت تجاهَله تمامًا، وكان ليضربه لو سمحتُ له. ذلك المتوحِّش الذي جعلتني أتزوَّجه ضربَ جوف مرَّةً وهو صغير فكسرَ اثنتين من أسنانه، بسبب مشاغَبةٍ ما مع قِطَّة. قلتُ له إنني سأقتله في نومه إذا فعلَها ثانيةً، ولم يفعلها، لكن أحيانًا كان يقول أشياء...».

قاطعَها اللورد تايوين: «يبدو أن هناك أشياء كان يجب أن تُقال»، وأشارَ لها بإصبعين صارفًا إياها، وقال باقتضاب: «اذهبي».

وذهبَت تتميَّز من الغيظ.

قال تيريون: «ليس روبرت الثَّاني، بل إيرس الثَّالث».

رَدَّ اللورد تايوين: «الصَّبي في الثَّالثة عشرة. ما زالَ هناك وقت»، وذهبَ إلى النَّافذة بخُطواتٍ واسعة، وهو ما يُخالِف عادته، فأدركَ تيريون أنه مستاء أكثر مما يُبدي. «إنه يتطلَّب درسًا قاسيًا».

لم ينسَ تيريون الدَّرس القاسي الذي تعلَّمه هو في الثَّالثة عشرة، وكادَ يَشعُر بالشَّفقة على ابن أخته، لكن من ناحيةٍ أخرى فلا أحد يستحقُّ أن يُلقَّن درسًا أكثر منه. قال: «دَعنا من چوفري. بعض الحروب يُربَح بالرِّيش والغِدفان، أليس هذا ما قلته؟ يجب أن أهنِّئك. منذ متى وأنت تطبخ هذه المؤامرة مع والدر فراي؟».

قال اللورد تايوين بجمود: «لا أحبُّ هذه الكلمة».

- «وأنا لا أحبُّ أن أكون مغفَّلًا».

- «لم يكن هناك داعٍ لإخبارك لأنه لم يكن لك دور».

سألَ تيريون بلا موارَبة: «هل كانت سرسي تعرف؟».

- «لم يعرف أحد شيئًا إلَّا من كان لهم دور، وهؤلاء لم يعرفوا إلَّا قَدر الحاجة. عليك أن تعلم أن لا سبيل آخَر للحفاظ على الأسرار، خصوصًا هنا. كان هدفي أن أخلِّصنا من عدو خطير بأرخص تكلفةٍ ممكنة، لا أن أُشبِع فضولك أو أجعل أختك تَشعُر بالأهميَّة»، وأغلقَ اللورد تايوين مصراعَيْ النَّافذة مقطِّبًا وجهه، وأضافَ: «إنك تتمتَّع بنوعٍ معيَّن من الدَّهاء يا تيريون، لكن الحقيقة الجليَّة أنك تتكلَّم كثيرًا! لسانك الطَّليق هذا سيكون هلاكك».

- «كان عليك أن تَترُك چوف يقطعه».

- «خيرٌ لك ألّا تُغريني بأن أفعلها. لن أسمع المزيد عن هذا. إنني أفكرُ منذ فترةٍ في أفضل طريقة لاسترضاء أوبرين مارتل وحاشيته».

- «أوه؟ أهذا شيء يُمكنني أن أعرفه، أم أن عليَّ أن أتركك تُناقِشه مع نفسك؟».

تجاهلَ أبوه التَّعليق السَّاخر قائلًا: «وجود الأمير أوبرين هنا مؤسف. أخوه رجل حذِر، رجلٍ متعقِّل، أريب، متأنٍّ، بل ومتوانٍ إلى حَدٍّ ما، رجل يزن عواقب كلِّ كلمةٍ وكلِّ فِعل، لكن أوبرين كان شِبه مجنون دومًا».

- «أصحيح أنه حاول أن يحشد جيوش (دورن) لڤسيرس؟».

- «لا أحد يتكلَّم عن هذا، لكن نعم. حلَّقت غِدفان وركبَ خيَّالة برسائل لم أعرف محتواها قَطُّ، لكن چون آرن أبحرَ إلى (صنسپير) ليُعيد رُفات الأمير ليوين وجلسَ مع الأمير دوران ووضعَ نهايةً لكلِّ الكلام عن الحرب. لم يذهب روبرت إلى (دورن) بَعدها إطلاقًا، ونادرًا ما غادرَها الأمير أوبرين».

- «طيِّب، إنه هنا الآن وفي ذيله نِصف نُبلاء (دورن)، وصبره يتناقَص كلَّ يوم. ربما عليَّ أن أريه مواخير (كينجز لاندنج) لألهيه. هناك أداة لكلِّ مهمَّة، أليس كذلك؟ وأداتي تحت إمرتك يا أبتاه، كي لا يقول أحد أبدًا إن عائلة لانستر نادَت ولم ألبِّ النِّداء».

زَمَّ اللورد تايوين فمه قائلًا: «طريف جدًّا. هل أجعلهم يحيكون لك ثوب مهرِّجين وقبَّعةً بأجراس؟».

- «إذا لبسته، فهل تأذن لي في قول كلِّ ما أريده عن جلالة الملك چوفري؟».

عادَ اللورد تايوين يجلس، وقال: «لقد تحمَّلتُ حماقات أبي رغمًا عني، لكنني لن أتحمَّل حماقاتك. كفى».

- «ليكن، ما دُمت قد طلبت برفق. لكنني أخشى أن الأفعوان الأحمر لن يكون رفيقًا... ولن يقنع برأس السير جريجور وحده».

- «وهو السَّبب الأدعى لألّا نُعطيه إياه».

قال تيريون مبهوتًا: «لا نُعطيه... حسبتنا اتَّفقنا على أن الغابة ملأى بالوحوش».

شبَّك اللورد تايوين يديه تحت ذقنه قائلًا: «وحوش أقلُّ قيمةً. لقد أحسنَ السير جريجور خدمتنا، ولا فارس غيره في البلاد يُنزل الرُّعب بقلوب أعدائنا مِثله».

- «أوبرين يعلم أن جريجور هو الذي...».

- «إنه لا يعلم شيئًا. كلُّ ما سمعَه مجرَّد حكايات، نميمة الاسطبلات وافتراءات المطابخ، لكنه لا يملك خردلة دليل، والسير جريجور لن يعترف له. إنني أنوي إبقاءه بعيدًا حتى يُغادِر الدورنيُّون المدينة».

- «وحين يُطالِب أوبرين بالعدالة التي أتى سعيًا إليها؟».

أجابَ اللورد تايوين بهدوء: «سأقولُ له إن السير آموري لورك قتلَ إليا وطفليها، وهذا ما ستقوله أنت إذا سألَك».

قال تيريون بنبرةٍ فاترةٍ: «السير آموري ميت».

- «بالضَّبط. ڤارجو هوت جعلَ دُبًّا يُمَزِّق السير آموري إربًا عقب سقوط (هارنهال). المفترَض أن تكون تلك النِّهاية بشعةً بما يكفي لإرضاء أوبرين مارتل نفسه».

- «ربما تعدُّها أنت عدالةً...».

- «إنها عدالة. السير آموري هو من أتاني بجثَّة الفتاة إذا كان لا بُدَّ أن تعلم. وجدَها مختبئةً تحت فِراش أبيها، كأنها آمنَت بأن ريجار لا يزال يستطيع حمايتها، والأميرة إليا والرَّضيع كانا في الحضانة أسفلها بطابق».

- «حكاية ليس السير آموري موجودًا ليُنكِرها. ماذا ستقول لأوبرين لمَّا يسألك عن من أعطى لورك أوامره؟».

- «السير آموري تصرَّف من تلقاء نفسه على أمل أن يجد حظوةً لدى الملك الجديد. مقت روبرت لريجار لم يكن سِرًّا».

فكَّر تيريون مسلِّمًا: قد يَصلُح هذا، لكن الثُّعبان لن يرضى، ثم إنه قال: «ليس لي إطلاقًا أن أشكِّك في ألمعيَّتك يا أبي، لكنني لو كنتُ مكانك لتركت روبرت باراثيون يُلَوِّث يديه بالدِّماء بنفسه».

حدَّق اللورد تايوين إليه كأنه فقدَ صوابه، وقال: «إنك تستحقُّ ثوب المهرِّجين حقًّا. لقد تأخَّرنا في الانضمام إلى قضيَّة روبرت، وكان ضروريًّا أن نُبرهِن على إخلاصنا. عندما مدَّدت هاتين الجثَّتين أمام العرش لم يَعُد هناك

أدنى شَك في تخلِّينا عن عائلة تارجاريَن إلى الأبد، وراحة روبرت كانت ملموسةً للغاية. على الرغم من غبائه كان يعلم أن موت طفلَيْ ريجار محتَّم إذا أراد أن يُؤَمِّن العرش تمامًا، لكنه رأى نفسه بطلًا، والأبطال لا يَقتُلون الأطفال»، وهَزَّ أبوه كتفيه مضيفًا: «أعترفُ أن الأمر تَمَّ ببشاعة. لم تكن هناك حاجة إلى أذيَّة إليا على الإطلاق، تلك كانت حماقةً، ففي حَدِّ ذاتها لم تكن للأميرة قيمة».

- «لماذا قتلَها الجبل إذن؟».

- «لأني لم أُخبره بأن يعفو عنها. أشكُّ في أني ذكرتها أصلًا، لأن عقلي كان مشغولًا بهمومٍ أدعى. طليعة ند ستارك كانت تهرع جنوبًا بَعد (الثَّالوث)، وخشيتُ أن تصلَ الأمور إلى القتال بيننا، كما أن إيرس كان ليَقتُل چايمي لا لسببٍ إلَّا النِّكاية. هذا أكثر ما تخوَّفتُ منه، هذا وما قد يفعله چايمي نفسه»، وضَمَّ أبوه قبضته متابعًا: «ثم إنني لم أكن قد استوعبتُ كنه جريجور كليجاين بعدُ. كلُّ ما عرفته عنه وقتها، أنه ضخم ورهيب في المعارك، لكن الاغتصاب... حتى أنت لن تتَّهمني بإعطاء هذا الأمر كما آملُ. السير آموري تصرَّف بالبهيميَّة نفسها تقريبًا مع ريينس. فيما بَعد سألته لماذا تطلَّب خمسين طعنةً ليُجهز على فتاةٍ عُمرها... عامان؟ ثلاثة؟ قال إنها ركلَته ولم تكفَّ عن الصُّراخ. لَو أن الآلهة أنعمَت على لورك بِنصف عقل حبَّة لفت لهدَّأها ببضع كلماتٍ رفيقة واستخدمَ وسادةً حريريَّةً ناعمةً»، والتوى فمه وهو يُضيف: «كانت دماؤه فائرةً».

لكن ليست دماءك أنت يا أبي، دماء تايوين لانستر لا تفور أبدًا. «وهل قُتِلَ روب ستارك بوسادةٍ حريريَّةٍ ناعمة؟».

- «المفترَض أنه كان سهمًا في حفل زفاف إدميور تَلي. الصَّبي كان بالغ الحذر في الميدان، رجاله منظَّمون دائمًا ويُحيط به الخيَّالة والحَرس الشَّخصيُّون».

كوَّر تيريون قبضته قائلًا: «وهكذا اغتالَه اللورد والدر تحت سقفه وعلى مائدته؟ وماذا عن الليدي كاتلين؟».

- «قُتِلَت أيضًا في تقديري. زوجان من فرو الذِّئاب. كان فراي ينوي أسْرها، لكن ربما حادَ عن الخطَّة لسببٍ ما».

- «وليذهب حَقُّ الضِّيافة إلى حيث ألقَت».
- «الدَّم على يد والدر فراي لا يدي».
- «والدر فراي عجوز نكِد يعيش للعبث بجسد زوجته الشَّابَّة وإطالة التَّفكير في كلِّ ما تحمَّله من إهانات. لا أشكُّ في أن عقله تفتَّق عن هذه الخطَّة القبيحة، لكنه لم يكن ليَجسُر على تنفيذها لولا وعد بالحماية».
- «وهل كنت لتعفو عن حياة الصَّبي وتقول لوالدر فراي إنك لا تحتاج إلى ولائه؟ كان جواب كهذا ليُلقي العجوز الأحمق في أحضان ستارك ثانيةً ويُطيل الحرب سنةً أخرى. اشرح لي، ما الأشرف في قتل عشرة آلاف رجل في معركة من قتل دستة على العَشاء؟»، ولمَّا لم يُجِب تيريون واصلَ أبوه: «الثَّمن كان بخسًا بكلِّ المقاييس. بمجرَّد استسلام السَّمكة السَّوداء سيمنح التَّاج السير إمون فراي (ريفررَن)، وعلى لانسل وداڤن أن يتزوَّجا اثنتين من بنات فراي، وچوي ستتزوَّج أحد أبنائه الطَّبيعيِّين فور أن تَبلُغ، ورووس بولتون سيُصبِح حاكم الشَّمال ويأخذ آريا ستارك إلى وطنها».
أمالَ تيريون رأسه إلى الجانب قائلًا: «آريا ستارك؟ من السَّهل أن أخمِّن أن فراي لم يملك الشَّجاعة لأن يتصرَّف وحده، لكن آريا... ڤارس والسير چاسلين بحثا عنها أكثر من نِصف عام، ومؤكَّد أن آريا ستارك ميتة».
- «رنلي أيضًا كان ميتًا حتى معركة (النَّهر الأسود)».
- «ما معنى هذا؟».
- «ربما نجحَ الإصبع الصَّغير في ما فشلت فيه أنت وڤارس. اللورد بولتون سيُزَوِّج الفتاة ابنه النَّغل، وسنسمح لـ(معقل الخوف) بقتال الحديديِّين بضع سنوات ونرى إن كان بإمكاننا إخضاع بقيَّة حمَلة راية ستارك، وبحلول الرَّبيع سيكونون جميعًا مثخَنين بالجراح ومستعدِّين للرُّكوع، ثم يذهب الشَّمال إلى ابنك من سانزا ستارك... إذا وجدت في نفسك ما يكفي من رجولةٍ لإنجاب ابن. خشية أن تنسى، ليس چوفري وحده من عليه أن يهتمَّ بفَضِّ بكارة فتاة».
فكَّر تيريون: لم أنسَ، مع أني تمنَّيتُ أنك نسيت، ثم بلهجةٍ تَقطُر حمضًا سألَ أباه: «ومتى ستكون سانزا في أوج خصوبتها في رأيك؟ قبل أم بَعد أن أقول لها إننا اغتَلنا أمَّها وأخاها؟».



داڤوس

مرَّت لحظة والملك يبدو كأنه لم يسمع، فلم يَلُح عليه سرور أو غضب أو تشكيك أو حتى راحة إذ تلقَّى الخبر، فقط حدَّق إلى مائدته المرسومة بفَكٍّ مطبق عن آخِره، وسأَلَ: «أأنت واثق؟».

قال سالادور سان: «لم أرَ الجثَّة بعينَيْ يا صاحب المُلك، لكن الأُسود يتواثَبون ويَرقُصون طربًا في المدينة. العامَّة يُسَمُّونه الزِّفاف الأحمر، ويُقسِمون أن اللورد فراي قطعَ رأس الصَّبي وخاطَ رأس ذئبه الرَّهيب على كتفيه مكانه، وثبَّت تاجًا بالمسامير حول أذنيه. السيِّدة والدته قُتِلَت أيضًا، وألقوا جثَّتها العارية في النَّهر».

فكَّر داڤوس: في أثناء زفاف، بينما جلسَ إلى مائدة قاتِله ونزلَ ضيفًا تحت سقفه. آل فراي هؤلاء ملعونون. بإمكانه الآن أن يشمَّ رائحة الدَّم المحروق ويسمع العَلَقة تهسُّ وتُطَقطِق على جمرات المستوقَد السَّاخنة.

أعلنَ السير آكسل: «قتلَته غضبة الإله، قتلَته يد راهلور!».

- «الرِّفعة لإله الضِّياء!»، ترنَّمت الملكة سيليس، المرأة النَّاحلة الصُّلبة ذات الأُذنين الكبيرتين والزَّغب فوق شفتها العُليا.

تساءلَ ستانيس: «هل يد راهلور مبقَّعة راجفة؟ يبدو لي أن ما حدثَ كان بيد والدر فراي وليس أيِّ إله».

قالت مليساندرا والياقوتة على حَلقها تلتمع بالأحمر: «راهلور يختار ما يُناسِبه من أدوات. للإله طرائقه الغامضة، لكن لا أحد بمقدوره أن يُجابِه إرادته النَّاريَّة».

صاحَت الملكة: «لا أحد بمقدوره مجابَهته!».

قال ستانيس: «صمتًا يا امرأة. إنكِ لستِ عند نار ليليَّة الآن»، وتفحَّص المائدة المرسومة مردفًا: «الذِّئب لم يَترُك وريثًا، والكراكِن ترك ورثةً أكثر من اللَّازم، وسيلتهم الأُسود الجميع ما لم... سان، أريدُ أن تحمل أسرع سُفنك مبعوثين إلى (جُزر الحديد) و(الميناء الأبيض). سأعرضُ العفو، العفو الكامل عن كلٍّ من يرجع في خيانته ويُقسِم بالولاء لملكه الشَّرعي. لا مناص من أن يروا...».

قاطعَته مليساندرا بنعومة: «لن يروا. آسفةٌ يا جلالة الملك، لكن هذه ليست النِّهاية، وقريبًا سيظهر المزيد من الملوك الزَّائفين ليعتمروا تيجان مَن ماتوا».

بدا ستانيس كأنه كان ليَخنُقها بكلِّ سرورٍ لحظتها وهو يقول: «المزيد؟ المزيد من الغاصبين؟ المزيد من الخونة؟».

- «هذا ما رأيته في اللَّهب».

دنَت الملكة سيليس من الملك قائلةً: «إله الضِّياء أرسلَ مليساندرا كي تقودك إلى مجدك، فأتوسَّلُ إليك أن تسمعها. لهب راهلور المقدَّس لا يكذب».

- «هناك أكاذيب وأكاذيب يا امرأة. حتى عندما يقول هذا اللَّهب الصِّدق يظلُّ الكلام مليئًا بالحِيل والألاعيب».

قالت مليساندرا: «النَّملة التي تسمع ملكًا يتكلَّم لا تستوعب ما يقوله، والبَشر أجمع نمل أمام وجه الإله النَّاري. إذا كنتُ أعدُّ الإنذار نبوءةً أو النُّبوءة إنذارًا أحيانًا فالعيب في القارئ لا الكتاب، لكن ما أعلمه يقينًا أن لا جدوى من المبعوثين والعفو الآن أكثر من العَلق. يجب أن تُري البلاد آيةً، آيةً تُثبِت قوَّتك!».

ساخرًا قال الملك: «قوَّتي؟ إن معي ألف وثلاثمئة رجل في (دراجونستون) وثلاثمئة في (ستورمز إند)»، ولوَّح بيده فوق المائدة المرسومة مواصلًا: «بقيَّة (وستروس) في أيدي أعدائي، وليس عندي أسطول إلَّا أسطول سالادور سان، ولا أملكُ مالًا لاستئجار المرتزقة أو وعدًا للمُحاربين غير النِّظاميِّين بالمجد أو الغنائم يجتذبهم إلى قضيَّتي».

قالت الملكة سيليس: «يا سيِّدي وزوجي، إن معك رجالًا أكثر مما كان مع إجون قبل ثلاثمئة عام، ولا يَنقُصك إلَّا التَّنانين».

حدجَها ستانيس بنظرةٍ قاتمة، وقال: «تسعة سحرةٍ عبروا البحر ليجعلوا بيضات إجون الثَّالث تفقس، بيلور المبارَك أمضى نِصف عام يُصَلِّي على بيضاته، إجون الرَّابع بنى تنانينَ من الخشب والحديد، إريون اللَّهب السَّاطع شربَ نارًا شعواء ليُحَوِّل نفسه إلى تنِّين... وفشلَ السَّحرة، ولم يُجب دُعاء بيلور، واحترقَت التَّنانين الخشب، وماتَ الأمير إريون صارخًا».

قالت الملكة بعنادٍ صخري: «لا أحد منهم كان مختار راهلور، ولم يتَّقد مذنَّب أحمر في السَّماوات معلنًا مجيئهم، وليس منهم من حملَ سيف الأبطال الأحمر (جالِب الضِّياء)، ولا أحد منهم دفعَ الثَّمن. الليدي مليساندرا ستقول لك يا سيِّدي، وحده الموت ثَمن الحياة».

سألَ الملك كأنما يَبصُق الكلمة: «الصَّبي؟».

أجابَت الملكة: «الصَّبي».

وردَّد السير آكسل: «الصَّبي».

قال الملك متذمِّرًا: «لقد ضِقتُ ذرعًا بهذا الصَّبي المأفون من قبل أن يولَد حتى. مجرَّد اسمه هدير في أُذنَيْ وسحابة سوداء على روحي».

قالت مليساندرا: «أعطِني إياه إذن ولن تسمع اسمه يُقال ثانيةً».

فكَّر دافوس: نعم، وإن كنت ستسمعه يَصرُخ حين تُحرِقه، لكنه لاذَ بالصَّمت، فليس من الحكمة أن يتكلَّم قبل أن يأمره الملك.

قالت المرأة الحمراء: «أعطِني الصَّبي في سبيل راهلور وستتحقَّق النُّبوءة العتيقة. سيستيقظ تنِّينك ويبسط جناحيه الحجريَّين، وتُصبِح مملكتك لك».

جثا السير آكسل على رُكبةٍ واحدة قائلًا: «أتوسَّلُ إليك وأنا راكع يا مولاي، أيقِظ التِّنين الحجري ليرتجف الخونة رُعبًا. مِثل إجون بدأت سيِّدًا على (دراجونستون)، ومِثل إجون ستغزو. اجعل الزَّائفين والغادرين يَشعُرون بلهيبك».

وجثَت الملكة سيليس على رُكبتيها معًا وضمَّت يديها كأنها تُصَلِّي، وقالت: «زوجتك أيضًا تتوسَّل إليك يا سيِّدي وزوجي. روبرت وديلينا دنَّسا فِراشنا وألقيا لعنةً على زواجنا، والصَّبي ثمرة فسوقهما النَّتنة. ارفع ظِلَّه عن رحمي وسأحملُ لك أبناء شرعيِّين كُثُرًا، إنني واثقة»، وطوَّقت ساقَيْ الملك بذراعيها مواصلةً: «إنه مجرَّد صبيٍّ خلَّفته شهوة أخيك وعار ابنة عمِّي».

قال الملك ستانيس: «إنه دمي. إليكِ عني يا امرأة»، ووضعَ يده على كتفها

حالًّا نفسه منها بارتباك، ثم تابعَ: «ربما لعنَ روبرت فِراش زواجنا حقًّا. لقد أقسمَ لي أنه لم يقصد إهانتي قَطُّ، أنه كان سكرانًا ولم يعرف أيَّ غُرفة نوم دخلَ ليلتها، لكن هل يهمُّ هذا؟ الخطأ ليس خطأ الصَّبي أيًّا كانت الحقيقة».

وضعَت مليساندرا يدها على ذراع الملك قائلةً: «إله الضِّياء يعزُّ الأبرياء، ولا قربان أثمن منهم. من دماء الملوك في عروقه ومن نيرانه النَّقيَّة سيولَد تنِّين».

لم ينفر ستانيس من لمسة مليساندرا كما نفرَ من لمسة ملكته، فالمرأة الحمراء تتَّسم بكلِّ ما تفتقر إليه سيليس، الشَّباب والقدِّ الغضِّ والجَمال الأخَّاذ العجيب الذي يشعُّ من وجهها ذي شكل القلب وشَعرها النُّحاسي وعينيها الحمراوين اللا بشريَّتين. قال الملك مقرًّا رغمًا عنه: «لا أنكرُ أن شهادة الحياة تدبُّ في الحجر ستكون شيئًا باهرًا، وامتطاء تنِّين... أذكرُ أول مرَّةٍ أخذَني أبي إلى البلاط. يومها أمسكَ روبرت يدي. لم أكن قد تجاوزتُ الرَّابعة، أي أنه كان في الخامسة أو السَّادسة، واتَّفقنا بَعدها على أن الملك كان نبيلًا كما كانت التَّنانين مخيفةً»، وأطلقَ ضحكةً ساخرةً قصيرةً، ثم أردفَ: «بَعد سنواتٍ قال لنا أبونا إن إيرس جرحَ نفسه على العرش صبيحة يوم الزِّيارة، فحَلَّ يده محلَّه. مَن أثارَ فينا كلَّ هذا الإعجاب كان تايوين لانستر»، ومسَّت أصابعه المائدة بخفَّةٍ متتبِّعةً مجازًا عبر التِّلال المورنَشة، وتابعَ: «رفعَ روبرت الجماجم من على الجُدران حين وضعَ التَّاج، لكنه لم يجرؤ على الأمر بتحطيمها. أجنحة التَّنانين تخفق فوق (وستروس)... سيكون مشهدًا...».

تقدَّم داڤوس فجأةً قائلًا: «جلالة الملك! هل تسمح لي بالكلام؟»

أغلقَ ستانيس فمه بقوَّةٍ شديدة أسمعَتهم صوت أسنانه، وقال: «سيِّد (الغابة المطيرة)، لماذا تحسبني جعلتك يدي إن لم يكن لتتكلَّم؟»، ولوَّح مضيفًا: «قُل ما تُريد».

امنحني الشَّجاعة أيها (المُحارِب). «إنني أعرفُ القليل عن التَّنانين وأقلَّ عن الآلهة... لكن الملكة تكلَّمت عن اللَّعنات، وما مِن أحدٍ ملعون كقاتِل الأقربين في نظر الآلهة والبَشر».

صنعَ فم مليساندرا خَطًّا أحمر قاسيًا وهي تقول: «ليست هناك آلهة إلَّا راهلور والآخَر الذي يجب ألَّا يُذكَر اسمه، وضِئال البَشر يلعنون ما لا يفهمونه».

قال داڤوس: «أنا رجل ضئيل، فأخبِرني بسبب احتياجكِ إلى الصَّبي

إدريك ستورم لتوقظي تنِّينكِ الحجري العظيم يا سيِّدتي». كان قد عزمَ على ترديد اسم الصَّبي قَدر الإمكان.

- «وحده الموت ثَمن الحياة يا سيِّدي، والهديَّة العظيمة تتطلَّب تضحيةً عظيمةً».

- «وما العظمة في صبيٍّ ابن حرام؟».

- «دماء الملوك تجري في عروقه. أنت رأيت ما يُمكن أن يفعله قَدر قليل جدًّا من هذه الدِّماء...».

- «رأيتكِ تُحرقين بضع عَلقات».

- «وماتَ ملكَان زائفان».

- «روب ستارك اغتالَه اللورد والدر سيِّد (المعبر)، وسمعنا أن بالون جرايچوي سقطَ من فوق جسر، فمَن قتلَت عَلقاتكِ؟».

- «هل تشكُّ في قُدرة راهلور؟».

لا. يَذكُر داڤوس جيِّدًا جدًّا الظِّلَّ الذي زحفَ من داخلِ رحمها في تلك اللَّيلة أسفل (ستورمز إند)، ويديه السَّوداوين اللتين ضغطَتا على فخذيها. عليَّ أن أتوخَّي الحذر الآن وإلَّا زارَني ظِلٌّ بدوري. «حتى مهرِّب بصلٍ مِثلي يعرف الفرق بين بصلتين وثلاث. يَنقُصكِ ملك يا سيِّدتي».

خرجَت من ستانيس ضحكة قصيرة، وقال: «إنه مصيب يا سيِّدتي، اثنان ليسا ثلاثةً».

- «بالفعل يا جلالة الملك. قد يموت ملك واحد أو ملكان مصادفةً... لكن ثلاثة؟ إذا ماتَ چوفري في أوج قوَّته وهو محاط بجيوشه وحَرسه الملكي، أفلن يُبرهِن هذا على قوَّة الإله؟».

قال الملك كأنه ممتعض من كلِّ كلمةٍ تقولها: «ربما».

وقال داڤوس باذلًا قصارى جهده ليُواري خوفه: «وربما لا».

أعلنَت الملكة سيليس بثقةٍ خالصة: «چوفري سيموت».

وأضافَ السير آكسل: «ولعلَّه ماتَ بالفعل».

رمقَهما ستانيس بضيقٍ قائلًا: «أأنتما غُرابان مدرَّبان تتبادَلان النَّعيب في وجهي؟ كفى».

قالت الملكة مناشدةً: «اسمعني يا زوجي...».

- «لماذا؟ اثنان ليسا ثلاثةً. الملوك يستطيعون العَدَّ مثلهم كمثل المهرِّبين. انصرفوا»، وأدارَ ستانيس ظَهره لهم.

ساعدَت مليساندرا الملكة على النُّهوض، وخرجَت سيليس من القاعة بجمودٍ وفي أعقابها المرأة الحمراء، أمَّا السير آكسل فتباطأ لحظةً ليرمي داڤوس بنظرةٍ أخيرة، ففكَّر وهو يُقابلها بعينيه: نظرة قبيحة على وجه قبيح.

تنحنحَ داڤوس بَعد أن خرجَ الآخَرون، فرفعَ الملك عينيه وسألَه: «لماذا لا تزال هنا؟».

- «مولاي، بخصوص إدريك ستورم...».

لوَّح ستانيس بيده بحدَّةٍ قائلًا: «اعفني».

واصلَ داڤوس بإصرار: «ابنتك تتلقَّى دروسها معه، وتلعب معه كلَّ يومٍ في (حديقة إجون)».

- «أعرفُ هذا».

- «سينكسر قلبها إذا أصابَه...».

- «أعرفُ هذا أيضًا».

- «إذا رأيته فقط...».

- «لقد رأيته. إنه يُشبِه روبرت، نعم، ويَعبُده أيضًا. هل أُخبره كم مرَّةً مَنَّ عليه أبوه الغالي بالتَّفكير فيه؟ لقد أحبَّ أخي زرع بذور الأطفال كثيرًا، لكن بَعد ميلادهم عدَّهم إزعاجًا».

- «إنه يسأل عنك كلَّ يوم، و...».

- «بدأت تُثير حفيظتي يا داڤوس. لن أسمع المزيد عن ذلك الصَّبي النَّغل».

- «اسمه إدريك ستورم يا مولاي».

- «أعرفُ اسمه. أهناك اسم أجدر به؟ إنه يُعلِن نُغولته وميلاده الكريم والاضطراب الذي أتى به. إدريك ستورم، ها قد قُلته. هل رضيت الآن يا حضرة اليد؟».

- «إدريك...».

- «... مجرَّد صبيٍّ واحد! قد يكون أفضل صبيٍّ تنفَّس هواء هذا العالم ولن يهمَّ. إن واجبي نحو البلاد»، وأشارَ الملك إلى المائدة المرسومة متابعًا:

«كم صبيًّا في (وستروس)؟ كم صبيَّةً؟ كم رجلًا وكم امرأةً؟ إنها تقول إن الظَّلام سيفترسهم جميعًا، اللَّيل الذي لا ينتهي. تتكلَّم عن النبوءات... عن بطلٍ مولود في البحر، وتنانين حيَّةً تُفقَس من الحجر الميت... تتكلَّم عن علامَاتٍ وتُقسِم أنها تُشير إليَّ. إنني لم أطلب هذا كما لم أطلبْ أن أكون ملكًا، لكن هل أجسرُ على تجاهُلها؟»، وصَرَّ على أسنانه مواصلًا: «إننا لا نختار أقدارنا، لكن علينا... علينا أن نُؤدِّي واجبنا، أليس كذلك؟ عظيمًا كان أم ضئيلًا، علينا أن نُؤدِّي واجبنا. مليساندرا تُقسِم أنها رأتني في لهبها، أواجهُ الظُّلمة رافعًا (جالِبَ الضِّياء) عاليًا، (جالِب الضِّياء)!»، وأصدرَ ستانيس نخيرًا ساخرًا قبل أن يُردِف: «إنه يلتمع بأناقة، هذا صحيح، لكن في (النَّهر الأسود) لم ينفعني هذا السَّيف السِّحري أكثر من الفولاذ العادي. كان تنِّين كفيلًا بقلب ميزان تلك المعركة. ذات يوم كان إجون يقف أمام هذه المائدة مِثلي الآن، فهل تحسب أنهم كانوا ليُسَمُّوه إجون الفاتح لو لم يكن يملك تنانين؟».

قال داڤوس: «جلالة الملك، الثَّمن...».

- «أعرفُ الثَّمن! ليلة أمس بينما أنظرُ إلى اللَّهب رأيتُ أشياء أيضًا، رأيتُ ملكًا بتاج ناري على رأسه، يحترق... يحترق يا داڤوس. تاجه التهمَ لحمه وأحالَه إلَى رماد. هل تحسبني أحتاجُ إلى مليساندرا لتُفَسِّر لي ما يعنيه هذا؟ أو إليك؟»، وتحرَّكَ الملك ليَسقُط ظِلُّه على (كينجز لاندنج) وهو يُضيف: «إذا ماتَ چوفري... فما قيمة حياة صبيٍّ نغلٍ واحد مقارَنةً بمملكة؟».

رَدَّ داڤوس برفق: «كلُّ شيء».

رمقَه الملك كابسًا فكَّيه، ثم قال أخيرًا: «اذهب قبل أن يُعيدك لسانك إلى الزِّنزانة».

أحيانًا تعصف الرِّيح بعُنفٍ شديد فلا تَترُك في يد البحَّار حيلةً إلَّا إنزال أشرعته، وهكذا قال داڤوس: «أمرك يا جلالة الملك»، وانحنى منصرفًا، ولكن بدا أن ستانيس قد نسيَه تمامًا.

وجدَ السَّاحة باردةً حين خرجَ من بُرج (الطَّبلة الحجريَّة)، والرِّياح تهبُّ قويَّةً من الشَّرق جاعلةً الرَّايات تصطفق بصوتٍ مزعج على الأسوار، وشَمَّ رائحة الملح في الهواء. البحر. كم يحبُّ هذه الرَّائحة، وكم تجعله يصبو إلى السَّير على ظَهر مركبٍ من جديد، يرفع أشرعته ويُبحِر إلى ماريا وابنيه

الصَّغيريْن. الآن لا يمرُّ نهار دون أن يُفكِّر فيهم، وكلَّ ليلةٍ يُفكِّر فيهم أكثر، وثمَّة جزء منه لا يرغب في شيءٍ أكثر من أن يأخذ دفان ويعود إلى دياره. لا أستطيعُ، ليس بعدُ. إنني لورد الآن، ويد الملك، ولا يُمكنني أن أخذله.

رفعَ ناظريْه يرنو إلى الأسوار، وبدلًا من الشُّرَّافات تطلَّع إليه ألف مسخ وكَرْجَل من أعلى، كلٌّ منها يختلف عن الآخَر، فهذا وايفرن[1] وهذا جريفين أو شيطان أو مانتيكور أو مينوتور[2] أو بازيليسق[3] أو كلب جحيم[4] أو أصَلة، بخلاف مئات المخلوقات الأخرى الأغرب التي تنبثق من شُرفات القلعة كأنها نبتَت هناك.

كما أن التَّنانين في كلِّ مكان. القاعة الكُبرى تنِّين منبطح على بطنه ويَدخُلها النَّاس من حلقه، والمطابخ تنِّين متكوِّر على نفسه وتتصاعَد أدخنة وأبخرة الأفران من منخريه، والأبراج تنانين تجثم فوق الأسوار أو تتَّخذ وضع القتال، فيبدو بُرج (الحيَّة البيضاء)[5] كأنه يَصرُخ متحدِّيًا، ويُحَدِّق بُرج (تنِّين البحر) بعيدًا بسكينةٍ عبر الأمواج، بينما تتَّخذ أُطر الأبواب أشكال تنانين أصغر، وتَبرُز مخالب تنانين غيرها من الجُدران حاملةً المشاعل، وينطوي جناحان حجريَّان عظيمان على مستودَع السِّلاح وورشة الحدادة، وتُكوِّن الذُّيول القناطر والجسور والسَّلالم الخارجيَّة.

كثيرًا ما سمعَ داڤوس أن سحرة (ڤاليريا) لم يُقطِّعوا الحجارة وينحتوها كالبنَّائين التَّقليديِّين، بل شكَّلوها بالنَّار والسِّحر كما يُشكِّل الخزَّاف الصَّلصال، لكنه يُسائِل نفسه الآن: ماذا لو كانت تنانينَ حقيقيَّةً استحالَت بوسيلةٍ ما إلى حجر؟

---

(1) الوايفرن مخلوق أسطوري شبيه بالتنِّين، لديه جسد كالسحلية وساقان وذيل سمكة، ولا ينفث النَّار. (المترجم).

(2) المينوتور مخلوق من الأساطير الإغريقيَّة له جسد بَشري ورأس ثور. (المترجم).

(3) البازيليسق مخلوق زاحف أسطوري، يتميَّز بالقُدرة على القتل بسُمِّه الزُّعاف، ويُقال إنه ملك الأفاعي. (المترجم).

(4) كلاب الجحيم مخلوقات يرد ذِكرها في أساطير شعوبٍ عدَّة، توصَف بأنها سوداء اللَّون وحمراء العينين، وشديدة القوَّة ولها حضور شبحي ورائحة كريهة. (المترجم).

(5) يتَّخذ البُرج شكل مخلوق من الأساطير النورديَّة، له جسد حيَّة ورأس وجناحا تنِّين ويزحف كالثَّعابين. (المترجم).

- «إذا بثَّت فيها المرأة الحمراء الحياة فأظنُّ أن القلعة كلَّها ستنهار، وأيَّ تنِّين هذا الذي تملأه الغُرف والسَّلالم والأثاث؟ والنَّوافذ؟ والمداخن؟ والمراحيض؟».

التفتَ داڤوس ليجد سالادور سان إلى جواره، وقال: «أيعني كلامك أنك غفرت لي خيانتي يا سالا؟».

لوَّح القُرصان العجوز بإصبعه في وجهه مجيبًا: «غفرتُ نعم، نسيتُ لا. كلُّ هذا الذَّهب على (جزيرة المخالب) الذي كان ليُصبِح لي، التَّفكير فيه يُشعِرني بالعجَز والتَّعب. عندما أموتُ معدِمًا ستلعنك زوجاتي ومحظيَّاتي يا لورد البصل. اللورد سلتيجار كانت عنده خمور ممتازة كثيرة لا أذوقها الآن، ونسر بحري درَّبه على الطَّيران من على المعصم، وبوق مسحور يستدعي الكَراكِن من الأعماق. كم سيكون قرن كهذا مفيدًا في إغراق التايروشيِّين وغيرهم من الكائنات المزعجة. لكن أهو معي لأنفخ فيه؟ لا، لأن الملك جعلَ صديقي القديم يده»، وتأبَّط ذراع داڤوس مواصلًا: «رجال الملكة لا يُحبُّونك يا صديقي القديم. سمعتُ أن يدًا معيَّنًا بدأ يُكوِّن صداقاته الخاصَّة. هذا صحيح، أليس كذلك؟».

إنك تسمع أكثر من اللَّازم أيها القُرصان العجوز. على المهرِّب أن يعرف النَّاس كما يعرف تقلُّبات المَدِّ والجَزر، وإلَّا لن يعيش ويُهَرِّب طويلًا. قد يظلُّ رجال الملكة أتباعًا متحمِّسين لإله الضِّياء، لكن أهل (دراجونستون) الأقلَّ منزلةً بدأوا يرجعون إلى الآلهة التي عرفوها طيلة حياتهم، ويقولون إن ستانيس مفتون، إن مليساندرا حادَت به عن سبيل (السَّبعة) ليتعبَّد لشيطان خرجَ من الظِّلال، ويقولون -وهذه أسوأ الخطايا على الإطلاق- إنها وربَّها خذلاه. وثمَّة فُرسان ولوردات صغار يَشاركونهم الشُّعور، وقد سعى إليهم داڤوس بالعناية نفسها التي كان ينتقي بها أطقُم المراكب من قبل. السير چيرالد جاور قاتلَ بشَجاعة في معركة (النَّهر الأسود)، لكنه سُمِعَ عقبها يقول إن راهلور إله ضعيف بالتَّأكيد ما دامَ قد تركَ أتباعه يفرُّون من قزم ورجل ميت، وهناك أيضًا السير أندرو إسترمونت ابن خال الملك الذي خدمَ كمُرافِقٍ له قبل سنوات، ونغل (التَّغريدة) الذي قادَ حَرس المؤخِّرة يوم المعركة وأتاحَ لستانيس أن يعود إلى قوادس سالادور سان سالمًا، لكنه يَعبُد (المُحارِب)

بإيمانٍ لا يقلُّ عن شراسته. رجال الملك لا رجال الملكة. لكن التَّباهي بهم لن يُجدي خيرًا.

أجابَ داڤوس بحذر: «ذات مرَّةٍ قال لي قُرصان لايسيني معيَّن إن المهرِّب البارع يبقى بعيدًا عن الأنظار. أشرعة سوداء ومجاذيف مكتومة وطاقم يعرف رجاله كيف يصونون ألسنتهم».

ضحكَ اللايسيني قائلًا: «طاقم بلا ألسنة أفضل كثيرًا، خُرس ضخام أقوياء لا يفقهون القراءة أو الكتابة»، ثم اتَّخذ صوته نبرةً أكثر جدِّيَّةً وهو يضيف: «لكني مسرور لوجود مَن يحمي ظَهرك يا صديقي القديم. هل تعتقد أن الملك سيُعطي الرَّاهبة الحمراء الصَّبي؟ تنين صغير واحد سيُنهي هذه الحرب الكبيرة».

حدَت به العادة القديمة إلى مَدِّ يده إلى حَظِّه، لكن عظام أصابعه لم تَعُد تتدلَّى من عُنقه، ولم يجد شيئًا، فقال: «لن يفعلها. لن يستطيع إيذاء دمه».

- «سيُسعِد اللورد رنلي أن يسمع هذا».

- «رنلي كان خائنًا مسلَّحًا، لكن إدريك ستورم بريء من أيِّ جريمة. جلالته رجل عادل».

هَزَّ سالا كتفيه، وقال: «سنرى، أو سترى أنت، أمَّا أنا فعائد إلى البحر. حتى الآن قد يكون هناك مهرِّبون أوباش يُبحِرون في (الخليج الأسود) على أمل أن يتلافوا دفع جمارك سيِّدهم القانونيَّة»، وربَّت على ظَهر داڤوس مردفًا: «توخَّ الحذر أنت وأصدقاؤك البُكم. لقد علا شأنك كثيرًا، لكن كلما ارتفعَ الإنسان أكثر كان سقوطه أعنف».

فكَّر داڤوس مليًّا في هذه الكلمات وهو يصعد سلالم بُرج (تنِّين البحر) إلى مسكن المِايستر أسفل المِغدفة. لم يكن في حاجةٍ إلى أن يُخبِره سالا بأن شأنه علا كثيرًا. لستُ أعرفُ القراءة أو الكتابة، واللوردات يحتقرونني، ولا أفهمُ شيئًا في الحُكم، فكيف أكونُ يد الملك؟ إن مكاني على متن سفينة وليس في بُرج قلعة.

وهذا ما قاله للمِايستر پايلوس، الذي أجابَه: «أنت رُبَّان مرموق، والرُّبَّان يَحكُم سفينته، أليس كذلك؟ وعليه أن يُبحِر في المياه الغادرة ويرفع الأشرعة

بحيث تُوَجِّهها الرِّيح ويعرف كيف يتنبَّأ بالعواصف ويُبحِر فيها. اليدويَّة لا تختلف كثيرًا».

قصدَ پايلوس أن يكون مجاملًا، لكن داڤوس وجدَ طمأنته جوفاء، وقال معارضًا: «اليدويَّة تختلف تمامًا! المملكة ليست سفينةً... وهذا خير، وإلَّا لكانت سفينتنا هذه تغرق بالفعل. إنني أعرفُ الخشب والحبال والماء، لكن بِمَ ستنفعني معرفتي هذه الآن؟ أين أعثرُ على الرِّيح التي تدفع الملك ستانيس إلى عرشه؟».

ضحكَ المايستر قائلًا: «أصبت كبد الحقيقة يا سيِّدي. الكلام هواء كما تعلم، وقد تغلَّبت عليَّ بحصافتك. أعتقدُ أن جلالته يعرف قيمتك».

رَدَّ داڤوس بتعاسة: «البصل... هذه هي قيمتي. المفترَض أن يكون يد الملك من كبار اللوردات، شخصًا حكيمًا متعلِّمًا، قائدًا حربيًّا أو فارسًا عظيمًا...».

- «السير ريام ردواين كان أعظم فُرسان حِقبته، وأحد أسوأ الأيادي الذين خدموا الملوك على الإطلاق، وصلوات السِّپتون مورميسون صنعَت المعجزات، لكن سرعان بَعد تنصيبه يدًا ما كانت البلاد كلُّها تُصَلِّي لموته، واللورد باترويل كان مشهورًا بحذقه، ومايلز سمولوود بشَجاعته، والسير أوتو هايتاور بعلمه، لكنهم أخفقوا جميعًا كأيادٍ. وبالنِّسبة إلى الحسب والنَّسب فغالبًا كان ملوك التَّنانين يختارون أياديهم من بني جِلدتهم، بنتائج على شاكلة بيلور كاسر الحِراب وميجور المتوحِّش، وعلى عكس هذا هناك السِّپتون بارث ابن الحدَّاد الذي التقطَه الملك العجوز من مكتبة (القلعة الحمراء) فأعطى البلاد أربعين عامًا من السَّلام والرَّخاء»، وابتسمَ پايلوس مضيفًا: «اقرأ التَّاريخ يا لورد داڤوس وستجد أن شكوكك بلا أساس».

- «كيف أقرأ التَّاريخ وأنا لا أعرفُ القراءة؟».

قال المِايستر پايلوس: «القراءة بإمكان أيِّ أحد يا سيِّدي، لا تتطلَّب سحرًا أو محتدًا كريمًا. إنني أعلِّمُ هذا الفَنَّ لابنك بأمر الملك، فدعني أعلِّمك أيضًا».

وجدَه داڤوس عرضًا سخيًّا لم يستطِع أن يَرفُضه، وهكذا اتَّجه كلَّ يوم إلى مسكن المِايستر على قمَّة بُرج (تنِّين البحر) ليُقَطِّب وجهه وهو يُحَدِّقَ

إلى اللَّفائف والرَّقوق والمجلَّدات الضَّخمة المغلَّفة بالجلد محاولًا استنباط المزيد من الكلمات. غالبًا ما أصابَه مجهوده بالصُّداع وجعلَه يحسُّ كأنه مهرِّج كبير كذي الوجه المرقَّع، فابنه لم يتعدَّ الثَّانية عشرة بعدُ ومع ذلك متقدِّم كثيرًا على أبيه، أمَّا الأميرة شيرين وإدريك ستورم فالقراءة تبدو كأنها جزء لا يتجزَّأ من طبيعتهما كالتَّنفُّس. حين يتعلَّق الأمر بالكُتب يصير داڤوس طفلًا أكثر منهم، لكنه ثابرَ. إنه يد الملك، وعلى يد الملك أن يُجيد القراءة.

جعلَت درجات بُرج (تنِّين البحر) الملتوية الضيِّقة المِايستر كرسن يُعاني أيَّما معاناة بَعد أن كسرَ وَركه. لا يزال داڤوس يفتقد العجوز، ويعتقد أن ستانيس يَفتقده أيضًا بالتَّأكيد. پايلوس بارع ومجتهد وسليم النِّيَّة، لكنه صغير للغاية، والملك لا يعهد إليه بأسراره كما كان يفعل مع كرسن، إذ ربطَت العجوز بستانيس عِشرة طويلة... إلى أن ناوأ مليساندرا وقادَه هذا إلى حتفه.

سمعَ على قمَّة السَّلالم رنين أجراس خافتًا يُعلِن عن وجود ذي الوجه المرقَّع، وكان مهرِّج الأميرة ينتظرها بالفعل خارج باب المِايستر ككلب مخلص، بجسده اللَّين كالعجين وكتفيه المحنيَّتين ووجهه العريض الموشوم بالمربَّعات الخضراء والحمراء، وخوذته المصنوعة من قرون الوعل المربوطة على دلو من الصَّفيح وتتدلَّى منها دستة من الأجراس التي ترنُّ كلما تحرَّك... وهو ما يَحدُث طيلة الوقت بما أنه نادرًا ما يقف ثابتًا، وأينما ذهبَ يظلُّ يُجَلجِل أجراسه، فلا عجب أن پايلوس طردَه من دروس شيرين. تمتمَ المهرِّج لداڤوس وهو يهزُّ رأسه لتتعالى موسيقى الأجراس: «تحت البحر تأكل عجائز الأسماك صغارها. أعرفُ، أعرفُ، أوه، أوه، أوه».

- «هنا يُعَلِّم صغار الأسماك عجائزها»، رَدَّ داڤوس الذي لا يُشعِره شيء بالعجز كمحاوَلته القراءة. ربما كان الأمر ليختلف لو أن المِايستر كرسن هو من يُعَلِّمه، لكن پايلوس في سِنِّ أولاده.

دخلَ إلى حيث يجلس المِايستر إلى منضدته الخشبيَّة الطَّويلة المغطَّاة بالكُتب والمخطوطات، وقُبالته الأطفال الثَّلاثة، تتوسَّط الأميرة شيرين الصَّبيَّين. حتى الآن ما زالَ داڤوس يستعذب منظر ابنه في رفقة أميرة ونغل ملك. الآن سيُصبح دڤّان من اللوردات، سيِّد (الغابة المطيرة). تبثُّ هذه الفكرة فيه فخرًا أكثر من تمتُّعه هو نفسه باللَّقب. إنه يقرأ أيضًا، يقرأ ويَكتُب

كأنه مولود بهذه الموهبة. لا يسع بايلوس إلَّا الثَّناء على اجتهاد دڤان، وقال قيِّم السِّلاح إنه يُبَشِّر بإتقان القتال بالسَّيف والرُّمح أيضًا. كما أنه صبيٌّ متدينٌ. حين أخبرَه داڤوس كيف ماتَ أربعة إخوته الأكبر قال دڤان: «إخوتي ارتقوا إلى بهو الضِّياء ليجلسوا في رحاب الإله. سأصلِّي لهم عند النَّار اللَّيليَّة، ولك أيضًا يا أبي كي تمشي في نور راهلور حتى آخِر أيامك».

حيَّاه الصَّبي قائلًا: «طابَ يومك يا أبي». يُشبه دايل كثيرًا[3] لمَّا كان في سِنِّه. صحيحٌ أن ابنه الأكبر لم يرتدِ ثيابًا بأناقة ما يرتديه مُرافِق الملك، لكن الاثنين يشتركان في الوجه المربَّع التَّقليدي نفسه والعينين البنِّيَّتين الصَّريحتين والشَّعر البنِّي النَّاعم الذي يَصعُب تثبيته، وعلى وجنتَيْ دڤان وذقنه زغب أشقر خفيف تستحيي منه ثمرة خوخ، لكن الصَّبي فخور للغاية بـ«لحيته». تمامًا كما كان دايل ذات يوم.

دڤان أكبر الأطفال الثَّلاثة الجالسين إلى المنضدة، لكن إدريك ستورم يتجاوَزه طولًا بثلاث بوصات، وصدره وكتفاه أعرض. إنه ابن أبيه في هذا بالفعل، كما أنه لا يُفَوِّت تدريبات السَّيف والتُّرس كلَّ صباح أبدًا. مَن عاصَروا روبرت ورنلي في طفولتهما وما زالوا أحياء يقولون إن الصَّبي النَّغل أشبه بهما من ستانيس في الملامح؛ الشَّعر الأسود الفاحم والعينين الزَّرقاوين العميقتين والفم والفك وعظام الوجنتين. وحدهما أُذناه تُذَكِّران النَّاظر بأن أمَّه كانت من عائلة فلورنت.

ردَّد إدريك: «نعم، طابَ يومك يا سيِّدي». الصَّبي قويٌّ شامخ الأنف، لكن المِايسترات وأمناء القلعة وقيِّمي السِّلاح الذين نشأ على أيديهم لقَّنوه أصول الكياسة جيِّدًا. «هل جئت من عند عمِّي؟ كيف حال جلالته؟».

أجابَ كاذبًا: «بخير». الحقيقة أن الملك أصبحَ مهزول الجسد ويحتلُّ نظراته الهوس، لكن داڤوس لم يجد داعيًا لإزعاج الصَّبي بمخاوفه. «آملُ أني لم أقاطع درسكم».

قال المِايستر بايلوس: «فرغنا للتَّوِّ يا سيِّدي».

قالت الأميرة شيرين: «كنا نقرأ عن الملك دايرون الأول». طفلة عذبة رقيقة حزينة هي، وإن كانت أبعد ما يكون عن الجَمال. من ستانيس أخذَت فكَّه المربَّع ومن سيليس أُذنَيْ عائلة فلورنت، ثم إن الآلهة -بحكمتها القاسية-

ارتأَت أن تُضاعِف دمامتها بابتلائها بالدَّاء الأرمد وهي في المهد، فترك المرض إحدى وجنتيها ونِصف عنقها كالحجر الرَّمادي الصُّلب المشقَّق، وإن لم يأتِ على حياتها وبصرها. «لقد حاربَ وغزا (دورن). كانوا يُلَقِّبونه بالتنِّين الصَّغير».

قال دڤان: «عبدَ آلهةً زائفةً، لكنه كان ملكًا صالحًا بخلاف ذلك، وشديد الشَّجاعة في المعارك».

أيَّده إدريك ستورم قائلًا: «نعم، لكن أبي كان أشجع. التنِّين الصَّغير لم ينتصر في ثلاث معارك في يوم واحد».

رمقَته الأميرة بعينين متَّسعَتين، وسألَته: «عمِّي روبرت انتصرَ في ثلاث معارك في يوم واحد؟».

أومأ النَّغلَ برأسه إيجابًا، وقال: «عندما عادَ إلى الدِّيار ليستدعي راياته. وقتها خطَّط اللوردات جرانديسون وكافرن وفِل لحشد قوَّاتهم معًا في (قلعة الصَّيف) والزَّحف على (ستورمز إند)، لكن علمَ بخطَّتهم من أحد المُخبرين وخرجَ في الحال بكلِّ فُرسانه ومُرافِقيهم، وحين وصلَ المتآمرون إلى (قلعة الصَّيف) واحدًا تلو الآخَر هزمَ كلًّا منهم بدوره قبل أن ينضمَّ إلى الآخَرين، وقتلَ اللورد فِل في نزالٍ فردي وأسرَ ابنه الملقَّب بالفأس الفضَّة».

نظرَ دڤان إلى پايلوس، وسألَه: «أهذا ما حدثَ؟».

سبقَ إدريك ستورم المِايستر إلى الإجابة قائلًا: «هذا ما قلته، أليس كذلك؟ لقد سحقَ ثلاثتهم وقاتلَ بمنتهى الشَّجاعة، لدرجة أن اللوردين جرانديسون وكافرن أصبحا من رجاله بَعدها، والفأس الفضَّة أيضًا. لم يهزم أحد أبي قطُّ».

قال المِايستر پايلوس: «لا يَجدُر بك أن تتبجَّح يا إدريك. الملك روبرت عرفَ الهزيمة كأيِّ رجلٍ آخَر. اللورد تايرل هزمَه في (آشفورد)، كما خسرَ نزالاتٍ كثيرة في المبارياَت أيضًا».

- «لكنه فازَ أكثر مما خسرَ، وقتلَ الأمير ريجار في معركة (الثَّالوث)».

- «صحيح. لكن عليَّ الآن أن أكرِّس انتباهي للورد داڤوس الذي ينتظر بصبر. سنقرأ المزيد من (غزو دورن) للملك دايرون غدًا».

استأذنَت الأميرة شيرين والصَّبيَّان بكياسة، وبَعد أن خرجوا اقتربَ المِايستر پايلوس من داڤوس قائلًا: «هل يروقك أن تُجرِّب القراءة من (غزو

دورن) قليلًا يا سيِّدي؟»، ودفعَ الكتاب الرَّفيع المغلَّف بالجلد عبر المنضدة مضيفًا: «الملك دايرون كتبَه بلُغةٍ هي السَّهل الممتنع، كما أن تاريخه حافل بالدِّماء والمعارك والشَّجاعة. ابنك مستغرق فيه تمامًا».

- «ابني لم يَبلُغ الثَّانية عشرة بعدُ. أنا يد الملك. أعطِني رسالةً أخرى إذا سمحت».

قال پايلوس: «كما ترغب يا سيِّدي»، وفتَّش بين أوراق الرَّقوق على المنضدة، يبسط عددًا كبيرًا منها ثم يتجاهَله، قبل أن يُغمغِم: «ليست هناك رسائل جديدة. واحدة قديمة ربما...».

يستمتع داڤوس بالحكايات كأيِّ أحدٍ آخَر، لكنه يرى أن ستانيس لم يجعله يده من أجل أن يُسَلِّي وقته، فواجبه الأول أن يُساعِد الملك على الحُكم، وليفعل هذا فلا مناص من أن يفهم الكلام الذي تأتي به الغِدفان. لقد تعلَّم من خبرته أن أفضل وسيلة لتعلُّم شيءٍ ما هي ممارَسته، وفي هذا الأشرعة والمخطوطات سيَّان.

ناولَه پايلوس رسالةً قائلًا: «قد تَصلُح هذه».

سوَّى داڤوس الرَّقَّ المربَّع المجعَّد وضيَّق عينيه محدِّقًا إلى الحروف الدَّقيقة المبهَمة. كان قد تعلَّم مبكِّرًا أن القراءة تُؤلِم العينين، وأحيانًا يتساءَل إن كانت (القلعة) تمنح المِايستر الذي يَكتُب بأصغر خَطٍّ ممكن جائزةً. أضحكَت الفكرة پايلوس، ولكن...

- «إلى الملوك... الخمسة». تردَّد داڤوس لحظةً وهو ينطق «خمسة» التي لم يرَها مكتوبةً كثيرًا. «ملك... ما... ملك ما... ورى؟».

صحَّح المِايستر: «وراء».

قطَّب داڤوس وجهه مواصلًا: «ملك ما وراء الجِدار قادم... قادم جنوبًا. يقود... جيشًا... جيشًا عارم...».

- «عرمرم».

- «... جيشًا عرمرم من الهــ... الهم... الهَمج. اللورد مــ... مممور... مورمونت أرسلَ... غُدافًا من الغابة المســ... المســ...».

قال پايلوس راسمًا خَطًّا تحت الكلام بإصبعه: «المسكونة، (الغابة المسكونة)».

- «(الغابة المسكونة). إنه... يتعرَّض لـ... لهجوم؟».
- «نعم».
مسرورًا بنفسه تابعَ: «طيـ... طيور أخرى جاءَت منذ ذلك الحين بلا أخبار. نخشى أن... مورمونت قُتِلَ مع كلٍّ... قُتِلَ مع كلٍّ... قوته... لا، قوَّته. نخشى أن مورمونت قُتِلَ مع كلِّ قوَّته...». أدركَ داڤوس فجأةً ما يقرأه، وقلبَ الرِّسالة فوجدَ الختم عليها أسود، فقال: «إنها من حَرس اللَّيل. هل رأى الملك ستانيس هذه الرِّسالة أيها المِايستر؟».
- «لقد أخذتها إلى اللورد آلستر فور وصولها. كان اليد عندئذ، وأعتقدُ أنه ناقشَها مع الملكة. حين سألته إن كان يُريد أن يُرسِل رَدًّا قال ألَّا أكون أحمق، وإن جلالته يعوزه الرِّجال لمعاركه هو، وليس لديه من يُبَدِّدهم على الهَمج».
هذا صحيح، كما أن الكلام عن الملوك الخمسة كان ليُغضِب ستانيس. تمتمَ داڤوس: «لا يتسوَّل الخُبز من شحَّاذ إلَّا من يتضوَّر جوعًا».
- «معذرة يا سيِّدي؟».
قال داڤوس: «شيء ما قالته زوجتي ذات مرَّة»، وراحَ يَنقُر بأصابعه المقصَّرة على سطح المائدة مفكِّرًا. أول مرَّةٍ رأى (الجِدار) كان أصغر من دفان، يخدم على متن (القِط الحجري) تحت رورو أوهوريس، التايروشي الذي كان معروفًا في أنحاء (البحر الضيِّق) بكنية النَّغل الأعمى، مع أنه لم يكن أعمى أو نغلًا. اجتازَ رورو (سكاجوس) إلى (البحر الرَّاجف)، وزارَ عشرات الخلجان الصَّغيرة التي لم ترَ سفينةً تجاريَّةً قبلها قَطُّ، وجلبَ معه السُّيوف والفؤوس والخوذات الفولاذ والقمصان المعدنيَّة الصُّلبة، وقايضَها بالفرو والعاج والكهرمان والزُّجاج البُركاني، لكن حين دارَت (القِط الحجري) عائدةً جنوبًا بمخازن متخَمة بالبضائع، باغتَتها ثلاثة قوادس سوداء في (خليج الفقمات) وساقَتها إلى قلعة حَرس اللَّيل الشَّرقيَّة على البحر، حيث فقدوا حمولتهم وفقدَ النَّغل رأسه لارتكابه جريمة تجارة الأسلحة مع الهَمج.
سبقَ لداڤوس أن تاجرَ مع (القلعة الشَّرقيَّة) في إبَّان أيامه كمهرِّب، فالإخوة السُّود خصوم قساة وإنما زبائن ممتازون إذا كانت سفينتك محمَّلة بالبضائع الصَّحيحة، ولكن رغم أنه قبلَ نقودهم فإنه لم ينسَ قَطُّ منظر رأس النَّغل الأعمى إذ تدحرجَ على سطح (القِط الحجري). قال للمِايستر پايلوس:

«قابلتُ بعض الهَمج في صباي. كانوا لصوصًا عادلين لكنهم مساومون سيِّئون، وهربَ أحدهم بخادمة القمرة على سفينتنا. إجمالًا بدوا كغيرهم من النَّاس، بعضهم صالح وبعضهم طالح».

قال پايلوس: «النَّاس هُم النَّاس. هل نستأنف القراءة يا حضرة اليد؟».

أنا يد الملك، نعم. قد يكون ستانيس ملك (وستروس) اسمًا، لكنه في الحقيقة ملك المائدة المرسومة ليس إلَّا. إنه ما زال يُسَيطِر على (دراجونستون) و(ستورمز إند)، وبينه وبين سالادور سان حِلف يزداد توتُّرًا، لكن هذا كلُّ شيء، فكيف يتطلَّع حَرس اللَّيل إلى مساعَدةٍ منه؟ ربما لا يدرون كم هو ضعيف وقضيَّته خاسرة. «أأنت واثق بأن الملك ستانيس لم يرَ هذه الرِّسالة قَطُّ؟ ولا مليساندرا؟».

- «نعم. هل آخذها إليهما؟ الآن؟».

أجابَه داڤوس على الفور: «لا. لقد أدَّيت واجبك لمَّا أخذتها إلى اللورد آلستر». إذا كانت مليساندرا على علم بهذه الرِّسالة... ماذا قالت له؟ الذي يجب ألَّا يُذكَر اسمه يحشد قواه يا داڤوس سيوورث. قريبًا يحلُّ البرد واللَّيل الذي لا ينتهي. وستانيس شاهدَ رؤيا في اللَّهب، حلقةً من المشاعل في الثَّلج يُحيط بها الهول.

سألَه پايلوس: «سيِّدي، أأنت بخير؟».

أرادَ أن يقول: إنني مرعوب أيها المايستر. كان يتذكَّر قصَّةً حكاها له سالادور سان عن آزور آهاي وكيف سَقَّى (جالِب الضِّياء) بإغماده في قلب زوجته الحبيبة. قتلَ زوجته ليُحارِب الظُّلمات. إذا كان ستانيس هو آزور آهاي المولود من جديد، فهل يعني هذا أن إدريك ستورم سيلعب دور نيسا نيسا؟ قال: «كنتُ أفكِّرُ أيها المايستر، معذرة». ما الضَّرر في أن يغزو ملك همجيٌّ ما الشَّمال؟ ستانيس لا يُسَيطِر على الشَّمال حتى، ولا يُمكن لمن رفضوا أن يعترفوا به ملكًا أن يتوقَّعوا من صاحب الجلالة أن يذود عنهم. «أعطِني رسالةً أخرى. هذه...».

- «... عسيرة القراءة؟».

وهمسَت مليساندرا: قريبًا يحلُّ البرد، واللَّيل الذي لا ينتهي.

وقال داڤوس: «مزعجة، مزعجة. رسالة أخرى من فضلك».



چون

استيقَظوا على دُخان حريق (بلدة المناجذ).

على قمَّة (بُرج الملك) استندَ چون سنو إلى العُكَّاز ذي المسند المبطَّن الذي أعطاه المِايستر إيمون إياه، وشاهدَ الخيط الرَّمادي يرتفع إلى السَّماء. كان ستير قد فقدَ كلَّ أملٍ في مهاجَمة (القلعة السَّوداء) على حينِ غرَّةٍ عندما فَرَّ منه چون، وعلى الرغمِ من هذا لم يكن من الضَّروري أن يُحَذِّرهم من دنوِّه بهذا السُّفور. قد تَقتُلوننا جميعًا، لكن أحدًا لن يُذبَح وهو نائم في فِراشه. هذا على الأقل أفلحتُ فيه.

لا تزال ساقه تُؤلِمه كالسَّعير إذا وضعَ ثِقله عليها، واحتاجَ إلى عون كلايداس ليرتدي ثيابه السَّوداء النَّظيفة ويعقد أربطة حذائه هذا الصَّباح، ولمَّا فرغا كان يحسُّ برغبةٍ عارمة في إغراق نفسه في حليب الخشخاش، لكنه اكتفى بدلًا من هذا بنِصف كوب من نبيذ النَّوم ومضغةٍ من لحاء الصَّفصاف والعُكَّاز. كانت المنارة موقدةً فوق (أخدود ويذرباك)، وحَرس اللَّيل في حاجةٍ إلى كلِّ رجل.

حين حاوَلوا منعه قال لهم بإصرار: «أستطيعُ القتال».

رَدَّ نوي ساخرًا: «هل شُفِيَت ساقك؟ لن تُمانِع أن أركلها ركلةً صغيرةً إذن؟».

- «أفضِّلُ ألَّا تفعل. إنها متيبِّسة، لكن يُمكنني أن أحجل عليها، وأن أقف وأقاتل إذا احتجت إليَّ».

- «إنني محتاج إلى كلِّ رجل يعرف بأيِّ طرفٍ من الحربة يطعن الهَمج».

- «الطَّرف المدبَّب». يَذكُر چون أنه قال لأخته الصَّغيرة شيئًا كهذا ذات يوم.

حَكَّ نوي شَعر ذقنه القصير الخشن قائلًا: «ربما تُفيدنا. سأضعك على أحد الأبراج بقوس طويل، لكن إذا سقطت فإياك أن تأتيني باكيًا».

رأى (طريق الملوك) يمضي جنوبًا عبر الحقول الحجريَّة البنيَّة وفوق التِّلال المكشوفة للرِّيح، الطَّريق الذي سوف يظهر عليه الماجنَر قبل نهاية اليوم، يتقدَّم ثِنِّيوه وراءه حاملين الفؤوس والحِراب في أيديهم والتُّروس الجلد والبرونز على ظهورهم. جريج التَّيس وكورت وبثرة الكبير سيأتون أيضًا، وإيجريت. لم يكن الهَمج أصدقاءه قَطُّ، إذ لم يسمح لهم بأن يُصادِقوه، أمَّا هي...

شعرَ بنبض الألم حيث اخترقَ سهمها لحم وعضلات فخذه، وتذكَّر عينَيْ العجوز والدَّم الأسود ينبجس من حَلقه بينما تزأر العاصفة فوق الرُّؤوس، لكن أكثر ما يتذكَّره هو الغار، ومنظرها عاريةً في ضوء المشعل، ومذاق ثغرها لمَّا انفتحَ تحت ثغره. ارحلي يا إيجريت، اذهبي جنوبًا وأغيري، اذهبي واختبئي في أحد تلك الأبراج المستديرة التي أعجبَتك كثيرًا. لن تجدي هنا إلَّا الموت.

عبر السَّاحة حَلَّ أحد الرُّماة على سطح (ثُكنات فلينت) أربطة سراويله وبالَ من فجوةٍ بين شُرَّافتيْن، وتبيَّن جون من شَعره البرتقالي المُدهِن أنه مولي، وعلى السُّطوح وقمم الأبراج الأخرى لاحَ المزيد من الإخوة السُّود، وإن كان تسعة من كلِّ عشرةٍ منهم مصنوعين من القَش، «فزَّاعات للهَمج كفزَّاعات الغِربان» كما قال دونال نوي. الفارق أننا نحن الغِربان، ومعظمنا مفزوع بالفعل.

أيًّا كان اسمهم، فالجنود القَش فكرة المِايستر إيمون. لدى الحَرس سراويل وقمصان وسُترات في المخازن أكثر من الرِّجال، فلِمَ لا يحشون تلك الثِّياب بالقَشِّ ويضعون معاطف على أكتافها ويجعلونها تقف حراسةً؟ ثبَّت نوي الفزَّاعات فوق كلِّ بُرج وفي نِصف النَّوافذ، بل وحملَ بعضها الحِراب أو النُّشَّابيَّات الملقَّمة تحت الأذرُع، على أمل أن يراها الثِّنِّيون من بعيدٍ فيُقرِّروا أن حامية (القلعة السَّوداء) أقوى من أن تُهاجَم.

تقاسمَ جون سطح (بُرج الملك) مع ستِّ فزَّاعات علاوةً على أخوين حيَّين، فاستقرَّ ديك فولارد الأصم في فجوةٍ بين شُرَّافتيْن، يُنظِّف ويُزيِّت آليَّة

نُشَّابيَّته بعنايةٍ ليضمن أن تدور البكرة كما ينبغي، بينما دارَ صبيٌّ من (البلدة القديمة) حول الشُّرفة متوتِّرًا، يُعَدِّل ثياب الرِّجال القَش ويُسَوِّيها. ربما يعتقد أنهم سيُقاتِلون بشكلٍ أفضل إذا كانوا مثبَّتين في أوضاع سليمة، أو ربما يُنهِك الانتظار أعصابه كما يُنهِك أعصابي.

يَزعُم الصَّبي أنه في الثَّامنة عشرة، أكبر من چون، لكنه على الرغم من هذا أكثر اخضرارًا من العُشب في الصَّيف. يُسَمُّونه ساتان، حتى وهو يرتدي صوف ومعدن وجِلد حَرس اللَّيل المقوَّى بالزَّيت المغلي، وهو الاسم الذي اكتسبَه في الماخور الذي وُلِدَ وترعرعَ فيه. إنه جميل الملامح كالفتيات، بعينيه الدَّاكنتين وبشرته النَّاعمة وحُليقات شَعره الفاحمة كريش الغِدفان، غير أن نِصف العام الذي قضاه في (القلعة السَّوداء) مرَّس يديه، وقال نوي إن مهارته في استخدام النُّشَّابيَّة مقبولة... لكن إن كان يتحلَّى بالشَّجاعة الكافية لمواجَهة ما هو قادم...

استعانَ چون بالعُكَّاز ليَعرُج عبر قمَّة البُرج. ليس (بُرج الملك) أعلى أبراج القلعة، فالبُرج العالي الرَّفيع المتهدِّم الذي يحمل اسم (الرُّمح) يحتفظ بهذا الشَّرف -وإن كان أوثيل ياروِيك قال إنه قد ينهار في أيِّ يوم- كما أنه ليس أقوى أبراجها كذلك، بما أن (بُرج الحُرَّاس) المجاور لـ(طريق الملوك) أصلب من غيره، لكن (بُرج الملك) عالٍ وقويٌّ بما فيه الكفاية، ويحتلُّ موقعًا مناسبًا إلى جوار (الجِدار)، بحيث يطلُّ على البوَّابة وقاعدة السَّلالم الخشبيَّة.

حين وقعَ بصر چون على (القلعة السَّوداء) للمرَّة الأولى تعجَّب من البلاهة التي تدفع أحدًا إلى بناء قلعةٍ بلا أسوار، إذ كيف يُمكن الدِّفاع عنها؟ يومها أجابَه عمُّه: «الدِّفاع عنها غير ممكن، وهذا هو الغرض بالضَّبط. حَرس اللَّيل متعهِّدون بعدم التَّدخُّل في صراعات البلاد، لكن على مَرِّ القرون نسيَ عدد من القادة الذين فاقَت غطرستهم حكمتهم يمينهم وكادوا يزجُّون بنا جميعًا إلى التَّهلكة بسبب طموحاتهم. حضرة القائد رونسل هايتاوار حاولَ أن يُوَرِّث ابنه النَّغل الحَرس، وحضرة القائد رودريك فلينت حاولَ أن يجعل نفسه ملكًا وراء (الجِدار)، وتريستان مود، ومارك رانكنفل المجنون، وروبن هيل... هل تعلم أنَ قبل ستمئة عام قامَت حرب بين قائدَيْ (بوَّابة الثَّلج) و(قلعة اللَّيل)؟ وحين حاولَ حضرة القائد إيقافهما تحالَفا على اغتياله؟

وقتها اضطرَّ اللورد ستارك في (وينترفل) أن يتدخَّل وقطعَ رأسيهما، وهو ما فعلَه بسهولة لأن معقليهما كانا بلا دفاعات. لقد شهدَ حَرس اللَّيل تسعمئةً وستَّةً وتسعين قائدًا قبل چيور مورمونت، معظمهم رجال شُرفاء شُجعان... لكننا مُنينا أيضًا ببعض الجُبناء والحمقى، الطُّغاة والمجانين. إننا مستمرُّون لأن لوردات وملوك (الممالك السَّبع) يعلمون أننا لا نُمَثِّل لهم تهديدًا أيًّا كان قائدنا. أعداؤنا الوحيدون إلى الشَّمال، وإلى الشَّمال يرتفع (الجِدار)».

لكن الآن اجتازَ هؤلاء الأعداء (الجِدار) ليُهاجموا من الجنوب، ولوردات (الممالك السَّبع) وملوكها نسونا ونحن بين المطرقة والسِّندان. لا يُمكن الدِّفاع عن (القلعة السَّوداء) بلا سور، ودونال نوي يعلم هذا كالجميع، فخاطبَ الحدَّاد حاميته الصَّغيرة قائلًا: «القلعة لا قيمة لها عندهم، المطابخ والقاعة العامَّة والاسطبلات، وحتى الأبراج... دعوهم يأخذوا كلَّ شيء. سنُفرِغ مستودَع السِّلاح وننقل ما نستطيع من مؤن إلى قمَّة (الجِدار)، ونتصدَّى لهم عند البوَّابة».

هكذا أصبحَ لـ(القلعة السَّوداء) سورٌ ما على الأقل، متراس هلالي الشَّكل يرتفع عشرة أقدام ويتألَّف من محتويات المخازن؛ براميل ملأى بالمسامير وبراميل ملأى بالضَّأن المملَّح، وصناديق ولفائف من قماش الجُوخ الأسود وأكوام من الحطب ونُشارة الخشب والخوازيق المقوَّاة بالنَّار وأجولة وأجولة من الغلال. اكتنفَ السَّاتر المرتجَل أكثر شيئين يستحقَّان الدِّفاع، البوَّابة التي تُفضي إلى الشَّمال وقاعدة السَّلالم الخشبيَّة المتعرِّجة التي تتسلَّق وجه (الجِدار) كلسان برق سكران، تدعمها عوارض خشب ضخمة كجذوع الأشجار مغروسة عميقًا في الجليد.

رأى چون إخوته يحثُّون القِلَّة المتبقِّية من المناجذ[1] على صعود السَّلالم. كان جِرن يحمل صبيًّا صغيرًا بين ذراعيه، وپيپ أسفله بمجموعتَيْ درجات ومعه عجوز يتوكَّأ على كتفه، بينما انتظرَ أهلِ القرية الطَّاعنون في السِّنِّ نزول القفص إليهم. رأى أمًّا تصعد بطفلٍ في كلٍّ من يديها وصبيًّا أكبر يتجاوَزهم

(1) المناجذ جمع الخُلد، وهو حيوان أعمى شبيه بالفأر يعيش في جحورٍ تحت الأرض. (المترجم).

مسرعًا، وفوقهم بمئتي قدم وقفَت سو الزَّرقاء والليدي ميليانا (التي اتَّفق أصدقاؤها جميعًا على أنها ليست ليدي حقًّا) على بَسطةٍ تتطلَّعان جنوبًا. لا شَكَّ أنهما تريان الدُّخان أفضل منه. تساءلَ عن مصير القرويِّين الذين اختاروا ألَّا يهربوا. هناك دائمًا قلائل من أمثالهم، الأكثر عنادًا أو حُمقًا أو شَجاعةً من أن يفرُّوا، الذين يُؤثِرون القتال أو الاختباء أو الاستسلام. ربما يَترُكهم الثِّنِّيون أحياء.

الحَلُّ الأمثل أن نُهاجِمهم قبل أن يُهاجِمونا. بخمسين جوَّالًا على خيولٍ قويَّة بإمكاننا أن نسحقهم سحقًا على الطَّريق. لكن الخمسين جوَّالًا هؤلاء يَنقُصونهم، كما أن خيولهم أقلُّ من نِصف هذا العدد. الحامية لم ترجع، ولا وسيلة لمعرفة موقعها الحالي وإن كان الخيَّالة الذين أرسلَهم نوي قد بلغوها.

قال چون لنفسه: نحن الحامية الآن، فانظُر إلينا. الإخوة الذين تركَهم باون مارش مسنُّون وعجَزة وصِبية خُضر، تمامًا كما حذَّره دونال نوي. رأى بعضهم يُجاهِد لصعود السَّلالم بالبراميل وبعضهم على المتراس، منهم كِجز العجوز البدين البطيء كدأبه، وذو النَّعل الواحد يحجل بنشاطٍ على ساقه الخشبيَّة المنحوتة، وإيزي شِبه المجنون الذي يخال نفسه فلوريان المهرِّج المولود من جديد، وآلن الأحمر ابن (غابة الورد)، وديلي الدورني، وهنلي الصَّغير -الذي تجاوزَ الخمسين- وهنلي الكبير -الذي تجاوزَ السَّبعين- وهال المُشعِر، وبايت الأرقط ابن (بركة العذارى). رأى عدد قليل منهم چون واقفًا على قمَّة (بُرج الملك) فلوَّحوا له محيِّين، بينما أشاحَ عدد آخَر ببصره عنه. ما زالوا يحسبونني مارقًا. فكرة أكثر مرارةً من أن يستسيغها، لكنه لا يستطيع أن يلومهم. إنه نغل، والكلُّ يعلم أن النُّغول متقلِّبون غدَّارون بطبيعتهم إذ وُلِدوا من الشَّهوة والخداع، كما أن له في (القلعة السَّوداء) أعداء بعدد الأصدقاء، ومنهم راست على سبيل المثال. ذات مرَّةٍ هدَّده چون بأن يجعل جوست يُمَزِّق عُنقه ما لم يكفَّ عن ترويع ساموِيل تارلي، وراست لا ينسى تلك الأشياء. كان يُكوِّم أوراق الشَّجر الجافَّة تحت السَّلالم الآن، وبين الحين والآخَر يتوقَّف ليرمي چون بنظرة مقتٍ مقيتة.

هدرَ دونال نوي في ثلاثةٍ من رجال (بلدة المناجذ) في الأسفل: «لا، القار يذهب إلى الرَّافعة والزَّيت أعلى السَّلالم. سهام النُّشَّابيَّات إلى البَسطات

الرَّابعة والخامسة والسَّادسة، والحِراب إلى الأولى والثَّانية. كدِّسوا الشَّحم تحت السَّلالم، نعم، هناك، وراء الألواح. براميل اللَّحم للمتراس. الآن أيها الجُرب، الآن!».

له صوت لورد. دائمًا ردَّد أبوه أن رئتَيْ القائد في المعركة مهمَّتان كذراع سيفه، وقال اللورد إدارد لأبنائه: «شَجاعة الرَّجل أو عبقريَّته بلا قيمة إذا لم يسمع أحد أوامره»، وهكذا تعوَّد روب وچون تسلُّق بروج (وينترفل) ليتبادَلا الزَّعيق عبر السَّاحة، لكن صوت دونال نوي كان كفيلًا بكتم صوتيهما معًا، وهرعَ المناجذ خائفين منه يُلَبُّون الأوامر، ولهم كلُّ الحَقِّ بما أنه يُهَدِّد دائمًا بانتزاع رؤوسهم من على أكتافهم.

ثلاثة أرباع أهل القرية أذعَنوا لتحذير چون وأتوا لائذين بـ(القلعة السَّوداء)، وقضى نوي أن يُساعِد كلُّ رجلٍ ما زالَ بالرَّشاقة الكافية لحمل حربةٍ أو فأسٍ في الدِّفاع عن المتراس، وإلَّا فليعودوا إلى قريتهم ويُجَرِّبوا حَظَّهم مع التِّنِّيين، ثم إنه أفرغَ مستودَع السِّلاح ليضع فولاذ القلعة الممتاز في أيديهم؛ الفؤوس الكبيرة مزدوجة النِّصال والخناجر الحادَّة كالمواسي والسُّيوف الطَّويلة والهراوات والكُرات الشَّائكة، وإذ ارتدوا السُّترات الجلد المطعَّمة بالحديد وقمصان الحلقات المعدنيَّة وواقيات السِّيقان والأعناق بدا بعضهم أقرب إلى الجنود. في ضوءٍ سيِّئٍ وإذا ضيَّقت عينيك.

كلَّف نوي النِّساء والأطفال بالعمل أيضًا. الأصغر من أن يُقاتِلوا سيحملون الماء ويُزكون النَّار، وقابلة البلدة ستُساعِد كلايداس والمِايستر إيمون على العناية بالجرحى، وفجأةً أصبح مع هوب ذي الثَّلاثة أصابع صِبية يُدَوِّرون الأسياخ ويُقَلِّبون القدور ويُقَطِّعون البصل أكثر مما يعرف ماذا يفعل بهم، كما أن اثنتين من العاهرات تطوَّعتا للقتال، وأبديتا مهارةً لا بأس بها في استخدام النُّشَّابيَّة، فاحتلَّتا مكانًا على الدَّرجات على ارتفاع أربعين قدمًا.

- «الجَوُّ بارد»، قال ساتان وقد دَسَّ يديه تحت إبطيه داخل معطفه وتورَّدت وجنتاه بشدَّة.

جعلَ چون نفسه يبتسم قائلًا: «(أنياب الصَّقيع) باردة، أمَّا هذا فنهار خريفي منعش».

قال ساتان: «آملُ ألَّا أرى (أنياب الصَّقيع) أبدًا إذن. في (البلدة القديمة)

عرفتُ فتاةً تُضيف الثَّلج إلى نبيذها. أظنُّ أن هذا أفضل مكانٍ للثَّلج، النَّبيذ»، وتطلَّع جنوبًا بوجهٍ مقطَّب، وتساءلَ: «هل تحسب أن الفزَّاعات أخافَتهم يا سيِّدي؟».

– «هذا ما نأمله». يعتقد چون أن هذا ممكن... لكن الأرجح أن الهَمج توقَّفوا ببساطةٍ في (بلدة المناجذ) ليغتصبوا وينهبوا، أو أن ستير ينتظر هبوط اللَّيل ليتحرَّك مستترًا بالظَّلام.

انتصفَ النَّهار دون أن يظهر الثِّنّيون على (طريق الملوك). سمعَ چون خُطوات أقدام داخل البُرج، وظهرَ أوين الجحش من الباب الأفقي بوجهٍ محتقن من مجهود الصُّعود، يحمل تحت إحدى ذراعيه سلَّةً من الكعك وتحت الأخرى قالبًا من الجُبنة، ومن إحدى يديه يتدلَّى كيس مليء بالبصل. قال لهم: «هوب قال أن نُطعِمكم تحسُّبًا لأن تعلقوا هنا فترةً».

إمَّا هذا وإمَّا أنها وجبتنا الأخيرة. «بلِّغه شُكرنا يا أوين».

ديك فولارد أطرش كالحجر، لكن أنفه يعمل بكفاءة. كانت الكعكات لا تزال محتفظةً بدفء الفُرن حين دَسَّ يده في السَّلَّة وأخرجَ واحدةً، كما وجدَ قالبًا من الزُّبدة وفردَ القليل منها على الكعكة، ثم أخذَ قضمةً وأعلنَ بسعادة: «زبيب، ومكسَّرات أيضًا». يتكلَّم فولارد بلسانٍ ثقيل، لكن من السَّهل أن تفهم كلامه إذا اعتدته.

قال ساتان: «يُمكنك أن تأكل نصيبي أيضًا. لستُ جائعًا».

قال له چون: «كُل، فمَن يدري متى ستجد فُرصةً أخرى؟»، وأخذَ كعكتين لنفسه، فوجدَ المكسَّرات من جوز الصَّنوبر، وبالإضافة إلى الزَّبيب كانت هناك قِطع صغيرة من التُّفَّاح المجفَّف.

سألَه أوين: «هل سيأتي الهَمج اليوم يا لورد سنو؟».

– «ستعرف إذا أتوا. أصغ إلى الأبواق».

– «نفختان، نفختان تعنيَان الهَمج». أوين طويل القامة مضفور الشَّعر لطيف المعشر، ويعمل بلا كللٍ ويُبدي مهارةً مدهشةً عندما يتعلَّق الأمر بالأخشاب وإصلاح المجانيق وما إلى ذلك، وإن كان سيُسعِده أن يحكي لك أن أمَّه أسقطَته على رأسه وهو رضيع، فانسكبَ نِصف عقله من أُذنه.

سألَه چون: «هل تذكُر أين ستذهب؟».

- «دونال نوي قال أن أذهب إلى السَّلالم وأصعد إلى البَسطة الثَّالثة وأطلقُ سهام نُشَّابيَّتي على الهَمج إذا حاوَلوا تسلُّق المتراس. البَسطة الثَّالثة، واحد اثنان ثلاثة»، وحرَّكَ رأسه من أعلى إلى أسفل مردفًا: «إذا هاجمَنا الهَمج سيأتي الملك ليُساعِدنا، أليس كذلك؟ الملك روبرت مُحارِب مغوار ولا بُدَّ أنه سيأتي. المِايستر إيمون أرسلَ إليه طائرًا».

لا جدوى من إخباره بأن روبرت باراثيون ماتَ، فسينسى كما نسيَ من قبل، لكن چون وافقَه قائلًا: «المِايستر إيمون أرسلَ إليه طائرًا»، وبدا أن الجواب أسعدَ أوين.

أرسلَ المِايستر إيمون طيورًا كثيرةً في الحقيقة... وليس إلى ملكٍ واحدٍ وإنما إلى أربعة. قالت رسالته: الهَمج على الأبواب. البلاد في خطرٍ داهم. أرسِلوا كلَّ ما تستطيعون من نجدةٍ إلى (القلعة السَّوداء). حلَّقت الغِدفان بعيدًا حتى (البلدة القديمة) وقلعتها، وإلى عشرات اللوردات العِظام في قلاعهم، وبما أن لوردات الشَّمال يُمَثِّلون أفضل أملٍ فقد حملَت الطُّيور نُسختين إلى كلٍّ منهم، إلى آل أومبر وآل بولتون، وإلى (قلعة سروين) و(مربَّع تورين)، وإلى (كارهولد) و(ربوة الغابة) و(جزيرة الدِّببة) و(القلعة العتيقة) و(قلعة الأرملة) و(الميناء الأبيض) و(بلدة الرَّوابي) و(الغُدران)، وإلى المعاقلِ الجبليَّة التي يَسكُنها آل وول وليدل وبورلي ونوري وهاركلاي. إلى كلِّ هؤلاء حملَت الطُّيور السَّوداء استغاثتهم: الهَمج على الأبواب. الشَّمال في خطر. تعالوا بكلِّ قوَّتكم.

لكن الغِدفان لها أجنحة، واللوردات والملوك لا يطيرون، وإذا كانت النَّجدة في الطَّريق فلن تأتي اليوم.

مع حلول الأصيلِ كان الهواء قد ذرا دُخان (بلدة المناجذ) وعادَت سماء الجنوب تصفو، وفكَّر چون: لا سحاب. وهذا خير، فهطول المطر أو الثَّلج قد يعني هلاكهم جميعًا.

ركبَ كلايداس والمِايستر إيمون القفص إلى أمان قمَّة (الجدار)، بالإضافة إلى أغلب نساء (بلدة المناجذ)، وذرعَ الإخوة السُّود سطوح الأبراج متوتِّرين وتبادَلوا الصِّياح عبر الباحات، وقادَ السِّپتون سلادور الرِّجال على المتراس في صلاةٍ متضرِّعًا لـ(المُحارِب) أن يبثَّ فيهم القوَّة، وتكوَّر

ديك فولارد الأصم تحت معطفه وغابَ في النَّوم، وقطعَ ساتان مئة فرسخ في دوائر لا تنتهي حول الشُّرفة، وراحَ (الجدار) يَقطُر بينما زحفَت الشَّمسُ في زُرقة السَّماء القاسية. قُرب المساء عادَ أوين الجحش برغيفٍ من الخُبز الأسمر وسطلٍ مليء بأفضل ضأنٍ يَطبُخه هوب في مرقٍ ثخين من المِزر والبصل. استيقَظَ ديك على الرَّائحة، والتهموا الطَّعام كلَّه واستخدموا قِطعًا من الخُبز لمسح قاع السَّطل، ولمَّا فرغوا كانت الشَّمس قد انخفضَت في الغرب وامتدَّت الظِّلال سوداء حادَّةً في أرجاء القلعة.

قال چون لساتان: «أشعِل النَّار واملأ المرجل بالزَّيت».

ذهبَ إلى أسفل بنفسه ليُنزِل مزلاج الباب محاولًا أن يُخَلِّص ساقه من شيءٍ من تيبُّسها. كان هذا خطأً كما علمَ مسبقًا، لكنه أطبقَ على العُكَّاز وأنجزَ الفرض على الرغم من ذلك. باب (بُرج الملك) من خشب البلُّوط المقوَّى بالحديد، وقد يعوق الثِّنِّيين لكنه لن يُوقِفهم إذا أرادوا أن يَدخُلوا. أنزلَ چون القضيب العرضي في الحوامل، ثم ذهبَ إلى المرحاض -فقد تكون هذه فُرصته الأخيرة لقضاء حاجته- قبل أن يحجل عائدًا إلى السَّطح والألم بادٍ على ملامحه.

اصطبغَ الغرب بلون كدمةٍ دامية، لكن السَّماء فوقهم لا تزال زرقاء قاتمةً يسري فيها الأرجواني، وبدأت النُّجوم تظهر. جلسَ چون بين شُرَّافتيْن وفي صُحبته فزَّاعة واحدة وشاهدَ (الفَحل) يَركُض في الأعالي، أم أن اسم الكوكبة (اللورد ذو القرنين)؟ تساءلَ أين جوست الآن، وتساءلَ عن إيجريت أيضًا، ثم قال لنفسه إن في هذا الطَّريق يَكمُن الجنون.

أتى الهَمج ليلًا بالطَّبع. كاللُّصوص، كالقتَلة.

بالَ ساتان على نفسه عندما دوَّى النَّفير، لكن چون تظاهرَ بأنه لم يلحَظ وقال لصبيِّ البلدة القديمة: «اذهب وأيقِظ ديك، هِزَّ كتفه وإلَّا سيظلُّ نائمًا خلال القتال».

قال ساتان بوجهٍ ممتقع تمامًا: «إنني خائف».

رَدَّ چون: «وهُم أيضًا»، وأسندَ عُكَّازه إلى شُرَّافةٍ والتقطَ قوسه الطَّويل، ولوى خشب الطَّقسوس الدورني الأملس السَّميك ليُثبِّت الوتر، وقال لساتان لمَّا رجعَ بَعدما أيقظَ ديك: «لا تُبدِّد السِّهام ما لم تكن واثقًا بأنك ستُصيب

الهدف. إن معنا مخزونًا وافرًا هنا، لكن هذا لا يعني أنه لا ينفد. وقِف وراء شُرَّافة لتُعيد التَّلقيم ولا تُحاول الاختباء وراء فزَّاعة. إنها مصنوعة من القَش، وتخترقها السِّهام». على أنه لم يُجَشِّم نفسه عناء إخبار ديك فولارد بشيء. الرَّجل يستطيع قراءة الشِّفاه إذا كان الضَّوء كافيًا ويأبه لما تقول، لكنه يعرف المطلوب منه بالفعل.

اتَّخذ ثلاثتهم مواضعهم على ثلاثة جوانب من البُرج المستدير، وعلَّق چون جعبةً من حزامه وسحبَ سهمًا قناته سوداء وريشته رماديَّة، وإذ ثبَّته إلى الوتر تذكَّر شيئًا قاله له ثيون جرايچوي ذات مرَّةٍ وهُم عائدون من الصَّيد. يومها أعلنَ وعلى شفتيه تلك الابتسامة المعتادة: «فليحتفظ الخنزير البرِّي بأنيابه والدُّب بمخالبه، فلا شيء مميتًا في الدُّنيا كريشة إوزَّةٍ رماديَّة».

لم يَبلُغ چون نِصف براعة ثيون في الصَّيد قَطُّ، لكن القوس الطَّويل ليس غريبًا عليه كذلك. كانت أشباح سوداء تتسلَّل حول مستودَع السِّلاح بظهورٍ ملتصقة بالحجر، لكنه لا يراها بوضوح يكفي لتبديد سهم. سمعَ صياحًا بعيدًا، ورأى الرُّماة على (بُرج الحُرَّاس) يُطلِقون سهامهم على الأرض، وإن كانوا أبعد من أن يهتمَّ بهم، لكن حين أبصرَ ثلاثة ظلالٍ تنفصل عن الاسطبلات القديمة على بُعد خمسين ياردة، صعدَ بين شُرَّافتيْن ورفعَ قوسه وسحبَ السَّهم. كانوا يَركُضون، فتابعهم، ينتظر، ينتظر...

وأصدرَ السَّهم هسيسًا خافتًا وهو يبرح الوتر، وبَعد لحظةٍ تعالى أنين وأصبحَ هناك ظِلَّان فقط يجريان في السَّاحة بكلِّ سُرعتهما، وسحبَ چون سهمًا آخَر من جعبته، غير أنه تعجَّل في الإطلاق هذه المرَّة وأخطأَ الهدف، ولمَّا ثبَّت سهمًا جديدًا كان الهمجيَّان قد اختفيا. بحثَ عن هدفٍ آخَر ووجدَ أربعةً يهرعون حول هيكل (بُرج القائد) الخالي، يلتمع نور القمر على حِرابهم وفؤوسهم والرُّموز القبيحة على تروسهم الجلد المستديرة، التي تنوَّعت بين الجماجم والعظام والأفاعي ومخالب الدِّببة والوجوه الشَّيطانيَّة المشوَّهة. أدركَ أنهم من شعب الأحرار، فالثِّنِّيون يحملون تروسًا من الجِلد الأسود المقوَّى بحواف وبروزات من البرونز ولا يُزَيِّنها شيء. هذه تروس الهجَّامة الأخفُّ وزنًا المصنوعة من الخيزران.

سحبَ چون ريشة الإوزَّة إلى أُذنه وصوَّب السَّهم وأطلقَه، ثم ثبَّت سهمًا

جديدًا وسحبَه وأطلقَه، فاخترقَ الأول تُرس مخلب الدُّب، والثَّاني عُنقًا، وصرخَ الهمجي إذ سقطَ. سمعَ طنين نُشَّابيَّة ديك الأصم العميق إلى يساره، وبَعد لحظةٍ نُشَّابيَّة ساتان الذي صاحَ بصوتٍ مبحوح: «أصبتُ واحدًا! أصبته في صدره!».

زعقَ چون: «أصِب غيره إذن!».

لم يَعُد مضطرًّا للبحث عن أهداف، وما عليه الآن إلَّا اختيارها. أسقطَ راميًا همجيًّا وهو يُثبِّت سهمًا إلى قوسه، ثم أطلقَ آخَر على حامل بلطةٍ يهوي بها على باب (بُرج هاردين)، لكنه أخطأ التَّسديد هذه المرَّة، وإن جعلَ السَّهم الرَّاجف المغروس في الخشبِ الهمجي يتراجَع، وفقط حين لاذَ بالفرار تبيَّن چون أنه بثرة الكبير، وبَعد أقلّ من لحظةٍ غرسَ مولي العجوز سهمًا في ساقه من فوق سطح (تُكنات فلينت)، فزحفَ الرَّجل مبتعدًا وهو ينزف. سيجعله هذا يكفُّ عن الشَّكوى من بثرته.

فرغَت الكنانة فذهبَ يلتقط غيرها، ثم انتقلَ إلى فجوةٍ أخرى إلى جانب ديك فولارد الأصم، ومقابل كلِّ سهم من نُشَّابيَّة ديك أطلقَ چون ثلاثةً، لكن هذه هي مزية القوس الطَّويل، فالبعض يصرُّ أن سهام النُّشَّابيَّة أفضل في اختراق الأهداف، إلَّا أن إعادة تلقيمها بطيئة مجهِدة. ترامى إلى مسامعه زعيق الهَمج، وفي مكانٍ ما إلى الغرب دوَّى بوق حربي، واستحالَ العالم إلى قمر منير وظلال، والزَّمن إلى دورةٍ لا نهائيَّة من التَّثبيت والسَّحب والإطلاق. انغرسَ سهم همجيٌّ في حَلق الحارس القَشِّ إلى جواره، لكن چون سنو لاحظَ بالكاد، ولآلهة أبيه صلَّى: امنحيني رميةً مباشرةً واحدةً أُصيبُ بها ماجنرَ (ثِن). الماجنَر على الأقل عدوٌّ يستطيع أن يكرهه. امنحيني ستير.

بدأت أصابعه تتيبَّس وسالَ الدَّم من إبهامه، لكن چون ظَلَّ يُثبِّت ويسحب ويُطلِق. لفتَ لسان من اللَّهب انتباهه فدارَ ليرى باب القاعة العامَّة مشتعلًا، ومضَت لحظات معدودة قبل أن تشبَّ النَّار في القاعة الخشبيَّة الكبيرة بالكامل. يعلم أن هوب ذا الثَّلاثة أصابع ومساعديه من (بلدة المناجذ) آمنون على قمَّة (الجدار)، لكن الحريق كان بمثابة لكمةٍ في بطنه على الرغم من هذا. صاحَ ديك الأصم بصوته الثَّقيل: «چون! مستودَع السِّلاح!»، ورآهم چون على السَّطح، أحدهم يحمل مشعلًا. صعدَ ديك إلى حافة الفجوة بين

الشُّرَّافتيْن من أجل تسديدٍ أفضل، ورفعَ نُشَّابيَّته إلى كتفه، وأطلقَ سهمًا طنَّانًا على حامل المشعل، وأخطأه.

لكن الرَّامي في الأسفل لم يُخطئ.

لم يُصدِر فولارد صوتًا، وتهاوى إلى الأمام من فوق سور الشُّرفة ليقطع المئة قدم التي تفصله عن السَّاحة في الأسفل، وسمعَ چون صوت ارتطامه بالأرضٍ وهو يدور حول جُنديٍّ من القَشِّ ليرى من أين جاءَ السَّهم، وعلى بُعد أقلِّ من عشر أقدام من جثَّة ديك الأصم لمحَ تُرسًا جلديًّا ومعطفًا مهترئًا وشَعرًا أحمر غزيرًا. محظوظة، قبَّلتها النَّار. رفعَ قوسه لكن أصابعه رفضَت الانصياع لأمره، واختفَت إيجريت بسُرعة ظهورها، فدارَ على عقبيه لاعنًا وأطلقَ سهمه على مَن فوق سطح مستودَع السِّلاح، وأخطأهم أيضًا.

عندئذٍ كانت الاسطبلات الشَّرقيَّة قد اشتعلَت بدورها، والدُّخان الأسود والتِّبن المحترق يتدفَّقان من المَرابط، وحين انهارَ السَّطح تأجَّج اللَّهب زائرًا بصوتٍ مدوٍّ كاد يطغى على أبواق الثِّنِّيين. كان خمسون منهم يدقُّون أرض (طريق الملوك) في طابورٍ محكَم وقد رفعوا التُّروس فوق الرُّؤوس، واندفعَ آخَرون عبر حديقة الخضراوات والسَّاحة المرصوفة بالبلاط وحول البئر القديمة الجافَّة، واغتصبَ ثلاثة منهم باب مسكن المِايستر إيمون الخشبي أسفل المِغدفة، بينما اندلعَ قتال يائس على قمَّة (البُرج الصَّامت) بين السُّيوف الطَّويلة والفؤوس البرونز، لكن لا شيء من هذا كان مهمًّا. لقد تجاوزَتنا الرَّقصة.

حجلَ چون إلى ساتان وأمسكَ كتفه صائحًا: «تعالَ معي»، ومعًا انتقلا إلى الشُّرفة الشَّماليَّة حيث يطلُّ (بُرج الملك) على البوَّابة وسور دونال نوي المؤقَّت المبني من الحطب والبراميل وأجولة الذُّرة. كان الثِّنِّيون أمامهم مباشرةً، يرتدون خوذاتٍ قصيرةً وقمصانًا طويلةً من الجلد خيطَت عليها أقراص رفيعة من البرونز، ويحمل كثيرون منهم فؤوسًا برونزيَّة وبعضهم فؤوسًا من الحجر المشظَّى، لكن أعدادًا أكبر كانت تحمل حِرابًا قصيرةً برؤوسٍ على شكل أوراق الشَّجر تلتمع بالأحمر في ضوء الاسطبلات المضطَرمة. صرخوا باللُّغة القديمة وهُم ينقضُّون على المتراس ويطعنون بحِرابهم ويُلَوِّحون بفؤوسهم ويُريقون الذُّرة والدِّماء بغزارةٍ متساوية، فيما

انهمرَ عليهم وابل من سهام الأقواس والنُّشَّابيَّات من الرُّماة الذين وضعَهم نوي على السَّلالم.

صاحَ ساتان: «ماذا نفعل؟».

أجابَه چون صائحًا وفي يده سهم أسود: «نَقتُلهم».

ليس هناك رام يتمنَّى أهدافًا أسهل. كانت ظهور الثِّنِّيين لـ(بُرج الملك) وهُم يُهاجِمون السَّاتر الهلالي ويتسلَّقون الأجولة والبراميل ليَبلُغوا الإخوة السُّود. تصادفَ أن أصابَ چون وساتان الهدف نفسه معًا، وكان الرَّجل قد وصلَ إلى قمَّة المتراسِ بالفعل حين انغرسَ سهم چون في عُنقه وسهم ساتان بين كتفيه، وبَعد أقلِّ من لحظةٍ اخترقَ سيف طويل بطنه فسقطَ فوق الرَّجل الذي وراءه. مَدَّ چون يده إلى جعبته فوجدَها خلَت من جديد، وكان ساتان يُعيد تدوير بكرة نُشَّابيَّته، فتركَه ليُحضِر مزيدًا من السِّهام. لم يكد يأخذ ثلاث خُطواتٍ حتى انفتحَ الباب الأفقي أمامه بثلاثة أقدام، فقال لنفسه: بحَقِّ الجحيم، لم أسمعهم يكسرون باب البُرج.

لم يكن هناك وقت للتَّفكير أو التَّخطيط أو الصِّياح طلبًا للمساعَدة. أسقطَ چون قوسه ومَدَّ يده وراء كتفه وانتزعَ (المخلب الطَّويل) من غِمده، ودفنَ النَّصل في منتصَف أول رأسٍ برزَ من داخل البُرج، ولأن البرونز ليس نِدًّا للفولاذ الڤاليري فقد شقَّت الضَّربة خوذة الثِّنِّي وجمجمته في آنٍ واحد، وسقطَ الرَّجل إلى حيث جاءَ. عرفَ چون من الصِّياح أن هناك المزيد منهم وراءه، فتراجعَ ونادى ساتان، وأصيبَ الرَّجل التَّالي بسهم في وجنته قبل أن يختفي أيضًا. قال چون: «الزَّيت»، فأومأ ساتان برأسه، ومعًا التقطا القُفَّازات السَّميكة المبطَّنة المتروكة إلى جوار النَّار، ثم رفعا مرجل الزَّيت المغلي وقلباه عبر الكُوَّة فوق الثِّنِّيين في الأسفل. كان صريخهم أسوأ من أيِّ شيءٍ سمعَه في حياته، وبدا ساتان كأنه على وشك أن يقيء. ركلَ چون الباب الأفقي مغلقًا إياه، ثم وضعَ المرجل الحديد الثَّقيل فوقه، وهَزَّ الصَّبي ذا الوجه المليح بقوَّةٍ صائحًا: «قِئ لاحقًا! تعالَ معي!».

كانا قد ابتعدا عن الشُّرفة لحظاتٍ معدودة، لكن حين رجعا كان كلُّ شيءٍ في الأسفل قد تغيَّر. ما زالَ عدد من الإخوة السُّود والمناجذ فوق البراميل والصَّناديق، إلَّا أن الهَمج يتدفَّقون على المتراس كلِّه دافعين إياهم إلى

التَّقهقُر. رأى أحدهم يُغمِد حربته في بطن راست بعُنفٍ شديد حتى إنه رفعَه في الهواء، ورأى هنلي الصَّغير ميتًا وهنلي الكبير يموت محاطًا بالأعداء، وإيزي يدور ويشقُّ الهواء بسيفه ضاحكًا كالمخابيل ومعطفه يُرَفرف وراءه وهو يقفز من برميلٍ إلى برميل، قبل أن تُصيبه فأس برونزيَّة تحت رُكبته مباشرةً ليستحيل ضَحكه إلى صراخ.

قال ساتان: «إنهم ينكسرون».

رَدَّ چون: «لا، بل انكسروا بالفعل».

حدثَ الأمر بسُرعةٍ خاطفة. فَرَّ خُلد ثم آخَر، وفجأةً راحَ القرويُّون كلُّهم يُلقون أسلحتهم ويَهجُرون المتراس، تاركين عددًا من الإخوة أصغر من أن يردع الثِّنِّيين، وشاهدَهم چون يُحاوِلون التَّراجُع في خَطٍّ منتظم، لكن الأعداء اكتسَحوهم بالحِراب والفؤوس، فلاذوا بدورهم بالفرار. انزلقَ ديلي الدورني وسقطَ فأغمدَ همجيٌّ حربته بين كتفيه، وكادَ كِجز البطيء قصير الأنفاس يَبلُغ قاعدة السَّلالم عندما قبضَ ثِنِّي على طرف معطفه وجذبَه مدوِّرًا إياه... لكن سهمًا من نُشَّابيَّة أسقطَ الرَّجل قبل أن تهوي فأسه، وصاحَ ساتان: «أصبته!»، بينما عادَ كِجز إلى السَّلالم مترنِّحًا وبدأ يتسلَّق على يديه ورُكبتيه.

ضاعَت البوَّابة. كان دونال نوي قد أغلقَها وأوصدَها بالسَّلاسل، لكن ها هي هناك تنتظر من يستولي عليها، تتَّقد قضبانها الحديد بالأحمر في ضوء النَّار ووراءها النَّفق الأسود البارد. لم ينسحب أحد ليُدافِع عنها، والمكان الآمن الوحيد الآن هو قمَّة (الجِدار) على ارتفاع سبعمئة قدمٍ من السَّلالم الخشب المتعرِّجة.

سألَ چون ساتان: «لأيِّ آلهةٍ تُصَلِّي؟».

أجابَه صبيُّ (البلدة القديمة): «السَّبعة».

- «صَلِّ إذن، صَلِّ لآلهتك الجديدة وسأصلِّي لآلهتي القديمة».

وهنا انقلبَ كلُّ شيء.

نسيَ چون أن يُعَبِّئ كنانته بَعد بلبلة الباب الأُفقي، فعادَ يذرع السَّطح وملأَها بالسِّهام والتقطَ قوسه. لم يتزحزَح المرجل حيث تركَه، فخمَّن أنهما آمنان في الوقت الرَّاهن، وفكَّر وهو يعود حاجلًا: الرَّقصة تجاوزَتنا ونحن نتفرَّج من الشُّرفة. كان ساتان يُسَدِّد سهامه إلى الهَمج على السَّلالم ثم يغطس

وراء شُرَّافةٍ ليُعيد تلقيم النُّشَّابيَّة، فقال چون لنفسه: يُشبِه الفتيات، لكنه سريع.

المعركة الحقيقيَّة على السَّلالم. كان نوي قد وضعَ حاملي الحراب على أدنى بَسطتيْن، لكن هروب القرويِّين المرتاعين أصابَهم بالفزع وبدورهم فرُّوا إلى أعلى ساعين إلى البَسطة الثَّالثة، ليَقتُل الثِّنِّيون كلَّ من يتخلَّف. حاولَ الرُّماة على البَسطات الأعلى إمطار رؤوسهم بالسِّهام، وثبَّت چون سهمًا إلى وتر قوسه وسحبَه وأطلقَه، وسُرَّ لمرأى أحد الهَمج يقع متدحرجًا على الدَّرجات. كانت حرارة النَّار تجعل (الجِدار) يَقطُر، وتراقصَ اللَّهب وتوهَّج منعكسًا على الجليد، واهتزَّت السَّلالم تحت خُطى الهارعين إلى أعلى نجاةً بحياتهم.

من جديد ثبَّت چون وسحبَ وأطلقَ، ولكن لم يكن هناك إلَّاه وساتان، بينما يدقُّ ستُّون أو سبعون من الثِّنِّيين السَّلالم، يُعمِلون القتل ذات اليمين وذات الشِّمال وقد أسكرَتهم نشوة النَّصر. على البَسطة الرَّابعة وقفَ ثلاثة من الإخوة السُّود كتفًا إلى كتف وفي أيديهم السُّيوف الطَّويلة، وعادَت المعركة تشتعل... وهلةً. كانوا ثلاثةً لا أكثر، وسرعان ما جرفَهم مَدُّ الهَمج وتقاطرَت دماؤهم على الدَّرجات، فتذكَّر چون شيئًا قاله له اللورد إدارد ذات يوم: «في المعركة يكون الرَّجل في أضعف حالاته حينما يفرُّ، فالهارب كالحيوان الجريح بالنِّسبة للجُندي، يُثير فيه شهوة الدَّم». أمَّا الرُّماة على البَسطة الخامسة ففرُّوا قبل أن يَبلُغهم القتال حتى.

كان اندحارًا، اندحارًا أحمر منكرًا.

قال لساتان: «أحضِر المشاعل». كانت المشاعل الأربعة مرصوصةً إلى جوار النَّار برؤوسٍ ملفوفة بالخِرَق المنقوعة في الزَّيت، بالإضافة إلى دستةٍ من السِّهام النَّاريَّة. دَسَّ صبيٌّ (البلدة القديمة) مشعلًا في النَّار إلى أن اتَّقد وتأجَّج، ورجعَ بالبقيَّة تحت إبطه دون أن يُشعِلها وقد عادَ الخوف يلوح عليه... وهذا حَقُّه، إذ إن چون خائف أيضًا.

وعندها رأى ستير. كان الماجنَر يتسلَّق المتراس، يخطو فوق أجولة الذُّرة الممزَّقة والبراميل المهشَّمة وجُثث العدوِّ والصَّديق على حَدٍّ سواء، وتلتمع دِرعه البرونزيَّة بلونٍ قاتم في ضوء النَّار. خلعَ ستير خوذته لتتشرَّب عيناه مشهد

انتصاره، وعلى شفتَيْ ابن العاهرة الأصلع عديم الأُذنين تراقصَت ابتسامة. في يده كانت حربة من خشب الويروود ذات رأسٍ برونزي منمَّق، ولمَّا رأى البوَّابة أشارَ إليها بالحربة وزعقَ بأمرٍ ما باللُّغة القديمة للثِّنيين المحيطين به. فكَّر چون: تأخَّرت كثيرًا. كان عليكَ أن تقود رجالك فوق المتراس، فلربما تمكَّنت من إنقاذ بعضهم.

في الأعلى دوَّى نفير الحرب واطئًا طويلًا، ليس من على قمَّة (الجدار) وإنما من البَسطة التَّاسعة على ارتفاع مئتي قدمٍ أو نحوها، حيث يقف دونال نوي.

ثبَّت چون سهمًا ناريًّا إلى وتر قوسه وأوقدَه ساتان بالمشعل، ثم إنه تقدَّم إلى حاجز الشُّرفة وسحبَه وسدَّده وأطلقَه، وسرَت شرائط من اللَّهب في أثره وهو ينطلق إلى أسفل وينغرس في هدفه مطقطقًا.

لم يكن الهدف ستير ولم يكن السَّلالم، بالأحرى البراميل والأجولة التي كوَّمها نوي تحت السَّلالم فارتفعَت حتى البَسطة الأولى، براميل الشَّحم وزيت المصابيح وأجولة أوراق الشَّجر والخِرَق المشرَّبة بالزَّيت والحطب واللِّحاء ونُشارة الخشب. قال چون: «ثانيةً»، ثم «ثانيةً»، ثم «ثانيةً»، على حين راحَ رُماة آخَرون يُطلِقون سهامهم أيضًا من كلِّ قمَّة بُرجٍ تقع قاعدة السَّلالم في مرماها، يُرسِل بعضهم سهامه في أقواسٍ عالية لتَسقُط أمام (الجدار)، وحين نفدَت السِّهام النَّاريَّة من چون بدأ يُوقِدُ المشاعل مع ساتان، ثم قذفاها من بين الشُّرَّافات.

في الأعلى كانت زهرة حريقٍ آخَر تتفتَّح، وقد تشرَّبت الدَّرجات الخشبيَّة القديمة الزَّيت الذي أغرقَها دونال نوي به من البَسطة التَّاسعة حتى السَّابعة. الآن ليست بيد چون حيلة إلَّا أن يأمل أن يكون أغلب قومهم قد صعدوا إلى الأمان قبل أن يُلقي نوي المشاعل. على الأقل كان الإخوة السُّود يعلمون بهذه الخطَّة، أمَّا أهل القرية فلا.

قامَت الرِّيح والنَّار بالباقي، وما بإمكان چون إلَّا أن يُشاهِد. لهب من أعلى ولهب من أسفل، ولا مكان يفرُّ إليه الهَمج. بعضهم واصلَ الطَّريق إلى أعلى وماتَ، وبعضهم تقهقرَ إلى أسفل وماتَ، وبَعضهم ظَلَّ في مكانه

وماتَ أيضًا، وبعضهم وثبَ من فوق السَّلالم قبل أن يحترق وأماتَته السَّقطة. كان زُهاء عشرين من الثِّنِّيين قد تلملَموا معًا بين الحريقين حين تشقَّق الجليد من جرَّاء الحرارة وانفصلَ الثُّلث الأدنى من الدَّرجات بالكامل، ومعه أطنان وأطنان من الجليد، وكانت هذه آخِر مرَّةٍ رأى فيها چون ستير ماجنَر (ثِن). (الجِدار) يُدافِع عن نفسه.

طلبَ من ساتان أن يُساعِده على النُّزول إلى السَّاحة، فالألم في ساقه الجريحة بليغ لدرجة أنه يستطيع المشي بالكاد، وهو متَّكئ على العُكَّاز. قال له: «اجلب المشعل. يجب أن أبحث عن أحد». أغلب من كانوا على السَّلالم ثِنِّيون، ولا بُدَّ أن بعض الأحرار قد فرُّوا، قوم مانس لا ستير، وربما تكون إحداهم. هكذا نزلا مارَّيْن بجُثث من حاوَلوا الدُّخول من الباب الأُفقي، وتحرَّك چون في الظَّلام وعُكَّازه تحت ذراعه وقد وضعَ الأخرى حول كتف الصَّبي الذي كان عاهرًا في (البلدة القديمة).

لم يتبقَّ من الاسطبلات والقاعة العامَّة إلَّا جذوات داخنة، وإن ظلَّت النَّار مشتعلةً عند (الجِدار) متسلِّقةً السَّلالم درجةً درجةً وبَسطةً بسطةً، وبين الفينة والفينة سمعا قعقعةً وصوت انشطارٍ مدوّ طويلًا، ثم تنفصل كُتلة أخرى من (الجِدار) وتهوي ليمتلئ الهواء بالرَّماد وبلَّورات الجليد.

وجدَ كورت ميتًا وذا الإبهام الحجري يُحتضَر، ووجدَ ثِنِّيين موتى ومحتضرين لم يعرفهم حقًّا، ووجدَ بثرة الكبير واهنًا بسبب كلِّ ما نزفَه من دماءٍ وإنما لا يزال حيًّا.

ووجدَ إيجريت منطرحةً على رُقعةٍ من الثَّلج القديم أسفل (بُرج القائد) وبين ثدييها سهم، وقد استقرَّت بلَّورات الجليد على وجهها، فبدت في نور القمر كأنها ترتدي قناعًا فضِّيًّا برَّاقًا.

رأى أن السَّهم أسود، لكن ريشته ريشة بطَّةٍ بيضاء، فقال لنفسه: ليس سهمي، ليس واحدًا مما رميتُ، لكنه شعرَ كأنه سهمه.

انفتحَت عيناها حين جثا في الثَّلج إلى جوارها، وبمنتهى الخفوت قالت: «چون سنو»، فحزرَ أن السَّهم أصابَ إحدى رئتيها. «أهذه قلعة حقيقيَّة وليست مجرَّد بُرج؟».

التقطَ يدها مجيبًا: «أجل».

همسَت: «جميل. أردتُ أن أرى قلعةً حقيقيَّةً قبل... قبل أن...».

قال: «سترين مئة قلعة. المعركة انتهَت وسيعتني بكِ المِايستر إيمون»، ومَسَّ شَعرها مردفًا: «لقد قبَّلتكِ النَّار، أتذكُرين؟ إنكِ محظوظة، وقتلك يتطلَّب أكثر من مجرَّد سهم. سيسحبه إيمون ويُضَمِّد الجرح، وسنسقيك حليب الخشخاش من أجل الألم».

ابتسمَت لقوله، وقالت: «هل تَذكُر الكهف؟ كان علينا أن نبقى في ذلك الكهف. قلتُ لك أن نبقى».

- «سنعود إلى الكهف. لن تموتي يا إيجريت، لن تموتي».

وضعَت إيجريت يدها على وجنته مغمغمةً: «أوه، لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو»، وتنهَّدت وماتَت.





بران

قالت ميرا ريد وهي تتطلَّع إلى وحشة الأنقاض والخرائب والحشائش: «مجرَّد قلعةٍ مهجورة أخرى».

فكَّر بران: لا، إنها (قلعة اللَّيل)، وهذه حافة العالم. لمَّا كانوا في الجبال لم يستطِع إلَّا التَّفكير في بلوغ (الجدار) والعثور على الغُراب ذي الأعيُن الثَّلاث، والآن وقد وصلوا أخيرًا فالمخاوف تُفعِم نفسه. الحُلم الذي رآه... الحُلم الذي رآه سَمر بالأحرى... كلا، يجب ألَّا أفكِّر في هذا الحُلم. لم يُخبِر الأخوين ريد، وإن بدا أن ميرا على الأقل تستشعر أن شيئًا ما ليس على ما يُرام. إذا لم يتكلَّم عنه أبدًا فلعلَّه ينسى أنه رآه، وعندئذٍ لن يكون ما حدثَ قد حدثَ، ويبقى روب وجراي ويند...

- «هودور»، قال هودور ناقلًا وزنه من ساقٍ إلى ساقٍ ومحرِّكًا بران وقد بدا أنه متعَب، فجميعهم يسيرون منذ ساعات. لكنه ليس خائفًا على الأقل. أمَّا بران فيَشعُر بخوفٍ بالغ من هذا المكان، وبخوفٍ يكاد يُعادِله من أن يعترف بهذا لهم. إنني أمير الشَّمال، ستارك ابن (وينترفل)، أوشكُ على أن أكون رجلًا بالغًا، ويجب أن أكون شُجاعًا مِثل روب.

رفعَ إليه چوچن عينيه الخضراوين الدَّاكنتين قائلًا: «لا يوجَد ما يُؤذينا هنا يا سموَّ الأمير».

على أن بران ليس متأكِّدًا من ذلك، إذ احتلَّت (قلعة اللَّيل) مكانةً بارزةً في عددٍ من أكثر قصص العجوز نان مدعاةً للخوف. هنا حكمَ ملك اللَّيل قبل أن يُمحى اسمه من ذاكرة البَشر، وهنا قدَّم الطَّاهي الجُرذ فطيرة لحم الأمير واللَّحم المقدَّد للملك الأندالي، وحيث يقف التِّسعة وسبعون حارسًا

في مواقعهم، وحيث اغتُصِبَت الشَّابَّة الشُّجاعة داني فلينت وقُتِلَت. هذه هي القلعة التي أنزلَ منها الملك شيريت لعنته على الأنداليِّين القُدامى، وحيث واجهَ التَّلامذة الشَّيء الذي أتى ليلًا، وحيث رأى الأعمى سيميون ذو العينين النَّجمتين كلاب الجحيم تقتَتِل. هذه هي الأفنية التي قطعَها آكس المجنون ذات يوم، والأبراج التي تسلَّقها ليذبح إخوته في الظَّلام.

كلُّ هذا حدثَ قبل مئات وآلاف السِّنين بالطَّبع، وبعضه لم يَحدُث إطلاقًا، فلطالما قال المِايستر لوين إنه لا ينبغي تصديق قصص العجوز نان برمَّتها، لكن في مرَّةٍ جاءَ عمُّه لزيارة أبيه، وسألَه بران عن (قلعة اللَّيل)، فلم يقل بنچن ستارك إن الحكايات حقيقيَّة، وإن لم يقل إنها غير حقيقيَّة كذلك، بل اكتفى بهَزِّ كتفيه قائلًا: «لقد تركنا (قلعة اللَّيل) منذ مئتي عام»، كأن هذه إجابة.

أرغمَ بران نفسه على النَّظر حوله. الصَّباح بارد ولكن ساطع، والشَّمس مشرقة من السَّماء الزَّرقاء القاسية، غير أن ما لا يروقه هو الأصوات، فالرِّيح تُصدِر صفيرًا مضطربًا وهي ترتجف متخلِّلةً الأبراج المتهدِّمة، والحصون تصرُّ بينما تغوص في الأرض بتؤدةٍ متناهية، كما أنه سمعَ الجرذان تُخَربش تحت أرضيَّة القاعة الكُبرى. أطفال الطَّاهي الجُرذ يفرُّون من أبيهم. السَّاحات غابات صغيرة تحتكُّ الفروع الجرداء على شجرها السَّابغ ببعضها بعضًا، بينما يذرو الهواء الأوراق على رُقع الثَّلج القديمة فتبدو كصراصير تجري، وحيث كانت الاسطبلات تنمو الآن أشجار، وتخترق شجرة ويروود بيضاء ملتوية الفتحة الكبيرة في سقف المطبخ المقبَّب.

حتى سَمر لا يبدو مستريحًا هنا، وقد تلبَّسه بران لحظةً ليتشمَّم رائحة المكان، فلم تُعجبه أيضًا.

ولا يوجَد طريق للمرور.

قال لهم بران إنهم لن يجدوا طريقًا، قالها مرارًا وتكرارًا، لكن چوچن ريد أصرَّ أن يرى بنفسه، وقال إنه رأى حُلمًا أخضر، والأحلام الخضراء لا تكذب أبدًا. لكنها لا تفتح البوَّابات كذلك.

البوَّابة التي تَحرُسها (قلعة اللَّيل) مسدودة منذ حمَّل الإخوة السُّود حاجياتهم على ظهور البغال والخيول ورحلوا إلى (البحيرة العميقة)، بَعد أن أنزَلوا الشَّبكة الحديديَّة وخلعوا السَّلاسل التي كانت ترفعها وملأوا النَّفق

برُكام الحجارة الذي تجمَّد عن آخِره وأصبح غير قابلٍ للاختراق كـ(الجدار) ذاته. حين رآها بران قال: «كان علينا أن نتبع چون». كثيرًا ما يجول أخوه النَّغل بخاطره منذ اللَّيلة التي رآه فيها سَمر يهرب في أثناء العاصفة. «كان علينا أن نَعثُر على (طريق الملوك) ونذهب إلى (القلعة السَّوداء)».

قال چوچن: «لسنا نجرؤ أيها الأمير. أخبرتك بالسَّبب».

– «لكن هناك هَمجًا. لقد قتلوا رجلًا ما وأرادوا أن يَقتُلوا چون أيضًا. كان هناك مئة منهم يا چوچن».

– «ذكرت هذا من قبل. نحن أربعة فقط. لقد ساعدت أخاك، إن كان هو حقًّا، لكنك كدت تفقد سَمر».

قال بران ببؤس: «أعرفُ». الذِّئب الرَّهيب قتلَ ثلاثةً منهم، وربما أكثر، لكنهم كانوا كثيرين للغاية، وعندما كوَّنوا حلقةً مُحكمةً حول الرَّجل الطَّويل عديم الأُذنين حاولَ أن يفلت منهم في المطر، إلَّا أن واحدًا من سهامهم انطلقَ بارقًا في أعقابه، وطردَت طعنة الألم المفاجئة بران من جِلدة الذِّئب وأعادَته إلى جِلدته. بَعد أن همدَت العاصفة تلملَموا في الظُّلمة بلا نار، وإذا تكلَّموا فقد تكَلَّموا همسًا، وأصغوا إلى أنفاس هودور الثَّقيلة متسائلين إن كان الهَمج سيُحاوِلون عبور البحيرة في الصَّباح. حاولَ بران أن يمدَّ نفسه إلى سَمر عدَّة مرَّات، لكن في كلِّ مرَّةٍ صَدَّه الألم، كما تُجبرك قِدر شديدة السُّخونة على سحب يديك حتى وأنت تُريد أن تُمسِكها. وحده هودور نامَ ليلتها متمتمًا: «هودور، هودور» وهو يتقلَّب ويتلوَّى في منامه، بينما ظَلَّ بران مرتعبًا من فكرة أن سَمر يموت بعيدًا في مكانٍ ما في الظَّلام، وصلَّى: أتوسَّلُ إليكِ أيتها الآلهة القديمة، لقد أخذتِ (وينترفل) وأبي وساقَيّ، فأرجوكِ ألَّا تأخذي سَمر، واحمي چون سنو أيضًا، واجعلي الهَمج يرحلون.

لا تنمو أشجار الويروود على تلك الجزيرة الحجريَّة في منتصَف البحيرة، لكن لا بُدَّ أن صلاته بلغَت الآلهة القديمة بوسيلةٍ ما. استغرقَ الهَمج وقتًا طويلًا قبل أن يُغادِروا في الصَّباح التَّالي، فجرَّدوا جُثث موتاهم والرَّجل الذي قتلوه من مقتنياتها، وصادوا بضع أسماك من البحيرة، كما مرَّت وهلة مخيفة عندما اكتشفَ ثلاثة منهم المعبر وبدأوا يمشون عليه... لكن الطَّريق دارَ ولم يدوروا، وكادَ اثنان منهم يموتا غرقًا لولا أن أغاثَهما الآخَرون. زعقَ

الرَّجل الأصلع فيهم لتتردَّد أصداء كلماته عبر الماء بلُغةٍ ما يجهلها چوچن نفسه، وبَعد فترةٍ قصيرة جمعوا تروسهم وحِرابهم وشرعوا في الزَّحف نحو الشَّمال الشَّرقي، الاتِّجاه نفسه الذي ذهبَ فيه چون. أرادَ بران أن يرحل أيضًا ليبحث عن سَمر، لكن الأخوين ريد رفضا، وقال چوچن: «سنبقى ليلةً أخرى كي تفصل بيننا وبين الهَمج بضعة فراسخ. لست تُريد أن تلقاهم ثانيةً، أليس كذلك؟».

في أواخر أصيل ذلك اليوم رجعَ سَمر جارًّا قائمته الخلفيَّة من المكان الذي اختبأ فيه أيًّا كان، والتهمَ أجزاء من الجُثث في الخان طاردًا غِربان الجيف، ثم سبحَ إلى الجزيرة، حيث سحبَت ميرا السَّهم المكسور من ساقه وفركَت الجرح بعُصارة نباتاتٍ وجدَتها ناميةً حول قاعدة البُرج. ما زالَ الذِّئب الرَّهيب يَعرُج، لكن أقل فأقل كلَّ يوم كما يرى بران. لقد سمعَته الآلهة.

قالت ميرا لأخيها: «ربما يَجدُر بنا أن نُجرِّب قلعةً أخرى، ربما يُمكننا الدُّخول من البوَّابة في مكانٍ آخَر. سأذهبُ وأستكشفُ إذا أردت، وسأتحرَّكُ أسرع بمفردي».

هَزَّ بران رأسه قائلًا: «إذا ذهبتِ شرقًا ستجدين (البحيرة العميقة) ثم (بوَّابة الملكة)، وغربًا تقع (باب الجليد)، ولن تختلف أيُّها عن هنا إلَّا في الحجم. البوَّابات كلُّها مسدودة باستثناء تلك التي في (القلعة السَّوداء) و(القلعة الشَّرقيَّة) و(بُرج الظِّلال)».

قال هودور: «هودور»، وتبادلَ الأخوان ريد نظرةً، ثم حزمَت ميرا أمرها وأعلنَت: «عليَّ أن أتسلَّق إلى قمَّة (الجِدار) على الأقل، فربما أرى شيئًا هناك».

سألَها چوچن: «وما الذي تأملين رؤيته؟».

ردَّت ميرا بنبرةٍ متعنِّتة هذه المرَّة: «شيئًا ما!».

المفترَض أن أفعلها أنا. رفعَ بران رأسه يتطلَّع إلى (الجدار) وتخيَّل نفسه يتسلَّقه بوصةً بوصةً، يدسُّ يديه في صدوع الجليد ويَركُله صانعًا مواطئ لقدميه، وجعلَه هذا يبتسم على الرغم من كلِّ شيء، الأحلام والهَمج وچون وكلِّ ما سواهم. لقد اعتادَ تسلُّق جُدران وأسوار (وينترفل) في طفولته، والأبراج كافَّةً أيضًا، لكن ليس منها ما هو بهذا الارتفاع، كما أنها كانت من

الحجر فحسب. أحيانًا يبدو (الجدار) كأنه من الحجر عندما يكون رماديًّا محفَّرًا، ثم تنقشع السُّحب وتنزل عليه أشعَّة الشَّمس بزوايا مختلفة، فيتبدَّل في الحال ويشمخ متألِّقًا بالأبيض والأزرق. لطالما قالت العجوز نان إنه حافة العالم، وعلى الجانب الآخَر تقبع الوحوش والعماليق والغيلان، وإن كانت لا تستطيع المرور ما دامَ (الجِدار) يرتفع قويًّا. أريدُ أن أقف على القمَّة مع ميرا، أريدُ أن أقف على القمَّة وأرى.

لكنه صبيٌّ مكسور بساقين عديمتَيْ الفائدة، وليس بإمكانه إلَّا أن يُشاهِد من أسفل فيما تتسلَّق ميرا بدلًا منه.

لم تكن تتسلَّق حقًّا مِثلما تعوَّد أن يفعل، بل تصعد السَّلالم التي نحتَها حَرس اللَّيل منذ مئات وآلاف الأعوام. تذكَّر أن المِايستر لوين قال إن (قلعة اللَّيل) معقل الحَرس الوحيد الذي شُكِّلَت سلالمه من جليد (الجِدار) نفسه، أو ربما قال عمُّه بنچن هذا. أمَّا القلاع الأحدث فسلالمها من الخشب أو الحجارة، أو لها منحدَرات طويلة من التُّربة والحصى. الجليد مراوغ للغاية. عمُّه هو من أخبرَه بهذا، وقال إن سطح (الجدار) يذرف دموعًا جليديَّةً أحيانًا، لكن قلبه مجمَّد صلد كالصَّخر. لا شَكَّ أَن الدَّرجات ذابَت، وتجمَّدت من جديدٍ ألف مرَّة منذ غادرَ الإخوة السُّود القلعة، وكلما حدثَ هذا تقلَّصت بعض الشَّيء، وصارَت أكثر إملاسًا واستدارةً وخداعًا.

كما أنها أصغر أيضًا. كأن (الجدار) يبتلعها داخل نفسه. ميرا ريد واثقة الخُطى للغاية، ومع ذلك تقدَّمت بتأنٍّ وهي تنتقل من نتوءٍ إلى نتوء، وفي بُقعتين حيث كادَ الجليد يختفي تمامًا اضطرَّت للصُّعود على أربع، وفكَّر بران وهو يُشاهِدها: سيكون النُّزول أسوأ، وعلى الرغم من هذا تمنَّى لو أنه في مكانها بالأعلى. ثم إنها بلغَت القمَّة زاحفةً على البروزات الجليديَّة التي تبقَّت من الدَّرجات العُلويَّة وتوارَت عن ناظريه.

سألَ بران چوچن: «متى ستنزل؟».

- «عندما تكون مستعدَّةً. ستُريد أن تُلقي نظرةً شاملةً على (الجِدار) وما يقع وراءه. علينا أن نفعل المِثل هنا».

تساءلَ هودور بارتياب: «هودور؟».

قال چوچن بإصرار: «قد نجد شيئًا ما».

فكَّر بران: أو يجدنا شيء ما، لكنه لم يَبُح بأفكاره، إذ لا يُريد أن يظنَّه چوچن جبانًا.

هكذا ذهبوا للاستكشاف، چوچن ريد في المقدِّمة وبران في سلَّته على ظَهر هودور وسَمر إلى جوارهما. في مرَّةٍ اندفعَ الذِّئب الرَّهيب عبر بابٍ مظلم وعادَ بَعد لحظةٍ بجُرذٍ رمادي بين أسنانه، فقال بران لنفسه: الطَّاهي الجُرذ، لكن لونه كان مختلفًا وحجمه لا يتجاوَز حجم القِط، على حين أن الطَّاهي الجُرذ أبيض، ويكاد يُناهِز الخنزير حجمًا...

في (قلعة اللَّيل) أبواب كثيرة، وجرذان كثيرة سمعَها بران تجري في السَّراديب والأقبية ومتاهة الأنفاق دامسة الظَّلام التي تربط بينها. أرادَ چوچن أن يستكشف هناك، لكن هودور رَدَّ قائلًا: «هودور!»، وقال بران: «لا». في الظُّلمات تحت (قلعة اللَّيل) ثمَّة أشياء أسوأ من الجرذان.

- «يبدو المكان قديمًا»، قال چوچن وهُم يقطعون شُرفةً يَسقُط عليها نور الشَّمس في خيوطٍ مغبَّرة عبر النَّوافذ الخالية.

أجابَ بران متذكِّرًا: «أقدم مرَّتين من (القلعة السَّوداء). كانت هذه أولى قلاع (الجِدار) وأكبرها». لكنها كانت أولى القلاع المهجورة أيضًا، قديمًا في زمن الملك العجوز، وحتى آنذاك كانت ثلاثة أرباع خالية وتكاليف صيانتها باهظة للغاية، فاقترحَت الملكة الكريمة أليسين أن يستبدلها الحَرس بقلعةٍ أصغر وأحدث على بُعد سبعة أميال فقط إلى الشَّرق، حيث ينعطف (الجِدار) بطول شاطئ بحيرةٍ خضراء جميلة، وسدَّدت الملكة تكلفة (البحيرة العميقة) من جواهرها، وشيَّدها الرِّجال الذين أرسلَهم الملك العجوز، فتخلَّى الإخوة السُّود عن (قلعة اللَّيل) للجرذان.

كان ذلك منذ قرنين كاملين، والآن ترتقع (البحيرة العميقة) خاويةً كالقلعة التي حلَّت محلَّها، أمَّا (قلعة اللَّيل)...

كان هودور قد سمعَ الحكايات كلَّها من قبل، على العكس من چوچن، فقال بران: «ثمَّة أشباح هنا، أشباح قديمة من قبل زمن الملك العجوز وقبل إجون التنِّين حتى، أشباح تسعةٍ وسبعين متهرِّبًا رحلوا جنوبًا ليكونوا خارجين عن القانون. كان أحدهم ابن اللورد ريزويل الأصغر، فلمَّا بلغوا أراضي الرَّوابي لجأوا إلى قلعته، لكن اللورد ريزويل قبضَ عليهم وأعادَهم إلى

(قلعة اللَّيل)، وأمرَ حضرة القائد بحفر تسع وسبعين حُفرةً في قمَّة (الجِدار)، ووضعَ المتهرِّبين فيها وسَدَّ المخرج عليهم بالجليد وهُم أحياء. إن معهم حِرابًا وأبواقًا ويُواجه جميعهم الشَّمال. اسمهم التِّسعة وسبعون حارسًا، وقد هجروا مواقعهم وهُم أحياء، ولذا تستمرُّ حراستهم إلى الأبد وهُم موتى. بَعد سنوات، حينما شاخَ اللورد ريزويل وأدركَ أن ساعته تدنو، أمرَ رجاله بحمله إلى (قلعة اللَّيل)، وارتدى أسود الحَرس ليقف إلى جوار ابنه. لقد أعادَه إلى (الجدار) بدافع الشَّرف، لكنه ظَلَّ يحبُّه، فأتى ليُشاركه الحراسة».

أمضوا نِصف النَّهار يستكشفون القلعة. بعض الأبراج كان قد تهاوى منذ زمنٍ والبعض الآخَر يبدو غير مأمون، لكنهم تسلَّقوا بُرج الجرس -الذي غابَ منه الجرس- والمِغدفة -التي غابَت منها الطُّيور- وتحت المخمرة وجدوا قبوًا مليئًا بالبراميل البلُّوط الضَّخمة التي أصدرَت صوتًا مدوِّيًا يدلُّ على فروغها عندما دَقَّ عليها هودور، ووجدوا مكتبةً انهارَت رفوفها وسلالها ورُفِعَت منها الكُتب وتكاثرَت فيها الجرذان، وزنزانةً رطبةً معتمةً تتَّسع لخمسمئة سجين، لكن حين أمسكَ بران أحد القضبان الصَّدئة تفتَّت في يده. حائط واحد متداع تبقَّى من القاعة الكُبرى، وبدا أن الحمَّام يغوص في الأرض، وغزَت أجمة شائكة ضخمة ساحة التَّدريب خارج مستودَع السِّلاح، حيث كان الإخوة السُّود يكدحون ذات يوم بالحربة والتُّرس والسَّيف، بينما لا يزال المستودَع وورشة الحدادة قائمين، وإن حَلَّت شباك العناكب والجرذان والأتربة محلَّ النِّصال والكيران والسَّنادين. أحيانًا يسمع سَمر أصواتًا صمَّت أذن بران نفسها عنها، أو يُكَشِّر عن أنيابه للفراغ وقد انتصبَ الفرو على مؤخِّرة عُنقه... لكن الطَّاهي الجُرذ لم يظهر إطلاقًا، ولا ظهرَ التِّسعة وسبعون حارسًا أو آكس المجنون، وهو ما بَثَّ في بران راحةً شديدة. ربما تكون مجرَّد قلعةٍ مهجورة خربة حقًّا.

عندما عادَت ميرا كانت الشَّمس تكاد تلتصق بالتِّلال الغربيَّة، وسألَ جوجن أخته: «ماذا رأيتِ؟».

أجابَت بوجوم: «رأيتُ (الغابة المسكونة) وتلال البراري ترتفع على مدى البصر مغطَّاةً بأشجار لم تمسَّها بلطة قَطُّ، ورأيتُ ضوء الشَّمس يلتمع على سطح بحيرة والسَّحاب يتحرَّك من الغرب، ورأيتُ رُقعًا من الثَّلج القديم

وكُتل جليدٍ طويلةً كالرِّماح، كما رأيتُ نسرًا يدور في السَّماء، وأعتقدُ أنه رآني أيضًا لمَّا لوَّحتُ له».

- «هل رأيتِ طريقًا إلى أسفل؟».

هَزَّت رأسها نفيًا مجيبةً: «لا. إنها هوَّة عموديَّة، والجليد أملس للغاية... ربما أستطيعُ الهبوط إذا كان معي حبل جيِّد وبلطة لعمل الدِّعامات، ولكن...».

أتمَّ أخوها عبارتها: «... ولكن لا نستطيع نحن».

- «بالضَّبط. أأنت واثق بأن هذا هو المكان الذي رأيته في حُلمك؟ ربما أخطأنا القلعة».

- «لا. هذه هي القلعة المطلوبة. ثمَّة بوَّابة هنا».

رَدَّ عليه بران في سريرته: نعم، لكنها مصمتة بالحجارة والجليد.

مع ميل الشَّمس إلى المغيب استطالَت ظلال الأبراج، واشتدَّت الرِّيح عاصفةً بأوراق الشَّجر الميتة الجافَّة عبر السَّاحات، وإذ توغَّد الظَّلام بفرض سُلطانه عنَّت لبران واحدة أخرى من حكايات العجوز نان، حكاية ملك اللَّيل. قالت إنه ثالث عشر رجل يقود حَرس اللَّيل، وكان مُحاربًا لا يعرف قلبه الخوف، وكانت تُضيف كلما قصَّت عليهم حكايته: «وكان هذا عيبه، فعلى البَشر جميعًا أن يعرفوا الخوف». كانت امرأة السَّبب في سقوطه، امرأة لمَحها من على قمَّة (الجدار)، بشرتها بيضاء كالقمر وعيناها كنجمتين زرقاوين، ولأنه لم يكن يخشى شيئًا فقد طاردَها وقبضَ عليها وأحبَّها، مع أن ملمسها كان ببرودة الجليد، وحين أعطاها نُطفته سلَّمها روحه أيضًا، ثم إنه أخذَها معه إلى (قلعة اللَّيل) وأعلنَها ملكةً وأعلنَ نفسه ملكًا، وبشعوذةٍ مجهولة ربطَ إخوته في الحراسة بإرادته. طيلة ثلاثة عشر عامًا حكما معًا، ملك اللَّيل وملكته الجثَّة، إلى أن تحالفَ اللورد ستارك سيِّد (وينترفل) وچورامون ملك الهَمج أخيرًا لتحرير الحَرس من عبوديَّته، وبَعد سقوطه، لمَّا اكتُشفَ أنه كان يُقدِّم القرابين لـ(الآخرين)، دُمِّرَ كلُّ ما كُتِبَ عن ملك اللَّيل من سجلَّات وحُرِّمَ مجرَّد ذِكر اسمه. دائمًا كانت العجوز نان تختتم الحكاية قائلةً: «يقول البعض إنه كان من آل بولتون، والبعض إنه كان ماجنَر من (سكاجوس)، أو أومبر أو فلينت أو نوري، والبعض يُؤَكِّد أنه كان من آل وودفوت الذين حكموا (جزيرة

الدِّببة) قبل مجيء الحديديِّين، لكنه لم يكن أيًّا من هؤلاء، بل كان ستارك، أخا الرَّجل الذي أطاحَ به». ولا ينسى بران أبدًا كيف كانت تَقرُص أنفه دومًا وتُضيف: «كان ستارك من (وينترفل)، ومن يدري؟ ربما كان اسمه براندون، وربما كان ينام في هذا الفِراش بالذَّات في هذه الغُرفة بالذَّات».

لا، لكنه كان يمشي في هذه القلعة التي سننام فيها اللَّيلة. لا تُعجِب الفكرة بران على الإطلاق، إذ دائمًا ما قالت العجوز نان إن ملك اللَّيل كان مجرَّد رجلٍ نهارًا، لكن اللَّيل ملكوته. والظَّلام يهبط.

قَرَّر الأخوان ريد أن يناموا في المطبخ، المبني الحجري مثمَّن الأضلاع، ذي القبَّة المكسورة، بما أنه يبدو مأوى أفضل لهم من البنايات الأخرى، على الرغم من شجرة الويروود المعوجَّة التي تنبثق من الأرضيَّة المكسوَّة بألواح الأردواز إلى جوار البئر الضَّخمة التي تتوسَّط المكان، وتمتدُّ مائلةً نحو الفجوة في السَّقف كأن فروعها البيضاء كالعظام تسعى إلى بلوغ الشَّمس. شجرة غريبة هي، أكثر نحولًا من كلِّ شجر الويروود الآخَر الذي رآه بران، وبلا وجهٍ كذلك، ولو أنها أشعرَته بأن الآلهة القديمة معه ها هنا على الأقل.

الشَّجرة هي الشَّيء الوحيد الذي راقَه في المطبخ. السَّقف أغلبه سليم، أي أنهم لن يبتلُّوا إذا عادَت الأمطار تَسقُط، لكنه لا يحسب أنهم سيجدون أيَّ دفءٍ هنا، فبإمكانه أن يحسَّ بالبرد يتسرَّب إلي أعلى من بين ألواح الأرضيَّة. ثم إن الظِّلال لا تروقه أيضًا، ولا الأفران الطُّوب الضَّخمة التي تُحيط بهم كالأفواه المفغورة، ولا خطاطيف اللَّحم الصَّدئة، ولا النُّدوب والبُقع التي رآها على وَضَم الجزَّار عند أحد الحوائط. هنا قطَّع الطَّاهي الجُرذ الأمير إلى لُقيمات، وخبزَ الفطيرة في أحد هذه الأفران.

على أن البئر هي أخشى ما يخشاه. محيطها اثنا عشر قدمًا كاملةً، وكلُّها من الحجر، وفي جانبها درجات تدور وتدور نازلةً إلى الظَّلام في الأسفل، وحوائطها رطبة مغطَّاة بالنَّطرون، لكن أحدًا منهم لم يستطِع أن يرى الماء في قاعها، حتى ميرا بنظرها الحاد الذي أرهفَته خبرتها في الصَّيد.

قال بران بشَك: «ربما تكون بلا قاع».

ألقى هودور نظرةً من فوق الحافةِ التي ترتفع حتى الرُّكبتين، وصاحَ: «هودور!»، فأجابَت البئر مردِّدةً صدى الكلمة: «هودورهودورهودورهودور

هودورهودورهودورهودور» بصوتٍ أخذَ يخفت ويخفت إلى أن صارَ أوهى من همسة. بدَت الدَّهشة على هودور، ثم إنه ضحكَ وانحنى يلتقط قطعةً من الأردواز من على الأرض، فقال بران: «هودور، لا!»، ولكن بَعد أن فاتَ الأوان وألقى هودور الحجر من فوق الحافة، فقال له: «لم يكن يجب أن تفعل هذا. لست تعلم ما يوجَد في الأسفل. ربما آذيت شيئًا أو... أو أيقظت شيئًا».

رمقَه هودور ببراءةٍ متسائلًا: «هودور؟».

بعيدًا بعيدًا بعيدًا في الأسفل سمعوا صوت سقوط الحجر في الماء. لم يكن صوت تناثُر ماءٍ طبيعيًّا، بل أقرب إلى الازدارد، كأن الشَّيء الذي في قاع البئر أيًّا كان قد فتحَ فمًا جليديًّا راجفًا ليبتلع حجر هودور. تصاعدَت الأصداء الخافتة إلى أعلى البئر، وحسبَ بران لحظةً أنه يسمع شيئًا ما يتحرَّك خائضًا في المياه، فقال متوتِّرًا: «ربما لا يَجدُر بنا البقاء هنا».

سألَته ميرا: «عند البئر أم في القلعة؟».

أجابَها: «نعم».

ضحكَت وأرسلَت هودور يجمع الحطب، وذهبَ سَمر معه. كان الظَّلام يكاد يُطبِق على العالم كاملًا وقتها، والذِّئب الرَّهيب يرغب في الصَّيد.

عادَ هودور بذراعين مليئتين بالخشب الميت والأغصان المكسورة، وأخرجَ چوچن ريد خنجره وحجر الصَّوَّان ليُشعِل النَّار، بينما شرعَت ميرا تُنَظِّف السَّمكة التي اصطادَتها من آخِر جدولٍ عبروه. تساءلَ بران كم عامًا مَرَّ منذ طُهِيَ آخِر عَشاءٍ في مطبخ (قلعة اللَّيل)، وتساءلَ عن من طهاه أيضًا، وإن قال لنفسه إن الأفضل أن يظلَّ يجهل الإجابة.

عندما تأجَّج اللَّهب وضعَت ميرا السَّمكة فوقه، وفكَّر بران: على الأقل ليست فطيرة لحم. لقد طبخَ الطَّاهي الجُرذ ابن الملك الأندالي في فطيرةٍ كبيرة مع البصل والجزر والفطر والكثير من الملح والفلفل وشريحةٍ من اللَّحم المقدَّد والنَّبيذ الدورني الأحمر القاني، ثم قدَّمه إلى أبيه الذي أثنى على مذاق الفطيرة وتناولَ قطعةً ثانيةً. بَعدها حوَّلت الآلهة الطَّاهي إلى جُرذٍ أبيض متوحِّشٍ لا يستطيع أن يأكل إلَّا صغاره، ومنذ ذلك الحين وهو يطوف أرجاء (قلعة اللَّيل) ملتهمًا أطفاله دون أن يشبع أبدًا. كانت العجوز نان تقول حينما تقصُّ عليهم الحكاية: «لم تلعنه الآلهة لأنه قتلَ، ولا لأنه قدَّم للملك

الأندالي ابنه في فطيرة، فكلُّ رجل له الحَقُّ في الانتقام... لكنه قتلَ ضيفًا تحت سقفه، وهذه جريمة لا يُمكن أن تغفرها الآلهة أبدًا».

بَعد أن امتلأَت بطونهم وبدأت النَّار تهدأ قال چوچن وهو يُزكيها بعصا: «علينا أن ننام. ربما أرى حُلمًا أخضر آخَر يُرشِدنا إلى الطَّريق».

كان هودور قد تكوَّر على نفسه ويُصدِر غطيطًا واطئًا بالفعل، وبين الحين والآخَر يتقلَّب تحت معطفه ويُهَمهِم بشيءٍ ما ربما يكون «هودور»، أمَّا بران فزحفَ مقتربًا من النَّار مستشعرًا حلاوة الدِّفء والاطمئنان الذي تبثُّه طقطقة اللَّهب، لكن النَّوم جافاه. في الخارج كانت الرِّيح تُرسِل جيوشًا جرَّارةً من الأوراق الميتة تزحف عبر السَّاحات لتخدش الأبواب والنَّوافذ بخفوت، وجعلَته الأصوات يُفكِّر من جديدٍ في قصص العجوز نان، فكادَ يسمع أشباح الحُرَّاس تُنادي بعضها بعضًا على قمَّة (الجِدار) وتَنفُخ في أبواقها الشَّبحيَّة. من الفجوة في القبَّة نزلَ نور القمر الشَّاحب مائلًا ليَصبُغ فروع الويروود المرتفعة إلى السَّقف، فبدت الشَّجرة كأنها تُحاوِل أن تَبلُغ القمر وتجرَّه إلى أعماق البئر. صلَّى بران: أيتها الآلهة القديمة، إذا كنتِ تسمعين فلا تُرسلي إليَّ حُلمًا سيئًا اللَّيلة، وإذا فعلتِ فاجعليه حُلمًا جيدًا.

ولم تُجِب الآلهة.

أجبرَ بران نفسه على إغلاق عينيه، وربما نامَ بالفعل، أو ربما أخذَه النُّعاس لا أكثر فأحسَّ كأنه يطفو كما يَحدُث عندما تكون عالقًا في تلك المنطقة الوُسطى بين النَّوم واليقظة، وحاولَ ألَّا يُفكِّر في الطَّاهي الجُرذ أو آكس المجنون أو الشَّيء الذي أتى ليلًا.

ثم إنه سمعَ الضَّجَّة.

وانفتحَت عيناه وانكتمَت أنفاسه. ما هذا؟ هل كنتُ أحلمُ؟ هل رأيتُ كابوسًا سخيفًا؟ لم يُرِد أن يُوقِظ ميرا وچوچن بسبب حُلم سيِّئ، ولكن... ها هو ذا... صوت خافت لشيءٍ ما ينجرُّ في مكانٍ بعيد... إنها الأوراق، أوراق الشَّجر تُخَشخِش على الجُدران وتحفُّ... أو الرِّيح، ربما تكون الرِّيح... لكن الصَّوت لا يأتي من الخارج. شعرَ بران بجِلده يقشعرُّ وبالشَّعر على ذراعيه ينتصب. الصَّوت في الدَّاخل، هنا معنا، ويعلو. دفعَ نفسه على مِرفقيه

إلى أعلى وأصغى. هناك ريح بالفعل، وأوراق تتحرَّك في كلِّ مكان، لكن هذا صوت شيءٍ آخَر. خُطوات. أحد ما قادم، شيء ما قادم.

يعلم أنه ليس صوت الحُرَّاس، فهؤلاء لا يُبارِحون (الجدار) أبدًا، لكن ربما تكون هناك أشباح أخرى في (قلعة اللَّيل)، أشباح ألعَن وألعن. تذكَّر ما حكَته العجوز نان عن آكس المجنون، وكيف خلَعَ حذاءه وجابَ قاعات القلعة حافي القدمين في الظَّلام، لا يُصدِر صوتًا يدلُّ على مكانه إلَّا قطرات الدِّماء التي تساقطَت من بلطته ومِرفقيه وطرف لحيته الحمراء المبتلَّة. أو ربما لا يكون هذا آكس المجنون أصلًا، ربما يكون الشَّيء الذي أتى ليلًا، الذي قالت العجوز نان، إن التَّلامذة كلَّهم رأوه، لكن حين أخبَروا حضرة القائد لاحقًا كان الوصف الذي أدلى به كلٌّ منهم مختلفًا. وماتَ ثلاثة منهم قبل انقضاء العام وجُنَّ الرَّابع، وبَعد مئة سنةٍ حين أتى الشَّيء ثانيةً شوهِدَ التَّلامذة يمشون وراءه مكبَّلين بالسَّلاسل.

غير أنها مجرَّد قصَّة. إنه يُخيف نفسه لا أكثر. المِايستر لوين قال إنه ليس هناك شيء يأتي ليلًا، وإذا كان له وجود ذات يومٍ فقط اختفى من العالم كالعمالقة والتَّنانين. لا شيء هنالك.

لكن الصَّوت تعالى أكثر.

أدركَ أنه يأتي من البئر، وتزايدَ الخوف في نفسه. شيء ما في الطَّريق إلى أعلى من تحت الأرض، شيء ما قادم من الظَّلام. هودور أيقظَه، أيقظَه بقطعة الأردواز السَّخيفة، وها هو قادم إلينا الآن. كان السَّمع صعبًا مع غطيط هودور وخفقان قلب بران العنيف. أهذا هو الصَّوت الذي يُحدِثه تقاطُر الدَّم من بلطة؟ أم أنها صلصلة سلاسلٍ شبحيَّة خافتة بعيدة؟ أرهفَ سمعه أكثر. خُطوات. إنها خُطوات أقدام بكلِّ تأكيد، كلٌّ منها أعلى من السَّابقة، لكنه لا يدري كم قدمًا هناك، فالبئر تجعل الأصوات تُرَدِّد الصَّدى، كما أنه لا يسمع سلاسل تُصَلصِل أو دماءً تتقاطَر، لكن هناك شيئًا آخَر... إنه أنين رفيع مرتفع كأن أحدًا يتألَّم، وأنفاس ثقيلة مكتومة، لكن وقع الخُطوات أعلى، والخُطوات تدنو.

كان بران أكثر خوفًا من أن يصيح، والنَّار خمدَت ولم يتبقَّ منها إلَّا بضع جذواتٍ باهتة، وأصدقاؤه كلُّهم نيام. كادَ يَخرُج من جلدته ويتلبَّس ذئبه، لكن سَمر قد يكون على بُعد أميال عدَّة، كما أنه لا يستطيع أن يَترُك أصدقاءه بلا حيلةٍ في

الظَّلام ليُواجِهوا ذلك الآتي من البئر أيًا كان. فكَّر بتعاسة: قلتُ لهم ألَّا نجيء إلى هنا، قلتُ لهم إن هناك أشباحًا، قلتُ لهم إن علينا الذَّهاب إلى (القلعة السَّوداء).

ترامَت الخُطوات إلى مسامع بران ثقيلةً بطيئةً خرقاء تحتكُّ بالحجارة. لا بُدَّ أنه شيء ضخم. في قصص العجوز نان كان آكس المجنون رجلًا كبير الحجم، والشَّيء الذي أتى ليلًا هائلًا. قديمًا في (وينترفل) قالت له سانزا إن شياطين الظَّلام لا يُمكنها أن تمسَّه إذا اختبأ تحت دثاره، والآن أوشكَ على أن يفعل هذا قبل أن يتذكَّر أنه أمير ويكاد يكون رجلًا بالغًا.

زحفَ بران على الأرض جارًّا ساقيه الميتتين وراءه إلى أن استطاعَ أن يمدَّ يده ويمسَّ قدم ميرا، التي استيقظَت في الحال. لم يعرف قَطُّ أحدًا يستيقظ بسُرعة ميرا ريد أو ينتبه فورًا مِثلها. وضعَ إصبعه على فمه لتعرف أن عليها ألَّا تتكلَّم، ورأى على ملامحها أنها سمعَت الصَّوت بمجرَّد أن استيقظَت، ومِثله ميَّزت صدى وقع الأقدام والأنين الخافت والأنفاس الثَّقيلة.

نهضَت ميرا دون أن تنبس بكلمةٍ والتقطَت سلاحيها، وبرُمح صيد الضَّفادع ثُلاثي الشُّعب في يُمناها والشَّبكة في يُسراها اقتربَت من البئر بقدمين حافيتين، بينما واصلَ چوچن نومه الغافل وهمهمَ هودور وتقلَّب في نومه المضطرب. ظلَّت وسط الظِّلال وهي تتحرَّك، ودارَت حول خيطٍ من نور القمر بسُرعة القِطط، وراقبها بران طيلة الوقت ملاحظًا لمعة رُمحها الباهتة، وقال لنفسه: لا يُمكنني أن أدعها تُقاتِل الشَّيء وحدها. سَمر بعيد، ولكن بإمكان بران أن...

... يَخرُج من جِلدته ويمدَّ نفسه إلى هودور.

ليس الأمر كما يتلبَّس سَمر، فقد أمسى ذلك في منتهى السُّهولة، حتى إن بران يُفكِّر فيه بالكاد، أمَّا هذا فأصعب، كأنك تُحاوِل أن تنتعل فردة حذاءٍ يُسرى بقدمك اليُمنى، لا تُناسِب هذه تلك، كما أن فردة الحذاء خائفة أيضًا، لا تفهم ما يَحدُث، تدفع القدم بعيدًا عنها. ذاقَ القيء في مؤخِّرة حَلق هودور، وكادَ هذا يدفعه إلى الخروج منه، لكنه تلوَّى ودفعَ واعتدلَ جالسًا وطوى ساقيه تحته -ساقيه الضَّخمتين القويَّتين- ثم نهضَ. إنني واقفٌ. وأخذَ خُطوةً. إنني أمشي. كان الإحساس غريبًا للغاية لدرجة أنه كادَ يَسقُط. رأى نفسه على الأرض الحجريَّة الباردة، رأى شيئًا صغيرًا مكسورًا، لكنه ليس مكسورًا الآن، والتقطَ سيف هودور الطَّويل وقد أصبحَ صخب الأنفاس ككير الحدَّاد.

من البئر تردَّد عويل صارخ حاد طعنَه كسكِّين، وألقى جسم أسود ضخم نفسه إلى أعلى في الظَّلام واندفعَ صوب نور القمر. تضاعفَ خوف بران مرارًا، وقبل أن يُفَكِّر مجرَّد تفكير حتى في سحب سيف هودور كما أرادَ، وجدَ نفسه على الأرض مجدَّدًا بينما يَصرُخ هودور: «هودور هودور هودور!» كما فعلَ في بُرج البحيرة كلما سطعَ البرق. لكن الشَّيء الذي أتاهم ليلًا كان يَصرُخ أيضًا ويتخبَّط بعُنف في طيّات شبكة ميرا، ورأى بران رُمحها يندفع من الظَّلام ليطعنه، وترنَّح الشَّيء وسقطَ مجاهدًا للتَّخلُّص من الشَّبكة. كان العويل لا يزال آتيًا من البئر وأعلى مما كان، وعلى الأرض تلوَّى الشَّيء الأسود وقاومَ صارخًا بصوتٍ رفيع: «لا، أرجوكِ، لا، لا...».

وقفَت ميرا فوقه ونور القمر ينعكس على شُعب رُمحها، وسألَته: «من أنت؟».

قال الشَّيء الأسود باكيًا: «أنا سام! سام، سام، أنا سام، حِلِّي هذه الشَّبكة، لقد طعنتِني...»، وتدحرج يتلوَّى في الشَّبكة عبر بِركة نور القمر، بينما ظَلَّ هودور يصيح: «هودور هودور هودور!».

كان چوچن هو من ألقى مزيدًا من العِصِيِّ في النَّار ونفخَ فيها إلى أن تأجَّج اللَّهب وطقطقَ، ليعود الضَّوء ويرى بران الفتاة الشَّاحبة ناحلة الوجه الواقفة عند حافة البئر، ترتدي طبقاتٍ وطبقاتٍ من الفرو والجلد تحت معطف أسود ضخم وتُحاوِل تهدئة الرَّضيع المولول بين ذراعيها. مَدَّ الشَّيء على الأرض يده عبر طيّات الشَّبكة إلى خنجره، لكن العُقد لم تُعطِه الفُرصة. لم يكن وحشًا أو حتى آكس المجنون الغارق في الدِّماء، وإنما مجرَّد رجلٍ كبير بدين يرتدي الصُّوف الأسود والفرو الأسود والجِلد الأسود والحلقات المعدنيَّة السَّوداء، فقال بران: «إنه أخ أسود. ميرا، إنه من حَرس اللَّيل».

- «هودور؟»، سألَ هودور وأقعى ليُحَدِّق إلى الرَّجل في الشَّبكة، ثم ضحكَ وقال: «هودور».

كان الرَّجل البدين لا يزال يتنفَّس ككير الحدَّاد وهو يقول: «حَرس اللَّيل، نعم. أنا أخ من الحَرس». تحت ذقنه كان وتر يرفع رأسه قسرًا، وأوتار غيره منغرسة في وجنتيه. «أنا غُراب. أرجوكم أخرِجوني من هذه الشَّبكة».

أفعمَ نفس بران الارتياب فجأةً، وسألَ: «أأنت الغُراب ذو الأعيُن الثَّلاث؟». لا يُمكن أن يكون هو.

تحرَّكت عينا الرَّجل البدين -اثنتان فحسب- وهو يُجيب: «لا أظنُّ. أنا سام فقط، ساموِيل تارلي. أخرجوني، إنها تُؤلِمني»، وبدأ يتلوَّى من جديد.

أصدرَت ميرا صوتًا ممتعضًا، وقالت: «كفى حركةً. إذا مزَّقت شبكتي سألقيك في البئر. اثبت وسأحلُّ وثاقك».

سألَ چوچن الفتاة ذات الرَّضيع: «مَن أنتِ؟».

ردَّت: «جيلي، على اسم الزَّهرة، وهو سام. لم نكن نقصد أن نُخيفكم»، وهزهزَت الرَّضيع ودندنَت له حتى كَفَّ عن البُكاء أخيرًا.

راحَت ميرا تحلُّ الأخ البدين من شبكتها، وذهبَ چوچن وألقى نظرةً إلى أسفل متسائلًا: «من أين أتيتم؟».

قالت الفتاة: «من (قلعة كراستر). أأنت هو؟».

التفتَ إليها چوچن سائلًا: «هو؟».

- «قال إن سام ليس المطلوب، إن هناك أحدًا آخر، الذي أُرسِلَ ليَعثُر عليه».

سألَها بران: «مَن الذي قال؟».

أجابَت جيلي بخفوت: «ذو اليدين الباردتين».

سحبَت ميرا طرفًا من الشَّبكة واستطاعَ الرَّجل البدين أن يجلس، ورآه بران يرتجف ولا يزال يُكافِح لالتقاط أنفاسه. قال لاهثًا: «قال إنه سيكون هناك أشخاص في القلعة، لكني لم أعلم أنكم ستكونون عند قمَّة السَّلالم مباشرةً، لم أعلم أنكم ستُلقون عليَّ شبكةً أو تطعنوني في بطني»، وتحسَّس بطنه بيده المقفَّزة بالأسود، وتساءلَ: «هل أنزِفُ؟ لستُ أرى».

قالت ميرا: «كانت مجرَّد وخزة لأُسقِطك. دَعني أُلقي نظرةً»، وجثَت على رُكبتها وتلمَّست حول سُرَّته قبل أن تقول: «إنك ترتدي الحلقات المعدنيَّة، ولم أمسَّ جِلدك حتى!».

رَدَّ سام متذمِّرًا: «لكني تألَّمتُ رغم ذلك».

سألَه بران: «أأنت أخ في حَرس اللَّيل حقًّا؟».

أومأَ الرَّجل البدين برأسه إيجابًا فاهتزَّ ذقنه الممتلئ، وقد بدَت بشرته

شاحبةً مترهِّلةً ولاحَ عليه لحظةً أنه سيجهش بالبكاء وهو يُجيب بصوتٍ متهدِّج: «مجرَّد وكيل. كنتُ أعتني بغِدفان اللوردِ مورمونت، لكنني فقدتها على قمَّة (القبضة)، كانت غلطتي. ثم ضللتُ الطَّريق أيضًا ولم أستطِع أن أجد (الجِدار) حتى. إنه يمتدُّ مئة فرسخ ويرتفع سبعمئة قدم ولم أستطِع أن أجده!».

قالت ميرا: «حسن، ها قد وجدته. ارفع مؤخِّرتك عن الأرض، أريدُ شبكتي».

سألَ چوچن فيما نهضَ سام بصعوبة: «كيف مررتم من (الجِدار)؟ هل تقود البئر إلى نهرٍ تحت الأرض؟ هل جئتم من هناك؟ لكنكم لستم مبتلِّين...».

قال سام البديَن: «هناك بوَّابة، بوَّابة خفيَّة قديمة قِدم (الجِدار) ذاته، قال إن اسمها البوَّابة السَّوداء».

تبادلَ الأخوان ريد نظرةً، وسألَ چوچن: «وهل سنجد تلك البوَّابة في قاع البئر؟».

هَزَّ سام رأسه نفيًا، وأجابَ: «لن تجدوها أنتم. يجب أن أصحبكم بنفسي».

قالت ميرا: «لماذا؟ إذا كانت هناك بوَّابة...».

- «لن تجدوها، وإذا وجدتموها فلن تنفتح لكم. إنها البوَّابة السَّوداء، السَّوداء»، وأمسكَ سام صوف كُمِّ معطفه الأسود الباهت مواصلًا: «قال إن رجلًا من حَرس اللَّيل فقط يستطيع أن يفتحها، أخًا حلفَ اليمين».

قطَّب چوچن جبينه متسائلًا: «قال... ذو اليدين الباردتين هذا؟».

أجابَت جيلي وهي تُهَدهِد وليدها: «ليس هذا اسمه الحقيقي، بل ما ندعوه به أنا وسام. إن يديه باردتان كالجليد، لكنه أنقذَنا من الموتى، هو وغِدفانه، وأحضرَنا إلى هنا على متن إلكته».

ردَّد بران متعجِّبًا: «إلكته؟».

وردَّدت ميرا مندهشةً: «إلكته؟».

وردَّد چوچن: «غِدفانه؟».

وقال هودور: «هودور؟».

سألَ بران: «ألونه أخضر؟ هل له قرون؟».

قال البدين بارتباك: «الإلكة؟».

قال بران بصبر نافد: «ذو اليدين الباردتين هذا. الرِّجال الخُضر يمتطون الإلكات كما كانتْ العجوز نان تقول، وأحيانًا تكون لهم قرون أيضًا».

- «ليس رجلًا أخضر، ويرتدي الأسود كأخٍ في حَرس اللَّيل، لكن بشرته شاحبة كالجُثث الحيَّة ويديه باردتان للغاية حتَّى إنني خفتُ في البداية. لكن الجُثث الحيَّة أعيُنها زرقاء وبلا ألسنة، أو أنها نسيَت كيف تستخدم ألسنتها»، والتفتَ البدين إلى چوچن قائلًا: «إنه منتظِر. يجب أن نذهب. ألديكم ثياب أثقل ترتدونها؟ البوَّابة السَّوداء باردة، والجانب الآخَر من (الجِدار) أبرد وأبرد. إنكم...».

قاطعَته ميرا: «لماذا لم يجئ معكم؟»، وأشارَت إلى جيلي والرَّضيع متابعةً: «هما جاءا معك، فما الذي منعَه؟ لماذا لم تَدخُل به من البوَّابة السَّوداء أيضًا؟».

- «إنه... إنه لا يستطيع».

- «ولِمَ؟».

- «(الجدار)، قال إن (الجدار) أكثر من مجرَّد الجليد والحجر، إن هناك تعاويذَ مدموجةً فيه... تعاويذ قديمة وقويَّة. إنه لا يستطيع المرور من (الجدار)».

لَحظتها رانَ الصَّمت التَّام على مطبخ القلعة، وسمعَ بران طقطقة اللَّهب الخافتة، والرِّياح تذرو أوراق الشَّجر عبر اللَّيل وصرير شجرة الويروود النَّحيلة الرَّانية إلى القمر، وتذكَّر العجوز نان تقول: وراء البوَّابات تعيش الوحوش والعماليق والغيلان، لكنها لا تستطيع المرور ما دامَ (الجِدار) يرتفع قويًّا، فاخلُد إلى النَّوم يا براندون يا صغيري الجميل ولا تخف، فلا وحوش هنا.

قال چوچن ريد لسام السَّمين في ثيابه السَّوداء الفضفاضة المتَّسخة: «ليس أنا من قيلَ لك أن تُحضره، بل هو».

- «أوه»، غمغمَ سام متطلِّعًا إلى بران مرتابًا، وربما يكون قد أدركَ حينها فقط أنه مشلول، فقال متلعثمًا: «لستُ... إنني لستُ قويًّا كفايةً لأحملك، و...».

أشارَ بران إلى سلَّته قائلًا: «هودور سيحملني. إنني أركبُ هذه على ظَهره».

كان سام يُحَدِّق إلْيه بشدَّةٍ وهو يقول: «أنت أخو چون سنو، الذي سقطَ...».

قاطعَه چوچن بحزم: «لا، ذلك الصَّبي ماتَ».

وقال بران: «لا تُخبر أحدًا، أرجوك».

لاحَ الارتباكُ على سام لحظةً، ثم إنه قال: «ســ... سأحتفظُ بالسِّر، وجيلي أيضًا»، ورمقَ الفتاة التي أومأت برأسها مؤيِّدةً، فواصلَ: «چون... چون كان أخي أيضًا، وأفضل صديق حظيتُ به في حياتي، لكنه رحلَ مع كورين ذي النِّصف يد لاستطلاع (أنياب الصَّقيع) ولم يَعُد. كنا ننتظره على (القبضة) عندما... عندما...».

قال بران: «چون هنا، سَمر رآه. كان مع بعض الهَمج، لكنهم قتلوا رجلًا وأخذَ چون حصانه وهربَ. أراهنُ أنه ذهبَ إلى (القلعة السَّوداء)».

أدارَ سام عينيه الواسعتين إلى ميرا متسائلًا: «أأنتِ واثقة بأنه كان چون؟ رأيته بنفسكِ؟».

قالت مبتسمةً: «أنا ميرا. سَمر هو...».

قاطعَها ظِلٌّ فصلَ نفسه عن القبَّة المكسورة في الأعلى ووثبَ عبر نور القمر، وحتى بساقه الجريحة هبطَ الذِّئب بهدوء وخفَّة الثُّلوج المتساقطة، فأصدرَت الفتاة جيلي صوتًا خائفًا وضمَّت رضيعها إلى صدرها بقوَّةٍ شديدة جعلَته يبكي ثانيةً.

قال بران: «لن يُؤذيكم. هذا هو سَمر».

خلعَ سام قُفَّازه قائلًا: «چون قال إن لديكم جميعًا ذئاب. إنني أعرفُ جوست»، ومَدَّ يدًا مرتعدةً أصابعها بيضاء طريَّة ممتلئة كأصابع السُّجق، فاقتربَ سَمر وتشمَّمها ثم لعقَ يد سام.

وعندئذٍ حزمَ بران أمره، وقال: «سنذهب معك».

مندهشًا سألَه سام: «كلُّكم؟».

داعبَت ميرا شَعر بران مجيبةً: «إنه أميرنا».

دارَ سَمر حول البئر متشمِّمًا، ثم توقَّف عند الدَّرجة العُليا ونظرَ إلى بران، الذي فكَّر: يُريد أن يذهب.

سألَهم سام: «هل ستكون جيلي آمنةً إذا تركتها هنا حتى أرجع؟».

قالت ميرا: «ستكون آمنةً، ويُمكنها الجلوس عند النَّار».
وقال چوچن: «القلعة خالية».
تلفَّتت جيلي حولها قائلةً: «كراستر حكى لنا عن القلاع، لكني لم أحسبها بهذه الضَّخامة».
فكَّر بران: إنه المطبخ فقط، وتساءلَ عمَّا ستقوله حين ترى (وينترفل) إذا رأتها ذات يوم.
استغرقوا دقائق قليلة ليجمعوا أغراضهم ويرفعوا بران إلى سلَّته الخيزران على ظَهر هودور، وحين استعدُّوا للذَّهاب كانت جيلي جالسةً تُرضِع ابنها إلى جوار النَّار، وقالت لسام: «ستعود إليَّ، أليس كذلك؟».
وعدَها قائلًا: «في أقرب وقتٍ ممكن، ثم سنذهب إلى مكانٍ دافئ»، ولمَّا سمعَ بران هذا تساءلَ جزء منه عمَّا يفعله، وسألَ نفسه: هل سأذهبُ إلى مكانٍ دافئ ثانيةً أبدًا؟
قال سام: «سأتقدَّمكم بما أني أعرفُ الطَّريق»، وعند قمَّة السَّلالم تردَّد لحظةً قائلًا: «الدَّرجات كثيرة للغاية!»، ثم زفرَ وبدأ ينزل، يتبعه چوچن ثم سَمر ثم هودور ببران على ظَهره، وفي النِّهاية ميرا حاملةً رُمحها وشبكتها.
الطَّريق إلى أسفل كان طويلًا حقًّا، فبينما تسبح قمَّة البئر في نور القمر، إلَّا أنها أخذَت تتضاءَل كلما داروا نازلين وتزايدَ الظَّلام، وردَّدت الدَّرجات الحجريَّة الرَّطبة وقع خُطاهم وارتفعَ صوت المياه.
سألَ چوچن: «ألم يكن علينا أن نجلب مشاعل؟».
قال سام: «ستعتاد أعيُنكم الظَّلام. ضعوا يدًا على الحائط ولن تَسقُطوا».
مع كلِّ دورةٍ أصبحَت البئر أكثر ظُلمةً وبرودةً، وحين رفعَ بران رأسه ليَنظُر إلى القمَّة وجدَ حجمها لا يزيد على الهلال. همسَ هودور: «هودور»، فأجابَت البئر هامسةً: «هودورهودورهودورهودورهودورهودور»، واقتربَ صوت الماء أكثر، لكن بران لم يرَ إلَّا سوادًا لمَّا نظرَ إلى أسفل.
بَعد دورةٍ أو اثنتين توقَّف سام فجأةً. كان يَبعُد عن بران وهودور برُبع دورة، أي أدنى إليهما بنحو ستّ أقدام، لكن بران يراه الآن بالكاد، وإن رأى الباب، البوَّابة السَّوداء التي ذكرَها سام، والتي ليست سوداء على الإطلاق.
كانت من خشب الويروود الأبيض، وعليها وجه.

من الخشب انبعث وهج أبيض كالحليب ونور القمر، خافت للغاية لدرجة أنه يكاد لا يمسُّ شيئًا بَعد الباب نفسه، ولا حتى سام الواقف أمامه مباشرةً. الوجه عجوز شاحب، متغضِّن متقلِّص. يبدو ميتًا. فمه مغلَق، وعيناه كذلك، ووجنتاه غائرتان، وجبينه ذابل، وذقنه متهدِّل. إذا عاشَ رجل ما ألف عام دون أن يموت أبدًا بل يظلُّ يطعن في السِّنِّ، فهكذا سيكون شكل وجهه.

ثم فتحَ الباب عينيه.

عينان بيضاوان هما، وعمياوان.

وسألَ الباب: «مَن أنت؟»، وهمسَت البئر: «مَن -مَن -مَن -مَن -مَن -مَن -مَن».

وأجابَ ساموِيل تارلي: «أنا السَّيف في الظُّلمات، أنا الحارس على الأسوار، أنا النَّار التي تحترق لتَطرُد البَرد، الضَّوء الذي يأتي بالفَجر، النَّفير الذي يوقظ النِّيام، الدِّرع التي تقي بلدان البَشر».

قال الباب: «فلتمرَّ إذن»، وافترقَت شفتاه وأخذَتا تنفغران وتنفغران وتنفغران إلى أن لم يتبقَّ شيء على الإطلاق، إلَّا فم مفتوح عن آخِره وسط حلقةٍ من التَّجاعيد. انتحى سام جانبًا وأشارَ لجوجِن بالمرور فمَرَّ وتبعَه سَمر متشمِّمًا، ثم حانَ دور بران. انحنى هودور وإنما ليس كفايةً، ومسَّت شفة الباب العُليا قمَّة رأس بران بخفَّة، وسقطَت قطرة ماء عليه وجرَت ببُطءٍ على أنفه، وكانت دافئةً على نحوٍ غريب، ومالحةً كالدُّموع.





دنيرس

تُعادِل (ميرين) مساحة (أستاپور) و(يونكاي) مجتمعتيْن، وعلى غرار أختيها شُيِّدَت المدينة من القرميد أيضًا، ولو أن (أستاپور) حمراء و(يونكاي) صفراء، بينما (ميرين) قرميدها متعدِّد الألوان، كما أن أسوارها أعلى وأفضل ترميمًا من أسوار (يونكاي)، ومزوَّدة بالزَّوايا المحصَّنة وأبراج الحراسة الضَّخمة التي تَبرُز من كلِّ رُكن، ومن ورائها تلوح قمَّة (الهرم الأكبر) الذي يشهق بكُتلته الهائلة نحو السَّماء، وتُتوَّجه على ارتفاع ثمانمئة قدم هارپي سامقة من البرونز.

حين رآها داريو نهاريس قال: «الهارپي مخلوق جبان. إن لها قلب امرأة وقدمَيْ دجاجة، فلا عجب أن أبناءها يتوارون خلف أسوارهم».

لكن البطل لم يتوارَ، بل خرجَ من بوَّابة المدينة مدرَّعًا بأقراص البرونز والكهرمان الأسود وممتطيًا جوادًا حربيًّا يرتدي بدوره دِرعًا تُماثِل خطوطها الورديَّة والبيضاء لونَيْ معطف البطل الحرير المنسدل من على كتفيه. الرُّمح الذي يحمله يُناهِز الأربعة عشر قدمًا طولًا ومغلَّف بشرائط من اللَّونين نفسيهما، وشَعره ممشَّط ومصقول ومشكَّل كقرنَيْ كبش ملتويتيْن، وقد راحَ يعدو بجواده جيئةً وذهابًا أمام الأسوار ذات الألوانَ العديدة متحدِّيًا المحاصِرين أن يُرسِلوا بطلًا من بينهم ليُواجِهه في نزالٍ فردي.

كان خيَّالة دمها توَّاقين إلى الذَّهاب ولقائه لدرجة أنهم كادوا يتشاجَرون، إلَّا أن داني قالت لهم: «مكانكم هنا إلى جانبي يا دم دمي. هذا الرَّجل ذُبابة طنَّانة لا أكثر، فتجاهَلوه. قريبًا سيرحل». آجو وجوجو وراكارو مُحارِبون شُجعان، لكنهم شُبَّان وأقيم من أن تُجازِف بهم، ناهيك بأنهم يُحافِظون على وحدة گالاسارها، إضافةً إلى كونهم أفضل كشَّافتها.

قال السير چورا وهو يُشاهِد من أمام سُرادقها: «قرار حكيم. دعي الأحمق يَركُض بلا انقطاع حتى يُكَسِّح حصانه. إنه لا يُسَبِّب لنا أيَّ ضرر».

قال آرستان ذو اللِّحية البيضاء بإصرار: «بل يضرُّنا. الحروب لا تُربَح بالسُّيوف والحِراب فقط أيها الفارس. قد يلتقي جيشان قوَّتهما متعادلتان، لكن أحدهما سينكسر ويفرُّ جنوده بينما يظلُّ الثَّاني صامدًا، وهذا البطل يبني الشَّجاعة في قلوب رجاله ويزرع بذرة الشَّكِّ في قلوب رجالنا».

رَدَّ السير چورا ساخرًا: «وإذا خسرَ بطلنا، فما البذرة التي يزرعها هذا؟».

- «مَن يخشى القتال لا ينتصر أبدًا أيها الفارس».

- «لسنا نتكلَّم عن القتال. (ميرين) لن تفتح أبوابها إذا سقطَ هذا الأحمق، فلِمَ نُخاطِر بنفس عبثًا؟».

- «بدافع الشَّرف».

قالت داني: «سمعتُ ما يكفي». إنها ليست في حاجةٍ إلى نِقارهما علاوةً على ما تُعانيه من هموم، فـ(ميرين) تُشَكِّل خطرًا أفدح من مجرَّد بطل يرتدي الوردي والأبيض ويرفع عقيرته بالشَّتائم، وهي لا ترغب في أن يُشَتِّت أنتباهها. بَعد (يونكاي) أصبح جيشها يَبلُغ ثمانين ألفًا، لكن أقلَّ من رُبعهم جنود، أمَّا البقيَّة... قال السير چورا إنهم أفواه بأقدام، وقريبًا سيتضوَّرون جوعًا.

كان أسياد (ميرين) العظام قد انسحبوا أمام تقدُّم داني، فحصدوا كلَّ ما استطاعوا من محاصيلهم وأضرَموا النَّار في كلِّ ما لم يستطيعوا حصاده، لتُحَيِّي جيشها الحقول المحروقة والآبار المسمَّمة في كلِّ مكان. الأسوأ أنهم علَّقوا طفلًا عبدًا عند كلِّ صُوَّةٍ ميليَّة بطول الطَّريق السَّاحلي من (يونكاي)، علَّقوهم وثبَّتوهم بالمسامير وهُم ما زالوا أحياء بينما تنسكب أحشاؤهم من بطونهم ويُشير كلٌّ منهم بذراعه إلى الطَّريق نحو (ميرين). أمرَ داريو الذي يقود طليعتها برفع الأطفال قبل أن تراهم داني، لكنها أبطلَت أمره بمجرَّد أن بلغَها، وقالت: «سأراهم، سأرى كلًّا منهم وأحصيهم وأنظرُ إلى وجوههم، وسأتذكَّرُ».

وحين وصلوا إلى (ميرين) القابعة على السَّاحل المالح المتاخم لنهرها كان عدد الأطفال مئةً وثلاثةً وستِّين، ومرَّةً أخرى تعهَّدت داني لنفسها: سأنالُ هذه المدينة.

ظَلَّ البطل الوردي والأبيض يتهكَّم على المحاصِرين ساعةً، هازئًا برجولتهم وأمَّهاتهم وزوجاتهم وآلهتهم، وهتفَ له المدافعون عن (ميرين) من فوق الأسوار. اسمه أوزناك زو پال كما أخبرَها بن پلوم البنِّي -القائد الجديد للأبناء الثَّانين الذي اختارَه رفاقه المرتزقة- عندما انضمَّ إلى مجلس الحرب، وأضافَ: «كنتُ حارسًا شخصيًّا لعمِّه ذَات يوم قبل أن ألتحق بالأبناء الثَّانين. الأسياد العظام، يا لهم من رهطٍ من الدِّيدان السَّمِينة. نساؤهم لسن بهذا السُّوء، وإن كان مجرَّد النَّظر إلى الواحدة الخطأ بطريقةٍ خطأ كفيلًا بتكليف الرَّجل حياته. عرفتُ رجلًا اسمه سكارب انتزعَ أوزناك هذا كبده من بطنه، مدَّعيًا أنه كان يُدافِع عن شَرف سيِّدةٍ اغتصبَها سكارب بعينيه. كيف يُمكن أن يغتصب رجل امرأةً بعينيه؟! لكن عمَّه أثرى رجلٍ في (ميرين)، ويقود أبوه حَرس المدينة، فاضطررتُ لأن أهرب كالفئران قبلَ أن يَقتُلني بدوري».

شاهَدوا أوزناك زو پال يترجَّل عن جواده ويحلُّ أربطة ثيابه ويُخرِج ذَكره ليبول في اتِّجاه بُستان الزَّيتون الذي نُصِبَ فيه سُرادق داني الذَّهبي بين الأشجار المحروقة، وكان لا يزال يُفرِغ مثانته عندما تقدَّم داريو نهاريس بحصانه حاملًا أراخه، وقال وسنَّته الذَّهبيَّة تلتمع وسط لحيته الزَّرقاء: «هل أقطعه وأدسُّه في فمه من أجلكِ يا جلالة الملكة؟».

أجابَت: «أريدُ مدينته وليس ذَكره الضَّئيل». لكن الغضب كان قد بدأ ينتابها بالفعل، وفكَّرت: إذا تجاهَلته فترةً أطول سيظنُّني قومي ضعيفةً. مَن يُمكنها أن تُرسِل ليُقاتِله؟ إنها تحتاج إلى داريو نهاريس بقَدر حاجتها إلى خيَّالة دمها، ففي غياب التايروشي المبهرَج لن تستطيع السَّيطرة على غربان العاصفة، الذين كان كثيرون منهم أتباعًا لپرندال نا غِزن وسالور الأصلع.

عاليًا فوق أسوار ميرين تصاعدَت الهتافات المستهزئة أكثر فأكثر، وبدأ مئات من المدافعين يحذون حذو بطلهم ويتبوَّلون من فوق المتاريس ليُبدوا احتقارهم للمحاصِرين. يتبوَّلون على الرَّقيق ليُرونا أنهم لا يخشوننا على الإطلاق. لو كان گالاسار من الدوثراكي على أبوابهم لما جرؤوا على هذا.

عادَ آرستان يقول: «لا بُدَّ من الرَّدِّ على هذا التَّحدِّي».

قالت داني والبطل يدسُّ قضيبه في سراويله: «سنردُّ عليه. قُل لبِلواس القوي إنني أريده».

وجدوا الخصيَّ البنِّي الضَّخم جالسًا في ظِلِّ سُرادقها يلتهم إصبعًا من السُّجق، فالتهمه على ثلاث قضمات ومسحَ يديه الملوَّثتين بالدُّهن على سراويله وأرسلَ آرستان ذا اللِّحية البيضاء يُحضِر سلاحه. تعوَّد المُرافِق المسنُّ أن يشحذ أراخ بِلواس الفولاذي كلَّ ليلةٍ ويُنَظِّفه بالزَّيت الأحمر الزَّاهي، وحين جلبَه إليه ضيَّق بِلواس عينيه متفحِّصًا الحافة، ثم همهمَ مستحسنًا وأعادَ النَّصل إلى غمده الجلدي وشَدَّ وسطه العريض بالحزام. أتاه آرستان بتُرسه أيضًا، وهو قُرص فولاذي مستدير لا يتعدَّى حجم الطَّبق الكبير، يُمسِكه الخصيُّ بيده بدلًا من تثبيته على ساعده كدأب الوستروسيِّين. قال بلواس مخاطبًا ذا اللِّحية البيضاء: «أريدُ كبدًا بالبصل، ليس الآن، بَعد أن أفرغَ. القتل يُصيب بِلواس القوي بالجوع»، ولم ينتظر إجابةً وتحرَّك بخُطى ثقيلة صوب أوزناك زو پال.

سألَها راگارو: «لماذا هو يا گاليسي؟ إنه بدين وأبله».

– «بِلواس القوي كان عبدًا هنا في حلبات القتال، وإذا سقطَ أوزناك ابن علية القوم أمام واحدٍ على شاكلته ستكون إهانةً مخزيةً للأسياد العظام، بينما إذا فازَ... سيكون انتصارًا تافهًا لنبيلٍ مِثله ولن تجد فيه (ميرين) مدعاةً للفخر». وعلى عكس السير چورا وداريو وبن البنِّي وخيَّالة دمها الثَّلاثة، لا يقود الخصيُّ جنودًا أو يُخَطِّط للمعارك أو يمدُّها بالمشورة. لا يفعل إلَّا الأكل والتَّفاخُر والزَّعيق في آرستان. بِلواس أسهل مَن تستطيع الاستغناء عنهم، وآنَ أوان أن تعرف كنه الحارس الذي أرسلَه الماچستر إليريو إليها.

تعالَت الهتافات الحماسيَّة من صفوف الحصار لمَّا أبصَروا بِلواس يمضي نحو المدينة، ومن على أسوار (ميرين) تردَّد التَّشجيع والصِّياح الهازئ. عادَ أوزناك زو پال يمتطي جواده وانتظرَ رافعًا رُمحه كالعلم، ونفضَ الحصان رأسه بصبرٍ نافد وراحَ ينبش الأرض الرَّمليَّة بحوافره، وعلى الرغم من حجمه الضَّخم بدا الخصيُّ صغيرًا مقارنةً بالبطل على متن جواده.

قال آرستان: «لو كان شهمًا لترجَّل».

أمَّا أوزناك زو پال فخفضَ رُمحه وانطلقَ.

وقفَ بِلواس بقدمين متباعدتين، في يده تُرسه المستدير الصَّغير وفي

الثَّانية الأراخ الذي يُعالِجه آرستان بمنتهى العناية، ولا يرتدي فوق الزُّنار الحرير الأصفر المعقود حول خاصرته إلَّا صُدرةً جِلديَّةً مطعَّمةً بالحديد، صغيرة الحجم لدرجةٍ مضحكة ولا تُغَطِّي حلمتيه حتى، وتَترُك بطنه الكبير وصدره المترهِّل مكشوفين. قالت داني شاعرةً بتوتُّرٍ مفاجئ: «كان علينا أن نُعطيه قميصًا معدنيًّا».

قال السير چورا: «كان ليعوقه لا أكثر. إنهم لا يرتدون الحلقات المعدنيَّة في حلبات القتال، فالجماهير تأتي لرؤية الدَّم».

تطايرَ التُّراب من تحت حوافر الحصان الأبيض إذ اندفعَ ينهب الأرض نحو بِلواس وعلى صهوته أوزناك الذي يخفق معطفه المخطَّط وراءه، ومن (ميرين) تعاظمَ الهتاف حتى بدا كأن المدينة كلَّها تحضُّ بطلها على التَّقدُّم، فجعلَ صياح المحاصِرين ضعيفًا خافتًا بالمقارَنة، وقد وقفَ المطهَّرون في صفوفهم صامتين يُشاهِدون بوجوهٍ حجريَّة. بِلواس أيضًا ظَلَّ واقفًا كأنه تمثال من حجر، يعترض طريق الحصان وهو يُولي جيش داني ظَهره العريض الذي يكاد يفتق نسيج صُدرته الضيِّقة. كان رُمح أوزناك مستويًا مسدَّدًا إلى منتصَف صدره ورأسه الفولاذي المصقول يتلألأ في ضوء الشَّمس، ووجدَت داني نفسها تُفكِّر: سيُخَوزِقه... في اللَّحظة نفسها التي تفادى فيها بِلواس الهجمة بحركةٍ جانبيَّة، وفي غمضة عينٍ مَرَّ به أوزناك ودارَ رافعًا الرُّمح. لم يتحرَّك بِلواس ليُوَجِّه له ضربةً، ودوَّى صُراخ الميرينيزيِّين فوق الأسوار أعلى وأعلى.

سألَت داني: «ماذا يفعل؟».

أجابَها السير چورا: «يُقَدِّم استعراضًا للرَّعاع».

دارَ أوزناك دورةً واسعةً حول بِلواس، ثم غرسَ كعبيه في جانبَيْ الحصان وعادَ ينقضُّ، ومرَّةً أخرى انتظرَ بِلواس ثم دارَ حول نفسه وضربَ رأس الرُّمح مزيحًا إياه، وسمعَت داني ضحكته تُدَوِّي عبر السَّهل إذ تخطَّاه البطل ثانيةً.

قال السير چورا: «الرُّمح طويل جدًّا وما على بِلواس إلَّا أن يتفاداه. حريٌّ بالأحمق أن يدعسه مباشرةً بدلًا من أن يستعرض براعته ويُحاوِل أن يُخوزقه».

انقضَّ أوزناك زو پال مرَّةً ثالثةً، والآن رأت داني بوضوحٍ أنه يركب متجاوزًا بِلواس مِثلما يفعل فُرسان (وستروس) مع منافسيهم في مَضامير النِّزال، بدلًا

من الانقضاض عليه مباشرةً كما يفعل الدوثراكي ليدعسوا أعداءهم. أتاحَت الأرض المسطَّحة المستوية للجواد أن يعدو بسُرعة، لكنها سهَّلت أيضًا على الخصيِّ أن يتحاشى الرُّمح الثَّقيل الذي يَبلُغ الأربع عشرة قدمًا طولًا.

حاولَ بطل (ميرين) الوردي والأبيض أن يتوقَّع حركة بلواس هذه المرَّة، ودوَّر رُمحه جانبًا في اللَّحظة الأخيرة هادفًا إلى إصابته قبل أن يتفادى الطَّعنة، لكن الخصيَّ توقَّع حركة الميرينيزي بدوره وانخفضَ بدلًا من أن يميل إلى الجانب، فمَرَّ الرُّمح فوق رأسه دون أن يمسَّه، وفجأةً تدحرجَ بلواس رافعًا أراخه الماضي وهاويًا به في قوس فضِّي، وسمعوا الجواد يَصرُخ إذ مزَّق النَّصل أوتار قائمتيه الأماميَّتين، وفي لحظةٍ سقطَ مُسقِطًا البطل من فوق ظَهره.

خيَّم صمت مباغت على شُرفات (ميرين) القرميد، وأصبحَ قوم داني وحدهم مَن يهتفون ويُهَلِّلون.

وثبَ أوزناك مبتعدًا عن الحصان واستطاعَ أن يستلَّ سيفه قبل أن يَبلُغه بلواس، وتعالَت أنشودة الفولاذ أسرع وأعنف من أن تُلاحِق داني الضَّربات، لَكن لا بُدَّ أن ثوانيَ معدودةً مرَّت قبل أن تُغرق الدِّماء صدر بلواس من جرح تحت ثدييه، بينما انغرسَ الأراخ بين قرنَيْ الكبش في رأس أوزناك زو بالَ، ثم انتزعَ الخصيُّ النَّصل وفرَّق بين رأس البطل وجسده بثلاث ضربات ضارية على عُنقه، ورفعَ الرَّأس عاليًا ليراه الميرينيزيُّون قبل أن يُلقيه نحو بوَّابة المدينة ليتدحرَج على الرِّمال.

قال داريو ضاحكًا: «يبدو أن بطل (ميرين) من ورق».

قال السير چورا: «نصر بلا معنى. إننا لن نفوز بـ(ميرين) بقتل المدافعين عنها واحدًا واحدًا».

ردَّت داني: «نعم، لكني مسرورة لأننا قتلنا هذا».

بدأ المدافعون على الأسوار يُطلِقون نُشَّابيَّاتهم على بلواس، لكن السِّهام لم تَبلُغه أو انزلقَت على الأرض دون أن تُؤذيه، أمَّا الخصيُّ فأدارَ ظَهره للوابل ذي الرُّؤوس الفولاذيَّة وأنزلَ سراويله وقرفصَ وتبرَّز في اتِّجاه المدينة، ثم مسحَ نفسه بمعطف أوزناك المخطَّط وتوقَّف لحظات يُجَرِّد جثَّة البطل من مقتنياتها ويُخَلِّص الحصان المحتضر من عذابه، قبل أن يتَّجه متهاديًا إلى بُستان الزَّيتون.

استقبلَه المحاصِرون بهتافاتٍ جهوريَّة بمجرَّد أن عادَ إلى المعسكَر، وضحكَ الدوثراكي وصرخوا، ودَقَّ المطهَّرون تروسهم بحِرابهم صانعين دويًّا عظيمًا، وقال له السير چورا: «أحسنت»، بينما ألقى بن البنِّي للخصيِّ حبَّةً ناضجةً من البرقوق قائلًا: «فاكهة حُلوة للقتال الحُلو»، وحتى وصيفتا داني الدوثراكيَّتان أثنتا عليه، وقالت چيكوي: «كنا لنجدل شَعرك ونُعلِّق فيه جرسًا يا بلواس القوي، لكنك بلا شَعر».

قال الخصيُّ: «بلواس القوي لا يحتاج إلى رنين الأجراس»، والتهمَ برقوقة بن البنِّي على أربع قضمات كبيرة وطوَّح بالنَّواة جانبًا مضيفًا: «بِلواس القوي يُريد الكبد بالبصل».

قالت داني: «ستناله، لكن بِلواس القوي مصاب». كان الدَّم يسيل من الجرح أسفل ثدييه ملطِّخًا بطنه بالأحمر.

- «ليس شيئًا ذا بال. إنني أتركُ كلَّ رجلٍ أقاتله يجرحني مرَّةً قبل أن أقتله»، وربَّت الخصيُّ على بطنه الدَّامي مردفًا: «احصي الجروح وستعرفين كم رجلًا قتلَهم بِلواس القوي».

على أن داني فقدَت گال دروجو بسبب جرحٍ مشابه، ولن تسمح بأن تتركه بلا مداواة. هكذا أرسلَت ميسانداي تبحث عن رجلٍ يونكي مشهور بمهارته في فنون العلاج، ولمَّا جاءَ راحَ بلواس يُوَلول ويتذمَّر، لكن داني وبَّخته ونعتَته بالطِّفل الأصلع الكبير، إلى أن تركَ المعالِج يُوقِف النَّزيف بالخَلِّ ويُخيِّط الجرح ويربط صدره بشرائط من الكتَّان المنقوع في النَّبيذ النَّاري، وعندها فقط ذهبَت مع قادتها إلى سُرادقها لعقد مجلس الحرب.

- «يجب أن أنال هذه المدينة»، قالت لهم وهي جالسة بساقين متقاطعتين على كومةٍ من الوسائد وتنانينها حولها، بينما تصبُّ إيري وچيكوي النَّبيذ. «صوامع الغلال ملأى لدرجة الانفجار، وفي شُرفات الأهرامات تنمو أشجار التِّين والتَّمر والزَّيتون، وفي الأقبية براميل وبراميل من الأسماك المملَّحة واللُّحوم المدخَّنة».

قال داريو مذكِّرًا: «وهذا بخلاف الصَّناديق الممتلئة بالذَّهب والفضَّة والأحجار الكريمة. دعونا لا ننسى الأحجار الكريمة».

قال السير چورا مورمونت: «ألقيتُ نظرةً على الأسوار المواجهة لليابسة

ولم أرَ أيَّ نقاط ضَعف. مع الوقت قد نتمكَّن من الحفر تحت أحد الأبراج ونصنع ثغرةً، لكن ماذا سنأكل ونحن نَحفُر؟ مؤننا على وشك النَّفاد».

ردَّدت داني: «لا نقاط ضَعف في الأسوار المواجهة لليابسة؟». (ميرين) مقامة على لسانٍ أرضي من الرِّمال والحجارة حيث يصبُّ نهر (السكاهازاذان) البنِّي البطيء في (خليج النَّخَّاسين)، فيرتفع سور المدينة الشَّمالي بمحاذاة ضفَّة النَّهر، والغربي على شاطئ الخليج. «أيعني هذا أن باستطاعتنا الهجوم من النَّهر أو البحر؟».

- «بثلاث سُفن؟ سنجعل الرُّبَّان جروليو يُلقي نظرةً فاحصةً على السُّور المواجه للنَّهر، لكن ما لم يكن متداعيًا فهي وسيلة أكثر ابتلالًا للموت لا أكثر».

- «وماذا لو بنينا أبراج حصار؟ أخي ڤسيرس كان يحكي عنها، وأعرفُ أن بناءها ممكن».

- «من الخشب يا جلالة الملكة، لكن النَّخَّاسين أحرَقوا كلَّ شجرةٍ في محيط عشرين فرسخًا من هنا. دون أخشاب لا نستطيع بناء مقاذيف نهدم بها الأسوار أو سلالم نصعد عليها أو أبراج حصار أو سلاحف[1] أو مدكَّات. يُمكننا مهاجَمة البوَّابة بالفؤوس، نعم، ولكن...».

قال بن پلوم البنِّي: «هل رأيت الرُّؤوس البرونز فوق البوَّابة؟ تلك الصُّفوف من رؤوس الهارپي بأفواهها المفتوحة؟ سيصبُّ الميرينيزيُّون الزَّيت المغلي من هذه الأفواه ويَطبُخوا حاملي الفؤوس في مكانهم».

ابتسمَ داريو نهاريس قائلًا للدُّودة الرَّمادي: «ربما على المطهَّرين أن يحملوا الفؤوس. سمعتُ أن الزَّيت المغلي بالنِّسبة لكم كالحمَّام السَّاخن».

لم يردَّ الدُّودة الرَّمادي الابتسامة، وقال: «غير صحيح. هؤلاء الآحاد لا يَشعُرون بالحروق كبقيَّة النَّاس، لكن الزَّيت المغلي يُعمي ويَقتُل. لكن المطهَّرين لا يخافون الموت. أعطوا هؤلاء الآحاد المدكَّات وسنُحَطِّم البوَّابة أو نموت ونحن نُحاوِل».

---

(1) السُّلحفاة واحدة من أنظمة الوقاية في الحروب القديمة، يرفعها الجنود فوق رؤوسهم في أثناء الهجوم على بوَّابات القلاع أو المُدن لحمايتهم من السِّهام وغيرها، على غرار صدفة السُّلحفاة. (المترجم).

قال بن البنِّي: «ستموتون». في (يونكَاي)، عندما تولَّى قيادة الأبناء الثَّانين، زعمَ أنه قاتلَ في مئة معركة، لكنه أضافَ: «وإن كنت لن أدَّعي أني قاتلتُ فيها جميعًا بشَجاعة. ثمَّة مرتزِقة مسنُّون ومرتزِقة شُجعان، لكن لا يوجَد مرتزِقة شُجعان مسنُّون»، ورأت داني أن كلامه سليم.

زفرَت داني، وقالت: «لن أفرِّط في أرواح المطهَّرين هباءً أيها الدُّودة الرَّمادي. ربما يُمكننا تجويع المدينة».

بدا عدم الرِّضا على السير چورا وهو يقول: «سنجوع نحن قبلها بكثير يا جلالة الملكة. لا يوجَد طعام هنا، أو أعلاف للبغال والخيول، ولا تروقني مياه هذا النَّهر كذلك. (ميرين) تتخلَّص من فضلاتها في (السكَاهازاذان)، لكنها تسحب مياه الشُّرب من الآبار العميقة، ولقد بلغَتنا أنباء بالفعل عن أمراض في المخيَّمات، حُمَّى وساق بنِّيَّة[1] وثلاث حالات من الإسهال الدَّموي، وستتفشَّى هذه الأمراض أكثر إذا بقينا. العبيد ضُعفاء من الزَّحف».

ردَّت داني مصحِّحةً: «المحرَّرون. إنهم لم يعودوا عبيدًا».

- «أحرار أو عبيد، إنهم جوعى وقريبًا سيُصبحون مرضى. المدينة لديها زخيرة من المؤن أفضل منا بكثير، ويُمكن إعادة تزويدها بالماء، لكن سُفنك الثَّلاث لا تكفي لإغلاق النَّهر والبحر أمامهم في آنٍ واحد».

- «بِمَ تنصح إذن أيها السير چورا؟».

- «لن تُعجبكِ نصيحتي».

- «لكني سأسمعها».

- «كما ترغبين. نصيحتي أن ندع هذه المدينة وشأنها. لا يُمكنكِ تحرير كلِّ عبدٍ في العالم يا كَاليسي، ثم إن حربكِ في (وستروس)».

- «لم أنسَ (وستروس)». أحيانًا تَحلُم بها داني، تلك الأرض الأسطوريَّة التي لم ترَها قَطُّ. «لكن إذا تركتُ أسوار (ميرين) القرميد القديمة تهزمني بهذه البساطة، فكيف سأستولي على القلاع الحجريَّة العظيمة في (وستروس)؟».

قال السير چورا: «كما فعلَ إجون، بالنَّار. عندما نَبلُغ (الممالك السَّبع)

---

(1) السَّاق البنِّيَّة مرض مستوحى غالبًا من داء شامبرج الذي يُصيب القدمين والسَّاقين ويتسبَّب في تغيُّر مزمن للون الجِلد، جاعلًا إياه يبدو كالصَّدأ البنِّي. (المترجم).

ستكون تنانينكِ قد نمَت، وستكون معنا أبراج حصار ومجانيق وكلُّ ما نفتقر إليه هنا... لكن الطَّريقَ عبر أراضي الصَّيف الطَّويل طويل وشاق، وثمَّة أخطار نجهلها. لقد توقَّفتِ في (أستاپور) لتشتري جيشًا لا لتشنِّي حربًا. ادَّخري سيوفكِ ورماحكِ لـ(الممالك السَّبع) يا مليكتي، دعي (ميرين) لأهلها وازحفي غربًا إلى (پنتوس)».

قالت داني حانقةً: «أزحفُ مهزومةً؟».

قال الگو چوجو: «عندما يختبئ الجُبناء وراء الأسوار العالية فهُم المهزومون يا گاليسي».

أيَّده خيَّالا الدَّم الآخَران، وقال راگارو: «يا دم دمي، عندما يختبئ الجُبناء ويُحرِقون الطَّعام والنَّبات يتجاهَلهم الگالات العظماء ويسعون إلى أعداء أشجع. هذا معلوم».

ردَّدت چيكوي وهي تصبُّ النَّبيذ: «هذا معلوم».

قالت داني: «ليس معلومًا لي». صحيحٌ أنها تُقيم وزنًا كبيرًا لنصائح السير چورا، لكنها لن تستطيع أبدًا أن تهضم فكرة أن تَترُك (ميرين) كما هي. إنها لم تنسَ الأطفال المعلَّقين والطُّيور تُمَزِّق أمعاءهم بينما تُشير أذرُعهم النَّاحلة إلى الطَّريق على السَّاحل. «سير چورا، تقول إن طعامنا ينفد، فكيف سيُمكنني إطعام المحرَّرين إذا زحفنا غربًا؟».

- «لا يُمكنكِ. آسف يا گاليسي، لكن إمَّا أن يُطعِموا أنفسهم وإما أن يتضوَّروا جوعًا. كثيرون منهم سيموتون في أثناء الزَّحف. سيكون هذا صعبًا، لكن ليست هناك سبيل لإنقاذهم. علينا أن نُدير ظهورنا لهذه الأرض المحروقة».

حين عبرَت داني (القَفر الأحمر) تركَت وراءها أثرًا طويلًا من الجُثث، وهذا منظر لا تنوي أن تراه ثانيةً أبدًا. قالت: «لا. لن أجعل قومي يزحفوا إلى حتفهم». أطفالي. «لا بُدَّ من وسيلةٍ لدخول المدينة».

ملَّس بن پلوم البنِّي على لحيته المرقَّطة بالأبيض والرَّمادي قائلًا: «أعرفُ وسيلةً، البالوعات».

- «البالوعات؟ ماذا تعني؟».

قال بن: «ثمَّة بالوعات قرميد كبيرة تحمل فضلات المدينة وتُفرِغها في

(السكاهازاذان)، وقد تَصلُح لأن يَدخُل منها عدد قليل. هكذا فررتُ من (ميرين) حينما فقدَ سكارب رأسه»، ولاحَ عليه الاشمئزاز وهو يُضيف: «لم أنسَ الرَّائحة قَطُّ، وما زلتُ أحلمُ بها أحيانًا».

قال السير چورا والارتياب يبدو عليه: «إنها طريقة أسهل للخروج لا الدُّخول في تصوُّري. تقول إن هذه البالوعات تصبُّ في النَّهر؟ معنى هذا أن فتحاتها تحت الأسوار مباشرةً».

أجابَ بن البنِّي: «ومغلَقة بشباك حديد، وإن كان الصَّدأ قد أصابَ بعضها، وإلَّا لكنتُ قد غرقتُ في الغائط. من يَدخُل عليه أن يصعد في متاهةٍ مظلمة تمامًا من القرميد يُمكن أن يتوه فيها إلى الأبد. القذارة لا تنخفض عن مستوى الخاصرة أبدًا، والبُقع التي رأيتها على الحوائط تشي بأنها ترتفع فوق مستوى الرَّأس أحيانًا، وثمَّة أشياء تعيش هناك أيضًا، أكبر جرذان يراها المرء في حياته، وأشياء أخرى مقزِّزة».

ضحكَ داريو نهاريس قائلًا: «مقزِّزة كما كنت عندما خرجت من البالوعة؟ إذا كان أي أحد بالحُمق الكافي لأن يفعل هذا، لشَمَّ كلُّ نخَّاس رائحته بمجرَّد أن يَخرُج».

هَزَّ بن البنِّي كتفيه مجيبًا: «جلالتها سألَت إن كانت هناك وسيلة للدُّخول، فأخبرتها... لكن بن پلوم لن يخوض في تلك البالوعات ثانيةً أبدًا ولو مقابل كلِّ الذَّهب في (الممالك السَّبع). إذا كان هناك آخَرون يرغبون في التَّجربة، فهنيئًا لهم».

حاولَ آجو وچوجو والدُّودة الرَّمادي أن يتكلَّموا في آنٍ واحد، لكن داني رفعَت يدها آمرةً بالصَّمت، وقالت: «تلك البالوعات لا تبدو واعدةً بالنَّجاح». تعرف أن الدُّودة الرَّمادي سيقود مطهَّريه هناك إذا أمرَت، وأن خيَّالة دمها سيُسعِدهم أن يُلَبُّوا الأمر كذلك، لكن لا أحد منهم يَصلُح لتلك المهمَّة، فالدوثراكي خيَّالة، وقوَّة المطهَّرون تكمُن في انضباطهم ونظامهم في ميدان المعركة. هل بإمكاني أن أُرسِل رجالي ليموتوا في الظَّلام من أجل أملٍ واهنٍ كهذا؟ «عليَّ أن أفكر أكثر. عودوا إلى واجباتكم».

انحنى قادتها وتركوها مع وصيفاتها وتنانينها، لكن بينما تحرَّك بن البنِّي ليَخرُج بسطَ ڤسيريون جناحيه الشَّاحبيْن وحلَّق إلى رأسه بكسل، وضربَ

أحد الجناحين وجهه بخفَّة، قبل أن يحطَّ التنِّين الأبيض واضعًا إحدى ساقيه على رأس المرتزِق والثَّانية على كتفه، ثم صرخ وعادَ يُحلِّق، فقالت داني: «إنه يحبُّك يا بن».

ضحكَ قائلًا: «كما ينبغي له. إن في عروقي قطرةً من دماء التَّنانين لعلمكِ».

قالت داني ذاهلةً: «أنت؟ كيف؟». پلوم من مخلوقات جماعات المرتزقة الحُرَّة، وليس أكثر من هجين ودود الطَّابع له وجه بنِّي عريض وأنف مكسور وشَعر أشيب زَغِب، وقد ورثَ من أمِّه الدوثراكيَّة عينيها اللَّوزيَّتين الواسعتين الدَّاكنتين، ويَزعُم أن جزءًا منه من (جُزر الصَّيف) وجزءًا براڤوسي، وجزءًا إيبنيزي، وجزءًا كوهوري، وجزءًا دوثراكي، وجزءًا دورني، وجزءًا وستروسي، لكن هذه هي المرَّة الأولى التي تسمع فيها أن فيه شيئًا من دماء تارجاريَن.

- «كان هناك پلوم قديم في ممالك غروب الشَّمس تزوَّج أميرةً من التَّنانين. حكَت لي جدَّتي حكايته وقالت إنه عاشَ في عصر الملك إجون».

- «أي إجون؟ هناك خمسة اسمهم إجون حكموا (وستروس)». وكان ابن أخيها ليُصبِح السَّادس لولا أن رجال الغاصب هشَّموا رأسه على جِدار.

- «خمسة؟ هذا مربك. لا أستطيعُ أن أحدِّد الرَّقم يا مليكتي، لكن پلوم القديم هذا كان لوردًا، ولا بُدَّ أنه كان شهيرًا في تلك الأيام وحديث البلاد كلِّها، لأنه -وأستميح صاحبة الجلالة عذرًا- كان يملك قضيبًا طوله ستّ أقدام».

رنَّت الأجراس الثَّلاثة في ضفيرة داني حين ضحكَت قائلةً: «تعني ستَّ بوصات».

قال بن البنِّي بجدِّيَّة: «أقدام. لو أنها بوصات فمن كان ليتكلَّم عنه يا جلالة الملكة؟».

قهقهَت داني كطفلةٍ صغيرة وسألَته: «هل قالت جدَّتك إنها رأت تلك الأعجوبة؟».

- «تلك العجوز الشَّمطاء لم ترَه. كانت نصف إيبنيزيَّة ونصف دوثراكيَّة، ولم تذهب إلى (وستروس) قَطُّ، لكن لا بُدَّ أن جدِّي أخبرَها. قتلَه بعض الدوثراكي قبل أن أولَد».

- «ومن أين أتي جدُّك بالحكاية؟».

قال بن البنّي: «ربما كانت واحدةً من حكايات الرِّضاعة القديمة»، وهَزَّ كتفيه مردفًا: «أخشى أن هذا كلُّ ما أعرفه عن إجون الذي بلا رقم أو اللورد پلوم القديم وذَكره العظيم. الأفضل أن أعود إلى أبنائي».

قالت له: «افعل هذا».

حين غادرَ استلقَت على وسائدها وقالت لدروجون وهي تحكُّه بين قرنيه: «لو كنتم كبارًا كفايةً لطرتُ بكم إلى الأسوار وأذبتُ تلك الهارپي حتى تُصبِح كُتلةً مشوَّهةً». لكن سنينًا ما زالت أمامها حتى يَكبُر تنانينها ويكونوا صالحين للامتطاء. ومن سيمتطيهم عندما يكبُرون؟ للتنِّين ثلاثة رؤوس، وأنا برأس واحد. فكَّرت في داريو. إذا كان هناك رجل يستطيع أن يغتصب امرأةً بعينيه...

لا شَكَّ أن داني تُشاطِره الذَّنب، فكثيرًا ما وجدَت نفسها تختلس النَّظر إلى التايروشي كلما اجتمعَ مجلس قادتها، وأحيانًا وهي متمدِّدة في فِراشها ليلًا تتذكَّر لمعة سِنِّه الذَّهبيَّة عندما يبتسم، وتتذكَّر عينيه، عينيه الزَّرقاوين الباشَّتين. على الطَّريق من (يونكاي) أتاها داريو بزهرةٍ أو غُصينٍ من نباتٍ ما كلَّ مساءٍ وهو يُقَدِّم لها تقريره، لمساعَدتها على معرفة هذه الأرض على حَدِّ تعبيره؛ صَفصاف الدَّبابير وورد الغسق والنَّعنع البرِّي وحرير الخاتون وأُذن الأسد والرَّتم والزَّهر الشَّائك وذهب الهارپي... وحاولَ أن يُجَنِّبني رؤية الأطفال الموتى أيضًا. لم يكن يَجدُر به أن يفعل هذا، لكنه قصدَ أن يترفَّق بها، كما أن داريو نهاريس يُضحِكها، وهو ما لا يَحدُث مع السير چورا أبدًا.

حاولَت أن تتخيَّل ما سيَحدُث إذا سمحَت لداريو بأن يُقَبِّلها كما فعلَ چورا على السَّفينة، ووجدَت الفكرة مثيرةً ومزعجةً في آنٍ واحد. المخاطرة كبيرة جدًّا. المرتزِق التايروشي ليس بالرَّجل الصَّالح، وهي ليست في حاجةٍ إلى أن يُخبِرها أحد بهذا، وتعلم أن تحت ابتساماته ودُعاباته تكمُن خطورته وقسوته. سالور وپرندال استيقظا ذات صباح وهما شريكاه، وفي اللَّيلة نفسها أعطاها رأسيهما. گال دروجو كان يقسو أحيانًا أيضًا، ولم يكن هناك رجل أخطر منه. وعلى الرغم من هذا أحبَّته. أيُمكن أن أحبَّ داريو؟ وإذا أخذته إلى فِراشي فماذا سيعني هذا؟ هل سيكون واحدًا من رؤوس التنِّين الثَّلاثة؟

إنها واثقة بأن السير چورا سيغضب، لكن هو من قال أن تتزوَّج رجلين. ربما عليَّ أن أتزوَّج الاثنين وأفرغ من كلٍّ هذا.

لكنها مجرَّد خواطر حمقاء. ثمَّة مدينة لا بُدَّ أن تستولي عليها، وتخيُّل القُبلات وعينَيْ المرتزق الزَّرقاوين اللَّامعتين لن يُساعِدها على اقتحام أسوار (ميرين). ذكَّرت نفسها قائلةً: أنا دم التنِّين، لكن أفكارها ظلَّت تُطارِد بعضها بعضًا في دوائر كفأرٍ يجري وراء ذيله، وفجأةً لم تَعُد تُطيق البقاء في حدود سُرادقها المقيَّدة لحظةً إضافيَّةً. أريدُ أن أحسَّ بالرِّيح على وجهي وأشمَّ البحر. نادَت ميسانداي وأمرَتها بتجهيز فَرسها الفضِّيَّة وحصانٍ لها أيضًا.

انحنَت المترجِمة الصَّغيرة قائلةً: «كما تأمر الملكة. هل أستدعي خيَّالة دمكِ ليَحرُسوكِ؟».

- «سنأخذ آرستان. لن أخرج من المخيَّمات». ليس هناك أعداء لها بين أطفالها، والمُرافِق العجوز لن يظلَّ يُثَرثِر كبلواس أو يَنظُر إليها كداريو.

يطلُّ بُستان أشجار الزَّيتون المحروقة الذي أقامَت فيه سُرادقها على البحر بين معسكَر الدوثراكي ومعسكَر المطهَّرين، ولمَّا جهزَت الخيول خرجَت داني ورفيقاها متحرِّكين بمحاذاة السَّاحل بعيدًا عن المدينة، وعلى الرغم من هذا شعرَت بـ(ميرين) وراء ظَهرها تسخر منها، وحين نظرَت من فوق كتفها رأتها تحت شمس الأصيل التي توهَّجت فيها الهاربي العظيمة على قمَّة (الهرم الأكبر). بَعد قليل، وراء أسوار (ميرين)، سيضطجع النَّخَّاسون في توكاراتهم الموشَّاة ليتلذَّذوا بأكل الضَّأن والزَّيتون والجراء الأجنَّة والزُّغبات[1] وغيرها من الأطايب، بينما يُعاني أطفالها الجوع. أفعمَها غضب مفاجئ وأقسمَت للمدينة: سأُسقِطكِ.

تجاوَزوا الخوازيق والخنادق التي تُحيط بالمعسكَر، وسمعَت داني الدُّودة الرَّمادي وعُرفاء المطهَّرين يُتابِعون تدريبات إحدى الفِرق على التُّرس والسَّيف القصير والحربة الثَّقيلة، بينما كان أفراد فِرقة أخرى يستحمُّون في البحر مرتدين ثيابًا داخليَّةً بيضاء من الكتَّان. كانت قد لاحظَت أن المخصيِّين

(1) الزُّغبة حيوان ثديي صغير من القوارض ويُشبِه السِّنجاب، ومنه فصيلة تَصلُح للأكل. (المترجم).

شديدو النَّظافة. بعض مرتزقتها تفوح منهم رائحة توحي بأنهم لم يغتسلوا أو يُبَدِّلوا ثيابهم منذ خسرَ أبوها العرش الحديدي، أمَّا المطهَّرون فيستحمُّون كلَّ مساءٍ حتى إذا كانوا يمشون طيلة النَّهار، وعندما لا يتوافر الماء يُنَظِّفون أنفسهم بالرَّمل كديدن الدوثراكي.

ركعَ المطهَّرون إذ مرَّت بهم ورفعوا قبضاتهم المضمومة إلى صدورهم، فردَّت داني التَّحيَّة. كان المَدُّ يعلو والأمواج المتكسِّرة تُزبد حول حوافر فَرسها، ورأت سُفنها راسيةً بعيدًا بعض الشَّيء، أقربها بأشرعته المطويَّة الكوج العظيم (بالريون) الذي حملَ اسم (سادوليون) من قبل، وبَعده القادسان (ميراكسس) و(ڤاجهار) المعروفان فيما سبقَ بـ(مزحة چوسو) و(شمس الصَّيف). إنها سُفن الماچستر إليريو في الواقع وليست سُفنها على الإطلاق، لكنها أطلقَت عليها أسماء جديدةً دون تفكيرٍ تقريبًا، أسماء تنانين وأكثر، ففي (ڤاليريا) القديمة قبل هلاكها كان بالريونٌ وميراكسس وڤاجهار آلهةً.

جنوب أرض النِّظام، حيث الخوازيق والخنادق والتَّدريبات والمخصيِّين المستحمِّين، تقع مخيَّمات المحرَّرين، وهو مكان أكثر فوضى وضوضاء بكثير. كانت قد زوَّدت العبيد السَّابقين قَدر استطاعتها بالأسلحة التي استولَت عليها من (أستاپور) و(يونكاي)، وقسَّم السير چورا المقاتلين إلى أربع فِرق قويَّة، لكنها لم ترَ أيَّ تدريبات هنا. مرُّوا ببؤرة نارٍ حطبها من الخشب المجروف اجتمعَ حولها مئة من النَّاس يشوون جثَّة حصان، واشتمَّت داني اللَّحم وسمعَت طقطقة الدُّهن وهُم يُدوِّرون السِّيخ، لكن المنظر جعلَها تعبس.

جرى الأطفال وراء خيولهم ضاحكين متواثبين، وبدلًا من التَّحيَّات نادَتها الأصوات من كلِّ جانبٍ بمزيجٍ من اللُّغات. دعاها بعض المعتَقين بـ«أمَّاه»، على حين توسَّل آخرونَ الهباتَ والعطايا، ودعا البعض آلهةً غريبةً أن تُباركها وطلبَ غيرهم منها أن تُبارِكهم. ابتسمَت لهم وهي تتلفَّت يمينًا ويسارًا وتلمس أيديهم المرفوعة وتسمح للرَّاكعين بأن يمسُّوا رِكابها أو ساقها. معتَقين كُثر يُؤمِنون بأن في لمستها بَركة، ولذا فكَّرت: فليلمسوني إذا بَثَّ فيهم هذا شيئًا من الشَّجاعة، فما زالت أمامنا صعاب ومشاق...

كانت داني قد توقَّفت لتُكلِّم امرأةً حُبلى تُريد أن تُسمِّي أم التَّنانين وليدها،

عندما مَدَّ أحدهم يده وأطبقَ على معصمها الأيسر، فالتفتَت ورأت رجلًا طويلًا أشعث برأس حليق ووجهٍ لوَّحته الشَّمس، وبدأت تقول: «ليس بهذه الشِّدَّة...»، لكن قبلَ أن تُنهي كلامها جذبَها الرَّجل بكلِّ بأسه من فوق السَّرج، وارتطمَت بالأرض ليُفرِغ صدرها ما فيه من أنفاس بينما صهلَت فَرسها الفضِّيَّة وتراجعَت.

مذهولةً اعتدلَت داني على جانبها ودفعَت نفسها على مِرفقها...

... ثم رأت النَّصل.

قال الرَّجل: «ها هي الخنزيرة الخائنة. كنتُ أعرفُ أنكِ ستأتين لتغسلي قدميكِ بالقُبلات ذات يوم». رأسه أصلع كحبَّة الشَّمَّام، وأنفه أحمر متقشِّر، لكنها ميَّزت الصَّوت والعينين الخضراوين الشَّاحبتين. «سأبدأُ بقطع ثدييكِ».

سمعَت داني ببلادةٍ ميسانداي تصيح طالبةً النَّجدة، وتقدَّم أحد المعتَقين وإنما خُطوة لا أكثر، فبضربةٍ واحدةٍ سريعة سقطَ على رُكبتيه والدَّم يجري من وجهه، ومسحَ ميرو سيفه على سراويله قائلًا: «مَن التَّالي؟».

- «أنا»، أجابَه آرستان ذو اللِّحية البيضاء وهو يثب من فوق حصانه، ووقفَ فوقها والرِّيح تنفش شَعره الأبيض النَّاصع وقد أحاطَ عُكَّازه الخشبي الصُّلب بكلتا يديه.

قال ميرو: «اسمع يا جدِّي، اهرب قبل أن أكسر عصاك وأدسُّها في...».

حرَّكَ العجوز أحد طرفَيْ العُكَّاز مموِّهًا وسحبَه وهوى بالطَّرف الآخر بسُرعةٍ لم تُصَدِّقها داني، وتراجعَ نغل المارد متعثِّرًا بين الأمواج وبصقَ الدَّم والأسنان المكسورة من فمه الخرِب، ثم تقدَّم ذو اللِّحية البيضاء واضعًا داني وراءه. لوَّح ميرو بسيفه في وجهه، لكنه وثبَ إلى الوراء متفاديًا إياه بسُرعة القِط، وهوى بالعُكَّاز على ضلوع خصمه الذي ترنَّح لكنه عادَ ينقضُّ، ومالَ آرستان جانبًا متحاشيًا ضربةً دوَّارةً وقفزَ متفاديًا ضربةً ثانيةً وصَدَّ الثَّالثة. كان حركاته خاطفةً أعجزَت داني عن المتابَعة، وكانت ميسانداي تُساعِدها على النُّهوض حين سمعَت شيئًا يتحطَّم، وخطرَ لها أنه عُكَّاز آرستان إلى أن رأت العظمة النَّاتئة من رَبلة ساق ميرو المشقوقة، لكن نغل المارد تلوَّى وانقضَّ وهو يَسقُط مسدِّدًا رأس السَّيف إلى صدر العجوز، الذي أزاحَ النَّصل بحركةٍ أدنى إلى الاحتقار قبل أن يُهَشِّم صُدغ ميرو بطرف عُكَّازه، وسقطَ المرتزق

والدِّماء تتدفَّق من فمه لتكنسه الأمواج، وبَعد لحظةٍ اكتنسَه المحرَّرون بدورهم وهووا عليه بالسَّكاكين والحجارة والقبضات الغاضبة مهتاجين.

أشاحَت داني عن المنظر شاعرةً بالغثيان وقد تفاقمَ خوفها عمَّا كان والقتال دائر. كان سيقتُلني.

ركعَ آرستان أمامها قائلًا: «جلالة الملكة، إنني عجوز مكلَّل بالعار. لم يكن يجب أن يقترب منكِ ويقبض عليكِ، لكني تراخيتُ ولم أتعرَّفه دون شَعره ولحيته».

- «ولا أنا تعرَّفته»، قالت داني والتقطَت نفسًا عميقًا لتتوقَّف عن الارتجاف مفكِّرةً: أعداء في كلِّ مكان. «أعِدني إلى خيمتي من فضلك».

حين وصلَ مورمونت كانت متدثِّرةً بفروة الأسد وتشرب كوبًا من النَّبيذ المتبَّل، وبادرَها السير چورا قائلًا: «ألقيتُ نظرةً على السُّور المطلِّ على النَّهر. إنه أعلى من الأسوار الأخرى ببضع أقدام، وقويٌّ مِثلها، كما أن الميرينيزيِّين أرسوا دستةً من السُّفن الثَّقيلة المحمَّلة بقاذفات اللَّهب تحت المتاريس...».

قاطعَته داني: «كان عليك أن تُنبِّهني إلى فرار نغل المارد».

رَدَّ مقطِّبًا وجهه: «لم أرَ داعيًا لإخافتكِ يا جلالة الملكة. لقد عرضتُ مكافأةً لمن يأتيني برأسه...».

- «ادفعها لذي اللِّحية البيضاء إذن. ميرو كان معنا طوال الطَّريق من (يونكاي)، حلقَ رأسه واختفى بين المحرَّرين منتظرًا فُرصة الانتقام. آرستان قتلَه».

حدجَ السير چورا العجوز بنظرةٍ طويلة قبل أن يقول: «مُرافِق بعصا قتلَ ميرو البراڤوسي؟».

قالت داني: «بعصا، لكنه لن يعود مُرافِقًا. سير چورا، أريدُ أن يُنصَّب آرستان فارسًا».

- «لا».

كان الرَّفض العالي الصَّريح مفاجئًا، والأغرب أنه أتى من الاثنين في آنٍ واحد.

شهرَ السير چورا سيفه قائلًا: «نغل المارد كان رجلًا بغيضًا خطيرًا وبارعًا في القتل. من أنت أيها العجوز؟».

قال آرستان ببرود: «فارس أفضل منك».

فارس؟ حائرةً قالت داني: «لكنك قلت إنك مُرافِق لا أكثر».

جثا على رُكبته مجيبًا: «كنتُ كذلك يا جلالة الملكة، خدمتُ اللورد سوان كمُرافِقٍ في شبابي، وخدمتُ بلواس القوي بتوصيةٍ من الماچستر إليريو، لكن خلال السَّنوات بين هذا وذاك كنتُ فارسًا في (وستروس). إنني لم أكذب عليكِ يا مليكتي، لكن هناك حقائق حجبتها عنكِ، ولا يسعني إلّا أن أتوسَّل أن تغفري لي هذا وكلَّ خطاياي الأخرى».

لم يَرُق داني كلامه، وقالت: «وما الحقائق التي حجبتها؟ ستُخبِرني بها الآن».

حنى رأسه قائلًا: «في (كارث) حين سألتِني عن اسمي قلتُ إنه آرستان، وهذا صحيح، فكثيرون دعوني بهذا الاسم وأنا وبلواس في الطَّريق شرقًا لنَعثُر عليكِ، لكنه ليس اسمي الحقيقي».

فكَّرت شاعرةً بارتباكها يفوق غضبها: تلاعبَ بي، تمامًا كما حذَّرني چورا، لكنه أنقذَ حياتي حالًا.

احتقنَ وجه مورمونت، وقال: «ميرو حلقَ لحيته لكنك أطلقت لحيتك، أليس كذلك؟ لا عجب أنك بدوت مألوفًا للغاية...».

تائهةً سألَت داني الفارس المنفي: «هل تعرفه؟».

- «رأيته دستةً من المرَّات ربما... من بعيدٍ في أغلب الأحيان، واقفًا وسط إخوته أو راكبًا في مضمار النِّزال، لكن كلَّ رجلٍ في (الممالك السَّبع) يعرف باريستان الباسل»، ووضعَ مورمونت رأس سيفه على عُنق العجوز مواصلًا: «گاليسي، أمامكِ يركع السير باريستان سلمي، حضرة قائد الحَرس الملكي الذي خانَ عائلتكِ ليخدم الغاصِب روبرت باراثيون».

لم يطرف للفارس المسنِّ جفن وهو يقول: «الغُراب يُعَيِّر الغُداف بلونه الأسود، وأنت مَن يتكلَّم عن الخيانة؟».

سألَته داني بنبرةٍ آمرة: «ماذا تفعل هنا؟ إذا أرسلك روبرت لقتلي فلِمَ أنقذت حياتي؟». لقد خدمَ الغاصِب وخانَ ذكرى ريجار وتخلَّى عن ڤيسرس ليعيش ويموت في المنفى، لكن إذا أرادَ موتي فما كان عليه إلَّا أن يقف ويتفرَّج... «أريدُ الحقيقة كاملةً الآن، بشَرفك كفارس. هل أنت رجل الغاصِب أم رجلي؟».

أجابَ السير باريستان وفي عينيه الدُّموع: «رجلكِ إذا قبلتِني. لقد تلقَّيتُ عفوًا من روبرت، نعم، وخدمته في حَرسه الملكي ومجلسه، خدمتُ مع قاتِل الملك وآخَرين يُدانونه في السُّوء ممَّن لوَّثوا المعطف الأبيض الذي ارتديته، ولا عُذر لي في هذا. وربما كنتُ لأظلَّ أخدم في (كينجز لاندنج) الآن لو أن ذلك الصَّبي الكريه الجالس على العرش الحديدي لم يُنَحِّني عن موقعي، ويُخجلني أن أعترف بهذا. لكن حينما سلبَني المعطف الذي كساني به الثَّور الأبيض وأرسلَ رجاله لقتلي في اليوم ذاته فكأنه رفعَ الغمامة عن عينَيْ، وعندها علمتُ أن عليَّ أن أعثر على الملك الحقيقي وأموت في خدمته...».

قال السير چورا بوجهٍ مكفهر: «يُمكنني أن أحقِّق لك هذه الأمنية».

قالت داني: «صمتًا. أريدُ أن أسمعه».

واصلَ السير باريستان: «ربما ينبغي لي أن أموت ميتة الخائن، وإذا كان لا مناص من هذا فلن أموت وحدي. قبل أن أتلقَّى عفو روبرت قاتلت ضده في معركة (الثَّالوث)، وكنت أنت على الجانب الآخَر من هذه المعركة يا مورمونت، أليس كذلك؟»، ولم ينتظر إجابةً وتابعَ: «إنني آسفٌ لأني ضلَّلتكِ يا جلالة الملكة، لكنها كانت الوسيلة الوحيدة لمنع آل لانستر من المعرفة بانضمامي إليكِ. إنكِ مراقَبة كما كان أخوكِ مراقَبًا. اللورد ڤارس أبلغَ عن كلِّ حركةٍ لڤسيرس طيلة أعوام، وفي أثناء وجودي في المجلس الصَّغير سمعتُ المئات من تقاريره، ومنذ تزوَّجتِ گال دروجو وهناك واشٍ إلى جانبكِ يبيع أسراركِ، يهمس بها إلى العنكبوت مقابل الذَّهب والوعود».

لا يُمكن أنه يقصد... قالت داني: «أنت مخطئ»، ونظرَت إلى چورا مورمونت قائلةً: «قُل له إنه مخطئ، ليس هناك واشٍ، قُل له يا سير چورا. لقد عبرنا (بحر الدوثراكي) معًا، والصَّحراء الحمراء...». كان قلبها يخفق كطائرٍ في شَرك. «قُل له يا چورا، قُل له إنه أخطأ».

ألقى السير چورا سيفه الطَّويل على الأرض قائلًا: «فليأخذك (الآخَرون) يا سلمي. گاليسي، كان هذا في البداية فقط، قبل أن أعرفك... قبل أن أحبَّ...».

صاحَت متراجعةً عنه: «لا تقل هذه الكلمة! كيف استطعت؟ بِمَ وعدَك الغاصب؟ بالذَّهب؟ أهو الذَّهب؟». لقد قال الخالدون إنها ستعرف الخيانة مرَّتين أخريين، مرَّةً من أجل الذَّهب ومرَّةً من أجل الحُب. «أخبِرني بِمَ وعدك».

خفضَ رأسه مجيبًا: «ڤارس قال... إنني أستطيعُ العودة إلى الوطن».

كنتُ سآخذكَ إلى الوطن! استشعرَ تنانينها غضبتها، وزأرَ ڤسيريون وتصاعدَ الدُّخان الرَّمادي من منخريه، وضربَ دروجون الهواء بجناحين أسودين، ولوى ريجال عُنقه ورفعَ رأسه وتجشَّأ لهبًا. حريٌّ بي أن أقول الكلمة وأحرق الاثنين معًا. أليس هناك من يُمكنها أن تثق به؟ أما من أحدٍ يُحافظ على سلامتها؟ «أكلُّ فُرسان (الممالك السَّبع) زائفون مِثلكما؟ اخرُجا قبل أن يُحرقكما تنانيني. تُرى ما رائحة لحم الكذَّاب المشوي؟ شنيعة كبالوعات بن البنِّي؟ اخرُجا!».

نهضَ السير باريستان بجمودٍ وبُطء، وللمرَّة الأولى لاحَت سِنُّه على ملامحه وهو يسألها: «أين نذهب يا جلالة الملكة؟».

- «إلى الجحيم، لتخدما الملك روبرت». أحسَّت داني بالدُّموع الحارقة على وجنتيها، وصرخَ دروجون ملوِّحًا بذيله. «فليأخذكما (الآخَرون)». أرادَت أن تقول: فليرحل كلاكما إلى الأبد. إذا رأيتكما مرَّةً أخرى سأضربُ عُنقيكما أيها الخائنان، لكن لسانها لم يُطاوعها، وراحَت تُفكِّر: خانانی، لكنهما أنقذاني، لكنهما كذبا... «اذهبا...». دُبِّي، دُبِّي القوي الشَّرس، ماذا سأفعلُ دونه؟ والعجوز صديق أخي... «اذهبا... اذهبا...». إلى أين؟

ثم إنها أدركَت الإجابة.





تيريون

ارتدى ثيابه في الظَّلام مصغيًا إلى أنفاس زوجته النَّاعمة وهي نائمة في فِراشهما، وخطرَ له أنها تَحلُم عندما تمتمَت بشيءٍ ما بخفوت -اسم ربما، وإن كان صوتها أوهن من أن يُمَيِّزه- وانقلبَت على جانبها. باعتبارهما رجلًا وامرأته فإنهما يتقاسَمان فِراش زوجيَّةٍ واحدًا، لكن هذا كلُّ شيء. حتى دموعها تحتفظ بها لنفسها.

حين أبلغَها بموت أخيها كان يتوقَّع منها اللَّوعة والغضب، لكن ملامح سانزا ظلَّت ثابتةً تمامًا حتى إنه خشيَ لحظةً أنها لم تفهم. بَعدها فقط، وبينهما باب ثقيل من البلُّوط، سمعَها تيريون تبكي، وفكَّر في الذَّهاب إليها لحظتها ليُقَدِّم لها ما يُمكنه من مواساة، لكنه امتنعَ مذكِّرًا نفسه: لا. إنها لن تتطلَّع إلى العزاء من ابن للانستر أبدًا. أقصى ما استطاعَ أن يفعله أنه حفظَها من التَّفاصيل الأقبح للزِّفاف الأحمر التي أتَتهم من (التَّوأمتين)، وقرَّر أن سانزا ليست في حاجةٍ إلى معرفة أنهم مثَّلوا بجثَّة أخيها وشوَّهوها، أو أن جثَّة أمِّها قد أُلقِيَت عاريةً في مياه (الفرع الأخضر)، في سخريةٍ وحشيَّة من شعائر عائلة تَلي الجنائزيَّة، فآخِر ما يعوز الفتاة المزيد من الوقود لكوابيسها.

غير أن ما فعلَه لا يكفي. لقد سربلَها بمعطفه وأقسمَ أن يحميها، لكن هذا كان مجرَّد دُعابةٍ قاسية لا تختلف عن التَّاج الذي ثبَّته أولاد فراي على رأس ذئب روب ستارك الرَّهيب، بَعد أن خيَّطوه بجثمانه مبتور الرَّأس. وسانزا تعلم هذه الحقيقة مِثلما يعلمها. الطَّريقة التي تَنظُر إليه بها، وجمودها كلما دخلَت فِراشهما... عندما يكون معها لا يستطيع أن ينسى ولو لحظةً مَن يكون أو ماذا يكون، تمامًا كما لا تنسى هي. ما زالَت تذهب كلَّ ليلةٍ لتُصَلِّي في

أيكة الآلهة، ويبقى تيريون يتساءَل إن كانت تُصَلِّي لموته. الفتاة فقدَت وطنها ومكانها في العالم وكلَّ من أحبَّتهم أو وثقَت بهم. تقول كلمات عائلة ستارك إن الشِّتاء قادم، ولقد أتاهم بالفعل محمَّلًا على أجنحة الانتقام. لكن صيف عائلة لانستر في أشدِّه، فلِمَ أشعرُ بكلِّ هذا البرد؟

انتعلَ حذاءه وثبَّت معطفه بمشبكٍ على شكل رأس أسد، ثم خرجَ إلى الرُّواق المضاء بالمشاعل. على الأقل أتاحَ له زواجه الهرب من (حصن ميجور)، فالآن وقد أصبحَت له زوجة وأهل بيت وافقَه أبوه على أنه يتطلَّب مسكنًا أنسب، وفجأةً وجدَ اللورد جايلز نفسه مجرَّدًا من مسكنه الفسيح على قمَّة (بُرج المطابخ)، وهو مسكن فاخر حقًّا، يضمُّ غُرفة نوم واسعةً وغُرفة شمسيَّةً ملائمةً، وحمَّامًا وغُرفة تبديل ملابس لزوجته، بالإضافة إلى غُرفٍ صغيرة ملاصقة لپود ووصيفات سانزا، وحتى غُرفة برون عند السَّلالم فيها نافذة أو ما هو أقرب إلى نافذة. إنها فتحة لإطلاق السِّهام، لكنها تسمح بدخول الضَّوء على الأقل. صحيحٌ أن مطبخ القلعة الرَّئيس يقع عبر السَّاحة مباشرةً، إلَّا أن تيريون وجدَ أنه يُفَضِّل تلك الرَّوائح والأصوات لدرجةٍ لا تُقاس على مشارَكة أخته (حصن ميجور)، وكلما قلَّت رؤيته سرسي زادَت سعادته.

سمعَ غطيط بريلا وهو يمرُّ بحُجيرتها، الغطيط الذي اشتكَت منه شِاي لكنه وجدَه ثَمنًا زهيدًا. كان ڤارس هو من اقترحَ عليه المرأة، وقال إنها كانت تُدير مسكن اللورد رنلي في المدينة فيما مضى، وهو ما مرسَها في أن تكون عمياء وصمَّاء وبكماء.

أشعلَ شمعةً وشَقَّ طريقه إلى سلالم الخدم، ونزلَ سامعًا وقع قدميه فقط في الطَّوابق الأدنى من طابقه، حتى بلغَ الطَّابق السُّفلي وتجاوَزه متوغِّلًا تحت الأرض، ثم خرجَ في قبوٍ معتم له سقف حجري مقنطَر. أغلب القلعة متَّصل تحت الأرض، و(بُرج المطابخ) ليس استثناءً، وهكذا سارَ تيريون متمايلًا في ممرٍّ طويل مظلم إلى أن وجدَ الباب الذي يُريده ودفعَه.

وفي الدَّاخل كانت جماجم التَّنانين تنتظره، ومعها شِاي التي قالت: «حسبتُ سِيدي نسيَني». كان ثوبها معلَّقًا على سِنٍّ سوداء تكاد تُناهِزها طولًا، وقد وقفَت عاريةً بين فَكَّيْ التنِّين. بالريون. أم أنه ڤاجهار؟ لا فرق، فجماجم التَّنانين كلُّها تتشابَه.

مجرَّد منظرها أثارَه، وقال لها: «تعالي من عندك».

رسمَت أكثر ابتساماتها خبثًا على شفتيها قائلةً: «لا. أعرفُ أن سِيدي سيُنقِذني من فكَّيْ التنِّين»، لكن حين دنا منها مالَت ونفخَت مطفئةً الشَّمعة.

- «شِاي...»، قال مادًّا يده، لكنها دارَت وتملَّصت منه، وأتاه صوتها من يساره يقول: «يجب أن تُمسِكني. لا بُدَّ أن سِيدي لعبَ (وحوش وعذارى) في صِغره».

- «هل تقولين إنني وحش؟».

الآن أصبحَت وراءه، تتحرَّك بخُطواتٍ رقيقة على الأرض وتقول: «لو أنك وحش فأنا عذراء، لكن عليك أن تُمسِكني رغم ذلك».

في النِّهاية أمسكَها، وإنما فقط لأنها سمحَت له، وحين ارتمَت بين ذراعيه كانت أنفاسه متقطِّعةً ووجهه محتقنًا بالدِّماء من جرَّاء تخبُّطه بين جماجم التَّنانين، لكنه نسيَ كلَّ هذا في لحظةٍ لمَّا ضغطَت ثدييها الصَّغيرين على وجهه وأحسَّ بحلمتيها المنتصبتين على شفتيه والنَّدبة التي تحتلُّ مكان أنفه. سحبَها تيريون إلى الأرض، وإذ ولجَها شهقَت قائلةً: «عملاقي، عملاقي أتى يُنقِذني».

بَعدها، وهما مستلقيان متعانقان وسط الجماجم، أراحَ رأسه على رأسها مستنشقًا رائحة شَعرها النَّاعم النَّظيفة، وعلى مضضٍ قال: «يجب أن نعود. الفَجر على وشك الطُّلوع، وقريبًا ستستيقظ سانزا».

قالت شِاي: «عليك أن تسقيها نبيذ النَّوم كما تفعل الليدي تاندا مع لوليس. كوب واحد قبل أن تَخلُد إلى النَّوم ويُمكننا أن نتضاجَع إلى جوارها على السَّرير دون أن تصحو»، وقهقهَت متابعةً: «ربما يَجدُر بنا أن نفعل هذا ذات ليلة. ما رأي سِيدي؟»، وحرَّكت يدها إلى كتفه وبدأت تُدلِّك عضلاته قائلةً: «عُنقك متصلِّب كالحجر. ما الذي يُكدِّرك؟».

لم يكن تيريون يرى أصابعه أمام وجهه، لكنه راحَ يعدُّ همومه عليها قائلًا: «زوجتي، أختي، ابن أختي، أبي، آل تايرل»، وانتقلَ إلى يده الأخرى مواصلًا: «فارس، پايسل، الإصبع الصَّغير، أفعوان (دورن) الأحمر»، ولمَّا وصلَ إلى إصبعه الأخيرة قال: «الوجه الذي يَنظُر إليَّ من الماء كلما اغتسلتُ».

لثمَت أنفه المشوَّه، وقالت: «وجه شُجاع، وجه طيِّب وجميل. ليتني أراه الآن».

في صوتها براءة العالم كلُّها. براءة؟ أيها الأحمق، إنها عاهرة، كلُّ ما تعرفه عن الرِّجال هو ما بين سيقانهم. أحمق، أحمق. قال تيريون: «أوثرُ أن أرى أنا وجهك»، واعتدلَ جالسًا، وأردفَ: «أمامنا يوم طويل. لم يكن عليكِ أن تُطفِئي الشَّمعة. كيف سنجد ملابسنا الآن؟».

أجابَت ضاحكةً: «فلنَخرُج عاريين إذن».

وإذا رآنا أحد سيَشنُقك السيِّد والدي. تعيين شِاي واحدةً من وصيفات سانزا منحَه عُذرًا لأن يُرى وهو يتكلَّم معها، لكن تيريون لم يُوهِم نفسه بأنهما آمنان، وقد حذَّره ڤارس قائلًا: «لقد أعطيتُ شاي تاريخًا زائفًا، لكنه كان للوليس والليدي تاندا، أمَّا أختك فأكثر ميلًا للشَّك، وإذا سألَتني عمَّا أعرفه...».

- «ستردُّ بكذبةٍ ذكيَّةٍ ما».

- «لا، سأقولُ لها أن الفتاة تابعة معسكَرات تحصَّلت عليها قبل معركة (الفرع الأخضر) وأحضرتها معك إلى (كينجز لاندنج) خلافًا لأمر السيِّد والدك المباشر. لن أكذب على الملكة».

- «لقد كذبت عليها من قبل، فهل أُخبِرها بهذا؟».

تنهَّد الخصيُّ قائلًا: «قولك هذا يجرحني أكثر من سكِّين يا سيِّدي. لقد خدمتك بإخلاص، لكن عليَّ أيضًا أن أخدم أختك حينما أستطيعُ. في رأيك كم من الوقت ستَترُكني أتنفَّسُ إذا لم أعُد أمثِّلُ لها نفعًا بأيِّ شكل؟ إنني بلا مرتزقٍ قوي يحميني أو أخ شُجاع يثأر لي، وليس لي إلَّا بعضِ الطُّيور الصَّغيرة التي تهمِس في أذني، وبهَذه الهمسات أجدِّدُ شراء حياتي كلَّ يوم».

- «اعذُرني إذا لم أذرف الدَّمع عليك».

- «سأفعلُ، لكن عليك أن تَعذُرني إذا لم أذرف الدَّمع على شِاي. أعترفُ بأني لا أفهم ما تراه فيها ويجعل رجلًا ذكيًّا مِثلك يتصرَّف بهذا التَّهوُّر».

- «كنت لتفهم لو أنك لست خصيًّا».

قال ڤارس: «هكذا إذن؟ إمَّا أن يملك الرَّجل عقلًا وإمَّا أن يملك قطعةً من اللَّحم بين ساقيه؟»، وقهقهَ مضيفًا: «ربما عليَّ أن أشعر بالامتنان لأنهم قطعوا أعضائي إذن».

العنكبوت كان محقًّا. تحسَّس تيريون الظَّلام المسكون بالتَّنانين بحثًا

عن ثيابه الدَّاخليَّة وهو يَشعُر بالبؤس. هذه المخاطَرة التي أقبلَ عليها تركَته مشدودًا كالطَّبلة، وفي نفسه يعتمل الذَّنب أيضًا. فكَّر وهو يرتدي قميصه: فليأخذ (الآخَرون) ذنبي. لماذا أشعرُ بالذَّنب؟ زوجتي لا ترغب فيَّ على الإطلاق، وبخاصَّة أكثر جزء مني يرغب فيها. ربما الأحرى به أن يُخبرها بأمر شِاي. إنه ليس أول رجلٍ تكون له عشيقة، وحتى أبو سانزا الذي كانَ آيةً في الشَّرف أنجبَ لها أخًا نغلًا. على حَدِّ علمه قد تبتهج زوجته لحقيقة أنه يُضاجع شِاي، ما دامَ هذا يُجَنِّبها لمسته المنفِّرة.

لا، لن أجرؤ. سواء أكانت بينهما عهود زواج أم لم تكن، فلا يستطيع أن يثق بزوجته. قد تكون سانزا بكرًا بين السَّاقين، لكنها ليست بريئةً من الخيانة على الإطلاق، وقد سبقَ لها أن وشَت بخُطط أبيها لسرسي، كما أن الفتيات في سِنِّها لسن شهيرات بالكتمان.

الوسيلة المأمونة الوحيدة أن يُخَلِّص نفسه من شِاي. فكَّر متردِّدًا: ربما أُرسِلها إلى شاتايا. في ماخور شاتايا ستجد كلَّ ما تشتهيه من حرير وجواهر، علاوةً على ألطف الزَّبائن النُّبلاء حاشيةً، وستكون حياتها أفضل كثيرًا جدًّا مما كانت عندما وجدَها.

وإذا تعبَت من كسب رزقها على ظَهرها فيُمكنه أن يُرَتِّب لها زيجةً. برون ربما؟ لم ينكف المرتزق قَطُّ عن الأكل من طبق سيِّده، ثم إنه فارس الآن، أي أنه زوج أفضل مما يُمكَنها أن تأمل على الإطلاق. أو السير تالاد؟ لقد لاحظَه تيريون يتطلَّع إلى شِاي بحنينٍ أكثر من مرَّة. ولِمَ لا؟ إنه فارع الطُّول وقويٌّ ووسيم الطَّلعة، وفارس شابٌ موهوب من رأسه إلى قدميه. لكن بالطَّبع لا يعرف السير تالاد عن شِاي إلَّا أنها وصيفة حسناء شابَّة تخدم في القلعة. إذا تزوَّجها ثم علمَ أنها عاهرة...

- «أين أنت يا سِيدي؟ هل أكلتك التَّنانين؟».

مَدَّ يده يستند إلى جمجمةٍ قائلًا: «لا، أنا هنا. عثرتُ على فردة حذاء، لكنها لكِ».

- «صوت سيِّدي واجم للغاية. ألم أُرضِك؟».

أجابَ بنبرةٍ مقتضبة أكثر من اللَّازم: «إنكِ تُرضينني دائمًا». وهنا تكمُن الخطورة. ربما يُفكِّر في أن يصرفها في مِثل هذه الأوقات، لكن الفكرة لا

تدوم طويلًا أبدًا. رأى تيريون حدود جسدها في العتمة وهي تسحب جوربًا من الصُّوف على ساقها النَّحيلة، فقال لنفسه: الرُّؤية تتَّضح. كان ضوء باهت يتسرَّب من صَفِّ النَّوافذ الطَّويلة الضيِّقة في أعلى جِدار القبو، وبدأت جماجم تنانين آل تارجاريَن تَبزُغ من الظَّلام حولهما، سوداء في بحرٍ من الرَّمادي. «النَّهار أتى سريعًا جدًّا». يوم جديد، عام جديد، قرن جديد. لقد نجوتُ من معركتَيْ (الفرع الأخضر) و(النَّهر الأسود)، وبالتَّأكيد يُمكنني أن أنجو من يوم زفاف الملك چوفري.

التقطَت شِاي ثوبها من على سِنِّ التنِّين وارتدَته قائلةً: «سأصعدُ أولًا. ستحتاج بريلا إلى مساعَدتي على تجهيز مياه الاستحمام»، ثم مالَت تطبع قُبلةً أخيرةً على جبينه، وقالت: «عملاقي اللانستر، أحبُّك».

وأنا أيضًا أحبُّكِ يا حُلوتي. عاهرة هي، لكنها تستحقُّ أفضل مما يمنحها إياه. سأزوِّجها السير تالاد. إنه يبدو رجلًا لطيفًا، ثم إنه طويل...





سانزا

قالت لنفسها بخمول: كم كان حُلمًا جميلًا. في منامها رأت نفسها في (وينترفل)، تجري في أيكة الآلهة مع ذئبتها ليدي، وكان أبوها هناك، وإخوتها أيضًا، وكلُّهم دافئون آمنون. يا ليت الأحلام تُصبح واقعًا...

أزاحَت أغطيتها مفكِّرةً: يجب أن أتحلَّى بالشَّجاعة. قريبًا سينتهي عذابها بوسيلةٍ أو بأخرى. لو كانت ليدي هنا لما خفتُ. لكن ليدي ماتَت، ومات روب وبران وريكون وآريا وأبوها وأمُّها، وحتى السِّپتة موردن. كلُّهم ماتوا إلَّاي. إنها وحيدة في العالم الآن.

لم يكن السيِّد زوجها إلى جوارها، لكنها اعتادَت هذا، فتيريون لا ينام إلَّا قليلًا، وغالبًا ما يستيقظ قبل الفَجر. عادةً تجده في غُرفته الشَّمسيَّة حانيًا ظَهره إلى جوار شمعةٍ ومستغرقًا في مخطوطةٍ قديمة أو كتاب مغلَّف بالجلد، وأحيانًا تأخذه رائحة الخُبز الطَّازج في الصَّباح إلى المطابخ، وفي أحيانٍ أخرى يصعد إلى حديقة السَّطح أو يجول حول بُرج (مشية الخونة) الذي يضمُّ مدخل الزَّنازين.

دفعَت مصراعَيْ النَّافذة وارتجفَت إذ سرَت القشعريرة على ذراعيها. كان السَّحاب يحتشد في الشَّرق وتتخلَّله خيوط من ضوء الشَّمس. يبدو كقلعتين ضخمتين هائلتين في سماء الصُّبح. رأت أسوارهما الحجر المتهدِّمة وحصونهما القويَّة وراياتهما الشَّبحيَّة تخفق أعلى الأبراج وترتفع إلى النُّجوم التي تخبو بسُرعة، ولمَّا بدأت الشَّمس تطلع من ورائهما شاهدَت سانزا لونهما يستحيل من الأسود إلى الرَّمادي إلى ألف درجةٍ من الوردي والذَّهبي والقرمزي، وسرعان ما مزجَتهما الرِّيح معًا فأصبحَتا قلعةً واحدةً بدلًا من اثنتين.

سمعَت الباب ينفتح وقد جلبَت وصيفتاها الماء السَّاخن من أجل حمَّامها. كلتاهما حديثتا العهد في خدمتها، بما أن تيريون صرفَ النِّسوة الأخريات قائلًا إنهن يتجسَّسن لحساب سرسي جميعًا، تمامًا كما شكَّت دائمًا. قالت لهما: «انظُرا، هناك قلعة في السَّماء».

تقدَّمتا لتُلقيا نظرةً، وقالت شِاي: «إنها من الذَّهب. قلعة من الذَّهب الخالص، منظر أحبُّ أن أراه». للفتاة شَعر داكن قصير وعينان جريئتان، وتُلبِّي كلَّ ما يُطلَب منها، لكنها ترمي سانزا أحيانًا بنظراتٍ في غاية الوقاحة.

زرَّت بريلا عينيها قائلةً: «أهي قلعة؟ يبدو أن هذا البُرج متداعٍ. إنها أنقاض».

لم تُرِد سانزا أن تسمع شيئًا عن الأبراج المتداعية وأنقاض القلاع، فقالت وهي تُغلِق النَّافذة: «علينا حضور إفطار الملكة. هل السيِّد زوجي في غُرفته الشَّمسيَّة؟».

أجابَت بريلا: «لا يا سيِّدتي، لم أرَه».

وأضافَت شِاي: «ربما ذهبَ لرؤية أبيه، ربما احتاجَ يد الملك إلى نصيحته».

تنشَّقت بريلا قائلةً: «ليدي سانزا، الأفضل أن تضعي نفسكِ في الحوض قبل أن يَفتُر الماء».

تركَت سانزا شِاي تخلع غِلالة النَّوم، ثم نزلَت في الحوض الخشبي الكبير شاعرةً بالرَّغبة في أن تَطلُب كأس نبيذ لتُهَدِّئ أعصابها. عندما ينتصِف النَّهار سيتمُّ الزِّفاف في (سِپت بيلور الكبير) على الجانب الآخَر من المدينة، وبحلول المساء ستُقام المأدبة في قاعة العرش في حضور ألف ضيفٍ يستمتعون بسبعةٍ وسبعين صنفًا من الطَّعام وعروض المطربين والحواة والممثِّلين، لكن قبل هذا هناك الإفطار في قاعة حفلات الملكة، الذي سيحضره آل لانستر ورجال تايرل (نساء تايرل سيتناولن إفطارهن مع مارچري)، بالإضافة إلى مئةٍ ونيِّف من الفُرسان واللوردات. قالت سانزا لنفسها بمرارة: جعلوني من آل لانستر مِثلهم.

أرسلَت بريلا شِاي لإحضار المزيد من الماء السَّاخن، وقالت لسانزا وهي تغسل ظَهرها: «إنكِ ترتعشين يا سيِّدتي».

ردَّت كاذبةً: «الماء ليس ساخنًا كفايةً».

كانت وصيفتاها تُساعِدانها على ارتداء ثيابها حين ظهرَ تيريون وفي أعقابه بودريك باين، وقال لها: «تبدين جميلةً يا سانزا»، ثم التفتَ إلى مُرافِقه قائلًا: «بود، صُبَّ لي كأسًا من النَّبيذ من فضلك».

قالت سانزا: «سيكون هناك نبيذ على الإفطار يا سيِّدي».

أجابَها القزم: «وثمَّة نبيذ هنا. لستِ تتوقَّعين أن أواجه أختي وأنا مستفيق، أليس كذلك؟ إنه قرن جديد يا سيِّدتي، العام الثَّلاثمئة منذ غزوة إجون»، والتقطَ كأس النَّبيذ الأحمر من بود ورفعَها عاليًا مضيفًا: «نخب إجون. يا له من رجلٍ محظوظ. أختان وزوجتان وثلاثة تنانين كبيرة، وهل يتمنَّى المرء أكثر من هذا؟»، وشربَ ومسحَ فمه بظَهر يده.

لاحظَت سانزا أن ملابس العِفريت مجعَّدة متَّسخة كأنه نامَ فيها، فقالت: «هل ستُبدِّل ثيابك بأخرى نظيفة يا سيِّدي؟ سُترتك الجديدة جميلة حقًّا».

قال تيريون: «السُّترة جميلة، نعم»، ووضعَ الكأس جانبًا مردفًا: «هيا بنا يا بود، لنرَ إن كانت عندي ثياب تجعلني أبدو أقلَّ تقزُّمًا، فلستُ أريدُ أن أُخجِل السيِّدة زوجتي».

وحين عادَ العِفريت بَعد فترةٍ قصيرة كان حسن البِزَّة بما فيه الكفاية، بل وبدا أطول قامةً بعض الشَّيء، كما بدَّل بودريك باين ثيابه أيضًا، وعلى سبيل التَّغيير كادَ يبدو كمُرافِقٍ حقيقي، وإن أفسدَت بثرة حمراء كبيرة إلى جوار أنفه تأثير ثيابه الأرجوانيَّة والبيضاء والذَّهبيَّة الأنيقة. إنه صبيٌّ خانع حقًّا. في البدء تعاملَت سانزا بحذرٍ مع مُرافِق تيريون باعتباره من عائلة باين وابن عمِّ السير إلين الذي قطعَ رأس أبيها، لكنها أدركَت بَعد مدَّةٍ لم تَطُل أن بود يهابها كما تهاب ابن عمِّه، وكلما خاطبتَه يحتقن وجهه حتى يبدو على وشك الانفجار. سألَته بأدب: «هل الأرجواني والذَّهبي والأبيض ألوان عائلة باين يا بودريك؟».

أجابَ بوجهٍ متورِّد خفضَه إلى قدميها: «لا. أقصدُ نعم، الألوان. رمزنا مربَّعات أرجوانيَّة وبيضاء يا سيِّدتي، بعُملات ذهبيَّة في المربَّعات، في المربَّعات الأرجوانيَّة والبيضاء».

قال تيريون: «هناك حكاية وراء تلك العُملات. لا شَكَّ أن بود سيبوح بها

لأصابع قدميكِ ذات يوم، لكنهم ينتظروننا في قاعة حفلات الملكة الآن، فهلَّا ذهبنا؟».

راودَت سانزا رغبة في الاعتذار عن الذَّهاب. يُمكنني أن أقول له إن معدتي متوعِّكة، أو إن نزيفي القمري قد أتى. لا تُريد شيئًا الآن أكثر من العودة إلى الفِراش وإغلاق السَّتائر حولها، لكنها قالت لنفسها: عليَّ أن أكون شُجاعةً مِثل روب، وتأبَّطت ذراع زوجها بجمود.

في قاعة الملكة تناوَلوا فطورًا من كعكات العسل المخبوزة بالتُّوت الأسود والمكسَّرات، ولحم الخنزير المدخَّن واللَّحم المقدَّد، وأصابع السَّمك المحمَّرة بالبقسماط، والكمَّثرى الخريفيَّة، وطبق دورني من البصل والجُبنة والبيض المفروم بالفلفل الحرِّيف. علَّق تيريون فيما مُلِئَت أطباقهم: «لا شيء يفتح الشَّهيَّة لوليمةٍ من سبعةٍ وسبعين صنفًا كإفطارِ دسم». صاحبَت الطَّعام أباريق من الحليب والبتع والنَّبيذ الذَّهبي الخفيف المحلِّي، وتحرَّك الموسيقيُّون وسط الموائد عازفين على المزامير والنَّايات والقِرب، بينما تواثبَ السير دونتوس على حصانه الخشبي المصنوع من عصا مكنسة، وأصدرَ فتى القمر أصوات ضُراطٍ من فمه ورفعَ عقيرته بأغانٍ فجَّة عن الضُّيوف.

لاحظَت سانزا أن تيريون لم يمسَّ الطَّعام تقريبًا، وإن تجرَّع عدَّة كؤوس من النَّبيذ، أمَّا هي فجرَّبت شيئًا من البيض الدورني فحرقَ الفلفل فمها، وفيما عدا هذا قضمَت القليل من الفواكه والسَّمك وكعكات العسل. كلما نظرَ إليها چوفري تهيَّجت معدتها وأحسَّت كأنها ابتلعَت وطواطًا.

عندما رُفِعَت الأطباق قدَّمت الملكة لچوفري معطف الزَّوجة الذي سيضعه على كتفَيْ مارچري، وقالت بوقار: «إنه المعطف الذي ارتديته حين اتَّخذني روبرت ملكةً له، والمعطف نفسه الذي ارتدته أمِّي الليدي چوانا يوم زُفَّت إلى السيِّد والدي». خطرَ لسانزا أنه يبدو مهترئًا في الحقيقة، ولكن ربما لأنه استُعمِلَ من قبل.

ثم حانَ وقت الهدايا. من تقاليد (المرعي) أن تُقَدَّم للعروسين صبيحة زفافهما، وغدًا سيتلقَّيان المزيد منها كزوجين، لكن هدايا اليوم لكلٍّ منهما على حِدة.

من چالابار شو تلقَّى چوفري قوسًا عظيمًا من الخشب المذهَّب وكنانةً من السِّهام الطَّويلة ذات الرِّيشات الخضراء والقرمزيَّة، ومن الليدي تاندا حذاء ركوب مرنًا، ومن السير كيڤان سَرج نزالٍ أحمر جِلديًّا شديد الأناقة، ومن الأمير أوبرين الدورني مشبكًا من الذَّهب الأحمر مطرَّق على شكل عقرب، وركابيْن فضِّيَّين من السير أدام ماربراند، وسُرادق مباريات من الحرير الأحمر من اللورد ماثيس روان، أمَّا اللورد پاكستر ردواين فقدَّم نموذجًا خشبيًّا جميلًا للقادس الحربي ذي المئتي مجذاف الذي يُبنى الآن في (الكرمة)، وقال: «بَعد إذن صاحب الجلالة، سنُسَمِّي السَّفينة (بسالة الملك چوفري)»، فأبدى چوف رضاه البالغ قائلًا: «سأجعلها سفينة القيادة حين أبحرُ إلى (دراجونستون) لأقتل عمِّي الخائن ستانيس».

يلعب دور الملك الأنيس اليوم. تعرف سانزا أن چوفري يتصرَّف بدماثةٍ عندما يُناسِبه هذا، وإن بدا أنها تُناسِبه أقل فأقل، وبالفعل تلاشَت تمامًا من على ملامحه لمَّا قدَّم تيريون له هديَّتهما المتمثِّلة في كتاب قديم ضخم عنوانه (سيرة أربعة ملوك)، مغلَّف بالجلد ومزيَّن بزخارف رائعة الجَمال، وقد تصفَّحه الملك بلا مبالاةٍ متسائلًا: «وما هذا يا خالي؟».

كتاب. تساءلَت إن كان چوفري يُحَرِّك هاتين الشَّفتين الدُّوديَّتين الممتلئتين عندما يقرأ.

أجابَ زوجها الصَّغير: «تأريخ المِايستر الأكبر كايث لحُكم كلٍّ من دايرون التِّنين الصَّغير وبيلور المبارَك وإجون غير الجدير ودايرون الصَّالح».

قال السير كيڤان: «كتاب على كلِّ ملكٍ قراءته يا صاحب الجلالة».

دفعَ چوفري المجلَّد عبر المائدة قائلًا: «لم يكن لدى أبي وقت للكُتب. إذا قلَّلت من القراءة يا خالي العِفريت لكان في بطن الليدي سانزا طفل الآن»، وضحكَ... وحين يضحك الملك يضحك البلاط. «لا تحزني يا سانزا. بمجرَّد أن تحمل الملكة مارچري مني سأزوركِ في غُرفة نومكِ لأري خالي الصَّغير الطَّريقة».

احمرَّ وجهها ونظرَت بتوتُّر إلى تيريون متخوِّفةً مما سيقوله فيُحيل الموقف من سيِّئ إلى أسوأ كما حدثَ مع الإضْجاع يوم زفافهما، لكن القزم اكتفى بملء فمه بالنَّبيذ بدلًا من الكلام.

تقدَّم اللورد مايس تايرل بهديَّته: كأس ذهبيَّة طولها ثلاثة أقدام، لها مقبضان محدَّبان منمَّقان وسبعة جوانب تلتمع عليها الأحجار الكريمة. قال أبو العروس: «سبعة أوجُه لممالك جلالتك السَّبع»، وعرضَ عليهم كيف يحمل يحتلُّ رمز إحدى العائلات الكُبرى كلَّ وجه؛ أسد من الياقوت، ووردة من الزُّمرُّد، ووعل من الجَزع، وسمكة تروويت من الفضَّة، وصقر من اليَشب الأزرق، وشمس من الأوپال، وذئب رهيب من اللُّؤلؤ.

قال چوفري: «كوب بديع، لكن علينا أن نُزيل الذِّئب ونضع في مكانه حبَّارًا على ما أعتقدُ»، فتظاهرَت سانزا بأنها لم تسمع بينما رفعَ الكأس فوق رأسه ليتطلَّع إليها الجميع مردفًا: «مارچري وأنا سنشرب طويلًا خلال المأدبة يا حماي».

دمدمَ تيريون بصوتٍ واطئ: «الشَّيء السَّخيف يُناهِزني طولًا. سيشرب چوف نِصفه ويَسقُط سكرانًا».

عظيم. ربما يكسر عُنقه.

انتظرَ اللورد تايوين حتى النِّهاية ليُقدِّم للملك هديَّته. كانت سيفًا طويلًا، غِمده من خشب الكرز والذَّهب والجِلد الأحمر المزيَّت، ومرصَّع برؤوس أُسودٍ ذهبيَّة رأت سانزا أن أعيُنها من الياقوت. خيَّم الصَّمت على قاعة الحفلات إذ استلَّ چوفري السَّيف ورفعَه فوق رأسه، ومضَت التَّموُّجات السَّوداء والحمراء في النَّصل الفولاذي في ضوء الصَّباح.

أعلنَ ماثيس روان: «مبهر».

وقال اللورد ردواين: «سيف جدير بالأغاني يا مولاي».

وأضافَ السير كيڤان لانستر: «سيف يليق بملك».

بدا چوفري كأنه يُريد أن يَقتُل أحدًا في التَّوِّ واللَّحظة من فرط الحماسة التي اضطرمَت بها قسماته، وشَقَّ الهواء وضحكَ قائلًا: «لا بُدَّ أن يكون للسَّيف العظيم اسم أيها السَّادة! ماذا أسمِّيه؟».

تذكَّرت سانزا (ناب الأسد)، السَّيف الذي ألقَته آريا في (الثَّالوث)، وتذكَّرت (آكِل القلوب) الذي جعلَها تُقبِّله قبل المعركة، وتساءلَت إن كان سيجعل مارچري تُقبِّل هذا.

راحَ الضُّيوف يصيحون بأسماء للسَّيف الجديد، ونبذَ چوفري دستةً منها

قبل أن يسمع واحدًا أعجبَه، فصاحَ: «(عويل الأرامل)! نعم! وسوف يُرَمِّل نساء كثيرات أيضًا!»، وعادَ يشقُّ الهواء متابعًا: «وعندما أواجهُ عمِّي ستانيس سيَشطُر سيفه المسحور إلى نِصفين»، ثم إنه جرَّب ضربةً من أعلى مجبرًا السير بالون سوان على التَّراجُع مسرعًا، ودوَّى الضَّحك في القاعة للنَّظرة على وجه الفارس.

قال السير أدام ماربراند للملك: «حذارِ يا جلالة الملك، الفولاذ الڤاليري حاد لأقصى درجة».

رَدَّ جوفري: «أذكرُ هذا»، وبكلتا يديه هوى بـ(عويل الأرامل) على الكتاب الذي أهداه تيريون إياه، وبضربةٍ واحدة انشقَّ الغِلاف الجِلدي الثَّقيل، وصاحَ الصَّبي: «حاد! قلتُ لك إن الفولاذ الڤاليري ليس غريبًا عليَّ»، ثم عادَ يهوي على المجلَّد السَّميك عدَّة مرَّات حتى مزَّقه تمامًا، وحين فرغَ كان يلهث. أحسَّت سانزا بزوجها يُقاوِم غضبه بينما صاحَ السير أوزموند كِتلبلاك: «أتمنَّى ألَّا تُصوَّب هذا النَّصل المريع إليَّ أبدًا يا مولاي».

قال جوفري: «احرص على ألَّا تُعطيني سببًا أيها الفارس»، ونقرَ قطعةً من (سيرة أربعة ملوك) من على المائدة برأس السَّيف، ثم دَسَّ (عويل الأرامل) في غِمده.

قال السير جارلان تايرل: «جلالة الملك، ربما لم تكن تعلم، لكن في (وستروس) كلِّها لم تكن هناك إلَّا أربع نُسخ من هذا الكتاب المزخرَف بيد كايث».

أجابَ جوفري وهو يحلُّ حزام سيفه القديم ليتمنطَق بالجديد: «الآن هناك ثلاث. أنت والليدي سانزا مدينان لي بهديَّةٍ أفضل يا خالي العِفريت، هذه ممزَّقة عن آخِرها».

حدَّق تيريون إلى ابن أخته بعينيه غير المتماثلتيْن قائلًا: «سكِّين ربما يا مولاي، ليتماشى مع سيفك، خنجر من الفولاذ الڤاليري أيضًا... بمقبضٍ من عظم التنِّين، ما رأيك؟».

رماه جوف بنظرةٍ حادَّة، وقال: «أيها... نعم، خنجر يتماشى مع سيفي، عظيم»، وأومأ مضيفًا: «مقبض... مقبض ذهبي مطعَّم بالياقوت. عظم التنِّين بسيط جدًّا».

قال تيريون: «كما تشاء يا جلالة الملك».

كان كأنه وحده في غُرفته الشَّمسيَّة من قلَّة ما أعطى سانزا من انتباه، لكن حين أتى وقت المغادَرة إلى الزِّفاف التقطَ يدها في يده.

لحقَ بهما الأمير أوبرين الدورني وهما يقطعان السَّاحة، تتأبَّط ذراعه خليلته ذات الشَّعر الفاحم التي تطلَّعت سانزا إليها بفضول. إنها ابنة غير شرعيَّة وعزباء وحملَت ابنتين نغلتين للأمير، لكنها لا تخشى أن تَنظُر للملكة نفسها في عينيها مباشرةً. كانت شِاي قد ذكرَت لها أن إلاريا تتعبَّد لربَّة حُبٍّ لايسينيَّة، وقالت: «كانت أدنى إلى العاهرة عندما وجدَها يا سيِّدتي، والآن تكاد تكون أميرةً». لم تكن سانزا على هذه المقربة من المرأة الدورنيَّة من قبل، ففكَّرت: ليست جميلةً حقًّا، لكن فيها شيئًا ما يجتذب العين.

كان الأمير أوبرين يقول لزوجها: «ذات مرَّةٍ أسعدَني الحَظُّ برؤية نُسخة (القلعة) من (سيرة أربعة ملوك). الزَّخارف كانت مبهرةً حقًّا، لكن كايث غالى في ترفُّقه بالملك ڤسيرس».

رمقَه تيريون بحدَّةٍ قائلًا: «غالى في ترفُّقه؟ إنه يضنُّ على ڤسيرس بلا حياء في رأيي. كان ينبغي أن يكون الكتاب (سيرة خمسة ملوك)».

قال الأمير ضاحكًا: «ڤسيرس حكمَ أقلَّ من أسبوعين».

- «بل حكمَ أكثر من عام».

قال أوبرين هازًّا كتفيه: «عام أو أسبوعان، ما الفرق؟ لقد سمَّم ابن أخيه لينال العرش ولم يفعل شيئًا لمَّا نالَه».

قال تيريون: «بيلور صامَ وجوَّع نفسه حتى الموت، وعمُّه خدمَه بإخلاص وهو يده كما خدمَ التنِّين الصَّغير قبله. ربما جلسَ ڤسيرس على العرش عامًا فقط، لكنه كان الحاكم الفعلي طيلة خمسة عشر عامًا في ما انشغلَ دايرون بالحرب وبيلور بالصَّلاة»، وأضافَ بامتعاض: «وإذا أزاحَ ابن أخيه حقًّا، فهل تلومه؟ كان على أحد أن يُنقِذ البلاد من حماقات بيلور».

قالت سانزا مصدومةً: «لكن بيلور المبارَك كان ملكًا عظيمًا. لقد قطعَ (طريق العظام) حافي القدمين ليُقيم السَّلام مع (دورن)، وأنقذَ الفارس التنِّين من جُحر ثعابين، لكنها رفضَت أن تلدغه من فرط نقائه وتقواه».

ابتسمَ الأمير أوبرين قائلًا: «لو أنكِ أفعى يا سيِّدتي، فهل كنتِ لترغبين في لدغ عصا مهزولةٍ كبيلور المبارَك؟ أوثِرُ أن أدَّخر أنيابي لشيءٍ أشهى...».

أسرعَت إلاريا ساند تقول: «أميري يُعابثكِ يا ليدي سانزا. السِّپتونات والمغنُّون يقولون إن الثَّعابين لم تلدغ بيلور، لكن الحقيقة مختلفة تمامًا. لقد لدغَته عشرات المرَّات، وكان يُفترَض أن يموت».

قال تيريون: «ولو ماتَ لطال حُكم ڤسيرس سنينًا وعرفَت (الممالك السَّبع) حياةً أفضل. البعض يعتقد بشدَّة أن عقل بيلور اختلَّ من جرَّاء السُّم».

قال الأمير أوبرين: «نعم، لكني لا أرى أيَّ ثعابين في (القلعة الحمراء)، فبِمَ تُبرِّر چوفري؟».

رَدَّ تيريون: «أفضِّلُ ألَّا أفعل»، وحنى رأسه بجمودٍ مردفًا: «بَعد إذنك، هودجنا منتظر»، وساعدَ القزم سانزا على الصُّعود ثم لحقَ بها بحركاتٍ خرقاء، وقال: «أغلِقي السَّتائر يا سيِّدتي إذا سمحتِ».

لم تكن ترغب في أن تحتجب عنها المناظر، فقالت: «أهذا ضروري يا سيِّدي؟ الطَّقس جميل جدًّا اليوم».

- «إذا رآني أهل (كينجز لاندنج) الكرام داخل الهودج فلربما يقذفونه بالرَّوث. أسدي كلينا معروفًا يا سيِّدتي وأغلِقي السَّتائر».

فعلَت كما طلبَ، ثم ظلَّا صامتيْن مدَّةً بينما بدأ الهواء يسخن ويفسد، قبل أن تجعل نفسها تقول: «آسفة لما حدثَ لكتابك يا سيِّدي».

قال: «كان كتاب چوفري. ربما كان ليتعلَّم شيئًا أو اثنين لو قرأه»، وبدا مشغول البال وهو يُضيف: «كان عليَّ أن أعرف، كان عليَّ أن أرى... أشياء كثيرة جدًّا».

- «قد يسرُّه الخنجر أكثر».

عبسَ القزم فتقلَّصت نَدبته والتوَت، وقال: «الصَّبي يستحقُّ خنجرًا بالفعل، أليس كذلك؟»، ولم ينتظر إجابتها لحُسن الحَظِّ، وتابعَ: «چوف تنابذَ مع أخيكِ روب في (وينترفل). أخبِريني، هل كانت هناك ضغينة بين بران وجلالته أيضًا؟».

حيَّرها السُّؤال، فقالت: «بران؟ تقصد قبل أن يَسقُط؟»، وحاولَت أن تعود بذاكرتها إلى ذلك الزَّمن البعيد، قبل أن تقول: «بران كان صبيًّا جميلًا أحبَّه الجميع. أذكرُ أنه تبارزَ مع تومن بسيفين خشب، لكنه كان مجرَّد لعب».

عادَ تيريون يغوص في صمته المضطرب، وسمعَت سانزا صلصلة

سلاسل في الخارج فعرفَت أن الشَّبكة الحديديَّة تُرفَع، وبَعد لحظةٍ ارتفعَت صيحة وبدأ هودجهما يتحرَّك. أمعنَت النَّظر إلى يديها المطويَّتين في حِجرها وقد حُرِمَت التَّفرُّج بمنظر المدينة، دون أن تغيب عنها نظرات عيني زوجها غير المريحة. لماذا يرمُقني بهذه الطَّريقة؟

- «لقد أحببتِ إخوتكِ مثلما أحبُّ چايمي».

أهذا فخٌّ نصبه آل لانستر كي أعترف بخيانةٍ ما؟ «إخوتي كانوا خونةً وذهبوا إلى قبور الخونة. حُبُّ الخائن خيانة».

أطلقَ زوجها نخيرًا ساخرًا، وقال: «روب رفعَ السِّلاح ضد ملكه الشَّرعي، وقانونًا جعلَه هذا خائنًا، لكن الآخرَيْن ماتا في سِنٍّ أصغر من أن يعرفا فيها معنى الخيانة»، ثم حَكَّ أنفه متسائلًا: «سانزا، هل تعرفين ماذا حدثَ لبران في (وينترفل)؟».

- «بران سقطَ. كان يتسلَّق طول الوقت وأخيرًا سقطَ كما خشينا دائمًا، وقتلَه ثيون جرايچوي لكن فيما بَعد».

تنهَّد تيريون قائلًا: «ثيون جرايچوي. السيِّدة والدتكِ اتَّهمتني ذات يوم بـ... لن أُثقِل عليكِ بالتَّفاصيل الكريهة، لكنها اتَّهمتني جزافًا. إنني لم أُوذِ أخاكِ بران قَطُّ، ولا أُضمرُ لكِ أيَّ أذى».

ماذا يُريدني أن أقول؟ «جيِّد أن أعرف هذا يا سيِّدي». إنه يُريد شيئًا منها، شيئًا تجهله. يبدو كطفلٍ جائع لكني لا أملكُ طعامًا أُعطيه إياه. لماذا لا يدعني وشأني؟

مرَّةً أخرى حَكَّ تيريون أنفه المشوَّه، تلك العادة القبيحة التي تلفت النَّظر إلى وجهه القبيح، وقال: «لم تسأليني قَطُّ كيف ماتَ روب أو السيِّدة والدتكِ».

- «أ... أفضِّلُ ألَّا أعرف وإلَّا طاردَتني الكوابيس».

- «لن أقول المزيد إذن».

- «هذا... هذا لُطف منك».

قال تيريون: «أوه، نعم، إنني اللُّطف مجسَّدًا، ولي باع في الكوابيس أيضًا».



تيريون

التَّاج الجديد الذي أهداه أبوه إلى (العقيدة) أطول مرَّتين من الآخَر الذي حطَّمه الدَّهماء، مفخرة من البلَّور والذَّهب المغزول جعلَت الضَّوء يُومِض ويَبرُق بألوان قوس قزح كلما حرَّك السِّپتون الأعلى رأسه. وإن تساءلَ تيريون كيف يحتمل الرَّجل وزنه الثَّقيل، لكن حتى هو أقرَّ مذعنًا بأن چوفري ومارچري شكَّلا زوجين في غاية البهاء وهما واقفان جنبًا إلى جنبٍ بين تمثالَيْ (الأب) و(الأم) المذهَّبيْن الشَّاهقيْن.

تجلَّت روعة حُسن العروس في فُستانٍ من الحرير العاجي والشَّرائط المايريَّة، تنُّورته مزيَّنة بأشكال زهريَّة من اللُّؤلؤ الصَّغير. باعتبارها أرملة رنلي كان من المتوقَّع أن ترتدي لونَيْ عائلة باراثيون، الذَّهبي والأسود، لكنها أتَتهم كابنة تايرل، في معطف عذراء مفصَّل من المخمل الأخضر عليه مئة وردةٍ من قماش الذَّهب. تساءلَ تيريون إن كانت عذراء حقًّا، وأجابَ نفسه: كأنَّ چوفري سيعرف الفرق.

دانى الملك عروسه في الألق إذ ارتدى سُترةً من الوردي الدَّاكن تحت معطفٍ من المخمل القرمزي القاني المزركَش بوعله وأسده، واستقرَّ التَّاج بنعومةٍ فوق خُصلاته الشَّقراء، ذهب على ذهب. أنا مَن أنقذَ له هذا التَّاج اللَّعين، فكَّر تيريون وهو ينقل ثِقله بضيقٍ من ساقٍ إلى ساق، غير قادرٍ على الوقوف بثبات. شربتُ نبيذًا كثيرًا. كان عليه أن يتذكَّر أن يقضي حاجته قبل أن يتحرَّكوا من (القلعة الحمراء)، كما أنه بدأ يَشعُر بآثار اللَّيلة التي قضاها مع شِاي بلا نوم، لكن أقصى ما يُريده الآن أن يُطبِق بيديه على عُنق ابن أخته الملوكي المقيت.

الصَّبي قال متبجِّحًا إن الفولاذ الڤاليري ليس غريبًا عليه، والسِّپتونات لا

يكفُّون عن الثَّرثرة عن حُكم (الأب في الأعالي) علينا جميعًا... وإذا تلطَّف (الأب) وسقطَ فوق چوف ليسحقه كالخُنفسة فقد أصدِّقهم.

كان يجب أن يرى الجواب منذ زمنٍ طويل. مستحيل أن يُرسِل چايمي رجلًا آخر يَقتُل بدلًا منه، وسرسي أذكى من تستخدم خنجرًا يُمكن اقتفاء أثره إليها، أمَّا چوف بكلِّ ما في نفسه من غطرسةٍ ووحشيَّة وغباء ووضاعة...

تذكَّر صباحًا باردًا نزلَ فيه سلالم مكتبة (وينترفل) الخارجيَّة شديدة التَّحدُّر، ليجد الأمير چوفري يمزح مع كلب الصَّيد عن قتل الذِّئاب. يومها قال: أرسلُ كلبًا ليقتُل ذئبًا، لكن حتى چوفري ليس أحمق لدرجة أن يأمر ساندور كليجاين بقتل ابن إدارد ستارك، إذ كان الكلب ليذهب إلى سرسي ويُخبرها، وبدلًا من هذا وجدَ الصَّبي أجيرًا بين سفلة القوم من المُحاربين غير النِّظاميِّين والتُّجَّار وأتباع المعسكَرات الذين ألصَقوا أنفسهم بركْب الملك في طريقه شمالًا. أبله أجرب على استعدادٍ للمخاطَرة بحياته في سبيل حظوة الأمير والقليل من المال. تساءلَ تيريون عن صاحب فكرة الانتظار حتى يرحل روبرت من (وينترفل) قبل ذبح بران. چوف على الأرجح. لا بُدَّ أنه حسبها آيةً في الدَّهاء.

يَذكُر تيريون أن خنجر الأمير كانت له قبيعة محلَّاة بالجواهر ونصل منقوش بالذَّهب، لكن على الأقل لم يكن چوف بالغباء الذي يجعله يستخدمه، وإنما نقَّب عن غيره وسط أسلحة أبيه. كان روبرت باراثيون أرعن في سخائه، وكان ليُعطي ابنه أيَّ خنجرٍ يُريد إذا طلبَ... لكن تخمين تيريون أن الصَّبي أخذَه وحسب. لقد ذهبَ روبرت إلى (وينترفل) ووراءه ذيلٍ طويل من الفُرسان وأفراد الحاشية ومركبة ضخمة وقافلة أمتعة، ولا شَكَّ أن خادمًا مجدًّا ما حرصَ على أن تُصاحِب الملك أسلحته في حالة احتاجَ إلى أيٍّ منها.

الخنجر الذي اختارَه چوف بسيط، لا جواهر على المقبض ولا نقوش ذهبيَّة أو فضيَّة على النَّصل، ولم يستخدمه الملك روبرت قَطُّ وغالبًا نسيَ أنه يملكه، لكن الفولاذ الڤاليري بتَّار، حدَّته قمينة بالغوص في الجلد واللَّحم والعضلات بضربةٍ سريعة واحدة. الفولاذ الڤاليري ليس غريبًا عليَّ. لكنه كان غريبًا عليه بالفعل، أليس كذلك؟ وإلَّا لما اختارَ -بكلِّ بلاهة- خنجر الإصبع الصَّغير دونًا عن غيره.

لكن السَّبب ما زالَ يُراوِغه. وحشيَّة محضة ربما؟ إنها خَصلة يملك ابن أخته ذخيرةً وافرةً منها. كانَ تيريون يُجاهِد لكي لا يتقيَّأ كلَّ ما شرِبَه من خمر أو يبول في سراويله، أو هذا وذاك، وعادَ يتململَ بضيق بالغ مفكِّرًا أنه كانَ عليه أن يحفظ لسانه على الإفطار. الآنَ يعرف الصَّبي أني أعرفُ. أقسمُ أن فمي الكبير هذا سيكون السَّبب في مماتي.

رُدِّدَت النُّذور السَّبعة والتُمِسَت البركات السَّبع وتبودِلَت الوعود السَّبعة، وحين صدحَت أغنيَّة الزِّفاف ولم يتقدَّم أحد ليُعلِن عن سبب للتَّفرقة بين العروسين، آنَ أوان تبادُل المعطفين، ونقلَ تيريون ثِقله من ساقٍ ناقصة النموِّ إلى الأخرى محاولًا أن يرى من بين أبيه وعمِّه كيڤان وهو يُفَكِّر: إذا كانت الآلهة تعرف العدل سيُفسِد چوفري الأمر. عملَ على ألَّا يَنظُر إلى سانزا خشية أن تلوح المرارة في عينيه. كان يُمكنكِ أن تركعي عليكِ اللَّعنة. أكان عصيًّا عليكِ لهذه الدَّرجة أن تثني رُكبتَيْ ستاركِ اليابستيْن هاتين وتَترُكيني أحتفظُ بشيءٍ من كرامتي؟

خلعَ مايس تايرل معطف البُكورة عن كتفَيْ ابنته بحنان، فيما تناولَ چوفري معطف العروس المطويَّ من أخيه تومن ونفضَه بحركةٍ مسرحيَّة. الملك الصَّبي في الثَّالثة عشرة من العُمر ويُناهِز عروسه التي تكبَره بثلاثة أعوام طولًا، ولا يحتاج إلى الوقوف على ظَهر مهرِّج، فكسا مارچري بالقرمزي والذَّهبي ومالَ عليها ليُثبِّت المعطف عند حَلقها، وبهذه البساطة انتقلَت الفتاة من حماية أبيها إلى حمايته. لكن مَن سيحميها منه؟ رمقَ تيريون فارس الزُّهور الواقف مع رجال الحَرس الملكي الآخَرين مفكِّرًا: خيرٌ لك أن يظلَّ سيفك مسنونًا يا سير لوراس.

أعلنَ چوفري بنبرةٍ رنَّانة: «بهذه القُبلة أتعهَّدُ بحُبِّي!»، ولمَّا ردَّدت مارچري الكلمات جذبَها إليه وقبَّلها طويلًا وعميقًا، وعادَت أنوار قوس قزح تَرقُص حول تاج السِّپتون الأعلى إذ رفعَ صوته الوقور، معلنًا چوفري سليل عائلتَيْ باراثيون ولانستر ومارچري سليلة عائلة تايرل جسدًا واحدًا وقلبًا واحدًا وروحًا واحدةً.

عظيم، انتهينا، والآن لنَعُد إلى القلعة اللَّعينة كي أتبوَّل.

قادَ السير لوراس والسير مرين الموكب إلى خارج السِّپت في دِرعيهما

البيضاويْن ومعطفيهما النَّاصعيْن، ثم جاءَ الأمير تومن بسلَّةٍ يَنثُر منها بتلات الورد أمام الملك والملكة، وتبعَت الزَّوجين الملكة سرسي واللورد تايرل ثم أُم العروس متأبِّطةً ذراع اللورد تايوين، وتحرَّكت ملكة الأشواك في أعقابهم متَّكئةً بيدٍ على ذراع السير كيڤان لانستر وبالثَّانية على عُكَّازها، ووراءها بمسافةٍ قصيرة حارساها التَّوأمان تحسُّبًا لأن تقع، وبَعدهم السير جارلان تايرل والسيِّدة زوجته، وأخيرًا هما. رفعَ تيريون ذراعه لسانزا قائلًا: «سيِّدتي»، فالتقطَتها بطاعةٍ وإن أحسَّ بجمود الفتاة وهما يقطعان الممشى معًا دون أن تَنظُر إليه ولو مرَّةً.

سمعَهم يُهَلِّلون في الخارج قبل أن يَبلُغ الباب. الغوغاء يُحِبُّون مارچري لدرجة أنهم على استعدادٍ لأن يُحِبُّوا چوفري ثانيةً، فقد كانت تنتمي في السَّابق إلى رنلي، الأمير الشَّاب الوسيم الذي عادَ من وراء القبر ليُنقِذهم، ومع مجيئها تدفَّقت محاصيل (هايجاردن) الوفيرة على (الطَّريق الوردي) من الجنوب، ولا يبدو أن الحمقى يَذكُرون أن مايس تايرل هو من أغلقَ (الطَّريق الوردي) في بادئ الأمر وسبَّب مجاعتهم.

خرجا إلى هواء الخريف الجاف، وقال تيريون مازحًا: «خشيتُ ألَّا نهرب أبدًا».

لم تجد سانزا خيارًا إلَّا النَّظر إليه، وقالت: «أنا... نعم يا سيِّدي، كما تقول»، ولاحَ عليها الحُزن وهي تُردِف: «لكن المراسم كانت جميلةً حقًّا».

ومراسمنا لم تكن. «سأكتفي بأن أقول إنها كانت طويلةً. أريدُ أن أعود إلى القلعة وأريح مثانتي المسكينة»، وحَكَّ جَدعة أنفه مضيفًا: «ليتني تذرَّعتُ بمهمَّةٍ ما تُخرجني من المدينة. الإصبع الصَّغير كان الذَّكي فينا».

وقفَ چوفري ومارچري محاطيْن بفُرسان الحَرس الملكي على قمَّة السَّلالم التي تتصدَّر السَّاحة الرُّخام الواسعة، واحتجزَ السير أدام وذوو المعاطف الذَّهبيَّة الجماهير، بينما تطلَّع تمثال الملك بيلور المبارَك إليهم من أعلى بسماحة. لم يرَ تيريون خيارًا إلَّا الانضمام إلى الطَّابور ليُقَدِّم تهانئه، فلثَمَ أصابع مارچري وتمنَّى لها سعادة الدُّنيا كلَّها، ولحُسن الحَظِّ كان هناك آخَرون وراءه في انتظار دورهم، فلم يضطرَّا للبقاء طويلًا.

كان هودجهما قابعًا في الشَّمس والهواء دافئًا للغاية وراء السَّتائر، ولمَّا بدأ

يتحرَّك استندَ تيريون إلى مِرفقه على حين حملقَت سانزا إلى يديها. ليست أقلَّ جمالًا من ابنة تايرل. شَعرها بلون كستناء الخريف الغني، وعيناها بزُرقة أعيُن أولاد تَلي العميقة، وقد صبغَها الحُزن بطابع من الهشاشة والشَّجن جعلَها بشكلٍ ما أكثر فتنةً. أرادَ أن ينفذ إليها، أن يخترق دِرع الكياسة التي تقي نفسها بهَا. أهذا ما دفعَه إلى الكلام؟ أم مجرَّد الحاجة إلى إلهاء نفسه عن امتلاء مثانته حتى الانفجار؟

- «كنتُ أفكرُ في أن نذهب إلى (كاسترلي روك) بَعد أن تعود الطُّرق آمنةً». بعيدًا عن چوفري وأختي. كلما فكَّر أكثر في ما فعلَه چوف بـ(سيرة أربعة ملوك) ازدادَ قلقه. كان يُوَجِّه رسالةً، أوه، واضح تمامًا. «سيسرُّني أن أريكِ (الشُّرفة الذَّهبيَّة) و(فم الأسد)، و(قاعة الأبطال) التي كنتُ ألعب فيها مع چايمي في صِغرنا. ستسمعين الرَّعد من أسفل حيث يَدخُل البحر...».

رفعَت رأسها إليه بتؤدةٍ فعلمَ ما تراه: الجبين البهيمي المنتفخ، وجَدعة أنفه المسحوجة، والنَّدبة الورديَّة المعوجَّة، والعينين غير المتماثلتين... أمَّا عيناها هي فواسعتان وزرقاوان وخاويتان.

- «سأذهبُ حيثما يُريد السيِّد زوجي».
- «كنتُ آملُ أن يسرُّكِ هذا يا سيِّدتي».
- «سيسرُّني أن أسرَّ سيِّدي».

زَمَّ فمه قائلًا لنفسه: يا لك من رجلٍ ضئيلٍ منفِّر. هل حسبت أنك ستجعلها ستبتسم بالثَّرثرة عن (فم الأسد)؟ متى جعلت امرأةً تبتسم إلَّا بالذَّهب؟ «لا، إنها فكرة حمقاء. لا يحبُّ (الصَّخرة) إلَّا لانستر».

- «نعم يا سيِّدي، كما تقول».

سمعَ العوام يهتفون باسم الملك چوفري، ففكَّر: في غضون ثلاثة أعوامٍ سيصير ذلك الوحش الصَّغير رجلًا وينفرد بالحُكم... وعندها سيكون كل قزمٍ بنصف عقلٍ قد ولَّى الأدبار من (كينجز لاندنج). إلى (البلدة القديمة) ربَّما، أو حتى المُدن الحُرَّة. لطالما تاقَ إلى رؤية مارد (براڤوس). ربما يسرُّ هذا سانزا. برفقٍ شرعَ يتكلَّم عن (براڤوس) فواجهَه حائط من الكياسة الجليديَّة القاسية ذكَّرته بـ(الجِدار) الذي سارَ على قمَّته ذات يومٍ في الشَّمال، وتمامًا كآنذاك أحسَّ بالتَّعب.

قضيا بقيَّة الرِّحلة في صمت، وبَعد فترةٍ وجدَ تيريون نفسه يتمنَّى أن تقول سانزا شيئًا، أيَّ شيء، أن تنبس بكلمةٍ واحدة، لكن شفتيها لم تفترقا قَطُّ. حين توقَّف الهودج في ساحة القلعة تركَ أحد السَّاسة يُساعِدها على النُّزول، وقال لها: «علينا أن نذهب إلى المأدبة خلال ساعةٍ يا سيِّدتي. سألحقُ بكِ بَعد قليل»، وابتعدِ بساقين متخشِّبتين سامعًا ضحكة مارچري اللَّاهثة عبر السَّاحة إذ حملَها چوفري من فوق حصانها. ذات يوم سيُضاهي الصَّبي چايمي في القوَّة والطُّول، وسأظلُّ قزمًا تحت قدميه، وقدَ تأتي لحظة ويُقرِّر أن يجعلني أقصر مما أنا...

وجدَ مرحاضًا وتنهَّد ممتنًّا وهو يُخَلِّص نفسه من نبيذ الصَّباح. ثمَّة أوقات يكاد فيها التَّبوُّل يكون ممتعًا كامرأة، والآن أحدها. تمنَّى لو أنه يستطيع تخليص نفسه من الشُّكوك والذُّنوب بنِصف هذه السُّهولة.

كان پودريك پاين منتظرًا خارج مسكنه، وقال له: «جهَّزتُ لك السُّترة الجديدة، ليس هنا، على سريرك، في غُرفة النَّوم».

- «نعم، إننا نحتفظ بالسَّرير هناك». ستكون سانزا في الدَّاخل، تُبَدِّل ثيابها من أجل المأدبة. وشايٍ أيضًا. «نبيذ يا پود».

شربَه تيريون جالسًا إلى جوار نافذته وهو مستغرق في التَّطلُّع إلى الفوضى السَّائدة في المطابخ في الأسفل. لم تكن الشَّمس قد مسَّت سور القلعة بعدُ، لكن روائح خَبز العجين وشواء اللَّحم ملأَت أنفه. قريبًا سينهمر الضُّيوف على قاعة العرش مفعمين بالتَّرقُّب، وستكون ليلةً للأبَّهة والغناء، ليس الغرض منها الوحدة بين (هايجاردن) و(كاسترلي روك) فحسب، بل إعلان سطوتهما وثروتهما كدرسٍ لكلِّ من يُفَكِّر في مناوأة چوفري.

لكن من لا يزال بالجنون الكافي لأن يُعارِض حُكم چوفري بَعد ما جرى لستانيس باراثيون وروب ستارك؟ أجل، ما زالَ هناك قتال في أراضي النَّهر، لكن الخِناق يضيق في كلِّ مكان، خصوصًا أن السير جريجور كليجاين عبرَ (الثَّالوث) واستولى على (مخاضة الياقوت)، ثم عاودَ الاستحواذ على (هارنهال) بلا جهدٍ يُذكَر، واستسلمَت (سيجارد) لوالدر فراي الأسود، واللورد راندل تارلي يُسَيطِر الآن على (بِركة العذارى) و(وادي الغسق) و(طريق الملوك)، وفي الغرب انضمَّ السير داڤن لانستر إلى السير فورلي

پرستر عند (النَّاب الذَّهبي) ومعًا يزحفان على (ريفرزَن)، ومن (التَّوأمتين) يقود السير رايمان فراي ألفين من حاملي الحِراب للانضمام إليهما، كما أن پاكستر ردواين يَزعُم أن أسطوله سيُبحِر قريبًا من (الكرمة) ليبدأ الرِّحلة الطَّويلة حول (دورن) عبر جُزر (الأعتاب)، توطئةً لمواجَهة قراصنة ستانيس اللايسينيِّين بأعداد تفوقهم عشر مرَّات. الصِّراع الذي سمَّاه المِايسترات حرب الملوك الخمسة يُشارِف على وضع أوزاره، حتى إن مايس تايرل سُمِعَ يقول متذمِّرًا إن اللورد تايوين لم يَترُك له أيَّ انتصارات.

وقفَ پود إلى جانبه قائلًا: «سيِّدي، هل ستُبدِّل ثيابك؟ وضعتُ السُّترة على السَّرير، سُترة المأدبة».

قال تيريون بكآبة: «المأدبة؟ أيَّ مأدبة؟».

فاتَت پود السُّخرية بالطَّبع، فأجابَ: «مأدبة الزِّفاف، الملك چوفري والليدي مارچري، أقصدُ الملكة مارچري».

قال تيريون عازمًا على أن يشرب حتى الثُّمالة اللَّيلة: «ليكن أيها الصَّغير پودريك، لنذهب ونُجَهِّزني للاحتفال».

كانت شِاي تُساعِد سانزا على تزيين شَعرها لدى دخولهما غُرفة النَّوم، ولمَّا رآهما معًا فكَّر: الفرح والحُزن، الضَّحك والدُّموع. ارتدَت سانزا فُستانًا من الساتان الفضِّي الموشَّى بالفراء، يكاد كُمَّاه الفضفاضان المبطَّنان بقماش الجوخ الأرجواني النَّاعم يمسَّا الأرض، وكانت قد صفَّفت شَعرها بأناقةٍ تحت شبكةٍ فضِّيَّة رقيقة تلتمع فيها جواهر أرجوانيَّة قاتمة. لم يرَها تيريون بهذا الجَمال من قبل قَطُّ، لكن الأسى ظَلَّ مهيمنًا على ملامحها. قال لها: «ستكونين أجمل امرأةٍ في القاعة اللَّيلة».

- «سيِّدي شديد اللُّطف».

قالت شِاي باستياء: «ألا يُمكنني المجيء والخدمة على الموائد يا سيِّدتي؟ أريدُ بشدَّة أن أرى الحمام يطير من الكعكة».

رمقَتها سانزا باستغراب مجيبةً: «الملكة اختارَت الخدم جميعًا».

أضافَ تيريون محاولًا ابتلاع ضيقه: «والقاعة ستكون مزدحمةً للغاية، لكنكِ ستجدين موسيقيِّين يتنقَّلون في جميع أنحاء القلعة، وموائد في السَّاحة الخارجيَّة عليها أطعمة ومشروبات للجميع»، وتفحَّص سُترته الجديدة

المفصَّلة من المخمل القرمزي ذات الكتفين المبطَّنتين والكُمَّين المنفوشين والشُّقوق التي تُظهِر طبقةً سُفليَّةً من الساتان الأسود. سُترة مليحة، لا ينقُصها إلَّا رجلٍ مليح يرتديها. «پود، تعالَ وساعِدني على ارتدائها».

شربَ كأسًا أخرى من النَّبيذ وهو يُغيِّر ملابسه، ثم أخذَ زوجته من ذراعها واصطحبَها من (بُرج المطابخ) لينصبَّا في نهر الحرير والساتان والمخمل المتدفِّق إلى قاعة العرش. بعض المدعوِّين دخلوا بالفعل ليجدوا أماكنهم على الدِّكك، بينما تلكَّأ غيرهم عند الباب مستمتعين بدفء الأصيل الآتي في غير أوانه، ودارَ تيريون بسانزا حول السَّاحة لتبادُل المجامَلات الضَّروريَّة.

فكَّر وهو يُشاهِدها تقول للورد جايلز إن صوت سُعاله تحسَّن، وتُطري على فُستان إلينور تايرل، وتسأل چالابار شو عن أعراف الزِّفاف في (جُزر الصَّيف): إنها بارعة في هذا. جاءَ عمُّه كيڤان بابنه لانسل الذي بارحَ فِراش المرض للمرة الأولى منذ المعركة. يبدو مريعًا. ابيضَّ شَعر لانسل وصارَ هشًّا، وأصابَ جسده نحول جعلَه يبدو كالعصا، وكان ليتداعى أرضًا لولا أنه مستند إلى أبيه الواقف إلى جواره، لكن حين أثنَت سانزا على شَجاعته وقالت إن من الرَّائع أن تراه وقد استردَّ قوَّته، انبسطَت أسارير لانسل والسير كيڤان معًا. كانت لتُصبح ملكةً صالحةً وزوجةً أصلح لچوفري لو أنه تحلَّى بالعقل وأحبَّها. تساءلَ إن كان ابن أخته قادرًا على الحُبِّ أصلًا.

قالت الليدي أولينا تايرل لسانزا عندما دنَت منهما في فُستانٍ من قماش الذَّهب لا بُدَّ أنه يفوقها وزنًا: «تبدين فاتنةً حقًّا يا صغيرتي، لكن الرِّيح أفسدَت شَعركِ»، ومدَّت العجوز يدها وعدَّلت الخُصل السَّائبة مثبِّتةً إياها في مكانها ومسوِّية شبكة الشَّعر، وقالت وهي تشدُّ وتُرخي: «أسفتُ للغاية حينما سمعتُ بمصيبتكِ. أعرفُ أن أخاكِ كان خائنًا فظيعًا، لكن إذا بدأنا نَقتُل الرِّجال في حفلات الزِّفاف فسينفرون من الزَّواج أكثر مما يفعلون الآن. حسن، هذا أفضل»، وابتسمَت مضيفةً: «يسرُّني أن أقول إنني راحلة إلى (هايجاردن) بَعد غد. لقد اكتفيتُ تمامًا من هذه المدينة ورائحتها الكريهة، شكرًا. هل تودِّين مصاحَبتي في زيارةٍ قصيرة بينما يخوض الرِّجال حربهم؟ سأفتقدُ عزيزتي مارچري كثيرًا، وجميع رفيقاتها الجميلات، وستكون في صُحبتكِ عزاء يُطيِّب القلب».

قالت سانزا: «أنتِ في غاية اللُّطف يا سيِّدتي، لكن مكاني إلى جوار السيِّد زوجي».

ألقَت الليدي أولينا تيريون بابتسامةٍ متغضِّنة بلا أسنان، وقالت: «أوه؟ سامحني يا سيِّدي، إنني امرأة عجوز سخيفة، ولم تكن نيَّتي أن أسرق زوجتك الجميلة، لكنني افترضتُ أنك ستذهب لتقود أحد جيوش لانستر ضد عدوٍّ شرير ما».

- «إنه جيش من التَّنانين والأيائل. على أمين النَّقد أن يبقى في البلاط ليعمل على تمويل الجيوش».

- «بالتَّأكيد. تنانين وأيائل، هذا طريف، وبنسات القزم أيضًا. لقد سمعتُ ببنسات القزم تلك. لا ريب أن جمعها عمل شاق حقًّا».

- «إنني أتركُ الجمع لآخَرين يا سيِّدتي».

- «أوه، حقًّا؟ حسبتك تحبُّ أن تتولَّاه بنفسك، فيجب ألَّا نسمح بأن يحتال أحد على التَّاج في بنسات القزم، أليس كذلك؟».

أجابَ تيريون وهو يتساءَل إن كان لوثور تايرل العجوز قد ألقى نفسه في الهاوية عمدًا: «حاشا للآلهة. بَعد إذنكِ يا ليدي أولينا، علينا الجلوس في أماكننا الآن».

- «وأنا أيضًا. هناك سبعة وسبعون صنفًا على ما أظنُّ. ألا تجد في هذا شيئًا من المبالَغة يا سيِّدي؟ إنني لن آكل أكثر من ثلاث أو أربع لُقيمات عن نفسي، لكن كلينا صغير الحجم جدًّا، أليس كذلك؟»، وربَّتت العجوز على شبكة شَعر سانزا ثانيةً، وأردفَت: «حسن، اذهبي يا صغيرتي، وحاولي أن تكوني أكثر مرحًا. أين ذهبَ حارساي؟ شِمال، يمين، أين أنتما؟ تعاليا وساعداني على الصُّعود إلى المنصَّة».

على الرغم من أن المساء ما زالَ بعيدًا بساعةٍ كاملة فقد توهَّجت قاعة العرش عن آخِرها بأضواء المشاعل الموقدَة على كلِّ حامل. وقفَ الضُّيوف بطول الموائد فيما أعلنَ الحُجَّاب أسماء وألقاب الدَّاخلين من لوردات وليديهات، يصطحبهم وُصفاء يرتدون الزِّيَّ الملكي الرَّسمي على الممشى الأوسط الواسع، بينما ازدحمَت الشُّرفة في الأعلى بشتَّى الموسيقيِّين والآلات؛ طبول ومزامير وكمنجات وقيثارات وأبواق وقِرب.

أطبقَ تيريون على ذراع سانزا وقطعَ الممشى بخُطواتٍ سريعة ثقيلة، شاعرًا بأعيُنهم المسلَّطة عليه مستهجنةً النَّدبة الجديدة التي جعلَته أقبح مما كان. فكَّر وهو يرفع نفسه إلى مقعده: فليَنظُروا، فليُحَملِقوا ويتهامَسوا حتى يشبعوا. لن أخفي نفسي لأجلِ خاطرهم. تبعَتهما ملكة الأشواك إلى الدَّاخل بخُطى قصيرة بطيئة، وتساءلَ تيريون أيهما يبدو أكثر سخفًا؛ هو مع سانزا أم المرأة الضَّئيلة الذَّابلة بين حارسيها التَّوأمين بطولهما الفارع.

دخلَ چوفري ومارچري قاعة العرش على صهوتَيْ جوادين حربيَّين متماثلَيْن في البياض، وجرى الوُصفاء أمامهما ناثرين بتلات الورود تحت حوافرهما. كان الملك والملكة قد بدَّلا ملابسهما من أجل المأدبة أيضًا، فارتدى چوفري سراويل مخطَّطةً بالأسود والقرمزي وسُترةً من قماش الذَّهب بكُمَّين من الساتان الأسود وأزرار من الجَزع، واستبدلَت مارچري الفُستان المحتشم الذي ارتدَته في السِّپت بآخَر كاشف عنه بكثير، قطعة فنِّيَّة من السَّميت الأخضر الباهت بصدارٍ مشدود الأربطة ينحسر عن كتفيها ويُظهِر أعلى ثدييها الصَّغيرَيْن، وقد حلَّت شَعرها البنِّي النَّاعم وتركَته ينسدل على كتفيها البيضاوين وظَهرها حتى خاصرتها تقريبًا، وبجبهتها أحاطَ تاج ذهبي رفيع. أضاءَ وجهها بابتسامةٍ عذبة خجول، وقال تيريون لنفسه: فتاة جميلة، ومصير أرحم مما يستحقُّه ابن أختي.

اصطحبَهما الحَرس الملكي على المنصَّة إلى موضعَيْ الشَّرف في ظِلِّ العرش الحديدي الذي كُسِيَ من أجل المناسَبة بشرائط حريريَّة طويلة ملوَّنة بذهب باراثيون وقرمز لانستر وخُضرة تايرل. عانقَت سرسي مارچري ولثمَتها على وجنتيها، وحذا اللورد تايوين حذوها، ثم لانسل والسير كيڤان، وتلقَّى چوفري قُبلات المحبَّة من والد العروس وأخويه الجديدَيْن لوراس وجارلان، لكن أحدًا لم يبدُ تواقًّا إلى تقبيل القزم. عندما اتَّخذ الملك والملكة مكانيهما نهضَ السِّپتون الأعلى ليقود القاعة في الصَّلاة، فقال تيريون لنفسه معزِّيًا: على الأقل لا يستطرد كسَلفه.

أجلَسوه وسانزا بعيدًا إلى يمين الملك، فجاوَرا السير جارلان تايرل وزوجته الليدي ليونيت، وجلسَت دستة من الآخَرين أدنى إلى چوفري، وهو

ما كان رجل أصعب إرضاءً ليعتبره إهانةً بما أنه كان يد الملك قبل فترةٍ قصيرة جدًّا، لكن تيريون كان ليسعد لو أن مئةً منهم فصلوا بينه وبين الصَّبي.

بَعد أن أُدِّيَ الواجب إلى الآلهة أعلنَ چوفري: «فلتمتلئ الكؤوس!»، وصَبَّ ساقيه إبريقًا كاملًا من نبيذ (الكرمة) القاني في كأس الزِّفاف الذَّهبيَّة التي أهداه اللورد تايرل إياها في الصَّباح، واضطرَّ الملك لأن يرفعها بكلتا يديه وهو يقول: «نخب زوجتي وملكتي!».

ردَّت عليه القاعة: «مارچري! مارچري! مارچري! نخب الملكة!»، وقُرِعَت ألف كأس، وبهذا بدأت مأدبة الزِّفاف. شربَ تيريون لانستر مع الآخَرين، مفرغًا كأسه في جوفه مع النَّخب الأول ومشيرًا بإعادة ملئها بمجرَّد أن عاودَ الجلوس.

الصَّنف الأول كان حَساءً من القشدة والفطر والحلزونات بالزُّبدة، قدَّموه في أوعيةٍ مذهَّبة، ولمَّا كان تيريون قد تناولَ لُقيماتٍ معدودة من إفطاره وبدأ مفعول النَّبيذ يُدير رأسه، فقد رحَّب بالطَّعام وأنهى حَساءه سريعًا. فرغنا من صنفٍ وتبقَّى ستَّة وسبعون. سبعة وسبعون صنفًا بينما لا يزال هناك أطفال جوعى في المدينة ورجال يُمكِنهم أن يقتُلوا من أجل حبَّة فجل. ربما يُراجعون أنفسهم في حُبِّهم لآل تايرل لو رأونا الآن.

تذوَّقت سانزا ملعقةً من الحَساء ثم دفعَت الوعاء، فسألَها تيريون: «ألا يُعجبكِ يا سيِّدتي؟».

قالت: «سيُقدِّمون أصنافًا كثيرةً يا سيِّدي، وبطني صغير»، وداعبَت شبكة شَعرها بتوتُّرٍ وتطلَّعت عبر المائدة إلى حيث يجلس چوفري مع ملكته ابنة تايرل.

عبسَ تيريون مفكِّرًا: هل تتمنَّى لو أنها كانت في مكان مارچري؟ حتى طفلة مِثلها ينبغي أن تكون أعقل من هذا! أشاحَ بوجهه عنها راغبًا في شيءٍ يُلهيه، لكن أينما نظرَ رأى نساءً، نساءً رقيقات ناعمات جميلات سعيدات ينتمين إلى رجالٍ آخَرين، على رأسهن بالطَّبع مارچري المبتسمة بعذوبة وهي ترشف مع چوفري من كأس الزِّفاف الكبيرة ذات الأوجُه السَّبعة، ووالدتها الليدي آليري الحسناء ذات الشَّعر الفضِّي الجالسة بفخرٍ إلى جوار مايس تايرل، وبنات عمومة الملكة الثَّلاث الصَّغيرات النَّيِّرات كالطَّير، وزوجة اللورد ميريويذر

المايريَّة ذات الشَّعر الفاحم والعينين السَّوداوين الواسعتين المثيرتين، وإلاريا ساند وسط الدورنيِّين تضحك لشيءٍ ما قاله الأفعوان الأحمر. كانت سرسي قد أجلسَتهم إلى مائدتهم الخاصَّة أسفل المنصَّة مباشرةً، في موضع شَرفٍ عالٍ وإنما بعيدًا عن آل تايرل بقَدر ما سمحَ عرض القاعة.

وثمَّة امرأة جالسة بالقُرب من قدم المائدة الثَّالثة إلى اليسار، زوجة أحد أبناء فوسواي كما خمَّن، وحُبلى، لكن بطنها المنتفخ لم يخصم من حُسنها الرَّقيق شيئًا على الإطلاق، ولا من استمتاعها بالطَّعام والمرح. راقبَ تيريون بينما أطعمَها زوجها من طبقه وشربَ معها من الكأس نفسها وطبعَ على شفتيها قُبلاتٍ كثيرة بمناسَبةٍ ودونها، وكلما فعلَ استراحَت يده على بطنها كأنه يقيه بحنانه.

تساءلَ تيريون عن ردَّة فِعل سانزا إذا مالَ عليها وقبَّلها الآن. ستجفل غالبًا. أو ربما تتشجَّع وتتحمَّلها مطيعةً كما ينصُّ واجبها. وماذا تكون زوجتي إن لم تكن رمزًا للطَّاعة؟ لو قال لها إنه يُريد أن يفضَّ بكارتها اللَّيلة فستُطيعه وتتحمَّل أيضًا، ولن تبكي إلَّا قَدر الحاجة.

طلبَ المزيد من النَّبيذ، ولمَّا وصلَ كان الصَّنف الثَّاني يُقدَّم، عجين مخبوز محشو بلحم الخنزير وجوز الصَّنوبر والبيض. لم تأكل سانزا إلَّا قضمةً من طبقها على حين استدعى الحُجَّاب أول المغنِّين السَّبعة.

أعلنَ أشيب اللِّحية هاميش ذو القيثارة أنه سيُغَنِّي «على مسامع الآلهة والبَشر أغنيَّةً لم تُسمَع في (الممالك السَّبع) من قبل قَطُّ»، وسمَّاها (هجمة اللورد رنلي). تحرَّكت أصابعه على أوتار قيثارته السَّامية لتمتلئ القاعة بالأنغام الرَّخيمة، وبدأ هاميش يُغَنِّي: «مِن فوق عرشه العظمي تطلَّع إله الموت إلى اللورد القتيل...»، ثم حكى كيف تابَ رنلي عن محاوَلته اغتصاب عرش ابن أخيه، وتحدَّى إله الموت نفسه وعبرَ إلى أرض الأحياء ليُدافع عن البلاد ضد أخيه.

قال تيريون في سريرته: ومن أجل هذا انتهى المطاف بسايمون المسكين في وعاء من البنِّي. كانت الملكة مارچري دامعة العينين مع نهاية الأغنيَّة، عندما حلَّق طيف اللورد رنلي الشُّجاع إلى (هايجاردن) ليسترق نظرةً أخيرةً إلى وجه محبوبة عُمره. قال تيريون لسانزا: «رنلي باراثيون لم يَتُب عن شيءٍ

في حياته قَطُّ، لكن إذا كان حُكمي صحيحًا فقد فازَ هاميش بعودٍ مذهّب».

أنشدَ ذو القيثارة لهم أغانيَ معروفةً أيضًا؛ (وردة من ذهب) تملّق بها آل تايرل بلا شك، تمامًا كما تملّق أباه بـ(أمطار كاستامير)، وأبهجَت (العذراء والأم والعجوز) السِّپتون الأعلى، وسرَّت (السيِّدة زوجتي) كلَّ الفتيات الشّاعريّات علاوةً على عددٍ من الصِّبية بالتّأكيد. أصغى تيريون بنِصف أذنٍ وهو يتذوَّق فطائر الذُّرة الحُلوة وكعكات الشُّوفان السّاخنة المخبوزة بقطعٍ من البلح والتُّفّاح والبرتقال، وينهش ضلع خنزير برِّي.

بَعدها توالَت الأطباق وفقرات اللّهو باستفاضةٍ مدهشة، تعوم على فيضان من النّبيذ والمِزر. غادرَهم هاميش وحَلَّ محلّه دُبٌّ عجوز صغير الحجم نوعًا راحَ يَرقُص بخَرَقٍ على ألحان الطّبلة والمزمار، بينما أكلَ ضيوف الحفل سمك الترويت المحمَّر في قشرةٍ من اللّوز المسحوق. ركَّب فتى القمر ساقيه الخشبيَّتين الطّويلتين ودارَ حول الموائد مطاردًا مهرِّج اللورد تايرل مفرط البدانة المسمّى برميل الزُّبدة، وتناولَ اللوردات والليديهات طيور البَلَشون[1] المشويَّة مع فطائر الجُبنة والبصل. أدّت فِرقة من البهلوانات الپنتوشيِّين ألعاب الشَّقلبة في الهواء والوقوف على الأيدي، ووازَنوا الأطباق على أرجُلهم الحافية، ووقف بعضهم على أكتاف بعضٍ مشكِّلين هرمًا، وصاحبَت عروضهم سراطين البحر المسلوقة في البهارات الشَّرقيَّة الحرِّيفة، وصِحاف ملأى بقطعٍ من الضّأن المطبوخ في حليب اللّوز مع الجزر والزّبيب والبصل، وكعكات سَمك طازجة من الفُرن قُدِّمَت ساخنةً تحرق الأصابع.

ثم استدعى الحُجّاب مطربًا آخر، كوليو كْواينيس التايروشي ذو اللِّحية القرمزيَّة واللّكنة الهزليَّة التي حذَّر سايمون تيريون منها. بدأ كوليو بتنويع على (رقصة التّنانين)، التي يُفترَض أن يُغنِّيها رجل وامرأة معًا، وكابدَها تيريون بحصَّتين من الحَجَل[2] المطبوخ بالعسل والزَّنجبيل، بالإضافة إلى عدَّة كؤوس من النّبيذ. تحكي القصيدة الآسرة تحكي عن مصرع حبيبيْن في هلاك (ڤاليريا)، وكانت لتروق مَن في القاعة أكثر لو لم يغنِّها كوليو بالڤاليريَّة

---

(1) البَلَشون طائر شهير بصوته العذب، ويُعرَف أيضًا باسم مالك الحزين. (المترجم)
(2) الحَجَل طائر متوسِّط الحجم يُشبِه الحمام. (المترجم)

الفُصحى التي يجهلها معظمهم، لكن (بسا ساقية الحانة) كسبَتهم من جديدٍ بكلماتها البذيئة، وقُدِّمَت الطَّواويس المَشويَّة بريشها محشوَّةً بالبلح بينما استدعى كوليو طبَّالًا وانحنى بشدَّةٍ أمام اللورد تايوين، قبل أن يشرع في غناء (أمطار كاستامير).

إذا كان عليَّ أن أسمع سبعة تنويعات لهذه الأغنيّة، فربما أذهبُ إلى (جُحر البراغيث) وأعتذرُ للحَساء. التفتَ تيريون إلى زوجته متسائلًا: «أيهما تُفضِّلين؟».

حدَّقت إليه سانزا بخواء، وقالت: «سيِّدي؟».

- «المغنِّيان، أيهما تُفَضِّلين؟».

- «أنا... آسفة يا سيِّدي، لم أكن مصغيةً».

كما أنها لا تأكل. سألَها: «سانزا، أأنتِ بخير؟». تكلَّم بلا تفكير، وفي اللَّحظة التَّالية أحسَّ كم هو أحمق. أهلها كلُّهم قُتِلوا وتزوَّجتني، وأتساءل إن كانت بخير.

أجابَت: «نعم يا سيِّدي»، وأشاحَت بنظرها عنه متصنِّعةً اهتمامًا لا يُقنِع طفلًا بمنظر فتى القمر الذي يَرجُم برميل الزُّبدة بحبَّات البلح.

صنعَ أربعة پايرومانسرات وحوشًا من اللَّهب الحي راحَ بعضها يُمَزِّق بعضًا ببراثن من نار، على حين غرفَ الخدم أوعيةً من البلانديسوري، وهو خليط من مرق اللَّحم البقري والنَّبيذ المغلي، محلًّى بالعسل ومُضاف إليه اللَّوز المسلوق وقِطع من لحم الدُّيوك، ثم جاءَ عدد من الزَّمَّارين والكلاب المدرَّبة ومبتلعي السُّيوف، تُصاحِبهم البازلاء بالزُّبدة والمكسَّرات المفرومة، مع شرائح من لحم الإوز المطبوخ في صلصةٍ من الخوخ والزَّعفران، فتمتمَ تيريون «ليس الإوز ثانيةً»، وقد تذكَّر عَشاءه مع أخته عشيَّة المعركة. بَعد ذلك أخذَ حاوٍ يُشَقلِب نِصف دستةٍ من السُّيوف والفؤوس في الهواء فيما وُضِعَت على الموائد أسياخ من السُّجق الدَّموي الذي لا يزال يُطقطِق، وهو ما حسبَه تيريون نوعًا من التَّجاوُر الطَّريف، وإن كان يفتقر إلى الذَّوق.

نفخَ الحُجَّاب في أبواقهم، وصاحَ أحدهم: «منافسًا على العود الذَّهبي، نُقَدِّم لكم جاليون بن (كاي)».

جاليون رجل عريض الصَّدر له لحية سوداء ورأس أصلع وصوت جهوري بلغَ كلَّ رُكنٍ من قاعة العرش، وقد جلب معه ستَّة موسيقيِّين لا أقل

ليعزفوا له، وأعلنَ: «أيها اللوردات النُّبلاء والليديهات الحِسان، هذه أغنيَّة (النَّهر الأسود) وحكاية إنقاذ البلاد».

بدأ الطَّبَّال يدقُّ طبلته ببُطءٍ كئيب، وغنَّى جاليون: «جلسَ سيِّد الظَّلام يتحرَّق كمدًا في بُرجه العالي، في قلعةٍ تُباري اللَّيل في السَّواد».

ودندنَ الموسيقيُّون بنغمةٍ متساوقة: «أسود شَعره وسوداء روحه»، وبدأ ناي يعزف.

تابعَ جاليون: «كان زاده شهوة الدَّم والحسد، وكأسه تطفح بالأحقاد. قد حكمَ أخي ممالك سبعًا، قال لزوجته الشَّمطاء. سآخذُ ما كان له وأجعله لي أنا، وسيَشعُر ابنه بطعنتي النَّجلاء».

انضمَّت إلى الجوقة قيثارة خشبيَّة وكمنجة، وتغنَّى العازفون: «صبيٌّ شُجاع شَعره من ذهب».

قال تيريون بصوتٍ أعلى من اللَّازم: «إذا أصبحتُ يدًا مرَّةً أخرى فأول ما سأفعله هو شنق المغنِّين جميعًا».

أطلقَت الليدي ليونيت ضحكةً خفيفةً، ومالَ السير جارلان ليقول: «لا يحطُّ من شَجاعة مأثرة ما ألَّا تردُ في الأغاني».

- «حشدَ سيِّد الظَّلام جحافله، وحوله تحلَّقوا كالمجرمين. وعطشى للدِّماء اعتلوا سُفنهم...».

- «... وقطعوا أنف تيريون المسكين!».

قهقهَت الليدي ليونيت، وقالت: «ربما يُمكنك أن تحترف الغناء يا سيِّدي، إنك تُجيد التَّقفية مِثل جاليون هذا».

قال السير جارلان: «لا يا سيِّدتي، سيِّدي لانستر وُلِدَ لتحقيق المآثر العظيمة وليس الغناء عنها. لولا سلسلته وناره الشَّعواء لعبرَ العدوُّ النَّهر، ولو لم يَقتُل همجيُّو تيريون أغلب كشَّافة ستانيس لما تمكَّنَّا من مباغتته قطُّ».

أشعرَت كلماته تيريون بامتنانٍ عميق وساعدَت على تهدئته بينما أطنبَ جاليون في الغناء عن بسالة الملك الصَّبي وأمِّه الملكة الذَّهبيَّة.

اندفعَت سانزا تقول فجأةً: «لكنها لم تفعل شيئًا من هذا».

قال تيريون: «لا تُصدِّقي شيئًا تسمعينه في أغنيَّةٍ أبدًا يا سيِّدتي»، وأشارَ لخادمٍ بإعادة ملء كؤوسهم.

سرعان ما جَنَّ اللَّيل خارج النَّوافذ الطَّويلة ولم يَفرُغ جاليون بعدُ من أغنيَّته المؤلَّفة من سبعةٍ وسبعين بيتًا، وإن بدَت لتيريون ألفًا. بيت لكلِّ ضيفٍ في القاعة. أسرفَ القِزم في الشُّرب خلال آخِر عشرين بيتًا أو نحوها ليُقاوِم الرَّغبة في أن يحشو أُذنيه بالفِطر، وحين انحنى المغنِّي وانصرفَ أخيرًا كان بعض الضُّيوف قد ثملوا بما فيه الكفاية لأن يُقدِّموا لا إراديًّا فقرات خاصَّة بهم من التَّسلية. غابَ المِايستر الأكبر پايسل في النَّوم بينما دارَ وتمايلَ راقصون من (جُزر الصَّيف) بثياب من الرِّيش الزَّاهي والحرير الدُّخاني، وكان الخدم يُقدِّمون حلقات من لحمٍ الإلكة محشوَّة بالجُبنة الزَّرقاء النَّاضجة عندما طعنَ أحد فُرسان اللورد روان رجلًا دورنيًّا، وجَرَّ ذوو المعاطف الذَّهبيَّة الاثنين إلى خارج القاعة، حيث سيتعفَّن أحدهما في زنزانة ويُداوي المِايستر بالابار الثَّاني.

كان تيريون يعبث بطبقٍ من لحم الخنزير البارد المتبَّل بالقرفة والقرنفل والسُّكَّر وحليب اللَّوز حينَ انتفضَ الملك چوفري واقفًا فجأةً وصفَّق صائحًا بصوتٍ أثقلَه النَّبيذ: «أدخِلوا المُنازلَين الملكيَّين!».

فكَّر تيريون بينما فتحَ ذوو المعاطف الذَّهبيَّة الباب العظيم في آخِر القاعة: ابن أختي سكران أكثر مني. لم يستطِع حيث جلسَ أن يرى أكثر من رأسَيْ رُمحين مخطَّطيْن إذ دخلَ الرَّاكبان جنبًا إلى جنب، ورافقَتهما موجة من الضَّحك وهما يقطعان الممشى الأوسط نحو الملك. خمَّن أنهما يمتطيان مُهرين... إلى أن دخلا مجال رؤيته.

كانا قزميْن، يركب أحدهما كلبًا قبيحًا طويل السِّيقان وثقيل الفَك، والثَّاني خنزيرةً مرقَّطةً ضخمةً. طقطقَت الدُّروع الخشب الملوَّنة والفارسان الصَّغيران يرتجَّان فوق سَرجيهما، يحمل كلٌّ منهما تُرسًا يفوقه حجمًا ورُمحًا جاهدَ لتثبيته وهو يتقدَّم متثاقلًا متهاديًا ومفجِّرًا الضَّحكات، وقد ارتدى واحد ثيابًا ذهبيَّةً بالكامل ورسمَ على تُرسه وعلًا أسود، على حين ارتدى الثَّاني الرَّمادي والأبيض وحملَ رمز الذِّئب، واكتسى كلا حيوانيهما بلون راكبه.

تطلَّع تيريون عبر المنصَّة إلى الوجوه الضَّاحكة. چوفري محمرُّ الوجه متقطِّع الأنفاس، وتومن يصيح ويتقافَز على مقعده، وسرسي تضحك بخفوتٍ مهذَّب، وحتى اللورد تايوين يبدو عليه شيء من الاستمتاع. من بين

كلِّ الجالسين إلى المائدة العالية كانت سانزا ستارك الوحيدة التي لم تبتسم، وكان ليحبُّها من أجل هذا لو لا أن نظرات ابنة ستارك كانت شاردةً تمامًا كأنها لا ترى الرَّاكبيْن الهزليَّيْن المنطلقيْن نحوها.

حزمَ تيريون أمره. لا لومَ على القزميْن. عندما يفرُغان سأثني عليهما وأعطيهما كيسًا منتفخًا بالفضَّة، وحين يأتي الغد سأعثرُ على مَن رتَّب لهذه الفقرة أيًّا كان وأوجِّهُ له نوعًا مختلفًا من الشُّكر.

حين توقَّف القزمان أسفل المنصَّة لتحيَّة الملك أسقطَ فارس الذِّئب تُرسه، ولمَّا مالَ يلتقطه فقدَ فارس الوعل السَّيطرة على رُمحه الثَّقيل، فارتطمَ بظَهر فارس الذِّئب وأوقعَه من فوق الخنزيرة، وطارَ رُمحه ضاربًا غريمه في رأسه، وانطرحَ الاثنان متشابكيْن على الأرض، قبل أن ينهضا ويُحاول كلاهما ركوب الكلب في آنٍ واحد، وتبعَ هذا الكثير من التَّصايُح والتَّدافُع، وأخيرًا عادا فوق سرجيهما، وإن امتطى كلٌّ منهما حيوان الثَّاني بالعكس وحملَ التُّرس الخطأ.

استغرقا وقتًا حتى حَلَّا هذه الأزمة، وفي النِّهاية انطلقًا إلى طرفَيْ القاعة ودارا ليتواجَها استعدادًا للنِّزال، وبينما دوَّى الضَّحك من أفواه اللوردات والليديهات تصادمَ الصَّغيران وضربَ رُمح فارس الذِّئب خوذة فارس الوعل موقعًا رأسه من فوق كتفيه، ليطير في الهواء ناثرًا الدِّماء قبل أن يحطَّ في حِجر اللورد جايلز. ترنَّح القزم مقطوع الرَّأس بين الموائد ملوِّحًا بذراعيه، ونبحَت الكلاب وصرخَت النِّساء، وتمايلَ فتى القمر إلى الأمام والخلف على ساقيه الخشبيَّتين بشكلٍ استعراضي خطِر، ثم إن اللورد جايلز سحبَ حبَّةً من البطِّيخ يَقطُر منها الأحمرُ من داخل الخوذة المهشَّمة، وفي تلك اللَّحظة أخرجَ فارس الوعل رأسه من داخل دِرعه، فرجَّت عاصفة أخرى من الضَّحك القاعة. انتظرَ الفارسان حتى خمدَت الضَّحكات ثم راحَ كلاهما يدور حول الثَّاني ويقذفه بالشَّتائم المقذعة، وكانا على وشك الانفصال توطئةً للنِّزال مجدَّدًا عندما ألقى الكلب راكبه من على ظَهره واعتلى الخنزيرة الضَّخمة التي صرخَت مرتاعةً، ليستحيل ضحك ضيوف الزِّفاف إلى رعد، خصوصًا لمَّا قفزَ فارس الوعل على فارس الذِّئب وأنزلَ سراويله الخشبيَّة وبدأ يحكُّ نفسه بنِصف الثَّاني السُّفلي كالمسعور.

صرخَ القزم الذي في الأسفل: «أستسلمُ، أستسلمُ! ضع سيفك أيها الفارس الكريم!».

أجابَ القزم الذي يعتليه: «سأفعلُ إذا توقَّفت عن تحريك الغِمد!».

وعادَ الجميع يضحكون.

كان النَّبيذ يتناثَر من منخرَيْ چوفري، وهَبَّ الصَّبي واقفًا وهو يلهث فكادَ يُسقِط كأس الزِّفاف الطَّويلة، وصاحَ: «بطل! لدينا بطل!». بدأت القاعة تهدأ حين رأوا الملك يتكلَّم، وافترقَ القزمان متوقِّعيْن الشُّكر الملكي لا ريب، بينما أضافَ چوف: «وإن لم يكن بطلًا حقيقيًّا، فالبطل الحقيقي يهزم كلَّ من يتحدَّاه»، وصعدَ فوق المائدة متابعًا: «هل من أحدٍ يتحدَّى بطلنا الضَّئيل؟»، وبابتسامةٍ جذِلة التفتَ إلى تيريون صائحًا: «خالي! ستُدافِع عن شَرف مملكتي، أليس كذلك؟ يُمكنك امتطاء الخنزير!».

هوى الضَّحك عليه كموجةٍ عارمة تتكسَّر. لا يَذكُر تيريون لانستر أنه نهضَ أو صعدَ فوقَ مقعده، لكنه وجدَ نفسه واقفًا على المائدة في قاعةٍ هي غمامة من وجوهٍ تَنظُر إليه شزرًا ويُلَطِّخها ضوء المشاعل. لوى ملامحه راسمًا عليها أبشع ابتسامةٍ شهدَتها (الممالك السَّبع) على الإطلاق، ورفعَ صوته قائلًا: «سأمتطي الخنزير يا جلالة الملك... إذا امتطيتَ الكلب!».

حدَّق چوف إليه حائرًا، وقال: «أنا؟ ولماذا أنا؟ إنني لستُ قزمًا».

أوقعت نفسك بنفسك يا چوف. «لأنك الوحيد في القاعة الذي أثقُ بأني سأهزمه!».

لا يدري أيها أحلى؛ الصَّمت المصدوم الذي رانَ على المكان لحظةً، أم إعصار الضَّحك الذي تلاه، أم نظرة الغضب الأعمى على وجه ابن أخته. وثبَ القزم إلى الأرض شاعرًا بالرِّضا، وحين عادَ يَنظُر كان السير أوزموند والسير مرين يُساعِدان چوف على النُّزول بدوره، ولمَّا لاحظَ سرسي تُحَدِّق إليه نفخَ لها قُبلةً في الهواء.

انتابَته الرَّاحة مع عودة الموسيقيِّين إلى العزف، بينما قادَ المُنازِلان الصَّغيران الكلب والخنزيرة من القاعة، وعادَ الضُّيوف إلى أطباق اللَّحم البارد، لكن فجأةً شعرَ تيريون بيد السير جارلان على كُمِّه، وسمعَه يقول: «احذر يا سيِّدي، الملك».

التفتَ تيريون ليجد چوفري على وشك الوصول إليه بوجهٍ محتقن وساقين خرعتين، والنَّبيذ ينسكب من على حافة الكأس الذَّهبيَّة الضَّخمة التي يحملها بكلتا يديه، ولم يجد القزم وقتًا إلَّا ليقول: «جلالة الملك»، قبل أن يقلب الملك الكأس فوق رأسه ويسيل النَّبيذ على وجهه كوابل أحمر فيُغرق شَعره ويلسع عينيه ويحرق جرحه ويجري على وجنتيه ويغوص في مخمل سُترته الجديدة.

قال چوفري ساخرًا: «ما رأيك في هذا أيها العِفريت؟».

أحسَّ تيريون بحريقٍ في عينيه، وربَّت على وجهه بظَهر كَفِّه وهو يُحاوِل أن يرمش حتى تتَّضح الموجودات في عينيه ثانيةً، وسمعَ السير جارلان يقول بهدوء: «لم يكن هذا يليق يا جلالة الملك».

- «بالعكس يا سير جارلان»، قال تيريون الذي لا يَجسُر على أن يُزيد الطِّين بلَّةً، ليس هنا ونِصف البلاد يتفرَّج. «لن تجد ملكًا يُفكِّر في تكريم أحد رعاياه الأذلَّاء بتقديم النَّبيذ له من كأسه الملكيَّة. مؤسف أنه انسكبَ».

رَدَّ چوفري الأكثر سماجةً من أن ينتهز فُرصة التَّراجُع التي يُقدِّمها له تيريون: «النَّبيذ لم ينسكب، ولم أكن أقدِّمه لك كذلك».

ظهرَت الملكة مارچري عند مِرفق چوفري فجأةً، وقالت مناشدةً: «تعالَ يا ملكي العزيز، عُد إلى مكانك، هناك مغنٍّ آخَر منتظر».

- «ألاريك الآيزيني»، قالت الليدي أولينا تايرل المتَّكئة على عُكَّازها دون أن تُعير القزم الغارق في النَّبيذ اهتمامًا أكثر مما فعلَت حفيدتها. «أتمنَّى أن يُغنِّي لنا (أمطار كاستامير). لقد مضَت ساعة منذ آخِر مرَّة ونسيتُ كلماتها».

قالت مارچري: «والسير أدام يُريد أن يرفع نخبًا أيضًا. أرجوك يا جلالة الملك».

أعلنَ چوفري: «ليس معي نبيذ. كيف أشربُ نخبًا إن لم يكن معي نبيذ؟ يُمكنك أن تُقَدِّمه لي يا خالي العِفريت. ستكون ساقِيَّ ما دُمت لن تُشارِك في النِّزال».

- «شَرف عظيم لي يا جلالة الملك».

صرخَ چوفري: «لا أعنيها كشَرف!»، وأشارَ مضيفًا: «انحنِ والتقط كأسي من على الأرض»، ففعلَ تيريون كما أمرَه، لكن إذ مَدَّ يده إلى المقبض ركلَ

جوف الكأس من بين ساقيه قائلًا: «التقطها! أأنت قبيح وأخرق أيضًا؟».
مرغمًا زحفَ تيريون تحت المائدة ليجدها، فقال الملك: «عظيم، والآن املأها بالنَّبيذ»، فتناولَ خاله إبريقًا من خادمةٍ وملأ ثلاثة أرباع الكأس، لكن چوف قال: «لا، على رُكبتيك أيها القزم»، وركعَ تيريون رافعًا الكأس الثَّقيلة وهو يتساءَل؛ إن كان سيتلقَّى حمَّامًا ثانيًا، إلَّا أن چوفري التقطَ الكأس بيدٍ واحدة وشربَ طويلًا ثم وضعَها على المائدة، وقال: «يُمكنك أن تنهض الآن يا خالي».

تشنَّجت ساقاه وهو يُحاوِل النُّهوض وكادتا تُسقِطاه، واضطرَّ تيريون لأن يتشبَّث بالكرسي ليُثبِّت نفسه، وقد مَدَّ له السير جارلان يده. ضحكَ چوفري، وضحكَت سرسي، ثم ضحكَ آخرون لم يرَهم لكنه سمعَهم.

قال اللورد تايوين بصوتٍ مثالي في انضباطه: «إنهم يَدخُلون بالكعكة يا جلالة الملك، ونحتاج إلى سيفك».

ردَّد چوفري: «الكعكة؟»، ثم أخذَ الملكة من يدها قائلًا: «هلمِّي يا سيِّدتي، إنها الكعكة».

وقفَ الضُّيوف صائحين مصفِّقين وقارعين الكؤوس بينما تقدَّمت الكعكة بتؤدةٍ عبر القاعة، يدفعها على عجلات ستَّة من الطُّهاة التَّائهين فخرًا. عرضها ياردتان، وطبقتها الخارجيَّة بنِّيَّة مائلة إلى الذَّهبي، ومن داخلها سمعوا صياحًا وضرباتٍ مكتومة.

عادَ تيريون إلى مقعده. كلُّ ما يَنقُصه الآن حمامة تتبرَّز عليه وسيكتمل يومه. كان النَّبيذ قد تخلَّل سُترته وثيابه الدَّاخليَّة ويَشعُر ببلله على جلده. المفترَض أن يُبدِّل ملابسه، ولكن ليس مسموحًا لأحدٍ بأن يُغادِر القاعة قبل مراسم الإضْجاع، أي أن عليه أن ينتظر عشرين أو ثلاثين صنفًا حتى ذلك الحين.

قابلَ الملك وملكته الكعكة أسفل المنصَّة، وإذ بدأ چوف يسحب سيفه وضعَت مارچري يدها على ذراعه قائلةً: «(عويل الأرامل) ليس السَّيف المناسب لتقطيع الكعك».

رَدَّ چوفري: «صحيح»، ثم رفعَ عقيرته قائلًا: «سير إلين، سيفك!».

ظهرَ السير إلين پاين من بين الظِّلال في مؤخِّرة القاعة، وفكَّر تيريون وهو يُشاهد جلَّاد الملك يتقدَّم بجسده الهزيل ومُحيَّاه الكئيب: الشَّبح الكامن في المأدبة. كان أصغر من أن يعرف السير إلين وقت أن فقدَ لسانه. لا بُدَّ أنه كان

رجلًا مختلفًا في ذلك الحين، لكن الصَّمت جزء لا يتجزَّأ منه الآن، كهاتين العينين الخاويتين وهذا القميص المعدنيء الصَّدئ والسَّيف العظيم على ظَهره.

انحنى السير إلين أمام الملك والملكة، ثم مَدَّ يده من فوق كتفه وسحبَ ستَّة أقدام من الفضَّة المنمَّقة تتألَّق عليها الحروف القديمة، وركعَ ليُقدِّم السَّيف الضَّخم لچوفري من المقبض، وقد التمعَت نُقطتان ناريَّتان في عينين من الياقوت على القبيعة المصنوعة من زجاج التنِّين المنقوش على شكل جمجمةٍ مبتسمة.

تحرَّكت سانزا باضطراب قائلةً: «ما هذا السَّيف؟». كان النَّبيذ لا يزال يلسع عينَيْ تيريون، فرمشَ ونَظرَ ثانيةً. سيف السير إلين العظيم بطول (جليد) وعرضه، على أنه يَبرُق بلونٍ فضِّي ملحوظ، بينما الفولاذ الڤاليري قاتم دائمًا وفي روحه طابع دُخاني. أطبقَت سانزا على ذراعه، وسألَته: «ماذا فعلَ السير إلين بسيف أبي؟».

فكَّر تيريون: كان عليَّ أن أُرسل (جليد) إلى روب ستارك، ورمقَ أباه لكنه وجدَ اللورد تايوين يُراقِب الملك.

ضَمَّ چوفري ومارچري يديهما ليرفعا السَّيف العظيم، ثم هويا به معًا في قوسٍ فضِّي، وحين انكسرَت قشرة الكعكة تفجَّرت منها الحمائم في دوَّامةٍ من الرِّيش الأبيض وتفرَّقت في كلِّ اتِّجاهٍ محلِّقةً إلى النَّوافذ وعوارض السَّقف، وهدرَ الضُّيوف على دِككهم بالهتاف، وشرعَ عازفو الكمنجات والمزامير في الشُّرفة يعزفون لحنًا عابثًا، واحتوى چوفري عروسه بذراعيه ودارَ بها بحبور.

وضعَ خادم شريحةً من كعكة الحمام أمام تيريون وغطَّاها بملعقةٍ من القشدة باللَّيمون. تحتوي الكعكة نفسها على لحم حمام مطبوخ، لكنه لم يجدها أكثر إثارةً للشَّهيَّة من الحمائم التي تضرب هواء القاعة. سانزا أيضًا لم تأكل، فقال لها: «وجهك ممتقع للغاية يا سيِّدتي. إنكِ في حاجةٍ إلى الهواء النَّقي، وأنا إلى سُترةٍ نظيفة»، ونهضَ يمدُّ إليها يده قائلًا: «هيا بنا».

لكن قبل أن ينسبحا رجعَ چوفري، وقال: «إلى أين أنت ذاهب يا خالي؟ هل نسيت أنك ساقِيَّ؟».

- «عليَّ أن أبدِّل ثيابي بأخرى نظيفة يا جلالة الملك. هل تأذن لي في الانصراف؟».

- «لا، إنك تُعجِبني كما أنت. قدِّم لي نبيذي».

كانت كأس المَلك على المائدة حيث تركَها، واضطرَّ تيريون لأن يتسلَّق مقعده مجدَّدًا ليَبلُغها. اختطفَها چوفري من يده وجرعَ طويلًا ليتحرَّك حَلقه والنَّبيذ يسيل أرجوانيًّا على ذقنه، وقالت مارچري: «يَجدُر بنا أن نعود إلى مكاننا يا سيِّدي. اللورد باكلر يُريد أن يرفع لنا نخبًا».

رَدَّ چوف: «خالي لم يأكل نصيبه من كعكة الحمام»، وتخلَّلت إحدى يديه عن الكأس واندسَّت في نصيب تيريون، ثم قال بسخريةٍ وهو يحشو فمه بالحمام المتبَّل السَّاخن: «حَظٌّ سيِّئ ألَّا يأكل من الكعكة. أترى؟ إنها لذيذة»، وتناثرَت رُقاقات من القشرة الرَّفيعة من فمه إذ سعلَ وعادَ يدسُّ قبضته في شريحة الكعك مضيفًا: «لكنها جافَّة، تحتاج إلى ما أبلعها به». أخذَ چوفري جرعةً أخرى من النَّبيذ وعادَ يَسعُل بعُنفٍ أكثر هذه المرَّة، قبل أن يقول: «أريدُ أن أرى، كُح، أراكَ تركب هذا، كُح كُح، الخنزير يا خالي. أريدُ...»، وانبترَت عبارته إذ استولَت عليه نوبة من السُّعال.

رمقَته مارچري بتوتُّر قائلةً: «جلالة الملك؟».

- «إنها، كُح، الكعكة، لا شـ... كُح، الكعكة»، وأخذَ چوف جرعةً أخرى من نبيذه، أو بالأحرى حاولَ، لكنه قاءَ النَّبيذ كلَّه عندما أرغمَته موجة جديدة من السُّعال على الانثناء على نفسه وقد بدأ وجهه يحتقن وهو يُحاوِل أن يتكلَّم: «لا، كُح، أستطيعُ، كُح كُح كُح كُح...»، وانزلقَت الكأس من يده لينسكب النَّبيذ الأحمر القاني على المنصَّة.

شهقَت الملكة مارچري صائحةً: «إنه يختنق!».

اقتربَت جدَّتها ملكة الأشواك منها صارخةً بصوتٍ يفوقها حجمًا عشر مرَّات: «ساعِدوا الصَّبي المسكين! أيها الحمقى! هل ستكتفون بالوقوف والحملقة؟ ساعِدوا ملككم!».

دفعَ السير جارلان تيريون جانبًا وأخذَ يدقُّ چوفري على ظَهره، وفتحَ السير أوزموند كِتلبلاك ياقة الملك ممزِّقًا إياها، ومن حَلق الصَّبي خرجَ صوت خائف عالٍ رفيع، صوت رجلٍ يُحاوِل أن يمتصَّ نهرًا بعودٍ من البوص، ثم توقَّف الصَّوت، وكان هذا أشنع. هدرَ مايس تايرل في الجميع ولا أحد: «اقلبوه! اقلبوه وانفضوه من قدميه!»، وصاحَ صوت آخَر: «ماء!

اسقوه ماءً!»، وراحَ السِّپتون الأعلى يبتهل بصوتٍ مسموع، وزعقَ المِايستر الأكبر پايسل طالبًا أن يُساعِده أحد على العودة إلى مسكنه ليجلب أدويته، بينما بدأ چوفري يخمش حَلقه لتَحفُر أظفاره في لحمه وتُدميه، وتحت جِلده نفرَت عروقه وبرزَت عضلاته مشدودةً عن آخرها بصلابة الحجر، وانفجرَ الأمير تومن في البُكاء والعويل.

أدركَ تيريون ما سيَحدُث، وقال لنفسه: سيموت. ساورَه هدوء عجيب على الرغم من الجعجعة المضطرمة في كلِّ مكانٍ حوله. كانوا يدقُّون ظَهر چوفري ثانيةً، لكن وجهه ظَلَّ يسودُّ ويسودُّ، والكلاب تنبح، والأطفال يَصرُخون، والحضور يصيحون في بعضهم بعضًا بنصائح عديمة الجدوى. كانَ نِصف ضيوف الزِّفاف على أقدامهم الآن، يتدافع بعضهم من أجل نظرةٍ أفضل ويهرع البعض الآخَر إلى الأبواب لائذًا بالفرار.

فتحَ السير مرين فم الملك قسرًا ليدسَّ ملعقةً في حَلقه، وإذ فعلَ هذا التقَت عينا الصَّبي عينَيْ تيريون، الذي فكَّر: له عينا چايمي. غير أنه لم يرَ چايمي خائفًا هكذا قَطُّ. الصَّبي في الثَّالثة عشرة لا أكثر. كان حَلق چوفري يُصدِر صوتًا جافًّا كالطَّقطقة وهو يُحاوِل أن يتكلَّم، وجحظَت عيناه على اتِّساعهما رُعبًا، ورفعَ يده... يمدُّها إلى خاله، أو يُشير إليه... هل يَطلُب مني المغفرة أم يحسب أني أستطيعُ أن أنقذه؟

ولولَت سرسي: «لاااا! أبي، ساعِده، فليُساعِده أحد، ابني، ابني...».

وجدَ تيريون نفسه يُفكِّر في روب ستارك. زفافي يبدو أفضل كثيرًا الآن. التفتَ ليرى وقع ما يجري على سانزا، لكن كلَّ ما في القاعة من هرْجٍ ومرْجٍ حالَ دون أن يجدها، وإن وقعَت عيناه على كأس الزِّفاف المنسيَّة على الأرض، فاتَّجه إليها والتقطَها. في قاعها كان نِصف بوصةٍ من النَّبيذ الأرجواني الدَّاكن، وتفكَّر تيريون لحظةً ثم صبَّه على الأرض.

كانت مارچري تايرل تنتحب بين ذراعَيْ جدَّتها، والعجوز تقول: «تشجَّعي، تشجَّعي»، وكان معظم الموسيقيِّين قد فرَّ، لكن زمَّارًا واحدًا بقيَ في الشُّرفة يعزف لحنًا جنائزيًّا، وفي مؤخِّرة قاعة العرش شَبَّ الشِّجار عند الأبواب والهاربون يطئون بعضهم بعضًا، وقد تدخَّل رجال السير أدام لإعادة

النِّظام إلى صفوف الضُّيوف الذين اندفعوا إلى اللَّيل في الخارج، بعضهم يبكي وبعضهم يتعثَّر ويتقيَّأ وبعضهم الدِّماء غائضة من وجهه من فرط الخوف.

متأخِّرًا خطرَ لتيريون أن من الحكمة أن يُغادِر بدوره.

وحين سمعَ صرخة سرسي عرفَ أن الأمر انتهى.

قال لنفسه: عليَّ أن أغادر حالًا، وبدلًا من هذا تقدَّم منها.

كانت أخته على الأرض في بِركةٍ من النَّبيذ تحتوي جسد ابنها، فُستانها ممزَّق ملطَّخ ووجهها أبيض كالطَّباشير. زحفَ كلب أسود نحيل صوبها وتشمَّم جثَّة چوفري، وقال اللورد تايوين: «الصَّبي ماتَ يا سرسي»، وفيما طردَ أحد حُرَّاسه الكلب وضعَ يده المقفَّزة على كتف ابنته مردفًا: «ارفعي يديكِ عنه، دعيه»، لكنها لم تسمعه، وتطلَّب الأمر اثنين من رجال الحَرس الملكي ليحلَّا أصابعها كي ينزلق جثمان الملك چوفري باراثيون إلى الأرض رخوًا خاليًا من الحياة.

ركعَ السِّپتون الأعلى إلى جواره، ورتَّل بادئًا صلاة الموتى: «أبانا الذي في الأعالي، احكُم على ملكنا العزيز چوفري بعدلك»، وبدأت مارچري تايرل تبكي، وسمعَ تيريون أمَّها الليدي آليري تقول: «لقد اختنقَ يا صغيرتي، اختنقَ بالكعكة، لا علاقة لكِ بالأمر، لقد اختنقَ، كلُّنا رأينا».

بصوتٍ حاد كسيف السير إلين قالت سرسي: «لم يختنق. ابني ماتَ مسمومًا»، ونظرَت إلى الفُرسان البِيض الواقفين بعجزٍ حولها قائلةً: «فليُؤَدِّ رجال الحَرس الملكي واجبهم».

سألَها السير لوراس تايرل حائرًا: «ماذا يا سيِّدتي؟».

أجابَته آمرةً: «اقبضوا على أخي. القزم هو مَن فعلَ هذا، هو وزوجته الصَّغيرة، قتلا ابني، مليككم. خُذوهما الآن! خُذوهما!».



سانزا

في مكانٍ بعيد في المدينة بدأ أحدهم يقرع ناقوسًا.

أحسَّت سانزا كأنها في حُلم، ولترى إن كانت ستُفيق منه قالت للأشجار: «چوفري ماتَ».

لم يكن قد قضى أجَله بعدُ عندما خرجَت من قاعة العرش. تركَته وهو على رُكبتيه، يخمش حَلقه ويُمَزِّق لحمه مقاتلًا لالتقاط أنفاسه في منظر شنيع لم تحتمل مشاهَدته وهربَت من المكان وهي تنشج. كانت الليدي تاندا تفرُّ أيضًا، وقالت لها: «إنكِ طيِّبة القلب حقًّا يا سيِّدتي. ليس بمقدور كلِّ فتاةٍ أن تبكي الرَّجل الذي نبذَها وزوَّجها قزمًا».

طيِّبة القلب، أنا طيِّبة القلب. ارتفعَ الضَّحك المحموم من أعماقها إلى حُلقومها، لكن سانزا خنقَته. كانت الأجراس ترنُّ بحُزنٍ بطيء، ترنُّ وترنُّ وترنُّ كما رنَّت للملك روبرت من قبل. چوفري ماتَ، چوفري ماتَ، ماتَ، ماتَ، ماتَ، فلِمَ تبكي إذن على حين تُريد أن تَرقُص؟ أهي دموع الفرح؟

وجدَت ثيابها حيث خبَّأتها ليلة أول من أمس، ودون وصيفاتٍ يُساعِدنها استغرقَت وقتًا أطول من اللَّازم حتى حلَّت أربطة فُستانها بيدينِ متخاذلتَين خرقاوين، مع أنها لم تكن خائفةً لهذه الدَّرجة كما يُفترَض. تذكَّرت الليدي تاندا تقول: «قسوة من الآلهة أن تأخذه في ريعان شبابه ووسامته، وفي حفل زفافه أيضًا».

الآلهة عادلة. روب أيضًا ماتَ في حفل زفاف، وروب هو مَن تبكيه الآن. هو ومارچري. مارچري المسكينة التي تزوَّجت مرَّتين وفي المرَّتين ترمَّلت. سحبَت سانزا ذراعها من كُمٍّ وأنزلَت الفُستان وخلعَته، ثم كوَّرته ودسَّته داخل

جذع شجرة سَنديان، قبل أن تُخرِج الملابس التي أخفَتها هناك وتنفضها. قال السير دونتوس أن ترتدي ثيابًا ثقيلةً داكنةً، ولأنها لا تملك شيئًا أسود فقد انتقَت فُستانًا من الصُّوف البنِّي السَّميك، وإن كان صدره مرصَّعًا بلآلئ المياه العذبة. المعطف سيُخفيها. ارتدَت الفُستان ثم المعطف الأخضر الدَّاكن ذا القلنسوة الكبيرة التي لم ترفعها على رأسها في الحال. كانت قد خبَّأت حذاءً بسيطًا متينًا أيضًا، بكعبين مسطَّحين ومقدِّمتين مربَّعتين. فكَّرت شاعرةً بالخدر كأنها تَحلُم: الآلهة سمعَت صلاتي، لكن جِلدي استحالَ إلى پورسلين، إلى عاج، إلى فولاذ. تحرَّكت يداها بتيبُّس غريب كأن هذه أول مرَّةٍ تستخدمهما لحَلِّ شَعرها، وتمنَّت لحظةً لو أن شِايَ معها الآن لتُساعِدها على خلع الشَّبكة.

ولمَّا خلعَتها انسدلَ شَعرها الكستنائي الطَّويل على كتفيها وظَهرها، وتدلَّت شبكة الفضَّة المغزولة من أصابعها، يلتمع معدنها النَّقي بنعومةٍ وتصطبغ أحجارها الكريمة بالأسود في نور القمر. جَمَشْت أسود من (آشاي). ألفَت سانزا أحد الأحجار مفقودًا، ورفعَت الشَّبكة تتفحَّصها، فرأت لطخةً داكنةً في التَّجويف الفضِّي الذي سقطَ منه الحجر.

انتابَها فزع مفاجئ، وتسارعَت دقَّات قلبها وراء الضُّلوع وحبسَت أنفاسها وهلةً. لماذا أشعرُ بكلِّ هذا الخوف؟ إنه مجرَّد حجر جَمَشْت، جَمَشْت أسود من (آشاي) لا أكثر. لا بُدَّ أنه كان مخلخَلًا فحسب، كان مخلخَلًا وانخلعَ، ومُلقى الآن على الأرض في قاعة العرش أو السَّاحة، ما لم...

السير دونتوس قال إن الشَّبكة مسحورة وستُعيدها إلى الوطن، وشدَّد على أن ترتديها ليلة زفاف چوفري. كانت الأوتار الفضِّيَّة مشدودةً على مفاصل أصابعها، وراحَ إبهامها يُداعِب الفجوة التي كان يحتلُّها الحجر. حاولَت أن تتوقَّف لكن أصابعها لم تكن تحت سيطرتها، وظَلَّ إبهامها منجذبًا إلى الفجوة كما ينجذب اللِّسان إلى سِنٍّ مفقودة. أيُّ سحرٍ هذا؟ لقد ماتَ الملك، الملك الذي كان أميرها الشَّهم قبل ألف عام. إذا كذَبَ دونتوس بشأن شبكة الشَّعر، فهل كان كلُّ ما قاله كذبًا؟ ماذا لو لم يأتِ؟ ماذا لو لم تكن هناك سفينة أو قارب ينتظر على شاطئ النَّهر؟ ماذا لو لم يكن هناك مهرب؟ ما الذي سيَحدُث لها عندئذٍ؟

سمعَت حفيف أوراق الشَّجر الخافت، فدسَّت الشَّبكة في قاع جيب معطفها، وصاحَت: «مَن هناك؟ مَن أنت؟».

كانت أيكة الآلهة مظلمةً مبهمةً، والأجراس تزفُّ چوفري إلى قبره.

- «أنا»، أجابَها وهو يَخرُج من تحت الأشجار مترنِّحًا من السُّكر، ووضعَ يده على ذراعها ليُثبِّت نفسه مضيفًا: «لقد جئتُ يا جميلتي چونكويل، فارسكِ فلوريان جاءَ، لا تخافي».

سحبَت ذراعها من لمسته قائلةً: «قلت إن عليَّ أن أرتدي شبكة الشَّعر، الشَّبكة الفضِّيَّة ذات... أيُّ نوع من الأحجار هذا؟».

- «جَمَشْت، جَمَشْت أسودَ من (آشاي) يا سيِّدتي».

- «ليس هذا جَمَشْتًا، أليس كذلك؟ أليس كذلك؟ لقد كذبت عليَّ».

- «جَمَشْت أسود مسحور».

- «جَمَشْت أسود قاتِل!».

قال دونتوس: «مهلًا يا سيِّدتي، مهلًا. لا قتل، لقد اختنقَ بكعكة الحمام»، وأطلقَ ضحكةً مكتومةً متابعًا: «أوه، كعكة لذيذة لذيذة. فضَّة وأحجار كريمة، هذا كلُّ شيء، فضَّة وأحجار كريمة وسِحر».

كانت الأجراس ترنُّ والرِّيح تُصدِر صوتًا كالذي أصدرَه هو إذ كافحَ لالتقاط أنفاسه.

قالت: «لقد سمَّمته، أنت سمَّمته، أخذت حجرًا من شبكتي...».

- «صهِ وإلَّا أهلكتنا معًا. لم أفعل شيئًا. تعالي الآن، يجب أن نذهب. إنهم يبحثون عنكِ، وألقوا القبض على زوجكِ».

قالت مصدومةً: «تيريون؟».

- «ألكِ زوج غيره؟ العِفريت، الخال القزم، إنها تحسب أنه فعلَها»، وأمسكَ يدها وجذبَها قائلًا بإلحاح: «من هنا، يجب أن نذهب، هيا بسُرعة، لا تخافي».

تبعَته بلا مقاومة. ذات مرَّةٍ قال چوف إنه لا يُطيق بُكاء النِّساء، لكن أمَّه المرأة الوحيدة التي تبكي الآن. في حكايات العجوز نان تصنع الجرامكِنات أشياء سحريَّةً تجعل الأماني تتحقَّق. تساءلَت سانزا: هل أماتَته أمنيتي؟ ثم إنها تذكَّرت أنها أنضج من أن تعتقد في وجود الجرامكِنات. «تيريون هو مَن

سمَّمه؟». تعرف أن زوجها القزم كان يكره ابن أخته، فهل يُمكن أنه قتلَه حقًّا؟ هل كان على علم بأمر شبكة الشَّعر والجَمَشْت الأسود؟ لقد قدَّم لچوف نبيذه. كيف تخنقَ أحدًا بوضع حجر جَمَشْت في نبيذه؟ قالت لنفسها ووجل مفاجئ يعتريها: إذا كان تيريون مَن فعلها فسيحسبون أني شريكته. وكيف لا؟ إنهما زوج وزوجة، وچوف قتلَ أباها وتهكَّم عليها بموت أخيها. جسد واحد، قلب واحد، روح واحدة.

قال دونتوس: «عليكِ أن تلوذي بالهدوء الآن يا حُلوتي. يجب ألَّا نُصدِر صوتًا خارج الأيكة. ارفعي قلنسوتكِ وواري وجهكِ»، فأومأَت سانزا وفعلَت كما قال.

كان سكرانًا لدرجةٍ دفعَتها لأن تمدَّ ذراعها إليه بين الحين والآخَر كي لا يقع، والأجراس مستمرَّة في الرَّنين عبر المدينة وينضمُّ المزيد منها إلى الجوقة الجنائزيَّة كلَّ لحظة. أبقَت سانزا رأسها منخفضًا وظلَّت تتحرَّك وسط الظِّلال بمسافةٍ قصيرة وراء دونتوس، الذي هوى على رُكبتيه فجأةً وهما على السَّلالم الملتفَّة وأفرغَ معدته. فكَّرت وهي تُشاهِده يمسح فمه بكُمِّه الفضفاض: فلوريان المسكين. قال لها أن ترتدي ثيابًا داكنةً، لكن تحت معطفه البنِّي ذي القلنسوة ارتدى سُترته الطَّويلة القديمة ذات رمز عائلة هولارد، الخطوط الأفقيَّة الحمراء والورديَّة التي يعلوها شريط أسود عريض عليه ثلاثة تيجان ذهبيَّة. سألَته: «لماذا ترتدي سُترتك؟ چوفري قضى أن تُقتَل إذا ضُبِطت في ثياب الفُرسان ثانيةً، وقال... أوه...». ما عادَ شيء قضاه چوف يهمُّ.

أجابَ دونتوس: «أردتُ أن أكون فارسًا، من أجل هذا على الأقل»، ونهضَ ملتقطًا ذراعها، وقال: «هيا، والزمي الصَّمت، لا أسئلة».

واصَلا هبوط السَّلالم الملتوية ثم عبرا فِناءً صغيرًا غائصًا في الأرض، حيث دفعَ السير دونتوس بابًا ثقيلًا وأضاءَ شمعةً. كانا الآن في رواقٍ طويل، وبمحاذاة جِداريه وقفَت حُلل مدرَّعة فارغة يكسوها التُّراب والظَّلام، خوذاتها لها ريشات على شكلِ حراشف تمتدُّ حتى الظَّهر، وإذ مَرَّا بها مسرعيْن جعلَ ضوء الشَّمعة ظِلَّ كلِّ حرشفٍ يستطيل ويتلوَّى. الفُرسان الجُوف يتحوَّلون إلى تنانين.

أفضَت بهما مجموعة أخرى من الدّرجات إلى بابٍ من البلُّوط المدعَّم بالحديد، وقال دونتوس: «تحلَّي بالقوَّة الآن يا عزيزتي چونكويل، إنكِ على وشك الوصول»، ولمَّا رفعَ القضيب العرضي وفتحَ الباب شعرَت سانزا بنسيم بارد على وجهها، وعبرَت بين جِدارين يمتدَّان اثني عشر قدمًا قبل أن تجِد نفسها خارج القلعة، واقفةً على قمَّة جُرف. في الأسفل النَّهر وفي الأعلى السَّماء، وكلاهما يُنافِس الثَّاني في السَّواد.

قال دونتوس: «علينا أن ننزل. ثمَّة رجل عند السَّفح ينتظر أن يقلَّنا إلى السَّفينة».

- «سأسقطُ». بران سقطَ، ولكم أحبَّ التَّسلُّق.

قال: «لا، لن تَسقُطي. هناك سُلَّم، سُلَّم سرِّي محفور في الصَّخر. ضعي يدكِ وستجدينه يا سيِّدتي»، وجثا على رُكبتيه معها وجعلَها تميل من فوق الحافة والتقطَ يدها وجعلَها تتحسَّس إلى أن وجدَت الدَّرجة المنحوتة في وجه الجُرف، فقال: «لا تختلف كثيرًا عن الدَّرجات الحديد».

وعلى الرغم من هذا فالمسافة إلى أسفل طويلة. «لا أستطيعُ!».

- «لا بُدَّ أن تنزلي».

- «أما من سبيل آخَر؟».

أجابَها بعينين تَلمعان: «هذا هو السَّبيل. لن يكون صعبًا على فتاةٍ شابَّة قويَّة مِثلكِ. تمسَّكي جيِّدًا ولا تَنظُري إلى أسفل إطلاقًا وستجدين نفسكِ عند السَّفح في غمضة عين. فارسكِ المسكين فلوريان بدين وعجوز وسكِّير، والمفترَض أن يكون هو الخائف. لقد اعتدتُ أن أقع من فوق حصاني، ألا تَذكُرين؟ هكذا بدأنا. كنتُ سكرانًا ووقعتُ من فوق حصاني وأرادَ چوفري أن يقطع رأسي السَّخيف، لكنكِ أنقذتِني، أنتِ أنقذتِني يا حُلوتي».

قالت متبيِّنةً أنه يبكي: «والآن أنقذتَني أنت».

- «فقط إذا ذهبتِ، لكن إذا لم تذهبي فقد قتلتُ كلينا».

هو من فعلَها، هو من قتلَ چوفري. يجب أن تذهب، من أجله أيضًا كما من أجل نفسها. «أنت أولًا أيها الفارس». إذا سقطَ فإنها لا تُريده أن يَسقُط فوق رأسها فيقع كلاهما في الهوَّة.

قال: «كما تشائين يا سيِّدتي»، وأعطاها قُبلةً لزجةً ثم أنزلَ ساقيه بخَرَقٍ من

فوق الحافة وركلَ بهما إلى أن وجدَ موطئ قدم، فقال لها: «دعيني أنزلُ قليلًا ثم الحقي بي. هل ستأتين؟ يجب أن تُقسِمي».

وعدَته قائلةً: «سآتي».

اختفى السير دونتوس، وسمعَته يلهث إذ بدأ النُّزول. أصغَت سانزا إلى الأجراس وهي تعدُّ رنَّاتها، وعند الرَّنَّة العاشرة أنزلَت نفسها بحذرٍ من فوق حافة الجُرف وتحسَّست بأصابع قدميها إلى أن وجدَت بُقعةً تُريحها عليها. ارتفعَت أسوار القلعة شاهقةً فوقها، ومرَّت لحظة لم ترغب خلالها في شيءٍ أكثر من سحب نفسها إلى أعلى والهروع إلى مسكنها الدَّافئ في (بُرج المطابخ)، لكنها قالت لنفسها: تشجَّعي، تشجَّعي كليدي في أغنية.

لم تجرؤ على النَّظر إلى أسفل، وأبقَت ناظريها على الجُرف وهي تتأكَّد من كلِّ درجةٍ قبل أن تهبط إلى التَّالية. كان الحجر خشنًا باردًا، وأحسَّت أحيانًا بأصابعها تنزلق، كما أن المسافات التي تفصل بين الدَّرجات ليست متساويةً. لم تكفَّ الأجراس عن الرَّنين، وقبل أن تُبلُغ سانزا منتصَف المسافة راحَت ذراعاها ترتجفان وعرفَت أنها ستقع. قالت لنفسها: درجة أخرى، درجة أخرى. عليها أن تُواصِل الحركة. إذا توقَّفت فلن تتحرَّك ثانيةً أبدًا، وسيطلع عليها الفَجر وهي لا تزال متشبِّثةً بالجُرف وقد جمَّدها الخوف. درجة أخرى، ودرجة أخرى.

باغتَتها الأرض، وتعثَّرت وسقطَت وقلبها ينبض بعُنف، وعندما انقلبَت على ظَهرها وحدَّقت إلى البُقعة التي نزلَت منها دارَ رأسها وانغرسَت أصابعها في التُّراب. فعلتها، فعلتها، لم أسقط، نزلتُ السَّلالم والآن سأعودُ إلى الدِّيار.

ساعدَها السير دونتوس على الوقوف قائلًا: «من هنا، بهدوء الآن، بهدوء، بهدوء»، وظَلَّ يتحرَّك في الظِّلال السَّوداء الكثيفة التي تُطبق على سُفوح الجُروف، لكنهما لم يقطعا مسافةً طويلةً لحُسن الحَظ، وعلى بُعد خمسين ياردةً في اتِّجاه مصبِّ النَّهر وجدا رجلًا جالسًا في قارب صغير شِبه مختفٍ وراء بقايا قادسٍ عظيم جنحَ إلى الشَّاطئ في هذه البُقعة واحترقَ. توجَّه دونتوس إليه لاهثًا، وقال: «أوزويل؟».

قال الرَّجل المنحني فوق مجذافيْه: «لا أسماء. في القارب». كان عجوزًا طويل القامة هزيل الجسد، له شَعر أبيض مسترسل وأنف كبير معقوف، وتتوارى عيناه تحت قلنسوة. «هيا بسُرعة، يجب أن نتحرَّك».

حين أصبحَ الاثنان على متن القارب أنزلَ ذو القلنسوة المجذافيْن إلى الماء بعضلات ظَهر مشدودة وبدأ يتحرَّك إلى المجرى. من ورائهم كانت الأجراسَ لا تزال ترِنُّ معلنةً موت الملك الصَّبي، ومن أمامهم النَّهر المظلم لهم وحدهم.

بضرباتٍ بطيئة ثابتة موزونة بالمجذافيْن مخروا المياه في اتِّجاه المصب، مارِّين فوق القوادس الغارقة وبالصَّواري المكسورة والأبدان المحروقة والأشرعة الممزَّقة. كان محبسا المجذافيْن مكتوميْن، فتحرَّكوا بصوتٍ في غاية الخفوت بينما بدأت غشاوة ترتفع فوق صفحة النَّهر، ورأت سانزا متاريس أحد بُرجَيْ الأوناش اللذين شيَّدهما العِفريت تلوح من أعلى، وإن كانت السِّلسلة قد خُفِضَت، فعبروا بلا عراقيل في البُقعة التي احترقَ فيها ألف رجل. ابتعدَ الشَّاطئ وتكاثفَ الضَّباب وأخذَ رنين الأجراس يخفت، وأخيرًا اختفَت أضواء المدينة نفسها وضاعَت في مكانٍ ما وراءهم. كانوا الآن في (الخليج الأسود)، وتقلَّص العالم حتى أمسى مياهًا مظلمةً وضبابًا يذروه الهواء، والرَّفيق الصَّامت المنحني على المجذافيْن.

سألَت: «كم سنبتعد؟».

قال الملَّاح: «لا كلام». كان أقوى مما يبدو على الرغم من سِنِّه المتقدِّمة، وصوته صارم، وفي وجهه شيء مألوف على نحوٍ غريب، وإن لم تستطِع سانزا إدراكه.

قال السير دونتوس: «لن نبتعد كثيرًا»، والتقطَ يدها وفركَها برقَّةٍ مضيفًا: «صديقكِ قريب وينتظركِ».

دمدمَ الملَّاح: «لا كلام! الماء يحملِ الأصوات أيها السير مهرِّج».

عضَّت سانزا شفتها بارتباكٍ وطأطأت رأسها صامتةً، ومضَت بقيَّة الرِّحلة في التَّجذيف والتَّجذيف والتَّجذيف.

كانت سماء الشَّرق مضاءةً بأولى خيوط الفَجر الباهتة حين أبصرَت سانزا الجسم الشَّبحي في الظُّلمة أمامهم، قادسًا تجاريًّا مطويَّ الأشرعة يتحرَّك بتؤدةٍ بصَفٍّ واحدٍ من المجاذيف، وإذ دنوا رأت تمثال مقدِّمة السَّفينة الذي يتَّخذ شكل عريس بحر يعتمر تاجًا ذهبيًّا ويَنفُخ في بوقٍ كبير من الأصداف. سمعَت صيحةً وبدأ القادس يدور ببُطءٍ نحوهم.

توقَّفوا إلى جوار القادس الذي ألقى سُلَّمًا من الحبال من فوق الحاجز، ورفعَ الملَّاح مجذافيْه ثم ساعدَ سانزا على النُّهوض قائلًا: «اصعدي، هيا يا فتاة، لا تخافي»، فشكرَته على لُطفه لكنها لم تتلقَّ إجابةً إلَّا دمدمةً. كان صعود سُلَّم الحبال أهون بكثيرٍ من نزول الجُرف، وتبعَها الملَّاح أوزويل إلى أعلى، بينما ظَلَّ السير دونتوس في القارب.

وجدَت بحَّاريْن ينتظرانها عند الحاجز لمساعَدتها على الصُّعود إلى السَّطح. كانت ترتعد، وسمعَت أحدًا يقول: «إنها باردة»، وخلعَ الرَّجل معطفه ووضعَه على كتفيها قائلًا لها: «هاكِ، أهذا أفضل يا سيِّدتي؟ اطمئنِّي، الأسوأ انتهى بلا رجعة».

ميَّزت الصَّوت في الحال. لكنه في (الوادي). كان السير لوثور برون واقفًا إلى جواره يحمل مشعلًا.

نادى دونتوس من القارب: «لورد پيتر، عليَّ أن أعود الآن قبل أن يُفكِّروا في البحث عني».

وضعَ پيتر بايلش يده على الحاجز قائلًا: «لكنك تُريد أجرك أولًا. عشرة آلاف تنِّين، أليس كذلك؟».

فركَ دونتوس فمه بظَهر يده مجيبًا: «عشرة آلاف، كما وعدت يا سيِّدي».

- «سير لوثور، المكافأة».

خفضَ لوثور برون المشعل، وخطا ثلاثة رجالٍ إلى الحاجز ورفعوا نُشَّابيَّاتهم وأطلقوها.

أصابَ سهم صدر دونتوس وهو ناظر إلى أعلى وانغرسَ في التَّاج الأيسر على سُترته، واخترقَ الآخَران حَلقه وبطنه. حدثَ ما حدثَ بسُرعةٍ شديدة حتى إن كلا دونتوس وسانزا لم يجدا وقتًا للصِّياح، ولمَّا انتهى الأمر ألقى لوثور المشعل على الجثَّة، وإذ بدأ القادس يبتعد كانت النَّار تلتهم القارب الصَّغير.

صاحَت سانزا: «لقد قتلته!»، وأطبقَت على الحاجز وأشاحَت بوجهها مفرغةً معدتها. هل فرَّت من آل لانستر لتقع في ما هو أسوأ؟

غمغمَ الإصبع الصَّغير: «سيِّدتي، لا تُبدِّدي حُزنكِ على رجلٍ مِثله كان سكِّيرًا وليس صديقًا لأحد».

- «لكنه أنقذَني!».

- «لقد باعكِ لقاء وعدٍ بعشرة آلاف تنّينٍ ذهبي. اختفاؤكِ سيجعلهم يشتبهون بكِ في مقتل چوفري، وسيُطارِدكِ ذَوو المعاطف الذَّهبيَّة ويُلَوِّح الخصيُّ بكيس نقودٍ ممتلئٍ، لكن دونتوس... كما سمعتِ. لقد باعكِ مقابل الذَّهب، وكان ليبيعكِ ثانيةً عندما يُنفِقه كلَّه على الشَّراب. كيس من التَّنانين يشتري صمت المرء فترةً، لكن سهمًا في المكان الصَّحيح يشتريه إلى الأبد»، وابتسمَ بحُزنٍ متابعًا: «كلُّ ما فعلَه كان بتعليماتٍ مني. إنني لم أجرؤ على مصادَقتكِ على الملأ، لكن عندما سمعتُ أنكِ أنقذتِ حياته في دورة چوف علمتُ أنه سيكون الأجير المثالي».

قالت سانزا والإحساس بالغثيان يُعاوِدها: «قال إنه فارسي فلوريان».

- «هل تَذكُرين ما قلته لكِ يوم اعتلى أبوكِ العرش الحديدي؟».

استرجعَت اللَّحظة بوضوح، وأجابَت: «قلت لي إن الحياة ليست أغنيَّةً، وإنني سأتعلَّم هذا ذات يوم للأسف»، وشعرَت بالدُّموع تَنبُع في مُقلتيها، لكن سواء أتبكي السير دونتوسَ هولارد أم چوف أم تيريون أم نفسها فلا تدري. «أكلُّ شيءٍ كذب؟ إلى الأبد؟ كلُّ شخص وكلُّ شيء؟».

قال: «كلُّ شخص تقريبًا، باستثنائنا نَحن الاثنين بالطَّبع»، وابتسمَ مردفًا: «تعالي إلى أيكة الآلهة اللَّيلة إذا أردتِ العودة إلى ديارِكِ».

- «الرِّسالة... كانت منك؟».

- «كان ضروريًّا أن تكون أيكة الآلهة، فلا مكان غيرها في (القلعة الحمراء) لا تتلصَّص عليه طيور الخصيِّ الصَّغيرة... أو فئرانه الصَّغيرة كما أسمِّي جواسيسه. في أيكة الآلهة أشجار بدلًا من الجُدران، وسماء بدلًا من السُّقوف، وجذور وتُربة وصخور بدلًا من الأرضيَّة، ولا مكان تختبئ فيه الفئران، وعلى الفئران أن تختبئ خشية أن يطعنها البَشر بالسُّيوف»، والتقطَ اللورد پيتر ذراعها مضيفًا: «دعيني أصحبكِ إلى قمرتكِ. أعرفُ أن يومكِ كان طويلًا عصيبًا، ولا بُدَّ أنكِ متعَبة».

كان القارب الصَّغير قد أصبحَ دوَّامةً من الدُّخان والنَّار وراءهم بالفعل، يكاد يختفي في رحابة بحر الفَجر. لا عودة الآن، وسبيلها إلى الوحيد إلى الأمام. قالت: «متعَبة جدًّا».

قال وهو يقودها إلى أسفل: «احكِ لي عن الحفل. لقد تجشَّمت الملكة الكثير؛ المغنِّين والحواة والدُّب الرَّاقص... هل استمتعَ السيِّد زوجكِ بنزال القزميْن؟».

- «كانا قزميْك؟».

- «اضطررتُ لأن آتي بهما من (براڤوس) وأخفيهما في ماخور حتى الزِّفاف. لم يَفُق التَّكلفة إلَّا الإزعاج. من الصَّعب إلى حَدٍّ مدهش أن يستطيع المرء إخفاء الأقزام، وچوفري... يُمكنكِ أن تقودي ملكًا إلى الماء، لكن مع چوف عليكِ أن تَنثُريه أولًا حتى ينتبه إلى كونه ماءً ويشرب منه. حين أخبرته بأمر مفاجأتي الصَّغيرة قال جلالته: ولِمَ أرغبُ في وجود قزميْن قبيحيْن في زفافي؟ إنني أكره ُالأقزام، فكان عليَّ أن أضع يدي على كتفه وأقول: ليس كما سيكرههما خالك».

اهتزَّ سطح السَّفينة تحت قدميها، وأحسَّت سانزا كأن العالم نفسه فقدَ توازُنه، وقالت: «يظنُّون أن تيريون سمَّم چوفري. السير دونتوس قال إنهم قبضوا عليه».

ابتسمَ الإصبع الصَّغير قائلًا: «التَّرمُّل سيُناسِبكِ يا سانزا».

جعلَت الفكرة معدتها تضطرب. إنها لن تضطرَّ للنَّوم في سريرٍ واحدٍ مع تيريون ثانيةً أبدًا، وهذا ما أرادَته... أليس كذلك؟

كانت القمرة ضيِّقةً واطئة السَّقف، لكنها وجدَت حشيَّةً من الرِّيش موضوعةً على رَفِّ النَّوم الضيِّق لجعله مريحًا أكثر، وفوقها تكوَّمت أغطية سميكة من الفرو. قال الإصبع الصَّغير: «فِراشٍ صغير، أعرفُ، لكنه لن يُضايِقكِ كثيرًا»، وأشارَ إلى صندوقٍ من خشب الأرز تحت الكوَّة، وأردفَ: «ستجدين ثيابًا نظيفةً هنا؛ فساتين وملابس داخليَّةً وجوارب ثقيلةً ومعطفًا، لكني أخشى أنها من الصُّوف والكتَّان فقط، لا تليق بفتاةٍ في جمالكِ، لكنها تَصلُح للحفاظ عليكِ جافَّةً نظيفةً إلى أن نجد لكِ شيئًا أفضل».

كلُّ هذا أعدَّه من أجلي. «سيِّدي، إنني... إنني لا أفهمُ... چوفري أعطاكَ (هارنهال) وجعلَك سيِّد أراضي (الثَّالوث) الأعلى... فلِمَ...».

قال الإصبع الصَّغير: «لماذا أردتُ موته؟»، وهَزَّ كتفيه مواصلًا: «لم يكن لديَّ دافع، كما أني في (الوادي) الآن، أبعدُ ألف فرسخٍ عن المدينة. ضعي

أعداءكِ في حيرةٍ دائمة. إذا ظلُّوا يجهلون مَن تكونين وماذا تُريدين، فلن يعرفوا الخُطوة التَّالية التي ستُقدِمين عليها أبدًا. أحيانًا أفضل وسيلةٍ لإرباكهم أن تتَّخذي خُطواتٍ بلا هدف، بل وقد تبدو في غير صالحكِ. تذكَّري هذا يا سانزا عندما تَدخُلين اللُّعبة».

- «أيُّ... أيُّ لُعبة؟».

أجابَها: «اللُّعبة الوحيدة، لُعبة العروش»، وأزاحَ خُصلةً من شَعرها متابعًا: «إنكِ كبيرة بما يكفي لأن تعرفي أن السيِّدة والدتكِ وأنا، كنا أكثر من صديقين. في وقتٍ ما كانت كات كلَّ ما أردته من العالم، وجرؤتُ على الحُلم بالحياة التي سنعيشها معًا والأطفال الذين ستُنجِبهم لي... لكنها كانت ابنة (ريڤررَن) وهوستر تَلي. العائلة، الواجب، الشَّرف يا سانزا، ومعنى العائلة والواجب والشَّرف أن حصولي على يدها كان مستحيلًا، لكنها أعطَتني شيئًا أسمى، هديَّةً تستطيع المرأة أن تمنحها مرَّةً واحدةً في حياتها كلِّها، فكيف أديرُ ظَهري لابنتها؟ في عالمٍ أفضل كان من الممكن أن تكوني ابنتي لا ابنة إدارد ستارك، ابنتي المحبَّة المخلِصة... دعيكِ من چوفري يا حُلوتي، ودونتوس وتيريون وبقيَّتهم، فلن يُزعِجوكِ مجدَّدًا أبدًا. إنكِ آمنة الآن، وهذا كلُّ ما يهمُّ، آمنة معي، وتُبحِرين إلى الوطن».





چايمي

قالوا له ماتَ الملك، ولا يدرون أن چوفري كان ابنه علاوةً على مولاه.

في الخان المجاور للطَّريق الذي أمضوا فيه اللَّيل أعلنَ بائع خُضر متجوِّل: «ذبحَه العِفريت بخنجر وشربَ دمه من كأسٍ ذهبيَّة كبيرة».

لم يتعرَّف الرَّجل الفارس الملتحي ذا اليَد الواحدة والخُفَّاش الكبير على تُرسه كما لم يتعرَّفه أيٌّ من الموجودين، فقال أشياء كان ليُطبِق فمه عليها لو أنه عرفَ هُويَّة مَن يُصغي.

قال صاحب الخان مصرًّا: «لقد ماتَ بالسُّم. وجه الصَّبي اسودَّ كحبَّة برقوق».

تمتمَ سِپتون حاضر: «عسى (الأب) أن يَحكُم عليه بالعدل».

أكَّد رام في زيٍّ جُند اللورد روان: «زوجة القزم شاركَته ارتكاب الجريمة، وبَعدها اختَفَت من القاعة في سحابةٍ من الكِبريت، وشوهِدَ ذئب رهيب شبحي يجوب (القلعة الحمراء) والدِّماء تَقطُر من فكَّيه».

جلسَ چايمي بصمتٍ وفي يده السَّليمة قرن منسيٌّ من المِزر بينما تكلَّموا وتكلَّموا، تاركًا كلامهم يَدخُل من أُذنٍ ويَخرُج من الثَّانية. چوفري، دمي، ولدي الأول، ابني. حاولَ أن يستحضر وجه الصَّبي في مخيِّلته، لكن ملامحه ظلَّت تتبدَّل إلى ملامح سرسي. لا بُدَّ أنها في حِداد، شَعرها أشعث وعيناها محمرَّتان من البُكاء وفمها يرتجف كلما حاولَت الكلام. سوف تبكي ثانيةً حين تراني، مع أنها ستُقاوِم الدُّموع. نادرًا ما تبكي أخته إلَّا وهي معه، إذ لا تُطيق أن يحسبها الآخَرون ضعيفةً. فقط في حضور توأمها تكشف عن جراحها. ستتطلَّع إليَّ ناشدةً المواساة والانتقام.

بإصرارٍ منه ركبوا بأقصى سُرعةٍ في اليوم التَّالي. لقد ماتَ ابنه، وأخته في حاجةٍ إليه.

عندما رأى المدينة أمامه بأبراج حراستها المظلمة في الغسق المتوغِّل، خَبَّ چايمي لانستر إلى والتون ذي السَّاقين الفولاذ في مقدِّمة الرَّكب، وراء نايچ الذي يحمل راية السَّلام.

قال الرَّجل الشَّمالي متأفِّفًا: «ما هذه الرَّائحة الشَّنيعة؟».

فكَّر چايمي: رائحة الموت، لكنه أجابَ: «دُخان وعَرق وخراء، (كينجز لاندنج) باختصار. إذا كان أنفك قويًّا فستشمُّ رائحة الخيانة كذلك. ألم تشمَّ مدينةً من قبل؟».

- «شممتُ (الميناء الأبيض)، لكن رائحتها لم تكن كريهةً هكذا».

- «مقارَنة (الميناء الأبيض) بـ(كينجز لاندنج) كمقارَنة أخي تيريون بجريجور كليجاين».

قادَهم نايچ إلى أعلى هضبةٍ واطئة، ترتفع راية السَّلام ذات الذُّيول السَّبعة فوقه وتتموَّج في الهواء، وتلتمع النَّجمة السُّباعيَّة المصقولة على ساريتها. قريبًا سيرى سرسي وتيريون وأباهم. أيُمكن أن أخي قتلَ ولدي حقًّا؟ يجدُ چايمي هذا عصيًّا على التَّصديق.

كان هادئًا على نحو غريب. يعلم أن من المفترَض أن يُجَنَّ جنون المرء إذا ماتَ فلذة كبده، أن يُمَزِّق شَعره من الجذور، أن يلعن الآلهة ويُقسِم على الانتقام الدَّامي، فلِمَ لا يَشعُر إلَّا بأقلِّ القليل؟ الصَّبي عاشَ وماتَ معتقدًا أن روبرت باراثيون أبوه.

صحيحٌ أن چايمي شهدَ مولده، لكن ذلك كان من أجل سرسي أكثر من الصَّبي نفسه، كما أنه لم يحمله قَطُّ، إذ قالت سرسي لمَّا تركَت النِّسوة ثلاثتهم وحدهم أخيرًا: «كيف سيبدو المنظر؟ سيِّئ كفايةً أن چوف يُشبهك دون أن يراك النَّاس تُهَدهِده وتُدَلِّله»، وأذعنَ چايمي بلا اعتراض يُذكَر. كان الصَّبي شيئًا ورديًّا صارخًا يتطلَّب الكثير من وقت سرسي وعناية سرسي وثديَيْ سرسي، فهنيئًا لروبرت.

والآنَ ماتَ. تخيَّل چوف على الأرض جثَّةً هامدةً باردةً بوجهٍ سوَّده السُّم، ولم يزل لا يَشعُر بشيء. ربما يكون وحشًا كما يتقوَّلون عليه حقًّا. إذا نزل

(الأب في الأعالي) إليه من سمائه مخيِّرًا إياه بين استعادة ابنه أم يده، فچايمي يعرف الجواب. ما زالَ لديه ابن آخَر، وما يكفي من نُطفةٍ لإنجاب كثيرين غيره. إذا أرادَت سرسي طفلًا آخَر فسأعطيها إياه... وهذه المرَّة سأحمله، وليأخذ (الآخَرون) مَن لا يروقه هذا. روبرت يتعفَّن في قبره، وچايمي ضاقَ ذرعًا بالكذب.

دارَ فجأةً وهرولَ عائدًا ليجد بريان. وحدها الآلهة تعلم لماذا أجشِّمُ نفسي هذا العناء. إنها أقلُّ مخلوقٍ يَصلُح للرِّفقة دفعَني الحَظُّ العاثر إلى لقائه. كانت الفتاة راكبةً وراءهم بمسافةٍ بعيدة نوعًا على جانب الطَّريق، كأنما تُعلِن أنها ليست منهم. خلال الرِّحلة وجدوا لها ثيابًا رجاليَّةً؛ سُترةً هنا، حرملةً هناك، سراويل، معطفًا بقلنسوة، بل وواقي صدرٍ قديمًا أيضًا، والآن تبدو مستريحةً أكثر وهي ترتدي ثياب الرِّجال، لكن لا شيء في العالم سيجعلها تبدو مليحةً. أو سعيدةً. بمجرَّد أن خرجوا من (هارنهال) عادَ عنادها الخنزيري المتأصِّل يفرض نفسه، وقالت بإلحاح: «أريدُ أسلحتي ودِرعي»، فأجابَها چايمي: «أوه، حتمًا، لندعكِ ترتدي الفولاذ ثانيةً، بالذَّات الخوذة، فكلُّنا سنسعد إذا كتمتِ فمكِ وأخفيتِ وجهكِ».

وهذا ما فعلَته بريان، لكن سرعان ما بدأ مزاجه ينحرف من صمتها الواجم بقَدر ضجره من محاوَلات كايبرن اللا نهائيَّة أن يتزلَّف إليه. لم أحسب قَطُّ أنني سأجدُ نفسي أفتقدُ صُحبة كليوس فراي، ولترحمني الآلهة. والآن يجد نفسه يتمنَّى لو أنه تركَها للدُّب.

حين بلغَها أعلنَ: «(كينجز لاندنج). ها قد انتهَت رحلتنا يا سيِّدتي وصُنتِ عهدكِ وأوصَلتِني إلى المدينة سالمًا، باستثناء بضعة أصابع ويد».

رمقَته بريان بعينين خاملتين قائلةً: «نِصف عهدي فقط. قلتُ لليدي كاتلين إنني سأعيدُ ابنتيها إليها، أو سانزا على الأقل، لكن الآن...».

لم تلتقِ روب ستارك ولو مرَّةً، لكن حُزنها عليه أبلغ من حُزني على چوف. أو ربما تندب الفتاة الليدي كاتلين. كانوا في قريةٍ اسمها (الدَّغل الرَّمادي) عندما سمعوا ذلك الخبر من فارس بدينٍ متورِّد الوجه يُسَمَّى برترام بيزبوري، رمزه ثلاث خلايا نحلٍ على خلفيَّةٍ مخطَّطة بالأسود والأصفر. قال لهم إن فِرقةً من رجال اللورد پايپر مرَّت من (الدَّغل الرَّمادي) قبل يومٍ واحد،

مسرعةً إلى (كينجز لاندنج) تحت راية سلام هي الأخرى، وأضافَ: «بموت الذِّئب الصَّغير لم يجد پايپر جدوى من موَاصَلة القتال، كما أن ابنه أسير في (التَّوأمتين)». لحظتها حملقَت بِريان مشدوهةً فبدَت كبقرةٍ على وشك الاختناق بطعامها المجتر، ووقعَ على عاتق چايمي أن يستجوب بيزبوري عن حكاية الزِّفاف الأحمر.

قال لها بَعدها: «كلُّ لورد عظيم لديه حامل راية منفلت يحسده على مكانته. أبي مُنِيَ بآل راين وآل تاربك، وآل تايرل بآل فلورنت، وهوستر تَلي بوالدر فراي. فقط القوَّة تُلزِم رجالًا كهؤلاء حدودهم، لكن لحظة أن يشتمُّوا نفحةً من الضَّعف... في عصر الأبطال كان آل بولتون يَسلُخون آل ستارك ويصنعون معاطف من جِلدهم».

الأسى الذي بدا عليها كان بالغًا لدرجة أن چايمي أحسَّ في نفسه بشيءٍ أقرب إلى الرَّغبة في مواساتها.

ومنذ ذلك اليوم وبِريان أقرب إلى الموتى، وحتى دعوتها بـ«يا هذه» لم تُفلح في استفزازها فتستجيب. قوَّتها خارَت تمامًا. هذه المرأة أسقطَت صخرةً على روبن رايجر، وصارعَت دُبًّا بسيفٍ مثلوم، وقضمَت أذن ڤارجو هوت، وقاتلَت چايمي حتى أعيَته... لكنها كليلة مهيضة الجناح الآن.

قال لها: «سأكلِّمُ أبي بخصوص إعادتكِ إلى (تارث) إذا أردتِ، أو إذا فضَّلتِ البقاء فيُمكنني أن أجد لكِ مكانًا في البلاط».

سألَته بفتور: «كواحدةٍ من رفيقات الملكة؟».

تذكَّر چايمي منظرها في الفُستان الوردي، وحاولَ ألَّا يتخيَّل ما قد تقوله أخته عن رفيقةٍ مِثلها. «ربما منصب في حَرس المدينة إذن...».

- «لن أخدم مع ناقضي العهد والقتَلة».

أرادَ أن يردَّ سائلًا إياها: لماذا كلَّفتِ نفسكِ عناء التَّمنطُق بسيفٍ إذن؟ إلَّا أنه ابتلعَ السُّؤال، وبدلًا من هذا قال: «كما ترغبين يا بِريان»، وبيدٍ واحدة دارَ بحصانه وتركَها.

كانت (بوَّابة الآلهة) مفتوحةً حين بلغوها، لكنهم وجدوا نحو دستتين من العربات المصطفَّة على جانب الطَّريق، محمَّلةً ببراميل التُّفَّاح وعصيره ورزم التِّبن وعددٍ من أكبر ثمار اليقطين التي رآها چايمي على الإطلاق. لكلِّ عربةٍ

تقريبًا حراستها الخاصَّة؛ رجال مسلَّحون على صدورهم شارات لورداتٍ صغار، ومرتزقة يرتدون قمصان الحلقات المعدنيَّة والزَّيت المقوَّى، وبعضها يَحرُسه ابن مزارع ما متورِّد الوجه يحمل حربةً منزليَّة الصُّنع ذات رأس مقوًّى بالنَّار. ابتسمَ چايمي لهم وهو يمرُّ بهم، وعند البوَّابة كان ذوو المعاطف الذَّهبيَّة يجمعون العُملة من كلِّ حوذي قبل السَّماح لعربته بالدُّخول.

سألَ والتون: «ما هذا؟».

قال أحد الجنود: «يجب أن يدفعوا من أجل الحَقِّ في البيع داخل المدينة، بأمر يد الملك وأمين النَّقد».

رمقَ چايمي طابور العربات والخيول المحمَّلة الطَّويل متسائلًا: «ومع ذلك يصطفُّون ليدفعوا؟».

أجابَه الطَّحَّان الجالس على أقرب عربةٍ ببشاشة: «التِّجارة رائجة هنا الآن وقد انتهى القتال. آل لانستر يُسَيطِرون على المدينة الآن، اللورد تايوين سيِّد (الصَّخرة). يقولون إنه يتبرَّز فضَّةً».

قال چايمي مصحِّحًا بجفاف: «ذهبًا، وأقسمُ أن الإصبع الصَّغير يسكُّه من عصا الذَّهب[1]».

قال قائد البوَّابة: «العِفريت أمين النَّقد الآن، أو كان كذلك حتى قبضوا عليه لاغتياله الملك»، ثم تطلَّع إلى الشَّماليِّين بارتياب، وسألَ: «مَن أنتم؟».

- «رجال اللورد بولتون. جئنا لنرى يد الملك».

حدجَ القائد نايچ وراية السَّلام التي يحملها قائلًا: «تعني أنكم جئتم لتركعوا. لستم الأوائل. اصعدوا إلى القلعة مباشرةً واحرصوا على عدم إثارة المتاعب»، وأشارَ لهم بالمرور وعادَ يلتفت إلى العربات.

إذا كانت (كينجز لاندنج) حزينةً على ملكها الصَّبي الميت فإن چايمي لم يرَ دلالةً على هذا إطلاقًا. في (شارع البذور) كان أخ شحَّاذ في ثياب رثَّة يُصَلِّي بصوتٍ عالٍ لروح چوفري، لكن عابري السَّبيل لم يُعيروه انتباهًا أكثر من مصراع نافذةٍ مخلوع تدقُّه الرِّيح، وفي أماكن أخرى اختلطَت الجموع

(1) عصا الذَّهب أو القضبان الذَّهبيَّة جنس يحتوي على نحو مئة من النَّباتات المزهرة ذات اللَّون الأصفر الزَّاهي. (المترجم).

المعتادة بلا نظام؛ ذوو المعاطف الذَّهبيَّة في قمصانهم المعدنيَّة السَّوداء، وصِبيان الخبَّازين يبيعون الكعك والخُبز والفطير السَّاخن، وبائعات الهوى يملن من النَّوافذ بصِدارات نِصف مفتوحة، والبالوعات تعبق بالفضلات. مرُّوا بخمسة رجالٍ يُحاولون جَرَّ حصانٍ ميت من مدخل زُقاق، وفي موضع آخَر بحاوٍ يُشقلِب السَّكاكين في الهواء مثيرًا غبطة عددٍ من جنود تايرلَ السَّكارى والأطفال الصِّغار.

راكبًا في الشَّوارع المألوفة في صُحبة مئتين من الشَّماليِّين ومِايستر بلا سلسلة وامرأةٍ قبيحة إلى جواره، وجدَ چايمي أن أحدًا تقريبًا لم يُكلِّف نفسه أن يُلقي عليه نظرةً ثانيةً، فلم يدرِ إن كان عليه أن يَشعُر بالاستمتاع أم الضِّيق، وقال لذي السَّاقين الفولاذ وهُم يقطعون (ميدان الأساكفة): «إنهم لا يعرفونني».

قال الشَّمالي: «لأن ملامحك تبدَّلت، والرَّمز الذي تحمله كذلك، كما أن هناك قاتِل ملكٍ جديدًا الآن».

كانت بوَّابة (القلعة الحمراء) مفتوحةً، لكن مجموعةً من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة المسلَّحين بالرِّماح وقفَت تعترض الطَّريق، وقد سدَّدوا رماحهم بمجرَّد أن رأوا والتون يقترب، وإن تعرَّف چايمي الفارس الأبيض الذي يقودهم، فقال: «سير مرين».

اتَّسعت عينا السير مرين ترانت الكئيبتان، وقال: «سير چايمي؟».

- «جميل أن أجدك تَذكُرني. أزِح هؤلاء الرِّجال».

وقت طويل انقضى منذ هرعَ أَحدهم يُلبِّي أمره بهذه السُّرعة، وكان قد نسيَ كم يحبُّ هذا.

وجدوا اثنين آخرَيْن من الحَرس الملكي في السَّاحة الخارجيَّة، اثنين لم يكونا يرتديان المعطف الأبيض عندما خدمَ چايمي هنا آخِر مرَّة. لا يُدهِشني أن تُنصِّبني سرسي قائدًا ثم تختار زُملائي دون استشارتي. قال وهو يترجَّل: «أرى أن أحدهم أعطاني أخويْن جديديْن».

- «لنا هذا الشَّرف أيها الفارس»، رَدَّ فارس الزُّهور الذي تألَّق بوسامةٍ ونقاءٍ في المعدن والحرير الأبيضيْن، حتى إن چايمي أحسَّ كأنه يرتدي أسمالًا بالمقارَنة.

التفتَ چايمي إلى السير مرين قائلًا: «توانيت عن تعليم أخوينا الجديدَيْن واجباتهما أيها الفارس».

سألَه مرين ترانت بنبرةٍ دفاعيَّة: «وما تلك الواجبات؟».

- «الحفاظ على حياة الملك. كم ملكًا فقدتم منذ غادرتُ المدينة؟ اثنين؟».

ثم إن السير بالون سوان رأى جَدعته، فقال: «يدك...».

قال چايمي جاعلًا نفسه يبتسم: «أقاتلُ بيُسراي الآن. السِّجال أكثر إثارة هكذا. أين أجدُ السيِّد والدي؟».

- «في غُرفته الشَّمسيَّة مع اللورد تايرل والأمير أوبرين».

مايس تايرل والأفعوان الأحمر يأكلان العيش والملح معًا؟ عجبًا! «هل الملكة معهم أيضًا؟».

أجابَه السير بالون: «لا يا سيِّدي، ستجدها في السِّپت تُصلِّي على جُثمان الملك چوفـ...».

- «أنتِ!».

رأى چايمي أن آخِر الشَّماليِّين ترجَّل عن مُطيته، والآن لمحَ لوراس تايرل برِيان، التي وقفَت ممسكةً لجام حصانها والغباء بادٍ عليها، وقالت: «سير لوراس».

تقدَّم لوراس تايرل منها بخُطواتٍ واسعة قائلًا: «لماذا؟ ستُخبرينني بالسَّبب. لقد عاملَكِ بمنتهى الرِّقَّة وأعطاكِ معطف قوس قزح. لماذا قتلتِيه؟».

- «لم أقتله، كنتُ لأموت في سبيله».

قال السير لوراس ممتشقًا سيفه الطَّويل: «ستموتين».

- «لم أفعلها».

- «إمون كاي أقسمَ وهو يلفظ آخِر أنفاسه أنكِ قاتِلته».

- «لقد كان خارج الخيمة، ولم يرَ...».

- «لم يكن في الخيمة إلَّاكِ والليدي ستارك، فهل تَزعُمين أن تلك العجوز استطاعَت اختراق الفولاذ المقوَّى؟».

- «كان هناك ظِل! أعرفُ أن ما أقوله يبدو جنونيًّا، لكن... كنتُ أساعدُ رنلي على ارتداء دِرعه، وانطفأَت الشُّموع وتناثرَ الدَّم في كلِّ مكان. الليدي

كاتلين قالت إن ستانيس هو من فعلَها، ظِـل... ظِل ستانيس. لم يكن لي دور في مقتله، أقسمُ بشَرفي...».

- «إنكِ بلا شَرف. اسحبي سيفكِ. لن أجعلهم يقولون إنني قتلتكِ وأنتِ عزلاء».

خطا چايمي بينهما قائلًا: «أغمِد سيفك أيها الفارس».

قال السير لوراس وهو يتحرَّك ليدور من حوله: «أأنتِ قاتلة وجبانة أيضًا يا برِيان؟ ألهذا فررتِ ودماؤه تُلَطِّخ يديكِ؟ اسحبي سيفكِ يا امرأة!».

اعترضَ چايمي طريقة ثانيةً، وقال: «خيرٌ لك ألا تسحبه وإلَّا حملنا جثَّتك أنت. الفتاة بقوَّة جريجور كليجاين، وإن لم تكن بوسامته».

قال السير لوراس دافعًا إياه جانبًا: «ليس هذا من شأنك».

أطبقَ چايمي على سُترة الصَّبي بيده السَّليمة وسحبَه بعُنفٍ قائلًا: «أنا حضرة قائد الحَرس الملكي أيها الجرو المتغطرس، قائدك ما دُمت ترتدي هذا المعطف الأبيض. والآن أغمِد سيفك اللَّعين قبل أن آخذه منك وأدسَّه في موضع منك لم يجده رنلي نفسه».

تردَّد الصَّبي لحظةً كانت كافيةً لأن يقول السير بالون سوان: «افعل كما يقول حضرة القائد يا لوراس». كان بعض ذوي المعاطف الذَّهبيَّة قد استلُّوا فولاذهم عندئذٍ، وهو ما دفعَ بعضًا من رجال (معقل الخوف) إلى أن يفعلوا المِثل، ففكَّر چايمي: مرحى، لا أكادُ أترجَّلُ عن حصاني حتى يقع حمَّام دم في السَّاحة.

ودَسَّ السير لوراس تايرل سيفه في غِمده مغتاظًا.

- «لم يكن هذا صعبًا، أليس كذلك؟».

قال السير لوراس مشيرًا إلى الفتاة: «أريدُ أن يُقبَض عليها. ليدي برِيان، إنني أتَّهمكِ بقتل اللورد رنلي باراثيون».

قال چايمي: «قَولي أن الفتاة شريفة، بل وفيها شَرف أكثر مما رأيتُ منك، وربما تقول الحقيقة كذلك. أي نعم لا أستطيعُ نعتها بالذَّكاء، لكن حتى حصاني نفسه يستطيع اختلاق كذبةٍ أفضل من هذه إذا كانت تكذب، لكن ما دُمت مصرًّا... سير بالون، اصحب الليدي برِيان إلى زنزانة بُرج واحتجِزها هناك تحت الحراسة، واعثُر على مسكنٍ لائق لذي السَّاقين الفولاذ ورجاله إلى أن يراهم أبي».

- «أمرك يا سيِّدي».

كانت عينا بِريان الزّرقاوان الواسعتان مليئتين بالألم إذ ابتعدَ بها السير بالون ودستة من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، فأرادَ أن يقول لها: حريٌّ بكِ أن ترميني بقُبلةٍ في الهواء يا هذه. لماذا يُسيئون فهم كلَّ شيءٍ لعين يفعله كلَّ مرَّة؟ إيرس، كلُّ شيءٍ ينبُع من إيرس. أدارَ چايمي ظَهره للفتاة وقطعَ السَّاحة بخُطى واسعة.

فارس آخَر يرتدي الدِّرع البيضاء كان يَحرُس باب السِّپت الملكي، رجل طويل القامة أسود اللِّحية عريض المنكبين معقوف الأنف، ولمَّا رأى چايمي رمقَه وعلى شفتيه ابتسامة مستهترة، وقال: «إلى أين تحسب نفسك ذاهبًا؟».

رفعَ چايمي جَدعته مشيرًا، وأجابَ: «إلى داخل السِّپت، هذا السِّپت الذي خلفك. أريدُ أن أرى الملكة».

- «جلالتها في حِداد، ولِمَ سترغب في رؤية أمثالك؟».

أرادَ أن يقول: لأني عشيقها وأبو ابنها القتيل، لكنه سأل: «مَن أنت بحَقِّ الجحائم السَّبع؟».

- «فارس في الحَرس الملكي، ومن صالحك أن تتعلَّم الاحترام أيها المُعاق وإلَّا بترتُ يدك الأخرى وجعلتك تأكل إفطارك بمِمَص».

- «أنا أخو الملكة أيها الفارس».

ضحكَ الفارس الأبيض ساخرًا، وقال: «هل هربت إذن؟ وكبرت بعض الشَّيء كذلك؟».

- «أخوها الآخَر أيها المغفَّل، وحضرة قائد الحَرس الملكي. والآن تنحَّ جانبًا وإلَّا ستتمنَّى لو أنك فعلت».

حدجَه المغفَّل بنظرةٍ طويلة هذه المرَّة قبل أن يقول: «أهذا... سير چايمي»، وشَدَّ قامته مردفًا: «أستميحك العُذر يا سيِّدي، لم أتعرَّفك. لي الشَّرف أن أكون السير أوزموند كِتلبلاك».

وما الشَّرف في هذا؟ «أريدُ بعض الوقت على انفرادٍ مع أختي. احرص على عدم دخول أحد السِّپت أيها الفارس. إذا أزعجَنا أحد سأقطعُ رأسك السَّخيف هذا».

قال السير أوزموند: «نعم يا سيِّدي، كما تأمر»، وفتحَ الباب.

وجدَ سرسي راكعةً أمام مذبح (الأُم)، وقد وُضِعَ تابوت چوفري أمام تمثال (الغريب) الذي يقود الموتى إلى العالم الآخَر، وأفعمَت رائحة البخور الهواء واتَّقدت مئة شمعةٍ حاملةً مئة صلاةٍ إلى السَّماء. ولا بُدَّ أن چوف في حاجةٍ إلى كلِّ صلاةٍ منها.

نظرَت أخته من فوق كتفها متسائلةً: «مَن؟»، ثم: «چايمي؟»، ونهضَت بعينين أترعَتهما الدُّموع قائلةً: «أهذا أنت حقًّا؟»، لكنها لم تذهب إليه، ففكَّر: لم تأتِني قَطُّ، دائمًا تنتظر أن أذهب إليها أنا. إنها تمنح، لكن يجب أن أطلب أولًا. حين احتواها بين ذراعيه غمغمَت: «كان عليك أن تُعَجِّل بالمجيء. لِمَ لم تأتِ مبكِّرًا لتحميه؟ ابني...».

ابننا. قال: «أتيتُ بأقصى ما أستطيعُ من سُرعة»، وفَضَّ العناق وتراجعَ خُطوةً قائلًا: «الحرب مندلعة يا أختاه».

- «تبدو مهزولًا للغاية، وشَعرك، شَعرك الذَّهب...».

- «الشَّعر سينبت ثانيةً»، ورفعَ چايمي عاهته قائلًا لنفسه: يجب أن ترى. «أمَّا هذه فلا».

اتَّسعت عيناها قائلةً: «أولاد ستارك...».

- «لا، ڤارجو هوت هو من فعلَ هذا».

- «مَن؟». الاسم لا يعني لها شيئًا.

- «كبش (هارنهال)، أو أنه كان كذلك فترةً».

التفتَت سرسي تتطلَّع إلى نعش چوفري. كانوا قد ألبَسوا الملك الميت دِرعًا مذهَّبةً تُشبِه دِرع چايمي على نحوٍ غريب، وقد انغلقَت مقدِّمة الخوذة لكن ضوء الشُّموع انعكسَ بنعومةٍ على الذَّهب، فتألَّق الصَّبي بشَجاعةٍ في موته. أيقظَت الشُّموع النَّار في الياقوت الذي يُزَيِّن صدر فُستان سرسي أيضًا، وانسدلَ شَعرها على كتفيها أشعثَ مكشوفًا. قالت له: «لقد قتلَه يا چايمي، تمامًا كما توعَّدني. سيأتي يوم أتوهَّمُ فيه نفسي آمنةً سعيدةً، وسيُحيل فرحتي إلى رمادٍ في فمي، هذا ما قاله».

- «تيريون قال هذا؟». لم يكن چايمي يُريد أن يُصَدِّق. قتل ذوي القُربى أسوأ من قتل الملوك عند الآلهة والبَشر. كان يعلم أن الصَّبي ابني. لقد أحببتُ

تيريون وأحسنتُ معامَلته. باستثناء تلك المرَّة الوحيدة... لكن العِفريت يجهل حقيقتها. أم أنه يعلم؟ «لماذا يَقتُل چوف؟».

قالت: «من أجل عاهرة»، وأمسكَت يده السَّليمة وتشبَّثت بها مواصلةً: «قال لي إنه سيفعلها، وچوف أدركَ هذا، أشارَ إلى قاتِله وهو يُحتضَر، إلى أخينا الصَّغير الوحش»، ولثمَت أصابعه قبل أن تُردِف: «ستَقتُله من أجلي، أليس كذلك؟ ستنتقم لابننا».

سحبَ چايمي يده من يدها قائلًا: «إنه لا يزال أخي»، ولوَّح بجَدعته في وجهها في حال لم ترَها مضيفًا: «ولستُ في حالةٍ تسمح بقتل أيِّ أحد».

- «إن لك يدًا أخرى، أليس كذلك؟ لستُ أطلبُ منك أن تغلب كلب الصَّيد في مبارَزة. تيريون قزم محبوس في زنزانة. سيُفسِح حُرَّاسه الطَّريق لك».

قال وقد قلبَت الفكرة معدته: «يجب أن أعرف المزيد عمَّا حدثَ وكيف حدثَ».

ردَّت سرسي: «ستعرف. ستُقام محاكَمة، وحين تسمع كلَّ ما فعلَه ستُريد موته مِثلي تمامًا»، ومسَّت وجهه متابعةً: «كنتُ ضائعةً في غيابك يا چايمي، كنتُ أخشى أن يُرسِل لي آل ستارك رأسك. لم أكن لأحتمل ذلك»، وقبَّلته، قُبلةً خفيفةً، مجرَّد لمسةٍ من شفتيها لشفتيه، لكن إذ طوَّقها بذراعيه أحسَّ بها ترتجف وهي تقول: «لم أكن كاملةً دونك».

لم تكن هناك رقَّة في القُبلة التي أجابَها بها، فقط الجوع، وانفتحَ فمها مستقبِلًا لسانه، لكنها قالت بضَعفٍ لمَّا انتقلَت شفتاه إلى عُنقها: «لا، ليس هنا. السِّپتونات».

قال: «فليأخذ (الآخرون) السِّپتونات»، وقبَّلها ثانيةً، قبَّلها فصمتَت، قبَّلها حتى تأوَّهت، ثم إنه أطاحَ بالشُّموع جانبًا ورفعَها على مذبح (الأُم) مزيحًا تنُّورتها والغِلالة الحرير أسفلها، وراحَت هي تدقُّ صدره بوهنٍ متمتمةً بكلامٍ ما عن المجازَفة، عن الخطر، عن أبيهما، عن السِّپتونات، عن غضبة الآلهة، إلَّا أنه لم يسمع شيئًا مما قالته، وحَلَّ أربطة سراويله وصعدَ فوق المذبح وباعدَ بين ساقيها البيضاوين العاريتين، وانزلقَت يده على فخذها واندسَّت تحت ثوبها الدَّاخلي، وحين انتزعَه وجدَه ملوَّثًا بنزيفها القمري، لكنه لم يُبالِ.

والآن كانت تهمس: «أسرِع، بسُرعة، بسُرعة، الآن، افعلها الآن، ضاجِعني الآن، چايمي چايمي چايمي». بيديها ساعدَته على الولوج، وقالت سرسي وهو يدفع نفسه داخلها: «أخي، أخي الحبيب، نعم، هكذا، نعم، أنت معي، أنت في دارك الآن، أنت في دارك الآن، أنت في دارك». قبّلت أُذنه وملّست على شَعره القصير الزَّغِب، وفقدَ چايمي نفسه في لحم سرسي، وشعرَ بقلبيهما يخفقان معًا لحظةً بلحظة، وببلل الدِّماء والمنيِّ حيث التحَما.

لكن فور أن فرغا قالت الملكة: «دعني أنهض. إذا ضُبطنا هكذا...».

على مضض قامَ من فوقها وساعدَها على النُّزول من فوق المذبح. كان المرمر الشَّاحب ملطَّخًا بالدَّم، فمسحَه چايمي بكُمِّه، ثم انحنى يلتقط الشُّموع التي أسقطَها، ولحُسن الحَظِّ كانت قد انطفأَت كلُّها قبل أن تَسقُط. لو شبَّت النَّار في السِّبت لما لاحظتُ البتَّة.

سوَّت سرسي فُستانها قائلةً: «ما فعلناه حماقة. في وجود أبينا في القلعة... چايمي، لا بُدَّ أن نتوخَّى الحذر».

- «سئمتُ الحذر. آل تارجاريَن كانوا يُزوِّجون الأشقَّاء، فلِمَ لا نفعل مِثلهم؟ تزوَّجيني يا سرسي، قِفي أمام البلاد وقولي إنكِ تُريدينني أنا. سنُقيم احتفالًا بزفافنا ونُنجِب ابنًا آخَر بدلًا من چوفري».

قالت متراجعةً عنه: «ليس هذا طريفًا».

- «هل تسمعينني أضحكُ؟».

بصوتٍ فيه شيء من الحدَّة قالت: «هل تركت عقلك في (ريڤررَن)؟ جلوس تومن على العرش يَنجُم عن نسبه إلى روبرت، وأنت تعلم هذا».

قال: «سيحظى بـ(كاسترلي روك)، أفلا يكفي هذا؟ فليجلس أبونا على العرش، فلا أريدُ إلّاكِ»، ورفعَ يده يمسُّ وجنتها، لكن العادات القديمة تموت بصعوبة، وكانت اليُمنى هي ما رفعَ.

نكصَت سرسي من جَدعته قائلةً: «لا... لا تتكلَّم هكذا. إنك تُخيفني يا چايمي. لا تكن غبيًّا. كلمة خطأ واحدة ستُكلِّفنا كلَّ شيء. ماذا فعلوا بك؟».

- «بتروا يدي».

قالت: «لا، هناك ما هو أكثر. لقد تغيَّرت»، وتراجعَت خُطوةً مردفةً:

«ستتكلَّم لاحقًا، غدًا. وصيفات سانزا ستارك حبيسات في زنزانة، ويجب أن أستجوبهن... عليك أن تذهب إلى أبي».

- «لقد قطعتُ ألف فرسخ لأرجع إليكِ، وفقدتُ أفضل جزءٍ مني في الطَّريق، فلا تقولي لي أن أغادرَ».

أشاحَت بجسدها عنه مردِّدةً: «غادِرني».

عقدَ چايمي أربطة سراويله وفعلَ كما أمرَت، لكن على الرغم من إرهاقه لم يكن بمقدوره الذَّهاب إلى الفِراش الآن، فلا ريب أن نبأ عودته إلى المدينة قد بلغَ السيِّد والده بالفعل.

تعرَّفه رجال لانستر القائمون على حراسة (بُرج اليد) في الحال، وقال أحدهم وهو يفتح له الباب: «كلُّ الشُّكر للآلهة على إعادتك إلينا يا سيِّدي».

- «لا علاقة للآلهة بالأمر. كاتلين ستارك أعادَتني، هي وسيِّد (معقل الخوف)».

صعدَ السَّلالم ودفعَ باب الغُرفة الشَّمسيَّة داخلًا بلا استئذان، ليجد أباه جالسًا عند النَّار. كان اللورد تايوين وحده، وهو ما سَرَّ چايمي الذي لم يرغب في أن يزدهي بيده المبتورة أمام مايس تايرل أو الأفعوان الأحمر الآن، ناهيك بالاثنين في آنٍ واحد.

قال اللورد تايوين كأنما التقيا آخِر مرَّةٍ على الإفطار هذا الصَّباح: «چايمي. اللورد بولتون جعلَني أتوقَّعُ وصولك مبكرًا. كنتُ آملُ أن تصل قبل الزِّفاف».

أغلقَ الباب بهدوءٍ مجيبًا: «تعطَّلتُ على الطَّريق. يُقال إن أختي تفوَّقت على نفسها. سبعة وسبعون صنفًا من الطَّعام ومصرع ملك، زفاف لم يشهد العالم له مثيلًا. منذ متى وأنت تعرف أني حُر؟».

- «الخصيُّ أخبرَني بَعد هروبك بأيام قليلة. أرسلتُ رجالًا إلى أراضي النَّهر ليبحثوا عنك؛ جريجور كليجاين وسَاموِيل سپايسر والتَّوأمين پلوم، كما أن ڤارس أبلغَ البعض أيضًا، وإنما بهدوء. اتَّفقنا على أن عدم إعلان الخبر سيجعل عددًا أقلَّ يُطاردك».

سألَه چايمي: «وهل ذكرَ ڤارس هذا؟»، ودنا من النَّار ليجعل أباه يرى.

هَبَّ اللورد تايوين من مقعده وأنفاسه تهسُّ من بين أسنانه، وقال: «مَن فعلَ هذا؟ إذا كانت الليدي كاتلين تحسب...».

- «الليدي كاتلين وضعَت سيفًا على عُنقي وجعلَتني أقسمُ على إعادة ابنتيها. هذا من صُنع كبشك، ڤارجو هوت، سيِّد (هارنهال)!».

أشاحَ اللورد تايوين بوجهه بامتعاضٍ قائلًا: «لم يَعُد كذلك. السير جريجور أخذَ القلعة. جميع المرتزقة تقريبًا هجروا قائدهم السَّابق، وفتحَ عدد من خدم الليدي ونت القُدامى بوَّابةً جانبيَّةً، ووجدَ كليجاين هوت وحده في (قاعة الألف مستوقَد) وقد أصابَه الخبال من الألم والحُمَّى بسبب جرحٍ تعفَّن، أُذنه حسبما سمعتُ».

ضحكَ چايمي مرغمًا. رائع! أُذنه! لا يكاد يُطيق الانتظار حتى يُخبِر بريان، مع أن الفتاة لن تجد الخبر طريفًا كما وجدَه. «هل ماتَ؟».

- «قريبًا. لقد قطعوا يديه وقدميه، لكن كليجاين مستمتع بالطَّريقة التي يسيل بها لُعاب الكوهوري».

تخثَّرت ابتسامة چايمي وهو يتساءَل: «وماذا عن رِفقة الشُّجعان؟».

- «القِلَّة التي ظلَّت في (هارنهال) ماتَت، والبقيَّة تشتَّتت. أعتقدُ أنهم سيتَّجهون إلى الموانى أو يتوهون في غياهب الغابات»، وعادَت عيناه إلى عاهة چايمي وزَمَّ فمه غضبًا وهو يقول: «سنقطع رؤوسهم كافَّة. هل تستطيع المبارَزة بيُسراك؟».

أستطيعُ ارتداء ملابسي في الصَّباح بالكاد. رفعَ چايمي اليد المذكورة ليعرضها على أبيه، وقال: «خنصر وبنصر ووُسطى وسبَّابة وإبهام، تمامًا كالأخرى، فلِمَ لا تَصلُح للمبارَزة مِثلها؟».

قال أبوه معاودًا الجلوس: «عظيم، هذا عظيم. عندي هديَّة لك بمناسَبة عودتك. بَعد أن أخبرَني ڤارس...».

قاطعَه چايمي: «ما لم تكن يدًا جديدةً فلتنتظر»، وأخذَ المقعد المواجه له، وسألَه: «كيف ماتَ چوفري؟».

- «مسمومًا. كان يُفترَض أن يبدو الأمر كأنه اختنقَ بقطعةٍ من الطَّعام، لكني جعلتُ المايسترات يشقُّون حَلقه فلم يجدوا انسدادًا».

- «سرسي تدَّعي أن تيريون فعلَها».

- «أخوك قدَّم النَّبيذ المسموم للملك تحت أعيُن ألفٍ من الحضور».

- «حُمق بالغ منه أن يفعل هذا».

- «لقد قبضتُ على مُرافِق تيريون ووصيفات زوجته، وسنرى إن كان هناك لديهم ما يقولونه. رجال السير أدام يبحثون عن ابنة ستارك، وفارس عرضَ مكافأةً. سوف تُقام عدالة الملك».

عدالة الملك. «ستُعدِم ابنك؟».

- «إنه متَّهم باغتيال الملك الذي هو ابن أخته. إذا كان بريئًا فليس هناك ما يخشاه، لكن علينا أولًا أن ندرس ما في صالحه وضده من الأدلَّة».

الأدلَّة. في مدينة الكذَّابين هذه يعرف چايمي نوع الأدلَّة التي سيَعثُرون عليها. «رنلي ماتَ بطريقةٍ غريبة أيضًا حين أرادَ ستانيس موته».

- «اللورد رنلي قضى نحبه بيد أحد حُرَّاسه، امرأة ما من (تارث)».

- «تلك المرأة ما من (تارث) هي السَّبب في وجودي هنا الآن. لقد ألقيتها في زنزانةٍ استرضاءً للسير لوراس، لكني سأصدِّقُ أن شبح رنلي حقيقي قبل أن أصدِّقَ أنها آذَته بأيِّ شكل. لكن ستانيس...».

قاطعَه اللورد تايوين: «چوفري ماتَ بالسُّمِّ لا السِّحر»، وعادَ يَرمُق جَدعة چايمي مردفًا: «لا يُمكنك أن تخدم في الحَرس الملكي دون يدٍ تحمل بها السَّيف...».

هذه المرَّة قاطعَه چايمي: «يُمكنني، وسأفعلُ. هناك سابقة. سأبحثُ في (الكتاب الأبيض) وأجدها إذا أردت. عاجزًا أو كاملًا، فارس الحَرس الملكي يخدم مدى الحياة».

- «سرسي وضعَت نهايةً لهذا حين استبدلَت السير باريستان بدعوى الشَّيخوخة. هديَّة مناسِبة لـ(العقيدة) ستُقنِع السِّپتون الأعلى بعتقك من يمينك. أختك كانت حمقاء عندما صرفَت سلمي بالتَّأكيد، لكن الآن وقد فتحَت الباب...».

- «... فعلى أحدهم أن يُغلِقه مجدَّدًا»، ونهضَ چايمي مضيفًا: «لقد ضقتُ ذرعًا بقذف النِّساء النَّبيلات إياي بدِلاء الخراء يا أبتاه. لا أحدَ سألَني إن كنتُ أريدُ أن أكون قائد الحَرس الملكي، لكن يبدو أنني كذلك، ولديَّ واجب...».

نهضَ اللورد تايوين أيضًا قائلًا: «نعم، واجب نحو عائلة لانستر. أنت وريث (كاسترلي روك)، ومكانك هناك، وينبغي أن يصحبك تومن باعتباره ربيبك ومُرافِقك. في (الصَّخرة) سيتعلَّم كيف يكون لانستر حقًّا، كما أني

أريده بعيدًا عن أمّه. إنني أنوي أن أجد زوجًا جديدًا لسرسي، أوبرين مارتل ربما، بمجرَّد أن أقنع اللورد تايرل بأن الزّيجة لا تُمثِّل تهديدًا لـ(هايجاردن)، ثم إن وقت زواجك قد حانَ أيضًا. آل تايرل يُصِرُّون الآن أن تتزوَّج مارچري تومن، لكن إذا عرضتك بدلًا منه...».

- «لا!». قد سمعَ چايمي كلَّ ما يُمكن أن يحتمله. لا، بل أكثر مما يُمكنه أن يحتمل، وقد سئمَ الأمر كلَّه، سئمَ اللوردات والأكاذيب، سئمَ أباه وأخته، سئمَ كلَّ هذا حتى النُّخاع. «لا، لا، لا، لا، لا. كم مرَّةً عليَّ أن أقولها حتى تسمعها؟ أوبرين مارتل؟ إنه سيِّئ السُّمعة، وليس لأنه يُسَمِّم سيفه فحسب. لقد أنجبَ نغولًا أكثر من روبرت، ويُضاجِع الغلمان أيضًا... وإذا حسبت لحظةً حمقاء واحدةً أنني سأتزوَّجُ أرملة چوفري...».

- «اللورد تايرل يُقسِم أنها لا تزال بكرًا».

- «فلتَمُت بِكرًا إذن ولن أبالي. لستُ أريدها، ولستُ أريد صخرتك!».

- «أنت ابني...».

- «أنا فارس في الحَرس الملكي، قائد الحَرس الملكي، ولا أنوي أن أكون غير هذا!».

توهَّج ضوء النَّار ذهبيًّا على الشَّعر اليابس الذي يُؤَطِّر وجه اللورد تايوين، ونفرَ عِرق في عُنقه، لكنه لم يتكلَّم، ولم يتكلَّم، ولم يتكلَّم.

وطالَ الصَّمت المشدود حتى فاقَ احتمال چايمي، الذي قال أخيرًا: «أبي...».

أشاحَ اللورد تايوين بوجهه قائلًا: «أنت لست ابني. تقول إنك قائد الحَرس الملكي ولا شيء غير هذا. ليكن إذن أيها الفارس، اذهب وأدِّ واجبك».





داڤوس

ارتفعَت أصواتهم بالصَّلاة كالجمار المنطفئة إلى سماء المساء الأرجوانيَّة.

- «نجِّنا من الظَّلام يا إلهنا، املأ قلوبنا نارًا لنمشي في سبيلك المنير».

كانت النَّار اللَّيليَّة متَّقدةً في الغسق المتوغِّل، فبدَت كوحش هائلٍ أجَّاج يُلقي وهجه البرتقالي المتراقص ظلالًا تُناهِز العشرين قدمًا طولًا عبر السَّاحة، وعلى أسوار (دراجونستون) بدا جيش الكراجل والمسوخ كأنما يتحرَّك ويتقلَّب.

نظرَ داڤوس من نافذةٍ مقنطَرة في الشُّرفة بالأعلى، وشاهدَ مليساندرا ترفع ذراعيها كأنها ستُعانِق اللَّهب الرَّاجف، وبصوتٍ عالٍ واضح ترنَّمت: «أيا راهلور، أنت الضَّوء في أعيُننا، النَّار في قلوبنا، الحرارة في أقطاننا، شمسك الشَّمس التي تُدفئ نهاراتنا، نجومك النُّجوم التي تحمينا في ظُلمة اللَّيل».

قادَت الملكة سيليس إجابة المصلِّين والحماسة تضطرم على وجهها الممصوص: «أيا إله الضِّياء، دافِع عنا، فاللَّيل مظلمٌ ومفعمٌ بالأهوال». إلى جوارها وقف الملك ستانيس مطبِقًا فكَّيه بشدَّة، تومِض رؤوس تاجه المطرَّق من الذَّهب الأحمر كلما حرَّك رأسه، وفكَّر داڤوس رامقًا إياه: هو معهم، لكنه ليس منهم. بينهما كانت الأميرة شيرين، تكاد الرُّقع الرَّماديَّة المرقَّشة على وجهها ورقبتها تبدو سوداء في ضوء النَّار. ترنَّمت الملكة: «أيا إله الضِّياء، احفظنا»، ولم يُجِب الملك مع الآخرين وظَلَّ يُحَدِّق إلى اللَّهب، فتساءلَ داڤوس عمَّا يراه فيه. أهي رؤيا أخرى من الحرب المقبلة أم شيء أقرب؟

واصلَت مليساندرا مترنِّمةً: «راهلور يا من مَنَنت علينا بأنفاسنا، نَشكُرك. راهلور يا من مننت علينا بالنَّهار، نَشكُرك».

وأجابَت الملكة سيليس والمتعبِّدون الآخَرون: «نَشكُرك على الشَّمس التي تُدفئنا، نَشكُرك على النُّجوم التي تحمينا، نَشكُرك على المواقد والمشاعل التي تَطرُد الظَّلام البهيم».

بدا لداڤوس أن أصواتًا أقلَّ من ليلة البارحة تستجيب الآن، ووجوهًا أقلَّ تتورَّد في الضَّوء البرتقالي حول النَّار، لكن هل ستَنقُص أكثر غدًا... أم أنها ستزيد؟

تردَّد صوت السير آكسل فلورنت رنَّانًا كالنَّفير، وقد وقف بصدره العريض وساقيه المتقوِّستين وضوء النَّار يغسل وجهه كأنه لسان برتقالي يَخرُج من فم وحش ما. ساءلَ داڤوس نفسه إن كان الرَّجل سيَشكُره بَعد ما سيَحدُث، فما سيفعَلونه اللَّيلة سيجعله يد الملك على الأرجح، تمامًا كما يتمنَّى.

رفعَت مليساندرا عقيرتها متابعةً الصَّلاة: «نَشكُرك على ستانيس الذي هو ببركتك مليكنا، نَشكُرك على نيران صلاحه البيضاء الطَّاهرة، وعلى سيف العدالة الأحمر في يده، وعلى الحُبِّ الذي يُكِنُّه لقومه المخلصين. اهدِه ودافع عنه أيا راهلور، وامنحه القوَّة ليُنَكِّل بأعدائه».

أجابَت الملكة سيليس والسير آكسل ودڤان والباقون: «امنحه القوَّة، امنحه الشَّجاعة، امنحه الحكمة».

في صِباه علَّم السِّپتونات داڤوس أن يَطلُب الحكمة من (العجوز) والشَّجاعة من (المُحارِب) والقوَّة من (الحدَّاد)، لكنه يدعو (الأُم في الأعالي) الآن أن تحمي ابنه الغالي دڤان من مليساندرا وربِّها الشَّيطان.

- «لورد داڤوس، يَحسُن أن نتحرَّك الآن»، قال السير أندرو، ولمَّا لم يستجب مَسَّ مِرفقه بخفَّةٍ قائلًا: «سيِّدي؟».

ما زالَ للَّقب وقع غريب في أُذنيه، لكن داڤوس التفتَ عن النَّافذة قائلًا: «نعم، حانَ الوقت». سيستغرق ستانيس ومليساندرا ورجال الملكة في صلاتهم ساعةً أو أكثر، فالرُّهبان الحُمر يُشعِلون نارهم كلَّ يومٍ عند الغروب، ليَشكُروا راهلور على النَّهار الذي انتهى ويتضرَّعوا إليه أن يُعيد شمسه في الغد لتَطرُد الظَّلام. على المهرِّب أن يعرف تقلُّبات المَدِّ والجَزر، ومتى يغتنمها. في النِّهاية هو ليس أكثر من داڤوس المهرِّب. ارتفعَت يده المشوَّهة إلى عُنقه ساعيةً إلى حَظِّه ولم تجد شيئًا، فأنزلَها بحدَّةٍ وحَثَّ الخُطى.

جارى رفاقه خُطواته السَّريعة. لنغل (التَّغريدة) وجه مجدور وطابع من الشَّهامة المنهَكة، والسير چيرالد جاور عريض الصَّدر وأشقر وفَظ، والسير أندرو إسترمونت أطول منه بعض الشَّيء وله لحية مدبَّبة وحاجبان بنِّيَّان خشنان. كلُّهم رجال صالحون على طريقتهم الخاصَّة في رأي داڤوس. وكلُّهم سيموتون قريبًا إذا فشلَت مهمَّة اللَّيلة.

عندما طلبَ من المرأة الحمراء أن تُعَلِّمه كيف يرى المستقبَل في اللَّهب قالت له: «النَّار كائن حي، دائمًا تتحرَّك، دائمًا تتغيَّر... ككتاب تتراقَص حروفه وتتبدَّل وأنت تُحاول أن تقرأها. رؤية الأشكال وراء اللَّهَب تتطلَّب أعوامًا من التَّدريب، وأعوامًا أكثر للتَّمييز بين شكل ما سيكون وما قد يكون أو ما كان، وحتى في ذلك الحين يظلُّ الأمر صعبًا، صعبًا، وأنتم لا تفهمون هذا يا أهل أراضي غروب الشَّمس». ولهذا سألَها كيف تعلَّم السير آكسل حيلة قراءة اللَّهب بهذه السُّرعة، فاكتفَت بأن ابتسمَت بغموضٍ مجيبةً: «يُمكن لأيِّ قِطٍّ أن يتطلَّع إلى النَّار ويرى فئرانًا حمراء تلعب».

لم يكذب داڤوس على رفاقه من رجال الملك بشأن هذا أو أيِّ شيءٍ آخَر، وقال لهم منذرًا: «قد ترى المرأة الحمراء ما ننوي أن نفعله».

قال لويس السَّمَّاك: «علينا أن نبدأ بقتلها إذن. أعرفُ مكانًا نستطيع أن نستدرجها إليه، أربعة منا بسيوفٍ حادَّة...».

قاطعَه داڤوس: «ستَحكُم علينا جميعًا بالهلاك إذن. المايستر كرسن حاولَ أن يَقتُلها وعرفَت في الحال، من لهبها على ما أعتقدُ. يبدو لي أنها تستشعر أيَّ تهديدٍ لشخصها سريعًا جدًّا، لكن مؤكَّد أنها لا ترى كلَّ شيء. إذا تجاهَلناها فربما لا تُلاحِظنا».

قال السير تريستون ابن (هضبة تالي) باستنكار: «ليس هناك شَرف في التَّخفِّي والتَّسلُّل». كان واحدًا من رجال صنجلاس قبل أن يلقى اللورد جانسر حتفه في نيران مليساندرا.

سألَه داڤوس: «وهل هناك شَرف في الموت حرقًا؟ لقد شهدت موت اللورد صنجلاس بنفسك، فهل هذا ما تُريده؟ لستُ في حاجةٍ إلى الشُّرفاء الآن، بل إلى المهرِّبين، فهل أنتم معي أم لا؟».

وكانوا معه، بحَقِّ الآلهة كانوا معه.

كان المِايستر پايلوس يُراجِع مع إدريك ستورم دروس الحساب عندما فتحَ داڤوس الباب، وقد وقفَ السير أندرو وراءه بمسافةٍ قصيرة، بينما تُركَ الآخَرون لحراسة السَّلالم وباب القبو. قطعَ المِايستر الدَّرس قائلًا: «يكفي هذا الآن يا إدريك».

قال الصَّبي محتارًا من الدُّخول المفاجئ: «لورد داڤوس، سير أندرو، إننا في درس حساب».

ابتسمَ السير أندرو قائلًا: «كنتُ أكرهُ الحساب وأنا في سِنِّك يا ابن ابن عمَّتي».

– «لا أجده صعبًا لهذه الدَّرجة، لكني أفضِّلُ التَّاريخ لأنه مليء بالحكايات».

قال المِايستر پايلوس: «أحضِر معطفك يا إدريك، ستذهب مع اللورد داڤوس».

نهضَ الصَّبي متسائلًا: «حقًّا؟ إلى أين؟»، وزَمَّ فمه بعنادٍ مضيفًا: «لن أصلِّي لإله الضِّياء. إنني رجل (المُحارِب) مِثل أبي».

قال داڤوس: «أعرف. هلمَّ يا فتى، يجب ألَّا نُضَيِّع الوقت».

ارتدى إدريك معطفًا بقلنسوةٍ من الصُّوف السَّميك غير المصبوغ، وساعدَه المِايستر پايلوس على تثبيته ورفعَ القلنسوة ليُخفي وجهه. سألَه الصَّبي: «هل ستأتي معنا أيها المِايستر؟».

أجابَ پايلوس متحسِّسًا السِّلسلة ذات المعادن المختلفة حول عُنقه: «لا، إن مكاني هنا في (دراجونستون). اذهب مع اللورد داڤوس الآن وافعل كما يقول. تذكَّر أنه يد الملك. ماذا قلتُ لك عن يد الملك؟».

– «اليد يتكلَّم بصوت الملك».

قال المِايستر الشَّاب مبتسمًا: «بالضَّبط. اذهب الآن».

لم يكن داڤوس يضمن پايلوس، وربما أحسَّ بالاستياء منه في السَّابق لأنه أخذَ مكان كرسن العجوز، لكنه لا يَشعُر الآن إلَّا بالإعجاب بشَجاعته. قد يُكَلِّفه عملنا هذا حياته أيضًا.

كان السير چيرالد جاور منتظرًا عند السَّلالم خارج مسكن المِايستر،

فرمقَه إدريك ستورم بفضول، وبينما نزلوا سأَلَ: «إلى أين سنذهب يا لورد داڤوس؟».

- «إلى الماء. هناك سفينة تنتظرك».

توقَّف الصَّبي فجأةً مردِّدًا: «سفينة؟».

- «واحدة من سُفن سالادور سان. سالا صديق مقرَّب لي».

قال السير أندرو محاولًا طمأنته: «سأذهبُ معك يا ابن ابن عمَّتي. ليس هناك ما يستدعي الخوف».

مغتاظًا قال إدريك: «لستُ خائفًا... لكن... هل ستأتي شيرين أيضًا؟».

أجابَه داڤوس: «لا. يجب أن تبقى الأميرة هنا مع أبيها وأمِّها».

- «يجب أن أراها إذن لأودِّعها وإلَّا حزنَت».

ليس بقَدر حُزنها إذا رأتك تحترق. «لا يوجَد وقت. سأخبرُ الأميرة بأنك كنت تُفكِّر فيها، ويُمكنك أن تكتب لها حينما تصل إلى وجهتك».

قطَّب الصَّبي وجهه قائلًا: «أيجب أن أرحل حقًّا؟ لماذا يصرفني عمِّي من (دراجونستون)؟ هل أغضبته؟ لم أكن أقصد»، وعادَت النَّظرة العنيدة تحتلُّ وجهه وهو يُضيف: «أريدُ أن أرى عمِّي، أريدُ أن أرى الملك ستانيس».

تبادلَ السير أندرو والسير چيرالد نظرةً، ثم قال الأول: «ليس هناك وقت لهذا يا ابن ابن عمَّتي».

رفعَ إدريك صوته مكرِّرًا بإصرار: «أريدُ أن أراه!».

كان على داڤوس أن يقول شيئًا يُحرِّك الفتى، فردَّ: «إنه لا يُريد أن يراك. أنا يد الملك وأتكلَّمُ بصوته. أيجب أن أذهب إلى الملك وأقول له إنك تَرفُض أن تُطيع الأمر؟ أتدري كم سيُغضِبه هذا؟ هل رأيت عمَّك غاضبًا من قبل؟»، وخلعَ قفَّازه ليُري الصَّبي الأصابع الأربعة التي قصَّرها ستانيس مردفًا: «أنا رأيته».

تحدَّث داڤوس كذبًا. يوم بترَ ستانيس باراثيون أطراف أصابع فارسه البصلي لم يكن غاضبًا على الإطلاق، وإنما يُنفِّذ عدالته الحديديَّة، لكن إدريك ستورم لم يكن قد وُلِدَ وقتها ولا يعرف هذا. على أن التَّهديد حقَّق الأثر المطلوب، وقال الصَّبي: «لم يكن يَجدُر به أن يفعل هذا»، لكنه تركَ داڤوس يقوده من يده وينزل به السَّلالم.

انضمَّ إليهم نغل (التَّغريدة) عند باب القبو، وساروا بسُرعةٍ قاطعين ساحةً ظليلةً، ثم هبطوا بضع درجاتٍ تحت الذَّيل الحجري لتنِّين مجمَّد، قبل أن يجدوا لويس السَّمَّاك وأومر بلاكبري منتظريْن عند البوَّابة الخلفيَّة، وعند أقدامهما حارسان مقيَّدان ومكمَّمان. سألَهما داڤوس: «القارب؟».

أجابَه لويس: «في مكانه. أربعة مجذفين، والقادس منتظر وراء اللِّسان، اسمه (پرندوس المجنون)».

قهقهَ داڤوس. سفينة على اسم رجلٍ مجنون. نعم، اسم لائق. سالا يتمتَّع بمسحةٍ من روح دُعابة القراصنة السَّوداء.

جثا على رُكبته أمام الصَّبي، وقال: «يجب أن أتركك الآن. هناك قارب ينتظر أن يُقِلَّك إلى القادس الذي سيأخذك عبر البحر. أنت ابن روبرت، لذا أعلمُ أنك ستكون شُجاعًا مهما حدثَ».

قال الصَّبي: «نعم، ولكن...»، وبترَ عبارته متردِّدًا.

حاولَ داڤوس أن يبدو مرحًا وهو يقول: «اعتبرها مغامرةً يا سيِّدي، بداية مغامرة حياتك الكُبرى. عسى (المُحارب) أن يحميك».

قال الصَّبي: «وعسى (الأب) أن يَحكُم عليك بالعدل يا لورد داڤوس»، وخرجَ مع السير أندرو ابن خال أبيه من البوَّابة الخلفيَّة، وتبعَه الآخرون كلُّهم باستثناء نغل (التَّغريدة). فكَّر داڤوس بكآبة: عسى (الأب) أن يَحكُم عليَّ بالعدل. لكن حُكم الملك هو ما يهمُّه الآن.

- «ماذا عن هذين الاثنين؟»، سألَه السير رولاند مشيرًا إلى الحارسين بَعدما أغلقَ البوَّابة وأوصدَها.

- «اسحبهما إلى قبوِ الآن، ثم أطلِق سراحهما عندما يبتعد إدريك مسافةً كافيةً».

أومأَ النَّغل برأسه باقتضاب، ولم يَعُد هناك ما يُقال، فقد انتهى الجزء السَّهل. عادَ داڤوس يرتدي قُفَّازه وهو يتمنَّى لو أنه لم يفقد حَظَّه. لقد كان رجلًا أفضل وأشجع حين كان جراب العظام يتدلَّى من عُنقه. مرَّر أصابعه المقصَّرة في شَعره البنِّي الخفيف، وتساءلَ إن كان في حاجةٍ إلى حلاقة، فيجب أن يبدو في صورةٍ لائقة عندما يَمثُل بين يدَيْ الملك.

لم تبدُ له (دراجونستون) مظلمةً مخيفةً هكذا من قبل قَطُّ وهو يمشي ببُطءٍ

فتتردَّد أصداء خُطاه على الجُدران والتَّنانين السَّوداء. التَّنانين الحجريَّة التي أتمنَّى ألَّا تستيقظ أبدًا. لاحَ بُرج (الطَّبلة الحجريَّة) شاهقًا ضخمًا أمامه، ومع دنوُّه أزاحَ الحارسان الواقفان عند الباب حربتيهما المتصالبتيْن. ليس لفارس البصل، وإنما ليد الملك. لم يزل داڤوس اليد وهو داخل على الأقل، لكن تُرى ماذا سيكون وهو خارج؟ هذا إذا خرجتُ...

أحسَّ كأن الدَّرجات صارَت أعلى وأكثر انحدارًا من قبل، لكن ربما يكون السَّبب أنه متعَب لا أكثر. (الأم) لم تخلقني لمهامٍّ كهذه. لقد ترقَّى إلى مرتبةٍ عالية جدًّا بسُرعةٍ شديدة جدًّا، والهواء هنا على قمَّة الجبل أقلُّ من أن يتنفَّسه. في صِغره حلمَ بالثَّراء، لكن ذلك كان منذ زمنٍ طويل، ولمَّا كبرَ لم يَعُد يرغب إلَّا في فدادين قليلة من الأرض الطيِّبة وبيتٍ يتقدَّم فيه في السِّنِّ، وحياةٍ أفضل لأبنائه. اعتادَ النَّغل الأعمى أن يقول له إن المهرِّب الذَّكي لا يطمح إلى الكثير ولا يلفت الانتباه إلى نفسه. بضعة فدادين وسقف من الخشب و«سير» قبل اسمي. كان عليَّ أن أقنع بهذا. إذا عاشَ بَعد اللَّيلة سيأخذ دڤان ويُبحِر إلى (رأس الغضب) حيث بيته وزوجته الرَّقيقة ماريا. سنتشاطَر الحُزن على أبنائنا الموتى ونُربِّي الأحياء ليكونوا رجالًا صالحين ولا نتكلَّم عن الملوك ثانيةً.

كانت القاعة التي تضمُّ المائدة المرسومة خاليةً مظلمةً حين دخلَ، فلا بُدَّ أن الملك لا يزال عند النَّار اللَّيليَّة مع مليساندرا ورجال الملكة. ركعَ وأشعلَ النَّار في المستوقَد ليَطرُد البردَ من القاعة المستديرة ويدفع الظِّلال إلى العودة إلى أركانها، ثم دارَ على كلِّ نافذةٍ مزيحًا السَّتائر المخمليَّة الثَّقيلة وفاتحًا المصاريع الخشبيَّة، فدخلَت الرِّيح محمَّلةً بروائح الملح والبحر القويَّة وجذبَت معطفه البنِّي التَّقليدي.

عند النَّافذة الشَّماليَّة مالَ على العتبة ملتقطًا نفسًا من هواء اللَّيل البارد وهو يأمل أن يلمح (پرندوس المجنون) ترفع أشرعتها، لكنه وجدَ البحر أسود خاليًا على مدى البصر. هل أبحرَت إذن؟ ليس في وسعه إلَّا أن يأمل أن تكون قد رحلَت بالفعل وعلى متنها الصَّبي. كان الهلال يَبرُز ويختفي وسط السَّحاب الخفيف العالي، وميَّز داڤوس عددًا من الأجرام السَّماويَّة المألوفة، فها هي كوكبة (القادس) تُبحِر غربًا، و(مشكاة العجوز) التي تتكوَّن من أربع نجماتٍ لامعة وتُطوِّق سديمًا ذهبيًّا، بينما تُخفي السُّحب (التنِّين الجليدي)

بالكامل باستثناء العين الزَّرقاء البرَّاقة التي تُومئ إلى الشَّمال. السَّماء ملأى بنجوم المهرِّبين. هذه النُّجوم أصدقاؤه القُدامى، فتمنَّى أن وجودها يعني حُسن الحَظ.

لكن حين خفضَ ناظريْه من السَّماء إلى شُرفات القلعة تسلَّلت الشُّكوك إلى فؤاده. كانت أجنحة التَّنانين الحجريَّة تُلقي ظلالًا سوداء كبيرةً في ضوء النَّار اللَّيليَّة، فحاولَ أن يقول لنفسه إنها مجرَّد منحوتات باردة لا حياة فيها. كان هذا مكانها ذات يوم، مكان التَّنانين وسادتها، مقرّ عائلة تارجاريَن. وآل تارجاريَن كانوا من دم (ڤاليريا) القديمة...

تنهَّدت الرِّيح عبر القاعة، وفي المستوقَد تراقصَ اللَّهب ودارَ. أصغى داڤوس إلى طقطقة الحطب، ثم إنه ابتعدَ عن النَّافذة وسبقَه ظِلُّه الطَّويل النَّحيل ليَسقُط على المائدة المرسومة كالسَّيف، وهناك وقفَ فترةً طويلةً منتظرًا، قبل أن يسمع وقع أقدامهم على السَّلالم وهُم يصعدون، وقد سبقَ الملك صوته وهو يقول: «... ليسا ثلاثةً».

جاءَت إجابة مليساندرا: «الثَّلاثة ثلاثة. أقسمُ لك يا جلالة الملك أنني رأيته يموت وسمعتُ ولولة أمِّه».

قال ستانيس وهو يَدخُل مع المرأة الحمراء: «في النَّار اللَّيليَّة. اللَّهب خدَّاع. ما هو كائن، ما سيكون، ما قد يكون. لا يُمكنكِ أن تجزمي...».

تقدَّم داڤوس قائلًا: «جلالة الملك، الليدي مليساندرا رأت الحقيقة. چوفري ابن أخيك ماتَ».

إذا كان الملك قد اندهشَ من العثور عليه عند المائدة المرسومة، فإنه لم يُبدِ دلالةً على هذا، وقال: «لورد داڤوس. الصَّبي لم يكن ابن أخي، مع أني اعتقدتُ هذا طيلة أعوام».

قال داڤوس: «لقد اختنقَ بقطعةٍ من الطَّعام في حفل زفافه، أو ربما ماتَ مسمومًا».

قالت مليساندرا: «إنه الثَّالث».

رَدَّ ستانيس: «أستطيعُ العَدَّ يا امرأة»، وسارَ بمحاذاة المائدة مارًّا بـ(البلدة القديمة) و(الكرمة) ونحو (جُزر التُّروس) ومدخل نهر (الماندر)، وتابعَ: «يبدو أن حفلات الزِّفاف أصبحَت أخطر من المعارك. مَن سمَّمه؟ هل يعرفون؟».

- «يُقال إنه خاله العِفريت».

صَرَّ ستانيس بأسنانه قائلًا: «رجل خطِر. تعلَّمتُ هذا في (النَّهر الأسود). كيف بلغَك الخبر؟».

- «ما زالَ اللايسينيُّون يُمارِسون التِّجارة في (كينجز لاندنج). لا يوجَد ما يدعو سالادور سان إلى الكذب عليَّ».

قال ستانيس: «أظنُّ هذا»، ومرَّر أصابعه على المائدة مردفًا: «چوفري... أذكرُ مرَّةً كانت هناك هرَّة مطبخ... اعتادَ الطُّهاة إطعامها فضلات الطَّعام ورؤوس الأسماك، وقال أحدهم للصَّبي إنها تحمل هُريراتٍ صغيرة في بطنها معتقدًا أنه قد يُريد إحداها، ففتحَ چوفري بطن المسكينة بخنجر ليرى إن كان هذا صحيحًا، ولمَّا وجدَ الأجنَّة أخذَهم ليُري أباه. يومها ضربَ روبرت الصَّبي بقوَّةٍ غاشمة جعلَتني أتصوَّرُ أنه قتلَه»، وخلعَ الملك تاجه ووضعَه على المائدة مضيفًا: «سواء أكان القزم أم عَلقةً، فقد أسدى القاتل المملكة خدمةً عظيمةً. لا مناص من أن يُرسِلوا في طلبي الآن».

قالت مليساندرا: «لن يفعلوا. چوفري له أخ».

غمغمَ الملك بتبرُّم: «تومن».

- «سيُتَوِّجون تومن ويَحكمون باسمه».

كوَّر ستانيس قبضته قائلًا: «تومن أرقُّ من چوفري، لكنه وليد زنى المحارم ذاته، وحش آخَر قيد الإعداد، طُفيل آخَر سيمتصُّ دماء البلاد. (وستروس) في حاجةٍ إلى يد رجلٍ لا طفل».

دنَت مليساندرا منه، وقالت: «أنقِذهم يا مولاي، دعني أوقظُ التَّنانين الحجريَّة. الثَّلاثة ثلاثة. أعطِني الصَّبي».

قال داڤوس: «إدريك ستورم».

داهمَه ستانيس قائلًا بغضب بارد: «أعرفُ اسمه، فاعفِني من تأنيبك. الأمر لا يروقني أكثر مما يروقك، لكن واجبي تجاه البلاد، واجبي...»، والتفتَ إلى مليساندرا، وقال لها: «أتُقسِمين أن لا وسيلة أخرى هنالك؟ فلتُقسِمي بحياتكِ وإلَّا أعدكِ بأنكِ ستموتين شَرَّ ميتة».

قالت: «إنك أنت من عليه أن يُواجه (الآخَر)، من تُنُبِّئَ بمجيئه منذ خمسة آلاف عام. المذنَّب الأحمر كان بشيرك. أنت الأمير الموعود، وإذا سقطت

سقطَ العالم معك»، ودنَت منه أكثر بشفتين حمراوين مفترقتين والياقوتة تنبض على عُنقها، وهمسَت: «أعطِني الصَّبي وسأعطيك مملكتك».

قال داڤوس: «لا يستطيع. إدريك ستورم رحلَ».

التفتَ إليه ستانيس سائلًا: «رحلَ؟ ماذا تعني؟».

أجابَه داڤوس: «إنه على متن قادس لايسيني خرجَ بأمانٍ إلى البحر»، وراقبَ وجه مليساندرا الشَّاحب ذا شكل القلب، وشاهدَ الفزع يرتجف عليه، والارتياب المباغت، ففكَّر: لم ترَ ما حدثَ!

قالَ الملك وعيناه ككدمتين زرقاوين قاتمتين في محجريهما: «أخذوا النَّغل من (دراجونستون) دون إذني؟ تقول إنه على متن قادس؟ إذا كان القُرصان اللايسيني يحسب أنه سيستغلُّ الصَّبي ويبتزُّ مني الذَّهب...».

رمقَت مليساندرا داڤوس بنظرة العليم قائلةً: «يدك هو من فعلَ هذا يا مولاي. ستُعيده إلى هنا يا سيِّدي، ستُعيده».

قال داڤوس: «الصَّبي بعيد عن منالي الآن، وبعيد عن منالكِ أيضًا يا سيِّدتي».

قالت وعيناها الحمراوان تُثيران فيه القشعريرة: «كان عليَّ أن أتركك في الظَّلام أيها الفارس. أتُدرِك ما فعلته؟».

- «أدَّيتُ واجبي».

قال ستانيس: «ما فعلته في نظر البعض خيانة»، وذهبَ إلى النَّافذة يتطلَّع إلى اللَّيل، فتساءلَ داڤوس في أعماقه: هل يبحث عن السَّفينة؟ وتابعَ الملك بلهجةٍ فيها من التَّعب أكثر من الغضب: «لقد رفعتك من التُّراب يا داڤوس. أكان الولاء أكثر مما عليَّ أن آمل؟».

كان داڤوس سيوورث قد فكَّر مليًّا في ما عليه أن يقوله، إذ يعلم أن حياته تعتمد على كلامه هذا، فقال: «أربعة من أبنائي ماتوا من أجلك في (النَّهر الأسود)، وكان يُمكن أن أموت أيضًا. إن ولائي لك دائمًا. جلالة الملك، لقد جعلتني أقسمُ أن أعطيك سديد النَّصيحة وسريع الطَّاعة وأن أدافع عن مملكتك ضد خصومك وأحمي شعبك. أوليس إدريك ستورم فردًا من شعبك؟ فردًا ممن أقسمتُ على أن أحميهم؟ لقد حافظتُ على قَسمي، فكيف تكون هذه خيانةً؟».

عادَ ستانيس يصرُّ بأسنانه وهو يقول: «لم أطلب هذا التَّاج قَطُّ. الذَّهب بارد وثقيل على الرَّأس، لكن ما دمتُ الملك فعلى عاتقي واجب... إذا كان واجبي أن أضحِّي بصبيٍّ واحدٍ للَّهب لأنقذ مليونًا من الظَّلام... التَّضحية... التَّضحية ليست سهلةً أبدًا يا داڤوس، وإلَّا فهي ليست تضحيةً حقيقيَّةً. أخبريه يا سيِّدتي».

قالت مليساندرا: «آزور آهاي سقَى (جالِب الضِّياء) بدماء قلب زوجته الحبيبة. إذا ضحَّى رجل يملك ألف بقرة بواحدةٍ للآلهة فإنه لم يُكلِّف نفسه شيئًا، لكن إذا ضحَّى بالبقرة الوحيدة التي يملكها...».

خاطبَ داڤوس الملك قائلًا: «إنها تتكلَّم عن الأبقار، وأنا أتكلَّم عن صبي، صديق ابنتك، ابن أخيك».

ردَّت عليه مليساندرا وياقوتتها تتألَّق كنجم أحمر: «ابن ملكٍ في عروقه قوَّة دماء الملوك. أتحسب أنك أنقذت الصَّبيَّ يا فارس البصل؟ عندما يحلُّ اللَّيلِ الطَّويل سيموت إدريك ستورم مع البقيَّة أينما اختبأ، وأبناؤك كذلك. سيُغَطِّي الظَّلام والبرد الأرض. إنك تدسُّ أنفك في أمورٍ لا تفهمها».

قال داڤوس: «هناك الكثير مما لا أفهمه، ولم أدَّعِ العكس قَطُّ. إنني أعرفُ البحار والأنهار وأشكال السَّواحل وأماكن الصُّخور والمياه الضَّحلة، وأعرفُ الكهوف الخفيَّة حيث يُمكن أن يرسو قارب دون أن يُرى، وأعرفُ أن الملك يحمي رعاياه وإلَّا فهو ليس بملكٍ على الإطلاق».

اربدَّ وجه ستانيس، وقال: «هل تسخر مني في وجهي؟ أيُفترَض أن أتعلَّم واجبات الملوك من مهرِّب بصل؟».

ركعَ داڤوس أمامه قائلًا: «إذا أسأتُ إليك فاقطع رأسي. سأموتُ كما عشتُ، رجلك الوفي، لكن اسمعني أولًا، اسمعني بحَقِّ البصل الذي هرَّبته لك والأصابع التي قطعتها».

استلَّ الملك ستانيس (جالِب الضِّياء) من غِمده ليملأ وهجه القاعة، وقال وعضلات عُنقه مشدودة كالأوتار: «قُل ما لديك، لكن قُله بسُرعة».

دَسَّ داڤوس يده في جيبِ معطفه وأخرجَ ورقة الرَّقوق المجعَّدة التي بدَت شيئًا ضئيلًا رقيقًا، لكنها كلُّ ما لديه من وقاية الآن. قال: «على يد الملك أن يقرأ ويَكتُب. المِايستر پايلوس يُعَلِّمني منذ فترة»، وسوَّى الرِّسالة على رُكبته وبدأ يقرأ على ضوء السَّيف المسحور.



چون

في منامه رأى نفسه في (وينترفل)، يَعرُج مارًّا بالملوك الحجريِّين على عروشهم، فتدور عيونهم الجرانيت الرَّماديَّة لتتبعه، وتنضغط أصابعهم الجرانيت الرَّماديَّة على مقابض سيوفهم الصَّدئة المستقرَّة على سيقانهم، وبأصواتٍ جرانيتيَّة ثقيلة يسمعهم يُتَمتِمون: أنت لست ابن ستارك، لا مكان لك ها هنا، ارحل. يتوغَّل أكثر في الظُّلمة مناديًا: «أبي؟ بران؟ ريكون؟»، وما من مجيب. يحسُّ بريح باردة تهبُّ على عُنقه، ويُنادي: «عمِّي؟ عمِّي بنچن؟ أبي؟ أرجوك يا أبي، سَاعِدني». يسمع طبولًا تدقُّ بالأعلى، فيقول لنفسه: إنهم يحتفلون في القاعة الكبرى، لكن لا أحد يُرَحِّب بي هناك. لستُ من آل ستارك، وليس هذا مكاني. ينزلق عُكَّازه ويَسقُط على رُكبتيه، وتبدأ حَلكة السَّراديب تشتدُّ. ثمَّة ضوء انطفأ في مكانٍ ما. يهمس: «إيجريت؟ سامحيني أرجوكِ»، ولا يرى إلَّا ذئبًا رهيبًا رماديًّا يبدو كشبحٍ تُلَطِّخه الدِّماء وتلتمع عيناه الذَّهبيَّتان بحُزنٍ في الظَّلام...

كانت الحُجيرة مظلمةً والفِراش صُلبًا من تحته، فِراشه في حُجيرة الوكيل تحت مسكن الدُّب العجوز، والحَق أنه كان يُفترَض أن يجعله يرى أحلامًا أحلى. على الرغم من أغطيته الثَّقيلة شعرَ بالبرد. قبل الحملة كان جوست يُقاسِمه حُجيرته ويُدفِئها في برودة اللَّيل، وفي الخلاء تعوَّدت إيجريت أن تنام ملتصقةً به. وكلاهما رحلَ. جُثمان إيجريت أحرقَه بنفسه وقد علمَ أنها كانت لتُريد هذا، أمَّا جوست... أين أنت؟ هل ماتَ أيضًا؟ أهذا مغزى الحُلم والذِّئب الدَّامي في السَّراديب؟ لكن الذِّئب الذي رآه في الحُلم كان رماديًّا لا أبيض. رماديًّا كذئب بران. هل طاردَه الثِّنيون وقتَلوه بَعد تلك اللَّيلة اللَّيلاء

عند (تاج الملكة)؟ إذا كان هذا ما حدثَ حقًّا فقد ضاعَ منه بران بلا رجعة.
كان چون يُحاول استيعاب كلِّ هذا عندما دوَّى النَّفير.
فكَّر لحظةً والنَّوم لا يزال يُشَوِّش عقله: بوق الشِّتاء... لكن مانس لم يَعثُر على بوق چورامون، فلا يُمكن أن يكون هو. تردَّدت دفقة ثانية بطول وعُمق الأولى، وعلمَ چون أن عليه أن ينهض ويذهب إلى (الجدار)، ولكم وجدَ هذا صعبًا...
أزاحَ أغطيته الفرو واعتدلَ جالسًا، وأحسَّ بالألم في ساقه أخفَّ، ليس بالشَّيء الأقوى من احتماله. كان قد نامَ مرتديًا سراويله وسُترته وثيابه الدَّاخليَّة طلبًا للمزيد من الدِّفء، وما عليه إلَّا أن ينتعل حذاءه، ويرتدي الجلد المقوَّى وقميص الحلقات المعدنيَّة والمعطف. مرَّةً أخرى دوَّى النَّفير بدفقتين طويلتين، فعلَّق (المخلب الطَّويل) وراء كتفه والتقطَ عُكَّازه، ثم نزلَ الدَّرجات حاجلًا.
في الخارج كان الظَّلام مدلهمًّا والبرد يَنخُر العظام والسَّماء ملبَّدةً بالغيوم، وشاهدَ چون إخوته يتدفَّقون من الأبراج والحصون وهُم يربطون أحزمتهم ويتَّجهون صوب (الجدار)، وبحثَ عن پيپ وجرن بعينيه لكنه لم يجدهما. ربما يكون أحدهما الحارس الذي يَنفُخ في البوقَ. فكَّر: إنه مانس، لقد أتى أخيرًا. وهذا جيِّد حقًّا. سنخوض معركةً ثم نستريح، أحياء أو موتى سنستريح.
لم يتبقَّ حيث كانت السَّلالم إلَّا كومة ضخمة من الأخشاب المتفحِّمة والجليد المكسور أسفل (الجدار). الآن تحملهم الرَّافعة إلى القمَّة، لكن القفص لا يتَّسع لأكثر من عشرةٍ في المرَّة، وكان في طريقه إلى أعلى بالفعل حين وصلَ چون، وعليه أن ينتظر نزوله من جديد. انتظرَ آخَرون معه، منهم ساتان ومولي وذو النَّعل الواحد وكِجز، بالإضافة إلى هارث الكبير بشَعره الأشقر وأسنانه البارزة، والذي يدعوه الجميع بالجواد. كان عامل اصطبل في (بلدة المناجذ)، وهو واحد من أهل القرية القلائل الذين بقوا في (القلعة السَّوداء)، على حين عادَ البقيَّة إلى حقولهم وأكواخهم أو أسرَّتهم في الماخور تحت الأرض، لكن الجواد -ذلك الأحمق الكبير بارز الأسنان- أرادَ ارتداء الأسود، وبقيَت أيضًا زاي العاهرة التي أبدَت مهارةً بالغةً في استخدام النُّشَّابيَّة، كما احتفظَ نوي بثلاثة أيتام ماتَ أبوهم على السَّلالم. إنهم صغار -في التَّاسعة والثَّامنة والخامسة من العُمر- لكن لا أحدَ غيره أرادَهم.

بينما انتظروا عودة القفص من أعلى أحضرَ لهم كلايداس أكوابًا من النَّبيذ المتبَّلِ السَّاخن، ووزَّع هوب ذو الثَّلاثة أصابع عليهم قِطعًا من الخُبز الأسمر، وتناولَ چون منه واحدةً والتهمَها.

سألَ ساتان بتوتُّر: «أهو مانس رايدر؟».

- «هذا ما نأمله». في الظَّلام ثمَّة أشياء أسوأ من الهَمج، وتذكَّر چون ما قاله الملك الهمجي على قمَّة (قبضة البَشر الأوائل) وهُم واقفون وسط الثُّلوج الملوَّثة بالوردي: حين يأتي الموتى السَّائرون لا تكون للأسوار والخوازيق والسُّيوف جدوى. لا يُمكنك أن تُقاتِل الموتى يا چون سنو. لا أحد يعرف هذا بقَدر ما أعرفه. مجرَّد التَّفكير في هذا جعلَ الرِّيح تبدو أكثر برودةً.

أخيرًا نزلَ القفص يُصَلصِل ويتأرجَح من طرف السِّلسلة الطَّويلة، واحتشدوا في داخله صامتين وأغلَقوا الباب. شَدَّ مولي حبل الجرس ثلاث مرَّات، وبَعد لحظةٍ بدأوا يرتفعون مرتجِّين بشدَّةٍ أولًا ثم بنعومةٍ أكثر، ولم يتكلَّم أحد.

على القمَّة دارَ القفص إلى الجانب وخرجوا واحدًا تلو الآخَر، وساعدَ الجواد چون على النُّزول إلى الجليد، فضربَه البرد في أسنانه كأنه قبضة مضمومة.

بطول قمَّة (الجدار) اتَّقد صَفٌّ من المشاعل في سلالٍ من الحديد على أعمدةٍ أطول من قامة أيِّ رجل، وأخذَ سكِّين الرِّيح البارد يَنخُس اللَّهب ويُدَوِّره، فما انفكَّ الضَّوء البرتقالي الوهَّاج يتراقَص. في كلِّ مكانٍ ارتصَّت حُزم سهام الأقواس والنُّشَّابيَّات والحِراب وقذائف العرَّادات، وكُوِّمَت الصُّخور حتى ارتفاع عشرة أقدام، وإلى جوارها براميل القار وزيت المصابيح الخشبيَّة الكبيرة. الحقيقة أن باون مارش تركَ للقلعة مخزونًا وافرًا من كلِّ شيءٍ باستثناء الرِّجال.

كانت الرِّيح تمضغ المعاطف السَّوداء على أكتاف الفزَّاعات المصفوفة بطول الحاجز وفي أيديها الحِراب، وقال چون لدونال نوي لمَّا وقفَ إلى جواره: «أتمنَّى ألَّا يكون أحدها هو مَن نفخَ في البوق».

سألَه نوي وأنفاسه تتجلَّد في الهواء، إذ تَخرُج من أنفه المفلطح العريض: «هل سمعت هذا؟».

ترامَت إلى مسامعه أصوات الرِّيح والخيول... وشيئًا آخَر. قال: «ماموث، صوت ماموث».

كان شمال (الجدار) بحرًا من الظَّلام يمتدُّ إلى ما لا نهاية، لكن چون ميَّز الوهج الأحمر الخافت المنبعث من النِّيران البعيدة التي تتحرَّك في الغابة. إنه مانس لا محالة، فـ(الآخرون) لا يُوقِدون المشاعل.

سألَ الجواد: «كيف نُقاتِلهم إذا كنا لا نراهم؟».

التفتَ دونال نوي إلى المِقذافيْن العظيميْن اللذين أعادَ باون مارش تشغيلهما، وصاحَ: «أشعِلوا لي ضوءًا!».

وُضِعَ برميل من القار بسُرعةٍ على كفَّة كلِّ مِقذاف وأوقدَه رجل بمشعل، وأجَّجت الرِّيح اللَّهب حتى أصبحَ سعيرًا أحمر غاضبًا، فهدرَ نوي: «الآن!»، واندفعَ ثِقل الموازَنة في كلا المِقذافيْن إلى أسفل، وارتفعَت ذراعا الإلقاء لترتطما بصوتٍ مكتوم بالقضيبيْن المستعرضيْن المغلَّفين بالأقمشة الثَّقيلة. هوى القار المشتعل في الظَّلام ملقيًا ضوءًا متذبذبًا غريبًا على الأرض في الأسفل، ولمحَ چون الماموثات التي تتحرَّك بتثاقُلٍ في الضَّوء الخافت قبل أن يُغَلِّفها السَّواد مجدَّدًا. دستة، وربما أكثر. ارتطمَ البرميلان بالأرض وانفجرا، وسمعوا صريخًا جهيرًا عميقًا، وهدرَ عملاق بشيءٍ ما باللُّغة القديمة، صوته رعد عتيق جعلَ جِلد چون يقشعرُّ.

صاحَ نوي: «مرَّة أخرى!»، وحُمِّلَ برميلان آخَران على المِقذافيْن وهويا في الظَّلام بقارهما المشتعل لينفجرا وسط الأعداء، وهذه المرَّة ضربَ أحدهما شجرةً ميتةً فاكتنفَها اللَّهب.

ورأى چون. ليست دستةً من الماموثات، بل مئة. خطا إلى حافة الجُرف قائلًا لنفسه: حذارِ، إنها سقطة طويلة.

نفخَ آلن الأحمر في بوق الحراسة ثانيةً، **آآآآآهووووووووووووووووووووووووووو! آآآآآهوووووووووووووووووووووو!** وبدأ الهَمج يُجيبون، ليس ببوقٍ واحدٍ وإنما بدستةٍ دُفعةً واحدةً، وبالطُّبول والمزامير أيضًا، فبدا كأنهم يُعلِنون: ها قد أتينا، أتينا لنُقَوِّض جِداركم، لنستولي على أراضيكم ونختطف بناتكم. عوَت الرِّيح وصَرَّ المِقذافان وطارَت البراميل، ووراء العمالة والماموثات رأى چون رجالًا يتقدَّمون نحو (الجدار) بالأقواس والفؤوس. أهُم عشرون أم عشرون ألفًا؟ في الظُّلمة لا سبيلَ للتَّمييز. هذه معركة عميان، لكن عميان مانس يفوقوننا عددًا بالآلاف.

صاحَ پيپ: «البوَّابة! إنهم عند البوَّابة!».

(الجِدار) أضخم من أن يُقتحَم بالأساليب التَّقليديَّة، فهو عالٍ للغاية على السَّلالم وأبراج الحصار، وأغلظ من أن يُضرَب بالمدكَّات، وما من منجنيق يُمكن أن يرميه بحجرٍ كبيرٍ بما يكفي لاختراقه، وإذا حاولت أن تُضرِم فيه النَّار سيُطفِئ الجليد الذَّائب اللَّهب. يُمكنك أن تتسلَّقه كما فعلَ الهجَّانة بالقرب من (الحارس الرَّمادي)، ولكن بشرط أن تتمتَّع بالقوَّة واللِّياقة والثَّبات، ومع ذلك فيجوز أن ينتهي بِك الأمر وأنت مخوزَق على شجرةٍ مِثل چارل. يجب أن يقتحموا البوَّابة وإلَّا فلن يستطيعوا المرور.

لكن وراء البوَّابة نفق يتمعَّج عبر الجليد، أصغر من أيِّ بوابة قلعةٍ في (الممالك السَّبع) بأسرها، وضيِّق لدرجة أن الجوَّالة يضطرُّون لقيادة أحصنتهم خلاله في طابورٍ فردي، وهناك ثلاث شباك حديديَّة تُغلِق الممرَّ الدَّاخلي، كلٌّ منها موصَدة ومسلسلَة ومحميَّة بكوَّة دفاع، والباب الخارجي من البلُّوط القديم الذي يَبلُغ البوصات التِّسع سُمكًا ومدعَّم بالحديد، وليس من السَّهل اختراقه أبدًا. لكن مانس معه ماموثات وعمالقة أيضًا.

قال نوي: «لا بُدَّ أن البرد شديد في الأسفل. ما رأيكم أن نُدفِئهم يا أولاد؟».

كانت دستة من جِرار زيت المصابيح مصفوفةً على الحاجز، فجرى پيپ مارًّا عليها بمشعل، وتبعَه أوين الجحش دافعًا إياها من على الحافة واحدةً تلو الأخرى، ودارَت ألسنة من النَّار الصَّفراء الشَّاحبة حول الجِرار وهي تندفع إلى أسفل، ولمَّا سقطَ آخِرها ركلَ جرِن الأسافين التي تُثبِّت برميلًا من القار ليَسقُط بدوره دائرًا في الهواء، وسرعان ما استحالَت الأصوات في الأسفل إلى زعيقٍ وصريخ تناهيا إلى مسامعهم على القمَّة كأعذب الألحان.

لكن الطُّبول ظلَّت تدقُّ، وارتعدَ المقذافان ملقيَيْن البراميل، وتصاعدَ صوت القِرب من جوف اللَّيل كغناء طيورٍ جارحة غريبة، وشرعَ السِّپتون سلادور يُغنِّي أيضًا بصوتٍ راجفٍ ثقيل من فرط ما شربَ.

لكِ نصلي،
أيتها الأمُّ العَطوف، يا ينبوعَ الحِلم
أنقذي أبناءنا من هذي الحرب



ثبِّتي السيوفَ واحفظي الأسهُم
ودعيهم يشهدون...

قاطعَه دونال نوي بصوتٍ جهوري: «كلُّ مَن لا يحمل سلاحًا سأدفعه من فوق هذا الجِدار... بدايةً بك أيها السِّبتون. الرُّماة! أين الرُّماة الملاعين؟!».

قال ساتان: «هنا».

وقال مولي: «وهنا، لكن كيف أعثرُ على هدف؟ كلُّ شيءٍ أسود كأحشاء الخنزير. أين هُم؟».

أشارَ نوي إلى الشَّمال مجيبًا: «أطلِق سهامك وربما تُصيب بعضهم، على الأقل ستُخيفهم»، وتطلَّع إلى حلقة الوجوه المضاءة بالنَّار مضيفًا: «أريدُ قوسين وحربتين لمساعَدتي على الدِّفاع عن النَّفق إذا اقتحموا البوَّابة»، فتقدَّم أكثر من عشرةٍ انتقى منهم الحدَّاد الأربعة الذين يُريدهم، وقال: «چون، (الجِدار) تحت قيادتك إلى أن أعود».

مرَّت لحظة وچون يحسب أنه أخطأ السَّمع، فما بلغَ أُذنيه أن دونال نوي تركَ القيادة له. غمغمَ: «سيِّدي؟».

- «سيِّدك؟ أنا حدَّاد. قلتُ إن (الجدار) تحت قيادتك».

أرادَ چون أن يقول له: ثمَّة رجالٌ أكبر مني وأفضل. أنا ما زلتُ أخضر كالعُشب في الصَّيف، ثم إنني جريح، ومتَّهم بالتَّهرُّب من الخدمة، لكن فاه صارَ جافًّا كالعظام، ولم يستطِع إلَّا أن يقول: «نعم».

فيما بَعد سيبدو لچون سنو أن تلك اللَّيلة برُمَّتها كانت حُلمًا. جنبًا إلى جنب الجنود القَش، بالأقواس الطَّويلة والنُّشَّابيَّات التي تقبض عليها الأيادي شِبه المتجمِّدة، أطلقَ رُماته آلاف السِّهام على خصومٍ لا يُبصِرونهم، وبين الحين والآخَر يأتي سهم من الهَمج مجيبًا. أرسلَ رجالًا إلى المجانيق الصَّغيرة ملأوا الهواء بصخورٍ محزَّزة بحجم قبضة عملاق، لكن الظُّلمة ابتلعَتها كما يبتلع المرء حفنةً من المكسَّرات، وتعالى نهيم الماموثات في العتمة ومعه أصوات غريبة تُنادي بلُغاتٍ غريبة، وبأعلى صوته الذي أثقلَه السُّكر صلَّى السِّبتون سلادور مستجديًا طلوع الفَجر، لدرجة أن چون أحسَّ بالرَّغبة في أن يدفعه من فوق الحافة بنفسه. سمعوا ماموثًا يموت عند أقدامهم ورأوا ثانيًا يندفع في

الغابة محترقًا، يدعس الأشجار والرِّجال بلا تفرقة، وهبَّت الرِّيح ببرودةٍ أشد وأشد. صعدَ إليهم هوب بأكوابٍ من مرق البصل، وقدَّمها أوين وكلايداس للرُّماة في أماكنهم ليتجرَّعوها بينَ رميةٍ وأخرى، وقد أخذَت زاي مكانًا بينهم حاملةً نُشَّابيَّتها. ساعات من الرَّجفات والصَّدمات المتكرِّرة خلخلَت شيئًا ما في تركيب المِقذاف الأيمن، فانخلعَ ثِقل موازَنته وسقطَ فجأةً بشكلٍ فاجع، والتوَت ذراع الإلقاء إلى الجانب بصوتٍ يصمُّ الآذان، أمَّا المِقذاف الأيسر فظَلَّ يرمي، لكن الهَمج تعلَّموا سريعًا أن يتحاشوا البُقعة التي تَسقُط فيها المقذوفات.

المفترَض أن يكون لدينا عشرون مقذافًا لا اثنان فقط، وأن تكون مركَّبةً على مِزلجاتٍ ومحاور كي نستطيع تدويرها. لكنها فكرة عقيمة، كأنه يتمنَّى أن ينضمَّ إليهم ألف من الرِّجال، وربما تنِّين أو ثلاثة.

لم يرجع دونال نوي أو أيٌّ من الرِّجال الذين ذهبوا معه للدِّفاع عن النَّفق البارد المظلم، وكلما شعرَ چون بقواه تخور قال لنفسه في قرارتها مذكِّرًا: (الجِدار) تحت قِيادتي. كان قد التقطَ قوسًا طويلًا بدوره، والآن يحسُّ بأصابعه خرقاء يابسةً شِبه متجمِّدة، كما عادَت الحُمَّى تُهاجمه، وبين الفينة والفينة ترتجف ساقه بشدَّةٍ بلا سيطرةٍ منه وتطعن كيانه كلَّه بسكِّينٍ حارقٍ كالحُمم. لنفسه قال عشرات المرَّات: سهم آخَر ثم أستريحُ، سهم آخَر فحسب، لكن كلما فرغَت كنانته جلبَ له أحد المناجذ الأيتام أخرى مليئةً، فيقول لنفسه: كنانة أخرى ثم أستريحُ. إنه الهزيع الأخير من اللَّيل، وليس الفَجر ببعيد.

وحين انبلجَ الصُّبح لم يُدرِك أحد منهم في البداية. كان العالم لا يزال مظلمًا، لكن الأسود استحالَ إلى رماديٍّ وبدأت أشكال الموجودات تَبرُز بغموضٍ من العتمة. خفضَ چون قوسه ليُحَدِّق إلى كُتلة السَّحاب القاتم الذي يكسو سماء الشَّرق، ورأى وهجًا وراءه، ولكن ربما كان يتوهَّمه لا أكثر. هكذا ثبَّت سهمًا آخر إلى قوسه.

ثم اخترقَت الشَّمس المشرقة السُّحب برماح من الضَّوء الشَّاحب منيرةً أرض المعركة، ووجدَ چون نفسه يحبس أنفاسه إذ تطلَّع إلى مساحة نِصف الميل من الأرض الخالية بين (الجِدار) وحافة الغابة، التي أحالوها

في غضون نِصف ليلةٍ إلى يباب من الكلأ المتفحِّم والقار الفائر والحجارة المحطَّمة والجُثث. كانت جثَّةُ الماموث الميت قد بدأت تجتذب الغِربان بالفعل، وعلى الأرض رأى عمالقةً قتلى كذلك، لكن وراءهم...

إلى يساره أطلقَ أحدهم أنينًا، وسمعَ السِّپتون سلادور يقول: «رُحماكِ يا أمَّنا، أوه، أوه، أوه، أوه، رُحماكِ يا أمَّنا».

تحت الأشجار كان هَمج العالم كافَّة؛ مُغيرون وعمالقة، أوْراج ومبدِّلو جِلدة، سُكَّان الجبال وبحَّارة البحر المالح، آكلو لحوم البَشر قاطنو الأنهار الجَليديَّة وأهل الكهوف بوجوههم المصبوغة، عربات تجرُّها الكلاب من (السَّاحل المتجمِّد) وذوو الحوافر بأقدامهم الغليظة كالجلد المقوَّى، جميع الأقوام الأغراب الذين حشدَهم مانس لهزيمة (الجِدار). أرادَ چون أن يصيح فيهم: هذه ليست أرضكم، لا مكان لكم هنا، ارحلوا، وبأذن خياله سمعَ تورموند بليَّة العماليق يُجيب ضاحكًا وإيجريت تقول: «لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو». ثنى يد سيفه وبسطَها مع أنه يعلم تمام العلم أن السُّيوف لن تلعب دورًا في هذه المعركة.

كان محمومًا ويرتعش بردًا، وفجأةً فاقَ وزن قوسه الطَّويل احتماله. أدركَ أن المعركة مع الماجنَر لم تكن شيئًا، وأن كلَّ القتال الذي دارَ ليلًا أقلُّ من لا شيء، مجرَّد وخزة، طعنة في الظَّلام في محاولةٍ لمداهَمتهم وهُم غير متأهِّبين. الآن فقط تبدأ المعركة الحقيقيَّة.

قال ساتان: «لم أعرف قَطُّ أنهم بهذه الكثرة».

لكن چون كان يعلم. لقد رآهم من قبل، وإن لم يكن هكذا على الإطلاق، ليس وهُم مصطفُّون في تشكيل المعركة. خلال الزَّحف امتدَّ طابور الهَمج فراسخ عديدةً كدودةٍ هائلة الطُّول، إلَّا أنه لم يرَهم جميعًا في آنٍ واحد، أمَّا الآن...

قال أحدهم بصوتٍ مبحوح: «ها هُم قادمون».

رأى الماموثات تتوسَّط صفوف الهَمج، مئة أو أكثر يمتطيها عمالقة حاملين الهراوات والفؤوس الحجريَّة الضَّخمة، وإلى جوارها يمشي المزيد من العمالقة بخُطواتهم الثَّقيلة دافعين جذع شجرةٍ على عجلاتٍ خشبيَّة كبيرة، طرفه مدبَّب مشحوذ. قال لنفسه بكآبة: مدكٌ. إذا كانت البوَّابة لا تزال قائمةً في الأسفل فقُبلات معدودة من هذا الشَّيء كفيلة بتحويلها إلى شظايا. على

جانبَيْ العمالقة جاءَت موجة من الخيَّالة الذين يرتدون الجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي ويحملون الرِّماح المقوَّاة بالنَّار، وجمهرة من الرُّماة الرَّاكضين، ومئات من المُشاة حاملي الحِراب والمقاليع والهراوات والتُّروس الجِلد، فيما تقدَّمت عربات (السَّاحل المتجمِّد) العظميَّة على الجانبين متقافزةً فوق الصُّخور والجذور وراء فِرقٍ من الكلاب البيضاء الضَّخمة. غضبة البراري، فكَّر چون وهو يُنصِت إلى صُداح القِرب ونباح الكلاب وزمجرتها ونهيم الماموثات وصفير الأحرار وصراخهم وهدير العمالقة باللُّغة القديمة وصدى الطُّبول على الجليد كأنه الرَّعد.

وأحسَّ چون باليأس يعتمل في أنفُس كلٍّ من حوله، وسمعَ ساتان يُوَلوِل: «لا بُدَّ أنهم مئة ألف. كيف نصدُّ هذه الأعداد؟».

سمعَ چون نفسه يقول: «(الجِدار) سيصدُّهم»، والتفتَ وبصوتٍ أعلى كرَّر: «(الجِدار) سيصدُّهم، (الجِدار) يُدافع عن نفسه!». كلمات جوفاء، وإنما عليه أن يقولها بقَدر حاجة إخوته إلى سماعها. «مانس يُريد أن يُفزِعنا بأعداده. هل يحسبنا أغبياء؟». كان يصيح الآن وقد نسيَ ساقه، وكلُّ رجلٍ يُصغي. «العربات والخيَّالة وكلُّ هؤلاء المُشاة الحمقى... ماذا سيفعلونَ بنا ونحن هنا على القمَّة؟ هل رأى أحدكم ماموثًا يتسلَّق جِدارًا من قبل؟»، وضحكَ فضحكَ معه پيپ وأوين ونِصف دستةٍ من الآخَرين. «إنهم لا شيء، أقلُّ جدوى من إخوتنا القَش، لا يستطيعون الوصول إلينا، لا يستطيعون مسَّنا بأذى، ولا يُخيفوننا. هل يُخيفوننا؟».

صاحَ جرِن: «لا!».

واصلَ چون: «هُم عند السَّفح ونحن على القمَّة، وما دُمنا نُدافع عن البوَّابة فلا يُمكنهم المرور، لا يُمكنهم المرور!». في هذه اللَّحظة كانوا يهتفون جميعًا، يردُّون عليه بكلماته بصوتٍ هادر، يُلوِّحون بالأقواس والسُّيوف الطَّويلة في الهواء، وقد تورَّدت وجوههم. رأى چون كِجز واقفًا ببوقٍ حربيٍّ يتدلَّى من ذراعه، فقال له: «أخي، أطلِق نفير المعركة».

مبتسمًا، رفعَ كِجز البوق إلى شفتيه وأطلقَ دفقتين طويلتين تعنيان الهَمج، وانضمَّت إليه أبواق أخرى دوَّت ودوَّت إلى أن بدا (الجِدار) نفسه كأنه يرتجف، وأغرقَ صوت الأنين العظيم العميق كلَّ ما عداه من أصوات.

ولمَّا خبَت الأبواق قال جون: «أيها الرُّماة، ستُصَوِّبون سهامكم إلى العمالقة والمِدك، جميعكم بلا استثناء. أطلِقوا عندما ألقي الأمر وليس قبلها. العمالقة والمِدك. أريدُ أن تنهمر عليهم السِّهام بلا انقطاع، لكننا سننتظر إلى أن يَدخُلوا مرماها. كلُّ مَن يُبَدِّد سهمًا سينزل ويستعيده، هل تسمعون؟؟».

صاحَ أوين الجحش: «أسمعك، أسمعك يا لورد سنو».

وضحكَ جون، ضحكَ كالسَّكارى، ضحكَ كالمجانين، ومعه ضحكَ رجاله.

رأى أن العربات والخيَّالة المنطلقين على الجانبين قد سبقوا قلب جيش الأعداء بمسافةٍ كبيرة الآن، ولم يكن الهَمج قد قطعوا ثُلث مسافة نِصف الميل بعدُ لكن الفوضى بدأت تعمُّ صفوفهم بالفعل. قال: «حمِّلوا المِقذاف بأرجُل الغِربان. أوين، كِجز، وجِّها المجانيق نحو القلب. أريدُ تلقيم العرَّادات بالحِراب النَّارية وإطلاقها عندما أعطي الأمر»، وأشارَ إلى صِبية (بلدة المناجذ) الثَّلاثة قائلًا: «أنت وأنت وأنت، استعدُّوا بالمشاعل».

أطلقَ رُماة الهَمج سهامهم وهُم يتقدَّمون بالنَّمط نفسه؛ يندفعون إلى الأمام ويتوقَّفون ويُطلِقون ثم يجرون عشر ياردات أخرى. عددهم كبير جدًّا لدرجة أن الهواء امتلأ بالسِّهام باستمرار، لكن أيًّا منها لم يُصِب هدفه، ومع المنظر البائس فكَّر جون: خسارة، افتقارهم إلى الانضباط بادٍ للغاية. أقواس شعب الأحرار المصنوعة من الأخشاب وقرون الحيوانات مداها أقصر كثيرًا من أقواس حَرس اللَّيل الطَّويلة المصنوعة من خشب الطُّقسوس الممتاز، والهَمج يُحاوِلون إرداء رجالٍ يعلونهم بسبعمئة قدم. قال جون: «دعوهم يُطلِقون، انتظروا، تمهَّلوا». كانت معاطفهم تخفق وراءهم، فأضافَ: «الرِّيح في وجوهنا وستُكلِّفنا المدى، انتظروا». اقتربوا، اقتربوا.

ناحَت القِرب ورعدَت الطُّبول وارتعشَت سهام الهَمج في الهواء وسقطَت.

صاحَ جون: «اسحب»، ورفعَ قوسه وسحبَ السَّهم إلى أذنه، وحذا ساتان حذوه، وجرن وأوين الجحش وذو النَّعل الواحد وچاك بولوار الأسود وأرون وإمريك، وثبَّتت زاي نُشَّابيَّتها إلى كتفها. كان چون يُراقِب المِدك يتقدَّم ويتقدَّم وعلى جانبيه الماموثات والعمالقة، حجمهم متناهي الصِّغر حتى إنه كان ليسحقهم بكَفِّه بضربةٍ واحدة. لو أن يدي كبيرة كفايةً. على أرض المقتلة

تقدَّموا، وحلَّق مئة غُراب من على جثَّة الماموث إذ دبدبَ الهَمج على جانبيها يدقُّون الأرض، واقتربوا، واقتربوا، إلى أن...

- «أطلِق!».

فحَّت السِّهام في طريقها إلى أسفل كثعابين بأجنحةٍ من ريش، ولم ينتظر چون أن يرى ما أصابَته، بل مَدَّ يده إلى سهم ثانٍ بمجرَّد أن أطلقَ الأول، و«ثبِّت، اسحب، أطلِق». فور أن حلَّق السَّهم وجَدَ غيره، و«ثبِّت، اسحب، أطلِق»، مرَّةً ومرَّةً ومرَّةً. زعقَ آمرًا المِقذاف بالإطلاق، وسمعَ الصَّرير والارتطام الثَّقيل المكتوم إذ شقَّت عشرات من أرجُل الغِربان الفولاذيَّة الهواء. صاحَ: «المجانيق، العرَّادات، الرُّماة، أطلِقوا بلا حساب». الآن كانت سهام الهَمج تُصيب (الجِدار) أسفلهم بمئة قدم، وترنَّح عملاق ثانٍ وسقطَ. ثبِّت، اسحب، أطلِق، وارتطمَ ماموث بآخَر إلى جواره فهوى عملاقاهما على الأرض. ثبِّت، اسحب، أطلِق، ورأى چون المِدك وقد انتهى أمره والعمالقة الذين دفعوه موتى أو يموتون. صاحَ: «السِّهام النَّاريَّة، أريدُ أن يحترق هذا المِدك عن آخِره». اختلطَ صراخ الماموثات الجريحة وصياح العمالقة الجهوري بالطَّبل والمزامير صانعًا موسيقى شنيعةً، غير أن رُماته ظلُّوا يسحبون ويُطلِقون كأن الصَّمم أصابَهم كأخيهم الرَّاحل ديك فولارد. ربما يكونون كُناسة الكُناسة، لكنهم ما زالوا رجالًا في حَرس اللَّيل أو أدنى شيءٍ إلى هذا، فلا فرق. ولذا لن يمرَّ الهَمج.

كان أحد الماموثات يعدو بهياج ساحقًا الهَمج بجذعه وداعسًا الرُّماة بأقدامه، فعادَ چون يلتقط قوسه وأطلقَ سهمًا جديدًا على ظَهر الدَّابَّة الأشعث ليدفعها إلى العدو أكثر. إلى الشَّرق والغرب بلغَ جناحا جيش الهَمج (الجِدار) بلا مقاوَمة، تتقدَّم العربات أو تدور بينما يتحرَّك الخيَّالة بلا نظامٍ أو هدفٍ تحت جُرف الجليد الشَّاهق.

ارتفعَت عقيرة أحدهم -ذي النَّعل الواحد ربما- بصيحة: «عند البوَّابة! ماموث عند البوَّابة!».

هتفَ چون: «النَّار. جرن، پيپ».

ألقى جرن قوسه ودفعَ برميلًا من الزَّيت على جانبه ودحرجَه إلى حافة (الجِدار)، حيث ضربَ پيپ سِدادته وحشا مكانها قطعةً من القماش وأوقدَها

بمشعل، ومعًا دفعَ الاثنان البرميل إلى الخارج، وتحتهم بمئة قدم ارتطمَ البرميل بـ(الجِدار) وانفجرَ مالئًا الهواء بالشَّظايا والزَّيت المشتعل. في تلك الأثناء كان جِرن يُدَحرِج برميلًا ثانيًا إلى الحافة وكِجز برميلًا ثالثًا، وأشعلَ پيپ الاثنين، على حين صاحَ ساتان: «أصبته!» وهو يطلُّ برأسه بعيدًا من فوق الحافة لدرجة أن چون كان واثقًا بأنه سيَسقُط من حالق. ظَلَّ ساتان يصيح: «أصبته! أصبته! أصبته!»، وسمعَ چون زئير النَّار، وبرزَ عملاق يتعثَّر ويتدحرَج على الأرض محترقًا.

وفجأةً كانت الماموثات كلُّها تفرُّ، تجري من الدُّخان واللَّهب وترتطم بمن وراءها من فرط الخوف، وبدأ هؤلاء يلوذون بالفرار أيضًا، العمالقة ومن ورائهم الهَمج يُحاوِلون الابتعاد عن طريق الوحوش الفارَّة. في غمضة عينٍ انهارَ قلب الجيش بأكمله، ورأى الخيَّالة على الجناحين أنفسهم مهجورين من رفاقهم فقرَّروا الهرب بدورهم دون أن يُريق أحدهم قطرة دماءٍ واحدة، وحتى العربات راحَت تنسحب بَعد أن لم تفعل شيئًا إلَّا أن تبدو مخيفةً وتُصدِر الكثير من الضَّجَّة. قال چون سنو في أعماقه وهو يُشاهِدهم يتقهقرون متخبِّطين: عندما ينكسرون ينكسرون بشدَّة. حتى الطُّبول صمتَت. هل تُعجبك هذه الموسيقى يا مانس؟ هل يُعجِبك مذاق زوجة الدورني؟ سألَ إخوته: «ألدينا مصابون؟».

رَدَّ ذو النَّعل الواحد: «أولاد الزَّواني أصابوا ساقي»، وانتزعَ السَّهم ولوَّح به فوق رأسه مضيفًا: «السَّاق الخشبيَّة!».

ارتفعَ هتاف مبحوح، وجذبَت زاي أوين من يديه ودارَت به قبل أن تُلصِق شفتيها بشفتيه في قُبلةٍ مبتلَّةٍ طويلة أمام أعيُن الجميع. حاولَت أن تُقبِّل چون أيضًا، لكنه أمسكَها من كتفها ودفعَها برفقٍ وإنما بحزم قائلًا: «لا». ولَّى عهدي مع القُبل. أحسَّ بغتةً بإنهاكٍ يفوق قُدرته على الوقوف، وبساقه عذابًا ممضًّا من الرُّكبة إلى القَطَن، فمَدَّ يده إلى عُكَّازه قائلًا: «پيپ، ساعِدني على ركوب القفص. جِرن، (الجِدار) تحت قيادتك».

قال جِرن: «أنا؟!»، وقال پيپ: «هو؟!». كان صعبًا أن يُمَيِّز أيهما أكثر خوفًا، وتمتمَ جِرن متلعثمًا: «لكن... لكن ماذا أفعلُ إذا استأنفَ الهَمج الهجوم؟».

أجابَه: «أوقِفهم».

لمَّا بدأ القفص رحلته إلى أسفل خلعَ پيپ خوذته ومسحَ جبينه قائلًا: «عَرق متجمِّد. أهناك شيء مقرف أكثر من العَرق المتجمِّد؟»، وضحكَ مواصلًا: «لا أظنُّ أني شعرتُ بمِثل هذا الجوع من قبل بحَقِّ الآلهة. أقسمُ أن بإمكاني أن ألتهم ثورًا كاملًا الآن. هل تظنُّ أن هوب سيطهو جرن لنا؟»، لكن ابتسامَته ماتَت حين رأى وجه چون، فتساءلَ: «ما الأمر؟ أهي ساقك؟».

وافقَه قائلًا: «ساقي». مجرَّد نُطق الكلمة كان مجهودًا شاقًّا.

- «لكن ليس المعركة؟ لقد ربحنا المعركة».

أجابَ عابسًا: «سَلني عندما نرى البوَّابة»، وقال لنفسه: أريدُ نارًا ووجبةً ساخنةً وسريرًا دافئًا وشيئًا يضع للألم في ساقي حدًّا. لكن عليه أولًا أن يتفقَّد النَّفق ويرى ما جرى مع دونال نوي.

بَعد معركتهم مع الثَّنِّيين استغرقوا نحو يوم في إخلاء البوَّابة الدَّاخليَّة من الجليد والعوارض المكسورة، وكان كِجز وپايت الأرقط وعدد من البنَّائين الآخَرين قد ألحُّوا بحماسةٍ على ترك الأنقاض في مكانها، وبذلك يضعون عائقًا آخَر في طريق مانس، ولكن كان معنى هذا التَّخلِّي عن الدِّفاع عن النَّفق، وهو ما رفضَه نوي تمامًا، وقال إن عددًا من الرِّجال في كُوَّات الدِّفاع بالإضافة إلى الرُّماة وحاملي الحِراب وراء كلِّ شبكةٍ داخليَّة يَكفُل لعددٍ قليل من الإخوة العازمين أن يردعوا عددًا يفوقهم مئة مرَّةٍ من الهَمج ويسدُّوا الطَّريق بجُثثهم. إنه لا ينوي أن يدع مانس رايدر يمرُّ من الجليد بسهولة، وهكذا بواسطة المعاول والمجارف والحبال أزاحوا السَّلالم المحطَّمة وفتحوا الطَّريق إلى البوَّابة.

انتظرَ چون عند القضبان الحديديَّة الباردة فيما ذهبَ پيپ إلى المِايستر إيمون ليجلب المفتاح الاحتياطي، ولدهشته أتى معه المِايستر وفي صُحبتهما كلايداس حاملًا مصباحًا، وقال العجوز لچون بينما حَلَّ پيپ السَّلاسل: «تعال إليَّ بَعد أن ننتهي. يجب أن أغيِّر ضمَّادتك وأضع كمَّادةً جديدةً، وعليك أن تشرب المزيد من نبيذ النَّوم من أجل الألم»، فأجابَه چون بإيماءةٍ ضعيفة.

انفتحَ الباب وقادَهم پيپ إلى الدَّاخل، يتبعه كلايداس ومصباحه، وبذلَ چون جهده كلَّه ليُجاري خُطوات المِايستر إيمون. أحسَّ بالجليد ينضغط عليهم وبالبرد ينفذ إلى عظامه وبثِقل (الجِدار) فوق رأسه، كأنه يمشي في

حُلقوم تنِّين جليدي. انعطفَ النَّفق مرَّةً ثم مرَّةً أخرى، وفتحَ پيپ الشَّبكة الحديديَّة الثَّانية، وقطعوا مسافةً أخرى وانعطفوا ثانيةً، ثم رأوا أمامهم ضوءًا خافتًا شاحبًا يتسرَّب عبر الجليد، وقد أدركَ چون معناه في الحال، وفكَّر: هذا سيِّئ، هذا سيِّئ للغاية.

ثم قال پيپ: «هناك دماء على الأرض».

العشرون قدمًا الأخيرة من النَّفق هي البُقعة التي قاتَلوا فيها وماتوا. كان الباب الخارجي البلُّوط المدعَّم بالحديد قد تلقَّى ما تلقَّاه من ضربات حطَّمته قبل أن يُنتزَع من مفصلاته، وزحفَ أحد العمالقة إلى الدَّاخل وسط الشَّظايا. غسلَ المصباح المشهد الرَّهيب بضوءٍ محمرٍّ قابض، والتفتَ پيپ جانبًا ليُفرِغ معدته، ووجدَ چون نفسه يحسد المايستر إيمون على عماه.

كان نوي ورجاله منتظرين داخل النَّفق، وراء شبكة من القضبان الحديد الثَّقيلة كالاثنتين اللتين فتحَهما پيپ، وقد أطلقَت النُّشَّابيَّتان نحو دستةٍ من السِّهام بينما تحرَّك العملاق صوبهم، ولا بُدَّ أن حاملَيْ الحربة قد تقدَّما إلى الأمام، وراحا يطعنان من بين القضبان، وعلى الرغم من هذا وجدَ العملاق القوَّة الكافية لأن يمدَّ يده ويقتلع رأس پايت الأرقط، ويقبض على الحديد وينتزع القضبان، وعلى الأرض تناثرَت حلقات السِّلسلة المحطَّمة. عملاق واحد، كلُّ هذا فعلَه عملاق واحد.

سألَ المايستر إيمون بخفوت: «كلُّهم موتى؟».

– «أجل. كان دونال آخِرهم». كان سيف نوي مغروسًا حتى منتصَف المقبض في حَلق العملاق، ولئن بدا الحدَّاد رجلًا كبيرًا لچون دومًا، فإنه يبدو الآن أقرب إلى طفلٍ بين ذراعَيْ العملاق الضَّخمتين. «العملاق حطَّم عموده الفقري. لا أدري مَن منهما ماتَ أولًا»، وتناولَ چون المصباح من كلايداس وتقدَّم ليُلقي نظرةً أفضل، ثم قال: «ماج». أنا آخِر العمالقة. استشعرَ ما في الأمر من حُزن، لكن لا وقت لديه للحُزن. «إنه ماج الجبَّار، ملك العمالقة».

شعرَ بحاجةٍ ماسَّة إلى الشَّمس. النَّفق شديد البرودة والظَّلام، ورائحة الدِّماء والموت خانقة. أعادَ چون المصباح إلى كلايداس، ودارَ حول الجُثث ودَسَّ جسده بين القضبان الملويَّة وتحرَّك صوب نور النَّهار ليرى ما يقع وراء الباب المحطَّم.

كانت جثَّة الماموث الضَّخمة تسدُّ الطَّريق جزئيًّا، واشتبكَ أحد نابَيْ الوحش بمعطفه ومزَّقه وهو يمرُّ، وفي الخارجِ وجدَ ثلاثة عمالقة آخرين منطرحين في الثَّلج، شِبه مدفونين تحت ما أُهيلَ عليهم من أعلى من حجارةٍ وشحم وقار تجمَّد. رأى البقاع التي أذابَت فيها النِّيران (الجدار) فهوَت ألواح الجليدَ الهائلة من الحرارة لتتحطَّم على الأرض المسودَّة، ونظرَ إلى حيث أتَت من أعلى قائلًا لنفسه: يبدو مهولًا حقًّا حين تقف هنا، كأنه على شفا أن يسحقك.

رجعَ چون إلى الدَّاخل حيث ينتظر الآخَرون، وقال لهم: «لا بُدَّ أن نُصلح البوَّابة الخارجيَّة قَدر المستطاع ثم نسدَّ هذا الجزء من النَّفق. سنستخدم الحُطام والجليد وأيَّ شيء، ونسدُّه حتى الشَّبكة الثَّانية إذا قدرنا. يجب أن يتولَّى السير وينتون القيادة بما أنه آخِر مَن لدينا من فُرسان، لكن عليه أن يتحرَّك حالًا، فلن يلبث العمالقة أن يعودوا. يجب أن نُخبره...».

قاطعَه المِايستر إيمون برفق: «أخبِره بما تشاء. سيبتسم ويُومئ برأسه وينسى. قبل ثلاثين عامًا دنا السير وينتون ستاوت من الفوز بمنصب حضرة القائد بدستةٍ من الأصوات، وكان ليُصبِح قائدًا ناجحًا، وقبل عشرة أعوام كان ليظلَّ يتحلَّى بالمقدرة، لكنه لم يَعُد قادرًا على شيء. إنك تعلم هذا كما كان نوي يعلمه يا چون».

ما قاله المِايستر صحيح، فرَدَّ عليه: «فلتُعطِ أنت الأمر إذن. لقد أمضيت حياتك كلَّها على (الجدار) وسيتبعك الرِّجال. يجب أن نُغلِق البوَّابة».

- «أنا مِايستر مسلسَل ومحلَّف. جماعتي تخدم ولا تقود يا چون، تُعطي النَّصائح لا الأوامر».

- «على أحدهم أن...».

- «أنت، عليك أنت أن تقود».

- «لا».

- «نعم يا چون. لست مضطرًّا لأن تفعلها طويلًا، فقط حتى ترجع الحامية. دونال اختارَك، وكورين ذو النِّصف يد من قبله، وحضرة القائد مورمونت جعلَك وكيله. أنت ابن (وينترفل)، ابن شقيق بنچن ستارك. إمَّا أنت وإمَّا لا أحد. (الجِدار) تحت قيادتك يا چون سنو».



آريا

كلما استيقظَت صباحًا أحسَّت بالفجوة التي في داخلها. ليس ما تَشعُر به جوعًا -مع أنه كذلك أحيانًا- وإنما خواء، فراغ في الموضع الذي كان قلبها يحتلُّه، قلبها الذي سكنَه إخوتها وأبواها. ثم إن رأسها يُؤلِمها أيضًا، ليس الألم الممضَّ الفظيع الذي لازمَها في البِداية، لكنه لا يزال شديدًا، وإن أصبحَ معتادًا الآن، وعلى الأقل بدأ الورم يتقلَّص... أمَّا الفجوة في أعماقها فتظلُّ كما هي، وحين تَخلُد آريا إلى النَّوم تقول لنفسها: الفجوة لن تنسدَّ أبدًا.

أحيانًا لا تجد لديها رغبةً في الاستيقاظ على الإطلاق، فتربض تحت معطفها وتُغلِق عينيها بشدَّةٍ وتُحاول أن تُجبِر نفسها على العودة إلى النَّوم. لو يدعها كلب الصَّيد وشأنها ستنام طيلة اللَّيلِ وطيلة النَّهار.

وتَحلُم. أفضل ما في النَّوم الأحلام. كلَّ ليلةٍ تقريبًا تَحلُم بالذِّئاب، بقطيعٍ عظيم تتزعَّمه هي. في الحُلم تكون أكبر منها جميعًا وأقوى وأرشق وأسرع، وبإمكانها أن تسبق الخيول وتغلب الأسود، وحين تُكَشِّر عن أنيابها يلوذ منها البَشر أنفسهم بالفرار. معدتها لا تبقى خاليةً طويلًا أبدًا، وفروها يُدفِئها حتى عندما تهبُّ الرِّيح الباردة، وإخوتها وأخواتها معها، أعدادهم كبيرة للغاية، وقوَّتهم وشراستهم هائلة للغاية، وجميعهم تحت إمرتها، وأبدًا لن يَهجُروها.

لكن إذا حفلَت لياليها بالذِّئاب فنهاراتها تنتمي إلى الكلب. كلَّ صباح يُرغِمها ساندور كليجاين على الاستيقاظ سواء أرغبَت أم لم ترغَب، يشتمها بصوته الأجش أو يسحبها لتقف رغم أنفها ويرجُّها، وفي مرَّةٍ سكبَ عليها ملء خوذةٍ من الماء البارد، فهبَّت من مضجعها باصقةً مرتعشةً وحاولَت أن تَركُله، إلَّا أنه ضحكَ وقال لها: «جفِّفي نفسكِ وأطعِمي الحصانين اللَّعينين»، ففعلَت.

إن معهما حصانين الآن، سترينچر وفَرس ذات لونٍ أسود ضارب إلى الحُمرة أطلقَت عليها آريا اسم كريفْن، لأن ساندور قال إنها جبانة وغالبًا فرَّت من (التَّوأمتين) مِثلهما. كانا قد وجداها تجول بلا راكبٍ في أحد الحقول في الصَّباح التَّالي للمجزرة، وهي فَرس لا بأس بها على الإطلاق، لكن آريا لا يُمكنها أن تحبَّ مخلوقًا جبانًا أبدًا. كان سترينچر لِيُقاتِل. وعلى الرغم من هذا اعتنَت بالفَرس بأفضل ما تستطيع، كما أن ركوبها أفضل من ركوب حصانٍ واحدٍ مع كلب الصَّيد. وربما تكون كريفْن الجبانة اسمًا على مسمًّى، لكنها صغيرة وقويَّة، وفكَّرت آريا أنها قد تسبق سترينچر إذا دعَت الحاجة.

لم يَعُد كلب الصَّيد يُراقِبها من كثبٍ كما اعتادَ أن يفعل، وفي بعض الأحيان يبدو أنه لا يكترث إن ظلَّت معه أو تركَته، كما لم يَعُد يُكَبِّل حركتها بمعطفٍ ليلًا. كثيرًا قالت لنفسها: ذات ليلةٍ سأقتله وهو نائم، لكنها لم تفعل قَطُّ، ومرارًا قالت لنفسها: ذات يوم سأهربُ على متن كريفْن ولن يلحق بي، وهذا أيضًا لم تفعله. وأين ستذهبُ؟ (وينترفل) احترقَت، وأخو جدِّها في (ريفررَن)، لكنه لا يعرفها وهي لا تعرفه. ربما تقبل الليدي سمولوود أن تنزل عندها في (بهو البلُّوط) وربما لا، كما أن آريا ليست واثقةً بقُدرتها على العثور على (بهو البلُّوط) ثانيةً أصلًا. أحيانًا تُفكِّر في العودة إلى خان شارنا إذا لم يكن الفيضان قد اكتسحَه. يُمكنها البقاء مع هوت پاي، ولربما يجدها اللورد بريك هناك. ستتعلَّم كيف تستخدم القوس من آنجاي، وتركب مع جندري وتصير خارجةً عن القانون كالظَّبية البيضاء ونِدا في الأغاني.

لكنها مجرَّد خواطر حمقاء كواحدٍ من أحلام سانزا. هوت پاي وجندري تركاها فور أن استطاعا، واللورد بريك والخارجون عن القانون لم يُريدوا إلَّا أن يقبضوا فديتها، تمامًا ككلب الصَّيد. لا أحد منهم أرادَ بقاءها معه. لم يكونوا قطيعي قَطُّ، حتى هوت پاي وجندري. كان غباءً مني أن أتوهَّم ذلك. إنني مجرَّد فتاة صغيرة بلهاء ولستُ ذئبةً على الإطلاق.

وهكذا ظلَّت مع كلب الصَّيد، فركبا كلَّ يوم دون أن يناما في المكان نفسه مرَّتين أبدًا، متحاشيَيْن البلدات والقُرى والقلاعَ قَدر الإمكان. في مرَّةٍ سألَت ساندور كليجاين عن وجهتهما، فأجابَها: «بعيدًا، هذا هو كلُّ ما عليكِ أن

تعرفيه. إنكِ لا تسوين بصقةً عندي الآن، ولستُ أريدُ سماع شكواكِ. ليتني تركتكِ تدخلين القلعة اللَّعينة».

قالت مفكِّرةً في أمِّها: «نعم، كان عليك أن تفعل».

- «ولو فعلتُ لمُتِّ. حريٌّ بكِ أن تَشكُريني، حريٌّ بكِ أن تُغَنِّي لي أغنيَّةً جميلةً كما فعلَت أختكِ».

- «هل ضربتها بفأسٍ أيضًا؟».

- «ضربتكِ بالجانبِ المسطَّح من الفأس أيتها الصَّغيرة الحقيرة الحمقاء. لو ضربتكِ بالنَّصل لكانت قِطع من رأسكِ تسبح في (الفرع الأخضر) الآن. أطبِقي فيكِ السَّخيف هذا. لو كنتُ عاقلًا لأعطيتكِ للأخوات الصَّامتات. إنهن يقطعن ألسنة الفتيات اللاتي لا يتوقَّفن عن الكلام».

لم يكن قوله عادلًا. باستثناء هذه المرَّة الوحيدة كانت آريا بالكاد تتكلَّم، وتمرُّ أيام كاملة دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة. الخواء في داخلها أقوى من قُدرتها على الكلام، وكلب الصَّيد يتحرَّق غضبًا. إنها تحسُّ بالحنق الذي يعتمل في نفسه وتراه على وجهه كلما التوى فمه وارتعشَ وكلما رماها بنظراته، ومتى التقطَ فأسه ليُقَطِّع القليل من الخشب من أجل النَّار تنتابه ثورة باردة، ويظلُّ ينهال بالضَّربات على جذع الشَّجرة أو الشُّجيرة الميتة أو الفرع المكسور، إلى أن يُصبِح لديهما حطب يفوق حاجتهما عشرين مرَّة. أحيانًا يكون شديد الإرهاق بَعدها لدرجة أنه يستلقي ويغيب في النَّوم في الحال دون أن يُشعل النَّار حتى، وهو ما تكره آريا حدوثه، وتكره الكلب لمَّا يَحدُث. تلك هي اللَّيالي التي تُطيل فيها التَّحديق إلى الفأس الطَّويلة مفكِّرةً: تبدو ثقيلةً جدًّا، لكن أراهنُ أني أستطيعُ أن أضربه بها. وإذا فعلَت فلن تضربه بالجانب المسطَّح.

بين الحين والحين في أثناء تجوالهما يلمحان أناسًا آخَرين؛ فلَّاحين في حقولهم أو رُعاةً يسوقون خنازيرهم أو حلَّابةً تقود بقرةً أو مُرافقًا يحمل رسالةً على طريقٍ مليء بالحُفر. لم تُواتِها رغبة في الكلام معهم أيضًا، كأنهم يعيشون في أرضٍ بعيدة غريبة ويتكلَّمون لُغةً أجنبيَّةً تجهلها، لا علاقة لها بهم ولا علاقة لهم بها.

كما أنه ليس مأمونًا أن يراهما أحد. من فترةٍ إلى أخرى تمرُّ فِرق من الخيَّالة

على الطُّرق الزِّراعيَّة الملتوية، يسبقهم بُرجا عائلة فراي التَّوأمان، وقد قال لها كلب الصَّيد لما مرُّوا: «يُطاردون الشَّماليِّين الشَّاردين. اخفضي رأسكِ متى سمعتِ صوت حوافر، فغالبًا لن يكون القادم صديقًا».

في أحد الأيام، في تجويفٍ أرضي صنعَته جذور شجرة سَنديان ساقطة، وجدا ناجيًا آخَر من (التَّوأمتين)، الشَّارة على صدره عبارة عن فتاةٍ ورديَّة تَرقُص في دوَّامةٍ من الحرير. قال لهما إنه قوَّاس من رجال السير مارك پايپر، وإن فقدَ قوسه. كانت كتفه اليُسرى متورِّمةً مشوَّهةً حيث تتَّصل بذراعه، وقال إنه تلقَّى ضربةً بهراوةٍ كسرَت الكتف وغوَّصت الحلقات المعدنية في لحمه، وحكى باكيًا: «كان شماليًّا على شارته رجل دام، ولمَّا رأى شارتي ألقى دُعابةً عن الرَّجل الأحمر والفتاة الورديَّة، وكيف يَجدُر بهما أن يتعارَفا. لقد شربتُ لسيِّده اللورد بولتون وشربَ للسير مارك، وشربنا معًا للورد إدميور والليدي روزلين والملك في الشَّمال، ثم قتلَني». كانت عيناه متَّقدتين من الحُمَّى عندما قال هذا، ورأت آريا أنه يموت بالفعل، فكتفه ملتهبة على نحوٍ شنيع، والدَّم والصَّديد يُلَوِّثان جانبه الأيسر كلَّه، ومنه تفوح رائحة مقيتة. رائحته كالجُثث.

توسَّل الرَّجل منهما شَربة نبيذ، فأجابَه كلب الصَّيد: «لو كان معي نبيذ لشربته بنفسي. يُمكنني أن أعطيك ماءً، وهديَّة الرَّحمة».

تطلَّع إليه القوَّاس طويلًا قبل أن يقول: «أنت كلب چوفري».

- «كلب نفسي الآن. هل تُريد الماء؟».

ازدردَ الرَّجل لُعابه قائلًا: «نعم، والرَّحمة، أرجوك».

كانا قد مرَّا ببركةٍ صغيرة قبل قليل، فأعطى ساندور لآريا خوذته وقال لها أن تملأها، فعادَت بخُطواتٍ مجهَدة إلى حافة المياه، حيث غاصَت مقدِّمة حذائها في الطَّمي، واستخدمَت خوذة الكلب كدلو. تسرَّب الماء من فتحتَيْ الرُّؤية، لكن قاع الخوذة ظَلَّ محتفظًا بكمِّيَّةٍ كبيرة، ولمَّا عادَت رفعَ القوَّاس وجهه إلى أعلى لتصبَّ الماء في فمه فتجرَّعه بلهفة، وما لم يشربه جرى على وجنتيه وامتزجَ بقشرة الدِّماء البنِّيَّة المتجلِّطة على لحيته إلى أن تدلَّت منها دموع ورديَّة باهتة. فرغَ الماء فأطبقَ على الخوذة ولعقَ فولاذها، ثم قال: «لا بأس، لكن ليته كان نبيذًا. أردتُ النَّبيذ».

- «وأنا أيضًا»، قال كلب الصَّيد، وأغمدَ خنجره في صدره بحركةٍ أدنى

إلى الرِّفق، ودفعَ ثِقل جسده النَّصل عبر سُترة الرَّجل وقميصه المعدني وما تحتهما من بطانة، وإذ سحبَ الخنجر ومسحَه على ثياب الميت نظرَ إلى آريا قائلًا: «هذا هو مكان القلب يا فتاة. هكذا تَقتُلين المرء».

إنها وسيلة واحدة للقتل. «هل ستدفنه؟».

قال ساندور: «لماذا؟ إنه لا يُبالي، وليس معنا مجراف. لندعه للذِّئاب والكلاب البرِّيَّة، إخوتكِ وإخوتي»، ورمقَها بنظرةٍ قاسية مضيفًا: «لكن أولًا نسرقه».

في جراب القوَّاس كان أيلان فضِّيَّان ونحو ثلاثين قطعةً نُحاسيَّةً، وفي مقبض خنجره حجر وردي جميل. وازنَ كليجاين السكِّين في يده ثم ألقاه إلى آريا، فالتقطَته من المقبض ودسَّته في حزامها وأحسَّت بشيءٍ من التَّحسُّن. ليس السكِّين إبرتها، لكنه فولاذ. كانت مع القوَّاس الميت جَعبة مليئةً بالسِّهام أيضًا، لكن السِّهام لا تُفيد كثيرًا في غياب القوس، ووجدا حذاءه أكبر من أن تنتعله آريا وأصغر من أن ينتعله الكلب، فتركاه، لكنها أخذَت قبَّعته الفولاذ، على الرغم من أنها كادَت تتجاوَز أنفها عندما ارتدَتها، وعليها أن تُميِّلها إلى الوراء كي ترى.

قال كليجاين متلفِّتًا حوله: «لا بُدَّ أنه كان يركب حصانًا أيضًا وإلَّا لما استطاعَ الهرب، لكن يبدو أنه ابتعدَ كثيرًا. لا أدري منذ متى وهو هنا».

حين وجدا نفسيهما عند التِّلال السَّفحيَّة المتاخمة لـ(جبال القمر) كانت الأمطار قد توقَّفت تقريبًا، وعادَت آريا ترى الشَّمس والقمر والنُّجوم، وبدا لها أنهما متَّجهان شرقًا، فسألَت من جديد: «أين سنذهب؟».

هذه المرَّة أجابَها: «إن لكِ خالةً في (العُش)، ولربما ترغب في دفع فديتكِ أيتها الحمقاء النَّحيلة، مع أن الآلهة وحدها تعلم لِمَ قد تفعل هذا. بمجرَّد أن نجد (الطَّريق العالي) سنتبعه إلى (البوَّابة الدَّامية)».

الخالة لايسا. أشعرَتها الفكرة بالخواء. إنها تُريد أمَّها لا أخت أمِّها، ثم إنها لا تعرف خالتها أكثر مما تعرف السَّمكة السَّوداء. كان علينا أن نَدخُل القلعة. إنهما لا يعلمان يقينًا أن أمَّها ماتَت، أو روب كذلك، فلم يشهدا موتهما بنفسيهما. ربما أسرَهما اللورد فراي لا أكثر، ربما كانا مقيَّديْن بالسَّلاسل الآن في زنزانته، وربما يأخذهما أولاد فراي إلى (كينجز لاندنج) ليضرب

جوفري رأسيهما. إنهما لا يعلمان. قالت فجأةً وقد حزمَت أمرها: «يجب أن نعود، يجب أن نعود إلى (التَّوأمتين) ونُنقِذ أمِّي. لا يُمكن أنها ماتَت. يجب أن نُساعِدها».

دمدمَ كلب الصَّيد: «حسبتُ رأس أختكِ وحدها المحشوَّ بالأغاني. ربما احتفظَ فراي بأمِّكِ حيَّةً ليفتديها، هذا صحيح، لكن هيهات بحَقِّ الجحائم السَّبع أن أعود لإنقاذها من قلعته اللَّعينة بمفردي».

- «لن تكون بمفردك، سأذهبُ معك».

أصدرَ صوتًا شبيهًا بالضَّحك، وقال: «نعم، وجودكِ سيجعل العجوز يبول على نفسه من الخوف».

قالت بازدراء: «أنت خائف من الموت ليس إلَّا!».

ضحكَ كليجاين هذه المرَّة مجيبًا: «الموت لا يُخيفني، فقط النَّار. والآن أطبِقي فمكِ على لسانكِ وإلَّا قطعته بنفسي ووفَّرتُ على الأخوات الصَّامتات العناء. إننا ذاهبان إلى (الوادي)».

لم تحسب آريا أنه قد يقطع لسانها حقًّا، وإنما يقول هذا ليُخيفها لا أكثر، كما كان ذو العين الورديَّة يُهَدِّدها دائمًا بأن يضربها حتى يُدميها، على أنها قرَّرت ألَّا تمتحنه. ساندور كليجاين ليس ذا العين الورديَّة، فالثَّاني لا يَشطُر النَّاس إلى أنصافٍ ولا يضربهم بالفؤوس، ولا حتى بالجانب المسطَّح.

ليلتها خلدَت إلى النَّوم وهي تُفكِّر في أمِّها وتتساءَل إن كان يُمكنها أن تَقتُل كلب الصَّيد في نومه وتُنقِذ الليدي كاتلين بنفسها، وحين أسبلَت جفنيها رأت وجه أمِّها منطبعًا عليهما. إنها قريبة لدرجة أني أكادُ أشمُّها...

... ثم إنها استطاعَت أن تشمَّها بالفعل.

الرَّائحة ضعيفة، تطغى عليها الرَّوائح الأخرى الفائحة من الطَّحالب والأوحال والمياه، ويكاد يَكتُمها ذفر البوص المتعفِّن والإنس المتحلِّلين. تمضي على مهلٍ على الأرض اللَّيِّنة إلى حافة النَّهر وتَلغ القليل من الماء، ثم ترفع رأسها وتتشمَّم. السَّماء رماديَّة مثقَلة بالسُّحب، والنَّهر أخضر زاخر بالأشياء الطَّافية. يسدُّ الموتى الجزء الضَّحل من المياه، ولا يزال بعضهم يتحرَّك مدفوعًا بالتَّيَّار، والبعض الآخَر مجروف إلى الضِّفَّة التي تعجُّ بإخوتها وأخواتها إذ يُمَزِّقون اللَّحم النَّاضج الغني.

والغِربان حاضرة أيضًا، تَصرُخ في الذِّئاب وتملأ الهواء بالرِّيش. دماؤها أكثر سخونةً من الجُثث، وبينما يُحاوِل أحدها التَّحليق تنقضُّ عليه إحدى أخواتها وتقبض على جناحه بفكَّيها، فيجعلها هذا تُريد غُرابًا لنفسها أيضًا. تُريد أن تتذوَّق الدِّماء وتسمع العظام تنسحق بين أسنانها وتُتخِم معدتها باللَّحم الدَّافئ لا البارد. إنها جائعة واللَّحم في كلِّ مكانٍ حولها، لكنها تعلم أنها لا تستطيع أن تأكل.

الرَّائحة أقوى الآن. تُرهِف السَّمع وتُصغي إلى زمجرات قطيعها وصريخ الغِربان الغاضبة وطنين الأجنحة وخرير المياه الجارية، ومن مكانٍ ما بعيد تسمع حوافر خيولٍ وصياحَ بَشرٍ أحياء، إلَّا أنهم لا يهمُّون. وحدها الرَّائحة تهمُّ الآن. تتشمَّم الهواء ثانيةً وتلتقط رائحته ثم تراه، الشَّيء الأبيض الشَّاحب الطَّافي على صفحة المياه، يدور إذ احتكَّ بغُصنٍ ناتئ، وأمامه تنحني أعواد البوص.

تخوض بصخب في المياه الضَّحلة وتُلقي نفسها في المياه الأعمق ماخضةً إياها بقوائمهما. التَّيَّار قويٌّ للغاية لكنها أقوى، وهكذا تسبح متَّبعةً أنفها. روائح النَّهر غنيَّة بليلة، لكنها ليست الرَّوائح التي تجتذبها، بل تسبح ساعيةً إلى العبق الأحمر الحاد بالغ الخفوت المنبعث من الدِّماء الباردة، إلى ذفر الموت الحُلو المشبع. تُطارِد الرَّائحة كما طاردَت الغزلان الحمراء وسط الأشجار مرارًا، وفي النِّهاية تَبلُغ الشَّيء وتنغلق فكَّاها على ذراع بيضاء شاحبة، فتهزُّها لتجعلها تتحرَّك، لكن في فم صاحبتها ليس هناك إلَّا الموت والدَّم. الآن يبدأ التَّعب في مراوَدتها، وبكلِّ قوَّتها تسحب الجُثمان إلى الشَّط، وبينما تجرُّه على الضِّفَّة الموحلة يأتي أحد إخوتها الصِّغار جائسًا حولها ولسانه يتدلَّى من فمه، فتزوم فيه ليبتعد وإلَّا أكلَ. عندئذٍ فقط تتوقَّف لتنفض الماء من فروها، ويستلقي الشَّيء الأبيض على وجهه في الوحل، لحمه الميت ممتقع متغضِّن والدَّم البارد يَقطُر من حَلقه، فتُفكِّر: انهضي، انهضي وكُلي واركُضي معنا.

تسمع أصوات خيولٍ فتلتفت برأسها قائلةً لنفسها: بَشر. إنهم قادمون في اتِّجاه الرِّيح، ولذا لم تشمَّهم، لكنهم على وشك الوصول إليها الآن. رجال على متون الخيول، أجنحتهم الخفَّاقة سوداء وصفراء وورديَّة، وفي أيديهم مخالب طويلة برَّاقة. يُكشِّر عدد من إخوتها الصِّغار عن أنيابهم ليُدافِعوا عن الطَّعام الذي

عثروا عليه، لكنها تُزمجِر فيهم إلى أن يتفرَّقوا. إنه سَمت البريَّة؛ من الذِّئاب تفرُّ الغزلان والأرانب والغِربان، ومن البَشر تفرُّ الذِّئاب، وهكذا تَهجُر الغنيمة البيضاء الباردة في الوحل الذي جرّتها إليه وتفرُّ لا يُساورها الخجل.

في الصَّباح لم يضطرَّ كلب الصَّيد للزَّعيق في آريا أو رجِّها لتصحو، إذ استيقظت قبله هذه المرَّة على سبيل التَّغيير وسقَت الحصانين أيضًا. تناوَلا إفطارهما بصمتٍ دامَ حتى قال ساندور: «بخصوص أمِّك...».

قاطعَته بصوتٍ خامل: «لا يهمُّ. أعرفُ أنها ماتَت. رأيتها في الحُلم».

رمقَها كلب الصَّيد طويلًا ثم أومأ برأسه، ولم يقل أحدهما شيئًا إضافيًّا عن الأمر وهما راكبان نحو الجبال.

في التِّلال الأعلى صادَفا قريةً صغيرةً منعزلةً تُحيط بها أشجار الحارس الخضراء الرَّماديَّة، وأشجار الصَّنوبر الجُندي الزَّرقاء الباسقة، فقرَّر كليجاين أن يُخاطِرا ويَدخُلاها، وقال لها: «نحن في حاجةٍ إلى الطَّعام وسقفٍ فوق رأسينا. إنهم لا يعرفون بما حدثَ في (التَّوأمتين) على الأرجح، وإذا حالفَنا الحَظُّ فلن يتعرَّفوني».

كان القرويُّون يبنون سياجًا من الأوتاد الخشبيَّة حول بيوتهم، وحين رأوا كتفَيْ كلب الصَّيد العريضتين عرضا عليهما طعامًا ومأوًى بالإضافة إلى القليل من المال إذا ساعدَهم، فدمدمَ مجيبًا: «سأفعلُ إذا كان لديكم نبيذ أيضًا»، وفي النِّهاية رضيَ بالمِزر وشربَ حتى الثُّمالة لينام كلَّ ليلة.

لكن حُلمه ببيع آريا لليدي آرن ماتَ هناك وسط التِّلال، عندما قال له كبير القرية: «ثمَّة صقيع فوقنا وثلج في الممرَّات العالية. إذا لم تتجمَّدا أو تموتا جوعًا فستنال منكما قِططة الظِّلِّ أو دببة الكهوف. وهناك القبائل أيضًا. الرِّجال المحروقون لم يعودوا يعرفون الخوف منذ رجعَ تيميت الأعور من الحرب، وقبل نِصف عام قادَ جونثور بن جورن الغِربان الحجريَّة وهاجمَ قريةً تَبعُد أقلَّ من ثمانية أميال عن هنا، واختطفوا كلَّ امرأةٍ وسرقوا كلَّ ذرَّةٍ من الحبوب وقتلوا نِصف الرِّجال. إن معهم فولاذًا الآن، سيوفًا قويَّةً وقمصانًا معدنيَّةً، ويُراقِبون (الطَّريق العالي) طوال الوقت. الغِربان الحجريَّة وثعابين الحليب وأبناء الضِّباب، القبائل جميعها. ربما تَقتُل بعضهم، لكنهم سيَقتُلوك في النِّهاية ويرحلون بابنتك».

لولا إرهاقها الشَّديد كانت آريا لتصيح: لستُ ابنته. إنها ليست ابنة أحدٍ الآن، إنها لا أحد، ليست آريا وليست بنت عرس أو نان أو آري أو الكتكوت، ولا رأس الجزَل. إنها مجرَّد فتاةٍ ترتحل مع كلبٍ بالنَّهار وتَحلُم بالذِّئاب ليلًا.

القرية هادئة. فِراشاهما محشوَّان بالقَشِّ الذي لا يَسكُنه الكثير من القمل، والطَّعام عادي وإنما مشبِع، والهواء تُفعِمه رائحة الصَّنوبر، وعلى الرغم من هذا سرعان ما قرَّرت آريا أنها تكره المكان. أهل القرية جُبناء، ولا أحد منهم يُكلِّف نفسه النَّظر إلى وجه كلب الصَّيد، أو أنهم لا يُطيلون النَّظر إليه على الأقل. حاولَت بضع نسوةٍ أن يُلبسنها فُستانًا ويجعلنها تشتغل بالإبرة، لكنهن لسن الليدي سمولوود وكان رفضها قاطعًا، كما أن هناك تلك الفتاة التي اعتادَت أن تتبعها، ابنة كبير القرية التي تُداني آريا في السِّنِّ وإن كانت مجرَّد طفلة. إنها تبكي إذا خدشَت رُكبتها، وأينما ذهبَت تحمل معها دُميةً سخيفةً من القماش مصنوعةً نوعًا على شكل جُندي، فسمَّتها الفتاة السير جُندي وراحَت تتباهى بحمايتها إياها. عشرات المرَّات قالت لها آريا أن تذهب وتدعها وشأنها، لكن الفتاة لم تُذعِن قَطُّ، وفي النِّهاية انتزعَت منها الدُّمية ومزَّقتها وأخرجَت حشوها بإصبعها صائحةً: «الآن يبدو كجُنديٍّ حقًّا!»، ثم ألقَتها في غدير. بَعدها كفَّت الفتاة عن إزعاجها، وأمضَت آريا أيامها في سياسة كريفن وسترينجر أو التَّجوال في الغابة. أحيانًا تَعثُر على عصا فتتدرَّب على شُغل الإبرة الحقيقي، قبل أن تتذكَّر ما حدثَ في (التَّوأمتين) وتظلُّ تضرب بها شجرةً ما إلى أن تتحطَّم.

- «ربما علينا أن نبقى هنا فترةً»، قال لها كلب الصَّيد بَعد أسبوعين. كان ثملًا من المِزر لكن يبدو واجمًا أكثر من ناعس. «لن نَبلُغ (العُش) أبدًا، ولا بُدَّ أن أولاد فراي ما زالوا يُلاحِقون النَّاجين في أراضي النَّهر. يبدو أنهم في حاجةٍ إلى حمايةٍ هنا من غارات القبائل. يُمكننا أن نستريح هنا، وربما نجد وسيلةً لإيصال رسالةٍ إلى خالتكِ».

اربدَّ وجه آريا حين سمعَت كلامه هذا. إنها لا تُريد البقاء، لكن ما من مكانٍ تذهب إليه كذلك.

وفي الصَّباح التَّالي، عندما ذهبَ كلب الصَّيد لقطع الأشجار وحمل الأخشاب، عادَت إلى فِراشها.

لكن حين انتهى العمل وفرغوا من بناء السِّياج الخشبي الطَّويل أعلنَ كبير القرية أن لا مكان لهما هناك، وقال: «بمجيء الشِّتاء سنستطيع إطعام ذوينا أنفُسهم بصعوبة، وأنت... رجل مِثلك يستجلب معه الدِّماء».

زَمَّ ساندور فمه قائلًا: «تعرفون مَن أنا إذن».

- «أجل. صحيحٌ أن المسافرين لا يأتون هنا، لكننا نذهب إلى الأسواق والمهرجانات، ونعرف بأمر كلب الملك چوفري».

- «ربما تسعدون لوجود كلبٍ بينكم عندما يأتي رجال الغِربان الحجريَّة لزيارتكم».

قال الرَّجل: «ربما»، وتردَّد لحظةً قبل أن يستجمع شَجاعته متابعًا: «لكنهم يقولون إنك فقدت قُدرتك على القتال في معركة (النَّهر الأسود)، ويقولون...».

قاطعَه ساندور بصوتٍ كمنشارين يحتكَّان معًا: «أعرفُ ما يقولونه. انقدوني أجري وسنرحل».

وعندما غادَرا كانت مع كلب الصَّيد صُرَّة ملأى بالعُملات النُّحاسيَّة وقِربة من المِزر المُر وسيف جديد. في الحقيقة هو سيف قديم للغاية، لكنه جديد عليه، وقد بادلَ صاحبه الفأس الطَّويلة التي أخذَها من (التَّوأمتين)، تلك التي ورَّم رأس آريا بواسطتها. نفدَ المِزر خلال أقلِّ من يوم، لكن كليجاين شحذَ السَّيف كلَّ ليلةٍ وهو يلعن الرَّجل الذي أخذَه منه على كلِّ حَزٍّ وبُقعةٍ من الصَّدأ في النَّصل. إذا كان قد فقدَ قُدرته على القتال، فلِمَ يهتمُّ بأن يكون سيفه حادًّا؟ لم يكن سؤالًا تَجسُر آريا على إلقائه عليه، لكنه جالَ ببالها كثيرًا. ألهذا هربَ من (التَّوأمتين) وحملَها معه؟

في أراضي النَّهر وجدا الأمطار توقَّفت ومياه الفيضان تنحسر. انعطفَ كلب الصَّيد جنوبًا في اتِّجاه (الثَّالوث)، وقال لآريا وهما يشويان أرنبًا برِّيًّا قتلَه: «سنذهب إلى (ريڤررَن). ربما يُريد السَّمكة السَّوداء أن يبتاع لنفسه ذئبةً».

- «إنه لا يعرفني، بل ولن يعرف إن كنتُ ابنة بنت أخيه حقًّا». لقد ضاقَ صدرها بمحاوَلات الذَّهاب إلى (ريڤررَن). يبدو لها أنها في الطَّريق إليها منذ سنين دون أن تَبلُغها أبدًا. كلما اتَّجهت إلى (ريڤررَن) انتهى بها المطاف في مكانٍ أسوأ. «ولن يدفع لك فديةً، وغالبًا سيكتفي بشنقك».

قال مدوِّرًا السِّيخ: «يُمكنه أن يُحاول».

لا يتكلَّم كشخص فقدَ قُدرته علَى القتال. قالت: «أعرفُ أين يُمكننا الذَّهاب». ما زالَ لديها أخ واحد حي. چون سيُريدني حتى إذا لم يُردني غيره، سيُناديني بـ«أختي الصَّغيرة» وينفش شَعري. لكن الطَّريق طويل، ولا تحسب أنها تستطيع الوصول بمفردها وهي لم تتمكَّن من الوصول إلى (ريڤررَن) حتى. «يُمكننا الذَّهاب إلى (الجدار)».

أطلقَ ساندور ضحكةً كالزَّمجرة قائلًا: «هل تُريد الذِّئبة الصَّغيرة الانضمام إلى حَرس اللَّيل؟».

ردَّت بعناد: «أخي على (الجدار)».

اختلجَ فمه، وقال: «(الجدار) يَبعُد ألف فرسخ عن هنا، وعلينا أن نشقَّ طريقنا قتالًا وسط أولاد فراي الملاعين لنَبلُغ (العُنق) فحسب. في تلك المستنقعات أُسود زواحف[1] تلتهم الذِّئاب كلَّ يوم على الإفطار، وحتى إذا بلغنا الشَّمال سليميْن فهناك الحديديُّون في نِصف القَلاع، بالإضافة إلى آلاف من أولاد القحبة الشَّماليِّين».

سألَته: «وهل تخشاهم؟ هل فقدت قُدرتك على القتال؟».

حسبَت لحظةً أنه سيضربها، لكن الأرنب كان قد نضجَ، تشقَّق جِلده وينزُّ الدُّهن منه إلى النَّار مطقطقًا، فرفعَه ساندور من على السِّيخ، وبيديه الكبيرتين مزَّقه إلى نِصفين ألقى أحدهما في حِجر آريا، ثم قال وهو ينتزع ساقًا: «قُدرتي كما هي لم تتأثَّر بشيء، لكني لا أبالي مقدار خردلةٍ بكِ أو بأخيكِ. أنا أيضًا لي أخ».

(1) الاسم الذي يُطلِقه الوستروسيُّون على التَّماسيح التي تعيش في المستنقعات. (المترجم).



تيريون

قال السير كيڤان لانستر بضجر: «تيريون، إذا كنت بريئًا حقًّا من موت چوفري، فلن تجد صعوبةً في إثبات براءتك في المحاكَمة».

التفتَ عن النَّافذة متسائلًا: «ومَن سيَحكُم عليَّ؟».

- «العدالة شأن العرش. الملك ماتَ، لكن أباك يظلُّ اليد، وبما أن المتَّهم ابنه والضَّحيَّة حفيده فقد طلبَ من اللورد تايرل والأمير أوبرين أن يجلسا معه على منصَّة الحُكم».

لم يُطَمئِن رَدُّه تيريون. مايس تايرل كان حما چوفري ولو ساعاتٍ معدودة، والأفعوان الأحمر... ثُعبان! «هل مسموحٌ لي بأن أطالب بمحاكَمةٍ بالنِّزال؟».

- «لا أنصحك بهذا».

- «ولِمَ لا؟». المحاكَمة بالنِّزال أنقذَته من قبل في (الوادي)، فلِمَ لا تُنقِذه هنا؟ «أجِبني يا عمَّاه. هل مسموحٌ لي بمحاكَمةٍ بالنِّزال ونصير يُثبت براءتي؟».

- «بالتَّأكيد، إذا كانت هذه رغبتك، لكن ينبغي أن تعلم أنَ أختك تنوي تسمية السير جريجور كليجاين نصيرًا لها في حالة اللُّجوء إلى محاكَمةٍ من هذا النَّوع».

الحقيرة تكبح خُطواتي قبل أن أتَّخذها. مؤسف أنها لم تختَرْ أحد الإخوة كِتلبلاك. كان برون ليفتك بأيٍّ من الإخوة الثَّلاثة في غضون دقائق، لكن الجبل راكب الخيول مصنوع من خامةٍ أخرى. قال: «يجب أن أدرس الأمر». ويجب أن أتكلَّم مع برون، وفي القريب العاجل. لا يُريد أن يُفكِّر في ما سيُكلِّفه هذا، فبرون يُغالي كثيرًا في تثمين نفسه. «ألدى سرسي شهود ضدي؟».

- «المزيد يوميًّا».

- «إذن يجب أن يكون لديَّ شهود أيضًا».
- «أخبرني بمن تُريد وسيُرسِل السير أدام حَرس المدينة للإتيان بهم إلى المحاكَمة».
- «أحبِّذُ أن أجدهم بنفسي».
- «إنك متَّهم بقتل الملك الذي هو قريبك، فهل تتخيَّل حقًّا أننا سنسمح لك بالذَّهاب والمجيء على راحتك؟»، وأشارَ السير كيڤان إلى المنضدة مردفًا: «عندك حِبر وريشة وورق. اكتُب أسماء الشُّهود المطلوبين وسأفعلُ كلَّ ما في وسعي للعثور عليهم، لك كلمتي كلانستر. لكنك لن تبرح هذا البُرج إلَّا للذَّهاب إلى محاكَمتك».
رافضًا أن يحطَّ من قَدر نفسه ويتوسَّل، سألَه تيريون: «هل مسموح لمُرافِقي بالذَّهاب والمجيء؟ الصَّبي پودريك پاين».
- «بالتَّأكيد، ما دُمت تُريده. سأرسِله إليك».
قال تيريون: «افعل هذا، عاجلًا خير من آجلًا، والآن خير من عاجلًا»، واتَّجه متمايلًا إلى المنضدة، لكن لمَّا سمعَ الباب يُفتَح التفتَ قائلًا: «عمَّاه».
توقَّف السير كيڤان، وقال: «نعم؟».
- «إنني لم أفعلها».
- «ليتني أستطيعُ أن أصدِّق هذا يا تيريون».
حين انغلقَ الباب رفعَ تيريون لانستر نفسه إلى مقعده، حيث شحذَ ريشة كتابة والتقطَ ورقة رَقوق سائلًا نفسه: مَن سيُدافِع عني؟ وغمسَ الرِّيشة في قنينة الحِبر.
وكانت الورقة لا تزال بِكرًا عندما ظهرَ پودريك پاين بَعد فترةٍ قائلًا: «سيِّدي».
وضعَ تيريون الرِّيشة، وقال: «اعثُر على برون وائتِ به في الحال. قُل له إن في المسألة ذهبًا، ذهبًا أكثر من الذي حلمَ به في حياته كلِّها، ولا تَعُد إلَّا وهو معك».
قال الصَّبي: «نعم يا سيِّدي. أقصدُ لا، لن أعود»، وذهبَ.
وبحلول الغروب لم يكن الصَّبي قد عادَ، ولا عندما ارتفعَ القمر في السَّماء. غابَ تيريون في النَّوم في مقعده المجاور للنَّافذة واستيقظَ في الفَجر شاعرًا

بالألم في جسده المتيبِّس. جلبَ له خادم فطورًا من الثَّريد والتُّفَّاح مع قرنٍ من المِزر، وأكلَ على المنضدة والورقة الخالية أمامه، وبَعد ساعةٍ رجعَ الخادم ليستعيد الوعاء، فسألَه تيريون: «هل رأيت مُرافِقي؟»، وهَزَّ الرَّجل رأسه نفيًا.

عادَ يلتفت إلى المنضدة زافرًا وغمسَ الرِّيشة في الدَّواة مجدَّدًا، ثم كتبَ على الرَّق: سانزا، وطفقَ يُحَدِّق إلى الاسم وأسنانه منطبقة على بعضها بعضًا بقوَّةٍ أوجعَتها.

بافتراض أن چوفري -ببساطة- لم يختنق حتى الموت بقطعةٍ من الطَّعام، وهو ما لا يستسيغه تيريون نفسه، فلا بُدَّ أن سانزا سمَّمته. چوف وضعَ كأسه في حِجرها تقريبًا، ثم إنه أعطاها دوافع عدَّةً لقتله. أيَّ شكوكٍ كانت تُراوِد تيريون اختفَت مع اختفاء زوجته. التوى فمه وهو يقول لنفسه: جسد واحد، قلب واحد، روح واحدة. لم تُبَدِّد وقتًا في إثبات قيمة تلك النُّذور، أليس كذلك؟ وماذا كنت تتوقَّع أيها القزم؟

ومع ذلك... أنَّى لسانزا بالسُّم؟ إنه لا يُصَدِّق أن الفتاة تصرَّفت وحدها في أمرٍ كهذا. هل أريدُ أن أعثر عليها حقًّا؟ هل سيُصَدِّق القُضاة أن زوجة تيريون الطِّفلة سمَّمت ملكًا دون معرفة زوجها؟ لم أكن لأُصدِّق عن نفسي. سرسي ستصرُّ على أنهما ارتكَبا الجريمة معًا.

وعلى الرغم من هذا أعطى عمَّه الرَّقَّ في اليوم التَّالي، فرمقَ السير كيڤان الورقةَ مقطِّبًا وجهه، وقال: «الليدي سانزا شاهدتك الوحيدة؟».

- «سأفكرُ في غيرها مع الوقت».

- «خيرٌ لك أن تُفَكِّر فيهم الآن. القُضاة ينتوون عقد المحاكَمة بَعد ثلاثة أيام».

- «قريبًا جدًّا. إنني حبيس تحت الحراسة هنا، فكيف أجدُ شهودًا على براءتي؟».

قال السير كيڤان: «أختك لم تجد صعوبةً في إيجاد شهودٍ لإدانتك»، وطوى الرَّقَّ مضيفًا: «رجال السير أدام يبحثون عن زوجتك، وڤارس عرضَ مئة أيلٍ لقاء أيِّ خبرٍ عن مكانها ومئة تنِّين لقاء الفتاة نفسها. إذا كان العثور عليها ممكنًا فسيَعثُرون عليها وآتي بها إليك. لستُ أرى ضررًا في اشتراك زوجٍ وزوجته في الزِّنزانة نفسها وتبادُل المواساة».

- «لُطف بالغ منك أن تقول هذا. هل رأيت مُرافِقي؟».
- «أرسلته إليك البارحة. ألم يأتِ؟».
- «أتى ثم ذهبَ».
- «سأرسِله إليك ثانيةً».

لكن پودريك پاين لم يرجع قبل الصَّباح التَّالي. خطا إلى الغُرفة متردِّدًا والخوف مرسوم على قسماته، ودخلَ برون وراءه. كان الفارس المرتزق يرتدي سُترةً طويلةً مرصَّعةً بالفضَّة ومعطف ركوبٍ ثقيلًا، وقد دَسَّ قُفَّازين جِلديَّين أنيقيْن في حزام سيفه.

نظرة واحدة إلى وجه برون أفعمَت تيريون بالقلق وقلبَت معدته، غير أنه قال: «استغرقت وقتًا طويلًا».

- «الصَّبي توسَّل إليَّ، وإلَّا لما جئتُ على الإطلاق. إنهم ينتظرونني على العَشاء في (قلعة ستوكوورث)».

وثبَ تيريون من الفِراش قائلًا: «(ستوكوورث)؟ وما لك في (ستوكوورث)؟».

أجابَ برون مبتسمًا كذئبٍ يتأمَّل حَملًا تائهًا: «عروس. سأعقدُ قراني على لوليس بَعد غد».

- «لوليس». رائع، حقًّا رائع. تَحصُل ابنه الليدي تاندا البلهاء على زوج فارس، وبشكلٍ ما على أبٍ للنَّغل الذي في بطنها أيضًا، ويتسلَّق السير برونَ بطل معركة (النَّهر الأسود) درجةً أخرى. المسألة كلُّها تضوع برائحة أصابع سرسي الكريهة. «أختي الحقيرة باعتك حصانًا عاجزًا. الفتاة غبيَّة».

- «لو أردتُ الذَّكاء لتزوَّجتك أنت».
- «لوليس تحمل طفل رجلٍ آخَر».
- «ولمَّا يَخرُج منها سأضعُ طفلي في بطنها مكانه».
- «إنها ليست وريثة (ستوكوورث)، بل لها أخت أكبر، فاليس، أخت متزوِّجة».
- «متزوِّجة منذ عشر سنوات ولا تزال عاقرًا. السيِّد زوجها يجتنب فِراشها، ويُقال إنه يُفَضِّل العذراوات».

- «حتى إذا كان يُفَضِّل الماعز فلا فرق. أراضي العائلة ستنتقل إلى زوجته عندما تموت الليدي تاندا».

- «ما لم تَمُت فاليس قبل أمِّها».

تساءلَ تيريون إن كانت لدى سرسي أدنى فكرة عن حقيقة الثُّعبان الذي أعطَته لليدي تاندا لترعاه. وإذا كانت تعرف، فهل تُبالي؟ «ماذا تفعل هنا إذن؟».

هَزَّ برون كتفيه مجيبًا: «قلت لي ذات مرَّة إنك ستُضاعِف الثَّمن إذا طلبَ مني أحد أن أبيعك».

نعم. «وهل تُريد زوجتين أم قلعتين؟».

- «لا بأس بواحدة وواحدة، لكن إذا أردتني أن أقتل جريجور كليجاين من أجلك، فلا بُدَّ أن تكون قلعةً كبيرةً حقًّا».

(الممالك السَّبع) ملأى بكريمات المحتد، لكن حتى أكثر العوانس عجزًا وفقرًا وقُبحًا في البلاد ستمتنع عن الزَّواج بحُثالةٍ وضيع المولد كبرون. إلَّا إذا كانت ضعيفة البدن والعقل، وتحمل في بطنها جنينًا بلا أبٍ بعد أن اغتُصِبَت عشرات المرَّات. كانت الليدي تاندا ملهوفةً على إيجاد زوجٍ للوليس لدرجة أنها لاحقَت تيريون فترةً، وكان هذا قبل أن يستمتع بها نِصفُ رجال (كينجز لاندنج). لا شَكَّ أن سرسي حلَّت العرض في عينيها بوسيلةٍ ما، كما أن برون فارس الآن، وهو ما يجعله زوجًا مناسبًا لابنةٍ صُغرى من عائلةٍ صغيرة.

قال تيريون: «الحقيقة أني أفتقرُ بشدَّةٍ إلى القلاع والفتيات شريفات النَّسب في الوقت الرَّاهن، لكن يُمكنني أن أعرض عليك الذَّهب والامتنان مِثلما فعلتُ من قبل».

- «لديَّ ذهب، فماذا يُمكنني أن أشتري بالامتنان؟».

- «قد تجد ما يُدهِشك. اللانستر يُسَدِّد ديونه».

- «أختك أيضًا لانستر».

- «السيِّدة زوجتي وريثة (وينترفل)، وإذا خرجتُ من هذا المأزق ورأسي لا يزال على كتفَيْ، فقد أحكمُ الشَّمال باسمها ذات يوم، ويُمكنني أن أقتطع لك شريحةً كبيرةً منه».

- «إذا ومتى وربما، كما أن الأجواء باردة للغاية هناك. لوليس ناعمة ودافئة وقريبة، وبإمكاني أن ألجها بَعد ليلتين من الآن».

- «لا أجدها فكرةً تفتح الشَّهيَّة».

قال برون: «حقًّا؟»، وبابتسامةٍ عريضة أضافَ: «اعترف أيها العِفريت، إذا كان خيارك بين مضاجَعة لوليس وقتال الجبل، فستُنزِل سراويلك وتُخرِج قضيبك قبل أن يرتدَّ إليك طرفك».

فكَّر تيريون: إنه يعرفني جيِّدًا جدًّا. هكذا حاول تجربة مسلكٍ مختلف قائلًا: «سمعتُ أن السير جريجور جُرِحَ عند (الفرع الأحمر)، وجُرِحَ ثانيةً في (وادي الغسق)، ولا شَكَّ أن إصاباته ستُبطئ حركته».

لاحَ الضِّيق على برون وهو يقول: «إنه لم يكن سريعًا قَطُّ، فقط مفرط الحجم والقوَّة، مع أنني أعترفُ بأنه أسرع مما تتوقَّع من رجل بحجمه، كما أن متناوَل يده طويل لدرجةٍ مرعبة، ولا يبدو أنه يَشعُر بالضَّربَات كأيِّ رجلٍ عادي».

سألَه تيريون آملًا أن يستفزَّه: «أيُخيفك لهذه الدَّرجة؟».

قال برون: «إذا لم يُخِفني فأنا أحمق كبير»، وهَزَّ كتفيه مواصلًا: «ربما يُمكنني أن أهزمه، أرقصُ حوله حتى يتعب من تسديد الضَّربات إليَّ ولا يعود قادرًا على رفع سيفه، ثم أُسقِطه بوسيلةٍ ما. عندما يَسقُطون على ظهورهم يَخرُج طولهم أيًّا كان من المعادَلة. لكن المسألة محفوفة بالخطر رغم ذلك، خُطوة واحدة خاطئة وأموتُ، فلِمَ أجازفُ؟ إنني أحبُّك حقًّا مع أنك ابن عاهرة قبيح... لكن إذا خضتُ معركتك من أجلك فأنا الخاسر في الحالتين. إمَّا أن يَبقُر الجبل بطني ويُريق أحشائي وإمَّا أن أقتله وأخسر (ستوكوورث). إنني أبيعُ سيفي ولا أمنحه مجَّانًا، ولستُ أخاك اللَّعين».

قال تيريون بحُزن: «نعم، لست هو»، ولوَّح بيده مضيفًا: «اذهب إذن، اركُض إلى (ستوكوورث) والليدي لوليس. عسى أن تجد في زواجك سعادةً أكثر مما وجدتُ في زواجي».

تردَّد برون عند الباب متسائلًا: «ماذا ستفعل أيها العِفريت؟».

- «سأقتلُ جريجور بنفسي. ألن يكون منظرًا يَصلُح لأغنيَّةٍ بهيجة؟».

قال برون: «آملُ أن أسمعهم يُغنُّونها»، وابتسمَ له مرَّةً أخيرةً، ثم خرجَ من الباب، ومن القلعة، ومن حياته.

حرَّك پود قدميه قائلًا: «أنا آسف».

- «لماذا؟ أهي غلطتك أن برون متشرِّد وقح أسود القلب؟ لطالما كان متشرِّدًا وقحًا أسود القلب، وهذا ما راقَني فيه».

صَبَّ تيريون لنفسه كوبًا من النَّبيذ وأخذَه إلى مقعد النَّافذة. في الخارج كان النَّهار غائمًا مطيرًا، لكن المشهد ظَلَّ أكثر مدعاةً للبهجة مما ينتظره. ربما يُمكنه أن يُرسِل پودريك پاين يسعى إلى شاجا، لكن أعماق (غابة الملوك) زاخرة بالمخابئ التي تُتيح للخارجين عن القانون التَّملُّص من الاعتقال عقودًا كاملةً. وپود يجد عُسرًا في العثور على المطابخ نفسها أحيانًا عندما أُرسِله لإحضار قطعةٍ من الجُبنة. ولا بُدَّ أن تيميت بن تيميت قد عادَ إلى (جبال القمر) بالفعل، وعلى الرغم مما قاله لبرون فمواجَهة السير جريجور كليجاين بنفسه ستكون مهزلةً أكبر من النِّزال بين قزمَيْ چوفري، وهو لا ينوي أن يموت وأمواج الضَّحك تتلاطَم في أذنيه. لا جدوي من المحاكَمة بالنِّزال إذن.

زارَه السير كيڤان لاحقًا يومها، ومرَّةً أخرى في اليوم التَّالي، وأخبرَه عمُّه برفقٍ بأنهم لم يَعثُروا على سانزا أو السير دونتوس المهرِّج الذي اختفى في اللَّيلة نفسها، وسألَه إن كان هناك شهود آخَرون يرغب في استدعائهم، فأجابَه بالنَّفي. كيف أثبتُ أني لم أسمِّم النَّبيذ بحَقِّ الجحيم وقد رآني ألف شخصٍ أملأ كأس چوفري؟

لازمَه الأرق طيلة اللَّيل.

وبدلًا من النَّوم تمدَّد في الظَّلام يُحملِق إلى مظلَّة الفِراش ويعدُّ أشباحه. رأى تايشا تبتسم وهي تُقبِّله، ورأى سانزا عاريةً ترتجف من الخوف، ورأى چوفري يخمش حَلقه والدَّم يجري على عُنقه إذ اسودَّ وجهه، ورأى عينَيْ سرسي وابتسامة برون الذِّئبيَّة وبسمة شِاي الخبيثة. حتى التَّفكير في شِاي لم يُثِره، وداعبَ نفسه مفكِّرًا أنه إذا أيقظَ قضيبه وأشبعَه فلربما يجد الرَّاحة أسهل بَعدها، لكن بلا فائدة.

ثم طلعَ الفَجر، وآنَ أوان محاكَمته.

لم يكن السير كيڤان من جاءَه هذا الصَّباح، بل السير أدام ماربراند مع دستةٍ من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة، وكان تيريون قد ارتدى أفضل ثيابه وتناولَ إفطارًا من البيض المسلوق واللَّحم المقدَّد المحروق والخُبز المحمَّر، ولمَّا رأى

السير أدام قال: «حسبتُ أن أبي سيُرسِل الحَرس الملكي لاصطحابي إلى المحاكَمة، فما زلتُ فردًا من العائلة الملكيَّة، أليس كذلك؟».

- «بلى يا سيِّدي، لكن أخشى أن معظم رجال الحَرس الملكي شهود ضدك، وقد ارتأى اللورد تايوين أن من غير اللّائق أن يخدموا كحَرسك».

- «حاشا للآلهة أن نفعل شيئًا غير لائق. تفضَّل، قُد الطَّريق».

ستُعقَد المحاكَمة في قاعة العرش حيث ماتَ چوفري، وإذ قادَه السير أدام بين مصراعَيْ الباب البرونز العملاقيْن وعلى البساط الطَّويل أحسَّ تيريون بالنَّظرات المنصبَّة عليه. مئات تزاحَموا ليشهدوا محاكَمته، أو أنه يأمل أن هذا سبب مجيئهم على الأقل. ربما يكونون شهودًا ضدي جميعًا. لمحَ الملكة مارچري واقفةً في الشُّرفة، تبدو شاحبةً جميلةً في حِدادها. تزوَّجت مرَّتين وفي المرَّتين ترمَّلت، ولا تزال في السَّادسة عشرة لا أكثر. إلى جانبها وقفَت أمُّها بقامتها الطَّويلة، وإلى الجانب الآخَر جدَّتها الضَّئيلة الذَّابلة، فيما امتلأَت بقيَّة الشُّرفة برفيقاتها وفُرسان أهل بيت أبيها.

كانت المنصَّة لا تزال منصوبةً عند قدم العرش الحديدي الخالي، وإن رُفِعَت الموائد كلُّها باستثناء واحدةٍ جلسَ وراءها اللورد مايس تايرل بجسده الممتلئ في معطفٍ ذهبي فوق سُترةٍ خضراء، والأمير أوبرين مارتل بقوامه الممشوق في ثوبٍ فضفاض مخطَّط بالبرتقالي والأصفر والقرمزي، وبينهما اللورد تايوين لانستر. ربما لم يزل هناك أملٌ لي. الدورنيُّون والهايجاردنيُّون يبغضون بعضهم بعضًا. وإذا وجدتُ وسيلةً لاستغلال هذا...

بدأ السِّپتون الأعلى بصلاةٍ سائلًا (الأب في الأعالي) أن يهديهم إلى العدالة، وحين فرغَ مالَ الأب في الأسافل إلى الأمام ليقول: «تيريون، هل قتلت الملك چوفري؟».

لم يُضَيِّع لحظةً واحدةً. «لا».

سألَه اللورد تايرل: «هل فعلَتها سانزا ستارك إذن؟».

لو كنتُ مكانها لفعلتها. لكن أينما كانت سانزا وأيًّا كان دورها في هذا، فإنها تظلُّ زوجته التي طوَّق كتفيها بمعطف حمايته، وإن وقفَ على ظَهر مهرِّج كي يفعل هذا. «الآلهة قتلَت چوفري. لقد اختنقَ بقطعةٍ من كعكة الحمَام».

احتقنَ وجه اللورد تايرل وهو يسأله: «هل تلوم الخبَّازين إذن؟».

رَدَّ تيريون: «هُم أو الحمائم. أخرجوني من الأمر فحسب»، ولمَّا سمعَ الضَّحكات العصبيَّة أدركَ أنه أخطأَ، وقال لنفسه: صُن لسانك أيها الأبله قبل أن يَحفُر لك قبرك.

قال اللورد تايوين: «هناك شهود ضدك. سنسمعهم أولًا، ثم يُمكنك تقديم شهودك. ليس مسموحًا لك بالكلام إلَّا بإذننا».

ولم يكن بيد تيريون إلَّا أن يُومئ برأسه راضخًا.

كان السير أدام على حَق، فأول رجل أدخَلوه هو السير بالون سوان فارس الحَرس الملكي، وقد قال عقب أن حلَّفه السِّبتون أن يقول الحقيقة ولا شيء غيرها: «حضرة اليد، لقد تشرَّفتُ بالقتال إلى جانب ابنك على جسر السُّفن. إنه شُجاع على الرغم من حجمه، ولا أصدِّقُ أنه ارتكبَ هذه الجريمة».

ارتفعَ لغط في القاعة، وتساءلَ تيريون عن اللُّعبة المجنونة التي تلعبها سرسي. لماذا تُقَدِّم شاهدًا يُصَدِّق أني بريء؟

سرعان ما عرفَ الإجابة. روى السير بالون على مضض كيف سحبَ تيريون بعيدًا عن چوفري يوم الشَّغب، وقال: «لقد لطمَ الملكَ، هذا صحيح، لكنها كانت نوبة غضبٍ لا أكثر، عاصفة صيف. يومها كادَ الغوغاء يَقتُلوننا جميعًا».

علَّق الأفعوان الدورني الأحمر: «في زمان آل تارجاريَن كان من يضرب أحدًا من أصحاب الدَّم الملكي يفقد اليد التي ضربَه بها، فهل نبتَت يد القزم ثانيةً أم أنكم نسيتم واجبكم أيها السُّيوف البيضاء؟».

أجابَ السير بالون: «إنه من الدَّم الملكي عن نفسه، وكان يد الملك».

قال اللورد تايوين: «لا، بل كان قائمًا بأعمال اليد بدلًا مني».

أسعدَ السير مرين ترانت حين اتَّخذ مكانه كشاهدٍ أن يُضيف مزيدًا من التَّفاصيل إلى رواية السير بالون، وقال: «طرحَ الملكَ أرضًا وراحَ يَركُله، وصاحَ إن من الظُّلم أن جلالته فَرَّ من الرَّعاع دون أن يمسَّه أذى».

بدأ تيريون يتبيَّن مخطَّط أخته. بدأت برجل معروف بصِدقه واستنزفَت منه كلَّ ما لديه. كلُّ شاهدٍ يتبعه سيحكي حكايةً أسوأ إلى أن أبدو آثمًا كميجور المتوحِّش وإيرس المجنون معًا، مع رشَّة من إجون غير الجدير على سبيل التَّوابل.

واصلَ السير مرين حاكيًا كيف أوقفَ تيريون تأديب چوفري سانزا ستارك، فقال: «سألَ القزم جلالته إن كان يعلم ما حدثَ لإيرس تارجارين، ولمَّا تكلَّم السير بوروس مدافعًا عن الملك هدَّده العِفريت بالقتل».

بَعده جاءَ بوروس بنفسه ليُؤَكِّد تلك الحكاية المؤسفة، ومهما كان ما يُضمِره بلاونت لسرسي من بغضاء لتسريحه من الحَرس الملكي، فقد قال ما أرادَته بالضَّبط رغم ذلك.

ولم يَعُد تيريون قادرًا على الاحتفاظ بلسانه في فمه، ورفعَ صوته قائلًا: «لِمَ لا تُخبِر القُضاة بما كان چوفري يفعله؟».

حدَّق إليه الرَّجل الكبير ذو اللُّغد، وردَّ: «لقد قلتَ لرجالك الهمجيِّين أن يَقتُلوني إذا فتحتُ فمي، هذا ما سأُخبِرهم به».

قال اللورد تايوين: «تيريون، ستتكلَّم عندما نَطلُب منك الكلام فقط. اعتبر هذا تحذيرًا».

وأذعنَ تيريون وهو يغلي غيظًا.

تلا بلاونت الإخوة كِتلبلاك الثَّلاثة واحدًا تلو الآخَر، وروى أوزني وأوزفريد عن عَشائه مع سرسي عشيَّة معركة (النَّهر الأسود) وتهديده إياها، فقال السير أوزفريد: «قال لجلالتها إنه سيُؤذيها، إنه سيجرحها»، وفسَّر أخوه أوزني: «قال إنه سينتظر يومًا تكون فيه سعيدةً ويُحيل فرحتها إلى رمادٍ في فمها»، ولم يَذكُر أيهما ألايايا.

ثم تقدَّم السير أوزموند كِتلبلاك باديًا كآيةٍ في الفروسيَّة وقد ارتدى دِرعه النَّاصعة ومعطفه الصُّوف الأبيض، وأقسمَ أن الملك چوفري كان يعرف منذ فترةٍ طويلة أن خاله ينوي أن يغتاله، وقال للقُضاة: «كان هذا يوم أعطوني المعطف الأبيض أيها السَّادة. قال لي الصَّبي الشُّجاع: أيها السير أوزموند الكريم، احمِني جيِّدًا، فخالي لا يكنُّ لي حُبًّا ويُريد أن يكون ملكًا بدلًا مني».

كان كلامه أكثر مما يستطيع تيريون أن يبتلع، فصاحَ: «كاذب!»، وأخذَ خُطوتين إلى الأمام قبل أن يجرَّه ذوو المعاطف الذَّهبيَّة إلى الوراء مجدَّدًا.

حدجَه اللورد تايوين بنظرةٍ عابسة قائلًا: «أينبغي أن نُقيِّد يديك وقدميك بالأغلال كاللُّصوص؟».

صَرَّ تيريون بأسنانه مفكِّرًا: خطأ ثانٍ. أحمق، أحمق، قزم أحمق، حافظ

على هدوئك وإلَّا هلكت. أجابَ: «لا. معذرةً أيها السَّادة، لكن أكاذيبه أغضبَتني».

قالت سرسي: «تعني حقائقه. أبي، أتوسَّلُ إليك أن تُكَبِّله بالسَّلاسل حمايةً لكم. إنك ترى كيف يتصرَّف».

رَدَّ الأمير أوبرين: «أرى أنه مجرَّد قزم، ويوم أخشى غضبة قزمٍ سأُغرِقُ نفسي في برميلٍ من النَّبيذ الأحمر».

قال اللورد تايوين: «لسنا في حاجةٍ إلى أغلال»، وألقى نظرةً على النَّوافذ ثم قامَ مستطردًا: «تأخَّر الوقت. سنستأنف غدًا».

ليلتها، وهو وحيد في زنزانته مع رَقٍّ خالٍ وكوب من النَّبيذ، وجدَ نفسه يُفَكِّر في زوجته... ليس سانزا، بل زوجته الأُولى تَأيشا. العاهرة لا الذِّئبة. حُبُّها له كان ادِّعاءً لكنه صدَّقها ووجدَ مسرَّةً في تصديقه. أعطوني الأكاذيب الحُلوة واحتفظوا بحقائقكم المُرَّة. شربَ نبيذه وفكَّر في شِاي، ولاحقًا عندما زارَه السير كيفان ككلِّ ليلةٍ طلبَ أن يأتيه بڤارس.

- «هل تعتقد أن الخصيَّ سيتكلَّم دفاعًا عنك؟».
- «لن أعرف حتى أتكلَّم معه. أرسِله إليَّ يا عمِّي إذا تفضَّلت».
- «كما تشاء».

افتتحَ المِايستران بالابار وفرنكن اليوم الثَّاني من المحاكَمة، مؤكِّدَيْن أنهما فتحا جثَّة الملك چوفري المبجَّلة ولم يجدا أيَّ قطع من كعكة الحمام أو غيرها من الطَّعام تسدُّ الحَلق الملكي، وقال بالابار: «السُّمُّ هو ما أودى بحياته أيها السَّادة»، وهَزَّ فرنكن رأسه مؤمِّنًا بوقار.

ثم إنهم أدخَلوا المِايستر الأكبر پايسل المتَّكئ بشدَّةٍ على عُكَّازٍ ملتوٍ ويرتجف وهو يمشي، ومن عُنقه الطَّويل الأشبه بعُنق الدَّجاجة تنبتُ بضعُ شُعيراتٍ بيضاء. كان الرَّجل قد صارَ أوهى من أن يقف، فسمحَ القُضاة بأن يجلبوا له مقعدًا يجلس عليه، ومنضدةً أيضًا.

على المنضدة رُصَّت مجموعة من القوارير الصَّغيرة، وقد سُرَّ پايسل بإعلامهم بمحتوى كلٍّ منها، وقال بصوتٍ مرتعش: «هذا فِطر الغاريقون الرَّمادي، وهذا عنب الثَّعلب، وهذا حُلو الكَرى، وهذا رقصة الشَّيطان، وهذا العين العمياء، وهذا يُسَمَّى دم الأرملة بسبب لونه. عقَّار شنيع، يسدُّ مثانة المرء

وشَرجه إلى أن يغرق في سموم جسده. وهذا آفة الذِّئب، وزُعاف البازيليسق، ودموع لِيس. نعم، أعرفها جميعًا. العِفريت تيريون لانستر سرقَها من مسكني حين سجنَني بلا جريرة».

ناداه تيريون مخاطرًا بإثارة غضب أبيه: «پايسل، هل يُمكن لأيٍّ من هذه السُّموم أن يكتم أنفاس المرء حتى الموت؟».

- «لا. لغرضٍ كهذا عليك أن تستعين بسُمٍّ أندر. في صِباي في (القلعة) أطلقَ عليه أساتذَتي اسمًا بسيطًا هو الخنَّاق».

- «لكن أحدًا لم يَعثُر على هذا السُّمِّ النَّادر، أليس كذلك؟».

حدَّق إليه پايسل مجيبًا: «نعم يا سيِّدي، لأنك استخدمته كلَّه لقتل أنبل صبيٍّ وضعَته الآلهة على هذه الأرض».

قال تيريون وقد غلبَت غضبته عقله: «چوفري كان متوحِّشًا وغبيًّا، لكنني لم أقتله. اضربوا رأسي إذا أردتم، لكن لا دخل لي بموت ابن أختي».

صاحَ اللورد تايوين: «صمتًا! لقد أنذرتك ثلاث مرَّات. المرَّة القادمة ستُكَمَّم وتُقَيَّد».

بَعد پايسل تعاقبَ الشُّهود بلا نهايةٍ على نحوٍ يُثير الضَّجر، لوردات وليديهات وفُرسان نُبلاء، كريمو المحتد ووضيعوه، كلُّهم كانوا حاضرين في مأدبة الزِّفاف، وكلُّهم رأوا چوفري يختنق ووجهه يسودُّ كبرقوقةٍ دورنيَّة. اللورد ردواين واللورد سلتيجار والسير فليمنت براكس سمعوا تيريون يُهَدِّد الملك، ورآه خادمان وحاوٍ واللورد جايلز والسير هوبر ردواين والسير فيليپ فوت يملأ كأس الزِّفاف، والليدي ميريويذر أقسمَت أنها لمحَت القزم يُسقِط شيئًا في نبيذ الملك، بينما انشغلَ چوف ومارچري بتقطيع الكعكة، وحكى اللورد إسترمونت وپكلدون الشَّاب والمغنِّي جاليون ابن (كاي) والمُرافِقان موروس وچوثوس سلينت كيف التقطَ تيريون الكأس وچوف يُحتضَر وسكبَ ما تبقَّى من النَّبيذ المسموم على الأرض.

متى صنعتُ كلَّ هؤلاء الأعداء؟ الليدي ميريويذر غريبة تمامًا، وتساءلَ تيريون أن كانت عمياء أم مرتشيةً. على الأقل لم يُدلِ جاليون بشهادته غناءً، وإلَّا لاحتوَت على سبعةٍ وسبعين بيتًا لعينًا.

حين زارَه عمُّه ليلتها بَعد العَشاء كلَّمه بأسلوب باردٍ مقتضب. هو أيضًا يظنُّ أني فعلتها. سألَه السير كيڤان: «ألديك شهود لَنا؟».

- «لا، ما لم تكونوا قد عثرتم على زوجتي».

هَزَّ عمُّه رأسه نفيًا مجيبًا: «يبدو أن المحاكَمة تمضي في غير صالحك على الإطلاق».

قال تيريون: «أوه، أهذا رأيك؟ لم ألاحظ»، وداعبَ نَدبته مضيفًا: «ڤارس لم يأتِ».

- «ولن يأتي. غدًا سيشهد ضدك».

مر حى! اعتدلَ في مقعده قائلًا: «مفهوم. لديَّ سؤال. لطالما كنت رجلًا عادلًا يا عمَّاه، فما الذي أقنعَك؟».

قال السير كيڤان بلا موارَبة: «لماذا سرقت سموم پايسل إن لم يكن لاستخدامها؟ والليدي ميريويذر...».

- «... لم ترَ شيئًا! لم يكن هناك ما يُرى! لكن كيف أثبتُ ذلك؟ كيف أثبتُ أيَّ شيءٍ وأنا حبيس هنا؟».

- «ربما آنَ الأوان لأن تعترف».

على الرغم من جُدران (القلعة الحمراء) السَّميكة سمعَ تيريون صوت المطر الثَّابت في الخارج وهو يقول: «هلَّا كرَّرت ما قلته يا عمَّاه؟ أكادُ أقسمُ أني سمعتك تحثُّني على الاعتراف».

- «إذا أقررت بذنبك أمام العرش وأبديت ندمك على جريمتك فلن يُنفِّذ أبوكَ حُكم الإعدام. سيُسمَح لك بارتداء الأسود».

ضحكَ تيريون في وجهه قائلًا: «الشُّروط نفسها التي عرضَتها سرسي على إدارد ستارك، وكلُّنا نعلم نهاية تلك الحكاية».

- «لم يكن لأبيك دور في هذا».

هذا القَدر على الأقل حقيقي، لكن تيريون رَدَّ: «(القلعة السَّوداء) تعجُّ بالقتَلة واللُّصوص والمغتصِبين، لكني لا أذكرُ أني التقيتُ الكثير من قاتِلي الملوك وأنا هناك. هل تتوقَّع مني أن أصدِّق أنه إذا اعترفت بكوني قاتِل ملكٍ وقاتل أقربين، فسيكتفي أبي بالإيماء برأسه ويعفو عني ويُرسِلني إلى (الجدار) بالقليل من الثِّياب الدَّاخليَّة الصُّوف؟». قالها وأطلقَ ضحكةً صاخبةً وقحةً.

أجابَه السير كيفان بصرامة: «لم يَقُل أحد شيئًا عن العفو. الاعتراف سيحسم المسألة، ولهذا السَّبب أرسلَني أبوك إليك بهذا العرض».

- «بلِّغه شُكري الحار يا عمَّاه، لكن أخبِره بأنني لستُ في مزاج اعتراف في الوقت الحالي».

- «لو كنتُ مكانك لغيَّرتُ مزاجي. أختك تُريد رأسك، واللورد تايرل على الأقل ميَّال إلى منحها إياه».

- «إذن فقد أدانَني أحد قُضاتي بالفعل دون أن يسمع كلمةً دفاعًا عني؟». ليس هذا أكثر مما توقَّع. «أما زالَ مسموحًا لي بالكلام وتقديم الشُّهود؟».

قال عمُّه: «ليس لديك شهود! تيريون، إذا كنت مذنبًا في هذه الجريمة المنكَرة، فـ(الجدار) مصير أرفق مما تستحقُّ، وإذا كان لا تثريب عليك... أعلمُ أن هناك قتالًا في الشَّمال، وعلى الرغم من هذا ستكون أكثر أمنًا هناك من (كينجز لاندنج) أيًّا كانت نتيجة المحاكَمة. النَّاس مقتنعون بذنبك، وإذا استحمَقت وخرجت إلى الشَّوارع سيُمَزِّقوك إربًا».

- «أرى كم تُقلِقك فكرة كهذه».

- «أنت ابن أخي».

- «ربما عليك أن تُذَكِّره بهذا!».

- «أتحسب أنه كان ليسمح لك بارتداء الأسود لو لم تكن من دمه ودم چوانا؟ أعرفُ أن تايوين يبدو لك رجلًا قاسيًا، لكنه ليس أقسى مما عليه أن يكون. أبونا كان رفيقًا وديعًا، لكن ضعيفًا لدرجة أن حمَلة رايتنا اعتادوا التَّهكُّم عليه وهُم ثملون، بل وتجاسرَ البعض على تحدِّيه علانيةً. هناك لوردات اقترضوا منا الذَّهب ولم يُزعِجوا أنفسهم بتسديد ديونهم، وفي البلاط كانوا يسخرون من الأُسود التي بلا أنياب، وحتى عشيقته سرقَت منه، امرأة لا تكاد تعلو درجةً واحدةً على العاهرة وانتقَت كما تشاء من حُلِيِّ أمِّي! هكذا وقعَ على عاتق تايوين أن يُعيد عائلة لانستر إلى عِزَّتها، تمامًا كما وقعَ على عاتقه أن يتولَّى زمام هذه البلاد وهو لم يتعدَّ العشرين من العُمر. لقد حملَ هذا العبء الثَّقيل عشرين عامًا كاملةً، ولم يجنِ شيئًا إلَّا حسد ملكٍ مجنون. بدلًا من التَّكريم الذي استأهلَه عانى إهاناتٍ لَا تُحصى، لكنه أعطى (الممالك السَّبع) السَّلام والازدهار والعدالة. إنه رجل عادل، ومن الحكمة أن تثق به».

حدَّق تيريون إليه مبهوتًا. لطالما كان السير كيڤان رجلًا صُلبًا عمليًّا متبلِّد الحِس، ولم يسمعه يتكلَّم بهذه الحرارة من قبل قَطُّ. قال له: «إنك تحبُّه».

- «إنه أخي».
- «سـ... سأفكِّرُ في ما قلته».
- «فكِّر جيِّدًا إذن، وسريعًا».

ولم يُفكِّر تيريون في شيءٍ آخَر تقريبًا ليلتها، ولكن بحلول الصَّباح لم يكن قد دنا خُطوةً واحدةً من البَتِّ في قُدرته على الثِّقة بأبيه. جلبَ له خادم إفطارًا من الثَّريد والعسل، فلم يستطِع أن يتذوَّق إلَّا ما تُولِّده فكرة الاعتراف من مرارة. سينعتونني بقاتِل الأقربين ما حييتُ، وطيلة ألف عام أو أكثر -إذا تذكَّرني أحد أصلًا- سأبقى القزم الوحش الذي سمَّم ابن أختَه الصَّغير في حفل زفافه. هيَّج الخاطر فيه غضبًا أعمى جعلَه يُطَوِّح بالوعاء والملعقة عبر الغُرفة ويُلَطِّخ الحائط بالثَّريد، الذي رمقَه السير أدام ماربراند بفضولٍ عندما أتى يصطحبه إلى المحاكَمة، لكنه أحجمَ بأدبٍ عن التَّعليق.

أعلن الحاجب: «اللورد ڤارس، وليُّ الهامسين».

مكسوًّا بالمساحيق والزِّينة بينما تفوح منها رائحة ماء الورد، ظَلَّ العنكبوت يَفرُك يديه معًا طيلة الوقت وهو يتكلَّم. يغسلهما من حياتي، فكَّر تيريون منصتًا لحكاية الخصيِّ الأسيانة عن تآمُر العِفريت على إبعاد چوفري عن حماية كلب الصَّيد، وكيف تكلَّم مع برون عن فوائد جعل تومن ملكًا. أنصاف الحقائق قيمتها أعلى من الأكاذيب الخالصة. وعلى عكس الآخَرين كانت مع ڤارس وثائق، أوراق مليئة باجتهادٍ بالملاحَظات والتَّفاصيل والتَّواريخ والحوارات الكاملة، مواد كثيرة للغاية استغرقَ سردها النَّهار بطوله، وكثير منها يُدينه. أكَّد ڤارس زيارة تيريون في منتصَف اللَّيل إلى مسكن المِايستر الأكبر پايسل وسرقته سمومه وعقاقيره، وأكَّد تهديده سرسي ليلة تناوَلا العَشاء معًا، أكَّد كلَّ شيءٍ لعين باستثناء التَّسميم نفسه.

حين سألَه الأمير أوبرين عن كيفيَّة معرفته بكلِّ هذا وقد كان غائبًا عن جميع تلك الأحداث، قهقهَ الخصيُّ وقال: «طيوري الصَّغيرة أخبرَتني. المعرفة غايتها وغايتي».

كيف أستجوبُ طائرًا صغيرًا؟ كان حريًّا بي أن أضرب رأس الخصيِّ في

يومي الأول في (كينجز لاندنج). سُحقًا له، وسُحقًا لي لما وضعته فيه من ثقة.

سألَ اللورد تايوين ابنته فيما غادرَ ڤارس القاعة: «هل سمعنا الجميع؟».

أجابَت سرسي: «تقريبًا. أطلبُ منك الإذن في تقديم شاهدٍ أخير أمامكم غدًا».

قال أبوها: «كما ترغبين».

فكَّر تيريون بشراسة: أوه، عظيم. بعَد هذه المهزلة سيكون الإعدام عتقًا.

ليلتها، وهو جالس إلى النَّافذة يشرب، سمعَ أصواتًا خارج الباب، فقال لنفسه على الفور: السير كيڤان، جاءَ يَطلُب إجابتي، لكن مَن دخلَ لم يكن عمَّه.

نهضَ تيريون لينحني بسخريةٍ للأمير أوبرين، وقال: «هل مسموح للقُضاة بزيارة المتَّهمين؟».

أجابَه الأفعوان الأحمر: «مسموح للأمراء بالذَّهاب حيثما يعنُّ لهم، أو أن هذا ما قلته للحُرَّاس»، وجلسَ.

- «سيستاء أبي منك».

- «سعادة تايوين لانستر لم تكن على قمَّة أولويَّاتي قَطُّ. أهذا نبيذ دورني الذي تشربه؟».

- «مِن (الكرمة)».

أبدى أوبرين امتعاضه قائلًا: «ماء أحمر. هل سمَّمته؟».

- «لا. هل سمَّمته أنت؟».

قال الأمير مبتسمًا: «ألكلِّ الأقزام ألسنة كلسانك؟ ذات يومٍ سيقطعه أحدهم».

- «لست أول من يقول لي هذا. ربما عليَّ أن أقطعه بنفسي، فيبدو أنه يتسبَّب في متاعب بلا نهاية».

- «هذا ما رأيته. أعتقدُ أني سأشربُ القليل من عصير عنب اللورد ردواين».

قال تيريون: «كما تُريد»، وقدَّم له كوبًا.

أخذَ الرَّجل رشفةً ودوَّرها في فمه ثم ابتلعَها، وقال: «لا بأس به في الوقت

الحالي. غدًا سأرسلُ لك نبيذًا قويًّا من (دورن)»، وأخذَ رشفةً ثانيةً قبل أن يُتابِع: «عثرتُ على العاهرة ذات الشَّعر الذَّهبي التي كنتُ أبحثُ عنها».

– «وجدت ماخور شاتايا إذن؟».

– «هناك ضاجعتُ الفتاة سوداء البشرة. اسمها ألايايا على ما أعتقدُ. إنها فاتنة على الرغم من النُّدوب على ظَهرها... لكن العاهرة التي أعنيها هي أختك».

سألَه تيريون بلا دهشة: «هل حاولَت إغراءَك بعدُ؟».

أطلقَ أوبرين ضحكةً عاليةً، وأجابَ: «لا، لكنها ستفعل إذا دفعتُ الثَّمن الذي تَطلُبه. لقد لمَّحت الملكة إلى الزَّواج أيضًا. جلالتها في حاجةٍ إلى زوج جديد، ومَن أفضل من أمير دورني؟ إلاريا تعتقد أن عليَّ أن أقبل. مجرَّد فكرةَ وجود سرسي معنا في فِراشنا تُبلِّل تلك المرأة الشَّهوانيَّة، ولن نضطرَّ حتى لدفع بنس القزم. كلُّ ما تَطلُبه أختك مني هو رأس واحد، كبير إلى حَدٍّ ما ويعوزه أنف».

قال تيريون منتظرًا: «ثم؟».

على سبيل الإجابة دوَّر الأمير أوبرين نبيذه في الكوب، وقال: «عندما غزا التِّنين الصَّغير (دورن) منذ زمنٍ طويل تركَ سيِّد (هايجاردن) ليَحكُمنا بَعد خضوع (صنسبير)، وتنقَّل هذا اللورد تايرل بذيلٍ من رجاله من قلعةٍ إلى قلعةٍ مطاردًا المتمرِّدين وعاملًا على أن نبقى راكعين. كان يصل بقوَّةٍ كبيرة ويستولي على قلعةٍ ويبقى فيها قمرًا، ثم يتَّجه إلى القلعة التَّالية، وكانت عادته أن يَطرُد اللوردات من غُرفهم ويأخذ أسرَّتهم لنفسه. ذات ليلةٍ وجدَ نفسه تحت مظلَّةٍ ثقيلة من القطيفة، وقد عُلِّق شريط بالقُرب من الوسائد في حال أرادَ أن يستدعي فتاةً ما إلى الفِراش. كان هذا اللورد تايرل يحبُّ مذاق الدورنيَّات، ومَن يلومه؟ هكذا جذبَ الشَّريط، ولمَّا فعلَ انشقَّت المظلَّة التي تعلوه وسقطَ مئة عقرب أحمر على رأسه. أشعلَ موته نارًا سرعان ما اكتسَحت دورن ضاربةً بكلِّ انتصارات التِّنين الصَّغير عرض الحائط خلال أسبوعين لا أكثر، ونهضَ الرَّاكعون وعُدنا أحرارًا».

قال تيريون: «أعرفُ هذه الحكاية. ما المغزى منها؟».

– «هذا. إذا وجدتُ شريطًا إلى جوار فِراشي وجذبته، فإنني أوثِرُ أن تَسقُط عليَّ العقارب على أن أحظى بالملكة بكلِّ جمالها العاري».

رَدَّ تيريون بابتسامةٍ عريضة: «أنا وأنت نشترك في هذا إذن».
قال الأمير وعيناه الدَّاكنتان تلتمعان استمتاعًا: «بالطَّبع هناك الكثير مما أشكرُ أختك عليه، فلولا اتِّهامها في الحفل فربما كنت أنت مَن يَحكُم عليَّ الآن بدلًا من أن أحكم أنا عليك، فمَن يعرف السُّموم أكثر من أفعوان (دورن) الأحمر؟ ومَن لديه سبب أدعى لإبعاد آل تايرل عن التَّاج؟ وبذهاب چوفري إلى قبره ينصُّ القانون الدورني على انتقال العرش الحديدي إلى أخته مارسلا، التي يتصادَف أنها مخطوبة لابن أخي بفضلك».
قال تيريون الذي كان منهمكًا في محنته للغاية فلم يتوقَّف ليُفكِّر في مسألة الخلافة: «القانون الدورني لا يُطَبَّق هنا. أبي سيُتَوِّج تومن، لك أن تثق بهذا».
- «قد يُتَوَّج تومن هنا في (كينجز لاندنج) بالفعل، وهو ما لا يعني بالضَّرورة أن أخي لن يُتَوِّج مارسلا هناك في (صنسپير). هل سيُعلِن أبوك الحرب على ابنة أختك نيابةً عن ابنها؟ هل ستُعلِنها أختك؟»، وهَزَّ الأمير كتفيه مواصلًا: «ربما يَجدُر بي أن أتزوَّج الملكة سرسي، بشرط أن تُناصِر ابنتها لا ابنها. أتحسب أنها ستفعل؟».
أرادَ تيريون أن يقول: مستحيل، لكن الكلمة احتبسَت في حَلقه. لطالما كرهَت سرسي استبعادها من السُّلطة بسبب جنسها. إذا طُبِّقَ القانون الدورني في الغرب فستُصبح وريثة (كاسترلي روك) بمفردها. هي وچايمي توأمان، لكن سرسي جاءَت العالم أولًا، والأمر لا يتطلَّب أكثر من هذا. إذا ناصرَت قضيَّة مارسلا فإنها تُناصِر قضيَّة نفسها. قال: «لا أدري كيف قد تختار سرسي بين تومن ومارسلا، لكن لا فرق، فأبي لن يُعطيها الخيار أبدًا».
قال الأمير أوبرين: «قد لا يعيش أبوك إلى الأبد».
شيء ما في الأسلوب الذي قالها به جعلَ الشُّعيرات على مؤخِّرة عُنق تيريون تنتصب، وفجأةً عادَ ينتبه إلى قصَّة إليا وكلِّ ما قاله أوبرين وهما يقطعان حقل الرَّماد. يُريد الرَّأس الذي أعطى الأمر، وليس اليد التي ضربَت بالسَّيف وحسب. «ليس من الحكمة أن تتفوَّه بهذه الخيانات في (القلعة الحمراء) يا سموَّ الأمير. الطُّيور الصَّغيرة تتنصَّت».
قال الدورني: «دعها تتنصَّت. أهي خيانة أن أقول إن البَشر فانون؟ ڤالار مورجولِس. هكذا كانوا يقولونها في (ڤاليريا) قديمًا. كلُّ البَشر يُدرِكهم

الموت، وحَلَّ الهلاك وأثبتَ صحَّة المقولة»، وذهبَ إلى النَّافذة ليَرمُق اللَّيل مضيفًا: «يُقال إنك بلا شهود تُقَدِّمهم لنا».

– «كنتُ آملُ أن تكفي نظرة واحدة إلى وجهي الوسيم لإقناعكم ببراءتي».

– «أنت مخطئ يا سيِّدي. زهرة (هايجاردن) البدينة مقتنع تمامًا بذنبك وعازم على موتك. عزيزته مارچري كانت تشرب من الكأس نفسها كما ذكَّرنا عشرات المرَّات».

– «وأنت؟».

– «نادرًا ما يكون جوهر المرء كظاهره. إنك تبدو مذنبًا للغاية لدرجةٍ أقنعَتني ببراءتك، لكنك ستُدان غالبًا رغم ذلك. مخزون العدالة طفيف على هذه النَّاحية من الجبال. لم تكن هناك عدالة لإليا أو إجون أو رينيس، فلِمَ تكون هناك عدالة لك؟ ربما التهمَ قاتِل چوفري الحقيقي دُب، فيبدو أن هذا يَحدُث كثيرًا في (كينجز لاندنج). أوه، مهلًا. الدُّب كان في (هارنهال)، تذكَّرتُ الآن».

– «أهذه هي اللُّعبة التي نلعبها إذن؟». فركَ تيريون أنفه مفكِّرًا أنه ليس هناك ما يخسره بإخبار أوبرين بالحقيقة. «كان هناك دُب في (هارنهال) فعلًا، وقتلَ السير آموري لورك».

قال الأفعوان الأحمر: «محزن أن يَحدُث له هذا، ولك. تُرى هل يكذب كلُّ مجدوعي الأنوف على هذا النَّحو الفاضح؟».

– «لستُ أكذبُ. السير آموري جَرَّ الأميرة رينيس من تحت فِراش أبيها وطعنَها حتى الموت. كان معه عدد من الجنود، لكني أجهلُ أسماءهم»، ومالَ تيريون إلى الأمام مردفًا: «السير جريجور كليجاين هو مَن هشَّم رأس الأمير إجون على جِدار واغتصبَ أختك إليا بينما كانت دماء ابنها وقِطع من مخِّه لا تزال على يديه».

ابتسمَ أوبرين ببرودٍ قائلًا: «ما هذا؟ الحقيقة من لانستر؟ أبوك هو من أعطى الأمر، أليس كذلك؟».

– «لا». لفظَ الكذبة بلا تردُّد، ولم يتوقَّف لحظةً ليسأل نفسه عن السَّبب. رفعَ الدورني حاجبًا أسود رفيعًا، وقال: «ابن بار حقًّا، وكذبة واهية حقًّا.

اللورد تايوين هو من قدَّم طفلَيْ أختي للملك روبرت ملفوفيْن بمعطفَيْ لانستر قرمزيَّين».

- «ربما الأحرى بك أن تُناقِش هذا مع أبي. لقد كان هنا، أمَّا أنا فكنتُ في (الصَّخرة)، لا أزالُ صغيرًا وأحسبُ أن هذا الشَّيء بين ساقَيْ لا يَصلُح إلَّا للتَّبوُّل».

قال الأمير الدورني: «نعم، لكنك هنا الآن، وفي مأزق على ما يبدو لي. قد تكون براءتك جليَّةً كهذه العاهة على وجهك، لكنها لن تُنقِذك، كما لن يُنقِذك أبوك»، وابتسمَ مضيفًا: «لكن ربما أنقذك أنا».

تمعَّن تيريون فيه قائلًا: «أنت؟ إنك قاضٍ واحد من ثلاثة، فكيف يُمكنك أن تُنقِذني».

- «ليس بصفتي قاضيك، بل نصيرك».





چايمي

كتاب أبيض على طاولةٍ بيضاء في حُجرةٍ بيضاء.

الحُجرة مستديرة، جُدرانها الحجريَّة المطليَّة بالجير مُزدانة بالمعلَّقات الصُّوف البيضاء، وتحتلُّ الطَّابق الأول من (بُرج السَّيف الأبيض)، البناء الرَّفيع الذي يرتفع أربعة طوابق من زاويةٍ في سور القلعة المطلِّ على الخليج. يضمُّ القبو الأسلحة والعتاد، والطَّابقان الثَّاني والثَّالث حُجيرات النَّوم الصَّغيرة المتواضعة الخاصَّة بستَّةٍ من إخوة الحَرس الملكي.

إحدى تلك الحُجيرات كانت له طيلة ثمانية عشر عامًا، لكنه نقلَ حاجياته هذا الصَّباح إلى الطَّابق العُلوي المخصَّص بالكامل لمسكن حضرة القائد، وهو مسكن متواضع أيضًا وإنما فسيح، كما أنه يعلو فوق الأسوار الخارجيَّة، أي أنه سيُتيح له الاستمتاع بمنظر البحر. سيروقني هذا، المنظر والبقيَّة كلُّها.

شاحبًا كالحُجرة ذاتها، جلسَ چايمي إلى الطَّاولة عند الكتاب مرتديًا أبيض الحَرس الملكي، ينتظر حضور إخوته المحلَّفين وقد تدلَّى سيف طويل من وَركه. من الوَرك الخطأ. في الماضي كان يُعلِّق سيفه من يساره دومًا ويسحبه على جسده عندما يشهره، لكنه نقلَه إلى وَركه الأيمن صباح هذا اليوم كي يستلَّه بيده اليُسرى بالنَّسق نفسه، غير أنه استشعرَ غرابة ثقله هناك، ولمَّا حاولَ أن يسحب النَّصل من الغِمد بيُسراه أحسَّ بالحركة كلِّها خرقاء غير طبيعيَّة. ثم إن ثيابه لا تُناسِبه كذلك. كان قد ارتدى زِيَّ الحَرس الملكي الشِّتوي، سُترةً وسراويلَ من الصُّوف الأبيض النَّاصع ومعطفًا أبيض ثقيلًا، لكن كلَّ قطعةٍ بدَت فضفاضةً عليه.

يقضي چايمي أيامه في محاكَمة أخيه واقفًا بعيدًا عند مؤخِّرة القاعة. إمَّا أن

تيريون لم يلحظه قَطُّ وإمَّا أنه لم يتعرَّفه، لكن هذا لا يُدهِشه، فيبدو أن نِصف البلاط ما عادَ يتعرَّفه. غريب في داري. ابنه ماتَ، وأبوه تبرَّأ منه، وأخته... إنها لم تسمح له بالانفراد بها ولو مرَّةً بَعد ذلك اليوم في السِّبت الملكي حيث سُجِّيَ چوفري وسط الشُّموع، عندما حملوه عبر المدينة إلى لَحده في (سِبت بيلور الكبير) حافظَت سرسي على مسافةٍ حذرةٍ بينهما.

عادَ يتطلَّع إلى الحُجرة المستديرة. المعلَّقات الصُّوف البيضاء تُغَطِّي الجُدران، وفوق المستوقَد تُرسٌ أبيض وسيفان طويلان متقاطعان، والكُرسي الموضوع وراء الطَّاولة من البلُّوط الأسود القديم، ووسائده من جِلد الأبقار المبيَّض البالي. أبلَته مؤخِّرة باريستان الباسل العظميَّة والسِّير چيرولد هايتاور من قبله، والأمير إيمون الفارس التنِّين، والسير ريام ردواين، وشيطان (داري)، والسير دنكان الطَّويل، والجريفين الشَّاحب آلين كوننجتون. أنَّى لقاتِل الملك بالانتماء إلى صُحبةٍ مجيدة كهذه؟

لكن ها هو ذا.

الطَّاولة نفسها من خشب الويروود القديم، شاحبة كالعظم ومنحوتة على شكل تُرسٍ ضخم تحمله ثلاثة فحول بيضاء. جرَت العادة على جلوس القائد عند رأسِ التُّرس، فيما يجلس ثلاثة من الإخوة على كلِّ جانب، في المناسبات النَّادرة التي يجتمع فيها سبعتهم في آنٍ واحد. الكتاب المستقرُّ عند مِرفقه ضخم، طوله قدمان كاملان وعرضه قدم ونِصف، ويَبلُغ ألف صفحةٍ من ورق الرَّقوق الأبيض الممتاز بين دفَّتين من الجِلد الأبيض، ومزوَّد بمفصلات وأبازيم من الذَّهب. اسمه الرَّسمي (كتاب الإخوة)، ولكن غالبًا ما يُسَمَّى ببساطةٍ (الكتاب الأبيض).

وفحوى (الكتاب الأبيض) تاريخ الحَرس الملكي. كلُّ فارس خدمَ في هذه الأخوَّة له صفحة تُسَجِّل اسمه ومآثره إلى الأبد. في الرُّكن العُلوي الأيسر من كلِّ صفحةٍ رُسِمَ التُّرس الذي كان صاحبها يحمله وقت اختياره للخدمة بحِبرٍ زاهي الألوان، وفي الرُّكن السُّفلي الأيمن تُرس الحَرس الملكي، أبيض كالثَّلج، فارغ، نقي. التُّروس العُلويَّة مختلفة كلُّها، والسُّفليَّة واحدة، وفي الفضاء بينهما تُسَجَّل وقائع حياة كلِّ رجلٍ وخدمته. شعارات النَّبالة والزَّخارف

يعمل عليها سِپتونات يُرسِلهم (سِپت بيلور الكبير) ثلاث مرَّاتٍ في العام، لكن تحديث المُدرَجات واجب القائد.

واجبي الآن. بمجرَّد أن يتعلَّم الكتابة بيُسراه بالطَّبع. وجدَ (الكتاب الأبيض) في حاجةٍ إلى تحديث، إذ لم يُدرَج موت السير ماندون مور أو السير پرستون جرينفيلد، علاوةً على خدمة ساندور كليجاين الدَّامية الموجَزة في الحَرس الملكي، ويجب إضافة صفحاتٍ جديدة لكلٍّ من السير بالون سوان والسير أوزموند كِتلبلاك وفارس الزُّهور. عليَّ أن أستدعي سِپتونًا يرسم تروسهم.

سبقَ السير باريستان سلمي چايمي إلى قيادة الحَرس الملكي، وعلى قمَّة صفحته حملَ تُرسه رمز عائلة سلمي، ثلاث سنابل قمحٍ صفراء على خلفيَّةٍ بنِّيَّة، وعلى الرغم من أن چايمي لم يندهش، فقد وجدَ مِن الطَّريف أن السير باريستان استغرقَ وقتًا لتدوين صرفه من الخدمة قبل أن يُغادِر القلعة.

السير باريستان سليل عائلة سلمي. الابن الأول للسير لايونل سلمي ابن (بهو الحصاد). خدمَ مُرافقًا للسير مانفريد سوان. لُقِّبَ بـ«الباسل» وهو في العاشرة من العُمر، عندما ارتدى دِرعًا مستعارةً ليظهر كفارس غامض في دورة المباريات التي أقيمَت في (المرفأ الأسود)، حيث هُزِمَ وأُميط لثامه على يد دنكان أمير (قلعة اليعاسيب). نصَّبه الملك إجون تارجاريَن الخامس فارسًا وهو في السَّادسة عشرة من العُمر، بعَد إبداء فائق البراعة والشَّجاعة كفارس غامض في دورة المباريات الشِّتويَّة في (كينجز لاندنج)، هازمًا الأمير دنكانَ الصَّغير وحضرة قائد الحَرس الملكي السير دنكان الطَّويل. قتلَ ميليس الوحش آخِر مدَّعيي آل بلاكفاير في نزالٍ فردي خلال حرب ملوك التِّسع بنسات. هزمَ لورمل الرُّمح الطَّويل وسدريك ستورم نغل (بوَّابة البرونز). رقَّاه حضرة القائد السير چيرولد هايتاور إلى الحَرس الملكي وهو في الثَّالثة والعشرين من العُمر. دافعَ عن المعبر ضد جميع المتحدِّين في دورة مباريات (جسر الفضَّة). انتصرَ في الالتحام الجماعي في (بركة العذارى). حملَ الملك إيرس الثَّاني إلى الأمان خلال تحدِّي (وادي الغسق) على الرغم من إصابته بسهم في الصَّدر. انتقمَ لمصرع أخيه المحلَّف السير جواين جونت. أنقذَ الليديَ چاين سوان وسِپتتها من أخوَّة غابة الملوك، هازمًا سيمون توين

والفارس الباسم وقاتلًا الأول. في دورة مباريات (البلدة القديمة) هزمَ الفارس الغامض التُّرس الأسود، وأماطَ لثامه كاشفًا عن هُويتّه كنغل (النُّجود). الفائز الأوحد في دورة مباريات اللورد ستفون في (ستورمز إند)، حيث أسقطَ كلًّا من اللورد روبرت باراثيون والأمير أوبرين مارتل، واللورد لايتون هايتاور، واللورد چون كونجتون، واللورد چيسون ماليستر، والأمير ريجار تارجارين عن خيولهم. أُصيبَ بسهم وحربةٍ وسيفٍ في معركة (الثَّالوث) وهو يُقاتِل إلى جوار إخوته المحلَّفِين وريجار أمير (دراجونستون). عفا عنه الملك روبرت باراثيون الأول وعيَّنه قائدًا للحَرس الملكي. خدمَ في حَرس الشَّرف الذي صاحبَ الليدي سرسي سليلة عائلة لانستر إلى (كينجز لاندنج) لتتزوَّج الملك روبرت. قادَ الهجوم على (ويك القديمة) خلال تمرُّد بالون جرايچوي. بطل دورة مباريات (كينجز لاندنج) وهو في السَّابعة والخمسين من العُمر. صرفَه الملك چوفري باراثيون الأول من الخدمة وهو في الحادية والستِّين من العُمر بدعوى الشَّيخوخة.

الجزء الأول من سيرة السير باريستان سجَّله خَطُّ السير چيرولد هايتاور النَّضيد الكبير، وبدايةً من إصابته في معركة (الثَّالوث) تابعَ سلمي التَّسجيل بخَطِّه الأصغر الأكثر أناقةً.

أمَّا صفحة چايمي فمتواضعة بالمقارَنة.

السير چايمي سليل عائلة لانستر. الابن الأول للورد تايوين لانستر والليدي چوانا ولدَيْ (كاسترلي روك). خدمَ ضد أخوَّة غابة الملوك كمُرافِق للورد سَمنر كراكهول. نصَّبه السير آرثر داين رجل الحَرس الملكي فارسًا وهو في الخامسة عشرة من العُمر لشَجاعته في ميدان القتال. اختارَه الملك إيرس تارجارين الثَّاني للخدمة في الحَرس الملكي وهو في الخامسة عشرة من العُمر. قتلَ الملك إيرس الثَّاني عند قدم العرش الحديدي خلال نهب (كينجز لاندنج)، ومنذ ذلك الحين وهو معروف باسم «قاتِل الملك». تلقَّى عفوًا عن جريمته من الملك روبرت باراثيون الأول. خدمَ في حَرس الشَّرف الذي صاحبَ أخته الليدي سرسي لانستر إلى (كينجز لاندنج) لتتزوَّج الملك روبرت. فازَ في دورة المباريات التي أُقيمَت في (كينجز لاندنج) بمناسَبة زفافهما.

كم تبدو حياته ضئيلةً هزيلةً وهي ملخَّصة هكذا. كان يُمكن للسير باريستان أن يُسَجِّل عددًا من انتصاراته الأخرى في المباريات على الأقل، وكان السير چيرولد يستطيع أن يُدَوِّن بضع كلماتٍ إضافيَّة عن صنائعه حينما حطَّم السير آرثر داين أخوَّة غابة الملوك. لقد أنقذَ حياة اللورد سَمنر بينما أوشكَ بن ذو البطن الكبير على تهشيم رأسه، مع أن المجرم فَرَّ منه، وتصدَّى للفارس الباسم رغم أن السير آرثر هو من قتلَه في النِّهاية. ويا له من قتال، ويا له من غريم. كان الفارس الباسم مجنونًا، الوحشيَّة والفُروسيَّة وقد انصهرَتا معًا في أتونٍ واحد، لكن الرَّجل لم يكن يعرف معنى الخوف. وداين و(فَجر) في يده... قُرب النِّهاية كان سيف المجرم الطَّويل مفلولًا عن آخِره، لدرجة أن السير آرثرٍ توقَّف ليسمح له بالتقاط واحدٍ جديد، وإذ استأنفا القتال قال له الفارس اللِّص على الرغم من الدِّماء النَّازفة من جسده في غير موضع: «سيفك الأبيض هذا هو ما أريدُ»، فأجابَه سيف الصَّباح: «ستناله إذن أيها الفارس»، وأجهزَ عليه.

كان العالم أبسط آنذاك، والرِّجال كالسُّيوف، مصنوعين من فولاذٍ أنقى. أم أن السَّبب أنه كان صبيًّا في الخامسة عشرة؟ جميعهم في قبورهم الآن؛ سيف الصَّباح والفارس الباسم، والثَّور الأبيض والأمير ليوين، والسير أوزويل وِنت بروح دُعابته السَّوداء وچون داري بسجيَّته الجادَّة، وسيمون توين وإخوانه في عصابة غابة الملوك وسَمنر كراكهول العجوز الفَظ. وأنا، ذلك الصَّبي الذي كنته... متى ماتَ يا تُرى؟ حين ارتديتُ المعطف الأبيض؟ حين شققتُ حَلق إيرس؟ ذلك الصَّبي أرادَ أن يُصبِح السير آرثر داين، لكنه في مكانٍ ما في أثناء رحلته صارَ الفارسَ الباسم.

سمعَ الباب ينفتح فأغلقَ (الكتاب الأبيض) ونهضَ يستقبل إخوته المحلَّفين. وصلَ السير أوزموند كِتلبلاك أولًا، وبابتسامةٍ عريضة كأنهما أخوان قديمان في السِّلاح خاطبَ چايمي قائلًا: «سير چايمي، لو بدوت هكذا في اللَّيلة إياها لتعرَّفتك في الحال».

قال چايمي الذي يشكُّ في صحَّة هذا: «حقًّا؟». لقد حمَّمه الخدم وحلقوا لحيته وغسلوا شَعره ومشَّطوه، ولمَّا نظرَ في المرآة لم يَعُد يرى الرَّجل الذي عبرَ أراضي النَّهر مع برِيان... لكنه لم يرَ نفسه كذلك، فوجهه ممصوص

مهزول، وتحت عينيه خطوط. أبدو كرجلٍ عجوز. قال لِكتلبلاك: «قِف عند مقعدك أيها الفارس».

أطاعَه الرَّجل، وانضمَّ إليهم الإخوة الآخَرون واحدًا تلو الآخَر، وحين اجتمعَ خمستهم سألَهم چايمي بلهجةٍ رسميَّة: «مَن يَحرُس الملك أيها الفُرسان؟».

أجابَه السير أوزموند: «أخواي السير أوزني والسير أوزفريد».

أضافَ فارس الزُّهور: «وأخي السير جارلان».

- «هل سيُحافِظون على سلامته؟».

- «نعم يا سيِّدي».

- «تفضَّلوا بالجلوس إذن».

كلماتهم هذه طقس ينصُّ على توكيد أمن الملك قبل أن يعقد الإخوة السَّبعة جلستهم.

جلسَ السير بوروس والسير مرين إلى يمينه تاركيْن مقعدًا شاغرًا بينهما للسير آريس أوكهارت الغائب في (دورن)، وجلسَ السير أوزموند والسير بالون والسير لوراس إلى يساره. القُدماء والجُدد. تساءلَ چايمي إن كان لهذا معنى ما. خلال تاريخه عرفَ الحَرس الملكي أوقاتًا انقسمَ فيها رجاله على أنفسهم، أبرزها وأقساها في إبَّان رقصة التَّنانين. أهذا شيء آخَر عليه أن يخشاه؟

أحسَّ بغرابة جلوسه في مقعد القائد الذي احتلَّه باريستان الباسل سنواتٍ طويلة. والأغرب أن أجلس هنا مُعاقًا. لكنه مقعده الآن، وهذا حَرسه الملكي. حُرَّاس تومن السَّبعة.

خدمَ چايمي مع مرين ترانت وبوروس بلاونت أعوامًا، وهما مقاتلان بارعان، لكن ترانت خبيث قاس، وبلاونت أفَّاك كبير. السير بالون سوان يُناسِبه المعطف الأبيض أكثر، وبالطَّبع يُفترَض أن يكون فارس الزُّهور نموذجًا لما يجب أن يكونه الفارس، أمَّا الرَّجل الخامس فغريب عليه، هذا الأوزموند كِتلبلاك.

تساءلَ عمَّا كان السير آرثر داين ليقوله عن هذه الزُّمرة. كان ليسأل: «كيف انحطَّ الحَرس الملكي هكذا حتى بلغَ الحضيض؟»، ولكان عليَّ أن أجيبه:

«إنه صنيعي. أنا من فتحَ الباب ولم يفعل شيئًا حين بدأ الهوام يزحفون إلى الدَّاخل».

حدَّثهم چايمي قائلًا: «الملك ماتَ، ابن أختي، صبيٌّ في الثَّالثة عشرة، اغتيلَ في حفل زفافه في قاعة عرشه. كان خمستكم حاضرين، وكان خمستكم يحمونه، ورغم ذلك ماتَ». انتظرَ ليرى ما سيردُّون به، لكن أحدًا منهم لم يتنحنَح حتى. صبيٌّ تايرل غاضب، وبالون سوان خجلان. أمَّا الثَّلاثة الآخَرون فلم يستشفَّ منهم إلَّا عدم الاكتراث. سألَهم بغلظة: «هل فعلَها أخي؟ هل سمَّم تيريون ابن أختنا؟».

تململَ السير بالون بضيقٍ في مقعده، وكوَّر السير بوروس قبضته، واكتفى السير أوزموند بهزِّ كتفيه بكسل، وأخيرًا أجابَ مرين ترانت قائلًا: «لقد ملأ كأس چوفري بالنَّبيذ، ولا بُدَّ أنه دَسَّ فيه السُّمَّ عندئذٍ».

- «أأنتم واثقون بأن النَّبيذ كان مسمومًا؟».

قال بوروس بلاونت: «وما غيره؟ العِفريت أفرغَ الثُّمالة على الأرض، فلأيِّ غرض بخلاف سكب النَّبيذ الذي كان ليُثبِت ذنبه؟».

وقال السير مرين: «كان يعرف أن النَّبيذ مسموم».

قطَّب السير بالون سوان وجهه قائلًا: «العِفريت لم يكن وحده على المنصَّة، بالعكس. في تلك السَّاعة المتأخِّرة من الحفل كان النَّاس واقفين أو يتحرَّكون هنا وهناك، يُبدِّلون أماكنهم أو يَدخُلون المرحاض، والخدم يجيئون ويذهبون... كان الملك والملكة قد فتحا كعكة الزِّفاف، وأعيُن الجميع عليهما وعلى تلك الحمائم الملعونة ثلاثًا. لا أحد كان يُراقِب كأس النَّبيذ».

سألَ چايمي: «مَن أيضًا كان على المنصَّة؟».

أجابَ السير مرين: «عائلة الملك، عائلة العروس، المِايستر الأكبر پايسل، السِّپتون الأعلى...».

قاطعَه السير أوزموند كِتلبلاك بابتسامةٍ ماكرة واسعة: «ها هو المسمِّم. ذلك العجوز يُبالِغ في التَّظاهُر بالتَّقوى، لكن عن نفسي لم يَرُقني منظره قَطُّ». قالها وضحكَ.

قال فارس الزُّهور بجدِّيَّة: «لا. سانزا ستارك هي المسمِّمة. تنسون جميعًا

أن أختي أيضًا شربَت من الكأس نفسها، وسانزا ستارك كانت الوحيدة في القاعة التي لديها سبب يجعلها تُريد موت مارچري والملك أيضًا، وكان أملها أن تتخلَّص من الاثنين بدَسِّ السُّمِّ في كأس الزِّفاف. ولِمَ هربَت بَعدها إن لم تكن مذنبةً؟».

كلام الصَّبي معقول. قد يكون تيريون بريئًا حقًّا. على أن أحدًا لم يدنُ خُطوةً من العثور على الفتاة. ربما يَجدُر بچايمي أن يَنظُر في الأمر بنفسه، وسيُفيده كبدايةٍ أن يعرف كيف خرجَت من القلعة. قد تكون لدى ڤارس فكرة أو فكرتان في هذا الصَّدد. لا أحد يعرف مسالك (القلعة الحمراء) أكثر من الخصي.

لكن على هذه المسألة أن تنتظر، فالآن أمامه شؤون عاجلة تتطلَّب اهتمامه. قال أبوه: تقول إنك قائد الحَرس الملكي، فاذهب وأدِّ واجبك، وهؤلاء الخمسة ليسوا الإخوة الذين كان ليختارهم، لكنهم الإخوة الذين لديه، وحانَ الوقت لأن يقبض على زِمامهم.

قال لهم: «أيًّا كان من فعلَها فقد ماتَ چوفري، والعرش الحديدي ينتمي إلى تومن الآن، ونيَّتي أن يجلس عليه إلى أن يبيضَّ شَعره وتتساقَط أسنانه، وليس بسبب السُّم»، والتفتَ إلى السير بوروس بلاونت. خلال الأعوام الأخيرة أصبحَ ممتلئ الجسد، مع أن عظامه كبيرة بما فيه الكفاية لأن تحمل ثِقل لحمه. خاطبَه قائلًا: «سير بوروس، تبدو كرجلٍ يستمتع بالطَّعام. من الآن فصاعدًا ستتذوَّق أيَّ شيءٍ يأكله أو يشربه تومن».

تردَّدت ضحكة السير أوزموند كِتلبلاك عاليةً، وابتسمَ فارس الزُّهور، لكن وجه السير بوروس احمرَّ كالبنجر، وقال: «لستُ ذوَّاقًا! إنني فارس في الحَرس الملكي!».

- «يُؤسِفني أنك كذلك». ما كان يجب أن تُجَرِّد سرسي الرَّجل من معطفه الأبيض قَطُّ، لكن أباهما ضاعفَ العار بإعادته إليه. «أختي حكَت لي كيف سلَّمت ابنها إلى مرتزقة تيريون عن طيب خاطر، لكني آملُ أنك ستجد الجَزر والبازلاء أقلَّ تهديدًا. بينما يتمرَّن إخوتك المحلَّفون في السَّاحة بالسَّيف والتُّرس ستتمرَّن أنت بالملعقة والطَّبق. تومن يحبُّ كعكات التُّفَّاح، فحاوِل ألَّا تسمح لأيِّ مرتزقةٍ باختطافها».

- «أنت تُكَلِّمني هكذا؟ أنت؟!».
- «كان عليك أن تموت قبل أن تتركهم يأخذوا تومن».
قال السير بوروس: «كما مُتَّ وأنت تحمي إيرس أيها الفارس؟»، وهَبَّ من مقعده وأطبقَ على مقبض سيفه مواصلًا: «لن... لن أسمح بهذا. المفترَض أن تكون أنت الذَّوَّاق على ما يبدو لي، فما فائدة مُعاقٍ مثلك غير هذا؟».
أجابَ چايمي مبتسمًا: «أتَّفقُ معك. كلانا لا يَصلُح لحراسة الملك، فاسحب هذا السَّيف الذي تُداعِبه وسنرى كيف تُبلي يداك الاثنتان ضد يدي الواحدة. في النِّهاية سيموت أحدنا وتتحسَّن حال الحَرس الملكي»، ونهضَ مضيفًا: «أو، إذا كنت تُفَضِّل، يُمكنك أن تعود إلى واجباتك».
صاحَ السير بوروس: «باه!»، وتنخَّع كُتلةً من البلغم الأخضر وبصقَها عند قدمَيْ چايمي، ثم خرجَ وسيفه لا يزال مغمَدًا.
مِن صالحي أن الرَّجل جبان. على الرغم من بدانته وتقدُّمه في السِّنِّ وكونه تقليديًّا على الأكثر، فلم يزل السير بوروس يستطيع أن يُمَزِّقه إربًا داميةً. لكن بوروس لا يعي هذا، ويجب ألَّا يعيه الآخَرون كذلك. إنهم يخشون الرَّجل الذي كنته، أمَّا الرَّجل الذي صِرته فسيُشفِقون عليه.
عاودَ چايمي الجلوس والتفتَ إلى كِتلبلاك قائلًا: «سير أوزموند، إنني لا أعرفك، وأجدُ هذا مثيرًا للفضول. لقد قاتلتُ في مبارياتٍ والتحاماتٍ جماعيَّة ومعارك في طول (الممالك السَّبع) وعرضها، وأعرفُ كلَّ فارس متجوِّل ومُحارِب غير نظامي ومُرافِقٍ انتهازي بأيِّ قَدر من المهارة حاولَ أن يكسر رُمحًا في مَضامير القتال، فكيفَ لم أسمع بك البتَّة يا سير أوزموند؟».
- «ليست عندي إجابة يا سيِّدي»، قال السير أوزموند وعلى وجهه ابتسامة عريضة من الشِّدق إلى الشِّدق كأنه وچايمي رفيقَيْ ثُكناتٍ قديميْن يلعبان لُعبةً ظريفةً ما. «لكني جُندي لا فارس مباريات».
- «أين خدمت قبل أن تَعثُر عليك أختي؟».
- «هنا وهناك يا سيِّدي».
- «لقد ذهبتُ إلى (البلدة القديمة) في الجنوب و(وينترفل) في الشَّمال، وإلى (لانسپورت) في الغرب (وكينجز لاندنج) في الشَّرق، لكني لم أذهب قَطُّ إلى هنا أو هناك»، وبدلًا من الإصبع الذي يعوزه أشارَ چايمي بجَدعته إلى

أنف السير أوزموند المعقوف قائلًا: «سأسألك مرَّةً أخرى. أين خدمت؟».

- «في (الأعتاب)، وبعض الوقت في أراضي النِّزاع. ثمَّة قتال هناك دائمًا. وركبتُ مع جماعة الرِّجال الشُّهام، وقاتلنا لحساب (لِيس)، وفترةً لحساب (تايروش)».

أي أنك قاتلت لحساب مَن يدفع. «وكيف تحصَّلت على فُروسيَّتك؟».

- «في ميدان معركة».

- «ومَن نصَّبك فارسًا؟».

- «السير روبرت... ستون. لكنه ماتَ يا سيِّدي».

- «بالطَّبع». ربما كان السير روبرت ستون هذا نغلًا من (الوادي) تعوَّد أن يبيع سيفه في أراضي النِّزاع، لكن من ناحيةٍ أخرى قد لا يكون أكثر من كذبةٍ ألَّفها السير أوزموند من اسم ملكٍ ميت وحجرٍ في سور قلعة. فيمَ كانت سرسي تُفكِّر حين أعطَت هذا الرَّجل معطفًا أبيض؟ لكن على الأقل يعرف كِتلبلاك كيف يستخدم السَّيف والتُّرس. نادرًا ما يتحلَّى المرتزقة بالشَّرف، لكن يجب أن يتمتَّعوا ببراعةٍ معيَّنة في السِّلاح ليبقوا أحياء. قال چايمي: «ليكن أيها الفارس. يُمكنك الانصراف».

عادَت ابتسامة الرَّجل العريضة تحتلُّ وجهه، وغادرَ المكان متبخترًا.

ابتسمَ چايمي للفارس العابس ذي الشَّعر الأحمر كالصَّدأ والانتفاخات تحت عينيه، وقال: «سير مرين، سمعتهم يقولون إن چوفري استعانَ بك لعقاب سانزا ستارك»، ودوَّر (الكتاب الأبيض) بيدٍ واحدةٍ مضيفًا: «هاك، أخبِرني أين تقول يميننا أن نضرب النِّساء والأطفال».

- «لقد فعلتُ كما أمرَني جلالته. إننا مقسمون على الطَّاعة».

- «من الآن فصاعدًا ستحدُّ من هذه الطَّاعة. أختي الملكة الوصيَّة على العرش، وأبي يد الملك، وأنا قائد الحَرس الملكي، فأطِعنا نحن ولا أحد غيرنا».

لاحَ العناد على وجه السير مرين وهو يقول: «هل تقول لنا ألَّا نُطيع الملك؟».

- «الملك طفل في الثَّامنة. واجبنا الأول حمايته، وهو ما يتضمَّن حمايته من نفسه. استخدِم هذا الشَّيء القبيح الذي تحتفظ به تحت خوذتك. إذا

أرادَكَ تومن أن تُركِّبَ سَرجَ حصانه فأطِعه، وإذا قال لك أن تَقتُلَ الحصان فتعالَ إليَّ».

- «حاضر. كما تأمر يا سيِّدي».

- «انصراف». وإذ غادرَ الرَّجلُ التفتَ چايمي إلى السير بالون سوان قائلًا: «سير بالون، لقد رأيتك في مضامير النِّزال مرارًا، وقاتلتُ معك وضدك في الالتحامات الجماعيَّة، ويُقال لي إنك أثبتَّ شَجاعتك مئة مرَّة في معركة (النَّهر الأسود). وجودك في الحَرس الملكي شَرف له».

رَدَّ السير بالون بلهجةٍ حذرة: «الشَّرف لي يا سيِّدي».

- «هناك سؤال واحد أريدُ أن أطرحه عليك. معلوم أنك خدمتنا بإخلاص... لكن ڤارس يقول لي إن أخاك ركبَ مع رنلي ثم ستانيس، بينما اختارَ السيِّد والدك ألَّا يستدعي راياته على الإطلاق وظَلَّ وراء أسوار (ستونهلم) طوال الحرب».

- «أبي كهل تجاوزَ الأربعين من العُمر يا سيِّدي، وولَّت الأيام التي كان يُقاتِل فيها».

- «وأخوك؟».

- «دونل أصيبَ في المعركة واستسلمَ للسير إلوود هارت، وبَعدها دُفِعَت فديته وتعهَّد بالولاء للملك چوفري ككثيرٍ من الأسرى».

- «هذا صحيح، ومع ذلك... رنلي، ستانيس، چوفري، تومن... كيف أغفلَ بالون جرايچوي وروب ستارك؟ كان ليصير أول فارسٍ في البلاد يُقسِم بالولاء لستَّة الملوك».

قال السير بالون وتوتُّره بادٍ على ملامحه: «دونل أخطأ، لكنه رجل الملك تومن الآن، لك كلمتي».

قال چايمي: «ليس السير دونل الثَّابت مَن يهمُّني، بل أنت»، ومالَ إلى الأمام متابعًا: «ماذا ستفعل إذا تعهَّد السير دونل الشُّجاع بسيفه لغاصِب آخر واقتحمَ قاعة العرش ذات يوم؟ ستكون واقفًا في ثيابك البيضاء بين مَلكك ودمك، فماذا تفعل؟».

- «أنا... سيِّدي، لن يَحدُث ذلك أبدًا».

- «لقد حدثَ معي».

ومسحَ سوان جبينه بكُمِّ سُترته دون أن يتكلَّم.

- «لا إجابة؟».

شَدَّ السير بالون قامته مجيبًا: «سيِّدي، أقسمُ بسيفي وشَرفي واسم أبي... لن أفعل ما فعلته أنت».

ضحكَ وقال: «عظيم. عُد إلى واجباتك... وقُل للسير دونل أن يضع رمز دوَّارة رياح على تُرسه».

ثم أصبحَ چايمي وحده مع فارس الزُّهور.

على جسده الممشوق الرَّشيق اللَّدن ارتدى السير لوراس تايرل سُترةً ناصعةً من الكتَّان وسراويلَ من الصُّوف الأبيض، وعلى خصره شَدَّ حزامًا ذهبيًّا وثبَّت معطفه الحريري الثَّمين بوردةٍ من الذَّهب. شَعره شلَّال بنِّي ناعم، وعيناه بنِّيَّتان أيضًا، وفيهما تلتمع الصَّفاقة. يحسب أننا في دورة مباريات واستدعوه للنِّزال. خاطبَه چايمي قائلًا: «في السَّابعة عشرة وفارس في الحَرس الملكي. لا بُدَّ أنك فخور بنفسك. الأمير إيمون الفارس التنِّين كان في السَّابعة عشرة أيضًا حين انخرطَ في أخوَّتنا، أكنت تعلم هذا؟».

- «نعم يا سيِّدي».

- «وهل تعلم أني كنتُ في الخامسة عشرة؟».

أجابَ مبتسمًا: «هذا أيضًا أعلمه يا سيِّدي».

قال چايمي شاعرًا بالكراهية نحو هذه الابتسامة: «كنتُ أفضل منك يا سير لوراس، كنتُ أكبر حجمًا وأقوى وأسرع».

رَدَّ الصَّبي: «والآن أنت أكبر في السِّن... يا سيِّدي».

ضحكَ مضطرًّا. يا للسَّخافة. كان تيريون ليتهكَّم عليَّ بلا رحمةٍ إذا سمعَني أقارنُ قضيبي بقضيب هذا الفتى الأخضر. «أكبر في السِّنِّ وأكثر حكمةً أيها الفارس. حريٌّ بك أن تتعلَّم مني».

- «كما تعلَّمت أنت من السير بوروس والسير مرين؟».

قال چايمي بحدَّةٍ وقد انغرسَ السَّهم قريبًا للغاية من الهدف: «لقد تعلَّمتُ من الثَّور الأبيض وباريستان الباسل. تعلَّمتُ من سيف الصَّباح السير آرثر داين، الذي كان بإمكانه أن يفتك بخمستكم بيُسراه بينما يتبوَّل بيُمناه. تعلَّمتُ

من ليوين الأمير الدورني والسير أوزويل وِنت والسير چونوثور داري، وكلُّهم بلا استثناء رجال صالحون».

- «كلُّهم بلا استثناء رجال موتى».

أدركَ چايمي الأمر الواقع فجأةً. إنه أنا. إنني أكلِّمُ نفسي كما كانت، غطرسة واثقة وفُروسيّة فارغة. هذا ما يفعله بك أن تكون شديد البراعة في سِنٍّ صغيرة جدًّا.

كما في المبارَزة، من الأفضل أحيانًا أن تُجَرِّب ضربةً مختلفةً، وهكذا قال چايمي: «يُقال إنك قاتَلت على نحوٍ باهر في المعركة... ببراعةٍ دانَت شبح اللورد رنلي إلى جوارك. الأخ المحلَّف لا يُخفي أسرارًا عن قائده، فأخبِرني أيها الفارس، مَن كان يرتدي دِرعِ رنلي؟».

بدا على لوراس تايرل بُرهةً أنه سيرفُض الإجابة، لكنه تذكَّر يمينه في النِّهاية وأجابَ بوجوم: «أخي. رنلي كان أطول قامةً وأعرض صدرًا مني، فوجدتُ دِرعه كبيرةً أكثر من اللَّازم عليَّ، لكنها ناسبَت جارلان تمامًا».

- «أكانت تلك التَّمثيليَّة فكرتك أم فكرته؟».

- «اللورد الإصبع الصَّغير اقترحَها، قال إنها ستُخيف جنود ستانيس الجُهلاء».

- «وقد أخافَتهم فعلًا». وبعض الفُرسان وصغار اللوردات أيضًا. «طيِّب، لقد أعطيتم المغنِّين شيئًا ينظمونه على الأقل، ولا أجدُ في هذا ما يشين. ماذا فعلت بجثَّة رنلي؟».

- «دفنته بيدَيْ في مكانٍ أراني إياه مرَّةً عندما كنتُ مُرافِقًا في (ستورمز إند)»، ورمقَ چايمي بتحدٍّ مردفًا: «سأدافعُ عن الملك تومن بكلِّ قوَّتي، وأقسمُ على هذا، وسأبذلُ حياتي لإنقاذ حياته إذا دعَت الحاجة، لكني لن أخون رنلي أبدًا، قولًا أو فعلًا. إنه الملك الذي كان ينبغي أن يُتَوَّج، كان أفضلهم».

فكَّر چايمي: أفضلهم هندامًا ربما، لكنه لم يَبُح بأفكاره هذه المرَّة. لحظة أن بدأ السير لوراس يتكلَّم عن رنلي تسرَّب كلُّ ما فيه من عنجهيَّة. أجابَ بالحقيقة. إنه معتدٌّ بنفسه وأرعن وأهوج، لكنه ليس كذَّابًا. «كما تقول. شيء إضافي ثم يُمكنك العودة إلى واجباتك».

- «نعم يا سيِّدي؟».

- «إنني ما زلتُ محتفظًا ببريان التارثيَّة في زنزانة بُرج».
التوى فم الصَّبي بقسوة، وقال: «زنزانة سوداء تُناسِبها أكثر».
- «أأنت واثق بأن هذا ما تستحقُّه؟».
- «إنها تستحقُّ الموت. قلتُ لرنلي إن لا مكان لامرأةٍ في حَرس قوس قزح. لقد فازَت في الالتحام الجماعي بخدعة».
- «أذكرُ فارسًا آخَر مولعًا بالخدع. في مرَّةٍ ركبَ فرسًا تُعاني الاحترار ضد خصم على صهوة فحلٍ معتل المزاج. ما الخدعة التي لجأت إليها بريان؟».
بوجهٍ محتقن أجابَ السير لوراس: «وثبَت... لا عليك. لقد فازَت ولن أنكر هذا، وخلعَ جلالته عليها معطف قوس قزح ثم قتلَته، أو تركَته يموت».
- «شتَّان ما بين هذا وذاك». إنه الفارق بين جريمتي وعار بوروس بلاونت.
- «لقد أقسمَت على حمايته، كما أقسمَ كلٌّ من السير إمون كاي والسير روبار رويس والسير پارمن كرين. كيف يُمكن لأحدٍ أن يُؤذيه وهي داخل الخيمة والآخَرون واقفون خارجها ما لم يكونوا متواطئين؟».
علَّق چايمي: «كنتم خمسةً في احتفال الزِّفاف، فكيف ماتَ چوفري ما لم تكونوا متواطئين؟».
شَدَّ السير لوراس قامته بجمودٍ قائلًا: «لم يكن هناك ما يُمكننا أن نفعله».
- «وهذا ما تقوله الفتاة أيضًا. إنها حزينة على رنلي مِثلك تمامًا، ودعني أؤكِّدُ لك أنني لا أشعرُ بذرَّة حُزنٍ على إيرس. بريان قبيحة وحَرون كالخنازير، لكنها تفتقر إلى الذَّكاء الذي يجعلها تكذب، ومخلصة بما يتجاوَز كلَّ درجات التَّعقُّل. لقد أقسمَت على إعادتي إلى (كينجز لاندنج)، وها أنا أمامك. اليد التي فقدتها... إنها غلطتي كما هي غلطتها، لكن باعتبار كلِّ ما فعلَته لتحميني، فلا أشكُّ إطلاقًا في أنها كانت لتُقاتِل لحماية رنلي إن كان هناك خصم تُقاتِله. لكن ظِل؟»، وهَزَّ چايمي رأسه مضيفًا: «امتشِق سيفك يا سير لوراس، أرِني كيف يُمكنك أن تُقاتِل ظِلًّا. أودُّ أن أرى هذا».
لم يتزحزَح السير لوراس من مكانه، وقال: «لقد هربَت. هي وكاتلين ستارك تركَتاه غارقًا في دمائه وهربَتا، فلِمَ هربَتا إن لم تكن الجريمة جريمتهما؟»، وحدَّق إلى الطَّاولة متابعًا: «رنلي ولَّاني قيادة طليعة جيشه، وإلَّا لكنتُ أنا من يُساعِده على ارتداء دِرعه. كثيرًا ما عهدَ إليَّ بهذا الواجب، وقد... صلَّينا معًا

ليلتها، ثم تركته معها. السير پارمن والسير إمون كانا يَحرُسان الخيمة، والسير روبار كان موجودًا أيضًا. السير إمون أقسمَ أن بريان... مع أن...».

حثَّه چايمي على المواصَلة مستشعرًا ارتيابًا في كلامه: «نعم؟».

قال الصَّبي: «واقي العُنق كان مخترَقًا. ضربة واحدة نظيفة نفذَت من الفولاذ. دِرع رنلي كانت الأفضل على الإطلاق، مصنوعةً من أجود أنواع الفولاذ، فكيف فعلَتها؟ لقد جرَّبتُ بنفسي وعجزتُ. بريان مفرطة القوَّة بالنِّسبة لامرأة، لكن حتى الجبل نفسه كان ليحتاجَ إلى بلطةٍ ثقيلة. ولِمَ تُدرِّعه أولًا ثم تَقتُله؟»، ورمقَ چايمي حائرًا، وتابعَ: «إن لم يكن هي... فكيف يُمكن أن يكون ظِلًّا؟!».

أجابَه چايمي وقد حزمَ أمره: «سَلها. اذهب إلى زنزانتها وألقِ عليها ما لديك من أسئلةٍ واسمع إجاباتها. إذا ظللت مقتنعًا بأنها اغتالَت اللورد رنلي فسأحرصُ على أن تدفع الثَّمن. الخيار سيكون لك، إمَّا أن تتَّهمها وإمَّا أن تُطلِق سراحها. كلُّ ما أطلبه منك أن تَحكُم عليها بالعدل، بشَرفك كفارس».

نهضَ السير لوراس قائلًا: «سأفعلُ، أقسمُ بشَرفي».

- «انتهينا إذن».

تحرَّك الشَّاب إلى الباب، لكنه توقَّف هناك، وقال: «رنلي حسبَها سخيفةً، مجرَّد امرأةٍ ترتدي معدن الرِّجال وتتظاهَر بأنها فارس».

- «لو رآها في الساتان الوردي وشرائط الزِّينة المايريَّة لما اشتكى».

- «سألته عن سبب احتفاظه بها على مقربةٍ منه ما دامَ يراها شاذَّةً هكذا، فقال إن فُرسانه الآخَرين كافَّةً يُريدون منه شيئًا ما، قلاعًا أو ألقابًا أو ثروات، أمَّا بِريان فلا تُريد إلَّا أن تموت في سبيله. حين رأيته ملطَّخًا بالدَّم وقد فرَّت هي ولم يحلَّ بالثَّلاثة الآخَرين أذى... إذا كانت بريئةً، فروبار وإمون كانا أيضًا...»، وبترَ فارس الزُّهور عبارته وقد بدا عاجزًا عن قولها.

لم يكن چايمي قد توقَّف ليدرس هذا الجانب من الموقف، لكنه قال: «كنتُ لأفعل المِثل أيها الفارس». أتَته الكذبة بسهولة، لكن السير لوراس بدا ممتنًّا لها.

حين رحلَ، جلسَ حضرة القائد وحده في الحُجرة البيضاء مُسائلًا نفسه. لقد جُنَّ جنون فارس الزُّهور من حُزنه على رنلي فجندلَ اثنين من إخوته

المحلَّفين، لكن لم يَخطُر لچايمي على الإطلاق أن يفعل المثل بالخمسة الذين خذلوا چوفري. لقد كان ابني، ابني السِّرِّي... ماذا أكونُ إذا لم أرفع اليد التي لديَّ لأثأر لدمي ونُطفتي؟ حريٌّ به أن يَقتُل السير بوروس على الأقل، فقط ليتخلَّص منه.

رمقَ جَدعته وتجهَّم وجهه. عليَّ أن أفعل شيئًا بخصوصها. إذا كان السير چاسلين بايووتر الرَّاحل يرتدي يدًا حديديَّةً، فيَجدُر به أن تكون يده من الذَّهب. قد تروق سرسي. يد ذهبيَّة تُمَلِّس على شَعرها وتضمُّها إليَّ بقوَّة.

ولكن لتنتظر يده، فثمَّة أمور أخرى عليه أن يعتني بها، وثمَّة ديون أخرى عليه أن يُسَدِّدها.





سانزا

السُّلَّم الذي يقود إلى أعلى مقدِّمة السَّفينة شديد الانحدار ومليء بالشُّدف الخشبيَّة الجارحة، فالتقطَت سانزا يد لوثور برون حين مدَّها إليها، السير لوثور بالأحرى كما ذكَّرت نفسها، إذ نُصِّبَ الرَّجل فارسًا لما أبداه من إقدام في معركة (النَّهر الأسود)، مع أنها لا تعرف فارسًا حقيقيًّا تليق به هذه السَّراويل البنِّيَّة المرقَّعة أو الحذاء البالي أو السُّترة الجِلد المشقَّقة المبقَّعة بالماء. لوثور رجل مربَّع الوجه ممتلئ الجسد، له أنف عريض وشَعر أشيب زغِب، وقلَّما يتكلَّم. لكنه أقوى مما يبدو. نَمَّ عن هذا اليُسر الذي رفعَها به كأن لا وزن لها على الإطلاق.

أمام مقدِّمة (ملك البحار) امتدَّ شاطئ حجري أجرد مكشوف للرِّيح، لا ترتفع عليه شجرة واحدة ولا يحوي أيَّ معالم جذَّابة، وعلى الرغم من هذا رحَّبت بمرآه. لقد قضوا وقتًا طويلًا في العودة إلى مسارهم بمشقَّة، بَعد أن جرفَتهم العاصفة الأخيرة بعيدًا عن منظر اليابسة، ودفعَت أمواجًا عارمةً ما انفكَّت تتكسَّر على جانبَيْ القادس بشراسةٍ جعلَت سانزا تُوقِن بأنهم سيغرقون جميعًا. سمعَت أوزويل العجوز يقول إن الموج اكتسحَ رجلين من على السَّطح، وسقطَ آخَر من فوق الصَّاري وانكسرَ عُنقه.

لِمامًا غامرَت بالخروج إلى السَّطح عن نفسها. قمرتها باردة رطبة، لكن سانزا أمضَت معظم الرِّحلة متوعِّكةً، سواء أمن الخوف أم الحُمَّى أم دُوار البحر... الخُلاصة أنها لم تستطِع الاحتفاظ بشيءٍ أكلَته في معدتها، وحتى النَّوم أتاها بصعوبة. كلما أغلقَت عينيها رأت چوفري يُمَزِّق ياقته ويخمش جِلد حَلقه النَّاعم ويموت برُقاقاتٍ من قشرة الكعكة على شفتيه وبُقع

النَّبيذ على سُترته، كما أن الرِّيح التي ظلَّت تهبُّ بلا هوادةٍ، ذكَّرتها بصوت الامتصاص الرَّفيعِ الفظيع الذي صدرَ منه وهو يُقاتِل لالتقاط أنفاسه. أحيانًا تَحلُم بتيريون أيضًا، وفي مرَّةٍ قالت للإصبع الصَّغير عندما زارَها في قمرتها ليرى إن كانت حالتها قد تحسَّنت: «تيريون لم يفعل شيئًا».

- «لم يَقتُل چوفري، نعم، لكن يدَيْ القزم بعيدتان كلَّ البُعد عن النَّظافة. كانت له زوجة قبلكِ، هل تعلمين هذا؟».

- «لقد أخبرَني».

- «وهل أخبرَكِ بأنه أهداها إلى حُرَّاس أبيه حين مَلَّها؟ ربما كان ليفعل الشَّيء نفسه بكِ مع الوقت. لا تذرفي دمعًا على العِفريت يا سيِّدتي».

مرَّرت الرِّيح أصابع مالحةً في ثنايا شَعرها، وارتجفَت سانزا. حتى على هذه المقربة من السَّاحل يُصيبها ارتجاج السَّفينة بالغثيان، ثم إنها في أمسِّ الحاجة إلى الاستحمام وتبديل ثيابها. لا بُدَّ أنني أبدو ضامرةً كالجُثث ورائحتي قيء.

انضمَّ إليها اللورد پيتر والبشاشة لائحة عليه كالمعتاد، وقال: «طابَ صباحكِ. الهواء المالح منعش، أليس كذلك؟ إنه يفتح شهيَّتي دومًا»، وطوَّق كتفيها بذراعه، وسألَها متعاطفًا: «هل أنتِ بخير؟ تبدين شاحبةً للغاية».

- «إنها معدتي لا أكثر، دُوار البحر».

- «قليل من النَّبيذ سيُريحك. سنُحضِر لك كأسًا فور أن نرسو»، وأشارَ پيتر إلى حيث يقف بُرج قديم من الصَّوَّان ترسم السَّماء الرَّماديَّة الكئيبة حدوده ويتكسَّر الموج على الصُّخور أسفله، وأردفَ: «منظر مبهج، أليس كذلك؟ أخشى أنه لا يوجد مرسًى آمن هنا. سنذهب إلى الشَّاطئ بقارب».

- «هنا؟». إنها لا تُريد أن تنزل إلى اليابسة هنا. لقد سمعَت أن (الأصابع) مكان قَفر، وثمَّة طابع من الوحشة والتَّعاسة في منظر البُرج الصَّغير. «ألا يُمكنني البقاء على السَّفينة حتى نُبحِر إلى (الميناء الأبيض)؟».

- «مِن هنا ستدور (الملك) شرقًا إلى (براڤوس)، ولن نكون على متنها».

- «لكن... سيِّدي، لقد قلت... قلت إننا مبحرون إلى الوطن».

- «وها هو ذا على الرغم من بؤسه، وطن أسلافي. أخشى أنه بلا اسم. واجبٌ أن يكون لمقرِّ اللورد الكبير اسم، ألا تتَّفقين معي؟ (وينترفل)،

(العُش)، (ريفرِرَن)، تلك قلاع. سيِّد (هارنهال) لها وقع جذَّاب، لكن ماذا كنتُ قبل ذلك؟ سيِّد خراء الغنم وزعيم معقل الكآبة؟ شيء ما ناقص»، ورمقَتها عيناه الخضراوان الضَّاربتان إلى الرَّمادي ببراءة، وقال: «تبدين مضطربةً. أكنتِ تحسبيننا ذاهبين إلى (وينترفل) يا حُلوتي؟ (وينترفل) احتُلَّت وأُحرقَت ونُهبَت، كلُّ مَن عرفتِ وأحببتِ ماتوا، والشَّماليُّون الذين لم يسقطوا أمام الحديديِّين يُقاتِلون بعضهم بعضًا. حتى (الجِدار) يتعرَّض للهجوم. (وينترفل) كانت موطن طفولتكِ يا سانزا، لكنكِ لم تعودي طفلةً، إنكِ امرأة بالغة، وعليكِ أن تبني موطنكِ بنفسكِ».

قالت مذعورةً: «لكن ليس هنا. المكان يبدو...».

– «صغيرًا وموحشًا وأجدب؟ هو كلُّ هذا وأقلُّ. (الأصابع) مكان جميل لو أنكِ حجر، لكن لا تخافي، فلن نبقى هنا أكثر من أسبوعين. أعتقدُ أن خالتكِ في الطَّريق إلينا بالفعل»، وابتسمَ مضيفًا: «أنا والليدي لايسا سنتزوَّج».

قالت سانزا بذهول: «تتزوَّجا؟ أنت وخالتي؟».

– «سيِّد (هارنهال) وسيِّدة (العُش)».

قلت إن أمِّي هي من أحبَبت. لكن الليدي كاتلين ماتَت بالطَّبع، وإذا كانت قد أحبَّت بيتر في الخفاء وسلَّمته بتولتها حقًّا، فلا فرق الآن.

قال: «ما بالكِ صامتة يا سيِّدتي؟ كنتُ أعتقدُ أنكِ ستُباركين لي. من النَّادر أن يتزوَّج صبيٌّ وُلِدَ وريثًا للحجارة، وبُراز الخِراف ابنة هوستر تَلي وأرملة چون آرن».

– «أ... أتمنى أن تقضيا أعوامًا طويلةً معًا وتُنجبا أطفالًا كثيرين ويجد كلٌّ منكما السَّعادة في الآخَر». سنوات مضَت منذ رأَت سانزا أخت أمِّها. مؤكَّد أنها ستُحسِن معاملتي لأجل خاطر أمِّي، إننا دم واحد. و(وادي آرن) جميل كما تقول الأغاني كلُّها. ربما لن يكون البقاء هنا فترةً بهذا السُّوء.

جذَّف لوثور وأوزويل العجوز بهما إلى الشَّاطئ، وقد قبعَت سانزا في المقدِّمة تحت معطفها ورفعَت القلنسوة لتقي نفسها من الرِّيح، تتساءَل طيلة الرِّحلة القصيرة عمَّا ينتظرها. خرجَ الخدم من البُرج للقائهم؛ امرأة عجوز نحيلة وامرأة سمينة في منتصَف العُمر وشيخان ابيضَّ شَعرهما وفتاة في الثَّانية أو الثَّالثة على أحد جفنيها دُمَّل. ركعوا على الصُّخور حين تعرَّفوا اللورد پيتر،

الذي قال لسانزا: «أهلِ بيتي. لا أعرفُ الطِّفلة. أظنُّها واحدةً أخرى من نغول كِلا. إنها تلد واحدًا كلَّ بضعة أعوام».

خاضَ الشَّيخان في الماء حتى الوَرك ليرفعا سانزا من القارب لئلَّا تبتلَّ تنُّورتها، بينما نزلَ أوزويل ولوثور وتحرَّكا إلى الشَّاطئ مشيًا كما فعلَ الإصبع الصَّغير نفسه. طبعَ قُبلةً على خَدِّ العجوز، وابتسم للثَّانية قائلًا: «مَن أبوها يا كِلا؟».

ضحكَت السَّمينة مجيبةً: «لا أعرفُ بالضَّبط يا سيِّدي. إنني لا أرفضهم أبدًا».

- «أنا واثق بأن كلَّ الفِتية المحليِّين ممتنُّون».

قال أحد الشَّيخين: «مرحبًا بك في دارك يا سيِّدي. كم ستُقيم معنا؟». يبدو الرَّجل في الثَّمانين على الأقل، لكنه يرتدي سُترةً طويلةً مطعَّمةً بالحديد، ويتدلَّى سيف طويل من جانبه.

- «أقصر مدَّة ممكنة يا برايان، لا تخف. هل المكان صالح للإقامة الآن؟».

أجابَته العجوز: «لو علمنا بقدومك لوضعنا حصيرًا نظيفًا يا سيِّدي. ثمَّة نار موقَدة في الرَّوث».

قال پيتر: «لا شيء أفضل لاستقبال المرء في الوطن من رائحة الرَّوث المحروق»، والتفتَ إلى سانزا مردفًا: «جريزل كانت مرضِعتي، لكنها تتولَّى قلعتي الآن. أومفريد وكيلي، وبرايان... ألم أسمِّك قائدًا للحَرس عندما كنتُ هنا آخِر مرَّة؟».

- «بلى يا سيِّدي، وقلت إنك ستجلب لنا مزيدًا من الرِّجال أيضًا، لكنك لم تفعل. أنا والكلاب نتولَّى نوبات الحراسة كلَّها».

- «وخير حراسة بالتَّأكيد. أرى بوضوح أن لا أحد سرقَ شيئًا من صخوري أو بُراز خِرافي»، وأشارَ پيتر إلى السَّمينة مُتابعًا: «كِلا ترعى قُطعاني الغفيرة. كم خروفًا أملكُ الآن يا كِلا؟».

تفكَّرت لحظةً قبل أن تُجيب: «ثلاثة وعشرون يا سيِّدي. كانت تسعةً وعشرين، لكن كلاب برايان قتلَت واحدًا، وذبحنا عددًا آخر وملَّحنا اللَّحم».

- «آه، لحم الضَّأن المملَّح البارد. لا بُدَّ أنني في الوطن حقًّا. حين أفطرُ على بيض النَّوارس وحَساء الطَّحالب سأتأكَّدُ تمامًا».

قالت جريزل العجوز: «إذا أردت يا سيِّدي».

قال پيتر وامتعاضه بادٍ عليه: «هيا، لنرَ إن كانت قاعتي تغمُّ النَّفس كما أذكرها»، وقادَهم على الشَّاطئ فوق الصُّخور الزَّلقة مما عليها من طحالب تتعفَّن. كانت مجموعة من الأغنام تسرح وترعى حول قاعدة البُرج الصَّوَّان، تأكل من العُشب النَّامي بين الزَّريبة والاسطبل المسقوف بالقَش، وخطَت سانزا بحذرٍ متفاديةً البُراز المنتشر في كلِّ مكان.

من الدَّاخل يبدو البُرج أصغر. يلتفُّ سُلَّم حجري بلا حاجزٍ حول الجدار الدَّاخلي صاعدًا من القبو إلى السَّقف، ويتكوَّن كلُّ طابقٍ من غُرفةٍ واحدة، ويضمُّ الطَّابق الأرضي المطبخ الذي يعيش فيه الخدم ويتقاسَمون مساحته مع دِرواسٍ ضخم لونه رماديٌّ داكن ونِصف دستةٍ من كلاب رعي الماشية، وتعلو المطبخ قاعةً متواضعة تعلوها غُرفة النَّوم. ليست هناك نوافذ، وإنما فتحات رماية محفورة على مسافاتٍ منتظمة في الجِدار الخارجي بمحاذاة انحناءات السُّلَّم، وفوق المستوقَد عُلِّقَ سيف طويل مكسور وتُرس بلُّوطي بالٍ طلاؤه مشقَّق متقشِّر.

لم تتعرَّف سانزا الرَّمز المرسوم على التُّرس، الرَّأس الحجري الرَّمادي ذو العينين النَّاريَّتين على خلفيَّةٍ من الأخضر اليانع، ولمَّا رآها پيتر تَرمُقه قال: «تُرس جدِّي. كان أبوه من مواليد (براڤوس)، وجاءَ (الوادي) كمرتزق استأجرَه اللورد كوربراي، فاتَّخذ جدِّي رأس (المارد) رمزًا له لدى تنصيبه فارسًا».

قالت سانزا: «يبدو عاتيًا جدًّا».

- «عاتٍ أكثر من اللَّازم بالنِّسبة لشخصٍ وديع مِثلي. أفضِّلُ طائر المُحاكي الذي اتَّخذته رمزًا عن هذا كثيرًا».

عادَ أوزويل إلى (ملك البحار) مرَّتين لإفراغ المؤن، وبين الحمولات التي جلبَها إلى الشَّاطئ عدَّة براميلٍ من النَّبيذ، فصَبَّ پيتر لسانزا كأسًا كما وعدَ، وقال: «تفضَّلي يا سيِّدتي، آملُ أن يُريح معدتكِ».

كان وقوفها على أرضٍ ثابتة قد أراحَها بالفعل، لكنها أذعنَت ورفعَت الكأس بكلتا يديها وأخذَت رشفةً، لتجده نبيذًا ممتازًا للغاية، من قِطاف (الكرمة) كما خمَّنت، في مذاقه السَّنديان والفواكه وليالي الصَّيف الحارَّة، وأينعَت النَّكهات في فمها كزهرةٍ تتفتَّح في الشَّمس، وإن تمنَّت أن تستطيع

الاحتفاظ به في معدتها، فاللورد پيتر يُعامِلها بمنتهى المودَّة، وليست تُريد أن تقيئ عليه وتُفسِد كلَّ شيء.

رأته يتمعَّن فيها من فوق كأسه وعيناه الخضراوان المائلتان إلى الرَّمادي يملأهما... أهو الاستمتاع أم شيء آخَر؟ لا تدري حقًّا.

نادى العجوز قائلًا: «جريزل، أحضِري لنا طعامًا. لا شيء ثقيلًا، فسيِّدتي رقيقة المعدة. القليل من الفاكهة ربما. أوزويل جلب برتقالًا ورُمَّانًا من (الملك)».

- «أمرك يا سيِّدي».

سألَت سانزا: «ألي بحمَّام ساخن أيضًا؟».

- «سأجعلُ كِلا تُسَخِّن ماءً يا سيِّدتي».

أخذَت سانزا رشفةً أخرى من النَّبيذ، وحاولَت أن تُفكِّر في شيءٍ مهذَّب تقوله، لكن اللورد پيتر وفَّر عليها الجهد، وقال عندما رحلَت جريزل والخدم الآخَرون: «لايسا لن تأتي وحدها. يجب أن نتَّفق على هُويَّتكِ قبل أن تصل».

- «هُو... لا أفهمُ».

- «جواسيس ڤارس في كلِّ مكان، وإذا شوهِدَت سانزا ستارك في (الوادي) فسيعلم الخصيُّ قبل أن يدور القمر، وسيصنع هذا... تعقيداتٍ مؤسفةً. ليس مأمونًا أن تكوني ستارك الآن، ولذا سنُخبِر قوم لايسا بأنكِ ابنتي الطَّبيعيَّة».

قالت مفزوعةً: «الطَّبيعيَّة؟ تعني النَّغلة؟».

- «لا يُمكنكِ أن تكوني ابنتي الشَّرعيَّة، فأنا لم أتزوَّج قَطُّ، وهذا معروف للجميع. ماذا سيكون اسمكِ؟».

- «أ... أستطيعُ أن آخذ اسم أمِّي...».

- «كاتلين؟ اسم لافت أكثر من اللَّازم... لكن لا بأس إذا أخذتِ اسم أمِّي أنا، إليني. ما رأيك؟».

أجابَت متمنِّيةً أن تتذكَّره: «إليني اسم جميل، لكن ألا يُمكن أن أكون ابنةً شرعيَّةً لفارسٍ ما في خدمتك؟ ربما ماتَ وهو يُقاتِل بشَجاعةٍ في معركةٍ ما و...».

- «ليس هناك فُرسان شُجعان في خدمتي يا إليني. حكاية كهذه ستجتذب

أسئلةً غير مرغوبة كما تجتذب الجُثث الغِربان، بينما من الوقاحة أن يتطفَّل النَّاس على أولاد المرء الطَّبيعيِّين»، ومالَ برأسه سائلًا: «مَن أنتِ إذن؟».

قالت: «إليني... ستون، أليس كذلك؟»، ولمَّا أومأ إيجابًا سألَته: «لكن مَن أمِّي؟».

- «كلا؟».

ردَّت مرعوبةً: «لا، أرجوك».

- «كنتُ أمزحُ. أمُّكِ كانت نبيلةً من (براڤوس)، ابنة أمير تاجر. التقينا في (بلدة النَّوارس) حين كنتُ مسؤولًا عن الميناء، وماتَت وهي تلدكِ وعهدَت بكِ إلى (العقيدة). عندي بعض كُتب العبادة التي يُمكنكِ أن تطَّلعي عليها. تعلَّمي أن تقتبسي منها. لا شيء يصرف المرء عن الأسئلة غير المرغوبة كالثَّرثرة في الدِّين. على كلِّ حال، حين أزهرتِ وجدتِ أنكِ لا تُريدين أن تُصبحي سِپتةً وكتبتِ إليَّ، وكانت هذه أول مرَّةٍ أعلمُ بوجودكِ»، وسألَها مداعبًا لحيته: «هل يُمكنكِ أن تتذكَّري كلَّ هذا؟».

- «آملُ هذا. كأنها لُعبة، أليس كذلك؟».

- «هل تحبِّين الألعاب يا إليني؟».

ردَّت مفكِّرةً أنها ستستغرق وقتًا حتى تعتاد الاسم الجديد: «الألعاب؟ أ... أظنُّ أن الأمر يعتمد على...».

قبل أن يُقال المزيد ظهرَت جريزل موازِنةً صحفةً كبيرةً ووضعَتها بينهما وعليها تُفَّاح وكمَّثرى ورُمَّان والقليل من العنب الذَّابل وبرتقالة دمويَّة ضخمة، كما جلبَت العجوز رغيفًا من الخُبز وقالبًا من الزُّبدة.

قطعَ پيتر رُمَّانةً إلى نِصفين بخنجره، وقدَّم أحدهما إلى سانزا قائلًا: «عليكِ أن تأكلي يا سيِّدتي».

- «أشكرك يا سيِّدي». لكن أكل حَبِّ الرُّمَّان يصنع الكثير من الفوضى، فانتقَت ثمرة كمَّثرى بدلًا منه وأخذَت قضمةً صغيرةً رقيقةً، فوجدَتها ناضجةً للغاية وسالَ العصير على ذقنها.

خلخلَ اللورد پيتر حبَّة رُمَّان برأس خنجره، وقال: «لا بُدَّ أنكِ تفتقدين أباكِ كثيرًا، أعلمُ هذا. اللورد إدارد كان رجلًا شُجاعًا وصادقًا ووفيًّا... وإنما

لاعب خائب تمامًا»، ورفعَ الحبَّة إلى فمه بالخنجر مواصلًا: «في (كينجز لاندنج) هناك نوعان من النَّاس، اللَّاعبون والبيادق».

سألته متوجِّسةً من الإجابة: «وأنا كنتُ بيدقًا؟».

- «نعم، لكن لا تدعي هذا يُزعجكِ. إنكِ ما زلتِ طفلةً. كلُّ رجل بيدق في البداية، وكلُّ فتاةٍ أيضًا، حتى بعض من يتصوَّرون أنفسهم لاعبين»، وأكلَ حبَّةً أخرى قبل أن يُتابِع: «سرسي على سبيل المثال تحسب نفسها ماكرةً، لكن جميع تصرُّفاتها يُمكن التَّنبُّؤ به. قوتها ترتكز على جَمالها ونَسبها وثروتها، وأول هذه الأشياء فقط ملكها وحدها، وقريبًا سيتخلَّى عنها، وكم أشفقُ على ما ستصيره وقتها. إنها تشتهي السَّطوة، وإن كانت لا تملك أدنى فكرةٍ عمَّا تفعله بها بمجرَّد أن تنالها. كلُّ امرئ يُريد شيئًا ما يا إليني، وعندما تعلمين ما يُريده المرء فستعلمين مَن يكون وكيف تُحَرِّكينه».

- «كما حرَّكت السير دونتوس لتسميم چوفري؟». كانت قد قرَّرت أن دونتوس هو من فعلَها بالتَّأكيد.

ضحكَ الإصبع الصَّغير، وقال: «السير دونتوس الأحمر كان قِربة خمرٍ لها ساقان، ولم يكن بإمكاني ائتمانه على مهمَّةٍ بهذه الجسامة على الإطلاق. كان ليُفسِد الأمر أو يخونني. لا، ما كان على دونتوس إلَّا أن يَخرُج بكِ من القلعة... ويحرص على أن ترتدي شبكة الشَّعر الفضِّيَّة».

الجَمَشْت الأسود. «لكن... إن لم يكن دونتوس، فمَن؟ ألديك... بيادق أخرى؟».

قال پيتر: «يُمكنكِ أن تقلبي (كينجز لاندنج) رأسًا على عقب ولن تجدي رجلًا أوحد على قلبه رمز المُحاكي، لكن هذا لا يعني أني بلا أصدقاء»، وذهبَ إلى السَّلالم مناديًا: «أوزويل، تعالَ لتُلقي الليدي سانزا نظرةً عليك».

ظهرَ العجوز بَعد دقائق قليلة وعلى وجهه ابتسامة واسعة، وانحنى لسانزا التي حدجَته بحيرةٍ متسائلةً: «ما المفترَض أن أراه؟».

- «هل تعرفينه؟».

- «لا».

- «أمعِني النَّظر».

تفحَّصت وجه العجوز الذي لوَّحته تقلُّبات الرِّياح وأنفه المعقوف وشَعره

الأبيض ويديه الضَّخمتين بارزتَيْ المفاصل. فيه شيء مألوف بالفعل، لكن سانزا هزَّت رأسها قائلةً: «لا أعرفه. لم أرَ أوزويل قَطُّ قبل أن أركب قاربه، إنني واثقة».

ابتسمَ أوزويل كاشفًا عن أسنانه المعوجَّة، وقال: «نعم، لكن ربما التقَت سيِّدتي أبنائي الثَّلاثة».

ذِكره أولئك الأبناء الثَّلاثة مجتمعًا بهذه الابتسامة هو ما جعلَها تفطن إلى هُويَّته أخيرًا، واتَّسعت عيناها صائحةً: «كِتلبلاك! أنت كِتلبلاك!».

- «أجل يا سيِّدتي، بَعد إذن سعادتكِ».

قال اللورد پيتر: «إنها تطير سعادةً»، وصرفَه بإشارةٍ من يده وعادَ إلى رُمَّانته بينما نزلَ أوزويل السَّلالم، وسألَها: «أخبِريني يا إليني، أيهما أخطر؟ خنجر يُلَوِّح به عدوٌّ مهدِّدًا في وجهكِ أم خنجر خفي يُوَجِّهه أحد لا ترينه إلى ظَهركِ؟».

- «الخنجر الخفي».

ابتسم وحُمرة الرُّمَّان تلتمع على شفتيه الرَّفيعتين، وقال: «فتاة ذكيَّة. عندما صرفَ العِفريت حَرسها جعلَت الملكة السير لانسل يستأجر لها مرتزقةً، وعثرَ لانسل على الإخوة كِتلبلاك، وهو ما أسعدَ السيِّد زوجكِ الصَّغير، بما أن الثَّلاثة كانوا يعملون لحسابه بالفعل عن طريق رجله برون»، وقهقهَ مضيفًا: «لكن أنا مَن قال لأوزويل أن يُرسِل أبناءه إلى (كينجز لاندنج) لدى معرفتي ببحث برون عمَّن يستأجرهم. ثلاثة خناجر خفيَّة يا إليني، ثلاثة خناجر في مكانها المثالي الآن».

سألَته متذكِّرةً أن السير أوزموند كان قريبًا من الملك طيلة اللَّيلة: «إذن أحد الإخوة كِتلبلاك هو من وضعَ السُّمَّ في كأس چوف؟».

شطرَ اللورد پيتر البرتقالة إلى نِصفين بخنجره، وقدَّم إليها أحدهما قائلًا: «هل قلتُ هذا؟ الفِتية غادرون ولا يُمكن أن يكونوا جزءًا من مخطَّطٍ كهذا... وأوزموند بالذَّات أصبحَ أقلَّ جدارةً بالثِّقة منذ التحقَ بالحَرس الملكي. لقد وجدتُ أن ذلك المعطف الأبيض يفعل أشياء عجيبةً بالرِّجال، حتى مَن على شاكلته»، وأمالَ رأسه إلى الوراء واعتصرَ البرتقالة ليسيل العصير في فمه، ثم قال وهو يمسح أصابعه: «أحبُّ العصير لكني أكرهُ الأصابع اللَّزجة. الأيدي النَّظيفة يا سانزا. احرصي مهما فعلتِ على أن تبقى يداكِ نظيفتين».

تناولَت سانزا القليل من العصير بملعقة، وقالت: «لكن إذا لم يكن القاتل أحد الإخوة كِتلبلاك ولم يكن السير دونتوس... أنت لم تكن في المدينة حتى، ولا يُمكن أنه تيريون...».

- «لا تخمينات أخرى يا حُلوتي؟».

قالت وهي تهزُّ رأسها: «لستُ...».

قال مبتسمًا: «أراهنكِ أن في وقتٍ ما خلال الأمسيَّة قال لك أحدهم إن شبكة شَعركِ ملتوية وسوَّاها لكِ».

مصدومةً رفعَت سانزا يدها إلى فمها، وقالت: «لست تعني... لقد أرادَت أن تأخذني إلى (هايجاردن)، أن تُزَوِّجني حفيدها...».

- «ويلاس تايرل العطوف التَّقي طيِّب القلب. عليكِ أن تمتنِّي لخلاصكِ منه. كان ليُضجِركِ حتى الموت. أمَّا العجوز فأعترفُ بأنها ليست مضجرةً البتَّة. إنها حيزبون مخيفة، وليست بالهشاشة التي تتظاهَر بها إطلاقًا. عندما ذهبتُ إلى (هايجاردن) لأساوم على يد مارچري تركَت ابنها اللورد يُرغي ويُزبِد فيما وجَّهت هي أسئلةً قاطعةً عن طبيعة چوفري، وقد أسهبتُ في الإشادة به بالطَّبع... على حين نشرَ رجالي حكاياتٍ مروِّعة بين خدم اللورد تايرل. هكذا تُلعَب اللُّعبة. ثم إنني زرعتُ فكرة انضمام السير لوراس إلى الحَرس الملكي، وإن لم أقترحها مباشرةً كي لا أبدو فجًّا، لكن رجالًا ممن صاحَبوني ردَّدوا حكاياتٍ بشعة عن قتل الغوغاء السير پرستون جرينفيلد واغتصاب الليدي لوليس، ونقدوا جيش اللورد تايرل من المطربين القليل من الفضَّة ليُغَنُّوا عن ريام ردواين وسروين ذي التُّرس المرآة والأمير إيمون الفارس التِّنين. القيثار لا تقلُّ خطورةً عن السَّيف في اليد السَّليمة. الحقيقة أن مايس تايرل اعتقدَ أن جعل انضمام السير لوراس إلى الحَرس الملكي جزءًا من عقد الزَّواج فكرة تفتَّق عنها ذهنه هو، فمَن أفضل لحماية ابنته من أخيها الفارس المغوار؟ ثم إنها أغنَته عن مشقَّة العثور على أراض وعروس لابنه الثَّالث، وهو الشَّيء الذي ليس سهلًا أبدًا، وصعوبته مضاعَفَة في حالةً السير لوراس. لكن على الرغم من كلِّ هذا لم تكن الليدي أولينا ستسمح لچوف بأن يُؤذي حفيدتها الغالية الحبيبة، وعلى عكس ابنها أدركَت أن تحت الزُّهور والثِّياب الثَّمينة لا يقلُّ السير لوراس نزقًا عن چايمي لانستر. ضعي چوفري

ومارچري ولوراس معًا في إناءٍ واحد وستكون لديكِ مقادير حَساء قاتِل ملك. والعجوز استوعبَت شيئًا آخَر أيضًا، أن ابنها عازم على جعل مارچري ملكةً، ولأجل هذا فإنه يحتاج إلى ملك... لكنه لا يحتاج إلى چوفري تحديدًا. قريبًا سيُقام زفاف آخَر، انتظري وسترين. مارچري ستتزوَّج تومن، وستحتفظ بتاجها وعُذريَّتها، مع أنها ليست راغبةً في أيهما بشكل خاص، لكن ما الفرق؟ الحِلف الغربي العظيم سيظلُّ محفوظًا... فترةً على الأقل».

مارچري وتومن. لم تدرِ سانزا بِمَ تردُّ. لقد أحبَّت مارچري تايرل وجدَّتها الضَّئيلة سليطة اللِّسان. فكَّرت بحُزنٍ في (هايجاردن) بساحاتها وموسيقيِّيها وقوارب النُّزهة على صفحة (الماندر)، النَّقيض من هذا السَّاحل الكئيب. إنني آمنة هنا على الأقل. چوفري ماتَ ولا يُمكنه أن يؤذيني ثانيةً، وأنا مجرَّد نغلةٍ الآن. إليني ستون فتاة بلا زوج أو تركة. ثم إن خالتها ستصل قريبًا. كابوس (كينجز لاندنج) الطَّويل أصبحَ وراءها، ومهزلة زواجها أيضًا، والآن تستطيع أن تبني لنفسها موطنًا جديدًا، تمامًا كما قال پيتر.

ثمانية أيام طويلة مرَّت قبل وصول لايسا آرن، وطوال خمسةٍ منها انهمرَ المطر بينما جلسَت سانزا شاعرةً بالملل والقلق إلى جوار النَّار، ومعها كلب عجوز كفيف سقطَت أسنانه ولم يَعُد مرضه يسمح له بمشارَكة برايان الحراسة، فيقضي معظم الوقت نائمًا، لكن عندما ربَّتت عليه أصدرَ أنينًا ولعقَ يدها، ومنذ ذلك الحين وهما صديقان. لمَّا انقطعَ المطر تجوَّل پيتر معها حول أملاكه، وهو ما استغرقَ أقلَّ من نِصف يوم. إنه يملك الكثير من الصُّخور كما قال، وثمَّة بُقعة ينبثق فيها الماء من خيشوم ساحلي[1] ويرتفع ثلاثين قدمًا في الهواء، وبُقعة أخرى نقشَ أحدهم فيها نجمة الآلهة الجديدة السُّباعيَّة على جُلمود. قال پيتر إن الجُلمود يُعَلِّم أحد الأماكن التي رسا فيها الأنداليُّون عندما عبروا البحر لينتزعوا (الوادي) من البَشر الأوائل.

إلى الدَّاخل أكثر تعيش دستة من الأُسر في أكواخ من الحجارة المكوَّمة تطلُّ على مستنقع، وقال پيتر إنهم قومه، مع أن أكبرهم سِنًّا فقط عرفوه. على

---

(1) الخيشوم السَّاحلي ظاهرة چيولوچيَّة تنشأ عن تضاغُط الأمواج داخل الكهوف البحريَّة التي تضمُّ شقوقًا أو فواصل رأسيَّة، فتَخرُج المياه على هيئة رذاذ من سطح الأرض. (المترجم).

أرضه كهف ناسكٍ أيضًا، لكن النَّاسك غائب، وقد شرحَ پيتر: «لقد ماتَ، لكن أبي أخذَني لزيارته في صِباي. لم يكن الرَّجل قد اغتسلَ منذ أربعين عامًا، فلكِ أن تتخيَّلي رائحته، لكن يُفترَض أنه كان يتمتَّع بموهبة النُّبوَّة. تلمَّسني قليلًا وقال إنني سأصبحُ رجلًا عظيمًا، ولأجل هذا أعطاه أبي قِربة نبيذ»، وأطلقَ نخيرًا ساخرًا، وأضافَ: «كنتُ لأقول له الكلام نفسه مقابل نِصف كوب».

أخيرًا، ذات أصيلٍ غائم قوي الرِّيح، عادَ برايان جريًا إلى البُرج وكلابه تنبح في أعقابه، ليُعلِن أن هناك خيَّالةً يقتربون من الجنوب الغربي، فقال اللورد پيتر: «لايسا. هلمِّي يا إليني، لنَخرُج ونستقبلها».

ارتديا معطفيهما وانتظرا في الخارج. لم يكن عدد الرَّاكبين يزيد على العشرين، فِرقة متواضعة للغاية بالنِّسبة لسيِّدة (العُش). كانت معها ثلاث وصيفات ودستة من الفُرسان مرتديي القمصان والدُّروع المعدن، كما جلبَت سِپتونًا ومطربًا وسيمًا له شارب خفيف وشَعر طويل بلون الرَّمل.

أهذه خالتي حقًّا؟ الليدي لايسا تصغر أمَّها بعامين، لكن هذه المرأة تبدو أكبر منها بعشرة أعوام كاملة. تنسدل الخُصلات الكستنائيَّة الغزيرة متجاوزةً خصرها، لكن تحت الفُستان المخملي الثَّمين والصِّدار المحلَّى بالجواهر يبدو جسدها منتفخًا مترهِّلًا، ووجهها متورِّد مطلي بالمساحيق، وثدياها ثقيلان، وأطرافها غليظة، كما أنها أطول قامةً من الإصبع الصَّغير وأثقل وزنًا، وعن حركتها غابَت الرَّشاقة تمامًا عندما ترجَّلت من على ظَهر حصانها.

ركعَ پيتر ليلثم أصابعها، وقال: «مجلس الملك الصَّغير أمرَني بأن أتودَّد إليكِ وأربحكِ يا سيِّدتي، فهل تقبلينني سيِّدًا وزوجًا لكِ؟».

مطَّت الليدي لايسا شفتيها وسحبَته لينهض وطبعَت قُبلةً على وجنته مجيبةً: «أوه، ربما هناك وسيلة لإقناعي»، وقهقهَت مضيفةً: «هل أحضرت هدايا تُذيب بها قلبي؟».

- «سلام الملك».

- «أوه، خراء على السَّلام. ماذا أحضرت أيضًا؟».

أشارَ الإصبع الصَّغير لسانزا بالاقتراب قائلًا: «ابنتي. سيِّدتي، اسمحي لي بأن أقدِّم لكِ إليني ستون».

لم يبدُ السُّرور على الليدي لايسا لمرآها. انحنَت سانزا بشدَّةٍ خافضةً رأسها، وسمعَت خالتها تقول: «نغلة؟ پيتر، يا لك من مشاغب. مَن كانت أمُّها؟».

- «لقد ماتَت. كنتُ آملُ أن آخذ إليني إلى (العُش)».

- «وماذا أفعلُ بها هناك؟».

- «عندي بضع أفكار، لكني مهتمٌّ أكثر الآن بما أفعله أنا بكِ يا سيِّدتي».

ذابَ التَّجهُّم كلُّه من على وجه لايسا آرن المتورِّد المستدير، وحسبَت سانزا لحظةً أن خالتها ستجهش بالبُكاء وهي تقول: «پيتر الحبيب، لست تعلم كم اشتقتُ إليك، لست تعلم. يون رويس أثارَ الكثير من المتاعب ويُطالِبني بأن أستدعي راياتي وأدخل الحرب، والآخرون لا يَترُكونني في حالي أبدًا، هنتر وكوربراي وذلك البغيض نستور رويس، كلُّهم يُريدون أن يتزوَّجوني ويُرَبُّوا ابني، لكن لا أحد منهم يحبُّني حقًّا. ليس هناك إلَّاك يا پيتر، لقد حلمتُ بك طويلًا».

قال: «وأنا بكِ يا سيِّدتي»، وطوَّقها بذراعه وقبَّل عُنقها متسائلًا: «متى يُمكننا أن نتزوَّج؟».

أجابَت الليدي لايسا متنهِّدةً: «الآن. لقد أحضرتُ سِپتونًا ومطربًا، وبتعًا لمأدبة الزِّفاف».

لم يبدُ راضيًا عن إجابتها وهو يقول: «هنا؟ أفضِّلُ أن أتزوَّجكِ في (العُش) في حضور بلاطكِ كلِّه».

- «خراء على بلاطي. لقد انتظرتُ طويلًا جدًّا ولا أحتملُ الانتظار لحظةً أخرى»، واحتوَته بذراعها متابعةً: «أريدُ أن أشاركك فِراشك اللَّيلة يا حبيبي، أريدُ أن نُنجب طفلًا آخر، أخًا لروبرت أو بنتًا جميلةً».

- «أنا أيضًا أحلمُ بهذا يا جميلتي، لكن هناك الكثير مما يُمكننا أن نجنيه من زفافٍ علني عظيم، و(الوادي) كلُّه...».

قاطعَته ضاربةً الأرض بقدمها: «لا. أريدك الآن، اللَّيلة، وعليَّ أن أحذِّرك، بَعد كلِّ هذه السِّنين من الصَّمت والهمس سأصرخُ حين تُطارِحني الغرام، سأصرخُ بأعلى صوتي ليسمعوني في (الوادي)!».

- «ربما يُمكنني أن أشاركِ الفِراش الآن وأعقدُ قراني عليكِ لاحقًا».

قهقهَت الليدي لايسا بجذلٍ كفتاةٍ صغيرة، وقالت: «أوه، پيتر بايلش، كم

أنت خبيث! لا، لا، أنا سيِّدة (العُش) وآمرك بأن تتزوَّجني في التَّوِّ واللَّحظة!».

هَزَّ بيتر كتفيه قائلًا: «كما تأمر سيِّدتي إذن. إنني بلا حيلةٍ أمامكِ كالمعتاد».

وقبل انقضاء السَّاعة ردَّدا نذورهما تحت مظلَّةٍ بلون السَّماء بينما غاصَت الشَّمس في الغرب، وبَعدها نُصِبَت الموائد أمام البُرج الصَّوَّان الصَّغير، وأكلوا وليمةً من طيور السِّمَّان ولحم الغزلان والخنازير البرِّيَّة المشوي، وشربوا بتعًا خفيفًا طيِّب المذاق. أضيئَت المشاعل عندما بدأ الغسق يزحف على العالَم، وغنَّى مطرب لايسا (العهد الصَّامت) و(مواسم حبيبتي) و(قلبان ينبضان كواحد)، وطلبَ عدد من الفُرسان الشُّبَّان الرَّقص مع سانزا، ورقصَت خالتها أيضًا لتدور تنُّورتها كدوَّامة وبيتر يُدَوِّرها بذراعيه. خصمَ الشَّراب والزَّواج سنينًا من سِنِّ الليدي لايسا التي ضحكَت على كلِّ شيءٍ ما دامَت ممسكةً يد زوجها، وبرقَت عيناها كلما نظرَت إليه.

لمَّا حانَ وقت الإضْجاع حملَها فُرسانها إلى البُرج مجرِّدين إياها من ثيابها في الطَّريق ورافعين أصواتهم بالنِّكات البذيئة، ففكَّرت سانزا: تيريون أعفاني من هذا. ليس الأمر بهذا السُّوء إذا خُلِعَت ثيابها لرجلٍ تحبُّه على يد أصدقاء يحبُّونهما. أمَّا إذا كان چوفري... بترَت الخاطر مرتجفةً.

أحضرَت خالتها ثلاث رفيقاتٍ فقط، فألحَحن على سانزا أن تُساعِدهن على خلع ثياب اللورد بيتر وقيادته إلى فِراش الزَّوجيَّة، وقد استسلمَ لهن بطيب نفسٍ ولسانٍ لاذع وردَّ على كلِّ ما تلقَّاه منهن، وحين أدخلنَه البُرج وأخرجنَه من ملابسه كانت أوجُه الأخريات محتقنةً وأربطة ثيابهن محلولةً والثِّياب نفسها منفوشةً مجعَّدةً، لكن الإصبع الصَّغير اكتفى بالابتسام لسانزا بينما قادَته الأخريات إلى غُرفة النَّوم حيث تنتظر السيِّدة زوجته.

أوَت الليدي لايسا واللورد بيتر إلى غُرفة الطَّابق الثَّالث وحدهما، لكن البُرج صغير... وبرَّت خالتها بكلمتها وصرخَت. كان المطر قد بدأ يَسقُط في الخارج دافعًا المحتفلين إلى القاعة تحتهما بطابق، فسمعوا كلَّ كلمةٍ تقريبًا وخالتها تتأوَّه وتقول: «بيتر، أوه بيتر، بيتر، بيتر الحبيب، أوه أوه أوه، هنا، هنا يا بيتر، هذا مكانك»، واندفعَ مغنِّي الليدي لايسا يُطربهم بتنويع مقذع على (عَشاء سيِّدتي)، لكن حتى غناءه وألحانه لم يُفلِحا في كتم صريخها عن آذانهم. «ضَع طفلًا في بطني بيتر، ضَع طفلًا جميلًا آخَر في بطني. أوه، بيتر، حبيبي،

بيييييتر!». صرختها الأخيرة كانت في منتهى العلوّ لدرجة أنها جعلَت الكلاب تنفجر في النُّباح، ولم تستطِع اثنتان من رفيقات خالتها كتمان ضحكاتهما.

نزلَت سانزا السَّلالم وخرجَت إلى اللَّيل، حيث يتساقَط مطر خفيف على بقايا الاحتفال، لكن رائحة الهواء نظيفة نقيَّة. ظلَّت ذكرى ليلة زفافها على تيريون تُلازمها. ليلتها قال: في الظَّلام أنا فارس الزُّهور. يُمكنني أن أكون زوجًا صالحًا لكِ، لكن قوله لم يكن سوى كذبةٍ أخرى من أكاذيب آل لانستر. ذات مرَّةٍ قال لها كلب الصَّيد: الكلاب تشمُّ رائحة الكذب كما تعرفين، فانظُري حولكِ واستنشِقي جيدًا. كلهم كذَّابون هنا، وكلهم أبرع منكِ. تكاد تسمع بُحَّة صوت ساندور كلجاين الآن وهي تتساءَل عمَّا حَلَّ به. هل يعلم أن جوفري قُتِلَ؟ هل يُبالي؟ لقد كان حارس الأمير الشَّخصي أعوامًا.

ظلَّت فترةً طويلةً في الخارج، وحين سعَت إلى فِراشها أخيرًا، وهي تُعاني البرد والبلل، وجدَت القاعة مضاءةً بوهج خافتٍ منبعث من نارٍ موقَدة في فحم المستنقعات، ولا صوت يأتي من أعلى. رأت المغنِّي الشَّاب جالسًا في رُكنٍ يعزف أغنيَّةً بطيئةً لنفسه، وإحدى رفيقات خالتها تُقَبِّل أحد الفُرسان في كرسي اللورد بيتر ويدا كلٍّ منهما مشغولتان تحت ملابس الثَّاني. كان عدد كبير من الرِّجال قد شربَ حتى النَّوم، وأحدهم في المرحاض يتقيَّأ بصوتٍ مزعج. ألْفَت سانزا كلب برايان العجوز الكفيف نائمًا في تجويفها الصَّغير أسفل السَّلالم وتمدَّدت إلى جواره، فصحا ولعقَ وجهها، وقالت نافشةً فروه: «يا لك من كلب صيدٍ عجوز تعيس».

فجأةً وجدَت مغنِّي خالتها واقفًا فوقها ويُخاطِبها قائلًا: «إليني، إليني الجميلة، أنا ماريليون. رأيتكِ تَدخُلين من تحت المطر. اللَّيلة باردة بليلة، فدعيني أدفئكِ».

رفعَ الكلب العجوز رأسه وزمجرَ، لكن المغنِّي لطمَه وجعلَه ينسحب متوجِّعًا.

قالت حائرةً: «ماريليون؟ إنك... لُطف منك أن تُفكِّر فيَّ، ولكن... اعذُرني، إنني متعَبة للغاية».

– «وجميلة للغاية. طيلة المساء وأنا أؤلِّفُ لكِ الأغاني في مخيِّلتي؛ أنشودةً لعينيكِ، قصيدةً لشفتيكِ، لحنًا ثُنائيًّا لثديكِ. لكني لن أغنِّي شيئًا من

هذا. إنها مجرَّد مؤلَّفات رديئة لا تليق بجَمالكِ»، وجلسَ على الفِراش ووضعَ يده على ساقها متابعًا: «دعيني أغنِّي لكِ بجسدي بدلًا من هذا».

تسلَّلت رائحة أنفاسه إلى أنفها، فقالت: «أنت سكران».

قال: «لا أسكرُ أبدًا. البتع يُثير مرحي لا أكثر. إنني أحترقُ»، وأضافَ ويده ترتفع إلى فخذها: «وأنتِ أيضًا».

– «ارفع يدكَ عني. لقد نسيت نفسك».

– «الرَّحمة. إنني أردِّدُ أغاني الحُبِّ منذ ساعات ودمائي فائرة، ودماؤكِ أيضًا، أعلمُ هذا... لا فتاة شبقةً في العالم كفتاةٍ نغلة. هل بلَّلتكِ؟».

قالت باستنكار: «أنا عذراء!».

– «حقًّا؟ أوه، إليني، إليني، فتاتي الجميلة، امنحيني براءتكِ هديَّةً. ستَشكُرين الآلهة على هذا. سأجعلكِ تُغَنِّين بصوتٍ أعلى من الليدي لايسا».

انتفضَت سانزا مبتعدةً عنه والخوف يغمرها، وقالت: «إذا لم تدعني وشأني فإن خالـ... أبي سيَشنُقك، اللورد پيتر».

قال ضاحكًا: «الإصبع الصَّغير؟ الليدي لايسا مولعة بي، ثم إنني مغنِّي اللورد روبرت المفضَّل. إذا أهانَني أبوكِ سأدمِّره ببيتٍ واحد»، ووضعَ يده على ثديها واعتصرَه مواصلًا: «لنُخرجكِ من هذه الثِّياب المبتلَّة. مؤكَّد أنكِ لا تُريدينها أن تتمزَّق. هيا يا سيِّدتي الجميلة، اسمعي قلبكِ...».

لكن ما سمعَته سانزا هو صوت احتكاك الفولاذ بالجلد وأحدهم يقول بخشونة: «أيها المغنِّي، خيرٌ لك أن تذهب إذا أردت أن تُغَنِّي ثانيةً». كان الضوء ضعيفًا، لكنها رأت وهج نصلٍ خافتًا.

ورآه المغنِّي أيضًا، فقال: «اعثُر على فتاةٍ لنفسك...»، وومضَ السكِّين وصاحَ الفتى: «لقد جرحتني!».

– «وسأفعلُ بك ما هو أسوأ إذا لم تذهب».

وفي لمح البصر رحلَ ماريليون، على حين بقيَ الآخَر واقفًا فوق سانزا في الظَّلام، وقال: «اللورد پيتر أمرَني بأن أحرسكِ». كان صوت لوثور برون. ليس كلب الصَّيد، لا، فكيف يُمكن أن يكون هو؟ إنه لوثور بالطَّبع...

لم تنم سانزا تقريبًا ليلتها، بل أخذَت تتقلَّب في فِراشها كما كانت تفعلُ على متن (ملك البحار). حلمَت بموت چوفري، لكن إذ خمشَ حَلقه وسالَ

الدَّم على أصابعه رأت والرُّعب يُفعِمها أنه أخوها روب. وحلمَت بليلة زفافها أيضًا وبعينَيْ تيريون تلتهمانها إذ خلعَت ثيابها، لكنه كان أكبر حجمًا من تيريون بكثير، ولمَّا دخلَ الفِراش رأت جانب وجهه محروقًا. بصوتٍ أجش قال لها: سأنالُ منكِ أغنيّةً، واستيقظَت سانزا لتجد الكلب العجوز الكفيف إلى جوارها مجدَّدًا، فقالت له: «ليتك كنت ليدي».

في الصَّباح صعدَت جريزل إلى مخدع اللورد والليدي حاملةً صحفةً عليها خُبز طازج وزُبدة وعسل وفواكه وقشدة، وعادَت لتقول إن إليني مطلوبة، وكانت سانزا لا تزال وسنانةً فاستغرقَت وهلةً حتى تذكَّرت أنها هي إليني.

كانت الليدي لايسا في الفِراش، على حين نهضَ اللورد پيتر وارتدى ثيابه، وقال لسانزا وهو ينتعل فردة حذاءه: «خالتكِ تُريد أن تتكلَّم معكِ. لقد قلتُ لها مَن تكونين».

يا للآلهة! «أ... أشكرك يا سيِّدي».

انتعلَ الفردة الأخرى قائلًا: «لقد هضمتُ كلَّ ما أستطيعُ من الوطن. سنُغادِر إلى (العُش) اليوم بَعد الظُّهر»، وقبَّل السيِّدة زوجته ولعقَ لطخة عسلٍ من على شفتيها، ثم اتَّجه إلى السَّلالم.

وقفَت سانزا عند قدم الفِراش بينما أكلَت خالتها حبَّة كمَّثرى ورمقَتها بإمعان، ثم قالت وهي تضع اللُّب جانبًا: «أرى الشَّبه الآن. إنكِ تُشبِهين كاتلين كثيرًا».

- «لُطف منكِ أن تقولي هذا».

- «لم يكن إطراءً. الحقيقة أنكِ تُشبهين كاتلين أكثر من اللَّازم. أعتقدُ أن علينا أن نَصبُغ شَعركِ بلونٍ داكن قبل أن نأخذكِ إلى (العُش)».

تَصبُغون شَعري؟ «إذا كان هذا يُرضيكِ يا خالة لايسا».

قالت: «إياكِ أن تُناديني بهذا الاسم. يجب ألَّا نسمح لكلمةٍ واحدة عن وجودكِ هنا ببلوغ (كينجز لاندنج)، فلن أعرِّض ابني لأيِّ خطر»، وقضمَت من قُرص عسلٍ متابعةً: «لقد أبقيتُ (الوادي) خارج هذه الحرب. حصادنا وفير، والجبال تحمينا، و(العُش) يستحيل اختراقه، وعلى الرغم من هذا فلن ينفعنا أن نستجلب غضبة اللورد تايوين على أنفُسنا»، ووضعَت القُرص على الصَّحفة ولعقَت العسل من على أصابعها، وأضافَت: «پيتر أخبرَني بأنكِ كنتِ متزوِّجةً بتيريون لانستر، ذلك القزم المقيت».

- «جعلوني أتزوَّجه، لكني لم أرغب فيه قَطُّ».

قالت خالتها: «كما لم أرغب في الزَّواج عن نفسي. چون آرن لم يكن قزمًا، لكنه كان مسنًّا. ربما لا يكون هذا رأيكِ بالنَّظر إليَّ الآن، لكني بدوتُ يوم زفافنا في غاية الجَمال لدرجة أن منظري طغى على منظر أمِّكِ تمامًا. على أن كلَّ ما أرادَه چون كان سيوف أبي لمناصَرة صبيَّيه العزيزيْن. كان عليَّ أن أرفضه، لكنه كان عجوزًا للغاية، وكم يُمكن أن يعيش؟ نِصف أسنانه كان قد سقطَ وأنفاسه رائحتها كالجُبنة العفِنة. لا أطيقُ رجلًا كريه الأنفاس أبدًا. أنفاس پيتر عطرة دائمًا... إنه أول رجلٍ قبَّلته. قال أبي إنه وضيع النَّسب جدًّا، لكني علمتُ أنه سيترقَّى إلى أرفع المَناصب. چون ولَّاه الجمارك في (بلدة النَّوارس) مرضاةً لي، لكن حين ضاعفَ الدَّخلَ عشر مرَّات رأى السيِّد زوجي مدى مهارته وكلَّفه بوظائف أخرى، بل وأخذَه إلى (كينجز لاندنج) ليُصبح أمين النَّقد. كان صعبًا أن أراه كلَّ يوم وأنا متزوِّجة بذلك العجوز البارد. لقد أدَّى چون واجبه في غُرفة النَّوم، لكنه لَم يمنحني من المُتعة أكثر مما منحَني من الأطفال. كانت نُطفته عجوزًا ضعيفةً، وماتَ جميع أطفالي باستثناء روبرت، ثلاث بنات وصبيَّان. ماتَ جميع أطفالي الأحياء، وعاشَ ذلك العجوز وعاشَ وعاشَ بأنفاسه الكريهة. ترين إذن أنني عانيتُ أيضًا»، وتنشَّقت الليدي لايسا، وسألَتها: «تعرفين أن أمَّكِ المسكينة ماتَت، أليس كذلك؟».

- «تيريون أخبرَني، قال إن آل فراي قتَلوها وروب في (التَّوأمتين)».

اغرورقَت عينا الليدي لايسا بالدُّموع فجأةً، وقالت: «أنا وأنتِ امرأتان وحيدتان الآن. هل أنتِ خائفة يا صغيرتي؟ تشجَّعي، فلا يُمكنني أن أتنكَّر لابنة كات أبدًا. إننا دم واحد»، وأشارَت لسانزا بالاقتراب مضيفةً: «يُمكنكِ أن تُقَبِّلي وجنتي يا إليني».

بطاعةٍ اقتربَت وركعَت إلى جوار السَّرير، وفغمَت أنفها الرَّائحة الطيِّبة التي تفوح من خالتها، وإن اشتمَّت معها رائحةً لبنيَّةً فاسدةً أيضًا، وتذوَّقت الطِّلاء والمساحيق على وجنتها.

وإذ خطَت سانزا إلى الوراء قبضَت الليدي لايسا على معصمها، وبحدَّةٍ قالت: «أخبِريني الآن. أأنت حامل؟ أريدُ الحقيقة. سأعرفُ إذا كذبتِ».

أجابَت مندهشةً من السُّؤال: «لا».

- «إنكِ امرأة مزهرة، أليس كذلك؟».

قالت سانزا عالمةً أن حقيقة إزهارها لن تبقى طَيَّ الكتمان طويلًا في (العُش): «بلى، لكن تيريون لم... إنه لم...»، وأحسَّت بحُمرة الخجل تزحف على خدَّيها وهي تقول: «إنني ما زلتُ بِكرًا».

- «أكان القزم عاجزًا؟».

- «لا، لكنه كان... كان...». رقيقًا؟ لا يُمكنها أن تقول هذا، ليس هنا، ليس لخالتها التي تكرهه لهذا الحَد. «كان... كان لديه عاهرات يا سيِّدتي. هكذا أخبرَني».

أطلقَت لايسا سراح معصمها قائلةً: «عاهرات، طبعًا. مَن المرأة التي تُضاجِع مخلوقًا مِثله إلَّا مقابل الذَّهب؟ كان عليَّ أن أقتل العِفريت وهو تحت تصرُّفي، لكنه خدعَني. إنه مليء بالحيل الدَّنيئة. رجله المرتزق قتلَ فارسي الشُّجاع السير ڤارديس إيجن. لم يكن يَجدُر بكاتلين أن تأتي به، وقد قلتُ لها هذا، ثم إنها رحلَت آخذةً عمَّنا معها أيضًا، ولم يكن هذا يليق. السَّمكة السَّوداء كان فارس البوَّابة، ومنذ تركَنا وقبائل الجبال تتجرَّأ أكثر فأكثر، لكن پيتر سيُصَحِّح كل هذا قريبًا. سأنصِّبه حافظًا لـ(الوادي)»، وللمرَّة الأولى ارتسمَت على وجه خالتها ابتسامة أقرب إلى الدِّفء، وأضافَت: «ربما لا يبدو طويلًا أو قويًّا كالبعض، لكنه يعدُّ بهم جميعًا. ثقي به وافعلي ما يقوله لكِ».

- «سأفعلُ يا خالتي... يا سيِّدتي».

بدا السُّرور على الليدي لايسا، وقالت: «لقد عرفتُ الصَّبي چوفري. كان ينعت ابني روبرت بألفاظ قاسية، وفي مرَّةٍ لطمَه بسيفٍ خشبي. سيقول لك الرِّجال إن لا شَرف في القتل بالسُّم، لكن شَرف النِّساء يختلف. (الأم) سوَّتنا على حماية أطفالنا، وخزينا الوحيد يَكمُن في الفشل. ستعلمين هذا حين تُنجبين طفلًا».

ردَّدت سانزا بارتباك: «طفلًا؟».

لوَّحت الليدي لايسا بيدها بلا مبالاةٍ قائلةً: «ليس قبل سنوات. إنكِ ما زلتِ أصغر من أن تكوني أمًّا، لكنكِ ستُريدين أطفالًا ذات يوم، كما ستُريدين أن تتزوَّجي».

- «إنني... إنني متزوِّجة يا سيِّدتي».

- «نعم، لكن قريبًا ستصيرين أرملةً. عليكِ أن تسعدي لأن العِفريت فضَّل

عاهراته، فلن يليق بابني أن يأخذ فُضالة القزم، لكن ما دامَ لم يلمسكِ قَطُّ... ما رأيكِ في الزَّواج بابن خالتكِ اللورد روبرت؟».

أصابَت الفكرة سانزا بالفتور. كلُّ ما تعرفه عن روبرت آرن أنه صبيٌّ صغير سقيم. ليست تُريد تزويج ابنها بي أنا، بل بإرثي. لا أحد سيتزوَّجني بدافع الحُبِّ أبدًا. لكن الكذب يأتيها بسهولةٍ الآن، فقالت: «لا... لا أطيقُ الانتظار حتى أراه يا سيِّدتي، لكنه ما زالَ طفلًا، أليس كذلك؟».

- «إنه في الثَّامنة، وليس قويًّا، لكنه صبيٌّ طيِّب للغاية، شديد الذَّكاء والفطنة. سيكون رجلًا عظيمًا يا إليني. البذرة قويَّة كما قال السيِّد زوجي قبل وفاته، كلماته الأخيرة. أحيانًا تسمح لنا الآلهة بأن نُبصِر المستقبَل ونحن نُحتضَر. لا أرى سببًا يحول دون زواجكما بمجرَّد أن نعرف أن زوجكِ لانستر قد ماتَ. سيكون زفافًا سرِّيًّا بالتَّأكيد، فيجب ألَّا نسمح للنَّاس بأن يعتقدوا أن سيِّد (العُش) قد تزوَّج نغلةً. شيء كهذا لا يجوز. ستأتينا الغِدفان بالنَّبأ من (كينجز لاندنج) فوق أن يطير رأس العِفريت، ويُمكنكِ أن تتزوَّجي روبرت في اليوم التَّالي. ألن يكون هذا بهيجًا؟ سيُفيده أن تكون له رفيقة صغيرة. كان يلعب مع ابن ڤارديس إيجن لدى عودتنا إلى (العُش)، ومع أبناء وكيلي أيضًا، لكنهم كانوا خشنين أكثر من اللَّازم، ولم أجد خيارًا إلَّا صرفهم من البلاط. هل تُجيدين القراءة يا إليني؟».

- «السِّپتة موردن كانت بالكرم الكافي لأن تقول هذا».

قالت الليدي لايسا: «اللورد روبرت عيناه ضعيفتان، لكنه يحبُّ أن يقرأ عليه أحدهم القصص، ويحبُّ قصص الحيوانات أكثر من غيرها. أتعرفين أغنيَّة الدَّجاجة التي تنكَّرت في هيئة ثعلب؟ إنني أغنِّيها له طول الوقت ولا يملُّها أبدًا، ويحبُّ أن يلعب (الضِّفدع النطَّاط) و(السَّيف الدوَّار) و(تعالَ إلى قلعتي)، لكن عليكِ أن تدعيه يفوز دائمًا. من اللِّياقة أن تفعلي هذا، أليس كذلك؟ إنه سيِّد (العُش)، ويجب ألَّا تنسى هذا أبدًا. إنكِ نبيلة المولد، ولطالما كان آل ستارك أولاد (وينترفل) معتدِّين بأنفسهم، لكن (وينترفل) سقطَت وما أنتِ إلَّا متسوِّلة الآن، فنحِّي هذا الاعتداد جانبًا. الامتنان يُناسِبكِ أكثر في ظروفكِ الحاليَّة، نعم، والطَّاعة أيضًا. ابني سيحظى بزوجةٍ ممتنَّة ومطيعة».



چون

ليل نهار تدقُّ الفؤوس.

لا يَذكُر چون متى نام آخِر مرَّة. حين يُغلِق عينيه يَحلُم بالقتال، وحين يستيقظ يُقاتِل. حتى في (بُرج الملك) يسمع ضربات البرونز والصَّوَّان والفولاذ المسروق تهوي على الخشب بلا انقطاع، ويعلو الصَّوت أكثر إذا حاولَ أن يستريح في سقيفة التَّدفئة على قمَّة (الجِدار). يستعين مانس بمطارق ثقيلة في العمل أيضًا، ومناشير طويلة بأسنان من العظم والصَّوَّان، وفي مرَّةٍ فيما أخذَه الوسن إلى نوم مكدود سمعَ چون قرقعةً عظيمةً من (الغابة المسكونة)، وتهاوَت شجرة حَارسٍ في سحابةٍ من الغُبار والإبر.

حين أتاه أوين كان مستيقظًا، متمدِّدًا يُفعِمه القلق والاضطراب تحت كومةٍ من الأغطية الفرو على أرضيَّة سقيفة التَّدفئة. قال أوين وهو يهزُّ كتفه: «لورد سنو، إنه الفَجر»، ثم مَدَّ يده يُساعِده على النُّهوض، وبدأ آخَرون يستيقظون بدورهم، يتزاحَمون محتكين ببعضهم بعضًا بين جُدران السَّقيفة الضيِّقة وهُم ينتعلون أحذيتهم ويربطون أحزمة سيوفهم دون أن يتكلَّم أحد. جميعهم أكثر كللًا من أن يتكلَّموا، فقلائل منهم يُغادِرون (الجدار) هذه الأيام، بما أن الصُّعود والهبوط في القفص يستغرق وقتًا طويلًا، وقد تُركَت (القلعة السَّوداء) للمايستر إيمون والسير وينتون ستاوت وقِلَّةٍ من العجائز والمرضى الذين لا يستطيعون القتال.

قال أوين بسعادة: «حلمتُ بأن الملك جاءَ. أرسلَ المايستر إيمون غُدافًا وجاءَ الملك روبرت بقوَّته كلِّها. حلمتُ بأني أرى راياته الذَّهبيَّة».

جعلَ چون نفسه يبتسم، وقال: «سيكون منظرًا نُرحِّب برؤيته يا أوين»،

ومتجاهلًا وخزة الألم في ساقه وضعَ معطفًا من الفرو الأسود على كتفيه والتقطَ عُكَّازه وخرجَ إلى (الجِدار) ليُجابه اليوم الجديد.

هبَّت الرِّيح دافعةً نُدف الجليد لتتخلَّل خُصلات شَعره البنِّي الطَّويل. على بُعد نِصف ميلٍ إلى الشَّمال كانت الحركة تدبُّ في معسكَر الهَمج، وتتصاعَد أصابع الدُّخانِ من بؤر نيرانهم لتخدش سماء الفَجر الباهتة. كانوا قد نصبوا بطول حافة الغابة خيامًا من جلود الحيوانات والفرو، بل وقاعةً طويلةً بسيطةً من جذوع الأشجار والأغصان المجدولة. إلى الشَّرق صفوف الخيل، وإلى الغرب الماموثات، وفي كلِّ مكانٍ رجال يشحذون سيوفهم ويُرَكِّبون الرُّؤوس على قنوات حِرابهم البدائيَّة ويرتدون دروعًا مجمَّعةً من الجلود والقرون والعظام. مقابل كلِّ رجلٍ يراه، يعلم چون أن هناك عشرين لا يراهم متوارين في جنبات الغابة، التي تمدُّهم بشيءٍ من الوقاية من عوامل الجَوِّ وتُخفيهم عن أعيُن الغِربان الكريهين.

كان رُماتهم يتقدَّمون بالفعل دافعين الجَنَوِيَّات[1] على عجلاتها صوب (الجِدار)، فأعلنَ پيپ بمرحٍ كما يفعل كلَّ صباح: «سهام الإفطار في الطَّريق». قال چون لنفسه: جيِّد أنه يَجد في الأمر فُكاهةً ما. على أحدنا أن يفعل هذا. قبل ثلاثة أيام أصابَ أحد سهام الإفطار هذه آلن الأحمر بن (غابة الورد) في ساقه، وما زالَ يُمكنك أن ترى جثَّته عند سفح (الجِدار) إذا مِلت كفايةً إلى الخارج، لكن چون يرى أن الأفضل للرِّجال أن يتبسَّموا لدُعابة پيپ من أن يتجهَّموا لجثَّة آلن.

الجَنَوِيَّات خشبيَّة مائلة، عريضة بما يكفي لاستتار أربعةٍ أو خمسةٍ من شعب الأحرار خلفها، ويدفعها الرُّماة على مقربةٍ من بعضها بعضًا ثم يركعون وراءها ويُطلِقون السِّهام عبر فتحاتٍ في الخشب. أول مرَّةٍ خرجَ بها الهَمج أمرَ چونٍ برميها بالسِّهام النَّاريَّة وأشعلَ نِصف دستةٍ منها بالفعل، لكن مانس بدأ يُغَطِّيها بالجلود الخام بَعد ذلك، والآن لا يستطيع كلُّ ما في العالم من سهام ناريَّة أن يجعل اللَّهب يشبُّ فيها. ثم إن الإخوة بدأوا يتراهَنون على أيِّ الحَرس القَش سيجمع أكبر عددٍ من السِّهام قبل نهاية المعركة، فتصدَّر

(1) الجَنَوِيَّة تُرس كبير من الخشب يتوارى الجنود خلفه عند الزَّحف على الأسوار. (المترجم).

إد الكئيب الرِّهان بأربعة، بينما حازَ كلٌّ من أوثيل يارويك وتامبرچون ووات بن (البحيرة الطَّويلة) ثلاثةً. پيپ أيضًا هو من شرعَ في إطلاق أسماء إخوتهم المفقودين على الفزَّاعات، وقال: «كأن هناك المزيد منا هكذا».

قال جرن متذمِّرًا: «المزيد منا بسهام في بطونهم»، وإن بدا أن العادة تُشَجِّع إخوته، فتركَ چون الأسماء تبقى والرِّهان يستمرُّ.

على حافة (الجدار) وقفَت العين المايريَّة المنمَّقة المصنوعة من النُّحاس الأصفر على ثلاث سيقان طويلة، وكان المايستر إيمون يستخدمها فيما مضى لمراقَبة النُّجوم قبل أن تخذله عيناه. دوَّر چون الأنبوب إلى أسفل ليُلقي نظرةً على العدوِّ، وحتى من هذه المسافة لم يكن هناك مجال لإخطاء خيمة مانس رايدر البيضاء الضَّخمة المخيَّطة من فرو دببة الثُّلوج. قرَّبت العدسات المايريَّة الهَمج بما يكفي لأن يُمَيِّز وجوههم، وبينما لم يرَ أثرًا لمانس نفسه هذا الصَّباح، فقد وقفَت امرأته دالا في الخارج تُزكي النَّار، على حين انشغلَت أختها ڤال بحلب عنزةٍ إلى جوار الخيمة. بدا بطن دالا كبيرًا للغاية لدرجة أن چون استعجبَ من قُدرتها على الحركة، وفكَّر: لا بُدَّ أن الطِّفل سيأتي قريبًا جدًّا، ثم إنه دوَّر المرصاد شرقًا وبحثَ بين الخيام والأشجار إلى أن وجدَ السُّلحفاة. هذه أيضًا ستأتي قريبًا جدًّا. كان الهَمج قد سلخوا جثَّة أحد الماموثات خلال اللَّيل، والآن يستخدمون الحبال لتثبيت الفروة الدَّامية على سطح السُّلحفاة، طبقة أخرى فوق جلود الحيوانات وفرو الغنم. للسُّلحفاة قمَّة مستديرة وثمان عجلات ضخمة، وتحت طبقات الجلود يتوارى هيكلها الخشبي المتين. حين بدأ الهَمج تركيبها حسبَ ساتان أنهم يبنون سفينةً. ولم يُجانِبه الصَّواب كثيرًا. السُّلحفاة بدن سفينةٍ مقلوب ومفتوح من المقدِّمة والمؤخِّرة، قاعة طويلة على عجلات.

سألَه جرن: «هل انتهَت إذن؟».

أجابَ چون مزيحًا الأنبوب: «على وشك. ستأتي اليوم غالبًا. هل ملأت البراميل؟».

– «جميعها. لقد تجمَّدت تمامًا خلال اللَّيل، پيپ تفقَّدها».

تغيَّر جرن كثيرًا عن الصَّبي الكبير الأخرق الفَظ الذي صادقَه چون في البداية، فاستطالَت قامته نِصف قدم وغَلُظَ صدره وكتفاه، كما أنه لم يقصَّ

شَعره أو يُشَذِّب لحيته منذ ذهابهم إلى (قبضة البَشر الأوائل)، ويبدو الآن ضخمًا أشعث كالثَّور، الكنية السَّاخرة التي علَّقها عليه السير أليسر ثورن في أثناء التَّدريب. على أنه يبدو مرهَقًا الآن، ولمَّا قال چون هذا أومأ برأسه موافقًا، ورَدَّ: «سمعتُ فؤوسهم طوال اللَّيل. لم أستطِع النَّوم بسبب أصوات التَّقطيع».

- «اذهب ونَم الآن إذن».
- «لستُ محتاجًا إلى...».

قاطعَه: «بل تحتاج إليه. أريدك أن تستريح. هيا، اذهب. لن أتركك تنام في غمرة القتال»، ودفعَ نفسه إلى الابتسام مضيفًا: «أنت الوحيد الذي يستطيع تحريك تلك البراميل اللَّعينة».

ذهبَ جرن مدمدمًا وعادَ چون إلى المرصاد ليجوس في معسكَر الهَمج. بين الحين والآخر يُحَلِّق سهم فوق رأسه، لكنه تعلَّم أن يتجاهَل تلك السِّهام، فالمدى طويل وزاوية الرِّماية سيِّئة، وفُرص إصابته ضعيفة. ما زالَ لا يرى مانس رايدر في المعسكَر، وإن أبصرَ تورموند بليَّة العماليق واثنين من أبنائه حول السُّلحفاة. كان الابنان يُجاهِدان لرفع فروة الماموث، على حين التهمَ تورموند ساق جدي مشويَّة وجأرَ بالأوامر، وفي بُقعةٍ أخرى رأى چون مبدِّل الجلدة الهمجي ڤاراميرِ سِت جلود يمشي وسط الأشجار وفي أعقابه قِطُّ الظِّل.

عندما سمعَ صلصلة سلاسل الرَّافعة وأنين باب القفص الحديدي إذ انفتحَ، علمَ أن هوب جلبَ فطورهم كما يفعل صبيحة كلِّ يوم، لكن مشهد سُلحفاة مانس أفقدَه شهيَّته. لقد نضبَ الزَّيت تمامًا، وآخِر براميل القار دُحرِجَ من على حافة (الجِدار) قبل ليلتين، وعمَّا قريب ستنفد منهم السِّهام أيضًا، وليس هناك رجال يصنعون المزيد. ليلة أول من أمس أتى غُداف من السير دينس ماليستر في الغرب حاملًا رسالةً تقول إن باون مارش -على ما يبدو- طاردَ الهَمج حتى (بُرج الظِّلال) وبَعدها، دافعًا إياهم إلى ظُلمات (الغور)، وعند (جسر الجماجم) التقى البكَّاء وثلاثمئة همجيٍّ وانتصرَ في معركةٍ دامية، لكن النَّصر كان باهظ الثَّمن، إذ قُتِلَ أكثر من مئة أخ، منهم السير إندرو تارث والسير ألاديل وينش، وحُمِلَ الرُّمَّانة العجوز نفسه إلى (بُرج الظِّلال) مثخنًا

بالجراح. إنه في عناية المِايستر مولين الآن، لكن بعضًا من الوقت سيمضي قبل أن يُصبِح في حالةٍ تسمح بعودته إلى (القلعة السَّوداء).

عقب أن قرأ چون الرِّسالة بعثَ زاي إلى (بلدة المناجذ) على متن أفضل خيولهم لتُناشِد أهل القرية أن يُساعِدوا على الدِّفاع عن (الجِدار)، لكنها لم ترجع، ولمَّا أرسل مولي وراءها عادَ وأبلغَه بأنه وجدَ القرية كلَّها مهجورةً، بما فيها الماخور، وعلى الأرجح تبعَتهم زاي على (طريق الملوك) مباشرةً. ساعتها قال لنفسه بكآبة: ربما علينا أن نحذو حذوهم.

أرغمَ نفسه على الأكل سواء أكان جائعًا أم لم يكن، فسيِّئ بما فيه الكفاية أنه لا يستطيع النَّوم، ولا يُمكنه أن يستمرَّ بلا طعام كذلك. كما أنها قد تكون وجبتي الأخيرة، بل قد تكون وجبتنا الأخيرة جميعًا. هكذا كان بطن چون مليئًا بالخُبز واللَّحم المقدَّد والبصل والجُبنة حينما سمعَ الجواد يزعق: «**إنها قادمة!**».

لم يكن أحدهم مضطرًّا لأن يسأله عمَّا يعنيه، ولا احتاجَ چون إلى عين المِايستر المايريَّة ليراها تزحف من بين الأشجار والخيام.

علَّق ساتان: «لا تُشبِه السُّلحفاة كثيرًا. ليس للسَّلاحف فرو».

قال پيپ: «معظمها بلا عجلات أيضًا».

رفعَ چون صوته آمرًا: «أطلِق بوق الحرب»، ونفخَ كِجز مرَّتين طويلتين ليُوقِظ جرِن والنِّيام الآخَرين الذين يتولُّون الحراسة اللَّيليَّة. إذا كان الهَمج قادمين فـ(الجِدار) في حاجةٍ إلى كلِّ رجل. والآلهة تعلم أن عددنا قليل جدًّا. نظرَ چون إلى پيپ وكِجز وساتان والجواد وأوين الجحش وتيم المُتهتِه ومولي وذي النَّعلِ الواحد والبقيَّة، وحاولَ أن يتخيَّلهم وجهًا لوجهٍ ونصلًا لنصلٍ يُقاوِمون مئةً من الهَمج الصَّارخين في ظلام النَّفق الجليدي، لا يفصل بين هؤلاء وأولئك إلَّا قضبان حديديَّة قليلة. هذا ما ستصل إليه الأمور في النِّهاية ما لم يستطيعوا إيقاف السُّلحفاة قبل اختراق البوَّابة.

قال الجواد: «إنها كبيرة».

تلمَّظ پيپ قائلًا: «فكِّروا في قَدر الحَساء الذي سنَطبُخه منها»، لكن دُعابته وُلِدَت جهيضةً، وحتى نبرة صوته كانت متعَبةً. يبدو أقرب إلى الموتى، لكننا نبدو كذلك جميعًا. مع ملك ما وراء الجِدار أعداد كبيرة للغاية من الرِّجال

تُمَكِّنه من إلقاء مهاجمينَ جُدد عليهم كلَّ مرَّة، بينما على الحفنة نفسها من الإخوة السُّود أن تصدَّ كلَّ هجمة، وقد أعياهم هذا حتى النُّخاع.

يعرف چون أن الرِّجال المتوارين تحت الخشب والجلود يسحبون بقوَّتهم كلِّها ويشدُّون عضلات أكتافهم عن آخِرها لتظلَّ العجلات تدور، لكن بمجرَّد أن تُصبح السُّلحفاة في مواجَهة البوَّابة تمامًا سيستبدلون الحبال بالفؤوس. على الأقل لم يُرسِل مانس ماموثاته اليوم، وهو ما سَرَّ چون، فقوَّتها الهائلة مهدورة على (الجِدار)، وحجمها يجعلها أهدافًا سهلةً. آخِرها يُحتضَر منذ يوم ونِصف، ولنهيمه الحزين وقع رهيب على الآذان.

زحفَت السُّلحفاة بتؤدةٍ بين الحجارة وجذوع الأشجار المبتورة والأجمات. كانت الهجمات السَّابقة قد كلَّفت شعب الأحرار مئة نفسٍ أو أكثر، معظمهم لم يزل منطرحًا حيث سقطَ، وفي فترات الهدوء تجيء الغِربان لزيارتهم، لكنها حلَّقت ناعبةً الآن وقد ساءَها منظر السُّلحفاة كما ساءَه.

ويعرف چون أيضًا أن ساتان والجواد والآخَرين يتطلَّعون إليه منتظرين الأوامر. كان منهَكًا تمامًا وبالكاد يدري ما عليه أن يفعله، لكنه ذكَّر نفسه: (الجِدار) تحت قِيادتي، وقال لهم: «أوين والجواد، إلى المجانيق. كِجز، أنت وذو النَّعل الواحد إلى العرَّادات. ليُثبِّت بقيَّتكم أوتار أقواسكم. سهام ناريَّة. لنرَ إن كنا نستطيع أن نُحرِقها». غالبًا ستذهب محاولاتهم سُدًى، لكنها أفضل من وقوفهم مكتوفي الأيدي بالتَّأكيد.

حركة السُّلحفاة البطيئة ووزنها الثَّقيل جعلاها هدفًا سهلًا، وسرعان ما حوَّلها رُماة القوس والنُّشَّابيَّة إلى قُنفذٍ خشبي... لكن الجلود المبتلَّة حمَتها كما حمَت الجَنَويَّات من قبل، وانطفأَت السِّهام النَّاريَّة فور أن أصابَتها تقريبًا. أطلقَ چون سبابًا بصوتٍ خفيض، ثم قال آمرًا: «العرَّادات والمجانيق».

اخترقَت قذائف العرَّادات الجلود، لكنها لم تُحدِث تلفًا أكثر من السِّهام النَّاريَّة، وارتدَّت الصُّخور عن سقف السُّلحفاة تاركةً انبعاجاتٍ في الطَّبقات السَّميكة. ربما كان حجر من أحد المِقذافيْن ليتكفَّل بسحقها، لكن إحدى الآلتين ما زالَت متعطِّلةً، والهَمج ابتعدوا كثيرًا عن البُقعة التي تُسقِط فيها الأخرى أحمالها.

قال أوين الجحش: «چون، إنها لا تزال قادمةً».

كان يرى هذه الحقيقة بنفسه. بوصةً بوصةً وياردةً ياردةً دنَت السُّلحفاة على عجلاتها مقعقعةً رجراجةً وهي تقطع أرض المقتلة، وفور أن تستوي على (الجِدار) ستمنح الهَمج كلَّ ما يحتاجون إليه من حماية بينما تهوي فؤوسهم على البوَّابة الخارجيَّة التي رُمِّمَت على عجل، وفي الدَّاخل، تحت الجليد، سيُخلون النَّفق من الدَّبش في غضون ساعات، وعندها لن يعود هناك ما يُوقِفهم إلَّا شبكتان حديديَّتان وبضع جُثثٍ شِبه متجمِّدة ومَن يُلقيه چون في طريقهم من إخوةٍ يُقاتِلون ويُقتَلون في الظَّلام.

إلى يساره أحدثَ أحد المجانيق صوتًا مكتومًا وملأَ الهواء بالأحجار التي سقطَت دائرةً وانهالَت على السُّلحفاة كالوابل ثم ارتدَّت عنها دون أن تُؤذيها. كان رُماة الهَمج مستمرِّين في إطلاق سهامهم من وراء الجَنَويَّات، وانغرسَ أحدها في وجه أحد الحُرَّاس القَش، فقال پيپ: «أربعة لوِات ابن (البحيرة الطَّويلة)! تعادُل!»، لكن السَّهم التَّالي مَرَّ مصفِّرًا إلى جوار أُذنه، فصاحَ: «تبًّا! لستُ مشاركًا في هذه المباراة!».

- «الجلود لن تحترق»، قال چون لنفسه بقَدر ما قالها للآخَرين. أملهم الوحيد أن يُحاوِلوا تحطيم السُّلحفاة حين تَبلُغ (الجِدار)، ولأجل هذا فإنهم يحتاجون إلى جلاميد، فمهما كانت السُّلحفاة متينةً فلا بُدَّ أن تُحدِث كُتلة من الصَّخر تُلقى عليها مباشرةً من ارتفاع سبعمئة قدم شيئًا من الضَّرر. «جرِن، أوين، كِجز، حانَ الوقت».

بمحاذاة سقيفة التَّدفئة تستقرُّ دستة من البراميل البلُّوط الكبيرة في صَف، كلُّها مليء بالصُّخور المسحوقة، الحصى الذي اعتادَ الإخوة السُّود نثره على الممرَّات على قمَّة (الجِدار) ليُعطوا أنفسهم مواطئ أقدام أفضل. البارحة، حين شهدَ الهَمج يُغطُّون السُّلحفاة بفرو الغنم، قال چون لجرن أن يصبَّ في البراميل أكبر كمِّيَّةٍ تستوعبها من الماء، بغرض أن يتخلَّل الفراغاتِ بين الحصى، وخلال اللَّيل يتجمَّد عن آخِره. إنه أقرب شيءٍ لجُلمودٍ في استطاعتهم تدبيره.

سألَه جرِن: «لماذا يجب أن نُجمِّده؟ ألا يكفي أن نرمي البراميل كما هي؟».

أجابَه چون: «إذا ارتطمَت بـ(الجِدار) في طريقها إلى أسفل ستنفجر ويتناثَر الحصى المفتَّت في كلِّ مكان، ونحن لا نُريد إمطار أولاد العاهرات

بالحصى».

دفعَ أحد البراميل بكتفه مع جرن، بينما تولَّى كِجز وأوين واحدًا آخر، ومعًا هزَّاه إلى الأمام والخلف ليكسرا طبقة الجليد التي تكوَّنت عليه من أسفل، وقال جرن: «الملعون يزن طنًّا».

- «اقلبه على جانبه ودحرِجه، واحذر، إذا تدحرجَ على قدمك ستُصبِح مِثل ذي النَّعل الواحد».

بمجرَّد أن صارَ البرميل على جانبه التقطَ چون مشعلًا ولوَّح به فوق سطح (الجدار) جيئةً وذهابًا ليُذيب الجليد بعض الشَّيء، فجعلَت طبقة الماء الرَّقيقة البرميل يتدحرَج بسهولةٍ أكبر، بسهولةٍ أكثر من المطلوب في الحقيقة، إذ كادَ يَخرُج عن سيطرتهم، لكن أخيرًا وقد تكاتفَ أربعتهم دحرجوا الجُلمود إلى الحافة وعدَلوه من جديد.

كانوا قد رصُّوا أربعةً من البراميل البلُّوط الكبيرة فوق البوَّابة حين صاحَ پيپ: «هناك سُلحفاة على بابنا!».

ثبَّت چون ساقه الجريحة ومالَ إلى الخارج ليُلقي نظرةً مفكِّرًا: سقَّالات. كان على مارش أن يبني سقَّالات. أشياء كثيرة للغاية كان عليهم أن يفعلوها. الآن كان الهَمج يجرُّون جُثث العمالقة بعيدًا عن البوَّابة، فيما أسقطَ الجواد ومولي عليهم الصُّخور، وحسبَ چون أنه رأى أحدهم يُصاب، لكن الصُّخور أصغر من أن تُحدِث أيَّ تلفٍ في السُّلحفاة نفسها. تساءلَ عمَّا سيفعله شعب الأحرار بشأن الماموث الميت الذي يعترض الطَّريق، ثم إنه رأى. السُّلحفاة عرضها أقرب إلى عرض قاعةٍ طويلة، وقد دفعَها الهَمج ببساطةٍ فوق الجثَّة. ارتجفَت ساقه، لكن الجواد أمسكَ ذراعه وسحبَه إلى الأمان قائلًا: «لا يَجدُر بك أن تميل إلى الخارج هكذا».

قال: «كان علينا أن نبني سقَّالات»، وخطرَ له أن يسمع ارتطام الفؤوس بالخشب، لكنه غالبًا رنين الرَّهبة في أُذنيه ليس إلَّا. هكذا التفتَ إلى جرن قائلًا: «نفِّذ».

ووقفَ جرن وراء برميل وأراحَ كتفه عليه وأصدرَ أنينًا وبدأ يدفع، وتحرَّك أوين ومولي ليُساعِداه، ومعًا دفعوا البرميل إلى الخارج قدمًا ثم قدمًا آخر، وفجأةً لم يَعُد هناك.

سمعوا ارتطامًا مكتومًا إذ أصابَ (الجِدار) في طريقه إلى أسفل، ثم، وبصوتٍ أعلى كثيرًا، سمعوا الاصطدام وطقطقة الخشب المتهشِّم، يتبعها الصُّراخ والزَّعيق. شهقَ ساتان ورقصَ أوين الجحش في دوائر، على حين مالَ پيپ إلى الخارج وصاحَ: «السُّلحفاة كانت محشوَّة عن آخِرها بالأرانب! انظروا كيف تهرب متقافزةً!».

هتفَ چون: «مرَّة أخرى»، ودفعَ كِجز وجرِن البرميل التَّالي بكتفيهما وأرسلاه يتأرجَح في الهواء.

ولمَّا فرغوا كانت مقدِّمة سُلحفاة مانس قد أصبحَت خرابًا من الخشب المسحوق، والهَمج ينسكبون من طرفها الآخَر ويهرعون إلى معسكَرهم. التقطَ ساتان نُشَّابيَّته وأطلقَ بضعة سهام وراءهم وهُم يعدون ليُزيدوا سُرعتهم، بينما ابتسمَ جرِن ملء الشِّدقين من وراء لحيته وألقى پيپ النِّكات، ولا أحد منهم سيموت اليوم.

أمَّا غدًا... ألقى چون نظرةً نحو السَّقيفة. ثمانية براميل تبقَّت حيث استقرَّ اثنا عشر قبل دقائق. أدركَ مدى إرهاقه لحظتها، وكم يُوجِعه جرحه. يجب أن أنام، بضع ساعاتٍ على الأقل. ربما يُساعِده أن يذهب إلى المِايستر إيمون ليسقيه قليلًا من نبيذ النَّوم، وهكذا قال لهم: «سأنزلُ إلى (بُرج الملك). استدعوني إذا فعلَ مانس شيئًا. پيپ، (الجِدار) تحت قيادتك».

قال پيپ: «أنا؟!».

وقال جرِن: «هو؟!».

مبتسمًا، تركَهم چون وركبَ القفص إلى أسفل.

ساعدَه كوب من نبيذ النَّوم بالفعل، فلم يكد يستلقي على السرير الضيِّق في حُجيرته حتى غابَ عن الوعي، وكانت أحلامه غريبةً عديمة الملامح، ملأى بالأصوات المجهولة والصِّياح والصَّريخ وصوت بوقٍ حربيٍّ يتردَّد بارتفاعٍ وانخفاض، نغمته الواحدة المدوِّية عالقة في الهواء.

وحين استيقظَ كانت السَّماء سوداء وراء فتحة الرِّماية التي تعمل كنافذة، ووجدَ أربعة رجالٍ لا يعرفهم واقفين فوقه، يحمل أحدهم مصباحًا ويقول أطولهم قامةً بغلظةٍ: «لورد سنو، انتعل حذاءك وتعالَ معنا».

الفكرة الأولى التي جالَت بباله النَّاعس أن (الجِدار) قد سقطَ بشكلٍ

ما وهو نائم، أن مانس رايدر أرسلَ المزيد من العمالقة أو سُلحفاةً أخرى واخترقَ البوَّابة، ولكن لمَّا فركَ عينيه رأى أن الغُرباء يرتدون الأسود، فقال لنفسه: رجال من حَرس اللَّيل، ثم سأل: «آتي إلى أين؟ مَن أنتم؟».

أشارَ الطَّويل، وسحبَه اثنان من الآخَرين من الفِراش، وساقوه على ضوء المصباح من حُجيرته صاعدين به نِصف دورةٍ من السَّلالم إلى غُرفة الدُّب العجوز الشَّمسيَّة، حيث رأى المايستر إيمون واقفًا عند النَّار وقد طوى يديه على رأس عُكَّازٍ من خشب البرقوق، ومعه السِّپتون سلادور المخمور كالعادة، والسير وينتون ستاوت النَّائم على المقعد المجاور للنَّافذة. أمَّا الإخوة الآخَرون فأغرابٌ عليه، جميعهم باستثناء واحد.

متأنِّقًا بمعطفه الموشَّى بالفرو وحذائه اللَّامع، التفتَ السير أليسر ثورن قائلًا: «ها هو المارق يا سيِّدي، نغل ند ستارك ابن (وينترفل)».

قال چون ببرود: «لستُ مارقًا يا ثورن».

- «سنرى»، قال الجالس في المقعد الجِلد وراء المنضدة التي اعتادَ الدُّب العجوز أن يَكتُب رسائله عليها. كان كبير الحجم وعريض الصَّدر وثقيل اللُّغد ولا يعرفه چون، وقد ردَّد: «نعم، سنرى»، ثم أردفَ مخاطبًا إياه: «آملُ أنك لن تُنكِر كونك چون سنو نغل ستارك».

قال السير أليسر النَّحيل المكتنز ذو العضلات المفتولة والاستمتاع يلتمع في ظُلمة عينيه الصَّوَّانيَّتين: «يحبُّ أن يُسَمِّي نفسه اللورد سنو».

رَدَّ چون: «أنت من سمَّيتني اللورد سنو». كان السير أليسر مغرمًا بإطلاق الألقاب على الفِتية الذين يُدَرِّبهم خلال فترته كقيِّم السِّلاح في (القلعة السَّوداء)، قبل أن يُرسِله الدُّب العجوز إلى (القلعة الشَّرقيَّة) على البحر. لا بُدَّ أن الآخَرين من رجال (القلعة الشَّرقيَّة). الطَّائر بلغَ كوتر پايك وأرسلَ لنا مددًا. سألَ الجالس وراء المنضدة: «كم رجلًا أحضرت معك؟».

أجابَ ذو اللُّغد: «أنا من سيُلقي الأسئلة هنا. إنك متَّهم بالحنث بيمينك والجُبن والتَّهرُّب من الخدمة يا چون سنو. هل تُنكِر أنك تخلَّيت عن إخوتك ليموتوا على (قبضة البَشر الأوائل)، وانضمَمت إلى مانس رايدر الذي يُسَمِّي نفسه ملك ما وراء الجدار؟».

ردَّد چون والكلمة تكاد تَخنُقه: «تخلَّيت...؟».

عندها تكلَّم المِايستر إيمون قائلًا: «سيِّدي، أنا ودونال نوي ناقَشنا هذه المسائل لدى عودة چون سنو إلينا، ورضينا بتفسير چون».

قال ذو اللُّغد: «وأنا لستُ راضيًا أيها المِايستر. سأسمعُ هذا التَّفسير بنفسي، نعم، سأسمعه!».

ابتلعَ چون غضبه قائلًا: «لم أتخلَّ عن أحد. لقد تركتُ (القبضة) في صُحبة كورين ذي النِّصف يد لاستطلاع (الممر الصَّادح)، وانضممتُ إلى الهَمج طبقًا لأوامري. ذو النِّصف يد كان يخشى أن مانس عثرَ على بوق الشِّتاء...».

قاطعَه السير أليسر مقهقهًا: «بوق الشِّتاء؟ هل كانت أوامرك أن تُحصي ما لديهم من سناركات أيضًا يا لورد سنو؟».

- «لا، لكِنِّي أحصيتُ عمالقتهم قَدر المستطاع».

قال ذو اللُّغد بحدَّة: «أيها الفارس! ستُخاطِب السير أليسر بـ«أيها الفارس» وتُخاطِبني بـ«يا سيِّدي». أنا چانوس سلينت سيِّد (هارنهال) والقائد هنا في (القلعة السَّوداء) إلى أن يعود باوِن مارش بحاميته. ستُخاطِب كلًّا منا بلقبه اللَّائق، نعم، فلن أسمح لنغل خائنٍ بأن يسخر من فارسٍ ممروخ بالزُّيوت المقدَّسة كالسير أليسر الكريم»، ورفعَ يده مشيرًا بإصبعٍ لحيمة إلى چون، وأردفَ: «هل تُنكِر أنك أخذت امرأةً همجيَّةً إلى فِراشك؟».

كان حُزنه على إيجريت لا يزال طازجًا ولا يُمكنه أن يتبرَّأ منها الآن، فأجابَ: «لا. لا يا سيِّدي».

سألَه السير أليسر متكلِّفًا الابتسام: «وأظنُّ أن ذا النِّصف يد هو مَن أمرَك بمضاجَعة تلك العاهرة الوسِخة؟».

- «أيها الفارس، إنها لم تكن عاهرةً أيها الفارس. كورين قال لي ألَّا أرفض مهما طلبَ الهَمج مني، لكن... لن أنكر أني تجاوزتُ ما كان عليَّ أن أفعله، أنني... اهتممتُ بأمرها».

قال چانوس سلينت: «تعترف بمروقك إذن؟».

يعرف چون أن نِصف رجال (القلعة السَّوداء) تعوَّدوا زيارة (بلدة المناجذ) بين الحين والحين للتَّنقيب عن الكنوز الدَّفينة في الماخور، لكنه قال رافضًا أن يُلوِّث شَرف إيجريت بمساواتها بعاهرات القرية: «لقد حنثتُ بقَسمي مع امرأة، أعترفُ بهذا، نعم».

- «نعم يا سيِّدي!». حين يعبس سلينت يرتعش لُغده. إنه عريض الصَّدر والكتفين كما كان الدُّب العجوز، ولا شَكَّ أنه سيُصبح أصلع مِثل مورمونت إذا عاشَ وبلغَ سِنَّه، فنِصف شَعره سقطَ بالفعل، مع أنه لا يتجاوَز الأربعين.

قال چون: «نعم يا سيِّدي، ركبتُ مع الهَمج وأكلتُ معهم كما أمرَني ذو النِّصف يد، وتقاسمتُ أغطية نومي مع إيجريت، لكني أقسمُ لك أني لم أمرق إطلاقًا. لقد فررتُ من الماجنَر فور أن استطعت، ولم أرفع سلاحًا ضد إخوتي أو أهل البلاد ولو مرَّةً».

أمعنَ اللورد سلينت النَّظر إليه بعينيه الصَّغيرتين، ثم قال: «سير جلندون، أدخِل السَّجين الآخَر».

السير جلندون هو الرَّجل الطَّويل الذي جرَّه مِن فِراشه، وقد خرجَ أربعة رجال معه من الغُرفة، وسرعان ما عادَ خمستهم بالأسير، رجل صغير الحجم شاحب الوجه قُيِّدَت يداه وقدماه بالأصفاد، له حاجب واحد وشَعر يزحف عليه الصَّلع وشارب يبدو كلطخةٍ من التُّراب فوق شفته العُليا، لكن وجهه متورِّم مرضوض، ومعظم أسنانه الأماميَّة مكسور.

ألقى رجال (القلعة الشَّرقيَّة) الأسير بخشونةٍ على الأرض، وحدَّق إليه اللورد سلينت بتجهُّم قائلًا: «أهذا من تكلَّمت عنه؟».

طرفَ السَّجين بعَينيه المصفرَّتين، وأجابَ: «أجل». في هذه اللَّحظة فقط تعرَّف چون ذا القميص المُخشخِش، فقال لنفسه: يبدو مختلفًا تمامًا دون دِرعه، بينما تابعَ الهَمجي: «أجل، هو الجبان الذي قتلَ ذا النِّصف يد. كان هذا في (أنياب الصَّقيع) بَعد أن طارَدنا الغِربان الآخَرين وقتلناهم جميعًا. كنا لنقتل هذا أيضًا لولا أنه توسَّل إلينا أن نُبقي على حياته الحقيرة، وعرضَ الانضمام إلينا إذا قبلناه. ذو النِّصف يد أقسمَ أن يَقتُل الجبان أولًا، لكن الذِّئب مزَّق كورين وشَقَّ هذا حَلقه»، ومنحَ چون ابتسامةً كشفَت عن أسنانه المفقودة، وبصقَ دمًا على قدمه.

سألَ چانوس سلينت چون بقسوة: «إذن؟ هل تُنكِر هذا؟ أم أنك ستدَّعي أن كورين أمرَك بأن تَقتُله؟».

أتَته الكلمات بصعوبةٍ وهو يُجيب: «قال لي... قال لي أن أفعل ما يُطلَب مني أيًّا كان».

تطلَّع سلينت عبر الغُرفة وخاطبَ رجال (القلعة الشَّرقيَّة) قائلًا: «هل يحسب هذا الصَّبي أني سقطتُ من فوق عربة لفت على رأسي؟».

قال السير أليسر ثورن: «أكاذيبك لن تُنقِذك الآن يا لورد سنو. سننال الحقيقة منك أيها النَّغل».

- «لقد قلتُ الحقيقة. خيولنا كانت منهَكةً وذو القميص المُخشخِش يكاد يُطبِق علينا، فقال لي كورين، أن أتظاهَر بالانضمام إلى الهَمج، قال ألَّا أرفض مهما طلبوا مني. كان يعلم أنهم سيجعلوني أقتله. ذو القميص المُخشخِش كان سيَقتُله على أيِّ حال، وكان يعلم هذا أيضًا».

قال سلينت: «هل تَزعُم أن العظيم كورين ذا النِّصف يد كان يخشى هذا المخلوق؟»، ورمقَ ذا القميص المُخشخِش، وأطلقَ نخيرًا ساخرًا.

دمدمَ الهمجي: «كلُّ الرِّجال يخشون سيِّد العظام»، فركلَه السير جلندون معيدًا إياه إلى صمته.

قال چون بإصرار: «لم أقل هذا».

ضربَ سلينت المنضدة بقبضته قائلًا: «لقد سمعتك! يبدو أن السير أليسر أصابَ في حُكمه عليك. إنك لا تنطق إلَّا كذبًا من بين أسنانك النَّغلة هذه. طيِّب، أنا لن أسمح بهذا، لن أسمح! ربما انطلى كذبك على ذلك الحدَّاد المُعاق، لكن ليس چانوس سلينت! أوه، لا، چانوس سلينت لا يبتلع الأكاذيب بهذه البساطة. هل تحسب أن جمجمتي محشوَّة بالكرنب؟».

- «لا أدري شيئًا عن حشو جمجمتك... يا سيِّدي».

قال السير أليسر: «اللورد سنو كُتلة من الغطرسة. لقد قتلَ كورين كما قتلَ رفاقه المارِقون اللورد مورمونت، ولن يُدهِشني إذا اتَّضح أن كلَّ هذا جزء من المؤامرة الدَّنيئة نفسها. ربما تكون لبنچن ستارك يد في الأمر أيضًا. على حَدِّ علمنا قد يكون جالسًا في خيمة مانس رايدر الآن. أنت تعرف آل ستارك هؤلاء يا سيِّدي».

- «أعرفهم، أعرفهم جيِّدًا جدًّا».

خلعَ چون قُفَّازه وأراهم يده المحروقة قائلًا: «لقد حرقتُ يدي وأنا أدافعُ عن اللورد مورمونت ضد جثَّةٍ حيَّة، وعمِّي كان رجلًا شريفًا، ومستحيل أن يخون قَسمه».

قال السير أليسر هازئًا: «كما لم تَخُن قَسمك؟».

تنحنحَ السِّپتون سلادور، وقال: «لورد سلينت، هذا الصَّبي رفضَ أن يُرَدِّد قَسمه كما ينبغي في السِّپت، بل ذهبَ وراء (الجدار) ليقول الكلمات أمام شجرة قلوب. قال إنها آلهة أبيه، لكنها آلهة الهَمج أيضًا».

قال المايستر إيمون بكياسةٍ وإنما بحزم: «إنها آلهة الشَّمال أيها السِّپتون. أيها السَّادة، حين قُتِلَ دونال نوي تولَّى هذا الشَّاب چون سنو قيادة (الجدار) ودافعَ عنه ضد غضبة الشَّمال كلِّها، وقد أثبتَ شَجاعته وإخلاصه وسعة حيلته. لولاه لوجدت مانس رايدر جالسًا هنا عندما وصلت يا لورد سلينت. إنك مخطئ في حقِّه تمامًا. چون سنو كان وكيل اللورد مورمونت ومُرافِقه، واختيرَ لهذا الواجب لأن حضرة القائد رأى كم هو واعد، مِثلما أرى تمامًا».

قال سلينت: «واعد؟ أحيانًا يتَّضح كذب الوعود. دماء كورين ذي النِّصف يد على يديه. تقول إن مورمونت وثِقَ به، لكن ما قيمة هذا؟ إنني أعرفُ معنى أن يخونك رجال وثقت بهم، أوه، نعم، وأعرفُ أساليب الذِّئاب كذلك»، وأشارَ إلى وجه چون مضيفًا: «أبوكَ ماتَ خائنًا».

– «أبي اغتيلَ». لم يَعُد چون يُبالي بما يفعلون به، لكنه لن يتحمَّل مزيدًا من الأكاذيب عن أبيه.

اربدَّ وجه سلينت، وقال: «اغتيلَ؟ يا لك من جروٍ صفيق. جُثمان الملك روبرت لم يكن قد بردَ بعدُ حين تحرَّكَ اللورد إدارد ضد ابنه»، ونهضَ لتلوح قامته الأقصر من مورمونت وغلظة صدره وذراعيه وانتفاخ بطنه، وقد التمعَت الحربة الذَّهبيَّة الصَّغيرة ذات الرَّأس المطلي بالمينا الأحمر التي تُثبِّت معطفه إلى كتفه. أردفَ الرَّجل: «أبوكَ ماتَ بالسَّيف، لكنه كان من الأعيان ويد الملك، أمَّا أنت فتكفيك أنشوطة. سير أليسر، خُذ هذا المارِق إلى زنزانةٍ جليديَّة».

قال السير أليسر قابضًا على ذراع چون: «سيِّدي حصيف».

انتزعَ چون ذراعه من يد الفارس وأطبقَ على حَلقه بقوَّةٍ رفعَته عن الأرض، وكان ليَخنُقه خنقًا لو لم يسحبه رجال (القلعة الشَّرقيَّة) بعيدًا عنه.

تراجعَ ثورن مترنِّحًا يَفرُكُ العلامات التي تركَتها يد چون على رقبته، وقال: «كما رأيتم بأنفسكم أيها الإخوة، الصَّبي همجي».



تيريون

حين أبلجَ الفَجر وجدَ أنه لا يُطيق فكرة الطَّعام. قد يحلُّ عليَّ المساء وأنا مدان. في مِعدته حمض ومِرَّة، وفي أنفه حكَّة لا تتوقَّف، فحكَّه برأسِ سكِّينه مفكِّرًا: شاهد أخير أتحمَّله ثم يأتي دوري. لكن ماذا يفعل؟ يُنكِر كلَّ شيء؟ يتَّهم سانزا والسير دونتوس؟ يعترف على أمل أن يقضي بقيَّة عُمره على (الجِدار)؟ يُقامِر ويُصَلِّي أن يهزم الأفعوان الأحمرُ السير جريجور كليجاين؟

راحَ تيريون يطعن قطعةً رماديَّةً من السُّجق بفتورٍ وهو يتمنى لو أنها أخته. البرد قارس على (الجِدار)، لكن على الأقل سأكونُ منعزلًا عن سرسي. لا يظنُّ أن بإمكانه أن يُصبِح جوَّالًا ناجحًا، لكن حَرس اللَّيل في حاجةٍ إلى الأذكياء كحاجتهم إلى الأقوياء، وقد قال حضرة القائد مورمونت له هذا بنفسه عندما زارَ (القلعة السَّوداء). مع أن هناك تلك النُّذور المزعجة. سيعني هذا نهاية زواجه وأيِّ دعوى لحقِّه في (كاسترلي روك)، وإن كان لا يبدو مقدَّرًا له أن يستمتع بأيهما على كلِّ حال، كما أنه يَذكُر أن هناك ماخورًا في قريةٍ قريبة.

ليست الحياة التي حلمَ بها على الإطلاق، لكنها حياة، وما عليه لينالها إلَّا أن يثق بأبيه ويقف على قدميه القصيرتين ناقصتَيْ النُّمو ويقول: «نعم، أعترفُ بأني فعلتها». هذا هو الجزء الذي يقلب معدته، لدرجة أنه يكاد يتمنَّى لو أنه فعلَها حقًّا، ما دامَ من الجليِّ أنه سيُعاني بسبب جريمةٍ لم يرتكبها في جميع الأحوال.

قال پودريك پاين: «سيِّدي، إنهم هنا يا سيِّدي، السير أدام وذوو المعاطف الذَّهبيَّة منتظرون في الخارج».

- «پود، قُل الحقيقة... هل تعتقد أني فعلتها؟».

تردَّد الصَّبي، ولمَّا حاولَ أن يتكلَّم لم يَخرُج من فيه إلَّا كلمات مختلطة ضعيفة.

إني هالك. زفرَ تيريون، وقال: «لا داعي للإجابة. لقد كنت مُرافِقًا جيِّدًا لي، أفضل مما أستحقُّ، ومهما حدثَ أشكرك على خدمتك المخلصة».

كان السير أدام ماربراند منتظرًا مع ستَّة من حَرس المدينة عند الباب، وبدا أنه ليس هناك ما يقوله هذا الصَّباح. رجل صالح آخَر يحسبني قاتِل أقربين. حشدَ تيريون كلَّ ما يستطيع من كرامته وبدأ ينزل السَّلالم متمايلًا، وبينما يَعبُر السَّاحة أحسَّ بهم جميعًا يُراقِبونه؛ الحُرَّاس على الأسوار والسَّاسة في الاسطبلات ومساعدو الطُّهاة والغسَّالات والخادمات، وحين دخلوا به قاعة العرش أفسحَ الفُرسان واللوردات لهم الطَّريق وهمسَ كلٌّ منهم بشيءٍ ما لليدي رفيقته.

ولم يكد تيريون يتَّخذ مكانه أمام القُضاة حتى دخلَت مجموعة أخرى من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة بشاي.

اعتصرَت قبضة باردة قلبه، وقال لنفسه: خانَها فارس، ثم إنه تذكَّر فأتبعَ: لا، خُنتها أنا. كان عليَّ أن أتركها مع لوليس. بالطَّبع استجوَبوا وصيفات سانزا، كنتُ لأفعلُ المِثل. فركَ تيريون النَّدبة الملساء التي تحتلُّ مكان أنفه متسائلًا لماذا كلَّفت سرسي نفسها. شاي لا تعرف شيئًا من شأنه أن يُؤذيني.

ثم قالت الفتاة التي أحبَّها: «لقد تآمَرا معًا، العِفريت والليدي سانزا خطَّطا للأمر بَعد موت الذِّئب الصَّغير. سانزا أرادَت الانتقام لأخيها وتيريون أرادَ العرش. كان سيَقتُل أخته بَعد قتل ابنها، ثم السيِّد والده، كي يُصبِح يد الأمير تومن، لكن بَعد عام أو نحوه كان سيَقتُل تومن أيضًا قبل أن يكبَر ويأخذ التَّاج لنفسه ويضعه على رأسه».

سألَها الأمير أوبرين: «وأنَّى لكِ بمعرفة كلِّ هذا؟ لِمَ يبوح العِفريت بهذه المخطَّطات لوصيفة زوجته؟».

قالت شاي: «لقد سمعتهما يا سيِّدي، وأحيانًا كان لسان سيِّدتي يزلُّ أيضًا، لكني سمعتُ أغلب الكلام منه شخصيًّا. إنني لم أكن وصيفة الليدي سانزا فقط، بل كنتُ عاهرته أيضًا طيلة وجوده هنا في (كينجز لاندنج). صبيحة الزِّفاف جرَّني إلى حيث يحتفظون بجماجم التَّنانين وضاجعَني هناك

والوحوش تُحيط بنا، ولمّا بكيتُ قال إن المفترَض أن أكون أكثر امتنانًا، فليست كلُّ فتاةٍ تنال فُرصة أن تكون عاهرة الملك، وعندها أخبرَني بنيَّته أن يكون ملكًا، وقال إن الفتى المسكين چوفري لن يعرف عروسه كما يعرفني هو أبدًا»، وأجهشَت بالبُكاء متابعةً: «لم أرِد أن أكون عاهرةً قَطُّ يا سادتي، بل نويتُ أن أتزوَّجُ. كان مُرافِقًا، صبيًّا طيِّبًا شُجاعًا وكريم المولد أيضًا، لكن العِفريت رآني عند (الفرع الأخضر) ووضعَ الصَّبي الذي أردتُ أن أتزوَّجه في الصَّفِّ الأمامي من طليعة الجيش، وبَعد أن قُتِلَ أرسلَ همجيِّيه ليأخذوني إلى خيمته، شاجا الكبير وتيميت ذا العين المحروقة. قال أن أمتِّعه وإلَّا أعطاهم إياي، ففعلتُ كما قال، ثم أحضرَني إلى المدينة لأكون قريبةً متى أرادني. جعلَني أفعلُ أشياء مشينةً...».

بدا الفضول على الأمير أوبرين إذ سألَها: «أشياء مِثل ماذا؟».

لا ريب أن كلَّ رجلٍ في القاعة أرادَ أن يحتوي شاي بذراعيه ويُواسيها وقد سالَت الدُّموع ببُطءٍ علَى هذا الوجه الجميل وهي تُجيب: «أشياء لا تُوصَف! بفمي و... وغيره يا سيِّدي، بجسدي كلِّه. لقد استعملَني بكلِّ طريقةٍ ممكنة، و... جعلَني أقولُ له كم هو كبير دائمًا، فكنتُ أناديه بعملاقي، عملاقي اللانستر».

كان أوزموند كِتلبلاك أول الضَّاحكين، وانضمَّ إليه بوروس ومرين، ثم سرسي والسير لوراس وعدد من اللوردات والليديهات أكبر من أن يُحصيه تيريون، وتردَّد رنين عاصفة الضَّحك المباغتة على عوارض السَّقف وهَزَّ العرش الحديدي. قالت شاي معترضةً: «إنها الحقيقة، عملاقي اللانستر»، فتعاظمَ الضَّحك وتفاقمَ والتوَت أفواههم مرحًا واهتزَّت بطونهم، بل وكان ضحك بعضهم شديدًا لدرجة أن المخاط تطايرَ من أنوفهم.

لقد أنقذتكم جميعًا، أنقذتُ هذه المدينة المقيتة وحيواتكم الرَّخيصة. في قاعة العرش مئات، كلُّهم يضحكون منه باستثناء أبيه، أو أن هذا ما تبدَّى له. حتى الأفعوان الأحمر قهقهَ، وبدا بطن مايس تايرل كأنه على وشك الانفجار، لكن اللورد تايوين لانستر جلسَ بينهما كأنه قُدَّ من حجرٍ وقد شبَّك أصابعه تحت ذقنه.

تقدَّم تيريون صائحًا: «أيها السَّادة!». كان علَيه أن يصيح إن كان يأمل أن يُسمَع.

ورفعَ أبوه يده، وشيئًا فشيئًا هدأَت القاعة.

قال تيريون: «أبعِدوا هذه العاهرة الكاذبة عن نظري وسأعطيكم الاعتراف الذي تنشدونه».

أومأَ اللورد تايوين برأسه ولوَّح بيده، وبدَت شِاي أدنى إلى الرُّعب إذ اصطفَّ ذوو المعاطف الذَّهبيَّة حولها. التقَت عيناها عينَيْ تيريون إذ قادوها من القاعة، لكن أهو الخزي ما رأى فيهما أم الخوف؟ تساءلَ عمَّا وعدَتها به سرسي، وفكَّر وهو يَرقُب ظَهرها يتضاءَل: ستنالين ما طلبتِ من ذهب أو حُلِي أيًّا كان، لكن قبل أن يدور القمر ستكون قد جعلتكِ تسليةً لذوي المعاطف الذَّهبيَّة في ثُكناتهم.

رفعَ تيريون ناظريه إلى عينَيْ أبيه الخضراوين القاسيتين بما فيهما من رُقط الذَّهب الباردة البرَّاقة، وقال: «مذنب، مذنب تمامًا. أهذا ما أردت أن تسمعه؟».

لم يقل اللورد تايوين شيئًا، وأومأَ مايس تايرل برأسه، أمَّا الأمير أوبرين فلاحَ عليه شيء من خيبة الأمل وهو يسأله: «تعترف بأنك سمَّمت الملك؟».

قال تيريون: «على الإطلاق. إنني بريء من موت چوفري، لكنني مذنب في جريمةٍ أكثر وحشيَّةً»، وأخذَ خُطوةً صوب أبيه مواصلًا: «إنني وُلِدتُ، أني عشتُ. إنني مذنب لكوني قزمًا، أعترفُ بهذا، ولا يهمُّ كم مرَّةً سامحَني أبي، فقد أصريتُ على التَّمادي في عاري».

أعلنَ اللورد تايوين: «ما تقوله حُمق يا تيريون. تكلَّم في الموضوع المطروح. إنك لا تُحاكَم لكونك قزمًا».

- «مخطئ أنت في هذا يا سيِّدي. إنني أحاكَمُ لكوني قزمًا طيلة حياتي».

- «أليس لديك ما تقوله دفاعًا عن نفسك؟».

- «لا شيء إلَّا أني لم أفعلها، لكني أتمنى الآن لو أني فعلتها»، والتفتَ تيريون يُواجِه بحر الوجوه الممتقعة الذي يُغرق القاعة مردفًا: «أتمنى لو أن معي سُمًّا يكفيكم جميعًا. إنكم تجعلونني أندمُ على أنني لستُ الوحش الذي تُريدونني أن أكونه، لكنها الحقيقة. أنا بريء، لكني لن أنال عدالةً هنا، ولا تترُكون لي خيارًا إلَّا التماسها من الآلهة. إنني أطالبُ بمحاكَمةٍ بالنِّزال».

قال أبوه: «هل طارَ صوابك؟».

- «بل عادَ إليَّ. أطالبُ بمحاكَمةٍ بالنِّزال!».

لم تكن أخته الجميلة لتجد في نفسها سعادةً أكثر وهي تقول للقُضاة: «إن له هذا الحَق أيها السَّادة. لتُصدِر الآلهة حُكمها. السير جريجور كليجاين سيكون نصير چوفري. لقد عادَ إلى المدينة ليلة أول من أمس ليضع سيفه في خدمتي».

كان وجه اللورد تايوين مكفهرًّا للغاية، حتى إن تيريون تساءلَ إن كان هو أيضًا قد شربَ نبيذًا مسمومًا. صفقَ أبوه المنضدة بقبضته وقد أعجزَه غضبه عن الكلام، لكن مايس تايرل هو من التفتَ إلى تيريون وألقى عليه السُّؤال: «ألديك نصير يُدافِع عن براءتك؟».

نهضَ الأمير أوبرين الدورني مجيبًا: «نعم يا سيِّدي. لقد أقنعَني القزم تمامًا».

لحظتها عَمَّ القاعة هدير يصمُّ الآذان، ووجدَ تيريون لذَّةً خاصَّةً في الشَّكِّ المفاجئ الذي لمحَه في عينَيْ سرسي. تطلَّب الأمر أن يدقَّ مئة من ذوي المعاطف الذَّهبيَّة أرضيَّة قاعة العرش بكعوب حِرابهم حتى عادَ إليها الهدوء، وعندها كان اللورد تايوين لانستر قد سيطرَ على أعصابه، وأعلنَ بنبرةٍ من حديد: «لتُحسَم المسألة غدًا إذن. إنني أغسلُ يدَيْ منها»، وحدجَ ابنه القزم بنظرةٍ غاضبةٍ باردة ثم غادرَ القاعة بخُطواتٍ سريعة خارجًا من باب الملك وراء العرش الحديدي، وإلى جانبه أخوه كيڤان.

لاحقًا في زنزانة البُرج صَبَّ تيريون لنفسه كأسًا من النَّبيذ، وأرسلَ پودريك پاين يُحضِر جُبنةً وخُبزًا وزيتونًا، إذ يشكُّ في قُدرته على الاحتفاظ بأيِّ شيءٍ أثقل في معدته الآن. قال للظِّلال التي نقشَتها شموعه على الجدار: هل ظننت أني سأذهبُ بخنوعٍ يا أبي؟ لقد أورثتَني منك ما لا يجعلني أفعلُ شيئًا كهذا!. الآن يَشعُر بسلام غريب وقد انتزعَ سُلطة الحياة والموت من يدَيْ أبيه ووضعَها في أيدي الآلهة. بفرض أن هناك آلهةً، وبفرض أنها تُبالي مقدار ذرَّة. وإن لم يكن فحياتي في يد الدورني. مهما حدثَ فتيريون قانع بمعرفته أنه ضربَ بخُطط اللورد تايوين عرض الحائط. إذا فازَ الأمير أوبرين فسيُلهِب فوزه الأمور بين (هايجاردن) والدورنيِّين أكثر، وسيرى مايس تايرل الرَّجل الذي أقعدَ ابنه يُساعِد القزم الذي كادَ يُسَمِّم ابنته على النَّجاة من عقابه العادل،

وإذا انتصرَ الجبل فلا بُدَّ أن دوران مارتل سيُطالِب بأن يعرف لماذا نالَ أخوه الموت بدلًا من العدالة التي وعدَه بها تيريون، وقد تُتوِّج (دورن) مارسلا حقًّا.

تكاد المتاعب التي سبَّبها تستحقُّ أن يموت. هل ستأتين لتشهدي النِّهاية يا شِاي؟ هل ستقفين مع البقيَّة لتتفرَّجي بينما يضرب السير إلين رأسي القبيح؟ هل ستشتاقين إلى عِملاقِك اللانستر بَعد أن يموت؟ أفرغَ نبيذه في جوفه وطوَّح بالكوب وبدأ يُغَنِّي بشهوة.

ركبَ في شوارع المدينة
نازلًا من تَلِّه العالي
عبر الحارات والأعتاب والأحجار
ركبَ إلى تنهيدة امرأة
هي عاره ونعيمه
هي كنزه وسِرُّ الأسرار
وهل تُقارَن سلسلة من الأيدي
بقُبلة امرأة؟

لم يَزُره السير كيڤان ليلتها، فغالبًا ظَلَّ مع اللورد تايوين الذي يُحاول استرضاء آل تايرل. صَبَّ لنفسه كوب نبيذٍ آخَر مفكِّرًا: أخشى أني رأيتُ عمِّي هذا للمرَّة الأخيرة. مؤسف أنه أمرَ بقتل سايمون لسان الفضَّة قبل أن يعرف كلمات الأغنيَّة كلِّها. ليست أغنيَّةً سيِّئةً في الحقيقة، بالذَّات مقارنةً بالأغاني التي ستُكتَب عنه من الآن فصاعدًا. «فالأيدي الذَّهب دومًا باردة، لكن يدَيْ المرأة تشعَّان دفئًا». ربما يَجدُر به أن يكتب بقيَّة الأبيات بنفسه... إذا عاشَ ليَكتُبها.

المدهش أن تيريون لانستر نامَ طويلًا وعميقًا ليلتها، واستيقظَ مع أولى خيوط الفَجر مستريحًا مفتوح الشَّهيَّة، وأفطرَ على الخُبز المحمَّر والسُّجق الدَّموي وكعكات التُّفَّاح وحصَّتين من البيض المطبوخ بالبصل والفلفل الدورني الحرِّيف، ثم استأذنَ من حَرسه أن يذهب ويرى نصيره، فأعطاه السير أدام الإذن.

وجدَ تيريون الأمير أوبرين يشرب كأسًا من النَّبيذ الأحمر بينما يرتدي دِرعه، وقد صاحبَه أربعة من اللوردات الدورنيِّين الأصغر سِنًّا ومقامًا. قال الأمير: «عِمت صباحًا يا سيِّدي. هل تُريد كوب نبيذ؟».

- «أيجب أن تشرب قبل المعركة؟».

- «دائمًا أشربُ قبل المعركة».

- «لكن هذا قد يتسبَّب في مقتلك، أو أسوأ، قد يتسبَّب في مقتلي أنا».

ضحكَ الأمير أوبرين، وقال: «الآلهة تُدافِع عن الأبرياء، وأنت بريء، أليس كذلك؟».

- «مِن قتل چوفري فقط. آملُ أنك تُدرِك ما تُوشِك على مواجَهته. جريجور كليجاين...».

- «... ضخم؟ سمعتُ هذا».

- «إنه يُناهِز الأقدام الثَّمانية طولًا، ويزنُ أربعمئة رطلٍ على الأقل، كلُّها عضلات، كما أنه يُقاتِل بسيفٍ عظيم يُحمَل باليدين لكنه يحمله بيدٍ واحدة، وحدثَ مرارًا أن شطرَ رجالًا إلى نِصفين بضربةٍ واحدة، ودِرعه ثقيلة لدرجة أن لا رجل يَصغُره حجمًا يحتمل ثِقلها، ناهيك بالحركة وهو يرتديها».

لم يبدُ تأثُّر على الأمير أوبرين وهو يردُّ: «سبقَ لي أن قتلت رجالًا كبار الحجم. الحيلة أن تُسقِطهم أرضًا، فبمجرَّد أن يَسقُطوا ينتهي أمرهم». قالها الدورني بثقةٍ بالغة كادَت تبعث تيريون على الاطمئنان، إلى أن التفتَ وقال: «ديمون، حربتي!»، فألقاها السير ديمون إليه والتقطَها الأفعوان الأحمر في الهواء.

- «تنوي أن تُواجِه الجبل بحربة؟!». أعادَ هذا إلى تيريون كلَّ ما كان يُفعِمه من قلق. في المعارك تُكوِّن صفوف الحِراب المكتَّلة جبهةً لا يُستهان بها، لكن في النِّزال الفردي ضد مُبارِزٍ بارع يختلف الأمر كثيرًا.

- «إننا مغرَمون بالحِراب في (دورن)، كما أنها الوسيلة الوحيدة للتَّصدِّي لمدى ذراعه الواسع. ألقِ عليها نظرةً يا سيِّدي العِفريت، لكن لا تلمسها».

كانت الحربة من خشب الدَّردار المخروط، تَبلُغ قناتها الملساء الغليظة الثَّقيلة ثمانية أقدام طولًا، آخِر قدمين منها من الفولاذ الذي يتَّخذ شكل ورقة شجرٍ رفيعة تضيق مكوِّنةً الرَّأس الذي يُنذِر منظره بالويل، وتبدو حوافه الحادَّة

صالحةً لأن تحلق بها لحيتك، وقد التمعَت بالأسود حين دوَّر أوبرين القناة بين راحتَيْ يديه. أهذا زيت أم سُم؟ قرَّر تيريون أنه لا يُؤثِر أن يعرف الإجابة، وقال بريبة: «أتمنَّى أنك تُجيد القتال بها».

- «لن تجد ما يدعو للشَّكوى، لكن السير جريجور قد يجد. أيًّا كان سُمك دِرعه فستكون هناك ثغرات عند المفاصل، في باطن المِرفقين والرُّكبتين، تحت الذِّراعين... سأجدُ مكانًا أدغدغه فيه، أعدك»، ووضعَ الأمير الحربة جانبًا، وواصلَ: «يُقال إن اللانستر يُسدِّد ديونه دائمًا. ربما عليك أن تعود معي إلى (صنسپير) بَعدما نفرُغ من إراقة الدِّماء اليوم. سيُسَرُّ أخي كثيرًا للقاء وريث (كاسترلي روك) الشَّرعي... خصوصًا إذا جلبَ معه زوجته الجميلة سيِّدة (وينترفل)».

هل يحسب الثُّعبان أني أخبِّئُ سانزا في مكانٍ ما كسنجاب يدَّخر جوزةً للشِّتاء؟ إذا كان الأمر كذلك فتيريون لن يُفيقه من وهمه الآنَ، وهكذا قال: «الحقيقة أن رحلةً إلى (دورن) ستكون سارَّةً للغاية».

رشفَ الأمير أوبرين من نبيذه، وقال: «خطِّط لزيارةٍ طويلة إذن. هناك أمور ومصالح مشترَكة كثيرة ستُناقِشها مع دوران. الموسيقى، التِّجارة، التَّاريخ، النَّبيذ، بنس القزم... قوانين الإرث والخلافة. لا شَكَّ أن مشورة خالها ستنفع الملكة مارسلا في الأوقات العصيبة التي تنتظرنا».

إذا كانت طيور ڤارس الصَّغيرة تتنصَّت الآن فقد أعطاها أوبرين ما يُسيل اللُّعاب. قال تيريون: «أعتقدُ أني سأشربُ كوب النَّبيذ هذا الآن». الملكة مارسلا؟ لو أنه يُخفي سانزا حقًّا لكانت الفكرة أكثر إغراءً. إذا أعلنَت تأييدها مارسلا بدلًا من تومن، فهل يتبعها الشَّمال؟ ما يُلَمِّح له الأفعوان الأحمر خيانة. هل يستطيع تيريون حقًّا أن يرفع السِّلاح ضد تومن؟ ضد أبيه؟ ستبَصُق سرسي دمًا. قد يستحقُّ الأمر أن يفعلها في سبيل هذا وحده.

قال الأمير أوبرين بينما ركعَ نغل (عطيَّة الآلهة) أمامه ليربط واقي السَّاقين: «هل تَذكُر ما حكيته لك عن لقائنا الأول أيها العِفريت؟ أنا وأختي لم نذهب إلى (كاسترلي روك) من أجل رؤية ذيلك فحسب، بل كنا في مهمَّةٍ من نوع ما، مهمَّة أخذَتنا إلى (ستارفول) و(الكرمة) و(البلدة القديمة) و(جُزر التُّروس) و(كراكهول)، وأخيرًا (كاسترلي روك)... لكن وجهتنا الحقيقيَّة كانت

الزَّواج. كان دوران قد خطبَ الليدي ميلاريو ابنة (نورفوس)، فتركناه أمينًا للقلعة في (صنسپير)، أمَّا أنا وأختي فلم نكن موعودَيْن لأحدٍ بعدُ. إليا وجدَت المسألة كلَّها مثيرةً، فقد كانت في تلك السِّنِّ إياها، وصحَّتها الضَّعيفة لا تُتيح لها السَّفر كثيرًا، على حين فضَّلتُ أنا تسلية نفسي بالسُّخرية من خُطَّابها. كان هناك اللورد غَمَش الصَّغير، والمُرافِق ذو الفم النَّافورة الذي سمَّيته الحوت الماشي، وأشياء من هذا القبيل. الوحيد الأقرب إلى القبول كان الشَّاب بيلور هايتاور. فتى وسيم، ووقعَت أختي في حُبِّه نوعًا إلى أن جعلَه حَظُّه العاثر يُطلِق ريحًا مرَّةً في حضورنا. بلا إبطاء سمَّيته اللورد ضرطة، وبَعدها لم تَعُد إليا تستطيع النَّظر إليه دون أن تضحك. كنتُ صغيرًا متوحِّشًا، وكان على أحدهم أن يقطع لساني السَّام هذا».

وافقَه تيريون بصمت: نعم. لم يَعُد بيلور هايتاور شابًّا، لكنه يظلُّ وريث اللورد لايتون، كما أنه ثريٌّ ووسيم وفارس لا غُبار على سُمعته، ويُلَقَّب الآن ببيلور البشوش. لو تزوَّجته إليا بدلًا من ريجار تارجارين لكانت في (البلدة القديمة) الآن وحولها أطفالها يكبَرون. تُرى كم نفسًا أزهقَتها تلك الضَّرطة الواحدة؟

واصلَ الأمير أوبرين بينما ساعدَه أرون كورجايل على ارتداء سُترةٍ جلديَّة مبطَّنة وبدأ يعقد أربطتها على ظَهره: «انتهَت رحلتنا في (لانسپورت). هل تُدرِك أن أمَّينا كانتا متعارفتيْن قديمًا؟».

- «أذكرُ أنهما كانتا في البلاط معًا في صباهما. رافقَتا الأميرة ريلا، أليس كذلك؟».

- «بالضَّبط. كان اعتقادي أن الأمَّين طبخَتا هذه الخطَّة معًا. المُرافِق ذو الفم النَّافورة وأمثاله، والفتيات العديدات ذوات البثور اللائي عُرِضن عليَّ... كلُّ هؤلاء لم يكونوا أكثر من المقبِّلات قبل الوليمة، شيء يفتح شهيَّتنا ليس إلَّا، أمَّا الطَّبق الرَّئيسي فكان سيُقدَّم في (كاسترلي روك)».

- «سرسي وچايمي».

- «قزم ذكي. أنا وإليا كنا أكبر بالطَّبع، بينما لم يتجاوَز أخوك وأختك الثَّامنة أو التَّاسعة على الأكثر، لكن فارق خمس أو ستِّ سنين ليس كبيرًا. ثم إن سفينتنا ضمَّت قمرةً خاليةً، قمرةً أنيقةً للغاية كالتي يُحتفَظ بها لعلية القوم،

كأن الغرض منها أن يَسكُنها أحد في طريق العودة إلى (صنسپير)، وصيف صغير مثلًا، أو رفيقة لإليا. كانت السيِّدة والدتي تهدف إلى أن يخطب چايمي أختي أو أخطب سرسي، وربما هذا وذاك».

قال تيريون: «ربما، لكن أبي...».

- «... كان يَحكُم (الممالك السَّبع)، وفي بيته تَحكُمه السيِّدة زوجته، أو أن هذا ما اعتادَت أمِّي قوله دائمًا»، ورفعَ الأمير أوبرين ذراعيه ليُلبِسه اللورد داجوس مانوودي ونغل (عطيَّة الآلهة) قميصًا من الحلقات المعدنيَّة، وأكملَ: «بلغَنا خبر وفاة أمِّك في (البلدة القديمة)، والطِّفل الوحش الذي ولدَته. كان يُمكن أن نعود أدراجنا من هناك، لكن أمِّي اختارَت أن نُواصِل الإبحار. حكيتُ لك عن التَّرحيب الذي وجدناه في (كاسترلي روك)، لكن ما لم أُخبِركَ به أن أمِّي انتظرَت أطول فترةٍ لائقة، ثم فاتحَت أباك في غرضنا. بَعدها بسنوات، على فِراش الموت، قالت لي إن اللورد تايوين رفضَنا بفظاظة، وقال لها إن ابنته ستتزوَّج ريجار تارجاريَن، ولمَّا عرضَت أن يتزوَّج چايمي إليا عرضَك عليها بدلًا منه».

- «وهو العرض الذي اعتبرَته ذمًّا».

- «وكان كذلك بالفعل. حتى أنت ترى هذا بالتَّأكيد».

- «أوه، بالتَّأكيد». كلُّ شيءٍ يعود إلى الماضي، إلى أمَّهاتنا وآبائنا وأمَّهاتهم وآبائهم من قبلهم. ما نحن إلَّا دُمى تتراقَص على خيوط مَن جاءوا قبلنا، وذات يوم سيحلُّ أطفالنا محلَّنا على الخيوط ويرقُصون حيث رقصنا. «طيِّب، لقد تزوَّج الأمير ريجار الأميرة إليا ابنة (دورن) وليس سرسي لانستر ابنة (كاسترلي روك). يبدو أن أمَّك فازَت في هذه المطاعَنة».

رَدَّ أوبرين: «هذا ما حسبَته، لكن أباك ليس بالرَّجل الذي ينسى إساءةً كهذه، وقد علَّم اللورد والليدي تاربك هذا الدَّرس، كما علَّمه لآل راين أولاد (كاستامير)، وفي (كينجز لاندنج) علَّمه لأختي. خوذتي يا داجوس». ناولَه مانوودي الخوذة الذَّهبيَّة الطَّويلة ذات القُرص النُّحاسي المركَّب على جبهتها متَّخذًا شكل شمس (دورن)، ورأى تيريون أن المقدِّمة مخلوعة، بينما قال الأمير أوبرين: «إليا وطفلاها انتظروا العدالة زمنًا طويلًا»، وارتدى قُفَّازين من الجِلد الأحمر اللَّدن والتقطَ حربته مضيفًا: «واليوم ينالونها».

اختيرَت السَّاحة الخارجيَّة للنِّزال، وفي الطَّريق إلى هناك اضطرَّ تيريون لأن يجري ويتواثَب ليُجاري خطوات الأمير أوبرين الواسعة. الثُّعبان توّاق إلى القتال. لنأمل أنه سامٌّ أيضًا. كان النَّهار غائمًا قويَّ الرِّيح، والشَّمس تُكافِح كي تخترق أشعَّتها السُّحب، لكن تيريون لا يدري مَن سيربح معركة السَّماء أكثر مما يدري مَن سيربح المعركة التي تعتمد عليها حياته.

بدا كأن ألفًا من النَّاس قد أتوا ليروا إن كان سيعيش أم يموت، فاصطفُّوا على ممرَّات أسوار القلعة وتزاحَموا وتدافَعوا على سلالم الحصون والأبراج، ووقفوا يُشاهِدون من أبواب الاسطبلات والنَّوافذ والجسور والشُّرفات والسُّطوح، وعجَّت السَّاحة بأعدادٍ غفيرة منهم لدرجة أن فُرسان الحرس الملكي دفعوهم إلى الوراء ليكون هناك متَّسع كافٍ للقتال. بعضهم سحبَ كراسيَ ليتفرَّج براحةٍ أكثر، وقبعَ البعض الآخَر فوق براميل. فكَّر تيريون بكآبة: كان علينا أن نفعل هذا في (جُب التَّنانين)، نأخذ بنسًا على كلِّ رأس وندفع تكلفة زفاف چوفري وجنازته في آنٍ واحد. على أكتاف بعض المشاهدين استقرَّ أطفال صغار طلبًا لرؤيةٍ أفضل، ولمَّا ظهرَ تيريون راحوا يصيحون ويُشيرون.

سرسي نفسها بدَت أقرب إلى طفلةٍ إلى جوار السير جريجور، وفي دِرعه بدا الجبل أكبر مما ينبغي لأيِّ رجلٍ أن يكون. تحت سُترةٍ صفراء طويلة عليها كلاب عائلة كليجاين الثَّلاثة ارتدى صفائح ثقيلةً فوق الحلقات المعدنيَّة، يبدو فولاذها الرَّمادي الباهت منبعجًا ومشوَّهًا من فرط ما خاضَ من معارك، ولا بُدَّ أنه يرتدي تحتها الجِلد المقوَّى بالزَّيت المغلي وطبقةً من البطانة، وإلى واقي عُنقه تُبِّتَت خوذة عظيمة مسطَّحة القمَّة، بها فتحات تنفُّس حول الفم والأنف وفتحة رؤية ضيِّقة، والرِّيشة على قمَّتها لها شكل قبضةٍ حجريَّة.

إذا كان السير جريجور يتوجَّع من إصاباته فتيريون لم يرَ أمارةً على هذا من مكانه عبر السَّاحة. يبدو كأنه منحوت من الصَّخر وهو واقف هكذا. كان سيفه العظيم مغروسًا في الأرض أمامه، ستَّة أقدام من المعدن المشوَّه، وقد أطبقَ جريجور على طرفَيْ الواقي العرضي بيديه الضَّخمتين المقفَّزتين بأقراص الفولاذ.

حتى خليلة الأمير أوبرين غاضَت الدِّماء من وجهها لدى مرآه، وقالت إلاريا ساند بصوتٍ مكتوم: «ستُقاتِل هذا؟!».

أجابَها عشيقها بلا مبالاة: «بل سأقتلُ هذا».

ساورَت تيريون الشُّكوك الآن وهُم واقفون على شفير المعركة، وعندما رمقَ الأمير أوبرين وجدَ نفسه يتمنَّى لو أن برون هو مَن يُدافِع عنه... أو مَن أفضل منه، چايمي. يرتدي الأفعوان الأحمر دروعًا خفيفةً على ساقيه وساعديه وكتفيه وعُنقه، بالإضافة إلى واقي صَفَن[1] من الفولاذ، وفيما عدا هذا لم يرتدِ إلَّا الجلد المرن والحرير الفضفاض، وفوق قميصه المعدني كانت سُترة الأقراص النُّحاسيَّة البرَّاقة، لكن حلقات المعدن وأقراص النُّحاس لن تمدُّه بُربع الحماية التي يَكفُلها الفولاذ الثَّقيل لجريجور. ثم إن الأمير خلعَ مقدِّمة خوذته، وهو ما يجعلها كالخوذة القصيرة في أفضل الأحوال، دون واقٍ للأنف حتى. أمَّا تُرسه الفولاذي المستدير فمصقول حتى اللَّمعان، وعليه رمز الشَّمس والحربة بالذَّهب الأحمر والأصفر والأبيض والنُّحاس.

أرقصُ حوله حتى يتعب من تسديد الضَّربات إليَّ ولا يعود قادرًا على رفع سيفه، ثم أُسقِطه بوسيلةٍ ما. يبدو أن فكرة برون راودَت الأفعوان الأحمر أيضًا، لكن المرتزق ذكرَ مَخاطر هذا الأسلوب بكلِّ وضوح. آملُ بحَقِّ الجحائم السَّبع أنكَ تعرف ما تفعله أيها الثُّعبان.

إلى جوار (بُرج اليد) نُصِبَت منصَّة في منتصَف المسافة بين النَّصيريْن، وعليها جلسَ اللورد تايوين مع أخيه السير كيڤان، أمَّا الملك تومن فلم يكن حاضرًا، ولهذا على الأقل شعرَ تيريون بالامتنان.

ألقى اللورد تايوين نظرةً عابرةً على ابنه القزم ثم رفعَ يده، فنفخَ دستة من البوَّاقون في أبواقهم النُّحاسيَّة ليَسكُت الجمهور، وتقدَّم السِّپتون الأعلى معتمرًا تاجه البلُّوري الطَّويل، وصلَّى لـ(الأب في الأعالي) أن يُساعِدهم في هذا الحُكم، ولـ(المُحارِب) أن يبثَّ قوَّته في ذراع صاحب القضيَّة العادلة. كادَ تيريون يصيح: أي أنا، لكنهم كانوا ليضحكوا لا أكثر، وقد سئمَ الضَّحك حتى الموت.

---

(1) واقي الصَّفَن نوع من الدُّروع يُثبَّت حول الحوض وبين السَّاقين لحماية الخصيتين. (المترجم).

جلبَ السير أوزموند كِتلبلاك لكليجاين تُرسه البلُّوط الضَّخم المؤطَّر بالحديد الأسود، وبينما دَسَّ الجبل ذراعه اليُسرى عبر الشَّرائط الجِلد رأى تيريون أن رمزًا آخَر قد طُلِيَ فوق كلاب عائلة كليجاين. هذا الصَّباح يحمل السير جريجور النَّجمة السُّباعيَّة التي أتى بها الأنداليُّون إلى (وستروس) عندما عبروا (البحرِ الضيِّق) ليقهروا البَشر الأوائل وآلهتهم. يا لورعِك يا سرسي، لكني أشكُّ في أن هذا سيستهوي الآلهة.

بينهما تفصل خمسون ياردةً، وقد تقدَّم الأمير أوبرين سريعًا والسير جريجور بتؤدةٍ أكثر تهديدًا، وقال تيريون لنفسه: الأرض لا تهتزُّ حين يمشي، إنها خفقات قلبي فحسب. حين تقلَّصت المسافة بين الرَّجلين إلى عشر ياردات توقَّف الأفعوان الأحمر ورفعَ صوته قائلًا: «هل قالوا لك مَن أنا؟».

دمدمَ السير جرجيور عبر فتحات التَّنفُّس: «رجل ميِّت»، واندفعَ نحوه لا يلوي على شيء.

انزاحَ الدورني جانبًا، وقال والجبل يلتفت ليُبقي نظره عليه: «أنا الأمير الدورني أوبرين مارتل. الأميرة إليا كانت أختي».

- «مَن؟».

سدَّد أوبرين طعنةً بحربته الطَّويلة، فصدَّ السير جريجور رأسها بتُرسه وأزاحَها، وانقضَّ على الأمير وسيفه العظيم يُومِض، لكن الدورني دار مبتعدًا دون أن يمسَّه. اندفعَت الحربة إلى الأمام وهوى عليها كليجاين بسيفه، فسحبَها مارتل إلى الوراء ثم عادَ يدفعها، وصرخَ المعدن على المعدن إذ انزلقَ رأس الحربة على صدر الجبل ليشقَّ سُترته ويَترُك خدشًا لامعًا طويلًا على الفولاذ تحتها، وبصوتٍ كالفحيح قال الأفعوان الأحمر: «إليا مارتل أميرة (دورن). أنت اغتصبتها، أنت قتلتها، أنت فتكت بطفليها».

نخرَ السير جريجور كالخنازير، وانقضَّ بحركةٍ تعوزها الرَّشاقة هاويًا بالسَّيف على رأس الدورني، لكن الأمير أوبرين تفاداه بسهولةٍ، وردَّد: «اغتصبتها، وقتلتها، وفتكت بطفليها».

- «هل جئت تتكلَّم أم تُقاتِل؟».

- «جئتُ أسمعُ اعترافك»، ووجَّه أوبرين طعنةً سريعةً إلى بطنِ الجبل وإنما بلا تأثير، ونزلَ عليه جريجور بسيفه وأخطأَه. مرقَت الحربة الطَّويلة في

الهواء فوق السَّيف، وكلسان الأفعى ومضَت وهي تمتدُّ مموِّهةً بطعنةٍ إلى أسفل، وتتراجَع موجِّهةً طعنةً حقيقيَّة إلى أعلى، تنزل هنا وهناك مستهدفةً الخاصرة والتُّرس والعينين. الجبل هدف كبير على الأقل. صعب أن يُخطئ الأمير أوبرين تسديد ضرباته، مع أن أيًّا منها لم ينفذ من دِرع السير جريجور الثَّقيلة، وظلَّ الدورني يدور ويطعن ثم يتقهقَر مجبرًا غريمه على الدَّوران بلا توقُّف. كليجاين يجد عُسرًا في رؤيته. فتحة الرُّؤية في خوذة الجبل ضيِّقة وتحدُّ من مجال بصره كثيرًا، وهو ما استغلَّه أوبرين كما استغلَّ طول حربته وسُرعة حركته.

هكذا استمرَّ النِّزال فترةً بدَت طويلةً. إقبالًا وإدبارًا تحرَّكا عبر السَّاحة، يدور الخصمان ويدوران كالدَّوَّامات، يشقُّ السير جريجور الهواء بسيفه وتُصيب حربة الأمير أوبرين ذراعه وساقه ومرَّتين صُدغه. تلقَّى تُرس جريجور الخشبي الكبير نصيبه من الضَّربات أيضًا، إلى أن لاحَ رأس كلب من تحت النَّجمة، وفي مواضع أخرى تقشَّر الطِّلاء تمامًا كاشفًا عن الخشب الخام. بين الفينة والفينة يُطلِق كليجاين أنينًا خشنًا، وفي مرَّةٍ سمعَه تيريون يُتَمتِم لاعنًا، لكن فيما عدا هذا قاتلَ بصمتٍ عنيد.

أمَّا أوبرين مارتل فلا. مموِّهًا صاحَ: «اغتصبتها»، ومتفاديًا ضربةً دوَّارةً من سيف جريجور العظيم قال: «قتلتها»، وبعُنفٍ ضربَ حَلق العملاق برأس حربته هاتفًا: «فتكت بطفليها»، لكن الرَّأس انزلقَ على واقي العُنق الفولاذي السَّميك بصرير حاد.

قالت إلاريا ساند: «أوبرين يُلاعِبه».

لُعبة حمقاء. «الجبل أضحم من أن يكون لُعبة أحد».

في كلِّ أرجاء السَّاحة كان حشد المتفرِّجين ينطبق ببُطءٍ على المقاتلين، يتقدَّم زاحفًا بوصةً بوصةً سعيًا إلى رؤيةٍ أفضل، بينما يُحاوِل فُرسان الحَرس الملكي صدَّهم بدفعهم بقوَّةٍ بتروسهم البيضاء الكبيرة، لكن المتفرِّجين مئات ومَن يرتدون الدُّروع البيضاء ستَّة فقط.

– «اغتصبتها». برأس حربته صَدَّ الأمير أوبرين ضربةً عنيفةً. «قتلتها». وسدَّد الرَّأس إلى عينَيْ كليجاين بسُرعةٍ أجفلَت الرَّجل الكبير. «فتكت بطفليها». وومضَت الحربة وهي تنحرف إلى أسفل محتكَّةً بواقي صدر

الجبل. «اغتصبتها، قتلتها، فتكت بطفليها». الحربة أطول بقدمين كاملين من سيف السير جريجور، أي ما يكفي وأكثر للحفاظ على مسافةٍ مربكة بينهما، وكلما انقضَّ عليه أوبرين نزلَ على قناتها بنصله محاولًا أن يَبتُر رأسها بلا طائلٍ، كأنه يُحاول أن يَبتُر جناحَي ذُبابة. «اغتصبتها، قتلتها، فتكت بطفليها». حاولَ جريجور أن ينقضَّ عليه بوزنه كلِّه كالثِّيران، لكن أوبرين وثبَ جانبًا ودارَ وراء ظَهره. «اغتصبتها، قتلتها، فتكت بطفليها».

قال السير جريجور: «اصمُت». بدا أن حركَته أبطأ بعض الشَّيء الآن، ولم يَعُد سيفه العظيم يرتفع عاليًا كما في بداية النِّزال. «أطبِق فمك اللَّعين».

تحرَّك الأمير إلى اليمين قائلًا: «اغتصبتها».

زعقَ السير جريجور: «كفى!»، وتقدَّم خُطوتين طويلتين وهوى بسيفه على رأس أوبرين، إلَّا أن الدورني تقهقرَ مرَّةً أخرى، وقال: «قتلتها»، فصرخَ جريجور: «اخرس!»، وانقضَّ مباشرةً على رأس الحربة الذي ارتطمَ بيمين صدره وانزلقَ جانبًا بصرخةٍ معدنيَّة شنيعة، وفجأةً أصبحَ الجبل على مسافةٍ تسمح بتوجيه ضربته، وومضَ سيفه الهائل كبرقٍ فولاذي. كان المتفرِّجون يَصرُخون أيضًا في هذه اللَّحظة، وتملَّص أوبرين من الضَّربة الأولى وتخلَّى عن حربته التي أصبحَت بلا فائدة الآن وقد اخترقَ السير جريجور مجالها الآمن، أمَّا الضَّربة الثَّانية فتلقَّاها الدورني على تُرسه، والتقى المعدن المعدن برنينٍ يصمُّ الآذان دافعًا الأفعوان الأحمر يترنَّح إلى الوراء، وتبعَه السير جريجور هادرًا. لا يتكلَّم كالبَشر بل يخور كالحيوانات. استحالَ انسحاب أوبرين إلى فرارٍ صريح من السَّيف العظيم الذي يَبعُد عنه الآن بوصاتٍ معدودة، يهوي محاولًا إصابة صدره وذراعيه ورأسه.

كان الاسطبلِ وراءه، وصرخَ المتفرِّجون وتدافَعوا محاولين الابتعاد عن الطَّريق، وتعثَّر أحدهم وارتطمَ بظَهر أوبرين في اللَّحظة التي نزلَ فيها السير جريجور بسيفه بكلِّ قوَّته العاتية، لكن الأفعوان الأحمر ألقى نفسه جانبًا وتدحرجَ مبتعدًا، بينما لم يتحلَّ عامل الاسطبل التَّعس وراءه بالسُّرعة نفسها، وإذ ارتفعَت ذراعه تحمي وجهه أصابَها نصل السير جريجور بين المِرفق والكتف وبترَها. عوى الجبل مجيبًا صرخة العامل: «اخرس!»، وهذه المرَّة سدَّد السَّيف بضربةٍ جانبيَّة أطاحَت بنِصف رأس الصَّبي وطوَّحت

به إلى منتصَف السَّاحة ناثرةً دماءه ومخَّه في كلِّ مكان. لحظتها فقدَ مئات المشاهدين اهتمامهم كلَّه بذنب أو براءة تيريون لانستر، كما أوحَت الطَّريقة التي راحوا يدفعون بعضهم بعضًا بها ليهربوا من السَّاحة.

لكن أفعوان (دورن) الأحمر كان قد نهضَ واستعادَ حربته الطَّويلة، وصاحَ في السير جريجور: «إليا. اغتصبتها، وقتلتها، وفتكت بطفليها. قُل اسمها».

دارَ الجبل على عقبيه والدِّماء تُلَطِّخ خوذته وتُرسه وسيفه وسُترته، تُغرقه من رأسه إلى قدميه، ودمدمَ: «إنك تتكلَّم كثيرًا وتجعل رأسي يُؤلِمني».

- «سأسمعك تقول اسمها، إليا الدورنيَّة».

نخرَ الجبل باحتقارٍ وانقضَّ... وفي هذه اللَّحظة نفذَت أشعَّة الشَّمس من السَّحاب الواطئ الذي أخفى السَّماء منذ الفَجر.

قال تيريون لنفسه: شمس (دورن)، غير أن السير جريجور هو من تحرَّك أولًا ليُولي الشَّمس ظَهره. رجل همجي محدود الذَّكاء، لكن لا تَنقُصه غريزة المُحاربين.

انحنى الأفعوان الأحمر مضيِّقًا عينيه وعادَ يطعن بحربته، فهوى السير جريجور عليها بالسَّيف، لكن الطَّعنة كانت تمويهًا فقط، وبلا توازُنٍ تقدَّم الجبل خُطوةً خرقاء، وأمالَ الأمير أوبرين تُرسه المعدني المنبعج لينعكس خيط من ضوء الشَّمس المُعمي على الذَّهب والنُّحاس المصقولَيْن ويغوص في فتحة الرُّؤية الضيِّقة في خوذة غريمه. رفعَ كليجاين تُرسه ليقي عينيه من الوهج، واندفعَت حربة الأمير أوبرين وامضةً كلسان البرق ووجدَت الثَّغرة المرجوَّة في الدِّرع الثَّقيلة، المفصل تحت الذِّراع، واخترقَ رأس الحربة الحلقات المعدنيَّة والجلد. أطلقَ جريجور أنينًا مخنوقًا إذ دوَّر الدورني حربته وانتزعَها صائحًا: «إليا. قُلها! إليا الدورنيَّة!»، ودارَ مسدِّدًا الحربة استعدادًا لطعنةٍ أخرى مكرِّرًا: «قُلها!».

كان تيريون يُرَدِّد صلاته الخاصَّة لحظتها: اسقُط ومُت، اسقُط ومُت عليك اللَّعنة! الآن الدَّم السَّائل من إبط الجبل دمه هو، ولا بُدَّ أنه يسيل بغزارةٍ أكبر داخل واقي الصَّدر، ولمَّا حاولَ الرَّجل أن يأخذ خُطوةً انثنَت رُكبته وحسبَ تيريون أنه سيَسقُط.

عندئذٍ كان الأمير أوبرين قد دارَ وراءه ويصيح: «إليا الدورنيَّة!»، وبدأ

السير جريجور يلتفت، لكن بطيئًا جدًّا ومتأخِّرًا جدًّا. هذه المرَّة انغرسَ رأس الحربة في باطن رُكبته مخترقًا طبقات الحلقات المعدنيَّة والجلد المقوَّى بين الفولاذ على فخذه ورَبلة ساقه، وتمايلَ الجبل وترنَّح ثم تهاوى ضاربًا الأرض بوجهه، وطارَ سيفه الهائل من يده.

ببُطءٍ وثِقلٍ انقلبَ الجبل على ظَهره، وألقى الدورني تُرسه الخرب وأطبقَ على قَناة الحربة بكلتا يديه وتراجعَ متَّئدًا. وراءه أصدرَ الجبل أنينًا ودفعَ نفسه مستندًا على مِرفقه، لكن أوبرين دارَ بسُرعة القِطط وانطلقَ نحو خصمه السَّاقط، وإذ هوى برأس الحربة واضعًا ثِقل جسده كلَّه وراءه صرخَ: «إلللللييييياااا!»، وكادَ صوت تحطُّم القناة المصنوعة من خشب الدَّردار يُضاهي ولولة الغضب التي أطلقَتها سرسي، وللحظةٍ أصبحَ للأمير أوبرين جناحان. الثُّعبان طارَ فوق الجبل. أربعة أقدام من قناة الحربة المكسورة كانت تَبرُز من بطن كليجاين فيما تدحرجَ الأمير أوبرين ونهضَ ونفضَ التُّراب عن ثيابه، ثم ألقى باقي الحربة جانبًا والتقطَ سيف عدوِّه العظيم قائلًا: «لا تَمُت قبل أن تقول اسمها أيها الفارس وإلَّا طاردتك في دركات الجحائم السَّبعة كلِّها».

حاولَ السير جريجور أن ينهض، غير أن الحربة المكسورة كانت قد نفذَت من ظَهره وثبَّتته إلى الأرض، فطوَّق القناة بكلتا يديه متأوِّهًا لكنه لم يستطِع أن يسحبها، ومن تحته بدأت بِركة من دمائه تتَّسع.

قال تيريون لإلاريا ساند الواقفة إلى جواره: «أشعرُ ببراءتي تزداد كلَّ لحظة».

دنا الأمير أوبرين من الجبل قائلًا: «قُل الاسم!»، ووضعَ قدمه على صدره ورفعَ السَّيف العظيم بيديه معًا، وسواء أكان ينوي أن يضرب رأس السير جريجور أم يُغمِد النَّصل في فتحة الرُّؤية، فلن يعرف تيريون أبدًا.

اندفعَت يد كليجاين إلى أعلى وأمسكَت الدورني من باطن رُكبته، فهوى الأفعوان الأحمر بالسَّيف بضراوةٍ ولكن بلا توازُن، ولم يُحدِث النَّصل إلَّا انبعاجًا إضافيًّا في واقي ساعد الجبل. عندها نُسِيَ أمر السَّيف وقد أحكمَ جريجور قبضته وشدَّ الدورني مسقطًا إياه فوقه، وتصارعَ الاثنان في التُّراب والدِّماء وقناة الحربة المكسورة تتمايَل إلى الأمام والخلف، ورأى تيريون

بفزعٍ أن الجبل طوّق الأمير بذراعه الضّخمة ضاغطًا إياه إلى صدره كأنه حبيبته.

ولمّا صارَ الاثنان على مسافةٍ كفيلة بأن يتبادَلا القُبل سمعوا جميعًا صوت السير جريجور العميق يُدَوِّي من داخل خوذته: «إليا الدورنيّة. نعم، قتلتُ صغيرها الصّارخ»، ودفعَ يده الحُرّة في وجه أوبرين المكشوف غارسًا إصبعين فولاذيَّينِ في عينيه مواصلًا: «ثم اغتصبتها»، وهوى بقبضته على فم الدورني محطِّمًا أسنانه، وقال: «ثم حطّمتُ رأسها الحقير... هكذا»، ثم سحبَ قبضته المروِّعة والدّم يسيل على قُفَّازه الفولاذي ويتصاعَد منه الدُّخان في هواء الصُّبح البارد. سمعوا صوت تحطُّم مغثٍ، وصرخَت إلاريا ساند رُعبًا، وصعدَ إفطار تيريون كمياه النّافورة من معدته إلى حَلقه، ووجدَ نفسه على رُكبتيه يتقيّأ اللّحم المقدّد والسُّجق وكعك التُّفّاح وتلك الحصّة المزدوجة من البيض المقلي بالبصل والفلفل الدورني الحرِّيف.

لم يسمع أباه ينطق حُكم إدانته، وربما لم يكن الكلام ضروريًّا. وضعتُ حياتي بين يدَيْ الأفعوان الأحمر وأهدرَها.

وحين تذكَّر متأخِّرًا جدًّا أن الثّعابين لا أيادي لها انفجرَ تيريون في ضحكٍ هائج.

كان قد نزلَ حتى منتصَف الدّرجات الملتفَّة قبل أن يُدرِك أن ذوي المعاطف الذّهبيّة لا يقودونه إلى زنزانته في البُرج، فقال بلهجةٍ تقريريّة: «ستُودعونني الزّنازين السّوداء»، ولمّا لم يُجِبه أحدهم قال في أعماقه: ولِمَ يُبَدِّدون أنفاسهم على الأموات؟





دنيرس

تناولَت إفطارها تحت شجرة التِّين الكاكي النَّامية في حديقة الشُّرفة بينما تُشاهِد تنانينها يُطارِد بعضهم بعضًا حول قمَّة (الهرم الأكبر) التي كانت الهارپي البرونز الهائلة تجثم عليها من قبل.

تضمُّ (ميرين) نحو عشرين من الأهرامات الأصغر التي لا يَبلُغ أيها نِصف ارتفاع هذا الهرم، ومن هنا تستطيع داني أن ترى المدينة بأكملها؛ الأزقَّة الضيِّقة الملتوية والشَّوارع الواسعة المعبَّدة بالقرميد، والمعابد والصَّوامع، والمنازل والقصور، والمواخير والحمَّامات، والحدائق والنَّوافير، والدَّوائر الحمراء الكبيرة التي تُشَكِّل حلبات القتال، ووراء الأسوار البحر بلونه القصديري ونهر (السكاهازاذان) المتعرِّج والتِّلال البنِّيَّة الجدباء والبساتين المتفحِّمة والحقول المحروقة. هنا في شُرفتها الشَّاهقة تَشعُر داني أحيانًا كأنها إلهة تعيش على ذُروة أعلى جبال العالم.

أيَشعُر كلُّ الآلهة بهذه الوحدة؟ بعضها يَشعُر بها بالتَّأكيد. كانت ميسانداي قد حكَت لها عن إله الرِّفاء الذي يَعبُده شعب المسالمين في (ناث)، وقالت مترجِمتها الصَّغيرة إنه الإله الحقيقي الوحيد، الإله الذي دومًا كان ودومًا سيكون، خالق القمر والنُّجوم والأرض وكلِّ ما يُعَمِّرها من مخلوقات. مسكين إله الرِّفاء. كم تُشفِق عليه داني. فظيع حقًّا أن تكون وحدك أبد الدَّهر، لا أحد في حضرتك إلَّا حشود من النِّساء الفراشات اللاتي يُمكنك أن تُحييهن أو تُبيدهن بكلمة. في (وستروس) سبعة آلهة على الأقل، بيد أن ڤسيرس قال لها إن بعض السِّپتونات يُؤمِن بأن أولئك السَّبعة ما هُم إلَّا وجوه لإلهٍ واحد، سبعة أوجُه لبلَّورةٍ واحدة، وهو ما تجده داني مربكًا. سمعَت أيضًا أن الرُّهبان

الحُمر يُؤمنون بإلهين فقط، لكن الاثنين في حربٍ أزليّة أبديّة، وهو ما تجده أقلَّ جاذبيّةً، فليست تُريد أن تخوضَ حربًا بلا آخِر.

قدَّمت لها ميساندايِ بيض البَطّ وسُجق الكلاب ونِصف كوب من النَّبيذ المحلَّى المخلوط بعصير ليمونةٍ خضراء. اجتذبَ العسل بضع ذُبابات، لكن شمعةً معطَّرةً طردَتها، كما أنها وجدَت أن الذُّباب ليس مزعجًا كثيرًا هنا كما في بقيَّة أنحاء مدينتها، وهو شيء آخَر يُعجِبها في الهرم. قالت داني: «عليَّ أن أفعل شيئًا بخصوص الذُّباب. أهناك ذُباب كثير في (ناث) يا ميساندايِ؟».

أجابَتها المترجِمة باللُّغة العاميَّة: «في (ناث) هناك فَراش. هل تُريدين المزيد من النَّبيذ؟».

- «لا. يجب أن أعقد البلاط قريبًا». أصبحَت داني شغوفًا بميساندايِ، خصوصًا أن المترجِمة الصَّغيرة ذات العينين الذَّهبيَّتين الواسعتين تتحلَّى بحكمةٍ تتجاوَز سِنِيَّ عُمرها. ثم إنها شُجاعة. كان محتَّمًا أن تكون شُجاعةً لتتحمَّل الحياة التي عاشَتها. تأمل أن ترى جزيرة (ناث) الأسطوريَّة ذات مرَّة، إذ قالت ميساندايِ إن شعب المسالمين يدقُّ طبول الموسيقى بدلًا من طبول الحرب، وهناك لا يَقتُلون أيَّ نفسٍ بما في ذلك الحيوانات، فيأكلون الفواكه فقط، أمَّا اللَّحم فلا يذوقونه. تحمي أرواح الفراشات المقدَّسة عند إله الرِّفاء جزيرتهم ممن يرومون إيذاءهم، وقد أبحرَ غُزاة كُثر إلى (ناث) ليُلَطِّخوا سيوفهم بالدِّماء، فقط ليُبتلوا بالأمراض ويموتوا. لكن الفراشات لم تحمِهم حين أتَت سُفن النَّخَّاسين مغيرةً عليهم. وعدَتها داني قائلةً: «ذات يوم سآخذكِ إلى الوطن يا ميساندايِ، أقسمُ لك». أكان چورا ليبيعني حتى لو وعدَته بالمِثل؟

- «هذه الواحدة قانعة بالبقاء معكِ يا جلالة الملكة. (ناث) ستظلُّ باقيةً دومًا. إنكِ تعطفين على هذه الـ... عليَّ».

قالت داني: «وأنتِ عليَّ»، والتقطَت يد الفتاة مردفةً: «تعالي وساعِديني على ارتداء ثيابي».

حمَّمتها چيكوي وميساندايِ معًا بينما جهَّزت إيري ثيابها. اليوم ارتدَت ثوبًا من السَّميت الأرجواني ووشاحًا فضِّيًّا، واعتمرَت تاج التِّنين ذي الرُّؤوس الثَّلاثة الذي أهدَتها أخوَّة التورمالين إياه في (كارث)، وانتعلَت خُفًّا

فضِّيًّا أيضًا، وإن كان كعباه عاليَيْن للغاية، ودائمًا يجعلانها تخشى أن تقع على وجهها. عندما ارتدَت ثيابها جلبَت لها ميسانداي مرآةً من الفضَّة المصقولة لترى كيف تبدو، وحدَّقت داني إلى نفسها بصمتٍ متسائلةً: أهذا وجه غازية؟ حسب ما تراه فإنها لا تزال تبدو كفتاةٍ صغيرة.

لا أحد يُلَقِّبها بدنيرس الفاتحة بعدُ، ولكن ربما يفعلون. لقد ربحَ إجون الفاتح (وستروس) بثلاثة تنانين، أمَّا هي فاستولَت على (ميرين) بجرذان البالوعات وقضيب خشبي خلال أقلِّ من يوم. مسكين جروليو. تعرف أن الرُّبَّان ما زالَ حزينًا على سفينته، لكن إذا كان يُمكن لقادسٍ حربي أن يدكَّ سفينةً أخرى، فلِمَ لا يدكُّ بوَّابةً؟ كان هذا ما يجول ببالها حينما أمرَت الرَّبابنة بأن يرسوا بسُفنهم، فصارَت الصَّواري مدكَّات، وفسَّخت جحافل من المحرَّرين الأبدان صانعةً منها جَنَويَّات وسلاحف ومجانيق وسلالم. أطلقَ المرتزقة على كلِّ مدكٍّ اسمًا بذيئًا، وكان الصَّاري الرَّئيس من (ميراكسس) -المعروفة سابقًا باسم (مزحة چوسو)- هو الذي دَكَّ البوَّابة الشَّرقيَّة حاملًا اسم (قضيب چوسو). استمرَّ القتال مريرًا داميًا طيلة النَّهار وبَعد أن توغَّل اللَّيل، قبل أن يبدأ الخشب في التَّشظِّي ويقتحمه وجه المهرِّج الضَّاحك الذي يتَّخذ تمثال مقدِّمة (ميراكسس) الحديدي شكله.

أرادَت داني أن تقود الهجوم بنفسها، لكن جميع قادتها بلا استثناء قالوا إن هذا جنون، وقادتها لا يتَّفقون على شيءٍ واحدٍ أبدًا. بدلًا من هذا ظلَّت جالسةً في المؤخِّرة على صهوة فَرسها الفضِّيَّة وقد ارتدَت قميصًا طويلًا من الحلقات المعدنيَّة، وإن سمعَت سقوط المدينة من بُعد نِصف فرسخ، حين استحالَ صياح المدافِعين المتحدِّي إلى صريخ خائف. لحظتها جأرَ ثلاثة تنانينها في آنٍ واحد وملأوا اللَّيل لهبًا، وعرفَت في الحال أن العبيد ينتفضون. جرذاني قضمَت سلاسلهم.

عندما محقَ المطهَّرون البقيَّة الباقية من المقاوَمة وجرى النَّهب مجراه دخلَت داني المدينة. كان الموتى مكوَّمين على ارتفاع عالٍ للغاية أمام البوَّابة المحطَّمة، لدرجة أن محرَّريها استغرقوا نحو ساعةٍ لإخلاء طريق لفَرسها، وفي الدَّاخل استقرَّ (قضيب چوسو) مهجورًا مع السُّلحفاة الخشبيَّة العظيمة المغطَّاة بجلود الخيل التي حمَته. ركبَت مارَّةً بأبنيةٍ محروقة ونوافذ محطَّمة

وقطعَت شوارع قرميد انسدَّت مجاريها بالجُثث المنتفخة المتيبِّسة، ورفعَ العبيد المهلِّلون أياديَ ملطَّخةً بالدِّماء إليها وهي تمرُّ ونادوها بـ«أمّاه».

تلملمَ الميرينيزيُّون واجمين في السَّاحة المقابلة لـ(الهرم الأكبر)، وفي ضوء الصَّباح خلا الأسياد العظام من كلِّ عظمة. كم بدوا وضيعين وقد جُرِّدوا من جواهرهم وتوكاراتهم الموشَّاة، مجرَّد قطيع من الشُّيوخ ذوي الخُصى الذَّابلة والبشرة المبقَّعة والشُّبَّان ذوي الشَّعر السَّخيف، نساؤهم إمَّا لدنات سمينات وإمَّا جافَّات كالعِصيِّ القديمة، وطلاء وجوههن تُلَطِّخه العبرات.

قالت لهم داني: «أريدُ قادتكم. سلِّموهم وسأعفو عن بقيَّتكم».

سألَتها إحدى العجائز منتحبةً: «كم؟ كم واحدًا من أجل أن تعفي عنا؟».

أجابَت: «مئة وثلاثة وستُّون».

علَّقتهم بالمسامير على أعمدةٍ خشبيَّة حول السَّاحة، كلٌّ منهم يُشير إلى الذي يليه. كان الغضب يعتمل بشراسةٍ وحرارةٍ في نفسها حين أعطَت الأمر، وجعلَها تحسُّ كأنها تنِّين منتقِم، لكن لاحقًا، حين مرَّت بالرِّجال المحتضرين على الأعمدة، حين سمعَت أنينهم وشمَّت غائطهم ودماءهم...

وضعَت داني كأس النَّبيذ متجهِّمةً، وقالت لنفسها: كان عدلًا، كان عين العدل. فعلتها من أجل الأطفال.

تحت مسكنها بمستوى واحد تقع قاعة الاجتماعات، قاعة فسيحة جُدرانها من المرمر الأرجواني، وإنما باردة على الرغم من أبَّهتها. كانت تحوي عرشًا في السَّابق، وكان تكوينًا رائعًا من الخشب المنقوش والمذهَّب على شكل هاربي ضارية، ولمَّا رأته داني ألقَت عليه نظرةً طويلةً واحدةً ثم أمرَت بتكسيره واستخدام خشبه حطبًا للنَّار. قالت لهم: «لن أجلس في حِجر الهاربي»، وبدلًا من العرش جلسَت على دكَّةٍ بسيطة من الأبنوس، وقد ناسبَتها مع أنها سمعَت الميرينيزيِّين يُتمتِمون أنها لا تليق بملكة.

ألْفَت خيَّالة دمها في انتظارها، ترنُّ الأجراس الفضِّيَّة في جدائلهم المزيَّتة ويرتدون ذهب وجواهر الموتى. لقد وجدوا في (ميرين) ثرواتٍ فاحشة تفوق الخيال، وحتى مرتزقتها بدوا شبعانين، في الوقت الرَّاهن على الأقل. على الجانب الآخَر من القاعة وقفَ الدُّودة الرَّمادي مرتديًا زِيَّ المطهَّرين التَّقليدي ووضعَ قُبَّعته البرونز ذات الطَّرف المدبَّب تحت إبطه. هؤلاء على

الأقل تستطيع الثِّقة بهم، أو أن هذا ما تأمله... وبن پلوم البنِّي أيضًا، بن المتين بشَعره الذي وخطَه الأبيض والرَّمادي ووجهه الذي لوَّحته الأجواء، الرَّجل الذي يُحِبُّه تنانينها كثيرًا. إلى جواره وقفَ داريو يَبرُق في ما تحلَّى به من ذهب. داريو وبن پلوم والدُّودة الرَّمادي وچيكوي وإيري وميسانداي... إذ تطلَّعت إليهم داني وجدَت نفسها تتساءَل عن الخائن التَّالي بينهم.

للتنيِّن ثلاثة رؤوس. في العالم رجلان أستطيعُ الثِّقة بهما إذا أمكنَني العثور عليهما، وحينئذٍ لن أعود وحيدةً. سنكون ثلاثةً ضد العالم، مِثل إجون وأختيه.

سألَت داني: «هل كانت اللَّيلة هادئةً كما بدَت؟».

قال بن پلوم البنِّي: «يبدو هذا يا جلالة الملكة».

سرَّتها الإجابة. لقد نُهِبَت (ميرين) بلا هوادة كما يَحدُث في كلِّ المدائن السَّاقطة، لكن داني عزمَت على أن ينتهي هذا وقد أمسَت المدينة لها، فقضَت أن يُشنَق القتَلة ويفقد كلُّ لِصٍّ إحدى يديه وكلُّ مغتصب ذَكره، وهكذا تأرجحَ ثمانية قتَلة على الأسوار وملأ المطهَّرون سلَّةً كبيرةً بالأيدي المبتورة والدِّيدان الحمراء الرَّخوة، لكن سكون (ميرين) عادَ إليها من جديد. لكن إلى متى؟

أزَّت ذُبابة حول رأسها، فذبَّتها داني بضيقٍ لكنها لم تلبث أن عادَت تُزعِجها، فقالت: «الذُّباب كثير في هذه المدينة».

جعجعَ بن البنِّي ضاحكًا، وقال: «وجدتُ ذُبابًا في مِزري هذا الصَّباح، وابتلعتُ واحدةً».

قال داريو مبتسمًا وهو يُمَلِّس على شُعبة لحيته الوُسطى: «الذُّباب انتقام الموتى. الجُثث تستولِد اليرقات، واليرقات تستولِد الذُّباب».

- «سنُخَلِّص أنفسنا من الجُثث إذن، بدايةً بالتي في السَّاحة في الأسفل. هلَّا تولَّيت أمرها أيها الدُّودة الرَّمادي؟».

- «الملكة تأمر وهؤلاء الآحاد يُطيعون».

قال له بن البنِّي: «يَحسُن أن تستعين بالأجولة علاوةً على المجارف أيها الدُّودة. لقد نضجَت تلك الجُثث كثيرًا، وبدأت قِطع منها تتساقَط من على الأعمدة بالفعل وتعجُّ بالـ...».

قاطعَته داني: «يعرف، وأعرفُ أيضًا»، وحدَّثت نفسها متذكِّرةً الرُّعب

الذي أحسَّت به في (ساحة العقاب) في (أستاپور): صنعتُ رُعبًا مماثلًا هنا، لكنهم استحقُّوه بالتَّأكيد. العدالة القاسية تظلُّ عدالةً.

قالت ميسانداي: «جلالة الملكة، الجيسكاريُّون يدفنون موتاهم المكرَّمين في سراديب تحت إيواناتهم. سيكون تلطُّفًا منكِ إذا سمحتِ بتنظيف العظام من اللَّحم العفِن وإعادتها إلى أهاليهم».

لا فرق، ستلعنني الأرامل رغم ذلك. قالت: «ليكن»، ثم أشارَت إلى داريو سائلةً: «كم واحدًا يُريد المثول أمامي هذا الصَّباح؟».

- «اثنان طلبا التَّنعُّم بضيائكِ». كان داريو قد نهبَ لنفسه ثيابًا جديدةً تمامًا من (ميرين)، وأعادَ صباغة لحيته ثُلاثيَّة الشُّعب وشَعره المجعَّد بدرجةٍ غنيَّة عميقة من الأرجواني تتماشى مع الثِّياب، فبدا لون عينيه أقرب إلى الأرجواني أيضًا، كأنه ڤاليري مفقود. «وصلا ليلًا على متن قادسٍ تجاري أبحرَ من (كَارث) اسمه (النَّجم النِّيلجي)».

تعني أنه قادس نخاسة. قطَّبت داني جبينها متسائلةً: «من هما؟».

- «رُبَّان (النَّجم) ورجلٍ يدَّعي أنه يتكلَّم نيابةً عن (أستاپور)».

- «سأرى المندوب أولًا».

تبيَّن أنه رجل له وجه شاحب ذكَّرها بحيوان ابن مِقرَض، يرتدي ثيابًا من اللُّؤلؤ والذَّهب المغزول تُثقِل عُنقه، وقد صاحَ: «يا صاحبة العبادة! اسمي جايل، وجئتُ ملكة التَّنانين بتحيَّات كليون ملك (أستاپور)، كليون العظيم».

تصلَّبت داني في جلستها قائلةً: «لقد تركتُ مجلسًا يَحكُم (أستاپور)، نِطاسيًّا ومعلِّمًا وراهبًا».

- «هؤلاء الأشقياء المحتالون خانوا ثقتكِ يا صاحبة العبادة، واتَّضح أنهم كانوا يتآمَرون على إعادة الأسياد الكرام إلى الحُكم والشَّعب إلى السَّلاسل، لكن كليون العظيم فضحَ مكائدهم وضربَ أعناقهم بساطور، ولشَجاعته توَّجه أهل (أستاپور) شاكرين».

قالت ميسانداي بلكنة (أستاپور): «أيها النَّبيل جايل، أهو كليون نفسه الذي كان يملكه جرازدان مو أولهور؟».

ببساطةٍ أجابَ المبعوث على الرغم من القلق الواضح الذي أصابَه به السُّؤال: «هو نفسه، رجل عظيم».

مالَت الفتاة على داني وهمسَت في أُذنها: «كان جزّارًا في مطبخ جرازدان، وقيلَ إنه يذبح الخنازير أسرع من أيِّ رجلٍ في (أستاپور)».

أعطيتُ (أستاپور) ملكًا جزّارًا. شعرَت داني بالغثيان، وإن علمَت أن عليها ألّا تسمح للمبعوث برؤيتها متأثرةً. قالت: «سأصلّي أن يَحكُم الملك كليون بعدلٍ وحكمة. فيمَ يرغب مني؟».

فركَ جايل فمه، وأجابَ: «هل تسمح جلالة الملكة بأن نتكلَّم على انفراد».

– «لستُ أخفي أيَّ أسرار عن قادتي».

– «كما تشائين. كليون العظيم أمرَني بإعلان ولائه لأمِّ التّنانين. يقول لكِ إن أعداءكِ أعداؤه، وعلى رأسهم أسياد (يونكاي) الحُكماء، ويعرض معاهَدةً بين (أستاپور) و(ميرين) ضد اليونكيِّين».

– «لقد أقسمتُ أن أذًى لن يمسَّ (يونكاي) إذا أطلقَت سراح عبيدها».

– «كلاب (يونكاي) ليسوا أهلًا للثِّقة يا صاحبة العبادة. إنهم يتآمَرون عليكِ. لقد جنَّدوا رجالًا جُددًا تُمكن رؤيتهم يتدرَّبون خارج أسوار المدينة، ويبنون سُفنًا حربيَّةً، وأرسلوا مبعوثين إلى (جيس الجديدة) و(ڤولانتيس) في الغرب لعقد التَّحالُفات واستئجار المرتزقة، بل أرسلوا خيّالةً إلى (ڤايس دوثراك) ليتَّفقوا مع گالاسار على مهاجَمتكِ. كليون العظيم أمرَني بأن أقول لكِ ألّا تخافي. (أستاپور) تتذكَّر، (أستاپور) لن تتخلّى عنكِ. لإثبات إخلاصه يعرض كليون العظيم إبرام تحالُفكما بالزَّواج».

– «الزَّواج؟ بي؟».

ابتسمَ جايل لتلوح أسنانه البنّيَّة النَّخرة، وقال: «كليون العظيم سيمنحكِ أبناء أقوياء كثيرين».

وجدَت داني نفسها عاجزةً عن الكلام، لكن ميسانداي أنقذَتها بسؤالها: «هل أنجبَت له زوجته الأولى أبناء؟».

رمقَها المبعوث باستياءٍ مجيبًا: «كليون العظيم له ثلاث فتيات من زوجته الأولى، واثنتان من زوجاته الجديدات حُبليان، لكنه ينوي أن يُزيحهن جميعًا إذا وافقَت أُم التَّنانين على الزَّواج به».

قالت داني: «يا لَنُبله. سأفكِّرُ في كلِّ ما قلته يا سيِّدي»، ثم إنها أمرَت بأن يُعطى جايل مسكنًا يأوي إليه اللَّيلة في مكانٍ ما من الدَّرجات الأدنى من الهرم.

انتصاراتي كلُّها تستحيل إلى خَبَثٍ في يدَيْ. مهما فعلتُ لا أخلِّفُ إلَّا الموت والهول. عندما يَبلُغ نبأ ما وقعَ لـ(أستاپور) الشَّوارع -ومؤكَّد أنه سيَبلُغها- فلا شَكَّ أن عشرات الآلاف من الرَّقيق الميرينيزيِّين المعتَقين سيُقَرِّرون أن يتبعوها حين تذهب غربًا، خشيةً مما ينتظرهم هنا إذا بقوا... ولكن ربما ينتظرهم ما هو أسوأ في أثناء الزَّحف. حتى إذا أفرغَت كلَّ صومعةٍ في المدينة وتركَت (ميرين) تتضوَّر جوعًا فكيف يُمكنها إطعام كلِّ هذه الأعداد؟ الطَّريق الذي ستَسلُكه محفوف بالصِّعاب والدِّماء والمخاطر كما حذَّرها السير چورا، الذي حذَّرها من أشياء أخرى عديدة... و... لا، لن أفكِّر في چورا مورمونت. لينتظر فترةً أطول قليلًا. أعلنَت: «سأرى الرُّبَّان التَّاجر». ربما يحمل الرَّجل أخبارًا أفضل.

لكن أمنيتها راحَت عبثًا. رُبَّان (النَّجم النِّيلجي) كارثيني، ولذا فقد بكى بغزارةٍ لمَّا سألَته عن (أستاپور)، وقال: «المدينة تنزف. الموتى يتعفَّنون بلا دفنٍ في الشَّوارع، وكلُّ هرم معسكَر مسلَّح، والأسواق خالية من أيِّ أطعمةٍ أو عبيدٍ للبيع... والأطفال المَساكين! سفَّاحو الملك ساطور اعتقلوا كلَّ صبيٍّ عالي المقام في (أستاپور) ليصنعوا جُندًا مطهَّرين جديدين يُتاجِرون بهم، مع أن أعوامًا ستمرُّ قبل أن يكتمل تدريبهم».

أكثر ما أدهشَ داني أنها لم تندهش. وجدَت نفسها تتذكَّر إيرو، فتاة اللازارين التي حاولَت أن تحميها ذات مرَّةٍ وما حدثَ لها بَعدها. سيتكرَّر الأمر في (ميرين) حالما أبدأ الزَّحف. عبيد حلبات القتال الذين استولِدوا وتمرَّنوا على التَّقتيل يُثبتون كم هُم مشاغبون مسبِّبون للمتاعب بالفعل، ويبدو أنهم يحسبون أنفسهم الآن مُلَّاك المدينة وكلِّ رجلٍ وامرأةٍ فيها. اثنان منهم من الثَّمانية الذين شنقَتهم. قالت لنفسها: يُمكنني أنْ أفعل المزيد، ثم سألَت: «ماذا تُريد مني أيها الرُّبَّان؟».

- «أريدُ عبيدًا. مخازن سفينتي متخَمة حتى الانفجار بالعاج والعنبر وجلود الزورس وغيرها من البضائع الثَّمينة، وأرغبُ في مبادَلتها هنا بعبيدٍ أبيعهم في (لِيس) و(ڤولانتيس)».

قالت داني: «ليس لدينا عبيد للبيع».

تقدَّم داريو قائلًا: «يا صاحبة الجلالة، ضفَّة النَّهر ملأى بالميرينيزيِّين الذين يتوسَّلون الإذن في بيع أنفُسهم لهذا الكارثيني. إنهم أكثر من الذُّباب».

قالت مصدومةً: «يُريدون أن يكونوا عبيدًا؟!».

- «المتقدِّمون فصيحو الكلام وحسنو المولد أيتها الملكة الجميلة، والعبيد من هذا النَّوع ثمينون. في المُدن الحُرَّة سيكونون معلِّمين وكتَبَةً وعبيد فِراشٍ، بل معالجون ورُهبان. سينامون في أسرَّةٍ وثيرة ويأكلون أطعمةً شهيَّةً ويَقطُنون في قصور. أمَّا هنا فقد فقدوا كلَّ شيءٍ ويعيشون في خوفٍ وقذارة».

- «مفهوم». ليس الأمر صادمًا لهذا الحدِّ إذا صَحَّ ما قيلَ عن (أستاپور). تأمَّلت لحظةً، ثم قالت: «سأسمحُ لأيِّ رجلٍ يرغب في بيع نفسه للعبوديَّة بأن يفعلها، أو أيِّ امرأة»، ورفعَت يدها مضيفةً: «لكن ليس مسموحًا لهم ببيع أطفالهم، أو لأيِّ رجلٍ ببيع زوجته».

قالت لها ميسانداي: «في (أستاپور) جرَت العادة على أن تأخذ المدينة عُشر الثَّمن كلما تبدَّل مالك العبد».

- «سنفعل المِثل». الحروب تُربَح بالذَّهب كما تُربَح بالسُّيوف. «العُشر، ذهبًا أو فضَّةً أو عاجًا. (ميرين) لا يَنقُصها الزَّعفران أو القرنفل أو جلود الزورس».

قال داريو: «سيتمُّ ما أمرتِ به أيتها الملكة المجيدة. سيجمع رجالي من غِربان العاصفة عُشركِ».

تعي داني أن نِصف الذَّهب سيضلُّ الطَّريق إلى خزينتها ما دامَ غِربان العاصفة مسؤولين عن جمعه، لكن الأبناء الثَّانين لا يقلُّون عنهم سوءًا، أمَّا المطهَّرون فأمِّيُّون على الرغم من استقامتهم. هكذا قالت: «أريدُ سجلَّات. ابحث بين المحرَّرين عمَّن يُجيدون القراءة والكتابة والحساب».

انحنى رُبَّان (النَّجم النِّيلجي) وانصرفَ وقد فرغَ من شأنه، تاركًا داني تعتدل بلا راحةٍ في جلستها على الدِّكَّة الأبنوس. إنها تخشى ما ينبغي أن يَحدُث الآن، لكنها تعرف أنها أرجأَته طويلًا بالفعل. (يونكاي) و(أستاپور)، تهديدات الحرب، عروض الزَّواج، الزَّحف غربًا الذي يلوح طيفه فوق كلِّ شيء... إنني محتاجة إلى فارسَيْ، محتاجة إلى سيفيهما وإلى مشورتهما. على أن فكرة رؤية چورا مورمونت ثانيةً تُشعِرها كأنه ابتلعَت مِلء ملعقةٍ

من الذُّباب، تُغضِبها، تُبلبلها، تغثيها، حتى إنها تكاد تَشعُر بالذُّبابات تطنُّ في بطنها. أنا دم التنِّين. لَا بُدَّ أن أتماسَك. لا بُدَّ أن أواجههما بعينين تقدح منهما النَّار لا الدُّموع. قبل أن تُغَيِّر رأيها قالت آمرةً: «قولوا لِبلواس أن يُحضِر فارسَيْ... فارسَيْ الصَّالحيْن».

كان بلواس القوي يلهث من جهد الصُّعود عندما ساقَهما من بين مصراعَيْ الباب مطوِّقًا ذراع كلٍّ منهما بيدٍ لحيمة. سارَ السير باريستان برأس مرفوع، بينما حملقَ السير چورا إلى الأرض الرُّخام وهو يقترب. واحد أبِيٌّ والثَّاني مذنب. كان العجوز قد حلقَ لحيته البيضاء، فبدا أصغر عشر سنين دونها، لكن دُبَّها الذي يجتثُّ الصَّلع شَعره بدا أكبر مما كان. توقَّفوا أمام الدِّكَّة، وتراجعَ بلواس ووقفَ عاقدًا ذراعيه على صدره النَّديب، ثم تنحنحَ السير چورا قائلًا: «گاليسي...».

لكم افتقدَت صوته، ولكن عليها أن تكون صارمةً، فقاطعَته: «صمتًا. سأقولُ لك متى تتكلَّم»، ونهضَت مردفةً: «عندما أرسلتكما إلى البالوعات كان جزء مني يأمل أني رأيتكما للمرَّة الأخيرة. بدا لي أن الغرق في قاذورات النَّخَّاسين نهاية لائقة بكاذبيْن مِثلكما، وحسبتُ أن الآلهة ستتولَّى أمركما، لكنكما عُدتما إليَّ بدلًا من هذا. فارساي الوستروسيَّان المغواران، الجاسوس والمارِق. كان أخي ليُعَلِّقكما من المشنقة». كان ڤسيرس ليفعلها على الأقل، أمَّا ريجار فتجهل ما كان ليفعله. «أقرُّ بأنكما ساعدتماني على الظَّفر بهذه المدينة...».

زَمَّ السير چورا فمه قائلًا: «بل ظفرنا لكِ بهذه المدينة، نحن جرذان البالوعات».

كرَّرت: «صمتًا»... مع أن كلامه لا يخلو من حقيقة، فبينما ضربَ (قضيب چوسو) والمدكَّان الآخَران بوَّابات المدينة وأطلقَ رُماتها أسرابًا من السِّهام النَّاريَّة فوق الأسوار، كانت داني قد أرسلَت مئتين من الرِّجال إلى النَّهر تحت جُنح الظَّلام ليُضرِموا النَّار في السُّفن الثَّقيلة الرَّاسية في الميناء، لكن هذا كان لإخفاء الغرض الحقيقي، فإذ اجتذبَت السُّفن المشتعلة أنظار المدافِعين على الأسوار عثرَ عدد من السَّبَّاحين أشباه المخابيل على فوَّهات البالوعات وانتزعوا شبكةً حديديَّةً صدئةً، وغاصَ السير چورا والسير باريستان وبِلواس

القوي وعشرون من الحمقى الشُّجعان في المياه البنِّيَّة ودخلوا النَّفق القرميد، قوَّتهم خليط من المرتزِقة والمطهَّرين والمعتَقين، وكانت داني قد أمرَت باختيار رجالٍ بلا عائلات... ويُفَضَّل أنهم يفتقرون إلى حاسَّة الشَّمِّ أيضًا.

حالفَهم الحَظُّ كما ساندَتهم الشَّجاعة. كان قمر قد مَرَّ منذ سقطَت أمطار غزيرة، ومياه المجاري ترتفع حتى الفخذ لا أكثر، وحافظَ القماش المشمَّع الذي لفُّوه حول مشاعلهم على جفافها، فتمتَّعوا بالضَّوء أيضًا. كان بعض المحرَّرين خائفًا من الجرذان الضَّخمة، إلى أن قبضَ بلواس على أحدها وقضمَه إلى نِصفين. قتلَت سحليَّة شاحبة ضخمة أحد الرِّجال حين برزَت من المياه المظلمة وجرَّته من ساقه، لكن عندما لمحوا الماء يتموَّج ثانيةً قتلَها السير چورا بسيفه. دخلوا بضعة منعطَفات خاطئة، لكن ما إن وجدوا السَّطح قادَهم بِلواس القوي إلى أقرب حلبة قتال، حيث باغَتوا عددًا قليلًا من الحُرَّاس وضربوا سلاسل العبيد، وخلال ساعةٍ كان نِصف رقيق (ميرين) المقاتلين قد انتفَضوا.

ردَّدت بعناد: «ساعدتما على الظَّفر بهذه المدينة»، ثم أردفَت: «وأحسنتما خدمتي في الماضي. السير باريستان أنقذَني من نغل المارد ومن الرَّجل الآسف في (كارث)، والسير چورا أنقذَني من المسمِّم في (ڤايس دوثراك)، ثم من خيَّالة دم دروجو بَعد موت شمسي ونجومي». كثيرون أرادوا موتها، لدرجة أنها تنسى عددهم أحيانًا. «لكنكما كذبتما، خدعتماني، خُنتماني»، والتفتَت إلى السير باريستان قائلةً: «أنت حميت أبي أعوامًا وقاتلت إلى جوار أخي في معركة (الثَّالوث)، لكنك تخلَّيت عن ڤسيرس في منفاه وركعت للغاصِب، فلِمَ؟ أريدُ الحقيقة».

- «بعض الحقائق يَصعُب سماعه. روبرت كان... فارسًا صالحًا... شهمًا، شُجاعًا... لقد عفا عني وعن كثيرين غيري... الأمير ڤسيرس كان مجرَّد طفل، وكانت أمامه سنوات قبل أن يُصبِح صالحًا للحُكم، و... سامحيني يا مليكتي، لكنكِ طلبتِ الحقيقة... حتى في طفولته أثبتَ أخوكِ ڤسيرس أنه ابن أبيه في كثير من الأحيان، على عكس ريجار تمامًا».

سألَته مقطِّبةً وجهها: «ابن أبيه؟ ماذا تعني؟».

لم تطرف للعجوز عين وهو يُجيب: «أبوكِ كان ملقَّبًا بالملك المجنون في (وستروس). ألم يُخبرك أحد؟».

- «فسيرس أخبرَني». الملك المجنون. «الغاصِب هو من أطلقَ عليه هذا اللَّقب، الغاصِب وكلابه». الملك المجنون. «كانت كذبةً».

قال السير باريستان برفق: «لماذا تَطلُبين الحقيقة إذا كنتِ ستصمِّين أُذنيكِ عنها؟»، وتردَّد لحظةً قبل أن يُتبع: «قلتُ لكِ من قبل إنني استخدمتُ اسمًا زائفًا كي لا يعلم آل لانستر بانضمامي إليكِ، لكن هذا أقلُّ من نِصف الحقيقة يا جلالة الملكة. الحقيقة أني أردتُ أن أراقبكِ فترةً قبل أن أتعهَّد لكِ بسيفي، لأتأكَّد من أنكِ لستِ...».

- «... ابنة أبي؟». إن لم تكن ابنة أبيها فمَن تكون؟

- «... مجنونةً. لكني لا أرى الوصمة فيكِ».

ردَّدت مغضبةً: «الوصمة؟!».

- «لستُ مايستر لأقتبس لك من التَّاريخ يا جلالة الملكة، فحياتي كانت في السُّيوف لا الكُتب، لكن كلَّ طفلٍ يعرف أن آل تارجاريَن رقصوا دائمًا على حافة الجنون، ولم يكن أبوكِ أولهَم. ذات مرَّةٍ قال لي الملك چهيرس إن الجنون والعظمة وجهان لعُملةٍ واحدة، وإنه كلما وُلِدَ تارجاريَن جديد تُلقي الآلهة العُملة في الهواء ويحبس العالم أنفاسه ليرى على أيِّ وجهٍ ستَسقُط».

چهيرس. هذا الشَّيخ كان يعرف جدِّي. جعلَتها الفكرة تتردَّد. معظم ما تعرفه عن (وستروس) أخبرَها به أخوها، والباقي عرفَته من السير چورا، ولا بُدَّ أن السير باريستان نسيَ أكثر مما عرفَه الاثنين في حياتهما كلِّها. هذا الرَّجل يستطيع أن يُخبِرني من أين أتيتُ. «إذن فأنا عُملة في أيدي الآلهة. أهذا ما تقوله أيها الفارس؟».

أجابَ السير باريستان: «لا. أنتِ وريثة (وستروس) الشَّرعيَّة، وإلى نهاية أيامي سأظلُّ فارسكِ الوفي إذا وجدتِني أستحقُّ أن أحمل سيفًا من جديد. وإن لم يكن، فأنا قانع بأن أخدم بلواس القوي كمُرافِقه».

سألَته داني هازئةً: «وماذا لو قرَّرتُ أنك لست جديرًا إلَّا بأن تكون مهرِّجي؟ أو طبَّاخي؟».

قال سلمي بوقارٍ هادئ: «سيكون هذا من دواعي شَرفي يا جلالة الملكة.

يُمكنني أن أخبز التُّفَّاح وأسلق اللَّحم البقري كأيِّ أحد، كما أني شويتُ بَطًّا كثيرًا فوق بؤر النَّار في المعسكَرات. أتمنَّى أنكِ تُحِبِّينه دسمًا، الجِلد محروق والعظم دام».

حدَت بِها كلماته إلى الابتسام، وقالت: «لا بُدَّ أن أكون مجنونةً إذا أكلتُ شيئًا كهذا. بن بلوم، تعالَ وأعطِ السير باريستان سيفك الطَّويل».

إلَّا أن ذا اللِّحية البيضاء رفضَه قائلًا: «لقد ألقيتُ سيفي عند قدمَيْ چوفري ولم ألمس واحدًا منذ ذلك الحين. لن أقبلَ سيفًا ثانيةً إلَّا من يد مليكتي».

ردَّت داني: «كما تشاء»، وتناولَت السَّيف من بن البنِّي وقدَّمته لسلمي من المقبض فالتقطَه العجوز بتوقير. قالت له: «والآن اركع وتعهَّد به لخدمتي».

ركعَ السير باريستان على رُكبةٍ واحدة ووضعَ السَّيف على الأرض أمامها وهو يحلف اليمين التي لم تسمعها داني تقريبًا. كان هذا أسهلهما، أمَّا الثَّاني فسيكون أصعب. حين فرغَ سلمي التفتَت إلى چورا مورمونت قائلةً: «والآن أنت أيها الفارس. أريدُ الحقيقة».

كان عُنق الرَّجل الكبير محمرًّا، لكن سواء أمن الغضب أم الخجل فلا تدري. قال: «حاولتُ أن أقول لكِ الحقيقة عشرات المرَّات. قلتُ لك إن آرستان ليس كما يبدو، وحذَّرتكِ من الثِّقة بزارو وپيات پري، حذَّرتكِ...».

قاطعَته وقد أحنقَتها صفاقته: «حذَّرتني من الجميع باستثناء نفسك». المفترَض أن يكون أكثر تواضُعًا، المفترَض أن يتوسَّل مغفرتي. «لا تثقي بأحدٍ إلَّا چورا مورمونت، قلت... وطيلة الوقت كنت مخلوق العنكبوت!».

- «لستُ مخلوق أحد. نعم، أخذتُ ذهب الخصي، وتعلَّمتُ بعض الرُّموز وكتبتُ بعض الرَّسائل، لكن هذا كلُّ شيء...».

- «كلُّ شيء؟ لقد تجسَّست عليَّ وبعتني لأعدائي!».

قال بتذمُّر: «فترةً فقط، لكني توقَّفتُ».

- «متى؟ متى توقَّفت؟».

- «أرسلتُ تقريرًا واحدًا من (كارث)، لكن...».

- «من (كارث)؟!». كانت تأمل أن جاسوسيَّته انتهَت قبل هذا بكثير. «ماذا كتبت من (كارث)؟ أنك أصبحت رجلي؟ أنك لا تُريد المزيد من دسائسهم؟»، وواصلَت والسير چورا لا يستطيع النَّظر في عينيها: «عندما

ماتَ گال دروجو طلبت مني أن أذهب معك إلى (بي تي) و(بحر اليَشب). أكانت تلك رغبتك أم رغبة روبرت؟».

قال بإصرار: «كان هذا لحمايتكِ، لإبعادكِ عنهم. كنتُ أعرفُ أنهم ثعابين...».

صاحَت: «ثعابين؟! وماذا تكون أنت أيها الفارس؟»، ثم خطرَ لها شيء مريع، فقالت: «قلت لهم إنني أحمل طفل دروجو...».

- «گاليسي...».

قال السير باريستان بحدَّة: «إياك أن تُحاوِل الإنكار أيها الفارس. كنتُ موجودًا عندما أخبرَ الخصيُّ المجلس وأمرَ روبرت بموت جلالتها وطفلها. كنت أنت مصدر المعلومة أيها الفارس، بل ودارَ نقاش حول أن تفعلها بنفسك مقابل عفو».

قال السير چورا بوجهٍ اربدَّ: «كذب. ما كنتُ لأفعل... دنيرس، أنا الذي منعتكِ من شُرب النَّبيذ».

- «نعم، وكيف عرفت أن النَّبيذ مسموم؟».

- «لقد... لقد شككتُ... القافلة جلبَت رسالةً من ڤارس حذَّرني فيها من وقوع محاوَلاتٍ لاغتيالكِ. لقد أرادَكِ أن تظلِّي تحتَ المراقَبة، لكنه لم يرغب في أذيَّتكِ»، وهوى على رُكبتيه مواصلًا: «لو لم أُخبِرهم لأخبرَهم غيري، تعرفين هذا».

مسَّت بطنها الذي ماتَ ابنها ريجو في داخله قائلةً: «أعرفُ أنك خُنتني، أعرفُ أن مسمِّمًا حاولَ أن يَقتُل ابني بسببك. هذا ما أعرفه».

هَزَّ رأسه قائلًا: «لا... لا. لم أقصد قَطُّ... سامِحيني، يجب أن تُسامِحيني».

- «يجب؟!». كان أوان هذا قد فاتَ. كان عليه أن يبدأ بتوسُّل السَّماح. لا يُمكنها أن تعفو عنه كما انتوَت. لقد جرَّت بائع النَّبيذ وراء حصانها إلى أن لم يتبقَّ منه شيء، أفلا يستحقُّ الرَّجل الذي أتى به المِثل؟ هذا چورا، دُبِّي الشَّرس، الذِّراع اليُمنى التي لم تخذلني قَطُّ. لولاه لمتُّ، ولكن... «لا أستطيعُ أن أسامحك، لا أستطيعُ».

- «لكنكِ سامحتِ العجوز».

- «العجوز كذبَ عليَّ في اسمه. أنت بِعت أسراري لمَن قتلوا أبي وسرقوا عرش أخي».

- «لقد حميتكِ، قاتلتُ في سبيلكِ، قتلتُ في سبيلكِ».

قبّلتني، خُنتني.

- «زحفتُ في البالوعات كالجرذان من أجلكِ».

كان الأرحم أن تموت هناك.

لم تقل داني شيئًا. لم يكن هناك ما يُقال.

- «دنيرس، لقد أحببتكِ».

بالضَّبط. ثلاث خيانات ستعرفين، واحدةً من أجل الدَّم وواحدةً من أجل الذَّهب وواحدةً من أجل الحُب. «يقولون إن الآلهة لا تفعل شيئًا بلا هدف. إنك لم تَمُت في المعركة، فلا بُدَّ أن عندها استخدامًا ما لك، أمَّا أنا فلا. لا أريدك قريبًا مني. أنت منفيٌّ أيها الفارس. عُد إلى سادتك في (كينجز لاندنج) وتلقَّ عفوك إن استطعت، أو إلى (أستابور). لا شَكَّ أن الملك الجزَّار في حاجةٍ إلى فُرسان».

قال مادًّا يده إليها: «لا. دنيرس، أرجوكِ اسمعيني...».

صفعَت اليد قائلةً: «إياك أن تتجرَّأ وتُحاول لمسي ثانيةً أو تنطق اسمي. أمامك حتى الفَجر لتجمع حاجياتك وتُغادِر المدينة. إذا وُجدت في المدينة بَعد طلوع النَّهار سأجعلُ بِلواس القوي يحزُّ رأسك، سأفعلُ، صدِّقني»، وأسرعَت تُشيح بجسدها عنه لتدور تنُّورتها في الهواء. لا أحتملُ النَّظر إلى وجهه. قالت آمرةً: «أبعِدوا هذا الكذَّاب عن نظري». يجب ألَّا أبكي. إذا بكيتُ سأسامحه. قبضَ بِلواس القوي على ذراع السير چورا وجرَّه إلى الخارج، وحين ألقَت داني نظرةً وراءها كان الفارس يمشي ببُطءٍ متعثِّر كأنه سكران، وعادَت تُشيح بنظرها إلى أن سمعَت الباب يُفتَح ثم يُغلَق، ثم جلسَت على الدِّكَّة الأبنوس. رحلَ إذن. أبي وأمِّي وأخواي والسير ويلم داري وشمسي ونجومي دروجو وابنه الذي ماتَ في بطني، والآن السير چورا...

قال داريو من تحت شواربه الأرجوانيَّة الدَّاكنة بصوتٍ كخرخرة القِطط: «الملكة طيِّبة القلب، لكن هذا الرَّجل أخطر من كلِّ أوزناك وميرو في آنٍ واحد»، وداعبَت يداه القويَّتان مقبضَيْ سلاحيه، المرأتين الذَّهبيَّتين الشَّبقتين،

وأردفَ: «ليس عليكِ أن تقوليها حتى يا نوري. مجرَّد إيماءةٍ طفيفة للغاية وسيأتيكِ داريو برأسه القبيح».

قالت: «دَعه. لقد تساوَت الكفَّتان. دَعه يعود إلى الوطن». تخيَّلت چورا يمشي بين أشجار السَّنديان العجوز والصَّنوبر الطَّويلة، يمرُّ بالشُّجيرات الشَّائكة المزهِرة والحجارة الملتحية بالطَّحالب والغُدران الصَّغيرة المنهمرة ببرودة الجليد على جوانب التِّلال. رأته يَدخُل قاعةً مبنيَّةً بجذوع الشَّجر الضَّخمة، تنام فيها الكلاب عند المستوقَد وتُفعِم هواءها الدُّخاني روائح اللَّحم والبِتع. قالت لقادتها: «سنكتفي بهذا القَدر اليوم».

شحذَت إرادتها كلَّها كي لا تصعد السَّلالم الرُّخام الواسعة جريًا. ساعدَتها إيري على خلع ثياب البلاط وارتداء ثيابٍ مريحة أكثر؛ سراويلَ واسعةً من الصُّوف وسُترةً قصيرةً فضفاضةً من الجوخ وصُدرةً ملوَّنةً من التي يرتديها الدوثراكي. قالت الفتاة وهي راكعة تعقد أربطة صندلها: «إنكِ ترتجفين يا كاليسي».

أجابَت كاذبةً: «أشعرُ بالبرد»، ثم قالت للفتاة: «أحضِري لي الكتاب الذي كنتُ أقرأه ليلة أمس». تُريد أن تفقد نفسها في الكلمات، في أزمنةٍ وأمكنةٍ أخرى، والكتاب الكبير المغلَّف بالجلد مليء بأغانٍ وحكاياتٍ من (الممالك السَّبع)، قصص أطفال في الحقيقة، أبسط وأجمح خيالًا من أن تكون حقيقيَّة، فيها كلُّ الأبطال طوال وسيمون، ويُمكنك أن تُمَيِّز الغادرين من خائنة أعيُنهم، لكنها أحبَّت القصص على الرغم من هذا، وليلة البارحة قرأت عن الأميرات الثَّلاث في البُرج الأحمر، اللاتي حبسهن الملك لجريمة الجَمال. حين جلبَت لها الوصيفة الكتاب لم تجد صعوبةً في العثور على الصَّفحة التي توقَّفت عندها، لكنها وجدَت نفسها تقرأ الفقرة نفسها مرارًا. السير چورا أعطاني هذا الكتاب كهديَّة عروس يوم زُففتُ إلى كَال دروجو. لكن داريو مصيب، لم يكن عليَّ أن أنفيه. كَان عليَّ أن أحتفظ به أو أقتله. تلعب دور الملكة، إلَّا أنها لا تزال تَشعُر أحيانًا كأنها فتاة صغيرة خائفة. لطالما قال ڤيسرس كم أنا مغفَّلة. هل كان مجنونًا بحَق؟ أغلقَت الكتاب مفكِّرةً أنها ما زالَت تستطيع استدعاء السير چورا إذا شاءَت، أو إرسال داريو لقتله.

هربَت من الاختيار إلى الشُّرفة، حيث وجدَت ريجال نائمًا إلى جوار

البركة، لفيفةً من الخُضرة والبرونز تستدفئ بالشَّمس، على حين جثمَ دروجون علَى قمَّة الهرم في البُقعة التي كانت الهاربي البرونز الجسيمة تحتلُّها قبل أن تأمر داني بإزالتها، ولمَّا أبصرَها التنِّين بسطَ جناحيه وزأرَ. لم يكن هناك أثر لڤسيريون، لكن عندما ذهبَت إلى السُّور وجاسَت بناظريها في الأُفق رأت جناحين شاحبين يَشُقَّان الهواء بعيدًا فوق النَّهر. يصطاد. جرأتهم تزداد كلَّ يوم. ومع ذلك تقلق إذا حلَّقوا بعيدًا. ربما يأتي يوم ويذهب أحدهم ولا يعود.

- «جلالة الملكة».

التفتَت لتجد السير باريستان وراءها، فقالت: «ماذا تُريد مني أكثر أيها الفارس؟ لقد عفوتُ عنك وضممتك إلى خدمتي، فاترُكني في سلام».

قال العجوز: «اعذُريني يا جلالة الملكة. المسألة أن... الآن وقد عرفتِ مَن أكون...»، وتردَّد قبل أن يُكمِل: «فارس الحَرس الملكي يبقى في حضور الملك ليل نهار، ولهذا السَّبب تُحَتِّم علينا يميننا أن نحمي أسراره كما نحمي حياته، لكن أسرار أبيكِ من حقِّكِ الآن، مِثلها مِثل العرش، و... خطرَ لي أن ربما لديكِ أسئلة تودِّين طرحها عليَّ».

أسئلة؟ إن لديها مئة سؤال، ألفًا، عشرة آلاف، فلمَ لا تستطيع التَّفكير في واحدٍ فقط؟ اندفعَت تقول: «هل كانَ أبي مجنونًا حقًّا؟». لماذا هذا السُّؤال؟ «ڤسيرس قال إن هذا الكلام عن الجنون خدعة من الغاصِب...».

- «ڤسيرس كان طفلًا، والملكة وقَته قَدر ما استطاعَت. أعتقدُ الآن أن أباكِ كان فيه شيء من الجنون دائمًا، لكنه كان جذَّابًا وسخيًّا أيضًا، فسامحَه النَّاس على زلَّاته. حُكمه بدأ واعدًا للغاية... لكن مع مرور السِّنين تواترَت الزَّلَّات أكثر، إلى أن...».

قاطعَته داني: «هل أريدُ أن أسمع هذا الآن؟».

فكَّر السير باريستان لحظةً، ثم قال: «ربما لا، ليس الآن».

- «ليس الآن، لكن ذات يوم، ذات يوم يجب أن تُخبِرني بكلِّ شيء، الجيِّد والسيِّئ. لا بُدَّ أن هناك أشياء جيِّدةً تُقال عَن أبي، أليس كذلك؟».

- «بلى يا جلالة الملكة، عنه وعن من سبقوه، عن جدِّكِ جهيرس وأخيه وأبيهما إجون وأمِّكِ... وريجار، هو على وجه الخصوص».

قالت بنبرةٍ حزينة: «ليتني عرفته».

رَدَّ الفارس العجوز: «ليته عرفكِ. سأخبركِ بكلِّ شيءٍ متى تكونين مستعدَّةً».

قبَّلته داني على وجنته وصرفَته.

ليلتها أحضرَت لها وصيفاتها لحم الحِملان مع سَلطة من الزَّبيب والجزر المنقوعيْن في النَّبيذ وخُبز ساخنٍ يَقطُر منه العسل، لكنها لم تستطِع أن تأكل ولو لُقمةً. هل أصابَ ريجار كلُّ هذا الإنهاك؟ هل أصابَ إجون بَعد غزوته؟

لاحقًا، عندما حانَ وقت النَّوم، أخذَت إيري معها إلى الفِراش للمرَّة الأولى منذ السَّفينة، لكن حتى حين ارتجفَت مفرغةً لذَّتها ودسَّت أصابعها في شَعر وصيفتها الأسود الثَّقيل تظاهرَت بأن دروجو هو الذي معها... غير أن وجهه ظَلَّ يتحوَّل بشكلٍ ما إلى وجه داريو. استلقَت وساقاها تُعانِقان ساقَيْ إيري قائلةً لنفسها: إذا أردتُ داريو فما عليَّ إلَّا أن أقولها. عيناه كادَتا تبدوان أرجوانيتَّين اليوم...

كانت أحلامها مظلمةً ليلتها، واستيقظَت ثلاث مرَّاتٍ من كوابيس نسيَت نِصفها، وبَعد المرَّة الثَّالثة وجدَت نفسها أكثر توتُّرًا من أن تعود إلى النَّوم. كان نور القمر يتدفَّق من النَّوافذ المائلة صابغًا الأرضيَّة الرُّخام بالفضَّة، ونسيم معتدل البرودة يهبُّ من باب الشُّرفة المفتوح، وإلى جوارها إيري غائصة في نوم عميق وشفتاها مفترقتان بعضَ الشَّيء ومن ثوب نومها الحرير تَبرُز حلمة بنِّيَّةٌ داكنة. راودَ الإغواء داني وهلةً، لكن دروجو هو من أرادَت، أو ربما داريو، وليس إيري. الوصيفة عذبة وبارعة، لكن قُبلاتها كلَّها مذاقها كالواجب.

نهضَت تاركةً إيري النَّائمة في نور القمر، بينما نامَت كلٌّ من چيكوي وميسانداي في سريرها. وضعَت داني معطفًا ومشَت حافية القدمين على الأرضيَّة الرُّخام وخرجَت إلى الشُّرفة. كان الهواء باردًا، لكن راقَها الإحساس بالعُشب بين أصابع قدميها وأصوات تهامُس أوراق النَّبات، وقد أخذَت تموُّجات الرِّيح تُطارِد بعضها بعضًا على سطح بِركة الاستحمام الصَّغيرة وجعلَت انعكاس القمر يَرقُص ويتلألأ.

مالَت على السُّور القرميد الواطئ تتطلَّع إلى مدينتها (ميرين) النَّائمة أيضًا. غائبة في أحلام بأيام أرحم ربما. غطَّى اللَّيل الشَّوارع كدثارٍ أسود، تُواري الجُثث والجرذان الرَّماديَّة التي خرجَت من المجاري لتلتهمها وأسراب

الذُّباب الوخَّاز، وتوهَّجت المشاعل البعيدة بالأحمر والأصفر حيث يدور حُرَّاسها في مناوَباتهم، وهنا وهناك رأت الوميض الخافت لمصباح يتحرَّك في الأزقَّة. ربما يكون أحدهم السير چورا، يقود حصانه ببُطءٍ إلىٰ البوَّابة. وداعًا أيها الدُّب العجوز، وداعًا أيها الخائن.

إنها دنيرس وليدة العاصفة، التي لم تحترِق، الگاليسي والملكة، أُم التَّنانين، قاتلة المشعوذين، محطِّمة الأغلال... ولا أحد في العالم يُمكنها الثِّقة به.

- «جلالة الملكة»، قالت ميسانداي التي وجدَتها واقفةً وراءها متدثِّرةً بمعطف نوم وتنتعل صندلًا خشبيًّا. «استيقظتُ ولم أجدكِ. هل نمتِ جيِّدًا؟ إلامَ تنظُرين؟».

- «مدينتي. كنتُ أبحثُ عن منزلٍ ببابٍ أحمر، لكن في اللَّيل الأبواب كلُّها سوداء».

تساءلَت ميسانداي حائرةً: «باب أحمر؟ أيُّ منزلٍ هذا؟».

قالت داني: «لا منزل، لا عليكِ»، والتقطَت يد الفتاة مستطردةً: «لا تكذبي عليَّ أبدًا يا ميسانداي، لا تخونيني أبدًا».

- «لن أفعل أبدًا. انظُري، الفَجر يَبزُغ».

كانت السَّماء قد اكتسبَت زُرقة الكوبالت الدَّاكنة من الأُفق إلى سَمت الرَّأس، ووراء خَطِّ التِّلال إلى الشَّرق لاحَ وهج شاحب كالذَّهب ووردِيٌّ كالمحار. أمسكَت داني يد ميسانداي وهما تُشاهِدان الشُّروق معًا، واستحال رماديُّ القرميد كلِّه إلى أحمر وأصفر وأزرق وأخضر وبرتقالي، ولمَّا لاحَت حلبات القتال حوَّلتها رمالها القرمزيَّة إلى قروح نازفة في عينيها، وفي بقاع أخرى برقَت قُبَّة (معبد ذوات النِّعم) الذَّهبيَّة، والتمعَت نجوم برونزيَّة حيثُ مَسَّ ضوء الشَّمس المشرقة خوذات المطهَّرين. في الشُّرفة تحرَّكت بضع ذُباباتٍ بخمول، وبدأ طائر يُزَقزِق على شجرة التِّين الكاكي، وتلاه طائران آخران. مالَت داني برأسها تسمعَ أنشودة الطُّيور، لكن سرعان ما طغَت عليها أصوات المدينة المستيقظة.

أصوات مدينتي.

هذا الصَّباح استدعَت قادتها إلى الشُّرفة بدلًا من النُّزول إلى قاعة

الاجتماعات، وقالت لهم: «إجون الفاتح جلبَ النَّار والدَّم إلى (وستروس)، لكنه أعطاها السَّلام والرَّخاء والعدالة بَعدها، أمَّا أنا فلم أجلب إلى (خليج النَّخَّاسين) إلَّا الموت والدَّمار. لقد كنتُ كالًا أكثر مما كنتُ ملكةً، أحطِّمُ وأنهبُ ثم أمضي في طريقي».

قال بن پلوم البنِّي: «ليس هناك ما تبقين من أجله».

وقال داريو نهاريس: «جلالة الملكة، النَّخَّاسون جلبوا الدَّمار على أنفسهم».

وأضافَت ميسانداي: «ثم إنكِ جلبتِ الحرِّيَّة أيضًا».

سألَتهم داني بحدَّة: «حرِّيَّة أن يجوعوا؟ حرِّيَّة أن يموتوا؟ أأنا تنِّين أم هارپي؟». أأنا مجنونة؟ موصومة؟

أجابَ السير باريستان بثقة: «تنِّين. (ميرين) ليست (وستروس) يا جلالة الملكة».

قالت: «لكن كيف أحكمُ سبع ممالك إذا كنتُ لا أقوى على حُكم مدينةٍ واحدة؟»، ولمَّا لم يُجبها التفتَت عنهم تتطلَّع إلى المدينة من جديد، وواصلَت: «أطفالي في حاجةٍ إلى وقتٍ لتندمل جراحهم ويتعلَّموا، وتنانيني في حاجةٍ إلى وقتٍ ليكبَروا ويختبروا أجنحتهم، وأنا أحتاجُ إلى كلِّ هذا أيضًا. لن أدع مصير (أستاپور) يحيق بهذه المدينة، لن أدع الهارپي في (يونكاي) تُسَلسِل من حرَّرتُهم مجدَّدًا»، وعادَت تلتفت إليهم وتَنظُر إلى وجوههم مضيفةً: «لن أزحف».

سألَها راگارو: «ماذا ستفعلين إذن يا گاليسي؟».

أجابَت: «سأبقى، سأحكمُ، سأكونُ ملكةً».





چايمي

جلسَ الملك عند رأس الطَّاولة وتحت مؤخِّرته كومة من الوسائد، يُذَيِّل كلَّ وثيقةٍ تُقَدَّم إليه بتوقيعه.

قال له السير كيڤان لانستر: «لم يتبقَّ الكثير يا جلالة الملك. هذا صَكُّ تجريم اللورد إدميور تَلي، يُجَرِّده من (ريڤررَن) وجميع أراضيها ودخولها عقابًا على تمرُّده على ملكه الشَّرعي. وهذا صَكٌّ مماثل لعمِّه السير برايندن تَلي، السَّمكة السَّوداء».

وقَّع تومن غامسًا الرِّيشة بحرصٍ في المحبرة وكاتبًا اسمه بخَطٍّ طفوليٍّ كبير. شاهدَ چايمي مِن عند قدم الطَّاولة مفكِّرًا في كلِّ أولئك اللوردات الذين يطمحون إلى مقعدٍ في مجلس الملك الصَّغير. هنيئًا لهم بمقعدي إن أرادوه. إذا كانت هذه هي السُّلطة، فلماذا لا يتذوَّق منها إلَّا السَّأم؟ ها هو جالس يُشاهِد تومن يغمس الرِّيشة في الدَّواة ثانيةً ولا يَشعُر بأنه ذو نفوذٍ خاص، بل يَشعُر بمللٍ مُمِض.

وإعياء. كلُّ عضلةٍ في جسده تُؤلِمه، وكتفاه وضلوعه ملأى بالرُّضوض التي خلَّفتها ضربات السير أدام ماربراند. التوَت ملامحه لمجرَّد التَّفكير في هذا، ولكن ليس في وسعه إلَّا أن يأمل أن يُطبِق الرَّجل فمه على سِرِّه. لقد عرفَ چايمي ماربراند منذ صِباه لدى خدمته كوصيفٍ في (كاسترلي روك)، وثقته به كثقته بأيِّ أحد، تكفي لأن يَطلُب منه أن يُنازِله بتُرسٍ وسيف مباريات، إذ أرادَ أن يعرف إن كان يستطيع القتال بيُسراه.

والآن أعرفُ. والمعرفة أكثر إيلامًا من كلِّ الضَّرب الذي تلقَّاه من السير أدام، والضَّرب كان مبرِّحًا لدرجة أنه استطاعَ ارتداء ثيابه بالكاد هذا الصَّباح.

لو كان نزالهما حقيقيًّا لماتَ چايمي عشرين مرَّةً. كم بدا تبديل اليدين بسيطًا قبل أن يتَّضح أنه ليس كذلك على الإطلاق. كلُّ حركةٍ غريزيَّة كانت خاطئةً، ووجدَ أن عليه أن يُفكِّر أولًا بينما ما كان عليه في السَّابق إلَّا أن يتحرَّك، وفيما فكَّر كالَ له ماربراند الضَّربات. لا يبدو أن يُسراه تحمل السَّيف الطَّويل كما ينبغي حتى، وقد جرَّده منه السير أدام ثلاث مرَّاتٍ وطيَّره في الهواء.

قدَّم السير كيڤان حزمةً أخرى من أوراق الرَّقوق للملك قائلًا: «هذا الصَّكُّ يمنح الأراضي والدُّخول والقلعة سالفة الذِّكر للسير إمون فراي والسيِّدة زوجته الليدي چِنا»، وغمسَ تومن الرِّيشة في الدَّواة ووقَّع. «هذا مرسوم شرعنة لابن طبيعي للورد رووس بولتون سيِّد (معقل الخوف)، وهذا يُنَصِّب اللورد بولتون حاكمًا للشَّمال»، وغمسَ تومن ووقَّع، وغمسَ ووقَّع. «هذا يمنح السير رولف سپايسر السِّيادة على قلعة (كاستامير) ويُرَقِّيه إلى مقام لورد»، وشخبطَ تومن اسمه.

فكَّر چايمي: كان حريًّا بي أن أذهب إلى السير إلين پاين. عدالة الملك ليس صديقًا كماربراند، وغالبًا سيُوسِعه ضربًا حتى يُدميه... لكن في غياب لسانه لن يتباهى الرَّجل بهذا بَعدها. لا يتطلَّب الأمر أكثر من ملاحَظةٍ عرَضيَّة من السير أدام وهو سكران ليعرف العالم كلُّه أنه أصبحَ عديم الفائدة. حضرة قائد الحرَس الملكي. دُعابة قاسية حقًّا... وإن لم تكن بقسوة الهديَّة التي أرسلَها له أبوه.

قال السير كيڤان للملك: «هذا عفوك الملكي عن اللورد جاون وسترلينج والسيِّدة زوجته وابنته چاين، والذي يُرَحِّب بعودتهما إلى سلام الملك. هذا عفو عن اللورد چونوس براكن سيِّد (السِّياج الحجري). هذا عفو عن اللورد ڤانس. هذا عن اللورد جودبروك. هذا عن اللورد موتون سيِّد (بركة العذارى)».

نهضَ چايمي قائلًا: «يبدو أن كلَّ شيءٍ على ما يُرام معك هنا يا عمَّاه. سأتركُ جلالته لك».

قال السير كيڤان ناهضًا بدوره: «كما ترغب. چايمي، يَجدُر بك أن تذهب إلى أبيك. هذا الشِّقاق بينكما...».

- «... هو صانعه، كما أنه لن يُصلِحه بالهدايا الهازئة. قُل له هذا إذا استطعت الانفراد به بعيدًا عن آل تايرل».

لاحَ الانزعاج على عمِّه وهو يقول: «الهديَّة كانت من القلب. خطرَ لنا أنها قد تُشَجِّعك على...».

قاطعَه چايمي: «... أن أُنبِت يدًا جديدة؟»، والتفتَ إلى تومن. على الرغم من أن له شَعر چوفري الذَّهبي وعينيه الخضراوين، فثمَّة أشياء قليلة أخرى مشتركَة بين الملك الجديد وأخيه الرَّاحل، إذ يميل إلى الامتلاء ووجهه متورِّد مستدير، بل ويحبُّ القراءة أيضًا. لم يَبلُغ التَّاسعة بعدُ ابني هذا. الصَّبي ليس الرَّجل. ما زالت سنوات سبع تفصل بين تومن وانفراده بالحُكم، وحتى ذلك الحين ستبقى البلاد بين يدَيْ جدِّه الوطيدتيْن. سألَه: «هل تسمح لي بالذَّهاب يا مولاي؟».

قال تومن: «كما تُريد يا خالي»، والتفتَ إلى السير كيڤان متسائلًا: «هل أختمها الآن؟». يظلُّ كبْس ختمه الملكي في الشَّمع السَّاخن الجزء المفضَّل من كونه ملكًا حتى الآن.

غادرَ چايمي قاعة المجلس بخُطواتٍ واسعة. خارج الباب كان السير مرين ترانت واقفًا حراسةً في دِرعه البيضاء ومعطفه النَّاصع. إذا عرفَ هذا الرَّجل كم أنا واهن، أو عرفَ كِتلبلاك أو بلاونت... قال له: «ابقَ هنا إلى أن يَفرُغ جلالته، ثم اصحبه إلى (حصن ميجور)».

حنى ترانت رأسه قائلًا: «كما تأمر يا سيِّدي».

وجدَ السَّاحة الخارجيَّة مزدحمةً صاخبةً هذا الصَّباح، واتَّجه إلى الاسطبلات حيث تُجهِّز مجموعة من الرِّجال خيولها بالسُّروج، ونادي: «والتون! هل عزمتم على الرَّحيل إذن؟».

أجابَ والتون ذو السَّاقين الفولاذ: «حالما تركب سيِّدتي حصانها. اللورد بولتون ينتظرنا. ها هي ذي».

قادَ سائس فَرسًا رماديَّةً مطهَّمةً من باب الاسطبل، تمتطيها فتاة نحيلة غائصة العينين ترتدي معطفًا ثقيلًا، معطفًا رماديًّا كالفُستان الذي ترتديه تحته وموشًّى بالساتان الأبيض، والدَّبُّوس الذي يُثبِّته إلى صدرها مطرَّق على شكل رأس ذئب عيناه المشقوقتان من الأوپال. هفهفَت الرِّيح نافشةً شَعر الفتاة البنِّي الطَّويل بقوَّة، وخطرَ لچايمي أن لها وجهًا مليحًا، لكن عينيها حزينتان حذرتان.

حين رأته حنَت رأسها، وقالت بصوتٍ متوتِّر رفيع: «سير چايمي، لُطف منك أن تُودِّعني بنفسك».

أمعنَ النَّظر إليها قائلًا: «أتعرفينني إذن؟».

عضَّت شفتها مجيبةً: «ربما لا تَذكُر يا سيِّدي لأني كنتُ صغيرةً وقتها... لكني تشرَّفتُ بلقائك في (وينترفل) عندما زارَ الملك روبرت أبي اللورد إدارد»، وخفضَت عينيها البنِّيَّتين الواسعتين، وغمغمَت: «أنا آريا ستارك».

لم يُعِر چايمي آريا ستارك اهتمامًا كبيرًا وقت الزِّيارة، وإن بدا له أن هذه الفتاة أكبر قليلًا. قال لها: «بلغَني أنكِ ستتزوَّجين».

- «سأتزوَّجُ رامزي ابن اللورد بولتون. كان اسمه سنو من قبل، لكن صاحب الجلالة جعلَه بولتون. يقولون إنه شديد الشَّجاعة. إنني سعيدة للغاية».

لماذا يعتري صوتكِ الخوف إذن؟ قال چايمي: «أتمنَّى لكِ الفرح يا سيِّدتي»، والتفتَ إلى ذي السَّاقين الفولاذ متسائلًا: «هل قبضتم المبلغ الذي وُعِدتم به؟».

أجابَه الرَّجل الشَّمالي: «نعم، وتقاسَمناه. لك شُكري»، وأضافَ بابتسامةٍ واسعة: «اللانستر يُسَدِّد ديونه دائمًا».

- «دائمًا»، أمَّن چايمي ملقيًا نظرةً أخيرةً على الفتاة، يتساءَل إن كان الشَّبه كبيرًا بين الاثنتين، مع أن هذا لا يهمُّ حقًّا، فآريا ستارك الحقيقيَّة مدفونة في قبرٍ ما بلا شاهدٍ في (جُحر البراغيث) على الأرجح، وبموت إخوتها ووالديها مَن يجرؤ على اتِّهام هذه بالزَّيف؟ قال لوالتون: «صحبَتكم السَّلامة»، ورفعَ نايچ راية السَّلام وكوَّن الشَّماليُّون طابورًا رديئًا كمعاطفهم الفرو وخرجوا مهرولين من بوَّابة القلعة، تبدو الفتاة النَّاحلة على الفَرس الرَّماديَّة صغيرةً بائسةً وسطهم.

ما زالَ عدد من الخيول يجفَل من اللَّطخة القانية على بُقعة الأرض الصُّلبة التي تشرَّبت فيها التُّربة دماء عامل الاسطبل الذي قتلَه جريجور كليجاين بكلِّ رعونة، وأعادَ منظرها إلى چايمي سُخطه كلَّه. لقد قال لرجال الحَرس الملكي أن يُبعِدوا المتفرِّجين عن الطَّريق، لكن ذلك الجحش السير بوروس سمحَ للنَّزال بأن يُلهيه، كما أن جزءًا من اللَّوم يقع على الصَّبي الأحمق نفسه، وعلى الدورني الميت أيضًا، لكن السَّواد الأعظم منه يقع على كليجاين. الضَّربة التي بترَت يد الصَّبي كانت سوء حَظ، أمَّا الثَّانية...

جريجور يدفع الثَّمن الآن على كلِّ حال. تولَّى المِايستر الأكبر پايسل

مداواة جروح الرَّجل، لكن العويل الذي يسمعه الجميع آتيًا من مسكن المايستر ينمُّ عن أن العلاج لا يمضي كما هو مرغوب، وقال پايسل للمجلس: «اللَّحم يتعفَّن والجروح تنزُّ قيحًا. حتى اليرقات تَرفُض أن تمسَّ تلك النَّتانة، وتشنُّجاته عنيفة للغاية لدرجة أني اضطررتُ لأن أسدَّ فمه بخرقة كي لا يقضم لسانه. لقد استأصلتُ ما جرؤتُ على استئصاله من أنسجة، وحاولتُ علاج اللَّحم المتعفِّن بالنَّبيذ المغلي وعفن الخُبز بلا جدوى. عروق ذراعه تسودُّ، ولمَّا علَّقتُ له العَلق ماتَت العَلقات. أيها السَّادة، يجب أن أعرف المادَّة الخبيثة التي طلى بها الأمير أوبرين حربته. لنحتجز الدورنيِّين الآخَرين إلى أن يُقدِموا على المساعَدة».

رفضَ اللورد تايوين اقتراحه قائلًا: «يكفينا ما سيُثار من متاعب مع (صنسپير) بسبب موت الأمير أوبرين، ولستُ أنوي زيادة الطِّين بلَّة باحتجاز رفاقه».

- «أخشى إذن أن السير جريجور قد يموت».

- «بلا شَك. لقد أقسمتُ على هذا في الرِّسالة التي أرفقتها إلى الأمير دوران مع جثَّة أخيه، لكن لا بُدَّ أن يراه العيان يموت بسيف عدالة الملك لا بحربةٍ مسمومة. عالِجه».

حدَّق إليه المِايستر الأكبر پايسل مرتاعًا، وقال: «سيِّدي...».

- «عالِجه!»، كرَّر اللورد تايوين بغيظ. «تعلم أن اللورد ڤارس أرسلَ عددًا من الصَّيَّادين إلى المياه المحيطة بـ(دراجونستون)، وأبلَغوه بأن قوَّةً رمزيَّةً فقط تبقَّت للدِّفاع عن الجزيرة. اللايسينيُّون رحلوا من الخليج ومعهم الجزء الأكبر من قوَّة اللورد ستانيس».

أعلنَ پايسل: «نِعم ما فعلَ. فليتعفَّن ستانيس في (لِيس). لقد تخلَّصنا منه ومن مطامعه».

- «هل تحوَّلت إلى أحمق خالص حين حلقَ تيريون لحيتك؟ إننا نتكلَّم عن ستانيس باراثيون! هذا الرَّجل سيُقاتِل إلى النِّهاية المريرة وما بَعدها. إذا رحلَ فهذا لا يعني إلَّا أنه ينوي مواصَلة الحرب. غالبًا سيرسو في (ستورمز إند) ويُحاوِل استنهاض لوردات أراضي العواصف، وإذا حدثَ هذا فقد انتهى أمره، لكن رجلًا أجرأ قد يُحاوِل المراهَنة على (دورن)، وإذا نجحَ في ضَمِّ (صنسپير) إلى قضيَّته فقد يُطيل هذه الحرب سنينًا، ولهذا فلن نُغضِب آل

مارتل أكثر لأيِّ سببٍ كان. الدورنيُّون لهم الحرِّيَّة في الرَّحيل، وأنت ستُعالِج السير جريجور».

وهكذا ظَلَّ صُراخ الجبل يتردَّد ليل نهار، ويبدو أن اللورد تايوين لانستر يستطيع إلقاء الرَّهبة في قلب (الغريب) ذاته.

بينما صعدَ چايمي درجات (بُرج السَّيف الأبيض) الملتفَّة ترامى إلى مسامعه غطيط السير بوروس في حُجيرته، ورأى باب السير بالون مغلقًا أيضًا، بما أن عليه تولِّي حراسة الملك اللَّيلة وسينام النَّهار بطوله. بخلاف شخير السير بوروس كان السُّكون يسود البُرج، وهو ما يُناسِب چايمي تمامًا. حريٌّ بي أن أستريح بدوري. ليلة البارحة، بَعد رقصته مع السير أدام، حرمَه ألمه من النَّوم.

لكن حين دخلَ غُرفة نومه وجدَ أخته في انتظاره.

كانت واقفةً عند النَّافذة المفتوحة تتطلَّع من فوق الأسوار إلى البحر، تدور رياح الخليج حولها ضاغطةً فُستانها على جسدها بطريقةٍ جعلَت نبض چايمي يتسارَع، فُستانها الأبيض كالمعلَّقات على الحائط وستائر سريره، تُنير دوَّامات من الزُّمرُّد الدَّقيق طرفَيْ كُمَّيه الواسعين وتدور كالحلزونات على صدره، ويُزيِّن الزُّمرُّد الكبير الشَّبكة الذَّهبيَّة التي ثبَّتتها على شَعرها الذَّهبي، والفُستان نفسه يكشف عن كتفيها وأعلى نهديها. يا لجَمالها. لم يرغب في شيءٍ لحظتها أكثر من أن يحتويها بذراعيه.

أغلقَ الباب بهدوءٍ قائلًا: «سرسي، ماذا تفعلين هنا؟».

قالت: «وأين أذهبُ؟»، والتفتَت إليه لتلوح الدُّموع في عينيها مضيفةً: «أبي وضَّح تمامًا أن وجودي في المجلس لم يَعُد مرغوبًا. ألن تُكَلِّمه يا چايمي؟».

خلعَ معطفه وعلَّقه من مشجبٍ على الحائط، وقال: «إنني أكلِّمُ اللورد تايوين بصفةٍ يوميَّة».

- «أيجب أن تكون عنيدًا هكذا؟ كلُّ ما يُريده...».

- «... أن يُجبِرني على الخروج من الحَرس الملكي ويُعيدني إلى (كاسترلي روك)».

- «ليس الأمر بهذا السُّوء. سيُرسِلني إلى (كاسترلي روك) أيضًا. يُريدني بعيدةً كي تكون له حرِّيَّة التَّصرُّف مع تومن. تومن ابني وليس ابنه!».

- «تومن الملك».
- «إنه طفل! طفل صغير خائف رأى أخاه يُقتَل في زفافه، والآن يقولون له إن عليه أن يتزوَّج. الفتاة في ضِعف سِنِّه وترمَّلت مرَّتين!».
جلسَ برفقٍ على أحد المقاعد محاولًا تجاهُل ألم عضلاته المكدومة، وقال: «آل تايرِل يصرُّون على هذا، ولستُ أرى ضررًا في الأمر. تومن يَشعُر بالوحدة منذ ذهبَت مارسلا إلى (دورن)، ويحبُّ وجود مارچري ورفيقاتها حوله. فليتزوَّجا».
- «إنه ابنك...».
- «إنه من صُلبي، لكنه لم يَدعُني بـ«أبتِ» قَطُّ، مِثله مِثل چوفري. لقد حذَّرتِني ألف مرَّة من إبداء أيِّ اهتمام مفرط بهم».
- «للحفاظ على سلامتهم! وسلامتك أيضًا. كيف كان الأمر ليبدو إذا لعبَ أخي دور الأب مع أطفال الملك؟ حتى روبرت نفسه كان ليرتاب».
- «طيِّب، إنه لم يَعُد يرتاب في شيءٍ الآن». الحقيقة أن موت روبرت ترك مذاقًا مُرًّا في فم چايمي. كان يجب أن أقتله أنا لا سرسي. «تمنَّيتُ فقط أن يموت بيدَيْ». حين كانت لي يدان. «لو تركتُ قتل الملوك يُصبِح عادةً كما أحبَّ أن يُرَدِّد لجعلتك زوجتي على مرأى من العالم أجمع. إنني لا أشعرُ بالخزي من حُبِّي لكِ، وإنما فقط من الأشياء التي فعلتها لأخفيه. ذلك الصَّبي في (وينترفل)...».
- «هل قلتُ لك أن تُلقيه من النَّافذة؟ لو ذهبت للصَّيد كما توسَّلتُ إليك أن تفعل لما حدثَ شيء. لكن لا، كان يجب أن تأخذني، لم تستطِع أن تنتظر حتى نعود إلى المدينة».
- «لقد انتظرتُ طويلًا. كم كرهتُ رؤية روبرت يَدخُل فِراشكِ سكرانًا كلَّ ليلة، أتساءَلُ دائمًا إن كان سيُقَرِّر أن يأخذ حقَّه كزوج اللَّيلة». فجأةً تذكَّر چايمي شيئًا آخَر خالجَه بخصوص (وينترفل)، فقال: «في (ريڤررَن) بدَت كاتلين ستارك مقتنعةً بأني أرسلتُ قاتلًا أجيرًا يذبح ابنها، بأني أعطيته خنجرًا».
قالت ساخرةً: «هذا الأمر؟ تيريون سألَني عنه».
- «كان هناك خنجر بالفعل. النُّدوب على يدَيْ الليدي كاتلين كانت حقيقيَّةً، وقد أرَتني إياها. أأنتِ مَن...».

قاطعَته سرسي مغلِقةً النَّافذة: «أوه، لا تكن سخيفًا. نعم، كنتُ آملُ أن يموت الصَّبي كما أملت أنت، وحتى روبرت اعتقدَ أن موته أفضل، وقال لي: إننا نَقتُل خيولنا حين تكسر ساقًا وكلابنا حين يكفُّ بصرها، لكننا أضعف من أن نُعطي الأطفال المعاقين الرَّحمة نفسها. وقتها كان هو نفسه أعمى من فرط ما شربَه».

روبرت؟ لقد حرسَ چايمي الملك طويلًا بما يكفي لأن يعرف أن روبرت باراثيون اعتادَ أن يقول أشياء وهو سكران ويُنكِرها جُملةً وتفصيلًا بغضبٍ في اليوم التَّالي. «أكنتما وحدكما عندما قال روبرت هذا؟».

قالت سرسي: «آملُ أنك لا تحسب أنه قاله لند ستارك. كنا وحدنا طبعًا، نحن والأطفال»، وخلعَت شبكة شَعرها وعلَّقتها على قائم السَّرير ونفضَت خُصلاتها الذَّهبيَّة مردفةً: «ربما أرسلَت مارسلا ذلك الرَّجل بالخنجر، أهذا ما تظنُّه؟».

كانت سخريةً، لكن چايمي رأى من فوره أنها أصابَت كبد الحقيقة، فقال: «ليس مارسلا، چوفري».

قطَّبت سرسي وجهها قائلةً: «چوفري لم يكن يحبُّ روب ستارك، لكن الصَّبي الآخَر لم يعنِ له شيئًا. وقتها كان طفلًا عن نفسه».

- «طفلًا يتشوَّق لاستحسان السِّكير الذي جعلتِه يعتقد أنه أبوه»، وخطرَت له فكرة مزعجة، فأضافَ: «تيريون كادَ يموت بسبب هذا الخنجر اللَّعين. إذا علمَ أن چوفري كان وراء الأمر كلِّه، فربما لهذا...».

قاطعَته سرسي: «لا أبالي بالسَّبب. فليأخذ أسبابه معه إلى الجحيم. لو رأيت كيف ماتَ چوف... لقد قاتلَ يا چايمي، قاتلَ محاولًا التقاط أنفاسه، ولكن كأن روحًا شرِّيرةً أطبقَت بيديها على حَلقه. الرُّعب الذي أفعمَ عينيه... في صِغره كان يهرع إليَّ حين يخاف أو ينجرح فأحميه، لكن ليلتها لم يكن هناك ما أفعله. تيريون قتلَه أمامي ولم يكن هناك ما أفعله»، وهوَت على رُكبتيها أمام مقعده وأخذَت يده السَّليمة بين يديها، وتابعَت: «چوفري ماتَ ومارسلا في (دورن). تومن كلُّ ما تبقَّى لي. يجب ألَّا تَترُك أبي يأخذه مني يا چايمي، أرجوك».

- «اللورد تايوين لم يَطلُب موافقتي. يُمكنني أن أكلِّمه، لكنه لن يُصغي...».

- «سيُصغي إذا وافقت على ترك الحَرس الملكي».

- «لن أتركَ الحَرس الملكي».

قاومَت أخته دموعها قائلةً: «چايمي، أنت فارسي الصِّنديد. لا يُمكنك أن تتخلَّى عني وأنا في أشدِّ احتياجي إليك! إنه يسرق ابني مني وسيُرَحِّلني من المدينة... وما لم تمنعه سيُجبِرني أبونا على الزَّواج ثانيةً!».

لم يكن يُفترَض أن يندهش چايمي، لكنه اندهشَ، وأصابَت الكلمات أعماقه بعُنفٍ أكبر من أيِّ ضربةٍ وجَّهها له السير أدام ماربراند. «مَن؟».

- «وهل يهمُّ؟ سيكون لوردًا ما أو غيره، أحدًا يظنُّ أبونا أنه في حاجةٍ إليه. لا أبالي، لن أتزوَّج ثانيةً. أنت الرَّجل الوحيد الذي أريده في فِراشي».

- «قولي له هذا إذن!».

سحبَت يديها قائلةً: «تتكلَّم كالمجانين ثانيةً. أتُريد أن نفترق كما فرَّقتنا أمُّنا يوم ضبطَتنا ونحن نلعب؟ سيفقد تومن العرش ومارسلا زواجها... أريدُ أن أكون زوجتك حقًّا، إن مكاننا معًا، لكن ذلك لا يُمكن أن يَحدُث أبدًا يا چايمي. نحن أخ وأخت».

- «آل تارجاريَن...».

- «نحن لسنا من آل تارجاريَن!».

قال ساخرًا: «بهدوء، صوتك العالي سيُوقِظ إخوتي، ولا يُمكننا أن نسمح بهذا، أليس كذلك؟ قد يعرف النَّاس أنك جئتِ لرؤيتي».

ردَّت باكيةً: «چايمي، ألا تحسبني أريدُ هذا كما تُريده بالضَّبط؟ لا يهمُّ بمَن يُزَوِّجوني. أنت مَن أريده إلى جانبي، أنت مَن أريده في فِراشي، أنت مَن أريده في داخلي. لا شيء تغيَّر بيننا، دَعني أثبتُ لك»، ورفعَت سُترته وبدأت تحلُّ أربطة سراويله.

أحسَّ چايمي بنفسه يستجيب، فقال: «لا، ليس هنا». لم يكونا قد فعلاها في (برج السَّيف الأبيض) قَطُّ، ناهيك بغُرفة القائد. «سرسي، ليس هذا المكان المناسب».

قالت: «لقد أخذتَني في السِّپت، وهنا لا يختلف»، وأخرجَت ذَكره ومالَت عليه برأسها.

دفعَها بجَدعة يده اليُمنى قائلًا: «لا، قلتُ ليس هنا»، وأجبرَ نفسه على الوقوف.

لحظةً رأى الارتباك في عينيها الخضراوين اليانعتين مصحوبًا بالخوف، ثم حَلَّ الغضب محلَّهما واستجمعَت سرسي أعصابها ونهضَت وسوَّت تُّورتها قائلةً: «أيدك التي قطعوها في (هارنهال) أم ذكورتك؟»، وهزَّت رأسها لينسدل شَعرها على كتفيها البيضاوين العاريتين، وأردفَت: «كان حُمقًا مني أن آتي. لقد عازَتك الشَّجاعة للانتقام لجوفري، فلِمَ حسبتُ أنك ستحمي تومن؟ أخبِرني، لو قتلَ العِفريت جميع أولادك الثَّلاثة، أكنت لتغضب حينها؟».

- «تيريون لن يُؤذي تومن أو مارسلا، وما زلتُ غير مقتنع بأنه قتلَ جوفري».

انقلبَت سحنتها حنقًا وهي تقول: «كيف تقول هذا؟ بَعد كلِّ تهديداته...».

- «التَّهديدات لا تعني شيئًا. إنه يُقسِم أنه لم يفعلها».

- «أوه، يُقسِم؟ وهل تحسب أن الأقزام لا يكذبون؟».

- «ليس عليَّ، كما لا تكذبين عليَّ أنتِ أيضًا».

- «أيها الأحمق الذَّهبي الكبير. لقد كذبَ عليك ألف مرَّة، وأنا أيضًا»، وعادَت تربط شَعرها والتقطَت الشَّبكة من حيث علَّقتها على قائم السَّرير متابعةً: «اعتقِد ما تعتقده. الوحش الصَّغير في زنزانةٍ سوداء، وقريبًا سيضرب السير إلين رأسه. ربما تحبُّ أن تحتفظ به كتذكار»، ورمقَت الوسادة مضيفةً: «يُمكنه أن يَحرُسك وأنت نائم في فِراشك الأبيض البارد، إلى أن تتعفَّن عيناه على الأقل».

- «يَحسُن أن تذهبي الآن يا سرسي. إنكِ تُغضِبينني».

قالت: «أوه، مُعاق غاضب، إنني أرتجفُ خوفًا»، وضحكَت متابعةً: «مؤسف أن اللورد تايوين لانستر لم يُنجِب أبناءً قَطُّ. كان يُمكن أن أكون الوريث الذي أرادَه، لكن عازَني القضيب. وبهذه المناسَبة، يُستَحسَن أن تدسَّ قضيبك في سراويلك يا أخي، إنه يبدو صغيرًا حزينًا وهو متدلٍّ هكذا».

أخذَ چايمي بنصيحتها حين ذهبَت وعقدَ أربطة سراويله بصعوبةٍ بيدٍ واحدة شاعرًا بوجع عميق في أصابعه الشَّبحيَّة. فقدتُ يدًا وأبًا وابنًا وأختًا وعشيقةً، وقريبًا سأفقدُ أخًا، ومع ذلك يصرُّون على أن عائلة لانستر انتصرت في هذه الحرب.

ارتدى چايمي معطفه ونزلَ إلى الطَّابق السُّفلي، حيث وجدَ السير بوروس بلاونت يشرب كأسًا من النَّبيذ في الحُجرة المشترَكة، فقال له: «حين تَفرُغ من شرابك قُل للسير لوراس إنني مستعدٌّ لرؤيتها».

سألَه السير بوروس الأجبن من أن يفعل أكثر من التَّحديق: «مستعدٌّ لرؤية مَن؟».
- «أخبر لوراس فحسب».
أفرغَ السير بوروس كأسه في جوفه، وقال: «نعم، نعم يا حضرة القائد».
إمَّا أنه تعمَّد استغراق وقتٍ طويل في تنفيذ الأمر وإمَّا أنه لم يَعثُر على فارس الزُّهور بسهولة، إذ مضَت ساعات عدَّة قبل أن يصلا، الشَّاب النَّحيل الوسيم والفتاة الكبيرة القبيحة. كان چايمي جالسًا وحده في الحُجرة البيضاء يتصفَّح (الكتاب الأبيض) بشرود، وقال له السير لوراس: «حضرة القائد، أردت أن ترى عذراء (تارث)؟».
أجابَ مشيرًا لهما بالاقتراب بيُسراه: «أجل. هل تكلَّمت معها إذن؟».
- «كما أمرت يا حضرة القائد».
- «و؟».
توتَّر الصَّبي وهو يُجيب: «إنني... ربما حدثَ الأمر كما قالت أيها الفارس، إن ستانيس هو من فعلَها. لستُ متأكِّدًا».
- «ڤارس قال لي إن أمين القلعة في (ستورمز إند) ماتَ بطريقةٍ غريبة أيضًا».
قالت بريان بحُزن: «السير كورتناي پنروز، رجل صالح».
رَدَّ چايمي: «رجل عنيد. في يوم اعترضَ طريق ملك (دراجونستون)، وفي التَّالي وثبَ من بُرج»، ونهضَ قائلًا: «سير لوراس، سنتكلَّم أكثر في هذه المسألة لاحقًا. يُمكنك أن تَترُك بريان معي».
قرَّر عندما تركَهما تايرل أن الفتاة تبدو قبيحةً خرقاء كالمعتاد. ألبسَها أحدهم ثياب النِّساء من جديد، لكن هذا الفُستان يُناسِبها أكثر كثيرًا من الخرقة الورديَّة الفظيعة التي جعلَها الكبش ترتديها. قال لها: «الأزرق يليق بكِ يا سيِّدتي، يتماشى جيِّدًا مع عينيكِ». وعيناها مدهشتان حقًّا.
خفضَت بريان عينيها تَنظُر إلى نفسها قائلةً بارتباك: «السِّپتة دونيس بطَّنت الصَّدر لتُعطيه هذا الشَّكل. قالت إنك أرسلته لي»، وأضافَت وهي واقفة في مكانها عند الباب كأنها تنوي أن تفرَّ في أيِّ لحظة: «إنك تبدو...».
قال بابتسامةٍ باهتة: «مختلفًا؟ لحم أكثر على ضلوعي وقمل أقل في شَعري، هذا كلُّ شيء. الجَدعة كما هي. أغلِقي الباب وتعالي».

فعلَت كما طلبَ، وقالت: «المعطف الأبيض...».
- «... جديد، لكني واثق بأني سألوِّثه قريبًا».
- «لم يكن هذا... أردتُ أن أقول إنه يُناسِبك»، وتقدَّمت بتردُّدٍ متسائلةً: «چايمي، هل عنيت ما قلته للسير لوراس؟ عن... عن الملك رنلي والظِّل؟».
هَزَّ كتفيه مجيبًا: «كنتُ لأقتل رنلي بنفسي لو التقينا في المعركة، فلِمَ أبالي بمَن ذبحَه؟».
- «لكنك قلت إنني شريفة...».
قاطعَها: «هل نسيتِ أنني قاتِل الملك الملعون؟ عندما أقولُ إنكِ شريفة فكأن عاهرةً تُشيد بعُذريَّتكِ»، ومالَ إلى الوراء ورمقَها قائلًا: «ذو السَّاقين الفولاذ في طريق العودة إلى الشَّمال ليُسَلِّم آريا ستارك إلى رووس بولتون».
صاحَت ملتاعةً: «أعطيتها إياه؟! لقد أقسمت لليدي كاتلين...».
- «والسَّيف على عُنقي، لكن لا عليكِ بهذا. الليدي كاتلين ماتَت، ولا أستطيعُ أن أعيد إليها البنتين حتى لو كانتا عندي، ثم إن الفتاة التي أرسلَها أبي مع والتون ليست آريا ستارك».
- «ليست آريا ستارك؟».
- «كما سمعتِ. السيِّد والدي عثرَ على فتاةٍ شماليَّة أقرب إليها في السِّنِّ واللَّون، وألبسَها الأبيض والرَّمادي وأعطاها ذئبًا فضِّيًّا تُثبَّت به معطفها وأرسلَها لتتزوَّج نغل بولتون»، ورفعَ جَدعته ليُشير إليها مضيفًا: «أردتُ أن أخبركِ بهذا قبل أن تهرعي لإنقاذها وتجلبي على نفسكِ الموت بلا داعٍ. البراعة لا تَنقُصكِ في استخدام السَّيف، لكن ليس لدرجة أن تتغلَّبي على مئتي رجلٍ بمفردكِ».
هزَّت بِريان رأسها قائلةً: «عندما يعرف اللورد بولتون أن أباكَ دفعَ له بعُملةٍ زائفة...».
- «أوه، إنه يعرف. أولاد لانستر يكذبون، أتَذكُرين؟ لكن لا فرق، فهذه الفتاة تفي بغرضه. مَن سيقول إنها ليست آريا ستارك؟ جميع من كانوا قريبين من الفتاة ماتوا باستثناء أختها التي اختفَت».
- «لماذا تُخبرني بهذا إذا كان حقيقيًّا؟ إنك تخون أسرار أبيك هكذا».
أسرار اليد. لم يَعُد لي أب. «إنني أسدِّدُ ديوني ككلِّ شبلٍ صالح. لقد

وعدتُ الليدي ستارك بابنتيها... وإحداهما لا تزال حيَّةً. ربما يعرف أخي مكانها، لكن إذا كان الأمر كذلك فإنه يَرفُض أن يقول. سرسي مقتنعة بأن سانزا ساعدَته على اغتيال چوفري».

زمَّت الفتاة فمها بعنادٍ قائلةً: «لن أصدِّق أن تلك الفتاة الرَّقيقة يُمكنها أن تَقتُل بالسُّم. الليدي كاتلين قالت إن لها قلبًا محبًّا. أخوك هو من فعلَها. السير لوراس قال إن محاكَمةً عُقِدَت».

- «محاكَمتان في الواقع، وخذلَته الكلمات والسُّيوف. كانت فوضى داميةً. هل شاهدتِ من نافذتكِ؟».

- «زنزانتي تُواجِه البحر، لكني سمعتُ الصِّياح».

- «الأمير أوبرين الدورني ماتَ، والسير جريجور كليجاين يموت، وتيريون مُدان في أعيُن الآلهة والبَشر. إنه محبوس في زنزانةٍ سوداء إلى أن يَقتُلوه».

قالت بريان ناظرةً إليه: «لست تُصدِّق أنه فعلَها».

رماها چايمي بابتسامةٍ قاسية قائلًا: «أترين يا هذه؟ كلانا يعرف الثَّاني جيِّدًا جدًّا. تيريون أرادَ أن يكون أنا منذ خطا خُطوته الأولى، لكن مستحيل أن يتبعني في قتل الملوك. سانزا ستارك قتلَت چوفري وأخي صمتَ حمايةً لها. أحيانًا تُصيبه نوبات الشَّهامة هذه. آخِر مرَّةٍ كلَّفته أنفه، وهذه المرَّة ستُكَلِّفه رأسه».

- «لا. ابنة سيِّدتي لم تفعلها، لا يُمكن أنها هي».

- «ها هي الفتاة الغبيَّة العنيدة التي أذكرها».

قالت بوجهٍ محتقن: «اسمي...».

زفرَ چايمي، وقال: «بريان التارثيَّة. عندي هديَّة لك»، ومَدَّ يده تحت كُرسي القائد وأخرجَ الهديَّة المغلَّفة بطيَّات المخمل القرمزي.

اقتربَت بريان كأن الحزمة على وشك أن تلدغها، ومدَّت يدها الضَّخمة المنمَّشة وأزاحَت طيَّةً من القماش. تألَّق الياقوت في الضَّوء، والتقطَت الفتاة الكنز بحذرٍ وكوَّرت أصابعها حول المقبض الجِلدي وأخرجَت السَّيف ببُطءٍ من غِمده، فبرقَت تموُّجات اللَّيل والدَّم وسرى خيط من الضَّوء المنعكس على الحافة. «أهذا فولاذ ڤاليري؟ لم أرَ ألونًا كهذه قطُّ».

قال: «ولا أنا. كنتُ لأتخلَّى عن يُمناي في الماضي لأحمل سيفًا كهذا، والآن وقد فقدتها لم يَعُد السَّيف ينفعني. خُذيه»، وقبل أن تُفَكِر في الرَّفض واصلَ: «يجب أن يكون لسيفٍ بهذه الرَّوعة اسم. سيسرُّني أن تُسَمِّيه (حافِظ العهد). شيء آخَر، السَّيف له ثَمن».

اربدَّ وجهها وهي تقول: «قلتُ لك إنني لن أخدم...».

- «... مخلوقاتٍ كريهة مِثلنا، نعم، أذكرُ. اسمعيني يا بِريان. كلانا حلفَ يمينًا تخصُّ سانزا ستارك. سرسي تُريد العثور على الفتاة وقتلها أينما اختبأَت...».

التوى وجه بِريان الدَّميم ثورةً، وقالت: «إذا كنت تعتقد أني سأوذي ابنة سيِّدتي مقابل سيفٍ فأنت...».

قاطعَها بحدَّةٍ وقد أغضبَه ظنُّها: «اسمعي! أريدكِ أن تَعثُري على سانزا أولًا وتأخذيها إلى مكانٍ آمن. هل من وسيلةٍ أخرى لحفظ القَسم السَّخيف الذي أقسمناه لسيِّدتك الميتة كاتلين؟».

حملقَت إليه قائلةً: «ظننتُ... ظننتُ...».

- «أعرفُ ما ظننتِه». فجأةً وجدَ چايمي نفسه لا يُطيق منظرها. تثغو كالخراف لا أكثر. «حين ماتَ ند ستارك أُعطِيَ سيفه العظيم لعدالة الملك، لكن أبي ارتأى أن سيفًا ممتازًا مِثله خسارة في مجرَّد جلَّاد، فأعطى السير إلين سيفًا جديدًا وأمرَ بإذابة (جليد) وإعادة تطريقه، وكان المعدن يكفي سيفين جديدين تحملين واحدًا منهما الآن، أي أنكِ ستُدافِعين عن ابنة ند ستارك بفولاذ ند ستارك إذا كان هذا يُشَكِّل أيَّ فارقٍ عندك».

- «أيها الفارس، إنني... إنني مدينة لك باعتـ...».

عادَ يُقاطِعها: «خُذي السَّيف اللَّعين وارحلي قبل أن أغيِّر رأيي. ثمَّة فَرس بنِّيَّة في الاسطبل، لا تقلُّ دمامةً عنكِ لكنها أفضل تدريبًا. لاحِقي ذا السَّاقين الفولاذ أو ابحثي عن سانزا أو عودي إلى وطنكِ في جزيرة الصَّفير، لا أبالي. لا أريدُ أن أراكِ ثانيةً».

- «چايمي...».

- «قاتِل الملك. استخدمي هذا السَّيف لتنظيف أُذنيكِ من الشَّمع يا هذه. انتهينا».

أصرَّت على الكلام بعنادٍ قائلةً: «چوفري كان...».
- «مليكي، لنكتفِ بهذا».
- «تقول إن سانزا قتلته، فلِمَ تُريد حمايتها؟».
لأن چوفري لم يعنِ لي أكثر من قطرة منيٍّ في فرجِ سرسي، ولأنه استحقَّ الموت. أجابَها: «لقدَ صنعتُ ملوكًا ودمَّرتهم. هذه فُرصتي الأخيرة لمنال الشَّرف»، ورسمَ على شفتيه ابتسامةً رفيعةً مضيفًا: «كما أن على قتَلة الملوك أن يتآزروا. هل ستذهبين أم ماذا؟».
التفَّت يدها الكبيرة بإحكام حول (حافظ العهد)، وقالت: «سأفعلُ، وسأعثرُ على الفتاة وأحافظُ على سلامتها، لأجل خاطر أمِّها ولأجل خاطرك»، وانحنَت بجمودٍ ثم دارَت على عقبيها وذهبَت.
وجلسَ چايمي وحده إلى المائدة فيما زحفَت الظِّلال على الحُجرة، وإذ بدأ الغسق يتوغَّل أشعلَ شمعةً وفتحَ (الكتاب الأبيض) على صفحته، وأخرجَ ريشةً وحبرًا من دُرج. تحت السَّطر الأخير الذي دوَّنه السير باريستان، كتبَ بخَطٍّ رديء كان من يراه يتصوَّر أن صاحبه في السَّادسة من العُمر، وقد بدأ لتوِّه يتعلَّم الكتابة من المايستر:
هزمَه الذِّئب الصَّغير روب ستارك في (الغابة الهامسة) خلال حرب الملوك الخمسة. حُبسَ في (ريڤرران) وأُطلِق سراحه مقابل وعدٍ لم يفِ به. أُسرَ ثانيةً على يد رفقَة الشُّجعان وشُوِّهَ بأمر من قائدها ڤارجو هوت، ففقدَ يده حاملة السَّيف بضربةٍ من زولو السَّمين. أعادَته آمنًا إلى (كينجز لاندنج) بريان عذراء (تارث).
حين فرغَ كان أكثر من ثلاثة أرباع الصَّفحة خاليًا في انتظار المَلء بين التُّرس القرمزي بالأعلى والتُّرس الأبيض بالأسفل. السير چيرولد هايتاور بدأ سيرته، والسير باريستان سلمي واصلَها، لكن على چايمي لانستر أن يَكتُب البقيَّة بنفسه، ومن الآن فصاعدًا يستطيع أن يَكتُب ما يختاره أيًّا كان.
ما يختاره أيًّا كان...



چون

عصفَت الرِّيح مِن الشَّرق بضراوةٍ رجَّت القفص الثَّقيل كلما أطبقَت عليه هبَّةٌ منها بأسنانها، وراحَت تصفر بطول (الجدار) مرتعدةً على الجليد وجاعلةً معطفه يخفق ويضرب القضبان، وقد تخضَّبت السَّماء بدرجةٍ قاتمة من الرَّمادي أحالَت الشمس إلى مجرَّد رُقعةٍ من الألق الباهت وراء السَّحاب، وعبر أرض المقتلة رأى چون وهج ألف بؤرة نارٍ مشتعلة، لكن أضواءها بدَت ضئيلةً عاجزةً عن مناهَضة العتمة والبرد.

نهار كئيب. طوَّق چون سنو قضيبين بيديه وتشبَّث بهما إذ عادَت مطرقة الرِّيح تهوي على القفص، وعندما نظرَ إلى أسفل تحت قدميه مباشرةً وجدَ الأرض غائبةً في الظِّلال، كأنهم يُنزلونه إلى حُفرةٍ بلا قرار. الموت في حَدِّ ذاته حُفرة بلا قرار، وحين ينتهي عملَ اليوم ستكتنف اسمي الظِّلال إلى الأبد.

يقولون إن النُّغول يُولَدون من باءة الشَّهوة والأكاذيب، فِطرتهم الفسوق والغدر، وفي السَّابق عزمَ چون على أن يُثبت خطأ ادِّعائهم هذا، ليُري السيِّد والده أنه يستطيع أن يكون ابنًا صالحًا وفيًّا كروب. وأفسدتُ الأمر. روب أصبحَ ملكًا بطلًا، وإذا ذُكِرَ چون على الإطلاق فسيُذكُر باعتباره مرتدًّا قاتلًا ناكث عهد. إنه مسرور لأن اللورد إدارد لم يَعِش ليشهد عاره.

كان عليَّ أن أبقي في ذلك الكهف مع إيجريت. يأمل إذا كان هناك عالم آخَر بَعد هذا العالم أن يقول لها هذا. ستخمش وجهي كما فعل النَّسر وتلعنني لجُبني، لكني سأقول لها رغم ذلك. راحَ يبسط يد سيفه ويقبضها كما علَّمه المايستر إيمون، تلك العادة التي باتَت جزءًا منه، كما يجب أن تكون أصابعه مرنةً إذ أرادَ أن ينال ولو مجرَّد نِصف فُرصةٍ لاغتيال مانس رايدر.

هذا الصَّباح أخرَجوه بَعد أربعة أيام في الجليد أمضاها حبيس زنزانةٍ طولها وعرضها وارتفاعها خمسة أقدامٍ، أوطأ من أن يقف وأضيق من أن يتمدَّد على ظَهره. منذ أمدٍ طويل اكتشفَ الوُكلاء أن اللَّحم يبقى سليمًا فترةً أطول في المخازن الجليديَّة المحفورة في قاعدة (الجدار)... أمَّا السُّجناء فلا. «ستموت هنا يا لورد سنو»، قال السير أليسر قُبيل أنَ يُغلِق الباب الخشبي الثَّقيل، وصدَّقه چون، لكنهم أتوا هذا الصَّباح وأخرَجوه وساقوا جسده المتشنِّج المرتجف إلى (بُرج الملك) ليقف أمَام چانوس سلينت ولُغده مرَّةً أخرى.

أعلنَ سلينت: «المِايستر العجوز يقول إنني لا أستطيعُ أن أشنقك. لقد كتبَ لكوتر پايك، بل وأراني الرِّسالة بكلٍّ وقاحةٍ أيضًا. يقول إنك لست مارقًا».

قال له السير أليسر: «إيمون عاشَ طويلًا جدًّا يا سيِّدي، وانطفأ عقله مع عينيه».

- «نعم، رجل هَرِم يُحيط عُنقه بسلسلة. مَن يخال نفسه؟».

أجابَه چون في سريرته: إيمون تارجارين، ابن ملكٍ وشقيق ملكٍ وكان سيُصبح ملكًا أيضًا، لكنه لم يقل شيئًا.

واصلَ سلينت: «لكني لن أدع أحدًا يقول إن چانوس سلينت شنقَ رجلًا ظُلمًا، لن أفعل، ولذا قرَّرتُ أن أعطيك فُرصةً أخيرةً لتُثبت الولاء الذي تدَّعيه يا لورد سنو، فُرصةً أخيرةً لتُؤدِّي واجبك، نعم!»، ونَهضَ مضيفًا: «مانس رايدر يُريد التَّفاوُض معنا. إنه يعرف أن فُرصته صارَت معدومةً الآن وقد جاءَ چانوس سلينت، وعليه يُريد ملك ما وراء الجدار هذا أن يتفاوَض، لكنه جبان ولن يأتينا بنفسه. لا ريب أنه يعلم أني سأعلِّقه من قدميه من قمَّة (الجِدار) على حبلٍ طوله مئتا قدم! لكنه لن يأتي، ويَطلُب أن نُرسِل له مندوبًا».

ابتسمَ اللورد أليسر قائلًا: «وسنُرسِلك أنت يا لورد سنو».

قال چون بلهجةٍ محايدة: «أنا؟ ولِمَ أنا؟».

رَدَّ ثورن: «لأنك ركبت مع هؤلاء الهَمج ومانس رايدر يعرفك، أي أنه سيكون ميَّالًا أكثر للثِّقة بك».

كان كلامه عين الخطأ حتى إن چون كادَ يضحك، وقال: «على النَّقيض

تمامًا. مانس ارتابَ فيَّ من البداية، وإذا ظهرتُ في معسكَره من جديدٍ مرتديًا المعطف الأسود وأتكلَّمُ نيابةً عن حَرس اللَّيل سيعرف أني خُنته».

قالت سلينت: «لقد طلبَ مندوبًا وسنُرسِل واحدًا. إذا كنت أجبن من أن تُواجِه ذلك الملك المارِق فيُمكننا أن نُعيدك إلى زنزانتك الجليديَّة، دون فروٍ هذه المرَّة في رأيي، نعم».

قال السير أليسر: «لا داعي يا سيِّدي، اللورد سنو سيفعل كما نَطلُب. إنه يُريد أن يُرينا أنه ليس مارِقًا، يُريد أن يُقدِّم دليلًا دامغًا على إخلاصه لحَرس اللَّيل».

أدركَ چون أن ثورن أذكى من الثَّاني بكثير. المسألة تفوح منها رائحته بوضوح، وقد أوقعَه في الشَّرك. هكذا قال باختصارٍ واقتضاب: «سأذهبُ».

قال چانوس سلينت: «يا سيِّدي، ستُخاطِبني بـ...».

- «سأذهبُ يا سيِّدي. لكنك مخطئ يا سيِّدي. ستُرسِل الرَّجل الخطأ يا سيِّدي. مجرَّد منظري سيُغضِب مانس، وستكون لسيِّدي فُرصة أكبر للاتِّفاق على شروطٍ إذا...».

قاطعَه السير أليسر مقهقهًا: «شروط؟».

- «چانوس سلينت لا يتفاوَض على شروطٍ مع البرابرة الخارجين عن القانون يا لورد سنو، نعم، لا يفعل هذا أبدًا».

أضافَ ثورن: «لن نُرسِلك لتتكلَّم مع مانس رايدر، سنُرسِلك لتَقتُله».

صفرَت الرِّيح بين القضبان وارتعشَ چون مستشعرًا نبض الألم في ساقه ودقَّاته في رأسه. إنه ليس في حالةٍ تسمح بأن يَقتُل هُريرةً، لكن ها هو ذا. الشَّرك له أسنان. إصرار المِايستر إيمون على براءته جعلَ اللورد چانوس لا يجرؤ على تركه يموت في الجليد، أمَّا هذه فوسيلة أفضل. في (أنياب الصَّقيع) قال له كورين ذو النِّصف يد: «شَرفنا لا يسوى أكثر من حياتنا ما دامَت البلاد آمنةً»، وعليه أن يتذكَّر هذا. سواء أقتلَ مانس أم حاولَ وأخفقَ سيَقتُله الأحرار. حتى التَّهرُّب من الخدمة مستحيل إذا أرادَ أن يتهرَّب، فعند مانس ثبتَ كذبه وخيانته.

حين اهتزَّ القفص وتوقَّف وثبَ چون إلى الأرض وخلخلَ مخلبه الطَّويل في غِمده. كانت البوَّابة تَبعُد ياردات قليلة إلى يساره، لا تزال تسدُّها السُّلحفاة

الخرِبة وتحتها تتعفَّن جثَّة الماموث، وثمَّة جُثث أخرى ملقاة بين البراميل المحطَّمة والقار المتجمِّد ورُقع الكلأ المحروق، وعلى كلِّ شيءٍ يُلقي (الجدار) ظِلَّه. لم يرغب چون في التَّواني هنا، وعمدَ إلى معسكَر الهَمج مارًّا بجيفة عملاقٍ حطَّم حجر رأسه، بينما يلتهم غُراب قِطعًا صغيرةً من مُخِّه المسحوق داخل جمجمته. رفعَ الغُراب رأسه لدى مروره، وصرخَ فيه: «سنو، سنو، سنو!»، ثم بسطَ جناحيه وحلَّق.

لم يكد يتحرَّك حتى خرجَ خيَّال منفرد من معسكَر الهَمج وتقدَّم صوبه، فتساءلَ إن كان مانس قد خرجَ بنفسه للتَّفاوُض في المنطقة المحرَّمة، وقال لنفسه: قد يجعل هذا الأمر أسهل، مع أن لا شيء سيجعله سهلًا. لكن إذ تقلَّصت المسافة بينهما رأى چون أن الرَّاكب قصير القامة عريض الكتفين، تلتمع الحلقات الذَّهبيَّة على ذراعيه الغليظتين وتنسدل لحيته البيضاء على صدره الضَّخم.

ولمَّا التقيا قال تورموند بصوتٍ جهوري: «هار! الغُراب چون سنو. خشيتُ أننا لن نراك ثانيةً».

- «لم أكن أعلمُ أنك تخشى أيَّ شيءٍ يا تورموند».

جعلَ ردُّه الهمجي يبتسم مِلء شِدقيه ويقول: «أحسنت القول يا فتى. أرى أن معطفك أسود. لن يُعجِب هذا مانس. إذا جئت تُبَدِّل ولاءك ثانيةً فخيرٌ لك أن تُعاود صعود جِداركم هذا».

- «أرسَلوني لأتباحَث مع ملك ما وراء الجدار».

قال تورموند ضاحكًا: «تتباحَث؟ كلمة أنيقة حقًّا. هار! مانس يُريد أن يتكلَّم، هذا صحيح، لكني لا أظنُّه سيُريد الكلام معك أنت».

- «أنا مَن أرسَلوا».

- «أرى هذا. هيا بنا إذن. أتُريد أن تركب؟».

- «يُمكنني أن أمشي».

دوَّر تورموند حصانه نحو معسكَر الهَمج قائلًا: «قاتلتمونا بصلابةٍ هنا أنت وإخوتك، أعترفُ بهذا. مئتان من القتلى منهم دستة من العمالقة. ماج نفسه دخلَ من بوَّابتكم هذه ولم يَخرُج ثانيةً».

- «لقد ماتَ بسيف رجلٍ شُجاع اسمه دونال نوي».

- «حقًّا؟ أكان دونال نوي هذا من كبار اللوردات؟ أحد فُرسانكم الأشاوس ذوي الثِّياب الدَّاخليَّة الفولاذ؟».

- «كان حدَّادًا بذراعٍ واحدة».

صاحَ تورموند: «حدَّاد بذراع واحدة قتلَ ماج الجبَّار؟ هار! لا بُدَّ أنه كان قتالًا مدهشًا. سيُؤلِّف مانس أغنيَّةً عنه، سترى»، والتقطَ قِربة ماءٍ من سَرجه وخلعَ السِّدادة قائلًا: «سيُدفِئنا هذا قليلًا. نخب دونال نوي وماج الجبَّار»، وأخذَ جَرعةً كبيرةً ثم ناولَ چون القِربة.

- «نخب دونال نوي وماج الجبَّار». وجدَ چون القِربة ملأى بالبتع، غير أنه بتع شديد القوَّة جعلَ عينيه تدمعان وأشعلَ النَّار في صدره، لكنه رحَّب بالدِّفء بَعد ما قضاه من أيامٍ في الزِّنزانة الجليديَّة والبرد الذي أصابَه عند ركوب القفص.

استعادَ تورموند القِربة وأخذَ جَرعةً كبيرةً أخرى، ثم مسحَ فمه قائلًا: «ماجنَر (ثِن) أقسمَ لنا أنه سيفتح البوَّابة على آخِرها، وما علينا إلَّا أن نَدخُل مغنِّين. كان سيهدم (الجدار)».

- «هدمَ جزءًا منه بالفعل... على رأسه».

قال تورموند: «هار! على أيِّ حال ستير لم يَرُقني قَطُّ. إذا كان الرَّجل بلا لحيةٍ أو أذنين أو شَعر فليس لديه ما تُطبق عليه عندما تُقاتِله». كان يقود حصانه بتأنٍّ كي يُجاريه چون الذي يحجل إلى جواره، وسألَه: «ماذا حدثَ لساقك هذه؟».

- «سهم، أظنُّه أحد سهام إيجريت».

- «يا لها من امرأة. في يومٍ تُقبِّلك وفي التَّالي تغرس فيك السِّهام».

- «لقد ماتت».

غمغمَ تورموند: «حقًّا؟»، وهَزَّ رأسه بحُزنٍ مواصلًا: «خسارة. لو كنتُ أصغر عشرة أعوام لاختطفتها بنفسي. ذلك الشَّعر الذي تمتَّعت به... لكن أحرَّ النَّار ينطفئ أسرع من غيره»، ورفعَ قِربة البتع قائلًا: «نخب إيجريت التي قبَّلتها النَّار!»، وتجرَّع بعُمق.

تناولَ چون القربة منه وردَّد: «نخب إيجريت التي قبَّلتها النَّار»، وتجرَّع بعُمقٍ أكبر.

- «أنت مَن قتلَها؟».
- «أخي». لم يعرف چون قَطُّ مَن فعلَها، ويأمل ألَّا يعرف أبدًا.

قال تورموند بنبرةٍ فظَّة وإنما رفيقة على نحو غريب: «يا لكم من غِربان ملاعين. ذو الحربة الطَّويلة هذا سرقَ ابنتي، موندًا تفَّاحة الخريف الصَّغيرة، أخذَها من خيمتي وإخوتها الأربعة حولها. توريج المغفَّل الكبير كان نائمًا، وتوروويند... اسمه توروويند المروَّض، وهو ما يُخبِرك بكلِّ شيءٍ عنه، أليس كذلك؟ لكن الصَّغيرَيْن قاوَما الفتى».

سألَه چون: «وموندا؟».

أجابَه تورموند بفخر: «إنها من دمي. لقد شقَّت شفته وقضمَت نِصف أُذنه، وسمعتُ أنه لا يستطيع ارتداء معطفه من فرط ما على ظَهره من خدوش. لكنها تحبُّه. ولِمَ لا؟ إنه لا يُقاتِل بحربةٍ كما تعلم، ولم يفعل قَطُّ، فكيف تحسبه حصلَ على اسمه هذا؟ هار!».

ضحكَ چون رغمًا عنه، حتى الآن، حتى هنا. كانت إيجريت مغرمةً برايك ذي الحربة الطَّويلة، ويتمنَّى أنه وجدَ قليلًا من السَّعادة مع ابنة تورموند موندا. على أحدٍ ما أن يجد سعادةً ما في مكانٍ ما.

كانت إيجريت لتقول له: لستَ تعلم شيئًا يا چون سنو، فقال في نفسه: أعلمُ أني سأموتُ، أعلمُ هذا على الأقل، فكادَ يسمعها تقول: كلُّ رجلٍ يموت، وكلُّ امرأةٍ أيضًا، وكلُّ مخلوقٍ يطير أو يسبح أو يجري. لا يهمُّ متى يأتي الموت، المهمُّ كيف يأتي يا چون سنو. ردَّ عليها بأفكاره: يَسهُل عليكِ أن تقولي هذا. لقد مُتِّ بشَجاعةٍ في المعركة وأنتِ تقتحمين قلعة الأعداء، أمَّا أنا فسأموتُ مارقًا قاتلًا. ولن تكون ميتته سريعةً كذلك، ما لم تأتِ بسيف مانس.

سرعانَ ما صارا وسط الخيام. كان معسكر هَمج تقليديًّا، فوضى ممتدَّة من بؤر نار الطَّهي وحُفر الفضلات والأطفال والماعِز المتجوِّلين بحرِّيَّة والغنم الثَّاغية بين الأشجار وجلود الخيل المعلَّقة تجفُّ، بلا تخطيط، بلا نظام، بلا دفاعات، لكن الرِّجال والنِّساء والحيوانات في كلِّ مكان.

كثيرون تجاهَلوه، لكن مقابل كلِّ واحدٍ انصرفَ إلى حال سبيله توقَّف عشرة يَرمُقونه، أطفال قابعون عند النَّار وعجائز في عرباتٍ تجرُّها الكلاب وأهل كهوف بوجوهٍ مطليَّة وهجَّامة بمخالب وثعابين ورؤوس مبتورة

مرسومة على تروسهم، كلُّهم التفتوا ونظروا إليه. رأى چون زوجاتٍ حِرابًا أيضًا، تُرَفرِف شعورهن الطَّويلة في الرِّيح المحمَّلة بروائح الصَّنوبر التي تهفُّ بين الشَّجر.

لا توجَد تلال هنا، لكن خيمة مانس رايدر المصنوعة من الفرو الأبيض نُصِبَت على بُقعةٍ حجريَّة مرتفعة من الأرض على حافة الأشجار، ينتظر ملك ما وراء الجدار خارجها في معطفه الأحمر والأسود المهترئ الخافق في الرِّيح، ورأى چون هارما رأس الكلب معه وقد عادَت من غاراتها وهجماتها المخادعة بطول (الجدار)، بالإضافة إلى ڤارامير سِت جلود الذي يُصاحِبه قِطُّ الظِلِّ وذئبان أشهبان أعجفان.

حين رأوا مبعوث الحَرس دوَّرت هارما رأسها وبصقَت، وكشَّر أحد ذئبَيْ ڤارامير عن أنيابه وزمجرَ، وقال مانس رايدر: «لا بُدَّ أنك شديد الشَّجاعة أو شديد البلاهة يا چون سنو ما دُمت تعود إلينا مرتديًا معطفًا أسود».

- «وماذا يرتدي رجل حَرس اللَّيل غير هذا؟».

قالت هارما بإلحاح: «اقتُله. أعِد لهم جثَّته في قفصهم هذا وقُل لهم أن يُرسِلوا أحدًا غيره. سأحتفظُ برأسه لرايتي. المارِقون أسوأ من الكلاب».

وقال ڤارامير بنبرةٍ هادئة: «لقد حذَّرتك من زيفه. رائحته لم تَرُقني قطُّ»، لكن قِطَّ الظِّلِّ كان يُحَدِّق إلى چون بجوعٍ بعينيه الرَّماديَّتين المشوقتين.

وثبَ تورموند بليَّة العماليق من فوقَ حصانه قائلًا: «أبعِد مخالبك أيها الحيواني. الصَّبي هنا ليسمع. ضَع كَفًّا عليه، ولربما أصنعُ لنفسي ذلك المعطف الذي أريده من فرو قِططة الظِّل».

قالت هارما بازدراء: «تورموند عاشق الغِربان، ما أنت إلَّا متبجِّح كبير أيها العجوز».

لمبدِّل الجِلدة وجه رمادي ضاوٍ وكتفان مستديرتان ورأس أصلع، رجل أشبه بفأر له عينان ذئبيَّتان، وقد قال بنبرةٍ ناعمة: «ما إن يخضع الحصان للسَّرج يستطيع أيُّ أحدٍ أن يمتطيه، وما إن يلتحم الحيوان بالإنسان يستطيع أيُّ مبدِّل جلدة أن يتلبَّسه ويركبه. أورل كان يَذبُل في ريشه، فأخذتُ نسره لنفسي، لكن الالتحام يعمل في الاتِّجاهين أيها الوارْج. أورل يعيش في داخلي الآن، يهمس لي كم يبغضك، وأستطيعُ أن أحلِّق فوق جِداركم وأرى بعينَيْ النَّسر».

قال مانس: «أي أننا نعلم، نعلم كم كان عددكم قليلًا حين أوقَفتم السُّلحفاة، ونعلم كم رجلًا جاءَ من (القلعة الشَّرقيَّة)، ونعلم كم تضاءلَت مؤنكم من القار والزَّيت والسِّهام والحِراب. حتى سلالمكم تهدَّمت، والقفص لا يتَّسع لكثيرين. نعلم كلَّ شيء، والآن تعلم أننا نعلم»، ورفعَ سديلة باب الخيمة مردفًا: «ادخُل، ولينتظر بقيَّتكم هنا».

سألَ تورموند: «ماذا؟ حتى أنا؟».

- «أنت بالذَّات، دائمًا».

كان الجَوُّ دافئًا في الدَّاخل، وقد اشتعلَت نار صغيرة تحت فتحات التَّهوية وتصاعدَ الدُّخان من المستوقَد الموضوع قُرب كومة الفرو التي تمدَّدت عليها دالا ممتقعةً تتصبَّب عرقًا. كانت تُمسِك يدها أختها ڤال التي تذكَّرها چون، وقال لها: «لقد أسفتُ حين سقطَ چارل».

رمقَته ڤال بعينيها الرَّماديَّتين الشَّاحبتين، وقالت: «كان يتسلَّق بسُرعةٍ دومًا». ما زالَت جميلةً كما يَذكُرها، هفهافة القوام وعامرة النَّهدين ورشيقة حتى في ثباتها، عظام وجنتيها مرتفعة حادَّة وشَعرها عسليٌّ غزير ينسدل إلى خاصرتها.

قال مانس: «دالا تُوشِك على الوضع. ستبقى هي وڤال هنا، إنهما تعرفان ما أنوي أن أقوله».

حافظَ چون على وجهه ثابتًا كالجليد وهو يُفكِّر: كريه كفايةً أن أقتل رجلًا غيلةً في خيمته تحت هُدنة. أيجب أن أقتله أمام زوجته بينما يُولَد طفلهما؟ أغلقَ أصابع يد السَّيف ملاحظًا أن مانس لا يرتدي دِرعًا، لكن سيفه مغمَد ومعلَّق من وَركه الأيسر، وثمَّة أسلحة أخرى في الخيمة؛ خناجر وسكاكين وقوس وكنانة سهام وحربة برأسٍ من البرونز إلى جوار هذا...

... البوق الأسوَد الكبير.

واحتبسَت أنفاس چون.

بوق حربي، بوق حربي عظيم.

قال مانس: «نعم، بوق الشِّتاء الذي نفخَ فيه چورامون مرَّةً ليُوقِظ العمالقة من الأرض».

البوق ضخم حقًّا، انحناءته تَبلُغ الثَّمانية أقدام طولًا وفوَّهته واسعة لدرجة

أنه يستطيع أن يدسَّ ذراعه فيها حتى المِرفق. إذا جاءَ هذا الشَّيء من ثور برِّي فهو أضخم ثورٍ عرفَه العالم على الإطلاق. حسبَ في البداية أن الحلقات المحيطة به من البرونز، لكن إذ دنا أدركَ أنها من الذَّهب. ذهب عتيق، بنِّي أكثر من أصفر، ومنقوش بالأبجديَّة القديمة.

- «إيجريت قالت إنكم لم تَعثُروا على البوق».

- «أتعتقد أن الغِربان وحدهم يكذبون؟ لقد أعجبتني بما فيه الكفاية بالنِّسبة لنغل... لكني لم أثق بك قَطُّ. على مَن يُريد ثقتي أن يسعى إلى كسبها».

واجهَه چون متسائلًا: «إذا كان بوق چورامون معك طيلة الوقت، فلِمَ لم تستخدمه؟ لماذا تُكَلِّف نفسك عناء بناء السَّلاحف وإرسال التِّنِّين لقتلنا في أسرَّتنا؟ إذا كان هذا البوق كما وردَ في الأغاني حقًّا، فلِمَ لا تَنفُخ فيه وتُنهي الأمر؟».

أتَته الإجابة من دالا، دالا المنتفخ بطنها حملًا والمستلقية على كومة الفرو عند المستوقَد: «نحن شعب الأحرار نعرف أشياء نسيتموها أيها الرُّكَّع. أحيانًا لا يكون الطَّريق الأقصر هو الأسلم يا چون سنو. ذات مرَّةٍ قال اللورد ذو القرنين: إن الشَّعوذة سيف بلا مقبض، ليست هناك وسيلة آمنة للقبض عليه».

مرَّر مانس يده على منحنى البوق العظيم قائلًا: «لا أحد يذهب للصَّيد بسهم واحد في جَعبته. كنتُ آملُ أن يُباغِت ستير وچارل إخوتك ويفتحا لنا البَوَّابة، وقد اجتذَبتُ حاميتكم بالغارات والهجمات الخادعة والثَّانويَّة، وابتلعَ باون مارش الطُّعم كما توقَّعتُ بالضَّبط، على أن شِرذمتكم من المعاقين واليتامى أثبتَت أنها أكثر عنادًا مما قدَّرتُ. لكن لا تحسب أنكم ردعتمونا، فالحقيقة أنكم قلَّة ونحن كُثر. يُمكنني أن أواصل الهجوم هنا وفي الوقت نفسه أرسلِ عشرة آلاف رجل ليَعبُروا (خليج الفقمات) بالأطواف ويُهاجِموا (القلعة الشَّرقيَّة) من المؤخِّرة، ويُمكنني أن أهاجم (بُرج الظِّلال) أيضًا بما أني أعرفُ أفضل الطُّرق إليها أكثر من أيِّ رجلٍ حَي، ويُمكنني أن أرسل رجالًا وماموثات لنبش بوَّابات جميع قلاعكم المَهجورة في آنٍ واحد».

- «ولِمَ لا تفعل إذن؟». كان چون يستطيع أن يستلَّ (المخلب الطَّويل) لحظتها، لكنه أرادَ أن يسمع ما لدى الهمجي ليقوله.

قال مانس رايدر: «الدَّم. سأفوزُ في النِّهاية، نعم، لكنهم ستُريقون دمي، وقد نزفَ قومي بها فيه الكفاية».

- «خسائركم لم تكن ثقيلةً لهذه الدَّرجة».
تفحَّص مانس وجهه مجيبًا: «ليس على أيديكم... لكنك رأيت (قبضة البَشر الأوائل) وتعرف ما جرى هناك، تعرف ما نُواجِهه».
- «(الآخَرون)...».
- «إنهم يزدادون قوَّةً كما تتناقَص ساعات النَّهار وتشتدُّ برودة اللَّيل. أولًا يَقتُلوك ثم يُرسِلون موتاك ضدك. العمالقة لم يستطيعوا التَّصدِّي لهم، ولا الثِّنيون ولا عشائر الأنهار الجليديَّة ولا ذوو الحوافر».
- «ولا أنت؟».
- «ولا أنا». حملَ إقراره غضبًا ومرارةً أعمق من أن تُعَبِّر عنها الكلمات. «رايمون ذو اللِّحية الحمراء، بايل الشَّاعر، جندل وجورن، اللورد ذو القرنين، كلُّهم أتوا جنوبًا ونيَّتهم الغزو، لكني أتيتُ وذيلي بين قدمَيْ لأختبئ وراء جِداركم»، وعادَ يمسُّ البوق مضيفًا: «إذا نفختُ في بوق الشِّتاء سيَسقُط (الجِدار)، أو أن هذا ما تُريدني الأغاني أن أصدِّقه، وهناك مِن قومي مَن لا يُريدون شيئًا أكثر من أن أفعلها...».
قالت دالا: «لكن إذا سقطَ (الجِدار)، فما الذي سيُوقِف (الآخَرين)؟».
منحَها مانس ابتسامةً دافئةً قائلًا: «وجدتُ لنفسي امرأةً حكيمةً حقًّا، ملكةً حقيقيَّةً»، والتفتَ إلى جون مردفًا: «عُد وقُل لهم أن يفتحوا بوَّابتهم ويدعونا نمرُّ. إذا فعلوا سأعطيهم البوق ويبقى (الجِدار) قائمًا إلى نهاية الزَّمن».
نفتح البوَّابة وندعهم يمرُّون. قول سهل، لكن ما الذي يتبعه؟ عمالقة يُخَيِّمون في أطلال (وينترفل)؟ أكلَة بَشر في (غابة الذِّئاب) وعربات تجرُّها الكلاب عبر أراضي الرَّوابي؟ أحرار يختطفون بنات السَّفَّانين وصاغة الفضَّة من (الميناء الأبيض) وبائعات السَّمك من (السَّاحل الحجري)؟
سألَه جون فجأةً: «أأنت ملك حقيقي؟».
أجابَه مانس: «إنني لم أعتمر تاجًا قَطُّ أو أضع مؤخِّرتي على عرشٍ لعين إن كان هذا سؤالك. ميلادي في غاية الوضاعة، ولم يدهن سِپتونٌ رأسي بالمَروخ، ولا أملكُ أيَّ قلاع، وملكتي ترتدي الفرو وتتحلَّى بالكهرمان بدلًا من الحرير والصَّفِّير. أنا نصير نفسي ومهرِّج نفسي ومغنِّي نفسي. إنك لا تُصبِح ملك ما وراء الجِدار لأن أباك كان كذلك. شعب الأحرار لا يتبع

اسمًا ولا يكترث لمولد أيِّ أخ أولًا، بل يتبع المُحاربين. عندما تركتُ (بُرج الظِّلال) كان هناك خمسة رجالٍ يضجُّون بالتَّباهي بكونهم الأصلح للملكيَّة. تورموند كان واحدًا منهم، وستير واحدًا آخر، أمَّا الثَّلاثة الآخرون فقتلتهم حين أوضَحوا أنهم يُؤثِرون القتال على التَّبعيَّة».

قال چون بلا موارَبة: «يُمكنك أن تَقتُل أعداءك، لكن هل تستطيع أن تَحكُم أصدقاءك؟ إذا سمحنا لقومك بالمرور، فهل تتمتَّع بالقوَّة الكافية لجعلهم يُحافِظون على سلام الملك ويُطيعون القوانين؟».

قال مانس: «قوانين مَن؟ قوانين (وينترفل) و(كينجز لاندنج)؟»، وضحكَ مضيفًا: «عندما نُريد القوانين سنصوغها لأنفسنا. يُمكنكم الاحتفاظ بعدالة ملككم وضرائبه أيضًا. إنني أعرضُ عليكم البوق وليس حرِّيَّتنا. لن نركع لكم».

– «وماذا لو رفضنا العرض؟». لا يُساوِر چون شَكٌّ في رفضهم. ربما كان الدُّب العجوز ليُصغي على الأقل، مع أنه كان ليُعارِض فكرة إطلاق ثلاثين أو أربعين ألفًا من الهَمجِ من عِقالهم على (الممالك السَّبع)، أمَّا أليسر ثورن وچانوس سلينت فسيَرفضان الفكرة من فورهما.

قال مانس رايدر: «إذا رفضوا فسيَنفُخ تورموند بليَّة العماليق في بوق الشِّتاء فَجرًا بَعد ثلاثة أيام».

يُمكنه أن يحمل الرِّسالة إلى (القلعة السَّوداء) ويُخبرهم بأمر البوق، لكن إذا تركَ مانس حيًّا فسيغتنم اللورد چانوس والسير أليسر الفُرصة ويعدَّاها بُرهانًا على خيانته. ألف فكرةٍ مرقَت في ذهن چون. إذا استطعتُ تدمير البوق، إذا حطَّمته هنا والآن... لكن قبل أن يبدأ تأمُّل هذا الخاطر سمعَ أنينًا واطئًا لبوقٍ آخَر كتمَته حوائط الخيمة الجِلد. مانس أيضًا سمعَه، وبوجهٍ مقطَّب ذهبَ إلى الباب وتبعَه چون.

كان صوت البوق الحربي أعلى في الخارج، وأثارَ نداؤه معسكَر الهَمج. هرولَ ثلاثة من ذوي الحوافر حاملين حِرابًا طويلةً، على حين كانت الخيول تصهل وتنخر والعمالقة يجأرون باللُّغة القديمة، وحتى الماموثات اضطربَت.

قال تورموند لمانس: «بوق كشَّافة».

– «شيء ما قادم، قادم من الشَّرق»، قال ڤارامير الجالس متقاطع السَّاقين

على الأرض شِبه المتجلِّدة وذئباه يدوران بهياج حوله، وسقطَ عليه ظِلٌّ عابر فرفعَ چون عينيه ليرى النَّسر يُحَلِّق بجناحين منَ الرَّمادي والأزرق.

حين يأتي الموتى السَّائرون لا تكون للأسوار والخوازيق والسُّيوف جدوى. لا يُمكنك أن تُقاتِل الموتى يا چون سنو. لا أحد يعرف هذا بقَدر ما أعرفه

قالت هارما بعبوس: «الشَّرق؟ المفترَض أن تكون الجُثث الحيَّة وراءنا».

كرَّر مبدِّل الجلدة: «الشَّرق. شيء ما قادم».

سألَ چون: «(الآخَرون)؟».

هَزَّ مانس رأسه نفيًا مجيبًا: «(الآخَرون) لا يأتون والشَّمس في السَّماء أبدًا». كانت العربات تهرع مخشخشةً عبر أرض المقتلة وقد احتشدَ عليها الرَّاكبون ملوِّحين بحِرابٍ من العظام المسنونة، فدمدمَ الملك: «إلى أين يحسبون أنفُسهم ذاهبينَ بحَقِّ الجحيم؟ كوين، أعِد هؤلاء الحمقى إلى مكانهم، وليُحضِر أحدكم حصاني، الفَرس لا الفحل، وأريدُ دِرعي أيضًا»، ثم رفعَ عينيه إلى (الجدار) يحدجه بريبة. على قمَّة المتاريس الجليديَّة وقفَ الجُند القَشُّ يجمعونَ السِّهام، وإنما بلا دلالةٍ على أيِّ نشاطٍ آخَر. «هارما، مُري مُغيريكِ بالرُّكوب. تورموند، اعثُر على أبنائك وكوِّن لي ثلاثة صفوف من الحِراب».

أسرعَ تورموند يُلَبِّي الأمر قائلًا: «نعم».

أغلقَ الفأر مبدِّل الجِلدة عينيه، وقال: «أراهم. إنهم قادمون بطول الجداول ودروب الفرائس».

- «مَن؟!».

- «رجال، رجال على خيول، رجال يرتدون الفولاذ ورجال يرتدون الأسود».

- «غِربان»، قال مانس جاعلًا من الكلمة شتيمةً، ثم التفتَ إلى چون سائلًا: «هل حسبَ إخوتي السَّابقون أنهم سيُباغِتونني إذا هاجَموا ونحن نتكلَّم؟».

- «إذا كانوا يُخَطِّطون لهجومٍ فإنهم لم يُخبِروني». لا يُصَدِّق چون أن هذا ما يجري فعلًا، فاللورد چانوس يفتقر إلى العدد الكافي من الرِّجال للهجوم على معسكَر الهَمج، كما أنه على الجانب الآخَر من (الجِدار) والبوَّابة مغلَقة

بالرُّكام. كان في مخيِّلته نوع آخَر من الخيانة. ليس ما يَحدُث من صُنعه.

قال مانس منذرًا: «إذا كنت تكذب عليَّ ثانيةً فلن ترحل من هنا حيًّا».

جلبَ له حُرَّاسه حصانه ودِرعه، وفي بقاع أخرى في المعسكَر رأى چون أناسًا يهرعون لتنفيذ مختلِف الأغراض، بعضُهم يتَّخذ تشكيل المعركة كأنهم يستعدُّون للهجوم على (الجِدار)، بينما ينسلُّ البعض إلى الغابة وتقود نسوة عربات الكلاب شرقًا وتهيم الماموثات غربًا. مَدَّ يده وراءَ ظَهره وامتشقَ مخلبه الطَّويل في اللَّحظة التي برزَ فيها خَطٌّ رفيع من الجوَّالة عند أطراف الغابة على بُعد ثلاثمئة ياردة، يرتدون جميعًا القمصان المعدنيَّة السَّوداء والخوذات القصيرة السَّوداء والمعاطف السَّوداء. شهرَ مانس سيفه بدوره قائلًا لچون ببرود: «لم تكن تعلم شيئًا عن هذا، أليس كذلك؟».

ببُطء سيلان العسل في صباح بارد انقضَّ الجوَّالة على المعسكَر منتقين طريقهم وسط أجمات الرَّتَم الصَّفراء والأشجار والجذور والصُّخور، وانطلقَ الهَمج يُقابلونهم رافعين عقائرهم بهتافات الحرب وملوِّحين بالهراوات والسُّيوف البرونز والفؤوس الصَّوَّان، يندفعون مباشرةً صوب عدوِّهم العتيق. صيحة وضربة وميتة شُجاعة. هكذا سمعَ چون إخوته يقولون عن أسلوب شعب الأحرار في القتال.

قال لملك ما وراء الجِدار: «صدِّق ما تُريد، لكني لم أعرف شيئًا عن أيِّ هجوم».

قبل أن يردَّ مانس مرَّت بهما هارما على رأس ثلاثين مُغيرًا تدقُّ حوافر خيولهم الأرض بصوتٍ كالرَّعد، تسبقها رايتها المعتادة، الكلب الميت المخوزَق على حربةٍ يُمطِر دمًا. قال له مانس: «ربما تقول الحقيقة. إنهم يبدون كرجالٍ من (القلعة الشَّرقيَّة)، بحَّارة على متون الخيول. لطالما سبقَت شَجاعة كوتر پايك عقله. لقد باغتَ سيِّد العظام عند (الرَّابية الطَّويلة)، وربما فكَّر أن يُكَرِّرها معنا. إذا كان الأمر كذلك فهو أحمق. إن رجاله أقلُّ من...».

- «مانس!»، أتَت الصَّيحة فجأةً من كشَّافٍ اندفعَ من بين الأشجار على متن حصانٍ يتصبَّب عَرقًا. «مانس، هناك المزيد. إنهم يُحاصِروننا من كل اتِّجاه، رجالٌ يرتدون الحديد، الحديد، جيش من الرِّجال الحديديِّين».

وثبَ مانس على حصانه لاعنًا، وقال: «ڤارامير، ابقَ واحرص على ألَّا

يمس أذى دالا»، وأشارَ ملك ما وراء الجدار بسيفه لچون مضيفًا: «وأبقِ بضع أعيُنٍ إضافيَّة على هذا الغُراب. مزِّق عُنقه إذا حاولَ الهرب».

- «نعم، هذا ما سأفعله». مبدِّل الجلدة أقصر قامةً من چون ومحنيُّ الظَّهر وضعيف الجسد، أمَّا قِطُّه فبإمكانه أن يَبقُر بطنه بضربةٍ واحدة. قال ڤارامير لمانس: «إنهم قادمون من الشَّمال أيضًا. عليك أن تذهب».

وضعَ مانس خوذته ذات جناحَيْ الغُداف على رأسه، وكان رجاله قد امتطوا خيولهم أيضًا، فقال لهم بحدَّة: «رأس حربة، إليَّ، سنُكوِّن رأس حربة»، لكن إذ همزَ الفَرس بكعبيه وانطلقَ بسُرعة السَّهم نحو الجوَّالة فشلَ الرِّجال الذين أسرعوا يلحقون به في تأليف أيِّ تشكيل.

أخذَ چون خُطوةً نحو الخيمة مفكِّرًا في بوق الشِّتاء، لكن قِطَّ الظِّلِّ اعترضَ طريقه ملوِّحًا بذيله واتَّسعت طاقتا أنفه وسالَ اللُّعاب من نابيه المعقوفيْن. يشمُّ خوفي. افتقدَ جوست أكثر من أيِّ وقتٍ مضى لحظتها، وسمعَ الذِّئبين من ورائه يُزَمجِران.

مَرَّ ماموث بخُطواتٍ ثقيلة مطلقًا نهيمه وفي البُرج الخشبي على ظَهره نِصف دستةٍ من الرُّماة، وسمعَ چون ڤارامير يُتَمتِم: «رايات. أرى راياتٍ ذهبيَّة، أوه... الملك... لا...».

ثم ألقى مبدِّل الجلدة رأسه إلى الوراء وصرخَ.

كان الصَّوت صادمًا واقتحمَ أذنه مثقلًا بالعذاب. سقطَ ڤارامير يتلوَّى وبدأ القِطُّ أيضًا يَصرُخ... وعاليًا، عاليًا في سماء الشَّرق تحت ستارٍ من السَّحاب رأى چون النَّسر يحترق، يتأجَّج لهبه لحظةً أزهى من أيِّ نجمةٍ وقد تغلَّفه الأحمر والذَّهبي والبرتقالي، ويضرب جناحاه الهواء بهياجٍ كأنه يستطيع الفرار من الألم طيرانًا. إلى أعلى حلَّق، وأعلى، وأعلى.

أخرجَ الصَّريخ ڤال من الخيمة بوجهٍ غاضَت دماؤه، وقالت: «ما الأمر؟ ماذا حدثَ؟». كان ذئبا ڤارامير يتقاتَلان وغابَ قِطُّه بين الأشجار، لكن الرَّجل نفسه كان لا يزال يتلوَّى على الأرض، فسألَت ڤال مذعورةً: «ماذا به؟ أين مانس؟».

أشارَ چون مجيبًا: «هناك، ذهبَ يُقاتِل». كان الملك يقود رأس حربته المهلهَل منقضًّا على مجموعةٍ من الجوَّالة وسيفه يلمع.

- «ذهبَ؟ لا يُمكنه أن يذهب، ليس الآن، نحن في البداية».

- «بداية المعركة؟». شاهدَ الجوَّالة يتفرَّقون أمام رأس كلب هارما الدَّامي، والهجَّانة يَصرُخون ويضربون ويدفعون مرتديي الأسود إلى التَّقهقُر إلى الأشجار، لكن من الغابة خرجَ مزيد من الرِّجال، كتيبة من الخيَّالة. فُرسان على خيولٍ ثقيلة. اضطرَّت هارما لإعادة حشد قوَّتها والدَّوران لمواجَهتهم، لكن نِصف رجالها كانوا قد ابتعدوا كثيرًا بالفعل.

وصاحَت فيه ڤال: «بداية الولادة!».

كانت الأبواق تُدَوِّي في كلِّ مكانٍ بصوتٍ نُحاسيٍّ رنَّان. أبواق الهَمج ليست من النُّحاس وإنما القرون. وهُم يعلمون هذا تمامًا مِثلما يعلمه، ودفعَ الصَّوت الأحرار للرَّكض هنا وهناك مرتبكين، بعضهم إلى القتال وبعضهم منه. شَقَّ ماموث طريقه دعسًا وسط قطيع من الأغنام يُحاول ثلاثة رجالٍ أن يسوقوه إلى الغرب، ودوَّت دقَّات الطُّبول والهَمج يعدون لتكوين صفوفٍ وتشكيلاتٍ مربَّعة، لكنهم تحرَّكوا متأخِّرين جدًّا، مشوَّشين جدًّا، بطيئين جدًّا. كان العدوُّ يَخرُج من الغابة، ومن الشَّرق، ومن الشَّمال، ومن الشَّمال الشَّرقي، ثلاث كتائب هائلة من الخيول الثَّقيلة، رجال يلتمع فولاذهم الدَّاكن وتزهو سُتراتهم الصُّوف. ليسوا رجال (القلعة الشَّرقيَّة)، فأولئك لم يكونوا أكثر من صَفٍّ من الكشَّافة. هؤلاء جيش. الملك؟ وجدَ چون نفسه حائرًا كالهَمج تمامًا. هل عادَ روب؟ هل تحرَّكَ الصَّبي الجالس على العرش الحديدي أخيرًا؟ قال لڤال: «عودي إلى الخيمة».

عبر ميدان القتال كانت إحدى الكتائب قد اكتسحَت هارما رأس الكلب، وارتطمَت أخرى بجانب حاملي الحِراب تحت قيادة تورموند بينما يُحاوِل وأبناؤه تدويرهم بيأس، لكن العمالقة بدأوا يمتطون الماموثات، وهو ما لَم يُعجِب الفُرسان على خيولهم المدرَّعة على الإطلاق، وأبصرَ كيف صرخَت الجِياد الحربيَّة وتشتَّتت لمرأى تلك الجبال الثَّقيلة ذات الأقدام. على أن الخوف شاعَ وسط الهَمج أيضًا، مئات من النِّساء والأطفال يهرعون مبتعدين عن المعركة، يتخبَّط بعضهم تحت حوافر الخيل مباشرةً، ورأى چون عجوزًا تقود عربة كلابٍ وتنحرف بها في طريق ثلاث عرباتٍ أخرى لتصطدم هذه بتلك.

همسَت ڤال: «يا للآلهة، يا للآلهة، لماذا يفعلون هذا؟».

- «عودي إلى الخيمة وابقي مع دالا. لستِ آمنةً هنا». ولن تكون أكثر أمنًا داخل الخيمة، ولكن لا داعي لأن تسمع هذا.

- «يجب أن أعثر على القابلة».

- «أنتِ القابلة. سأبقى هنا حتى يعود مانس».

كان مانس قد غابَ عن ناظريه لكنه وجدَه من جديدٍ ورآه يشقُّ طريقه وسط عُقدةٍ من الخيَّالة. كانت الماموثات قد حطَّمت الكتيبة الوُسطى، لكن الأخريَين انغلقَتا على الهَمج كطرفَيْ الكمَّاشة، وعلى حافة المعسكَر الشَّرقيَّة راحَ بعض الرُّماة يُطلِقون السِّهام النَّاريَّة على الخيام. رأى ماموثًا يقتلع فارسًا من فوق سَرجه ويُطَوِّح به أربعين قدمًا بنقرةٍ من بدنه، ورأى الهَمج يتدفَّقون نساءً وأطفالًا فارِّين من المعركة، بعضهم معهم رجال يحثُّونهم على الإسراع. ألقى عدد منهم چون بنظراتٍ ناريَّة، لكن (المخلب الطَّويل) كان في يده، فلم يُزعِجه أحد، وحتى ڤارامير هربَ زاحفًا على أربع.

تدفَّق مزيد ومزيد من الرِّجال من بين الأشجار، ليس فُرسانًا فحسب وإنما مُحارِبون غير نظاميِّين ورُماة على خيول وجنود يرتدون السُّترات والخوذات القصيرة، عشرات الرِّجال، مئات الرِّجال، فوقهم تُحلِّق الرَّايات البرَّاقة كما اللَّهب، تهوي عليها الرِّيح بسياطها بشراسةٍ حالَت دون رؤية چون الرُّموز عليها، لكنه لمحَ حصان بحر وسَرب طيورٍ وحلقةً من الزُّهور... وأصفر، أصفر كثيرًا جدًّا، راياتٍ صفراءَ عليها رمز أحمر. رمز مَن هذا؟!

إلى الشَّرق والشَّمال والشَّمال الشَّرقي رأى جماعاتٍ من الهَمج تُحاوِل الصُّمود والقتال، لكن الخيَّالة جرفوهم جرفًا. ما زالَت أعداد شعب الأحرار أكبر بكثير، لكن المهاجمين دروعهم فولاذ وخيلهم ثقيلة. في حومة القتال رأى مانس واقفًا بشموخٍ على رِكابَيْ فَرسه وقد سهَّل معطفه الأحمر والأسود وخوذته ذات جناحَيْ الغُداف تمييزه. كان سيفه مرفوعًا ورجاله يتحلَّقون حوله عندما ارتطمَ بهم رأس حربةٍ من الفُرسان بالرُّمح والسَّيف والفأس الطَّويلة، ورفعَت فَرس مانس قائمتيها الخلفيَّتين وراحَت تَرفُس قبل أن تنغرس حربة في صدرها، ثم اجترفَ السَّيل الفولاذي مانس بدوره.

انتهى الأمر، إنهم ينكسرون. كان الهَمج يفرُّون ويُلقون أسلحتهم، ذوو الحوافر وأهل الكهوف والثِّنيون بأقراصهم البرونز، يفرُّون قاطبةً. اختفى

مانس، ولوَّح أحدهم برأس هارما على سارية، وتحطَّمت صفوف تورموند. الصَّامدون الوحيدون هُم العمالقة على متون الماموثات، جُزر من الشَّعر في بحرٍ من الفولاذ الأحمر. من خيمةٍ إلى خيمةٍ وثبَت النَّار وشبَّت في بعض أشجار الصَّنوبر الطَّويلة أيضًا، وفي غمرة الدُّخان الكثيف انقضَّ رأس حربةٍ آخَر من الفُرسان على الجياد المدرَّعة، فوقهم تخفق الرَّايتان الأكبر على الإطلاق، كلتاهما راية ملكيَّة بحجم ملاءة السَّرير، واحدة صفراء بذيولٍ مدبَّبة طويلة عليها قلب ناري، والثَّانية كفرخٍ من الذَّهب المطرَّق عليها وعلٌ أسود يتواثَب ويتموَّج في الرِّيح.

لحظة مجنونة مرَّت قال فيها چون لنفسه متذكِّرًا أوين المسكين: روبرت، لكن حين دوَّت الأبواق مجدَّدًا وانقضَّ الفُرسان كان الاسم الذي هتفوا به هو: «ستانيس! ستانيس! ستانيس!».

ودارَ چون ودخلَ الخيمة.





آريا

خارج الخان على مشنقةٍ بالية تتأرجَح عظام امرأةٍ وتُخَشخِش مع كلِّ هبَّة ريح.

أعرفُ هذا الخان. لم تكن هناك مشنقة خارج الباب حين أمضَت اللَّيل هنا مع أختها سانزا تحت عين السِّپتة موردن اليقظة. قرَّرت آريا فجأةً قائلةً له: «لسنا نُريد الدُّخول. قد تكون هناك أشباح».

رَدَّ ساندور: «أتدرين كم مضى منذ شربتُ كوب نبيذ؟»، وترجَّل مواصلًا: «كما أن علينا أن نعرف مَن يُسَيطِر على (مخاضة الياقوت) الآن. ابقي مع الحصانين إذا أردتِ، لا أبالي».

- «ماذا لو تعرَّفوك وأرادوا أخذك أسيرًا». لم يَعُد ساندور يُزعِج نفسه بإخفاء وجهه، ويبدو أنه لم يَعُد يعبأ بتعرُّف أحدٍ إياه.

قال: «فليُحاولوا»، وخلخلَ سيفه الطَّويل في غِمده ودخلَ من الباب.

ما كانت آريا لتجد فُرصةً أسنح للهرب. يُمكنها أن تركب كريڤن وتأخذ سترينجر أيضًا. مضغَت شفتها مفكِّرةً وهلةً، ثم قادَت الحصانين إلى الاسطبل ودخلَت وراءه.

إنهم يعرفونه. صمتهم وشى بهذا، لكن الأسوأ أنها تعرف اثنين منهم أيضًا، ليس صاحب الخان، ولا النِّساء، ولا عُمَّال الحقول عند المستوقَد، وإنما اثنين غيرهم، الجُنديَّان، إنها تعرف الجُنديَّين.

- «هل تبحث عن أخيك يا ساندور؟»، قال پوليڤر الذي كان يدسُّ يده في صِدار الفتاة الجالسة في حِجره، لكنه أخرجَها.

قال كليجاين: «أبحثُ عن كوب من النَّبيذ. إبريق يا صاحب الخان»، وألقى حفنةً من العُملات النُّحاسيَّة على الأرض.

قال صاحب الخان: «لا أريدُ متاعب أيها الفارس».

رَدَّ بفمٍ يختلج: «لا تُخاطِبني بهذا اللَّقب إذن. أأنت أصم أيها الأحمق؟ طلبتُ نبيذًا»، ولمَّا هرعَ الرَّجل يُحضِر المطلوب ناداه مضيفًا: «كوبان! الفتاة أيضًا ظمآنة!».

ثلاثة فقط. رمقَها پوليڤر بنظرةٍ عابرة، ولم يَنظُر الصَّبي الجالس إلى جواره ناحيتها على الإطلاق، لكن الثَّالث حدَّق إليها طويلًا بإمعان. رجل متوسِّط الطُّول والبنيان، وجهه تقليديٌّ لدرجةٍ تُعَسِّر تخمين سِنِّه. المُدغدِغ، المُدغدِغ وپوليڤر في آنٍ واحد. أمَّا الصَّبي فتنمُّ سِنُّه وثيابه عن كونه مُرافِقًا، على أحد جانبَيْ أنفه بثرة بيضاء كبيرة وعلى جبهته بعض البثور الحمراء، وقد سألَ المُدغدِغ: «أهذا هو الجرو المفقود الذي ذكرَه السير جريجور؟ الذي بالَ على البساط وهرب؟».

وضعَ المُدغدِغ يده على ذراع الصَّبي محذِّرًا وهَزَّ رأسه باقتضابٍ حاد، فاستوعبَت آريا الإنذار بوضوح تام.

لكن الصَّبي لم يستوعبه، أو أنه لم يهتمّ، إذ تابعَ: «قال سيِّدنا إن أخاه الجرو دَسَّ ذيله بين ساقيه حين اشتدَّت حرارة المعركة في (كينجز لاندنج) وهربَ باكيًا»، وأعطى كلب الصَّيد ابتسامةً ساخرةً سخيفةً.

تفحَّص كليجاين الصَّبي دون أن يتفوَّه بكلمة، ودفعَ پوليڤر الفتاة ونهضَ قائلًا: «الفتى سكران». يكاد الجُندي يُضاهي كلب الصَّيد طولًا، وإن لم يكن مفتول العضلات مِثله، وتُغَطِّي فكَّيه ولُغده لحية سوداء كثيفة مدبَّبة ومشذَّبة بعناية، لكن أغلب رأسه أصلع. «النَّبيذ يُذهِب عقله، هذا كلُّ ما هنالك».

- «لا يَجدُر به أن يشرب إذن».

بدأ الصَّبي يقول: «الجرو لا يُخيفـ...»، واستحالَت كلماته إلى صرخة ألم حادَّة إذ أطبقَ المُدغدِغ على أُذنه بسبَّابته وإبهامه ولواها باستهانة.

عادَ صاحب الخان مسرعًا بكوبين حجريَّين وإبريقٍ على صحفةٍ من القصدير، وتناولَ ساندور الإبريق ورفعَه إلى فمه، لترى آريا عضلات تنقبض وتنبسط وهو يجرع، ولمَّا دَقَّ به المائدة كان نِصف النَّبيذ قد نفدَ. قال للرَّجل:

«الآن يُمكنك أن تصبَّ، وخيرٌ لك أن تجمع تلك العُملات أيضًا، فغالبًا لن ترى غيرها اليوم».

قال پوليڤر: «سندفع حين نَفرُغ من الشُّرب».

- «حين تَفرُغون من الشُّرب ستُدَغدِغون صاحب الخان لتروا أين يحتفظ بذهبه كما تفعلون دائمًا».

تذكَّر صاحب الخان شيئًا فجأةً في المطبخ، وبدأ أهل المنطقة يُغادِرون أيضًا، فيما انصرفَت الفتيات بالفعل، ولم يَعُد في القاعة العامَّة صوت إلَّا طقطقة نار المستوقَد الخافتة. قالت آريا لنفسها: يَجدُر بنا أن نرحل أيضًا.

قال پوليڤر: «إذا كنت تبحث عن سيِّدنا فقد أتيت متأخِّرًا. كان في (هارنهال) لكنه لم يَعُد كذلك. الملكة أرسلَت تستدعيه». رأت آريا أن في حزامه ثلاثة أسلحة؛ على وَركه الأيسر سيف طويل، وعلى الأيمن خنجر وسلاح أرفع، أطول من أن يكون خنجرًا وأقصر من أن يكون سيفًا. أضافَ: «چوفري ماتَ بالمناسَبة، قُتِلَ بالسُّمِّ في مأدبة زفافه».

تقدَّمت آريا أكثر داخل القاعة مفكِّرةً: چوفري ماتَ. تكاد تراه بخُصلاته الشَّقراء والابتسامة القاسية على شفتيه الممتلئتين النَّاعمتين. چوفري ماتَ! تعلم أن المفترَض أن يُسعِدها الخبر، لكنها ظلَّت بوسيلةٍ ما تَشعُر في أعماقها بالخواء. ماتَ چوفري، لكن إذا ماتَ روب أيضًا فما الفرق؟

قال كلب الصَّيد: «مرحى لإخوتي الشُّجعان في الحَرس الملكي»، وأصدرَ نخير احتقار قبل أن يسأل: «مَن قتلَه؟».

- «يقولون إنه العِفريت، هو وزوجته الصَّغيرة».

- «زوجته؟».

- «نسيتُ أنك كنت مختبئًا تحت صخرة. الفتاة الشَّماليَّة، ابنة (وينترفل). سمعنا أنها قتلَت الملك بتعويذةٍ ثم تحوَّلت إلى ذئبةٍ بجناحين جِلديَّين كبيرين كأجنحة الوطاويط وطارَت من نافذة بُرج، لكنها تركَت القزم، وسرسي تنوي قطع رأسه».

هُراء. سانزا لا تعرف إلَّا الأغاني لا التَّعاويذ، وما كانت لتتزوَّج العِفريت أبدًا.

كان كلب الصَّيد جالسًا على أقرب الدِّكك إلى الباب، وارتعشَ فمه على

جانب وجهه المحترق وهو يقول: «حريٌّ بها أن تغمسه في النَّار الشَّعواء وتَطبُخه، أو تُدَغدِغه إلى أن يغيب القمر من السَّماء»، ورفعَ كوبه وأفرغَ النَّبيذ دُفعةً واحدةً في جوفه.

عندما رأت آريا هذا عضَّت شفتها بقوَّةٍ حتى ذاقَت الدِّماء وهي تُفكِّر: إنه منهم، مِثلهم تمامًا. المفترَض أن أقتله وهو نائم.

تساءلَ ساندور: «إذن فقد أخذَ جريجور (هارنهال)؟».

قال پوليڤر: «لم يكن الأمر بهذه الصُّعوبة. المرتزقة فرُّوا حالما عرفوا أننا قادمون، جميعهم باستثناء مجموعةٍ صغيرة. أحدَ الطُّهاة فتحَ لنا بوَّابةً جانبيَّةً انتقامًا من هوت الذي بترَ قدمه»، وقهقهَ مضيفًا: «احتفظنا به ليطهو لنا، بالإضافة إلى بضع فتياتٍ يُدفِئن أسرَّتنا، وقتلنا جميع من تبقَّوا».

قالت آريا باندفاع: «جميع من تبقَّوا؟».

- «ما عدا الكبش الذي احتفظَ به سيِّدنا لتزجية الوقت».

قال ساندور: «أما زالَ السَّمكة السَّوداء في (ريڤررَن)؟».

أجابَه پوليڤر: «لن يبقى هناك طويلًا. إنه تحت الحصار. فراي العجوز سيَشنُق إدميور تَلي ما لم يُسَلِّم عمُّه القلعة. القتال الحقيقي الوحيد دائر حول (شجرة الغِدفان)، آل بلاكوود ضد آل براكن. آل براكن معنا الآن».

صَبَّ كلب الصَّيد كوب نبيذٍ لنفسه وثانيًا لآريا، وشربَ كوبه وهو يَرمُق نار المستوقَد قائلًا: «الطَّائر الصَّغير حلَّقت إذن؟ أحسنَت حقًّا. تبرَّزت على رأس العِفريت وهربَت».

قال پوليڤر: «سيجدونها ولو دفعوا نِصف ما في (كاسترلي روك) من ذهب».

قال المُدغدِغ: «سمعتُ أنها حسناء، حُلوة كالعسلِ»، وتلمَّظ وابتسمَ.

أضافَ كلب الصَّيد: «ومهذَّبة، ليدي صغيرة حقَّة، على عكس أختها الملعونة».

قال پوليڤر: «لقد وجدوها أيضًا، الأخت. سمعتُ أنها ستتزوَّج نغل بولتون».

رشفَت آريا من نبيذها كي لا يروا فمها. لم تفهم ما يتكلَّم عنه پوليڤر، وقالت في أعماقها: ليست لسانزا أخت أخرى، أمَّا ساندور كليجاين فضحكَ عاليًا.

سأله پوليفر: «ما المضحك؟».

لم يَنظُر كلب الصَّيد تجاه آريا على الإطلاق، وقال: «لو أردتك أن تعرف لأخبرتك. أهناك سُفن في (الملّاحات)؟».

- «(الملّاحات)؟ وما أدراني؟ سمعتُ أن التُّجّار عادوا إلى (بِركة العذارى). راندل تارلي استولى على القلعة وحبسَ موتون في زنزانة بُرج. لم أسمع شيئًا عن (الملّاحات)».

مالَ المُدغدِغ إلى الأمام قائلًا: «هل ستُبحِر دون أن تُوَدِّع أخاك؟»، وسرَت في جسد آريا القشعريرة لسماعه يُلقي سؤالًا. «لا بُدَّ أن سيِّدنا يُحَبِّذ أن تعود معنا إلى (هارنهال) يا ساندور، أراهنُ على هذا، أو إلى (كينجز لاندنج)...».

- «خراء على هذا، خراء عليه، خراء عليك».

هَزَّ المُدغدِغ كتفيه وشَدَّ قامته، ثم مَدَّ يده وراء رأسه ليحكَّ قفاه... وبدا كأن كلَّ شيءٍ حدثَ في آنٍ واحد. هَبَّ ساندور واقفًا، واستلَّ پوليفر سيفه الطَّويل، واندفعَت يد المُدغدِغ بحركةٍ خاطفة تقذف شيئًا فضِّيًّا التمعَ في فضاء القاعة، ولو لم يكن كلب الصَّيد يتحرَّك لحظتها لقوَّر السكِّين تُفّاحة حَلقه، لكنه جلطَ ضلوعه بدلًا من هذا في طريقه إلى الانغراس مرتجفًا في الحائط المجاور للباب. عندئذٍ ضحكَ كليجاين، ضحكته باردة جوفاء كأنها آتية من أغوار بئرٍ عميقة، وقال: «كنتُ آملُ أن ترتكبوا حماقةً ما»، وانسحبَ سيفه من غِمده في اللَّحظة المناسبة لصَدِّ ضربة پوليفر الأولى.

تراجعَت آريا خُطوةً إذ بدأت أغنيَّة الفولاذ الطَّويلة. نهضَ المُدغدِغ من على الدِّكَّة بسيفٍ قصير في يدٍ وخنجرٍ في الثّانية، وحتى المُرافِق الممتلئ ذو الشَّعر البنِّي نهضَ محاولًا امتشاق سيفه، فاختطفَت كوب نبيذها من على المائدة وقذفَته في وجهه، وكان تصويبها أفضل هنا مما كان في (التَّوأمتين)، فأصابَه الكوب في بثرته البيضاء الكبيرة مباشرةً وسقطَ على مؤخِّرته بعُنف.

پوليفر مُقاتِلٌ نظاميّ شرس، وقد أرغمَ ساندور على التَّقهقُر بثبات، يتحرَّك سيفه الطَّويل الثَّقيل بدقَّةٍ قاسية، أمَّا ضربات كلب الصَّيد فكانت أكثر رعونةً ومراوَغاته متعجِّلةً وقدماه بطيئتيْن خرقاويْن، وأدركَت آريا بهلع أنه سكران. شربَ الكثير بسُرعةٍ وبلا طعام في معدته. وكان المُدغدِغ يدورُ عند الحائط ليُهاجِمه من الخلف، فالتقطَت الكوب الثّاني ورمَته به، لكنه تحرَّك أسرع

من المُرافِق وانحنى في الوقت المناسب، وحفلَت النَّظرة التي حدجَها بها بالوعيد البارد. سمعَته يسأل: هل من ذهب مخبّأ في القرية؟

تشبَّث المُرافِق الأبله بحافة المائدة وهو ينهض على رُكبتيه، وبدأت آريا تذوق بداية الذُّعر في مؤخِّرة حَلقها. ضربة الخوف أمضى من السَّيف، ضربة الخوف أمضى...

أَنَّ ساندور متألِّمًا وسالَ الأحمر على جانب وجهه المحروق من الصُّدغ إلى الوجنة، ولم يَعُد عَقِب أُذنه هناك. بدا أن هذا أغضبَه كثيرًا، ودفعَ پوليڤر إلى التَّراجُع بهجوم ضارٍ، ينهال عليه بضربات السَّيف القديم المحزَّز الذي تقايَضه في التِّلال، وتقهقرَ الرَّجل الملتحي لكن ضربةً واحدةً لم تُصِبه. ثم إن المُدغدِغ وثب فوق دكَّةٍ بسُرعة الثُّعبان، وهوى على مؤخِّرة عُنق كلب الصَّيد بحافة سيفه القصير.

إنهما يقتُلانه. نفدَت الأكواب من آريا، لكنها وجدَت شيئًا أفضل تُلقيه. سحبَت الخنجر الذي سرقاه من القوَّاس الميت وحاولَت أن ترمي به المُدغدِغ كما رمى سكِّينه، غير أن الأمر يختلف عن رمي صخرةٍ أو تفَّاحة، فدارَ الخنجر في الهواء وارتطم المقبض بذراعه. لم يَشعُر به حتى. كان تركيز الرَّجل كلُّه منصبًّا على كليجاين.

سدَّد طعنته فالتوى كلب الصَّيد جانبًا بعُنف رابحًا لنفسه هنيهة راحةٍ من الهجوم، وقد سالَ الدَّم على وجهه من الجرح في عُنقه، ثم انقضَّ عليه كلا رجلَيْ الجبل بإصرار، يُسَدِّد پوليڤر سيفه إلى رأسه وكتفيه ويندفع المُدغدِغ محاولًا طعنه في ظَهره وبطنه. كان الإبريق الحجري الثَّقيل لا يزال على المائدة، فالتقطَته آريا بكلتا يديها، لكن إذ رفعَته أطبقَ أحدهم على ذراعها وانزلقَ الإبريق منها ليتحطَّم على الأرض. دارَت على عقبيها من فورها محاولةً التَّملُّص لتجد نفسها تُواجِه المُرافِق، فقالت لنفسها: أيتها الحمقاء، نسيتِ أنه موجود، ورأت أن بثرته البيضاء الكبيرة طقَّت.

- «أأنتِ جرو الجرو؟». في يُمناه سيفه وفي يُسراه ذراعها، لكن يديها هي حُرَّتان، فاختطفَت سكِّينه من غِمده وعادَت تُغمِده في بطنه ودوَّرته. لم يكن يرتدي الحلقات المعدنيَّة أو حتى الجلد المقوَّى، فاخترقَ النَّصل لحمه مباشرةً كما فعلَت إبرتها حين قتلَت صبيَّ الاسطبل في (كينجز لاندنج)،

وجحظَت عينا المُرافِق وتخلَّى عن ذراعها، ودارَت آريا نحو الباب وانتزعَت خنجر المُدغدِغ من الحائط.

كان پوليڤر والمُدغدِغ قد حاصَرا كلب الصَّيد في رُكنٍ وراء دكَّة، وأهداه أحدهما شَقًّا أحمر قبيحًا في أعلى فخذه يتماشى مع جروحه الأخرى، وقد استندَ ساندور إلى الحائط ينزف ويتنفَّس بصوتٍ مرتفع، وبدا أنه يستطيع الوقوف بصعوبة، ناهيك بالقتال.

قال له پوليڤر: «ألقِ سيفك وسنأخذك إلى (هارنهال)».

- «كي يُجهِز عليَّ جريجور بنفسه؟».

قال المُدغدِغ: «لعلَّه يُعطيني إياك».

رَدَّ ساندور: «إذا أردتماني فتعاليا وخُذاني»، ودفعَ نفسه عن الحائط ووقف شِبه مُقْعٍ وراء الدَّكَّة رافعًا سيفه أمام جسده.

قال پوليڤر: «أتخال أننا لن نفعل؟ إنك سكران».

- «ربما، لكنكما ميِّتان»، وارتفعَت قدمه تَركُل الدَّكَّة لترتطم بعُنفٍ بقصبتَيْ ساقَيْ پوليڤر. بشكلٍ ما حافظَ الملتحي على توازُنه، لكن كلب الصَّيد انحنى متفاديًا ضربته الشَّرِسة ورفعَ سيفه بضربةٍ ماضية بظاهر اليد، وتناثرَت الدِّماء على السَّقف والحوائط إذ أصابَ النَّصل پوليڤر في منتصَف وجهه مباشرةً، ولمَّا انتزعَه كلب الصَّيد انتزعَ معه نِصف رأس الرَّجل.

تراجعَ المُدغدِغ واشتمَّت آريا خوفه، وبغتةً بدا السَّيف القصير في يده كلُعبةٍ مقارَنةٍ بالآخَر الطَّويل الذي يحمله كلب الصَّيد، كما أنه لا يرتدي دِرعًا. تحرَّكَ الرَّجل بسُرعةٍ وخفَّةٍ دون أن تُبارِح عيناه ساندور كليجاين، وكان أيسر شيءٍ في العالم لحظتها أن تجيء آريا من ورائه وتطعنه.

وأغمدَت النَّصل في ظَهره صائحةً: «هل من ذهب مخبَّأ في القرية؟ هل من فضَّة أو جواهر؟»، وطعنَته مرَّتين أخريَيْن. «أهناك طعام؟ أين اللورد بريك؟». ثم إنها اعتلَته وما انفكَّت تطعن وتطعن. «إلى أين اتَّجه؟ كم رجلًا كانوا معه؟ كم فارسًا وكم قوَّاسًا؟ كم؟ كم؟ كم؟ كم؟ كم؟ كم؟ هل من ذهب مخبَّأ في القرية؟».

كانت يداها حمراويْن لزجتيْن حين جرَّها ساندور من فوقه قائلًا فقط: «كفى». هو نفسه كان ينزف كخنزير مذبوح ويجرُّ ساقه وهو يمشي.

قالت آريا: «هناك واحد آخَر».

كان المُرافِق قد أخرجَ الخنجر من بطنه ويُحاول إيقاف النَّزيف بيديه، وحين سحبَه كلب الصَّيد ليجلس معتدلًا صرخَ وبَدأ ينوح كالرُّضَّع قائلًا: «الرَّحمة. لا تَقتُلني أرجوك. رُحماكِ يا أمَّنا».

قال كلب الصَّيد وهو يبدو أبعد ما يكون عن إنسان: «هل تظنُّني أمَّك المومس؟»، ثم قال لآريا: «قتلتِ هذا أيضًا، وخزته في أحشائه، أي أنها نهايته، لكنه سيظلُّ يُحتضَر فترةً طويلةً».

لم يَلُح على الصَّبي أنه سمعَه، وقال باكيًا: «جئتُ من أجل الفتيات... قال پولي إنهن سيجعلنني رجلًا... أوه، بحَقِّ الآلهة، أرجوك، خُذني إلى قلعة... مِايستر، خُذني إلى مِايستر، أبي يملك ذهبًا... جئتُ من أجل الفتيات فقط... الرَّحمة أيها الفارس».

هوى كلب الصَّيد على وجهه بلطمةٍ جعلَته يَصرُخ ثانيةً، وقال: «لا تُنادِني بهذا اللَّقب»، وعادَ يلتفت إلى آريا مردفًا: «إنه لكِ أيتها الذِّئبة، عليكِ به».

فهمَت ما يعنيه، فذهبَت إلى پوليڤر وجثَت في دمه لتحلَّ حزام سيفه، الذي تدلَّى منه إلى جوار خنجره سلاح أرفع، أطول من أن يكون خنجرًا وأقصر من أن يكون سيف رجل... لكن إحساسها به في يدها كان سليمًا تمامًا.

سألَها كلب الصَّيد: «أتَتذكُرين موضع القلب؟».

أومأت برأسها إيجابًا، وردَّد المُرافِق وعيناه تدوران في محجريهما: «الرَّحمة».

وانسلَّت إبرتها بين ضلوعه ومنحَته إياها.

قال ساندور بصوتٍ أثقلَه الألم: «أحسنتِ. إذا كان هؤلاء الثَّلاثة هنا طلبًا للبغاء فلا بُدَّ أن جريجور يُسَيطِر على المخاضة علاوةً على (هارنهال). قد يأتي المزيد من حيواناته المدلَّلة في أيِّ لحظة، وقد قتلنا ما يكفي من أولاد القحبة اليوم».

سألَته: «أين نذهب؟».

أجابَها «(الملَّاحات)»، وأردفَ واضعًا يدًا كبيرةً على كتفها كي لا يَسقُط: «أحضِري القليل من النَّبيذ أيتها الذِّئبة، وخُذي ما معهم من مال، فسنحتاجه. إذا كانت هناك سُفن في (الملَّاحات) فيُمكننا الوصول إلى (الوادي) بحرًا»،

وارتعشَ فمه في وجهها ومزيد من الدَّم يسيل من حيث كانت أُذنه، وتابعَ: «ربما تُزَوِّجكِ الليدي لايسا صغيرها روبرت. تلك زيجة أحبُّ أن أراها»، وبدأ يضحك لكن الضَّحكة استحالَت إلى أنين.

عندما حانَ وقت الذَّهاب احتاجَ إلى مساعَدة آريا ليصعد إلى متن سترينچر. كان قد ربطَ شريطًا من القماش حول عُنقه وآخَر حول فخذه، وأخذَ معطف المُرافِق من على المشجب المجاور للباب، معطفًا أخضر عليه سهم أخضر على منحنى أبيض، لكن حين طواه كلب الصَّيد وضغطَه على أُذنه سرعان ما تشرَّب الأحمر. خشيَت آريا أن ينهار بمجرَّد أن يتحرَّكا، لكنه ظَلَّ فوق السَّرج بوسيلةٍ ما.

لا يُمكِنهما أن يُخاطِرا بلقاء مَن يُسَيطِر على (مخاضة الياقوت) أيًّا كان، ولذا بدلًا من أن يَسلُكا (طريق الملوك) اتَّجها إلى الجنوب الشَّرقي عابرَيْن حقولًا ملأى بالحشائش وغاباتٍ ومستنقعات، ومضَت ساعات قبل أن يَبلُغا ضفاف (الثَّالوث). رأت آريا أن النَّهر استسلمَ وعادَ إلى مجراه المعتاد، ثورته البنِّيَّة المبتلَّة كلُّها اختفَت مع الأمطار، ففكَّرت: النَّهر أيضًا متعَب.

قُرب حافة الماء وجدا بعض أشجار الصَّفصاف النَّامية وسط فوضى من الصُّخور التي جلدَتها الأجواء. معًا كوَّن الشَّجر والصَّخر مأوًى طبيعيًّا يُمكنهما أن يتوارَيا فيه من النَّهر والدَّرب، وقال كلب الصَّيد: «هنا يَصلُح. اسقي الحصانين واجمعي القليل من الأغصان اليابسة للنَّار»، ولمَّا ترجَّل اضطرَّ للاتِّكاء على فرع شجرةٍ قبل أن يقع.

- «ألن يُرى الدُّخان؟».

- «ما على مَن يُريد أن يجدنا إلَّا أن يقتفي دمي. ماء وحطب، لكن ناوِليني قِربة النَّبيذ أولًا».

حين أشعلَ النَّار وضعَ خوذته على رأسها في اللَّهب وأفرغَ فيها نِصف النَّبيذ، ثم انهارَ على حجر ناتئ مغطًّى بالطُّحلب كأنه لا ينوي أن ينهض ثانيةً أبدًا، وجعلَ آريا تغسلَ معطَف المُرافِق وتُمَزِّقه إلى شرائط وضعَتها في الخوذة.

قال لها: «لو كان معي مزيد من النَّبيذ لشربتُ حتى أغيب عن الوعي. ربما عليَّ أن أُرسِلكِ إلى الخان الملعون لتُحضِري قِربةً أو ثلاثًا».

ردَّت: «لا». لن يفعل هذا، أليس كذلك؟ وإذا فعلَها سأرحلُ وأتركه.

ضحكَ ساندور من الخوف على وجهها، وقال: «دُعابة أيتها الذِّئبة، دُعابة لعينة. اعثُري لي على عصا بهذا الطُّول تقريبًا وليست سميكةً جدًّا، واغسليها من الطَّمي. أكرهُ مذاق الطَّمي».

لم تُعجبه أول اثنتين أحضرَتهما له، وعندما وجدَت واحدةً تُناسِبه أخيرًا كان اللَّهب قد سفعَ خطم الكلب بالأسود حتى العينين، وداخل الخوذة أخذَ النَّبيذ يغلي بجنون. قال لها: «ستجدين الكوب في لفَّة النَّوم. املئيه حتى منتصَفه، واحذري، إذا قلبتِ الخوذة اللَّعينة سأرسِلكِ لإحضار المزيد. خُذي النَّبيذ وصُبِّيه على جروحي. أيُمكنكِ أن تفعلي هذا؟». أومأت آريا إيجابًا، فزمجرَ: «ماذا تنتظرين إذن؟».

مسَّت مفاصل أصابعها الفولاذ عندما ملأَت الكوب أول مرَّة، فحرقَها بشدَّةٍ تقرَّحت لها، وعضَّت آريا شفتها لتمنع نفسها من الصُّراخ. استخدمَ كلب الصَّيد العصا للغرض نفسه، وأطبقَ عليها بأسنانه إذ بدأت تصبُّ، فصبَّت النَّبيذ على جرح فخذه أولًا، ثم الشَّق الأكثر سطحيَّةً على مؤخِّرة عُنقه. كوَّر ساندور قبضته اليُمنى وضربَ بها الأرض حين صبَّت على ساقه، ولمَّا أتى دور عُنقه عَضَّ على العصا بقوَّةٍ كسرَتها، وذهبَت آريا مضطرَّةً تبحث عن واحدة جديدة. رأت الرُّعب في عينيه لمَّا عادَت، وقالت له: «أدِر رأسك»، ثم بدأت تُقطِّر النَّبيذ على اللَّحم الأحمر النَّيئ حيث كانت أُذنه، وزحفَت أصابع من الدَّم البنِّي والنَّبيذ الأحمر على فكِّه. هذه المرَّة صرخَ على الرغم من العصا، ثم فقدَ وعيه من فرط الألم.

تولَّت آريا الباقي بنفسها، فأخرجَت الشَّرائط التي صنعاها من معطف المُرافِق من قاع الخوذة واستخدمَتها لربط الجروح، وعندما بلغَت أُذنه اضطرَّت للَفِّ نصف رأسه كي تُوقِف النَّزيف. حينها كان الغسق يبسط أجنحته فوق (الثَّالوث)، فتركَت الحصانين يرعيان فترةً ثم قيَّدتهما وأراحَت نفسها قَدر الإمكان في فجوةٍ بين صخرتين.

اضطرمَت النَّار فترةً ثم خمدَت، وراقبَت آريا القمر من بين الغصون أعلاها.

بخفوتٍ قالت: «السير جريجور الجبل، دانسن، راف المعسول، السير

إلين، السير مرين، الملكة سرسي». أحسَّت باستغراب إذ شطبَت پوليڤر والمُدغدِغ من قائمتها، وجوفري أيضًا. إنها مسرورة لأنه مَات، لكنها تمنَّت لو أنها كانت هناك لتراه يموت، أو لتَقتُله بنفسها. پوليڤر قال إن سانزا والعِفريت قتلاه. أيُمكن أن يكون هذا صحيحًا؟ العِفريت من آل لانستر، وسانزا... ليتني أستطيعُ أن أتحوَّل إلى ذئبة وينبت لي جناحان أطير بهما.

إذا رحلَت سانزا أيضًا فلم يَعُد هناك من آل ستارك غيرها. چون على (الجدار) على بُعد ألف فرسخ، لكنه سنو لا ستارك، وكلُّ الأقارب الذين يُريد كلب الصَّيد بيعهم إياها ليسوا من آل ستارك أيضًا، ليسوا ذئابًا.

أنَّ ساندور فانقلبَت على جانبها تَنظُر إليه، وأدركَت أنها لم تَذكُر اسمه أيضًا في صلاتها. لماذا فعلَت هذا؟ حاولَت أن تتذكَّر مايكا، لكنها وجدَت صعوبةً في تذكُّر ملامحه. إنها لم تعرفه طويلًا. كلُّ ما فعلَه أنه لعبَ معي بسيوفٍ خشب. همسَت: «كلب الصَّيد»، وهمسَت: «ڤالار مورجولِس».

ربما يطلع عليه الصُّبح وهو ميت...

لكن حين تسرَّب ضوء الفَجر الباهت من بين الأغصان كان هو من أيقظَها بطرف حذائه. في اللَّيل حلمَت مرَّةً أخرى بأنها ذئبة، تُطارد حصانًا بلا راكب إلى أعلى تَلٍّ ووراءها قطيعها، لكن حذاءه أعادَها إلى عالَم اليقظة لحظة أنْ أطبَقوا عليه.

كان كلب الصَّيد لا يزال ضعيفًا، حركاته كلُّها بطيئة خرقاء. تمايلَ فوق سَرجه وتصبَّب عَرقًا، وبدأت أُذنه تنزف تحت الضَّمَّادة، واحتاجَ إلى قُواه كلِّها لئلا يَسقُط من على ظَهر سترينجر. إذا أتى رجال الجبل يُطاردونهما فإنها تشكُّ في استطاعته أن يرفع سيفه. ألقَت نظرةً من فوق كتفها، لكنها لم ترَ شيئًا وراءهما إلَّا غُرابًا يطير من شجرةٍ إلى شجرة، والصَّوت الوحيد صوت النَّهر.

طويلًا قبل الظُّهر كان ساندور كليجاين يترنَّح، وحين قال لها أن تتوقَّف كانت ساعات عدَّة لا تزال متبقِّيةً من ضوء النَّهار. لم يقل إلَّا: «يجب أن أستريح»، وهذه المرَّة عندما ترجَّل سقطَ، وبدلًا من محاوَلة النُّهوض زحفَ بوهنٍ إلى شجرةٍ وأسندَ ظَهره إلى جذعها مغمغمًا: «يا للجحيم، يا للجحيم»، ثم إنه رأى آريا تَنظُر إليه، فقال: «يُمكنني أن أسلخك حيَّةً من أجل كوب نبيذٍ يا فتاة».

بدلًا من النَّبيذ جلبَت له ماءً شربَ القليل منه وقال متذمِّرًا إن مذاقه طمي،

ثم غابَ في نوم صاخبٍ محموم. مسَّته فوجدَت جِلده ملتهبًا، وتشمَّمت ضمَّاداته كما كانَ المِايستر لوين يفعل أحيانًا وهو يُعالِج جروحها وخدوشها. أسوأ النَّزيف كان من وجهه، لكن جرح فخذه رائحته غريبة.

تساءلَت كم تَبعُد تلك (الملَّاحات) وإن كانت تستطيع العثور عليها بنفسها. لن أضطرَّ لقتله. إذا رحلتُ وتركته سيموت من تلقاء نفسه، سيموت من الحُمَّى ويظلُّ هنا تحت الشَّجرة إلى نهاية الدَّهر. لكن لعلَّ الأفضل أن تَقتُله بنفسها. لقد قتلَت المُرافِق في الخان وهو لم يفعل شيئًا إلَّا إمساك ذراعها، وكلب الصَّيد قتلَ مايكا. مايكا وأكثر. أراهنُ أنه قتلَ مئة مايكا. وكان ليَقتُلها أيضًا على الأرجح لولا رغبته في الفدية.

التمعَ (الإبرة) إذ سحبَته. على الأقل حافظَ عليه پوليڤر مشحوذًا حادًّا. دارَت بجسدها إلى الجانب متَّخذةً وقفة راقصي المياه دون تفكير، وانسحقَت أوراق الشَّجر الميتة تحت قدميها. بسُرعة الثُّعبان، بنعومة الحرير الصَّيفي.

وانفتحَت عيناه، وسألَها بهمسةٍ خشنة: «أتَذكُرين موضع القلب؟».

بثبات الحجر وقفَت قائلةً: «إنني... كنتُ فقط...».

دمدمَ: «لا تكذبي. إنني أكرهُ الكاذبين، وأكرهُ المحتالين الجُبناء أكثر. هلمِّي، افعليها»، ولمَّا لم تتحرَّك آريا قال: «لقد قتلتُ صديقكِ صبيَّ الجزَّار، فلقته إلى نِصفين وضحكتُ بَعدها»، وأصدرَ صوتًا غريبًا استغرقَت لحظةً قبل أن تُدركِ أنه بُكاء وهو يُواصِل: «والطَّائر الصَّغير، أختكِ الجميلة، وقفتُ في مكاني مرتديًا معطفي الأبيض وتركتهم يضربونها. الأغنيَّة اللَّعينة أخذتها منها ولم تمنحني إياها، وأردتُ أن آخذها أيضًا، كان عليَّ أن آخذها، كان عليَّ أن أضاجعها حتى أدميها ثم أنتزع قلبها من صدرها قبل أن أتركها لذلك القزم»، وتشنَّج وجهه ألمًا والتوَت ملامحه وهو يُضيف: «أتُريدين أن تجعليني أتوسَّلُ أيتها الحقيرة؟ افعليها! هديَّة الرَّحمة... انتقمي لمايكل...».

صاحَت آريا: «مايكا!»، وتراجعَت عنه قائلةً: «لست تستحقُّ هديَّة الرَّحمة».

شاهدَها كلب الصَّيد تضع على كريڤن سَرجها بعينين ألهبَتهما الحُمَّى، ولم يُحاوِل أن ينهض ويمنعها على الإطلاق، لكن حين امتطَت الفَرس قال: «الذِّئاب الحقيقيَّة تُجهِز على الحيوان الجريح».

ربما تجدك ذئاب حقيقيّة، ربما تشمُّ رائحتك عندما تغيب الشَّمس. وعندئذٍ سيعرف ما تفعله الذِّئاب بالكلاب.

قالت له: «لم يكن ينبغي أن تضربني بالفأس، كان ينبغي أن تُنقِذ أمّي»، ودارَت بفَرسها مبتعدةً عنه، ولم تَنظُر وراءها ولو مرَّةً.

وذات صباح مشمس بَعد ستَّة أيام بلغَت بُقعةً بدأ فيها (الثّالوث) يتَّسع وعبقَ الهواء برائحة الملح أكثر من الأشجار. ظلَّت قريبةً من الماء وهي تمرُّ بالحقول والمَزارع، وبَعد انتصاف النَّهار بقليلٍ ظهرَت أمامها بلدة أملَت أن تكون (الملّاحات). على المدينة تطلُّ قلعةٌ، ليست أكثر من معقل صغير في الحقيقة، تتكوَّن من بُرج مربَّع طويل واحد وفِناء وسور. معظم المحال والخانات والحانات حول المرفأ منهوب أو محروق، وإن كان بعضها لا يزال يبدو معمورًا، لكن المرفأ موجود وإلى جواره يمتدُّ (خليج السَّراطين) التي تتلألأ مياهه بالأزرق والأخضر في نور الشَّمس.

وهناك سُفن.

ثلاث، ثلاث سُفن. اثنتان منها قادسان نهريّان، قاربا جَرٍّ مصنوعان لمخر مياه (الثّالوث)، أمّا الثّالثة فأضخم، سفينة تجاريَّة من سُفن البحر المالح تضمُّ صفَّين من المجاذيف ومقدِّمةً مذهَّبةً وثلاثة صوارٍ طويلة أشرعتها الأرجوانيَّة مطويَّة، وبدنها مطليٌّ بالأرجواني أيضًا. ركبَت آريا كريڤن إلى الأرصفة لتُلقي نظرةً أفضل. على عكس القُرى الصَّغيرة ليس الغُرباء بهذه الغرابة في المواني، فلم يُبدِ أحد اهتمامًا بمَن تكون أو بما تفعله هنا.

أحتاجُ إلى فضَّة. جعلَها إدراكها هذه الحقيقة تعضُّ شفتها. كانا قد وجدا أيلًا فضِّيًا وحفنةً من القِطع النُّحاسيَّة مع پوليڤر، وثمانية أيائل مع المُرافِق ذي البثور الذي قتلَته، وبنسين لا أكثر في جراب المُدغدغ، لكن كلب الصَّيد قال لها أن تخلع حذاءه وتشقَّ ثيابه الغارقة بالدِّماء، فأخرجَت أيلًا من الإصبع الكبير في كلِّ فردة وثلاثة تنانين ذهبيَّة مخبَّأة داخل خياطة سُترته الجلديَّة، غير أن ساندور احتفظَ بالنُّقود كلِّها. لم يكن هذا عدلًا، النُّقود كانت مِلكي كما هي مِلكه. لو أنها أهدَته الرَّحمة... لكنها لم تفعل، ولا يُمكنها العودة كما لا يُمكِنها توسُّل المساعَدة. توسُّل المساعَدة لا يدرُّ شيئًا منها أبدًا. عليها أن تبيع كريڤن وتأمل أن يكفي ثَمنها.

عرفَت من غلام على الأرصفة أن الاسطبل احترقَ، لكن المرأة التي تملكه لم تزل تُزاوِل التِّجارة وراء السِّپت. بلغَتها آريا بسهولة، ووجدَتها امرأةً كبيرةً غليظةً تفوحُ منها رائحة الخيول. راقَتها كريشن من النَّظرة الأولى وسألَت آريا كيف تحصَّلت عليها، وابتسمَت باتِّساع لإجابتها قائلةً: «إنها فَرس حسنة النَّسل، هذا واضح تمامًا، ولا أشكُّ فيَّ أنها كانت مِلكًا لفارس يا حُلوتي، لكن الفارس لم يكن أخاكِ الذي ماتَ. إنني أتعاملُ مع هذه القلعَة التي ترينها هناك منذ سنوات، وأعرفُ كيف يبدو علية القوم. الفَرس حسنة النَّسل، أمَّا أنتِ فلا»، ووكزَت صدر آريا بإصبعها مضيفةً: «عثرتِ عليها أو سرقتِها، لا فرق. صغيرة وضيعة مثلكِ لا تركب فَرسًا كهذه بوسيلةٍ أخرى».

عضَّت آريا شفتها، وسألَتها: «أيعني هذا أنكِ لن تبتاعيها؟».

فهقهَت المرأة مجيبةً: «يعني أنكِ ستأخذين ما أعطيكِ إياه يا حُلوتي، أو يُمكننا الذَّهاب إلى القلعة ولا تَحصُلين على أيِّ شيء، بل وربما يَشنُقوكِ لسرقة فَرس فارسٍ طيِّب ما».

نِصف دستة مَن أهالي (الملَّاحات) كانوا منشغلين بأمورهم حولهما، فعرفَت آريا أنها لا تستطيع أن تَقتُل المرأة، وبدلًا من هذا عضَّت شفتها لائذةً بالصَّمت وتركَت نفسها تُغَشُّ وتنال كيس نقودٍ شديد الهزال، ولمَّا طلبَت المزيد مقابل السَّرج والزِّمام ولفَّة النَّوم اكتفَت المرأة بالضَّحك منها.

قالت لنفسها خلال مسيرة العودة الطَّويلة إلى الأرصفة: ما كان ليُمكنها أن تغشَّ كلب الصَّيد. بدا كأن المسافة طالَت ميلًا كاملًا منذ قطعَتها ركوبًا.

وجدَت السَّفينة الأرجوانيَّة في مكانها. لو كانت قد أبحرَت بينما تُسرَق آريا لما احتملَت. حين وصلَت كان رجل يُدَحرِج برميلًا من البِتع على لوح العبور، وعندما حاولَت أن تتبعه إلى السَّطح زعقَ فيها بحَّار من أعلى بلُغةٍ تجهلها، فقالت له: «أريدُ أن أرى الرُّبَّان»، لكنه رفعَ صوته زاعقًا أكثر، إلَّا أن الصَّخب جذبَ انتباه رجل أشيب ممتلئ يرتدي معطفًا من الصُّوف الأرجواني، وقد حدَّثها بالعاميَّة قائلًا: «أنا الرُّبَّان هنا. ماذا تُريدين؟ تكلَّمي بسُرعةٍ أيتها الصَّغيرة، يجب أن نلحق بالمَد».

قالت: «أريدُ أن أذهب شمالًا إلى (الجدار). هاك، يُمكنني أن أدفع»، وناولَته كيس النُّقود مردفةً: «حَرس اللَّيل لهم قلعة على البحر».

قال الرُّبَّان: «(القلعة الشَّرقيَّة)»، وأفرغَ الكيس على راحة يده، ثم سألَها مقطِّبًا: «أهذا كلُّ ما معكِ؟».

لم يكن ضروريًّا أن يقول لها إن المبلغ لا يكفي، فقد علمَت من التَّعبير على وجهه، لكنها قالت: «لن أحتاج إلى قمرةٍ أو ما شابَه، يُمكنني أن أنام في المخزن أو...».

قال بحَّار عابر على كتفه لفَّة من الصُّوف: «خُذها كفتاة قمرة، فلتنم معي».

رَدَّ الرُّبَّان بحدَّة: «احفظ لسانك».

قالت آريا: «يُمكنني أن أعمل، أنظِّف السُّطوح. لقد نظَّفتُ سلالم قلعةٍ من قبل، أو يُمكنني أن أجذف...».

قاطعَها: «لا، لا يُمكنكِ»، وأعادَ إليها نقودها مضيفًا: «ولا فرق إذا كان يُمكنكِ أيتها الصَّغيرة. ليس لنا شأن في الشَّمال، لا شيء هناك إلَّا الجليد والحرب والقراصنة. لقد رأينا دستةً من سُفن القراصنة في الطَّريق شمالًا ونحن ندور حول (الرَّأس المتصدِّع)، ولا أرغبُ في رؤيتها ثانيةً. من هنا نُبحِر إلى الوطن، وأقترحُ أن تفعلي المِثل».

ليس لي وطن، وليس لي قطيع، والآن ليس لي حصان حتى.

كان الرُّبَّان يلتفت عنها حين قالت: «ما هذه السَّفينة يا سيِّدي؟».

توقَّف ليمنحها ابتسامةً ضجِرةً مجيبًا: «القاليون[1] (ابنة المارد)، من المدينة الحُرَّة (براڤوس)».

قالت آريا فجأةً: «انتظر، معي شيء آخَر». كانت قد دسَّتها في ثيابها الدَّاخليَّة حفاظًا عليها، فمدَّت يدها تُنقِّب بين طيَّاتها لتجدها بينما ضحكَ الملَّاحون ووقفَ الرُّبَّان بنفاد صبر واضح، وأخيرًا قال لها: «قطعة إضافيَّة من الفضَّة لن تصنع فارقًا أيتها الصغيرة».

انغلقَت أصابعها عليها قائلةً: «ليست من الفضَّة، بل الحديد. هاك»، ووضعَت في يده العُملة الصَّغيرة المسكوكة من الحديد الأسود التي أعطاها

(1) القاليون سفينة أكبر من القادس، أشرعتها مربَّعة وتُبحِر بصفَّين أو ثلاثة من المجاذيف، وكانت تعدُّ أكبر سُفن الأسطول العثماني. (المترجم).

چا كَن هاجار إياها، العُملة البالية لدرجة أن رأس الرَّجل الذي عليها بلا ملامح على الإطلاق. إنها بلا قيمةٍ غالبًا، ولكن...

قلبَها الرُّبَّان في يده وحملقَ إليها، ثم عادَ يَنظُر إلى آريا متسائلًا: «هذه... كيف...».

چا كَن قال أن أذكر الكلمتين أيضًا. عقدَت آريا ذراعيها على صدرها، وبصوتٍ عالٍ قالت كأنها تعي معنى العبارة: «ڤالار مورجولِس».

أجابَها ماسًّا جبينه بإصبعين: «ڤالار دوهايرِس. بالطَّبع ستَحصُلين على قمرة».





ساموِيل

قالت جيلي مملِّسةً على رأس الرَّضيع الذي رفعَته إلى حلمتها: «يرضع بشراهةٍ أكثر من صغيري».

أجابَتها الشَّقراء ڤال التي يُسَمِّيها الإخوة السُّود الأميرة الهمجيَّة: «إنه جائع. لقد عاشَ على حليب الماعز وعقاقير المِايستر الضَّرير فقط حتى الآن».

كابن جيلي، ليس للصَّبي اسم بعدُ كما هي عادة الهَمج، وعلى ما يبدو لن يَحصُل ابن مانس رايدر نفسه على اسم قبل أن يَبلُغ عامه الثَّالث، وإن كان سام قد سمعَ الإخوة يدعونه بالأمير الصَّغيرِ ووليد المعركة.

شاهدَ الصَّبي يرضع من ثدي جيلي، ثم شاهدَ چون يُشاهِد. چون مبتسم. ما زالَت ابتسامته حزينة، لكنها بالتَّأكيد ابتسامة، وقد سُرَّ سام لمرآها. أول مرَّة أراه يبتسم منذ عدتُ.

كانا قد سارا من (قلعة اللَّيل) إلى (البحيرة الطَّويلة)، ومن هناك إلى (بوَّابة الملكة)، سالكيْن دربًا ضيِّقًا من قلعةٍ إلى التَّالية دون أن يغيب (الجدار) عن أنظارهما أبدًا، وعلى بُعد يوم ونِصف من (القلعة السَّوداء) وهما يمضيان على أقدام متقرِّحة، سمعَت جيلي خيولًا من ورائهما، والتفتَت لترى فرقةً من الخيَّالةً السُّود مقبلةً من الغرب، فطمأنَها سام قائلًا: «إنهم إخوتي. لا أحد يستخدم هذا الطَّريق إلَّا حَرس اللَّيل». اتَّضح أنه السير دينس ماليستر القادم من (بُرج الظِّلال) ومعه باون مارش الجريح والنَّاجون من معركة (جسر الجماجم)، ولمَّا رأى سام كلًّا من دايوين والعملاق وإد توليت الكئيب خرَّ باكيًا.

منهم سمعَ سام بالمعركة التي دارَت عند (الجدار)، وقال له العملاق: «ستانيس رسا بفُرسانه في (القلعة الشَّرقيَّة)، وقادَه كوتر پايك على طُرق الجوَّالة ليُداهِم الهَمج. لقد دحرَهم. مانس رايدر وقعَ في الأسر وقُتِلَ ألف من خيرة مُحارِبيه، بما فيهم هارما رأس الكلب، وسمعنا أن الباقين تفرَّقوا كورق الشَّجر في عاصفة». فكَّر سام: الشُّكر للآلهة. لو لم يضلَّ الطَّريق وهو متَّجه جنوبًا من (قلعة كراستر) فربما كان ليجد نفسه وجيلي في قلب المعركة... أو معسكَر مانس رايدر على أقلِّ تقدير، وربما كان شيء كهذا ليُناسِب جيلي وطفلها، أمَّا هو فلا. لقد سمعَ سام كُلَّ ما يُحكَى عمَّا يفعله الهَمج بالغِربان الأسرى، وارتجفَت أوصاله لمجرَّد الفكرة.

على أن شيئًا مما حكاه له إخوته لم يُهَيِّئه لما وجدَه في (القلعة السَّوداء). رأى القاعة العامَّة محترقةً عن بكرة أبيها، والسَّلالم الهائلة كومةً من الجليد المهشَّم والأخشاب المتفحِّمة. ماتَ دونال نوي، وماتَ راست وديك الأصم وآلن الأحمر وكثيرون غيرهم، لكنه ألفى القلعة مزدحمةً أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، ليس بالإخوة السُّود وإنما بما يربو على ألفٍ من جنود الملك. الآن في (بُرج الملك) ملك للمرَّة الأولى منذ عصور، ورايات تخفق على (الرُّمح) و(بُرج هاردين) و(الحصن الرَّمادي) و(قاعة التُّروس) ومبانٍ أخرى ظلَّت خاليةً مهجورةً أعوامًا. قال لجيلي التي لم ترَ راياتٍ من قبل: «الرَّاية الذَّهبيَّة الكبيرة ذات الوعل الأسود راية عائلة باراثيون الملكيَّة، والثَّعلب والزُّهور رمز عائلة فلورنت، والسُّلحفاة رمز إسترمونت، وسيَّاف البحر رمز بار إمون، والبوقان المتقاطعان رمز ونسينجتون».

أشارَت قائلةً: «كلُّها زاهية كالأزهار. تُعجبني الرَّايات الصَّفراء التي عليها نار. وانظُر، بعض المقاتلين على قمصانهم الصُّورة نفسها».

- «قلب ناري. لا أدري رمز مَن هذا».

سرعان ما عرفَ الإجابة. أخبرَه پيپ بَعد أن شهقَ وصاحَ: «اركُضوا وأوصِدوا الأبواب يا أولاد، لقد عادَ سام القاتل من القبر!»، بينما احتضنَه جرِن بقوَّةٍ حسبَ أنها ستُحَطِّم ضلوعه—بَعد كلِّ هذا أخبرَه پيپ: «إنهم رجَال الملكة، لكن لا تسَل أحدًا عن الملكة نفسها. لقد تركَها ستانيس في (القلعة الشَّرقيَّة) مع ابنتهما وأسطوله، ولم يُحضِر نساءً معه إلَّا الحمراء».

سألَ سام حائرًا: «الحمراء؟».

أجابَه جرن: «مليساندرا الآشاييَّة، مشعوذة الملك. يقولون إنها أحرقَت رجلًا حيًّا في (دراجونستون) كي تُواتي الرِّيح ستانيس في رحلته شمالًا، وركبَت إلى جواره في المعركة أيضًا وأعطَته سيفه المسحور الذي يُسَمُّونه (جالِب الضِّياء). انتظر حتى تراه. إنه يتوهَّج كأن في داخله قطعة من الشَّمس»، وعادَ يَرمُق سام وابتسمَ رغمًا عنه ابتسامةً كبيرةً سخيفةً قائلًا: «ما زلتُ لا أصدِّقُ أنك هنا».

چون سنو أيضًا ابتسمَ لرؤيته، لكن ابتسامته كانت متعَبةً كالتي على وجهه الآن إذ قال له: «عُدتَ رغم كلِّ شيء، وخرجت بجيلي من هناك أيضًا. أحسنت صُنعًا يا سام».

حسب ما سمعَه سام من جرن فقد أحسنَ چون نفسه صُنعًا وأكثر، لكن حتى استيلاؤه على بوق الشِّتاء وأَسْره أميرًا همجيًّا لم يكفِ السير أليسر ثورن وأصدقاءه الذين ما زالوا يتَّهمونه بالمروق، ومع أن المِايستر إيمون قال إن جرحه يلتئم جيِّدًا فما زالَت في كيان چون ندوب أعمق من التي تُحيط بعينه. إنه حزين على فتاته الهمجيَّة وإخوته.

قال لسام: «غريب حقًّا. لم يكن هناك وُدٌّ بين كراستر ومانس، لكن الآن تُرضِع ابنة كراستر ابن مانس».

ردَّت جيلي بنبرةٍ ناعمةٍ خجول: «عندي لبن يكفي. صغيري لا يرضع إلَّا القليل. إنه ليس شرهًا كهذا».

التفتَت الهمجيَّة ڤال تُواجِههما قائلةً: «سمعتُ رجال الملكة يقولون إن المرأة الحمراء تنوي الزَّجَّ بمانس في النَّار بمجرَّد أن يستردَّ قوَّته كفايةً».

رمقَها چون بإرهاق، وقال: «مانس متهرِّب من حَرس اللَّيل، وعقوبة هذا الموت. لو أسرَه الحَرس لكانوا قد شنَقوه بالفعل، لكنه أسير الملك، ولا أحد يعرف ما في طويَّة الملك إلَّا المرأة الحمراء».

قالت ڤال: «أريدُ أن أراه، أريدُ أن أريه ابنه. إنه يستحقُّ هذا على الأقل قبل أن تَقتُلوه».

حاولَ سام أن يشرح قائلًا: «ليس مسموحًا لأحدٍ برؤيته إلَّا المِايستر إيمون يا سيِّدتي».

وأضافَ چون وقد اختفَت ابتسامته: «لو كان الأمر بيدي لحملَ مانس ابنه. آسفٌ يا ڤال»، والتفتَ عنها مضيفًا: «أنا وسام لدينا واجبات يجب أن نعود إليها، أو أن سام لديه واجبات على الأقل. سنستعلم بخصوص رؤيتكِ مانس، لا أستطيعُ أن أعدكِ بأكثر من هذا».

تلكَّأ سام ليعتصر يد جيلي ويعدها بالعودة بَعد العَشاء، ثم أسرعَ يلحق بچون. خارجَ الباب وقفَ حارسان من رجال الملكة يحملان حربتين، وكان چون قد نزلَ حتى منتصَف السَّلالم، لكنه توقَّف عندما سمعَ سام يلهث وراءه، وقال: «ليس ما تَشعُر به نحو جيلي مجرَّد شغف، أليس كذلك؟».

تخضَّب وجه سام بحُمرة الخجل، وقال: «جيلي فتاة طيِّبة، طيِّبة وعطوف». إنه سعيد لأن كابوسه الطَّويل انتهى، سعيد لعودته وسط إخوته في (القلعة السَّوداء)... لكن لياليَ تمرُّ عليه أحيانًا وهو وحيد في حُجيرته يُفكِّر في الدِّفء الذي انبعثَ من جسد جيلي وهما متضامَّان تحت الأغطية وبينهما وليدها. «لقد... لقد جعلَتني أشجع يا چون، لم تجعلني شُجاعًا... وإنما أشجع».

قال چون برفق: «تعلم أنك لا تستطيع الاحتفاظ بها كما لم أستطِع البقاء مع إيجريت. لقد حلفت اليمين يا سام، مِثلي ومِثلنا جميعًا».

- «أعرفُ. جيلي قالت إنها ستكون زوجتي، لكني... أخبرتها بأمر اليمين وما تعنيه. لا أدري إن كان هذا قد أحزنَها أم أسعدَها، لكني أخبرتها»، وازدردَ لُعابه بتوتُّرٍ متسائلًا: «چون، هل يُمكن أن يكون هناك شَرف في كذبةٍ إذا قيلَت لـ... لغرضٍ وجيه؟».

أجابَ چون: «أظنُّ أن الأمر يعتمد على الكذبة والغرض»، ونظرَ إلى سام متابعًا: «لكني لا أنصحك بهذا. إنك لست مخلوقًا للكذب يا سام، وجهك يتورَّد وتصرُّ وتتلعثَم».

قال سام: «صحيح، لكن يُمكنني أن أكذب في رسالة. إنني أفضلُ وفي يدي ريشة. لقد... خطرَت لي فكرة. عندما تستقرُّ الأمور أكثر هنا... فكَّرتُ أن أصلح شيءٍ لجيلي... فكَّرتُ أن أرسلها إلى (هورن هيل)، إلى أمِّي وأخواتي و... وأ..أبي. إذا قالت جيلي إن الطِّفل ابني...»، وعادَ وجهه يصطبغ بالأحمر وهو يُواصِل: «أعرفُ أن أمِّي ستُريده. ستجد مكانًا لجيلي،

خدمةً ما لن تكون بصعوبة خدمتها كراستر، واللورد رـراندل لن... لن يقول هذا أبدًا، لكن قد يسرُّه أني أنجبتُ نغلًا من فتاةٍ همجيَّة. على الأقل سيُثبت له هذا أني تمتَّعتُ بالرُّجولة الكافية لأن أنام مع امرأةٍ وأنجب طفلًا. ذات مرَّةٍ قال لي إنني سأموتُ كأني عذراء بكلِّ تأكيد، إن لا امرأة... كما تعلم... چون، إذا فعلتها، إذا كتبتُ هذه الرِّسالة... هل سيكون هذا شيئًا جيِّدًا؟ الحياة التي سيحظى بها الصَّبي...».

قال چون: «أن ينشأ نغلًا في قلعة جدِّه؟»، وهَزَّ كتفيه مردفًا: «سيعتمد هذا إلى حَدٍّ كبير على أبيك والصَّبي نفسه. إذا نسجَ على منوالك، فـ...».

- «لن يَحدُث. كراستر أبوه الحقيقي. لقد رأيته بنفسك، كان قويًّا كجذع شجرةٍ عجوز، وجيلي أقوى مما تبدو».

- «إذا أبدى الصَّبي أيَّ براعةٍ في القتال بالسَّيف والرُّمح، فالمفترَض أن يحظى بمكانٍ مع حَرس أهل بيت أبيك على الأقل. ليس غريبًا أن يُدَرَّب النُّغول على أن يكونوا مُرافقين ويُرَقَّوا إلى الفُروسيَّة أيضًا، لكن عليك أن تتيقَّن من أن جيلي ستستطيع أن تلعب تلك اللُّعبة بإقناع. مما حكيته لي عن اللورد راندل أشكُّ في أنه يتساهَل مع مَن يخدعه».

عند قاعدة سلالم البُرج وقفَ مزيد من الحُرَّاس، لكن هؤلاء من رجال الملك، وقد تعلَّم سام الفرق سريعًا. رجال الملك بذيئون أثيمون ككلِّ مَن سواهم من جُند، أمَّا رجال الملكة فمتعصِّبون في إخلاصهم لمليساندرا الآشاييَّة وإله الضِّياء الذي تَعبُده.

سألَ سام وهما يقطعان السَّاحة: «هل ستعود إلى ساحة التَّدريب؟ أمن الحكمة أن تكدَّ في التَّدريبات قبل أن تُشفى ساقك تمامًا؟».

هَزَّ چون كتفيه مجيبًا: «وهل هناك شيء آخَر أفعله؟ مارش أقصاني من الواجب خشيةً من أني ما زلتُ مارقًا».

- «قليلون فقط يُصَدِّقون ذلك، السير أليسر وأصدقاؤه، لكن معظم الإخوة أعقل من هذا، وأراهنُ أن الملك ستانيس يعرف أيضًا. لقد جلبت له بوق الشِّتاء وأسرت ابن مانس رايدر».

- «كلُّ ما فعلته أني حميتُ ڤال والرَّضيع من اللُّصوص حين فَرَّ الهَمج وأبقيتهما هناك إلى أن وجدَنا الجوَّالة، لكني لم آسِر أحدًا. واضح أن الملك

ستانيس يُسَيطِر على رجاله بيدٍ من حديد. صحيح أنه يسمح لهم بالنَّهب قليلًا، لكنني لم أسمع إلَّا باغتصاب ثلاث نساءٍ فقط، والرِّجال الذين اغتصبوهن خُصوا جميعًا. أظنُّ أنه كان عليَّ أن أقتِّل الأحرار وهُم يفرُّون. السير أليسر يُشيع أن المرَّة الوحيدة التي جرَّدتُ فيها سيفي كانت للدِّفاع عن أعدائنا، ويقول إنني لم أقتل مانس رايدر لأني تواطأتُ معه».

قال سام: «هذا كلام السير أليسر فقط. الجميع يعلمون كنه هذا الرَّجل». ربما كان السير أليسر ثورن ليُصبِح مرشَّحًا قويًّا للمنافَسة على منصب القائد لمولده النَّبيل وفُروسيَّته وسنينه الطَّويلة في حَرس اللَّيل، لكن أغلب من تدرَّبوا على يديه خلال خدمته كقيِّم سلاح يَمقُتونه. لقد طُرِحَ اسمه بالطَّبع، لكن بَعد حصوله الضَّعيف على المركز السَّادس في اليوم الأول من التَّصويت وخسارته أصواتًا في اليوم الثَّاني انسحبَ ثورن ليدعم اللورد چانوس سلينت.

رَدَّ چون: «ما يعلمه الجميع أن السير أليسر فارس من سُلالةٍ نبيلة وابن شرعي، أمَّا أنا فالنَّغل الذي قتلَ كورين ذا النِّصف يد وضاجعَ زوجةَ حربةً، الوارْج كما سمعتهم يدعونني. قُل لي، كيف أكونُ وارْجًا بلا ذئب؟»، والتوى فمه وهو يُتابِع: «لم أعد أحلم بجوست حتى. أحلامي كلُّها بالسَّراديب والملوك الحجريِّين على عروشهم. أحيانًا أسمعُ صوت روب وأبي كأنهما في مأدبة، لكن هناك جِدارًا بيننا، وأعرفُ أنهم لم يُخَصِّصوا لي مكانًا على المائدة».

لا مكان للأحياء في مآدب الموتى. تمزَّقت نياط قلب سام لحظتها لاضطراره التزام الصَّمت على حين يُريد أن يقول: بران لم يَمُت يا چون، إنه مع أصدقائه في الطَّريق شمالًا على متن إلكةٍ عملاقة للعثور على غُراب بثلاث أعيُنٍ في أعماق (الغابة المسكونة). المسألة كلُّها تبدو جنونيَّةً لدرجة أن سام تارلي يحسب أحيانًا أنه كان حُلمًا تفتَّق عنه عقله من جرَّاء الحُمَّى والخوف والجوع... لكنه كان لينِدفع ويقول كلَّ شيءٍ لولا الوعد الذي قطعَه على نفسه.

ثلاث مرَّاتٍ أقسمَ على أن يصون السِّر؛ مرَّةً لبران نفسه ومرَّةً للفتى الغريب چوچن ريد، وأخيرًا لذي اليدين الباردتين. قُبيل أن يرحلوا قال له منقِذه: «العالم يعتقد أن الصَّبي ميت، فدَع رُفاته يَرقُد في سلام. لا نُريد أن

يسعى أحد وراءنا. أقسِم يا ساموِيل يا رجل حَرس اللَّيل، أقسِم بحَقِّ الحياة التي تُدين لي بها».

ببؤسٍ نقلَ سام ثِقله من ساقٍ إلى الثَّانية قائلًا: «اللورد چانوس لن يُنتخَب قائدًا أبدًا، لن يَحدُث». إنها أفضل مواساةٍ يستطيع أن يُقدِّمها لچون، المواساة الوحيدة.

قال چون: «أنت أحمق طيِّب يا سام. افتح عينيك. إنهم ينتخبونه بالفعل منذ أيام»، وأزاحَ شَعره عن عينيه مضيفًا: «ربما لا أعلمُ شيئًا، لكني أعلمُ هذا. والآن بَعد إذنك، أريدُ أن أضرب أحدًا بسيفٍ بكلِّ قوَّتي».

لم يستطِع سام إلَّا أن يُشاهِده يتحرَّك بخُطى واسعة نحو مستودَع السِّلاح وساحة التَّدريب التي يقضي فيها چون سنو أكثر ساعات يقظته. بموت السير إندرو وعدم اكتراث السير أليسر لم يَعُد هناك قيِّم سلاحٍ في (القلعة السَّوداء)، فأخذَ چون على عاتقه تدريب عددٍ من المستجدِّين، كَساتان والجواد وأرون وإمريك وروبن النطَّاط بقدمه المعوجَّة، وحين ينصرفون إلى واجباتهم يتدرَّب وحده طيلة ساعاتٍ بالسَّيف والتُّرس والحربة، أو يُواجِه مَن يرغب في منازَلته أيًّا كان.

طوال الطَّريق إلى مسكن المِايستر لم يسمع إلَّا كلمات چون: أنت أحمق طيِّب يا سام. افتح عينيك. إنهم ينتخبونه بالفعل منذ أيام. أيُمكن أن يكون مصيبًا؟ لأجل أن يُصبِح الرَّجل حضرة قائد حَرس اللَّيل فلا بُدَّ أن يُحرز أصوات ثُلثَيْ الإخوة المحلَّفين، وبَعد تسعة أيام وتسعة تصويتات ما زالَ المرشَّحون جمعاء بعيدين كلَّ البُعد عن ذلك. صحيح أن اللورد چانوس يتقدَّم، وقد تجاوزَ باون مارش ثم أوثيل ياروِيك بالفعل، لكنه لا يزال متخلِّفًا بكثير عن السير دينس ماليستر قائد (بُرج الظِّلال) وكوتر پايك قائد (القلعة الشَّرقيَّة). مؤكَّد أن أحدهما سيُصبِح القائد الجديد.

عيَّن ستانيس حُرَّاسًا خارج باب المِايستر أيضًا، وفي الدَّاخل كانت الغُرف حارَّةً مزدحمةً بجرحى المعركة من إخوةٍ سُود ورجال الملك ورجال الملكة، يتحرَّك كلايداس بينهم بدوارق من حليب الماعز ونبيذ النَّوم، لكن المِايستر إيمون لم يرجع بعدُ من زيارته الصَّباحيَّة إلى مانس رايدر. علَّق سام معطفه على مشجبٍ وبدأ يُساعِد، لكن حتى وهو يُحضِر المشروبات ويصبُّها ويُغيِّر

الضَّمَّادات ظلَّت كلمات چون تُكَدِّره. أنت أحمق طيِّب يا سام. افتح عينيك. إنهم ينتخبونه بالفعل منذ أيام.

ساعة كاملة مرَّت قبل أن يستطيع الاستئذان لإطعام الغِدفان، وفي طريقه إلى المِغدفة بالأعلى توقَّف يُراجِع الجدول الذي صنعَه باقتراع اللَّيلة الماضية. في بداية الانتخاب طُرِحَ أكثر من ثلاثين اسمًا، لكن أغلبهم انسحبَ فور أن اتَّضح أن فوزهم ليس ممكنًا، واعتبارًا من البارحة تبقَّت أسماء سبعة. جمعَ السير دينس ماليستر 213 رمزًا، وكوتر پايك 187، واللورد سلينت 74، وأوثيل ياروِيك 60، وباون مارش 49، وهوب ذو الثَّلاث أصابع 5، وإد توليت الكئيب واحدًا. ييپ ودُعاباته السَّمجة. راجعَ سام الاقتراعات السَّابقة فوجدَ السير دينس وكوتر پايك وباون مارش يتراجَعون منذ اليوم الثَّالث وأوثيل ياروِيك منذ السَّادس، ووحده چانوس سلينت يتقدَّم يومًا بَعد يوم بَعد يوم.

سمعَ الطُّيور تنعب في المغدفة، فوضعَ الأوراق وصعدَ يُطعِمها، وسُرَّ لرؤية ثلاثة غِدفان جديدة وصلَت. صاحَت فيه كما علَّمها: «سنو، سنو، سنو، سنو!». حتى مع الوافدين الجُدد ظلَّت المِغدفة تبدو خاويةً على نحوٍ يُثير الكآبة، خصوصًا أن قليلًا من الطُّيور التي أرسلَها إيمون عادَ. لكن أحدَها بلغَ ستانيس، أحدها وجدَ (دراجونستون) وملكًا ما زالَ يُبالي. يعلم سام أن على بُعد ألف فرسخ في الجنوب ضَمَّ أبوه عائلة تارلي إلى قضيَّة الصَّبي الجالس على العرش الحديدي، لكن لا الملك چوفري ولا الملك تومن الصَّغير تحرَّك حين استغاثَ به حَرس اللَّيل. ما جدوى الملك الذي يأبى الدِّفاع عن بلاده؟ دارَ السُّؤال الغاضب بباله وهو يتذكَّر تلك اللَّيلة على قمَّة (قبضة البَشر الأوائل) والرِّحلة الرَّهيبة إلى (قلعة كراستر) التي حفَّها الظَّلام والخوف والثُّلوج المتساقطة. صحيح أن رجال الملكة يُوَتِّرونه، لكنهم أتوا على الأقل.

ليلتها على العَشاء بحثَ سام عن چون سنو، لكنه لم يلمحه في أيِّ مكانٍ في القبو الحجري الفسيح الذي يتناوَل الإخوة فيه وجباتهم الآن، وأخيرًا أخذَ مكانه على الدِّكَّة قُرب أصدقائه الآخَرين. كان ييپ يحكي لإد الكئيب عن المسابَقة التي أقاموها ليروا مَن مِن الجنود القَشِّ سيجمع أكبر عددٍ من سهام الهَمج، وقال: «كنتَ متقدِّمًا أغلب الوقت، لكن وات ابن (البحيرة الطَّويلة) أصيبَ بثلاثةٍ في اليوم الأخير وتخطَّاك».

قال إد متذمِّرًا: «لا أربحُ في أيِّ شيءٍ أبدًا، لكن لطالما ابتسمَت الآلهة لوات. عندما أوقعَه الهَمج من فوق (جسر الجماجم) سقطَ في بِركة ماءٍ عميقة. ألم يكن محظوظًا لأنه لم يَسقُط على واحدةٍ من الصُّخور العديدة؟».

سألَه جرن: «هل كانت سقطةً طويلةً؟ هل أنقذَ وقوعه في الماء حياته؟».

- «لا، كَان قد ماتَ بالفعل بضربةٍ من بلطة في رأسه، لكن عدم وقوعه على الصُّخور يظلُّ حَظًّا حسنًا».

كان هوب ذو الثَّلاث أصابع قد وعدَهم بفخذ ماموث مشويَّة هذا المساء، ربما على أمل أن ينال بضعة أصواتٍ إضافيَّة. إذا أرادَ هذا حقًّا فكان ينبغي أن يجد ماموثًا أصغر سِنًّا، فكَّر سام وهو يسحب قطعةً قاسيةً من الغُضروف من بين أسنانه، ثم دفعَ طعامه زافرًا.

بَعد قليلٍ سيُفتَح باب التَّصويت مرَّةً أخرى، والتَّوتُّر في الهواء أكثف من الدُّخان. جلَسَ كوتر بايك عند النَّار محاطًا بجوَّالة (القلعة الشَّرقيَّة)، والسير دينس ماليستر بالقُرب من الباب مع مجموعةٍ أصغر من رجال (بُرج الظِّلال). أدركَ سام أن چانوس سلينت جالس في أفضل بُقعةٍ في المكان. في منتصَف الطَّريق بين اللَّهب وتيَّار الهواء. انزعجَ لرؤية باون مارش جالسًا إلى جواره بوجهٍ ذابلٍ وجسدٍ مهزول، رأسه لا يزال ملفوفًا بالكتَّان، لكن أُذنيه صاغيتان لكلِّ كلمةٍ يقولها اللورد چانوس، ولمَّا ذكرَ سام هذا لأصدقائه قال پيپ: «وانظُر هناك، السير أليسر يتهامَس مع أوثيل يارويك».

عقب فروغهم من الوجبة نهضَ المِايستر إيمون ليسأل إن كان أحد الإخوة يرغب في الكلام قبل أن يطرحوا رموزهم، فقامَ إد الكئيب بوجهٍ حجريٍّ عابس كدأبه، وقال: «أريدُ فقط أن أقول لمن يُصوِّت لي أيًّا كان إنني سأكونُ قائدًا شنيعًا، ولكن كذا الآخَرون جميعًا».

تبعَه باون مارش الذي وقفَ متوكِّئًا على كتف اللورد سلينت وهو يقول: «أيها الإخوة والأصدقاء، أطلبُ أن يُسحَب اسمي من الاقتراع. ما زالَت إصابتي تُثقِل عليَّ، وأخشى أن المهمَّة أكبر مني بكثير... وإنما ليس من اللورد چانوس الذي قادَ ذوي المعاطف الذَّهبيَّة في (كينجز لاندنج) أعوامًا طويلةً. دعونا ندعمه».

سمعَ سام همهماتٍ ساخطة من مجموعة كوتر بايك عند أقصى الغُرفة،

على حين نظرَ السير دينس إلى أحد رفاقه وهَزَّ رأسه. فاتَ الأوان، الضَّرر وقعَ بالفعل. تساءلَ أين چون الآن ولِمَ لم ينضمَّ إليهم.

معظم الإخوة أمِّيُّون، ولذا جرَت العادة على أن يتمَّ التَّصويت بطرح الرُّموز في مرجلٍ حديدي منتفخ جَرَّه هوب وأوين الجحش من المطبخ، وقد وُضِعَت براميل الرُّموز في رُكنٍ وراء ستارةٍ ثقيلة كي يختار المصوِّتون مرشَّحيهم دون أن يراهم أحد. مباحٌ لك أن تجعل صديقًا يُصَوِّت بدلًا منك إذا كان عليك واجب، فأخذَ بعض الرِّجال رمزين أو ثلاثة أو أربعة، وصوَّت السير دينس وكوتر پايك للحاميتين اللتين تركاهما في قلعتيهما.

حين فرغَت القاعة من الجميع إلَّا ثلاثتهم، قلبَ سام وكلايداس المرجل أمام المايستر إيمون، فانهالَ منه وابل من الأصداف والأحجار والبنسات النُّحاسيَّة ليُغَطِّي سطح الطَّاولة، وصنَّفت يدا إيمون المتغضِّنتان الرُّموز بسُرعةٍ مدهشة، دافعةً الأصداف إلى هنا والأحجار إلى هناك والبنسات إلى جانبٍ وما قَلَّ من رؤوسِ السِّهام والمسامير وجوزات البلُّوط إلى مكانه، وأحصى سام وكلايداس كلَّ كومةٍ صانعًا بها جدوله الخاص.

اللَّيلة جاءَ الدَّور على سام ليُعلِن نتائجه أولًا، فقال: «203 للسير دينس ماليستر، 169 لكوتر پايك، 137 للورد چانوس سلينت، 72 لأوثيل ياروِيك، 5 لهوب ذي الثَّلاث أصابع، و2 لإد الكئيب».

قال كلايداس: «أحصيتُ 168 لپايك. يَنقُصنا صوتان بإحصائي وواحد بإحصاء سام».

قال المايستر إيمون: «إحصاء سام سليم. چون سنو لم يطرح رمزًا، لكن لا يهمُّ، فلا أحد اقتربَ من الثُّلثين».

أحسَّ سام بالرَّاحة أكثر من خيبة الأمل، فحتى بدعم باون مارش ما زالَ اللورد سلينت الثَّالث. تساءلَ: «مَن الخمسة الذين يُصَوِّتون لهوب كلَّ مرَّة؟».

رَدَّ كلايداس: «إخوة يُريدونه أن يَخرُج من المطبخ ربما؟».

قال سام: «السير دينس فقدَ عشرة أصوات منذ الأمس، وكوتر پايك نحو عشرين. ليس هذا جيِّدًا».

قال المايستر: «ليس جيِّدًا لآمال كلٍّ منهما في أن يُصبِح القائد بالتَّأكيد، ولكن ربما يكون جيِّدًا لحَرس اللَّيل في النِّهاية. ليس لنا أنْ نقول. عشرة أيام

ليست وقتًا بهذا الطُّول، فذات مرَّةٍ أقيمَ انتخاب دامَ نحو عامين، ما يَقرُب من سبعمئة تصويت. سيتَّخذ الإخوة قرارهم في الوقت الذي يُناسِبهم».

نعم، لكن ماذا سيُقرِّرون؟

لاحقًا، وفي أيديهم أكواب من النَّبيذ المخفَّف بالماء في خُلوة حُجيرة پيپ، أفلتَ لسان سام ووجدَ نفسه يُفكِّر بصوتٍ مسموع: «كوتر پايك والسير دينس ماليستر يخسران أصواتًا منذ أيام، لكن معًا تدنو أصواتهما من الثُّلثين. كلاهما يَصلُح لأن يكون قائدًا. على أحدٍ أن يُقنِع واحدًا منهما بالانسحاب ودعم الثَّاني».

سألَه جرن بشَك: «أحد؟ مِثل مَن؟».

قال پيپ: «جرن مغفَّل لدرجة أنه يحسب أنه قد يكون هذا الأحد. ربما على هذا الأحد بَعد أن يَفرُغ من پايك وماليستر أن يُقنِع الملك ستانيس بالزَّواج بالملكة سرسي أيضًا».

اعترضَ جرن قائلًا: «الملك ستانيس متزوِّج».

تنهَّد پيپ وقَال: «ماذا أفعلُ معه يا سام؟».

واصلَ جرن بعناد: «ليست هناك محبَّة كبيرة بين كوتر پايك ودينس ماليستر. إنهما يتشاجَران على كلِّ شيء».

قال سام: «نعم، لكن فقط لأن أفكارهما تختلف عمَّا في صالح الحَرس، فإذا شرحنا نحن...».

قاطعَه پيپ: «نحن؟ كيف تغيَّر «أحد» إلى «نحن»؟ أنا القرد المهرِّج، هل نسيت؟ وجرن... هو جرن»، وابتسمَ لسام وهزهزَ أذنيه مضيفًا: «أمَّا أنت... أنت ابن لورد ووكيل المِايستر...».

قال جرن: «وسام القاتل الذي فتكَ بـ(آخَر)».

للمرَّة المِئة قال له سام: «زُجاج التنِّين هو ما قتلَه».

غمغمَ پيپ متأمِّلًا: «ابن لورد ووكيل المِايستر وسام القاتل. ربما يُمكنك أن تُكَلِّمهما أنت».

قال سام بنبرةٍ متجهِّمة كنبرة إد الكئيب: «يُمكنني... لو لم أكن أجبن من أن أواجههما».



چون

ببُطءٍ حامَ چون وسيفه في يده حول ساتان مجبرًا إياه على الدَّوران، وقال له: «ارفع تُرسك».

رَدَّ صبيُّ (البلدة القديمة) بتبرُّم: «إنه ثقيل للغاية».

قال چون: «إنه بالثِّقل المطلوب لصَدِّ السُّيوف، والآن ارفعه»، وتقدَّم مسدِّدًا ضربته، فأسرعَ ساتان يرفع التُّرس في الوقت المناسب ليتلقَّاها على الحافة، وبسيفه وجه ضربةً إلى ضلوع چون الذي قال عندما شعرَ بها تُصيب تُرسه: «عظيم، أحسنت، لكن عليك أن تضغط بجسدك. ضَع ثِقلك وراء الفولاذ وستُحدِث ضررًا أكبر مما ستُحدِثه قوَّة ذراعك وحدها. هيا، جرِّب ثانيةً، هاجِمني، لكن ارفع تُرسك وإلَّا دققتُ رأسك كالجرس...».

لكن بدلًا من هذا تراجعَ ساتان خُطوةً ورفعَ مقدِّمة خوذته قائلًا بتوتُّر: «چون».

حين التفتَ وجدَها واقفةً وراءه ومعها نِصف دستةٍ من رجال الملكة يُحيطون بها. لا عجب أن الصَّمت رانَ على السَّاحة. كان قد لمحَ مليساندرا عند نارها اللَّيليَّة، ورآها تذهب وتأتي في أنحاء القلعة، لكنه لم يرَها من هذا القُرب البالغ قَطُّ. إنها جميلة... لكن في هاتين العينين الحمراوين ثمَّة شيء يُثير قَدرًا من التَّوجُّس ليس بهيِّن.

- «الملك يُريد أن يتكلَّم معك يا چون سنو».

أغمدَ سيف التَّدريب في الأرض قائلًا: «هل تسمحين بأن أبدِّل ثيابي أولًا؟ لستُ بهيئةٍ تسمح بالمثول أمام ملك».

قالت مليساندرا: «سننتظرك على قمَّة (الجدار)».

تقول: «سننتظرك» لا «سينتظرك». ما يُقال صحيح إذن، هذه هي ملكته الحقيقيّة وليست التي تركَها في (القلعة الشَّرقيّة).

علَّق قميصه المعدني ودِرعه في مستودَع السِّلاح، ثم عادَ إلى حُجيرته حيث خلعَ ملابسه الملوَّثة بالعَرق وارتدى طقمًا نظيفًا من الأسود. ستكون البرودة والرِّيح شديدتيْن في القفص، وأشدَّ على قمَّة الجليد، فانتقى معطفًا ثقيلًا بقلنسوة، وأخيرًا التقطَ مخلبه الطَّويل وعلَّق السَّيف النَّغل على ظهره.

انتظرَته مليساندرا عند سفح (الجِدار) وقد صرفَت رجال الملكة، وسألَها چون وهما يَدخُلان القفص: «ماذا يُريد جلالته مني؟».

- «كلَّ ما لديك يا چون سنو. إنه ملك».

أغلقَ الباب وشَدَّ حبل الجرس، فبدأت الرَّافعة تدور والقفص يرتفع. كان نهارًا ساطعًا و(الجِدار) يذرف خيوطًا طويلةً من الماء سالَت على وجهه ملتمعةً في الشَّمس. في كنف القفص الحديدي الضيِّق أحسَّ چون بحضور المرأة الحمراء القوي. رائحتها ذاتها حمراء. ذكَّرته برائحة ورشة ميكن حين كان الحديد يلتهب كالحُمم، رائحة الدُّخان والدَّم، وفكَّر متذكِّرًا إيجريت: قبَّلتها النَّار. تخلَّلت الرِّيح ثياب مليساندرا الطَّويلة الفضفاضة وجعلَت أطرافها تضرب ساقَيْ چون الواقف إلى جوارها، فسألَها: «ألا تَشعُرين بالبرد يا سيِّدتي؟».

ضحكَت مجيبةً والياقوتة على حَلقها تبدو كأنها تنبض بالتَّزامُن مع قلبها: «أبدًا. نيران الإله حيَّة في داخلي يا چون سنو. انظُر»، ووضعَت يدها على وجنته وثبَّتتها هناك ليستشعر ما ينبعث منها من دفء، وأردفَت: «هكذا ملمس الحياة. وحده الموت بارد».

وجدا ستانيس باراثيون واقفًا وحده على قمَّة (الجِدار)، يتطلَّع إلى الميدان الذي ربحَ فيه معركته والغابة الخضراء الشَّاسعة وراءه، وقد ارتدى سراويلَ وسُترةً وحذاءً بسواد ثياب إخوان حَرس اللَّيل، لا يُمَيِّزه عنهم إلَّا المعطف الذَّهبي الثَّقيل الموشَّى بالفرو الأسود، والمثبَّت بمشبكٍ على شكل قلب ناري.

قالت مليساندرا: «أحضرتُ لك نغل (وينترفل) يا جلالة الملك».

التفتَ ستانيس يَرمُقه بإمعان. تحت حاجبيه الثَّقيلين عينان كلُجَّتين

زرقاوين بلا قرار، وتُغَطِّي وجنتيه الغائرتين وفكَّه القوي لحية سوداء مائلة إلى الزُّرقة مشذَّبة بعناية، وإن لم تُفلِح كثيرًا في إخفاء نحول وجهه. أسنانه منطبقة وعضلات عُنقه وكتفيه ويُمناه مشدودة، ولدى مرآها وجدَ چون نفسه يتذكَّر شيئًا قاله له دونال نوي عن الإخوة باراثيون. روبرت كان الفولاذ الحقيقي، وستانيس حديد خالص، أسود وصُلب وقوي، لكنه هَشٌّ كما الحديد، سينكسر قبل أن ينحني. بصعوبةٍ ركعَ متسائلًا عمَّا يُريده هذا الملك الهَشُّ منه.

- «انهض. سمعتُ الكثير جدًّا عنك يا لورد سنو».

نهضَ چون قائلًا: «لستُ لوردًا يا مولاي. أعرفُ ما سمعته، أنني مارق جبان، أنني قتلتُ أخي كورين ذا النِّصف يد كي يُبقي الهَمج على حياتي، أنَي ركبتُ مع مانس رايدر وتزوَّجتُ همجيَّةً».

قال الملك ستانيس وعلى شفتيه ابتسامة قاسية: «أجل، سمعتُ كلَّ هذا وأكثر. يقولون إنك وارْج أيضًا، مبدِّل جِلدة يسري ليلًا في صورة ذئب. كم من هذا صحيح؟».

- «كان لي ذئب رهيب اسمه جوست، تركته حين تسلَّقتُ (الجِدار) قُرب (الحارس الرَّمادي) ولم أرَه منذ ذلك الحين. كورين ذو النِّصف يد أمرَني بالانضمام إلى الهَمج. كان يعلم أنهم سيجعلونني أقتله لأثبت نفسي، وقال لي أن أفعل ما يُطلَب مني أيًّا كان. المرأة كان اسمها إيجريت، وقد خالفتُ يميني معها، لكنني أقسمُ لك باسم أبي أنني لم أمرق قَطُّ».

قال الملك: «أصدِّقك».

سألَه مذهولًا: «لماذا؟».

ضحكَ ستانيس بسخريةٍ مجيبًا: «لأني أعرفُ چانوس سلينت وعرفتُ ند ستارك أيضًا. لم يكن أبوك صديقي، لكن ما من أحدٍ يُشَكِّك في شَرفه وصدقه إلَّا وكان أحمق. إنك تُشبهه». لستانيس باراثيون قامة فارعة تَبسُق فوق قامة چون الأقصر، إلَّا أن نحوله الشَّديد يجعله يبدو أكبر عشرة أعوام من سِنِّه الفعليَّة. تابعَ الملك: «أعرفُ أكثر مما تتصوَّر يا چون سنو، أعرفُ أنك عثرت على خنجر زُجاج التنِّين الذي قتلَ به ابن راندل تارلي (الآخَر)».

- «جوست عثرَ عليه. كان الخنجر ملفوفًا بمعطف جوَّالٍ مدفون عند

سفح (قبضة البَشر الأوائل)، ومعه أسلحة أخرى، رؤوس سهام ورؤوس حِراب، كلُّها من زُجاج التنِّين».

قال الملك ستانيس: «أعرفُ أنك دافعت عن البوَّابة هنا، ولو لم تفعل لوصلتُ بَعد فوات الأوان».

- «دونال نوي دافعَ عن البوَّابة وماتَ في النَّفق وهو يُقاتِل ملك العمالقة».

تجهَّم ستانيس قائلًا: «نوي صنعَ لي سيفي الأول، ومطرقة روبرت أيضًا. لو شاءَ الإله أن يَترُكه حيًّا لأصبحَ قائدًا أفضل لجماعتكم من كلِّ الحمقى الآخَرين الذين يتنازَعون على المنصب الآن».

- «كوتر پايك والسير دينس ماليستر ليسا أحمقيْن يا مولاي، بل رجلان صالحان قويمان، وأوثيل يارويك أيضًا على طريقته. لقد حازَ كلٌّ منهم ثقة اللورد مورمونت».

- «اللورد مورمونت كان يثق بسهولة، وإلَّا لما ماتَ كما ماتَ. لكننا نتكلَّم عنك. إنني لم أنسَ أنك أحضرت لنا ذلك البوق المسحور وقبضت على زوجة مانس رايدر وابنه».

- «دالا ماتَت»، أجابَ چون الذي ما زالَ يحسُّ بالحُزن عليها. «ڤال أختها، ولم يتطلَّب القبض عليها والرَّضيع أيَّ مجهود يا جلالة الملك. كان الهَمج يفرُّون منك، ومبدِّل الجِلدة الذي تركَه مانس لحراسة ملكته جُنَّ حين احترقَ النَّسر»، ورمقَ مليساندرا مردفًا: «البعض يقولون إنكِ فعلتِ هذا».

ابتسمَت قائلةً وشَعرها النُّحاسي الطَّويل ينسدل على وجهها: «إله الضِّياء براثنه مِن نار يا چون سنو».

أومأ چون برأسه، وعادَ يلتفت إلى الملك قائلًا: «على ذِكر ڤال يا جلالة الملك، لقد طلبَت أن ترى مانس رايدر وتأخذ ابنه إليه. سيكون هذا... معروفًا».

- «الرَّجل متهرِّب من جماعتكم وإخوتك كلُّهم مصرُّون على موته، فلِمَ أسديه معروفًا؟».

لم يجد چون إجابةً للسُّؤال، واكتفى بقول: «إن لم يكن له فلڤال، لأجل خاطر أختها أمِّ الصَّبي».

- «أأنت شغوف بڤال هذه؟».

- «إنني أعرفها بالكاد».
- «يقولون لي إنها جميلة».
- «جدًّا».
قال ستانيس: «الجَمال خدَّاع أحيانًا. أخي تعلَّم هذا الدَّرس من سرسي لانستر. لقد قتلَته، لك أن تثق بهذا، وقتلَت أباك وجون آرن أيضًا»، وعقدَ حاجبيه مستطردًا: «أنت ركبت مع هؤلاء الهَمج. هل تعتقد أنهم يتمتَّعون بالشَّرف؟».
- «نعم، لكنه شَرف من نوعٍ يخصُّهم يا مولاي».
- «حتى مانس رايدر؟».
- «نعم».
- «وسيِّد العظام؟».
تردَّد جون قبل أن يُجيب: «كنا نُلَقِّبه بذي القميص المُخشخِش. إنه غادر متعطِّش للدِّماء، وإذا كان يتحلَّى بأيِّ شَرفٍ فإنه يُخفيه تحت قميصه العظمي».
- «والرَّجل الآخَر، تورموند صاحب الأسماء الكثيرة الذي ضلَّلنا بَعد المعركة؟ أجِبني بصدق».
- «تورموند بليَّة العماليق بدا لي من الرِّجال الذين تُستَحسَن صداقتهم وتُستَبشَع عداوتهم يا جلالة الملك».
أومأ ستانيس برأسه باقتضاب، وقال: «أبوك كان رجلًا شريفًا. لم يكن صديقي لكني رأيتُ قيمته. وأخوك كان متمرِّدًا خائنًا أرادَ أن يسرق نِصف مملكتي، لكن لا أحد يُمكنه التَّشكيك في شَجاعته. ماذا عنك؟».
هل يُريدني أن أقول إنني أحبُّه؟ أجابَ جون بنبرةٍ رسميَّة جامدة: «أنا رجل في حَرس اللَّيل».
- «كلام. الكلام هواء. لماذا تحسبني هجرتُ (دراجونستون) وأبحرتُ إلى (الجدار) يا لورد سنو؟».
- «لَستُ لوردًا يا مولاي، وآملُ أنك جئت لأننا أرسلنا نَطلُبك، وإن لم أكن أدري لماذا استغرقت وقتًا طويلًا قبل مجيئك».
أدهشَه أن ابتسمَ ستانيس وهو يقول: «إنك جريء كفايةً لأن تكون ستارك حقًّا. نعم، كان عليَّ أن أبكِّر بالمجيء، ولولا يدي فربما لم أكن لأجيء على

الإطلاق. اللورد سيوورث متواضع الميلاد، لكنه ذكَّرني بواجبي بينما لم أكن أفكِّرُ إلَّا في حقوقي. قال داڤوس إنني أضعُ العربة أمام الحصان، إنني أحاولُ الفوز بالعرش لأنقذ المملكة، على حين أن واجبي أن أنقذ المملكة لأفوز بالعرش»، وأشارَ الملك شمالًا متابعًا: «هنا سأجدُ العدوَّ الذي وُلِدتُ لأواجهه».

أضافَت مليساندرا بنعومة: «الذي يجب ألَّا يُذكَر اسمه. إنه إله اللَّيل والرُّعب يا چون سنو، وتلك الأشباح وسط الثُّلوج مخلوقاته».

قال ستانيس: «يقولون لي إنك قتلت واحدةً من تلك الجُثث السَّائرة لتُنقِذ حياة اللورد مورمونت. قد تكون هذه حربك أيضًا يا لورد سنو إذا مددتني بمساعَدتك».

أجابَ چون سنو بحذر: «لقد تعهَّدتُ بسيفي لحَرس اللَّيل يا جلالة الملك».

لم تُرضِ إجابته الملك، الذي صَرَّ بأسنانه قائلًا: «أريدُ منك ما هو أكثر من سيفك».

قال چون حائرًا: «ماذا يا سيِّدي؟».

- «أريدُ الشَّمال».

الشَّمال. «إنني... أخي روب كان الملك في الشَّمال...».

- «أخوك كان سيِّد (وينترفل) الشَّرعي، ولو مكثَ هناك وأدَّى واجبه بدلًا من تتويج نفسه والذَّهاب لغزو أراضي النَّهر فلربما كان حيًّا اليوم، لكن مهما يكن، أنت لست روب وأنا لستُ روبرت».

بخَّرت الكلمات الخشنة أيًّا كان ما يحمله چون لستانيس من تعاطُف، فقال: «لقد أحببتُ أخي».

قال ستانيس: «وأنا أحببتُ أخي، لكنهما كانا ما كانا ونحن كما نحن. أنا ملك (وستروس) الشَّرعي الوحيد، شمالها أو جنوبها، وأنت نغل ند ستارك»، وتفحَّصه بهاتين العينين الدَّاكنة زُرقتهما مواصلًا: «تايوين لانستر نصَّب رووس بولتون حاكمًا للشَّمال مكافأةً له على خيانته أخاك، والحديديُّون يُصارِع بعضهم بعضًا منذ موت بالون جرايچوي، لكنهم ما زالوا يُسَيطِرون على (خندق كايلن) و(ربوة الغابة) و(مربَّع تورين) ومعظم (السَّاحل

الحجري). أراضي أبيك تنزف، ولستُ أملكُ القوَّة أو الوقت لتضميد جراحها. ما نحتاج إليه هو سيِّد لـ(وينترفل)، سيِّد مخلص لـ(وينترفل)».

فكَّر چون مبهوتًا: إنه يتطلَّع إليَّ. «(وينترفل) راحَت. ثيون جرايچوي أحرقَها».

- «الجرانيت لا يحترق بسهولة، ويُمكن إعادة بناء القلعة مع الوقت. ليست الأسوار ما يصنع اللورد، وإنما الرِّجال. قومكم الشَّماليُّون لا يعرفونني وليس لديهم سبب يدعوهم لحُبِّي، لكني سأحتاجُ إلى قوَّتهم في المعارك المقبلة، وأريدُ أن يربحهم ابن إدارد ستارك ويضمَّهم إلى رايتي».

يُريد أن يجعلني سيِّد (وينترفل). كانت الرِّيح تهبُّ بقوَّةٍ وچون يَشعُر بدُوارٍ جعلَه يخشى أن تُطَيِّره من فوق (الجِدار) وهو يقول: «جلالة الملك، إنك تَنسى أنني سنو لا ستارك».

أجابَ ستانيس: «أنت مَن ينسى».

ووضعَت مليساندرا يدًا دافئةً على ذراعه قائلةً: «الملك يستطيع أن يُزيل وصمة النُّغولة بجرَّة ريشة يا لورد سنو».

لورد سنو. هكذا سمَّاه السير أليسر ثورن تهكُّمًا على ميلاده نغلًا، وقد اعتادَ كثيرون من إخوته دعوته به، بعضهم بمودَّة وبعضهم ليجرحه، لكن فجأةً صارَ للاسم وقع مختلف على أُذن چون، وقع... حقيقي. قال بتردُّد: «نعم، سبقَ أن شرعنَ الملوك نغولًا، ولكن... ولكني ما زلتُ أخًا في حَرس اللَّيل، ركعتُ أمام شجرة قلوب وأقسمتُ ألَّا أملك أراضيَ أو أنجب أولادًا».

قالت مليساندرا الدَّانية منه بشدَّةٍ أشعرَته بدفء أنفاسها: «چون، راهلور الإله الحقيقي الوحيد. اليمين التي تحلفها لشجرةٍ لا تختلف عن اليمين التي تحلفها لحذائك، لا قيمة لها. افتح قلبك ودَع نور الإله يَدخُله. أحرِق أشجار الويروود وتقبَّل (وينترفل) هديَّةً من إله الضِّياء».

في طفولته المبكرة، قبل أن يكبَر كفايةً ليفهم ما يعنيه أن يكون نغلًا، اعتادَ چون أن يَحلُم بأن تكون (وينترفل) له ذات يوم، ولاحقًا بَعد أن كبرَ قليلًا أصابَته تلك الأحلام بالخجل من نفسه. كان المفترَض أن تنتقل (وينترفل) إلى روب ثم أبنائه من بَعده، أو إلى بران أو ريكون إذا ماتَ روب دون أن يُنجِب، وبَعدهما سانزا وآريا. مجرَّد الحُلم بغير هذا بدا له غدرًا، كأنه يخونهم

في قلبه ويتمنَّى موتهم. والآن، واقفًا أمام الملك أزرق العينين والمرأة الحمراء، فكَّر: لم أرغب في هذا قَطُّ. لقد أحببتُ روب، أحببتهم جميعًا... لم أرغب في أن يمسَّ الأذى أيًّا منهم، لكنه مسَّهم، والآن ليس هناك إلَّاي. ما عليه إلَّا أن يقولها فيُصبح چون ستارك ولا يعود سنو ثانيةً أبدًا، ما عليه إلَّا أن يتعهَّد بولائه لهذا الملك وتصير (وينترفل) له، ما عليه إلَّا أن...

... يحنث بقَسمه مرَّةً أخرى.

ولن تكون خدعةً هذه المرَّة. لينال قلعة أبيه عليه أن ينقلب على آلهة أبيه.

عادَ الملك ستانيس يتطلَّع إلى الشَّمال ومعطفه المقصَّب بخيوط الذَّهب يُرَفرِف على كتفيه، وقال: «ربما أسأتُ الحُكم عليك يا چون سنو. كلانا يعرف ما يُقال عن النُّغول، وربما تفتقر إلى شَرف أبيك أو إلى براعة أخيك في الحرب، لكنك السِّلاح الذي مدَّني به الإله، عثرتُ عليك هنا كما عثرتَ على خبيئة زُجاج التنِّين عند (القبضة)، وأنوي أن أستغلَّك. حتى آزور آهاي لم ينتصر في الحرب بمفرده. لقد قتلتُ ألفًا من الهَمج وأسرتُ ألفًا غيرهم وشتَّتُّ البقيَّة، لكن أنا وأنت نعلم أنهم سيرجعون. مليساندرا رأت عودتهم في نارها. غالبًا يُعيد تورموند قبضة الرَّعد هذا تنظيم صفوفهم الآن ويُخطِّط لهجوم جديد، وكلما سفكنا مزيدًا من دماء بعضنا بعضًا أصبحنا أوهن وأوهن حين يكرُّ علينا العدوُّ الحقيقي».

كان چون قد أدركَ الشَّيء عينه، وقال متسائلًا في قرارته عمَّا يرمي إليه هذا الملك: «كما تقول يا جلالة الملك».

قال ستانيس: «بينما يتصارَع إخوتك على مَن سيقودهم كنتُ أتكلَّمُ مع مانس رايدر هذا»، وصَرَّت أسنانه وهو يُواصِل: «رجل عنيد وشديد الإباء، لن يَترُكَ لي خيارًا إلَّا أن أسلِّمه للَّهب. لكننا أسرنا قادةً غيره، منهم ذلك الذي يُسَمِّي نفسه سيِّد العظام، وعدد من زُعماء القبائل، وماجنَر (ثِن) الجديد. لن يروق إخوتك هذا كما لن يروق لوردات أبيك، لكني أنوي السَّماح للهَمج بالمرور من (الجِدار)... لمَن يُقسِمون لي على الولاء، ويتعهَّدون بالحفاظ على سلام الملك وصيانة قوانينه وقبول إله الضِّياء إلهًا لهم، بما فيهم العمالقة إذا كانت هاماتهم الهائلة تنحني. سأوطِّنهم (الهديَّة) بمجرَّد أن أنتزعها من قائدكم الجديد. عندما تهبُّ رياح البرد سنعيش أو نموت معًا. حانَ الوقت

لأن نتحالَف ضد عدوِّنا المشترَك»، ونظرَ إلى چون متسائلًا: «ألا تُوافِقني؟».

قال چون: «لقد حلمَ أبي بإعادة توطين (الهديَّة)، وتعوَّد أن يتكلَّم عن هذا مع عمِّي بنچن». لكنه لم يَحلُم قَطُّ بأن يستوطنها الهَمج... غير أنه لم يركب مع الهَمج قَطُّ كذلك. لم يُحاوِل أن يخدع نفسه، فهو يعلم تمامًا أن الأحرار سيكونون رعايا جامحين وجيرانًا خطرين، لكن حين كيِّل شَعر إيجريت الأحمر ضد أعيُن الجُثث الحيَّة الزَّرقاء الباردة كان اختيار الكفَّة الرَّاجحة سهلًا، فجاوبَ: «أوافقك».

قال الملك ستانيس: «عظيم، لأن أضمن وسيلةٍ لإبرام تحالُفٍ جديد هي الزَّواج. إنني أنوي تزويج سيِّد (وينترفل) الجديد بالأميرة الهمجيَّة».

ربما ركبَ چون مع شعب الأحرار طويلًا جدًّا، إذ لم يستطِع أن يمنع نفسه من الضَّحك قبل أن يقول: «جلالة الملك، سواء أكانت أسيرةً أم لم تكن، إذا كنت تحسب أنك تستطيع أن تُعطيني ڤال بهذه البساطة، فأخشى أن هناك الكثير مما عليك تعلُّمه عن نساء الهَمج. على مَن سيتزوَّجها أيًّا كان أن يكون مستعدًّا لأن يتسلَّق إلى نافذتها في البُرج ويختطفها تحت تهديد السِّلاح...».

حدجَه ستانيس بنظرةٍ كأنها تسبر أغواره قائلًا: «أيًّا كان؟ أيعني هذا أنك لن تتزوَّجها؟ انتبه، إنها جزء من الثَّمن الذي عليك أن تدفعه إذا أردت اسم أبيك وقلعته. هذه الزِّيجة ضروريَّة لضمان إخلاص رعايانا الجُدد. هل تَرفُض يا چون سنو؟».

أسرعَ چون يقول: «لا». الملك يتكلَّم عن (وينترفل)، و(وينترفل) لا تُرفَض بسهولة. «أعني... لقد فاجأتني يا جلالة الملك. هل تأذن لي في قليلٍ من الوقت لأفكِّر؟».

قال ستانيس: «كما تشاء، لكن فكِّر بسُرعة. إنني لستُ رجلًا صبورًا كما سيكتشف إخوتك السُّود قريبًا»، ووضعَ يدًا ناحلةً معروقةً على كتف چون مردفًا: «لا تقل شيئًا عمَّا تناقَشنا فيه اليوم لأيِّ أحد، لكن عندما تعود فما عليك إلَّا أن تركع وتضع سيفك عند قدمَيْ وتتعهَّد بنفسك لخدمتي، وحين تنهض ستكون چون ستارك، سيِّد (وينترفل)».



تيريون

حين سمعَ الجلبة الآتية من وراء باب زنزانته الخشبي السَّميك تأهَّب تيريون لانستر للموت.

أخيرًا. هيا إذن، هيا، أزهقوا روحي. دفعَ نفسه إلى النُّهوض ليجد ساقيه خدِرتيْن من طول الانطواء تحته، فانحنى يُدَلِّكهما خلاصًا مما فيهما من ألمٍ كالسَّكاكين. لن أذهب متعثِّرًا مترنِّحًا إلى قُرمة الجلَّاد.

تساءلَ إن كانوا سيَقتُلوه هنا في الظَّلام أم يجرُّوه عبر المدينة كي يضرب السير إلين باين رأسه. بَعد مهزلة محاكَمته قد تُفَضِّل أخته الجميلة وأبوه المحبُّ الخلاص منه بهدوءٍ بدلًا من المخاطَرة بإعدامه علنًا. يُمكنني أن أخبر الغوغاء بتشكيلةٍ منتقاة من الحكايات إذا ترَكوني أتكلَّمُ. لكن هل يكون أبوه وأخته بتلك البلاهة؟

إذ صلصلَت المفاتيح وانفتحَ باب الزِّنزانة مُصدرًا صريره ألصقَ تيريون ظَهره بالحائط الرَّطب متمنِّيًا لو أن معه سلاحًا. ما زالَ يُمكنني أن أعضَّ وأركُل. سأموتُ ومذاق الدِّماء في فمي على الأقل. ليته استطاعَ التَّفكير في كلماتٍ أخيرة تُثير الحماسة، فغالبًا لن تُكسِبه «نيكوا أنفسكم» مكانًا بارزًا في كُتب التَّاريخ.

سقطَ ضوء المشعل على وجهه، فرفعَ يده يحمي عينيه قائلًا بصوتٍ بُحَّ من قلَّة الاستعمال: «هلمَّ، هل تخاف قزمًا؟ افعلها يا ابن العاهرة الجرباء».

قال الرَّجل: «أهذه طريقة تتكلَّم بها عن السيِّدة والدتنا؟»، وتقدَّم حاملًا المشعل بيُسراه، وأضافَ: «زنزانتك ألعن من زنزانتي في (ريفرِرَن)، وإن لم تكن رطبةً مِثلها».

لم يستطِع تيريون أن يلتقط أنفاسه لحظةً، وقال مأخوذًا: «أنت؟».

أجابَ چايمي الذي بدا مهزولًا قصير الشَّعر: «أغلبي. تركتُ يدًا في

(هارنهال). لم يكن الإتيان برِفقة الشُّجعان عبر (البحر الضيِّق) من أفكار أبينا السَّديدة»، ورفعَ يده، ورأى تيريون الجَدعة...

... وتفجَّر الضَّحك المحموم من بين شفتيه، وبأنفاسٍ متقطِّعة قال: «أوه، يا للآلهة... چايمي، أنا آسفٌ حقًّا، لكن... بحَقِّ الآلهَة، انظُر إلينا. الأبتر والأجدع، ابنا لانستر».

قال چايمي: «مرَّت عليَّ أيام كانت رائحة يدي فيها بالسُّوء الذي جعلَني أتمنَّى لو أن أنفي مجدوع»، وخفضَ المشعل ليغمر الضَّوء وجه أخيه، وأضافَ: «نَدبة بديعة».

أشاحَ تيريون عن الوهج قائلًا: «جعلوني أخوضُ معركةً دون حماية أخي الكبير».

- «سمعتُ أنك كدت تُحرِق المدينة».

- «كذبة قذرة. لم أُحرِق إلَّا النَّهر»، قال تيريون، ثم تذكَّر فجأةً أين هو ولماذا، فسألَ أخاه: «أأنت هنا لتقتُلني؟».

- «يا لَنُكرانك. ربما عليَّ أن أتركك تتعفَّن هنا ما دُمت ستكون فظًّا هكذا».

- «التَّعفُّن ليس المصير الذي تعدُّه لي سرسي».

- «نعم إذا أردت الحقيقة. سيُقطَع رأسك غدًا في مضمار المباريات القديم».

ضحكَ تيريون ثانيةً، وقال: «هل سيكون هناك طعام؟ عليك أن تُساعِدني على انتقاء كلماتي الأخيرة، فعقلي هربَ مني كفأرٍ في قبو عميق».

رَدَّ چايمي بصوتٍ غريبة جدِّيَّته: «لن تحتاج إلَى كلماتٍ أخيرة. إنني هنا لأنقذك».

- «ومَن قال إنني في حاجةٍ إلى إنقاذ؟».

- «أتدري؟ كدتُ أنسى كم أنت صغير مزعج، والآن وقد ذكَّرتني فأعتقدُ أني سأتركُ سرسي تقطع رأسك».

قال خارجًا من الزِّنزانة بخُطواتٍ متمايلة: «أوه، لا، لن تفعل. أهو النَّهار أم اللَّيل بالأعلى؟ لقد فقدتُ إحساسي بالزَّمن».

أجابَه چايمي: «إنها الثَّالثة بَعد منتصَف اللَّيل»، وأعادَ المشعل إلى حامله على الحائط بين زنزانتين.

كانت إضاءة الدِّهليز ضعيفةً للغاية، حتى إن تيريون كادَ يتعثَّر في جسد السَّجَّان المنطرح على الأرض الحجريَّة الباردة. همزَه بإصبع قدمه متسائلًا: «أهو ميت؟».

- «نائم، والثَّلاثة الآخَرون أيضًا. الخصيُّ دَسَّ جرعةً من حُلو الكرى في نبيذهم، لكنها لا تكفي لقتلهم، أو أن هذا ما يُؤَكِّده. إنه منتظر عند السَّلالم مرتديًا مُسوح سِپتون. ستنزل إلى البالوعات، ومن هناك إلى النَّهر. هناك قادس ينتظرك في الخليج. ڤارس لديه عُملاء في المُدن الحُرَّة سيحرصون على ألَّا يعوزك المال... لكن حاوِل ألَّا تلفت الأنظار. ليس لديَّ شَكٌّ في أن سرسي ستُرسِل مَن يُلاحِقونك. خيرٌ لك أن تنتحل اسمًا آخَر».

- «اسمًا آخَر؟ أوه، مؤكَّد. وعندما يأتي الرِّجال عديمو الوجوه لقتلي سأقولُ: لا، لستُ من تقصدونه، إنني قزم آخَر بعاهةٍ قبيحة في وجهه».

ضحكَ الأخوان لانستر من سخافة الموقف، ثم جثا چايمي على رُكبته وقبَّله بسُرعةٍ على وجنتيه، ومسَّت شفتاه بينهما نسيج نَدبته المتغضِّن.

قال تيريون: «أشكرك يا أخي، على حياتي».

رَدَّ چايمي بصوتٍ غريب: «إنه... دَين لك عليَّ».

مالَ برأسه إلى الجانب متسائلًا: «دَين؟ لا أفهمُ».

- «لا بأس. الأفضل أن يبقى بعض الأبواب مغلقًا».

- «تبًّا. وراء الباب شيء قبيح يغمُّ، أليس كذلك؟ هل قال أحد معيَّن شيئًا قاسيًا عني ذات مرَّة؟ سأحاولُ ألَّا أبكي. أخبِرني».

- «تيريون...».

چايمي خائف. كرَّر تيريون: «أخبِرني».

أشاحَ أخوه بوجهه، وغمغمَ: «تايشا».

أحسَّ تيريون بصدره ينقبض، وتساءلَ: «تايشا؟ ماذا عنها؟».

- «لم تكن عاهرةً. لم أستأجرها لك. هذه كذبة أمرَني أبونا بأن أقولها. تايشا كانت... كانت كما قالت، ابنة مُزارع قابَلناها مصادفةً على قارعة الطَّريق».

سمعَ تيريون أنفاسه تُصَفِّر بصوتٍ أجوف خافت عبر نَدبة أنفه، ورأى چايمي لا يجرؤ على النَّظر في عينيه. تايشا. حاولَ أن يتذكَّر شكلها. كانت فتاة، مجرَّد فتاة ليست أكبر من سانزا. قال بصوتٍ مبحوح: «زوجتي، لقد تزوَّجتني».

- «أبونا قال إنها تزوَّجتك من أجل ذهبك. كانت وضيعة المولد وأنت

لانستر من (كاسترلي روك). لم تكن تُريد إلَّا الذَّهب، أي أن لا فرق بينها وبين العاهرة، ولذا... لذا لن تكون كذبةً حقًّا... قال إنك في حاجةٍ إلى درسٍ قوي، إنك ستتعلَّم منه وتَشكُرني لاحقًا...».

قال تيريون بصوتٍ مخنوق: «أشكرك؟! لقد أعطاها لحُرَّاسه، ثُكنة مليئة بالحُرَّاس، جعلَني... أشاهدُ». أجل، أشاهدُ وأكثر. أنا أيضًا أخذتها... زوجتي...

- «لم أعلم قطُّ أنه سيفعل هذا، يجب أن تُصَدِّقني».

زمجرَ تيريون: «أوه، يجب؟ ولِمَ أصدِّقُ أيَّ شيءٍ تقوله أبدًا؟ لقد كانت زوجتي!».

- «تيريون...».

ولطمَه تيريون. كانت صفعةً بظاهر اليد، لكنه وضعَ فيها بأسه كلَّه، خوفه كلَّه، غضبه كلَّه، ألمه كلَّه. كان چايمي مقرفصًا أمامه بلا توازُن، فطرحَته اللَّطمة أرضًا على ظَهره، ليقول: «أ... أعتقدُ أني استحققتُ هذا».

- «أوه، چايمي، لقد استحققت أكثر من هذا، أنت وأختي الجميلة وأبونا المحبُّ، نعم، لا يُمكنني أن أصف ما استحققتموه، لكنكم ستنالونه، أقسمُ لك. اللانستر يُسَدِّد ديونه دائمًا»، وابتعدَ تيريون وقد كادَ من عجلته يتعثَّر ثانيةً في السَّجَّان، لكن قبل أن يمضي دستةً من الياردات ارتطمَ ببوَّابةٍ حديد تسدُّ الدِّهليز. بحَقِّ الآلهة! لحظتها استجمعَ طاقته كلَّها كي لا يَصرُخ.

تقدَّم چايمي من ورائه قائلًا: «مفاتيح السَّجَّان معي».

انزاحَ تيريون، وقال: «استخدمها إذن».

فتحَ چايمي الرِّتاج ودفعَ البوَّابة ومَرَّ منها، ثم نظرَ من فوق كتفه متسائلًا: «هل ستأتي؟».

قال تيريون وهو يمرُّ: «ليس معك. أعطِني المفاتيح واذهب. سأجدُ ڤارس وحدي»، ومالَ برأسه ناظرًا إلى أخيه بعينيه غير المتماثلتيْن، وسألَه: «چايمي، هل تستطيع القتال بيُسراك؟».

أجابَه بمرارة: «أسوأ منك بكثير».

- «عظيم. إذن سنكون نِدَّيْن متكافئيْن إذا التقينا مرَّةً أخرى، المُعاق والقزم».

قال چايمي مناولًا إياه حلقة المفاتيح: «لقد أعطيتك الحقيقة، وأنت مدين لي بالمِثل. هل فعلتها؟ هل قتلته؟».

كان السُّوال سكِّينًا آخَر حَزَّ في أعماق تيريون، الذي قال: «أأنت واثق بأنك تُريد معرفة الإجابة؟ كان چوفري ليُصبح ملكًا أسوأ مما كان إيرس في حياته كلِّها. هل تعلم أنه سرقَ خنجر أبيه وأعطاه لقاتلٍ أجير ليذبح براندون ستارك؟».

- «خطرَ... خطرَ لي أنه فعلَها».

- «هذا الشِّبل من ذاك الأسد. چوفري كان سيَقتُلني أيضًا ما إن يرتقي العرش بجريرة أنني قصير قبيح، الجريرة التي أحملُ ذنبها بكلِّ وضوح».

- «لم تُجِب عن سؤالي».

قال تيريون: «يا لك من مُعاق مسكين أعمى أحمق! أيجب أن أشرح لك كلَّ شيءٍ بالتَّفصيل؟ سرسي عاهرة كذَّابة، كانت تُضاجِع لانسل وأوزموند كِتلبلاك وربما فتى القمر أيضًا. وأنا الوحش الذي يقولون. نعم، قتلتُ ابنك الكريه»، وجعلَ نفسه يبتسم، ولا بُدَّ أن المنظر كان شنيعًا حقًّا في ضوء المشعل الباهت.

ودارَ چايمي بلا كلمةٍ واحدة وابتعدَ.

شاهدَه تيريون يذهب، يمضي على ساقيه الطَّويلتين القويَّتين، يُريد جزء منه أن يُناديه ويُخبِره أن ما قاله ليس صحيحًا، أن يتوسَّل مغفرته، ثم إنه تذكَّر تايشا وحافظَ على صمته وهو يُصغي إلى وقع قدمَيْ چايمي المبتعد إلى أن غابَ تمامًا عن مسامعه، ثم تحرَّك يبحث عن ڤارس.

كان الخصيُّ كامنًا في الظَّلام عند سُلَّم لولبي، يرتدي ثوبًا بنِّيًّا أكلَه العُثُّ وله قلنسوة أخفَت شحوب وجهه، ولمَّا رأى تيريون قال: «تأخَّرت جدًّا. خشيتُ أن سوءًا ما وقعَ».

طمأنَه تيريون بنبرةٍ مسمومة: «أوه، البتَّة. ما السَّيِّئ الذي يُمكن أن يقع؟»، ورفعَ رأسه يَرمُقه مردفًا: «أرسلتُ لك في أثناء محاكَمتي».

- «لم أستطِع أن آتي. الملكة وضعَتني تحت المراقَبة ليل نهار، ولم أجسر على مساعَدتك».

- «إنك تُساعِدني الآن».

قال ڤارس مقهقهًا: «حقًّا؟ آه»، فبدَت قهقهته في غير محلِّها في هذا المكان الحجريِّ البارد وظُلمته الممتدَّة. «أخوك مقنعٌ للغاية».

- «ڤارس، هل قال لك أحد من قبل إنك بارد لزج كالدُّود؟ لقد بذلت كلَّ ما في وسعك لقتلي، وربما عليَّ أن أردَّ الجميل».

تنهَّد الخصيُّ، وقال: «الكلب المخلص مُبتلى بالرَّكلات، ومهما نسجَ العنكبوت من شباكٍ لا يحبُّه أحد أبدًا. لكني أخشى عليك إذا قتلتني هنا يا سيِّدي، فقد لا تجد طريقك إلى النُّور ثانيةً أبدًا»، والتمعَت عيناه الدَّاكنتان الدَّامعتان في ضوء المشعل المتذبذب وهو يُضيف: «هذه الأنفاق ملأى بالشِّراك التي يَسقُط فيها الغافلون».

أطلقَ تيريون نخيرًا، ورَدَّ: «الغافلون؟ أنا أكثر رجلٍ يقظ عرفَه العالم، وقد ساعدت بنفسك على حدوث هذا»، وفركَ أنفه متسائلًا: «أخبِرني إذن أيها السَّاحر، أين زوجتي البريئة؟».

- «يُؤسِفني أن أقول إنني لم أجد أثرًا لليدي سانزا في (كينجز لاندنج)، ولا للسير دونتوس هولارد الذي كان يُفترَض أن يظهر سكرانًا في مكانٍ ما. لقد شُوهِدا معًا على السَّلالم الملتفَّة ليلة اختفائها، وبَعدها لا شيء. كان الارتباك شديدًا ليلتها، وطيوري الصَّغيرة صامتة»، وشَدَّ ڤارس تيريون من كُمِّه برفقٍ وسحبَه إلى السَّلالم قائلًا: «يجب أن نتحرَّك يا سيِّدي. طريقك إلى أسفل».

ليس كاذبًا في هذا على الأقل. سارَ تيريون في أعقاب الخصيِّ ليحتكَّ كعبا حذائه بالحجر الخشن وهما ينزلان. كانَ البرودة قارسةً في بئر السُّلَّم، برودة رطبة تُجَمِّد العظام ارتجفَ لها جسده في الحال، فسأَلَ: «أيُّ جزءٍ من الزَّنازين هذا؟».

أجابَ ڤارس: «ميجور المتوحِّش أمرَ ببناء أربعة مستويات من الزَّنازين في هذه القلعة. في المستوى العُلوي زنازين واسعة يُحبَس فيها المجرمون العوام معًا، في جُدرانها نوافذ ضيِّقة مرتفعة. في المستوى الثَّاني زنازين أصغر يُحبَس فيها الأسرى النُّبلاء. إنها بلا نوافذ، لكن المشاعل المعلَّقة في الدَّهاليز تُلقي الضَّوء من بين القضبان. في المستوى الثَّالث زنازين أصغر وأبوابها من الخشب، الزَّنازين السَّوداء كما يُسَمُّونها. هناك كنتَ مسجونًا، وإدارد ستارك من قبلك. لكن ثمَّة مستوى أدنى. فور أن يُؤخَذ أحدهم إلى المستوى الرَّابع لا يرى الشَّمس ثانيةً أبدًا أو يسمع صوت إنسان أو يلتقط نفسًا خاليًا من الألم الرَّهيب. ميجور أمرَ ببناء زنازين المستوى الرَّابع للتَّعذيب». كانا قد بلغا قاعدة السُّلَّم، حيث وجدا بابًا مفتوحًا غير مُضاء، فقال الخصيُّ: «هذا هو المستوى الرَّابع. أعطِني يدك يا سيِّدي. المشي في الظَّلام هنا آأمن. ثمَّة أشياء لست ترغب في رؤيتها».

تباطأ تيريون بُرهةً. لقد خانَه ڤارس من قبل، فمَن يدري اللُّعبة التي يلعبها الآن؟ وهل هناك أصلح لقتل رجلٍ مِن مكانٍ مظلم لا يعرف أحد بوجوده؟ ربما لا يجدون جثَّته أبدًا.

لكن مِن ناحيةٍ أخرى ما خياره؟ أن يصعد السَّلالم ويَخرُج من البوَّابة الرَّئيسية؟ لا، لن يَصلُح ذلك.

لم يكن چايمي ليخاف، فكَّر قبل أن يتذكَّر ما فعلَه به چايمي، والتقطَ يد الخصيِّ وتركَ نفسه يُقاد في السَّواء متَّبعًا احتكاكَ الجِلدِ الخافت بالحجر. مشى ڤارس بخُطى حثيثة، يهمس بين الحين والآخَر: «احذر، أمامك ثلاث درجات»، أو: «النَّفق ينحدر إلى أسفل هنا يا سيِّدي». جئتُ هذه المدينة وأنا يد الملك، داخلًا من البوَّابة على رأس رجالي المحلَّفين، وأغادرها كجرذٍ يَهرُب في الظَّلام، ماسكًا يد عنكبوت.

لاحَ أمامهما ضوء أكثر خبوًّا من أن يكون ضوء النَّهار، وبدأ يزداد إذ أسرعا صوبه، وبَعد فترةٍ تبيَّن تيريون أنه يأتي من مدخلٍ مقنطَر تُغلِقه بوَّابة حديديَّة أخرى. أخرجَ ڤارس مفتاحًا، ثم دخلا حُجرةً صَغيرةً مستديرةً فيها خمسة أبواب كلُّها مغلَق بالحديد، وثمَّة فتحة في السَّقف أيضًا، تحتها درجات مثبَّتة في الجدار تتَّجه إلى أعلى، وقد استقرَّ إلى جانبها مستوقَد منمَّق على شكل رأس تنِّين. كان الفحم في فم الوحش المفغور قد تحوَّل إلى جمرٍ لا يزال يتوهَّج بضوءٍ برتقاليٍّ كئيب، وعلى الرغم من خفوته رحَّب تيريونُ بالضَّوء بَعد ظُلمة النَّفق الدَّامسة.

باستثناء هذا كان المكان خاليًا إلَّا من صورةٍ بالفُسيفساء الحمراء والسَّوداء على الأرض لتنِّينٍ ثُلاثي الرُّؤوس. ألحَّ عليه خاطر مجهول لحظات، ثم إنه أدركَه. هذا هو المَكان الذي أخبرَتني شِاي عنه حين قادَها ڤارس إلى فِراشي أول مرَّة. «نحن تحت (بُرج اليد)».

- «نعم»، قال ڤارس دافعًا الباب المغلَق منذ زمنٍ طويل، لتَصرُخ المفصلات المتيبِّسة اعتراضًا وتطفو قشور الصَّدأ في الهواء إلى الأرض. «هذا الطَّريق سيأخذنا إلى النَّهر».

مشى تيريونُ بتؤدةٍ إلى السُّلَّم وتحسَّس الدَّرجة السُّفلي قائلًا: «سيقودني هذا إلى غُرفة نومي».

- «غُرفة نوم أبيك الآن».

رفعَ عينيه ناظرًا إلى البئر، وسألَه: «ما المسافة التي عليَّ أن أصعدها؟».

- «سيِّدي، إنك أضعف من ارتكاب حماقاتٍ كهذه، ثم إن لا وقت لها. يجب أن نذهب».

- «لديَّ شأن بالأعلى. ما المسافة؟».

- «مئتان وثلاثون درجة، لكن أيًّا كان ما تنتويه...».

- «مئتان وثلاثون درجة، ثم ماذا؟».

- «النَّفق إلى اليسار، لكن اسمعني...».

رفعَ تيريون قدمه إلى الدَّرجة الأدنى سائلًا: «كم تَبعُد غُرفة النَّوم؟».

قال الخصيُّ: «ليس أكثر من ستِّين قدمًا. ضَع يدك على الحائط وأنت تتحرَّك وستَشعُر بالأبواب. غُرفة النَّوم وراء الثَّالث»، وتنهَّد مردفًا: «هذه حماقة يا سيِّدي. لقد أعادَ لك أخوك حياتك، فهل تُريد أن تُبدِّدها وتُبدِّد حياتي معها؟».

- «ڤارس، الشَّيء الوحيد الذي يعنيني أقل من حياتي الآن هو حياتك»، وأدارَ تيريون ظَهره للخصيِّ وبدأ يصعد وهو يعدُّ الدَّرجات بصمت.

درجةً درجةً ارتقى إلى الظَّلام. في البداية كان يرى الحدود الغامضة لكلِّ درجةٍ وهو يقبض عليها، وبنية الحجارة الرَّماديَّة الخشنة وراءها، لكن السَّواد تنامى كلَّما صعدَ. *13*، *14*، *15*، *16*. عند الدَّرجة الثَّلاثين ارتجفَت ذراعاه من إجهاد سحبهما جسده إلى أعلى، فتوقَّف لحظةً يلتقط أنفاسه وألقى نظرةً إلى أسفل، فرأى دائرةً من الضَّوء الخافت تكاد تُواريها قدماه. ثم واصلَ تيريون الصُّعود. *39*، *40*، *41*. عند الدَّرجة الخمسين أحسَّ بحريقٍ في ساقيه، والسُّلَّم بلا نهاية يُخَدِّر الأوصال. *68*، *69*، *70*. عند الدَّرجة الثَّمانين كان الألم يستبدُّ بظَهره، لكنه ظَلَّ يصعد ولا يدري لِمَ. *113*، *114*، *115*.

عند الدَّرجة المئتين وثلاثين كانت البئر سوداء كالقار، لكنه شعرَ بدفء الهواء يهبُّ من النَّفق إلى يساره كأنفاس وحش عظيم. تحسَّس بقدمه بحذر متوتِّر ثم نقلَ جسده من السُّلَّم إلى النَّفق، الذي ألفاه أضيق من البئر. كانَ على أيِّ رجلٍ حجمه طبيعيٌّ أن يزحف فيه على يديه ورُكبتيه، لكن تيريون قصير بما يكفي لأن يمشي مفرود القامة. أخيرًا مكان يَصلُح للأقزام. احتكَّ

حذاؤه بخفوتٍ بالحجر، ومشى ببُطءٍ يعدُّ خُطواته ويتحسَّس الجِدار بحثًا عن فجوة، وسرعان ما تناهَت إلى سمعه أصوات، مكتومة مبهَمة في البداية، ثم بدأت تتَّضح. أرهفَ أُذنيه فسمعَ اثنان من حَرس أبيه يتمازَحان بشأن عاهرة العِفريت، يقولان كم سيكون رائعًا أن يُضاجِعاها، وإنها بالتَّأكيد في حاجةٍ إلى قضيبٍ حقيقي بدلًا من دودة القزم الصَّغيرة. قال لوم: «إنه معوجٌّ غالبًا»، وأفضى به هذا إلى نقاشٍ حول موت تيريون غدًا، وقال بإصرار: «سيبكي كالنِّساء ويتوسَّل الرَّحمةَ، سترى»، على أن لستر أكَّد أنه سيُواجِه الفأس بشَجاعة الأسود باعتباره من آل لانستر وما إلى ذلك، ويُراهِن بحذائه الجديد على هذا، فردَّ لوم: «آه، خراء على حذائك. أنت تعلم أن مقاسه لا يُناسِب قدمَيْ. اسمع، إذا فزتُ ستُنظِّف قميصي المعدني مدَّة أسبوعين».

ظلَّ تيريون يسمع كلَّ كلمةٍ من مساوَمتهما خلال مسافة أقدام قليلة، لكن صوتيهما خفتا سريعًا إذ ابتعدَ، وفكَّر تيريون مبتسمًا في الظَّلام: لا غرو أن ڤارس لم يُردني أن أتسلَّق السُّلَّم اللَّعين. طيور صغيرة حقًّا.

بلغَ البابَ الثَّالث وتحسَّس مدَّةً طويلةً قبل أن تمسَّ أصابعه خُطَّافًا حديديًّا صغيرًا بين حجرين، ولمَّا جذبَه سمعَ قعقعةً خفيضةً كان وقعها كانهيارٍ صخري في هذا السُّكون، وإلى يساره انفتحَ مربَّع يأتي منه ضوء برتقالي باهت.

المستوقَد! كادَ يضحك. كان المستوقَد مليئًا بالرَّماد السَّاخن وفيه قطعة خشب متفحِّمة يحترق قلبها بالبرتقالي. تجاوزَه بحذرٍ آخذًا خُطواتٍ سريعة كي لا يحترق حذاؤه، لتنسحق الجذوات الدَّافئة تحتَ قدميه بصوتٍ ناعم. أخيرًا وجدَ نفسه في غُرفة نومه السَّابقة، فتوقَّف طويلًا يستنشق الصَّمت. هل سمعَ أبوه؟ هل يختطف سيفه ويستغيث؟

ونادى صوت امرأة: «سِيدي».

كان هذا ليؤلمني فيما مضى، حين كنتُ لا أزالُ أشعرُ بالألم. الخُطوة الأولى كانت الأصعب، وحين بلغَ تيريون الفِراش أزاحَ السَّتائر، وها هي ذي تلتفت نحوه بابتسامةٍ ناعسة على شفتيها، ابتسامة ماتَت عندما رأته، ورفعَت الأغطية إلى ذقنها كأن هذا سيحميها.

- «هل كنتِ تتوقَّعين أحدًا أطول يا حُلوتي؟».

أفعمَت عينيها دموع غزيرة وهي تقول: «لم أعنِ الأشياء التي قلتها، الملكة جعلَتني أقولها. أرجوك، أبوك يُخيفني كثيرًا»، واعتدلَت جالسةً فانحسرَت الأغطية إلى خصرها، وتحتها كانت عاريةً تمامًا إلّا من السِّلسلة المحيطة بعُنقها، سلسلة من الأيادي الذَّهبيَّة الممسكة كلٌّ منها بالتَّالية.

قال تيريون بخفوت: «سيِّدتي شاي، طيلة الوقت الذي أمضيته في زنزانتي السَّوداء منتظرًا الموت ظللتُ أتذكَّرُ جَمالكِ، سواء أكنتِ ترتدين الحرير أم الخيش أم لا ترتدين شيئًا على الإطلاق...».

- «سيدي سيعود قريبًا. يَجدُر بك أن تذهب... أم أنك أتيت لتأخذني؟».

- «هل أحببتِها؟». وضعَ يده على خدِّها متذكِّرًا المرَّات العديدة التي فعلَ فيها هذا من قبل، كلَّ المرَّات التي طوَّق فيها خاصرتها الصَّغيرة بيديه، المرَّات التي اعتصرَ فيها ثدييها الرَّيَّانيْن وملَّس على شَعرها الأسود القصير ومَسَّ شفتيها ووجنتيها وأُذنيها، كلَّ المرَّات التي فتحَها فيها بإصبعٍ سابرًا عُذوبتها الخفيَّة وجاعلًا إياها تتأوَّه. «هل أحببتِ لمستي؟».

- «أكثر من أيِّ شيءٍ في الدُّنيا يا عملاقي اللانستر».

ما كنتِ لتقولي شيئًا أسوأ يا حُلوتي.

مَدَّ تيريون يده تحت سلسلة أبيه ولواها، وانقبضَت الحلقات منغرسةً في عُنقها وهو يقول: «فالأيدي الذَّهب دومًا باردة، لكن يدَيْ المرأة تشعَّان دفئًا»، ولوى الأيدي الباردة مرَّةً أخرى تاركًا اليدين الدَّافئتين تضربان وجهه وتمسحان دموعه.

بَعدها وجدَ خنجر اللورد تايوين على الخوان المجاور للفِراش ودسَّه في حزامه. على الجُدران عُلِّقَ صولجان برأس أسد وفأس ونُشَّابيَّة. لن يستطيع حمل الفأس كما ينبغي داخل القلعة، والصَّولجان أعلى من أن يَبلُغه، لكن تحت النُّشَّابيَّة مباشرةً وُضِعَ صندوق من الخشب والحديد، فصعدَ عليه والتقطَها مع جَعبةٍ من الجِلد ملأى بالسِّهام، ثم دفعَ الزِّناد بقدمه إلى أن صلَى الوتر وثبَّت سهمًا.

كان چايمي قد لقَّنه عيوب النُّشَّابيَّة مرارًا، وإذا ظهرَ لوم ولستر من حيث كانا يتكلَّمان فلن يجد وقتًا لإعادة تلقيمها، لكنه سيأخذ أحدهما معه إلى الجحيم على الأقل، لوم إذا استطاعَ الاختيار. ستُنَظِّف قميصك بنفسك يا لوم، أنت الخاسر.

اتَّجه إلى الباب وأنصتَ لحظةً ثم فتحَه ببُطء، فرأى مصباحًا مضاءً في كُوَّةٍ

حجريَّة، يُلقي ضوءًا أصفر باهتًا على الرُّواق الخالي. لم يكن شيء يتحرَّك إلَّا اللَّهب، وخرجَ تيريون مسندًا النُّشَّابيَّة إلى ساقه.

وجدَ أباه حيث عرفَ أنه سيجده، جالسًا في عتمة بُرج المراحيض وقد رفعَ معطف النَّوم حول وَركيه، ولمَّا سمعَ اللورد تايوين الخُطوات رفعَ عينيه.

انحنى تيريون نِصف انحناءة، وقال ساخرًا: «سيِّدي».

إذا كان تايوين لانستر خائفًا فإنه لم يُبدِ أمارةً على خوفه وهو يقول: «تيريون. مَن أطلقَ سراحك من زنزانتك؟».

- «وددتُ لو أُخبرك، لكني حلفتُ يمينًا مقدَّسةً».

قال أبوه: «الخصيُّ. سأضربُ رأسه لما فعلَه. أهذه نُشَّابيَّتي؟ ضَعها».

- «هل ستُعاقِبني إذا رفضتُ يا أبي؟».

- «هروبك هذا حماقة. إنك لن تُقتَل إذا كان هذا ما تخشاه. ما زلتُ أنوي إرسالك إلى (الجِدار)، لكني لم أستطع أن أفعلها دون موافَقة اللورد تايرل. ضَع النُّشَّابيَّة وسنعود إلى غُرفتي ونتكلَّم».

- «يُمكننا أن نتكلَّم هنا أيضًا. ربما لا أختارُ أن أذهب إلى (الجدار) يا أبي. البرد لعين هناك، وأعتقدُ أني نلتُ منك بردًا يكفيني. أريدك أن تُخبِرني بشيءٍ واحد ثم سأذهبُ، سؤال واحد بسيط، أنت مدين لي بهذا القَدر».

- «لستُ مدينًا لك بشيء».

- «لقد أعطيتني أقلَّ من لا شيء طيلة حياتي، لكنك ستُعطيني هذه الإجابة. ماذا فعلت بتايشا؟».

- «تايشا؟».

لا يذكُر اسمها حتى. «الفتاة التي تزوَّجتها».

- «أوه، نعم، عاهرتك الأولى».

صوَّب تيريون النُّشَّابيَّة إلى صدر أبيه قائلًا: «قُل هذه الكلمة مرَّةً أخرى وسأقتلك».

- «لست تملك الشَّجاعة».

- «هلَّا اكتشفنا؟ إنها كلمة قصيرة، ويبدو أنها تثب إلى شفتيك بسهولة»، وأشارَ تيريون بسلاحه بصبرٍ نافد مضيفًا: «تايشا. ماذا فعلت بها بَعد أن لقَّنتني درسي؟».

- «لا أذكرُ».

- «فكِّر جيِّدًا. هل أمرت بقتلها؟».

زَمَّ أبوه شفتيه قائلًا: «لم يكن هناك داعٍ لهذا بَعد أن عرفَت مقامها... وأذكرُ أنها تلقَّت أجرًا سخيًّا على عملها. أظنُّ أنَّ الوكيل أرسلَها إلى حال سبيلها. لم أفكِّر في السُّؤال».

- «أرسلَها إلى أين؟».

- «أينما تذهب العاهرات».

انقبضَ إصبع تيريون، وصدرَ من النُّشَّابيَّة صوتٌ وتريٌّ في اللَّحظة التي بدأ فيها اللورد تايوين ينهض، وأصابَه السَّهم فوق الخاصرة مباشرةً وجعلَه يرتدُّ جالسًا من جديد. انغرسَ السَّهم في عُمق لحمه حتى الرِّيشة، وانبجسَت دماؤه من حول القناة سائلةً إلى شَعر عانته وفخذيه المشكوفتين، وبعينين صيَّرتهما الصَّدمة زُجاجًا قال: «لقد أرديتني».

قال تيريون: «لطالما كنت سريع البديهة يا سيِّدي. لا بُدَّ أنك يد الملك لهذا السَّبب».

- «أنت... أنت لست... لست ابني».

- «في هذا أنت مخطئ يا أبتِ، إنني نُسخة مصغَّرة منك. والآن أسدِني صنيعًا ومُت بسُرعة. يجب أن ألحق بسفينتي».

لأول مرَّةٍ في عُمره فعلَ أبوه ما طلبَه منه، بدليل الرَّائحة الكريهة المفاجئة التي فاحَت إذ ارتخَت أحشاؤه وأفرغَت محتوياتها في لحظة الموت، ففكَّر تيريون: على الأقل كان في المكان المناسب لهذا.

لكن الرَّائحة النَّتنة التي أفعمَت المرحاض كانت دليلًا دامغًا على أن الدُّعابة التي كثيرًا ما ردَّدتها الألسنة عن أبيه مجرَّد أكذوبةٍ أخرى.

ففي النِّهاية اتَّضح أن اللورد تايوين لانستر لا يتبرَّز ذهبًا.



ساموِيل

رأى سام في الحال أن الملك غاضب.

أزاحَ ستانيس إفطاره المكوَّن من الخُبز الجامد واللَّحم البقري المملَّح والبيض المسلوق، وببرودٍ رمقَ الإخوة السُّود إذ دخلوا واحدًا تلو الآخَر وركعوا أمامه، وإلى جواره بدَت المرأة الحمراء مليساندرا كأنها تجد المشهد مسلِّيًا.

حين وقعَت عليه نظرات عينيها الحمراوين فكَّر سام بانزعاج: ليس لي مكان هنا. كان على أحدنا أن يُساعِد المِايستر إيمون على صعود السَّلالم. لا تَنظُري إليَّ، إنني وكيل المِايستر ليس إلَّا. الآخَرون هُم المتنافسون على قيادة الدُّب العجوز، جميعهم باستثناء باون مارش الذي انسحبَ من السِّباق لكنه يظلُّ أمين القلعة وقيِّم الوُكلاء، فما الذي يبعث مليساندرا على أن تبدو مهتمَّةً بسام هكذا؟

أبقى الملك ستانيس الإخوة السُّود على رُكبهم فترةً طالَت كثيرًا، قبل أن يقول أخيرًا: «انهضوا»، وأعطى سام المِايستر إيمون كتفه ليُساعِده على النُّهوض.

تنحنُح اللورد چانوس سلينت قاطعًا الصَّمت المشدود، وقال: «جلالة الملك، دَعني أعربُ عن سرورنا البالغ لاستدعائك إيانا. حين رأيتُ راياتك من فوق (الجِدار) علمتُ أن البلاد أُنقِذَت، وقلتُ للسير أليسر الكريم: هاهو رجل لا ينسى واجبه أبدًا، رجل قوِي وملك حقيقي. اسمح لي بأن أهنِّئك على انتصارك على الهمجيِّين. سيُؤَلِّف المغنُّون عنه الكثير، أعرف...».

قاطعَه ستانيس بحدَّة: «فليفعل المغنُّون كما يُريدون. اعفِني من تملُّقك يا

چانوس، فلن ينفعك»، ونهضَ ناظرًا إليهم بتجهُّم، وقال: «الليدي مليساندرا أخبرَتني بأنكم لم تختاروا قائدًا بعدُ. إنني مستاء. إلى متى ستدوم هذه المهزلة؟».

قال باون مارش بلهجةٍ دفاعيَّة: «مولاي، لا أحد حازَ ثُلثَيْ الأصوات حتى الآن، ولم يمضِ أكثر من عشرة أيام».

- «أي تسعةَ أيام أطول من اللَّازم. إن عندي أسرى يجب أن أتصرَّف فيهم ومملكةً أنظِّمها وحربًا أخوضها. هناك اختيارات لا بُدَّ أن تتمَّ، قرارات تخصُّ (الجِدار) وحَرس اللَّيل، قرارات ينبغي أن يكون لقائدكم دور فيها».

قال چانوس سلينت: «ينبغي، نعم، لكن لا مناص من قول إننا نحن الإخوة جنود بُسطاء، جنود، نعم! وجلالتك تعلم أن الجنود يستريحون أكثر لتلقِّي الأوامر. يبدو لي أنهم سيفيدون من توجياهتك الملكيَّة، من أجل صالح البلاد، لمساعَدتهم على الاختيار بحكمة».

أحنقَ الاقتراح عددًا من الآخَرين، فقال كوتر پايك بغضب: «هل تُريد الملك أن يمسح مؤخِّراتنا أيضًا؟»، وقال السير دينس ماليستر بإصرار: «اختيار القائد يخصُّ الإخوة المحلَّفين فقط ولا أحد غيرهم»، وأعلنَ إد الكئيب بنبرةٍ كالنُّواح: «إذا اختاروا بحكمةٍ فلن يختاروني»، أمَّا المِايستر إيمون فقال بهدوئه المعتاد: «جلالة الملك، حَرس اللَّيل يختارون قائدهم منذ شيَّد براندون البنَّاء (الجِدار)، وبچيور مورمونت يكون قد تعاقَب علينا تسعمئة وسبعة وتسعون قائدًا بلا انقطاع، جميعهم اختيرَ من قِبل الرِّجال الذين قادوهم. إنه تقليد عُمره عدَّة آلاف من الأعوام».

صَرَّ ستانيس بأسنانه مجيبًا: «ليست رغبتي أن أتدخَّل في حقوقكم وتقاليدكم. وبالنِّسبة للتَّوجيهات الملكيَّة يا چانوس، إذا كنت تعني أن عليَّ أن أقول لإخوتك أن ينتخبوك، فعلى الأقل تحلَّ بالشَّجاعة وقُلها».

باغتَ قوله اللورد چانوس الذي ابتسمَ بحيرةٍ وبدأ ينضح عَرقًا، إلَّا أن باون مارش الواقف إلى جواره قال: «مَن الأجدر بقيادة ذوي المعاطف السَّوداء ممَّن قادَ ذوي المعاطف الذَّهبيَّة يا مولاي؟».

حدجَ الملك سلينت ببرودٍ مجيبًا: «أيكم في رأيي، حتى الطَّاهي. ربما لم يكن چانوس أول مرتشٍ بمعطفٍ ذهبي، لن أنكر هذا، ولكنه غالبًا كان

أول قائدٍ يُكَدِّس المال عن طريق بيع المناصب والتَّرقيات. عند نهاية خدمته مؤكَّد أنّ نِصف ضُبَّاط حَرس المدينة كانوا يدفعون له جزءًا من أجورهم، أليس كذلك يا چانوس؟».

رَدَّ سلينت وعُنقه يحتقن بالدِّماء: «أكاذيب، كلُّها أكاذيب! الرَّجل القوي يُكوِّن عداوات، جلالتك تعلم هذا. إنهم يتهامَسون كذبًا وراء ظَهرك. لم يَثبُت شيء، ولم يتقدَّم رجل واحد...».

عادَ ستانيس يُقاطِعه: «رجلان مستعدَّان للشَّهادة ماتا فجأةً في أثناء مناوَبتيهما»، وزَرَّ عينيه مضيقًا: «لا تستخفنَّ بي يا سيِّدي. لقد رأيتُ الدَّليل الذي قدَّمه چون آرن للمجلس الصَّغير، ولو كنتُ الملك لفقدت أكثر من منصبك، ثِق بهذا، لكن روبرت استهانَ بزلَّاتك الصَّغيرة، وأذكرُ أنه قال: كلُّهم يسرقون. اللِّصُّ الذي نعرفه خيرٌ من الذي نجهله. ربما يكون الرَّجل التَّالي أسوأ. أراهنُ أنها كانت كلمات اللورد پيتر في فم أخي. الإصبع الصَّغير محترف في جني الذَّهب، وإنني متأكِّد من أنه رتَّب الأمور بحيث يستفيد التَّاج من فسادك كما استفدت منه».

كان لُغد اللورد چانوس يهتزُّ، لكن قبل أن يُواصِل الاعتراض قال المِايستر إيمون: «جلالة الملك، القانون ينصُّ على إبراء ساحة الرَّجل من جميع جرائمه وتجاوُزاته السَّابقة عندما يحلف اليمين ويصير أخًا في حَرس اللَّيل».

- «أدركُ هذا. إذا كان اللورد چانوس أفضل ما لدى حَرس اللَّيل فسأقبلُ على مضضٍ وأبتلعه. لا يعنيني مَن تختارون ما دُمتم ستختارون. هناك حرب تنتظرنا».

قال السير دينس ماليستر بنبرة كياسةٍ حذرة: «جلالة الملك، إذا كنت تتكلَّم عن الهَمج...».

- «لستُ أتكلَّمُ عنهم، وأنت تعلم هذا أيها الفارس».

- «ولا بُدَّ أنك تعلم أن على الرغم من امتناننا لإعانتك إيانا على مانس رايدر، فلا يُمكننا أن نُساعِدك في صراعك على العرش. حَرس اللَّيل لا يتدخَّلون في حروب (الممالك السَّبع). طيلة ثمانية آلاف عام...».

قاطعَه الملك بغلظة: «أعرفُ تاريخكم يا سير دينس. لكم كلمتي، لن

أطلبُ منكم أن ترفعوا سيوفكم ضد المتمرِّدين والغاصِبين الذين ابتليتُ بهم، وأتوقَّعُ أن تستمرُّوا في الدِّفاع عن (الجِدار) كما فعلتم دائمًا».

قال كوتر پايك: «سنُدافِع عن (الجِدار) حتى آخِر رجل».

أضافَ إد الكئيب باستسلام: «سيكون أنا على الأرجح».

عقدَ ستانيس ذراعيه على صدره قائلًا: «سأطلبُ منكم بضعة أشياء أخرى أيضًا، أشياء ربما لا ترغبون في تقديمها. أريدُ قلاعكم، وأريدُ (الهديَّة)».

تفجَّرت تلك الكلمات الجافَّة بين الإخوة السُّود كوعاءٍ من النَّار الشَّعواء ألقاه أحدهم على مستوقَد، واندفعَ مارش وماليستر وپايك يتكلَّمون في آنٍ واحد، فتركَهم الملك ستانيس يتكلَّمون، وحين فرغوا قال: «إن معي ثلاثة أضعاف رجالكم، ويُمكنني أن آخذ الأراضي إذا أردتُ، لكني أفضِّلُ أن أفعلها بالقانون وبموافَقتكم».

قال باون مارش: «(الهديَّة) مُنِحَت لحَرس اللَّيل مدى الحياة يا جلالة الملك».

- «وهو ما يعني أنها لا يُمكن أن تُنتزَع أو تُصادَر أو تُؤخَذ منكم قانونًا، لكن ما يُمنَح مرَّةً يُمكن أن يُمنَح ثانيةً».

سألَه كوتر پايك: «ماذا ستفعل بـ(الهديَّة)؟».

- «أستغلُّها أفضل مما استغليتموها. أمَّا القلاع فستبقى (القلعة الشَّرقيَّة) و(القلعة السَّوداء) و(بُرج الظِّلال) لكم، أقيموا حامياتكم فيها كما فعلتم دومًا، لكن يجب أن آخذ الأخريات لحامياتي إذا كنا سنُدافِع عن (الجِدار)».

قال باون مارش مستنكرًا: «ليس لديك العدد الكافي من الرِّجال».

وقال البنَّاء الأول أوثيل يارويك: «وبعض القلاع المهجورة ليس أكثر من أطلال».

- «الأطلال سيُعاد بناؤها».

قال يارويك: «يُعاد بناؤها؟ ومَن سيفعل هذا؟».

- «هذا شأني أنا. أريدُ منك قائمةً مفصَّلةً بالحالة الرَّاهنة لكلِّ قلعة والمطلوب لترميمها. إنني أنوي أن تُقام حامياتي فيها جميعًا قبل نهاية العام، وأن تشتعل النَّار اللَّيليَّة أمام بوَّاباتها».

رمقَ مارش مليساندرا بارتباكٍ قائلًا: «النَّار اللَّيليَّة؟ هل سنُشعِل النَّار اللَّيليَّة أيضًا؟».

نهضَت المرأة بثوب دوَّام من الحرير القرمزي وشَعرها النُّحاسي اللَّامع الطَّويل ينسدِل على كتفيها، وقالت: «نعم. السُّيوف وحسب لا تستطيع أن تصدَّ هذه الظُّلمة. وحده إله الضِّياء يستطيع. لكم أن تثقوا أيها الفُرسان الكرام والإخوة الشُّجعان بأن الحرب التي جئنا نخوضها، ليست صراعًا تافهًا على الأراضي والألقاب. حربنا من أجل الحياة ذاتها، وإذا هُزمنا يموت معنا العالم».

رأى سام أن الضُّبَّاط لا يدرون كيف يتقبَّلون كلامَها. تبادلَ باون مارش وأوثيل ياروِيك نظرةً، بينما تميَّز چانوس سلينت غيظًا، وبدا هوب ذو الثَّلاثة أصابع كأنه يُحَبِّذ العودة إلى تقطيع الجزر، لكن الدَّهشة لاحَت على الجميع حين سمعوا المِايستر إيمون يُغَمغِم: «تتكلَّمين عن الحرب من أجل الفَجر يا سيِّدتي، لكن أين هو الأمير الموعود؟».

أعلنَت مليساندرا: «إنه واقف أمامك، وإن كنت بلا بصر يراه. ستانيس باراثيون هو آزور آهاي العائد من جديد، مُحارِب النَّار، وفيه تتحقَّق النُّبوءات؛ المذنَّب الأحمر اتَّقد في السَّماء معلنًا مجيئه، ويحمل (جالِب الضِّياء) سيف الأبطال الأحمر».

لاحظَ سام كم أصابَت كلماتها الملك بالاضطراب، وصَرَّ ستانيس بأسنانه قائلًا: «لقد ناديتم ولبَّيتُ النِّداء أيها السَّادة، والآن عليكم أن تعيشوا معي أو تموتوا معي. خيرٌ لكم أن تعتادوا هذا»، وأشارَ بيده باقتضابٍ مضيفًا: «هذا كلُّ شيء. ابقَ لحظةً أيها المِايستر، وأنت أيضًا يا تارلي، وليذهب بقيَّتكم».

مذعورًا قال سام لنفسه فيما انحنى إخوته وغادَروا: أنا؟ ماذا يُريد مني ؟

حين تبقَّى أربعتهم فقط في المكان قال له الملك ستانيس: «أنت من قتلَ ذلك الكائن وسط الثُّلوج».

أضافَت مليساندرا باسمةً: «سام القاتل».

أحسَّ سام بوجهه يصطبغ بالأحمر وهو يقول: «لا يا سيِّدتي، يا جلالة الملك، أعني أنني هو، نعم، ساموِيل تارلي، نعم».

قال الملك ستانيس: «أبوكَ جُندي قدير. لقد هزمَ أخي مرَّةً في (آشفورد). أسعدَ مايس تايرل أن ينتحل شَرف هذا النَّصر، لكن اللورد راندل كان قد

حسمَ الأمور قبل أن يصل تايرل إلى ميدان المعركة. يومها قتلَ اللورد كافرن بسيفه الڤاليري العظيم وأرسلَ رأسه إلى إيرس»، وحَكَّ الملك فكَّه بإصبعه مضيفًا: «لست الابن الذي كنتُ لأتوقَّع أن يُنجبه رجل مِثله».

- «لستُ... لستُ الابن الذي أراده يا مولاي».

قال ستانيس متأمِّلًا: «لو لم تلتحق بحَرس اللَّيل لكنت رهينةً مفيدةً».

علَّق المايستر إيمون: «إنه أخ محلَّف يا مولاي».

قال الملك: «أدركُ هذا جيِّدًا، وأدركُ أكثر مما تحسب يا إيمون تارجاريَن».

مالَ العجوز برأسه مجيبًا: «أنا إيمون فحسب يا مولاي. إننا نتخلَّى عن أسماء عائلاتنا عندما نصوغ سلاسلنا».

أومأ الملك برأسه باقتضاب كأنه يقول إنه يعرف ولا يُبالي، وخاطبَ سام قائلًا: «قيلَ لي إنك قتلت الكائن بخنجرٍ من الزُّجاج البُركاني».

- «نـنعم يا جلالة الملك، چون سنو أعطاني إياه».

أطلقَت المرأة الحمراء ضحكةً هي موسيقى، وقالت: «زُجاج التنِّين، النَّار المجمَّدة في لُغة (ڤاليريا) القديمة. لا عجب أنه وبال على أطفال (الآخَر) الباردين».

قال الملك لسام: «في (دراجونستون) حيث كان مقرِّي هناك الكثير من هذا الزُّجاج البُركاني في الأنفاق القديمة تحت الجبل، كُتل منه وجلاميد وعروق كاملة. أكثره أسود على ما أذكرُ، لكن بعضه أخضر أو أحمر، بل وأرجواني أيضًا. لقد أرسلتُ لأمين القلعة السير رولاند ليبدأ استخراجه. أخشى أنني لن أظلَّ مسيطرًا على (دراجونستون) طويلًا، لكن ربما يهبُ لنا إله الضِّياء تلك النَّار المجمَّدة لنُسَلِّح أنفسنا ضد تلك الكائنات قبل سقوط القلعة».

تنحنحَ سام، وقال: «مـمولاي، الخنجر... زُجاج التنِّين تحطَّم حين حاولتُ أن أطعن إحدى الجُثث الحيَّة».

ابتسمَت مليساندرا قائلةً: «تلك الجُثث الحيَّة يُحرِّكها النِّكرومانسي[1]

(1) النِّكرومانسي كلمة تصف ضربًا من السِّحر الأسود يُفترَض أنه يُمارَس بغرض التَّواصُل مع الموتى، باستحضار أرواحهم أو بعث الحركة في أجسادهم، في سبيل اكتشاف الأسرار الخفيَّة أو الاطِّلاع على المستقبَل أو بعث الحياة في جسدٍ ميت، والكلمة تعني «بواسطة الكهانة» باللاتينيَّة المتأخِّرة. (المترجم).

لكنها تظلُّ لحمًا ميتًا، ويُمكن التَّعامُل معها بالفولاذ والنَّار، لكن مَن تُسمُّونهم (الآخَرين) أكثر من هذا».

قال ستانيس باراثيون: «شياطين مخلوقة من الثَّلج والجليد والبرد، العدوُّ العتيق، العدوُّ المهمُّ الوحيد»، وعادَ يتطلَّع إلى سام قائلًا: «قيلَ لي إنك والفتاة الهمجيَّة مررتما من بوَّابةٍ مسحورة تحت (الجِدار)».

أجابَ سام بتلعثُم: «البـبوَّابة السَّوداء، تحت (قلعة اللَّيل)».

- «(قلعة اللَّيل) أكبر وأقدم قلاع (الجِدار). هناك أنوي أن يكون مقرِّي بينما أخوضُ هذه الحرب. ستُريني تلك البوَّابة».

- «ســ... سأفعل إذا...». إذا كانت لا تزال موجودةً، إذا كانت ستنفتح لرجل لا يرتدي الأسود، إذا...

قال الملك بحدَّة: «ستفعل. سأخبرك متى».

ابتسمَ المايستر إيمون، وقال: «جلالة الملك، قبل أن نذهب، أتمنَّى أن تُسبِغ علينا بشَرف رؤية هذا السَّيف الأعجوبة الذي سمعنا الكثير جدًّا عنه».

- «تُريد أن ترى (جالِب الضِّياء)؟ أنت الكفيف؟».

- «سام سيكون عينَيْ».

قطَّب الملك وجهه قائلًا: «الجميع رأوه، فلِمَ لا يراه أعمى كذلك؟». كان حزامه وغِمده معلَّقين على مشجبٍ قُرب المستوقَد، فالتقطَ الحزام وسحبَ السَّيف الطَّويل من الغِمد. احتكَّ الفولاذ بالخشب والجلد وملأ الألق الغُرفة، يُومِض، يتمايَل، رقصة ذهبيَّة وحمراء وبرتقاليَّة من الأضواء، كلُّها متَّقد كالنِّيران.

مَسَّ المايستر إيمون ذراعه، وقال: «أخبِرني يا ساموِيل».

قال سام بخفوت: «إنه يتوهَّج كأنه مشتعل نارًا. ليس هناك لهب، لكن الفولاذ أصفر وأحمر وبرتقالي، يُومِض ويتلألأ كضوء الشَّمس على سطح المياه، لكن أجمل. ليت بإمكانك أن تراه أيها المايستر».

قال العجوز: «أراه الآن يا سام، سيف مليء بضوء الشَّمس رائع مرآه»، وانحنى بتيبُّس مردفًا: «جلالة الملك، سيِّدتي، شُكرًا على لُطفكما البالغ».

حين أغمدَ ستانيس السَّيف البرَّاق بدا كأن الغُرفة تسربلَت بظُلمةٍ حالكة على الرغم من ضوء الشَّمس المتدفِّق من النَّافذة.

قال الملك: «حسن، لقد رأيتماه. يُمكنكما العودة إلى واجباتكما الآن. وتذكَّرا ما قُلته، سيختار إخوتكما قائدًا اللَّيلة أو سأجعلهم يتمنُّون لو أنهم فعلوا».

استغرقَ المِايستر إيمون في التَّفكير بينما ساعدَه سام على نزول السَّلالم الملولَبة الضيِّقة، لكنه قال وهما يقطعان السَّاحة: «لم أشعر بحرارة، وأنت يا سام؟».

ردَّد: «حرارة؟ من السَّيف؟»، وعادَ بذاكرته لحظةً قبل أن يُردِف: «الهواء حوله كان يتموَّج كما يفعل فوق مستوقَدٍ ساخن».

- «لكنك لم تَشعُر بحرارة، أليس كذلك؟ والغِمد، إنه من الخشب والجِلد، مضبوط؟ سمعتُ الصَّوت حين استلَّ جلالته السَّيف. هل كان الجِلد مسفوعًا يا سام؟ هل بدا الخشب محروقًا أو مسودًّا؟».

- «لا، ليس حسبما رأيتُ».

أومأ المِايستر، ولمَّا عادا إلى مسكنه طلبَ من سام أن يُشعِل نارًا ويأخذه إلى مقعده عند المستوقَد، وإذ أراحَ نفسه على وسادةٍ قال: «شاقٌّ للغاية أن يطعن المرء في السِّنِّ هكذا، وأشقُّ أن يكون أعمى. كم أفتقدُ الشَّمس، والكُتب، الكُتب أفتقدها أكثر من غيرها»، ولوَّح بيده مضيفًا: «لن أحتاج إليك ثانيةً قبل الاقتراع».

- «الاقتراع... مِايستر، ألا يوجَد ما يُمكنك أن تفعله؟ ما قالَه الملك عن اللورد چانوس...».

- «أذكرُ، لكن اسمع يا سام، أنا مِايستر مسلسَل ومحلَّف، وواجبي أن أسدي القائد النَّصيحة أيًّا كان. لا يجوز أن يراني الإخوة أتحيَّزُ لمرشَّحٍ ضد آخَر».

قال سام: «أنا لستُ مِايستر، فهل يُمكنني أن أفعل شيئًا؟».

رمقَه إيمون بعينيه البيضاوين العمياوين، وقال مبتسمًا برصانة: «لا أدري يا سام، هل يُمكنك؟».

فكَّر سام: يُمكنني، وواجبٌ عليَّ. وعليه أن يتحرَّك الآن أيضًا. إذا تردَّد فسيفقد شَجاعته لا محالة. ذكَّر نفسه وهو يُسرِع عبر السَّاحة: أنا رجل في حَرس اللَّيل، نعم، يُمكنني أن أفعلها. في وقتٍ سابق كان يَصرُّ كالفئران وترتعد أوصاله إذا وجَّه إليه اللورد مورمونت ولو نظرةً، لكن هذا سام

القديم، سام ما قبل (قبضة البَشر الأوائل) و(قلعة كراستر)، قبل الجُثث الحيَّة وذي اليدين الباردتين و(الآخَر) على حصانه الميت. إنه أشجع الآن. لقد قال لچون إن جيلي جعلَته أشجع، وهذا صحيح، لا بُدَّ أنه صحيح.

كوتر پايك الأكثر إرهابًا بين القائديْن، وإليه ذهبَ سام أولًا وشَجاعته لا تزال مستعرةً. وجدَه في (قاعة التُّروس) القديمة، يلعب النَّرد مع ثلاثةٍ من رجال (بُرج الظِّلال) ورقيب أحمر الشَّعر أتى من (دراجونستون) مع ستانيس.

لكن حين استأذنَ سام في الكلام معه، جأرَ پايك بأمرٍ وأخذَ الآخَرون النَّرد والنُّقود وغادَروهما.

لا يُمكن لأحدٍ أن يقول إن كوتر پايك وسيم، لكن الجسد تحت سُترته المطعَّمة بالحديد وسراويله الصُّوف ممشوق وصُلب وقويٌّ حقًّا، وعيناه صغيرتان متقاربتان وأنفه مكسور ومقدِّمة شَعره المدبَّبة كرأس حربة، وقد أتلفَ الجُدري وجهه تمامًا، واللِّحية التي ربَّاها لإخفاء نُدوبه خفيفة هزيلة.

قال پايك على سبيل التَّحيَّة: «سام القاتل! أأنت واثق بأنك طعنت (آخَر) وليس فارس طفلٍ من الثَّلج؟».

ليست بدايةً مبشِّرةً. شرحَ سام بفتور: «زُجاج التنِّين هو ما قتلَه يا سيِّدي».

- «نعم، لا شَك. حسن، تكلَّم أيها القاتل. هل أرسلَك المِايستر إليَّ؟».

ابتلعَ سام لُعابه، وقال: «المِايستر؟ لقد... لقد تركته لتوِّي يا سيِّدي». ليست كذبةً حقًّا، لكن إذا اختارَ پايك أن يُسيء تأويلها، فربما يجعله هذا ميَّالًا أكثر للإصغاء، وهكذا أخذَ سام نفسًا عميقًا وشرعَ في التماسه.

وقبل أن يُكمِل عشرين كلمةً قاطعَه پايك: «تُريدني أن أركع وأقبِّل حافة معطف ماليستر الأنيق؟ كان عليَّ أن أعرف. أنتم أيها الأعيان كالأغنام، لا تعرفون العيش إلَّا قُطعانًا. قُل لإيمون إنه بدَّد أنفاسه ووقتي. إذا انسحبَ أحد فالمفترَض أن يكون ماليستر. الرَّجل عجوز للغاية على مهمَّةٍ كتلك. ربما يَجدُر بك أن تقول له هذا. إذا اخترناه ستجدنا في الوضع نفسه في غضون عام لاختيار واحدٍ جديد».

قال سام: «إنه عجوز، لكنه مخضرَم».

- «في الجلوس في بُرجه والحملقة إلى خرائطه ربما. ماذا ينوي؟ أن يَكتُب رسائل للجُثث الحيَّة؟ إنه فارس، لا بأس، لكنه ليس بمُحارِب، ولا

يسوى عندي وعاء بول مَن أسقطَ عن حصانه منذ خمسين عامًا. ذو النِّصف يد خاضَ له معاركه كلَّها، حتى العجوز الأعمى يرى هذا، ونحن في حاجةٍ إلى مُحارِب الآن تحديدًا وهذا الملك اللَّعين فوق رؤوسنا. اليوم أطلال وحقول فارغة، لا بأس، لكن ماذا سيُريد جلالته غدًا؟ هل تحسب أن ماليستر بالشَّجاعة التي تجعله يقف لستانيس باراثيون وتلك الحقيرة الحمراء؟»، وضحكَ مضيفًا: «أنا لا أحسبُ».

قال سام بقنوط: «لن تُساندِه إذن؟».

قال بايك: «أأنت سام القاتل أم ديك الأصم؟ نعم، لن أسانِده»، ولوَّح بإصبعه في وجه سام مواصلًا: «افهم يا فتى، أنا لا أرغبُ في الوظيفة اللَّعينة ولم أرغب فيها قَطُّ. إن أحسن قتالي وتحتي سطح سفينة لا حصان، و(القلعة السَّوداء) بعيدة للغاية عن البحر، لكني سأدسُّ سيفًا متَّقدًا في مؤخِّرتي قبل أن أسلِّم حَرس اللَّيل لذلك النَّسر المختال من (بُرج الظِّلال)، ويُمكنك أن تجري إلى العجوز وتُخبِره بأني قلتُ هذا إذا سألَك»، ونهضَ مردفًا: «اغرُب عن وجهي».

تطلَّب كلَّ ما تبقَّى لسام من شَجاعةٍ أن يقول: «مـاذا لو أن هناك أحدًا آخَر؟ هل يُمكنك أن تدعم أحدًا آخَر؟».

- «مَن؟ باون مارش؟ إنه عدَّاد ملاعق. أوثيل تابِع، يفعل ما يُؤمَر به ويُجيد فِعله، لكن ليس أكثر من هذا. سلينت... أعترفُ بأن رجاله يحبُّونه، وربما يستحقُّ الأمر لمجرَّد أن أدسَّه في الكِرش الملكي، وأرى إن كان ستانيس سيتقيَّأ، لكن لا، الرَّجل فيه الكثير من (كينجز لاندنج). ينبت للضِّفدع جناحان ويحسب نفسه تنِّينًا»، وضحكَ مواصلًا: «مَن تبقَّى؟ هوب؟ ربما يُمكننا أن نختاره، لكن مَن سيَسلُق لك الضَّأن أيها القاتل؟ إنك تبدو كرجلٍ يحبُّ الضَّأن».

لم يَعُد هناك ما يُقال. مهزومًا، لم يستطِع سام إلَّا أن يتلجلَج بالشُّكر ويستأذن في الانصراف. حاولَ أن يُطمئِن نفسه وهو يقطع القلعة: سأُبلي بلاءً أحسن مع السير دينس. ماليستر فارس عالي النَّسب لا تعوزه اللَّباقة، وقد عاملَ سام بمنتهى الدَّماثة حين وجدَه وجيلي على الطَّريق. السير دينس سيُنصِت إليَّ، لا بُدَّ أن يُنصِت.

وُلِدَ قائد (بُرج الظِّلال) في بُرجٍ آخَر اسمه (بُرج الدَّوي) في (سيجارد)، وتنمُّ كلُّ خلجةٍ من خلجاته عن كَونه من عائلة ماليستر، يُوَشِّي فرو السَّمُّور ياقته ويُبرِز المخمل في كُمَّيْ سُترته السَّوداء، ويُثَبِّت نسر فضِّي طيَّات معطفه المضمومة بمخالبه. لحيته ناصعة كالثَّلج، وشَعره أكثره زالَ، ولئن كان وجهه مخطَّطًا بالتَّجاعيد حقًّا فحركته ما زالَت لا تفتقر إلى الرَّشاقة وفمه إلى الأسنان، ولم تعتِّم السِّنون عينيه بلونهما الرَّمادي المزرق أو تحدُّ من كياسته.

حين أتاه وكيله بسام في (الرُّمح) حيث يُقيم رجال (بُرج الظِّلال) قال: «سيِّدي تارلي، يسرُّني أن أراكَ تعافيت من محنتك. هل تُريد كأسًا من النَّبيذ؟ أذكرُ أن السيِّدة والدتك من عائلة فلورنت. يجب أن أحكي لك يومًا عن المرَّة التي أسقطتُ فيها جدَّيك كليهما عن حصانيهما في الدَّورة نفسها، لكن ليس اليوم، أعرفُ أن أمامنا أمور أهمُّ. لا بُدَّ أنك أتيت من عند المِايستر إيمون. هل لديه نصيحة يُقَدِّمها لي؟».

رشفَ سام من النَّبيذ وانتقى كلماته بعناية: «المِايستر مسلسَل ومحلَّف... لا يجوز أن يُرى كأن له تأثيرًا على اختيار حضرة القائد...».

ابتسمَ الفارس العجوز قائلًا: «ولهذا السَّبب لم يأتني بنفسه. نعم، مفهوم تمامًا يا ساموِيل. أنا والمِايستر إيمون عجوزان ومتمرِّسان بهذه الأمور. قُل ما جئت لتقوله».

كان النَّبيذ حُلوًا، وأصغى السير دينس إلى التماس سام بتهذيب رصين، على عكس كوتر پايك، لكن حين فرغَ هَزَّ الفارس العجوز رأسه قائلًا: «أوافقك على أنه سيكون يومًا أسود في تاريخنا إذا سمَّى ملك قائدنا الجديد، هذا الملك بالذَّات. لا أظنُّ أنه سيحتفظ بتاجه طويلًا. لكن حقًّا يا سام، المفترَض أن يكون پايك المنسحِب. إن مسانديَّ أكثر من مسانديه، والمنصب يُناسِبني أكثر».

قال سام: «نعم، لكن قد يكون كوتر پايك صالحًا. يُقال إنه أثبتَ نفسه كثيرًا في المعارك». لا يقصد أن يُهين السير دينس بالثَّناء على منافسه، لكن بأيِّ ذريعةٍ أخرى يُمكنه إقناعه بالانسحاب؟

قال السير دينس: «كثيرون من إخوتي أثبتوا أنفسهم في المعارك، لكن هذا

لا يكفي. بعض الأمور لا يُسَوَّى بالفؤوس. المِايستر إيمون يفهم هذا، وإن كان كوتر پايك لا يفهمه. حضرة قائد حَرس اللَّيل في منزلة لورد أولًا وأخيرًا، أي يجب أن يتمكَّن من التَّعامُل مع اللوردات... والملوك أيضًا، يجب أن يكون رجلًا يستحقُّ الاحترام»، ومالَ إلى الأمام متابعًا: «أنا وأنت كلانا ابن لورد كبير، ونعرف وزن الميلاد والدَّم والتَّدريب المبكِّر الذي لا تُمكن الاستعاضة عنه. لقد أصبحتُ مُرافِقًا في سِنِّ الثَّانية عشرة وفارسًا في سِنِّ الثَّامنة عشرة وبطلًا في سِنِّ الثَّانية والعشرين، وأقودُ (بُرج الظِّلال) منذ ثلاثة وثلاثين عامًا. الدَّم والميلاد والتَّدريب أهَّلوني للتَّعامُل مع الملوك. پايك... هل سمعته هذا الصَّباح يسأل إن كان جلالته سيمسح مؤخِّرته؟ ساموِيل، ليست عادتي أن أتكلَّم بالسُّوء عن إخوتي، لكن لنكن صريحيْن... حديديُّو الميلاد جنس من القراصنة واللُّصوص، وكوتر پايك كان يغتصب ويَقتُل منذ نعومة أظفاره. المِايستر هارميون يَكتُب ويقرأ له رسائله منذ أعوام. لا، على الرغم من كراهيتي أن أخيِّب أمل المِايستر إيمون، فلا يُشَرِّفني أن أتنحَّى من أجل رجل (القلعة الشَّرقيَّة) پايك».

هذه المرَّة كان سام مستعدًّا، فسألَه مباشرةً: «هل يُمكنك أن تنسحب لأجل أحدٍ آخَر؟ إذا كان أجدر؟»

تفكَّر السير دينس لحظةً، ثم قال: «إنني لم أتمنَّ هذا الشَّرف لحَدِّ ذاته قَطُّ. في الانتخاب السَّابق تنحَّيتُ ممتنًّا حين طُرِحَ اسم اللورد مورمونت، كما فعلتُ مع اللورد كورجايل في الانتخاب الذي سبقَه. ما دامَ حَرس اللَّيل في أيدٍ أمينة فأنا قانع. لكن باون مارش ليس كُفئًا للمهمَّة، وكذا أوثيل ياروِيك، وسيِّد (هارنهال) المزعوم هذا ليس أكثر من خِلفة جزَّار رفعَه آل لانستر من الحضيض. لا عجب أنه مرتشٍ فاسد».

اندفعَ سام يقول: «ثمَّة رجلٌ آخَر. حضرة القائد مورمونت وثِقَ به، وكذلك دونال نوي وكورين ذو النِّصف يد. إنه ليس كريم الميلاد مِثلك لكنه ينحدر من سُلالةٍ قديمة، وُلِدَ في قلعةٍ ونشأ في قلعةٍ وتعلَّم القتال بالسَّيف والرُّمح من فارسٍ والقراءة والكتابة من مِايستر. أبوه كان لوردًا وأخوه كان ملكًا».

ملَّس السير دينس على لحيته، وبَعد صمتٍ طويل قال: «ربما. إنه صغير

للغاية، لكن... ربما. ربما يَصلُح، لكني أنسب ولا شَكَّ لديَّ في هذا. إنني الاختيار الأكثر حكمةً».

چون قال إن من الممكن أن يكون هناك شَرف في الكذب إذا قِيلَ لسبب وجيه. «إذا لم ننتخب قائدًا اللَّيلة فالملك ستانيس قال إنه ينوي تسمية كوتر پايك، قال هذا للمِايستر إيمون هذا الصَّباح بَعد أن غادَرتم».

قال السير دينس: «مفهوم»، ونهضَ مضيفًا: «عليَّ أن أفكِّر. شُكرًا يا ساموِيل، وبلِّغ المِايستر إيمون شُكري أيضًا».

كان سام يرتجف حين خرجَ من (الرُّمح). ما الذي فعلته؟ ما الذي قُلته؟ إذا ضبطوه متلبِّسًا بالكذب فسوف... ماذا؟ يُرسِلونني إلى (الجدار)؟ يُمزِّقون أحشائي؟ يُحَوِّلونني إلى جثَّةٍ حيَّة؟ فجأةً بدَت المسألة كلُّها سخيفةً. كيف يخشى كوتر پايك والسير دينس ماليستر وقد رأى غُدافًا يأكل وجه پول الصَّغير؟

عبسَ پايك لعودته، وقال له: «أنت ثانيةً؟ تكلَّم بسُرعة لأنك بدأت تُضايقني».

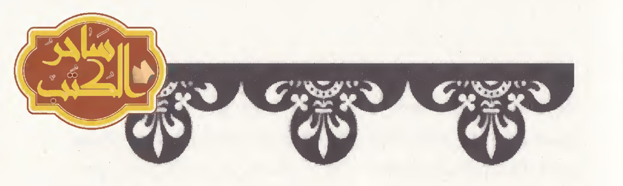
قال سام: «لا أريدُ إلَّا لحظةً إضافيَّةً. قلت إنك لن تنسحب من أمام السير دينس، لكن قد تفعلها لأجل أحدٍ آخَر».

- «مَن هذه المرَّة أيها القاتل؟ أنت؟».

- «لا، إنه مُقاتِل. دونال نوي سلَّمه قيادة (الجِدار) عندما هاجمَ الهَمج، وكان وكيل الدُّب العجوز. المشكلة الوحيدة أنه نغل».

ضحكَ كوتر پايك، وقال «بحَقِّ الجحيم. كأني أدسُّ حربةً في مؤخِّرة ماليستر، أليس كذلك؟ ربما يستحقُّ الأمر من أجل هذا فقط. الصَّبي لن يكون بذلك السُّوء»، وأطلقَ نخيرًا قبل أن يُضيف: «لكني أفضل، أنا المطلوب الآن، حتى الحمقى يرون هذا».

قال سام: «حتى الحمقى، بما فيهم أنا، لكن... لا يُفترَض أن أُخبِرك، لكن... الملك ستانيس ينوي أن يفرض السير دينس علينا إذا لم نختر رجلًا اللَّيلة. سمعته يقول هذا للمِايستر إيمون بَعد أن صرفَكم».



چون

إميتَ الحديدي جوَّال شاب طويل نحيف، جَلَده وقوَّته وبراعته في المبارَزة مفخرة (القلعة الشَّرقيَّة). على الدَّوام يعود چون من نزالهما بجسدٍ متيبِّس متوجِّع، ويستيقظ في اليوم التالي مغطًّى بالرُّضوض، وهو ما يُريده بالضَّبط. إنه لن يتحسَّن أبدًا باستمراره في التَّدريب مع أمثال ساتان والجواد، أو جرن.

يحبُّ أن يعتقد أن السِّجال بينهما متكافئ في أغلب الأيام، لكن لَيس اليومِ. لقد نامَ بالكاد ليلة أمس، وبَعد ساعاتٍ من التَّقلُّب ضجرًا في سريره عدلَ عن محاوَلة الغياب في النَّوم وارتدى ثيابه وسارَ على قمَّة (الجدار) إلى أن أشرقَت الشَّمس، طيلة الوقت يُغالِب عرض ستانيس باراثيون ويُغالبه. والآن بدأت تُدركه تبعات الأرق، وإميت ينهال عليه بالضَّربات بلا رحمةٍ عبر السَّاحة، يدفعه إلى التَّقهقُر على عقبيه بضربةٍ دوَّارة وراء أخرى، وعلاوةً على هذا يهوي عليه بتُرسه بين الحين والآخَر، إلى أن سرى الخَدر في ذراع چون من وقع الصَّدمات المتعاقبة، وكلما مرَّت لحظة أحسَّ بسيف التَّدريب المفلول في يده أثقل وأثقل.

كان مستعدًّا لخفض تُرسه وطلب التَّوقُّف عندما انخفضَ إميت مراوغًا ثم سدَّد إليه ضربةً ببطن السَّيف من فوق تُرسه أصابَته على صُدغه. ترنَّح چون وفي كلا خوذته ورأسه رنين من عُنف الضَّربة، ووراء فتحة الرُّؤية استحالَ العالم لحظةً إلى غمامة.

ثم تلاشَت السِّنون ووجدَ نفسه في (وينترفل) من قديم، يرتدي سُترةً جِلديَّةً مبطَّنةً بدلًا من حلقات وصفائح المعدن ويحمل سيفًا من الخشب، ومَن يُواجِهه روب وليس إميت الحديدي.

منذ تعلَّما المشي اعتادا المران معًا كلَّ صباح، سنو وستارك، يدوران ويتبادَلان الضَّربات في جنبات (وينترفل)، يتصايَحان ويضحكان، وأحيانًا يبكيان في خُلوتهما بعيدًا عن الأنظار. في كرِّهما وفرِّهما لم يكونا صبيَّين صغيريْن، بل فارسيْن من مصاف الأبطال العظام. يهتف چون: «أنا الأمير إيمون الفارس التنِّين»، ويردُّ روب الهتاف: «وأنا فلوريان المهرِّج»، أو يقول روب: «أنا التنِّين الصَّغير»، فيُجيب چون: «أنا السير ريام ردواين».

في ذلك الصَّباح أعلنَها أولًا، وكما فعلَ مئة مرَّة قبلها صاحَ: «أنا سيِّد (وينترفل)!»، لكن هذه المرَّة -هذه المرَّة- أجابَ روب: «لا يُمكنك أن تكون سيِّد (وينترفل). أنت نغل. السيِّدة والدتي تقول دائمًا إنك لن تُصبِح سيِّد (وينترفل) أبدًا».

قال لنفسه وهو يتذوَّق الدَّم في فمه من الضَّربة التي تلقَّاها: ظننتُ أنني نسيتُ ذلك اليوم.

في النِّهاية اضطرَّ هالدر والجواد لجَرِّه من فوق إميت الحديدي، يجذبه كلٌّ منهما من ذراع، وعلى الأرض جلسَ الجوَّال مضعضعًا، تُرسه شِبه مهشَّم ومقدِّمة خوذته منحرفة وسيفه على بُعد سِت ياردات. كان هالدر يصيح: «چون، كفى، لقد سقطَ، جرَّدته من سلاحه! يكفي هذا!».

لا، لا يكفي، لا يكفي أبدًا. أسقطَ چون سيفه، وتمتمَ: «آسف. إميت، هل جُرحت؟».

خلعَ إميت الحديدي خوذته قائلًا: «ما الذي لم تفهمه من «أستسلمُ» يا لورد سنو؟». على أنه قالها بكياسة. إميت رجل كيِّس ويحبُّ أغنيَّة السُّيوف. أنَّ مردفًا: «ليحمِني (المُحارِب)، الآن أعرفُ ما أحسَّ به كورين ذو النِّصف يد».

فاقَ القول طاقته على الاحتمال. انتزعَ چون ذراعيه من صديقيه وانسحبَ إلى مستودَع السِّلاح وحيدًا، وجلسَ على دكَّةٍ دافنًا وجهه في يديه، يسأل نفسه: لماذا يُفعِمني كلُّ هذا الغضب؟ لكنه سؤال سخيف. سيِّد (وينترفل)، باستطاعتي أن أكون سيِّد (وينترفل)، وريث أبي.

لكن الوجه الذي رآه يسبح في الهواء أمامه لم يكن وجه اللورد إدارد، بل الليدي كاتلين التي بدَت بعينيها الزَّرقاوين العميقتين وفمها البارد القاسي

أشبه بعض الشَّيء بستانيس. حديد وإنما هَش. كانت تَرمُقه بالنَّظرة نفسها التي اعتادَت أن ترميه بها في (وينترفل) متى تفوَّق على روب في النِّزال أو الحساب أو أيِّ شيءٍ تقريبًا، النَّظرة التي قال لسان حالها دومًا: مَن أنت؟ ليس هذا مكانك. ماذا تفعل هنا؟

كان أصدقاؤه ما زالوا في ساحة التَّدريب، لكنه ليس في حالةٍ تُخوِّل له أن يُواجِههم، فغادرَ مستودَع السِّلاح من الخلف ونزلَ السَّلالم الحجريَّة شديدة الانحدار إلى المسالك الدُّوديَّة، الأنفاق التي تربط حصون القلعة وبروجها تحت الأرض. قطعَ مسافةً قصيرةً إلى الحمَّام، حيث غمسَ جسده في الماء البارد أولًا ليغسل العَرق ثم استراحَ في حوضٍ حجريٍّ مليء بالماء السَّاخن. خلَّص الدِّفء عضلاته من القليل من وجعها ودفعَ أفكاره إلى بِرك (وينترفل) الموحلة التي تُبقبق وينبعث منها الدُّخان في أيكة الآلهة. (وينترفل). ثيون تركَها محروقةً متهدِّمةً، لكن يُمكنني أن أرمِّمها. لا ريب أن أباه كان ليشاء هذا، وروب أيضًا. ما كانا ليُريدا أن تُترَك القلعة أنقاضًا.

ثانيةً سمعَ روب يقول: لا يُمكنك أن تكون سيِّد (وينترفل). أنت نغل. وسمعَ الملوك الحجريِّين يَزجُرونه بألسنةٍ من الجرانيت قائلين: انتماؤك ليس هنا، هذا ليس مكانك. حين أغلقَ عينيه رأى شجرة القلوب بفروعها الشَّاحبة وأوراقها الحمراء ووجهها المهيب. لطالما قال اللورد إدارد إن شجرة الويروود قلب (وينترفل)... لكن ليُنقِذ چون القلعة عليه أن ينتزع هذا القلب من جذوره العتيقة ويُطعِمه لإله مليساندرا النَّاري الجائع. ليس من حقِّي، (وينترفل) تنتمي إلى الآلهة القديمة.

أعادَه صدى الأصوات الذي تردَّد على السَّقف المقنطَر إلى (القلعة السَّوداء)، وسمعَ رجلًا يقول بصوتٍ مثقَل بالارتياب: «لا أدري، ربما لو كنتُ أعرفُ الرَّجل أفضل... اللورد ستانيس لم يتكلَّم عنه بالخير».

رَدَّ الصَّوت الصَّوَّاني الذي لا يُمكن أن يكون إلَّا للسير أليسر: «منذ متى وستانيس باراثيون يتكلَّم بالخير عن أيِّ أحد؟ إذا ترَكنا ستانيس يختار قائدنا سنُصبح حمَلة رايته فعلًا وإن لم يكن اسمًا. تايوين لانستر لن ينسى هذا، وأنتما تعلمان أن اللورد تايوين هو من سيربح في النِّهاية. لقد هزمَ ستانيس مرَّةً بالفعل في (النَّهر الأسود)».

قال باون مارش بلهجةٍ متوتِّرة مضطربة: «اللورد تايوين يُفَضِّل سلينت. يُمكنني أن أريك الرِّسالة يا أوثيل. صديقنا وخادمنا المخلص، هكذا دعاه».

اعتدلَ چون جالسًا فجأةً، فتجمَّد الرِّجال الثَّلاثة مع صوت تناثُر الماء، وقال لهم بكياسةٍ باردة: «أيها السَّادة».

سألَه ثورن: «ماذا تفعل هنا أيها النَّغل؟».

قال چون: «أستحمُّ. لكن لا تدعوني أنغِّصُ عليكم تآمُركم»، وخرجَ من الماء وجفَّف نفسه وارتدى ثيابه، ثم تركَهم لمكائدهم.

في الخارج وجدَ أنه لا يدري أين يذهب. مَرَّ بهيكل (بُرج القائد) المتفحِّم حيث أنقذَ الدُّب العجوز من رجلٍ ميت ذات مرَّة، ثم بالبُقعة التي ماتَت فيها إيجريت وتلك الابتسامة الحزينة على ثغرها، وبَعدها بـ(بُرج الملك) حيث انتظرَ مع ساتان وديك فولارد الأصم وصول الماجنَر وثِنِّيه، ثم بقايا السَّلالم الخشبيَّة المكوَّمة محروقةً. كانت البوَّابة الدَّاخليَّة مفتوحةً، فدخلَ النَّفق عابرًا من (الجدار) وهو يحسُّ بالبرد المحيط به وثِقل كلِّ هذا الجليد فوق رأسه. مَرَّ بالمكان الذي تقاتلَ فيه دونال نوي وماج الجبَّار وماتا معًا، وخرجَ من البوَّابة الخارجيَّة الجديدة إلى نور الشَّمس الباهت البارد.

عندئذٍ فقط سمحَ لنفسه بأن يتوقَّف ويلتقط أنفاسه ويُفَكِّر. أوثيل يارويك ليس رجلًا صاحب قناعاتٍ راسخة إلَّا حين يتعلَّق الأمر بالخشب والحجارة والمِلاط، والدُّب العجوز كان يعي هذا. سيستميله ثورن ومارش، وسيدعم يارويك اللورد چانوس سلينت، وسيُنتخَب اللورد چانوس قائدًا، فما الذي يتبقَّى لي بَعد هذا إن لم يكن (وينترفل)؟

دارَت الرِّيح مرتدَّةً عن (الجدار) وشدَّت معطفه، وشعرَ چون بالبرد ينبعث من الجليد كما تنبعث الحرارة من النَّار، فرفعَ قلنسوته وبدأ يمشي من جديد. كان البرد يتوغَّل في الأصيل، والشَّمس منخفضة في الغرب. على بُعد مئة ياردة يقع المعسكَر الذي احتجزَ فيه الملك ستانيس أسراه الهَمج داخل حلقةٍ من الخنادق والخوازيق المدبَّبة والأسيجة الخشبيَّة العالية، وإلى يساره حُفر النَّار الثَّلاث الكبيرة التي أحرقَ فيها المنتصرون جُثث جميع الأحرار الذين ماتوا أسفل (الجدار)، بمن فيهم العمالقة الجسام وذوو الحوافر الضِّئال على حدٍّ سواء. ما زالَت أرض المقتلة يبابًا من العُشب المحروق والقار المتجمِّد،

لكن قوم مانس تركوا آثارًا من أنفسهم في كلِّ مكان؛ جِلدةً ممزَّقةً ربما كانت جزءًا من خيمة، هراوة عملاق، عجلة عربة، حربةً مكسورةً، كومةً من روث الماموثات.

على حافة الغابة حيث كانت الخيام وجدَ چون جَدعة شجرة سَنديان وجلسَ عليها.

إيجريت أرادَتني أن أكون همجيًّا، وستانيس يُريدني أن أكون سيِّد (وينترفل)، لكن ماذا أُريدُ أنا؟ زحفَت الشَّمس في السَّماء لتغوص وراء (الجِدار) وتغيب بين الجبال الغربيَّة، وشاهدَ چون بينما تشرَّب الصَّرح الجليدي الهائل ألوان الغروب الحمراء والورديَّة. هل أوثِرُ أن يَشنُقني اللورد چانوس باعتباري مارقًا أم أحنثُ بقَسَمي وأتزوَّج ڤال وأُصبح سيِّد (وينترفل)؟ يبدو الاختيار سهلًا حين يُفكِّر فيه من هذا المنطلَق... وإن كان يبدو أسهل وأسهل لو كانت إيجريت حيَّةً، أمَّا ڤال فغريبة عليه، مع أن جَمالها يسرُّ العين حقًّا، كما أنها أخت مَن كانت ملكة مانس رايدر، لكن رغم هذا...

عليَّ أن أختطفها إذا أردتُ حُبَّها، لكنها قد تمنحني أولادًا، وربما أحملُ ذات يوم ابنًا من دمي بين ذراعَيْ. ليس الابن شيئًا جرؤَ چون سنو على الحُلم به قَطُّ مُنذ قرَّر أن يقضي حياته على (الجِدار). يُمكنني أن أسمِّيه روب. سترغب ڤال في الاحتفاظ بابن أختها، ولكن نستطيع أن نُربِّيه في (وينترفل)، وابن جيلي أيضًا. لن يضطرَّ سام للكذب، وسنجد مكانًا لجيلي أيضًا، ويُمكن أن يأتي سام لزيارتها مرَّةً في العام مثلًا. ابنا مانس وكراستر سينشآن أخوين، مِثلي وروب.

في تلك اللَّحظة عرفَ چون أنه يُريد (وينترفل)، يُريدها أكثر مما أرادَ شيئًا طيلة حياته، وفكَّر والشُّعور بالذَّنب يُخالِجه: لطالما أردتها ولتُسامِحني الآلهة. في داخله جوع حاد كنصلٍ من زُجاج التنِّين، جوع... يَشعُر به، بالحاجة إلى طعام، إلى فريسة، غزالة حمراء تفوح منها رائحة الخوف أو إلكة كبيرة فخور جريئة، يحتاج إلى أن يَقتُل ويملأ معدته باللَّحم الطَّازج وحرارة الدَّم القاني.

وبدأ لُعابه يسيل.

لحظة طويلة مرَّت قبل أن يفهم ما يَحدُث، ولمَّا فهمَ هَبَّ واقفًا. «جوست؟!». التفتَ ناحية الغابة، ورآه يتقدَّم بصمتٍ من الغسق الأخضر

وتَخرُجِ أنفاسه بيضاء دافئةً من بين فكَّيه المفتوحين. صاحَ چون: «جوست!»، وهرولَ الذِّئب الرَّهيب نحوه. يبدو أنحل مما كان، لكنه أكبر حجمًا أيضًا، وما من صوتٍ صدرَ منه إلَّا انسحاق الأوراق الميتة النَّاعم تحت أقدامه. حين بلغَ چون وثبَ عليه واشتبكَ الاثنان وسط العُشب البنِّي والظِّلال الطَّويلة بينما بدأت النُّجوم تكشف وجوهها من فوقهما. قال چون حين كَفَّ جوست عن عضعضة ذراعه: «بحَقِّ الآلهة، أين كنت أيها الذِّئب؟ حسبتني فقدتك كروب وإيجريت والآخرين. لم أعُد أشعرُ بك منذ تسلَّقتُ (الجدار) ولا حتى في أحلامي». لم يُجبه الذِّئب الرَّهيب، لكنه لعقَ وجهه بلسانٍ كمِبردٍ مبتل، والتقطَت عيناه خيوطَ الضَّوء الأخيرة فاتَّقدتا كشمسين حمراوين عظيمتين.

عينان حمراوان، لكن ليستا كعينَيْ مليساندرا. إن له عينَيْ شجرة ويروود. عينان حمراوان وفم أحمر وفرو أبيض. دم وعظم، كشجرة قلوب. هذا الذِّئب ينتمي إلى الآلهة القديمة. وهو وحده من بين إخوته أبيض. ستَّة جراء وجدَها چون وروب وسط ثلوج أواخر الصَّيف، خمسة منها رمادي وأسود وبنِّي لأولاد ستارك الخمسة، وواحد أبيض كالثَّلج، كسنو.

عندها أدركَ الإجابة.

كان رجال الملكة يُشعِلون نارهم اللَّيليَّة أسفل (الجدار)، ورأى مليساندرا تَخرُج من النَّفق وإلى جوارها الملك، لتقود الصَّلوات التي تُؤمِن بأنها ستُقصي الظَّلام. قال چون للذِّئب: «هلمَّ يا جوست، تعالَ معي. أعرفُ أنك جائع، أشعرُ بجوعك»، وجريا معًا إلى البوَّابة صانعيْن دورةً واسعةً حول بؤرة النَّار، حيث ترتفع أنياب اللَّهب وتنهش بطن اللَّيل الأسود.

انتشرَ رجال الملك بكثرةٍ في ساحات (القلعة السَّوداء)، وتوقَّفوا لدى مرور چون وحملقوا إليه. أدركَ أن لا أحد منهم رأى ذئبًا رهيبًا من قبل، وجوست يُناهِز ضِعف حجم الذِّئاب التَّقليديَّة التي تجوب غاباتهم الخضراء في الجنوب. في طريقه إلى مستودَع السِّلاح اتَّفق أن ألقى چون نظرةً إلى أعلى ورأى ڤال واقفةً في نافذة بُرجها، فقال لها في قرارة نفسه: آسف، لستُ الرَّجل الذي سيختطفكِ من هناك.

في ساحة التَّدريب قابلَ دستةً من رجال الملك يحملون المشاعل والحِراب الطَّويلة، ورمقَ رقيبهم جوست بحاجبين معقودين، وخفضَ اثنان

من رجاله حربتيهما إلى أن قال الفارس الذي يقودهم: «أفسِحوا الطَّريق ودعوهما يمرَّان»، ثم خاطبَ چون قائلًا: «تأخَّرت على العَشاء».

قال چون: «ابتعد عن طريقي إذن أيها الفارس»، وقد كان.

سمعَ الجلبة قبل أن يَبلُغ قاعدة السَّلالم، مزيجًا من الأصوات الزَّاعقة والشَّتائم ودقَّات أحدهم على مائدة. دخلَ چون القبو دون أن يلحظه أحد، وقد تزاحمَ إخوته على الدِّكك والموائد، لكن الواقفين الصَّائحين أكثر من القاعدين، ولا أحد يأكل، فلا طعام هنالك. ماذا يَحدُث هنا؟ كان اللورد چانوس سلينت يُجَعجِع عن المارقين والخيانة، وإميت الحديدي يقف على مائدةٍ مجرِّدًا فولاذه، وهوب ذو الثَّلاثة أصابع يسبُّ جوَّالًا من (بُرج الظِّلال)... هوى رجل من (القلعة الشَّرقيَّة) بقبضته على مائدته مرَّةً ومرارًا داعيًا إلى الهدوء، فلم يفعل إلَّا أن أضافَ إلى الصَّخب الذي تتردَّد أصداؤه على السَّقف المقنطَر.

كان پيپ أول من رأى چون، وابتسمَ لمرأى جوست ثم وضعَ إصبعين في فمه وأصدرَ صفيرًا لا يقدر عليه غير صبيٍّ ممثِّلٍ مِثله، وقطعَ الصَّوت الحاد اللَّغط كالسَّيف، وإذ سارَ چون نحو الموائد لاحَظَه مزيد من الإخوة ولاذوا بالصَّمت، الذي شاعَ رويدًا رويدًا في المكان حتى لم تَعُد هناك أصوات إلَّا دبيب كعبَيْ چون على الأرض الحجريَّة وطقطقة الحطب الخافتة في المستوقَد.

ثم حطَّم السير أليسر ثورن الصَّمت قائلًا: «المارق يمنُّ علينا بحضوره أخيرًا».

بوجهٍ محتقن وجسدٍ يرتجف شهقَ اللورد چانوس وصاحَ: «الوحش! انظُروا! الوحش الذي مزَّق كورين ذا النِّصف يد! بيننا يمشي وارْج أيها الأخوة، وارْج! هذا... هذا المخلوق لا يَصلُح لقيادتنا! هذا الحيواني لا يستحقُّ الحياة!».

كشَّر جوست عن أنيابه، لكن چون وضعَ يده على رأسه، وقال: «سيِّدي، هل ستُخبرني بما جرى هنا؟».

أجابَه المِايستر إيمون من طرف القاعة القصي: «اسمك طُرِحَ للمنافَسة على القيادة يا چون».

ابتسمَ مضطرًّا للعبث الذي سمعَه، وسألَ متطلِّعًا إلى أصدقائه: «ومَن طرحَه؟». لا بُدَّ أنها واحدة من دُعابات پيپ، لكن پيپ هَزَّ كتفيه وهَزَّ جرن رأسه، أمَّا إد الكئيب فنهضَ معلنًا: «أنا. قسوة شديدة أن يفعل المرء هذا بصديق، لكن خيرٌ أنت مني».

عادَ اللورد چانوس ينفث غضبه صائحًا: «هذا... هذا اعتداء! المفترَض أن نَشنُق هذا الصَّبي، نعم! أقول أن نَشنُقه، نَشنُقه لأنه مارِق ووارْج، ومعه صديقه مانس رايدر. أنت قائدًا؟ لن أسمح بهذا، لن أجيزه!».

نهضَ كوتر پايك وقال: «لن تُجيزه؟ ربما درَّبت ذوي المعاطف الذَّهبيَّة على لعق مؤخِّرتك، لكنك ترتدي معطفًا أسود الآن».

وقال السير دينس ماليستر: «من حَقِّ أيِّ أخ أن يطرح أيَّ اسم لنَنظُر فيه ما دامَ الرَّجل قد حلفَ اليمين. توليت لم يتعدَّ على أيِّ حقوق يا سيِّدي».

اندفعَ نحو دستةٍ من الرِّجال يتكلَّمون في آنٍ واحد، يُحاوِل كلٌّ منهم الطُّغيان بصوته على الآخَرين، وسرعان ما عادَ الزَّعيق يرتفع من نِصف مَن في القاعة. هذه المرَّة كان السير أليسر ثورن هو من وثبَ على مائدةٍ ورفعَ يديه صائحًا: «أيها الإخوة! لن ينفعنا هذا بشيء. أقول أن نُصوِّت. الملك الذي استقرَّ في (بُرج الملك) وضعَ رجالًا عند كلِّ باب يمنعوننا من الأكل والخروج قبل أن نختار. ليكن إذن! سنختار ونختار ثانيةً طول اللَّيل إذا اضطررنا، إلى أن ننتخب قائدنا الجديد... لكن قبل أن نطرح رموزنا أعتقدُ أن البنَّاء الأول يُريد أن يقول شيئًا».

نهضَ البنَّاء الكبير أوثيل يارويك على مهل بوجهٍ مقطَّب، وفركَ فَكَّه الطَّويل الرَّفيع قائلًا: «سأسحبُ اسمي. كانت أمامكم عشر فُرص لاختياري إذا أردتموني ولم تفعلوا، ليس العدد الكافي منكم على الأقل. كنتُ سأقول إنني أنصحُ من أعطوني أصواتهم باختيار اللورد چانوس...».

قال السير أليسر مومئًا برأسه: «اللورد سلينت أفضل...».

قاطعَه يارويك بتذمُّر: «لم أفرغ من كلامي يا أليسر. اللورد سلينت قادَ حَرس المدينة في (كينجز لاندنج) كما نعلم جميعًا، وكان سيِّد (هارنهال)...».

صاحَ كوتر پايك: «إنه لم يرَ (هارنهال) حتى».

قال يارويك: «هذا صحيح، لكن على كلِّ حال، الآن وأنا واقف هنا لا

أذكرُ لماذا حسبتُ أن سلينت سيكون الخيار الموفَّق. كأننا نَركُل الملك ستانيس في فمه، ولستُ أرى كيف يُفيدنا هذا. ربما يكون سنو أفضل. لقد قضى فترةً أطول على (الجدار)، كما أنه ابن أخي بن ستارك وخدمَ الدُّب العجوز كوكيله»، وهَزَّ كتفيه مضيفًا: «اختاروا من تُريدون ما دامَ غيري»، وجلسَ.

رأى چون وجه چانوس سلينت وقد استحالَ من الأحمر إلى الأرجواني، على حين امتقعَ وجه السير أليسر ثورن. عادَ رجل (القلعة الشَّرقيَّة) يقرع المائدة بقبضته، وإنما ليَطلُب المرجل هذه المرَّة، وانضمَّ إليه عدد من أصدقائه في ندائه وكرجلٍ واحدٍ هدروا: «المرجل! المرجل، المرجل، المرجل!».

كان المرجلُ في رُكن القاعة عند المستوقَد، شيء أسود كبير منتفخ بمقبضين ضخمين وغطاءٍ ثقيل. قال المِايستر إيمون شيئًا لسام وكلايداس، وذهبَ الاثنان وأمسكا المقبضينِ وجَرَّا المرجل معًا ووضعاه على المائدة. كان عدد من الإخوة قد اصطفَّ عند براميل الرُّموز بالفعل حين خلعَ كلايداس الغطاء وكادَ يُوقِعه على قدمه، فبصرخةٍ مدوِّية وخفقانُ جناحين تفجَّر من المرجل غُداف ضخم وحلَّق إلى أعلى باحثًا ربما عن عوارض السَّقف أو نافذةٍ يَهرُب منها، لكن ليس في القبو هذه أو تلك، فوجدَ الغُداف نفسه حبيسًا ونعبَ بصوتٍ صاخب وهو يدور في هواء المكان مرَّةً ومرَّتين وثلاثًا، وسمعَ چون ساموِيل تارلي يصيح: «أعرفُ هذا الطَّائر! إنه غُداف اللورد مورمونت!».

وحَطَّ الغُداف على المائدة الأقرب إلى چون. طائر عجوز هو، ريشه رَثٌّ متَّسخ، وقد نعبَ مرَّةً: «سنو!»، ثم عادَ يُرَدِّدها: «سنو، سنو، سنو، سنو!»، ومشى إلى طرف المائدة، وعادَ يبسط جناحيه، وطارَ إلى كتف چون.

تهاوى اللورد چانوس سلينت على مقعده بجسده الثَّقيل فأصدرَ صوتًا مكتومًا، لكن السير أليسر ملأَ القبو بضحكاته السَّاخرة، وقال: «السير خنزير يحسبنا حمقى أيها الإخوة. لقد علَّم الطَّائر هذه الحيلة. كلُّها تقول «سنو»، اصعدوا إلى المِغدفة واسمعوا بأنفسكم. طائر مورمونت كان يعرف كلماتٍ أكثر».

مالَ الغُداف برأسه ونظرَ إلى چون قائلًا بأمل: «ذُرة؟»، ولمَّا لم يتلقَّ ذُرةً

أو جوابًا نعقَ مرَّةً وتمتم: «مرجل؟ مرجل؟ مرجل؟».
والبقيَّة كانت رؤوس سهام، غيثًا من رؤوس السِّهام، فيضانًا من رؤوس السِّهام، رؤوس سهامٍ أغرقَت الأحجار والأصداف القليلة المتبقِّية، ومعها البنسات النُّحاسيَّة.
وحين انتهى الفرز وجدَ چون نفسه محاطًا بالإخوة. بعضهم ربَّت على ظَهره وبعضهم ركعَ له كأنه لورد حقًّا، وتزاحمَ حوله ساتان وأوين الجحش وهالدر والضِّفدع وذو النَّعل الواحد والعملاق ومولي وأولمر ودونل هيل المرح ونِصفمئة غيرهم. طقطقَ دايوين بأسنانه الخشبيَّة، وقال: «لترحمنا الآلهة، قائدنا الجديد ما زالَ رضيعًا»، وقال إميت الحديدي: «آملُ ألَّا يعني هذا أني لن أبرِّحك ضربًا عندما نلتقي المرَّة القادمة في التَّدريب يا سيِّدي»، وأرادَ هوب ذو الثَّلاثة أصابع أن يعرف إن كان سيتناوَل وجباته مع الرِّجال أم يُريدها أن تُرسَل إلى غُرفته الشَّمسيَّة، وحتى باون مارش تقدَّم ليقول إنه سيسرُّه أن يُواصِل مهامَّه كقيِّم الوُكلاء إذا كانت هذه رغبة اللورد سنو.
قال له كوتر پايك: «لورد سنو، إذا أفسدت الأمر سأقتلعُ كبدك وآكله نيئًا مع البصل».
وخاطبَه السير دينس ماليستر بوُدٍّ أكثر قائلًا: «ما طلبَه مني ساموِيل الصَّغير كان صعبًا. حين انتُخِبَ اللورد كورجايل قلتُ لنفسي: لا يهمُّ، لقد قضى وقتًا أطول منك على (الجدار)، سيأتي وقتك، وحين انتُخِبَ اللورد مورمونت فكَّرتُ: إنه قوي صُلب لكنه عجوز، ربما يأتي وقتك. لكنك نِصف غُلام يا لورد سنو، وعليَّ أن أعود إلى (بُرج الظِّلال) عالمًا أن وقتي لن يأتي أبدًا»، وأردفَ الفارس العجوز بابتسامةٍ متعَبة: «لا تدعني أموتُ نادمًا. عمُّك كان رجلًا عظيمًا، والسيِّد والدك ووالده أيضًا. لن أتوقَّع أقلَّ من هذا منك».
قال كوتر پايك: «أجل، ويُمكنك كبداية أن تقول لرجال الملك هؤلاء؛ إن الأمر انتهى ونُريد عَشاءنا اللَّعين».
صرخَ الغُداف: «عَشاء، عَشاء، عَشاء!».
انزاحَ رجال الملك عن الأبواب حين أخبَروهم بنتيجة الانتخاب، وذهبَ هوب ومعه نِصف دستةٍ من المساعدين إلى المطابخ لإحضار الطَّعام. لم ينتظر چون أن يأكل، بل قطعَ القلعة متسائلًا إن كان يَحلُم، على كتفه الغُداف

وفي أعقابه جوست. لحقَ به پيپ وجرن وسام يُثَرثِرون، لكنه بالكاد سمعَ شيئًا إلى أن همسَ جرن: «فعلَها سام»، ورَدَّد پيپ: «فعلَها سام!». كانت معه قِربة نبيذٍ أخذَ منها جَرعةً طويلةً، ثم ترنَّم: «سام، سام، سام السَّاحر، سام الأعجوبة، سام الرَّجل المعجزة فعلَها. لكن متى خبَّأت الغُداف في المرجل يا سام؟ وكيف وثقت بحَقِّ الجحائم السَّبع بأنه سيطير إلى چون؟ كان الطائر ليُفسِد المسألة كلَّها لو قرَّر أن يحطَّ على رأس چانوس سلينت السَّمين».

قال سام بإصرار: «لم أفعل شيئًا بالطَّائر على الإطلاق. لقد كدتُ أبلِّلُ نفسي حين طارَ من المرجل».

ضحكَ چون والدَّهشة تُساوِره من كونه لا يزال يقوى على الضَّحك، وقال: «أنتم مجموعة من الحمقى المجانين، أتعرفون هذا؟».

قال پيپ: «نحن؟ تتَّهمنا نحن بالجنون؟ لسنا نحن مَن انتُخِبنا توًّا لنكون حضرة قائد حَرس اللَّيل الثَّامن والتِّسعين بَعد التِّسعمئة. خيرٌ لك أن تشرب من النَّبيذ يا لورد چون. أعتقدُ أنك ستحتاج إلى الكثير من النَّبيذ».

وهكذا تناولَ منه چون سنو القِربة ورشفَ، ولكن رشفةً واحدةً فقط. (الجِدار) تحت قيادته، واللَّيل مظلم، وهناك ملك عليه أن يُواجِهه.





سانزا

استيقظَت دفعةً واحدةً شاعرةً بوخزٍ في أعصابها كلِّها، وللحظةٍ لم تتذكَّر أين هي. في الحُلم رأت نفسها صغيرةً، ما زالَت تتقاسَم غُرفة نوم واحدةً مع آريا، لكن مَن سمعَتها تتقلَّب في النَّوم إلى جوارها كانت وصيفتها لا أختها، وهذه ليست (وينترفل) وإنما (العُش). وأنا إليني ستون، فتاة نغلة. لم يكن الفَجر قد بزغَ بعدُ فوجدَت الغُرفة مظلمةً باردةً، وإن ظلَّت تَشعُر بالدِّفء تحت أغطيتها. أحيانًا تَحلُم بالسير إلين باين وتستيقظ بقلبٍ عنيفة دقَّاته، لكن حُلم اللَّيلة يختلف. الوطن، كان حُلمًا بالوطن.

(العُش) ليست وطنًا. إنها لا تزيد مساحةً على (حصن ميجور)، وخارج جُدرانها العموديَّة البيضاء ليس هناك إلَّا الجبل وطريق النُّزول الطَّويل الوعر الذي يمرُّ بالقلاع الفرعيَّة (سماء) و(ثلج) و(صخر) وينتهي بـ(بوَّابات القمر) في قاع الوادي. ما من مكانٍ تذهب إليه إطلاقًا وما من شيءٍ تفعله إلَّا القليل. يقول الخدم العجائز إن هذه الأبهاء كانت عامرةً بالضَّحك حين كان أبوها وروبرت باراثيون ربيبَيْ چون آرن، لكن تلك الأيام ولَّت منذ زمن. الآن تحتفظ خالتها بحاشيةٍ صغيرة ونادرًا ما تسمح لأيِّ ضيوفٍ باجتياز (بوَّابات القمر)، وبخلاف وصيفتها المسنَّة فلا رفيق لسانزا غير اللورد روبرت، طفل في الثَّامنة بعقليَّة واحدٍ في الثَّالثة.

وماريليون، ماريليون موجود دائمًا. في أغلب الأحيان عندما يُغَنِّي لهم على العَشاء يبدو المطرب الشَّاب كأنه يُغَنِّي لها تحديدًا، وهو ما يُثير استياء خالتها كثيرًا، فالليدي لايسا شغوف بماريليون، وقد نفَت خادمتين ووصيفةً أيضًا لتقوُّلهن عليه كذبًا.

وحدة لايسا ليست أهون من وحدتها، فزوجها الجديد يقضي عند سفح الجبل وقتًا أطول مما يقضيه على قمَّته، وهو غائب الآن، رحل منذ أربعة أيام للقاء آل كوربراي. من النَّزر اليسير الذي سمعَته عرَضًا، عرفَت سانزا أن حمَلة راية چون آرن مغتاظون من زواج لايسا به، ويحقدون عليه لتقلُّده سُلطة اللورد حافظ (الوادي). الفرع الكبير من عائلة رويس على شفا تمرُّدٍ صريح بسبب تخاذُل خالتها عن مؤازرة روب في حربه، ويحظى بكامل دعم عائلات واينوود وردفورت وبلمور وتمپلتون، كما أن قبائل الجبال تُثير المتاعب منذ فترة، وأتى موت اللورد هنتر العجوز مباغتًا تمامًا لدرجة أن ابنيه الأصغرين يتَّهمان أخاهما الكبير بقتله. ربما لم تمسَّ الحرب (وادي آرن)، لكنه ليس المكان المثالي الذي صوَّرته الليدي لايسا.

أدركَت سانزا أنها لن تعود إلى النَّوم. رأسي مليء بالضَّجيج. دفعَت وسادتها على مضضٍ وأزاحَت الأغطية، ثم ذهبَت إلى نافذتها وفتحَت مصراعيها.

وكان الثَّلج يتساقَط على (العُش).

أهذا ما أيقظَني؟ في الخارج تسوق الرِّيح الرَّقائق بنعومة الذِّكريات وصمتها، وكانت الثُّلوج قد بدأت تتكوَّم في الحديقة بالأسفل بالفعل، تُدَثِّر الكلأ وتَنثُر الشُّجيرات والتَّماثيل بالأبيض وتُثقِل فروع الشَّجر.

أعادَ المشهد سانزا إلى لياليها الباردة قديمًا وصيف طفولتها الطَّويل.

آخِر مرَّةٍ رأت ثلجًا كانت يوم غادرَت (وينترفل). لكنه كان أخفَّ من هذا. كانت النُّدف تذوب في شَعر روب حين عانقَني، وظلَّت كُرة الثَّلج التي حاولَت آريا أن تصنعها تتفتَّت في يديها. آلَمَها أن تتذكَّر سعادتها البالغة ذلك الصَّباح. ساعدَها هالن على الرُّكوب وخرجَت من القلعة بينما تدور رقائق الثَّلج في الهواء حولها، خرجَت لترى العالم الواسع الرَّحب. حسبتُ أن أغنيَّتي بدأت يومها، لكنها كانت قُرب نهايتها.

تركَت النَّافذة مفتوحةً وهي ترتدي ملابسها. تعرف أن الحديقة ستكون باردةً على الرغم من أن أبراج (العُش) تُطوِّقها وتحميها من أغلب رياح الجبال، فارتدَت ثيابًا داخليَّةً من الحرير وغِلالةً من الكتَّان وفوقها فُستان ثقيل من صوف الحِملان الأزرق، ودفَّأت ساقيها بأربعة أزواج من الجوارب

وحذاء يرتفع حتى رُكبتيها، ويديها بقُفَّازين ثقيلين من الجِلد، وأخيرًا وضعَت على كتفيها معطفًا بقلنسوة من فرو الثَّعالب الأبيض النَّاعم.

أحكمَت وصيفتها غطاءها حول جسدها حين بدأ الثَّلج يهبُّ من النَّافذة، وفتحَت سانزا الباب بهدوءٍ ونزلَت السَّلالم الملتفَّة. عندما فتحَت باب الحديقة خلبَ المنظر لُبَّها لدرجة أنها حبسَت أنفاسها غير راغبةٍ في إفساد هذا الجَمال المطلَق. تساقطَ الثَّلج وتساقطَ بصمتٍ شبحيٍّ مطبِق وافترشَ الأرض في طبقةٍ سميكة بيضاء من غير سوء. اختفَت الألوان كلُّها من العالم في الخارج فأصبحَ موطنًا لدرجات الأبيض والأسود والرَّمادي فقط. أبراج بيضاء وثلوج بيضاء وتماثيل بيضاء، ظلال سوداء وأشجار سوداء، وبالأعلى السَّماء رماديَّة قاتمة. عالم نقي. مكاني ليس هنا.

لكنها خرجَت رغم ذلك. انغرسَ حذاؤها حتى الكاحل في سطح الثَّلج الأملس دون أن يُصدِر صوتًا، ومرَّت سانزا بشُجيراتٍ مثلوجة وأشجارٍ داكنة رفيعة وتساءلَت إن كانت لا تزال تَحلُم بينما تمسُّ النُّدف وجهها بنعومة قُبلات العاشقين وتذوب على وجنتيها. في منتصَف الحديقة، إلى جوار تمثال المرأة الباكية المكسور الذي يكاد الثَّلج يطمره على الأرض، رفعَت وجهها إلى السَّماء وأسبلَت جفنيها، وأحسَّت بالثَّلج على أهدابها وداعبَ مذاقه شفتيها، مذاق (وينترفل)، مذاق البراءة والأحلام.

عندما فتحَت عينيها وجدَت نفسها على رُكبتيها ولا تَذكُر أنها وقعَت، وبدا لها أن رماديَّ السَّماء خَفَّ درجةً. الفَجر، يوم آخَر، يوم آخَر جديد. لكن الأيام القديمة هي ما تشتهي، هي ما تُصَلِّي لأجل عودته. لكن لمَن تُصَلِّي؟ إنها تعرف أن الحديقة زُرعَت بغرضٍ أن تكون أيكة آلهةٍ قديمًا، لكن طبيعة التُّربة الحجريَّة جعلَتها أفقَر من أن تمدَّ شجرة ويروود فيها جذورها. أيكة آلهة بلا آلهة، مِثلي خالية.

اغترفَت قبضةً من الثَّلج واعتصرَتها بين أصابعها، ولثِقله وابتلاله تكتَّل بسهولة. بدأت سانزا تصنع كُرات ثلجٍ مشكِّلةً ومسوِّيةً إياها إلى أن صارَت مستديرةً مثاليَّةً، وتذكَّرت مرَّةً تساقطَت فيها ثلوج صيفيَّة على (وينترفل)، وكانت آريا وبران متربِّصيْن بها لدى خروجها من الحصن ذات صباح، مع كلٍّ منهما دستة من كُرات الثَّلج جاهزة للرَّمي، وهي عزلاء تمامًا. كان بران

جاثمًا على سطح الجسر المغطّى بعيدًا عن متناوَلها، لكنها طاردَت آريا عبر الاسطبلات وحول المطبخ إلى أن انقطعَت أنفاسهما، وكادَت تلحق بها بالفعل لولا أنها انزلقَت على رُقعةٍ من الجليد. عادَت أختها لترى إن كانت قد تأذَّت، ولمَّا قالت إنها بخير رمَتها آريا في وجهها بكُرةٍ أخرى، لكن سانزا أمسكَت ساقها وأوقعَتها أرضًا معها، وراحَت تَفرُك شَعرها بالثَّلج إلى أن أتى چوري وباعدَ بينهما ضاحكًا.

تطلَّعت إلى ترسانتها الصَّغيرة الحزينة متسائلةً: ماذا أفعلُ بكُرات الثَّلج؟ ليس هناك مَن أرميه بها. تركَت الكُرة التي تصنعها تَسقُط من يدها مفكِّرةً: يُمكنني أن أصنع فارسًا، أو حتى...

كتَّلت اثنتين من كُراتها معًا وأضافَت ثالثةً وكوَّمت المزيد من الثَّلج حولها ثم سوَّت إسطوانةً، وحين انتهَت وقَّفتها على أحد طرفيها وصنعَت بطرف إصبعها الصَّغير ثقوبًا للنَّوافذ. تطلَّبت الشُّرَّافات حول القمَّة مزيدًا من العناية، لكن عندما فرغَت أصبحَ لديها بُرج. فكَّرت: والآن الأسوار، ثم حصن، وشرعَت في العمل.

سقطَت الثُّلوج وارتفعَت القلعة. سوران بارتفاع الكاحل، الدَّاخلي أعلى من الخارجي، أبراج قائمة من الأرض وأبراج أصغر تَبرُز من زوايا البنايات، حصون وسلالم، مطبخ مستدير ومستودَع سلاح مربَّع، الاسطبلات عند السُّور الغربي. كانت مجرَّد قلعةٍ حين بدأت، لكن لم يمضِ الكثير قبل أن تُدرِك سانزا أنها (وينترفل). نقَّبت عن غُصيناتٍ وفروع ساقطة تحت الثَّلج وكسرَت أطرافها لتصنع أيكة الآلهة، واستخدمَت قطَعًا من اللِّحاء لعمل شواهد القبور في ساحة الأُشنة. سرعان ما اكتسى حذاؤها وقُفَّازاها بقشرةٍ من الأبيض وأحسَّت بتنميل في يديها والبلل البارد في قدميها، لكنها لم تعبأ. لا يهمُّ الآن إلَّا القلعة. وجدَت صعوبةً في تذكُّر بضعة أشياء، لكنها استعادَت أغلبها بيُسر كأنها كانت هناك البارحة؛ (بُرج المكتبة) بسلالمه الحجريَّة المنحدِرة الَّتي تلتوي حوله من الخارج، ومبنى البوَّابة بمتراسين ضخمين بينهما بوَّابة مقنطَرة وسطح مزيَّن بالشُّرَّافات...

وطيلة الوقت ظَلَّ الثَّلج يَسقُط ويتكوَّم حول مبانيها بسُرعة إقامتها إياها. كانت تُسَوِّي سقف القاعة الكُبرى المائل حين سمعَت صوتًا، ورفعَت عينيها

لتجد وصيفتها تُناديها من النَّافذة. هل سيِّدتي بخير؟ هل تُريد إفطارها الآن؟ هزَّت سانزا رأسها نفيًا وعادَت إلى تشكيل الثَّلج، مضيفةً مدخنةً إلى طرف القاعة الكُبرى حيث يُفترَض أن يكون المستوقَد موضوعًا في الدَّاخل.

تسحَّب الفَجر إلى الحديقة كاللُّصوص، فصارَت درجات الرَّمادي في السَّماء أفتح واستحالَت ألوان الأشجار والشُّجيرات إلى درجاتٍ من الأخضر تحت دُثرها الثَّلجيَّة. خرجَ عدد من الخدم يُشاهِدونها فترةً، لكنها لم تُعِرهم اهتمامًا بَعد قليلٍ عادوا إلى دفء الدَّاخل، ورأت سانزا الليدي لايسا تتطلَّع ناحيتها من شُرفتها وقد ارتدَت معطفًا من المخمل الأزرق الموشَّى بفرو الثَّعالب، لكن حين نظرَت ثانيةً لم تجد خالتها، وخرجَ المِايستر كولمون من المِغدفة، وألقى عليها نظرةً من أعلى والفضول يُغالبه رغم نحوله ورعدته.

لكن جسورها ظلَّت تَسقُط. ثمَّة جسر مغطًّى بين مستودَع السِّلاح والحصن الرَّئيس، وآخَر يمتدُّ من طابق بُرج الجرس الرَّابع إلى طابق المِغدفة الثَّاني، لكنهما رفضا التَّماسُك على الرغم من حرصها البالغ في تشكيلهما، وحين انهارَ أحدهما للمرَّة الثَّالثة أطلقَت سبابًا مسموعًا واعتدلَت جالسةً بإحباطٍ عاجز.

- «كتِّلي الثَّلج حول عصا يا سانزا».

لا تدري منذ متى وهو يُشاهِدها، ولا متى رجعَ من (الوادي). ردَّدت: «عصا؟».

قال بيتر: «ستُقَوِّيه وتجعله يتماسك على ما أظنُّ. هل تسمحين بأن أدخل قلعتك يا سيِّدتي؟».

ردَّت بحذر: «لا تُفسِدها. تعامَل...».

أكملَ جُملتها مبتسمًا: «... برفق؟ سبقَ لـ(وينترفل) أن ناهضَت أعداء أقوى مني. إنها (وينترفل)، أليس كذلك؟».

- «بلى».

سارَ بمحاذاة السُّور الخارجي قائلًا: «اعتدتُ أن أحلم بها في السِّنين التي تلَت ذهاب كات شمالًا مع إدارد ستارك، وفي أحلامي كانت مكانًا مظلمًا باردًا على الدَّوام».

- «لا، كانت دافئةً دائمًا، حتى عندما يَسقُط الثَّلج. مياه الينابيع السَّاخنة

تُضَخُّ بين الجُدران لتدفئتها، والجَوُّ داخل الصُّوبة الزُّجاجيَّة كان كأحرِّ أيام الصَّيف طوال الوقت»، ونهضَت سانزا فتعملقَت إلى جوار القلعة البيضاء العظيمة، وأردفَت: «لا أجدُ وسيلةً لعمل السَّطح الزُّجاج فوق الصُّوبة».

ملَّس الإصبع الصَّغير على ذقنه حيث كانت لحيته قبل أن تَطلُب منه الليدي لايسا حلاقتها، وقال: «الزُّجاج كان مثبَّتًا بأُطر، أليس كذلك؟ الغُصينات الحل. قشِّريها وقاطِعيها معًا واستخدمي اللِّحاء لربط أضلاع كلِّ إطار. سأريكِ»، وتحرَّك عبر الحديقة جامعًا الغُصينات والعِصِيَّ ونفضَ عنها الثَّلج، ولمَّا جمعَ ما يكفي خطا فوق كلا السُّورين بحركةٍ طويلة واحدة وأقعى على كاحليه في منتصَف السَّاحة، ودنَت سانزا لترى ما يفعله. كانت يداه رشيقتين واثقتين، وسرعان ما كوَّن تعريشةً من الغُصينات المتقاطعة أشبه كثيرًا بالتي كانت تستقرُّ على سطح الصُّوبة الزُّجاجيَّة في (وينترفل)، ثم ناولَها إياها قائلًا: «علينا أن نتخيَّل الزُّجاج بالطَّبع».

قالت: «سليم تمامًا».

مَسَّ وجهها مغمغًا: «وهذا أيضًا».

سألَته حائرةً: «ماذا؟».

- «تبسُّمكِ يا سيِّدتي. هل أصنعُ لكِ واحدةً أخرى؟».

- «إذا تفضَّلت».

- «لا شيء سيسرُّني أكثر».

أقامَت جُدران الصُّوبة الزُّجاجيَّة فيما صنعَ الإصبع الصَّغير سقوفها، وحين فرغا منها ساعدَها على مَدِّ الأسوار وبناء قاعة الحُرَّاس. استخدمَت العِصِيَّ مع الجسرين المغطَّيين وكما قال تمامًا تماسَكا، أمَّا (القلعة الأولى) فكانت أسهل كثيرًا لكونها مجرَّد بُرج مستدير عتيق، لكن عائقًا جديدًا واجهَ سانزا عندما أرادَت أن تضع الكَراجِلَ على القمَّة، ومرَّةً أخرى أعطاها پيتر الجواب: «الثُّلوج تَسقُط على قلعتكِ يا سيِّدتي. كيف تبدو الكَراجل وهي مغطَّاة بالثَّلج؟».

أغلقَت عينيها لتراها في ذاكرتها، وأجابَت: «مجرَّد كُتلٍ بيضاء».

- «ليكن إذن. الكَراجل صعبة، لكن ما أسهل عمل الكتل البيضاء». وقد كان.

وكان (البُرج المكسور) أسهل. معًا صنعا بُرجًا طويلًا وهما على الأرض جنبًا إلى جنب، يُسَوِّيانه حتى أصبحَ أملس تمامًا، وعندما وقَّفاه غرسَت سانزا أصابعها في القمَّة واغترفَت قبضةً من الثَّلج رمَتها في وجهه، وصاحَ پيتر بينما انزلقَ الثَّلج داخل ياقته: «لم يكن هذا يليق يا سيِّدتي».

- «وكذا المجيء بي هنا بَعد أن أقسمت أن تأخذني إلى الوطن».

تساءلَت من أين أتَت بهذه الشَّجاعة التي جعلَتها تُكلِّمه بمنتهى الصَّراحة، وأجابَت نفسها: من (وينترفل)، إنني أقوى وراء أسوار (وينترفل).

اكتسَت ملامحه بالجدِّيَّة، وقال: «نعم، كذبتُ عليكِ في هذا... وفي شيءٍ آخَر أيضًا».

قالت سانزا بمعدةٍ اضطربَت: «ماذا؟».

أجابَ: «قلتُ إن لا شيء سيسرُّني أكثر من مساعَدتك على بناء قلعتك، لكنني أخشى أن هذه أيضًا كذبة. شيء آخَر سيسرُّني أكثر»، ودنا منها مضيفًا: «هذا».

بدأت سانزا تتراجَع، لكنه جذبَها وطوَّقها بذراعيه وفجأةً وجدَته يُقَبِّلها. بوهنٍ حاولَت أن تتملَّص، لكنها لم تُفلِح إلَّا في لصق نفسها به أكثر. كان فمه على فمها يبتلع كلماتها، مذاقه نعناع، وللحظةٍ قصيرة للغاية استسلمَت لقُبلته... قبل أن تُبعِد وجهها وتنتزع نفسها من بين ذراعيه قائلةً: «ماذا تفعل؟».

سوَّى پيتر معطفه مجيبًا: «أقبِّل عذراء الثَّلج».

قالت سانزا رافعةً عينيها إلى شُرفة لايسا لتجدها خاليةً: «المفترَض أن تُقَبِّلها هي، السيِّدة زوجتك».

ابتسمَ قائلًا: «وهذا ما أفعله. لا يوجَد ما يدعو لايسا للشَّكوى. ليتكِ ترين نفسكِ يا سيِّدتي. يا لجَمالك. إنكِ مغطَّاة بالثَّلج كدُبٍّ صغير، لكن وجهكِ متورِّد وتلهثين. منذ متى وأنتِ هنا؟ لا بُدَّ أنكِ تَشعُرين ببردٍ شديد. دعيني أدفئكِ يا سانزا. اخلعي هذين القُفَّازين وأعطيني يديكِ».

- «كلا». كان يتكلَّم كأنه ماريليون حين ثملَ ليلة الزِّفاف، لكن هذه المرَّة لن يظهر لوثور برون ويُنقذها، فالسير لوثور رجل پيتر. «لا يَجدُر بك أن تُقَبِّلني. كان يُمكن أن أكون ابنتك...».

قال بابتسامةٍ محزونة: «كان يُمكن أن تكوني ابنتي، لكنكِ لستِ كذلك.

إنكِ ابنة إدارد ستارك وكات، لكني أعتقدُ أنكِ أجمل من أمِّكِ بكثير حين كانت في سِنِّكِ».

بنبرةٍ ضعيفة للغاية قالت: «بيتر، أرجوك، أرجوك...».

- «قلعة!».

كان الصَّوت مرتفعًا وحادًّا وطفوليًّا، والتفتَ عنها الإصبع الصَّغير منحنيًا بحركةٍ مسرحيَّة، وقال: «لورد روبرت، هل يصحُّ أن تَخرُج في الثَّلج دون قُفَّازيك؟».

- «هل بنيت القلعة الثَّلجيَّة يا سيِّدي الإصبع الصَّغير؟».

- «إليني بنَت معظمها يا سيِّدي».

قالت سانزا: «المفترَض أنها (وينترفل)».

- «(وينترفل)؟». روبرت صغير الحجم بالنِّسبة لصبيٍّ في الثَّامنة، قوامه شديد النُّحول وبشرته مبقَّعة وعيناه دامعتان دائمًا، وتحت ذراعه يضع الدُّمية القماش الرَّثَّة التي يحملها معه في كلِّ مكان.

قالت سانزا لزوجها المقبل: «(وينترفل) مقرُّ عائلة ستارك، قلعة الشَّمال العُظمى».

قال الصَّبي: «ليست بهذه العظمة»، وركعَ أمام مبنى البوَّابة مواصلًا: «انظُري، ها هو عملاق جاءَ يهدمها»، ووقَّف دُميته في الثَّلج ونطَّطها متغنِّيًا: «ترومپ ترومپ، أنا عملاق، أنا عملاق، هو هو هو، افتحوا بوَّابتكم وإلَّا هرستها وحطَّمتها!»، وطوَّح الدُّمية من ساقيها مسقطًا قمَّة أحد بُرجَيْ مبنى البوَّابة ثم الثَّانية.

كان هذا أقوى من قُدرة سانزا على الاحتمال، فصاحَت: «روبرت، توقَّف!»، لكنه لم يتوقَّف، بل طوَّح الدُّمية ثانيةً وتفجَّر قدم من السُّور. مدَّت يدها تُطبق على يده، غير أنها أمسكَت الدُّمية بدلًا منها، وتعالى صوت تمزُّق القماش الخفيف. فجأةً وجدَت رأس الدُّمية في يدها وساقيها وجسمها في يد روبرت، وعلى الثَّلج انسكبَ حشو الخِرق ونُشارة الخشب.

ارتعشَ فم اللورد روبرت، وولولَ: «لقد قتلتيييييييه!»، ثم بدأ يرتجف. في البدء كانت مجرَّد قشعريرةٍ محدودة، ولكن في غضون لحظاتٍ قليلة تهاوى الصَّبي فوق القلعة وراحَت أطرافه تضرب ذات اليمين وذات الشِّمال

بعُنف، لتتساقَط البروج البيضاء والجسور الثَّلجيَّة في كلِّ اتِّجاه. وقفَت سانزا متجمِّدةً من الهلع، لكن پيتر بايلش قبضَ على معصمَيْ ابن خالتها وزعقَ طالبًا المِايستر.

وصلَ الحَرس والخادمات خلال لحظات للمساعَدة على تقييد الصَّبي، وبَعدهم بقليل المِايستر كولمون. ليس داء روبرت آرن الرُّعاش بالشَّيء الجديد على أهل (العُش)، وقد درَّبتهم الليدي لايسا جميعًا على الهروع إلى الصَّبي ما إن تَصدُر منه صيحة. أمسكَ المِايستر رأس اللورد الصَّغير وسقاه نِصف كوب من نبيذ النَّوم بينما يُهَمهِم بكلماتٍ مهدِّئة، وببُطءٍ انجابَ عُنف النَّوبة إلى أن لم يتبقَّ منها إلَّا رجفة خفيفة في اليدين، فقال كولمون للحُرَّاس: «احملوه إلى مسكني. تعليق العَلق سيُهَدِّئه».

أرَتهم سانزا رأس الدُّمية قائلةً: «إنه خطئي، مزَّقتُ دُميته، لم أكن أقصد، لكن...».

قال پيتر: «حضرة اللورد كان يُدَمِّر القلعة».

همسَ الصَّبي باكيًا: «العملاق، ليس أنا، العملاق هو من آذى القلعة. لقد قتلَته! إنني أكرهها! إنها نغلة وأكرهها! لا أريدُ العَلق!».

قال المِايستر كولمون: «سيِّدي، دمك في حاجةٍ إلى تخفيف. الدَّم الفاسد هو السَّبب في غضبك، وغضبك يجتلب الرَّجفة. هلمَّ».

كان الثَّلج قد توقَّف وزادَت البرودة. قادوا الصَّبي من المكان، وفكَّرت سانزا متطلِّعةً إلى أنقاض (وينترفل): السيدُّ زوجي. تساءلَت إن كان اللورد روبرت سيظلُّ يرتجف في أثناء زفافهما. على الأقل كان چوفري سليم الجسد. استولَت عليها ثورة مجنونة، والتقطَت فرعًا مكسورًا وبكلِّ عُنفٍ غرسَته في رأس الدُّمية الممزَّق، ثم ثبَّتته فوق مبنى البوَّابة المحطَّم في قلعتها الثَّلجيَّة. بدا الخدم مرتاعين، لكن حين رأى الإصبع الصَّغير ما فعلَته ضحكَ وقال: «إذا كانت الحكايات حقيقيَّةً فهذا ليس أول عملاق يُعَلَّق رأسه على أسوار (وينترفل)».

قالت: «تلك مجرَّد قِصص»، وتركَته هناك.

في مخدعها خلعَت سانزا معطفها وحذاءها المبتلَّين وجلسَت إلى جوار النَّار. لا يُخامِرها شَكٌّ في أنها ستُعاقَب على تسبُّبها في نوبة اللورد روبرت.

ربما تصر فني الليدي لايسا. خالتها لا تتورَّع عن نفي أيِّ شخصٍ يُغضِبها، ولا شيء يُغضبها كمَن ترتاب في إساءتهم معامَلة ابنها.

إنها تُرَحِّب بالمنفى. (بوَّابات القمر) أكبر كثيرًا من (العُش)، وتضجُّ بالحياة أيضًا، ومع أن اللورد نستور رويس يبدو صارمًا فظًّا، فابنته ميراندا هي مَن تتولَّى شؤون قلعته، والجميع يقولون إنها شديدة المرح. لعلَّ نغولة سانزا المفترَضة لن تكون مصدر تكدير كبيرًا لها هناك بالأسفل. ثم إن واحدةً من بنات الملك روبرت غير الشَّرعيَّات تخدم اللورد نستور، ويُقال إنها والليدي ميراندا صديقتان صدوقان، قريبتان كأختين.

سأقولُ لخالتي إنني لا أريدُ أن أتزوَّج روبرت. السِّپتون الأعلى نفسه لا يستطيع إعلان زواج امرأةٍ إذا رفضَت ترديد النُّذور. إنها ليست متسوِّلةً مهما قالت خالتها، إنها في الثَّالثة عشرة، امرأةٌ أزهرَت وتزوَّجت، ووريثة (وينترفل). أحيانًا تَشعُر سانزا بالشَّفقة على ابن خالتها الصَّغير، لكنها لا تتخيَّل أن ترغب في أن تكون زوجته أبدًا. أوثِرُ أن أتزوَّج تيريون مرَّةً أخرى. إذا علمَت الليدي لايسا هذا فلا ريب أنها ستصرفها... بعيدًا عن عبوس روبرت ورجفته وعينيه الدَّامعتين، بعيدًا عن نظرات ماريليون التي لا تُبارِحها، عن قُبلات پيتر. سأُخبِرها، نعم!

حينما استدعَتها الليدي لايسا كان الأصيل في أواخره. استغرقَت سانزا النَّهار كلَّه في استجماع شَجاعتها، لكن حالما ظهرَ ماريليون عند بابها عادَت الشُّكوك تُساوِرها. قال لها المغنِّي: «الليدي لايسا تَطلُب حضوركِ في (القاعة العالية)». جرَّدتها عيناه من ثيابها وهو يتكلَّم، لكنها تعوَّدت هذا.

لا أحد يُنكِر أن ماريليون وسيم، إذ إن له مظهرًا صبيانيًا وجسدًا ممشوقًا وبشرةً ناعمةً وشَعرًا رمليًا وابتسامة آسرة، لكنه جلبَ على نفسه كراهية أهل (الوادي) جميعًا باستثناء خالتها واللورد روبرت الصَّغير. مما سمعَته سانزا من كلام الخدم عرفَت أنها ليست أول فتاةٍ تُعاني تحرُّشاته، والأخريات لم يجدن لوثور برون ليُدافِع عنهن، لكن الليدي لايسا تأبى سماع أيِّ شكاوى بشأنه. منذ وصوله إلى (العُش) صارَ المغنِّي رفيقها المفضَّل، يُغَنِّي للورد روبرت كلَّ ليلةٍ حتى ينام، ويقرص آذان خُطَّاب الليدي لايسا بأبياتٍ تسخر من نواقصهم. أغدقَت عليه خالتها بالذَّهب والهدايا؛ ثياب باهظة الثَّمن،

وحلقة ذراع ذهبيَّة، وحزام مرصَّع بأحجار القمر، وجواد مطهَّم، بل وأعطَته صقر زوجها الرَّاحل المفضَّل أيضًا. كلُّ هذا حدا بماريليون إلى أن يكون دائم التَّهذيب والدَّماثة في حضور الليدي لايسا، وفي غيابها آيةً في الخيلاء.

قالت له سانزا بجمود: «شُكرًا. أعرفُ الطَّريق».

لم يتزحزَح، وقال: «سيِّدتي قالت أن أحضركِ».

لم يُعجِبها وقع الكلمة. يُحضِرني؟ «أأنت حارس الآن؟». كان الإصبع الصَّغير قد صرفَ قائد حَرس (العُش) وعيَّن لوثور برون بدلًا منه.

قال ماريليون باستهانة: «هل تتطلَّبين حراسةً؟ عليكِ أن تعلمي أني أؤلِّفُ أغنيَّةً جديدةً، أغنيَّةً سيُذيب ما فيها من عذوبةٍ وحُزن قلبك الجليدي ذاته. أنوي أن أسمِّيها (وردة على جانب الطَّريق)، تحكي عن فتاةٍ نغلة رائعة الجَمال فتنَت كلَّ رجلٍ رآها».

أرادَت بشدَّةٍ أن تقول له: إنني من آل ستارك أولاد (وينترفل)، لكنها اكتفَت بالإيماء وتركَته يصطحبها نازلًا سلالم البُرج وقاطعًا جسرًا. كانت (القاعة العالية) مغلقةً طيلة إقامتها في (العُش)، فتساءلَت سانزا لماذا فتحَتها خالتها، التي عادةً ما تُفَضِّل راحة غُرفتها الشَّمسيَّة أو دفء قاعة اجتماعات اللورد آرن الصَّغيرة المطلَّة على الشَّلَّال.

وقفَ حارسان بمعطفين بزُرقة السَّماء على جانبَيْ باب (القاعة العالية) الخشبي المنقوش وفي يد كلٍّ منهما حربة، وقال لهما ماريليون: «لا أحد يَدخُل ما دامَت إلَيني مع الليدي لايسا».

- «نعم». تركَهما الرَّجلان يَدخُلان ثم قاطَعا حربتيهما، وأغلقَ ماريليون مصراعَيْ الباب وأزلجَهما بحربةٍ ثالثة أطول وأغلظ.

قالت سانزا والاضطراب يتسلَّل إليها: «لماذا فعلت هذا؟».

- «سيِّدتي تنتظرك».

تطلَّعت حولها بارتباك. كانت الليدي لايسا جالسةً وحدها فوق المنصَّة على كُرسيٍّ عالي الظَّهر من خشب الويروود المزخرَف، وإلى يمينها كُرسيٌّ ثانٍ أطول وعليه كومة من الوسائد الزَّرقاء، لكن اللوردَ روبرت غير موجود. تأمل سانزا أنه تعافى، وإن كان ماريليون لن يُخبرها.

مشَت على البساط الحريري الأزرق بين صفَّين من الأعمدة المحزَّزة

الرَّفيعة كالرِّماح. أرضيَّة وجُدران (القاعة العالية) من رُخام بياضه كالحليب المجزَّع بالأزرق، ومن النَّوافذ المقنطَرة الضيِّقة في الجدار الشَّرقي تَدخُل خيوط نور النَّهار الباهت، وبين كلِّ نافذتين مشعل مثبَّت على حوامل عالية من الحديد، لكن جميعها مُطفأ. أحدثَت خُطاها صوتًا ناعمًا على البساط، وفي الخارج هبَّت الرِّيح ببرودةٍ ووحشة.

وسط كلِّ هذا الرُّخام الأبيض بدا ضوء الشَّمس نفسه باردًا... وإن لم يدنُ من البرد المنبعث من خالتها. ارتدَت الليدي لايسا فُستانًا مخمليًّا بلون القشدة وقلادةً من الصَّفير وأحجار القمر، وقد عقصَت شَعرها الكستنائي في جديلةٍ كثيفة انسدلَت على إحدى كتفيها، وبدا وجهها منتفخًا محمرًّا تحت الطِّلاء والمساحيق. جلسَت في الكُرسي العالي تُشاهِد ابنة أختها تقترب، وراءها على الجدار راية ضخمة معلَّقة عليها قمر وصقر عائلة آرن بأبيض القشدة والأزرق السَّماوي.

توقَّفت سانزا أمام المنصَّة، وانحنَت قائلةً: «سيِّدتي أرسلَت تستدعيني». ما زالَ باستطاعتها أن تسمع صوت الرِّياح والنَّغمات النَّاعمة التي يعزفها ماريليون عند قدم القاعة.

قالت الليدي لايسا: «رأيتُ ما فعلتِ».

سوَّت سانزا طيَّات تنُّورتها، وقالت: «آملُ أن اللورد روبرت تحسَّن. لم أقصد أن أمزِّق دُميته، كان يهدم قلعتي الثَّلجيَّة و...».

قاطعَتها خالتها: «هل ستلعبين دور المخادعة الخجول؟ لم أكن أتكلَّمُ عن دُمية روبرت. لقد رأيتكِ تُقَبِّلينه».

أحسَّت ببرودة القاعة تزداد بعض الشَّيء، كأن الجُدران والأرضيَّة والأعمدة الرُّخام استحالَت إلى جليد، وقالت: «هو قبَّلني».

قالت لايسا وقد احمرَّت طاقتا أنفها غضبًا: «ولِمَ يفعل شيئًا كهذا؟ إن له زوجةً تحبُّه، امرأة ناضجة لا فتاة صغيرة. إنه ليس في حاجةٍ إلى أمثالكِ. اعترفي أيتها الصَّغيرة، لقد ألقيتِ نفسكِ عليه، هذا ما حدثَ».

أخذَت سانزا خُطوةً إلى الوراء قائلةً: «غير صحيح».

- «أين ستذهبين؟ أأنتِ خائفة؟ لا بُدَّ من معاقَبة هذا السُّلوك العابث، لكني لن أقسو عليكِ. إننا نحتفظ بصبيٍّ فِداء لروبرت على غرار المُدن الحُرَّة.

إن صحَّته أضعف من أن يحمل الصَّولجان بنفسه. سأجدُ فتاةً من العوام تتلقَّى الجَلد بدلًا منكِ، لكن عليكِ أن تُقرِّي بما فعلتِ أولًا. لستُ أطيقُ الكاذبين يا إليني».

ردَّت سانزا: «كنتُ أبني قلعةً من الثَّلج. اللورد پيتر ساعدَني ثم قبَّلني. هذا ما رأيتِ».

قالت خالتها بحدَّة: «ألا شَرف لكِ أم تحسبينني حمقاء. هذا ما تحسبين، أليس كذلك؟ نعم، أرى هذا الآن. إنني لستُ حمقاء. تخالين أنكِ تستطيعين نيل أيِّ رجلٍ تُريدين لأنكِ صغيرة وجميلة. لا تحسبي أني لم أرَ النَّظرات التي تَرمُقين بها ماريليون. إنني أعرفُ كلَّ ما يدور في (العُش) أيتها الصَّغيرة، وعرفتُ مثيلاتكِ من قبل أيضًا. لكنكِ مخطئة إذا تصوَّرتِ أن الأعيُن الواسعة والابتسامات المغوية ستُنوِّلكِ پيتر»، ونهضَت مردفةً: «كلُّهم حاولوا أن يأخذوه مني؛ السيِّد والدي وزوجي وأمُّكِ... كاتلين بالذَّات. هي أيضًا أحبَّت تقبيل حبيبي پيتر، أوه، نعم كم أحبَّت هذا».

تراجعَت سانزا خُطوةً أخرى مردِّدةً: «أمِّي؟».

- «نعم، أمُّكِ، أمُّكِ الغالية، أختي الجميلة كاتلين. لا تُحاولي أن تدَّعي البراءة معي أيتها الكذَّابة المأفونة. طيلة كلِّ تلك الأعوام في (ريڤررَن) تلاعبَت بپيتر كأنه لُعبتها الصَّغيرة، عابثَته بالابتسامات والكلام الرَّقيق ونظرات الغواية، وجعلَت لياليه عذابًا».

- «لا». أرادَت أن تَصرُخ: أمِّي ماتَت، كانت أختكِ وماتَت! «لم تفعل شيئًا كهذا، ما كانت لتفعله».

قالت الليدي لايسا: «وكيف تعلمين؟ هل كنتِ هناك؟»، ونزلَت من عند الكُرسي العالي وتنُّورتها تدور حول ساقيها مواصلةً: «هل جئتِ مع اللورد براكن واللورد بلاكوود حين زارانا ليُحَكِّما أبي في نزاعهما؟ ليلتها غنَّى لنا مطرب اللورد براكن، ورقصَت كاتلين سِتَّ رقصات مع پيتر، لقد عددتها. حين بدأ اللوردان يتنابَذان أخذَهما أبي إلى قاعة اجتماعاته، فلم يَعُد هناك من يمنعنا عن الشُّرب. ثملَ إدميور في سِنِّه الصَّغيرة تلك... وحاولَ پيتر أن يُقَبِّل أمَّكِ لكنها دفعَته عنها وضحكَت منه. بدا جريحًا لدرجة أنني أحسستُ بشغاف قلبي تتمزَّق من أجله، وبَعدها ظَلَّ يشرب إلى أن فقدَ وعيه

على المائدة، وحملَه عمِّي برايندن إلى فِراشه قبل أن يراه أبي هكذا. لكنك لا تَذكُرين شيئًا من هذا، أليس كذلك؟»، وحدجَتها بغضبٍ مكرِّرةً: «أليس كذلك؟».

أهي سكرانة أم مجنونة؟ «لم أكن وُلِدتُ وقتها يا سيِّدتي».

– «لم تكوني وُلِدتِ، لكني كنتُ هناك، فلا تُحاوِلي أن تُقرِّري الحقائق. أنا أعرفُ الحقائق. لقد قبَّلتِيه!».

عادَت سانزا تقول بإصرار: «هو قبَّلني. لم أرِد أن...».

– «صمتًا. لم أسمح لكِ بالكلام. لقد أغريتِه كما فعلَت أمُّكِ ليلتها في (ريفررَن) بابتساماتها ورقصها. أتحسبينني أنسى شيئًا كهذا؟ إنها اللَّيلة التي تسلَّلتُ فيها إلى فِراشه لأواسيه. نزفتُ، لكنه كان أعذب ألم في الدُّنيا. قال لي إنه يحبُّني عندئذٍ، لكنه دعاني بـ«كات» قبل أن يغيب في النَّوم ثانيةً، وعلى الرغم من ذلك بقيتُ معه إلى أن بدأت السَّماء تُنير. أمُّكِ لم تستحقَّه، بل رفضَت أن تمنحه عطيَّتها حين نازلَ براندون ستارك. كنتُ لأمنحه عطيَّتي. لقد منحته كلَّ شيء. إنه لي الآن، ليس لكاتلين وليس لكِ».

ذبلَ تصميم سانزا كلُّه أمام هجمة خالتها الضَّارية، وأصابَها من لايسا آرن الخوف نفسه الذي كان يُصيبها من الملكة سرسي، فقالت محاولةً أن تبدو نادمةً خانعةً: «إنه لكِ يا سيِّدتي. هل تسمحين لي بالانصراف؟».

قالت خالتها ورائحة النَّبيذ تنبعث مع أنفاسها: «لا. لو كنتِ فتاةً أخرى لنفيتكِ، كنتُ لأرسلكِ إلى اللورد نستور في (بوَّابات القمر) أو أعيدكِ إلى (الأصابع). هل يروقكِ أن تقضي حياتكِ على ذلك الشَّاطئ القاحل محاطةً بالبغايا وبُراز الغنم؟ هذا ما انتواه أبي لبيتر. قال الجميع إن ذلك النِّزال السَّخيف مع براندون ستارك السَّبب، لكنه لم يكن كذلك. قال أبي إن واجبًا عليَّ أن أشكر الآلهة على قبول لورد عظيم مِثل چون آرن إياي ملوَّثةً، لكني كنتُ أعلمُ أن الغرض الوحيد من الزِّيجة السُّيوف. إمَّا أن أتزوَّج چون وإمَّا أن يُقصيني أبي كما فعلَ بأخيه، لكن بيتر كان منتهاي دومًا. أقول لكِ كلَّ هذا لتفهمي قَدر الحُبِّ بيننا وكم عانينا وحلمَ كلانا بالآخَر. لقد أنجبنا طفلًا معًا، طفلًا صغيرًا جميلًا»، ووضعَت لايسا راحة يدها على بطنها كأن الجنين لا يزال هناك، وتابعَت: «حين سرقوه مني وعدتُ نفسي بألَّا أسمح بتكرار هذا

ثانيةً. چون أرادَ إرسال ولدي الجميل روبرت إلى (دراجونستون)، وذلك الملك السِّكِّير كان ليُعطيه لسرسي لانستر، لكني لم أسمح لهما... كما لن أسمح لكِ بسرقة حبيبي پيتر الإصبع الصَّغير. هل تسمعينني يا إليني أو سانزا أو أيًّا كان اسمكِ؟ هل تسمعين ما أقوله لكِ؟».

ردَّت سانزا حاسبةً أن هذا ما تُريد خالتها سماعه: «نعم، أقسمُ لكِ، لن أقبِّلة ثانيةً أبدًا أو... أو أغريه».

قالت لايسا: «تعترفين إذن؟ أنتِ قبَّلتيه، تمامًا كما خطرَ لي. إنكِ لعوب كأمِّكِ»، وأطبقَت على معصمها مضيفةً: «تعالي معي، أريدُ أن أريكِ شيئًا».

حاولَت سانزا التَّملُّص قائلةً: «إنكِ تُؤلمينني. أرجوكِ يا خالة لايسا، إنني لم أفعل شيئًا، أقسمُ لكِ».

تجاهلَت خالتها احتجاجها، وصاحَت «ماريليون! أريدك يا ماريليون! أريدك!».

كان المغنِّي قد بقيَ صامتًا في مؤخِّرة القاعة، لكنه جاءَ في الحال على إثر صيحة الليدي آرن قائلًا: «سيِّدتي».

- «غَنِّ لنا أغنيَّةً، غَنِّ (الكذوب والجميلة)».

داعبَت أصابع ماريليون الأوتار، وغنَّى: «اللورد جاءَ يركب في يومٍ مطير، هاي-نوني، هاي-نوني، هاي-نوني-هاي[1]...».

سحبَت الليدي لايسا سانزا من ذراعها، فكان إمَّا أن تمشي وإما أن تُجَرَّ، فاختارَت أن تمشي بين عمودين قاطعةً نِصف مساحة القاعة إلى بابٍ من خشب الويروود الأبيض في الجدار الرُّخام، مغلَق بإحكام بثلاثة قضبان ثقيلة من البرونز تُثبِّته في مكانه، لكن سانزا سمعَت الرِّيح فيَ الخارج تنهش حوافه، وعندما رأت الهلال المنقوش في الخشب زرعَت قدميها في الأرض وحاولَت أن تنتزع معصمها قائلةً: «(باب القمر). لماذا تُرينني (باب القمر)؟».

- «الآن تصرِّين كالفئران لكن الجراءة لم تَنقُصكِ في الحديقة، أليس كذلك؟ الجراءة لم تَنقُصكِ في الثَّلج».

---

(1) كلمة بلا معنى كانت تُستخدَم كثيرًا في الأغاني الشَّعبيَّة في العصر الإليزابيثي في إنجلترا، وقد وردَت في إحدى أغنيات مسرحيَّة (جعجعة بلا طحن) لشيكسپير. (المترجم).

- «الليدي جلسَت تخيط في يومٍ مطير، هاي-نوني، هاي-نوني، هاي-نوني-هاي».

قالت لايسا آمرةً: «افتحي الباب. قلتُ افتحيه وإلّا سأنادي حُرَّاسي»، ودفعَت سانزا إلى الأمام مضيفةً: «أمُّكِ كانت شُجاعةً على الأقل. ارفعي القضبان».

إذا فعلتُ كما تقول ستَترُكني أذهبُ. أمسكَت سانزا أحد القضبان البرونز وخلعَته ثم ألقَته أرضًا، وتلاه الثَّاني والثَّالث برنين على الرُّخام. لم تكد تلمس الرِّتاج حتى طارَ الباب الثَّقيل إلى الدَّاخل وارتطَمَ بالحائط بعُنف، وهَبَّ كلُّ ما تكوَّم حول إطاره من ثلوج عليهما، تحمله دفقة من الهواء البارد اقشعرَّ لها بدن سانزا. حاولَت أن تخطو إلى الوراء لكن خالتها كانت وراءها، وعادَت لايسا تقبض على معصمها ووضعَت يدها الأخرى بين لوحَيْ كتفيها دافعةً إياها قسرًا نحو الباب المفتوح.

ووراء الباب ليس هناك إلّا السَّماء البيضاء والثَّلج السَّاقط.

قالت الليدي لايسا: «انظُري إلى أسفل. انظُري إلى أسفل!».

من جديدٍ حاولَت التَّملُّص، لكن أصابع خالتها انغرسَت في ذراعها كالمخالب. دفعَتها لايسا مرَّةً أخرى وصرخَت سانزا، وضربَت قدمها اليُسرى قشرةً من الثَّلج وخلخلَتها. لا شيء أمامها إلَّا الهواء الخالي، وتحتها بستمئة قدم قلعة فرعيَّة تتشبَّث بجانب الجبل. ولولَت: «لا! إنكِ تُخيفينني!»، ومن ورائها كان ماريليون لا يزال يعزف على قيثارته الخشبيَّة ويُغنِّي: «هاي-نوني، هاي-نوني، هاي-نوني-هاي».

- «أما زلتِ تُريدين إذني في الذَّهاب؟!».

- «لا، ليس من هنا، أرجوكِ...». غرسَت سانزا قدميها في الأرض وحاولَت أن تدفع نفسها إلى الخلف، لكن خالتها لم تتزحزَح قيد أُنملة. رفعَت يدها واحتكَّت أصابعها بإطار الباب دون أن تنجح في الإمساك به، وبدأت قدماها تنزلقان على الأرضيَّة الرُّخام المبتلَّة. دفعَتها خالتها الليدي لايسا -التي تفوقها وزنًا بستِّين رطلًا- إلى الأمام بعناد، وظَلَّ ماريليون يُغَنِّي: «استلقَت الليدي تُقَبِّله على كومةٍ من القَش». التوَت سانزا إلى الجانب وقد أعماها الرُّعب، وانزلقَت قدمها فوق العدم وصرخَت. «هاي-نوني، هاي-

نوني، هاي-نوني-هاي». رفعَت الرِّيح تنُّورتها وأنشبَت أنيابها الباردة في ساقيها المكشوفتين، وشعرَت بنُدف الثَّلج تذوب على وجنتيها. لوَّحت بيدها فوجدَت جديلة لايسا الكستنائيَّة الكثيفة وأطبقَت عليها، لتَصرُخ خالتها: «شَعري! اترُكي شَعري!». كانت ترتجف وتنتحب، ومعًا ترنَّحتا على الحافة، ومن بعيدٍ سمعَت سانزا الحَرس يدقُّون باب القاعة بكعوب حِرابهم ويُطالِبون بالدُّخول، وبترَ ماريليون أغنيَّته.

- «لايسا! ما الذي يَحدُث؟». شقَّت الصَّيحة النَّحيب والأنفاس الثَّقيلة، وتردَّدت أصداء خُطواتٍ في (القاعة العالية). «عودي من عندكِ! لايسا، ماذا تفعلين؟». كان الحرس ما زالوا يدقُّون الباب، أمَّا الإصبع الصَّغير فدخلَ من المؤخِّرة، من مدخل اللورد وراء المنصَّة.

التفتَت لايسا فارتخَت قبضتها بما يكفي لأن تنتزِع سانزا معصمها، وتهاوَت على رُكبتيها ليراها پيتر بايلش الذي توقَّف فجأةً، وقال: «إليني، ما المشكلة هنا؟».

أطبقَت الليدي لايسا على خُصلةٍ من شَعر سانزا صائحةً: «هي! هي المشكلة! هي قبَّلتك!».

قالت له سانزا بتوسُّل: «أخبرها، قُل لها إننا كنا نبني القلعة فقط...».

صرخَت خالتها: «صمتًا! لم أسمح لكِ بالكلام. لا أحد يهتمُّ بقلعتكِ».

- «إنها طفلة يا لايسا، ابنة كات. ماذا تحسبين نفسكِ فاعلةً؟».

- «كنتُ سأزوِّجها روبرت! إنها لا تعرف الامتنان، لا تعرف الـ... العفَّة. أنت لست لها كي تُقَبِّلك، لست لها! كنتُ ألقِّنها درسًا، هذا كلُّ شيء».

ملَّس على ذقنه قائلًا: «مفهوم. أظنُّها تفهم الآن، أليس كذلك يا إليني؟».

أجابَت سانزا باكيةً: «بلى، أفهمُ».

قالت خالتها والدُّموع تلمع في عينيها: «لا أريدها هنا. لماذا أحضرتها إلى (الوادي) يا پيتر؟ هذا ليس مكانها، لا انتماء لها هنا».

قال: «سنصرفها إذن، سنُعيدها إلى (كينجز لاندنج) إذا أردتِ»، وتقدَّم منهما خُطوةً مضيفًا: «اترُكيها الآن، دعيها تبتعد عن الباب».

دوَّر الهواء الثَّلج حولهما جاعلًا تنُّورتيهما تخفقان بصوتٍ مزعج، وصاحَت خالتها: «لا! لا يُمكن أن تُريدها، لا يُمكن. إنها فتاة بلهاء خاوية

الرَّأس، لا تحبُّك كما أحببتك. لقد أحببتك دائمًا وأثبتُّ هذا، أليس كذلك؟»، وسالَت الدُّموع على وجهها المنتفخ المحتقن وهي تُواصِل: «أعطيتك هديَّة بكورتي، وكنتُ لأعطيك ابنًا أيضًا لكنهم قتلوه بشاي القمر والتانسي والنَّعنع والشِّيح، وأضافوا ملعقةً من العسل وقطرةً من الغُبَيْرَة[1]. لم أفعلها أنا، لم أكن أعرفُ، لقد شربتُ ما سقاني إياه أبي فحسب...».

تقدَّم الإصبع الصَّغير أكثر قائلًا: «كلُّ هذا انتهى منذ زمن يا لايسا. اللورد هوستر ماتَ، ومِايستره العجوز أيضًا. هل أسرفتِ في شُرب النَّبيذ؟ لا يَجدُر بكِ أن تشربي الكثير. لسنا نُريد أن تعرف إليني أكثر مما ينبغي، أليس كذلك؟ أو ماريليون؟».

تجاهلَت الليدي لايسا قوله، وتابعَت: «كات لم تمنحك شيئًا قَطُّ. أنا التي حصلتُ لك على وظيفتك الأولى، وجعلتُ چون يأخذك إلى البلاط لنبقى قريبيْن دومًا. لقد وعدتني بأنك لن تنسى هذا أبدًا».

– «ولم أنسه. إننا معًا كما أردتِ دائمًا، تمامًا كما خطَّطنا. اترُكي شَعر سانزا...».

– «لا! لقد رأيتها تُقبِّلك في الثَّلج، تمامًا مِثل أمِّها. كاتلين قبَّلتك في أيكة الآلهة، لكن القُبلة لم تعنِ لها شيئًا، إنها لم ترغب فيك قَطُّ. لماذا أحببتها أكثر؟ أنا الوحيدة التي أحبَّتك دائمًا، أنااااا!».

أخذَ خُطوةً أخرى قائلًا: «أعرفُ يا حبيبتي، وأنا هنا الآن. ما عليكِ إلَّا أن تأخذي يدي، هيا»، ومدَّها إليها مردفًا: «لا داعي لكلِّ هذه الدُّموع».

بكَت بهياج وقالت بصوتٍ متهدِّج: «دموع، دموع، دموع. لا داعي للدُّموع... لكنَّ ليس هذا ما قُلته في (كينجز لاندنج)، بل قلت لي أن أضع الدُّموع في نبيذ چون فوضعتها، من أجل روبرت ومن أجلنا! وكتبتُ لكاتلين وقلتُ لها إن آل لانستر قتلوا زوجي، تمامًا كما قُلت أيضًا. حركة ذكيَّة... لطالما كنت ذكيًّا، هذا ما قُلته لأبي، قلتُ له پيتر شديد الذَّكاء، سيترقَّى إلى أعلى المراتب، نعم، نعم، كما أنه لطيف ورقيق وطفله في بطني... لماذا

---

(1) الغُبَيْرَة نوع من الأعشاب يُشبِه النَّعناع العادي كثيرًا، ينمو ويتكاثَر في المناطق الجبليَّة الرَّطبة. (المترجم).

قبّلتها؟ لماذا؟! إننا معًا الآن، معًا أخيرًا بَعد كلِّ هذه السِّنين، فلِمَ تُقبّلهااااا؟!».

تنهَّد پيتر، وقال: «لايسا، بَعد كلِ ما كابَدنا من عواصف يُفترَض أن تثقي بي أكثر. أقسمُ لكِ أنني لن أبارحكِ ثانيةً أبدًا ما حيينا».

سألَته منتحبةً: «حقًّا؟ أوه، حقًّا؟».

– «حقًّا. والآن أطلِقي سراح الفتاة وتعالي قبِّليني».

ألقَت لايسا نفسها باكيةً بين ذراعَيْ الإصبع الصَّغير، وإذ تعانَقا زحفَت سانزا مبتعدةً عن (باب القمر) على يديها ورُكبتيها وطوَّقت أقرب عمودٍ بذراعيها شاعرةً بعُنف دقَّات قلبها والثَّلج في شَعرها، وقد فقدَت فردة حذائها اليُمنى. فكَّرت: لا بُدَّ أنها سقطَت، وارتجفَت واحتضنَت العمود أكثر.

تركَ الإصبع الصَّغير لايسا تبكي على صدره قليلًا، ثم وضعَ يديه على ذراعيها وطبعَ قُبلةً خفيفةً على شفتيها، وقال ضاحكًا: «زوجتي الجميلة السَّخيفة الغيور، لقد أحببتُ امرأةً واحدةً في حياتي كلِّها، أؤكِّدُ لكِ».

اختلجَت ابتسامة الليدي لايسا على شفتيها وهي تسأله: «واحدة فقط؟ أوه، پيتر، هل تُقسِم؟ واحدة فقط؟».

قال: «كات فقط»، وبحركةٍ قصيرة حادَّة دفعَها.

وتعثَّرت لايسا إلى الوراء وانزلقَت قدماها على الرُّخام المبتل، ثم اختفَت. لم تَصرُخ البتَّة، ومرَّت لحظات طويلة بلا صوتٍ في المكان إلَّا صفير الرِّيح.

شهقَ ماريليون وتمتمَ: «لقد... لقد...».

كان الحُرَّاس يصيحون وراء الباب ويدقُّونه بكعوب حِرابهم الثَّقيلة. ساعدَ اللورد پيتر سانزا على القيام متسائلًا: «هل تأذَّيتِ؟»، فلمَّا هزَّت رأسها نفيًا قال: «اجري ودعي الحَرس يَدخُلون إذن. بسُرعة، لا وقت نُبدِّده. المغنِّي قتلَ السيِّدة زوجتي».



خاتمة

يدور الطَّريق إلى (الحجر العتيق) مرَّتين حول التَّلِّ قبل أن يصل إلى القمَّة. حتى في أفضل أحوال الطَّقس يظلُّ سلوكه بطيئًا بسبب زخوره بالحجارة والحشائش المفرطة في النُّمو، وعلاوةً على هذا لوَّثه سقوط الثَّلج ليلة البارحة بالأوحال. فكَّر ميريت بكآبة: ثلج في أراضي النَّهر في الخريف، غير طبيعي. على أنه لم يهطل بغزارة، فقط ما يكفي لأن يفترش الأرض بساط أبيض ليلةً، وقد بدأ معظمه يذوب بالفعل حالما أشرقَت الشَّمس. وعلى الرغم من هذا اعتبرَه ميريت نذير شؤم، فبين الأمطار والفيضانات والحرائق والحرب خسروا حصاديْن كامليْن وحصَّةً كبيرةً من الثَّالث، أي أن حلول الشِّتاء مبكِّرًا سيعني مجاعةً في جميع أنحاء أراضي النَّهر. أعداد هائلة من النَّاس ستتضوَّر جوعًا، ومنهم مَن سيموت من الجوع، وأمل ميريت الوحيد ألَّا يكون منهم. لكني قد أكون منهم، بحَظِّي هذا قد أكون منهم، فمنذ متى حالفَني الحَظُّ؟

أسفل أطلال القلعة تمتلئ منحدَرات التَّلِّ بالأشجار الكثيفة الصَّالحة لأن يختبئ بينها عشرات الخارجين عن القانون. ربما يُراقبونني في هذه اللَّحظة تحديدًا! تلفَّت ميريت حوله فلم يرَ شيئًا إلَّا أدغال الرَّتَم والسَّرخس والشَّوك والبردي والتُّوت الأسود، وسط شجر الحارس الأخضر الرَّمادي والصَّنوبر، وفي بقاع أخرى أشجار الدَّردار والمُران الرَّفيعة وأجمات السَّنديان التي تَخنُق الأرض كالحشائش. لم يرَ خارجين عن القانون، لكن هذا لا يعني الكثير، فالمجرمون يُجيدون الاختباء عن الشُّرفاء.

الحقيقة أن ميريت يكره الغابات، ويكره الخارجين عن القانون أكثر،

ومعروف عنه أنه يُرَدِّد كلما ثملَ: «المجرمون سرقوا حياتي». كثيرًا ما يقول أبوه بصوتٍ عالٍ؛ إنه يُعاقِر الخمر طوال الوقت، فيقول لنفسه أسيانًا: صحيح تمامًا. في (التَّوأمتين) يحتاج المرء إلى صفةٍ ما تُمَيِّزه عن غيره وإلَّا نسوا مجرَّد وجوده على قيد الحياة، لكنه وجدَ أن سُمعته كأكبر سكِّير في القلعة لم تُحَسِّن فُرص فلاحه في الحياة كثيرًا. كنتُ آملُ ذات يوم أن أُصبح أعظم فارس يُسَدِّد رُمحًا في العالم، لكن الآلهة سلبَتني هذا، فلِمَ لا أشربُ كوبًا من النَّبيذ بين الحين والآخَر؟ إنه يُساعِدني على احتمال الصُّداع، ثم إن زوجتي امرأة سليطة وأبي يحتقرني وأطفالي عديمو القيمة، فهل من شيءٍ يجعلني أبقى مستفيقًا؟

على أنه مستفيق الآن، بمعنى أنه شربَ قرنين من المِزر مع فطوره وكوبًا صغيرًا من النَّبيذ الأحمر حين خرجَ، وإنما ليمنع رأسه من الدَّق لا أكثر. كان ميريت يحسُّ بالصُّداع ينشأ بالفعل وراء عينيه، ويعلم أنه إذا أعطاه ولو نِصف فُرصةٍ فلسوف يستحيل سريعًا إلى عاصفةٍ رعديَّة بين أُذنيه. أحيانًا يكون الصُّداع قويًّا لدرجة أن مجرَّد البُكاء يُؤلِمه، وعندها لا تكون بيده حيلة إلَّا الاستلقاء على سريره في غُرفةٍ مظلمة، يضع قطعة قماشٍ رطبةً على عينيه، ويصبُّ اللَّعنات على حَظِّه العاثر والمجرم المجهول الذي فعلَ به هذا.

وتَّره مجرَّد التَّفكير في الأمر. لن يُطيق أن يُصيبه الصُّداع الآن. إذا أعدتُ بيتر إلى الدِّيار بأمانٍ سيتغيَّر حَظِّي كلُّه. إن الذَّهب معه، وما عليه إلَّا أن يصعد إلى قمَّة (الحجر العتيق) ويلتقي المجرمين الملاعين في خرائب القلعة ويُجري المقايَضة. فدية بسيطة لا يُمكن أن يُفسِدها أحد، حتى هو... ما لم يُصِبه الصُّداع ويتفاقَم حتى يُعجِزه عن الرُّكوب. المفترَض أن يكون في الأطلال عند الغروب وليس متكوِّرًا على نفسه يبكي على قارعة الطَّريق. فركَ ميريت صُدغه بإصبعين قائلًا لنفسه: دورة أخرى حول التَّلِّ ثم أصِلُ. حين أتَت الرِّسالة وتقدَّم عارضًا أن يحمل الفدية ضيَّق أبوه عينيه ورمقَه متسائلًا: «أنت يا ميريت؟»، وبدأ يضحك من أنفه مصدرًا تلك الـ«هِه هِه هِه» البغيضة إياها، فاضطرَّ ميريت لأن يتوسَّل تقريبًا قبل أن يُعطوه زكيبة الذَّهب اللَّعينة.

تحرَّك شيء ما وسط الشُّجيرات على جانب الطَّريق، فأسرعَ ميريت يشدُّ عِنان حصانه ومَدَّ يده إلى سيفه، لكنه كان مجرَّد سنجاب. «أحمق»، قال

لنفسه وهو يدسُّ السَّيف في الغِمد مجدَّدًا ولم يكن قد أخرجَه حقًّا. «ليس للخارجين عن القانون ذيول. بحَقِّ الجحيم يا ميريت، تماسَك». شعرَ بقلبه يخفق في صدره كأنه صبيٌّ أخضر في حملته الأولى. كأني في (غابة الملوك)، ذاهب لمواجَهة الأخوَّة القديمة وليس سيِّد البرق وشِرذمته من قاطعي الطُّرق المأفونين. راودَه الإغراء لحظةً عن معاوَدة نزول التَّلِّ والعثور على أقرب حانة. في الزَّكيبة ذهب يكفي لشراء الكثير من المِزر، يكفي لأن ينسى كلَّ شيءٍ عن بيتر ذي الدَّمامل. فليَشنُقوه، لقد جلبَ الوبال على نفسه. ليس هذا أقلَّ مما يستحقُّ بَعد أن شردَ مع تابعة المعسكَرات اللَّعينة كوعلٍ يتحرَّق شوقًا للسِّفاد.

بدأ رأسه يدقُّ. الآن الدَّقُّ خفيف، لكنه يعلم أنه سيسوء. حَكَّ ميريت قصبة أنفه قائلًا لنفسه إن لا حَقَّ له في أن يُسيء الظَّنَّ ببيتر. كنتُ أفعلُ المِثل في سِنِّه. في حالته لم يُصِبه إلَّا الجُدري، ومع ذلك لا يَجدُر به أن يُدين الفتى، فللعاهرات فتنتهن، خصوصًا إذا كان وجهك كوجه بيتر. أي نعم للصَّبي المسكين زوجة، لكنها نِصف المشكلة، فلا يكفي أنها في ضِعف سِنِّه، بل تُضاجِع أخاه والدر أيضًا إذا صدقَ ما يُقال. الكلام كثير دائمًا في (التَّوأمتين)، ودائمًا قليله صحيح، لكن ميريت يُصَدِّقه في هذه الحالة. والدر الأسود رجل يأخذ ما يُريد، حتى زوجة أخيه، ومعروف أيضًا أنه أخذَ زوجة إدوين، وبين الحين والآخَر تنسلُّ والدا الحسناء إلى فِراشه، بل ويقول البعض إن معرفته بالليدي فراي السَّابعة كانت أكثر حميميَّةً مما ينبغي. لا عجب أنه يَرفُض الزَّواج، فلِمَ يشتري بقرةً وهناك ضروع في كلِّ مكانٍ حوله تتوسَّل أن تُحلَب؟

أطلقَ ميريت سُبَّةً بصوتٍ خفيض وهمزَ حصانه بكعبيه وواصلَ الطَّريق إلى قمَّة التَّل. على الرغم من إغواء فكرة أن يُنفِق الذَّهب على الشَّراب، فإنه يعلم أنه إذا لم يَعُد ببيتر ذي الدَّمامل فخيرٌ له ألَّا يعود على الإطلاق.

قريبًا سيَبلُغ اللورد والدر الثَّانية والتِّسعين. سمعه بدأ يروح، ونظره راحَ تقريبًا، ونِقرسه في غاية السُّوء حتى إنه يجب أن يُحمَل من وإلى كلِّ مكان، وأبناؤه جميعًا متَّفقون على أنه لا يُمكن أن يظلَّ حيًّا طويلًا. وعندما يموت سيتغيَّر كلُّ شيء، وليس للأفضل. أبوه عنيد دائم الشَّكوى، لسانه سليط وإرادته من حديد، وإن كان يُؤمِن بالاعتناء بذويه، جميع ذويه بمن فيهمْ مَن

أغضَبوه أو خيَّبوا أمله. حتى من لا يستطيع تذكُّر أسمائهم. لكن ما إن يرحل...

كانت الأمور مختلفةً لمَّا كان السير ستفرون الوريث. طيلة ستِّين عامًا والشَّيخ يعدُّ ستفرون لخلافته موكِّدًا مبدأ أن الدَّم لا يصير ماءً أبدًا، لكن ستفرون ماتَ في الحملة على الغرب مع الذِّئب الصَّغير -«ماتَ من الانتظار بلا شَك»، كما قال لوثار الأعرج مازحًا حين أتاهم الغُداف بالخبر- وأبناؤه وأحفاده نوع مختلف من أولاد فراي. رايمان ابن ستفرون هو الوريث الآن، رجل عنيد جشع بطيء البديهة، وبَعد رايمان يأتي ابناه إدوين ووالدر الأسود، وكلاهما أسوأ منه. ذات مرَّةٍ قال لوثار الأعرج: «لحُسن الحَظِّ أن كليهما يكره الآخَر أكثر مما يكرهان بقيَّتنا».

ليس ميريت واثقًا بأن في المسألة حَظًّا حسنًا على الإطلاق، بالإضافة إلى أن لوثار الأعرج نفسه قد يكون أخطر من الاثنين. اللورد والدر هو من أمرَ بمذبحة آل ستارك في زفاف روزلين، لكن لوثار الأعرج هو من خطَّط جميع تفاصيلها مع رووس بولتون، بما في ذلك الأغاني. لوثار نديم شراب مسلٍّ للغاية، لكن ميريت ليس بالبلاهة التي تجعله يُدير ظَهره له. في (التَّوأمتين) يتعلَّم المرء أن لا أحد أهلًا للثِّقة إلَّا الأشقاء، وحتى هؤلاء لا ينبغي لك أن تُعطيهم الكثير منها.

لا بُدَّ حين يموت الشَّيخ أن كلَّ ابنٍ سيتكفَّل بنفسه، وكلَّ ابنةٍ أيضًا. لا ريب أن سيِّد (المعبر) الجديد سيحتفظ بعَددٍ من الأعمام وأولاد العمومة وأولاد الإخوة والأخوات في (التَّوأمتين)، مَن يروقونه ويثق بهم، أو مَن يظنُّ أنه سينتفع منهم بالأحرى. وسيَطرُد بقيَّتنا لنبحث عن قُوتنا بأنفسنا.

تُقلِق الفكرة ميريت أكثر من قُدرة الكلام على التَّعبير. خلال أقلَّ من ثلاثة أعوام سيَبلُغ الأربعين من العُمر، أي أنه سيُمسي أكبر من أن يعيش حياة الفُرسان المتجوِّلين... حتى لو كان فارسًا، وهو ليس كذلك. إنه لا يملك أرضًا أو ثروةً، يملك الثِّياب على بدنه ولكن ليس الكثير بخلاف هذا، ولا حتى الحصان الذي يمتطيه الآن. ثم إنه ليس بالذَّكاء الذي يُؤَهِّله لأن يكون من المِايسترات أو الورع الكافي لأن يكون من السِّبتونات أو الشَّراسة الكافية لأن يكون من المرتزقة. لم تهب لي الآلهة إلَّا ميلادي، وحتى في هذا قتَّرت عليَّ. ما جدوى أن يُولَد في عائلةٍ ثريَّة قويَّة إذا كان الابن التَّاسع؟ وحين تضع

الأحفاد وأبناءهم في الحسبان ففُرصة أن يُصبِح ميريت السِّپتون الأعلى أكبر من فُرصة وراثته (التَّوأمتين).

فكَّر بمرارة: إنني متعوس، لم يُحالِفني الحَظُّ قَطُّ. ميريت رجل كبير الحجم، عريض الصَّدر والكتفين وإن كان متوسِّط الطُّول، ويعلم أن خلال السَّنوات العشر المنصرمة مالَ جسده إلى اللُّيونة والامتلاء، لكن في شبابه كان أدنى في القوَّة والصَّلابة إلى أخيه الشَّقيق الأكبر السير هوستين، الذي يعتبره الجميع أقوى ذُرِّيَّة اللورد والدر فراي على الإطلاق. في صِباه أرسَلوه إلى (كراكهول) ليخدم عائلة أمِّه كوصيف، وعندما جعلَه اللورد سَمنر مُرافِقًا افترضَ الجميع أنه سيصير السير ميريت في غضون أعوام قليلة، لكن مجرمي أخوَّة غابة الملوك تبوَّلوا على تلك الخُطط، وبينما كسا زَميله المُرافِق چايمي لانستر نفسه بالأمجاد أصيبَ ميريت بالجُدري من تابعة معسكَرات، ثم وقعَ في أسْر امرأة، تلك التي كانوا يُسَمُّونها الظَّبية البيضاء. افتداه اللورد سَمنر من الخارجينِ عن القانون، لكن في القتال التَّالي مباشرةً صرعَته ضربة من صولجان حطَّمت خوذته وغيَّبته عن الوعي أسبوعين، وقالوا له بَعدها إنهم سلَّموا بموته.

لم يَمُت ميريت، لكن أيام قتاله ذهبَت بلا رجعة. أقلُّ ضربةٍ على رأسه تُصيبه بألم مُعم يُرغِمه على البُكاء، وتحت هذه الظُّروف خرجَت الفُروسيَّة من الحسابات تَمامًا كما قال له اللورد سَمنر بنبرةٍ لم يعوزها الرِّفق، ثم أعادوه إلى (التَّوأمتين) ليُواجِه ازدراء اللورد والدر السَّام.

بَعدها ساءَ حَظُّ ميريت أكثر فأكثر. بوسيلةٍ ما استطاعَ أبوه أن يُرَتِّب له زيجةً جيِّدةً، فتزوَّج واحدةً من بنات اللورد داري، وآنذاك كانت لآل داري حظوة كبيرة عند الملك إيرس، ولكن بدا أنه ما إن فَضَّ ميريت بكارة عروسه حتى فقدَ إيرس عرشه، وعلى عكس آل فراي كان آل داري من أبرز مناصري عائلة تارجارين، وهو ما كبَّدهم نِصف أراضيهم وأغلب ثروتهم وكلَّ سطوتهم تقريبًا. أمَّا السيِّدة زوجته فوجدَته مخيِّبًا للآمال من البداية، وأصرَّت على أن تقتصر ولادتها على البنات طيلة أعوام، منهن ثلاث عشنَ وواحدة وُلِدَت جهيضةً وأخرى ماتَت رضيعةً، وبَعد كلِّ هذا أنجبَ ابنًا أخيرًا. كبرَت ابنته الأولى فأصبحَت فاسقةً، والثَّانية نهمة، وحين ضُبِطَت آمي في الاسطبل مع

ثلاثة سائسين لا أقل لم يجد ميريت حلًّا إلَّا تزويجها بفارس متجوِّل ملعون، حاسبًا أن الموقف لا يُمكن أن يسوء أكثر... إلى أن قرَّر السير بايت أن ينال المجد بهزيمة السير جريجور كليجاين، فعادَت إليه آمي أرملةً، وهو ما روَّع ميريت وإن كان قد أسعدَ كلَّ عامل اسطبلٍ في (التَّوأمتين) بكلِّ تأكيد.

جرؤَ ميريت على أن يأملِ أن حَظَّه بَدأ يتغيَّر أخيرًا حين اختارَ رووس بولتون أن يتزوَّج ابنته والدا بدلًا من إحدى بنات عمومتها الأنحف والأحسن طلعةً. كان حِلف عائلة بولتون مهمًّا لآل فراي، وقد ساعدَت ابنته على إبرامه، فاعتقدَ أن لهذا قيمةً ما بالتَّأكيد، لكن سرعان ما دحضَ أبوه الشَّيخ هذا الاعتقاد قائلًا: «لقد اختارها لأنها بدينة. أتحسب أن بولتون يُبالي مقدار ذرَّةٍ بأنها ابنتك؟ أتحسب أنه جلسَ يقول لنفسه: هِه، ميريت المغفَّل، الرَّجل المرجوُّ لأن يكون حماي؟ ابنتك والدا خنزيرة ترتدي الحرير، ولذا اختارها، لكن لا تتوقَّع شُكرًا مني. كنا لنحظى بالتَّحالُف نفسه بِنصف الثَّمن لو أن خنزيرتك الصَّغيرة تعلَّمت الابتعاد عن ملعقتها بين الحين والآخَر».

الإهانة الأخيرة وُجِّهَت إليه بابتسامةٍ عندما استدعاه لوثار الأعرج ليُناقِش معه دوره في زفاف روزلين، وقال له أخوه غير الشَّقيق: «على كلٍّ منا أن يلعب دورًا طبقًا لمواهبه. عليك مهمَّة واحدة لا غير يا ميريت، لكنني واثق بأنك أهل لها. أريدك أن تحرص على أن يسكر چون أومبر الكبير لدرجةٍ تجعله لا يقوى على الوقوف، ناهيك بالقتال».

وحتى هذا أخفقتُ فيه. لقد تحايلَ على الرَّجل الشَّمالي الضَّخم حتى شربَ نبيذًا يكفي لقتل ثلاثة رجالٍ عاديِّين، لكن بَعد إضْجاع روزلين ظَلَّ چون الكبير قادرًا على انتزاع سيف أول رجلٍ بادرَه بالهجوم وكسر ذراعه أيضًا، وتطلَّب تكبيله بالسَّلاسل ثمانيةً منهم، وخلَّف مجهودهم رجلين جريحين وواحدًا ميتًا وكلَّف السير ليزلين هاي المسكين نِصف أُذن، فحين لم يَعُد أومبر قادرًا على القتال بيديه قاتلَ بأسنانه.

توقَّف ميريت لحظةً وأغلقَ عينيه. كان رأسه يدقُّ كتلك الطَّبلة اللَّعينة في أثناء الزِّفاف، ولفترةٍ استجمعَ قُواه كلَّها ليبقى فوق السَّرج. قال لنفسه: يجب أن أستمرَّ. إذا أعادَ پيتر ذا الدَّمامل سالمًا فلا شَكَّ أنه سيلقى حظوةً عند السير رايمان. ربما لا تكون لپيتر قيمة كبيرة، لكنه ليس بارد الطِّباع كإدوين أو

محمومها كوالدر الأسود. سيمتنُّ الفتى للدَّور الذي لعبته، وسيرى أبوه أنني مخلص، أني رجل يستحقُّ أن يحتفظ به.

لكن فقط إذا بلغَ القمَّة بالذَّهب عند المغيب. تطلَّع ميريت إلى السَّماء مفكِّرًا: في الوقت المحدَّد تمامًا. أحسَّ بحاجةٍ إلى شيءٍ يُثبِّت يديه، فالتقطَ القِربة المعلَّقة من السَّرج وخلع السِّدادة وأخذَ جرعةً طويلةً من النَّبيذ الحُلو الغني، لونه القاني يجعله أقرب إلى الأسود، ولكن يا لطيب مذاقه بحَقِّ الآلهة.

في الماضي كان سور (الحجر العتيق) يُطَوِّق قمَّة التَّلِّ كتاج على رأس ملك، أمَّا الآن فلم يتبقَّ منه إلَّا القاعدة وبضع أكوام من الحجارة التي ترتفع حتى الخاصرة وتُرَقِّعها الأُشنة. ركبَ ميريت بمحاذاة السُّور إلى أن بلغَ البُقعة التي كان مبنى البوَّابة يحتلُّها. الأطلال أكثر انتشارًا هنا، واضطرَّ لأن يترجَّل كي يقود حصانه بينها وقد توارَت الشَّمس خلف السُّحب الواطئة في الغرب، فيما غطَّت شُجيرات الرَّتَم والسَّرخس المنحدَرات، وبمجرَّد أن اجتازَ الأسوار التي لم تَعُد هناك ألفى الحشائش ترتفع حتى الصَّدر. خلخلَ ميريت سيفه في غِمده وتطلَّع حوله بحذر، لكنه لم يرَ أيًّا من الخارجين عن القانون. هل أتيتُ في اليوم الخطأ؟ توقَّف وفركَ صُدغيه بإبهاميه دون أن يُفلح هذا في تخفيف وطأة الصُّداع وراء عينيه. بحَقِّ الجحائم السَّبع...

من مكانٍ ما في غياهب القلعة جاءَت موسيقى خافتة تتخلَّل الأشجار.

وجدَ ميريت نفسه يرتجف رغم المعطف الذي يرتديه، وفتحَ قِربته وأخذَ جرعة نبيذٍ أخرى. يُمكنني أن أعود بحصاني، أركب إلى (البلدة القديمة) وأنفق الذَّهب على الشَّراب. لا خير يأتي من التَّعامُل مع الخارجين عن القانون أبدًا. تلك الحقيرة البغيضة ونِدا وسمَت فلقة مؤخِّرته بظبيةٍ حين كان أسيرها، فلا غرو أن زوجته تحتقره. يجب أن أنهي ما بدأتُ. ربما يُصبِح بيتر ذو الدَّمامل سيِّد (المعبر) ذات يوم، فإدوين بلا أبناء ووالدر الأسود لم يُنجب إلَّا النُّغول. بيتر سيتذكَّر مَن جاءَ يُنقذه. أخذَ جرعةً ثالثةً وسَدَّ القِربة وقادَ حصانه وسط الحجارة المتهدِّمة والسَّراخس والأشجار النَّاحلة التي جرَّدتها الرِّيح من أكثريَّة أوراقها، وتبعَ صوت الموسيقى إلى ما كان ساحة القلعة قديمًا.

افترشَت الأرض طبقة كثيفة من أوراق الشَّجر السَّاقطة كالجُند عقب

معركةٍ ضَروس، وأعلى ضريح حجريٍّ أبلَته تقلُّبات الأجواء جلسَ رجل يرتدي الأخضر المرقَّع الباهتَ متقاطع السَّاقين يُداعِب أوتار قيثارةٍ خشبيَّة بأصابعه. كانت الموسيقى ناعمةً شجيَّةً، وميَّز ميريت الأغنيَّة. عاليًا في أبهاء الملوك الخالين كانت چيني ترقُص مع أشباحها...

قال ميريت: «انزل من عندك، إنك جالس فوق ملك».

رَدَّ الخارج عن القانون: «تريستيفر العجوز لا تهمُّه مؤخِّرتي النَّحيلة. كانوا يُلَقِّبونه بمطرقة العدالة. مضى وقت طويل منذ سمعَ إحدى أغنيَّاتي»، ووثبَ من فوق الضَّريح. له مظهر مهندَم وجسد ممشوق ووجه ضيِّق ملامحه ثعلبيَّة، لكن فمه عريض لدرجة أن ابتسامته تكاد تَبلُغ أذنيه، وقد دفعَ الهواء خُصلًا قليلةً من شَعره البنِّي الخفيف على جبهته، فأزاحَها بيده الحُرَّة متسائلًا: «هل تَذكُرني يا سيِّدي؟».

أجابَ ميريت عابسًا: «لا. ولِمَ أذكرك؟».

قال الرَّجل: «لقد غنَّيتُ في زفاف ابنتك، وأحسنتُ الغناء أيضًا على ما أظنُّ. پايت هذا الذي تزوَّجته كان من أبناء عمومتي، فكلُّنا أبناء عمومة في (الجداول السَّبعة)، لكنه لم يتورَّع عن الإجحاف في حَقِّي لمَّا حانَ وقت دفع أجري»، وهَزَّ كتفيه مردفًا: «لماذا لا يَترُكني السيِّد والدك أغنِّي في (التَّوأمتين) أبدًا؟ ألا أصدرُ ضجَّةً تُرضي حضرته؟ سمعتُ أنه يحبُّ الموسيقى الصَّاخبة».

سألَ صوت أخشن من ورائه: «هل جلبت الذَّهب؟».

شعرَ ميريت بحلقه يجفُّ. المجرمون الملاعين، دائمًا يكمنون في الأحراش. لا يختلف الأمر عمَّا كان في (غابة الملوك)؛ تحسب أنك قبضت على خمسةٍ منهم فينبثق عشرة آخَرون من العدم.

حين التفتَ كانوا حوله من كلِّ اتِّجاه؛ قطيع ذميم من المسنِّين المتغضِّنين والصِّبية ناعمي البشرة الأصغر من پيتر ذي الدَّمامل، جميعهم يرتدون أسمالًا من الخيش والجِلد المقوَّى وقطعًا من دروع الموتى، ومعهم امرأة واحدة ملتفَّة بمعطفٍ بقلنسوة أكبر منها ثلاث مرَّات. كان ميريت أكثر ارتباكًا من أن يُحصيهم، ولكن بدا له أن هناك دستةً منهم على الأقل، وربما عشرين.

- «سألتُ سؤالًا. أين الذَّهب؟». المتكلِّم رجل كبير ملتحٍ بأسنان خضراء

معوجَّة وأنفٍ مكسور، أطول قامةً من ميريت وإن لم يكن بطنه ممتلئًا مِثله، وعلى رأسه خوذة قصيرة وعلى كتفيه العريضتين معطف أصفر مرقَّع.

قال ميريت: «في جراب السَّرج، مئة تنِّين ذهبي»، وتنحنحَ مضيفًا: «ستحصُلون عليه حين أرى بيتر...».

تقدَّم رجل قصير بدين بعينٍ واحدة قبل أن يُنهي عبارته، وبكلِّ جرأةٍ مَدَّ يده إلى الجراب وأخرجَ الزَّكيبةَ. أخذَ ميريت خُطوةً ليمنعه، لكنه آثرَ السَّلامة وتركَ المجرم يفتح الرِّباط ويُخرِج عُملةً ويعضَّ عليها، قبل أن يقول: «مذاقها سليم»، ووازنَ الزَّكيبة على راحة يده مضيفًا: «والوزن سليم أيضًا».

فكَّر ميريت بجزعٍ مباغت: سيأخذون الذَّهب ويحتفظون ببيتر. كان العَرق ينضَح من كفَّيه، فمسَحهما على سراويله قائلًا: «الفدية كاملة، كما طلبتم. مَن منكم بريك دونداريون؟». كان دونداريون لوردًا قبل أن يَخرُج عن القانون، وربما لا يزال يتحلَّى بالشَّرف.

قال الأعور: «إنه أنا».

لكن الملتحي الكبير صاحب المعطف الأصفر قال: «أنت كاذب يا چاك. إنه دوري لأن أكون اللورد بريك».

ضحكَ المغنِّي وقال: «أيعني هذا أن عليَّ أن أكون ثوروس؟ للأسف يا سيِّدي هناك حاجة إلى اللورد بريك في مكانٍ آخَر. الأوقات عصيبة والمعارك كثيرة، لكننا سنتعامَل معك كما كان ليفعلِ بالضَّبط، فلا تخشَ شيئًا».

لكن ميريت يخشى الكثير، ورأسه يدقُّ أيضًا. مزيد من هذا وسيبكي. قال: «ها قد أخذتم الذَّهب، فأعطوني ابن أخي وسأذهبُ». الواقع أن بيتر ابن ابن أخيه غير الشَّقيق، لكن لا داعي للخوض في هذا.

قال ذو المعطف الأصفر: «إنه في أيكة الآلهة. سنأخذك إليه. نوتش، أمسِك حصانه».

سلَّم ميريت الرَّجل اللِّجام على مضضٍ إذ لم يرَ خيارًا آخَر، وسمعَ نفسه يقول: «قِربتي، رشفة من النَّبيذ لتهدئةٍ...».

قاطعَه ذو المعطف الأصفر باقتضاب: «لسنا نشرب مع أمثالك. من هنا، اتبعني».

انسحقَت الأوراق تحت كعوبهم، وغرسَت كلُّ خُطوةٍ رُمحًا من الألم في صُدغ ميريت. مشوا بصمتٍ والرِّيح تهبُّ من حولهم، وسقطَ آخِر خيوط ضوء الشَّمس الغاربة على عينيه وهو يصعد النتوءات المغطَّاة بالطَّحالب التي لم يتبقَّ غيرها من الحصن، ووراءها كانت أيكة الآلهة.

وكان پيتر مشنوقًا من فرع شجرة بلُّوط، تُحيط بعُنقه الطَّويل الرَّفيع أنشوطة مُحكَمة، وتجحظ عيناه من وجهه المسودِّ رامقتين ميريت باتِّهام، كأنهما تقولان: تأخَّرت كثيرًا، لكنه لم يتأخَّر، لم يتأخَّر! لقد أتى في الميعاد الذي أخبَروه به. قال بصوتٍ مبحوح: «قتلتموه».

قال الأعور: «ثاقب النَّظر حقًّا».

كان ثور برِّي يعدو في رأس ميريت الذي فكَّر: رُحماكِ يا أمَّنا، وقال: «لقد أحضرتُ الذَّهب».

قال المغنِّي بكياسة: «لُطف منك أنك فعلت. سنعمل على استغلاله في ما ينفع».

أشاحَ ميريت النَّظر عن پيتر وقد بدأ يتذوَّق المِرَّة في مؤخِّرة حَلقه، وقال: «لم... لم يكن لديكم الحَق».

رَدَّ ذو المعطف الأصفر: «كان لدينا حبل، وهذا حَقٌّ يكفي».

أطبقَ اثنان من المجرمين على ذراعَيْ ميريت وقيَّداهما بإحكام وراء ظَهره، وحالَت صدمته دون أن يُقاوِم، فلم يَخرُج من فمه إلَّا: «لا. لم آتِ إلَّا لدفع فدية پيتر. قلتم إنكم لن تُؤذوه إذا جلبتُ الذَّهب عند الغروب...».

أجابَه المغنِّي: «في هذا أصبت يا سيِّدي، لقد كذبنا».

تقدَّم الأعور حاملًا حبلًا طويلًا من اللِّيف طوَّق بأحد طرفيه عُنق ميريت بإحكام، وصنعَ عُقدةً قويَّةً تحت أُذنه، ثم ألقى الطَّرف الآخَر فوق فرع شجرة البلُّوط، فالتقطَه الكبير صاحب المعطف الأصفر.

- «ماذا تفعلون؟». على الرغم من إدراكه سُخف السُّؤال لم يزل لا يُصَدِّق ما يَحدُث. «لن تَجسُروا على شنق أحدٍ من آل فراي».

ضحكَ ذو المعطف الأصفر، وقال: «الآخَر ذو الوجه المليء بالدَّمامل قال الشَّيء نفسه».

ليس يعني هذا، مستحيل أنه يعنيه. «إنني أستحقُّ فديةً جيِّدةً، أبي سيدفع لكم، أكثر من پيتر، ضِعف فديته».

زفرَ المغنِّي، وقال: «ربما يكون اللورد والدر نِصف كفيف ومصابًا بالنِّقرس، لكنه ليس بالغباء الذي يجعله يبتلع الطُّعم نفسه مرَّتين، وأخشى أنه سيُرسِل مئة سيفٍ المرَّة القادمة بدلًا من مئة تنِّين».

حاولَ ميريت أن تكون نبرته صارمةً، لكن صوته خانَه وهو يقول: «نعم! سيُرسِل ألف سيفٍ ويَقتُلكم جميعًا!».

قال المغنِّي: «عليه أن يقبض علينا أولًا»، ورفعَ ناظريه إلى پيتر المسكين مضيفًا: «ولا يُمكنه أن يَشنُقنا مرَّتين، أليس كذلك؟»، وداعبَ أوتار قيثارته الخشبيَّة بلحنٍ حزين، وتابعَ: «مهلًا، لا تبُل في سراويلك. ما عليك إلَّا أن تُجيب عن سؤالٍ واحد وسأقول لهم أن يَترُكوك تذهب».

في هذه اللَّحظة كان ميريت مستعدًّا لأن يُخبِرهم بأيِّ شيءٍ إذا كان هذا يعني حياته، فقال: «ماذا تُريدون أن تعرفوا؟ سأقول الحقيقة، أقسمُ لكم».

أعطاه المجرم ابتسامةً مشجِّعةً، وقال: «نبحث عن كلبٍ فرَّ».

- «كلب؟ أي كلب؟».

- «إنه يستجيب لاسم ساندور كليجاين. ثوروس يقول إنه كان في طريقه إلى (التَّوأمتين). لقد وجدنا النُّوتي الذي عبرَ به (الثَّالوث)، والمغفَّل المسكين الذي سطا عليه على (طريق الملوك). هل رأيته في الزِّفاف؟».

- «الزِّفاف الأحمر؟». أحسَّ ميريت بجمجمته على وشك الانفلاق، لكنه بذلَ قصارى جهده ليتذكَّر. كانت الفوضى شديدةً ليلتها، لكن مؤكَّد أن أحدهم كان يَذكُر أنه رأى كلب چوفري يتشمَّم عند (التَّوأمتين). «لم يكن في القلعة، ليس في المأدبة الكبيرة... ربما كان في مأدبة النُّغول أو المخيَّمات، ولكن... لا، كان أحدهم ليقول...».

قال المغنِّي: «كانت معه طفلة، فتاة نحيلة في العاشرة تقريبًا، أو ربما فتى في السِّنِّ نفسها».

رَدَّ ميريت: «لا أظنُّ، ليس على حَدِّ علمي».

- «لا؟ آه، يا للخسارة. حسن، إلى أعلى إذن».

صرخَ ميريت: «لا! لا، لا تفعلوا هذا! لقد أجبتك، قلت إنك ستترُكني أذهبُ».

أجابَ المغنِّي: «بل قلتُ إنني سأقولُ لهم أن يَترُكوك تذهب»، ونظرَ إلى ذي المعطف الأصفر قائلًا: «ليم، اترُكه يذهب».

دمدمَ المجرم الكبير بفظاظة: «اذهب ونِك نفسك».

هَزَّ المغنِّي كتفيه لميريت باستسلامٍ وبدأ يعزف لحن (يوم شنقوا روبن الأسود).

كان آخِر ما تبقَّى من شَجاعة ميريت يسيل على ساقه مع بوله وهو يقول: «أرجوكم، إنني لم أمسَّكم بسوء. لقد جلبتُ الذَّهب كما قلتم وأجبتُ عن سؤالكم. إن لديَّ أطفالًا!».

قال الأعور: «والذِّئب الصَّغير لن يُنجِب أطفالًا أبدًا».

رَدَّ ميريت وهو يستطيع التَّفكير بالكاد من عُنف الدَّقَّات في رأسه: «لقد كلَّلنا بالعار، البلاد كلُّها كانت تضحك منا، كان يجب أن نُنظِّف شَرفنا الذي لوَّثه». أبوه قال كلَّ هذا وأكثر.

قال ذو المعطف الأصفر: «ربما. ما الذي تعرفه مجموعة من الفلَّاحين الجُرب عن شَرف اللوردات؟»، ولَفَّ طرف الحبل على يده ثلاث مرَّاتٍ مضيفًا: «لكننا نعرف القليل عن الاغتيال».

صاحَ بصوتٍ حاد: «لم يكن اغتيالًا بل انتقام، كان لنا الحَقُّ في الانتقام. كنا في حرب! إجون، كنا نسمِّيه ذا الجلاجل، معتوه مسكين لم يُؤذِ أحدًا في حياته، والليدي ستارك شقَّت حَلقه. فقدنا عشرات الرِّجال في المعسكرات، السير جارس جودبروك زوج كايرا والسير تايتوس ابن چارد... أحدهم هشَّم رأسه ببلطة... ذئب ستارك الرَّهيب قتلَ أربعةً من كلابنا ونزعَ ذراع قيِّم الوجار من كتفه حتى بَعد أن أمطَرناه بالسِّهام...».

قال ذو المعطف الأصفر: «فخيَّطتم رأسه بعُنق روب ستارك بَعد أن ماتَ الاثنان».

- «أبي فعلَ هذا. كلُّ ما فعلته أنني شربتُ. لن تَقتُلوا رجلًا لأنه شربَ». ثم تذكَّر ميريت شيئًا لحظتها، شيئًا قد تكون فيه نجاته، فقال: «يقولون إن

اللورد بريك يُحاكِم المتَّهمين دائمًا، إنه لا يَقتُل أحدًا ما لم تَثبُت إدانته، ولا يُمكنكم أن تُثبتوا شيئًا ضدي. الزِّفاف الأحمر كان من صُنع أبي ورايمان واللورد بولتون. لوثار تلاعبَ بالخيام بحيث تنهار ووضعَ الرُّماة في الشُّرفة مع العازفين، ووالدر الأسود قادَ الهجوم على المخيَّمات... هُم مَن تُريدون وليس أنا. كلُّ ما فعلته أني شربتُ النَّبيذ... ليس لديكم شاهد!».

رَدَّ المغنِّي: «يتصادَف أنك مخطئ»، والتفتَ إلى ذات المعطف قائلًا: «سيِّدتي».

افترقَ الخارجون عن القانون إذ تقدَّمت دون أن تنبس بكلمة، ولمَّا أزاحَت قلنسوتها انقبضَ شيء ما في صدر ميريت وانكتمَت أنفاسه. لا، لا، لقد رأيتها تموت. كانت ميتةً منذ يوم وليلةٍ قبل أن يُجرِّدوها من ثيابها ويُلقوا جثَّتها في النَّهر. رايموند شَقَّ حَلقها من الأُذن إلى الأُذن. كانت ميتةً.

أخفى معطفها وياقتها الشَّقَّ الذي صنعَه نصل أخيه، لكن وجهها أسوأ مما يَذكُر بكثير. اللَّحم أصبحَ بليونة العجين في الماء واستحالَ إلى لون الحليب الخاثر، واختفى نِصف شَعرها وصارَ الباقي أبيض هشًّا كشَعر حيزبون، وأسفل فروة رأسها المشوَّهة وجهها جِلد ممزَّق ودماء سوداء حيث خمشَته بأظفارها، لكن أشنع ما فيها عيناها... عيناها رأتاه، وأفعمَتهما البغضاء.

قال الكبير ذو المعطف الأصفر: «إنها لا تتكلَّم، فقد شققتم حَلقها على عُمقٍ بليغ أيها الملاعين، لكنها تتذكَّر»، والتفتَ إلى المرأة الميتة وسألَها: «ما قولكِ يا سيِّدتي؟ هل لعبَ دورًا؟».

ولم تُبارِحه عينا الليدي كاتلين هنيهةً، وأومأَت برأسها إيجابًا.

فتحَ ميريت فمه ليتوسَّل، لكن الأنشوطة خنقَت كلماته، وفارقَت قدماه الأرض بينما انغرسَ حبل المَسد عميقًا في اللَّحم الطَّري أسفل ذقنه، وإلى أعلى ارتفعَ مهتزًّا بعُنفٍ وهو يَركُل ويتلوَّى، إلى أعلى وأعلى وأعلى.

نهاية الجزء الثَّالث



مُلحق

الملوك وبلاط كلٍّ منهم





الملك على العرش الحديدي



جوفـري باراثيـون الأول، صبـيٌّ فـي الثَّالثـة عشـرة مـن العُمـر، الابـن الأكبر للملـك روبرت باراثيـون الأول والملكـة سرسـي سـليلة عائلـة لانسـتر،

– أمُّه، **الملكة سرسي**، الملكة الوصيَّة على العرش وحامية البلاد،

– حارسا سرسي الشَّخصيَّان،

– **السـير أوزفريـد كِتلبـلاك**، الأخ الصَّغيـر للسـير أوزمونـد كِتلبـلاك فـارس الحَـرس الملكـي،

– **السـير أوزنـي كِتلبـلاك**، الأخ الأصغـر للسـير أوزمونـد والسـير أوزفريـد،

– أختـه، **الأميـرة مارسـلا**، فتـاة فـي التَّاسـعة، ربيبـة الأمير دوران مارتـل فـي صنسـپير،

– أخوه، **الأمير تومن**، صبي في الثَّامنة، وريث العرش الحديدي،

– جـدُّه، **تايويـن لانسـتر**، سـيِّد كاسـترلي روك، حاكـم الغـرب، يـد الملـك،

– أعمامه وأولادهم:

– أخـو أبيـه، **سـتانيس باراثيـون**، سـيِّد دراجونسـتون المتمـرِّد، يُلَقَّب



نفسـه بالملـك سـتانيس الأول،
- ابنة ستانيس، شيرين، فتاة في الحادية عشرة،
- أخـو أبيـه، (رنلـي باراثيـون)، سـيِّد سـتورمز إنـد المتمـرِّد، قُتِـلَ وسـط جيشـه،
- أخو جدَّته، السير إلدون إسترمونت،
- ابن السير إلدون، السير إيمون إسترمونت،
- ابن السير إيمون، السير آلن إسترمونت،
- أخواله وأولادهم:
- أخـو أمِّـه، السير چايمـي لانسـتر، لقبـه قاتـل الملـك، قائـد الحَرس الملكـي، أسـير في ريڤـررَن،
- أخـو أمِّـه، تيريـون لانسـتر، لقبـه العِفريـت، قـزم، أصيـبَ فـي معركـة النَّهـر الأسـود،
- مُرافِق تيريون، پودريك پاين،
- قائد حَرس تيريون، برون فارس النَّهر الأسود، مرتزق سابق،
- محظيَّـة تيريـون، شِـاي، تابعـة معسكَرات تخدِم الآن كوصيفـة لوليـس سـتوكوورث،
- أخو جدِّه، السير كيڤان لانستر،
- ابـن السـير كيڤـان، السـير لانسـل لانسـتر، مُرافِـق الملـك روبـرت السَّـابق، أصيـبَ فـي معركـة النَّهـر الأسـود ويُشـارِف علـى المـوت،
- أخو جدِّه، (تايجت لانستر)، ماتَ بداء الزُّهري،
- ابن تايجت، تايرك لانستر، مُرافِق، مفقود منذ الشَّغب العظيم،
- زوجة تايرك الرَّضيعة، الليدي إرميساند هايفورد،
- إخوته غير الشَّرعيِّين، نغول الملك روبرت:
- ميـا سـتون، فتـاة فـي التَّاسـعة عشـرة، فـي خدمـة اللـورد نسـتور رويـس سـيِّد بوَّابـات القمـر،
- جندري، صبيٌّ حدَّاد، هارب في أراضي النَّهر ويجهل نَسبه،
- إدريـك سـتورم، ابـن الملـك روبـرت غيـر الشَّـرعي الوحيـد المعتـرَف بـه، ربيـب عمِّـه سـتانيس فـي دراجونسـتون،

- حَرسه الملكي:
- **السير چايمي لانستر، القائد،**
- **السير مرين ترانت،**
- **السير بالون سوان،**
- **السير أوزموند كِتلبلاك،**
- **السير لوراس تايرل، فارس الزُّهور،**
- **السير آريس أوكهارت،**
- مجلسه الصَّغير:
- **اللورد تايوين لانستر، يد الملك،**
- **السير كيڤان لانستر، قيِّم القوانين،**
- **اللورد پيتر بايلش، لقبه الإصبع الصَّغير، أمين النَّقد،**
- **ڤارس، خصيٌّ، لقبه العنكبوت، وليُّ الهامسين،**
- **اللورد مايس تايرل، قيِّم السُّفن**
- **المِايستر الأكبر پايسل،**
- حاشيته وأتباعه:
- **السير إلين پاين، عدالة الملك، جلَّاد،**
- **اللورد هالاين الپايرومانسر، صاحب حكمة من رابطة الخيميائيِّين،**
- **فتى القمر، نكَّات ومهرِّج،**
- **أورموند ابن البلدة القديمة، عازِف قيثارة وشاعر،**
- **دونتوس هولارد، مهرِّج وسكِّير، فارس سابق كان يسمَّى السير دونتوس الأحمر،**
- **چالابار شو، أمير وادي الزَّهرة الحمراء، منفيٌّ من جُزر الصَّيف،**
- **الليدي تاندا ستوكوورث،**
- **فاليس، ابنتها الكُبرى، زوجة السير بالمان بيرش،**
- **لوليس، ابنتها الصُّغرى، في الرَّابعة والثَّلاثين، عزباء ضعيفة العقل، تحمل طفلًا بَعد اغتصابها،**



- **اللورد جايلز روزبي**، عجوز سقيم،
- **السير تالاد**، فارس شاب واعد،
- **اللورد موروس سلينت**، مُرافِق، أكبر أبناء قائد حَرس المدينة الأسبق،
  - **چوثوس سلينت**، أخوه الصَّغير، مُرافِق،
  - **دانوس سلينت**، أخوه الأصغر، وصيف،
- **السير بوروس بلاونت**، فارس سابق في الحَرس الملكي، صرفَته الملكة سرسي من الخدمة لجُبنه،
  - **چوزمين پكلدون**، مُرافِق وأحد أبطال معركة النَّهر الأسود،
- **السير فيليپ فوت**، نُصِّبَ سيِّدًا على تُخوم دورن لشَجاعته في معركة النَّهر الأسود،
- **السير لوثور برون**، اكتسبَ لقب **لوثور آكل التُّفَّاح** لمآثره في معركة النَّهر الأسود، مُحارِب غير نظامي سابق في خدمة اللورد بايلش،
- لوردات وفُرسان آخَرون في كينجز لاندنج:
  - **ماثيس روان**، سيِّد البُستان الذَّهبي،
  - **پاكستر ردواين**، سيِّد الكرمة،
    - ابنا اللورد پاكستر التَّوأم، **السير هوراس** و**السير هوبر**، يُسَمَّيان سُخريةً هورور وسلوبر،
    - مُعالِج اللورد ردواين، **المِايستر بالابار**،
  - **أردريان سلتيجار**، سيِّد جزيرة المخالب،
  - **اللورد أليساندر ستيدمون**، لقبه **عاشق البنسات**،
  - **السير بونيفر هاستي**، لقبه **الصَّالح**، فارس سابق،
  - **السير دونل سوان**، وريث ستونهلم،
  - **السير رونيت كوننجتون**، لقبه **رونيت الأحمر**، فارس وكر الجَرافِن،
  - **أوران ووترز**، نغل دريفتمارك،
  - **السير درمونت بن الغابة المطيرة**، فارس شهير،



– **السير تيمون ذو السَّيف المفلول**، فارس شهير،

– أهل كينجز لاندنج:

– حَرس المدينة (ذوو المعاطف الذَّهبيَّة):

– (**السير چاسلين بايووتر**)، لقبه **ذو اليد الحديد**، قائد حَرس المدينة، قتلَه رجاله خلال معركة النَّهر الأسود،

– **السير أدام ماربراند**، قائد حَرس المدينة، خليفة السير چاسلين،

– **شاتايا**، مالكة ماخور مكلِّف،

– **ألايايا**، ابنتها،

– **دانسي**، **ماري**، **چايد**، بعض فتياتها،

– **توبهو موت**، أستاذ حدادة،

– **ذو البطن الحديد**، حدَّاد،

– **هاميش ذو القيثارة**، مطرب شهير،

– **كوليو كُواينيس**، مطرب تايروشي،

– **بثاني ذات الأصابع النَّاعمة**، مطربة،

– **ألاريك الآيزيني**، مطرب رحَّالة،

– **چاليون ابن كاي**، مطرب معروف بطول أغانيه،

– **سايمون لسان الفضَّة**، مطرب.

راية الملك چوفري عبارة عن وعل باراثيون المتوَّج، أسود على ذهبي، وأسد لانستر، ذهبي على قرمزي، يتصارَعان.



الملك في الشَّمال

ملك الثَّالوث



روب ستارك، سيِّد وينترفل والملك في الشَّمال وملك الثَّالوث، الابن الأكبر لإدارد ستارك سيِّد وينترفل والليدي كاتلين سليلة عائلة تَلي،

– ذئبه الرَّهيب، **جراي ويند**،

– أُمُّه، **الليدي كاتلين** سليلة عائلة تَلي، أرملة اللورد إدارد ستارك،

– إخوته:

– أخته، **الأميرة سانزا**، فتاة في الثَّانية عشرة، أسيرة في كينجز لاندنج،

– ذئبة سانزا الرَّهيبة، **(ليدي)**، قُتِلَت في قلعة داري،

– أخته، **الأميرة آريا**، فتاة في العاشرة، مفقودة وفي عداد الموتى،

– ذئبة آريا الرَّهيبة، **نايميريا**، فُقِدَت قُرب نهر الثَّالوث،

– أخوه، **الأمير براندون**، يُسَمَّى بران، وريث الشَّمال، صبيٌّ في التَّاسعة، يُعتقَد أنه مات،

– ذئب بران الرَّهيب، **سَمر**،

– رفاق بران وحُماته:

- ميرا ريد، فتاة في السَّادسة عشرة، ابنة اللورد هاولاند ريد سيِّد قلعة المياه الرَّماديَّة،
- **چوچن ريد**، أخوها، في الثَّالثة عشرة،
- **هودور**، عامل اصطبل بسيط العقل، طوله سبع أقدام،
- أخوه، **الأمير ريكون**، صبي في الرَّابعة، يُعتقَد أنه ماتَ،
- ذئب ريكون الرَّهيب، **شاجيدوج**،
- رفيقة ريكون وحاميته، **أوشا**، أسيرة همجيَّة خدمَت كمساعِدة طاهٍ في وينترفل،
- أخوه غير الشَّقيق، **چون سنو**، أخ محلَّف في حَرس اللَّيل،
- ذئب چون الرَّهيب، **جوست**،
- أعمامه وعمَّاته وأخواله وخالاته:
- (**براندون ستارك**)، أخو اللورد إدارد الأكبر، قُتِلَ بأمر الملك إيرس تارجاريَن الثَّاني،
- (**ليانا ستارك**)، أخت اللورد إدارد الصُّغرى، ماتَت في جبال دورن في إبَّان ثورة روبرت،
- **بنچن ستارك**، أخو اللورد إدارد الأصغر، رجل في حَرس اللَّيل، مفقود وراء الجدار،
- **لايسا آرن**، أخت الليدي كاتلين الصَّغيرة، سيِّدة العُش وأرملة اللورد چون آرن،
- **السير إدميور تَلي**، أخو الليدي كاتلين الأصغر، وريث ريڤررَن،
- **السير برايندن تَلي**، لقبه **السَّمكة السَّوداء**، أخو جدِّه،
- المقسِمون له :
- مُرافِقه، **أوليڤار فراي**،
- **السير وندل ماندرلي**، الابن الثَّاني لسيِّد الميناء الأبيض،
- **پاتريك ماليستر**، وريث سيجارد،
- **داسي مورمونت**، الابنة الكُبرى لليدي مِج مورمونت ووريثة جزيرة الدِّببة،
- **چون أومبر**، لقبه **چون الصَّغير**، وريث المستوقَد الأخير،



- دونل لوك، أوين نوري، روبن فلينت، رجال شماليُّون،
- القادة واللوردات حمَلة رايته:
- (مع جيش روب في الغرب)
- السير برايندن تَلي، لقبه السَّمكة السَّوداء، قائد الكشَّافة،
- چون أومبر، لقبه چون الكبير، قائد طليعة الجيش،
- ريكارد كارستارك، سيِّد كارهولد،
- جالبارت جلوڤر، سيِّد ربوة الغابة،
- مج مورمونت، سيِّدة جزيرة الدِّببة،
- (السير ستڤرون فراي)، الابن الأكبر للورد والدر فراي ووريث التَّوأمتين، ماتَ في أوكسكروس،
  - ابن السير ستڤرون الأكبر، السير رايمان فراي،
  - ابن السير رايمان، والدر فراي الأسود،
- مارتن ريڤرز، ابن اللورد والدر غير الشَّرعي،
- (مع جيش رووس بولتون في هارنهال)
- رووس بولتون، سيِّد معقل الخوف،
- السير إينس فراي، السير چارد فراي، السير هوستين فراي، السير دانويل فراي،
  - أخوهم النَّغل غير الشَّقيق، دونل ريڤرز،
- السير وايليس ماندرلي، وريث الميناء الأبيض،
  - السير كايل كوندون، فارس في خدمته،
- رونل ستاوت،
- ڤارجو هوت، من مدينة كوهور الحُرَّة، قائد جماعة المرتزِقة المسمَّاة رِفقة الشُّجعان،
  - نائبه، أورزويك، لقبه الوفي،
  - نائبه، السِّپتون أوت،
- تيمون الدورني، رورچ، إيجو، زولو السَّمين، العضَّاض، توج چوث الإبينيزي، پيج، ثريتوز، رجاله،
- كايبرن، مِايستر مجرَّد من سلسلته وأحيانًا نِكرومانسر،



مُعالِجـه،

- (مع الجيش الشَّمالي الذي هاجمَ وادي الغسق)

- **روبت جلوڤر**، ابن ربوة الغابة،

- **السير هلمان تولهارت**، ابن مربَّع تورين،

- **هاريـون كارسـتارك**، الابـن الوحيـد الحـي للـورد ريكارد كارستارك وورِيـث كارهولد،

- (في الطَّريق إلى الشَّمال برُفات اللورد إدارد)

- **هالس مولين**، قائد حَرس وينترفل،

- **چاكس**، **كوينت**، **شاد**، رجاله،

- اللوردات حمَلة رايته وأمناء قلاع الشَّمال:

- **وايمان ماندرلي**، سيِّد الميناء الأبيض،

- **هاولاند ريد**، سيِّد قلعة المياه الرَّماديَّة، من شعب المستنقعات،

- **مـورس أومبـر**، لقبـه **آكِل الغُـراب**، وهوثـر **أومبـر**، لقبـه **باقِـر العاهرة**، عمَّـا چـون أومبـر الكبيـر، أمينـا القلعـة فـي المسـتوقَد الأخير،

- **ليسا فلينت**، سيِّدة قلعة الأرملة،

- **أوندرو لوك**، سيِّد القلعة العتيقة، عجوز،

- (**كلاي سـروين**)، سـيِّد سـروين، صبـيٌّ فـي الرَّابعـة عشـرة، قُتِـلَ فـي معركـة وينترفل،

- (**ليوبولـد تولهـارت**)، الأخ الأصغـر للسـير هلمـان، أميـن مربَّـع توريـن، قُتِـلَ فـي معركـة وينترفـل،

- زوجة ليوبولد، **بيرينا** سليلة عائلة هورنوود،

- ابن ليوبولد، **براندون**، صبيٌّ في الرَّابعة عشرة،

- ابن ليوبولد، **بيرين**، صبيٌّ في العاشرة،

- ابـن السـير هلمـان، (**بنفريـد**)، قتلَـه الحديديُّـون علـى السَّـاحل الحجـري،

- ابنة السير هلمان، **إدارا**، فتاة في التَّاسعة، وريثة مربَّع تورين،

- **الليـدي سـيبل**، زوجـة روبـت جلوڤـر، أسـيرة آشـا جرايچـوي فـي ربـوة الغابـة،

- ابـن روبـت، **جـاون**، فـي الثَّالثـة، الوريـث الشَّـرعي لربـوة الغابـة، أسـير آشـا جرايچـوي فـي ربـوة الغابـة،
- ابنـة روبـت، **إرينـا**، رضيعـة عُمرهـا عـام، أسـيرة آشـا جرايچـوي فـي ربـوة الغابـة،
- **لارنس سنو**، ابن غير شرعي للورد هورنوود وربيب جالبارت جلوڤر، في الثَّالثة عشرة، أسير آشا جرايچوي في ربوة الغابة.

تظلُّ راية الملك في الشَّمال كما كانت منذ آلاف السِّنين، ذئب آل ستارك أولاد وينترفل الرَّمادي الرَّهيب، يعدو في حقلٍ أبيض كالثَّلج.





الملك في البحر الضيِّق



ستانيس باراثيون الأول، الابن الثَّاني للورد ستفون باراثيون والليدي كاسانا، سليلة عائلة إسترمونت، سيِّد دراجونستون السَّابق،

– زوجته، **الليدي سيليس**، سليلة عائلة فلورنت،

– **شيرين**، ابنتهما الوحيدة، فتاة في الحادية عشرة،

– **ذو الوجه المرقَّع**، مهرِّجها محدود العقل،

– ابن أخيه غير الشَّرعي، **إدريك ستورم**، صبيٌّ في الثَّانية عشرة، ابن الملك روبرت النَّغل من ديلينا فلورنت،

– مُرافِقاه، **دڤان سيوورث وبرايان فارنج**،

– حاشيته وأتباعه:

– **اللورد آلستر فلورنت**، سيِّد قلعة المياه الوضَّاءة ويد الملك، عم الملكة،

– **السير آكسل فلورنت**، أمين القلعة في دراجونستون وقائد رجال الملكة، عم الملكة،

– **الليدي مليساندرا الآشايِيَّة**، لقبها **المرأة الحمراء**، راهبة راهلور إله الضِّياء ورب اللَّهب والظِّل،

– **المِايستر پايلوس**، مُعالِج، معلِّم، مستشار،

– **السير داڤوس سيوورث**، لقبه **فارس البصل** وأحيانًا **ذو اليد**



القصيـرة، مهـرِّب سـابق،

– زوجته ماريا، ابنة نجّار،

– أبناؤهما السَّبعة:

– (دايل)، ماتَ في معركة النَّهر الأسود،

– (آلارد)، ماتَ في معركة النَّهر الأسود،

– (ماثوس)، ماتَ في معركة النَّهر الأسود،

– (ماريك)، ماتَ في معركة النَّهر الأسود،

– دڤان، مُرافِق الملك ستانيس،

– ستانيس، صبيٌّ في التَّاسعة،

– ستفون، صبيٌّ في السَّادسة،

– سـالادور سـان، قُرصـان مـن مدينـة لِيـس الحُـرَّة، يُلَقِّـب نفسـه بأميـر البحـر الضيِّـق وأميـر الخليـج الأسـود، رُبَّـان السَّـفينة ڤاليريـان وأسـطول مـن القـوادس المماثلـة،

– مايزو مار، خصيٌّ في خدمته،

– كوران ساثمانتس، رُبَّان القادس رقصة شايالا،

– سجَّان الثَّريد وسجَّان الشِّلق، حارسان،

– اللوردات حمَلة رايته والمقسِمون له:

– مونتريـس ڤيلاريـون، سـيِّد المَـدِّ والجَـزر وقائـد دريفتمـارك، صبـيٌّ فـي السَّادسـة،

– دورام بار إمون، سيِّد الرَّأس الحاد، صبيٌّ في الخامسة عشرة،

– السير جيلبرت فارنج، أمين القلعة في ستورمز إند،

– اللورد إلوود ميدوز، نائب السير جيلبرت،

– المايستر چورن، مستشار السير جيلبرت ومُعالِجه،

– اللـورد لوكـوس تشـيترينج، لقبـه لوكـوس الصَّغيـر، صبـيٌّ فـي السَّادسـة عشـرة،

– لستر موريجن، سيِّد عُش الغِربان،

– فُرسانه ورجاله المحلَّفون:

– السير لوماس إسترمونت، خال الملك،

- ابنه، **السير أندرو إسترمونت،**
- **السير رولانـد سـتورم،** لقبـه نغـل التَّغريـدة، ابـن غيـر شـرعي للـورد برايـان كارون الرَّاحـل،
- **السير لوماس إسترمونت،** خال الملك،
- **السير پارمن كرين،** لقبه پارمن الأرجواني، أسير في هايجاردن،
- **السـير إريـن فلورنـت،** الأخ الأصغـر للملكـة سـيليس، أسـير فـي هايجـاردن،
- **السير چيرالد جاور،** خال الملك،
- **السـير تريسـتون ابـن هضبـة تالـي،** كان يخـدم اللـورد جانسـر صنجـلاس سـابقًا،
- **لويس،** لقبه السَّمَّاك.

اتَّخذ الملك ستانيس لرايته رمز قلب إله الضِّياء النَّاري، قلب أحمر محاط باللَّهب البرتقالي على خلفيَّةٍ صفراء، وفي داخل القلب وعل باراثيون المتوَّج بلونٍ أسود.





الملكة وراء البحر



دنيـرس تارجاريَـن الأولـى، گاليسـي الدوثراكـي، تُسَـمَّى **دنيـرس وليـدة العاصفـة**، **التـي لـم تحتـرق**، **أُم التَّنانيـن**، آخِـر مـن تبقَّـى مـن أولاد الملـك إيـرس تارجاريَـن الثَّانـي وأرملـة الدوثراكـي گال دروجـو،

– تنانينها النَّامون: **دروجون**، **ڤسيريون**، **ريجال**،

– حَرسها الملكي:

– **السـير چـورا مورمونـت**، سـيِّد جزيـرة الدِّببـة السَّـابق، منفـي لإتجـاره بالرَّقيـق،

– **چوجو**، گو وخيَّال دم، السَّوط،

– **آجو**، گو وخيَّال دم، القوس،

– **راگارو**، گو وخيَّال دم، الأراخ،

– **بِلواس القوي**، عبد خصيٌّ سابق في حلبات القتال بميرين،

– مُرافِقـه المسِـنُّ، **آرسـتان**، لقبـه **ذو اللِّحيـة البيضـاء**، رجـل مـن وسـتروس،

– وصيفتاها:

– **إيري**، فتاة من الدوثراكي، في الرَّابعة عشرة،

– **چيكوي**، فتاة من الدوثراكي، في الخامسة عشرة،

– **جروليـو**، رُبَّـان الكـوج العظيـم بالريـون، مـلَّاح فـي خدمـة إليريـو



موپاتيــس،

- أهلها الرَّاحلون:

- (**ريجـار**)، أخوهـا، أميـر دراجونسـتون ووريـث العـرش الحديـدي، قتلَـه روبـرت باراثيـون فـي معركـة الثَّالوث،

- (**رييـنس**)، ابنـة ريجـار مـن إليـا الدورنيَّـة، قُتِلَـت خـلال نهـب كينجـز لاندنـج،

- (**إجـون**)، ابـن ريجـار مـن إليـا الدورنيَّـة، قُتِـلَ خـلال نهـب كينجـز لاندنـج،

- (**ڤسـيرس**)، سـمَّى نفسـه الملـك ڤسـيرس الثَّالـث، لقبـه **الملـك الشـحَّاذ**، قُتِـل فـي ڤايـس دوثـراك علـى يـد گال دروجـو،

- (**دروجـو**)، زوجهـا، گال الدوثراكـي العظيـم، لـم يُهـزَم قَـطُّ فـي معركـة، مـاتَ متأثِّـرًا بجـرح،

- (**رييجـو**)، ابـن دنيـرس وگال دروجـو الجهيـض، قُتِـلَ فـي الرَّحـم علـى يـد ميـري مـاز دور،

- أعداؤها المعروفون:

- **گال پونو**، گو دروجو السَّابق،

- **گال چهاكو**، گو دروجو السَّابق،

- **ماجو**، خيَّال دمه،

- **خالدو كارث**، جماعة من الدَّجَّالين،

- **پيات پري**، دجَّال كارثيني،

- **الرِّجال الآسفون**، جماعة من المغتالين الكارثينيِّين،

- تحالُفاتها غير المضمونة في الماضي والحاضر:

- **زارو زون داكسوس**، أمير تاجر من كارث،

- **كويث**، آسرة ظلال مقنَّعة من آشاي،

- **إليريـو موپاتيـس**، ماجسـتر مـن مدينـة پنتـوس الحُـرَّة، رتَّـب زواج دنيـرس بـگال دروجـو،

- في أستاپور:

- **كرازنس مو نوكلوز**، تاجر رقيق ثري،

- أَمته، ميساندای، فتاة في العاشرة، من شعب ناث المسالم،
- جرازدان مو أولهور، تاجر رقيق عجوز فاحش الثَّراء،
- عبده، كليون، جزَّار وطبَّاخ،
- الدُّودة الرَّمادي، خصيٌّ من المطهَّرين،
- في يونكاي:
- جرازدان مو إراز، مبعوث ونبيل،
- ميرو البراڤوسي، لقبه نغل المارد، قائد الأبناء الثَّانين، جماعة حُرَّة،
- بن پلوم البنِّي، رقيب في الأبناء الثَّانين، مرتزِق مختلط النَّسب،
- پرندال نا غِزن، مرتزِق جيسكاري، قائد غِربان العاصفة، جماعة حُرَّة،
- سالور الأصلع، مرتزق كارثيني، قائد غِربان العاصفة،
- داريو نهاريس، مرتزِق تايروشي مبهرَج، قائد غِربان العاصفة،
- في ميرين:
- أوزناك زو پال، بطل من المدينة.

راية عائلة تارجاريَن هي راية إجون الفاتح والسُّلالة التي أسَّسها، تنِّين أحمر ذو ثلاثة رؤوس على خلفيَّةٍ سوداء.



ملك الجُزر والشَّمال



بالـون جرايجـوي، التَّاسـع منـذ الملـك الرَّمـادي، يُسَـمِّي نفسـه ملـك جُـزر الحديـد والشَّـمال، ملـك الملـح والصَّخـر، ابـن ريـاح البحـر، سـيِّد حصـاد پايـك،

– زوجته، **الملكة ألانيس** سليلة عائلة هارلو،

– أبناؤهما:

– (**رودريـك**)، ابنهمـا الأكبـر، قُتِـلَ فـي سـيجارد خـلال تمـرُّد جرايجـوي،

– (**مـارون**)، ابنهمـا الثَّانـي، قُتِـلَ علـى أسـوار پايـك خـلال تمـرُّد جرايجـوي،

– **آشا**، ابنتهما، رُبَّان الرِّيح السَّوداء،

– **ثيون**، رُبَّان كلبة البحر وأمير وينترفل لفترةٍ وجيزة،

– **وكـس پايـك**، نغـل أخـي اللـورد بوتلـي غيـر الشَّـقيق، صبيٌّ أبكـم فـي الثَّانيـة عشـرة،

– طاقم ثيون على متن كلبة البحر:

– **أورزن**، **مـارون بوتلـي** ولقبـه القرمـوط، **سـتيج**، **جيفيـن هارلـو**، **كادوايل**،

– إخوته:

– **يورون، لقبه عين الغُراب**، رُبَّان الصَّمت، خارج عن القانون سيِّئ السُّمعة، قُرصان، مُغير،
– **ڤيكتاريون**، قائد الأسطول الحديدي، رُبَّان النَّصر الحديدي،
– **آرون، لقبه ذو الشَّعر الرَّطب**، من رهبان الإله الغريق،
– أهل بيته في پايك:
– **المايستر ويندامير**، معالِج ومستشار،
– **هيليا**، راعية القلعة،
– مُحاربوه والمقسِمون له:
– **داجمر، لقبه ذو الفَكِّ المفلوق**، رُبَّان ثُمالة البحر،
– **ذو النَّاب الأزرق**، رُبَّان سفينة طويلة،
– **أولر وسكايت**، ملَّاحان ومُحاربان،
– **أندريك اللا مبتسم**، رجل عملاق،
– **كارل البِكر**، حليق لكن مميت،
– أهل لوردزپورت:
– **أوتر جيمپني**، صاحب خان وقوَّاد،
– **سيجرين**، سفَّان،
– اللوردات حمَلة رايته:
– **ساوان بوتلي**، سيِّد لوردزپورت في پايك،
– **اللورد وينش**، سيِّد غابة الحديد، في پايك،
– **ستونهاوس ودروم وجودبراذر**، من ويك القديمة،
– **اللورد جودبراذر، سپار، اللورد مرلين، اللورد فاروِند**، من ويك الكُبرى،
– **اللورد هارلو**، من هارلو،
– **ڤولمارك، ماير، ستونتري، كنينج**، من هارلو،
– **أوركوود وتاوني**، من أوركموند،
– **اللورد بلاكتايد**، من بلاكتايد،
– **اللورد سولتكليف واللورد ساندرلي**، من جُرف الملح.



عائلات أخرى صغيرة وكبيرة

عائلة آرن



تنحدر عائلة آرن من ملوك الجبال والوادي، وهي واحدة من أقدم وأنقى سُلالات النُّبلاء الأنداليِّين. لم تُشارِك عائلة آرن في حرب الملوك الخمسة، واحتفظَت بقوَّاتها للدِّفاع عن وادي آرن.

راية آل آرن عبارة عن قمرٍ وصقرٍ أبيضين على خلفيَّةٍ ذات لونٍ أزرق سماوي، وكلماتهم: «ساموّن كالشَّرف».

روبرت آرن، سيِّد العُش، حافِظ الوادي، حاكم الشَّرق، صبيٌّ سقيم في الثَّامنة،

– **أمُّه**، **الليدي لايسا** سليلة عائلة تَلي، زوجة اللورد چون آرن يد الملك الرَّاحل الثَّالثة وأرملته، أخت كاتلين ستارك،

– أهل بيته:

– **المِايستر كولمون**، مستشار ومُعالِج ومعلِّم،

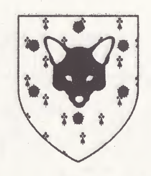


- **السير ماروين بلمور**، قائد الحَرس،
- **اللورد نستور رويس**، وكيل الوادي الأعلى،
- ابن اللورد نستور، **السير ألبار**،
- **ميا ستون**، فتاة نغلة في خدمته، ابنة الملك روبرت باراثيون الأول،
- **مورد**، سجَّان متوحِّش،
- **ماريليون**، مطرب،

- اللوردات حمَلة رايته وخُطَّاب أمِّه وأتباعه:
- **اللورد يون رويس**، لقبه **يون البرونزي**، سيِّد رونستون من الفرع الكبير من عائلة رويس، وابن عمِّ اللورد نستور،
- ابن اللورد يون الأكبر، **السير أندار**،
- ابن اللورد يون الأوسط، **(السير روبار)**، كان فارسًا في حَرس قوس قزح رجال الملك رنلي باراثيون، قتلَه السير لوراس تايرل عند ستورمز إند،
- ابن اللورد نستور الأصغر، **(السير وايمار)**، رجل في حَرس اللَّيل، مفقود وراء الجِدار،
- اللورد نستور رويس، **أخو اللورد يون**، وكيل الوادي الأعلى،
- ابن اللورد نستور ووريثه، **السير ألبار**،
- ابنة اللورد نستور، **ميراندا**،
- **السير لين كوربراي**، من خُطَّاب الليدي لايسا،
- **مايكل ردفورت**، مُرافِقه،
- **الليدي آنيا واينوود**،
- ابن الليدي آنيا ووريثها، **السير مورتون**، من خُطَّاب الليدي لايسا،
- ابن الليدي آنيا الثَّاني، **السير دونل**، فارس البوَّابة،
- **اللورد إيون هنتر**، سيِّد قلعة القوس الطَّويل، من خُطَّاب الليدي لايسا، رجل عجوز،
- **اللورد هورتون ردفورت**، سيِّد ردفورت.



عائلة فلورنت



آل فلورنت أولاد قلعة المياه الوضَّاءة من حمَلة راية عائلة تايرل، على الرغم من أسبقيَّة حقِّهم في هايجارد،ن استنادًا إلى صلة دم بينهم وبين عائلة جارندر التي حكمَ ملوكها المرعى قديمًا. لدى اندلاع حرب الملوك الخمسة، تبعَ اللورد آلستر فلورنت آل تايرل في إعلانهم تأييد الملك رنلي، لكن أخاه السير آكسل اختارَ الملك ستانيس، الذي خدمَه أعوامًا كأمين القلعة في دراجونستون، وقد كانت سيليس ابنة أخيهما وما زالَت ملكة ستانيس. بَعد موت رنلي عند ستورمز إند انضمَّ آل فلورنت لستانيس بقوَّتهم كلِّها، وهُم أول من يفعل هذا من حمَلة راية رنلي.

رمز عائلة فلورنت عبارة عن ثعلبٍ يطلُّ برأسه من حلقةٍ من الزُّهور.

آلستر فلورنت، سيِّد قلعة المياه الوضَّاءة،

– زوجته، **الليدي ميلارا**، سليلة عائلة كرين،

– أولادهما:

– **أليكاين**، وريث قلعة المياه الوضَّاءة،

– **ميليسا**، زوجة اللورد راندل تارلي،

– **ريا**، زوجة اللورد لايتون هايتاور،

– أخواه:

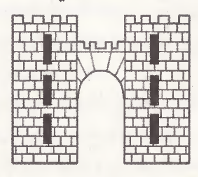
– **السير آكسل**، أمين قلعة دراجونستون،

- (**السير ريام**)، ماتَ حين سقطَ من فوق حصان،
  - ابنة السير ريام، **الملكة سيليس**، زوجة الملك ستانيس،
  - ابن السير ريام الأكبر ووريثه، **السير إمري**،
  - ابن السير ريام الثَّاني، **السير إرِن**،
- **السير كولين**،
  - ابنة السير كولين، **ديلينا**، زوجة السير **هوسمان نوركروس**،
    - ابن ديلينا، **إدريك ستورم**، ابن غير شرعي للملك روبرت،
    - ابن ديلينا، **آلستر نوركروس**،
    - ابن ديلينا، **رنلي نوركروس**،
  - ابن كولين، **المِايستر أومر**، في خدمة أوك القديمة،
  - ابن كولين، **ميريل**، مُرافِق في الكرمة،
- أخته، **رايلين**، زوجة ريتشرد كرين.





عائلة فراي



في بداية حرب الملوك الخمسة فازَ روبٍ ستارك بولاء اللورد والدر بتعهُّده أن يتزوَّج إحدى بناته أو حفيداته، كما أُرسِل اثنان من أحفاد اللورد والدر إلى وينترفل لينشآ هناك.

والدر فراي، سيِّد المعبر،

– من زوجته الأولى، **(الليدي پيرا)** سليلة عائلة رويس:

– **السير ستفرون**، وريث التَّوأمتين،

– زوجته **(كورينا سوان)**، ماتَت بمرضٍ مزمن،

– ابن ستفرون الأكبر، **السير رايمان**،

– ابن رايمان، **إدوين**، زوج چانيس هنتر،

– ابنة إدوين، **والدا**، فتاة في الثَّامنة،

– ابن رايمان، **والدر**، لقبه **والدر الأسود**،

– ابن رايمان، **پيتر**، لقبه **پيتر ذو الدَّمامل**، زوج ميليندا كارون،

– ابنة پيتر، **پيرا**، فتاة في الخامسة،

– زوجته **(چين ليدن)**، ماتَت حين سقطَت من على حصان،

– ابن ستفرون، **إجون**، أبله ملقَّب بذي الجلاجل،

– ابنة ستفرون، **(مايجل)**، ماتَت أثناء الوضع،

– **السير دافين ڤانس**،

– ابنة مايجل، **ماريان**، عذراء،



- ابن مايجل، **والدر ڤانس**، مُرافِق فارس،
- ابن مايجل، **پاتريك ڤانس**،
- زوجته **(مارسلا واينوود)**، ماتَت أثناء الوضع،
- ابن ستڤرون، **والتون**، زوج ديانا هاردينج،
- ابن والتون، **ستفون**، لقبه **الحُلو**،
- ابنة والتون، **والدا**، لقبها **والدا الحسناء**،
- ابن والتون، **برايان**، مُرافِق فارس،
- **السير إمون**، زوج چنا سليلة عائلة لانستر،
- ابن إمون، **السير كَليوس**، زوج چين داري،
- ابن كليوس، **تايوين**، مُرافِق فارس في الحادية عشرة،
- ابن كليوس، **ويلم**، وصيف في آشمارك،
- ابن إمون، **السير لايونل**، زوج ميليسا كراكهول،
- ابن إمون، **تيون**، مُرافِق فارس أسير في ريڤرَن،
- ابن إمون، **والدر**، لقبه **والدر الأحمر**، وصيف في كاسترلي روك،
- **السير إينس**، زوج **(تيانا وايلد)**، ماتَت أثناء الوضع،
- ابن إينس، **إجون وليد الدَّم**، خارج على القانون،
- ابن إمون، **ريجار**، زوج چين بيزبوري،
- ابن ريجار، **روبرت**، صبي في الثَّالثة عشرة،
- ابنة ريجار، **والدا**، فتاة في العاشرة، لقبها **والدا البيضاء**،
- ابن ريجار، **چونوس**، صبي في الثَّامنة،
- **پريان**، زوجة السير ليزلين هاي،
- ابن پريان، **السير هاريس هاي**،
- ابن هاريس، **والدر هاي**، صبي في الرَّابعة،
- ابن پريان، **السير دونل هاي**،
- ابن پريان، **السير آلين هاي**، مُرافِق فارس،
- من زوجته الثَّانية، **(الليدي كايرينا)** سليلة عائلة سوان:
- **السير چارد**، ابنهما الأكبر، زوج **(آليس فراي)**،
- ابن چارد، **السير تايتوس**، زوج زوي بليتتري،
- ابنة تايتوس، **زيا**، فتاة في الرَّابعة عشرة،

– ابن تايتوس، **زاكري**، صبي في الثَّانية عشرة، يتدرَّب في سِپت البلدة القديمة،

– ابنة چارد، **كايرا**، زوجة جارس جودبروك،

– ابن كايرا، **والدر جودبروك**، صبي في التَّاسعة،

– ابنة تايتوس، **چين جودبروك**، فتاة في السَّادسة،

– **السِّپتون لوسيون**، يخدم في سِپت بيلور الكبير في كينجز لاندنج،

– من زوجته الثَّالثة، (الليدي أماري) سليلة عائلة كراكهول:

– **السير هوستين**، ابنهما الأكبر، زوج بيلينا هاويك،

– ابن هوستين، **السير آروود**، زوج ريبلا رويس،

– ابنة آروود، **ريبلا**، فتاة في الخامسة،

– ابنا آروود التَّوأم، **أندرو وآلين**، في الثَّالثة،

– **الليدي لايثين**، زوجة اللورد لوشياس ڤايپرن،

– ابنة لايثين، **إليانا**، زوجة السير چون وايلد،

– ابن إليانا، **ريكارد وايلد**، في الرَّابعة،

– ابن لايثين، **السير ديمون ڤايپرن**،

– **سايموند**، زوج بيثاريوس البراڤوسيَّة،

– ابن سايموند، **أليساندر**، مغنٍّ،

– ابنة سايموند، **آلكس**، فتاة في السَّابعة عشرة،

– ابن سايموند، **برادامار**، صبي في العاشرة، نشأ في براڤوس ربيبًا للتَّاجر أورو تندايريس،

– **السير دانويل**، زوج واينافري ونت،

– (وُلِدَ أبناؤهما إمَّا موتى أو ماتوا في المهد)،

– **ميريت**، زوج ماريا داري،

– ابنة ميريت، **آميري**، تُسَمَّى آمي، أرملة في السَّادسة عشرة، كانت زوجة (السير پايت فارس الفرع الأزرق)،

– ابنة ميريت، **والدا**، لقبها والدا السَّمينة، فتاة في الخامسة عشرة،

– ابنة ميريت، **ماريسا**، فتاة في الثَّالثة عشرة،

– ابن ميريت، **والدر**، لقبه **والدر الصَّغير**، صبي في الثَّامنة، ينشأ في وينترفل كربيب الليدي كاتلين ستارك،
– **(السير چريمي)**، مات غرقًا، كان زوج كارولي واينوود،
– ابن چريمي، **ساندور**، صبي في الثَّانية عشرة، مُرافِق السير دونل واينوود،
– ابنة چريمي، **سينثيا**، فتاة في التَّاسعة، ربيبة الليدي آنيا واينوود،
– **السير رايموند**، زوج بيوني بيزبوري،
– ابن رايموند، **روبرت**، في السَّادسة عشرة، يتدرَّب في قلعة البلدة القديمة،
– ابن رايموند، **مالوين**، في الخامسة عشرة، يتدرَّب لدى خيميائي في لِيس،
– ابنتا رايموند التَّوأم، **سيرا وسارا**، فتاتان في الرَّابعة عشرة،
– ابنة رايموند، **سرسي**، في السَّادسة، لقبها **النَّحلة الصَّغيرة**،
– من زوجته الرَّابعة، **(الليدي أليسا)** سليلة عائلة بلاكوود:
– **لوثار**، ابنهما الأكبر، لقبه **لوثار الكسيح**، زوج ليونلا ليفورد،
– ابنة لوثار، **تايسين**، فتاة في السَّابعة،
– ابنة لوثار، **والدا**، فتاة في الرَّابعة،
– ابنة لوثار، **إمبريلي**، فتاة في الثَّانية،
– **السير چاموس**، زوج سالي پايچ،
– ابن چاموس، لقبه **والدر الكبير**، صبي في الثَّامنة، ينشأ في وينترفل كربيب الليدي كاتلين ستارك،
– ابنا چاموس التَّوأم، **ديكون وماثوس**، في الخامسة،
– **السير والن**، زوج سيلوا پايچ،
– ابن والن، **هوستر**، صبي في الثَّانية عشرة، مُرافِق السير ديمون پايچ،
– ابنة والن، **ماريان**، تُسَمَّى **مِري**، فتاة في الحادية عشرة،
– **الليدي موريا**، زوجة السير فليمنت براكس،
– ابن موريا، **روبرت براكس**، في التَّاسعة، ينشأ كوصيف في كاسترلي روك،
– ابن موريا، **والدر براكس**، صبي في السَّادسة،



- ابن موريا، **چون براكس**، صبي في الثَّالثة،
- **تايتا**، لقبها **تايتا العذراء**، في التَّاسعة والعشرين،
- من زوجته الخامسة، **(الليدي ساريا)** سليلة عائلة وِنت:
  - لا أولاد،
- من زوجته السَّادسة، **(الليدي بثاني)** سليلة عائلة روزبي:
  - **السير پروين**، ابنهما الأكبر،
  - **السير بنفري**، زوج چيانا فراي، ابنة عمه،
    - ابنة بنفري، **دلا**، لقبها **دِلا الصمَّاء**، في الثَّالثة،
    - ابن بنفري، **أوزموند**، صبي في الثَّانية،
  - **المِايستر ويلامن**، يخدم في قلعة القوس الطَّويل،
  - **أوليڤار**، مُرافِق في خدمة روب ستارك،
  - **روزلين**، فتاة في السَّادسة عشرة،
- من زوجته السَّابعة، **(الليدي أنارا)** سليلة عائلة فارنج:
  - **أروين**، فتاة في الرَّابعة عشرة،
  - **ونـدل**، ابنهمـا الأكبـر، صبـي فـي الثَّالثـة عشـرة، ينشـأ فـي سيجارد كوصيـف،
  - **كولمار**، موعود بالخدمة في العقيدة، في السَّابعة،
  - **والتير**، يُسَمَّى **تير**، صبي في العاشرة،
  - **إلمار**، خطيب آريا ستارك، صبي في التَّاسعة،
  - **شيري**، فتاة في السَّادسة،
- من زوجته الثَّامنة، **(الليدي چويئيوس)** سليلة عائلة إرينفورد:
  - لا أولاد بعدُ،
- أولاد اللورد والدر غير الشَّرعيِّين من أمَّهاتٍ مختلفات:
  - **والدر ريڤرز**، لقبه **والدر النَّغل**،
    - ابن والدر النَّغل، **السير إيمون ريڤرز**،
    - ابنة والدر النَّغل، **والدا ريڤرز**،
  - **المِايستر ملويس**، يخدم في روزبي،
  - **چين ريڤرز**، **مارتن ريڤرز**، **رايجر ريڤرز**، **رونل ريڤرز**، **ميلارا ريڤرز**، آخَرون.



عائلة لانستر

يبقى آل لانستر أبناء كاسترلي روك أقوى المؤيِّدين لدعوى الملك چوفري للعرش الحديدي، ويأتي نَسبهم من جهة الإناث من لان الأريب، المُحتال الذي عاشَ في عصر الأبطال، وقد جعلَهم ذهب كاسترلي روك والنَّاب الذَّهبي أثرى العائلات الكُبرى.

راية آل لانستر عبارة عن أسدٍ ذهبي على خلفيَّةٍ قرمزيَّة، وكلماتهم: «اسمعوا زئيري».

تايوين لانستر، سيِّد كاسترلي روك، حاكم الغرب، حامي لانسپورت، يد الملك،

– زوجته، (الليدي چوانا)، ابنة عمِّه، ماتَت أثناء الوضع،

– أبناؤهما:

– ابنه، السير چايمي، لقبه قاتِل الملك، توأم الملكة سرسي، قائد الحَرس الملكي، حاكم الشَّرق، أسير في ريڤرران،

– ابنته، الملكة سرسي، توأم چايمي، زوجة الملك روبرت باراثيون الأول، الملكة الوصيَّة على عرش ابنها چوفري،

– ابنها، الملك چوفري باراثيون، صبيٌّ في الثَّالثة عشرة،

– ابنتها، الأميرة مارسلا، فتاة في التَّاسعة، ربيبة الأمير دوران مارتل في دورن،

– ابنها، الأمير تومن، صبيٌّ في الثَّامنة، وريث العرش الحديدي،

- ابنـه، **تيريـون**، لقبـه العفريـت والنِّصـف رجـل، أصيـبَ وشُـوِّهَ فـي معركـة النَّهـر الأسـود،
- إخوته:
- **السير كيڤان**، أخو اللورد تايوين الأكبر،
- زوجته، **دورنا** سليلة عائلة سويفت،
- ابنهمـا الأكبـر، **لانسـل**، مُرافِـق الملـك روبـرت السَّـابق، أصيـبَ فـي معركـة النَّهـر الأسـود ويُشـارِف علـى المـوت،
- ابنهما، **ويلم**، توأم مارتن، مُرافِق، أسير في ريڤررَن،
- ابنهما، **مارتن**، توأم ويلم، مُرافِق، أسير روب ستارك،
- ابنتهما، **چاني**، فتاة في الثَّانية،
- **چنا**، أخته، متزوِّجة من السير إمون فراي،
- ابنهما، **السير كليوس فراي**، أسير في ريڤررَن،
- ابنهما، **السير لايونل**،
- ابنهما، **تيون فراي**، مُرافِق، أسير في ريڤررَن،
- ابنهما، **والدر**، لقبه **والدر الأحمر**، مُرافِق في كاسترلي روك،
- **(السير تايجت)**، أخوه الثَّاني، ماتَ بداء الزُّهري،
- أرملته، **دارليسا**، سليلة عائلة ماربراند،
- ابنهما، **تايرك**، مُرافِق الملك،
- **(جريون)**، أخوه الأصغر، فُقِدَ في البَحر،
- ابنته غير الشَّرعيَّة، **چوي**، فتاة في العاشرة من العُمر،
- ابـن عمِّـه، السيـر (ستافورد لانستر)، أخـو الليـدي الرَّاحلـة چوانـا، قُتِلَ فـي أوكسكروس،
- ابنتاه، **سيرينا وماريبل**،
- ابنه، **السير داڤن**،
- أولاد عمومته:
- **السير داميون لانستر**، زوج الليدي شيبرا كراكهول،
- ابنه، **السير لوسيون**،
- ابنته، **لانا**، زوجة اللورد آنتاريو چاست،
- **مارچو**، زوجة اللورد تايتوس پيك،

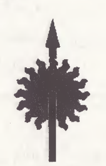
– أهل بيته:
– **المِايستر كرايلن**، مُعالِج، معلِّم، مستشار،
– **ڤايلار**، قائد الحَرس،
– **لوم ولستر الأحمر**، حارسان،
– **وات ذو البسمة البيضاء**، مطرب،
– **السير بنيدكت بروم**، قيِّم السِّلاح،
– اللوردات حمَلة رايته:
– **ديمون ماربراند**، سيِّد آشمارك،
– **السير أدام ماربراند**، ابنه ووريثه،
– **رولاند كراكهول**، سيِّد كراكهول،
– أخوه، (**السير برتون كراكهول**)، قتلَه اللورد بريك دونداريون وجماعته من الخارجين على القانون،
– ابنه ووريثه، **السير تايبولت كراكهول**،
– ابنه الثَّاني، **السير لايل كراكهول**، لقبه **العُفر القويّ**، أسير في قلعة العذراء الورديَّة،
– ابنه الأصغر، **السير مرلون كراكهول**،
– (**أندروز براكس**)، سيِّد وادي القرون، غرقَ في معركة المعسكَرات،
– أخوه، (**السير روبرت براكس**)، قُتِلَ في أوكسكروس،
– ابنه الأكبر، **السير تايتوس براكس**، الآن سيِّد وادي القرون، أسير في التَّوأمتين،
– ابنه الثاني، (**السير روبرت براكس**)، قُتِلَ في معركة المخاضات،
– ابنه الثَّالث، **السير فليمنت براكس**، الآن الوريث،
– (**اللورد ليو ليفورد**)، غرقَ في معركة الطَّاحونة الحجريَّة،
– **رجينارد إسترين**، سيِّد ويندهول، أسير في التَّوأمتين،
– **جاون وسترلينج**، سيِّد الجُرف، أسير في سيجارد،
– زوجته، **الليدي سيبل**، سليلة عائلة سپايسر،
– أخوها، **السير رولف سپايسر**،



– ابن عمِّها، **السير ساموِيل سپايسر**،
– أولادهما:
– **السير رايِنالد وسترلينج**،
– **چاين**، فتاة في السَّادسة عشرة،
– **إلينيا**، فتاة في الثَّانية عشرة،
– **رولام**، صبيٌّ في التَّاسعة،
– **لويس ليدن**، سيِّد الوكر الغائر،
– **اللورد آنتاريو چاست**، أسير في قلعة العذراء الورديَّة،
– **اللورد فيليپ پلوم**،
– أبناؤه، **السير دينس پلوم**، **السير پيتر پلوم**، **السير هاروين پلوم** ولقبه الحجر القاسي،
– **كوينتن بانفورت**، سيِّد بانفورت، أسير اللورد چونوس براكن،
– فُرسانه وقادته:
– **السير هاريس سويفت**، حمو السير كيڤان،
– ابن السير هاريس، **السير ستفون سويفت**،
– ابنة السير ستفون، **چوانا**،
– ابنة السير هاريس، **شيرلي**، زوجة السير ملوين سارسفيلد،
– **السير فورلي پرستر**،
– **السير چارث جرينفيلد**، أسير في شجرة الغِدفان،
– **السير لايموند ڤيكاري**، أسير في استراحة عابري السَّبيل،
– **اللورد سلموند ستاكسپير**،
– ابنه، **السير ستفون ستاكسپير**،
– ابنه الأصغر، **السير آلن ستاكسپير**،
– **تيرانس كنينج**، سيِّد كايس،
– **السير جريجور كليجاين**، لقبه الجبل راكب الخيول،
– **پوليڤر**، **تشيزويك**، **راف المعسول**، **دانسن**، **المُدغدِغ**، جنود في خدمته،
– (**السير آموري لورك**)، أطعمَه ڤارجو هوت لدُبٍّ بَعد سقوط هارنهال.



عائلة مارتل



كانت دورن آخِر الممالك السَّبع التي أقسمَت على الولاء للعرش الحديدي. يُمَيِّز النَّسب والعادات والتَّاريخ الدورنيِّين عن سائر الممالك الأخرى، وحين اندلعَت حرب الملوك الخمسة لم تُشارك دورن فيها. بَعد خطبة مارسلا باراثيون للأمير تريستان أعلنَت صنسپير تأييدها الملك چوفري واستدعَت راياتها.

راية عائلة مارتل عبارة عن شمسٍ حمراء تخترقها حربة ذهبيَّة، وكلماتهم «لا ننحني، لا نخضع، لا ننكسر».

دوران نايميروس مارتل، سيِّد صنسپير، أمير دورن،

– زوجته، **ميلاريو**، من مدينة نورڤوس الحُرَّة،

– أولادهما:

– **الأميرة آريان**، ابنتهما الكُبرى، وريثة صنسپير،

– **الأمير كوينتن**، ابنهما الأكبر،

– **الأمير تريستان**، ابنهما الأصغر، خطيب مارسلا باراثيون،

– إخوته:

– أخته، (**الأميرة إليا**)، تزوَّجت من الأمير ريجار تارجاريَن، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،

– طفلاهما:

– (**الأميرة ريينس**)، فتاة صغيرة، قُتِلَت خلال نهب كينجز لاندنج،

– (**الأمير إجون**)، رضيع، قُتِلَ خلال نهب كينجز لاندنج،

- أخوه، **الأمير أوبرين**، لقبه **الأفعوان الأحمر**،
- خليلة الأمير أوبرين، **إلاريا ساند**،
- بنات الأمير أوبرين غير الشَّرعيَّات: **أوبارا، نايميريا، تايين، ساريلا، إليا، أوبيلا، دوريا، لوريزا**، لقبهن **أفاعي الرِّمال**،
- رفاق الأمير أوبرين:
  - **هارمن أولر**، سيِّد هضبة الجحيم،
  - أخو هارمن، السير **أولويك أولر**،
  - السير **ريون أليريون**،
  - ابن السير ريون الطَّبيعي، **ديمون ساند**، نغل عطيَّة الآلهة،
  - **داجوس مانوودي**، سيِّد مقبرة الملك،
  - ابنا داجوس، **مورس وديكون**،
  - أخو داجوس، **السير مايلز مانوودي**،
  - **السير أرون كورجايل**،
  - **السير ديزيل دالت**، فارس غابة اللَّيمون،
  - **ميريا چورداين**، وريثة الهضبة،
  - ابنتها، **چاينيسا بلاكمونت**،
  - ابنها **پيروس بلاكمونت**، مُرافِق،
- أهل بيته:
  - **آريو هوتا**، مرتزق نورفوشي، قائد الحَرس،
  - **المِايستر كاليوت**، مستشار، مُعالِج، معلِّم،
- اللوردات حمَلة رايته:
  - **هارمن أولر**، سيِّد هضبة الجحيم،
  - **إدريك داين**، سيِّد ستارفول،
  - **ديلون أليريون**، سيِّدة عطيَّة الآلهة،
  - **داجوس مانوودي**، سيِّد مقبرة الملك،
  - **لارا بلاكمونت**، سيِّدة بلاكمونت،
  - **تريموند جارجالن**، سيِّد ساحل الملح،
  - **أندريس يرونوود**، سيِّد يرونوود،
  - **نايميلا تولاند**.



عائلة تَلي



كان اللورد إدمين تَلي سيِّد ريڤرزن من أوائل لوردات النَّهر الذين أقسَموا على الولاء لإجون الفاتح، وكافأه إجون المظفَّر بتنصيبه حاكمًا على جميع أراضي نهر الثَّالوث.

راية آل تَلي عبارة عن سمكة ترويت فضِّيَّة واثبة على خلفيَّةٍ متموِّجة من الأزرق والأحمر، وكلماتهم: «العائلة، الواجب، الشَّرف».

هوستر تَلي، سيِّد ريڤررَن،

- زوجتـه، (**الليـدي مينيسـا**) سـليلة عائلـة وِنـت، ماتَـت فـي أثنـاء الوضـع،
- أبناؤهما:
  - **كاتلين**، أرملة اللورد إدارد ستارك سيِّد وينترفل،
  - ابنهـا الأكبـر، **روب سـتارك**، سـيِّد وينترفـل، الملـك فـي الشَّـمال، ملـك الثَّالـوث،
    - ابنتها، **سانزا ستارك**، فتاة في الثَّانية عشرة، أسيرة في كينجز لاندنج،
    - ابنتها، **آريا ستارك**، في العاشرة، مفقودة منذ عام،
    - ابنها، **براندون ستارك**، يُعتقَد أنه ماتَ،
    - ابنها، **ريكون ستارك**، يُعتقَد أنه ماتَ،
  - **لايسا**، أرملة اللورد چون آرن سيِّد العُش،
    - ابنها، **روبرت**، سيِّد العُش وحافِظ الوادي، صبيٌّ سقيم في السَّابعة،
  - **السير إدميور**، ابنه الوحيد، وريث ريڤررَن،

- أصدقاء السير إدميور ورفاقه:
- **السير مارك پايپر**، وريث قلعة العذراء الورديَّة،
- **اللورد ليموند جودبروك**،
- **السير رونالد ڤانس**، لقبه الشَّقي، وإخوته **السير هيوجو** و**السير إلري** و**السير كيرث**،
- **پاتريك ماليستر**، **لوكاس بلاكوود**، **السير پروين فراي**، **تريستان رايجر**، **السير روبرت پايپ**،
- أخوه، **السير برايندن تَلي**، لقبه **السَّمكة السَّوداء**،
- أهل بيته:
- **المِايستر ڤايمان**، مستشار، مُعالِج، معلِّم،
- **السير دزموند جرِل**، قيِّم السِّلاح،
- **السير روبن رايجر**، قائد الحَرس،
- **ليو الطَّويل**، **إلوود**، **دِلپ**، حُرَّاس،
- **أوثرايدس واين**، وكيل ريڤررَن،
- **رايموند النَّاظم**، مطرب،
- اللوردات حمَلة رايته،
- **چونوس براكن**، سيِّد السِّياج الحجري،
- **چيسون ماليستر**، سيِّد سيجارد،
- **والدر فراي**، سيِّد المعبر،
- **كليمنت پايپر**، سيِّد قلعة العذراء الورديَّة،
- **كاريل ڤانس**، سيِّد استراحة عابري السَّبيل،
- **نوربرت ڤانس**، سيِّد أترانتا،
- **ثيومار سمولوود**، سيِّد بهو البلُّوط،
- زوجته، **الليدي راڤيلا**، سليلة عائلة سوان،
- ابنتهما، **كاريلين**،
- **ويليام موتون**، سيِّد بركة العذارى،
- **شيلا ونت**، سيِّدة هارنهال السَّابقة،
- **السير هارمون پايچ**، سيِّد بهو البلُّوط،
- **تايتوس بلاكوود**، سيِّد شجرة الغِدفان،



عائلة تايرل



صعدَ آل تايرل إلى السُّلطة كوُكلاء لملوك المرعى، الذين ضمَّت أملاكهم السُّهول الخصبة في الجنوب الغربي من تخوم دورن والنَّهر الأسود حتى سواحلِ بَحر الغروب. يأتي نَسب آل تايرل من جهة الإناث من جارث جرينهاند، مَلك البَشر الأوائل البُستاني الذي ارتدى تاجًا من أوراق الشَّجر والزُّهور واستغلَّ خصوبة الأرض وزرعَها حتى ازدهرَت، وعندما ماتَ الملك مِرن التَّاسع -آخِر ملوك عائلة جاردنر- في معركة حقل النِّيران، سلَّم وكيله هارلن تايرل قلعة هايجاردن إلى إجون الفاتِح وأقسمَ له على الولاء، فمنحَه إجون القلعة وحُكم المرعى.

أعلن اللورد مايس تايرل تأييده الملك رنلي في بداية حرب الملوك الخمسة وزوَّجه ابنته مارچري، وبَعد موت رنلي تحالفَت هايجاردن مع عائلة لانستر، وخُطِبَت مارچري للملك چوفري.

راية آل تايرل عبارة عن وردةٍ ذهبيَّة على خلفيَّةٍ بلونٍ أخضر كالعُشب، وكلماتهم: «ننمو بقوَّة».

مايس تايرل، سيِّد هايجاردن، حاكم الجَنوب، حافِظ التُّخوم، عاهل المرعى الأعلى،

– زوجته، الليدي أليري، سليلة عائلة هايتاور من البلدة القديمة،

– أبناؤهما:

– **ويلاس**، الابن الأكبر، وريث هايجاردن،

– **السير جارلان**، لقبه الهُمام، الابن الثّاني،

– زوجته، **الليدي ليونيت**، سليلة عائلة فوسواي،

– **السير لوراس**، فارس الزُّهور، الابن الأصغر، أخ محلّف في الحَرس الملكي،

– **مارچري**، ابنتهما، فتاة في الرَّابعة عشرة من العُمر،

– رفيقات مارچري:

– بنات عمومتها **مِجا وآلا وإلينور**،

– خطيب إلينور، **آلن أمبروز**، مُرافِق،

– **الليدي أليسين بولوار**، فتاة في الثّامنة،

– **ميريديث كرين**، تُسَمَّى **ميري**،

– **تاينا المايريَّة**، زوجة اللورد أورتون ميريويذر،

– **الليدي آليس جريسفورد**،

– **السِّبتة نستيريكا**، أخت في العقيدة،

– أمُّه الأرملة، **الليدي أولينا**، سليلة عائلة ردواين، لقبها مَلكة الأشواك،

– أختاه:

– **مينا**، زوجة پاكستر ردواين، سيِّد الكرمة،

– أولادهما:

– **السير هوراس ردواين**، توأم هوبر، يُسَمَّى **هورور سُخريةً**،

– **السير هوبر ردواين**، توأم هوراس، يُسَمَّى **سلوبر سُخريةً** ،

– **دسميرا ردواين**، فتاة في السَّادسة عشرة،

– **چانا**، زوجة السير چون فوسواي،

– أعمامه وأولادهم:

– أخو أبيه، **جارث**، لقبه **السَّمين**، وكيل هايجاردن،

– ابناه غير الشَّرعيَّين، **جارس وجارت فلاورز**،

– **السير مورين**، قائد حَرس البلدة القديمة،

– ابن مورين، (**السير لوثور**)، زوج الليدي إلين نوريدچ،

– ابن لوثور، **السير ثيودور**، زوج الليدي ليا سِري،

– ابنة ثيودور، **إلينور**،

– ابن ثيودور، **لوثور**، مُرافِق،

– ابن لوثور، **المِايستر مدويك**،

– ابنة لوثور، **أولين**، زوجة السير ليو بلاكبار،

– ابن مورين، **ليو**، لقبه **ليو الكسول**،

– أخو أبيه، **المِايستر جورمون**، دارس في القلعة في البلدة القديمة،

– ابن عمِّه، **(السير كوينتن)**، ماتَ في آشفورد،

– ابن كوينتن، **السير أوليمر**، زوج الليدي لايسا ميدوز،

– ابنا أوليمر، **رايموند وريكارد**،

– ابنة أوليمر، **مِجا**،

– ابن عمِّه، **المِايستر نورموند**، في خدمة التَّاج الأسود،

– ابـن عمِّـه، **(السـير ڤيكتور)**، قتلـه الفـارس الباسـم رجـل أخـوَّة غابـة الملـوك،

– ابنـة ڤيكتـور، **ڤيكتاريـا**، تزوَّجـت (اللـورد چـون بولـوار)، ماتَـت بحُمَّـى صيفيَّـة،

– ابنتهما، **الليدي أليسين بولوار**، فتاة في الثَّامنة،

– ابن ڤيكتور، **السير ليو**، تزوَّج الليدي آليس بيزبوري،

– ابنتا ليو، **آلا وليونا**،

– أبناء ليو، **لايونل ولوكاس ولورنت**،

– أهل بيته في هايجاردن:

– **المِايستر لوميس**، مستشار، مُعالِج، معلِّم،

– **إيجون ڤيرويل**، قائد الحَرس،

– **السير ڤورتيمر كرين**، قيِّم السِّلاح،

– **برميل الزُّبدة**، نكَّات ومهرِّج مفرط البدانة،

– اللوردات حمَلة رايته:

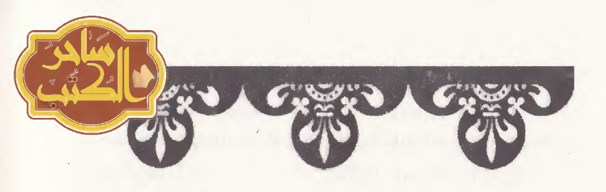
– **راندل تارلي**، سيِّد هورن هيل،

– **پاكستر ردواين**، سيِّد الكرمة،

- **أروين أوكهارت**، سيِّدة السَّنديانة القديمة،
- **ماثيس روان**، سيِّد البُستان الذَّهبي،
- **آلستر فلورنت**، سيِّد قلعة المياه الوضَّاءة، متمرِّد يدعم ستانيس باراثيون،
- **لايتون هايتاور**، صوت البلدة القديمة وسيِّد المرفأ،
- **أورتون ميريويذر**، سيِّد الطَّاولة الطَّويلة،
- **اللورد آرثر أمبروز**.

- فُرسانه والمقسِمون له:
- **السير مارك مولندور**، شُلَّ في معركة النَّهر الأسود،
- **السير چون فوسواي**، من فرع التُّفَّاحة الخضراء من عائلة فوسواي،
- **السير تانتون فوسواي**، من فرع التُّفَّاحة الحمراء من عائلة فوسواي.





متمرِّدون ومجرمون وإخوة محلَّفون

إخوان حَرس اللَّيل المحلَّفون

(في الحملة وراء الجِدار)

چيور مورمونت، لقبه الدُّب العجوز، قائد حَرس اللَّيل،

– چون سنو، نغل وينترفل، وكيله ومُرافِقه، فُقِدَ في أثناء استطلاع الممر الصَّادح،

– جوست، ذئبه الرَّهيب، أبيض وصامت،

– إديسون توليت، لقبه إد الكئيب، مُرافِقه،

– ثورين سمولوود، قائد الجوَّالة،

– دايوين، ديرك، المتسلِّل، جرن، بدويك ولقبه العملاق، أولو الأبتر، جروبز، برنار ولقبه برنار البنِّي، برنار آخَر ولقبه برنار الأسود، تيم ستون، أولمر ابن غابة الملوك، جارث جرايفيذر، جارث جرينواي، جارث ابن البلدة القديمة، آلان ابن روزبي، رونل هاركلاي، إيثان، رايلز، ماوني، جوَّالة،

– چارمن بكويل، قائد الكشَّافة،

– بانن، كِدج ذو العين البيضاء، تمبرچون، فورينو، جودي، جوَّالة وكشَّافة،

– السير أوتين ويذرز، قائد حَرس المؤخِّرة،

– السير مالادور لوك، قائد حَرس الأمتعة،

– دونل هيل، لقبه دونل هيل المرِح، مُرافِقه ووكيله،

– **هاك**، وكيل وطبَّاخ،
– **تشِت**، وكيل قبيح، مسؤول عن الكلاب،
– **ساموِيل تارلي**، وكيل بدين، مسؤول عن الغِدفان، يُسَمَّى السير خنزير سُخريةً،
– **لارك**، لقبه رجل الأخوات، وأبناء عمومته، **رولي ابن سسترتون، كارل ذو القدم المعوجَّة، مازلين، پول الصَّغير، المنشار، ليو الأعسر، أوس اليتيم، بيل المُتمتِم**،
– (**كورين ذو النِّصف يد**)، قائد جوَّالة بُرج الظِّلال، قُتِلَ في الممر الصَّادح،
– (**المُرافِق دالبريدج، إبن**)، جوَّالان، قُتِلَا في الممر الصَّادح،
– **ثُعبان الحجر**، جوَّال ومتسلِّق جبال، فُقِدَ وهو على قدميه في الممر الصَّادح،
– **بلين**، نائب كورين ذو النِّصف يد، يقود رجال بُرج الظِّلال على قبضة البَشر الأوائل،
– **السير ريام فلينت**،
(في القلعة السَّوداء)
باون مارش، قيِّم الوُكلاء وأمين القلعة،
– **المِايستر إيمون** (تارجاريَن)، مُعالِج ومستشار، كفيف في المئة من العُمر،
– **كلايداس**، وكيله،
– **بنچن ستارك**، الجوَّال الأول، مفقود ويُخشى أنه ماتَ،
– **السير وينتون ستاوت**، جوَّال منذ ثمانين عامًا،
– **السير ألاديل وينش، پايپر، ديك فولارد الأصم، هال المُشعر، چاك بولوار الأسود، إلرون، ماثار**، جوَّالة،
– **أوثيل ياروِيك**، البنَّاء الأول،
– **ذو النَّعل الواحد، هنلي الصَّغير، هالدر، آلبت، كِجز، پايت الأرقط بن بركة العذارى**، بنَّاءون،
– **دونال نوي**، صانع سلاح، حدَّاد، وكيل، بذراعٍ واحدة،

– هوب ذو الثَّلاثة أصابع، وكيل ورئيس الطُّهاة،

– تيـم المُتهتِـه، إيـزي، مولـي، هنلـي الكبيـر، كوچـن، آلـن الأحمـر ابـن غابـة الـورود، چيـرن، وُكلاء،

– السِّپتون سلادور، رجل دين سكِّير،

– السير إندرو تارث، قيِّم السِّلاح،

– راست، أرون، إمريك، ساتان، روبن النطَّاط، تحت التَّدريب،

– كونواي وجورن، مجنِّدان وجامعان للرِّجال،

(في القلعة الشَّرقيَّة على البحر)

كوتر پايك، قائد القلعة،

– **المِايستر هارميون**، مُعالِج ومستشار،

– **السير أليسر ثورن**، قيِّم السِّلاح،

– **چانـوس سـلينت**، قائـد حَـرس المدينـة الأسـبق فـي كينجـز لاندنـج، سـيِّد هارنهـال لفتـرةٍ وجيـزة،

– **السير جلندون هيويت**،

– **داريون**، وكيل ومطرب،

– **إميت الحديدي**، جوَّال مشهور بقوَّته،

(في بُرج الظِّلال)

السير دينس ماليستر، قائد القلعة،

– وكيله ومُرافِقه، والاس ماسي،

– **المِايستر مولين**، مُعالِج ومستشار.



أخوة اللا رايات

جماعة من الخارجين عن القانون



بريـك دونداريـون، سـيِّد المرفـأ الأسـود، لقبـه سـيِّد البـرق، كثيـرًا مـا يُشـاع أنـه مـاتَ،

– يده اليُمني، ثوروس المايري، راهب أحمر،

– مُرافِقه، إدريك داين، سيِّد ستارفول، صبيٌّ في الثَّانية عشرة،

– أتباعه:

– ليم، لقبه ليم ذو المعطف اللَّيموني، جُندي سابق،

– هارويـن، بـن هالـن، كان فـي خدمـة اللـورد إدارد سـتارك سـيِّد وينترفـل،

– ذو اللِّحية الخضراء، مرتزِق تايروشي،

– تـوم بـن الجـداول السَّـبعة، مطـرب سـيِّئ السُّـمعة، لقبـه تـوم سبعة أوتـار وتـوم أبـو السَّـبعات،

– آنجاي القوَّاس، رام من تُخوم دورن،

– جاك المحظوظ، مطلوب للعدالة، أعور،

– القنَّاص المجنون، من السِّپت الحجري،

– كايل، نوتش، دينيت، رُماة،

– ميريـت ابـن بلـدة القمـر، واتـي الطَّحَّـان، لـوك الرَّاجـح، مـودج، ديك



الحليـق، خارجـون عـن القانـون فـي جماعته،

– **في خان الرَّجل الرَّاكع**،

– **شارنا**، صاحبة الخان، طاهية وقابلة،

– زوجها، **يُسَمَّى الزَّوج**،

– **الصَّبي**، من أيتام الحرب،

– **في ماخور الخوخة بالسِّپت الحجري**،

– **تانسي**، مالكة المكان حمراء الشَّعر،

– **آليس**، **كاس**، **لانا**، **چايزين**، **هيلي**، **بلَّا**، من خوخاتها،

– **في بهو البلُّوط**، مقر عائلة سمولوود،

– **الليـدي راڤيـلا**، سـليلة عائلـة سـوان سـابقًا، زوجـة اللـورد ثيومـار سـمولوود،

– **هنا وهناك**،

– **اللـورد ليمونـد لايتشسـتر**، رجـل مسـنٌّ خَـفَّ عقلـه، صَـدَّ السـير ماينـارد عنـد الجسـر ذات مـرَّة،

– وكيله الشَّاب، **المايستر روون**،

– **شبح القلب العالي**،

– **سيِّدة الأوراق**،

– **السِّپتون في ساليدانس**.



الهَمج
أو شعب الأحرار

مانس رايدر، ملك ما وراء الجِدار،

– **دالا**، زوجته الحُبلى،

– **ڤال**، أختها الصَّغيرة،

– زُعماؤه وقادته:

– **هارما**، لقبها رأس الكلب، تقود طليعة جيشه،

– **سيِّد العظام**، يُسَمَّى ذا القميص المُخشخِش سُخريةً، قائد فرقةٍ حربيَّة،

– **إيجريت**، زوجة حربة شابَّة، من فرقته،

– **رايك**، لقبه ذو الحربة الطَّويلة، من فرقته،

– **راجوايل**، **لاينل**، من فرقته،

– أسيره، **چون سنو**، الغُراب المرتدُّ،

– **جوست**، ذئب چون الرَّهيب، أبيض وصامت،

– **ستير**، ماجنَر ثِن،

– **چارل**، مُغير شاب، حبيب ڤال،

– **جريج التَّيس**، **إروك**، **كورت**، **بودچر**، **دِل**، **بثرة الكبير**، **دان القنَّبي**، **هِنك ذو الدَّفَّة**، **لِن**، **توفينجر**، **ذو الإبهام الحجري**، **هجَّانة**،

– **تورموند**، ملك البتع في البهو القاني، ألقابه بليَّة العماليق، المهذار، نافخ البوق، وكاسر الجليد، وأيضًا قبضة الرَّعد، زوج الدِّببة، كليم الآلهة، وأبو الجيوش،

– أبناؤه، **توريج الطَّويل**، **توروند المروَّض**، **دورموند**، **درين**،

وابنتـه، مونـدا،

– (**أورل، لقبـه أورل النَّسـر**)، مبـدِّل جِلـدة قتلَـه چـون سـنو فـي الممـر الصَّادح،

– **ماج مار تون دوه ويج**، لقبه **ماج الجبَّار**، ملك العمالقة،

– **ڤارامير**، لقبـه **سِـت جلـود**، سـيِّد لثلاثـة ذئـاب وقِـطٍّ ظِـلٍّ ودُبٍّ ثلـوج،

– **البكاء**، مُغير وقائد فرقة حربيَّة،

– (**ألفيـن قاتِـل الغِربـان**)، قتلَـه كوريـن ذو النِّصـف يـد رجـل حَـرس اللَّيـل،

كراستر سيِّد قلعة كراستر الذي لا يركع لأحد،

– **جيلي**، ابنته وزوجته، حُبلى،

– **ديا**، **فيرني**، **نِلا**، ثلاث من زوجاته التِّسع عشرة.





شُكر وتقدير

إذا كان القرميد رديء الصُّنع فسيَسقُط الجدار.

إنني أشيِّدُ جدارًا هائلًا هنا، ولذا أحتاجُ إلى الكثير من القرميد، ولحُسن حَظِّي أنني أعرِفُ الكثير من صُنَّاعه المهَرة، وأشكالًا ألوانًا من الأناس المفيدين أيضًا.

شُكري وتقديري مرَّةً أخرى للأصدقاء الأعزَّاء الذين أعاروني خبراتهم (وفي بعض الحالات كُتبهم) كي يكون قرميدي قويًّا متماسكًا. إلى المايستر الرَّئيس ساج ووكر، إلى بنَّائي الأول كارل كايم، إلى ميلندا سنودجراس قيِّمة خيولي.

ودائمًا وأبدًا، إلى باريس.

المؤلِّف

چورچ ر. ر. مارتن



عشر سنوات قضاها چورچ ريتشارد رايموند مارتن في العمل في هوليوود، واشترَكَ خلالها في كتابة وإنتاج عدد من المسلسلات التليفزيونية المعروفة في عقد الثمانينات، منها «*Beauty and the Beast*» و«*The Twilight Zone*»، لكن مع مجيء العام 1994 كان مارتن قد ضاق ذرعًا برفض القائمين على الستوديوهات الكبيرة المستمر للمشاريع التي يقدِّمها لهم للإنتاج في التليفزيون أو السينما -بزعم أن الأفكار التي يطرحها شديدة الضخامة وستتكلَّف مبالغ كبيرة جدًّا لا قِبل لهم بإنفاقها- وقال إنه اكتفى تمامًا من

القيود التي تفرضها التكاليف على الإنتاج، ومن ثم قُدرة الشاشة على تقديم ما يرغب فيه حقًّا على المستوى المطلوب، بينما يستطيع على الصفحة المطبوعة أن يحكي كل ما يريده من قصص بكل التفاصيل التي تتفتق عنها مخيِّلته النشطة. هكذا اتخذ مارتن القرار بأن يترك العمل في هوليوود ويعود إلى تأليف الكتب وتقديم أفكاره كلها فيها، حيث لا توجد عقبات إنتاجية أو مالية تعوقه عن بناء العوالم الضخمة التي يتخيلها وتقديمها بأدق وأصغر تفاصيلها.

وُلد مارتن في سبتمبر 1948 في ولاية نيو جرسي لأب من أصول إيطالية يعمل في تفريغ وتحميل البضائع على السفن، وأم من أصول أيرلندية، وفي عائلة تملك جذورًا إنجليزية وألمانية وفرنسية، وهو ما يفسِّر شغفه الشديد بالتاريخ الأوروبي، خصوصًا حقبة العصور الوسطى التي استلهم منها الكثير في كتاباته. يقول مارتن إن طفولته كلها كانت تتلخَّص في الذهاب إلى المدرسة والعودة إلى المنزل، ومشاهدة السفن التي تتوافد على ميناء نيو آرك من جميع أنحاء العالم من نافذة غرفته الصغيرة، واضعًا قائمة بأعلام الدول التي يراها ويحلم بأن يزورها ذات يوم، وكان هذا ما شجعه على القراءة بنهم شديد على سبيل زيارة تلك الدول في خياله، قبل أن يتجه إلى الكتابة في سنٍّ صغيرة، ويبدأ يبيع القصص التي يكتبها لأطفال الحي مقابل بنس للقصة، وأحيانًا كان يقرأ عليهم هذه القصص كذلك.

ظلَّ مارتن شغوفًا بالقراءة والكتابة، وخلال دراسته الثانوية أضاف قصص الكومكس إلى هواياته، حتى صارت لديه مجموعة ضخمة منها، وهو ما شجَّعه على كتابتها كذلك، وفي سنة 1970 اشترت منه مجلة «*Galaxy*» واحدة من تلك القصص، لتصبح أول عمل احترافي يُنشر له على الإطلاق. ثم التحق مارتن بجامعة نورثوسترن في ولايةَ إلينوي، حيث درس التاريخ وحصل على درجتي البكالوريوس والليسانس في الصحافة، وخلال دراسته الجامعية كان من النشطاء المعارضين لحرب ڤيتنام.

عمل مارتن أستاذًا للصحافة في الجامعة لفترة واصل فيها نشر قصصه ومقالاته في الصحف والمجلات المختلفة، وأخيرًا في سنة 1976 نشر مجموعته القصصية الأولى «أغنيَّة ليا» التي فازت بجائزة «Locus Poll»

كأفضل مجموعة قصصية لذلك العام، ثم في العام التالي نشر روايته الأولى بعنوان «موت الضِّياء» التي رُشحت لجائزتي «Hugo» و«British Fantasy Award» كأفضل رواية، وتُرجمت إلى تسع لغات.

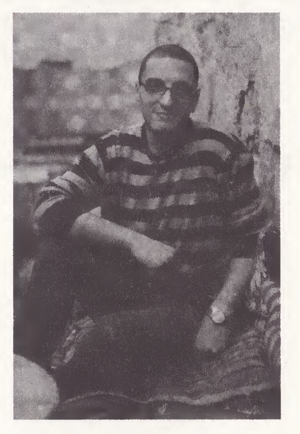
بحلول سنة 1979 كان مارتن قد تفرغ للكتابة تمامًا، وواصل نشر مجموعاته القصصية ورواياته، التي تضمنت «أغاني النُّجوم والظِّلال» و«التنِّين الجليدي» و«في الأراضي المفقودة»، ليحصد المزيد من الجوائز الأدبية المرموقة عن أعماله المختلفة، والتي بلغ عددها حتى الآن 21 جائزة بخلاف الترشيحات، غير أن روايته الرابعة التي نشرها سنة 1983 بعنوان «المعركة الأخيرة» لاقت فشلًا ذريعًا في المبيعات على الرغم من إشادة النقاد بها، حتى إن مارتن قال إنه «دمَّر مسيرته المهنية كروائي في ذلك الحين»، ولكن سرعان ما تعافى من هذه العقبة واتجه إلى العمل في هوليوود، وفي الآن نفسه واصل كتابة القصص والروايات، لتبلغ حصيلته منها حتى الآن 18 رواية ومجموعة قصصية لا تتضمن سلسلته الأشهر «أغنيَّة الجَليد والنَّار» والكُتب الأخرى التي تدور أحداثها في عالمها.

يقول مارتن إن تركه هوليوود كان من أفضل القرارات التي اتخذها في حياته، ويقرُّ بأن هوليوود كانت كفيلة بتدمير سلسلة «أغنيَّة الجَليد والنَّار» تمامًا لو كان قدمها للستوديوهات الكبيرة لتحولها إلى سلسلة أفلام سينمائية ضخمة، بدلًا من شبكة «HBO» التي حولتها إلى مسلسل «*Game of Thrones*»، والذي عمل عليه كمشرف ومنتج تنفيذي وشارك في كتابة عدد من أهم حلقاته، وإن توقف عن الكتابة للمسلسل بعد موسمه الرابع، ويعيش حاليًّا في ولاية نيو مكسيكو مع زوجته الثانية پاريس متفرغًا لكتابة الجزأين السادس والسابع من سلسلته، واللذين ينتظرهما القراء في جميع أنحاء العالم على أحرٍّ من الجمر.



المترجم

هشام فهمي



درسَ الأدب الإنجليزي والترَّجمة في جامعة الإسكندرية، وعملَ مترجمًا وكاتبًا في عددٍ من الصُّحف والمجلَّات، وترجمَ عددًا من الأعمال لكُتَّاب عالميِّين، منها «الهوبيت» لتولكين، «فرانكنشتاين» لماري شِلي، «1408» لستيڤن كينج، «الناجي الأخير» و«أغنية المهد» لتشاك پولانك، و«المحيط في نهاية الدَّرب» لنيل جايمان.



شُكر من المترجم

تظلُّ قائمة الأصدقاء الذين وجَّهتُ لهم الشُّكر في الكتابين الأول والثَّاني كما هي بالطَّبع، وأودُّ أن أضيف إليها كلًّا من الأصدقاء إيناس عبد الله وشادي عبد العزيز ونادر أسامة وهند خالد.

سلسلة چورچ ر. ر. مارتن الملحميَّة

أغنية الجليد والنار

تبدأ في

لعبة العروش

وتُستكمَل في

صِدام الملوك

عاصفة السُّيوف

وليمة للغِربان

رقصة مع التَّنانين

رياح الشِّتاء

حُلم بالرَّبيع

الرواية التي تحولت إلى ظاهرة

«مارتن راوي قصص بالفطرة يتمتَّع بخيال واحد في المليون، والمسلسل المأخوذ عن سلسلته رائع، لكن الكُتب أفضل بكثير». - **ستيڤن كينج**

«نجحت سلسلة مارتن الخيالية في إشعال خيال الملايين للسبب نفسه الذي جعل أعمال هوميروس وسوفوكليس وشكسبير تدوم عصورًا». - **الجارديان**

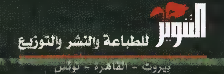
«مارتن هو الأفضل على الإطلاق بين من يكتبون في مجال الفانتازيا الملحميَّة في العصر الحالي». - **تايم**

«موهبة مارتن في الحكي تكاد تكون خارقة للطبيعة». - **نيويورك تايمز**

في «**عاصفة السُّيوف**» يواصل چورچ ر. ر. مارتن أحداث تحفته الفنيَّة الأصيلة، التي تحوي أفضل ما في الأدب الخيالي من إثارة وغموض ومغامرة، على مستوى أكبر من الواقع، بالإضافة إلى مجموعةٍ كبيرة من الشخصيات الأساسيَّة والفرعيَّة المثيرة لاهتمام وتفاعُل القارئ، وهو ما جعل الملايين من عشاق الفانتازيا حول العالم يقعون في غرامها ويتابعون أجزاء ملحمة «أغنية الجليد والنار» بمنتهى الشغف.

ما زالت حرب الملوك الخمسة مشتعلة، تعاني من ويلاتها جميع أنحاء الممالك السبع إلَّا قليلًا. على العرش الحديدي يجلس الملك الصبي چوفري بينما يسعى جدُّه ويد الملك إلى تأمين حُكمه، ومن ثمَّ تأمين السُّلطة لعائلة لانستر، مخططًا للقضاء على ستانيس باراثيون الذي خرج مدحورًا من معركة النهر الأسود، وعلى الذئب الصغير روب ستارك الذي يقود حملة في غرب البلاد رغم أنه فقد وطنه في الشمال، وفي تلك الأثناء تشقُّ الملكة المنفيَّة دنيرس طريقها في قارةٍ أخرى أغرقتها الدماء، ومعها التنانين الثلاثة الحية الوحيدة في العالم، وفي الشمال يتحرك جيش جرَّار من الهمج استعدادًا للهجوم على الجدار وغزو الممالك السبع، وإن كان هناك ما هو أسوأ منه يتقدم من أقصى الشمال، العدوُّ الحقيقي الذي ينشغل الجميع تقريبًا بقتالهم عنه وربما لا تكون جيوش الأرض كلها قادرة على ردعه.


ISBN: 978-614-472-015-8


التنوير للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - القاهرة - تونس